الكتاب : التيسير في التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير في التفسير

للعلامة بدر الدين الحوثي

بسم الله الرحيم الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس ومبشرا ونذيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد وبعد: فقد تكرر الطلب لي أن أفسر القرآن الكرم وأنا أستبعد ذلك العمل لصعوبته والحاجة فيه إلى مزيد الحذر من التفسير بغير الصواب والقول على الله بغير علم والتفسير بالرأي، ولكني رأيت حاجة الطلاب من الزيدية إليه؛ لأن تفسير الشرفي الزيدي رحمه الله كبير يتعسر تحصيله وتثقل عليهم قراءته وتفاسير الزيدية الأولين يتعسر تحصيلها، وبعضها قد فقد، فرأيت أن أكتب تفسيرا صالحا للمبتدئ في الغالب أسهل عباراته بقدر ما أستطيع وحيث تختلف القراءات، أعتمد قراءة أهل المدينة المنورة المشهورة في اليمن قراءة أئمة الزيدية التي ورثوها عن آبائهم وقراءة حفص المروية عن أمير المؤمنين المشهورة في العالم الإسلامي، وأسأل الله تعالى التوفيق والتأييد.

الجزء الأول

تفسير سورة الفاتحة

{بسم الله الرحمن الرحيم(١)}

المعنى باسم الله أقرأ، أي هذا كلام الله أقرأه باسمه، ليس كلامي أنا، وعلى هذا فهي تلقين للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولأمته، مثل: {إياك نعبد} وهذا أرجح تقدير أبتدئ؛ لأنه لو لم يكن المراد إلا الابتداء باسمه تعالى لكان الابتداء الحقيقي به أولى من الإخبار به كان يقال الله الرحمن الرحيم، ولأن القراءة قد ظهرت في {إقرأ باسم ربك} ومثله: {باسم الله مجراها} ونقول عند الذبح: (بسم الله)، أي باسم الله أذبح؛ لأنه أحل لي ذبح هذه وبناء عليه أذبح لا اعتداء وظلما ويظهر أن وجوب التسمية على الذبيحة لإفادتها هذا المعنى، ونقوله: (باسم الله آكل) أي لأنه نعمته وكذا الشرب واللباس وغيرها وباسم الله أعمل؛ لأنه بتيسيره وما خلق لي من القدرة. و{الله} هو الذي يأله إليه في المهمات ويلجأون غليه عند المصائب وإياه يعبدون، فمعناه الإله الذي لا إله إلا هو.

{الرحمن} اسم لله يفيد رحمته لعباده والدليل على أنه اسم أن الكفار أنكروه {وإذا قيل لهم أسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا} ولو كان مجرد وصف بالرحمة لما أنكروه كما لم ينكروا الرحيم.

{الرحيم} وصف الله تعالى يدل أنه يرحم عباده ومن رحمته سبحانه إرسال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإنزال القرآن كما قال تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} فالدلالة على رحمته وتكرارها بالاسم والوصف في أوائل السور، فيه فائدة عظيمة كأنه يقول: استمعوا لكلام الرحمن الرحيم لتشملكم الرحمة إذا اتبعتموه فإنه أنزله لكم رحمة لكم.

{الحمد لله رب العالمين(٢) الرحمن الرحيم(٣)}

}

الحمد لله} الحمد هو المدح على الجميل الاختياري والجمل يعم الإحسان ويعم تحصيل الخير المطلوب والوقاية من الشر وإنصاف المظلوم والحكم بالحق والعدل وحيث أن نعم الله لا يحصيها العباد وما بهم من نعمة فمن الله ومن أعظم نعمه الهداية لما يرضيه ويقرب منه ويؤدي صاحبه إلى السعادة الدائمة في جنات النعيم وحيث ان منه تعالى نعم الدنيا والدين ونعم الدنيا والآخرة التي لا تنتهي، فله الحمد كله وهو له، ولو كانت النعمة بواسطة بعض المخلوقين ولا يكون حمد لمخلوق إلا بإذن الله وتيسيره لفعل سببه فحمد المخلوق نعمة من الله عليه، فهو نعمة بواسطة العبد ونظير هذا الحصر قول الله تعالى: {قل لله الشفاعة جميعا}، فمعنى أن أمرها إليه وحده لا تكون إلا بإذنه ورضاه ولم يناف ذلك وقوعها من العبد.

{رب العالمين} سيدهم وهم كلهم له عبيد، وتعليق الحمد على الربوبية يفيد أنه تعالى محمود في ربوبيته؛ لأنه منعم على عبيده كريم في ملكته، أنعم عليهم وعاملهم بالحلم والرحمة والتعريض على السعادة نعما لا يحصونها وأعظمها إكمال العقول والدعوة إلى السعادة الأبدية وتيسير طريقها بإرسال الرسل وإنزال الكتب وغير ذلك. والعالمون جمع عالم يعم الإنس والجن والملائكة الأولين من العوالم والآخرين.

{الرحمن الرحيم} فمن رحمته دعوة عباده إلى ما فيه نجاتهم من النار والفوز بالجنة.

{مالك يوم الدين(٤) إياك نعبد وإياك نستعين(٥) اهدنا الصراط المستقيم(٦) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين(٧)}

}

مالك يوم الدين} الملك بالضم للميم يفيد ولاية الأمر وإلنهي والتصرف فيهم بإثابة المطيع وعقاب العاصي وسؤالهم عما قدموا في الدنيا من الأعمال ومما سبقهم على الصغير والكبير وإحضارهم في موقف الحساب لهذا الشأن والملك بكسر الميم يفيد أنهم عباده يتصرف فيهم كيف شاء، و{يوم الدين} يوم الجزاء أي يوم القيامة، وإسناد الملك بالضم إلى اليوم لكونه ظرفا لما يقضي فيه ملك الملوك من جزاء، وله الملك يومئذ لا ملك سواه ولا شريك له في ملكه إذا فالدين إنما هو منه يدين عباده بما قدموا في الدنيا ليس لأحد سواه وهذه الآيات تفيد أنه المستحق للعبادة وأنه يرجى من عبادته الفائدة العظمى كما أن هذه الآيات إذا قرعت السمع ووقرت في القلب توجد في النفس رغبة إلى الله ورهبة منه وتبعث على طلب الهداية منه إلى طريق رحمته ورضوانه وإلى ما يقرب لديه يوم الدين وتدعونا إلى أن نقول: {إياك نعبد وإياك نستعين} لأنك ربنا المحمود في ربوبيته المنعم علينا الرحيم بنا الذي له الملك علينا يوم الجزاء الذي يجزينا بما قدمنا لا شريك لك نتوسل بعبادتك إلى رحمتك وإلى هدايتك، والعبادة هي الخضوع المعبر عن العبودية، أي أن تخضع وتذلل لله معبرا بذلك عن كونك عبدا له تعالى، قال تعالى: {لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته}، فدل على أن العبادة تعبير عن العبودية، وقال تعالى: {وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء} يعني الذين عبدوهم في الدنيا، فنقول: {إياك نعبد} أي نخصك بالعبادة ونعبدك وحدك لا شريك لك؛ لأنك لربنا لا شريك لك فينا. {وإياك نستعين} نطلبك الإعانة على أمورنا لا نستعين غيرك؛ لأنك ربنا الكريم في ربوبيته الحميد الرحيم بعباده السمع العليم القادر على تحقيق المطلوب وصرف المرهوب، فبالإخلاص في عبادتك ودعائك أن تعيننا نتوسل إلى هدايتك لنا وهي من الإعانة لنا، فتم الاستصال بين نستعين وقوله: {اهدنا الصراط المستقيم} وهذا الدعاء العظيم الذي قصد أعظم المطلوب وأجمعه للخير على شكل التضرع وإعلان الحاجة والافتقار إلى ربنا والاعتراف بضعفنا بحيث أنا مع وضوح الصراط نحتاج إلى أن يهدينا إليه، وذلك لما يصرفنا من شواغل الدنيا ومن الغفلة ومن ضعف العزم، فبالهدى تنشرح صدورنا، فنقوي إرادتنا ونتنبه من غفلتنا ونزهد في الدنيا، فلا نشتغل بشواغلها حتى نمضي في الصراط المستقيم والهدى....... فهوى شرح يرشدنا إلى الصراط كما قال تعالى: {ويجعل لكم نورا تمشون به} والصراط هو الطريق المعبد الذي لا يلتبس على من مشى فيه، وهو صراط الله الذي دعا إليه عباده قال تعالى: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض}، وقال تعالى: {قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيما دينا قيما..

} وفي التعبير باصراط فائدة أخرى، وهي أنا لم نطلب الهداية إلى الطريق من أجل غموضه وكونه مظنة الالتباس وغلط من مشى فيه؛ لأنه طريق واضح يعبر عنه بالصراط المستقيم وإنما طلبناه لضعفنا وما يعرض لبصائرنا من الضعف بسبب الذنوب والغفلة والأغراض الدنيوية والمستقيم الذي لا عوج فيه فضلا عن أن يكون فيه ثنايا أي لفات، والطريق المستقيم أقرب إلى المطلوب، ووصف هذا الصراط بالاستقامة؛ لأنه الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قال تعالى: {ولم يجعل له عوجا} وقال تعالى: {قيما لينذر} فصراط الله قيم لا عوج له معتدل لا يجوز بأهله عن قصده وهو دين الله الذي ارتضاه لعباده وبينه لهم بالقرآن والسنة وغيرهما من وسائل المعرفة أوله النظر لمعرفة الله.

(١/٤)

واعلم أن الصارط والطريق والسبيل كل منها يدل على أمر مقصود بالمضي فيه، فصراط إلى ماذا وطريق إلى ماذا وسبيل إلى ماذا، والجواب قد بينه الله تعالى في قوله: {فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما}، وقوله تعالى: {ويهدي إليه من أناب}، والهدى إليه أولا في الدنيا بالإرشاد إلى معرفته الكاملة وذكره كثيرا بالقلب واللسان حتى نترك ما يشغلنا عن ذكره وعبادته، وثانيا في الآخرة بإيصالنا بما تقدم من هدايتنا في الدنيا إلى رحمته ورضوانه {في مقعد صدق عند مليك مقتدر} ثم بين تعالى هذا الصراط المؤدي إليه فقال تعالى: {صراط الذين أنعمت عليهم} هم رسل الله الذين أنعم عليهم بالهدى ومن تبعهم اتباعا كاملا {الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه}، قال تعالى في إبراهيم عليه السلام: {وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان} أي لإسلام نفسي له وإسلام وجهي له، ثم قال تعالى: {ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان..} إلى أن قال تعالى: {واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}، وقال تعالى بعد ذكر عدد من الأنبياء عليهم السلام: {أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح وممن هدينا} وقال تعالى: {قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما} وقال تعالى: {وكان فضل الله عليك عظيما}، وهذا لأن نعمة الهدى أعظم النعم باعتبار أنه يؤدي إلى السعادة الأبدية وينجي من الشقاوة الأبدية، فكأنه لا نعمة إلا نعمة الذين هداهم الله إليه؛ لأن نعمة الهدى هي النعمة الكبرى التي تصغر في جنبها سائر النعم الدنيوية، وحيث أن السورة أول سورة نزلت من القرآن أو من أول ما نزل لا نتحقق أنه يدخل من هذه الأمة في قوله تعالى: {الذين أنعمت عليهم} غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام، ولا يدخل فيه أحد ممن يعبد الأصنام يومئذ؛ لأن أنعمت فعل ماض، فلا بد أن يكون المعني بها من قد هداهم قبل نزولها. فإن سأل سائل عن فائدة قوله تعالى: {صراط الذين أنعمت عليهم}،

ولماذا لم يكف {اهدنا الصراط المستقيم} لأن وصف الصراط بالاستقامة يفيد أنه الحق. فالجواب . وبالله التوفيق . أن قوله تعالى: {صراط الذين أنعمت عليهم..

(٥/١)

} إلى آخرها، يفيد تعيين أهل الصراط فهم رسل الله ومن تبعهم الذين أخلصوا لله العبادة فائدة، وهي أنا لم نطلب الهداية للصراط بسبب الحيرة والتباس الطريق كما هو شأن من يسأل عن الطريق ويطلب الهداية إليها بل نحن نعلم أن الصراط المستقيم صراط الله الذي جاءت به الرسل منهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن نسأل الهداية له لإصلاح عزمنا وكشف الغفلة وغيرها من الصوارف كما قدمنا، وفائدة أخرى وهي الإيمان بالرسل وما جاءوا به من عند الله حيث نجعل هداهم نعمة من الله ولما كان قوله: {صراط الذين أنعمت عليهم} قد يطمع أهل الكتابين الذين هما نعمة عظمى، مع أنهم خالفوا طريقهما بين أن الذين أنعم الله عليهم لا هم مغضوب عليهم ولا هم ضالون، فدل ذلك على أنهم غيرهم، فقال سبحانه: {غير المغضوب عليهم ولا الضالين} أي كاليهود والنصارى الذين نزل فيهم قوله تعالى: {قل هل أنبؤكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت}، ونزل فيهم قول الله تعالى: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل} فالذين أنعم الله عليهم غير مغضوب عليهم ولا ضالين، بل مرضي عنهم مهتدون، وفي هذا دلالة على أن النعمة العظمى هي الهدى، ورضوان الله.... وقال القاسم عليه السلام المغضوب عليهم في هذا الموضع هم اليهود والضالون في هذا الموضع هم النصارى وهو عليه السلام لا يعني ان اليهود غير ضالين كيف والله تعالى يقول: {إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا} ولا يعني عليه السلام أن النصارى غير مغضوب عليهم كيف وقد شملتهم الآية الأولى من لعنة الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وإنما أراد عليه السلام في هذا الموضع خاصة الذي هو آخر الفاتحة كما قيد بقوله عليه السلام في هذا المضوع نعم والغضب في المخلوق معروف وهو حالة في النفس تدعو إلى البطش ويريد صاحبه أن يبطش بمن سبب له وفي الحديث أنه جمرة تتوقد في جوف ابن آدم، الا ترون أن انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه والله سبحانه منزه عن هذا؛ لأنه لا يشبه المخلوقين، وفي كلامأمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له عليه السلام في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة غيرها مكا ورقمها ٢٢٨ في صفة الله سبحانه: (يريد ولا يضمر، يحب ويرضى من غير رقة، ويبغض ويغضب من غير مشقة) انتهى. والضلال هو غواية السائر عن الطريق وخفاؤها عليه، هذا إذا قيل ضل عن الطريق أو نحو هذا أو استعمل في العدول عن طريق الحق، قال تعالى: {ومن يفعله منكم

فقد ضل سواء السبيل} ويستعمل الضلال في غير هذا ومرجعه إلى الضياع والغواية، والضالون هنا المراد بهم الغاوون المخالفون للحق.

تفسير سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

{الم(١)}

هذه الأحرف من حروف المعجم هي أسماء للحروف التي ينظم منها الكلام، فألف اسم للألف في قال ودعا ونحو ذلك ولام اسم للأم في قال ونحوها وميم اسم للميم في محمد ونحو ذلك، وقد جاء في القرن الكريم ذكر هذه الثلاثة الأحرف كثيرا، فقد ذكر ألف لام أربع عشرة مرة ست مرات مع الميم، والسابعة مع الميم والصاد وست مرات مع الراء، والسابعة مع الميم والراء، وذلك في الم ألمص الر ألمر، وذكرت الميم سبع مرات في ألم وألمص ومرة في ألمر وسبعا في الحواميم، ولعل سبب ذلك . والله أعلم .كثرة هذه الأحرف في الكلام، فجاءت كافية عن ذكر الأحرف كلها، وهذا حيث جاءت لقصد التحدي بآيات الكتاب المركبة من حروف المعجم التي ينطق بها العرب، فكأنه يقول: هذا القرآن هو أحرف من الأحرف التي تتكلمون بها في كلامكم {فما لكم لا تأتون بسورة من مثله إن كنتم في ريب منه}، فسرد بعضهم الأحرف إشارة إلى كلها وأكثر منها لهذا الغرض ما هو أكثر ورودا في الكلام لكونه أوضع وأقرب لفهم الأميين، وكذا حيث جاءت هذه الأحرف في أول بعض السور للدلالة على أن الله تعالى أوحى هذا القرآن كلاما حقيقيا مؤلفا من الأحرف من شأنه أن يسمع ويكتب تحقيقا لكونه من الله أنزله على عبده ورسوله أوحاه كلاما كما نسمع ونرى لا أنه تقوله ولا كان مجرد إلهام للمعنى دون القول وحروفه، ولم نعرف من أسرار هذه الأحرف أكثر من هذا ولا ننفي ما جهلناه، ولكن نقول ما ينسب إلى القرآن الكريم من المعاني الباطنة على ثلاثة أقسام، قسم يتوصل إليه علماء الدين المهتدون بهدي القرآن، يتوصلون إليه بالظاهر من دلالات القرآن، وقسم يتوصلون إليه بالدلائل العقلية، وهو لاحق بالأول أو بالقرائن الظاهرة من ظروف نزول القرآن أو من مناسبة مقاصد القرآن المعروفة بالممارسة في التفسير، وقسم يدعي بالإلهام دون أن يتوصل إليه بدليل، فهذا مردود ولا تسمع دعواه ولا سيما إذا خالف الظاهر كما تدعيه الباطنية؛ لأن لا دليل عليه، ولأن الله أنزل القرن للناس بلسن العرب ليعقلوه كلهم ولم يخص به شيخا ولا إماما كما هو معلوم من دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يجوز أن يخاطب الله سبحانه عباده بما يفهمونه وهو غير مراد، بل المراد خلافه أو ضده، هذا لا يصدر من حكيم، أليس الله بأحكم الحاكمين، أما الدليل على ما فهمناه من إرادة تحقيق

أن الله تعالى أوحى الكتاب كلاما مؤلفا من الأحرف أو التحدي، فغنه يظهر من اقتران الأحرف بما يدل على ذلك في بعض المواضع، مثل قوله تعالى: {حم عسق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم} {ألر تلك آيات الكتاب الحكيم} {ألر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين} {طسم تلك آيات الكتاب المبين} {طس تلك آيات الكتاب المبين} {طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين} ألم تلك آيات الكتاب الحكيم}، واختار الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الأساس أن هذه الأحرف جاءت في أوائل بعض السور للقسم بها، واحتج لذلك بأن القسم مفهوم في مثل قوله تعالى: {يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين}، وقوله تعالى: {ق والقرآن

المجيد} {ن والقلم وما يسطرون}، فجعل القسم بالأحرف وبالقرآن، وقدر حرف القسم قبل الأحرف وجعل الواو المذكورة عاطفة، وليس بعيدا أن يقسم الله بالأحرف التي أنطق الإنسان بها؛ لأنها من دلائل قدرة الله وعلمه، ومن نعم الله العظمى على الإنسان، وما ذكرته من إرادة التحدي أو تحقيق وحي القرآن كلاما مؤلفا من الحروف، إنما يترجح في بعض المواضيع ولا يقاس عليه بقيتها، فالمحقق أنها اسم لمعناها المفهوم عند العرب الذي بتنى منه الكلمات، فأما فوائدها وأسرارها فموكول إلى من علمه الله.
قال القاسم بن إبراهيم عليه السلام في كتاب (الرد على ابن المقفع) ص١٤٦ نسخة صورة مخطوطة
ثم عمد [أي ابن المقفع] إلى سر أسرار القرآن، وأعجب عجائب سر القرآن من الرايات والحواميم وما ذكر فيه من قاف وألم وطسم، فعد علمها جهلا، وظن مصون عجيبها مبتذلا، وأراد ويله علم سر أنبائها، وما طواه الله إلا عن الأصفياء في إيحائها، وكلا لم يجعله لعلمها أهلا، ولم يجعل قلبه العمي لها محلا، بل أخفاه الله وزمله ولم يعطه إلا أهله، انتهى المراد. وفي الأم: أنبائهما بالتثنية وإيحائهما بالتثنية، ولكن من الواضع أنه غلط. وقال القاسم بن إبراهيم عليه السلام في كتاب (مديح القرآن الكبير)
ص٤٩٢ من مجموعه عليه السلام في مدح القرآن: كيف بما في حواميمه من غرائب حكمه، وما في طواسينه [من] عجائب مكنونه، وما في ق وطه ويس من علم جم للمتعلمين، انتهى المراد. هذا ولسنا بمكلفين بعلم أسرارها والتكليف به خاص بمن يستطيعه، وأما الخرص والتخمين فليس من التفسير المقبول، وكذلك ما يروى من تفسيرها عن علي عليه السلام بدون سند صحيح ولا وجه يوجب اعتماده، فلا يصح عندنا ولا نراه. وما روي عن الهادي عليه السلام من أن الله تعالى لم يطلع أحدا على معانيها، حتى أنه لم يطلع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو قول عندي بعيد صحته عن الهادي عليه السلام، والأقرب عنه عليه السلام نفي التكليف لنا بعلمها فقط.
{ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين(٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم

ينفقون(٣)}
}

(٨/١)

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين} قد تقدم في تفسير الفاتحة أن الهدى من أهم المطالب وأعظم النعم لما يترتب عليه من النجاة من النار والفوز بالجنة والسعادة الأبدية، وهذه الآية الكريمة تدلنا على ما به نهتدي، وهو القرآن مع التقوى من حيث أنه الحق الذي لا ريب فيه ولا شك في انه صدق وحق وعدل، وأنه من الله {لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد}، فلا يتعلم به الريب من أي جهة، والريب: هو القلق في النفس الذي يحدث من الشك، فهو كناية عن نفي الشك فيه، وفي قوله: {الكتاب} تعبيرا عن القرآن إشارة إلى أنه نزل ليكتب ويبقى تتوارثه الأجيال ليهتدوا به، والراجح أن قوله: {ذلك} مبتدأ، و{الكتاب} خبر أول، وقوله: {لا ريب فيه هدى} خبر ثان، وقوله: {هدى للمتقين}، كقوله تعالى: {قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء}، وقد تضمن قوله تعالى: {هدى للمتقين بيان أن القرىن هدى لمن يهتدي به، وهو بداية الكلام في اختلاف المكلفين بين من يهتدي به ومن يكفر به ومن لا يؤمن به مع دعواه الإيمان، ثم بيان الحجة على أنه من الله نزله على عبده ورسوله، ثم الوعيد لمن كفر والوعد لمن آمن، فأول فرقة هم المتقون الذين يهتدون به وبين صفة المتقين التي انفردوا بها عن الكفار والمنافقين، فقال سبحانه: {الذين يؤمنون بالغيب} يصدقون به ويذعنون له وتقبله قلوبهم موقنة أنه الحق، و الغيب هنا هو ما أخبر الله به من البعث والحساب والجنة لأولياء الله، والنار لأعداء الله، وكذلك الملائكة وصفاتهم، وكل غائب عنا غير مشاهد، ومن ذلك ما ذكره الله في آخر السورة: {آمن الرسول..} الآية.

{ويقيمون الصلاة} وإقامتها أن يحيوها، فيؤدوها قيمة، أي خالصة لله كاملة فروضها وشروطها في أوقاتها، وهذه من خواص المؤمنين، قال تعالى: {والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون}، وقال تعالى: {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض..} إلى قوله: {ويقيمون الصلاة}، وقال تعالى: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم} إلى قوله تعالى: {الذين يقيمون الصلاة} وغير ذلك، ولعل من إقامتها حضور الذهن فيها بحيث يعلم ما يقول، قال تعال: {لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون}.

}

(٩/١)

ومما رزقناهم ينفقون} مما رزقناهم مما أعطيناهم من المال، وهذا خاص بالحلال؛ لأن ما أخذه العبد غصبا مثلا لا يقال فيه زرقه الله إياه، بل هو رزق لأهله، والمراد الإنفاق فيما أمر الله به مثل ما في قوله تعالى: {ولكن البر من آمن بالله..} إلى قوله تعالى: {وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين..} إلى قوله: {وأقام الصلاة وآتى الزكاة}، وقوله تعالى: {وأنفقوا في سبيل الله }، والإنفاق في وجوه الخير من علامات الإيمان والتقوى؛ لأن المؤمن المتقي يرجو الثواب وصرف العقاب فيبعثه ذلك على الإنفاق بخلاف المنافق والمكذب بالدين، وكذلك قال تعالى: {سارعوا إلى مغفرة من ربكم..} إلى قوله: {أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء}، وقال تعال في المكذب بالدين: {ولا يحض على طعام المسكين}، وقال في المنافقين: {ولا ينفقون إلا وهم كارهون}، وغير ذلك.

{والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون(٤)}

هذا عطف على الذين يؤمنون بالغيب، فهو من صفة المتقين، وقوله تالى: {بما أنزل إليك} يعم القرآن، وما أوحاه الله إلأى رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم من غيره، وقوله: {وما أنزل من قبلك} يعم التوراة والإنجيل، وكل ما أنزل الله مما ذكر في القرآن خصوصا أو عموما، والإيمان بها الإيمان بأنها من الله سبحانه، وأنها حق وصدق، واليقين بالآخرة يبعث على التقوى؛ لأن اليقين بها فيها من الجزاء لتلازمهما كما دل عليه القرآن، ومن أيقن بصدق الوعد والوعيد خاف من النار ورغب في الجنة، فبعثه ذلك على التقوى؛ ولأن اليقين بالآخرة من تمام الإيمان بالله وقدرته وعلمه وصدقه بالآخرة، ومن كان كذلك أيقن بصدق الوعد والوعيد بما في الآخرة، وذلك مع الإيمان به يؤدي إلى التقوى، فظهر بهذا أن هذه الآيات بيان للمتقين، في قوله تعالى: {هدى للمتقين}.

{أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون(٥)}

}

أولئك على هدى من ربهم} أي أهل هذه الصفات المذكورة على هدى من ربهم، وهذا الهدى خاص بهم، وهو إعدادهم للاهتداء بالقرآن، فصدورهم له مشروحة، وقلوبهم له مفتوحة، وبصائرهم منورة، قال تعالى: {فمن يرد الله أن يهدي يشرح صدره للإسلام}، وقال تعالى: {وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا}، وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به}، وهذا الهدى سبب عن التقوى، وقد يحتج لذلك بقول الله تعالى: {والذين اهتدوا زادهم هدى}، وقوله تعالى: {ويزيد الله الذين اهتدوا هدى}، وعندي أن هذا الهدى هو ما يفهمونه من

القرآن ويحفظونه، ولكن بسبب الهدى الي هو إعدادهم لفهم القرآن وحفظه كما يرشد إلى ذلك السياق، راجع سورة مريم وسورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، نعم الأولى أن نفسر قوله تعالى: {أولئك على هدى من ربهم} بما يعم الأمرين الهدى الذي هو إعدادهم للاهتداء به، والهدى الذي هو ما يفهمونه ويحفظونه من القرآن، وهذا هو الصواب إن شاء الله؛ لأنه كله فائدة التقوى، وفائدة الصفات المذكورة.

{وأولئك هم المفلحون} بما يصيرون إليه في الآخرة من ثواب الله، بل وبما ينالون من الحياة الطيبة في الدنيا، فهم المفلحون بفوائد الاهتداء بالقرآن كلها، والفلاح الظفر بالخير. قال في (الكشاف): والمفلح الفائز بالبغية، كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه، اهـ.

{إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون(٦)}

فالإنذار لا يحدث لهم خوفا يبعث على النظر في صدق الوعد والوعيد؛ لأنهم معرضون عنه كارهون له فوجوده وعدمه سواء عليهم، ولذلك لا يؤمنون بما أمروا بالإيمان به.

{ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم(٧)}

}

(١١/١)

ختم الله على قلوبهم} هذا تمثيل لها بالمسدودة التي هي غير مفتوحة للإيمان، فلا سبيل للإيمان ليدخلها، والختم ما يجعل على فم القارورة أو نحوها من شمع أو طين أو نحو ذلك لإحكام سد فمها، فشبهت قلوبهم بذلك؛ لأن كفرهم سبب لهم الخذلان وإرسال الشياطين عليهم كما قال تعالى: {إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا}، وقال تعالى: {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير}، فصاروا بإرسال الشياطين عليهم يزينون لهم الباطل ويثقلون عليهم الحق ويكرهون إليهم الإيمان كارهين للإيمان كراهة شديدة تحول بينهم وبينه، فكأنها ختم على قلوبهم يمنع دخول الإيمان فيها، أما نسبة ذلك إلى الله سبحانه ففيه فوائد الفائدة، الأولى: تعظيم هذا الختم والدلالة على قوته؛ لأن الله غالب على أمره، الفائدة الثانية: الدلالة على أن الله قد غضب عليهم وعاقبهم بهذا الختم الذي هم معه لا يصيرون إلى خير. الفائدة الثالثة: الدلالة على أن الله تعالى غني عنهم لا يبالي بهلاكهم ولا بامتناعهم من الإيمان وكفرهم. الفائدة الرابعة: أن يتسلى الرسولصص ولايتعب نفسه في محاولة إيمانهم كما قال تعالى: {فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا}، والتسلية هي من حيث الإشعار بأن الله خذلهم وشاء تركهم على كفرهم. الفائدة الخامسة: تشريف كلام الله العزيز المقتدر عن أن يكون

ذكره لتمردهم يشبه الشكوى منهم.
أما وجه صحة النسبة للمانع من الإيمان إلى الله فله وجهان: الأول: أن الله فطر القلوب على أن تميل إلى ما عودت وتألف ما ألفت ما فطرها على الشهوة والإلتذاذ بلذات الدنيا، فالقلب من هذه الجهة طوع لصاحبه، إما أن يوجهه إلى خير الآخرة وسعادتها والنجاة من النار فتكون رغبته في ذلك، وفيما يصرف عنه النار، وإما أن يوجهه إلى لذات الدنيا وأغراضها والسلاة من مشاق التكليف والراحة من العناء والانقياد للكبر وكراهية الانقياد لداعي الحق، فيتوجه القلب إلى ذلك ويكره ما صرفه عنه في اعتقاده ورأيه وفيما يوسوس له الشيطان، فصحت نسبة المانع إليه سبحانه بهذا المعنى؛ لأنه هيأ القلب وأعده لذلك بما فطره عليه وحسنت هذه النسبة لما ترتب عليها من الفوائد الخمس وغيرها، كالابتلاء بالمتشابه. الوجه الثاني: أن يعتبر إرسال الشياطين والخذلان كالتسبيب لوجود المنانع من دخول الإيمان في القلب كما يقال: أفسد ولده لمن أهمله ووفر له ما يشتهي، فجعل ترك تأديبه وتعليمه مع توفير ما يشتهي إفسادا له منسوبا إلى أبيه.
}

وعلى سمعهم} وهذا معطوف على قوله تعالى: {على قلوبهم}، أي وختم على سمعهم، فكأن آذانهم مسدودة سدا محكما يمنع سماع الإنذار والآيات، وهذا كقوله تعالى: {ما كانوا يستطيعون السمع}، وهو تشبيه في المعنى بمن لا يستطيع أن يسمع كما صرح به في قوله تعالى: {ويل لكل أفاك أثيم يسمع بيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا}، وهذا لأنهم لأجل كراهتهم لآيات الله وإنذار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإصرارهم على رفضه والتكذيب يكون سماعهم لها يؤدي إلى ثمرة السماع التي تكون لطالب الحق السليم من الخذلان وإرسال الشياطين، فكأن سماعهم ليس سماعا {كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا}، فكأن إثبات الختم على سمعهم مجازا بهذا المعنى؛ لأن بينهم وبين الانتفاع بالسمع حائل وصد من كراهيتهم للسماع وإصرارهم على الكفر والتكذيب واستكبارهم.
{وعلى أبصارهم غشاوة} وهذا مجاز كأنهم لا يبصرون؛ لأنهم لا ينتفعون بما يرونه من آيات الله التي تأتي على يدي رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، بل كأنهم لا يرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين ينذرهم ويتلو عليهم آيات الله، فكأن على أبصارهم غطاء.
{ولهم عذاب عظيم} وجه العطف أن الختم والغشاوة عقوبة على تمردهم عن قبول الإنذار، والعذاب العظيم عقوبة أخرى، ألا ترى إلى قوله تعالى: {فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم}، وقوله تعالى: {ونقلب

أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة}.
{ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين(٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون(٩)}
}

(١٣/١)

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر} هاؤلاء قوم من المنافقين أشبهوا الكفار المذكورين قبلهم في تمردهم عن قبول الحق، بل كانوا أشد منهم كفرا لمحاربتهم الدين من بين المسلمين ومخادعتهم لهم وغير ذلك مما ذكر في الآيات التي جاءت فيهم لبيان تمردهم وإفسادهم ووقوفهم من الكتاب الذي لا ريب فيه موقف المحاربين، ولم تأت لتفسير النفاق والتعريب بحقيقة المنافق كما لم تأت الآيتان في الكفار لبيان حقيقة الكافر؛ لأن المنافق هو الذي يتولى الكفار من دون المؤمنين سرا وهو مظهر للإسلام، وهذا قد احتج له القاسم عليه السلام والناصر في (البساط) بما فيه الكفاية، وأوضح دليل فيه قوله تعالى في بعض المنافقين: {هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان}، وقوله تعالى: {يا أيها الذين آموا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار}، وقوله تعالى: {ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا م أهل الكتاب..} الآيات، فتأمل. والمافقون يختلفون في الجرائم ودرجاتها، فهذه الآيات في بعض وفي سورة النساء في بعضهم: {فمالكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا وفي سورة التوبة، ومنهم الذين يؤذون النبي ومنهم من عاهد الله وقمنهم من يقول إئذن لي}، وفي سورة المنافقين كلام في بعضهم: {يقولون لئن رجعنا إلى المدينة}،هم الذين يقولون: {لا تنفقوا على من عند رسول الله}، وسبب النفاق مرض القلب، أي التردد والارتياب في صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد سماع الآيات الدالة عليه كما قال تعالى: {إنما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون}، ثم الخوف من غلبة الكفار، ثم يكون تولي الكفار سرا عن المؤمنين، قال تعالى: {فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة}، وليس المراد أنه لا يلزمهم حكم الكفر بتولي الكفار، وإنما المراد أنه لا يشترط في النمافق أن يضمر في نفسه الكفر الذي هو الجحود بالقرآن والرسول، بل قد يكون المنافق كذلك، وقد يكون شاكا مترددا في ريبه متوليا للكفار، وقد يكون مرتدا كالمذكورين في سورة النساء في قوله تعالى: {فمالكم في المنافقين فئتين ..} إلى قوله تعالى: {ودوا لو تكفرون كما فكروا فتكونون سواء..} الآية، فتأمل.

(١٤/١)

وقال تعالى في بعضهم: {يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وفكروا عبد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا}، ولنرجع إلى تفسير الآيات {ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنون}، الراجح أن هذه منهم كلمة إنشاء للإقرار بالله واليوم الآخر توهم مطابقة القلب للسان، والإنشاء أشد في الخداع م الخبر الذي يقبل التصديق والتكذيب؛ لأن من أنشأ كلمة إيمان يقبل كما أفاده قوله تعالى: {ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنون ورحمة للذين آمنوا منكم}، وقوله تعالى: {ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا}، فمن أنشأ كلمة الإيمان قبل عملا بالظاهر وامتثالا لأمر الله تعالى فلهذا يقولون: {آمنا بالله وباليوم الآخر وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا} ليقبلوا فأما تعليقهم الإيمان بقولهم بالله وباليوم الآخر فإن الإيمان من هذه انلاحية هو الباعث على طاعة الله وتقواه؛ لأن الإيمان بالله إذا صدق كان باعثا على الخوف من الله ومراقبته والإيمان باليوم الآخر إذا صدق كان باعثا على الخوف من النار والرغبة في الجنة، وذلك يبعث على الطاعة والتقوى، الفمؤمن بالله واليوم الآخر لا بد أن يكون كامل الإيمان؛ لأن في نفسه الباعث القوي على ذلك فقد لزم من دعواهم الإيمان بالله واليوم الآخر دعواهم الإيمان المطلق، ولذلك كان إبطال قولهم بقوله تعالى: {وما هم بمؤمنون}، ونظير هذا قوله تعالى: {ويقولون آمنوا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين}، وقوله تعالى: {ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا مبا أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت..} إلى قوله تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك..} الاية، وهذا لأن الإيمان بالله والرسول والإيمان بما أنزل إلى الرسول وما أنزل من قبله كله إذا صدق يستلزم الإيمان الكامل ويكون مدعيه مدعيا للإيمان المطلق، أما قولهم: {آمنا بالله وباليوم الآخر} الكلمة الجامعة لأسباب الخشية من الله فهو أبلغ في الخداع بإيهام أن شأنهم الصلاح والإصلاح والانقياد لأمر الله ورسوله والنصيحة للرسول وللمسلمين خوفا من الله واستعدادا للقائه، ولكن الله تعالى كشف زيفهم بقوله تعالى: {وما هم بمؤمنون}، وبين تعالى أنهم في ذلك القول: {يخادعون الله والذين آمنوا} أما مخادعتهم للذين آمنوا فظاهر، وأما خداعهم لله سبحانه فهو مجاز؛ لأنهم في غفلتهم عن الله وجهلهم بالآخر وكون همهم الدنيا فهم يعتبرون السلامة في الدنيا غاية مرامهم، فأظهروا الإسلام لئلا يقاتلهم المسلمون وليعيشوا معهم وبينهم كأنهم مؤمنون، فقد فروا من عذاب الله لهم بأيدي المؤمنين فكأنهم يخادعون الله بإظهار الإسلام والإيمان، وإن كانوا غافلين عن الله؛ لأن عملهم يشبه عمل المخادع لله.

}

وما يخدعون إلا أنفسهم} لأن ضر الخداع عليهم، فهم يفعلون بأنفسهم ما هو كالخداع لها؛ لأنهم يعتبرونه نفعا ونجاة، وهو في الواقع ضر وهلاك، فقد خادعوا أنفسهم وخدعوها وإن كانوا غافلين عن ذلك.

{وما يشعرون} إنهم يخادعون أنفسهم ويخدعونها. قال في (الكشاف): والخدع أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه. قلتك يعني تغطية على ما يريد من المكروه، وقال: والشعور: علم الشيء علم حس من الشعار، ومشاعر الإنسان حواسه، والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس، وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له، انتهى.

{في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون(١٠)}

{في قلوبهم مرض} قد قلت فيما مر أن مرض القلب هو التردد والاتياب، ولكن يمكن أنه ذلك، وأسباب ذلك من الكبر والحسد أو نحو ذلك مما يكره الإيمان من أغراض النفس الأمارة بالسوء وكراهية الإيمان لبغض هذه الأسباب أو كلها، وهذا هو الراجح، وذلك مشبه بالمرض.

{فزادهم الله مرضا} من جنس مرضهم لتمردهم عن الإيمان وتكذيبهم بآيات الله، بسبب ذلك المرض الأول، وهذا شبه الختم في الكفار، وقد مر تفسيره.

{ولهم عذاب أليم} وصف العذاب بأنه أليم يدل على شدته، أي أنه عذاب شديد؛ لأن من شأن العذاب ان يؤلم ألما شديدا، فإذا وصف بأنه أليم دل على زيادة ألمه عن المعنى الذي تفيده كلمة عذاب.

{بما كانوا يكذبون} تعليل لتعذيبهم بذلك العذاب، ويصلح مع ذلك تعليلا لقوله: {فزادهم الله مرضا}.

{وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون(١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون(١٢)}

{وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض} بما تكيدون به الإسلام، وإذا ذكر الفساد مع زيادة في الأرض عبارة شأنه أنه يعم ضرورة وينتشر إذالم يدفع كمحاربة الدين بالدعايات أو الشبه أو غيرها، وكمحاربة اقصاد المسلمين أو إضعاف جهودهم بأي وسيلة.

}

قالوا إنما نحن مصلحون} فنحن أبعد عن الفساد في الأرض بالغوا في تنزيه أنفسهم، وهذا العطف هو عطف لصفتهم هذه على صفتهم في الآية التي قبلها، قوله: {من يقول آمنا} أعني على الصلة، والآيتان اللتان بعدها: {وإذا قيل لهم آمنوا} {وإذا لقوا الذين آمنوا..} كذلك يذكر سبحانه قولهم، ويرده ردا

شافيا، ففي الأولى قولهم: {آمنا}، وفي الثانية: {إنما نحن مصلحون}، وفي الثالثة: {أنؤمن كما آمن السفهاء}، وفي الرابعة: {إنما نحن مستهزؤون}، والآيات المتضمنة لذلك متعاطفة بشكل واضح في سياق ذمهم وتقبيح طريقتهم: {ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون}. قال في (الكشاف): رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدلة على سخط عظيم، والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلتا الكلمتين، (ألا، وإن) من التأكيد، وتعريف الخبر، وتوسيط الفصل، انتهى. قلت: أنا أستشعر من ابتداء الآية الكريمة بقوله تعالى إلا التي هي حرف تنبيه كأن الآية تعلن بهذا التصريح وتنادي به في المسلمين، وفي ذلك فوائد: الأولى: إبطال قولهم: {إنما نحن مصلحون}، وتحقيق أن الواقع ضده على غاية المضادة. الثانية: الدلالة على أن القائل: {لا تفسدوا في الأرض} هو المصيب، وأنهم المخطئون بالرد عليه. الثانية: تحذير المسلمين منهم لئلا يفسدوهم أو يفسدوا ما بينهم من الأفة والإخاء، وأما قوله تعالى: {ولكن لا يشعرون}، ففيه دلالة على أنهم في ضلال بعيد، حيث لا يشعرون أن ما يفعلونه من كيد الإسلام والمسلمين إفساد.

{وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون(١٣)}

{وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس} الذين هم الصادقون في إيمانهم فهم الناس هنا؛ لأنهم الصالحون الكاملون في الإنسانية، ولأنهم أهل القوة بألفتهم والعزة بإيمانهم، فإيمانهم هو الإيمان الذي يبعث على العمل الصالح والنصح لله ولرسوله وللمؤمنين ومباينة الكفار، خلاف ما عليه المنافقون الذين يتولون الكفار، {ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون}، {والذين يتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ويفسدون في الأرض.

{قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء} استخفافا بأهل الدين واستضعافا لعقولهم وزعما أن أهل الدين فاقدون لحسن الرأي ورجاحة العقول وزعما أن ما يصدر عن المنافقين إنما هو مقتضى الرأي وتوخي المصلحة وإرادة استمالة الكفار إلى الإسلام وترغيبهم فيه باللين والمصانعة والمجالسة.

}

ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون} ألا حرف تنبيه وتأكيد لما بعدها، وفي هذا الرد عليهم من التأكيد مثل ما في قوله تعالى: {ألا إنهم هم المفسدون}، ويبين أنهم هم السفهاء كما أخبر الله أصدق القائلين أنهم سلكوا في نفاقهم طريقة توجب لهم الدرك الأسفل من النار، فعدوا مخالفة طريقة المؤمنين لطريقتهم إنما هي من ضعف الرأي ونقص العقول، فهم في الآخرة أبدا معذبون، وفي الدنيا في فرق

وقلق مذبذبون لم يتفيدوا بالنفاق أمنا ولا عزة ولا راحة، بل على العكس م نذلك كما تفيده الآيات الكريمةفي سورة البقرة وسورة النساء وسورة التوبة وسورة المنافقين، والعقل لا يدعو إلى ذلك بل يدعو إلى طريق الأمن والسلامة والكرامة، فدل تصرفهم الخاطئ على أنهم ضعاف العقول؛ لأنهم أهملوا عقولهم واتبعوا أهواءهم فضعفت عقولهم بالغفلة وترك النظر، وبقوة هوى النفس في خلاف العقل فصح أنهم هم السفهاء. قال في (الكشاف): والسفه سخافة العقل وخفة الحلم، انتهى. ولكن لا يعلمون؛ لأن علمهم بذلك يتوقف على الإيمان الصادق الذي يعرف به صواب الرأي وطريق الفلاح وأسباب النجاة وأسباب التوكل على الله وبينهم وبين ذلك مسافات ومراحل نسأل الله الثبات.

{وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون(١٤) الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون(١٥)}

{وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا} بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم.

{وإذا خلوا} عن المسلمين أو عن المسلمين وغيرهم {إلى شياطينهم} الذين يغوونهم من اليهود مثلا {قالوا} لشياطينهم: {إنا معكم} مشاركون لكم في قضاياكم ضد الإسلام، وهذه عبارة اتخاذهم أولياء فالمعية والولاء متفقان في المعنى، فسواء قولهم نحن معكم في الأمور الهامة أو نحن أولياؤكم.

{إنما نحن مستهزئون} إذ قلنا كلمة الإيمان فنحن إنما قلناها استهزاء بالمؤمنين أي سخرية بالمؤمنين واستخفافا بهم، ليس جدا، فالهزوء كلام غير جد لغرض الاستخفاف بمن يقال له، ألا ترى إلى قول بني إسرائيل: {أتتخذنا هزوا}، كأنهم استبعدوا أن يكون جادا في أمرهم بذبح بقرة، وجوزوا أنه في ذلك يستهزئ بهم.

{الله يستهزئ بهم} بمعنى أنه يفعل لهم فعل المستهزئ يملي لهم ولا يعاجلهم بالعقاب، لا لأنه راضعنهم، ولا لأنه غير معاقب لهم، بل هو معد لهم العذاب، فعبر سبحانه بالعبارة المشاكلة لكلمتهم، وهو سبحانه لا يستهزئ، ولكن هذه مشاكلة لفظية كقول الشاعر:

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخة ... قلت اطبخوا إلى جبة وقميصا

أي خيطوا لي جبة وقميصا، وأتى بالفعل الدال على التجدد لتكرار أعمالهم التي يستحقون بها العذاب، فكلما أجرموا مهل.

}

ويمدهم في طغيانهم يعمهون} حيث يخذلهم ويتركهم يعاودون الطغيان، يبسط لهم نعمته فيزدادون طغيانا ويزيدهم رجسا إلى رجسهم بما ينزل من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين، {ولا يزيد

الظالمين إلا خسارا}، ونسبة الإمداد إليه سبحانه مجاز كالختم، وقد مر التحقيق فيه، ومعنى يعمهون: يترددون في الباطل، لا يهتدون للصواب كالأعمى يتردد في غير طريق لا يهتدي إلى الطريق، وقوله سبحانه: {وإذا لقوا الذين آمنوا}، ومقابلته بقوله: {وإذا خلوا إلى شياطينهم}، يظهر منه أن المنافقين إنما يقولون للمؤمنين عند ملاقاتهم في طريق أو نحوها لايقصدونهم إلى محلهم، وأما شياطينهم فيتوجهون إليهم ويقصدون الخلوة معهم ميلا إليهم، وقولهم: {إنا معكم إنما نحن مستهزؤون}، يريدون لم نتحول عنكم لأنا قلناه للمؤمنين، بل ما زلنا معكم.

{أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين(١٦)}

{أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى} أولئك إشارة إلى أهل الكلام الذي حكاه سبحانه عنهم في الآيات من قوله: {ومن الناس}، وأهل الصفات التي اشتمل عليها لاكلام فيهم، وفي قوله: {الذين اشتروا الضلالة بالهدى} تعجيب منهم؛ لأن اشتراء الضار النافع عجيب يسأل عن فاعله من هو، فيقال: هو هذا الذي صنع كذا وكذا، ومعنى اشتروا، استبدلوا أخذوا الضلالة بدل الهدى، وأي عاقل يختار الضلالة عن الطريق بدلا من الهدى لها؛ لأنهم أهملوا عقولهم، ولما كانوا في موقع الهدى في محضر الرسول يتلو آيات الله، وفي موقع بركات النبوة بحيث أن حقهم لو استعملوا عقولهم أن يهتدوا، فاختاروا الضلال والكفر، اعتبار ذلك منهم استبدالا واشتراء؛ لأنهم تركوا ما هو ميسر لهم لو أرادوه، فكأنه بأيديهم لحضوره لديهم وتيسرهن وجعل باطلهم مكانه وبدله، ولما كان المشتري يحاول أن يشتري بالثمن القليل ما يسوى أكثر وعلى الأقل يتجنب الغبن ويشتري المبيع رغبة فيه، بحيث يبذل ماله لتحصيله، وهؤلاء المنافقون كذلك راغبون في الضلالة رغبة قوية شبهوا بالمشتري، قيل: اشتروا، مجازا عن استبدالهم الضلالة بالهدى، ولكنهم غبنوا غبنا فاحشا، فقيل فيهم تهكما بهم: {فما ربحت تجارتهم}؛ لأن الذي ينبغي للمتجر أن يطلب الربح لا أن يطلب الخسران المبين.

{وما كانوا مهتدين} لأنهم قد باعوا الهدى، فرأس المال قد فات ولم يحصل لهم بتفويته فائدة كما يحصل للمشتري في بعض الأحوال، مع أن نفي الفائدة تهكم بهم كما قلنا.

{مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون(١٧) صم بكم عمي فهم لا يرجعون(١٨) أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين(١٩)}

}

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا} حالهم العجيب كحال الذي استوقد نارا، عمل لتحصيل نار فحصلها ليرى بها في الظلمة. {فلما أضاءت ما حوله} باشتعالها، وحصل منها النور المطلوب بتحصيلها {ذهب الله بنورهم} بأمر غالب لا يستطيع رده؛ لأن الله غالب على أمره.
{وتركهم في ظلمات لا يبصرون} لشدة الظلمات المتراكمة عليهم، إما أن يكون معناه تركهم فلم يفعل لهم شيئا، فلم يرجع لهم النور، ولم يدلهم على الطريق حال كونهم في ظلمات لا يبصرون، وأما إن يكون المعنى صيرهم في ظلمات لا يبصرون، وأفاد صاحب (الكشاف) أنه يقال: ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه، وذهب السلطان بماله أخذه، ثم قال: والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه، {وما يمسك فلا مرسل له}، فهو أبلغ من أذهبه، وقال: إن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا، انتهى.

ونظير المعنى الأول قوله تعالى: ونذرهم في طغيانهم يعمهون، وهو عندي أرجح من الثاني؛ لأن تصيرهم في الظلمات يستفاد من قوله تعالى: {ذهب الله بنورهم}، أما تركهم بمعنى ترك الانقاذ لهم من تلك الحالة فهو معنى جديد، وحاصل التفسيرين واحد، وهو إذهاب الله لنورهم وبقاؤهم في ظلمات لا يبصرون بترك الله لهم فيها أو تصييره، إلا أن إفادة البقاء بتركهم أظهر من إفادة البقاء بتصييرهم،
والراجح في معناها أن هؤلاء الذي نافقوا كانوا قد أسلموا، ولكنهم سارعوا إلى النفاق، فذهب عنهم نور الإسلام وصاروا كما وصفهم تعالى، وقد قال تعالى في بعض المنافقين: {لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم}، وقال تعالى: {يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم}، وهذا لا يخرجهم عن النفاق إذا كان سرا لا يظهرونه للمؤمنين، فكانوا بالإسلام قد حصلوا الضوء القوي؛ لأنهم صاروا في صحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومحل نزول القرآن وصاروا بمحل يرون طريق الهدى واضحا كما يرى الطريق بضوء النار الكبيرة التي تضيء ما حولهم، فملا نافقوا ذهب الله بنورهم؛ لأنه ذهب استعدادهم لقبول الهدى وصاروا كأن على أبصارهم غشلاوة، فكان حضورهم في بلد النبوءة كلا حضور لا ينير لهم نور النبوة، فأشبهوا من انطفأت ناره التي كان بها يبصر، فذهب نورها كله وصار في ظلمات لا يبصر، فهذا المثل يبين سوء حالهم بعد أن كانوا قد حصلوا في مظنة السعادة، فكانوا يسعدون لولا سوء اختيارهم، وكانوا يهتدون لولا اختيارهم للضلال أو أنهم كانوا دق أسلموا جادين في إسلامهم، ثم تحولوا، وهذا المثل ـ أيضا ـ يشير إلى شدة الظلمة عليهم؛ لأن الظلمة التي يفاجئها البصر بعد النور تكون شديدة عليه، وهؤلاء كذلك يشتد عليهم الخذلان وظلمة القلوب كما قال تعالى:
{كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم..} الآية، وكما قال تعالى: {صم بكم عمي فهم لا يرجعون}.
ثم قال تعالى: {أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق} الصي المطر؛ لأنه يصوب أي ينزل فيه

ظلمات لكونه في الليل، وقد غطا سحابه النجوم فلا تنير لهم، فاشتدت الظلمة بالليل وتراكم السحاب، فصارت ظلمات متعددة بتعدد أسبابها على هؤلاء، فشأنهم حين يكونون في هذه الظلمة والمطر ينزل عليهم أن يكونوا في حيرة وقلق، ومع ذلك ما يزيد القلق وهو الخوف من الصواعق الذي يكون بسبب الرعد والبرق.

{يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت} إما لشدة صوتها، وإما لباعث الخوف من الصواعق التي صوتها شديد مع شدة القلق والخوف والاشتغال بالمطر، لا يتذكرون أن جعل أصابعهم في آذانهم لا ينجيهم من أن تصيبهم الصواعق.

}

(٢١/١)

والله محيط بالكافرين} لا يفوتونه ولا ينجيهم منه جعل الأصابع في الآذان ولا غيره، وهذا تمثيل لإفادة هذا المعنى؛ لأن من أحيط به لا يتخلص من الهلاك، ويكون تحت قهر المحيط به، فكذلك المنافقون المذكورون ما لهم من الله من عاصم ولا ينقذهم منه احتيالهم وأيمانهم الفاجرة واعتذاراتهم الكاذبة.

{يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير(٢٠)}

{يكاد البرق يخطف أبصارهم} حين يلمع بقوة مفاجئة ليبصر.

{كلما أضاء لهم مشوا فيه} لشدة حرصهم على الفرار من المطر، وهي لحظات لا تفيدهم.

{وإذا أظلم عليهم} البرق بذهابه عنهم أو أظلم مكانهم لذهاب البرق؛ لأن المكان حيث المطر والظلمة قد فهم من السياق {قاموا} وقفوا لحيرتهم مع شدة حرصهم على المشي.

{ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم} فلا يسمعون ولا يبصرون، وذلك أشد عليهم؛ لأن من بقي له السمع قد ينتفع بصوت يسمعه يعرفه به الجهة التي يريد أن يتوجه إليها في الظلمة، والمبصر قد ينتفع بلمع البرق لحظة، أما من ذهب سمعه وبصره فحيرته أشد وقلقه أكثر.

}

(٢٢/١)

إن الله على كل شيء قدير} فهو يفعل بهم ما شاء، فلو شاء لجعل هؤلاء المنافقين في حيرة وقلق وخوف أشد مما هم فيه، وهذا المثل يبين حالهم في نفاقهم وما صاروا فيه من الحيرة والقلق والخوف

وعدم القدرة على التخلص من سوء الحال، فهم في خوف من أن يفتضحوا ويظهر كفرهم فيقتلوا وخوف أن يغلب الكفار فيقتلوا مع المسلمين، وعناء في التستر بالنفاق والأعذار وانظر حالهم في سورة التوبة: {يحلفون بالله ما قالوا سيحلفون لكم إذا انقلبتم إليهم يعتذرون إليكم والله يشهد أنهم لكاذبون قد نبأنا الله من أخباركم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون}، فخوف من ناحية وتقريع وتوبيخ من ناحية، واشتغال بتستر لا يجدي وخزي وذلة لا تخلص منها الاعتذارات، وكيف وهي تتنزل فيهم قوارع القرآن والوعيد الشديد ويكشف القرآن بعض أسرارهم وما في قلوبهم، ويكفي في الدلالة على خوفهم وقلقهم قوله تعالى: {ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون}، فهم في حال سيئة مظلمة وقلوبهم مظلمة، ختم الله على قلوبهم، فهذا المثل يبين سوء حالهم في النفاق الذي هو أدل دليل على أنهم هم السفهاء حين اختاروا لأنفسهم تلك الحالة كما أن المثل الأول يدل على سفاهتهم حيث عدلوا عن الهدى بعد أن أضاء لهم الطريق وأشرفوا عليه، وكان ذلك أسهل عليهم ممن لم يكن قد أسلم أصلا، فهذان المثلان يدلان على أنهم هم السفهاء، كما أن اشتراءهم الضلالة بالهدى كان دليلا على ذلك، ولو لم يكونوا قد أسلموا لوجود الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بلدهم ونزول القرآن عليه وهو يتلوه على الناس، فالحق واضح والهدى سهل المنال.

{يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون(٢١)}

{يا أيها الناس اعبدوا ربكم} كان الكلام الماضي في ثلاث فرق من الناس باعتبار موقفهم من القرآن الذي أنزله الله هدى للنغاس فاختلفوا فيه، وهذه دعوة عامة لأصناف الناس في هذه الآية والتي ... تدعوهم إلى الأمر الذي خلقوا له، وتحذرهم من الشرك الذي كان قد انتشر في الأرض مع أنه أكبر الكبائر، وفي قوله تعالى: {اعبدوا ربكم} إشارة أنه تحق له العبادة؛ لأنه مالككم، والعبادة تعبير عن العبودية.

{الذي خلقكم والذين من قبلكم} فكلكم عباده تحق له منكم العبادة حقا عليكم وعلى آبائكم {لعلكم تتقون} ربكم، أي اعبدوه لعلكم تتقون عذابه، فعبادته بخلاف عبادة الأنداد التي هي مملوكة لله مثلكم ليس لها شرك فيكم ولا تضركم إذا لم تعبدوها فلا معنى لعبادتها، أما ربكم الذي تحق له العبادة فأنتم محتاجون إلى عبادته لتتقوا عذابه.

}

الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون(٢٢)}

{الذي جعل لكم الأرض فراشا} بأن أعدها لكم صالحة لتعيشوا فيها إعدادا كاملا حتى كأنها فراش لكم كما قال تعالى: {هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها}، فمن شاء مشى عليها ومن شاء حرث ومن شاء بنى وغير ذلك، ألا ترى أنه يتعسر ذلك لو كانت متخلخلة يهوي فيها من أراد المشي عليها أو مملوءة بالصخور التي لم يتصل بعضها ببعض أو كالمفروشة بالمر والجداد أو كانت تلولا كالجبال لكنه سبحانه جعلها متحملة للمشي عليها والأعمال مهيأة لذلك، حتى كأنها فراش للناس.

{والسماء بناء} أي مبنية، قال تعالى: {والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون}، وقال تعالى: {وجعلنا السماء سقفا محفوظا}، ويحتمل أنها سقف للأرض من كل جهة، فهي محيطة بها من مسافة بعيدة، ولذلك فالسماء واسعة جدا كما قال تعالى: {وإنا لموسعون}، وعلى هذا فالسماء بناء محيط بالأرض وما حولها وما بينها وبين الأرض من كل جهة والله أعلم، ولا بد أن للسماء منفعة للناس تصحح أن تعتبر السماء بناء لهم وإن لم يعرفوها، فأما فوائد الشمس والقمر والنجوم فظاهر بعضها، وقد جاء في القرآن، وقال تعالى: {إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد}، وقال تعالى: {تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا}، وقال تعالى حاكيا: {ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا}، فلا يبعد أن تسمى السماء بناء من أجل النيرات؛ لأنها كالسقف، والنيرات كالمصابيح المعلقة في السقف، وهذا المعنى هو الظاهر؛ لأنه المعلوم عند المخاطبين من قبل نزول القرآن، ولا بد أن للنيرات علاقة بالسماء أوجبت اعتبارهن كائنات فيها وزينة لها، مع أنه يكفي في صحة الظرفية كون السماء محيطة بالفضاء وما فيه من الكواكب والشمس إن كانت فيه والقمر، فالحاصل أن السماء بناء لأهل الأرض بمعنى أنها محيطة فوق كل جهة، لهم فيها منافع بما فيها من الشمس والقمر والكواكب، فأما الفوائد التي لا تعرفها العرب فلا يجب أن تكون مقصودة هنا؛ لأن الكلام مسوق لإثارة دفائن العقول ليعلموا بعقولهم بهذه الأدلة أن العبادة تحق له وحده ولا تحق لغيره ويحتج عليهم بما يعلمون، ولعله من أجل ذلك ختم الآية بقوله: {وأنتم تعلمون}، أي تعلمون هذه الدلالة على أنه هو الذي يستحق العبادة.

{وأنزل من السماء} أي من جهة العلو حيث يكون السحاب، قال تعالى: {فيبسطه في السماء}، وفائدة ذكره أنه بعيد عن الناس لا تناله أيديهم ولا يقدرعلى إنزاله إلا الله فإنزاله من السماء آية ونعمة.

}

ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم} أما كونه للشرب فظاهر من أنه ماء نزل من السماء، فبين سبحانه أنه الذي خلق الناس ورزقهم فهو الذي تحق له العبادة والشكر؛ لأنه المالك المنعم.

{فلا تجعلوا لله أندادا} لأنها لم تخلق ولم ترزق، وليس لها ملك في الناس، بل هي مربوبة مثلهم.

{وأنتم تعلمون} إنه الذي خلقكم وآباءكم وخلق ما تحتاجون له من الماء والرزق وهو القادر على كل شيء كما قدر على خلقكم وإنزال ماء صالح للشرب والسقي وإخراج الثمرات المنوعة بقدرته، وهو العليم بكل شيء كما أتقن صنعكم وصنع أرزاقكم، فكيف يجعل له مماثل في استحقاق العبادة وهو مخلوق ضعيف لم يخلق ولم يرزق.

{وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين(٢٣)}

{وإن كنتم في ريب} شك وقلق {مما نزلنا على عبدنا} محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن الكريم بتوهم أنه تقوله، {فأتوا بسورة من مثله} في الحكمة والإتقان وحسن التعبير كما قال تعالى: {فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين، وقال تعالى في سورة يونس: {قل فأتوا بسورة مثله}، فظهر أن ((من)) ليست للتبعيض، لكان المعنى فأتوا بسورة من كتاب مثله، وليس المراد كما بينا.

{وادعوا شهداءكم} ليشهدوا على إتيانكم بسورة من مثله، وتفسير الدعوة بهذا أظهر؛ لأنها مقرونة بذكر الشهداء، فكانت كقوله تعالى: {ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا}، وهذا يفيد أنهم لو قالوا كلاما وزعموا أنه مثل القرآن وسموه سورة لما وجدوا شهداء يشهدون بذلك لوضوح الفرق وافتضاح الدعوى، فالناس يستحيون من الشهادة بذلك، ونظيره قوله تعالى: {قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا}.

{من دون الله} لأنه سبحانه يعلم أنكم لن تفعلوا، فكيف يشهد لكم بالفعل فلا معنى لدعوته للشهادة {إن كنتم صادقين} في تجويز أنه تقوله لتبينوا أنكم على صواب في الارتياب فيه.

{فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين(٢٤) وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون(٢٥)}

}

(٢٥/١)

فإن لم تفعلوا} لم تأتوا بسورة من مثله بعد هذا التحدي، {ولن تفعلوا} لن تأتوا بسورة من مثله أبدا، فقد بان لكم أنه لا ريب في أنه كلام الله أنزله على رسوله، {فاتقوا النار التي وقودها} حطبها الذي توقد

به {الناس} من جنس الناس، والمراد الذين استحقوها بمعصية الله، {والحجارة} فهذه النار {أعدت للكافرين} فلا تكفروا بالقرآن والرسول، وآمنوا لتنجوا منها، وجملة ((أعدت للكافرين)) حالية، أي فاتقوا النار حال كونها أعدت للكافرين، ولما أنذر الكافرين اتبعه التبشير للمؤمنين، وهكذا جاء في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، فقال سبحانه: {وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات} الصالح ضد الفاسد. وفي (حديقة الحكمة) للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام: الصلاح في أصل اللغة: هو السلامة من الآفات، وهو نقيض الفساد في كلامهم، انتهى. وقال عليه السلام: وصلاحها ـ أي الأعمال ـ سلامتها من آفات التبعات، انتهى. وتكرر في القرآن الكريم ((الذين آمنوا وعملوا الصالحات)) دون ((وعملوا الحسنات)) ولعل الحكمة فيه أن صلاح العمل لا يكفي أنه في الأصل حسن حتى ينضاف إلى ذلك أنه خالص من الرياء سليم من الإحباط، فلا بد من الإخرص والتقوى ليكون مقبولا لقوله تعالى: {إنما يتقبل الله من المتقين}، فالعمل الذي لم يخلص لله لا يعتبر صالحا، وكل عمل محبط فهو غير صالح، بل هو كالزرع الذي أصابته آفة كما أن عامله لا يعد من الصالحين؛ لأنه معيب كأن به عاهة وفسادا، أما العمل الخالص لله المقرون بالتقوى والإيمان، فهو كالزرع السليم من الآفات والعوائق الذي ينمو ويثمر.

{أن لهم جنات} هذه اللام تفيد أنها لهم ملك أو شبه الملك، وتفيد أنها صارت حقا لهم، والجنة هي الأشجار والزروع الكثيرة التي تجن أي تغطي ما فيها.

{تجري من تحتها الأنهار} تكرر في القرآن الكريم هذا الوصف؛ لأن الجنات تحتاج إلى ماء وإلا اصفرت أوراقها، ثم يبست، أما إذا كان الماء يجري من تحتها فهي لا تزال في صلاح ونمو وإثمار وخضرة جميلة تسر الناظرين، وفائدة أخرى أنها لا يلحق أهلها عناء بسقيها كجنات الأرض التي تسقى من الآبار، بل الماء يجري من تحتها، وهذه صفتها، فلا تحتاج إلى إيصال الماء لأإيها من الآبار، والنهر مجرى الماء الواسع، وفائدة أخرى وهي أنه يجتمع جمال الخضرة وجمال الماء ويتمم كل منهما الآخر.

}

كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا} أي من نوع من ثمارها {قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها}. قال السيد العلامة الكبير عبد الله بن أحمد الشرفي اليماني الزيدي أحد تلاميذ الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في تفسيره (المصابيح) قال المرتضى [يعني الإمام محمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم عليهم السلام] عليه السلام: وقال بعض من يتعاطى العلم: أن معنى هذا الذي رزقنا ـ أي في الدنيا ـ وشبهوه بالثمر الأول، وليس ذلك عندي كذلك؛ لأنه إذا كان ثمر الجنة كثمر الدنيا فلا

فضل إذا لنعيم الآخرة على نعيم الدنيا، وهذا مخالف للكتاب محال عند ذوي الألباب، والمعنى في ذلك عندي: أن معنى قول أهل الجنة {هذا الذي رزقنا من قبل}، يريدون بذلك أنه لا يصلهم من الله عز وجل رزق إلا أعجبهم ووقع بمرافقهم، ثم يصل بهم من بعد ذلك أرزاق تكون في الجودة والموافقة كالأول سواء؛ لأن أرزاق الدنيا منها موافق ومنها مخالف ومنها طيب ومنها رديء، وأرزاق الجنة كلها مؤتلفة مصيبة للشهوة، وقد فسر الله ذلك في آخر الآية فقال سبحانه: {وأتوا به متشابها}، وقد قال بعض الناس: متشابها في الألوان، وذلك خطأ من المقال،وإنما المعنى: وأوتوا به متشابها في الإرادة والشهوة والمحبة؛ لأن أرزاق الدنيا لا تشتبه عند صاحبها.. إلخ. قلت: هذا تفسير حسن جدا، وهو إن كان فيه حمل الكلام على التشبيه فقرينته ظاهرة، وهي أن الحمل على الحقيقة يؤدي إلى القول باستمرار أهل الجنة في الغلط وتكرار الغلط كلما رزقوا من ثمرة، وهذا بعيد جدا؛ لأن التجربة مرتين أو نحوها تكفيهم لمعرفة الغلط وتدعوهم إلى السكوت عن هذا الكلام؛ لأنهم أهل حكمة كما قال تعالى: {وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد}. فإن قيل: إنهم لا ينكشف لهم الخطأ، بل لا يزالون في الخطأ أبدا.

(٢٧/١)

قلنا: إنه يستلزم أن لا يعملموا أن قد وجدوا ما وعدهم ربهم حقا؛ لأن من جملة الوعد هذه الآية، وقد أفادت أنهم يرزقون ثمرات مختلفة متشابهة، وهم في خطأئهم يعتقدونها ثمرة واحدة ترد عليهم كل مرة، فاين وجدانهم لما وعدهم ربهم حقا، فظهر أن ليس المراد ذلك، وأن المعنى أنهم أعجبوا بالأول، فكانت لا تزال في أنفسهم لذته وفائدته لكونه الأول، فلم يزالوا يذكرونه عند كل رزق يماثله في اللذة والمنفعة، فيخبروا أنه مثله تعبيرا عن تكرار النعمة الكاملة، وهذا من طيب القول؛ لأنه شكر للمنعم، فظهر أن قولهم: {هذا الذي رزقنا من قبل} من التشبيه المؤكد، ف/أما قول من قال: إن المراد التشبيه بما رزقوا في الدنيا فهو بعيد كما قال المرتضى عليه السلام: ولا معنى لتكرار القول في كل مرة بهذا المعنى، وأكثر أهل الدنيا فقراء لم ينالوا ثمرات الدنيا كلها لاختلاف البلدان في الثمرات وقلتها في بعض البلدان، ولا تكاد تجتمع أنواع ثمرات الدنيا في بلد واحد طيب فضلا عن الخبيث الذي لا يخرج نباته إلا نكدا، فكيف يقولون: هذا الذي رزقنا في الدنيا، ولز يرزقوا إلا بعضه، فظهر ضعف ذلك التفسير.

{ولهم فيها} أي في الجنات، {أزواج مطهرة} نساء مطهرات في خلقهن، ليس فيهن وسخ ولا حيض، وظاهره أن في كل جنة من الجنات واحدة أو أكثر، فالذي له جنات تتعدد أزواجه كما في سورة الرحمن، ولعل في اختيار هذا الوصف من بين أوصاف الحور دلالة على أنه أهم الأوصاف في الزوجة،

فيشمل التطهير الخلقي والخلقي ليدل على حضانتهن وعفتهن، كما قال تعالى: {وعندهم قاصرات الطرف أتراب}، وهذا على تنزيل رجس البغاء منزلة الأقذار كأنه قذر يتلطخ به جسد البغي أو على الجمع بين الحقيقة والمجاز، ويمكن أن الله تعالى فرق صفات الحور كما فرق صفات الجنة في القرآن لحكمة في ذلك، تشويق للقارئ حيث يطلع على وصف في آية فيرغب لأجله وحده، ثم يطلع في موضع آخر على وصف آخر فتجدد رغبته وتقوى، ثم يطلع على وصف زائد على ما قد وجد، فتزداد رغبته وتجدد له عند كل وصف رغبة مع الرغبة الأولى، ولا تزال تجدد له الرغبة بتجدد الأوصاف، وهكذا في الإنذار والتخويف، وعلى هذا فلا نحتاج إلى قولنا: لعل وصف الحور بالطهارة دليل على أن الطهارة أهم أوصاف الحور، وكيفي أن نقول: إن ذلك ترغيب كامل مستقل يدل على أهمية الطهارة في الترغيب، ولا حاجة إلى أن نقول: يشمل التطهير الخلقي؛ لأنه وإن كان م أوصافهن فلا يجب ذكره هنا، وله محل آخر للحصانة والعفاف، وهذا هو الراجح لعدم الدليل على إرادة المعنيين هنا.

{وهم فيها خالدون} قال القاسم بن إبراهيم عليه السلام في (تفسير سورة البينة): وتأويل خالدين فيها، فهو بقاؤهم أبدا بعد المصير إليها، انتهى. ومعناه: أنهم لا يزالون أحياء لا يموتون كما دل عليه قوله تعالى: {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت}، وفي معلقة طرفة:

ألا أي هذا الزاجرى الوغي ... وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

(٢٨/١)

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي ... فدعني أبدارها بما ملكت يدي

وهكذا اقترن الوعيد بالوعد كما سيقترن معناهما في الوقوع يوم القيامة، وفي الجمع بينهما زيادة ترغيب وترهيب لما يستفاد من المقابلة من الترهيب بالنار، وفوات الجنة، ومن الترغيب بالجنة والسلامة من النار: ((وبضدها تتميز الأشياء)).

{إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين(٢٦)}

{إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها} قال الشرفي في (المصابيح) في تفسير هذه الآية: قال المرتضى عليه السلام: الاستيحاء من الله عز وجل ليس من طريق الخجل ولا الحصر ولا يتوهم ذلك من له دين أو معرفة بالله أو يقين، وإنما المعنى في ذلك أنه لا يرى في التمثيل للحق والصواب والصدق بما صح من الأمثال عيبا ولا خطأ ولا مقالا لأحد من أهل الكفر والضلال، بل ذلك

عند الله تبارك وتعالى صواب وصدق حسن، وذكر مثل هذا سواء الهادي عليه السلام، انتهى. قلت: فالمعنى أنه ليس عيبا عند الله أن يضرب المثل بالبعوضة فما فوقها ولا هو مما يتعلق به الحياء في نفس الأمر. قال في (الكشاف) بعد إيراد كلام حسن في تفسير الآية: ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة، فقالوا: أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال، وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب..إلخ. راجع (الكشاف) إن شئت. قال: و ((ما)) هذه إبهامية، وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته شياعا وعموما كقولك: اعطني كتابا ما تريد أي كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتي في قوله: {فبما نقضهم ميثاقهم} انتهى. قلت: والأول أحسن لأنه مطابق للمقصود؛ لأن المراد أي مثل أراده سبحانه ولأي معنى صحيح ضربه، ولا يصح عطف البيان في قوله تعالى: {ولما ضرب ابن مريم مثلا}، ولا الحال في قوله تعالى: {وتلك الأمثال نضربها للناس}، وقد جاء التصريح بجعل في قوله تعالى: {فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين}.

{فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم} لأنه صواب في نفسه لاموجب للحياء منه ولنه من الله العزيز الحكيم الذي لايقول ما هو عيب ونقص صبحانه وتعالى فو لم يعرفوا وجه صحته لامنوا بأنه الحق من الله علملهم أن هذا القرآن كلام الله لاريب فيه ولا اشتباه وإيمانهم به.

{وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا} استنكار الجعلة مثلا، وتجاهلا بالحكمة فيه، والغرض من ذلك الجدل في القرآن، وإن نسبوه إلى الله كقول فرعون: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. وجاء الجواب عنهم: إن الله أراد به الفتنة والاختبار.

}

يضل به كثيرا} باختباره لهم المؤدي إلى كشف ما كان مستورا منهم، والذي ازداد ما عنده رجسا إلى رجسهم.

{ويهدي به كثيرا} باختبارهم المسبب لزيادة إيمانهم لما فيه من توضيح الحق والحكمة.

{وما يضل به إلا الفاسقين} الذين هم بفسقهم مستعدون للضلال به، مستحقون للخذلان والفسق الخباثة والفجور، ألا ترى إلى هذه الآية الكريمة، وقوله تعالى: {وما يكفر بها إلا الفاسقون، والمقابلة بين المؤمن والفاسق في قوله تعالى: {فمن كان مؤمنا مكن كان فاسقا}، وقال في أصحاب القرية الذين اعتدوا في السبت: {وأخذنا الذين ظلموا بما كانوا يفسقون}، وقال في أصحاب القرية الذين اعتدوا في السبت وأخذنا الذين ظلموا بما كانوا يفسقون، وقال تعالى: {إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا}، وقال تعالى:

{بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان}، وقال تعالى: {إن المنافقين هم الفاسقون}، فظهر أن الفاسقين هم الخبثة الفجار بأي سبب، ويناسب ذلك قول العرب للعاهرة: فساق، وإن كان ما بعد خباثة قبل الإسلام أقبح من بعض ما يعد خباثة بعد الإسلام كسباب المؤمن ونبزه باللقب السيء ومضار الكاتب أو الشهيد.

{الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون(٢٧) كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون(٢٨)}

{الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه} العهد الوعيد المؤكد باليمين، قال تعالى: {وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا}، وقال تعالى: {وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا}، فهذا المعنى هو الذي ينسب إليه الوفاء أو النقض، فأما العهد بمعنى التوصية فينسب إليه الطاعة أو المعصية أو نحو ذلك، ونقض العهد إهماله وترك اعتباره كأنه كان عقدة محكمة فنقضها بمخالفة العهد أنه جعلها في اعتباره لها وصيرها منقوضة، والميثاق توثيق الوعد وتقويته ليوثق به. قال: {حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به فلما آتوه موثقهم}.

{ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل} فسره في (الكشاف) بقطع الأرحام، وقطع موالاة المؤمنين ولا إشكال أنها عامة في كل ما أمر الله به أن يوصل.

{ويفسدون في الأرض} وهو افساد الذي من شأنه أن ينتشر في الأرض كمحاربة الدين ومحاربة اقتصاد أهله ليغلبوا، وإيراد الشبهات ضد الحق ونشر الدعايات التي يعم فسادها ونحو ذلك، فهذا الفساد هو الفساد في الأرض، ومنه كل ما يعم ضره كتحريق كتب الهداية وإضاعتها عن طلابها وقتل علماء الدين ونحو ذلك، فهو كله إفساد في الأرض ينسب الإفساد في الأرض إلى من فعل خصلة منه.

}

أولئك هم الخاسرون} قد استحقوا الإضلال بهذه الجرائم كانوا قد اشتروا الضلالة بالهدى، وتلك الصفقة الخاسرة لما يؤدي إليه من سوء العاقبة وعذاب الآخرة وفوات فائدة ثواب أهل الهدى الذي هو جنات النعيم، وهذا؛ لأن هذه الآية مرتبطة بالتي قبلها بقوله تعالى: {يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين}، وقوله: {الذين ينقضون..} إلى آخر الثلاث، صفة للفاسقين الذين يضلهم بضرب المثل المذكور، أي يبتليهم به ويفتنهم ويختبرهم به فيضلوا. قال (الشرفي) في المصابيح: قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام: تدل على تحريم نقض عهود الله وعلى تحريم قطع ما أمر الله به أن

يوصل من صلة الأرحام وإيتاء ذي القربى وأداء الأمانة إلى أهلها ومودة ذي( ) القربى والاجتماع على الحق وترك التفرق في الدين إلى غير ذلك، وعلى تحريم الفساد في الأرض، انتهى. قلت: كل علاقة واجبة فهي داخلة في ذلك كموالاة المؤمنين، ولما كان الكافرون قد ذكروا ووعدوا بالنار وكان كفرهم بالقرآن والرسول قد احتج لإبطاله بقوله تعالك {وإن كنتم في ريب مما نزلنا..} إلى آخر الآيات، وكفرهم بالتوحيد قد سبق إبطاله بقوله: {الذي خلقكم والذين من قبلكم..} إلى قوله تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادا}، وبقي كفرهم باليوم الآخر لمجرد استبعاد إيحاء العظام وهي رميم؛ لأنهم كانوا جامعين بين هذه الأنواع من الكفر، وكان كفرهم باليوم الآخر يتضمن نفي قدرة الله وعلمه وقدرته على إعادتهم وعلمه سبحانه بأجسادهم وقد ضاعت في التراب رد عليهم سبحانه بقوله: {كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا} أي قبل إحيائمك في بطون أمهاتكم {فأحياكم ثم يميتكم} فهو الذي يحيي ويمي، فكيف لا يقدر على إعادتكم، بل لا بد من الإعادة، فقال سبحانه: {ثم يحييكم ثم إليه ترجعون} إليه وحده دون شركائكم، فيجازيكم بكفركم، فقد جمعت الآية الاحتجاج عليهم ووعيدهم وتوبيخهم على الكفر مع أنه سيعيدهم ثم إليه يرجعون فيعاقبهم ولا يجدون من يشفع لهم أو ينصرهم؛ لأنهم يرجعون إليه وحده يحكم فيهم ما يريد.

{هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم(٢٩)}

{هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا} وذلك نعمة عليكم، فحق عليكم أن تشكروا ولا تكفروا، وهو دليل على قدرته على إعادتكم من حيث هو دليل على أنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم؛ لأن صنع ما في الأرض من حاجات الإنسان المطابقة لحاجته المناسبة لخلقه واتقان صنعها وما فيها من اختلاف الصور المحكمة والألوان والطعوم والروائح وأسباب النفع، كل ذلك دليل على أنه شيء قدير وبكل شيء عليم.

}

ثم استوى إلى السماء} تمثيل لصنعه للسموات بصنع من يتجه إلى المصنوع ويقبل على عمله فيه ويقصد غليه لا يلتفت إلى غيره، وذلك في المخلوقين يكون لقوة الرغبة في ذلك العمل أو لشدة الاهتمام به لصعوبته، ولا يصح التمثيل بهذا لله سبحانه؛ لأنه لا يصعب عليه شيء فما بقي إلا التمثيل بالأول ولعل المراد التنبيه على الإرادة بلا اهمامة ليدل على أنه فعال لما يريد، فأما ((ثم)) فيظهر أنها هنا للترتيب بين الآيتين في الاستدلال لا للترتب في خلق الأرض وخلق السماء؛ لأنه تعالى قد جمعها

في قوله تعالى: {فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين} ونظير الترتيب لغير الترتيب في الوقوع قول الشاعر:

إن من ساد ثم ساد أبوه ... ثم قد ساد قبل ذلك جده

فهو ترتيب المدح لا تعبير عن الترتب في الوقوع، أما قوله تعالى: {أءنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها} فيظهر منه أن دحو الأرض وتهيئتها لمعيشة البشر متأخر عن خلق الأرض والسماء؛ لأن الليل والنهار بالنسبة إلى الأرض إنما هو بعد خلقها، ومكا تشير إلى ذلك الآيات في سورة فصلت في قوله تعالى: {قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين..} إلى قوله تعالى: {في أربعة أيام}، فظهر أن ((ثم)) في قوله تعالى: {ثم استوى إلى السماء}، إنما هي للترتيب في ذكر الدليلين.

{فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم} تسويتها إحكام صنعها سليمة من النقص والخلل، وهذه دلائل على قدرته وعلمه، فكيف تكفرون به وهو بكل شيء عليم، فلا يخفى عليه كيف يعيدكم إذا ظللتم في الأرض.

{وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون(٣٠)}

{وإذ قال ربك} واذكروا في شأن علمه تعالى بكل شيء إذ قال ربك {للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة} والخليفة هو الإنسان كأنه خليفة لله سبحانه؛ لأنه يظهر مكنون آياته المخبوءة في الأرض ولأمور غير ذلك.

{قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك} نقول تنزيها وتبرئة من العيوب وتبعيدا عن النقائص حامدين لك ونقدس لك، نقول تنزيها وتبعيدا عن العيوب عابدين لك بالقديس، فالتسبيح تنزيه عن العيوب وعما هو نقص من العظمة والجلال، والتقديس تنزيه عن القبائح، وفائدته الجمع بينهما التصريح بالتنزيه عن البقائح، قد أعلمهم الله سابقا أن الإنسان سيكون منه من يفسد في الأرض ويسفك الدماء فسألوه أن يجعلهم هم الخليفة في الأرض ليسبحوا بحمد ويقدسوا له في الأرض؛ لأنهم يحبون الله ويكرهون أن يستخلف من يعصي.

{

قال إني أعلم ما لا تعلمون} أعلم حكمة لا تعلمونها في جعل الإنسان خليفة، وإن كان منه من ذكرتم.

وحكى الشرفي في (المصابيح) عن المرتضى محمد بن الهادي عليهما السلام في تفسير هذه الآية ما

لفظه: وقلت ما معنى جواب الملائكة حين يقولون: {أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء} الخبر جاءهم من عند الله أم [من] عند أنفسهم؟ قال عليه السلام: فهذا الخبر خبر غيب لا يعرفه الملائكة ولا تقع عليه إلا بإخبار الله لهم، ولكن الله عز وجل قد أطلعهم عليه وأخبرهم بما يكون من بني آدم من سفك الدماء والإفساد في الأرض وما يكون منهم من عناد، فكان هذا منهم استفهاما لا معارضة ولا شكا في امر الله تبارك وتعالى، وأعلمهم سبحانه أنه يعلم ما لا يعلمون بما سيكون من المؤمنين والأنبياء المبعوثين إليهم، والأمر والنهي الذي بثه فيهم، وما في ذلك من الصلاح، فكانت معصية الخلق من أنفسهم اختيارا بلا جبر من الله لهم ولا إدخال في معصية ولا إخراج من طاعته، ولم يكن فعل هؤلاء المختارين للمعصية من بعد أن مكنهم سبحانه من الاستطاعة( ) وبين لهم ما فيه النجاة بموجب ترك خلقهم ورفض إظهار الحكمة فيهم وما أراد سبحانه من الصنعة وإيجاد البرية وإظهار القدرة، وقد علم الله ما يكون من فعل النبيين وطاعتهم واجتهادهم له وما يكون من المؤمنين من الطاعة والعبادة والتسليم لحكمه، والمجاهدين للظالمين حتى يفيئوا إلى أمر الله ويرجعوا إلى طاعته، فكل هذا خير كبير وفضل جليل علمه الله أنه سيكون من ولد آدم، ولم تعلمه الملائكة حتى علمها الله به وفهمها ذلك، انتهى.

قلت: هذا كلام جيد، ومن فوائد إيجاد الخليفة اختبار الملائة بأمرهم بالسجود لآدم ليميز الله الخبيث من الطيب، ولا نحصر فوائد ذلك لقصور علمنا.

{وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين(٣١) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم(٣٢)}

}

(٣٣/١)

وعلم آدم الأسماء كلها} عمومه يدل أن قد علمه اسم كل جنس من أجناس المخلوقات كالماء والنار والحديد والذهب والفضة إلى غير ذلك، ولعله سبحانه علمه ذلك إعدادا للخلافة في الأرض، فعرفه ما فيها من المعادن والشجر والدواب وغيرها ليدري كيف ينتفع هو وذريته بما خلق لهم فيها من حيث أن تعليم الأسماء من حيث هي أسماء يستلزم تعريف المسميات، ويؤكد ذلك قوله سبحانه: {ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين} فالمعنعرض المسميات على الملائكة بتغليب العقلاء، وهو سبحانه وتعالى قادر على عرض الأجناس التي خلقها كلها فلا نحتاج إلى أن نقول المراد عرض صورها كما في التلفزيون والسينما، فإن كان المراد عرض ما قد خلق وما سيخلق فعرض ما سيخلق عرض صورته، وقوله سبحانه للملائكة: {أنبئوني} أي قولوا لي بأسماء هذه الأشياء المعروضة عليكم إن كنتم صادقين في دعواكم أنكم أهل للخلافة في الأرض حيث قلتم: {أتجعل فيها من يفسد

فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك}، فإذا لم تعلموا أسماءها كما علم آدم عليه السلام فهو وذريه أحق منكم بالخلافة في الأرض؛ لأنهم بتصرفهم في الأرض بالحرث وغيره وبتصرفهم فيما خلق لهم فيها يظهرون آيات كثيرة تدل على الله، وينتفعون فيها بنعم كثيرة تدل على كرم الله كالطائر والسيارة والكهرباء وما فيه من المنافع، ولولا الإنسان ما ظهرت هذه الأشياء، ولكن ظهرت على يديه؛ لأن الله علمه ما لم يعلم وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا.

{قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا} سبحانك أنت أحكم الحاكمين وأنت علام الغيوب، وعلمنا قاصر عن أسماء هذه الأشياء.

{إنك أنت العليم الحكيم} بكل شيء الحكيم في كل قضاء.

{قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون(٣٣)}

{قال يا آدم أنبئهم} أي أخبر الملائكة {بأسمائهم} بأسماء ما عرض على الملائكة.

}

(٣٤/١)

فلما أنبأهم بأسمائهم} وتبين لهم امتياز الإنسان بعلم ما جهلوا {قال} الله {ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون} فكان هذا يغنيكم عن السؤال بقولكم {أتجعل فهيا} لأنه حل لكل إشكال يعرض في أي شيء من أقواله سبحانه أو أفعاله أن يعلم العبد أن الله سبحانه يعلم وجوه الحكمة كلها، وليس جهلنا بالحكمة في بعض الأشياء دليلا على عدم الحكمة؛ لأنا قد نجهل الحكمة ثم نعلمها بعد الجهل بها، وقوله تعالى: {غيب السموات}، يفيدهم أن لها غيبا، والغيب ضد الشهادة، فهم يشاهدون الأرض ولا يعلمون ما أخفي فيها من منافعها ومصالحها وفاوائد ما فيها، وكذلك السماوات، فغيب السماوات والأرض يعلمه الله سبحانه، وقد فهمهم أن لها غيبا يعلمه سبحانه ولا يعلمونه، والظاهر في الإضافة أنها على معنى ((في)) كقوله تعالى: {وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين}، وإذا كانت الإضافة على معنى اللام شمل العموم فوائد الإجزاء وما يترتب عليها مما تقتضيه الحكمة وما يتعلق بهما من المغيبات التابعة لوجودها، ولا يجب أن يكون غيب السماوات والأرض خارجا عنهما وإن كانت الإضافة على معنى اللام كما لو قيل يعلم ما لهما من الفوائد المحبوبة فيها، وقوله تعالى: {فلما أنبأهم لا يلزم منه أنهم قد صاروا بإنبائه لهم عالمين بها كما يعلمها آدم؛ لن الغرض من إنبائه لهم أن يعلموا امتيازه بعلم الأسماء لا أن يصيروا عالمين بها كما يعلمها؛ لأنه يمكن أن لا يحفظوا كل ما سمعوه لعدم إعدادهم لحفظه، والأقرب أن المعروض على

الملائكة الجمل من المسميات ليسهل إخبار آدم لهم بها؛ لأن إنبائهم بالأسماء كلها على الفتصيل يطول ويستغرق زمانا طويلا، وعلى ذلك لا يكون أنبأهم بالأسماء كلها على التفصيل، فمثلا عرض عليهم الحيوان والشجر والمعادن وأسماؤها الجملية ثلاثة أسماء وهكذا سائر الجمل، وهي تشتمل على أصناف كثيرة جدا وأسماؤها كثيرة جدا تستدعي قاموسا، فلا يلزم أن يكون الملائكة عليهم السلام قد علموا الأسماء كلها كما علمها آدم عليه السلام، وكذلك لايلزم أن تكون مسميات الأسماء كلها هي من غيب السماوات والأرض، وإنما يلزم أن يكون بعضها غيبا أو أن يكون بعض أسمائها غيبا؛ لأنهم قالوا: {لا علم لنا إلا ما علمتنا}، ولم ينفوا علمها كله، وعلى هذا فالأسماء هي شاملة لأسماء غيبها وشهادتها وحين أنبأهم آدم بأسماء ما عرض عليهم ظهر لهم بعض ما كان غيبا في حقهم، فصح أن يرتبط بذلك قوله تعالى: {ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض}، وأما قوله تعالى: {وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون}، فالإبداء والكتمان من بعضهم لبعض ولبعضهم من بعض، وذلك كالجواب على قولهم: {ونحن نسبح بحمدك ونقس لك}، فكأنه قال: أنا أعلم بما تسرون وما تعلنون، ولم يقرهم على دعواهم الصلاحية؛ لأن في جملتهم إبليس، فقوله: {إني أعلم غيب السموات والأرض}، يفيد أنه يعلم ما فيهما من المناسبة والصلاحية لإسكان أهلهما

(٣٥/١)

فيهما وما في أهلهما من الصلاحية لهما، وقوله: {وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون}، يفيد أهم لا يعلمون ما يكتمون، فدعواهم إنما هي مبنية على الظاهر، والله أعلم بالحقيقة، وهذه كالتقدمة لابتلائهم بالأمر بالسجود لآدم الذي عنده انكشفت حقيقة إبليس وأنه لم يكن في عبادته على يقين والله أعلم، وبهذا يظهر أن قوله تعالى: {إني أعلم ما لا تعلمون} كان جوابا عليهم في كلامهم في الإنسان وفي كلامهم في أنفسهم حيث قالوا: {اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك}. وفي هذه القصة الكريمة فوائد: الأولى: بيان أن الله بكل شيء عليم عالم الغيب والشهادة عالم ما كان وما سيكون. الثانية: أن نعتقد الحكمة والصواب في كل أفعاله سبحانه وأقواله سواء عرفنا وجه الحكمة أم جهلنا؛ لأنه يعلم ما لا نعلم، فجهلنا بها لا يدل على عدمها. الثالثة: أن لا نزكي على الله أحدا إلا من زكاه الله؛ لأنا لا نعلم إلا الظاهر في غير من زكاه الله تعالى، ومن زكيناه فالمعنى أنا نعتقد ذلك بناء على الظاهرن ونبني على هذا الاعتقاد الموالاة والمعاملة وإن لم نقطع بالمغيب عنا من سره الذي قد يكون هو غافلا عنه، وليس المراد بالتزكية له القطع على مغيبه، ولعل هذا هو ما نهى الله عنه في قوله تعالى: {فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى.

{وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين(٣٤)}

{و} اذكر، {إذ قلنا} القائل هو الله، وهذه نون العظمة، فيها مناسبة لأمره تعالى للملائكة كلهم وابتلائه لهم؛ لأنه مالكهم يحكم فيهم ما يريد.

{للملائكة اسجدوا لآدم} السجود لآدم؛ لأنه قد تقرر عندهم أن الله هو العليم الحكيم وأنه يعلم ما لا يعلمون، فالسجود لآدم؛ لأنه قد تقرر عندهم أن الله هو العليم الحكيم، وأنه يعلم ما لا يعلمون، فالسجود لآدم عبادة لله من حيث هو طاعة، ومن حيث هو تسليم، فسجودهم لآدم سجود لله بهذا المعنى، وليس هذا السجود لآدم، وكذلك السجود ليوسف ليس عبادة لتجرده عن معنى العبادة الذي هو الاعتراف بالعبودية كما يفيده قوله تعالى: {لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته} أي عن الإقرار بالعبودية والاعتراف بأنه عبد لله، وقوله تعالى في المشركين: {وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء}، وفي هذه الآية وأمثالهادلالة على أن صيغة الأمر من الله سبحانه تفيد الوجوب؛ لأنه وجب عليهم السجود بقوله تعالى: {اسجدوا}، وقوله تعالى: {فقعوا له ساجدين}، وسما قوله ذلك أمرا في قوله تعالى: {وما منعك أن تسجد إذ أمرتك}، فدل على أن تلك الصيغة أمر.

{فسجدوا} امتثالا لأمر الله ربهم {إلا إبليس أبى} أن يسجد، أي امتنع من امتثال هذا الأمر،

{واستكبر} عن السجود لآدم اعتقد في نفسه أنه أكبر من أن يسجد لادم.

{

(٣٦/١)

وكان من الكافرين} كان من جملة الكافرين، وكفره إما بجحده للحكمة والصواب في الأمر بالسجود لآدم كما يفيده قوله: {أرأيتك هذا الذي كرمت علي} وقوله: {أنا خير منه} وأما أنه كان كافرا م قبل، فمعنى: {وكان من الكافرين} أي من قبل، وذلك هذا إذا كان معنى الكفر الجحود، فإن كان معناه الرفض والمباينة كقولهم: {كفرنا بكم}، فظاهر، وكذا إن كان معناه ضد الشكر كما في قوله: {ليبلوني أأشكر أم أكفر..} الآية، والظاهر أنه قد كفر بالمعاني الثلاثة كلها، فيحمل عليها كلها، على قول من يصح استعمال المشترك في معانيه جميعا إذا لم يوجد قرينة تعين المقصود من معانيه، ولكن كفره بجحد الحكمة والصواب أقرب لاقترانه بما ذكر في الآية فيحمل عليه، وإن كانت المعاني قد اجتمعت فيه، وهل استثناء إبليس متصل كما هو الظاهر لدخوله في أمر الملائكة بالسجود فيشكل جعله من الملائكة مع قوله تعالى: {كان من الجن}، والجواب أن العرب لا تعرف الملائكة جنسا خاصا كجنس البشر، وإنما نعرف أنهم خلق آخر في السماء مكرمون عند الله مقربون، وليس في مفهوم اسم الملائكة عندهم أنهم خلقوا من أصل واحد، وعلى ذلك فقد دلت آية على أنه كان من الملائكة حين أمروا

بالسجود وشمله الأمر كما شمل منهم سائرهم، ودلت آية على أنه كالن من الجن ولا مانع من ذلك في العقل ولا في المعلوم من السمع، ولعل سبب مصيره ملكا طول عبادته مع الملائكة في السماء، فقد روي أنه بعد الله ستة آلاف سنة، فإن قيل: فيشكل هذا على ما سبق من احتمال أنه كان كافرا من قبل فالجواب أنه يحتمل أنه ان عابدا مخلصا، وفي آخر أمره فتن مثلا عند قوله تعالى: {غني جاعل في الأرض خليفة}، والله أعلم، وعلى هذا فلا تعارض بين كونه صار ملكا لطول عبادته مع الملائكة وكان كافرا بعد ذلك قبل الأمر بالسجود لآدم، وفي هذا الموضع اقتصر من قصة إبليس على ما ذكر كأن المقصود ما أشار إليه بقوله: {إني أعلم ما لا تعلمون}، فالنسبة إلى قول الملائكة: {أتجعل فيها من يفسد فيها} ذكر قصة الأسماء وبالنسبة إلى قولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، ذكرقصة إبليس، فبين بالقصتين أنه يعلم ما لا يعلمون في شأن الإنسان وفي شانهم.

{وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين(٣٥) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين(٣٦)}

{وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة} العطف على {قلنا للملائكة} إلى آخر القصة عطف على قصة إبليس في امتناعه من السجود، قصة إغوائه لآدم وحواء، وإخراجه لهما من الجنة، وقوله: {اسكن أنت وزوجك الجنة}، معناه: أقيما في الجنة {وكلا منها رغدا} واسعا رأفها {حيث شئتما} من الجنة تجدان المأكول كثيرا في كل ناحية أردتما الأكل فيها.

}

(٣٧/١)

ولا تقربا هذه الشجرة} هذا نهي أفاد التحريم للشجرة المشار إليها، {فتكونا من الظالمين} بالمعصية؛ لأن معصية العبد لمالكه المنعم عليه حيف وجور ضد العدل، فهو ظلم بهذا المعنى، وإن لم يكن ضرا على الله سبحانه وتعالى بل ضره على العبد فيقال: ظلم نف من حيث أن ضره عليه، لا لأنه مفهوم الظلم هنا، ومثله: {إن الشرك لظلم عظيم} معناه شديد الحيف والجور والتعدي؛ لأن الله هو الخالق المنعم بالنعم التي لا نحصيها، فهو المستحق للعبادة، فصرفها لغيره حيف وجور شديد، وليس المراد أن الإنسان لا يظلم نفسه بالمعاصي، وإنما المراد أن ذلك معنى الظلم في هذا السياق، وأمثال مما يراد به تحقيق الوقوع في المعصية كما أن ظلم الإنسان هو امراد في قوله تعالى: {وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين}، وهو من معناها.

}

(٣٨/١)

فأزلهما الشيطان عنها} جعل الشياطن هذه الشجرة سببا لزلتهما، والزلة الخطيئة، ولعلها سميت زلة تشبيها بالزلة في الطين، ونحوه مما يسبب لسقوط الإنسان، فكأنهما إنزلقا إلى الخطيئة انزلاق من لا يشعر أنه يسقط في طين أو نحوه، وهذا يشعر بأنهما إنما أكلا منها بخديعة من الشيطان وحيلة لا جرءة على الله وتعمدا لمعصيته، فهو يناسب ما يروى مما يفيد أنهما أكلاها بضرب من التأويل وهو أنها كانت زرعا، والمنهي عنه شجرة البر، فأكلا منها على تجوير، وأن المنهي عنه شجرة الشعير، وترددهما في المنهي بعد علم آدم أنه البر لنسيانه، وهذا لا يستقيم على تفسير الإشارة في قوله تعالى: {هذه الشجرة}، بأنها إشارة إلى عين الشجرة وشخصها، إنما يستقيم على تفسير الإشارة بأنها إشارة إلى الجنس كما في الحديث في شجرة الثوم: ((من أكل من هذه البقلة فلا يقربن مسجدنا))، رواه زيد بن علي عليهما السلام في (المجموع)، ويشكل على هذا قوله تعالى: {فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما من الناصحين، فدلاهما بغرور}، فظاهره أنهما أكلا من الشجرة بسبب رغبتهما فيها لتحصل لهما المنفعة الموهومة، فكيف صح أن تقول: لم يكونا متعمدين أكلها، والجواب لاإشكال أن الرغبة فيها هي الباعث، ولكن يمكن أنها وإن رغبا فيها فكانا كارهين لتعمد المعصية، فلم تبعثهما الرغبة على تعمد أكلها على انها هي الشجرة المنهي عنها، ولكن بعثتهما الرغبة على ترك الوقوف عند اشبهة فقد ان يمكنهما العدول عن الشجرة التي فيها شبهة إلى غيرها من المأكولات الكثيرة كما يفيده قوله تعالى: {وكلا منها رغدا حيث شئتما}، فلا ضرورة للأكل من هذه الشجرة المشتبهة، ولكنهما كانا لشدة رغبتهما في فائدة الشجرة الفائدة الموهومة المزعومة يرغبان في أن يأكلاها بدون ن يتعمدا أكلها لتحصل فائدتها من دون تعمد المعصية، وهذا شأن بعض الناس إذا رغبوا في الشيء طلبوا توجيها يخلص عن المعصية، فمن هنا أكلا منها راغبين في أن تكون في الواقع الشجرة المنهي عنها مستأنسين بأنهما لا يعلمان أنها هي الشجرة المنهي عنها ناسيين أن الله قد حذرهما من الشيطان حيث أعلمهما أنه لهما عدو مبين، فكان الباعث على أكلها هو الرغبة فيها مع أنهما غير متعمدين لها من حيث هي الشجرة المنهي عنها، فظهر أنه لا تلازم بين كون السبب الرغبة وكونهما متعمدين للمعصية، فمن هنا انزلقا في المعصة وكانت تلك زلة أقيما منها وعثرة أقيلا منها.

}

(٣٩/١)

فأخرجهما مما كانا فيه} من رغد العيش بغروره، {وقلنا} لآدم وزوجه ولإبليس: {اهبطوا}، أما آدم وزجه المخلوقة منه فهبوطهما من جنتهما، وأما إبليس فهبوطه من السماء أو من جنة آدم؛ إذ لا يبعد أنه لما طرد من السماء صار إلى آدم وحواء ليغويهما، وهذا هو الراجح، ولعلها لم تكن في حقه رفاهية ورغدا؛ لأن ما فيها معد للإنان خاصة؛ ولأن إبليس مستغرق بالحسد والحقد، فليس له في جنة آدم راحة.

{بعضكم لبعض عدو} بين أن عداوة الشيطان لهما باقية لم تنته عند إغوائ لهما وإخراجهما من الجنة، وأما عداوتهما له فبالدعاء عليه واللعنة له.

{ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين} أي إلى وقت تستقرون فيها وتتمتعون بما فيها من المنافع القصيرة الأمد من حيث أنكم تنتقلون من الأرض إلى موضع الجزاء في الآخرة النار لإبليس والجنة لآدم وزوجه حيث البقاء الدائم الذي بالنسبة إليه اعتبرت مدة نعم الأرض قصيرة، فسميت متاعا، والحين وقت الموت.

{فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم(٣٧)}

{فتلقى آدم من ربه كلمات} هذه الكلمات مبهمة تلقاها آدم، أي قبلها أو تلقنا، فكانت سببا لأن يتوب عليه، ولعلها دعوته إلى التوبة، والإيحاء أن يقولا: {ربنا ظلمنا أنفسنا..} الآية، أو إعلامه أن قد عصى بقوله تعالى: {ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن اشيطان لكما عدو مبين}. قال الشرفي في (المصابيح): واختلفوا في تلك الكلمات ما هي، فقال الهادي عليه السلام: والصحيح عندنا: أن الكلمات هو ما كان الله قد أعلمه بخلق من سيخلقه من ذرية آدم ونسله أنه سيكون منهم مطيع ويكون عاص باختيارهم، وأنه سبحانه يقبل التوبة من تائبهم إذا تاب وأخلص التوبة وراجع.. إلى آخره. قال الشرفي: وفي تفسير هذه الكلمات يقول القاسم بن إبراهيم عليهما السلام: هن كلمات الاستغفار والتوبة والإنابة ذكرهن آدم بعد المعصة، فطفى بهن ما وجب عليه من غضب ربه، فلما أن تلكم بكلمات التوبة وأظهرهن صرف الله عنه العقاب وصار حكمه عند الله حم من ناب وتاب، انتهى.

قلت: لا مانع من هذا التفسير علىأن يكون الله تعالى أمره أن يقول كلمات التوبة، فتلقاها من ربه وقالها، فكانت الكلمات من الله حين أمره بها، ومن بدم حين قبلها وتكلم بها، فكان ((تلقى)) هنا مثل ((تلقن)).

}

فتاب عليه} قبل توبته، ولم تذكر حواء هنا؛ لأنها تابعة له، وقد ذكرت في قوله تعالى: {قالا ربنا ظلمنا أنفسنا..} إلى آخر الآية، والأرجح عندي الموافق لما في سورة الأعراف أن الكلمات قوله تعالى: {ألم

أنهكما عن تلكما الشجرة..} إلى آخر الآية وأن تلقيها هو التوبة بقولهما: {ربنا ظلمنا أنفسنا} فهنا أجمل الكلمات وهناك بينها والقصة واحدة، والسياق واحد، والقرآن يفسر بعضه بعضا، ووجه كون قوله: {ربنا ظلمنا أنفسنا..} إلى آخره تلقيا للكلمات، إن الكلمات موعظة باعثة على التوبة، فكانت التوبة تلقيا لها وقبولا يؤكد كونها قبولا التطابق بين قوله تعالى: {ألم أنهكما}، وقول آدم: {ربنا ظلمنا أنفسنا}، وقد يقال: كيف قدم هنا الأمر بالهبوط على التوبة، وفي سورة الأعراف قد التوبة؟ والجواب: إنه هنا ذكر الأمر بالهبوط قبل التوبة وذكره بعد ذكر التوبة فلا تعارض، وإنما هنا زيادة ذكر الأمر بالهبوط قبل ذكر التوبة، ولعله تكرر هنا بوطئه لما عليه في الآيتينن وكان متكررا في الواقع، وأجمله في سورة الأعراف، وبنى عليه ما في الآيتين، ومنشأ اشكال توهم أن قوله تعالى في سورة الأعراف {قال اهبطوا} متصل بقوله تعالى: {قالا ربنا ظلمنا..} إلى آخر الآية، بحيث يتوهم أن الأمر بالهبوط مبني على التبوة؟ والجواب: أنقوله تعالى: {قال اهبطوا} متصل بالقصة كلها جملة، وهي مبني على أكلهما من الشجرة وإخراجهما من الجنة لا على التوبة، فلا يدل ذلك على أنه لم يتكرر، وإنما أجمل الحكاية في سورة الأعراف وفصلها في سورة البقرة كما فصل في سورة الأعراف ما أجمل هنا في قوله: {فتلقى آدم..} الآية.

{قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٣٨) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون(٣٩)}

{قلنا اهبطوا منها جميعا} ظاهره الأمر لآدم وزوجه والشيطان، وقوله: {منها} ظاهر الضمير للجنة، وهذا يصحح ما رجحت من أن إبليس لما طرد من السماء صار إلى جنة آدم ليغويه ويوقعه في المعصية.

{فإما يأتينكم مني هدى} إرشاد إلى طريق الحق بكتاب أو وحي إلى نبي.

{

فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون} والمراد في الآخرة يأمنون عذاب الآخرة وأهوالها، كذا قيل، والأرجح أن المعنى لا يخاف عليهم، والنفي هذا كقوله تعالى: {لا ريب فيه} أي ليس من شأنهم أن يخاف عليهم غيرهم أو لأنه الواقع لأن من عرفهم لا يخاف عليهم العذاب، ولا يحزنون كما يحزن أعداء الله في الآخرة؛ لأنه قابل ذلك بقوله تعالى: {والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} الذين كفروا هم الجاحدون لشيء مما يجب الإيمان به، والمكذبون بآيات الله هم الذين يقولون ليست آيات توجب الإيمان بما تدل عليه، والآية هي العلامة الدالة ومنا آيات القرآن؛

لأنها تدل على الحق، وقد تكرر في القرآن الكريم ذكر الآية، تفأملها في مواردها نحو: {إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت}، {أو لم يكن لم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل}، {هذه ناقة الله لكم آية}، {فالذين كفروا وكذبوا بآيات الله} قد جمعوا بين جريمتين كبيرتين الكفر بالله أو برسوله أو باليوم الآخرة أو بالكتاب أو بالملائكة أو بالنبيين؛ لن الكفر أساس الباطل وبعضه يدعو إلى بعض، فالكافر باليوم الآخر يتجرا على الظلم وغيره من القبائح؛ لأنه لا يخاف العقاب ويفقد الرغبة في فعل الخير؛ لأنه لا يرجو الثواب كما أشر إليه قول الله تعالى: {أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين}، ولا يصلح المجتمع الإنساني إلا بالرهبة من العقاب والرغبة في الثواب. والجريمة الثانية: التكذيب بآيات الله يلجؤون إليه تبريرا لكفرهم ومحاربة للحق وصدا للناس عن الإيمان، والجمع بين الجريمتين شأن الأمم التي كذبت الرسل، وهي جمهور العالم الإنساني، وهو شأن المكذبين بالقرآن وبالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فهو أمر توارثته جماهير الأمم من عهد نوح عليه السلام أو من قبله إلى هذا الزمان على أنه أمر عظيم الخطر، فكان التقدم بذكره والتحذير منه من أول تكليف البشر بالشرائع هو الذي ينبغي إكمالا للحجة على الأمم. وأصحاب النار هم سكانها الملازمون لها، وفي قصة آدم عبرة ولا سيما لأهل العلم، فقد ترادفت عليه النعم حيث علم الأسماء وجعل خليفة في الأرض وأمر الملائكة بالسجو له فسجدوا إلا إبليس، ومع ذلك تتباع عليه الوعيد الأول إذا أكل من الشجرة صار من الظالمين، وذلك يستلزم أنه يكون جزاؤه كجزاء سائر الظالمين إذا لم يتب، الوعيد الثاني: إذا أكل من الشجرة شقي بإخراجه من الجنة وجعله في دار العناء يحرث ويحصد ويغزل وينسج له ثوبا وغير ذلك، ويعرض له في بعض الحالات الجوع أو العب أو الحر أو البرد. فإن قيل: إن الشقاء والظلم بمعنى واحد.

(٤٢/١)

قلنا: لا موجب لذلك، ولا دليل عليه إلا أن يقال: أخرجه من الجنة وما لحقه بعد ذلك من العناء لا يسمى شقاء؛ لأنه صحيح البدن قوي معد للعمل بفطرته، فلا يكون العمل شقاء، وخروج من الجنة المفوت للرفاهية فيها إلى عيشه في دار العمل لا يبلغ أن يسمى شقاء، وإن كان فيه مشقة؛ لأنه لم يثبت أنه كان في الجنة التي فيها ما لا عين أت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ألا ترى أنه لم يذكر في جنة آدم أن فيها ما تشتهي نفسه أو ما يشاء، وإنما وصفت بأنه لا يجع فهيا ولا يعرى ولا يظمأ ولا يضحى، وهكذا حالة كثير من الناس في أرض العمل، فليس أسف الخروج منها شديدا بحيث بعد شقاء؛ لأنه لا يبلغ أسف الطفل إذا فطم، بل ولا قريبا منه بالنظر إلى أن آدم يعرف من نفسه الكفاءة للعيش في دار العمل بسهولة وهناء، فإن قيل: إذا لم يكونا واحدا فكيف قال في سورة البقرة:

{ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين}، وفي سورة طه: {فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى}، قلنا: ههذ نفسها دليل لنا على أن الشقاء غير الظلم؛ لأن الظلم رتب الحكم به على الأكل من الشجرة والشقاء رتب على الخروج من الجنة، وهو متأخر عن الأكل من الشجرة، فقد كان من الظالمين قبل أن يشقى، وعادة القرآن أن يذكر في موضع شيئا وفي موضع آخر شيئا آخر من القصة الواحدة، انظر قصة آدم يف سورة البقرة وسورة الأعراف، ففي سورة البقرة ذكر الهبوط مرين، وفي سورة الأعراف ذكر قوله: {ألم أنهكما..} الآية، وكذلك غيرها من القصص في القرآن الكريم. الوعيد الثالث: في قوله تعالى: {فإما يأتينمك مني هدى..} إلى قوله تعالى: {أصحاب النار هم فيها خالدون}، وفي قصة آدم عليه السلام عبرة من حيث أن المعصية كانت سببا لزوال النعمة، وفي ذلك تحذير لذريتهم من زوال النعم بسبب المعاصي كقوله تعالى: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}، وعبر قطع الطمع في دخول جنة الخلد مع الإسرار على المعاصي؛ لأن المعصية سببت الخروج من هذه الجنة، وهي دون تلك، فكيف يمكن دخول جنة الخلد التي لهم فيها ما يشاؤون مع العصيان، وفي نهج البلاغة نحو هذا عن أمير المؤمنين عليه السلام، وعبرة أن التوبة لم تنفع لإرجاع النعمة الفائتة بسبب المعصية، وإن سببت للخروج من الظلم والسلامة من العقاب؛ لأن توبة آدم عليه السلام لم تنفع لإرجاعه في الجنة.
{يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون(٤٠)}
}

(٤٣/١)

يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم} إسرائيل هو نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام، وبنو إسرائيل هم أهل الكتابين التوراة والإنجيل، وقد آمن بعضهم بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعضهم كفروا، فكبرت معصيتهم بكونهم أهل الكتاب يعرفون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يعرفون أبناءهم، وكونهم يفسدون من يقتدي بهم فجاءت فيهم هذه الآية موعظة لهم واحتجاجا عليهم وإنذارا وبيانا لفسادهم وطغيانهم وتمردهم حسدا وحبا للدنيا لئلا يغتر بهم أحد ولتعظم الحجة عليهم يوم القيامة إن لم يقبلوا، وقد أجمل النعمة هنا وفصل فيما بعد بتعداد نعم كثيرة.
{وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم} ومن عهد الذي يجب عليهم الوفاء به ما ذكره سبحانه في قوله تعالى: {وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه، وأما العهد العام فهو على قبول التوراة وذكر ما فيها من الإنذر والتبشير وغير ذلك، ويأتي ذكر مواثيق أخذت عليهم في قوله تعالى: {وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله..} الآية، وقوله تعالى: {وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون

دماءكم..} الآية، وقد ذكر عهده وعهدهم في سورة المائدة في قوله تعالى: {ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا}، وقال الله: {إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي..} الآية.

{وإياي فارهبون} الرهبة الخوف. قال في (الكشاف): وهو من قولك زيد أرهبته، وهو أوكد في إفادة الاختصاص من {إياك نعبد}، انتهى. قلت: فالمعنى أمرهم أن يخافوا الله ولا يخافوا أحدا إلا الله.

{وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون(٤١)}

{وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم} وهو القرآن الكريم، وفي كونه مصدقا لما معهم قطع لعلتهم بأن الإيمان به لا ينافي الإيمان بما معهم.

{ولا تكونوا أول كافر به} لأنهم بسبب الكتاب الذي معهم يقتدي بهم بعض الناس في الكفر، فنهوا أن يكونوا أول هذا الفريق، أي قدوته ومتبوعه؛ لأن ذلك جريمتان جريمة كفرهم وجريمة صد الناس عن دين الله، كما قال تعالى في سورة النحل: {الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون}، وفي قوله تعالى: {ما أنزلت}، تنبيه على وجه وجوب الإيمان به، وهو أن الله أنزله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

{ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا} لا تتبدلوا بها متاع الدنيا فإنه قليل بالنسبة للثمن المدفوع فيه، ولأنه يفنى عن قليل كما قال تعالى: {قل متاع الدنيا قليل}، وقوله: {بآياتي} يعم التوراة والقرآن؛ لأنهم إذا كفروا فقد تركوا التوراة والقرآن، لأنهما يدعوان إلى الإيمان بالله ورسله.

{

وإياي فاتقون} أمروا أن يتقوا الله وحده؛ لأن بطشه شديد {فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يؤثق وثاقه أحد}، فالتقوى تنجي من عذابه وما لحقهم من ضر مع التقوى، فو خير لهم حتى لو قتلوا في سبيل الله فهو خير لهم، وغدا فاتتهم التقوى فاتهم كل خير في الآخرة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((لا يرجون أحدكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه)).

{ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون(٤٢) وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين(٤٣)}

{ولا تلبسوا الحق بالباطل} لا تخلطوا الحق بالباطل ليقبل الباطل بسبب اختلاطه بالحق، حكى الرضى في (نهج البلاغة) عن علي عليه السلام من كلام له عليه السلام: ((لو أن الباطل خلص من مزاج الحق

لم يخف على المرتادين، ولو أن الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث، فيمزجان، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى))، انتهى.

{وتكتموا الحق وأنتم تعلمون} إنه الحق الذي أخذ عليكم الميثاق لتبيننه للناس ولا تكتمونه.

{وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين} عطف على {آمنوا بما أنزل مصدقا لما معكم} لأنه لم يتخلل إلا ما يجري مجرى الحث على الإيمان، فالمراد آمنوا وأقيموا الصلاة إلخ، والإيمان بالقرآن يستلزم العمل بشرائع الدين كلها ولكن خصت هذه لعمتها في الدين وفي ذكرها مع الدعوة إلى الإيمان إشارة أن الغرض الدعوة إلى عبادة الله كقوله تعالى: {تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله..} الآية. وإقامة الصلاة قد مر تفسيرها، وأما إيتاء الزكاة فهو تسليمها من دون مطالبة من الفقراءن وتهديد من الإمام، بل إذا حضر المصدق سلموها إليه لمجرد معرفة أنه مصدق، ولعل هذا هو السبب في عبارة {آتوا الزكاة} في أكثر مواضعها في القرآن دون ((زكوا))، ليفيد حسن الأداء لها، وأما تخصيص الركوع بالذكر مع أنه جزء من الصلاة فقيل فيه . على ما حكاه الشرفي في (المصابيح) .: اقتضى ذكر الركوع هاهنا أن اليهود لم يكن في صلاتهم ركوع، فأمروا بالركوع، انتهى. قلت: إن صح هذا فهو الظاهر، وإلا فقد خص الركوع لحكمة لا نعلمها، ولا يبعد انه توطئه لقوله: {مع الراكعين}، ويكون تخصيصه إشارة إلى إدراك الجماعة بإدراك الركوع مع الراكعين}، وإن ذلك لا ينافي إقامة الصلاة حيث استلزم ترك القراءة في الركعة الأولى. قال الشرفي في (المصابيح) قال عليه السلام . يعني إمام زمانه القاسم بن محمد عليه السلام .: تدل على وجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وعلى وجوب صلاة الجماعة، والألف واللام في الصلاة والزكاة للعهد لتقدم معرفة الصلاة كما في الأخبار الواردة في فضائل علي عليه السلام، وأنه صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الناس بسبع سنين، والله أعلم، انتهى.

}

أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون(٤٤)}

الهمزة للإنكار عليهم والتوبيخ، وهو منصب إلى نسيانهم أنفسهم، والبر ضد الفجور، وهو الإحسان وفعل الخير، ونسيان أنفسهم أنهم يغفلون عن أمرها بالبر؛ لأن أذهانهم موجهة إلى الأغراض الدنيوية وما يدعو إليه الحسد والكبر من الكيد للمسلمين والطعن في الدين والتكذيب بآيات الله، فهم بمعزل عن أن يأمروا أنفسهم بالبر، كأنهم ناسون له أو هم ناسون له حقيقة، والتوبيخ لهم على الجمع بين

الأمرين لا على أمر الناس بالبر، ونظيره قوله تعالى: {وإذا أنعمنا على الإنسان أرعض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض}، فليس العيب الدعاء العريض، إنما التبكيت على الجمع بينه وبين الإعراض والنأي بالجانب، وقوله تعالى: {حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج م كل مكان وظنوا أنهم أحيك بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق، فليس التبكيت على الدعاء لله خالصا، بل على إضافة البغي إليه، وتحقيقه أن الإنسان إذا أقر بالحق في حالة كان حجة عليه في حال عناده، فإذا بكت على عناده وقد أقر بالحق فالمقصود الاحتجاج عليه بإقراره، ونظيره لو قلت لرجل كيف تصوم ولا تصلي! ومن الغلط الفاحش توهم أن الدعاء الخالص في حال الشدة معيب أو أمر الناس بالبر، إنما المعيب الشر وإضافته إلى الخير حجة عليه، وقد وجدت كتابا لبعض المفسدين يدعو إلى ترك الدين كله إذا كان العبد لا يقوم به كله، نعم يمكن أن يكون أمرهم للناس بالبر لم يكن إلا رياء وسمعة، وتقوية لمركزهم في عنادهم، وعلى هذا يكون منكرا عليهم نفس أمرهم للناس بالبر، وعل هذا لا تكون هذه الآيات نظير الآيات المذكورة.

وقوله تعالى: {وأنتم تتلون الكتاب احتجاج عليهم بما يتلونه في التوراة من الوعد والوعيد والميثاق على الإيمان برسل الله وغير ذلك مما يدعوهم إلى أن يأمروا أنفسهم بالبر أو إلى أن يكونوا أبرارا، وقوله تعالى: {أفلا تعقلون}، تبكيت واحتجاج عليهم بالعقول؛ لأن من شأن العاقل أن ينصح لنفسه ويتدبر عواقب الأمور فيسعى لنفسه في عاقبة حسنة أي أن العقل يدعو إلى ذلك، وإذا كان العبد يرشد غيره ويغوي نفسه فكأنه لا يعقل.

{واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين(٤٥) الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون(٤٦)}

{واستعينوا} على القيام بما أمرتم به من الإيمان بالكتاب وما إليه {بالصبر والصلاة} ففيهما عون، ولعل العون في الصبر من حيث أن الصابر يتعود تحمل الساق على الناس حتى تالفه نفسه، ومن حيث أن الله معه يعينه ويقوي إرادته، وأما الصلاة فلأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فبذلك تنهى عن الحسد والكبر وسهل الإيمان.

}

وإنها لكبيرة} شاقة ثقيلة على أنفسهم كقوله تعالى: {كبر على المشركين ما تدعوهم إليه}، فالإيمان بالقرآن وما يلزم معه من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وسائر الشرائع الناسخة لدينهم الذي نشأوا عليه

وتعصبوا له ومصيرهم تابعين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من ولد إسماعيل، وقد كانت النبوءة والكتاب في بني إسرائيل، وأسباب غير ذلك تنقل من أجلها إجابتهم إلى ما دعاهم إليه من الإيمان بما أنزل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وتشغلهم عن ذلك بالكبر والحد.

{إلا على الخاشعين} الذين ذلت قلوبهم لله، فلا يريدون إلا ما يرضه، ولا مجال في قلوبهم للكبر ولا للحسد.

{الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم} الظن هنا قيل بمعنى العلم، وهذا بعيد؛ لأن السياق يستدعي تحقيق إيمانهم الصحيح الذي يكون عن علم اليقين، فالتعبير بما يفيد ذلك هو المناسب للبلاغة المطابقة لمقتضى الحال، وقيل: المراد أنه تكفي الظن في بعثهم على الطاعة والتقوى لعظم القاب المحذور، وهذا لا يخلص من المشكلة؛ لأنهم قد وصفوا بالظن، فدل ذلك على أنه واقع منهم لا مجرد أنه مفروض مقدر، والذي يصح مع إبقاء الكلمة على حقيقتها بدون معارضة للمقصود الذي هو المدح أن معنى قوله تعالى في هذه الآية: {الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم}، وقوله في قصة أصحاب طالوت: {قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله} مصيرهم إليه في القريب العاجل، وهذا بواسطة استعمال اسم الفاعل في هذا المعنى، إما بطريقة أنه اسم الفاعل المستعمل للحال وجعل القريب العاجل كأنه في الحال، فكأنه قال: ملاقوا الله في الحال، وإما لقرينة السياق فكأنه قال: ملاقوا الله في القريب العاجل، وذلك أن من كان أمله في الحياة قصيرا استعد للآخرة ولم يبال بأغراض الدنيا، ولم يحرص على ترك الجهاد، بل يحرص على الشهادة، ونظير الآيتين في استعمال اسم الفاعل للقريب العاجل قوله تعالى: {ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها}، فلا يبعد أن قد أيقنوا بدخولهم النار عند حضور الموت، وفي القبر وعند خروجهم من القبور، أو على الأقل ظنوا فظنهم عند رؤية النار أنهم مواقعوها ظن الوقوع فيها في القريب العاجل لا مجرد ظنهم أنهم سيقعن فيها، ولو تأخر وقوعهم فيها، ومن استعمال اسم الفاعل للقريب العاجل ما رواه الإمام أبو طالب عليه السلام في (الأمالي) في قصة علي عليه السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله قال: وروي عن عمرو بن ذي مر قال: قلت له يا أمير المؤمنين إنه خدش وليس بشيء. فقال عليه السلام: ((إني مفارقكم إني مفارقكم)) ودعا بصحيفة ودواة وكتب وصيته، انتهى. فقوله عليه السلام: ((إني مفارقكم))، معناه في القريب العاجل، ويظهر أن منه قوله تعالى: {إنا مهلكوا أهل هذه القرية}، {إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء}، وقول امرء القيس:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقد ظهر أن اسم الفاعل في قوله تعالى: {الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم} من هذا القبيل، يؤكد ذلك قوله تعالى في أصحاب طالوت: {فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة}، فانظر كيف كان قومه ثلاثة أقسام: قسم شربوا من النهر وهم الأكثر، وقسم بخلافهم، وقد ظنوا أنهم لا يطيقون قتال جالوت لقلة الباقين معه وكثرة قوم جالوت، وقسم ردوا عليهم قولهم: {لا طاقة لنا}، بقولهم: {كم من فئة قليلة..} إلخ، وهؤلاء هم الصفوة من المؤمنين، فكيف يصلح أن ينسب إليهم ظن البعث كما قال الكفار: {إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين}، وكيف يصلح استعمال الظن بمعنى العلم وهم بيقينهم وإيمانهم أقوى من غيرهم، والمناسب أن يوصفوا بقوة الإيمان لا بعبارة توهم ضعف يقينهم، وكيف يؤتى بعبارة لا تؤتي سبب إقدامهم وشجاعتهم وتشجيعهم لأصحابهم أن هذا البعيد. أما إذا قلنا المراد أنهم يظنون قرب لقائهم لله وقصر مدة بقائهم في الحياة الدنيا فالمهم عندهم الاستعداد للقاء الله، وأحسن الاستعداد الجهاد في سبيل الله والتعرض للشهادة في سبيل الله، ولذلك فهم مشتاقون إلى الإقدام ومشجعون لأصحاهم ليتم الغرض المطلوب حتى يفوزوا بالنصر أو الشهادة، فهذا المعنى هو المناسب للسياق، وبالله التوفيق.

{وأنهم إليه راجعون} كما خلقهم في الدنيا ورزقهم وأمرهم ونهاهم يرجع إليه ليجزيهم بما كانوا يكسبون، وليس مع رجوعهم إليه رجوع إلى غيره من شفيع أو ناصر أو معين، بل يرجعون غليه وحده ليحكم فيهم ما يريد، فهم يخشونه ويسهل عليهم امتثال أمره بالإيمان بالكتاب وبكل ما أمروا به؛ لأنهم موقنون به وهو في نظرهم قريب جدا لقصر آمالهم في الحياة واعتبارهم ما بعد الموت أول الرجوع إلى الله بأرواحهم، وما يكون من مجازاتها في حياة البرزخ، يعتبرون توفيه لأنفسهم أول الرجوع إليه، وفي شعر الناصر الأطروش الحسن بن علي عليه السلام ـ يعني نفسه ـ:

أناف على السبقعين ذا العام رابع ... ولا بد لي أني إلى الله راجع

وكذلك لقاء الله. قال في (الكشاف): في تفسير قوله تعالى: {فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه}، والمعنى فخذلهم الله حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم، فلا ينفك عنها إلى أن يموتوا، انتهى. وعن أمير المؤمنين عليه السلام لما كلموه في تقليله للفطور، لا يزيد على ثلاث لقم، فيقول الحسن عليه السلام: يا أبة لو زدت؟ فيقول: (أحب أن ألقى الله خميصا)، انتهى. رواه الموفق بالله عليه السلام في كتاب (الاعتبار، وسلوة العارفين) ص١٩٢ مخطوط. وفي كلام الحسين عليه السلام: (ألا ترون الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله عزل وجل)، رواه المرشد بالله في الأمالي ج١ ص١٦١.

}

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين(٤٧) واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون(٤٨)

{يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين} إعادة النداء لهم كإعادة التنبيه للنائم إذا لم ينتبه لأول نداء وإعادة التذكير بالنعمة تنبيه لهم من غفلتهم عن النعمة، وبعث لهم على الشكر وتفضيلهم على العالمين تفضيلهم في النعم؛ لأنه آتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين كقوله تعالى: {والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم}، وقوله تعالى في بني آدم: {وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا}، وهذا واضح من عطف {أني فضلتكم} على {نعمتي}، وفتح الهمزة؛ لأن معناه، واذكروا أني فضلتمك على العالمين، ومعناه التذكير بالنعمة، فالتفضيل هو التفضيل في النعمة، وقوله تعالى: {فضلتكم على العالمين} معناه في الماضي، فكانوا أفضل العالمين في النعم، ولا يلزم بقاء الفضل واستمراره؛ لأن فضلتكم فعل ماض يصدق بفضيلهم على العالمين الأولين؛ لأنهم إذا فضلوا على الناس كلهم الموجدين في الزمان الأول فقد فضلوا على العالمين؛ لأن العالمين اسم لمن قد وجد ولا يشمل المعدوم الذي هو غير موجود في ذلك الزمان، ومتى قيل، فالتفضيل في النعمة نعمة، فكيف عطف على نعمتي؟ فالجواب: أن نعمتي يحتمل أن المراد به أنه آتاهم الكتاب، كقوله تعالى: {سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب، فالكتاب الجامع للآيات الكثيرة نعمة كبرى، فالتذكير بالتوراة من حيث هي نعمة، ومن حيث هي حجة عليهم، وعلى هذا فلا إشكال في العطف، ويحتمل أن ((نعمتي)) عام لكل نعمة، فعطف التفضيل عليها من عطف الخاص على العام كعطف جبريل على الملائكة في قوله تعالى: {من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل.

{واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا} يعني اتقوا شر يوم هذه صفته، فهو يوم لا ينتجي منه إلا اتقاءه في الدنيا، {لا تجزي نفس عن نفس شيئا} لا تؤدي عنها حقا ولا تقضي عنها دينا.

{ولا يقبل منها شفاعة} لتنقذها من شره لو جاءت بشفاعة شافع.

{ولا يؤخذ منها عدل} فدية تعدلها وتقوم مقامها في القدرة، {فلن يقبل من أحدهم ملأ الأرض ذهبا ولو افتدى به}.

}

ولا هم ينصرون} أي الذين لم يتقوا ذلك اليوم شملهم عموم النكرة في سياق النفي، وهم نفوس كثيرة ولا ينصرهم أحد لدفع سر ذلك اليوم، وفي الآية دلالة على أنها لا تنفع الشفاعة للمجرمين كلهم، ويدخل في ذلك أهل الكبائر المنتسبين إلى الإسلام، وليس ذلك خطأ من مرتبة الشافع؛ لأنه يكون على وجه يحصل فيه التكريم للشافع والإهانة للمشفوع له، كما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إني فرطكم على الحوض، وسيجاء برجاء فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)) أو كما قال، فقوله: ((أصحابي أصحابي)) شفاعة ليردوا إليه ويسقيهم من الحوض، ولكنها لم تنفعهم بل كان الجواب ذمهم وبيان استحقاقهم للعذاب.

{وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم(٤٩)}

{و} اذكروا، {إذ نجيناكم من آل فرعون} لا يبعد حمل كلمة ((آل)) هنا على قرابة فرعون أو على فرعون وقرابته على معنى أنهم هم الذين يظلمون بني إسرائيل ويأمرون الاقباط بظلمهم.

{يسومونكم سوء العذاب} يكلفونكم سوء العذاب يكرهونكم عليه من سامه خسفا إذا حمله على ما هو ذل، قال عمرو بن كلثوم:

إذا ما الملك سام الناس خسفا ... أبينا أن نقر الخسف فينا

قال في (الكشاف): وأصله من سام السلعة إذا طلبها، انتهى. يعني إذا طلت بيعها منه، وقيل من سام الإبل إذا رعاها وهو بعيد غير مناسب للمعنى، والظاهر في مضارعه يسيمون كما قال تعالى: {ومنه شجر فيه تسيمون} لأن السائمة هي الإبل الراعية، والسوم الرعي، وإن صح نسبته إلى صاحب الإبل تجوزا، وقوله تعالى: {يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم} ووجه السوم فيه أنهم جعلوا ذبح الأبناء واستحياء النساء عادة مستمرة، فإذا ولد مولود إسرائيلي فهم يتوقعون ذبحه، فكانت هذه العادة سوما لهم سوء العذاب من أجل أنهم لا يزالون يتوقعون قتل الأولاد في المستقبل، وهذا يناسب ذكر الإنجاء منهم؛ لأنه تخليص من الشر المتقبل لا مما قد وقع، وهذا المذكور ليس كل سومهم سوء العذاب، ولكنه أعظمه وأشده عليهم، فذكر بعينه، وهم يعرفون سومهم سوء العذاب غير ذلك، وفي سورة إبراهيم: {يسومونمك سوء العذاب ويذبحون} بالعطف ، فعطف عطف الخاص على العام وسوء العذاب أقبحه.

}

وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم} نعمة من الله، كقوله تعالى: {وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا}، ولعل بني إسرائيل كانوا من العدد بحيث يستطيعون الدفاع عن انفسهم أو بحيث يتجنب الظالم ظلمهم لقوتهم، ولكنهم تواكلوا وتخاذلوا وغلب عليهم اليأس، وعدمت ثقة بعضهم ببعض، فلم يجتمعوا بل تفرقوا وتركوا محاولة الإجتماع والتوحد الذي تكون القوة معه، إذا كان مع صدق الديانة والتوكل على الله، فلذلك استحقوا أن يتركوا وشأنهم حتى استضعفهم فرعون وصار يعاملهم المعاملة الجائرة بسوء ما سبق منهم من التواكل والتخاذل وقلة المبالاة بعواقب ذلك، فمن هنا كان إنجاؤهم بعد ذلك بلا من ربهم عظيما، والله أعلم.

{وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون(٥٠)}

{وإذ فرقنا بكم البحر} واذكروا إذ فرقنا لكم البحر حين ضربه موسى بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، ولما كان فرق البحر من أجلهم ليمروا طريقهم بين الفرقين كانوا كأنهم آلة لفرق البحر انفلق بمرورهم فيه، فهذه نعمة عليهم أن فرق لهم البحر وهي من الخوارق العظام، وجعل لهم فيه طريقا سلكوه وحولهم من البحر كل فرق كالطود العظيم لا يسيل عليهم حتى خرجوا من البحر سالمين من الغرق وسالمين من إدراك فرعون وقومه.

{فأنجيناكم} في مروركم فيه من الغرق ومن فرعون.

{وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون} وهذه نعمة أخرى إهلاك عدوهم وهم ينظرون؛ لأنها بذلك تحققت لهم نجاتهم من آل فرعون، وحصل لهم شفاء لما في صدورهم من الغيظ أو خفف عنهم بمشاهدتهم هلاك عدوهم في تلك الحال وبتلك الصورة التي اقترنت فيها نجاتهم بهلاك عدوهم كلهم في وقت واحد برجوع البحر عليهم.

{وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون(٥١) ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون(٥٢) وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون(٥٣)}

{و} اذكروا {إذ واعدنا موسى أربعين ليلة} يحضر فيها في جانب الطور الأيمن يسمع فيها كلام ربه.

{ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون} اتخذتم العجل إلها، وكان ذلك منكم من بعد موسى بالذي هو رسول الله إليكم، والذي قد علمكم التوحيد وأنكر عليكم ابتغاء إله غير الله فعظمت الجريمة بسرعة انقلابهم عن دينه واستبدال هداه لهم بالضلالة، وقوله: {وأنتم ظالمون} معناه أنهم ظالمون بذلك؛ لأن الشرك ظلم عظيم.

}

ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون} أما العفو فحين تابوا، وقوله: {من بعد ذلك} يشير إلى أن العفو عن مثل ذلك في العادة بعيد، كما قال تعالى: {كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات} فلما أن هداهم الله للتوبة ببركة موسى وعفا عنهم حين تابوا كانت تلك نعمة عظيمة يجب عليهم شكرها، ولما كان هذا تعريضا لهم على الشكر شبه بالأنعام رجاء الشكر، فقال تعهالى: {لعلكم تشكرون}.

{و} اذكروا {إذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون} الكتاب التوراة، والفرقان الفرقان بين الحق والباطل بما أوحى إليه ربه من ذلك مع التوراة وقبلها، وقوله: {لعلكم تهتدون}، أي بذلك، ومعنى ((لعل)) مثله في {لعلكم تشكرون}.

{وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم(٥٤)}

{وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل} لأنكم تعرضتم بذلك للعذاب الدائم الشديد وصيرتم أنفسكم مستحقين له، {فتوبوا إلى بارئكم} الذي خلقكم وجعل صوركم متقنة مختلفة يتميز بعضها من بعض، فأنتم عباده يستحق عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به، ويستحق عليكم أن تتولوا إليه من الشرك.

{فاقتلوا أنفسكم} وسلموها لبارئها تحقيقا للتوبة بامتثال أمر الله في أنفسكم التي هي أعز الأشياء عليكم، واعترافا بأن أفسكم له يحكم فيها ما يريد، ولعلهم لما كانوا قد أشربوا في قلوبهم العجل كانت توبتهم لا تتم إلا بهذه التوبة أو بتسليم أنفسهم لله تعالى ليذهب رجس العجل وأثر عبادته عن قلوبهم.

{ذلكم خير لكم عند بارئكم} لأن الشهادة والجنة خير من البقاء على الذنب حتى تموتوا ثم تصيروا إلى النار عند بارئكم؛ لأنه هو الذي يثيبهم عليه ويرضى عنهم.

{فتاب عليكم} بنسخ قوله هذا التكليف الشاق، روي أنهم حين عزموا على هذا الأمر اجتمعوا وعصبوا على أعينهم وتضاربوا بالسيوف أو نحو هذا فنزلت توبتهم أي قبول توبتهم، وهي بالتسليم لأمر الله، وعفى عنهم ربهم بإسقاط هذا التكليف الشاق، كانت تلك شهادة للماضين وتوبة للباقين، وقوله تعالى: {فتاب عليكم} مثل قوله تعالى: {علم أن لن تحصوه فتاب عليكم}، وقوله تعالى: {فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم} أي رجع لكم بالرحمة والتخفيف عنمك بنسخ ذلك التكليف.

}

إنه هو التواب الرحيم} يرجع على عباده باللطافة ويرحمهم حين يتعرضون لرحمته وحين لا يستوجبون لتشديد في حكمته، هذا ونسخ الأمر بالقتل بالنسبة للباقين، فأما الماضين فقد مضوا على الحكم الأول شهداء، التمنن بالنسخ على الباقين، ويظهر أنهم الأكثر إن لم يكونوا هم الكل ممن تاب، وما يروى من تكثير القتلى فلعله من رواية اليهود ليفتخروا به، وليس في هذه الآية وأمثالها من القرآن ما يدل على وقوع قتل لا كثير ولا قليل، بل الظاهر أنه لم يقع؛ لأنه تمنن عليهم، وله الحمد والشكر، فعم بني إسرائيل، فظهر منه أن النسخ نزل قبل أن يقع قتل بموجب الحكم الأول، ولولا ذلك لما كان النسخ عاما لبني إسرائيل الذين عبدوا العجل، ولما منه على خلائفهم المخاطبين بقوله: {يا بني إسرائيل} مرتين واعتماد القرآن الذين لا ريب فيه أولى من اعتماد الروايات التي يكثر فيها الكذب وخصوصا فيما يتعلق ببني إسرائيل.

{وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون(٥٥) ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون(٥٦) وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون(٥٧)}

{و} اذكروا {إذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة} جهرة عيانا، أرادوا أن يتجلى لهم فيروه بأعينهم، ولعل رغبتهم هذه هي أخت رغبتهم في أن يجعل لهم إلها كما لهم آلهة، أي أنهم يريدون إلها يشاهدونه كما للمشركين آلهة يشاهدونها بزعمهم، فطلبوا أن يروا الله سبحانه ليكونوا قد حصلوا على ضالتهم المنشودة، ولشدة حرصهم على ذلك أكدوا هذا الطلب بقولهم: {لن نؤمن لك} وصيروا ما رأوا من الآيات والنعم كأن لم يكن.

{فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون} الظاهر في معنى الصاعقة هنا أنها المهلكة، وأنها رجفة الطور حين اندك، ففي سورة الأعراف: {فلما أخذتهم الرجفة}، وفيها: {فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا}، وعلى هذا فمعنى: {وأنتم تنظرون} تنظرون مكانكم يرتجف بكم، أما الجبل نفسه أو ما حوله عند إرتجافه حين اندك.

{ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون} لا مانع من حمله على الحقيقة كموت الذي أمات الله مائة عام ثم بعث، والله يحيي ويميت، ويؤكد ذلك السياق.

}

وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} ظللنا عليكم الغمام جعلناه عليكم ظللا تظللكم من الشمس، قيل: ذلك في التيه،

فسخر الله لهم السحاب يسير سيرهم، وأما المن والسلوى ففي مصابيح (الشرفي) قال عليه السلام: المن فهو شيء كان يقع على الشجر يضرب إلى الحضرة حلو كانوا يأكلونه، والسلوى فهو طيرا صغير من الحمام كانوا - أيضا - يأكلونه في أيام تيههم، وذلك أن الله لما أمرهم بدخول القرية فكان من كلامهم ما قد سمعت مما قصه الله في كتابه فحرم الله عليهم مصر أربعين سنة، فكانوا يتيهون في مواضع حذاها هو الآن معروف، ولا يهتدون لها، فأنزل الله سبحانه المن والسلوى وجعله لهم رزقا يعيشون به إذ الأجساد لا تقوم إلا بالغذاء، انتهى. قوله: مما قصر الله في كتابه، يعني في سورة المائدة آيتي ٢٢، ٢٤، وقوله تعالى: {وما ظلمونا} أي بكفرهم للنعم كما وقع منهم من الفسق المذكور في تلك القصة.

{وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين(٥٨)}

{وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية} المعروفة عندهم، وقوله هذا يظهر منه أنهم كانوا قد قربوا منها.

{فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب} الذي تدخلون منه {سجدا} خاضعين لله متذللين بلا عجب ولا كبر سليمين من سكرة النصر. حكى الشرفي في (المصابيح) في تفسير الآية من سورة الأعراف عن الحسين بن القاسم عليهما السلام ما لفظه: ومعنى {وادخلوا الباب سجدا} أي ادخلوا الباب خشعا لله عز وجل وسيروا عند ذلك بالسكينة والوقار والخشية لله الواحد الجبار، ولم يرد في هذا الموضع سجود على الوجوه، وإنما أراد ما ذكرنا، وكذلك روينا عن أئمتنا وسلفنا عليهم السلام، انتهى.

{وقولوا حطة} حطة بمعنى حط عنا الذنوب. قال في (الكشاف): والأصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة، وإنما رفعت لتعطي معنى الثبوت، كقوله:

صبر جميل فكلانا مبتلى

والأصل صبرا على أصبر صبرا، انتهى. قلت: لأن أول البيت: شكى إلي جملي طول السرى.

{نغفر لكم خطاياكم} جواب الأمر بقوله تعالى: {وقولوا حطة} أو الأمرين من قوله: {وادخلوا الباب سجدا}، وهو عندي أرجح.

{وسنزيد المحسنين} ثوابا مع غفران الخطايا ونعمة دخول القرية.

{فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون(٥٩)}

{فبدل الذين ظلموا} من المأمورين بهذا القول، وفي سورة الأعراف: {فبدل الذين ظلموا منهم}، فظهر أن المبدلين بعضهم.

}

قولا غير الذي قيل لهم} أي خالفوا الأمر وأتوا بدل القول ذلك بقول خلاف المأمور به، ولم يظهر من الآية أنهم فعلوا ذلك استهزاء بالأمر، وليس يجب علينا معرفة ذلك البدل؛ لأن الله أبهمه ولم يبينه إلا بأنه غير الذي قيل لهم، وذلك محط الفائدة، ولا يبعد أن القول كان كلاما استدعاه فرحهم بالدخول، وإعجابهم بقوتهم نم أغاريد أو غيرها، والله أعلم، وما قيل أنهم قالوا حنطة بعيد؛ لأن لغتهم عبرانية، وإنما المذكور من هذه الأوامر ومن قولهم هو ترجمة الواقع، وليس في الحروف موافقا للكلمات العربية.

{فأنزلنا على الذين ظلموا} أي المبدلين، وفائدة إعادة اللفظ أن لا يتوهم لو قيل عليهم عود الضمير إلى الكل من المأمورين بدخول القرية، وما ذكر بعده.

{رجزا من السماء بما كانوا يفسقون} أي عذابا، وقوله: {من السماء يفيد أنه شيء نزل من السماء مثل: {وبآء ينزل في طل وحر شديد يأتي به حر الشمس}، وقد قيل: إنه طاعون ولا يبعد على معنى أنه وبآء نزل، وقوله: {بما كانوا يفسقون} يفيد أنه عقوبة على جرائمهم كلها، هذه المذكورة وغيرها، ويمكن دخول معصيتهم لموسى حين امتنعوا من دخول القرية، فدعا ربه فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين، ويناسب هذا ما ذكره الشرفي في (المصابيح) حيث قال: وفي البلغة روي أن الآباء هلكوا وبقي الأبناء وفيهم الفضل والعبادة، انتهى. وحاصل هذا أن الفاسقين عند دخول القرية هم الفاسقون قبل أربعين سنة والله أعلم.

{وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين(٦٠)}

{و} اذكروا {إذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا} قيل هذا في التيه. قال الشرفي في (المصابيح) قال المرتضى عليه السلام هو حجر كان مع موسى صلى الله عليه يحمل بين يديه على حماره، وذلك أنه لما استسقى الله سبحانه لقومه إذ عطشوا أمره الله أن يضرب الحجر بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، ولم يكن إلا حجرا صغيرا، وكانت الآية في الصغير المحمول المتحرك المنقول عظيمة جليلة أعظم أمرا من الحجر، فلما أن كان حجرا صغيرا يحمل كانت آية جليلة عظيمة باهرة من آيات الله الجليلة، انتهى المراد. قلت: انفجار الماء اثنتا عشرة عينا من الحجر بسبب ضرب موسى غياه بالحجر آية عظيمة سواء كان راسيا أم منتقلا، وإنما أراد المرتضى عليه السلام أن الآية عظمت أكبر من ذلك بكون الحجر صغيرا منتقلا.

}

قد علم كل أناس مشربهم} قيل: سبط وكانوا اثني عشر سبطا، والمراد ذرية كل سبط، وهذه نعمة؛ لأنه يقل الاختلاف والمزاحمة والمسابقة على الماء، وهذا تشعر به الآية في سورة الأعراف: {وقطعناهم اثني عشرة أسباطا أمما أوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه..} الآية.

{كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين} أمر إباحة وتعبير عن الإنعام عليهم بذلك، ونهي عن الفساد في الأرض؛ لأن الواجب شكر النعمة لا مقابلتها بالفساد في الأرض الذي هو كفر قد يؤدي إلى سلب النعمة وتعجيل النقمة، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، والعثي الفساد أو أشد الفساد، ومفسدين حال مؤكدة، وصح ذلك لاختلاف اللفظ، وإذا قابلت بين هاتين الآيتين وبين آيتي سورة الأعراف وجدت في كل منهما فائدة خاصة، فهنا قال تعالى: {فبدل الذين ظلموا}، فأفاد أن الذي جرأهم على التبديل هو ظلمهم من قبل، وهنا فأنزلنا على الذين ظلموا فأعاد اللفظ ليفيد أن العذاب عليهم خاص، ولكن ليس في هذه تصريح بأن المبدلين بعضهم، فأفاده في سورة الأعراف بقوله: {منهم}، وفي سورة الأعراف: {وكلوا منها حيث شئتم} ولم يقل: ((رغدا))، وقال في آية البقرة {رغدا}، فافاد سعة في كل موضع شاءوا.

{وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون(٦١)}

}

(٥٦/١)

وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها} طعام واحد المن والسلوى، واعتبروه واحدا م حيث أن غداءهم وعشاءهم كل يوم منه لا يخلفه طعام آخر، فاعتبرو المجموع من المن والسلوى طعاما واحدا نظرا إلى الثاني الذي يريدون أن يخلفه، وقولهم: {يخرج لنا} الظاهر منه يخرج لنا من الأرض، أي ينبت لنا، والبقل والفجل وما أشبهه مما لا ساق له ويستنبت أو ينبت بالبذر، ولايبقى أصله في الأرض كما يبقى أصل الحشيش، هذا الذي يظهر من التفاسير المختلفة أنه يجمعها، أما موضع الخلاف فالله أعلم بالحقيقة، والقثاء: الخيار أو شيء مثل الخيار، وفومها، قيل: هو البر، وهو الأقرب، وقيل: هو الثوم، قلت: لو قرن بالبصل لكان الظاهر، ولكنه قرن بالعدس، وهو من الحبوب، وهو البلسن والبصل معروف يجعل في الطبائخ وغيرها، وهو نافع من الوباء ومن ضرر اختلاف الماء على المسافر، وفيه منافع كثيرة مذكورة

في الطب وفي إضافتهم هذه الأشياء إلى ضمير الأرض تنبيه على أنهم يريدون طعاما من نبات الأرض من حيث هو من الأرض خلاف المن والسلوى، ولعل سبب ذلك أن طعامهم قبل النية كان مما تنبت الأرض من هذه الأشياء، فلما طالت مدتهم في التيه ولا طعام لهم مما كانوا ألفوه في نشأتهم وتربيتهم إنما طعامهم خلافه، وهو المن والسلوى، والمن والسلوى وإن كان خيرا من تلك الأشياء، فإن استمرارهم عليه كان سببا لقلة رغبتهم واشتياقهم إلى ما كانوا يأكلونه من الأشياء المختلفة من ألوان النبات كما قالت ميسون شعرا:

لبيت تخفق الأرواح فيه ... أحب إلي من قصر منيف

إلى آخر الأبيات.

{قال} موسى عليه السلام: {أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير} فإن الغلط أن يكون طلب الإنسان تبعا لمجرد الرغبة وإن فوت الذي هو خير له.

{اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم} إن هبطتم مصرا، ولعل هذا كان قبل معصيتهم وامتناعهم عن دخول الأرض التي كتب الله لهم، وقول الله تعالى: {فإنها محرمة عليهم أربعين سنة}، فكأن موسى عليه السلام يقول لهم: إن طعامكم واحد ما دمتم في التيه لا يدعكم الخوف أن تفتحوا لأنفسكم مصرا من أمصار الجبارين الذين تشردتم في التيه من خوفم، فغن شئتم المطعومات التي طلبتم فاهبطوا مصرا من تلك الأمصار ليكون لكم وطن وقرار وتزرعوا ما تحبون.

{وضربت عليهم الذلة والمسكنة}، فلم يزالوا في التيه إلى تمام أربعين سنة.

{وباءوا} بعد ذلك.

}

(٥٧/١)

بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق} وهذا حين تمكنوا في الأرض كما قال تعالى: {لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا}، وقوله تعالى: {بغير الحق}؛ لأنه سبب الغضب كونه قتلا ظلما وعدوانا على النبيين والنبييون صلوات الله عليهم لا يقتلون إلا وقتلهم بغير الحق، ولكن من حسن البيان التصريح بما هو محط الفائدة، ولعل فيه أيضا فائدة أخرى وهي أنهم عباد من عباد الله، فلو أنهم استحقوا القتل ما غضب الله له.

{ذلك} المذكور {بما عصوا وكانوا يعتدون} أي وقع منهم الكفر وقتل الأنبياء بسبب عصيانهم أو معاصيهم وعدوانهم المتكرر منهم، فالمعاصي والعدوان جرتهم إلى ما هو أكبر وجرأتهم على ما هو أخطر، فمن أجل ذلك {ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله}، والذلة خلاف العزة،

وذلك يفيد أنهم صاروا في حال يعجزون عن الدفاع عن أنفسهم، والمسكنة الضعف والخضوع، ولعلها سميت مسكنة من السكون؛ لأن صاحبها لا يترحرك للدفاع، بل يلتزم السكون لضعفه، والاعتداء ظلم الغير، مثل اعتدائهم في السبت بصيد الحوت وهو محرم عليهم.

{إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٦٢)}

{إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابين} الذين آمنوا هم الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما يجب الإيمان به، والإيمان تصديق وقبول وإذعان يدعوا إلى الطاعة باللسان والجنان والأركان؛ لأنه سبب الخوف من العقاب والرغبة في الثواب، قال الله تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك..} إلى قوله تعالى: {ويسلموا تسليما} وغيرها، والذين هادوا هم اليهود، والنصارى هم المنتسبون إلى دين عيسى عليه السلام، وأما ((الصابين)) فحكى الشرفي في (المصابيح) عن المرتضى عليه السلام أنه قال: والصابين فهم فرقة أخرى من النصارى يدعون بالصابين، وإنما اشتق اسم الصابين من الصبو، يقال: صبا فلان. وفي ذلك ما يقول الشاعر:

صبوت إلى اللهو بعد المشيب ... وقد كنت للهو قدما تروكا

انتهى. قلت: وقول الله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام: {وإن لا تصرف عني كيدهن أصب إليهن}، وعبارة لسان العرب الصبوة جهلة الفتوة واللهو من الغزل، وقال: وصبا يسبو صبوة وصبوا أي مال إلى الجهل والفتوة، انتهى. فلعل تسمية ((الصابين)) بهذا الاسم كانت ذما لهم بميلهم إلى الباطل على التشبيه بمن يصبو، وهذا التفسير على قراءة نافع بغير همز. فأما على قراءة ((الصابئين)) بالهمز فقد فسره بعض أهل اللغة بالخروج من دين، وقالوا: الصابئون: قوم يزعمون أنهم على دين نوح، قال في (لسان العرب) وفي (الصحاح) جنس من أهل الكتاب..إلخ. قلت: وهذا أقرب لتتفق القراءتان على معنى واحد، والأولى أنهم فرقة من النصارى مثلا أي أصل دينهم النصرانية، ولكنهم غيروا فيه حتى خرجوا عن النصرانية وصار لهم اسم خاص.

{من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا} من آمن أي من كل الملك المذكورة، ولا مانع من شمول الذين آمنوا؛ لأنهم مأمورون بالإيمان فيما بقي من أعمارهم كقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله..} الآية، وأما بقية أهل الملك، فالمعنى دخلوا في الإسلام واتقوا الله؛ لأن الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح يستلزم ذلك كما قدمناه في قوله تعالى: {ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر}، وقوله تعالى: {وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات}.

{فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} في الآخرة؛ لأن توبتهم تمحو ذنوبهم السابقة، فالآية وعد وتبشير لأهل الملل كلهم إذا آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحا، ودعوة لهم إلى الإيمان.

{وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون(٦٣) ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين(٦٤)}

{و} اذكروا يا بني إسرائيل {إذ أخذنا ميثاقكم} على أخذ التوراة وما آتاهم الله على لسان موسى.

{ورفعنا فوقكم الطور} أي الجبل كما قال تعالى: {وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ..} الآية، وذلك ليمتثلوا أمر الله تعالى بقوله: {خذوا ما آتيناكم بقوة} بعزم صادق قوي وصبر.

{واذكروا ما فيه} من الوعد والوعيد والهدى لمن اهتدى {لعلكم تتقون} ربكم وتتقون عذابه الذي لا بد منه إن خالفتم ونكثتم.

{ثم توليتم من بعد ذلك} الميثاق والآية العظمى والنعمة الكبرى بالتعريض على الهدى.

{فلولا فضل الله عليكم ورحمته} بهدايته لكم إلى التوبة والرجوع إلى العمل بالميثاق {لكنتم من الخاسرين} أهل النار الذين خسروا أنفسهم وأهليهم وفاتهم كل خير.

}

(٥٩/١)

ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين(٦٥) فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين(٦٦)}

{ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين} فاتقوا الله واعتبروا بهم واحذروا أن ينزل بكم العذاب العاجل كما نزل بهم، والذين اعتدوا في السبت هم الذين ذكرهم الله في سورة الأعراف وفصل قصتهم من قوله تعالى: {واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر}، والقرد: حيوان معروف قريب من مشابهة الإنسان في صورته وإدراكه، ومعنى خاسئين: مطرودين من رحمة الله في ذلة وهوان.

{فجعلناها} أي هذه المصيبة النازلة والعقوبة العاجلة {نكالا} أي عذابا عقوبة وزجرا {لما بين يديها وما خلفها} من المعاصي التي كانوا عليها حين نزل بهم العذاب والمعاصي السابقة المذكورة في قوله تعالى: {كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون}، فهي نكال له كله، أي عقوبة، وهو ما بين يديها كقوله تعالى: {مصدقا لما بين يديه من الكتاب}، {ونكالا لما خلفها} أي لأجل ما خلفها م نالمعاصي؛ لأنها زاجرة عنه لنبي إسرائيل كقوله تعالى في السارق والسارقة: {جزاء بما كسبا نكالا من الله}، فالجزاء لهما

والنكال لهما ولغيرهما، وعلى هذا فاللام في قوله تعالى: {لما بين يديها} لام التعليل، أي من أجل ما بين يديها وما خلفها، أو لام الاختصاص أي جعلناها لما بين يديها جزاء، ولما خلفها زجرا، وفائدة الزجر لما يكون بعدها زيادة الحجة على ما ارتكب مثلها أو خلافها مما يسبب العذاب.
{وموعظة للمتقين} الذين تنفعهم المواعظ؛ لأنهم يتعظون فلا يرتكبون مثلها مما يوجب العذاب، فاعتبروا بما قد علمتم.
{وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين(٦٧)}
{و} اذكروا {إذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا} لأنهم لم يتوقعوا مثل هذا الأمر، واستبعدوا أن يؤجروا بذبح بقرة واحدة على كثرتهم، واستعدادهم للعمل بالتكليف الثقيل، فجوزوا أن موسى عليه السلام غير جاد في هذا الكلام، وإنما قاله استخفافا بهم.
}

قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين} يقول عليه السلام: إن هذا لو وقع هزؤا مني لكان جهالة عليكم حين آمركم بما لم يأمركم ب الله، وجهالة من حيث أنه قول على الله ما لم يقل وتعظيم بوقوعها من رسول الله إليكم، فكيف تقع مني، ولكنه لم يقل، فكيف تقع مني، وأكتفي بالتعوذ بالله؛ لأنه في براءته من ذلك معتمد على لطف الله وعصمته، وفيه تعريض بهم؛ لأن كلامهم هذا جهالة، وكان التعوذ هذا دليلا على أنه بريء من حيث قد أفاد أنه جهالة لا تليق به، وهو رسول، ومن حيث دل على شدة كراهته للجهالة بالتعوذ بالله منها، ومعنى أعوذ: أستجير بالله وألجأ إليه لينجيني.
{قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون(٦٨)}
{قالوا ادع لنا ربك} الدعاء هو طلب من يعتبره الداعي أعلى بالقدرة والقهر تذللا وافتقارا، وقولهم لنا يفيد دعواهم أنهم يريدون امتثال الأمر، إنما يؤخرهم انتظار البيان، وقولهم: {ربك} وهم يعلمون أنه ربهم، فلم يقولوا ربنا مع أن الطلب من أجلهم؛ لأنهم يعلمون أن لموسى صلة بربه من أجلها يستجيب له، وكذا في قولهم: {فادع لنا ربك يخرج لنا}، وقولهم فيما يأيت: {ادع لنا ربك} وقد لاحظ هذا المعنى قوم فرعون حين قالوا: {يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك}، واعتبرت هذه الصلة في الآيات الكريمة من سورة (قد أفلح المؤمنون): {إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون} حيث جاء ذكر ربهم في أربع آيات متتابعة، ولم يأت الض١مير فيما بعد الأولى، وقولهم: {يبين لنا ما هي} دعوى أن أمرهم

بذبح بقرة مجمل يحتاجون إلى بيانه، وهو في الواقع مطلق يصدق بذبح أي بقرة ذبحوها لو امتثلوا قبل هذه المطالبة، ولكن أنفتهم من أن يكون هذا هو المراد، وهواهم في أن يكون المراد بقرة مخصوصة لذبحها، معنى زائدة على ذبح غيرها، حملهم على جعل المطلق مجملا، وهكذا الهوى، يصدعن الحق، ويحمل على تفسير كلام الله ورسوله بما يوافق الهوى وإن خالف الحق.

{قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك} فقيد ذلك المطلق، وصار التكليف بالمقيد من أجل طلبهم البيان لغير مجمل. قال الشرفي في (المصابيح): قال المرتضى عليه السلام: والفارض: المسنة التي قد انفرض فهما، وانفراضه فهو: سقوط أسنانها، والبكر فهي: لم تلقح قط، انتهى المراد.

وقوله: {عوان بين ذلك} أي متوسطة في سنها بين الفارض والبكر.

{فافعلوا ما تؤمرون} من ذبح البقرة التي هذه صفتها، فقد وجب عليكم بأمر الله.

{قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين(٦٩)}

(٦١/١)

قوله: {فاقع لونها} أي شديدة الصفرة خالصتها، وقوله: {تسر الناظرين} يفيد جمالها بلونها وحسن صورتها، وهذا تقييد للمطلق مع التقييد الأول، فصار المأمور به بقرة جامعة للوصفين.

{قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون(٧٠) قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون(٧١)}

{قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا} بوجود عدد من البقرات فتيات صفر جميلات، فنحن مترددون لا ندري أيتهن المراد ذبحها {وإنا إن شاء الله لمهتدون} إلى المراد إذا بين لنا مرة ثالثة بيانا ثالثا.

{قال} موسى {إنه}، أي أن الله {يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث}، الذلول: المذللة للعمل التي ألفت العمل فذلت لمن يعمل عليها، وإثارة الأرض حرثها المظر لبعض ما بطن، والمفتت لبعض ما كان جامدا متلاصقا، والمعنى: أنها ليست ذلولا بحيث أنها تثير الأرض، وفي هذا التقييد إشارة إلى أنها ذلول لسائقها وقائدها، فذلك غير منفي، إنما المنفي كونها ذلولا لحرث الأرض، وأنها لا تحرث الأرض، فجمع قوله: {لا ذلول تثير الأرض} بين نفي كونها ذلولا للحرث ونفي اعتياد الحرث الذي تكون به ذلولا، وقوله: {ولا تسقي الحرث} يفيد أنها لا تنزع الماء لسقي الحرث، فأفاد سلامتها من تعب العمل.

{مسلمة} سليمة من العيوب، سلمها الله منها.

{لا شية فيها} فلونها واحد لم يوش بلو آر من غرة أو تحجيل أو غير ذلك.
{قالوا الآن جئت بالحق} لأنك جئت بالأوصاف التي معها يصعب امتثال الأمر، وذلك هو الذي نهواه، فجعلوا الحق تابعا لهواهم، وقالوا: {الآن} بجفائهم وجلافتهم، وقد جاء بالحق من قبل.
{فذبحوها} جامعة للصفات، {وما كادوا يفعلون} أنفة من تكليفهم بذبح بقرة، فذبحوها وهم كارهون لذبحها، بحيث كادوا أن لا يذبحوها، ولم يكفهم صعوبة هذا التكليف بزيادة أوصاف البقرة؛ لأنه لم يخرجهم عن كونهم كلفوا ذبح بقرة.
{وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون(٧٢) فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون(٧٣)}
{وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها} تدافعتهم كل يدفع عن نفسه تهمة القتل ويلصقها بغيره.
}

(٦٢/١)

والله مخرج ما كنتم تكتمون} الواو للحال، أي تدارأتم فيها في حال أن الله مخرجما كنتم تكتمون، ويظهر أن قوله: {مخرج} اسم فاعل للتريب العاجل كما مر في قوله تعالى: {يظنون أنهم ملاقوا ربهم}، وقوله تعالى: {ما كنتم تكتمون} يعم قتل القتيل وغيره، كالباعث على قتله، والغرض المقصود هب.
{فقلنا} لكم: {اضربوه} أي القتيل المفهوم من قوله: {قتلتم}، {ببعضها} أي ببعض البقرة بعد ذبحها.
حكى الشرفي في (المصابيح) عن المرتضى عليه السلام أنه قال في البقرة المذكورة: وهذه فهي التي أمر الله سبحانه أن يضرب القتيل ببعضها، وذلك أنه قتل قتيل في بني إسرائيل، فادارأوا فيه واتهم بعضهم بعضا قتله وعظم بينهم الأمر فيه، فأمرهم الله عز وجل أن يضربوه ببعضها، ففعلوا ذلك، فعاش القتيل وأخبرهم بقتاله، فكانت هذه آية عظيمة جليلة في إحياء الله سبحانه له، وقد كان قادرا أن يحييه بضربه عود لو أمرهم لقام مقام البقرة، ولكن الله يفعل ما يشاء، لا معقب لحكمه.
{كذلك يحي الله الموتى} كما أحيي هذا القتيل.
{ويريكم آياته لعلكم تعقلون} يريكم دلائله الدالة على قدرته وعلمه وسائر ما دلت عليه، لعلكم تعقلون ما تدل عليه، وتعلمون وتفهمون، أي وكذلك يريكم الله آياته، فكم آتاهم من آية بينة فكان في أمرهم بذبح البقرة سر لو علموه مل يتعنتوا ذلك التعنت، ولكنهم كانوا لو علموه لاختلفوا، فالبريء يدعوا إلى امتثال الأمر، والقاتل ومن يتعصب له من قريب أو نحوه يمتنعون ويتعللون، فكان لا يحصل ذبحها منهم كلهم، وضرب القتيل ببعضها منهم كلهم، وذلك أنهم شركاء في الذبح بالفعل والرضى، وشركاء في ضرب القتيل ببعضها بالفعل والرضى، فأدى ذلك الذي فعلوه واشتركوا فيه إلى إحياء القتيل وانقطاع

التدارؤ فيه بإخباره بقاتله منهم، بحيث علموا بتلك الآية العظمى أن الله هو الذي أحياه وأنطقه كلهم، واتضح الحق فيه لهم كلهم، وكان المقصود الأعظم أن يريهم الله كيف يحيي الموتى آية لهم زيادة في الحجة على من كفر، وآية لنبيئهم الذي كانت هذه الأوامر من طريقه لنقادوا له ويتركوا التعنت عليه.
{ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون(٧٤)}
{ثم قست قلوبكم من بعد ذلك} المذكور كله من الإحياء للقتيل ما كان فيه من الموعظة لكم والتذكير بإحيائكم بعد موتكم، والدلالة على قدرة الله عليه بما شاهتم، وما تقدم تعديده من النعم والآيات من قوله تعالى: {يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي} إلى هنا.
{ فهي كالحجارة أو أشد قسوة} لأن قلوبكم لا تلين لآية ولا لموعظة ولا تتأثر لتخويف.
}

(٦٣/١)

وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار} لأنها تلين له حتى يخرج منها بقوة وكثرة.
{وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء} تضعف عن التماسك مع ضغط الماء فتشقق له ليخرج منها، أما قلوبكم فلا تلين لتكون مصدرا للخير ولا تتأثر بالمواعظ والآيات لتسمع بأن يخرج منها شيء من الخير خضوعا للحق ورقة.
{وإن منها} أي من الحجارة {لما يهبط} يسقط وينزل {من خشية الله} لضعفه عن الاستمساك في مكانه الذي أذن الله بهبوطه منه حيث لم يبق له ما يحفظه في مكانه ذلك، إما لأنه قد يكون بسبب استمساكه مكانه كان ضعيفا مع ثقله فسقط لغير سبب ظاهر وإما أن سبب استمساكه ،غن كان قويا فلم تكن قوته تكفيه لحفظه عند عارض غالب من رجفة أو مطر، ولما كان سقوطه ونزوله من مكانه يشعر بعجزه عن الاستمساك في مكانه وضعفه عن مخالفة أمر الله فيه وإذنه بهبوطه بما هيأ له من السبب الأصلي أو العارض، قيل فيه {من خشية الله}، إما على المجاز كأنه هبط من خشية الله؛ لأنه انقاد لقائه فيه ذليلا، وإما على الحقيقة إذا كان له حياة مخالفة للحياة المعهودة من حيث أنا لا نرى لها حركة اختيارية، وإنما احتمل الكلام هذا؛ لأنه كلام الله القادر على كل شيء العليم بكل شيء، فهو يعلم ما لا نعلم، وليس في تجويز ذلك فتح لباب الجهالة، إنما ذلك لو جوزنا لها حياة مثل هذه الحياة المعهودة في الحيوان المتحرك بالحركات الاختيارية، فإما حياة مخصوصة خلافها لتعرف الله وتخضع له فلا مانع منها في العقل، ويؤكد هذا قوله: {منها}، ولم يقل: وإنها لتساقط، حتى نقول: المراد أن شأنها ذلك ومن حقها أن تتساقط لو جعل الله لها عقولا وأراها آياته، وقد يكون هذا إشارة إلى الجبل في قوله

تعالى: {فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا}، والظاهر فيه أنه جعله دكا بتجليه له، وفي كلام القاسم عليه السلام في الرد على من زعم أن الله يرى بالأبصار في مجموعه ص٤٠٥: أحدث في الجبل عقلا يدرك به ما يتجلى له، وإن الله تبارك وتعالى أحدث آية فتجلى الله للجبل [بها] وجعلها آية سماوية ولم تكن أرضية، انتهى المراد. قلت: يعنيأن الجبل عرف الله معرفة تامة قوية، فعظم الله وبلغ من تعظيمه أن تقطع وساخ وذهب، فلا مانع من حمل الآية الكريمة على هذا، فهو معنى حقيقي معهود عند السامعين المخاطبين من بني إسرائيل، ومثله ممكن عندهم، فلا حاجة معه إلى صرف الكلام إلى المعنى المجازي.

{وما الله بغافل عما تعملون} فلا بد أن يحاسبكم عليه ويجازيكم.

{أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون(٧٥)}

{أفتطمعون أن يؤمنوا لكم} مع قسوهم هذه.

}

(٦٤/١)

وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون} أنه كلام الله يصنعون ذلك بكلام الله من التوراة التي هي كتابهم لا يتحرجون منه ولا يخافون لقسوة قلوبهم، ومن كان كذلك لا يرجى منه إيمان لكم وقبول منكم.

{وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون(٧٦) أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون(٧٧)}

{وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا} خداعا {وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم} يوم القيامة يحتجون عليكم بما أقررتم به في الدنيا.

{أفلا تعقلون} لأن من شأن العاقل أن لا يعين على نفسه.

{أ} يقولون هذا {ولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون} كما هو اللائق بمن يقول ذلك، فهم حينئذ أحق أن يعاب عليهم وينكر عليهم مخالفة العقول، فإن كانوا يعلمون ذلك فكيف لا يعلمون أنه سواء في علم الله حدثوهم أم لم يحدثوهم حاجوهم به أم لم يحاجوهم به، وأين عقولهم حين ينكرون على أصحابهم التحديث ويعتبرونه مخالفة للعقول، أما إذا أنكروا عليهم التحديث وهم لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون، فهم أجهل وأجهل ممن يعيبون عليهم التحديث.

{ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون(٧٨)}

{ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني} أميون لا يحسنون القراءة ولا الكتابة، فهم جاهلون مبا في الكتاب، وقوله: {إلا أماني} استثناء منقطع؛ لأن الأماني غير معلومة لهم، بدليل قوله تعالى: {وإن هم إلا يظنون} والأمنية ما يرغب فيه ويرجى من الخير، وقد يكون الرجاء صادق، وقد يكون خطأ، وفي شعر محمد بن عبد الله النفس الزكية عليه السلام الذي رواه في أمالي أبي طالب:

متى أرى للحق نورا وقد ... أسلمني ظلم إلى ظلم

أمنية طال عذابي بها ... كأنني فيها أخو حلم

وقد فسر أمانيهم القرآن، قال تعالى: {وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم}، فهؤلاء الذين لا يعلمون الكتاب وإنما يظنون أماني قد اتكلوا على الأماني فأعرضوا عن الدين وعن التعليم وتفرغوا للدنيا.

{فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون(٧٩)}

}

فويل للذين يكتبون الكتاب} من كتبهم التي يكتبون غير كتاب الله {بأيديهم} يشير إلى أنهم ابتدعوه بأيديهم جرأة على الله، {ثم يقولون هذا من عند الله} ليوهموا أنه من التوراة، ونظير هذه قوله تعالى في سورة آل عمران: {وإن منهم لفريقايلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الهل وما هو من عند الله} {ليشتروا به ثمنا قليلا} إما الرشوة وإما ما هم عليه من الثروة بسبب رئاستهم في أهل دينهم، وأما كل ذلك يشترونه بالكذب على الله.

{فويل لهم} وعيد بالعذاب، {مما كتبت أيديهم} من الزور. {وويل لهم مما يكسبون} من الرشا وما يشبهها من الهدايا المحرمة وغيرها.

{وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون(٨٠) بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون(٨١)}

{وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة} منتهية يحصرها العدد.

{قل اتخذتم عند الله عهدا} بذلك {فلن يخلف الله عهده} لأنه أصدق القائلين. {أم تقولون على الله ما لا تعلمون} فقد جمعتم بين باطلين، القول على الله بغير علمن والتمني الباطل الذي يجريكم على الباطل، وهذا هو الواقع؛ لأن الله سبحانه لو كان وعدهم ذلك ما عاب عليهم القول به، وقد حقق هذا

بقوله: {بلى} كلمة نفي لما قالوا به في قولهم: {لن تمسنا النار إلا أياما معدودة}، ثم فصل معنى هذا فقال تعالى: {من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته} لم يكن له من شرها منجأ كقوله تعالى: {جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم} وقوله تعالى: {لتأتنني به إلا أن يحاط بكم} أي تغلبوا وتقهروا ولا تجدوا لإنقاذه سبيلا، فالمعنى لم يكن له ما ينقذه من شر خطيئته من عذر صحيح كالخطأ والنسيان والإكراه أو توبة تمحو السيئة، بل تورط في العذاب سببها.

{فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} باقون فيها لا يموتون سواء كانوا من أهل الكتاب أم من غيرهم.

{والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون(٨٢)}

باقون سواء كانوا من أهل الكتا أم من غيرهم، فالنار والجنة جزاء على الأعمال، والنار جزاء على الأعمال، ولا فرق في ذلك بين أهل الكتاب وغيرهم.

}

وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون(٨٣)}

{و} اذكروا {إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا} أي تحسنون بالوالدين إحسانا، والمعنى ـ فيما أعتقد والله أعلم ـ أن الله أخذ منهم ميثاقا، أي كلاما موثقا مثل أن أقسموا بالله لا يعبدون إلا الله ويحسنون بالوالدين إحسانا.

{وذي القربى} القريب في النسب.

{واليتامى} اليتيم: الصغير الفاقد لأبيه.

{والمساكين} المسكين: الفقير الشديد الحاجة، بحيث يحتاج إلى السؤال، سواء سأل أم لم يسأل، وأما الحديث: ((ليس المسكين هذا الذي ترده اللقمة واللقمتان..)) إلى آخره، فإنه من المجاز كقول الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت من الإحياء

لأن المقصود بالحديث التنبيه والحث على التصدق على المحتاج الذي لا يسأل، وبيان أنه أشد في معنى المسكنة، وليس المقصود تعليم اللغة ولا وضع جديد.

{وقولوا للناس حسنا} أي حسنا بالفتحتين، وفيه مبالغة وصف الكلام بالحسن حتى كأنه حسن، بضم الحاء وسكون السين، أو المقصود الأمر بحسن القول لا القول نفسه، فليس مقصود إلا تبعا للأمر

بالحسن، وفائة هذا ترجيح الصمت، حيث لا يكون المقصود حسن القول، والحسن ضد القبح، فيعم الإحسان الطبيعي الجائز الذي ليس معه وجه قبح، والنصح والأمر بالعمروف والنهي عن المنكر وغير ذلك.

{وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} قد مر تفسيره.

}

(٦٧/١)

ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون} عن أمر الله ونهيه وما أخذ عليكم الميثاق به، والتولي، ضد الإقبال إلى الشيء، وتوليهم هو توليهم عن الله بترك عبادته وإقبالهم إلى الدنيا وترك طاعة الله في أمره ونهيه. قال الشرفي في (المصابيح): قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام: يدل على تحريم الشرك بالله، وعلى وجوب الإحسان إلى الوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين، وعلى أن يقولوا للناس حسنا، من أمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد ضال، وابتداء بالسلام ورده، وتشميت العاطس، واجتناب الفاحش من القول، والسب والمراء، وعلى تحريم التولي والإعراض عما ذكره الله وشرعه في هذه الآية، انتهى. قلت: والفرق بين الوالدين وسائر الناس في هذه الآية أن الأمر بالإحسان إلى الوالدين غير خاص بالقول، وكذا ذو القربى واليتامى والمساكين، فيعم الإحسان إلى الوالدين غير خاص بالقول، وكذا ذو القربى واليتامى والمساكين، فيعم الإحسان ببذل المال وبالأفعال للنفع والدفع، ويفهم منه قبح الإساءة إليهم، وقوله تعالى: {لا تعبدون إلا الله} يدل على تحريم الشرك الأكبر، وعلى تحريم الشرك بالعبادة الذي هو الرياء، وقوله تعالى: {إلا قليلا منكم} دليل على أنه لا يدل على ضعف المذهب قلة القائلين به وأنه قد يكون هو الحق.

{وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون(٨٤)}

{و} اذكروا يا بني إسرائيل {إذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم} لما كانوا جماعة واحدة في نسبها وملتها نسب إلى جملتهم دماء بعضهم وإخراج بعضهم من ديارهم كما ينسب إلى جملة ابدن ما يقع على عضو منه، وفيه إشارة إلى أن ضر البعض ضر للجملة كما يقال في المثل العرفي: القد في الثوب والكسر في الصبح، أي في الساق والله أعلم.

{ثم أقررتم} بهذا الميثاق {وأنتم تشهدون} به على الدوام، لم تنسوه ولم ترجعوا عن الإقرار به.

{ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء

من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون(٨٥)}
}

ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم} ثم أنتم هؤلاء، كلمة احتجاج، وملها واقع في لغتنا، يقول القائل منا لصاحبه محتجا عليه: أنت ذا فعلت كذا وكذا، والمفروض أن لا يقع منك هذا. أو نحو هذا الكلام، ولعل الأصل في هذه الإشارة أنه يؤتى بها للتسجيل على المخاطب بأنه هو يفعل الجريمة كما تقول: أنت يا هذا فعلت هذا كذا وكذا، وقوله: {تقتلون أنفسكم} يفيد تكراره منهم وإصرارهم عليه، فهم باقون عليه في الحال، وهذا أبلغ في التشنيع عليهم، وذكر في (الكشاف) أن قوله: {ثم} استبعاد لما أسند إليهم. قلت: يعني أنه مثل قول الله تعالى: {ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها}.

وقول الشاعر:

ولا يكشف الغماء إلا ابن حرة ... يرى غمرات الموت ثم يزورها

وهو قريب. قال في (المصابيح): قال في (الكشاف): {ثم أنتم هؤلاء} استبعاد لما أسند إليهم، وتشنيع عليهم بما فعلوا من القتل والإجلاء من الدور بعد أخذ المواثيق عليهم، انتهى المراد. وقد سقط من المطبوعة التي عندي كلمة: ((وتشنيع عليهم بما فعلوا)) ومؤلف المصابيح متقدم قبل أربعمائة سنة تقريبا، أي قبل الطبع، وحذف الكلمة مخل، والفريق قسم مفارق لغيره.

{تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان} تظاهرون: تتعاونون، والإثم: الابطل، والعدوان: الظلم، وهكذا أهل الباطل يتعاونون من أجل باطلهم على ظلم أهل الحق، وفي هذه الآية دليل على أن المتعاونين يكونون شركاء في القتل والإخراج من الديار كما في ذبح البقرة؛ لأنه تعالى قال: ((وتقتلون، وتخرجون))، فنسب ذلك كله إليهم.

{وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم} أي أن يأتكم الفريق اسارى تنقذوهم من الأسر بدفع الفدية عملا بحكم التوراة الموجبة عليكم ذلك فتحرجتم من تركهم، ولم تتحرجوا من إخراجهم وهو محرم عليكم إخراجهم.

{أفتؤمنون ببعض الكتاب} حين تفادونهم. {وتكفرون ببعض} فأنتم لا تعملون بحكمه في تحيم إخراجهم من ديارهم، وهذا توبيخ لهم واحتجاج عليهم بإيمانهم ببعض على فرض وقوعه لا إنكار للإيمان كما قدمت في قوله تعالى: {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم}.

{فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا} هوان وافتضاح عقوبة القتل والإخراج، مفادات الأسارى، وليس له جزاء، أي ثواب، غير مقبول، إنما يقبل الله من المتقين.
{ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب} كأنه جعل ردا لأنهم كانوا قبله في عذاب، فردوا إلى العذاب وهو أشد مما كانوا فيه؛ لأنه عذاب النار، وعذابها أشد العذاب، ويحتمل أشد العذاب في جهنم كعذاب آل فرعون لجرائم كبيرة وكثيرة، هذه المذكورة وغيرها كما يفيده قوله تعالى: {وما الله بغافل عما يعملون} على قراءة نافع؛ لأنه راجع إلى من يغفل ذلك، وعلى قراءة حفص {تعلمون} بالمثناة من فوق؛ لأنه شامل لهم، فسيجازيكم عليه كله.
}

(٦٩/١)

أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون(٨٦)}
{أولئك} أهل هذه الجرائم المذكورة في الآية الماضية أو في الايات الماضية في بني إسرائيل كلها، {الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة} لأن الباعث على تلك الجرائم كلها حب الحياة الدنيا الراجح على حب الآخرة، فاختاروا الدنيا على الآخرة، وطلبوا الحياة الدنيا بما هو ترك للدين ورفض له ومحاربة له، فكانوا بذلك قد استبدلوا الحياة الدنيا بالآخرة؛ لأنها لا تنال إلا بالدين وهم قد اشتروا الدنيا بالدين، ويظهر أنهم حين كانوا يقتلون بعضا منهم ويخرجون بعضا من ديارهم كانت هناك لهم سلطة، فمن تولاها أمن على حياته، ومن باين تلك السلطة لجورها وفسادها في الأرض خاف على حياته، فكان أكثرهم يميل مع السلطة حبا للحياة وحبا لأغراضها تبعا لحبها، فيعين السلطة لذلك على الظلم، فما كان من السلطان من قتل لأخيارهم وتشريد فهم شركاء فيه، وكانوا به قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، وهكذا يفعل جماهير هذه الأمة ليطمئنوا على حياتهم فينقادوا للظلمة حتى يصيروا معاونين لهم على الظلم وحتى يصيروا مشاركين لهم فيما فعلوا من قتل أولياء الله وتشريدهم، والسبب الأول فيه حب الحياة الدنيا وكونه أرجح من حب الآخرة بحيث اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة.
{فلا يخفف عنهم العذاب} الذي هو أشد العذاب، بل يبقى على شدته أبدا.
{ولا هم ينصرون} كما يمنون أنفسهم شفاعة أنبيائهم لهم.
{ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون(٨٧)}
{ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا} اتبعنا {من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات} الآيات الواضحة الدالة على أنه رسول الله إليكم.

{وأيدناه بروح القدس} قويناه بجبريل عليه السلام الذي هو روح الطهارة من القبائح العصمة، والواجب الاهتداء بهم، ولكن ما زادوهم إلا نفورا، فهم يكفرون ببعضهم ويقتلون بعضهم، فأنكر الله ذلك عليهم بقوله تعالى: {أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم} أنفتم من الخضوع للحق.

{ففريقا} من الرسل {كذبتم} تبريرا لخلافهم واتباعمك لأهوائكم. {وفريقا تقتلون} محاربة للحق ونصرا لباطلكم، فأنتم مصرون على هذه الجرائم إلى الآن حيث تكفرون برسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم استكبارا وأنفة أن يكون الرسول من بني إسماعيل وأنفة من اتباعه.

{وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون(٨٨)}

}

(٧٠/١)

وقالوا قلوبنا غلف} علهيا أخبية تغطيها فلا تفهم القرآن، وهذا كقول قوم شعيب: {ما نفقه كثيرا مما تقول}.

{بل لعنهم الله} طردهم من رحمته بأن سلبهم التوفيق، وخذلهم كما في آية سورة المائدة: {بل طبع الله عليها}. {بكفرهم} فهو كقوله تعالى: {فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم}.

{فقليلا ما يؤمنون}، وقلة إيمانهم إما لقلة ما يؤمنون به فهم لا يؤمنون إلا ببعض ما في التوراة، وهو ما وافق أهواءهم، وإما لقصر مدته، ففي كلام أمير المؤمنين عليه السلام: ((فمن الإيمان ما يكون ثابتا مستقرا، ومنه ما يكون عواري بين الصدور والقلوب))، أو كما قال.

{ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين(٨٩)}

{ولما جاءهم كتاب من عند الله} وهو القرآن {مصدق لما معهم} من كتب الله.

{وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا} كانوا يدعون الله على الذين كفروا أن يفتح بينهم وبين الذين كفروا، أي يفصل بينهم بحكم من عنده، وهذا الفصل إما بالنصر عليهم وإما بالحجة القاطعة للخلاف.

{فلما جاءهم ما عرفوا} بالدليل الذي يبين أنه الحق، وبموافقته الصفات الموجودة عندهم، فليس أمرا مستغربا بحيث تنكر نفوسهم.

{كفروا به} وصاروا كالذين كفروا من قبل الذين كانوا يستفتحون عليهم، وجحدوا الفح الذي كانوا يطلبونه من قبل؛ لأن القرآن والرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما جعل الله من النصر على الذين كفروا كل ذلك فتح بالنصر وبالحجة القاطعة للخلاف كما قال تعالى: {لم يكن الذين كفروا من أهل

الكتاب والمشركين منفكين..} إلى قوله تعالى: {فيها كتب قيمة}.
{ فلعنة الله على الكافرين} المذكورين أو المذكورين وسائر الكافرين، وهذه الجملة الاسمية أعظم مما لو قيل: فلعن الله؛ لأن الجملة الاسمية تدل على ثبات اللغة واستمرارها، والأقرب أن المراد بالكافرين المذكورين من أهل الكتبا وأن اللعنة هنا بمعنى اللعنة في قوله تعالى: {بل لعنهم الله بكفرهم}.
{بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين(٩٠)}
}

(٧١/١)

بئسما اشتروا به أنفسهم} بئس: كلمة ذم، ضد نعم في المدح، واشتراء النفس الممدوح تقوى الله التي تنقذها من النار، فاشتراء النفس إنقاذها من النار بالثمن الذي هو تقوى الله كما في الحديث: ((الناس غاديان، فمشتر نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها، فلما كان هذا الإشتراء هو الذي ينبغي لكل عاقل وهو الإشتراء الممدوح سمي كفرهم بآيات الله الذي جعلوه بدل الإيمان والتقوى سمي اشتراء على طريق المشاكلة التقديرية، ولكن جعل اشتراء مذموما؛ لأنه لا ينقذهم من النار، بل يوقعهم في النار ويخلدون فيها بسببه.
{أن يكفروا بما أنزل الله} هذا الذي اشتروا به أنفسهم المذموم.
{بغيا} محاربة لله ورسوله؛ كراهة {أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده} من بني إسماعيل أو غيرهم، والمنزل من فضل الله هنا الكتاب والحكمة، كرهوا إنزال الله لها عل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كرهوا أن يكون إنزاله على من يشاء هو كما قال الشاعر:
ألا قل لمن كان لي حاسدا ... أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه( ) ... لأنك لم ترض لي ما وهب
فالكفر مذموم وحده، فإذا إنضاف إلى ذلك أنه بغي من حيث أنهم كفروا ليقتدى بهم ويضعف الإسلام بكفرهم وإنضاف إلى ذلك ـ أيضا ـ أنه حسد كان هذا الكفر يستحق الذم المضاعف.
{فباءوا بغضب على غضب} فاحتملوا ورجعوا بغضب من الله على غضب لتعدد الأسباب، وأعتقد أن هذه ـ أيضا ـ مشاكلة تقديرية؛ لأن الإنسان يبوء إلى بيته بما يكسب لنفسه وعياله من الرزق، وهؤلاء رجعوا حاملين غضبا على غضب، والغضب ما وقع عليهم من اللعنات والخزي في الدنيا.
{وللكافرين عذاب مهين} في الآخرة، فإذا مات هؤلاء كافرين كان لهم عذاب مهين، وفائدة هذا التعليق على الكفر وامتثاله من التعليق أن لا يتوهم أن الوعيد على الأشخاص الذين كان الكلام فيهم،

ولو تابوا وآمنوا ونظره في سورة النساء: {فبظلم من الذينهادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم..} إلى قوله تعالى: {وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما}، ومعنى أن العذاب مهين: أن الله يهينهم به؛ لأنه إهانة من حيث أنه عذاب جزاء بما عملوا، وإهانة بما فيه من ضروب الإهانة كإطعامهم الزقوم وسقيهم الصديد وإرجاعهم إلى أمكنتهم منها كلما حاولوا الخروج، وقوله تعالى: {اخسأوا فيها ولا تكلمون} وسحبهم في النار على وجوههم نعوذ بالله.

{وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين(٩١)}

{وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله} لأن الله أنزله والحكم له لأنه ربكم، فالواجب عليكم الإيمان به؛ لنه أنزله الله.

}

(٧٢/١)

قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم} وهذا منهم تحكم على الله، إذ ليس لهم حق أن لا يؤمنوا إلا بما أنزل عليهم، فيؤمنوا به؛ لأنه أنزل عليهم، أما غيره مما أنزله الله فيكفرون به وهو الحق مصدقا لما معهم، فيكفرون به؛ لأنه ينزل عليهم مع أن دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم دعوى تكذبها أفعالهم كما حققه قوله تعالى: {قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين}؛ لأن المؤمنين لا يقتل مؤمنا متعمدا كما قال تعالى: {وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ، فكيف إن كان المؤمن نبيئا من أنبياء الله الذين وجب الإيمان بهم وبما أوتوا.

{ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون(٩٢) وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين(٩٣)}

{ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده} حين غاب عنكم {وأنتم ظالمون} لأن الشرك ظلم عظيم.

{و} اذكروا {إذ أخذنا ميثاقكم} على اعتباع ما أنمزل إليكم.

{ورفعنا فوقكم الطور} آية عظيمة قائلين لكم {خذوا ما آتيناكم} التوراة وغيرها {بقوة} بجد وعيمة وصبر {واسمعوا} ما في الكتاب وغيره سماع طاعة وانقياد.

{قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم} حب {العجل} وذكره كما قال الشاعر

أنتم خلول فؤادي وهو بيتكم

{بكفرهم} أي بسبب كفرهم خذلوا، فصار في قلوبهم، وقد جعل عرض العجل أو حبه عليهم الذي ترتب عليه قبولهم له شبه السقي لهم إذا سقوا شرابا فشربوه لا لهم تقبلوه بسهولة وسرعة كما يتقبل الشارب ما يشربه فكأنهم أشربوا العجل إذ عرض لهم هو أو حبه فجعلوه في قلوبهم.
{قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين} لأن الإيمان بما أنزل الله يبعث على اتباعه والحذر من مخالفته كما قال تعالى: {ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك ومأأنزل من قبلك} يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أمروا أن يكفروا به إلى قوله تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك..} إلأى قوله تعالى: {ويسلموا تسليما}، وهذا تهكم بهم في دعواهم الإيمان كأن يقول: {إن كنتم مؤمنين} فإيمانكم يأمركم بقتل الأنبياء، وقولكم: {سمعنا وعصينا} وعبادة العجل والإصرار عليها {فبئسما يأمركم به إيمانكم}، وما هكذا الإيمان؛ لأنه يدعو إلى عبادة الله وحده والسمع والطاعة وترك قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق. والمقصود أن دعواكم الإيمان تكذبها أفعالكم الخبيثة.
}

(٧٣/١)

قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين(٩٤)}
الدار الآخرة الجنة التي عرضها السموات والأرض وعند الله معدة لكم عند وخالصة سالمة، فهي لكم كلها من دون الناس سبقتم الناس إليها فأنتم بالنسبة إليها من دون الناس فيما بينها وبين الناس كقول الشاعر يصف شرابا صافيا:
تريك القذا من دونها وهي دونه
وأحسن من هذا قول الله تعالى: {فاتخذت من دونهم حجابا}، وقوله تعالى: {لم نجعل لهم من دونها سترا} وقوله تعالى: {وجد من ذونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا}، وقوله: {فتمنوا الموت}؛ لأن من علم أن الجنة له لا يبالي بفراق الدنيا ويكون شوقه إلى الجنة أقوى من حب الدنيا لقلة لذات الدنيا واقترانها بالمنغصات والمتاعب وعظم لذات الجنة وخلوصها من المنغصات والمتاعب والأمن فيها من كل شر، فكيف لا يعجل عليها الإنسان الذي من طبعه العجل، ويتمنى الموت ليخرج من هذه الدنيا ويصير في الجنة، وقوله: {إن كنتم صادقين} في دعواكم، حيث تزعمون أن الجنة لكم خالصة من دون الناس في قولكم: {لن يدل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى}.
{ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين(٩٥)}
{ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم} لن تمنوا الموت أبدا، وذلك لعلمهم بجرائمهم التي اكتسبوها، فغذا ماتوا صاروا إلى النار من أجلها.

{والله عليم بالظالمين}، فهو يعلم ما يبدون وما يكتمون ويعلم ما قد وقع منهم من الظلم الموجب للنار، وهذه الآية معجزة؛ لأنها خبر قاطع أنهم لن يتمنوه أبدا، وكان ذلك صدقا لم يتمنوه، وهو خبر غيب مع أنهم مظنة أن يحملهم الجدل وحب تكذيب القرآن والرسول أن يتمنوا الموت؛ لأنها كلمة سهلة على اللسان، وليس الموت في العادة تبعا للتمني، فقد يتمنى الإنسان الموت ولا يموت؛ لأن في أجله بقية فلا بد أن باعثهم على التمني كان قويا جدا، فلما لم يتمنوا دل ذلك على أنهم يعلمون أن هذا كلام الله وأنه ينذر بعذاب عاجل كالمسخ أو الخسف مما يكشف زيغهم بالتمني، ودل ذلك على أن هذا كلام الله علام الغيوب، ولو كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم تقوله ما تجرأ على أن يتحداهم بتمني الموت؛ لأنه لا يامن حينئذ أن يتمنوا الموت فيكذبوه، وتكون لهم حجة عليه، فهذه معجزة أخرى، هذا كله لأنهم لم يتمنوا الموت؛ لأنهم لو تمنوه شتهر لتوفر دواعي الكفار والمنافقين إلى نقهل على كثرتهم لو كان.

{ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون(٩٦)}

}

(٧٤/١)

ولتجدنهم أحرص الناس على حياة} لفرط حبهم للدنيا واعتقادهم أنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب الذي قد استحقوه بالكفر وغيره، والحرص شدة الرغبة وشدة طلب النفس للشيء، فهو من المعاني النفسية، وهو يبعث على شدة طلب الشيء، فلذلك يقال لمن اشتد طلبه للشيء: إنك لحريص على هذا، وذلك لأن شدة الطلب دليل على الحرص، ووالحرص قد يكون على ما يمكن طلبه كالمال، وعلى ما لا يمكن طلبه كالحياة في بعض الأحوال، وقد يكون محمودا كالحرص على صلاح الناس والحرص على بقاء الصالحين، قال تعالى: {حريص عليكم}، وقد يكون مذموما كالحرص على الحياة للتمتع بما تهواه النفس فيها لا لغرض ديني، وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي رواه أبو طالب في (الأمالي) في ذكر الرزق ص٢٩٢، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ((عليكم يا علي باليأس عما في أيدي الناس، فإنه الغني الحاضر))، فقلت: زدني يا رسول الله، فقال: ((يا علي إياك والطمع فإن الرزق لا يجره حرص حريص ولا يصرفه كراهة كاره)) انتهى. فقابل الحرص بالكراهة، وأما قوله: ((فغنه الغنى)) فالمراد أن اليأس يؤدي إلى القناعة، وقد قال عليه السلام ـ كما في نهج البلاغة ـ: ((القناعة مال لا ينفد))، فلذلك جعل اليأس الغنى، أو لأن اليأس عما في أيدي الناس يذهب الطمع فيما في أيديهم ويوجب القناعة عما في أيدهم، وذلك

يوجب الغنى عما في أيديهم، وهو المهم من الغنى، فأما الفقر إلى الله فهو محمود، وليس هذا مقابلة بين اليأس والطمع، بل كل واحد في كلام مستقل بدليل قوله: ((زدني)) فقد ظهر من هذه الجملة أن الحرص شدة الرغبة، وقد فسروه بشدة الطلب، ولا ينبغي أن يكون المراد به إلا طلب النفس، أي شدة طلب النفس، ويؤكد هذا إن صاحب (الكشاف) والشرفي في (المصابيح) قالا في قوله تعالى {يود أحدهم لو يعمر ألف سنة} هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف، انتهى. قال الشرفي في (المصابيح): أي يحب أحدهم أن يعيش ألف سنة، فظهر أن الحرص هو شدة الرغبة، وأما قوله تعالى: {على حياة}، فالتنكير فيه؛ لأن المقصود على حياة في المستقبل، ولو قليلا منها يعيشون فهم يحرصون على أي حياة، ولو ساعة يحيون، ولم يناسب أن يقول: على الحياة؛ لأنهم فهيا، وليس المقصود حرصهم على الموجود، بل المقصود حرصهم على المفقود في الحال، وهوالحياة في المستقبل، فإذا عاض اليوم فهو حريص على حياته في غد وحريص على أن يحيى فيما بعد حتى أنه عند اقتراب موته وظنه أن قد قرب فراقه للحياة يحرص على حياة يبقى فيهان ولو قلت ولو كان في شدة المرض وحين يرغب الإنسان في التخلص من شدة المرض وطوله، ولو بالموت، فهؤلاء على خلاف ذلك لا يزالون راغبين في الحياة والبقاء كارهين للموت. {ومن الذين كفروا} فهم أحرص من الذين كفروا بالله وايوم الآخر من مشركي قريش. {

(٧٥/١)

يود أحدهم لو يعمر ألف سنة}، وبيان تلك الجملة بهذه يبين أن المقصود حرصهم على حياة في المستقبل، ولو كان المقصو حرصهم على الحياة الموجودة لكان بيانه بذكر شدة حذرهم من أسباب فراقها، فالحرص على حياة في المستقبل يرجونها بطول آمالهم وحياة في المستقبل لا يرجون بلوغها؛ لأنها أبعد من المأمول، فقد ظهرت فائدة التنكير لأنهم يحرصون على حياة لا يبلغونها، وهي غير الحياة التي هم فيها وهي المقصودة في هذا الذم أصالة، ويتبعها في الذم حرصهم على ما لا يعلمون أنهم يبلغونه؛ لأنهم يحرصون عليه سواء كانوا يبلغونه أم لا، فهم يحرصون عليهن ولو كانوا في الواقع لا يبلغونه، والحاصل أنهم أحرص الناس على حياة زائدة على الحياة التي هم فيها، ولو كانت زائدة على المكتوبة لهم، بل وعلى الحياة الزائدة على الحياة المكتوبة لهم، ولذلك يود أحدهم لو يعمر ألف سنة. {وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر} هو ضمير عائد إلى أحدهم، أي ما أحدهم هذا الذي لو يعمر ألف سنة ما هو بمزحزحه من لالعذاب أن يعمر، وقوله: {أن يعمر} فاعل مزحزح، ونظير هذا قوله تعالى: {وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله}، وفي هذا تأكيد لوعيده بالعذاب وبيان أنه لا بد له منه سواء عمر أم لم يعمر، وتجهيل له حيث يرغب في طول الحياة فرارا من العذاب، أي عذاب نار جهنم

وطول الحياة لا ينجيه من العذاب بل لا بد له منه، وفي قوله تعالىك روما هو بمزحزحه من العذاب} بـ ((من)) الابتدائية، تشبيه له في الحال بنفسه حين يكون في العذاب كأنه يقول: لا بد له من العذاب حتى كأنه الآن قد صار فيه، وهو لا يزحزحه منه أي لا ينجيه منه ويباعده أن يعمر، والزحزحة فيها معى التنحية ـ بالحاء المهملة ـ والإبعاد، فلا تنحية ولا إبعاد.
{والله بصير بما يعملون} فلا يعيى بجزاءه، وفي قوله: {يعلمون} دلالة على استمرارهم في أباطيلهم.
{قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين(٩٧)}

أي قل يا محمد لأهل الكتاب؛ لأن السياق فيهم أو لأهل الكتاب وغيرهم؛ لأنك رسول إلى الناس جميعا. قال الشرفي في (المصابيح): اعلم أنه لا بد من سبب وأمر قد ظهر من اليهود حتى يأمره تعالى بأن يخاطبهم، والمفسرون ذكروا أمورا ولنكتف هاهنا بما ذكره المرتضى عليه السلام حيث قال: فإن اليهود لما سألت محمدا صلى الله عليه وآله وسلم من الذي ينزل عليكم بالوحي؟ فقال لهم: ((جبريل عليه السلام)). فقالوا: عليه لعنة الله، فنحن أعداء جبريل، فهو عدونا؛ لأنه ينزل عليك بإبطال أمرنا، وهذا أعداء الخلق لنا، فانزل الله عز وجل: {من كان عدوا لله..} إلى قوله: {فإن الله عدو للكافرين}، فغنما هو مهلك لهم ومخز ومعاقب، انتهى المراد، فقوله: {من كان عدوا لجبريل} يشير إلى الذين عادوه من أهل الكتاب، وقوله تعالى: {فإنه نزله} أي فإن جبريل نزل هذا القرآن على قلبك، وقد تكرر قوله: {على قلبك}، فوقع هنا، وفي سورة الشعراء: فكأنه عليه السلام كان يوصله إلى قلبه صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة ويقوم مقام حاسة السمع التي توسل الكلام إلى القلب. {بإذن الله} فهو الحق الذي ليس لكم أن تردوه بعلة عداوتكم للرسول الذي نزله؛ لأنه لو كان باطلا ما أذن الله بإنزاله.
{مصدقا لما بين يديه} من كتب الله التوراة وغيرها، فلا عذر لكم في رده. {وهدى وبشرى للمؤمنين} فهو النعمة العظمى التي يجب أن تقبل وتشكر، فكيف تردوا الهدى الذي فيه سعادتكم إن هديتم، والبشرى لمك بالجنة إن آمنتم اعتلالا بعداوتكم للرسول الذي نزل به، وكيف عاديتموه، وإنما جاء بإذن الله بالهدى والبشرى للمؤمنين.
{من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين(٩٨)}
قال الشرفي في (المصابيح) حاكيا عن المرتضى عليه السلام: ومعنى: عدو لميكائيل فإنهم سألوه من أين يأتي جبريل بالوحي؟ فقال: ((من ميكائيل))، فقالواك ميكائيل ـ أيضا ـ عدونا، انتهى المراد. وهذه الآية تبين أن اليهود الذين اتخذوا جبريل عدوا ليسوا أعداء له وحده بل هم اعداء لله وملائكته كلهم

ورسله كلهم وجبريل وميكائيل، وليس المراد بهذا السياق الإخبار بهذا، بل المراد الوعيد على هذه العداوة، وأفاد أنهم كذلك إن لم يتوبوا، وفائدة هذا التعليق أن لا يوهم أن الله عدو لهم ولو تابوا، وأكد هذا بتعليق العداوة عداوة الله هلم على الكفر حيث قال: {عدو للكافرين} ولم يقل: عدو لهم، وفيه فائدة عموم سائر الكافرين.

{ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون(٩٩)}

{ولقد أنزلنا إليك} يا محمد {آيات بينات} في دلالتها على صدقك، وإن الحق معك، وعلى إبطال المكذبين لك، وتهدي إلى الحق وإلى طريق مستقمي.

}

(٧٧/١)

وما يكفر بها إلا الفاسقون} الخبثة الفاجرون أهل الجرأة على الباطل والممارسة للقبائح؛ لأن الآيات بينات لا يجحدها منصب وجحدها قبيح جدا من حيث أهميتها من حيث أنها تهدي إلى طريق السعادة للناس كافة، ونجاتهم من عذاب الله فهي خير عظيم عام للبشر، ومدافعتها شر عام عظيم.

{أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون(١٠٠)}

فلذلك يتجرؤون على نقض العهود، وقد كان من عهدهم الإيمان برسل الله، فكفروا برسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبعضهم كفر بعيسى عليه السلام؛ لأن عادتهم وطريقتهم ترك الإيمان، والسياق في الكفار من بني إسرائيل.

{ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون(١٠١)}

{ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم} وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصدق للتوراة، وما معهم منها ومن كتب الله.

{نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب} علموا التوراة وما فيها من صفات الرسول وأخذ الميثاق عليهم بالإيمان برسل الله فنبذوا {كتاب الله} الذي هو التوراة، وذلك كبير جدا؛ لأن من نبذ كتاب الأ/ير في بلده يعد مسيئا في حقه يستحق العقوبة، فكيف بمن نبذ كتاب ملك الملوك الذي يدعو عباده إلى رحمته وإلى أسباب كرامتهم ونجاتهم من العذاب المهين.

{وراء ظهورهم} وهذا أقبح النبذ والتمرد أن يلقوه وراء ظهورهم فرضا له واستخفافا به.

{كأنهم لا يعلمون} شيئا من العلم كأنهم لا يعلمون من وعد الله ووعيده ما يردع عن التمرد، وكأنهم لا يعلمون من عظمة الله ورقابته عليهم ما يخفهم من عذابه كأنهم لا يعلمون كما لا تعلم الأنعام.

{واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون(١٠٢)
}

(٧٨/١)

واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان} الواو عاطفة لما بعدها على قوله تعالى: {نبذوا}، فأفادت أنهم جمعوا بين الإثمين، نبذ كتاب الله واتباع ما تتلوا الشياطين، لارتكاب جريمة السحر وتلاوة الشيطان تكلمهم وقراءتهم التي بها يعلمون السحر، وقوله: {على ملك سليمان} أنهم يتلون السحر عليه ليوهموا أنه إنما تم الملك لسليمان به وأن سليمان لما عمل به حصل به ملكه.

{وما كفر سليمان} ما عمل السحر كما أوهمت الشياطين.

{ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر} حكى الشرفي في (المصابيح) عن القاسم عليه السلام أنه قال: السحر أمر لا يواتى أهله إلا بعظم من الكفر، انتهى. هكذا في النسخة، ولعل الأصل بعظيم من الكفر، ولعل القاسم عليه السلام أخذه من هذه الآية، وأراد عليه السلام أن الشياطين في حال تعليمهم الناس يكفرون ليواتيهم السحر ويصحل به ما أرادوا به، فظهر أنهم يحتاجون إلى الكفر لهذا الغرض؛ لأن السحر إنما يتقبله الناس عنهم إذا شاهدوا تجزئته.

{وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت} نفي لمفسدة من مفاسد السحر عطف على نفي المفسدة الأولى، أي عطف على قوله: {وما كفر سليمان}، والملكين: اسم لرجلين كانا ببابل، سميا به لاعتقاد الناس فيهم الفضل الكبير وظنهم أنهما في فضلهما بمنزلة الملكين، وذلك لما يجري على أيدهما من الخوارق في اعتقادهم فجدعلوهما ملكين كما قالت النسوة في يوسف عليه السلام: {إن هذا إلا ملك كريم}، فبين الله تعالى أن ذلك ليس منزلا من عند الله تكون به الخوارق، وإنما هو سحر تعلماه من الشياطين، أو أن اليهود كانت تدعي أن الله أنزل السحر على الملكين ليوهموا أن الله يرضاه وأنه ليس كفرا، فرد الله قولهم هذا إذا كانت ما نافية، وهو الأظهر، والموافق لتفسير المرتضى عليه السلام الذي حكاه الشرفي في (المصابيح)، وأما قول بعض المفسرين: أنها موصولة، فهو بعيد؛ لأن السياق في ذم اليهود باتباع تعليم السحر، وعلى فرض أنها موسولة يصير المعنى: واتبعوا ما أنزل الله، وهذا العبير في الذم بعيد، وصار اسمها ملكين لكثرة استعماله فيها.

{وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر} فهما يعترفان بأن السحر كفر أو لا يتم إلا بالكفر، ولعل اعترافهما لغرضين: الأول: أن ينزها أنفسهما بقولهما: {إنما نحن فتنة}، ويوهما أنهما غير كافرين، وإنما يعلمان الناس بإذن الله فتنة، وهذا ليستبقيا عقيدة الناس فيهم. الغرض الثاني: أن يتم السحر لمن يتعلمه منهما بكفره جرأة وقصدا للكفر ليتم له السحر الذي تعلمه منهما إكمالا منهما للتعليم، ومعنى هذا قد روي عن القاسم عليه السلام ولعلها كانا بجهلهما يظنان أن نهيهما عن الكفر قد أخرجهما من عهدته، وأن الإثم على المتعلم منهما وحده دونهما؛ لأنهما قد نهياه، فيكون هذا غرضا ثالثا، والله اعلم. المهم أن يتعلمونه ويتقبلونه ويعلمون به بعد تعريفهم أنه كفر..

}

فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه} وهذه جريمة عظمى ينضاف فيها إلى كفرهم ظلم الزوجين وما أكثر ما يصيب الناس هذا العدوانن وما أشده على الزوجين.

{وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله} أي بإذنه بوقوع الضرر لا بإيقاعه، أي بإرادته التخلية بينهم وبينه وتمكينهم منه؛ ابتلاء للمضلوم وفتنة للاضلم أو بغذنه أي بتخليته وتمكينه، وهو قادر على منعهم غير غافل عما يعلمون.

{ويتعلمون} أي هؤلاء المتعلمون للسحر من أهل الكتاب لظنهم أنهم ينفعون به بما ينالون هب من المال، والواقع أنهم يتعلمون.

{ما يضرهم ولا ينفعهم} لأنه سبب لعذابهم وفساد عليهم في دينهم ولا يحصل به غرضهم من الثروة ووفور المال، بل يكونون مع استعماله كما لو لم يستعملوه أو أسوأ حالا، وإذا كان معنى يضرهم بالنسبة إلى غرضهم من الحسر الذي هو المال فهو دليل على ان السحر شؤم عليهم ونقص من أرزاقهم؛ لأن بعض المعاصي تنقص الرزق، فهو يضرهم في معاشهم ولا ينفعهم والأظهر يضرهم في آخرتهم ... دنياهم .. بهم، ولا ينفعهم في دنياهم.

{ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق} أي نصيب، فقد علموا أنه يفوت علهيم الثواب ولا ينالون في الآخرة، أي نصيب وعلمهم بذلك من التوراة أو غيرها من كتب الله، ومعنى اشتراه: استبدله بدينه، وهذه جرأة على معصية الله عظيمة وسوء نظر لأنفسهم.

{ولبئس ما شروا به أنفسهم}، بئس: كلمة ذم، واللام تأكيد للذم، وما شروا به أنفسهم: ما باعوا به أنفسهم؛ لأن في السحر هلاكهم وعذابهم الدائم الذي فيه يخسرون أنفسهم، فقد باعوها بالسحر.

}

لو كانوا يعلمون} أنهم بئس ما باعوا به أنفسهم فينقذونها من الهلكة بالتوبة من السحر والرجوع إلى الله، وهذا كقوله تعالى: ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون}، والمعنى لو كانوا يعلمون لانتفعوا بهذا التحذير والإنذار، وعدم علمهم بما أخبر الله به في هذا القرآن لغفلتهم وإعراضهم عن آيات الله واشتغالهم بالدنيا وكثرة ذنوبهم، فلم يعلموا أن السحر الذي باعوا به أنفسهم ذميما، أي ذميم. وقد يشكل قوله تعالى: {ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق}، مع قوله: {لو كانوا يعلمون}، والجواب: أن قوله: {لو كانوا يعلمون} معناه لو كانوا يعلمون أن السحر ذميم، أي ذميم، وذلك لأنهم لا يعبرونه ذميما؛ لأن الشيطان قد زينه لهم مع حرصهم على المال الذي يحصل لهم به، وحبهم له من أجل المال ينسيهم عيبه، فلا يعتبرونه ذميما لعظم فائدته في اعتقادهم، فاختلف المثبت والمنفي، وكذلك يشكل قوله تعالى: {ولقد علموا لمن اشتراه} مع قوله تعالك {وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة}، والجواب: أن المتبعين للسحر بعضهم، فما كل أهل الكتاب يعلمونه، والذين يتبعونه يعلمون أن من اشتراه ماله في الآخرة من خلاق، والذين يعتقدون أنها لن تمسهم النار إلا أيما معدودة هم غير مرتكبي جريمة السحر مع أن من الجائز عليهم أن يقولوا: {لن تمسنا النار} وهم ـ أعني مرتكبي السحر ـ يعلمون أنهم في قولهم هذا كاذبون مع أن القائلين لن تمسنا النار إلا أيما المذكورين فيما مر، يمكن أنهم الذين يكتبون الكتاب بأيدهم؛ لأن قوله تعالى: {وقالوا لن تمسنا} بعد قوله تعالى: {فويل للذين يكتبون الكتاب} فيمكن أنهم هم القائلون: {لن تمسنا النار}، وعلى هذا فوظيفة بعضهم التزوير وبعضهم السحر، وأهل التزوير يقولون: {لن تمسنا النار إلا أيما معدودة}، وأهل السحر {قد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من نصيب} أو كلهم يعلمون ذلك، والقائلون: {لن تمسنا النار} هم الذين {يكتبون الكتاب بأيدهم ثم يقولون هذا من عند الله} وقالوا ـ هم ـ: {لن تمسنا النار} يعنون أنفسهم لا كل أهل الكتاب على اختلافهم في الجرائم، فلا إشكال.

{ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون(١٠٣)}

{ولو أنهم آمنوا} الإيمان الذي أمروا به. {واتقوا} ربهم بأن تابوا من جرائمهم واجتنبوا المعاصي من وقت التوبة.

{لمثوبة من عند الله} ثواب من عند الله وهو الجنة. {خير} مما هم فيه من السحر والكسب الحرام. {لو كانوا يعلمون} والأصل لو كانوا يعلمون لاختاروا ما هو خير لهم الذي هو افيمان والتقوى، أو لعلموا أنه خير لهم، ولكنهم لكفرهم وغفلتهم وإقبالهم على الدنيا كأنهم لا يعلمون شيئا إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل.

{يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم(١٠٤)}
}

(٨١/١)

يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا} راعنا: راقبنا، أي لظنا ولا تغفل عنا وانظرنا، أما انتظرنا حتى نفهم ما تقول أو انظر إلينا نظر الرحمة بحسن الرعاية لنا عند حضورنا لديك، فامروا بترك كلمة راعنا إما لأنها تشير إلى الغفلة وتجري مجرى انتبه لنا، وهي قلة أدب، وإما لسد ذريعة اليهود الذين كانوا يقولونها لغرض فاسد كما يدل عليه قوله تعالى في سورة النساء: {ليا بألسنتهم وطعنا في الدين}، وإما للأمرين معا.

{واسمعوا} ما يبلغه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليكم سماع قبول وطاعة.

{وللكافرين} اليهود الذين يقولون: {سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا} وسائر الكافرين.

{عذاب أليم} وهو عذاب النار أو هو عذاب النار عذاب القبور وعذاب الدنيا بالمصائب العاجلة كما قال تعالى: {ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون}، وقال تعالى: {وللذين ظلموا عذابا دن ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون} أي فيما بينهم الآن، وبين عذاب يوم القيامة، والأظهر أنه العذاب الذي سيعذبون به كله.

{ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم(١٠٥)}

{ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين} الذين ليس لهم كتاب فوصفهم المعرف لهم أنهم المشركون حيث لا ملة لهم يعرفون بها غير الشرك ولا كتاب يختصون به وينتمون إليه، فوصفهم المعرف لهم المشركون، ولا ينافي هذا أن أهل الكتاب الكافرين أو أكثرهم مشركون؛ لأنه تعالى قد بين شركهم في سورة التوبة، وإنما المقصود أن يعم الفريقين بوضوح.

{أن ينزل عليكم من خير من ربكم} بل هم كارهون لذلك؛ لأنهم يحسدونكم.

{والله يختص برحمته من يشاء} ولا يصرفها كراهة كاره؛ لأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

{والله ذو الفضل العظيم} فهو يؤتي فضله من يشاء، ولذلك أورث القرآن الذين اصطفى من عباده وصير فيهم النبوءة والكتاب بعدما كانت في بني إسرائيل، وجعل محمدا رسولا وأنزل عليه الكتاب.

{ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير(١٠٦)}

{ما ننسخ من آية} بنسخ حكمها {أو ننسها} إما من النسيان على سبيل الفرض والتقدير كقوله تعالى:

{فلا تنسى إلا ما شاء الله}، وأما من النسيئة أي نؤخرها لحكمة تقتضي تأخير إنزالها.
}

(٨٢/١)

نأت بخير منها} أصلح منها بالنسبة لوقت نزول الأصلح، فالناسخة خير بالنسبة لوقت حكم النسخ لا بالنسبة لما قبل النسخ؛ لأن الخير فيما تقتضيه الحكمة من اناسخ في وقته والمنسوخ قبل نسخه، وكذلك قوله: {أو ننسها} على فرض النسيان، يكون البدل خيرا من المنسي، وعلى معنى النسيئة يعجل ما هو خير من المؤجل قبل وقت إنزال المؤجل، والحاصل أن الخير فيما أنزل الله، وليس لأحد أن يعترض؛ لأنه كلام أحكم الحاكمين.

{ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير}، فهو ينزل ما يشاء.

{ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير(١٠٧) أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل(١٠٨)}

{ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض} فهو يحكم ما يريد؛ لأن الحكم له في عباده.

{وما لكم من دون الله من ولي} يتولاكم بالنعم والألطاف وحسن الرعاية. {ولا نصير} ينقذمك من عذابه، إن أراد أن يغنيمك، ولعل الخطاب لنبي إسرائيل، بدليل ما قبلها وما بعدها، وهو رد على من أنكر النسخ منهم.

{أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل} حين قال له قومه: {لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة}.

{ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل} غوي الطريق السوي وهو طريق الحق والسلامة والكرامة، وتبدل الكفر بالإيمان يشمل جعل الكفر بدل الإيمان بالردة عن الإيمان إلى الكفر وجعل الكفر بدل الإيمان باختيار الكفر، وهو يدعى إلى الإيمان فلا يجيب داعي الله ويختار الكفر.

{ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير(١٠٩)}

{ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا} أي أحبوا ذلك، ولو للتمني، كأنه قال: تمنوا أن يردوكم من بعد إيمانكم الإيمان الصادق الذي لا نفاق فيه كفارا ليخرجوكم من النور إلى الظلمات ومن طريق السعادة إلى طريق الشقاء ومن عزة الإيمان إلى ذلة الكفر.
}

(٨٣/١)

حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق} فالباعث هو الحسد الذي أوجدته أنفسهم الأمارة بالسوء بعداوتها لكم وحرصها على بطلان أمركم، والسحد غيرة تنبعث على كراهة حصول النعمة للغير الذي يغار من حصول النعمة له أو كراهة بقاء نعمته، هذا الحسد المذموم، وقد يستعمل الحسد في الغيرة من دون قيد، ولعله أصل الحسد، وحقيقته، وينقسم إلى: محمود، وهو: ما لم يبعث على الإثم ورغب في العلم الصالح لنيل مثل نعمة المحسود ومذموم، وهو عكس المحمود، وهو الذي ذكرت أولا . وخطره عظيم نعوذ بالله منه، {ومن شر حاسد إذا حسد} . فانظر كيف صار المذكورون من أهل الكتاب من أجل الحسد من بعد ما تبين لهم الحق، وكان مقتضى العقل لو استعملوا عقولهم وتركوا الحسد أن يتبعوا الحق ليرضوا ربهم وينقذوا أنفسهم من النار ويسعدوا في الآخر، وحينئذ يكونون أخوانا للمؤمنين سليمين من الحسد والعداوة لأهل الحق.

{فاعفوا} عما يصدر منهم من الأذى وتملوا، {واصفحوا} أعرضوا عن أذاهم، ولا ترادوهم ولا تقاتلوهم. {حتى يأتي الله بأمره} بتسليطكم عليهم وأمركم بالجهاد في سبيله، وحينئذ لا عفو ولا إعراض، وليس المراد أن يصيروا إلى السباب، ولكن ما قال الشاعر:

فلا تكثري في المقال فإنه ... محا السيف ما قال ابن دار أجمعا

أو أمره نصره للدين وإعلاؤه لكلمته، وحينئذ لا يضركم حسدهم، وهذا مناسب لآخر الآية.

{إن الله على كل شيء قدير} فهو قادر على إعزازكم وإذلا لهم، وعلى الأول فهو قادر على تمكينكم من قتالهم بتوفير العدد والعدة، تهيئتكم للقتال وتسليطكم عليهم والعفو والصفح ترك السباب والممارة المؤذية والجدال الكثير، وترك القتال حتى يؤمروا به، والأولى فاعفوا عن أذاهم وأعرضوا عنهم، لا تقاتلوهم حتى يأتي الله بأمره، وأمره تقويتكم وأمركم بالجهاد في حال قوة وعزة ونصر وتسليط عليهم {إن الله على كل شيء قدير} فهو قادر على ذلك.

{وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير(١١٠)}

{وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} فذلك يكفي عن الجهاد قبل الأمر به، وهذا كقوله تعالى: {ألم تر إلىا لذين ٤قيل لهم كفوا أيدكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة}.

{وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله} حث على الإنفاق في وجوه الخير، وعلى فعل الخير كله، فالعبد إذا أنفق فيما يرضي الله فكأنه قدمه أمامه ليوافي يوم القيامة فيجده أمامه قد قدمه لنفسه، وكذلك فعل الخير كله، وفي كلام أمير المؤمنين في وصيته لابنه الحسن عليهما السلام: ((وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غدا حيث تحتاج إليه، فاغتنمه، وحمله إياه وأكثر من تزويده)) انتهى المراد، وهذا معنى قوله تعالى: {وما تقدموا لأنفسكم} بالنسبة إلى

الإنفاق.

}

(٨٤/١)

إن الله بما تعملون بصير} لعلمه بمراتب الحسن في الحسن ومقادير ما يناسبه من الثواب، وكذلك في كونه بصيرا بما يعمل المبطلون لعلمه بمقاديره في القبح ومقادير ما يناسبه من العقاب، فهو ينزل العمل منزلته اللائقة به، ويجعل له حكمه المناسب له كما يفعل البصير بالصناعة العليم كيف يتقنها.

{وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين(١١١)}

{وقالوا} عطف على {ود كثير} أو على ما تقدم من أقوالهم مثل: {وقالوا قلوبنا غلف} أو على {واتبعوا ما تتلوا الشياطين}.

{لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى} فجعلوا الجنة خاصة بهم، ومنوا أنفسهم أنها لهم.

{تلك أمانيهم} أي هذه وما شابهها كقولهم: {نحن أبناء الله وأحباؤه، وقولهم: {لن تمسنا النار إلا أياما معدودة، وقولهم: {ليس علينا في الأميين سبيل} كقوله تعالى . بعد ذكر نبي الله داود صلى الله عليه ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم تلك .: {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله}، فالإشارة إلى المذكورين وسائر الرسل، وكقوله تعالى: {إنه من كيدكن} أي المخاطبة وسائر النساء، فجمعهن في الخطاب من أجل الواحدة المخاطبة، ومعنى أمايهم التي يمنونها أنفسهم.

{قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين} والبراهان الحجة، والمراد بيان أنه لا حجة لهم، وإنما هي أماني من عند أنفسهم، فالأمر التحدي؛ لأنه إذا طالبهم بالبرهان ولم يأتوا به تبين أنهم افتروا على الله كذبا؛ لأنهم أهل جرائم وتمرد على الله، فليسوا أهلا لما يمنونه أنفسهم، ولأن غيرهم الذين أسلموا لله يدخلون الجنة، ولا شك في أنهم أهل لذلك كما كان المسلمون لله قبل اليهودية والنصرانية، فنفي دخولهم الجنة كذب على الله يكشفه عدم البرهان؛ لنهم لو كانوا صادقين لكانوا في أمانيهم مستندين إلى برهان، فالغارق بين الصادق فيما يحكى عن الله، والكاذب على الله هو البرهان الصادق، وعدم البراهن لكاذب.

{بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون(١١٢)}

{بلى} تصريح بإبطال قصر الجنة عليهم ونفي دخول غيرهم.

}

(٨٥/١)

من أسلم وجهه لله وهو محسن} إسلام الوجه لله جعله لله وحده لا يتوجه به لغيره، ومعنى ذلك إخلاص العبادة لله؛ لأن الذي يعبد غيره قد توجه لغير الله وشرك في وجهه معبوده، فالإسلام للوجه جعله سلما لله كما قال تعالى: {ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل}، وقوله: {وهو محسن} لإخراج المسيء، ولو ترك الإشراك في وجهه فلا يدخل في قوله تعالى: {فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} أقام هذا مقام، فغنه سيدخل الجنة وفيه دلالة على أن سبب الجنة هو العمل الذي يستحق به الأجر عند الله إسلام الوجه لله مع الإحسان، وفي قوله سبحانه: {عند ربه} إشارة إلى الرد على اليهود الذين يدعون اختصاصهم بالله مع أنهم وغيرهم من البشر كلهم عباد لله، وهو ربهم كلهم لا فرق بينهم في ذلك، وفي قوله: {عند ربه} مناسب لقوله: {من أسلم وجهه لله} من حيث أن معناه عند الله مخلصا له العبادة، فأجر العبادة من ربه؛ لأن العبادة وإسلام الوجه له تعبير عن كونه رب العابد له وتعبير عن كون الذي أسلم وجهه لله عبدا له، فأجر العبادة من المعبود الذي هو ربه، ففي قوله: {عند ربه} إشارة إلى أنه معبوده، وفيه إشارة إلى وجه استحقاق الأجر منه، وهو أن عبادته عبادة لربه، فاستحق بها الثواب؛ لأنها حق وصواب أمره بها ربه، فآجره عليه، وقد قدمت زيادة على هذا في مناسبة قوله: {عند ربهم} لعبادتهم لربهم وخوفهم من ربهم ورجائهم له، وذكرت الآية: {إن الذين هم من خشية ربهم}، وإفادة جملة ذلك لصلتهم بالله من حيث هو ربهم، فتحصل من فوائد قوله تعالى: {فله أجره عند ربه} أفادت أن طريق الجنة هو العمل المذكور لا أماني اليهود؛ لأنهم فاقدون لهذا السبب عادلون عن طريق الجنة الموصل إليها، وأفادت أن الجنة أجر على العمل من رب المسلمين له المحسنين، الذي عبدوه فاستحقوا الأجر منه بعبادتهم لربهم الذي أمرهم بعبادته، وهو يرد على اليهود والنصارى دعوى اختصاصهم بالله، وأفادت أن الصلة بالله من طريق الإخلاص له والإحسان، هي الصلة بالله لا الأماني، وقوله: {ولا خوف عليهم} اعتقد ان المعنى أنه ليس من شأنهم ذلك، كقوله تعالى: {لا ريب فيه}؛ لأنهم في طريق النجاة من النار؛ لأن كل عاقل يعلم أن من أسلم وجهه لله وهو محسن فهو في طريق النجاة، وأنه لا يخاف عليه من إخلاص عبادته لله وإحسانه، فدعوى اليهود أنه لن يدخل الجنة مكابرة للعقول، وما أحسن هذه العبارة حيث لم يسند نفي الخوف إليهم؛ لأنهم وإن كانوا على طريق النجاة يكونون خائفين من ذنوبهم في الدنيا، فلم ينف عنهم أن يخافوا بل هم أكثر خوفا لله من المجرمين، وقد قال تعالى فيهم: {ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد} وقد مر قوله تعالى: {ولا خوف عليهم} مرتان، وهذه الثالثة، وقد جاءت في مواضع من القرآن، فالمقصود أنهم لا يخاف عليهم وإن كانوا خائفين في الدنيا والله أعلم. {

ولا هم يحزنون} إما أن المراد في الآخرة؛ لأنهم في الدنيا يحزنون من ذنوبهم، وإما أن المراد ـ وهو الراجح عندي ـ التعريض بأهل الباطل؛ لأنهم في بعض حالتهم يحزنون من باطلهم كما قال تعالى: {ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين} فالمراد ولا هم يحزنون من طريقتهم هذه التي هي إسلام وجوههم لله كما يحزن غيرهم من طرائقهم المخالفة، ونظير هذا قول إبراهيم الذي حكاه الله عنه في قوله: {فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن} أي أنهم هم الذي يأمنون ولا يخافون من إيمانهم بظلم، {أولئك لهم الأمن} أي أنهم هم الذين يأمنون ولا يخافون من إيمانهم وتركهم للمعاصي، وهذه حجة على قومه الذين أشركوا بالله بلا برهان، فهم أحق بالخوف من شركهم، فهكذا {من أسلم وجهه لله وهو محسن} لا يحزن من أجل إسلامه وإحسانه؛ لأنه يعلم أن ذلك سبب النجاة بخلاف من أشرك وأساء فإنه ينبغي له أن يخاف ويحزن من طريقه وربما حزن، فالحاصل أن هذه الجملة احتجاج على اليهود والنصارى، فإن قيل: إذا لم يقل في المسلمين المحسنين: لا يخافون، لئلا يوهم يوهم عدم خوفهم من ذنوبهم، فكيف قال سبحانه: {ولا هم يحزون} ولم يقل: ولا حزن عليهم، مع أنهم يحزنون كما قال أمير المؤمنين: ((المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه)) انتهى، فهم يحزنون لأسباب عدة، مثل غلبة الجور وظهور المنكرات، ويحزن المؤمن من ذنوبه، فكيف لم يقل: ولا حزن عليهم؛ لئلا يوهم هذا المعنى كما في {لا خوف عليهم}. فالجواب: إن عدم الخوف سمة المجرمين الظلمة كما قلنا، وكذلك من سمتهم في الغالب أن لا يحزن الناس عليهم إذا ماتوا، أما المخلص المحسن فإن الناس يحزنون عليه، فلم يناسب حاله أن يقال فيه: لا حزن عليه، فكان الحزن مخالفا للخوف؛ لأن المجرم الظالم يقال فيه: لا يخاف الله، ويقال فيه: إذا مات لا حزن عليه، والمخلص المحسن يقال فيه: يخاف الله ويحزن عليه إذا مات، فالمناسب في المؤمن نفي الخوف عليه لا الحزن عليه، فظهر إتقان عبارة القرآن: {لا خوف عليهم} أي لا يخاف عليهم ولا هم يحزنون من دينهم وإحسانهم كما يحزن أهل الباطل من باطلهم في بعض الحالات لو لم يكن إلا عند اقتراب الأجل وحضور الموت أو أن شأنهم أن يحزنوا، وينبغي لهم ذلك، فهم وهذا المعنى يصلح للدنيا والآخرة فلا خوف عليهم في الدنيا ولا في الآخرة ولا هم يحزنون في الدنيا ولا في الآخرة.

{وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون(١١٣)}
}

(٨٧/١)

وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب} المراد ليسوا على طريق حق، فبالغوا وجعلوا دين الآخرين لا أصل له ولا أساس له، ومعنى هذا الكفر من كل منهما بكتاب الآخر ورسول الله إليه، وهم يتلون الكتاب الذي يوجب عليهم الإيمان برسل الله وكتبه، وهو كتاب الله الذي يجب عليهم اتباعه وهو التوراة؛ لأن الفريقين يتلونها، وتسمى عند النصارى العهد القديم أو جنس الكتاب الصادق على التوراة وعلى الإنجيل.

{كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم} الذين لا يعلمون هم أهل الجاهلية الذين ليس لهم كتاب، فتجرأوا على جحد الحق بأن قالوا مثل قول اليهود والنصارى بأن قالوا: ليس النصارى أو اليهود أو كلاهما على شيء فهو مثل قولهم في جحد الحق، ويوافق هذا التفسير قوله تعالى: {فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى قالوا ساحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون}، فثبت أنهم كفروا بموسى، وذلك يستلزم كفرهم بالتوراة، ويؤكد هذا قوله تعالى: {فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون} فجعل الخلاف بين الفرق الثلاث، فأما الكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد وقع من الفرق الثلاث، وكان يناسبه لو كان المراد أن يقول فالله يحكم بينكم فيما كنتم فه تختلفون.

{ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم(١١٤)}

}

(٨٨/١)

ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه} أي لا أظلم ممن منع مساجد الله اتي بنيت لذكره وشرع لعباده أن يذكروه فيها وذكر الله من العبادة التي خلقوا لها فهذه الجريمة عدوان على مساجد الله، وعلى من يريد أن يذكر الله فيها، بل وعلى ذكر الله بمنع وقوعه في المساجد، فاعتدى علىحرمة مساجد الله وعلى حرمة الذكر وجمع بين الجريمتين وضم إحداهم إلى الأخرى. قال في (الكشاف): {أن يذكر فيها اسمه} ثاني مفعولي منع؛ لأنك تقول: منعته كذا..إلخ أقول فلهذا قلت أن المنع هذا عدوان على مساجد الله، أعني لكون مساجد الله مفعول أول، وأن يذكر فيها اسمه مفعول ثان، هذا عام لا يختص بالفرق الثلاث، وإن كن سببه، وقوله تعالى: {وسعى في خرابها} تعريض بالفرق الثلاث، فيدل على أن ذلك قد وقع منهم أو من بعضهم أن قد سعوا في خراب مساجد الله، ولعل سبب ذلك تكفير كل فرقة الفرقة الأخرى، فيؤدي ذلك إلى القتال والتسبيب لخراب المساجد بمنع أهلها منها وإهمالها، وقد قال تعالى: {ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات..} إلى قوله تعالى:

{ولكن الله يفعل ما يريد}، وقال تعالى:{ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع ومساجد}، فإذا كانت الحروب قد وقعت وهي مظنة تخريب المساجد من قبل أعداء الدين فلا موجب لتعيين الفاعلين من هم، وليس من واجب التفسير تعيين ما أبهم القرآن، ويكفي أن نقول ظاهر الآية التعريض بالفرق الثلاث أنه قد وقع منهن كلهن أو بعضهن منع مساجد الله، والسعي في خرابها، وظاهرها العموم لكل مساجد الله التي كانت موجودة في عصرهم.

{أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين} لأنهم رجس يجب تنزيه المساجد عنهم كقوله تعالى: {إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا}.

{لهم في الدنيا خزي} يستحقون الخزي في الدنيا بأي وسيلة كالطرد من المساجد.

{ولهم في الآخرة عذاب عظيم} قال الشرفي في (المصابيح): قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام:تدل على قبح منع المسلمين من مساجد الله، وعلى تحريم خرابها الحسي والحكمي، وهو منع ذكر الله فيها، وتجب إخافة من فعل ذلك، وأن يخزيهم من قدر على غخزائهم كما في الآية، انتهى.

{ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم(١١٥)}

المشرق: جهة طلوع الشمس، والمغرب: جهة غروبها، يفرد وهو عبارة عن المشارق والمغارب باختلاف الاعتبار، أعني قد يعتبر المشرق متعددا باعتبار تعدد مطالع الشمس بتعدد منازلها، وقد تعتبر المشارق كلها مشرقا واحدا لعدم اعتبار اختلاف المطالع، وكذلك المغرب، والمراد أن له تعالى أن يوجه عباده في عبادتهم حيث شاء؛ لأن الجهات كلها له، ولعل فائدة تخصيص المشرق والمغرب بالذكر أن الشمال والجنوب كان معودا حيث صلوا من المدينة المنورة إلى الجنوب إلى الكعبة وإلى الشمال لغرب حين صلوا هناك إلى بيت المقدس والله أعلم، أو أن المشرق والمغرب يعم أكثر الجهات لامتداد الجهتين إلى الشمال صيفا والجنوب شتاء، وقوله: {تولوا} أي تولوا وجوهكم، وقوله: {فثم وجه الله} تعبير عن كونه يصلح قبلة تتوجهون إليه في عبادة الله، وهو من المجاز معناه كأن الله هناك يقبل إليكم بوجهه سبحانه وتعالى، وهو منزه عن الأعضاء، وإنما المراد بيان أنه يصلح ليكون قبلة تقبل منكم الصلاة إليه، {إن الله واسع عليم} أي واسع الرحمة لعباده كلهم، ولا تختص رحمته بأمة كبني إسرائيل.
قال الشرفي في (المصابيح): قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام: تدل على جواز التوجه بالصلاة إلى أي جهة شاء المصلي عند التباس جهة الكعبة، والجهل بها، انتهى. قلت: وتدل على أن الجهات كلها تصلح أن تكون قبلة، ولا يختص بذلك بيت المقدس، فإذا شاء سبحانه وتعالى أن يوجههم إلى جهة صارت قبلة، فالآية كالمقدمة لما يأتي في القبلة.

{وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون(١١٦) بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون(١١٧)}

{وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه} يظهر أن قوله تعالى: {قالوا} الضمير فيه راجع إلى الفرق الثلاث اليهود والنصارى والذين لا يعلمون، وسبحانه: رد لكلامهم وتنزيه لله سبحانه عن الولد.

{بل له ما في السموات والأرض كل له قانتون} منقادون مطيعون، فعيسى وعزير والملائكة كلهم عباد لله منقادون يقضي فيهم ما يشاء ويحكم ما يريد، ليس لهم من الأمر شيء.

{بديع السموات والأرض} وهما دليل على أنه تعالى قادر على إبداع ما يشاء وخلقه قبل أن يوجد له مثل كما بدع آدم من التراب، فكيف لا يقدر على خلق عيسى من دون أب.

{وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون} لا يعسر عليه خلق حتى كأنه إنما يأمر الشيء أن يكون، فإذا أمره فهو يكون.

{وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون(١١٨)}

{وقال الذين لا يعلمون} من كفار العرب {لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية} جحدا بالآيات وزعما أن آيات الله ليست آيات.

}

كذلك قال الذين من قبلهم} من الكفار كقوم نوح في قولهم: {يا نوح ما جئتنا ببينة} وكل أمة كفرت رسولها فهي مكذبة بآيات الله. {مثل قولهم} يطالبون أن يكلمهم الله استكابرا وتعنتا ويكذبون بآيات الله.

{تشابهت قلوبهم} فهي كلها تكره الحق وتميل إلى الباطل وتتكبر ولا تؤمن بآيات الله.

{قد بينا الآيات لقوم يوقنون} فقولهم: {أو تأتينا آية} لا وجه له، بل هو أبطل الباطل؛ لأن الله جعل الآيات وجعلها بينات لا تخفى على من يريد الحق ومن شأنه أن يوقن لوجود الآيات البينت، أما من لا يوقن مع وجود الآيات البينات فالحجة قائمة عليه؛ لأن المانع من إيقانه هو إعراضه وكراهته للحق وشغل قلبه عن النظر في الآيات بوسواس الشيطان والكبر والحسد وغير ذلك من الموانع التي هي من عنده، ويجدها من نفسه.

{إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم(١١٩)}

{إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا} في قوله: {إنا} بكلمة التعظيم إشارة إلى أن ذا الجلال والإكرام

العزيز الحكيم العلي العظيم أرسلك بالحق بشيرا ونذيرا، فما أقبح طريقة الكفار المحاربين للدين من اليهود والنصارى، والذين لا يعلمون يحاربوا هذه الرسالة التي تولاها ملك الملوك علام الغيوب أحكم الحاكمين مع أنها رسالة بالحق، ولا يرسل سبحانه إلا بالحق، ومع أنها مهمة لمصلحة البشرية بل ضرورية لنجاة من يريد النجاة من النار وسعادة من يريد السعادة الدائمة، فما أقبح التكذيب بها، وما أقبح الجدال في دلائلها، وما أقبح معارضتها بالمكر، وما أقبح الإعراض عنها.

{ولا تسأل عن أصحاب الجحيم} الذين لم يقبلوا منك ولم يهتدوا بهداك وتمردوا وأصروا واستكبروا، فهم مخذولون لا يرجعون إلى الهدى، ولا يزالون على طريق الجحيم حتى صار اسمهم أصحاب الجحيم، {ما على الرسول إلا البلاغ} ليس عليك هداهم، فلست مسؤولا عنهم، وفي قراءة منسوبة إلى نافع: {ولا تسأل عن أصحاب الجحيم} بالجزم وفتح التاء، ومعناها إما الأمر بالإعراض عنهم؛ لأن من عادة المعرض أن لا يأل عمن أراد الإعراض عنه؛ لأنه لا يبالي به كيف كانت حالته، وإما على معنى لا تسأل ربك عنهم لماذا يعذبهم؛ لأنه لا يسأل عما يفعل، وإما لا تسأل ربك هل يمكن أن يعفو عنهم أو نحو هذا، فيكون كقوله تعالى: {ولا تخاطبني في الذين ظلموا أنهم مغرقون}، وإما لا تسأل عنهم، أي عن العذاب الذي يصيرون غليه تعظيم للعذاب وتعبير عن شدته على السمع. كما قال الهبل:

سماعك بالنار يا ذا الحجا ... بشديد شديد شديد شديد

فكيف إذا أنت عاينتها ... فكيف الوقوع فكيف الخلود

وحكى الشرفي في (المصابيح) عن المرتضى عليه السلام أن القراءة بضم التاء وضم اللام لم يذكر غيرها. قال الشرفيك ولاك أبي الفتح الديلمي عليه السلام مثل هذا، وهي قراءة جميع القراء، إلا نافعا، انتهى.

}

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير(١٢٠)}

{ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم} لأنهم متعصبون لدينهم وغاضبون مما جئت به في شأنهم وحاسدون لك على الرسالة واتباع أمر الله ومكانتك عند الله.

{قل إن هدى الله هو الهدى} وقد هداني إلى صراط مستقيم، فلن أتبع ملتكم.

{ولئن اتبعت أهواءهم} لأنهم في كفرهم إنما متبعون للأهواء تقودهم إلى الكفر والأباطيل والعمل بالمنسوخ الذي صار بالنسخ قد انتهى حكمه وصار التمسك به تعصبا، إنما هو من الأهواء، وقد خرج

عن كوه من الدين.

{بعد الذي جاءك من العلم} الذي أنزله الله إليك وهداك به وبين لك أنهم على ضلال مبين.

{ما لك من الله من ولي} يتولى رعايتك، {ولا نصير} يدفع عنك عذاب الله، وليس معنى هذا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مظنة اتباعه لأهوائهم أو قريب من ذلك، ولكن هذا تعبد كنهيه عن سائر المنكرات التي لا تقع منه، ويثاب على تركها، وفيه دلالة واضحة على أن لايهود والنصارى ما لهم من الله من ولي ولا نصير.

{الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون(١٢١)}

{الذين آتيناهم الكتاب} علمناهم التوراة ورزقناهم فهمها والاهتداء بهداها فهم {يتلونه حق تلاوته} لا يحرفون ولا يبدلون لسلامتهم من التعصب والحسد ورغبتهم في الحق.

{أولئك يؤمنون به} أي بالذي جاءكم من الحق؛ لأن غرضهم اتباع الحق، وهذا كقوله تعالى: {وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به} وذلك لأن التوراة تدعو إلى الإيمان بما أنزل على محمد، قال تعالى: {آتيناه آياتنا فانسلخ منها}، فهؤلاء لا يتلونه حق تلاوته، وقسم كما قال تعالى: {الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين..} الآيات، وعلى هذا فالمراد بالذين آتيناهم، الذين علمناهم وفهمناهم، فخرج عن ذلك الذين ذكرهم الله بقوله: {ومنهم أميون} فلا يقال فيهم: {آتيناهم} بهذا المعنى وإن كانوا منسوبين إلى الكتاب، وقوله تعالى: {أولئك يؤمنون به كالتخصيص لما سبق في اليهود والنصارى كقوله تعالى: {ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله.

{ومن يكفر به} أي بالذي جاءك من الحق {فأولئك هم الخاسرون}؛ لأن التعب في التدين بلا فائدة خسران، فأما التعب فلا فئادة بل ويؤدي إلى العذاب الدائم، فهو الخسران الشديد.

}

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين(١٢٢) واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون(١٢٣)}

{يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم و} اذكروا {أني فضلتكم على العالمين} في النعم كقول موسى لقومه: {يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين}، والمراد بتذكيرهم نعم الله عليهم حثهم على الشكر وتحذيرهم من كفر النعم الذي من أعظمه الكف بما أنزل الله على محمد والتكذيب بآيات الله.

{واتقوا يوما} تحتاجون إلى أن تتقوه وهو يوم القيامة، ولا بديل ينجيكم منه؛ لأنه يوم {لا تجزي نفس عن نفس شيئا} لا تؤدي عنها حقا ولا تقضى عنها دينا {ولا يقبل منها عدل} يعدلها، فتفتدي به من مال أو ولد أو أي شيء.

{ولا تنفعها شفاعة} ليعفى عنها.

{ولا هم ينصرون} أي الذين لم يتقوا ذلك اليوم على أنهم الجمع الكبير الجم الغفير، فلا يفيدهم ناصر ينصرهم، وهذه الآية الكريمة تكذب أمانيهم وتبين أنها غرور خادع؛ لأنها قد بينت أنه لا ينجي المكلف من عذاب يوم القيامة إلا التقوى، فعليكم أن تؤمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما أوتي من القرآن والسنة والآيات.

{وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين(١٢٤)}

{و} اذكروا يا بني إسرائيل {إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات} اختبره بهن أي شرع له خصالا أو أمره بخصال.

{فأتمهن} أي أتم ما ذكر له في الكلمات، فرجع الضمير إلى الكلمات لكونه أتم المذكور فيهن كقوله تعالك {ونرثه ما يقول}، ونظيره قول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

والمراد أنه عليه السلام قام بما شرع له في الكلمات المذكورة كاملا بلا تقصير ولا بخص، فالعلمل كامل والنية خالصة الذهن حاضر، والخشوع كامل، وعلى الجملة قام به على الوجه المشروع بلا تقصير في ذات ولا صفة، وذلك لقوة إيمانه ويقينه وصبره، ويحتمل أن هذا الابتلاء كان قبل النبوة والرسالة، فكان إتما مهين سببا للرسالة والإمامة لمن في عصره ومن بعده، ومن يدعي أن هذا الابتلاء كان بعد الرسالة، فليس له دليل، وقد روي عن زيد بن علي عليهما السلام في تفسير الكلمات: خمس في الرأس وخمس في البدن، ثم ذكرهن، وليس عندي كتاب أنقلها بلفظها، وأخاف الغلط إن رويتها من حفظي، ولا يشكل أن هذا الإملاء لا يكون إلا بوحي، فكيف يكون قبل النبوة؛ لأنا نقول: ما المانع أنه كان عليه السلام محدثا قبل النبوة تهيئة للنبوة كما كانت مريم بنت عمران وأم موسى، ولو سلمنا أنه لا يكون قبل النبوة فلا دليل على تأخيره، ومن الجائز أنه كان في أول النبيوةن ثم ترتبت الرسالة على إتمام الكلمات بعد النبوة، أي أنه كان نبيا فابتلي بكلمات فأتمهن، فجعل رسولا وإماما للأجيال.

}

(٩٤/١)

قال إني جاعلك للناس} فائتمامه لما ابتلي به كان سببا لجعله للناس إماما، وقد قيل: إن فيه دلالة على أن الإمامة أعظم من النبوة؛ لأنه كان نبيا، ثم عد ذلك صار إماما عندهم، ونقول: لا دلالة على ذلك؛ لأن الإمامة رتبت على إتمامه ما ابتلي به لا على النبوة، والنبوة تكون لمن اختاره الله لها، لو لم يكن رسولا، ومن أن يكون شاكرا، بدليل قوله تعالى: {وكذلك قتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين}، واختراه للرسالة بإتمامه ما أمر به، فكانت النبوة في حقه أنه لم يكن لديه كتاب ولا أثر من نبي كان قبله، فلم يكن بجد من تقديم نبوته ليعرف ما يخصه من التكليف فتأخرت الإمامة عنها لا لكونها أعظم من حيث هي إمامة، ولا لكونها درجة أرفع، بل لكون الإمامة تتوقف على العلم والصبر واليقين بآت الله، والنبوة لا تتوقف على العلم بالشرعيات؛ لأن ذلك دور إذا لم يكن عندنه كتاب أو أثر من نبي قبله كآدم عليه السلام، فإن قيل: فقد دل ذلك على أن الأهلية للإمامة أعظم من الأهلية للنبوة؛ لأن الأهلية للإمامة توقفت على العلم بالشرعيات بخلاف النبوة. قلنا: لا دلالة على ذلك؛ لأن الأهلية للنبوة وإن لم تتوقف على العلم بالشرعيات فالنبوة تتوقف على كمال عقلي واستعداد فائق، فلا يبعد أن يكون بعض من يصلح للإمامة لا يصح للنبوة اللهم إلا أن يراد الإمامة العامة كإمامة إبراهيم الخليل وإمامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإمامة التي هي لازم الرسالة كما قال تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله}، وقال تعالى: {من يطع الرسول فقد أطاع الله}، وقال تعالى: {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول} وغير ذلك إمامة الرسول فيما أرسل به وكونه متبوعا فيه لكل من أرسل إليهم وكل من أمر باتباعه من الأجيال المتتابعة، فهي متوقفة على النبوة وهي أعظم درجة من أجل الرسالة من حيث أمر أن يبلغ ويدعوا إلى طاعته من أرسل إليهم ويقوم بتكاليف الرسالة الشاقة التي ذكرت في القرآن ودل على عظمها وعظم مشقتها، ولا تكون إلا لذي أهلية خاصة كما قال تعالى: {الله أعلم حيث يجعل رسالاته} والحاصل أن الإمامة ختلفة، وفضلها مختلف وعظم إمامة إبراهيم عليه السلام لا يستلزم أن تكون كل إمامة مثل إمامة إبراهيم.

(٩٥/١)

وحاصل الجواب أنا لا نسلم ترتب إمامة إبراهيم على نبوته، بل على طاعته، فلم نسلم أن الإ/امة أفضل، وأنا لو سلمنا أن إمامته أفضل من نبوته فلم نسلم أن كل إمامة مثلها، وقد قال تعالى في بني إسرائيل: {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون} فلم يرتب إمامتهم على نبوة، وإنما ربتها على صبرهم ويقينهم بآيات الله اليقين المستمر، وقد قيل: إن يقينهم كيقين إبراهيم الخليل

المذكور في قوله تعالى: {وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين}، والجواب: أن يقينهم بآيات الله أنها دليل على ما هي دليل عليه، وهو يصح أن يوقنوا بها جملة، ولا يتوق على أن يريهم الله ملكوت السموات والأرض كما أرى إبراهيم عليه السلام، إنما يتوقف على العقل الكامل والإيمان الراسخ والنظر والتفكر مع أن الملكوت الملك ـ بضم الميم ـ، وإراءته إعلامه، وهو يحصل كذلك بالنظر المؤدي إلى العلم بأن الله رب كل شيء، فله الأمر، ومع أن يقين إبراهيم مطلق ويقين أئمة بني إسرائيل مقيد بالآيات، فلا وجه للتسوية بين يقين إبراهيم الخليل عليه السلام ويقين سائر الأئمة، وعلم ذلك عند الله تعالى.

{قال ومن ذريتي} اجعل أئمة بقرينة قوله تعالى: {لا ينال عهدي الظالمين} فالجمع يدل على أن المطلوب جمع، وهو عليه السلام أراد إماما للناس كافة لمن في عصره ولمن بعده من الأجيال كما أن إبراهيم عليه السلام إمام كذلك، والكلام في سياق الاحتجاج على أهل الكتاب الكافرين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، فظهر أنه المقصود بإيراد القصة؛ لأنه رسول إلى العالمين صلى الله عليه وآله وسلم.

}

قال لا ينال عهدي الظالمين} وهذا يفيد أن قد أجاب دعوة إبراهيم وزاده فائدة أنه لن ينال عهده بالإمامة ظالم، فليس هذا ردا على إبراهيم عليه السلام، ولا تخصيصا لدعوته؛ لأنه قال: {ومن ذريتي}، فأتي بمن التي للتبعيض، فليس فيها عموم وليس في كلامه تعرض لكونه ظالما أو غير ظالم، وفائدة هذه أولا الرد على من سيكفر ويقول: {أهؤلاء من الله عليهم من بيننا وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله}. ثانيا: الرد على من ادعى النبوة من الظالمين كمسيلمة الكذاب لتكون معرفة ظلمه كافية لإبطال دعواه. ثالثا: الرد على من ادعى الإمامة الشرعية وهو ظالم، فيكون ظلمه دليلا على كذب دعواه وهو وإن لم يكن السياق فيه فقد دخل في عموم عهدي، وعموم الظالمين، والعالم لا يقصر على سببه، وقد قيل: إن هذا دليل على عصمة الإمام؛ لأن من عصى فهو ظالم، ولو كان قد تاب، قلنا: التائب قد خرج عن اسم الظلم؛ لأن توبته قد محت ذنبه وصار مستحقا للمدح غير مستحق للذم، وتسميته ظالما ذم له بعد خروجه عن استحقاق الذم، وصار مؤمنا ومحسنا ضد الظالم وضد المسيء، قال تعالى: {ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات} فهل تقولون أن التائب هو من النوع الأول أم من النوع الثاني، فإن قلتم: من الأول، خالفتم قوله تعالى: {وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات} وقوله

تعالى: {فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما}، وعلى هذا اللغة العربية، فمن أساء سمي مسيئا حتى يرجع ويتوب من إساءته ويصلح ما أفسد ويحسن، ومتى تحول عن طريقته وصار من المفسدين لم يسم محسنا نظرا لإحسانه السابق قبل الإساءة، فدعواكم أن التائب ظالم غير مسلمة ولا حجة لمك إلا استصحاب اسمه قبل التوبة، وهو استصحاب باطل؛ لأن التوبة قد محت ظلمة واختلفت حاله فهو كاستصحاب اسم الكفر لمن قد أسلم، واسم الإسلام لمن قد أشرك، واستصحاب اسم المريض لمن قد عوفي وصار صحيحا وغير ذلك، فاللغة لا تثبت لكم هذا الاستصحاب، وهو دعوى على اللغة لا يسمع، فلا نسلم أن التائب من ظلمه المبدل حسنا بعد سوء الذي يبدل الله سيئا حسنات ظالم داخل في عموم: {لا ينال عهدي الظالمين} وعلى هذا فيكفي ظهور عصمته من بعد التوبة والإصلاح، فإن قالوا: لا يخلو إما أن يكون إبراهيم طلب إماما ظالما أو لم يطلبه الأول باطل بالاتفاق. والثاني: إما أن يكون طلب إماما معصوما أو لم يطلبه، الأول ما نريد، وقوله: {لا ينال عهدي الظالمين} إجابة مطابقة، والثاني أن يكون طلب إماما معصوما أو غير معصوم فقوله: {لا ينال عهدي الظالمين} لا خراج غير المعصوم، وقصر للإجابة على المعصوم، والجواب نختار الثاني في أول قسمة، فلم يطلب ظالما، ونختار الثاني في القسمة الثانية فلم يطلب في هذا الدعاء معصوما، فلا ذكر للعصمة. وقولكم: فقوله: {لا ينال عهدي الظالمين} لإخراج غير المعصوم.

دعوى لا دليل عليها، بل هو إجابة مطابقة، فإن قالوا: إذا جعلناها إجابة مطابقة بطلت فائدتها؛ لأنه إذا طلب إماما غير ظالم وأجيب بأنه {لا ينال عهدي الظالمين} لم يكن الجواب رد على إبراهيم ولا تخصيصا لكلامه. قلنا: لا موجب لجعل الجواب ردا على إبراهيم، ولا لجعله تخصيصا لدعوته، فأما الفائدة فلم تقصر على ذلك، ويكفي في الفائدة التصريح بما لم يذكره إبراهيم، وكون التصريح من مالك الملك.

فصل

وقد قيل: إن هذه الاية دليل على أنه لا بد أن يكون الإمام منصوصا عليه بعينه، ووجه الدلالة: أن الآية قد دلت على أن الإمام لا يكون ظالما من غير فرق بين الظالم في الظاهر والظالم في الباطن، فدلت على أنه لا بد أن يكون منصوصا عليه، وإلا جاز أن يكون ظالما في الباطن. قلنا: أما الرسول فلا بد من أن يصدقه الله بآية خارقة لا لأجل هذه الآية الدالة على أن الرسول لا يكون ظالما، وذلك لأن ظهور كونه غير ظالم، وعدم العلم بظلم منه باطن لا يكفي في تصحيح دعواه الرسالة، ولم يثبت دليل عام يقتضي الاكتفاء بظهر عصمته، وأما الإمام من بعد علي والحسنين عليهم السلام فإنه يكفي ظهور

عصمته، ولا نكلف علم باطنه؛ لأن الآية لم تشترط ثبوت العصمة إلا بعد ثبوتها، وإذا لم تثبت وجب العمل على حسن الظن لقوله تعالىك {لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا،

والحاصل أن الاية إنما دلت على أن الظلم مانع، ومجرد تجويز وجود المانع لا حكم له، ألا ترى أن إمام الصلاة يجوز أنه جنب في الباطن ولا حكم لهذا التجويز إذا لم يظهر أنه جنب.

{وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود(١٢٥)}

{و} اذكروا يا بني إسرائيل. {إذ جعلنا البيت مثابة للناس} يثوبون إليه، أي يرجعون؛ لأنهم إليه يترددون للحج وللعمرة رجاء الثواب، وفوائد الحج والعمرة.

{و} جعلنا البيت {أمنا} لمن دخله، بل ولمن دخل حرمه.

{واتخذوا من مقام إبراهيم} أي موضع قيامه على الصخرة عند البتي حيث هناك اثر قدميه الشريفتين {مصلى} يصلون فيه تبركا به أو لنيل فضل الصلاة فيه. قال الشرفي في (المصابيح): معنى {اتخذوا} أي اجعلوا من مقام إبراهيم مصلى، ومقامه فهو في الصخرة بمكة عند البيت، انتهى. وقوله تعالى: {واتخذوا} قرئ بكسر الخاء، ومعناه: وقلنا اتخذوا. وبفتح الحاء على الخبر بأنهم اتخذوه.

}

وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود} البيت هو الكعبة وتطهير للمذكورين دلالة على أنه سيكون للطواف به والصلاة والعكوف، فأمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بما ذكر إعدادا له. قال الشرفي في (المصابيح): قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام: تدل على وجوب طهارة البيت من الأرجاس ومعاصي الناس، انتهى. قلت: وهذه الآية تشبه الاية من سورة آل عمران: {فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت..} الآية، والسياق في بني إسرائيل في الايتين فهما رد عليهم من حيث دلتا على ثبوت الدي من عهد إبراهيم وإسماعيل قبل أن تنزل التوراة والإنجيل، فيدل ذلك على بطلان تعصبهم للتوراة والإنجيل، وجعلها ضرورية للدين؛ لأن الدين قد استقام بالإسلام لله وحده والعبادة المذكورة لله، ولم يشترط فيه ما اختصتبه التوراة والإنجيل واليهودية والنصرانية كالسبت واستقبال بيت المقدس.

{وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير}

{و} اذكروا يا بني إسرائيل {إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا} أي الحرم حرم الكعبة أو الإشارة

إلهي وإلى ما حوله.
{وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر} أراد عليه السلام أن يتمكنوا من البقاء حول البيت ليقيموا الصلاة ولا يضطرهم الجوع إلى المغادرة لذك الوادي الذي ليس بذي زرع.
{قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير} فالرزق في هذه الدنيا للمؤمن والكافر، وقد أجيبت دعوة إبراهيم، وصار في مكة المركز الديني مركز بني إسماعيل على دين إبراهيم وإسماعيل خلاف مركز بني إسرائيل فلم تكن اليهودية ولا النصرانية من ضروريات دين الله، وأعتقد أندعوة إبراهيم ربه أن يجعل هذا بلدا آمنا معناها طلب جعله كذلك بقدرة الله وفعله وإعداد قلوب الناس لذلك لا مجرد الحكم التشريعي، ألا ترى إلى قوله تعالى: {أولم نمكن لهم حرما آمنا}، فهو أمر استمر في عهد الجاهلية حتى في عهد الشرك، وقوله: {ثم اضطره} ظاهره أنه تعالى يلجيه إلى عذاب النار كإلجاء الجائع إلى أكل الميتة، وهو السوق المذكور في قوله تعالك {وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا، فيظهر أنهم يمشون إلى جنهم لعنف السوق وهيبة السائق، ولعل من اضطرار ما روي فيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما معناه أنه يبلغ بهم التوبيخ والتخزية على رؤوس الأشهاد أن يتمنوا أنهم سورع بهم إلى النار.
}

(٩٩/١)

وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم(١٢٧) ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم(١٢٨) ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم(١٢٩)}
{و} اذكروا يا بني إسرائيل {إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل} أي يبنيان أساس البيت رافعين له، أو كان أصل القواعد موجودا فزادا عليه بناء مجانسا لها قويا كما يبنى القواعد أي أسس البناء، فصار هذاالبناء رفعا للقوواعد، ولعل السبب كونه قريبا من مجرى السيل فرفعا أساسه لئلا يدخله السيل داعيين ربهما أدعية، الدعاء الأول: {ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم} وتقبل العمل الصالح أن يجعله تعالى مقربا إليه سببا لثوابه. الدعاء الثاني: {ربنا واجعلنا مسلمين لك} أي مسلمين وجوهنا لك، أي مخلصين لك العبادة، ويحتل مسلمين أنفسنا لك، كقوله تعالى: {فلما أسلما وتله للجبين} وإسلام النفس أبلغ من إسلام الوجه؛ لأن إسلام النفس لله شأن الخواص الذين لم يبق فهم في الحياة الدنيا غرض نفسي غير عبادة الله وذكره والتقرب إلأيه بكل وسيلة من الجهاد وغيره والاشتغال بذلك

عن كل غرض نفسي حتى المباحات يصير غرضهم فهيا الاستعانة على العبادة أو نيتهم فيها تصيرها قريبة، وحتى أهم ختارون الأشق على النفس إذا كان أفضل عند الله، وذلك كله لأنهم جعلوا أنفسهم خالصة لله، فسلموها له هذا التسليم ولا إشكال في هذا؛ لأنهم باعوا أنفسهم من الله وطلقوا الدنيا، فلا يقال: ما معنى إسلام النفس لله وهي له وحده لا شريك، سواء أسلمها أم لم يسلمها، فقد صح بيعها من الله، وهي له سبحانه من قبل البيع.

{و} اجعل {ومن ذريتنا أمة مسلمة لك} الاحتمال فيه كالاحتمال الأول، وقد روي عن زيد بن علي عليهما السلام أنه قال: ((نحن الملة المسلمة)) انتهى، فهو يقوي احتمال مسلمة أنفسها لك، فتكون خاصة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبذوي القربى الذين باعوا أنفسهم من الله وأسلموها له كما أسلم إبراهيم وإسماعيل، وبالخلص الذين ذكر الله تعالى وصفهم بعد آية: {إن الله اشترى} فقال تعالى: {التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله}، فدل على جمعهم هذه الصفات مع بيعهم أنفسهم من الله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون.

{وأرنا مناسكنا} علمنا عبادتنا لك حول هذا البيت، أ مناسك الحج والعمرة ونحوهما.

}

(١٠٠/١)

وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم} تب علينا، والتوبة من الله على عباده الجروع عليهم برحمته واللطافة، قال تعالى: {ثم تاب عليهم ليتوبوا}، وهو أعلم من قبول التوبة والهداية لها.

الدعاء الثالث: {ربنا وابعث فيهم} أي في ذريتنا، وهم ذرية غسماعيل؛ لأن ذريته ذرية لأبيه إبراهيم عليهما السلام {رسولا منهم} فهو من ذرية إسماعيل {يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة} يتلو عليهم آياتك الدالة عليك وعلى أنه رسول الله إليهم وعلى اليوم الآخر وغيرذلك، ليعلموا أنه رسول الله ويؤمنوا به وبما يتلو عليهم ويعلمهم الكتاب فيحفظوه ويعلموا معانيه ويعلمهم الحكمة ليكونوا حكماء في منطقهم وسلوكهم على طريق الصواب وحسن الرأي ورجاحة العقل، وذلك يتوقف على أن يكونوا علماء؛ لأن الجاهل لا يكون حكيما.

{ويزكيهم} يصلحهم، وقد فسر بأن يطهرهم، ولم يظهر لي؛ لأن الله تعالى قال: {صدقة تطهرهم بها وتزكيهم} فدل على التغاير، فالتزكية بما يكون من الرسول من أسباب صلاحهم من التعليم والمواعظ والترغيب وما يكون لحاضريه ومشاهدي سيرته من بركات النبوة وما يكون لمن سمع بذلك من التأسي به وغير ذلك، وأيضا يكون إصلاحهم بالدعوة وظهور الآيات والمعجزات على يديه والبركات الخارقة،

وأيضا بما يكون من جهاده لأعداء الدين الذين يفتنون من أسلم ويدعون إلى الباطل والشرك حتى ترفتع راية الحق ويظهر أمر الله وهم كارهون، ويدخل الناس في دين الله أفواجا، فقوله تعالى: {يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة} فيه طلب ما يحصل به العلم، وقوله تعالى: {ويزكيهم}، فيه طلب ما يحصل به الرسول الإيمان والعمل الصلح والتقوى في الأمة المذكورة.

{إنك أنت العزيز الحكيم} ومن عزتك أن تظهر دينك وتعلي كلمتك، ومن حكمتك أن لا تهمل عبادك بلا بشيرولا نذير، فهذه الدعوات تفيد أنها ستكون أمة مسلمة، رسولها منها ليس من بني إسرائيل يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، فهم اساس مستقل وصراط مستقيم لا يحتاجون إلى اليهودية ولا النصرانية، قد كفاهم كتابهم ورسولهم واستغنوا بهما عن التوراة والإنجيل، وهذا يبطل تعصب اليهود والنصارى لملتهم.

{ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين(١٣٠)}

}

(١٠١/١)

ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه} يقال: رغب عن الشيء إذا لم يرده، وملة إبراهيم دينه الذي هو الإسلام لله ورفض الأديان المخالفة للتوحيد، والسفه: خفة العقل، ولعله عدي إلى نسه لتضمينه معنى خسر أو ض١اع أو أهمل أو أهان أو نحو ذلك مما هو شأن السفيه، ويفهم من السياق، والمعى أي عاقل يرغب عن ملة إبراهيم كأن ذلك لا يتصور إلا ممن سفه نفسهن وذلك لوضوح حجته في أنه إذا عبد الله ولم يلبس إيمانه بمعصية فهو أحق بالأمن ممن عبد غير الله بدون برهان من الله، فعبادة الله لا جدال فيها؛ لأنه الخالق الرازق، وترك الشرك لا ينبغي أن يكون فيه جدال؛ لأنه مجرد خرافة وأسماء يسميها الجاهلون، ليس فيه إذن من الله ولا أي حجة من العقل، فملة إبراهيم هي النهج الواضح والصراط المستقيم، فاتباعها مقتضى العقل، والعدول عنها علامة السفه.

{ولقد اصطفيناه} الاصطفاء اختيار صفوة الشيء وأفضله {في الدنيا} للنبوة والرسالة، وما كان معها من مقاومة الشكر والعمل لإعلاء كلمة الله وتمكين دين الله في الأرض، فدينه دين الله الذي اصطفاه لعباده.

{وإنه في الآخرة لمن الصالحين} فله ثوابه وكرامته عند الله؛ لأنه من الصالحين، وفيه دلالة على أن سبب الثواب هو الصلاح لا ما يمني أهل الكتاب أنفسهم، وفي الآية دلالة على أن الدين هو عبادة الله الخالصة له؛ لأن هذا دينه، فلا حكم لصورة من صور العبادة إلا لكونها عبادة لله خالصة، فمتى خرجت

عن ذلك بنسخ أو رياء أو نحوه فليست من دين إبراهيم؛ لأنها خرجت عن كونها عبادة لله خالصة، ودين إبراهيم العبادة الخالصة، وقوالب العبادة غير مقصودة لذاتها في دينه عليه السلام.

{إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين(١٣١)}

اذكروا يا بني إسرائيل {إذ قال له ربه أسلم} وجهك لربك {قال أسلمت لرب العالمين} الذي يجب على العالمين أن يسلموا له وجوههم؛ لأنه ربهم المالك لهم المستحق؛ لأن يعبدوه وحده، ولعل هذا القول كان ألو نبوته كما قال لموسى في أول ما أوحى إليه: {يا موسى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني}.

{وأوصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون(١٣٢)}

{وأوصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب} وقرئ: {ووصى}، والمراد أنه أوصى بهذه الكلمة التي قال له ربه ويعقوب أوصى بها بنيه قائلا لهم: {يا بني إن الله اصطفى لكم الدين} أي اختاره لكم من حيث هو خير الأديان.

{فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون} لله وجوهكم، لا تشركون به شيئا، فأهل الكتاب قد عدلوا عن وصية آبائهم حين أشركوا عزيرا وعيسى وأحبارهم ورهبانهم.

}

(١٠٢/١)

أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون(١٣٣) تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون(١٣٤)}

{أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي} أي بل أكنتم شهداء، ومعنى الإضراب الانتقال من حجة إلى أعظم منها كقوله تعالى: {إن هم إلا كالأنعام بل هم اضل}، وفي هذه الآية دلالة على شدة اهتمام إسرائيل بعبادة الله وحده وشدة خوفه على بنيه من الشرك حيث أقبل عليهم ليأخذ منهم الوعد بالثبات على التوحيد، وهو في حال حضور الموت له.

{قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون} وجوهنا لا نعبد غيره، فنحن على هذا الدين الذي ورثناه منك وورثته من آبائك وورثوه من إبراهيم، لا نعدل عن دين آبائنا الذين توارثوه، الذي هو التوحيد، فقد طمئنوا آباهم بإفهامه أن تمسكهم بالتوحيد كالأمر الطبيعي لهم؛ لأن من طبع الخلف الميل النفسي إلى طريق السلف، فكيف بعدلون عنه وسلفهم إراهيم الخليل

وإسماعيل وإسحاق ويعقوب.
{تلك أمة} الإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وأبناء إبراهيم عليهم السلام، يحتمل أن أبناء يعقوب داخلون فيها، وأمة أهل دين واحد. {قد خلت} قد مضت.
{لها ما كسبت ولكم ما كسبتم} ليس لكم من عملهم شيء ولا لهم من عملكم شيء، ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه.
{ولا تسألون عما كانوا يعملون} أما قوله تعالى: {قد خلت} فيظهر أن المراد به أن يقول لأهل الكتاب: لا سبيل لكم إلى معرفة ما كانوا عليه إلا الأخبار، وخبر الله عنهم أصدق الأخبار، وأما قوله: {لها ما كسبت ولكم ما كسبتم} ففائدته ـ والله أعلم ـ قطعالأماني ورجاء أنهم سينفعونكم بشفاعة أو يهب الله مسيئكم لهم فيعفو عنه لأجل تلك الأمة، وذلك أنهم إنما عملهم لهم وحدهم، وأما قوله تعالى: {ولا تسألون عما كانوا يعملون} فلعل المراد به لا تنشغلوا بالجدال فيما كانوا عليه؛ لأنكم لا تكلفوا بمعرفة ذلك، ولن تسألوا عنه، والمهم لكم أن تتبعوا الرسول وما أنزل إليه من الله الذي أنزل هذا القرآن والله أعلم.
{وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين(١٣٥)}
{وقالوا}: أي اليهود والنصارى، {كونوا هودا أو نصارى تهتدوا} ((أو)) ليست للتخيير، وإنما هي للترديد بين الأمرين كقوله تعالى: {وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين}. وقال الشاعر:
لنفسي تقاها أو عليها مجورها

(١٠٣/١)

وذلك أن من طلب منه أن يكون يهوديا وطلبه آخرون أن يكون نصرانيا، فمجموع الطلبين يتضمن أن يكون على أحد الملتين من حيث أنه لا يمكن الجمع بينهما، وكونه على أحد الملتين إجابة لأحد الطلبين، فقد طلب منه اليهود أن يكون على أحدهما، وهو اليهودية وطلبه النصارى أن يون أحدهما وهو النصرانية، فمجموع الطلبين لأحد الملتين الذي هو اليهودية أو النصرانية.
{قل} يا محمد {بل ملة إبراهيم} أي بل اتبعوا ملة إبراهيم؛ لأن قولهم: {كونوا هودا أو نصارى} يفهم منه اتباع دينهم كأنهم قالوا: اتبعوا ديننا، فجوابه: بل نتبع أو بل اتبعوا ملة إبراهيم، {حنيفا وما كان من المشركين} تكررت هذه الكلمة الكريمة، ففي سورة آل عمران: {فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين}، وفي سورة الأنعام: {قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين، وفي سورة النحل: {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا وما كان من المشركين}، وفي سورة آل عمران ـ أيضا ـ: {ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من

المشركين}، وفي سورة الأنعام - أيضاً -: {إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين}، وفي سورة النحل - أيضا -: {ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين}، هذا كله في إبراهيم عليه السلام، وفي سورة الحج: {فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به}، وفي سورة لم يكن: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء}، وفقد قيل في تفسير الحنيف: أنه من الحنف الذي هو الميل في القدم، وهذا عندي بعيد؛ لأن الإشتقاق من العيوب يكون على وزن أفعل مثل أحنف أعرج أعور أعمى أصم إلى غير ذلك، ولأن قوله تعالى: {وما كان من المشركين هو معنى العدول عن أديان الشرك، فيكون ذكر الميل فضلة، وهو بعيد في القرآن الحكيم، ولأن الوصف بالميل إذا أطلق كان ذما نحو فلا تميلوا كل الميت، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما، فكيف يستعمل الوصف بالحنف بمعنى المائل، ولا يفيد بأن يقول عن الباطل أو نحوه، فهذا لا يليق بكتاب الله الذي هو أحسن الحديث لفظا ومعنى، فلا يليق به استعمال العبارة الناقصة؛ لأ، نقصها خلل في الفصاحة وإن كان المراد صحيحا كقول الشاعر:
والعيش خير في ظلال النوك ممن عاش كدا ... فكيف إذا كان نقصها يوهم المعنى الفاسد

(١٠٤/١)

وقد قيل في معاني الحنيف غير ذلك، وأحسن ما قيل في ذلك أنه: الطائع المستقيم الخاشع، وفي كتاب (الدليل الكبير) أو كتاب من مجموع القاسم عليه السلام: والحنيف فهو: المحب الخاشع، انتهى. أفاده القاسم عليه السلام في تفسير سورة لم يكن. وقال الشرفي في (المصابيح) في تفسير قول الله تعالى: {فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به}، ومعنى قوله: {حنفاء لله} خاشعين لله ثابتين على دينه، وقد ذكر المعنى الذي هو مائلين، لكن الراجح الذي أفاده القاسم عليه السلام كما ذكرت. هذا في وصف إبراهيم عليه السلام، فأما من بعده فيحتمل أنه الخاشع الثابت كما هو الظاهر في قوله تعالى في أهل الكتاب والمشركين: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء} من أجل قوله: {مخلصين له الدين}؛ لأنه يغني عن وصف العبادة بكونها على ملة إبراهيم، فأما الخشوع مع الإخلاص فهو مناسب. وكذا في قوله: {حنفاء لله}؛ لنه أنسب لكلمة: {خاشعين لله}، ويحتمل ما كان في كلام الجاهلية من كلامهم أنهم أرادوا به دين إبراهيم لكون إبراهيم كان حنيفا فحفظوا الاسم فجعلوا الاسم لمن كان على دينه بزعمهم أنه على دينه، وهذا لا ينافي المعنى الأصلي لوصف إبراهيم عليه السلام أنه كان حنيفا. واعتقاد الجاهلية أن من اختتن وحج البيت الحرام حنيف؛ لأنهم لم يتمسكوا من دين إبراهيم إلا بالختان والحج، وقولهم مع كونهم يعبدون الأوثان: نحن حنفاء على دين إبراهيم، لعل ذلك الاعتقاد والقول هو سبب استمرار قوله تعالى: {حنيفا} مقرونا بقوله

تعالى: {وما كان من المشركين} ليردد عليهم باطلهم وانتسابهم كذبا إلى دين إبراهيم.

{قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون(١٣٦)}

{قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا} وهو القرى، والسنة. {وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط} أسباط إبراهيم عليه السلام، أي أبناء بنيه أو أسباط المذكورين.

{وما أوتي موسى وعيسى} وهو التوراة؛ لأنها كانت لهما، والإنجيل وغير ذلك.

{وما أوتي النبيون من ربهم} آمنا بذلك خصوصا وعموما.

{لا نفرق بين أحد منهم} بل نؤمن أن دينهم واحد هو الإسلام لله وأنهم كلهم على الحق وأنهم كلهم مؤمنون برسل الله كلهم ولا يكفر نبي بنبي.

}

ونحن له مسلمون} وجوهنا نعبده ولا نعبد غيره، وهذا رد على اليهود والنصارى القائلين: {كونوا هودا أو نصارى} فديننا الإيمان بالله ورسله، وبما أوتي النبيئون من ربهم، ولا شك أن ذلك كله حق؛ لأن القرآن قد جاء به وأثبت نبوة موسى وعيسى، وصدق التوراة والإنجيل، فنحن نصدق ما صدق الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن لله مسلمون وجوهنا لا نعبد غيره، بل نعبد الله وحده، فأي عيب في ديننا، {هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وإن أكثركم فاسقون}.

{فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم(١٣٧)}

{فإن آمنوا} أي أهل الكتاب {بمثل ما آمنتم به} فقالوا آمنا بالله وما أنزل إليكم.. إلخ، ما ذكر في الاية.

{فقد اهتدوا} إلى الحق {وإن تولوا} عن ذلك وتركوه وقالوا أنؤمن بما أنزل علينا نؤمن ببعض ونكفر ببعض.

{فإنما هم في شقاق} ليسوا طالبين للحق ولا هم أهل إنصاف إنما يريدون الخلاف ومجانبة الحق.

وقوله تعالى: {بمثل ما آمنتم به} لو كان المعنى الأول ومفهوم اللفظ، فغن آمنوا بالله وما أنزل لقيل: فإن آمنوا بمن آمنتم به على طريقة التغليب، فإما أن يكون المعنى بمثل الله ومثل ما أنزل إليكم، فلا يصح، فالراجح أن المراد فإن آمنوا بأن قااول مثل القول هذا الذي عبرتم به عن إيمانكم، فالمراد بقول: {مثل قولكم} الذي آمنتم به، أي إيمانك بالقول ن وليس المراد مجرد القول بدون الإيمان

بالقلب؛ لأن قوله تعالى: {قولوا آمنا بالله..} إلخ، المراد القول المقبول المطابق لما في القلب، فإيمانهم بقول مثله لا يكون مثله، إلا إذا طابق ما في القلب، والمراد بالمماثلة أن يقولوا {آمنا بالله وما أنزل إلى محمد وما أنزل إلى إبراهيم..} إلى آخر الآية.

{فسيكفيكهم الله وهو السميع} لأقوالهم عن شقاقهم. {العليم} بما يخفي كل منكم ومنهم وما يعلن، ومعنى {يكفيكهم} ينجيك منهم ويتولى دفعهم عنك وعن شقاقهم.

{صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون(١٣٨)}

{صبغة الله} التي جعلها لنا نصطبغ بها، أي آمنا بالله وما أنزل ونحن له مسلمون، صبغ الله لنا فهو مصدر نوعي مثل قعدة البدوي لنا، فهي خير من صبغتكم التي تصبغون بها أولادكم.

}

(١٠٦/١)

ومن أحسن من الله صبغة} أي لا أحسن، فالصيغة التي صيغناها لا أحسن منها، ذكر الشرفي في (المصابيح) أن بعض النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصغر يسمونه المعمودية، ويقولون هو تطهير لهم، فإذا فعل الواحد بولده ذلك قالوا: الآن صار نصرانيا حقا، انتهى المراد، فصبغة المسلم قوله: {آمنا بالله..} إلى {ونحن له مسلمون}، فإذا قالها صار مسلما حقا وهذه مشاكلة كقول حاتم لما نحر نحره من الإبل هكذا فزدي أنه وذلك أهم كانوا يفصدون عرقا من الناقة أو الجمل ويجعلون الدم في إناء ثم يأكلونه، فأراد حاتم أنه ينحرها بدلا من الفصد.

{ونحن له عابدون} لا لغيره، لأنا عباد الله وحده لا شريك له فينا، فلا نتخذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله، ولا نعبد عيسى ولا عزيرا.

{قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون(١٣٩)}

{قل} يا محمد لأهل الكتاب {أتحاجوننا في الله} إذ أسلمنا له وعبدناه وحده.

{وهو ربنا وربكم} فنحن وأنتم مجمعون على أن عبادته حق وأنه المالك لنا ولكم، فكيف نجعل له شريكا بعد علمنا بهذا.

{ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم} فلستم مسؤولين عن أعمالنا ولا نحن مسؤولين عن أعمالكم، فلأي سبب تجادلوننا في أعمالنا.

{ونحن له مخلصون} أنفسنا وعبادتنا ولا شك في استحقاقه الإخلاص؛ لأنه ربنا وحده لا شريك له، فلماذا تحاجوننا في ديننا، فلا باعث للجدال إلا الحسد.

{أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله

ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون(١٤٠) تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون(١٤١)}

{أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى} أم أي بل أيقولون، وهذا انتقال من الرد عليهم في المحاجة إلى الرد عليهم في الزور والبهتان الذي يقولونه، فبعد أن حكى قولهم قال تعالى: {قل} أي يا محمد {أأنتم أعلم أم الله} فقد بين سبحانه أنهم لم يكونوا هودا ولا نصارى، وهو علام الغيوب.

{ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله} في التوراة أو غيرها مما أنزل، وهي تبين الحق في هذا الشأن وتوضح أنهم لم يكونوا هودا ولا نصارى، وتشهد لنا أنهم كانوا مسلمين، فكيف كتمتم شهادة الله التي عندكم لنا وافتريتم خلافها كأنكم تدعون أنكم أعلم من الله وكيف لم تخافوا الله.

{وما الله بغافل عما تعملون} فهو يجازيكم جزاء موفورا.

}

(١٠٧/١)

تلك أمة قد خلت} أي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط أمة أهل دين واحد قد مضوا {لها ما كسبت ولكم ما كسبتم} فليس لكم من دينهم شيء.

{ولا تسألون عما كانوا يعملون} فلا تحتاجون لمعرفة ما كانوا يعملون؛ لأنكم لا تسألون عنه، ولذلك فلا حاجة للجدال فيما كانوا عليه.

{سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم(١٤٢)}

{سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها} السفهاء الذين عقولهم خفيفة وهم أناس من أهل الكتاب كفروا بالله ورسوله انقيادا للحسد بعد ما تبين لهم الحق، وضر ذلك عليهم لأنهم تعرضوا لغضب الله وصاروا من أهل النار، فأي سفاهة فيمن ينقاد للحسد حتى يصير من أهل النار لا يتدبر عاقبة ولا يبالي بضر نفسه، وقوله سبحانه: {من الناس} يشير إلى أن القائلين لسيوا من أهل الكتاب وحدهم؛ لأن السياق قبل هذه الآية كان فيهم ولم قل: سيقولون، ونسب القائلين إلى الناس جملة، فلا بد أن غير أهل الكتاب شاركوهم ولعلهم منافقون تلقنوا ذلك من أهل الكتاب، وقولهم: {ما ولاهم} تجاهل بالحق الذي هو أمر الله وإيهام أن ذلك لغرض نفسي كالتعصب للكعبة، ولو كان ذلك كذلك لكان مخالفةلحكم الله وجهالة وسفاهة حاشا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه،

ولكنهم تبعوا أمر الله أولا في استقبالهم القبلة التي كانوا عليها، وثانيا في استقبالهم شطر المسجد الحرام، والسفهاء، هم: المتهمون لهم بما هم هو سفاهة،وقولهم: {ما ولاهم عن قبلتهم تشنيع لعدولهم إلى الكعبة؛ لأن غرضهم أن يجعلوهم متولين عن الكعبة، فلم يقولوا: ما عدل بهم إلى الكعبة؛ لأن غرضهم أن يجعلوهم متولين عن القبلة التي قد آمنوا بها سابقا وكانوا عليها، فعابوا ليهم تركها بعد إقرارهم بها غير ملتفتين إلى أنهم عدلوا إلى الكعبة البيت الحرام.
}

قل} يا محمد ردا عليهم {لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} قل لله المشرق والمغرب، فالأمر له في أن يجعل قبلة أي جهة شاء إما على المعنى الذي مر ذكره في تفسير قوله تعالى: {ولله المشرق والمغرب} وإما على معنى أنه هو الذي جعل مشرق الشمس ومغربها واختار له جهاته من الأرض، فانقادت له الأرض والشمس، فكذلك يختار القبلة فتكون كما اختار؛ لأن بيده ملكوت كل شيء، وقوله تعالى: {يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} يفيد أن القبلة الكعبة نستقبلها بهداية الله لنا إليها في ضمن هدايته لنا إلى صراط مستقيم، فكان المهم بيان أن الله هدانا إلى صراط مستقيم حيث هدانا إلى اتباع ما أوحى إلى رسوله من الهدى، كما أن السفهاء كانت مهمتهم في اعتراضهم على ترك القبلة التي كانوا عليها، وهو القدح في الدين. قال الشرفي في (المصابيح): قال المرتضى عليه السلام: السفهاء الذين ذكرهم الله سبحانه، فهم السفهاء في نفوسهم الذين لا عقول لهم ولا تمييز ولا دين، سفهاء الرأي والأحلام من أهل الكتاب وغيرهم، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي إلى بيت المقدس وكان يحب الصلاة إلى قبلة إبراهيم علهيا لسلام، وهو قول الله عز وجل: {قد نرى تقلب وجهك..} إلى قوله تعالى: {فولوا وجوهكم شطره}، فأمر الله عز وجل أن يولي وجهه ومن كان معه من المؤمنين إلى الكعبة وهي قبلة إبراهيم عليه السلام، ثم قال: {سيقول السفهاء من الناس..} إلى قوله: {قل لله المشرق والمغرب}، فأمره سبحانه أن يقوللهم عندما يكون من كلامهموجهلهم وطعنهم عليه في تحوله عن القبلة وغيرها من الأديان تعبد من الله تعبك وهو يفعل عز وجل ما شاء ويتعبد بما أراد، وما تعبد به فهو طاعة له، فكان قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم: {لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} قطعا لحججهم( )، وفلا لكلامهم، فلا يجدون معه قالا ولا قيلا، {والله يفعل ما يشاء ويحكم ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب}، وقيل: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى إلى بيت المقدس سبعة عشر، انتهى( ).

{وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة

التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم(١٤٣)}
}

(١٠٩/١)

وكذلك جعلناكم أمة وسطا} وكذلك كما جعلنا قبلتكم الكعبة جعلناكم أمة أهل دين الإسلام لله وسطا خيارا ملتزمين بطاعة ربكم ومكارم الأخلاق والأمر بالمعروف والنيه عن المنكر والإيمان بالله على أكمل الوجوه، والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وخاصته الدعاة إلى دينه المجاهدين معه في سبيل الله، فالإعتراض كان موجها إليهم؛ لأن الغرض به القدح في دينهم لصرف الناس عنهم، ولذلك قال في الجواب: {يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم}ن وهذه خاصة بالمتقين لا يدخل فيها المخلطون، وليس المراد بالأمة كل من ينتمي إلى الإسلام، فهو اصطلاح حادث، وإنما المراد به المخاطبون المذكورو، وكذلك ليس منهم المنافقون.

{لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} لتكونوا بسبب كونكم خيارا شهداء على الناس، فالشهيد على الأمة لا يكون إلا أوسطهم، وذلك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه في عهده شهيد على الموجودين الذين هو بينهم مطلع على إسلامهم أو كفرهم كما قال تعالى: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداؤ، وقال تعالى: {ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء، فقوله تعالى: {هؤلاء} إشارة إلى الموجودين، يؤكد هذا ما حكاه الله تعالى عن عيسى عليه السلام: {وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم}، ودل ذلك كله أن شهداء الله هم خيار الأمم وأن من كل أمة شهيدا هو خيرهم يشهد عليهم يوم القيامة بما شاهد من قومه، وأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شهيد على من كان في عصره الذين عرفهم بإيمان أو كفر.

{وما جعلنا القبلة التي كنت عليها} أي بيت المقدس {إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه} أي من يتبع الرسول فيتحول معه إلى قبلته الأخيرة وينفصل ويظهر ويمتاز عمن ينقبلب على عقبيه، وهو الذي يعبد الله على حرف كما قال تعالى: {وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه}، وقوله سبحانه {إلا لنعلم} ليس معناه أنه لا يعلم ما سيكون، فهو علام الغيوب، وإنما المراد أن هذا التكليف يشبه الإختبار من حيث أنه سبب لظهور المؤمن الثابت على دينه بوقوع ذلك مه عند هذا التكليف بخلاف من لم يكن ثابتا في دينه كما علم الله ذلك من قبل بوقوع الانقلاب مه عند هذا التكليف، والسياق يفيد أن المقصود في هذه الحالة امتياز المؤمن الصادق في إيماه امتيازه من غيره، فأما

انكشاف من لم يكن كذلك فهو وقاع تبعا للمقصود.
}

(١١٠/١)

وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله} وإن كانت لكبيرة كقوله تعالى: {كبر على المشركين ما تدعوهم إليه}، فهو في التعبير عن ثقلها أشد مما لو قيل ثقيلة؛ لأن كبيرة عليهم يدل على ثقل زائد يصعب احتماله جدا، ولا إشكال أن المراد بهذا هو تحويل القبلة، وعلى هذا فالضمير راجع إلى المفهوم من السياق المؤنث، إما الكعبة أي التحويل إليها، وإما الفتنة بهذا التكليف، وقوله تعالى: {إلا على الذين هدى الله}، المراد به الخاشعون لله الذين يريدون ما يرضي الله ولا يبالون بما خالفه؛ لأن رغبتهم في طاعة الله رغبتهم في طاعة الله غالبة على كل رغبة نفسير، بل ربما غلبت حتى لا يبقى رغبة تخالفها، ولذلك لا يثقل عليهم شيء من طاعة الله، وذلك؛ لأن الله هداهم هدى زائدا على الهدى العام للمكلفين، وهو تنوير قلوبهم بحيث يحبون طاعة الله ويكرهون معصيته، ولا يبقى لهم هوى يعارض ذلك؛ لأن هواهم الطبيعي يضعف عن المعارضة.

{وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم} بل لا بد أن يثبكم عليه ثوابا عظيما، والخطاب للثابتين المتبعين للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهم المؤمنونالخلص، ويؤخذ منه أنه لا يضيع صلاتهم إلى بيت المقدس؛ لأنهم صلوها إيمانا بالله ورسوله ويخرج من ذلك من صلى من المنافقين لموافقة اليهود لا إمانا بالله ورسوله، وقوله تعالى: {لرؤوف رحيم} لعله على معنى التوزيع، فرحته سبحانه وسعت كل شيء، وقال: {وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب}، ورأفته لمن شاء على الحكمة أو تعم الناس لكن من كفر وتمرد تكون الرأفة به في صغره مثلا، وهذا لأن الرأفة أبلغ من الرحمة بدليل العطف في قوله تعالى: {وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة} والعطف التغاير، ويكون المعنى رحمة في بعض الأحوال، ورأفة في بعض آخر، وفي (لسان العرب) ما لفظه: ومن صفات الله عز وجل الرؤوف}، وهو الرحيم لعباده العطوف عليهم باللطافة والرأفة أخص من الرحمة وأرقى، انتهى. قلت: ولعل قوله تعالى: {ولا تأخذكما بهما رأفة في دين الله} أتى بذكر الرأفة لكونها مظنة أن تغلب صاحبها فيقصر فيها أمر الله به من الحد بسبب شدة الرحمة له، فيناسب هذا كون الرأفة أخص وأرق والله أعلم، والله سبحانه منزه عن الرقة، والمراد أنه يعامل معاملة الرؤوف وكذلك الرحيم.

{قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما

يعملون(١٤٤)}
}

(١١١/١)

قد نرى تقلب وجهك في السماء} تقلب الوجه في المساء نظرة إلى جهة فوق، وهذا شأن من ينتظر آتيا يأتي من جهة أن ينظر إلى تلك الجهة، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمل على دفع الطبيعة البشرية في انتظاره نزول الوحي في شأن القبلة، ولعل سبب ذلك وعد من الله سابق أنه سيجعل قبلته الكعبة أو دعاء يتوقع إجابته أو نحو ذلك، و ((قد)) للتقليل، وذلك لقلة العفل أو للتحقيق، ولا موجب لحمله على التكثير لا مكان أن تقلب وجهه في السماء قليل.
{فلنولينك قبلة ترضاها} هو صلى الله عليه وآله وسلم يرضاها لحكم الله بتوليتها وبالطبع لكونها قبلة أبيه إبراهيم صلى الله عليه، وليس المعنى أنه لم يكن يرضى القبلة بيت المقدس؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم يرضى ما رضي الله له.
{فول وجهك شطر المسجد الحرام} إجعل وجهك واليا شطر المسجد الحرام، أي موجها إليه، وقوله تعالى: {شطر المجسد الحرام} أي بعضه؛ لأنه يكفي استقبال بعضه، ولذلك صحت الصلاة جوف الكعبة، والمسجد الحرام الكعبة وتحريمها؛ لأن من دخلها كان آمنا، وهي مسجد بني للصلاة فيه والطواف حوله، وغير ذلك بدليل قوله تعالى: {أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود}ن وظاهر طهارته للركع السجود طهارته لمصلين فيه لا للمصلين خارجه.
{وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره} والمراد مع التمكن من ذلك، فيصلي إلى الكعبة من أمكنه التوجه إليها، ولو كانت فوقه أو تحته، أما من تعذر عليه ذلك لمرض أو إلتباس أو غير ذلك فهو يكفيه الاستقبال حيث أمكن، بدليل الآية السابقة، فأينما تولوا فثم وجه الله، وقوله تعالى: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها}.
{وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم} أي استقبال شطر المسجد الحرام لعلمهم أن الحكم لله وأن هذا حكمه.
}

(١١٢/١)

وما الله بغافل عما يعملون} بالياء والضمير لأهل الكتاب من آمن منهم ومن كفر، والمراد أنه سبحانه سيجازي كلا بعمله. قال الشرفي في (المصابيح): قال إمامنا المنصور بالله علهيا لسلام: تدل الآيات على أن القبلة كانت إلى غير الكعبة، وهي بيت المقدس بالإجماع المعلوم، وذلك معنى قوله سبحانه: {ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها}، وعلى نسخ استقبال بيت المقدس وتحويله إلى الكعبة المشرفة، وعلى ان امتحان العباد بالنسح حسن، وأن فيه حكمة، وكذلك سائر الإمتحانات كما يأتي في قوله سبحانه: {ومن الناسمن يعبد الله على حرف..} الآية، وكابتلاء أصحاب السبت بحشر الحيتان إليهم يوم سبتهم، فكانت تأتيهم شرعا وعلى أن طائفة من الأمة جعلهم الله شهداء على الناس؛ لأن الآية لفظها عام، ومعناها خاص؛ لأنه لو كان المارد بها جميع الأمة لكان المعنى: وجعلنا جميع الأمة شهداء على جميع الأمة، وذلك فاسد، فما بقي إلا أن يكون المعنى خاصا بطائفة من الأمة، انتهى المراد نقله هنا. وأقول: قد بينت فيما مضى أنه ليس عاما للأمة، وليس هناك صيغة عموم، وإنما هو ضمير غيبه، ...

(١١٣/١)

قولهم: {ما ولاهم} يحتمل الاختصاص بقادة الإسلام، وحيث أن المقصود به القدح في الإسلام، فالمقصود به أصالة هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما ضموا إليه خاصة كفرا به وتسوية بينه وبينهم، أما الأتباع الذين ليسوا قادة في الدين فليس السؤال موجها إليهم؛ لأنهم أتباع معلوم جوابهم لو سئلوا أنه الإتباع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ((ثم)) ضمير خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس معه غير معينين؛ لا بعموم في الضمير ولا خصوص من قوله تعالى: {جعلناكم}، مع أن قوله تعالى: {يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} قد دل من حيث هو جواب السؤال على أن المراد في الجواب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاصته الذين هداهم الله إلى صراط مستقيم، الهدى المطلوب في قولهم: {إهدنا الصراط المستقيم}، الهدى المذكور في قوله تعالى: {فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة مه وفضل ويهديهم إلأيه صراطا مستقيما}، وهذا لا يدخل فيه المخلطون، فأكد ذلك أن الكلام في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاصته قادة الإسلام المطهرون، فقوله تعالى عطفا على ذلك: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا} خاص بهم؛ لأن السياق واحد، يؤكد ذلك أن الوسط هم الخيار، وقد مر هذا وأعدته لزيادة بعض الكلام، فظهر أن قول الإمام لفظها عام سهو، فظهر أن الخطاب في قوله تعالى: {وكذلك جعلناكم} خاص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأناس معه غير معروفين في الخطاب لا بعموم ولا خصوص، فهو مجمل بينته القرائن المذكورة، فأما لفظ ((أمة)) فلا يدل على العموم؛ لأن استعماله في أمة الإسلام كلهم عرف خاص طارئ ليس

في القرآن، وفي القرآن: و{ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير} ومن قوم موسى {أمة يهدون بالحق}، فثبت أنه يستعمل في بعض المنتمين إلى الملة لسبب خاص بجمعهم، وكذلك قوله تعالى: {ليكون الرسول عليكم شهيدا لا يدل على أن المخاطبين هم كافة أهل الملة؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم شهيد على الخاصة والعامة الموجدين في عصر الذين علم إيمانهم أو كفرهم، فخطاب الخاصة بأه شهيد عليهم لا مانع منه.

{ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين(١٤٥)}

{ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك} لأنهم متعصبون لقبلتهم قد كفروا بالحق بعد الآيات البينات فخذلوا فلا يفيدهم زيادة الآيات، ولو جاءتهم كل آية ما تبعوا قبلتك التي هي الكعبة.

{وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض} لتعصب كل ملة لقبلتهم وكون القائد لكل منهم إلى دينه هو الهوى.

}

(١١٤/١)

ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين}؛ لأن من الحيف والجور أن يعدل العبد عن أمر مالكه المنعم عليه إلى أهواء أعداء ربه.

{الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون(١٤٦)}

{الذين آتيناهم الكتاب} أي الذين علمهم الكتاب، فهم يقرؤونه ويفهمون معانيه.

{يعرفونه} يعرفون ما جاءك من العلم، أي يعلمون أنه من الله {كما يعرفون أبناءهم} معرفة تامة {وإن فريقا منهم} أي من هؤلاء الذين يعرفونه {ليكتمون الحق وهم يعلمون}فيعلمون الحق ويعلمون إثم الكتمان، فيعلمون أن ذلك الكتمان قبح، ومع ذلك يكتمون جرأة على الله وانقيادا للحسد والكبر والهوى.

{الحق من ربك فلا تكونن من الممترين(١٤٧)}

{الحق من ربك} لأن ما أمر به حق، وما شرعه الحق فالحق منه؛ لأن التشريع منه له، له الحكم وله الملك، ومن ذلك جعل الكعبة قبلة فهو حق من الله.

{فلا تكونن من الممترين} الشاكين؛ لأن الله يحكم لا معقب لحكمه ولا مبدل لكلماته، ولا يشرك في حكمه أحدا، فما شرعه فهو الحق وما بعد الحق إلا الضلال، فلا مجال للمرية.

{ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير(١٤٨)}
{ولكل} منكم ومنهم ومن كل فريق منهم. {وجهة} قبلة يوليها وجهه.
{هو موليها} أي الله سبحانه هو الذي شرعتلك الوجهة وجعلهم بحكمه يولونها وجوههم؛ لأنه المشرع، فهم كلهم في الأصل تبعوا تشريعه لعلمهم أنه الحق وإنما يتعصبون لوجهتهم من بعد ما ولاهم الله إياها، واتعبوا تشريعه، فكان عليهم أن يتبعوا تشريعه إذا نسخها كما اتبعوا تشريعه حين شرعها، وهذا يمكن أنه عبارة عن القبلة فقط،، ويمكن أنه كناية عن الشرعة، كما قال تعالى: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا}.
}

(١١٥/١)

فاستبقوا الخيرات} أي الخيرات ـ بالتشديد ـ وهو يصلح للأعمال الصالحات وللدرجات التي تنال بالأعمال الصالحات، فإن كان المراد بها الأعمال فالمراد أمر الفرق المختلفة أن تستبق الحق الذي يقبله الله وهو خير الطرق وأفضلها، وأعماله هي الخيرات أي الفاضلات، وإن كان المراد به الدرجات فهو كقوله تعالى: {وفي ذلك فليتنافس المتنافسون}، والاستباق إليها أن يعمل كل ليسبقها، وذلك بأن يعمل العمل الموصل إليها وهو الدين الحق الذي يتقبله الله ويثيب عليه، فالحاصل أمر الفرق أن تستبق وتطلب السبق باتباع الحق الذي يؤدي إلى السعادة، فهو الذي ينبغي التنافس فيه لا الطرائق التي لا يقبلها الله، فلا تؤدي إلى الدرجات العلى، وليس لها من صفة الخير والفضل شيء؛ لأنها صارت بالنسخ غير مرضية، وهذه الآية مثل آية المائدة، وحاصل ذلك أمر أهل الملل أن يكونوا على الحق، ومعنى ذلك أن يصيروا ملة واحدة هي الحق، وهو دين الله الذي شرعه في القرآن وفيما أوحى إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم.
{أينما تكونوا} من أقطار الأرض أو غيرها من الأمكنة {يأت بكم الله جميعا} مجتمعين، وذلك يوم يجمعكم ليوم الجمع، وهذا كقوله تعالى في سورة المائدة: {إلى الله مرجعكم جميعا} ولعل ذكر الأمكنة ليعم أهل من يستقبل قبلة فيتناول من يكون قريبا من قبلة فيختارها ويتعصب لها لقربهان فبين لهم أن مرجعهم إلى الله في أي مكان كانوا، وعلى هذا فعليهم أن يطيعوه في أي مكان كانوا؛ لأن مكانهم لا ينفعهم أو ينجيهم من الرجوع إلى الله لتجزى كل نفس بما تسعى، ويتناول من يكون بعيدا من الكعبة فيظن أن بعده عذر له في ترك استقبال الكعبة أو يتهاون بالقبلة لبعدها، والله أعلم.
{إن الله على كل شيء قدير} فهو على جمعهم إذا شاء قدير.

{ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون(١٤٩) ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون(١٥٠)}

{ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام} من أي مكان خرجت إليه فول وجهك منه شطر المسجد الحرام، فالحكم واحد فيمن كان في بلده، ومن كان خارجا عنها فعليه أن يستقبل الكعبة في صلاته.

{وإنه للحق من ربك} وهذا تأكيد لما سبق، وتأكيد بخصوص الخارج من بلده الذين يختلف عليه الجهات، وتلتبس عليه القبلة ويحتاج إلى النظر في العلامات أو سؤال أهل البلد المسلمين فالحكم واحد ولا يسقط إلا عند تعذر معرفة جهة الكعبة بأي وسيلة.

{وما الله بغافل عما تعملون}فهو غير غافل عن المصلي في أي مكان كان.

}

ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره} وهذا تأكيد لما سبق، وليترتب عليه ما يأتي كما ترتب على الأول قوله تعالى: {وإن الذين أوتوا الكتاب..} إلى آخر ما قال سبحانه فيهم.

{لئلا يكون للناس عليكم حجة} أي أمرناكم أن تولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام لئلا يكون للناس عليكم حجة، لو بقيتم على استقبال بيت المقدس وترك الكعبة، والحجة ما يحاجون به، أي يجادلون، ولو لم يكن دليلا صحيحا فلولا ذلك لكان لهم ما يجادلونكم به فيقول أهل الكتاب: لولا أن ديننا هو الحق ما كان على قبلتنا، ويقول كفار العرب: لو كان على حق لكا نيستقبل الكعبة قبلة إبراهيم.

{إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني} الذين ظلموا هنا هم المكابرون الذين لا يقبلون حجة ولا ينصفون في جدال، فهم لا يزالون في حيف وجور، ولا ينفعهم بيان الحق ولا دفع الشبهة، فهم لا يزالون يتمسكون بحجة داحضة ويجادلون بشبهة باطلة، فالاستثناء منقطع، أي لكن الذين ظلموا يحاجونكم بحجة داحضةن وهي حجة المكابر التي لا يبالي بها ولا يشتغل بالجدال فيها، وإنما جداله بالسيف متى لج به الخصام إلى السيف، وعند ذلك فلا تخشوهم ولا تحيدوا عن قتالهم خوفا منهم، {واخشوني} لا تخالفوا أمري فيهم بالقتال كقوله تعالى: {أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه}، وقد أمر سبحانه بقتالهم في قوله تعالى: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر}، وقوله تعالى: {قاتلوا

الذين يلونكم من الكفار} وغير ذلك، وأشار إلأيه في قوله تعالى: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم}، قال الشرفي في (المصابيح): قال المرتضى عليه السلام: فالخشية قد تكون من الأذية والكلام والبسط والقتال، فأمر الله أن لا يخشوا الخلق ولا يهابوهم ولا يدارون الظلمة ولا في الله سبحانه يتاقونههم، وأن تكون خشيتهم لله سبحان وقصدهم إياه والطلب منهم لرضاه، انتهى. فالأولى نفسير {فلا تخشوهم} بالمعنيين.

{ولأتم نعمتي عليكم} جعلت قبلتكم قبلة أبيكم إبراهيم التي ترضونها.

{ولعلكم تهتدون} باتباع أمر الله في القبلة التي صار استقبالها هو الهدى وفي غيرها.

{كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون(١٥١) فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون(١٥٢)}

}

كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون} أي جعلنا قبلتكم التي ترضونها كما أرسلنا فيكم رسولا منكم إلى آخرها أو جعلنا قبلتكم قبلة أبيكم إبراهيم التي رفع قواعدها ودعا عند ذلك هو وأبوكم إسماعيل أن نجعل من ذريتهما أمة مسلمة ونبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتنا ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، فكما أجبنا الدعوة في الرسول جعلنا القبلة ذلك البناء الكريم.

{فاذكروني} في صلاتكم وغيرها {أذكركم} بالثواب والتكريم.

{واشكروا لي} من أجل نعمة القبلة ونعمة الرسول وإتمام النعمة والشكر بالقلب واللسان والأركان العبادة والطاعة شكرا على النعم.

{ولا تكفرون} كما كفر بي الجاجدون بالحياة بعد الموت من العرب الذين يزعمون أنهم على دين إبراهيم وهم كافرون بقدرة الله على إحيائهم بعد الموت وبعلمه بما ضاع في الأرض من أجسادهم، فلم تنفعهم دعواهم أنهم حنفاء ولا تعظيمهم للكعبة المشرفة، ولعلها ـ والله أعلم ـ ستكون جاهلية ينتمون فهيا إلى دين محمد كما انتمى بعض أهل الجاهلية الأولى إلى دين إبراهيم ويكفرون بالله تعالى كما كفروا، فيكون هذا النهي حجة عليهم من علام الغيوب كما أنطق عيسى عليه السلام في أول كلامه للناس وهو في المهد بقوله: {إني عبد الله} ولم يكن يخطر ببال السامعين أن بعض النصارى سيقولون أن الله هو المسيح بن مريم، ومثل هذا التجويز يعتبر لإبقاء الكلام على ظاهره، فإما لصرف الكلام عن ظاهره فلا يلتفت إليه.

{يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين(١٥٣) ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون(١٥٤)}
}

يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين} الذي يظهر من تتبع الآيات المبدوءة بهذا النداء أنها ابتداء كلام بحيث لا يجب ربطها بالآية التي قبلها، وكأنه قد انتهى الكلام مع بني إسرائيل وفي شأن القبلة القبلة، وجاء ابتداء أبحاث جديدة في الجهاد والحج والصوم والزكاة والطلاق والإنفاق في سبيل الله والجهاد والربى وغير ذلك، ولا إشكال في حسن ارتباط الحث على الصبر وفضل الشهادة والصلاة باعتبارها تعين على تحمل مشاق التكليف، وهذا البحث مرتبط بما سبق من ذكر تمرد الكفار والمنافقين والكفار من بني إسرائيل من حيث أن مقاوتهم للإسلام أدت إلى وجوب الجهاد والإنفاق في سبيل الله من أجل الجهاد والاستعانة بالصبر والصلاة من أجل الجهاد وغيره من المشاق التي تكون بسبب أعداء الإسلام وغيرها، والإستعانة بالصبر تيد القوة من وجهتين: الأولى: إن الصبر على مقاومة الأعداء يؤدي إلى ضعفهم وعهزيمتهم من حيث أن صبر أهل الإيمان أقوى، ومن حيث أن النصر مع الصبر. الجهة الثانية: إن النفس تتعود ما عودت حتى يصير سهلا أو تخف مشقته، فإذا عودت الصبر هان عليها الصبر والإستمرار على الصبر، وأما القوة الحاصلة بالصلاة فمن حيث أن الصلاة الكاملة في إخلاصها لله وخشوعها لله تزيد الإيمان في القلب والرغبة في التقرب إلأى الله، وذلك قوة في الجهاد، وابلدليل علىأنها تزيد الإيمان قوله تعالى: {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر}، والنهي إنما هو من طريق الإيمان الباعث على كراهة الفحشاء والمنكر، وإذا كانت تنهى عن الفحشاء والمنكر فلا بد أنها ترغب في الجهاد؛ لأنه نهي عن الفحشاء والمنكر، ثم حسبنا دليلا على أن الصلاة تعين على الجهاد وغيره من التكاليف الشاقة، هذه الآية الكريمة {استعينوا بالصبر والصلاة}، الآية التي سبقت خطابا لبني إسرائيل، واستعينوا بالصبر والصلاة، وعلى هذا فمن الغلط اعتقاد أن الرغب في الصلاة تصرف الناس عن الجهاد؛ لأنها من أسباب الصلاح، وأهل الصلاح يرغبون ف الجهاد، قال تعالى: {الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله}، وقال تعالى: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون}.
}

ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات} أي لا تقولوا فيهم هم أموات، {بل أحياء ولكن لا تشعرون} أي بل هم أحياء ولكن أنتم لا تحسون بحياتهم، فلا تجعلوا عدم شعوركم بحياتهم دليلا على موتهم، وقد زاد هذا تحقيقا الآيات في سورة آل عمران، فقهي حياة حقيقة لا شك فيها والشهيد إنما يخرج من هذه الحياة إلى حياة أفضل، وعلى المكلف أن يؤمن بما أنزل الله ولا يعارضه بجهله، فإن الله تعالى يقول: {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا}، وكفى بهذه ترغيبا في الجهاد في سبيل الله؛ لأن المجاهد يكره الجهاد لحب الحياة، فإذا علم أنه إذا قتل في سبيل الله صار إلأى حياة أفضل حياة كرامة، وشرف ورزق وفرح صار إليها بعد حياة العناء والمنغصات المحدودة جاهد بقوة، فالحث على الصبر من أجل الجهاد ومن أجل سائر التكاليف كالحج والصيام، فما أحسن هذه الآية فاتحة لما بعدها من الآيات الكريمة في سورة البقرة؛ لأن الطاعة لا تتم ولا تستمر إلا بالصبر.

{ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين(١٥٥) الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون(١٥٦)}

{ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين} لنبلونكم: لنختبرنكم، أي نفعل ما هو مثل الإختبار الذي يتبين مبه من يصبر ومن لا يصبر، فأنتم تحتاجون معه إلى لاصبر الذي سبق الحث عليه، وقوله تعالى: {بشيء من الخوف..} إلى آخره، يفيد تقليل ما يبتلى به ليوطنوا أنفسهم على الصبر ولا يهابوه ويظنوا أنه لا يطاق، والابتلاء بالخوف يميز بين المؤمن الصادق في إيمانه والمؤمن بلسانه دون قلبه وينجم عنده النفاق، فقال المنافقون: {ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وقالوا غر هؤلاء دينهم}، والابتلاء بالجوع يتبين به من يؤثر على نفسه كأهل البيت عليهم السلام، ومن لا يصبر على الجوع فيطلب الأكل ولو من الحرام، ومثله نقص من الأموال يتبين به من يرضى بحكم الله ويصبر ولا يحمله النقص على البخل، ومن تمحقه البلوى ومثله، ومثله نقص الأنفس والثمرات، فبان بذلك حاجة المؤمن إلأى الصبر للثبات على دينه ولنيل فضيلة الصبر العظمى التي أفادها قوله تعالى: {وبشر الصابرين}، وإنها لبشارة عظمى؛ لأنها من ملك الملوك أكرم الأكرمين الذي بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

}

(١٢٠/١)

الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون} هذا بيان للصابرين؛ لأنه لا يتم الصبر ولا يستمر إلا بالإيمان، أنا لله مملوكون وعباد مربوبون، فله الحق أن يبلونا بما شاء وعلينا الرضى بقضائه والصبر على بلائه؛ لأنا عباده، والإيمان بأنا إلأيه راجعون ليجزينا بما قدمنا من إحسان أو إساءة، فنصبر لنفوز

بالثواب وننجو من العقاب، فإذا آمنا بهذا بقلوبنا عبرنا عن هذا الإيمان بألسنتنا تسجيلا على أنفسنا أنا عباد لله نرجوه ونخافه استطعنا أن نصبر ونثبت على الصبر ما دمنا كذلك.
{أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون(١٥٧)}
{أولئك} أهل هذه الصفة، {عليهم صلوات من ربهم ورحمة} قيل في تفسير الصلوات هنا: ثناء جميل، قال الشرفي في (المصابيح) اعلم أن الصلاة من الله هي: الثناء والمدح والتعظيم، وقال صاحب (الكشاف): الصلاة: الحنو والتعطف، فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة ولم أقتنع بهذا ولا ذاك بسبب جمع الصلوات؛ لأنه يكون معناه على الول ثناءات وتعظيمات، وعلى الثاني رأفات، وقد روي عن ابن عباس أنه فسرها بالبركات، وهذا قريب من حيث أن بعض أهل اللغة قال: أصل الصلاة: اللزوم، ومن حيث أن بعض أهل اللغة قال في البركة: إن أصلها الثبات، وهذا وإن كان يستلزم ترادف الصلاة والبركة في هذا الموضع لا ينافيه اختلافهما في موضع آخر إذ يجوز أن يكون للصلاة مانيمتعددة، فتارة ترادف البركة وتارة تخالفها، وهذا المعنى يستحسن في هذا الموضع من حيث ان الوعد بالبركات يناسب الصبر على النقص ليفيد تعويض ما فات بطريق البركة في غيره، ومن حيث أن البركات قد جمعت وقرنت بالرحمة في قوله تعالى: {رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت}، وقال الراغب الأصفهاني في مفرداته: والصلاة قال كثير من أهل اللغة: هي الدعاء والتبريك والتمجيد، انتهى. قلت: التبريك: طلب البركة، فلا يبعد استعماله في تحصيل البركة كالتعليم أصله التسبيب لححصول العلم، {هل أتبعك على أن تعلمني}، واستعمل في إيجاد العلم، {وعلم آدم الأسماء}، والله أعلم، وبعد هذا وجدت في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام لغريب القرآن {هو الذي يصلي عليكم وملائكته} معناه هو الذي يرحمكم وتدعو أنكم ملائكته، وقال: معنى يصلي: يبارك عليكم، انتهى. قال المحقق: عله... انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٣٨/٢ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة، انتهى.
{وأولئك هم المهتدون} أي الصابرون المؤمنون بأنهم لله وأنهم إليه راجعون، فالاهتدالاء لا يتم إلا بالصبر ولا يدوم إلا بالصبر، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، والصبر كما تراه في هذه الآيات: صبر على طاعة الله، وصبر على بلائه.
}

إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم(١٥٨) }
{إن الصفا والمروة من شعائر الله} هذا ألو الكلام في الحج والعمرة، والصفا والمروة اسم لموضعين

مخصوصين بمكة يقال لهما جبلان، ولعل الصواب اكمتان، فالصفا مرتفع يرقا عليه الحاج أو المعتمر إذا بلغه في آخر الشوط، معى: {من شعائر الله} من معالم الله التي جعلها أعلام متعبداته. قال في (الكشاف): والشعائر جمع شعيرة، وهي العلامة، أي من أعلام مناسكه ومتعبداته.
{فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما} في مجموع الإمام زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام، في قول الله تعالى: {إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما} قال عليه السلام: كان عليهما أصنام فتحرج المسلمون من الطواف بينهما لأجل الأسنام، فأنزل الله عز وجل: {لئلا يكون عليهم حرج} في الطواف من أجل الأصنام، انتهى. والآية تفيد شرعية الطواف بهما، لا وجوبه، ولا عدم وجوبه.
{ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم} قال الراغب في المفردات: والتطوع في الأصل: تكلف الطاعة، وهو في التعارف التبرع بما لا يلزم. قلت: لعله يعني هذا في التطوع في اللازم، فأما المتعدي إلأى مفعول فقد قال فيه: وتطوع كذا تحمله طوعا، قال: {ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم} الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين، انتهى. وقال الشرفي في (المصابيح) في المطوعين من المؤمنين في الصدقات: المتنفلين الذين ينفقون طوعا وهم \من المحتاجين، انتهى. قلت: إذا كان التطوع مشتقا من الطوع فمعناه فعل الخير برغبة، سواء كان واجبا أم مستحبا، ولو كان مشتقا من الطاعة لكان خاصا بالواجب، وظاهر كلام الراغب أن تخصيصه بالمستحب متعارف، ومفهوم هذه العبارة أنه ليس حقيقة شرعية، وعلى هذا فلا يفسر به القرآن الكريم إلا أن يكون عرف اللغة، ومعنى {شاكر} أنه يفعل كفعل الشاكر من مكافأت العبد المتطوع خيرا وإعلان حسناته ومدحه، وهذا من كرم الله سبحانه وحسن ثوابه لعبده الشاكر لأنعمه.
{إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم الاعنون(١٥٩)إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم(١٦٠)}
}

إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم الاعنون} الذين يكتمون: الذين يخفونه عن الناس، والكتمان إخفاؤه عن السائل وعن الجاهل الذي يتوقع منه الغلط بجهله وعن الغالط المستمر على غلطه مع علم العالم بذلك، ومن الكتمان إخفاء ما هو حجة عليه، وعلى الجملة إخفاء ما هو مطالب بإظهاره بلسان الحال أو بلسان المقال، ومن الكتمان الامتناع عن تبيين ما أمر بتبيينه شرعا أو عقلا، وما أنزل الله: ما أوحاه إلى الرسل والأنبياء،

والبينات: الآيات البينات التي هي حجة لله على المكذبين، كالآيات الدالة على صدق الرسول، ويدخل في ذلك المعجزات بأنواعها، وكلام الله المصدق له، ويدخل في ذلك الكرامات الدالة على صدق الإمام في دعواه الإمامة، وأنه على حق في قيامه، والهدى عام لكل أنواع التعاليم السماوية من تعليم العبادات والمعاملات والعقائد والمواعظ والقصص والأمثال، وقوله تعالى: {من بعد ما بيناه للناس} احتجاج على الكاتم بان الله بينه للناس عامة، فليس له أن يختص به أو يخص من يريد، وفيه دلالة على أ ناالناس كلهم قد أعدهم الله لفهم ما أنزل، وإلا لكان إنما بينه للإمام كما تزعم الباطنية، أو للشيخ كما يزعم بعض الصوفية، وقوله تعالى: {أولئك يلعنهم الله} وعيد شديد بأنه يطردهم من رحمته، والطرد من الرحمة قد يكون بمعنى الإبعاد عن التوبة بالخذلان وإرسال الشياطين على الكاتم كما قال تعالى: {بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون}، وقوله تعالى: {ويلعنهم اللاعنون} دليل على استحقاقهم للعن من كل لاعن.

{إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم} تابوا: رجعوا إلى الله بالطاعة والإقلاع عن المعاصي والعزم الصادق على طاعة الله في كل شيء والندم للعصيان الماضي، وأصلحوا: ما أفسدوا بالكتمان، وما أفسدوا بغير الكتمان وبينوا فلم يكتموا في المستقبل، وتوبة الله عليهم: رجوعه عليهم بالرحمة والمغفرة، وهو التواب: كثير التوب على عبده، فل يستبعد منه قبول التوبة ولا هداية العاصي للتوبة إذا لم يصدر منه ما يوجب الإبعاد منها بالخذلان، وإرسال الشياطين، ومن توبته على عبده غير ذلك؛ لأنها عامة كما مر، وهذا الوعيد وهذا الاستثناء كله عام لكل كاتم ولكل تائب، ولو فرض أن الآيتين كان سبب نزولهما أناسا مخصوصين فالعام لا يقصر على سببه.

{إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين(١٦١) خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون(١٦٢)}

}

إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار} أي استمروا على الكفر حتى ماتوا كقوله تعالى: {ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}، وكما روي أن فاطمة عليها السلام ماتت واجدة على أبي بكر، وهذا استعمال ظاهر، ومنه قول الشاعر:

فمت ما على من مات حرا نقيصة ... ألا إنما النقصان أن تنهضما

{أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين} كأن الملائكة عليهم السلام إنما يلعنون من مات على كفره دون الحي، وعلى هذا فاستغفارهم لمن في الأرض بمعنى طلب قبول توبة التائب وهداية

المصر للتوبة، وهذا لعلمهم بشدة العذاب ودوامه، فهم يرغبون في تبوة الإنسان إشفاقا عليه؛ لأنه لو كان يفيده ويدفع عنه العذاب أن يبكي عليه أهلا لسموات وأهل الأرض رحمة له وإشفاقا عليه لكان ذلك حسنا مناسبا لعظم المصيبة عليه، وقد جادل إبراهيم عليه السلام في قوم لوط لهذا المعنى، وما كان عليه السلام مذموما بذلك بل مدحه الله، ولو كانوا يستغفرون للمصر لا على طلب هدايته للتوبة بل على فرض أنه يموت مجرما لاستغفروا لمن مات مجرما ولما لعنوه.

{خالدين فيها } باقين في لعنة الله، فلا يزالون مطرودين من رحمة الله.

{لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون}، فقوله: {خالدين}، يفيد أنهم لا يموتون، وقوله: {لا يخفف} أن العذاب باق لا يخفف، وقوله: {ولا هم ينظرون} يفيد أنه لا يؤخر عنهم إنظارا لهم نعوذ بالله.

{وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم(١٦٣)}

{وإلهكم إله واحد} ليس متعددا كما يزعم بعض النصارى أن الله تعالى ثلاثة اقانيم، وكذلك ليس مؤلفا من أعظاء.

{لا إله إلا هو} فكل معبودا سواه ليس معبودا بحق.

{الرحمن الرحيم} فهو الذ ينبغي أن يعبد طمعا في رحمته.

{إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيى به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون(١٦٤)}

خلق السماموات والأرض إيجادهما عظيمتين واسعتين على المقدار الذي جعله سبحانه، واختلاف الليل والنهار كون كل منهما يخلف الآخر لا يستمر الليل ولا يستمر النهار، وكل يحتاج إليه البشر، والفلك السفائن التي تجري في البحر بما ينفع الناس تشق موج البحر ليسافر الناس عليها لابتغاء فضل الله، وذلك بصنعه للخشب الذي منه ألواحها والحديد الذي منه مساميرها، وتسخير الرياح التي تسوقها {إن يشأ يسكن الرياح فيظللن رواكد على ظهره}، {وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيى به الأرض بعد موتها} إنزاله من السماء آية، وكيفية إنزاله آية وكونه نزل لإحياء الأرض معدا لذلك آية وحياتها بعد موتها آية، {وبث في الأرض من كل دابة}، فرق الدواب ونشرها في الأرض لها رزقها بسبب الماء الذي ينبت المرعى فخلقها آية، واختلاف أنواعها آية ورزقها بية وتصريف الياح تحويلها من جهة بعد جهة من شرق وغيرب وجنوب وشمال ونحو ذلك آية، {والسحاب المسخر} الذي سخره الله وذلله

فهو يسوقه إذا شاء إلى بلدويحبسه إذا شاء بين السماء والأرض، وفي جمعه حتى يتراكم لا تفرقه الرياح آية، وفي سوقه إلى بلد تحتاجه آية، وفي حبسه عند إنزال الماء منه على بلد آية، وفي كونه مصدر للماء على خفة السحاب وفطافته وثقل الماء آية، وفي كونه مصدرا للماء على خفة السحاب ولطافته وثقل الماء بية سواء كان يحمل الماء من البحر أم كان فيه مصنع الماء بين السماء والأرض لا تناله أيدي البشر ولا ينزل إلا متى شاء ربهم، ففي هذه الأشياء كلها بيات تدلع لى أن الله ربهم الذي تحق له العبادة، وأنه لا بد له إذ كل ما سواه مخلوق مربوب، وتدل على قدرة الله وعلمه وأنه قادر على إحيائهم للحساب والجزاء لا يخفى عليه منهم شيء، وتدل على أن الله هو المنعم عليهم الذي يستحق أن يشكروه، ويدل إتقانه هذه المصنوعات وحسن التدبير فيها كما ذكرت على علم الله وقدرته، علمه بكل شيء، وقدرته على كل شيء، وأنه الأول قبل كل شيء، وأنه لا يشبه المخلوقين، وعلى الجملة أصول العقائد في مع٨رفة الله ومعرفة رسله وكتبه واليوم الآخر كلها أصل معرفتها مما ذكر الله من هذه الآيات وأمثالها.

{ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب(١٦٥)}

}

(١٢٥/١)

ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله} من الناس من لا ينتفع بهذه الآيات ولا يهتدي بها فهو يتخذ أصناما أو غيرها مما يجعله شريكا لله، ويجعلها أندادا لله، أي مثله في الإلهية، من دون الله يعبدها ويخشاها ويرجوها ويدعوها كأنها أقرب إليه من الله، {يحبونهم كحب الله}، أي كما يحب الله المنعم على عباده نعما لا يحصونها، ومنه أصول النعم وفروعها، والذي يدعوهم إلى رحمته وثوابه يدعوهم إلى السعادة الدائمة ويفتح لهم باب التوبة ولا يعاجلهم بالعقوبة فهو الرحيم بعباده الكريم الحليم، فكيف أحبوا أصناما لا تنفع ولا تضر وجعلوها أندادا لله ما أجهلهم وما أكفرهم للنعم، وحب الله معنى في القلب يدعو إلى طاعته والسعي في سبيل مرضاته واجتناب ما يكره، وحب رسله وأوليائه كلهم، وبغض أعدائه، وحب عبادة الله والرغبة في التقرب إلأيه وكراهة معصية الله كما قال الهادي عليه السلام: لكل شيء ضد، وضد حيوتي المعاصي، بل كما في الحديث الشريف: ((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي))، ومن شأن المحب الرغبة في طاعة المحبوب، ومن شأن المحب الرغبة في أن يحبه المحبوب، قال تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}، ولكون حب الله يستدعي حب عبادته يكون حب الله سببا في كراهة ما يشغل

عن عبادة الله وذكر الله. قال القاسم عليه السلام في كتاب (سياسة النفس): وقد بلغني أن عيسى بن مريم صلى الله عليه كان يقول لمن يحضره ولحوارييه: ((بحق أقول لكم: نه لا يصح حب ربين، وما جعل الله لرجل من قلبين، لا يصلح بح الله وحب الدنيا في قلب، كما لا تصلح العبادة إلا لرب))، وكان يقول صلى الله عليه: ((بحق أقول لكم: إن حب الدنيا رأس كل خطيئة، وكذلك فحب الله، ولا قوة إلا بالله، فعاصم لأهله من كل سيئة))، انتهى. قلت: لأن حب الله يستلزم حب طاعته والرغبة في عبادته والتقرب غليه، ويستلزم كراهة معصيته والخوف من مقته، وكما أنه يستلزم حب طاعته فهو يستلزم حب أن يطيع الناس ربهم وكراهة أن يعصوهن ويستلزم الغضب لله والرغبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، قال تعالى: {قل إن كان آباؤكم وأبناؤمك وإخوانكم وأزواكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين}.
}

(١٢٦/١)

والذين آمنوا أشد حبا لله} لإيمانهم بإنعامه علهيم نعمة الدنيا ونعمة الدين، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، ولكن قلب الفاجر غافل عن الله وعن إنعامه عليه، وكذلك إيمانهم بكرمه وحمله وسعة رحمته وفضله وإحسانه العظيم، والقلوب تحب أله الكمال والفضل، فكيف لا تحب من هو المنعم بالهدى لكمال الكامل وفضل الفاضل ذو الجلال والإكرام، وله المثل الأعلى، فأنت تحب الفاضل لحب الفضل، تحب العالم لحب العلم تحب الكريم لحب الكرم تحب صاحب العدالة لحب العذل، وهكذا، فكيف لا تحب العزيز الحكيم الرحمن الرحيم الحليم الكريم، فعلى قدر المعرفة بالله والمعرفة بأسمائه الحسنى على معناها الكامل، أعني على التفصيل ينبغي أن يكون حب المؤمن لله، لكن إذا تفرغ من حب الدنيا الذي يسبب الغفلة، أقول: هذا لتحقيق المعنى ولا أدعي لنفسي هذا، ولكني أوصي نفسي وإخواني أن ندعو الله أن ينزع حب الدنيا من قلوبنا ويهدينا لمعرفته كما ينبغي، ولحبه كما ينبغي إن ربي قريب مجيب.

{ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب} كقوله تعالى: {ولو ترى إذ وقفوا على النار}، وعلى قراءة ترى بالمثناة من فوق، الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو عام لكل سامع، والذين ظلموا هؤلاء الذين اختذوا من دون الله أندادا ظلما وحيفا وجورا أو هو عام لكل ظالم، فلا يقصر على سببه، والمعنى: لو تراهم في تلك الحالة لرأيت أمرا عظيما من بؤسهم وذلتهم وصغارهم وندمهم لهول الموقف.

{أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب} لأ القوة لله جميعا ليس لشركائهم شيء من القوة لينفعوهم أو يدفعوا عنهم أو يشفعوا لهم أو نحو ذلك، ولا لغيرهم قوة إلا بالله، فالقوة لله وحده؛ ،لن الله شديد العذاب، فصار الذين ظلموا إلى تلك الحالة؛ لأنهم لم يكن لهم حول ولا قوة وعظم الخطب عليهم؛ لأن الله شديد العذاب.

{إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب(١٦٦) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار(١٦٧)}

{إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا} لهول الموقف خوفا من أن يزاد عذابه من أجل إضلالهم.

{ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب} فلم يبق لهم سبب يتعلقون به للتخلص من العذاب فلا توبة تقبل ولا دعاء يسمع ولا تضرع ينفع ولا فدية ولا شفاعة ولا ناصر.

{وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا} ليت لنا كرة إلى حالة التكليف كما كنا في الدنيا فنتبرأ من المتبوعين ولا نعينهم في شيء من أمرهم ونقطع العلائق بيننا وبينهم كما تبرأوا منا، فلم ينفعونا بشيء وقطعوا حبالنا عنهم.

}

(١٢٧/١)

كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم} الطرفين التابعين والمتبوعين يريهم الله أعمالهم ندامات؛ لأن المتبوعين نادمون لزيادة عذابهم بسبب إضلال التابعين والتابعين نادمون على أتباعهم لتبرئ المتبوعين منهم، بل ولزيادة عذابهم بسبب طاعتهم في معصية الله وإيثارهم طاعتهم على طاعة الله، قال تعالى: {قال لكل شعف ولكن لا تعلمون}، فهناك ظهرت حسرات الفريقين، وقوله تعالى: {إذ تبرأ} راجع إلى قوله تعالى: {ولو ترى} أي لو تراهم حين يرون العذاب وحين يرون أعمالهم حسرات عليهم ويتعادون ويكفر بعضهم ببعض.

{وما هم بخارجين من النار} لأن القوة لله جميعا فلا يجدون من ينقذهم، ولأن الله شديد العذاب فلا ينتهي عذابه.

{يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين(١٦٨) إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون(١٦٩)}

{يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين} كانت الجاهلية مع شركهم يحرمون بعض ما أحل الله كما حكى الله في سورة الأنعام وهو الحلال الطيب،

وتحريمهم له ليس بمحرم له؛ لأن الحكم لله وحده وليس لأحد غيره أن يحل ما حرم ولا يحرم ما أحل؛ لأن الملك له، واتباع حكم غيره نوع من الشرك، ولذلك قال تعالى: {فكلوا مما رزقكم الله إن كنتم إياه تعبدون}، فأمرهم الله أن يأكلوا مما رزقهم في الأرض وأحله إيمانا بالله وكفرا بالطاغوت، وقوله تعالى: {ولا تتبعوا خطوات الشيطان}، أي لا تقتدوا به ولا تتبعوا طريقه، وهذا عام في تحريم ما أحل الله على طريقة الجاهلية وفي الغلو والإبتداع، وفي الباطل كله، وقوله تعالى: {إنه لكم عدو مبين} أي بين العداوة تحذير من اتباعه؛ لأنه إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، فأي عداوة تساوي عداوته، وهذا يوجب ترك اتباعه، وأضاف سبحانه إلى هذا المعنى معنى آخر فقال تعالى: {إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون} السوء: القبيح، والفحشاء: ما زاد قبحه من القبائح، وهي صفة محذوف كالمنكرات، الفحشاء أو الفعلة الفحشاء، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون، وهذا القول من السوء، وخصه بالذكر ليعلموا أنه مما يدعو إليه الشيطان ويأمرهم به ليحذروه، وقد كانوا كما حكى الله عنهم: {إذافعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آبائنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون}، وهو تحذير لهم ولمن بعدهم من أهل العقائد الباطلة والبدع التي ينسبونها إلى الله بغير علم، وفي قوله تعالى: {يأمركم} إهانة لهم ودليل على أنهم بطاعتهم للشيطان جعلوا أنفسهم تحت أمره وأهانوا أنفسهم بجعل الشيطان أميرا علهيم.

}

(١٢٨/١)

وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون(١٧٠)}

{وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا} ومع أن الشيطان لهم عدو مبين إنما يأمرهم بما ذكر، يأبون اتباع ما أنزل الله الذي يهديهم ويعصمهم من الشيطان، وانقادوا للشيطان الذي يدعوهم إلى الكبر والحسد والحمية للآباء، فهم يتبعون أمر الشيطان ولا يتبعون ما أنزل الله الذي هو الهدى، وهو أمر ربهم الذي هو أولى بهم، ويجعلون عذرهم التعصب لآبائهم فيقولون: {بل نتبع ما ألفينا} أي ما وجدنا عليه آباءنا، فرد الله عليهم بقوله تعالى: {أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون} أيتبعون آباءهم ولو كانوا جاهلين ضالين لمجرد أنهم آباءم، فمعنى هذا أنهم لا يريدون الحق وأنهم قد رضوا لأنفسهم بالباطل وأنهم لن ينصحوا أنفسهم، فكيف وقد جاءهم النذير ينذرهم عذاب السعير، فهم كما في الآية الأخرى: {أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير} قد عرضوا أنفسهم لعذاب السعير.

{ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون(١٧١)}

{ومثل الذين كفروا} في عدم قبولهم لما يتلى عليهم من آيات الله، وفي إعراضهم عنها حتى لا يهتدون، {كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء} النعي زجر الراعي بالغنم نعق الراعي بالغنم إذا صاح بها. قال الشرفي في (المصابيح): قال الهادي عليه السلام: أما قوله: {مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع} فهو مثل ضربه الله لهم بغنم راع سامت فضلت وتتابعت فذهب فأراغها صاحبها، فلم يجدها فعلا شرفا من الأرض لها، وأقبل ينعق بها وهي لا تسمعه وهو في دعاء ونداء وهي سائمة ترعى، ولا تجب له صوتا ولا تألوا فوتا، {كذلك قال الذين كفروا} حالهم في عدم الإجابة إلى الحق كحال هذه الغنم المسعجمة من الخلق، انتهى. قلت: وقوله تعالى: {ومثل الذين كفروا} يفيد أن الكلام فيهم لبيان غفلتهم عن داعي الحق وتشبيههم بالأنعام، فشبه حالهم مع الداعي بحال الغنم مع الراعي، وحيث المقصود تشبيه حال بحال لا يلزم أن يلي حرف التشبيه المنعوق به كقوله تعالى: {أو كصيب}، وقوله تعالى: {إنما مثل الحياة الدنيا كماء}، وقول الهادي عليه السلام: وهي لا تسمعه. لعله يعني لا تسمعه من حيث هو صاحبها، أي لا تنتبه له؛ لأن صاحبها ينعق بها، فلا تدري أنه يدعوها، أي يطلب إقبالها إليه ولا تفهم أنه ينادي لها، ولذلك قال تعالى: {لا يسمع إلا دعاء ونداء}، ولم يقل: دعاءه ونداءه؛ لأنه يمر على مسامعها ولا تنتبه أنه دعاء صاحبها ونداءه، فهي لا تسمع إلا مجرد دعاء ونداء لا تنتبه له ولا تلتفت إليه.

}

(١٢٩/١)

صم بكم عمي فهم لا يعقلون} هذا تشبيه لكل منهم بالأصم الذي لا يسمع، الأبكم الذي لا ينطق، الأعمى الذي لا يبصر، فهم لا يعقلون ما يقال لهم ولا ما يراد بهم، لا يعقله من جمع الصفات الثلاث، وفائدة ذكر البكم الذي هو عدم قدرة النطق المبالغة في الدلالة على بعدهم من الفهم؛ لأن من ينطق قد يسأل ويبين وجه الخفاء عليه، فقد يمكن تفهيمه من طريق اللمس أو الجس أو حمل الشيء ليعرف خفته أو ثقله أو محاولة حمله ليعرف ثقله أو نحو ذلك، وكذلك تفهيمه من طريق الشم أو من طريق الطعم أو بجذبه بحيث يشعر أنه قد أشرف على هوة، ولو لم يسأل لم ينتبه له ولا لوجه اللبيس عليه، فإذا كان أبكم لا ينطق أنسدت عليه طريق السؤال والتفهيم المتوقف على السؤال.

{يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون(١٧٢) إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور

رحيم(١٧٣)}
}

(١٣٠/١)

يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله} الأمر بالأكل من الطيبات إما بمعنى لا تجتنبوا الأكل من بعضها لأجل تحريم الجاهلية له بل كلوا مما كانوا يحرمونه من طيبات ما رزقناكم تحقيقا لاستحلاله، أو بمعنى وجوب الأكل من كل نوع رزقه المكلف، أو بمعنى {لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم}، أو لأجل المعاني كلها، واشكروا لله نعمته عليكم بالطيبات من الرزق وكل نعمة، {إن كنتم إياه تعبدون} فإن من حق من لا يعبد إلا الله أن يعلم أن الحكم لله فلا حرام إلا ما حرم ولا حلال إلا ما أحل ومن جعل لغير الله حكما بتحليل أو تحريم فلم يخصه بالعبادة ولا يبعد دلالة الآية على أن من أسلم لا يكفيه الإقرار بحل ما كان محرما له قبل إسلامه إذا ملكه أو أعطيه بل يجب عليه أن يأكل مه ليحقق استحلاله في نفسه وليخرج نفسه عن اجتنابه، ولعله سبب الأمر في الآية لئلا يبقوا على اجتناب شيء من طيبات الرزق، فهي على عمومها في حقه في كل ما كان محرما له، ويلحق به من يتجنب بعض المأكولات اللذيذة ظنا منه أن ذلك من الزهد في الدنيا، وهنا تفصيل، فليس من هذا تجنب بعض المأكولات اقتصادا، وهذا على أحد وجهين: الأول: أن يكون لا يحصل له إلا بأن يشتريه فلا يشتريه ويتركه اقتصادا، أو يكون معه موجودا لكنه يحتاج إلى بيعه لحاجته إلى ثمنه حاجة يستدعيها اقتصاد، وكذلك ليس من هذا تجنب بعض المأكولات اللذيذة أو نحوها من الذات لئلا تتعودها نفسه، فتقوى رغبتها فيها وتطالبه فيما بعد بتحصيلها في حين لا تحصل له إلا بالاشتغال عن العمل الصالح من طلب العلم أو غيره أو لا تحصل له إلا بتقصير في الاقتصاد، وكذلك ليس من هذا تجنب بعض المأكولات لئلا يشتغل بها عن عمل صالح من بحث في الكتاب أو درس على لاشيخ أو تدريس أو نحو ذلك، لئلا تسبب له كسلا أو نوما يشغله عن البحث في كتب العلم أو عن أي نوع من أنواع العبادة، فهذه طرائق محمودة، وكذلك تركه ليقتدي به في ترك الاشتغال باتباع الشهوات والأعمال بالنيات، وكذلك ليس من هذا ترك بعض المشتهيات إيثارا لغيره، فذلك من الإحسان وثوابه مع النية الصالحة خير من أكله، ويعظم ثوابه إذا آثر به يتيما أو مسكينا أو نحو ذلك، وكذلك ليس من المذموم تركها فرارا من الدين . فتح الدال . لأنه خطر إذا لم يقضه لأنه من أكل أموال الناس بالباطل، وفي الحديث في (مجموع زيد بن علي) عن أبيه عن جده، عن علي عليهم السلام: عذاب القبر من ثلاث: من الدين، والنميمة، والبول. ولأن غم الدين من الضر ولا ضر ولا ضرار في الإسلام كما في الحديث رواه القاسم عليه السلام، والهادي عليه السلام، والأصل: تحريم الضر حيث لا أذن فيه خاص، ومن هنا

يتبين حسن الاقتصاد الذي يؤدي تركه إلأى تحمل الدين، فتحصل جواز ترك الأكل لوجوه: الأول: الاقتصاد، الثاني: خوف التعود. الثالث: الاشتغال بما هو أهم من الأكل، الرابع: الاقتداء به، الخامس: الفرار من الكسل والنوم. السادس: الإيثار.

(١٣١/١)

السابع: الفرار من الدين، الثامن: الفرار من الضر في حق من يضره بعض المأكولات كالتمر في حق الناقه ونحو ذلك، هذا وما سوى هذه الأحوال المذكورة فلعله يحصل الامتثال بأكل الكل من الكل، ولا يجب على كل فرد أن يألك من كل الطيبات، بل يكفي أن يأكل كل فرد من نوع، وقد قيل: يكفي الأكل من بعض أنواع الطيبات؛ لأن ((من)) للتبعيض، ولم يترجح لي لأنك لا تقول إذا أكلت من نوع واحد أكلت من كل شيء، أعني ليس هذا معروفا في استعمال العرب، ولهذا كان قوله: {وأوتيت من كل شيء}، يفيد تكثير أنواع ما ملكت، ولو كان يكفي في حصول المعنى ملكها الشيء من نوع واحد، لما كان هذا الكلام يفيد المقصود، ولا يبطل بقولنا: يحصل الامتثال بأكل الكل من الكل ما قدمنا من إيجاب الأكل على من كان يحرم الشيء؛ لأن القرائن تفيد أنه مقصود فلا يسقط عنه بألك الآخرين منه، وبقي وجه تخصيص في هذه الآية الكريمة، وهو أنه تعالى قال: {من طيبات ما رزقنامك}، ومن لم يملك المطعوم ولا صار له بوجه استحقاق ولا أعطيه فلم يرزقه، فلم يدخل في عموم هذه الآية، فلا يجب عليه أن يشتري من نوع ليأكل منه أو يصاده أو نحو ذلك، لأجل هذه الآية الكريمة، بل لا يجب عليه أن يأكل إلا مما رزقه الله وأعطاه، وما ذكرته في هذه الاية هو أوضح في تفسير آية المائدة.

{إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير} هذه التي كان الكفار يستحلونها وهي المحرمة لا ما يحرمونه من البحيرة والوصيلة والحامي وغيرها، والصحر هنا إضافي يرشد غليه السياق فلا ينافي تحريم غير هذه كالربا والرشوة وغيرها من أكل أموال الناس بالباطل، وكذا ما يضر الآكل ضررا أرجح من النفع كالطين والقات في قح من يضره ضررا واضحا راجحا على لذته وفائدته بحيث يكون معيبا في العقل كمن يسبب له الجنون أو يسبب له القولنج الذي يحدث به نوبات وجع شديد في البطن يكاد يقتله.

{وما أهل به لغير الله} الإهلال أصله رفع الصوت، قال:

لأهلوا واستهلوا فرحا

(١٣٢/١)

والإهلال بما يذبح أو ينحر رفع الصوت عليه بكلمة التقرب به، فإن كانت الكلمة ذكر اسم الله عليه والتلبية فلا إشكال، وإن كانت ذكر غير الله لإفادة التقرب غلأيه فهي محرمة وهي المحرمة في الآية، وهل يدخل في ذلك ما يسمى في اليمن المقصد أو الهجر . بفتح الهاء والجيم . وهو ما يذبح لتطييب نفس المذبوح له أو لطلب مساعدته على أمر لم يكن يرضاه، الأرضح انه لا يطلق تحريمه ولا تحليله، فما أهل به لغير الله حرم بظاهر الآية، وإن لم يكن شركا، وما لم يهل به لغير الله كما هو المعتاد عند أهل المعرفة فلا يحرم، وذلك بأن يقول: الذابح باسم الله، ولا يقترن ذ ١لك بالإهلال لغير الله، ويتأخر الكلام الآخر بمهلة أو يتقدم بمهلة بحيث لا يكون في العرف مقارنا للذبح، والأحوط أن يتقدم الكلام ولا يضبح في المجلس؛ لأنه ما دام الذبح عند الكلام قبل الاعراض ولو تأخر فهو يعتبر مقارنا، وليس في الآية ذكر المقارنة فلا فائدة في التعلق بلفظ المقارنة، وما دام رفع الصوت أي الجهر بالكلام ورفعه عند الذبح فقد دخل في عموم الآية، وهو عند الذبح ما دام الذبح في المجلس قبل الإعراض والمراد بالكلام قولهم هذا: جاء هنا عندك في طيبة النفس أو في أن توافقنا على ما طلبنا أو نحو هذا؛ لأنهم قد أعلنوا التقرب به إلأيه ولا يقال إنهم إنما تقربوا بالمذبوح لا بالذبح؛ لأنا نقول ليس في الآية إلا الإهلال بالمذبوح، فما دام المذبوح ذبح لتطييب نفسه وجهروا بذكره عند ذبحه لهذا الغرض فقد حصل الإهلال به له، فظهر أنه لا يطلق تحليله ولا تحريمه . أعني المقصد . وللسيد إبراهيم بن محمد الوزير كتاب في تحريمه وأنه شرك، وقد رددت على جعله شركا برسالة.
}

(١٣٣/١)

فمن اضطر} إلى أكل ما حرم الله في هذه الآية {غير باغ} بأكل ماحرم الله، {ولا عاد} ولا متجاوز لما أحل الله كمن رخص له فتجاوز في الأكل {فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم}، ويدخل في الباغي من يأكل المحرم في حال الاضطرار مصرا على أكله في غير الضرورة، أي يأكله لا للاضطرار، فهو يأكله في حالة الاضطرار كما يأكله في حال عدم الاضطرار، ويدخل فيه من بغى على من يحرم قتله ليأكل منه أو ليشرب من دمه أو على حيوان محترم لا للضرورة بل بغيا عليه وجرأة، فلا تبيحه الضرورة في حقه، ويدخل في العادي كل من عدل عن الحلال، وهو متمكن من تحصيله، وهذا وإن كان خارجا عن الاضطرار إلى المحرم فإن الشرط هذا محقق للاشطرار، وفائدته أن لا يتوهم أنه مضطر إذا اشتد به الجوع ولم يكن يملك طعاما ولا يباح له، فهو عاد ما دام يتمكن من تحصيله حلالا بأي وسيلة، وفي قوله تعالى: {إن الله غفور رحيم} تشجيع للمضطر إذا كان من أهل التقى لما يحدث من خاطر احتمال عدم الاضطرار، وأنه يتحمل الصبر، واحتمال أن ما قد أكله من الميتة مثلا يمسك روحه ويقوى به على

المشي إلى حيث يجد الأكل أو يقوى به على العمل بالأجرة ليشتري طعاما أو نحو ذلك، فليأكل ما دام لا يثق بحصول الكفاية لإمساك الروح وإنقاذه من الإضطرار إن كان الأكل ينقذه، وما دام يخاف على نفسه فليأكل راجيا مغفرة الله إن أخطأ ورحمته، فأما حمل الميتة معه لئلا يضطر في المستقبل فليس بغيا ولا عدوا ما لم يكن غيره مضطرا إليها في الحال، وليس كافرا حربيا، فعليه أن يترك له ما يحتاجه في الحال وينقذه من الموت.

{إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم(١٧٤) أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار(١٧٥)}

{إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا} فالكتمان محرم، واستبدال الثمن القليل بما أنزل الله منالكتاب محرم آخر، وكل ثمن بدلفهو قليل فقوله: {قليلا} ليس شرطا، بل بيانلقلته وحقارته في جنب بيع الدين، ويدخل في هذا من يكتم ما أنزل الله من الكتاب لأجل معاش يعطاه من بعض ملوك الجور، وقوله تعالى: من الكتاب} للتبعيض، ولو كان المراد الكل لقيل: الكتاب الذي أنزل الله، وكل كلمة يصدق عليها ما أنزل الله؛ لأن الله أنزلها، ويقبح كتمانها؛ لأن الله أنزله، فالمعنى: الذين يعتادون كتمان ما أنزل الله ولو كلمة واحدة من الكتاب تكرر كتمانهم لها، فقد دخلوا في الاية؛ لأن أهل الكتاب لم يكونوا يكتمون كل كلمة من الكتاب، ولعله يدخل في هذا كثير من الناس يأخذون المعاشات ويكتمون الحق من أجلها.

}

(١٣٤/١)

أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار} لأن ما أكلوه من بدل ما أنزل الله يكون في الآخرة نارا في بطونهم ولا يبعد ان يكون هذا حقيقة؛لأن الله تعالى قال: {والذين يكنزون الذهب والفضة..} إلى قوله: {يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم}، وعلى هذا فالظاهر الحقيقة، ولا موجب للتأويل، نعم هو مجاز منحيث تسميته نارا باعتبار ما يؤول إلهي مثل: اعصر خمرا.

{ولا يكلمهم الله يوم القيامة} إذا صح التعبير بالغضب في القرآن منسوبا إلى الله، والمراد غايته، والله يتعالى عن مشابهة المخلوقين، صح أن نقول قوله: {ولا يكلمهم الله} دلالة على غضبه عليهم؛ لأن من آثار الغضب عندنا ترك تكليم المغضوب عليه، فإذا لم يكلمهم كان عدم الكلام دلالة على أهه يعذبهم ويفعل بهم ما يفعل الغاضب، ولا يوجد منه لهم أي شيء ينافيه الغضب في العادة عندنا.

{ولا يزكيهم} ولا يحكم بأنهم زاكون؛ لأنهم مجرمون، وإن ادعوا لأنفسهم الزكاة، {ألم تر إلى الذين

يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء}.

{ولهم عذاب أليم} بتلك الجريمة الكبرى كتمان ما أنزل الله واستبدال المال به، والعذاب مؤلم تأليما شديدا،فوصفه بأنه أليم يدل على زيادته في التأليم على ما يفيده اسم العذاب.

{أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة} في تلك المبادلة بما أنزل الله من الكتاب بالثمن، فمعناها: اشتراء الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة، فهي صفقة خاسرة خسرانا مبينا.

}

فما أصبرهم على النار} فما أشد جرائمهم الموجبة للنار، ولما كانوا بذلك كأنهم قد صاروا بسببه في النار لكون مصيرهم إليها بسبب جرائمهم هذه التي يتجرؤون عليها أمر متحتم جعلت جرائمهم التي هي سبب النار واستمرارهم علهيا أو تكررها منمكأنها صبر على النار؛ لأنهم في كل مرة من كتمانهم يستوجبون النار، وفي كل مرة من استبدالهم بها المال يستحقون النار، فتكرر أسباب النار منهم كأنه صبر على النار؛ لأنه سبب النار، كقوله تعالى: {ما يكون في بطونهم إلا النار}، وفي (تفسير الغريب) لزيد بن علي عليه السلام: {فما أصبرهم على النار} معناه ما أجرأهم عليها، اهـ. فتكرر أسباب النار منهم بدون خوف ولا مبالاة، وهم يعلمون أنه سبب النار عجيب كما أن الصبر على النار عجيب واستعمال أداة التعجب من علام الغيوب للدلالة على أن الأمرعجيب في حقنا. قال الشرفي في (المصابيح): قال المرتضى عليه السلام: هذا تبكيت من الله عز وجل؛ لكفرة عباده وتقريع لقلة صبرهم على النار، فقال: {ما أصبرهم على النار}، ولا يصبرون عليها، وكذلك تقول العرب للرجل في الشيء إذا لم يقو عليه وأيقنت بعجزه عنه: ما أقواك على كذا وكذا، من طريق التقريع له بضعفه وقلة احتماله، وقد قيل: إن معنى {ما أصبرهم على النار} أي ما أصبرهم على عمل النار الذي يهلكون به ويستوجبون العذاب بفعله، فأقام النار مقام عملها، انتهى. قلت: الأولى الجمع بين التفاسير المذكورة، ولا تعارض إذا كان المرتضى يعني بالتقريع والتبكيت التجهيل لهم فهو معنى حسن جدا نضيفه إلى ما قلناه وإلى ماروي عن زيد بن علي عليهم السلام. قال الشرفي في (المصابيح) ـ أيضا ـ: قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام: تدل على قبح كتمان ما أنزل الله، وعلى تحريم أخذ العوض عن ذلك، و[إن] ما حرمه الله من كل وجه لا يملكه من حرم عليه، انتهى. قلت: يعني ما حرم أخذه لا يملك بالمعاوضة كالربا والرضوة ومهر البغي وغير ذلك، والدليل قلوه تعالى: {إنما يأكلون في بطونهم نارا}، فدل على تحريم أكله لا مجرد تحريم المعاوضة فيه وتحريم أكله لتحريم التصرف فيه؛ لأنه أخذ باملعاوضة المحرمة والتصرف فيه سواء، وإنما خص الأكل للتخويف كما قال تعالى في أموال اليتامى، ولو ملك لحجل

أكله، والتصرف فيه باشتراء ما يؤكل، وليس المراد أكله بعينه، بل المراد إتلافه بأكله وأخذ مأكول به؛ لأن الفلوس لا تؤكل، وكثيرا ما تكون الرشوة من الفلوس وأموال اليتامى لا تكون كلها مأكولة، فظهر أن المراد الإتلاف في الأكل أو بالأكل، كله يعبر عنه بالأكل، بل لا يبعد أن المراد الإتلاف، ولو لغير الأكل، وعبر عنه بالأكل على طريقة التغليب، وهذا لا ينافيه قوله تعالى: {إنما يأكلون في بطونهم نارا} لأن بعضه مأكول أو أتلف في مأكول، فصح ذلك مع التغليب، وهذا لا ينافيه قوله تعالى: {إنما يأكلون في بطونهم نارا؛ لأن بعضه مأكول أو أتلف في مأكول، فصح ذلك مع التغليب.
}

(١٣٦/١)

ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد(١٧٦)}
{ذلك} الوعيد على الكتمان والاستبدال بما أنزل الله {بأن الله نزل الكتاب بالحق} فقبح كتمانه والاستبدال به؛ لأنه نصرة للباطل ومعارضة لأمر الله وتفويت لفائدة ما أنزل الله ومحاولة لتضييع الحق، فهو محادة لله ومحاربة للحق.
{وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد} لعله حيث {قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وقال الذين لا يعلمون مثل قولهم}، فصاروا مختلفين في الكتاب لاستناد اليهود إلى التوراة والنصارى إلى الإنجيل، فخالفت اليهود في الإنجيل وخالفت النصارى في التوراة، وخالف الذي لا يعلمون في التوراة، وكل ذلك عناد وتمرد لا يستند إلى دليلن ثم إن الفرق الثلاث كما اختلفوا في الكتاب فهم في شقاق ومعاندة بجحدهم للقرآن ورسل الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فصار بينهم وبين صراط الله مسافات ومراحل والله أعلم.
{ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون(١٧٧)}
}

(١٣٧/١)

ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب} قال الشرفي في (المصابيح) حاكيا عن المرتضى عليه السلام: معناه: ليس كل البر تولية المشرق والمغرب من القبل التي أنتم تمرون فيها، {ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر..} إلى قوله: {وأولئك هم المتقون}، فأخبر سبحانه بفنون البر وما يصح لهم به الإيمان ويكمل لهم اسم البر والإحسان، انتهى.

(١٣٨/١)

البر: الاتساع في الإحسان وفعل الخير، وقبل المشرق والمغرب: الجهات التي يولي إليها الكفار وجوههم ويزعمون أن ذلك هو البر، وليس البر ذلك، ولكن البر الإيمان بلوازمه وتوابعه التي يعملها من آمن بالله واليوم الآخر، وقد قدمت معنى الإيمان بالله واليوم الآخر في تفسير أوائل السورة، والملائكة لأن الإيمان بهم من الإيمان بالغيب، والكتاب ومنه القرآن الكريم، والنبيين ومنهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلا بد من الإيمان بالكتاب كله وبالنبيين كلهم، وآتى المال: أي ماله، كقوله تعالى: {ونهى النفس} أي نفسه على حبه في حال حب المال كالإطعام في حاجة المطعم - بكسر العين - إلى الطعام، كما قال تعالى: {ويطعمون الطعام على حبه}، وقال تعالى: {لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون}، ذوي القربى: أي ذوي قرابة المؤتي، قال تعالى: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى}، واليتامى: الذين فقدوا آباءهم، أي هلك آباؤهم، والمساكين: أهل الحاجة الشديدة الذين يحتاجون إلى المسألة وإن لم يسألوا، أو ولم يسألوا من أجل الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((ليس المسكين بهذا الطواف عليكم الذي ترده التمرة التمرتان واللقمة واللقمتان)) قالوا: فمن المسكين، يا رسول الله؟ قال: ((الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس))، رواه الهادي في الأحكام، وليس يعني صلى الله عليه وآله وسلم تعليم اللغة، وإنما أراد الحث على إطعام المحتاج الذي لا يسأل ولا يعرف معرفة تغنيه عن السؤال بحيث يتصدق عليه، ولا يحتاج إلى السؤال، والذي يفهم من الحديث أن المسكين المحتاج الشديد الحاجة، فكأنه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ليس المحتاج شديد الحاجة بهذا الطواف عليكم، ولكن المحتاج الشديد الحاجة المحتاج الذي لا يسأل ولا يفطن له، وإنما يعرف بالتأمل في وجهه وعلامات الحاجة عنده، فالمحتاجون ثلاثة: سائل، ومعروف بالحاجة أو تظهر حاجته بدون بحث مع أنه لا يسأل، والثالث الذي فيه النص أنه مسكين، وفائدة الحديث: التنبيه على هذا الثالث؛ لئلا يغفل عنه ويكتفي بالإنفاق على الأول والثاني، نعم ومن كان من القسم الثالث فاشتدت به الحاجة حتى اضطر إلى السؤال ولم يعتد

السؤال لم يخرج عن القسم الثالث؛ لأن الحديث فيمن يعتاد السؤال بكثرة كما يفيده لفظ الطواف المفيد للمبالغة، ومن كان يطوف متعرضا وكثر ذلك منه فهو في حكم السائل وإن لم يسأل إذا كان يعطى بالتطواف كما يعطى السائل؛ لأن الحديث لم يذكر إلا الطواف، وأما ابن السبيل، فالسبيل الطريق، والمراد المار في السبيل المحتاج من حيث هو في السبيل أي تبعا لمروره في السبيل، ولعله يؤخذ من نسبته إلى السبيل أنه ليس له مرتفق حول السبيل؛ لأنه غريب.

(١٣٩/١)

قال الهادي عليه السلام في (الأحكام): وأما ابن السبيل فهو مار الطريق المسافر الضعيف فيعان بما يكفيه من قليل أو كثير، ذكر هذا في تفسير آية الصدقات، وتفسير الهادي عليه السلام يعم المنقطع، والذي اشتدت عليه الحال لضعفه وقلة زاده، وكذا من هو مظنة أن يبلغ أي الحاتين لذلك، والمراد عانته ليرجع إلى بلده أو يتخلص من تلك الحال بالوصول إلى بلد آخر أقرب من بلده أو مثلها، قال الهادي عليه السلام في ذكر إعانة ابن السبيل حتى ينتهي ويصل إلى بلده، انتهى. فمتى تخلص من تلك الحال بالوصول إلى بلده أو مثلها أو بأي سبب فقد خرج عن كونه ابن السبيل، وقوله تعالى: {والسائلين} يعم كل سائل، ولو كان يعتاد السؤال، ولكن من يتخذه حرفة ويسأل وهو غير محتاج وتحقق منه ذلك فيمنع أو يقلل عطاؤه جدا لئلا يكون إعطاؤه معاونة له على الإثم؛ لأنه بسببه يرغب في السؤال فيعيده ويكرره ويستمر عليه كلما أعطى لرغبته في المال لا لضيق الحال، وقد جاء في تحريم السؤال روايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها ما رواه في (مجموع زيد بن علي) عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول أو يكون عيالا على الناس))، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تحل الصدقة لغني ولا لقوي ولا لذي مرة سوي))، اهـ. وقوله تعالى: {وفي الرقاب} في تحرير الرقاب، وفسره الهادي عليه السلام في (الأحكام) بالمكاتبين، الذين يكتبون مواليهم على شيء معلوم. قلت: وهذا أظهر وأوفق لتفسير إتياء المال في الرقاب بإنفاقه في تحرير الرقاب، والسياق هنا وفي آية الصدقات يدل على ولا يدل على أكثر منه، والله أعلم، فأما من جعل عتق الأمة صداقها فقد أنفقها في تحريرها وزواجها، فلا يبعد دخوله في هذه الآية لا في آية الصدقات. وفي (مجموع زيد بن علي) عليهما السلام، عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أربعة لهم أجران: رجل كانت له أمة فأدبها وأحسن أدبها ثم أعتقها فنكحها فله أجران..)) الحديث. قلت: لعله اشترط حسن الأدب ليكون العتق قربة، وهذا يناسب قول الهادي عليه السلام: إنه لا قربة في عتق الفاسق الذي يتقوى بالعتق على فسقه؛ لأنه معاونة له على الفسق.

{وأقام الصلاة وآتى الزكاة} فهما من البر، وفي ذكر الزكاة هنا دلالة على أن الإنفاق المذكور قبل من غير الزكاة، والاية تدل على أن من لا يفعله مع التمكن منه والإيسار، فليس من المتقين؛ لأن التقوى تبعث عليه لطلب التثبيت ومحو الذنوب سواء قلنا أنه واجب أم لم نقل.

{والموفون بعهدهم إذا عاهدوا} فهو من شأن المتقين، وقوله: {إذا عاهدوا} يفيد أنه لا يتقرب بالعهد ليوفى به، أي ليس ذلك مرادا في الترغيب في الوفاء، نعم إذا أمر الإمام المحق بالعهد وجب لوجوب طاعته.

{والصابرين في البأساء} حالة الجوع ونحوه.

}

والضراء} حالة المرض ونحوه، {وحين البأس} في حال القتال، وقلت: في الأول ونحوه؛ لأنه يعم أنواع الفقر حتى ضيق المسكين، وفي الثاني ونحوه؛ لأنه يعم أنواع الضر، ويدخل فيه الغم والحزن والغيظ والخوف والصبر في الحالات الثلاث، وفي كل ما ذكر في الآية يميز الصادق في إيمانه الذي تطابق قوله وفعله وضميره.

{أولئك الذين صدقوا} ونظيره قوله تعالى: {إنما المؤمنون الذي آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون}.

{وأولئك هم المتقون} وإذا كانوا هم الذين صدقوا وهم المتقون فهم المؤمنون الأبرار، قال الناصر الأطروش الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي زين العابدين عليهم السلام في (البساط) ص٢٠ مخطوطة: حدثنا بشر [بن عبد الوهاب]، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، قال: جاء رجل إلى أبي ذر رحمة الله عليه، فسأله عن الإيمان، فقرأ عليه أبو ذر: {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب..} الآية، فقال الرجل: ليس عن البر سألتك، فقال أبو ذر: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عما سألت، فقرأ عليه كما قرأت عليك، فأبى أن يرضى كما أبيت أن ترضى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((الذي إذا عمل حسنة سرته ورجا ثوابها، وإذا عمل سيئة ساءته وخاف عقابها))، انتهى.

قلت: هذا فيمن كان على الحال الطبيعية في الإسلام، فأما من كان رجاؤه وسروره لسوء عقيدته مع إصراره على الكبائر فهو غير مقصود؛ لأنه متمن مغرور، وعمله غير مقبول لقول الله تعالى: {إنما يتقبل الله من المتقين}، والآية التي أتممنا تفسيرها ترد عليه.

{يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي

له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم(١٧٨) ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون(١٧٩)}
{يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى} القصاص قتل من قتل ظلما متعمدا توجه الخطاب إلى الذين آمنوا عموما، دليل على وجوب تحصيل سلطة تنفذ القصاص حين يعجز ولي الدم، وأن الجواب معاونة ولي الدم ليتمكن من القصاص، وهذا وأمثاله من التكاليف دليل على شرعية الإمامة ووجوبها على الأمة عموما؛ لأنه تعالى قال: {كتب عليكم}، فعمهم في الخطاب والإيجاب، ولم يخص القاتل هنا.
{الحر بالحر} وهذا يعم الحر الأصلي ومن تجددت له الحرية وكان عبدا، وإن سمي عبدا مجازا؛ لأنه حر ليس عبدا.
{والعبد بالعبد} أي المملوك.
}

(١٤١/١)

والأنثى بالأنثى} الأنثى الحرة بالأنثى الحرة، والأنثى الأمة بالأنثى الأمة، وليس في هذه دلالة على قصاص الرجل بالمرأة ولا الحر بالعبد، ودلت على قصاص الغني بالفقير والأمير بالمأمور وكبير الناس بصغيرهم، والشاب بالطفل والرجل الشاب بالشيخ الكبير ونحو ذلك، وكذا في العبيد والإنثاث، فما يصدر من معاونة القاتل حتى لا يتمكن ولي الدم من القصاص بأي طريق مثل تخويف الشهود أو تخويف الحاكم أو تخويف الولي، فهو من الباطل، والتعاون على الإثم والعدوان.
{فمن عفي له من أخيه شيء} عفي له أسقط له من أخيه الذي على ملة الإسلامفهو أخوه في الدين المشترك بينهما الذي هو التوحيد والإقرار بالرسول والقرآن ونحو ذلك، وفي ذكر الأخوة ترغيب في العفو وحث على العطف، وقوله تعالى: {شيء} يعم العفو عن القصاص، وعن بعض الدية إن عفى عن القصاص، أو عنهما.
{فاتباع بالمعروف} أي لا يسيء المطالبة بالدية أو بقيمتها لأجل أنه قد قتل قريبه، بل تكون المطالبة بشكل معروف لا يستنكره العقلاء أهل المروءة، فلا تقترن المطالبة بسب ولا وعيد ولا تكون بصوت رفيع مع قرب المطالب بل تكون برفق.
{وأداء إليه} للدية أو ما بقي منها، {بإحسان} كلام طيب وتسليم جميل، وبالأولى أن يكون بالمعروف، فلا يسلم بواسطة الظالم الذي يأخذ بعضه ولا يقترن بالتشكي ودعوى أنه مظلوم بأخذ الدية أو نحو ذلك، وقوله تعالى: {إليه} يعود إلى ولي القاتل، فلا تدفع إلى غيره، وإذا كانوا ورثة دفع إلى كل منهم

نصيبه، ولا يبعد دلالتها على أنه لا يقضى منها دين الميت إلا بإذن أهلها، وإنها ليست من الميراث وإنما يعمل بها ما يعمل بالميراث بمعنى أنها تقسم على حسب الإرث، وهو في قول الله تعالى: {ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا} أوضح، وعلى هذا فهي ليست عوضا للميت عن نفسه بل هي عوض للولي؛ لأنه موتور مغيظ محنق، وفائدته التخفيف عنه وتقريبه إلى العفو؛ لأن العفو لولا الدية يكون بعيدا، فأما الميت فيحكم بينه وبين قاتله يوم القيامة وينصف له ملك يوم الدين، وما قيل: إنها للميت كأرش الجراحات، يرده: إنها لو كانت كذلك لكانت أروشا على عدد ما في الحي من أعضاء ومعان؛ لأن القتل أبطل ذلك كله، ولأن الدية لا تستحق إلا بما يستحق به القصاص في هذه الاية، وذلك لا يكون إلا عند خروج الروح؛ لأن المجروح لا يسمى قتيلا إلا متى خرجت روحه بسبب الجرح مثلا، وفي تلك الحال لا يملك بل يورث ما ترك.

{ذلك تخفيف من ربكم ورحمة} أي شرع العفو وسقوط القصاص بالعفو بإسقاطه، وكذلك سقوط ما عفى من الدية، فهو تخفيف؛ لأن التكليف بالقصاص ثقيل.

}

(١٤٢/١)

فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم} إما ولي الدم وإما القاتل، فولي الدم إذا عفى وأسقط القصاص ثم قتل القاتل فهو معتد يقتل به وله عذاب أليم لعدوانه لا بد من زجره لئلا يظهر إسقاط القصاص، ويأخذ الدية ثم يقتل لأنه قد يطمع في الجمع بين القصاص وأخذ الدية، وقد يقبل الدية، فإذا أكلها ندم على القصاص، وقد يقبل الدية، فإذا أغراه بعض الشياطين ندم وتجرأ على القصاص بعد أن بطل حقه فيه، وأما القاتل إذا عفي عنه فتجرأ على قتل مسلم آخر فله عذاب أليم لتجريه على العدوان بعد أن خفف الله عنه ورحمه، فلم يشكر تلك النعمة ويتق الله بل ازداد جرأة على القتل أو نسي النعمة كأن لم تكن.

{ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب} فقصاص إنسان واحد قد يكون سببا ليحاة كثير من الناس، ولو لم يشرع القصاص لتجرأ على القتل كثير من الناس، وحيث يترك القصاص في أهل الجهل ويعدلون إلى النقاء، يكثر القتل بالتسلسل والنقاء قتل رجل يختارونه أو يتيسر لهم قتله بدل المقتول، وهو غير القاتل، وإنما هو من قبيلة القاتل مثلا وولي الدم من قبيلة أخرى، فإذا رجع الناس لحكم الله وقتلوا القاتل لا غيره انقطع التسلسل، وطريقة أهل الألباب ترجيح الحكمة على العاطفة المخالفة، وفي الآية الكريمة دليل على أن الذين يجادلون في حسن القصاص عادلون عن طريقة أولي الألباب، أي أهل العقول، وخاطب أولي الألباب؛ لأنهم هم الذين ينتفعون ويؤمنون بذلك، {لعلكم تتقون} الله، فتقوى الله

هي المراد الأهم؛ لأنها تؤدي إلى السلامة من عذاب الله، وهذا تعليل للتعليل، فتقليل القتل تعليل للقصاص والتقريب إلى تقوى الله تعليل لترك القتل العدوان، فالقصاص وسيلة للتقوى من حيث يزجر عن العدوان بالقتل، وهذا الإنزجار قرب إلى التقوى كما أن القتل عمدا عدوانا بعدا عن التقوى.

{كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين(١٨٠)}

{كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف} كتب عليكم أوجب عليكم، وعم الخطاب؛ لأن السامعين كلهم يموتون، والخير المال، والوصية للوالدين والأقربين بالمعروف بما تعرفه العقول ولا تنكره الفطرة السليمة، وهو إما أن يكون قبل المواريث فيكون على ما يراه الميت بالمعروف، وإما أن يكون بعد نزول وصية الله التي هي أقدم وأوجب، فالمعروف ما طابقها؛ لأنه تعالى صدر آيات المواريث بقوله تعالى: {يوصيكم الله} وختمها في أوائل سورة النساء بقوله تعالى: {وصية من الله}، فأرشد إلى العمل بوصيته وترك وصية غيره إذا خالفت.

{حقا على المتقين} أي حق الإيصاء المذكور حقا على المتقين، أي وجب أحال من الوصية، أي واجبا كالدين وسائر الحقوق، وفي قوله تعالى: {على المتقين} تأكيد لإيجابها.

}

فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم(١٨١)}

التبديل إيجاد بدل، إما بدعوى أنه الوصية، أو بدعوى أنه رجع عن الوصية وأبدلها بهذا البدل، وعلى هذا فالتبديل يكون من الكاتب أو الشهود، ويكون من غيرهم، وقوله تعالى: {فإنما إثمه على الذين يبدلونه} حصر وقصر إضافي، أي إثمه عليهم، لا على الميت ومن أقام الشهادة على وجهها، فأما من أخذ البدل بالزور وهو يعلم فهو حرام عليه وهو آثم بأخذه، وأخذه منكر خارج عن التبديل، بل هو غصب أعانه عليه التبديل.

{فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم(١٨٢)}

{فمن خاف من موص جنفا أو إثما} الجنف: الميل، وفي تفسير (الغريب) لزيد بن علي عليهما السلام، الجنف: الجور والخطأ والإثم العمد، اهـ. قلت: الحاصل الحيف بمخالفة المعروف في تفضيل بعض الموصى لهم على بعض تفضلا يستنكر ويعاب بغير تعمد لمخالفة المعروف، والإثم ترك بعضهم، والإيصاء بالكل للآخرين عمدا، ومخالفة لأمر الله أو تفضيلهم كذلك، ولعل الجنف خاص بالأولاد فيما بينهم والأقربين المستوين في الدرجة؛ لأن التفضيل بينهم هو الذي يسمى ميلا، والإثم مخالفة الحق

عمدا بمخالفة المعروف أو بترك الإيصاء لبعض مع الإيصاء بالكل للآخرين.
{فأصلح بينهم} بين الوالدين والأقربين فإن الوصية المخالفة لأمر الله لا حكم لها.
{فلا إثم عليه} وليس ذلك من التبديل المنهي عنه، {إن الله غفور رحيم} يغفر للمصلح المتحري للصواب والقسمة حسبما كان ينبغي للموصي أن يوصي، وفائدة ذكر الغفران والرحمة؛ التشجيع على الإصلاح لئلا يترك خوفا من الخطأ، ومعنى الخوف من الجنف أو الإثم: الخوف مما يترتب عليه من الفساد والشقاق، وكون التركة تؤخذ على غير الحق إن تركت كما أوصى.
{يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون(١٨٣)}
{يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم} كتب عليكم: فرض، والصيام: الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من الفجر إلى الليل بنية ذلك، وقوله: {كما كتب} تشبيه في أنه كتب، وذلك ترغيب فيه أو تسهيل له، والذين من قبلنا يحتمل أنهم النصارى وحدهم أو هم وغيرهم، وهو الأقرب.
{لعلكم تتقون} فهو من أسباب التقوى؛ لأنه تمرين للنفس على ترك ما تشتهي وتعويد لها، والخير كله يسهل بمصيره عادة وفي كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، عود نفسك السماح، فإن الخير عادة.
}

(١٤٤/١)

أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون(١٨٤)}
{أياما معدودات} قال في (الكشاف): وانتصاب أياما بالصيام كقولك: نويت الخروج يوم الجمعة، اهـ.
وقوله: {أياما معدودات} تقليل لمدة الصيام، وفيه فوائد، الأولى: أن الصوم للأيام لا لليالي، الثانية: أن يوم الصوم لا يتبعض، بل يصام كله، وما وقع في الحساب من تبعيض يوم الثلاثين يجعل بعضه من شهر رمضان وبعضه من شوال لا حكم له فيصام اليوم كله، ولا التفات للحساب، الثالثة: أن الواجب أيام، من حيث هي أيام، وعلى هذا فهو واجبات متعددة، ولا ينافي ذلك إسناد الوجوب إلى الشهر في الاية الثانية، ومن فوائد ذلك: وجوب اليوم واليومين على من له عذر كالهم الذي يعجز عن صيام الشهر ويستطيع اليوم الواحد أو اليومين مثلا، فيصوم ما يستطيع بلا ضرر عليه، ويفطر ما يخاف منه الضرر.
{فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر} تجزيه، وهذا يدل على أنها معينة بالشهر مع تعيينها بالعدد، ويدل على أنه يجزيه عن ما أفطر من هذه الأيام عددها من أيام أخر، وظاهر صحة الصيام مع المرض والسفر إن صام لأن ذكر ما يجزي لم يرفع إيجابها، وإنما صار ذلك واجبا مخيرا في

حق المريض والمسافر.

{وعلى الذين يطيقونه} مع المرض والسفر إذا أفطروا.

{فدية طعام مساكين} وفي قراءة: {طعام مسكين} وطعام المسكين لليوم الواحد، فوجبت عليهم الفدية؛ لأنهم أفطروا وهم يطيقون الصيام.

{فمن تطوع خيرا} في إطعام المساكين، وهذا ترغيب في الزيادة من الإطعام على الواجب.

{فهو خير له} لما في الإنفاق من الفضل، والفائدة لنصرة الإسلام بإطعام من حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم لغيرهم.

{وأن تصوموا خير لكم} من الإطعام؛ لأن الصيام أداء واجب والإطعام تبع للرخصة. {إن كنتم تعلمون} أي إن كنتم تعلمون، علمتم أنه خير لكم.

{شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون(١٨٥)}

}

(١٤٥/١)

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان} الراجح أن ((شهر)) مبتدأ، وخبره ((الذي))، وأن هذا تمهيد لتعيينه للصوم لفضله على غيره من الشهور، ولشكر نعمة إنزال القرآن فيه بصومه، ومعنى إنزال القرآن فيه في الليلة المباركة ليلة القدر أن ابتداءه وأوله في شهر رمضان في ليلة القدر، ولعل الوجه في هذا أن المنزل هو القرآن، وما لحق من بعد ذلك زيادة فيه كأنه شيء واحد ينمو كما تقول: ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الفيل، وهو حين ولد أصغر منه حين كبر بكثير، أو أن القرآن اسم جنس يصدق على السورة والسورتين والأكثر والكل، قال: {وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا}، وقوله تعالى: {هدى للناس}، لعله بمعنى هدى للناس يعلمون به صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويتبع ذلك اهتداؤهم بما في القرآن وما جاء به الرسول، وإيمانهم بما يدل عليه القرآن والسنة، وقوله تعالى: {وبينات من الهدى} بمعنى أنه آيات بينات ودلائل واضحات من الهدى من بيان الصراط المستقيم والفرقان بين الحق والباطل، فهذه نعمة عظيمة وفضيلة شهر رمضان على غيره من الشهور.

{فمن شهد منكم الشهر فليصمه} من شهد: من حضر، يقال: فلان شاهد، بمعنى حاضر في البلد، والمعنى من كان في بلده في هذا الشهر فليصمه.

{ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر} تجزيه، وظاهرها أن المريض إذا صام أجزأه، وإذا أفطر وقضى أجزأه، وأما المسافر فلم يتناوله هذا الأمر، وقد احتج به من يقول لا يجزيه صيامه في السفر؛ لأنه لم يشرع له إلا القضاء، ولا نسلم هذا لأنه وإن لم تدل هذه الآية على شرعيته له فقد دلت عليها الأولى، وعدم الدلالة هنا ليست دلالة على عهدم شرعيته له، فإن قيل: إن التقدير فعليه عدة من أيام أخر، وهذا يدل على أنه لا يجزيه الصيام في شهر رمضان، قلنا: إن المفهوم من الآية هو الترخيص لمشقة الصيام في السفر والمرض وتقدير فعليه عدة، لا يفيده إنما يفيد التكليف بعدة من أيام أخر، وإذا فسرنا العدة بعدة أيام السفر والمرض كان ذلك إضافة تكليف إلى تكليف؛ لأنه لا يفيد الترخيص في الإفطار ولا إيجابه، فظهر أن تقديركم لا يفيد المقصود، أما تقديرنا يجزيه فيفيده وهو صالح في سائر المواضع المماثلة لهذا من القرآن مثلا في كفارة اليمين، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، أي يجزيه، وفي كفارة الظهار كذلك، وفي الحج، {فمن كان منمك مريضا أو به أذى من رأسه ففدية}، أي تجزيه عن ترك الحلق، وقوله تعالى: {فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان}، أي يجزون، وقوله تعالك {وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة} أي تجزي عن الكتاب، فالتقدير المطرد الذي يرشد إليه السياق هو الظاهر، وخلافه دعوى بلا دليل من حيث تضمنه الزيادة على ما يرشد إليه السياق.
}

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} ولذلك رخص للمريض والمسافر؛ لأنه يريد التسهيل والتخفيف، ولا يريد التشديد، {ولتكملوا العدة} فجمع لكم بين النعمتين التيسير بتأخير الصوم عن حالة المرض والسفر وإبدال ما فات، لئلا يفوتكم ثواب إكمال العدة، وفائدة الصوم، وليتم الابتلاء بالعدة كلها.

{ولتكبروا الله} شكرا {على ما هداكم} لأنه هداكم للدين المؤدي إلى السعادة الدائمة بهذا القرآن الذي أنزله في هذا الشهر المبارك وتتلونه فيه وتصومون وتصلون وتدعون وتقربون فيه بأنواع القرب العديدة.

{و} شرع لكم طريق السعادة والكرامة والسلامة، {لعلكم تشكرون} هذه النعمة العظمى، وقد قدمت في تفسير سورة الفاتحة الاستدلال بها على أن نعمة الهدى أعظم النعم.

{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون(١٨٦)}

{وإذا سألك عبادي عني} لينالوا مني حاجاتهم وصرف مهماتهم وبأي وسيلة يتوسلون إلى ذلك، ولما

كان تهيئة الوسيلة إليه راجعة إلى كرامة كان السؤال عنها سؤالا عنه؛ لأنها لا تكون إلا منه وكونها منه راجع إلى كرمه.
{فإني قريب} ليس بعيدا كما يتصور الجاهلون ويظنون أن الوسائط أقرب منه، بل هو قريب من عبده فيمكنه طلب حاجته منه بأيسر ما يكون.
}

(١٤٧/١)

أجيب دعوة الداع إذا دعان} أي حين دعاني، وذلك يدل على سرعة الإجابة. وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: ((واعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء وتكفل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه..

(١٤٨/١)

. إلى قوله عليه السلام .: فإذا ناديته سمع نداك، وإذا ناجيته علم نجواك، فأفضيت إليه بحاجتك وأبثثته ذات نفسك، وشكوت إليه همومك، واستكشفته كروبك، واستعنته على أمورك، وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره، من زيادة الأعمار وصحة الأبدان وصعة الأرزاق، ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته))، انتهى المراد، نقلته لأنه كالتفسير للآية، ولما فيه من التنبيه على كرم الله وعمومه لعباده، وأنه غير مقصور على من يتوسل بهم الناس، وأن استبعاد الإجابة مخالف لما دل عليه بقوله: {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب} حيث عمهم كلهم، ولم يخص أهل الفضل منهم ليدعوه كلهم الفاضل والمفضول والمتقي والمذنب حتى يكونوا كلهم عابدين له بالدعاء متعرضين لفضله لا لفضل الوسائط، شاكرين له متى أجابهم لا لمن يتوسلون به مستدلين بذلك على عموم كرمه لعباده وسعة رحمته لهم في هذه الدنيا، ولينظر العاقل لو كان له بنون يريد أن يحسن إليهم ويعرفهم رحمته لهم ورغبته في الإحسان إليهم؛ لأنه أبوهم وهم بنوه كلهم، فكان بعضهم إذا احتاج حاجة طلب أباه بلا واسطة فقضاها له فشكره على إنعامه عليه، وكان بعضهم إذا احتاج حاجة توسط في طلبها بواسطة من خواص أبيه، فإذا قضاها له أبوه شكر الواسطة؛ لأنها قضيت له حاجته بسببه غافلا عن شكر أبيه الذي هو قضى حاجته، وكان يقضيها له من غير الواسطة، فلينظر العاقل أي الفريقين أوفق لغرض أبيه، فإذا نظرنا إلى كرم الله

وأنه أكرم وأرحم من الأب بولده فلماذا نلجأ إلى الوسائط وقد دعانا إلى أن ندعوه وبين أنه قريب لا نحتاج إلى واسطة يبلغه ولا حاجب بيننا وبينه، وهو يريد سبحانه أن ندعوه ولا ندعو غيره ونشكره على الإجابة ونعرف فضله ورحمته لنا وكرمه بما نجد من إجابته لدعائنا وقضائه لحوائجنا دون أن يحوجنا إلى واسطة ينعم علينا لأجله لا لأجلنا كأن فضله ورحمته وكرمه مقصور عليه ليس لنا منه نصيب إذا عرفت هذا عرفت أن التوسل بالوسائل من الناس لم يظهر أنه مشروع، وما ورد منه مخصوص بمحله، فما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في توسل الأعمى به كان مقرونا بأمر الأعمى أن يدعو ربه وكان في التوسل به إرهاص لمعجزة؛ لأنه بالتوسل بالنبي يتبين أن إرجاع الله تعالى البصر كان من أجل توسله بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت فائدة يحصل بها الإيمان بالله ورسوله أو يزداد لوضوح الدلالة في هذه القصة على أن رجوع بصره بسبب توسله برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك ما روي في تفسير قول الله تعالى: {فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه}، إن الكلمات توسل آدم بمحمد وآل محمد أن يغفر الله له أو أن يتوب عليه، فهذه الرواية إن صحت مقصورة على آدم، وفائدتها أن يؤمن آدم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبفضل آله، ويكون ذلك سببا لزيادة إيمان من صحت له الرواية إن صحت، فليس فيها دلالة على شرعية التوسل بهم لمن لا يكون في توسله هذه الفائدة كما قلنا في قصة

(١٤٩/١)

الأعمى، فإن قال قائل: فهل تقول إن التوسل كله شرك كما تقول الوهابية؟ قلت: معاذ الله أن أقول ذلك، فإن قال قائل: فإذا لم يكن مشروعا، فهل هو ممنوع؟ قلت: إذا لم يكن مشروعا فلا فائدة له؛ لأن المتوسل به للحاجة ليس وسيلة لها في الواقع؛ لأنه لم يصح أن الله تعالى يقضيها من أجل التوسل به لعدم الدليل على ذلك، اللهم إلا في دعاء الغير الذي جاء الدليل على إجابته كدعاء الوالد لولده ودعاء الإمام العادل والمؤمن لأخيه بظهر الغيب، فهذا لا نزاع فيه لورود الدليل فيه، فقد دل الدليل على أن الحاجة تقضى بذلك، فلماذا نتعدى ما ثبت فيه الدليل إلى غيره، فإن قيل: قد توسل عمر بالعباس فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك وإنا نتوسل إليك بعم نبيك لتسقينا؟ قلت: لعل العباس كان يدعو فصح التوسل به لأجل دعائه مع أنه لا حجة في فعل عمر، إنما نحتج به على أتباعه الوهابية الذين يقولون: إن التوسل شرك، وغاية ما فيه أنه مباح من حيث هو توسل، وفيه توسل بقربى رسول الله، فهو إقرار بفضلها، ولكن لا معنى للتوسل بالأشخاص الذين لا يدعون؛ لأنهم ليسوا عملنا وفضلهم لهم ليس لنا منه شيء؛ لأن الله تعالى يقول: {ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه}، فإذا قلنا: الهم اقض حاجتنا بجاه فلان، فلا معنى له؛ لأن جاه الفاضل لنفسه ليس لغيره، اللهم إلا الذرية فقد دل الدليل على أن

فضل الفاضل يكون وسيلة لذريته، قال تعالى: {والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما أتناهم من عملهم من شيء}، وقال تعالى: {وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك}، وفي قوله تعالى: {وما ألتناهم من عملهم من شيء}، وقوله تعالى: {رحمة من ربك} دلالة على أن ذلك لا ينافي كون عمل الأب لنفسه، فليس ينقص من أجره شيء لولده، وإنما ذلك تفضل ورحمة، ولعل السبب في الذرية أن الأب يكون راغبا في أن يحسن إليهم من أجله، وقد فهم هذا أبو بكر لما قال: ارقبوا محمدا في أهل بيته؛ لأنه طبيعي، والقرآن يقره، قال تعالى: {قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي}، وقال تعالى حاكيا: {ومن ذريتنا أمة مسلمة لك}، وقال تعالى حاكيا: {ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك..} الآية، وقال تعالى حاكيا: {ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون}.

فإن قيل: فإن الله تعالى قال: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة}، فدل على أن من المشروع اتخاذ الوسيلة على الإطلاق، فالجواب ليس هذا معنى الآية؛ لأنه لم يقل: {واتخذوا الوسيلة إليه}، ومن الواضح الفرق بين الكلمتين، فإن قوله: {ابتغوا إليه الوسيلة}، ليس معناه إلا أطلبوا الوسيلة إليه، أي أطلبوا ما هو في الواقع وسيلة إليه، أي وسيلة للتقرب إليه، وهو العمل الصالح والدعاء والإيمان، وبالجملة كل ما هو قربة إلى الله، ألا ترى إلى قوله تعالى: {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة} أي يدعون مبتغين إلى ربهم الوسيلة بالدعاء وغيره مما يقربهم إلى ربهم، ولو كان معنى ابتغوا إليه الوسيلة ما شئتم لدخل فيه المشركون القائلون: {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى}، ويقولون: {هؤلاء شفعاؤنا عند الله}، والحاصل أنه لا وسيلة إلا ما جعله الله وسيلة لا ما اتخذناه نحن دو الله سبحانه وتعالى، فلا دلالة في قوله تعالى: {ابتغوا إليه الوسيلة على جواز التوسل على الإطلاق، هذا وقد دل قوله تعالى: {أجيب دعوة الداع إذا دعان} على سرعة الإجابة، فما معنى ذلك؟ والجواب: أنه يعجل له حيث الحكم في التعجيل، فأما إذا اقتضت خلاف تأجيله أو تبديله فالإجابة لعلها الحكم به له، أي بالمؤجل أو البدل أو يصرف عنه بدلا من المطلوب ما صرفه أهم، وقد لا يعطى مطلوبه؛ لأنه ضر عليه كما قال تعالى: {ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا}، وفي كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام في وصيته لابنه الحسن: ((فلا يقنطك إبطاء إجابته، فإن العطية على قدر النية، وربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأتيت خيرا منه عاجلا أو آجلا، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته

فيه هلاك دينك لو أوتيته))، انتهى المراد. قلت: وسياق الآية يفهم منه هذا الاستثناء؛ لأن إجابة الدعاء الذي تكون إجابته ضر على صاحبه إلا أنه لا يعلم، ليست مراده في الآية؛ لأن المقصود الدلالة على رحمة الله بعباده وإنعامه عليهم بقوله: {فإني قريب أجيب دعوة الداع}. قلت: سرعة الإجابة فيما أجل تكون بأن يكتب له ذلك وتكون كالموعود به من حين طلبه، كما روي في دعاء المريض رواه في (مجموع زيد بن علي) عن أبيه، عن جده، عن علي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه في أثناء الحديث: ((فإذا قال يا رب، قال: لبيك عبدي، لا تدعوني بشيء إلا أستجبت لك على إحدى ثلاث خصال: إما أن أعجل لك ما تسألني، وإما أن أوخر لك..)) الحديث، فالحاصل أن الإجابة أن يكون ما هو بمنزلة الوعد له بما طلب أو بما هو خير له، وهذا إذا لم يطلب خلاف القضاء المحتوم أو خلاف الحكمة.

}

(١٥١/١)

فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون} فاستجابتهم لدعوة الله وإيمانهم به توسل إلى رشادهم وشكر لربهم على نعمة الحث على الدعاء والعد بالإجابة أو نعمة الإجابة، والرشد: الاهتداء للخير، ويستعمل بمعنى الخير نفسه كما في قول الله تعالى: {أم أراد بهم ربهم رشدا}، وهو في الأول أظهر، وفي المقابلة في الآية بين إجابة الله لعباده واستجابتهم له إرشاد إلى الشكر، ودلالة على كرم الله ورحمته؛ لأنه يستجيب لهم وهو غني عنهم وأكثرهم لا يستجيبون له وهو منعم عليهم وهم محتاجون إليه، وقد تخللت هذه الاية آيات صيام شهر رمضان، فوضعها هنا يشير إلى اغتنام الدعاء في الشهر الكريم كما قال في الحج: {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى}.

{أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون(١٨٧)}

{أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم} الرفث يكون الكلام الذي يستحى منه لغير الزوجين، وهو كناية عن الجماع؛ لأنه من مقدماته، ولا يجب أن يجعل مجازا؛ لأن من أدب الجماع تقديم بعض مقدماته.

{هن لباس لكم وأنتم لباس لهن} فهن بتحصينكم عن المعصية ستر لكم وأنتم ستر لهن بما يحصل لهن من الثبات على العفة باستغنائهن بالأزواج، ففي إباحة الرفث ليلة الصيام هذه المصلحة؛ لأنه يطول

على الشباب الصبر إلى انسلاخ الشهر، ولذلك وقعت المخالفة ممن لم يصبر ليلة الصيام.
{علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم} بإتيانهن ليلة الصيام حين كان محظورا، وسمى خيانة؛ لأن الصوم أمانة عند المكلف، فالإفطار خيانة لله، ونسب الإختيان إلى أنفسهم لأن ضره عليهم والله غني حميد، والقصة ذكرها الهادي عليه السلام في (الأحكام) ج١ ص٢٣١، وذكر فيها أن الصيام كان لشهر رمضان من أحكامه أن لا ينكحوا النساء ليلا ولا نهارا حتى ينسلخ شهر رمضان، وقال فيها: فإن ناموا لم يجز لهم أكل ولا شرب حتى يكون من الغد عند دخول الليل، قلت: ولعل ذلك كان معنى قول الله تعالى: {فمن شهد منكم الشهر فليصمه}، فكان الصيام النهار كله وبعض الليل من الأكل والشرب، والليل كله من الجماع، فكان الصيام الشهر كله ليلا ونهارا إلا جزءا من الليل للأكل والشرب فقط، وعلى هذا فقوله تعالى: {أحل لكم ليلة الصيام} تخصيص لقوله تعالى: {شهر رمضان} أي نسخ لصيام بعض الليل.
}

(١٥٢/١)

فتاب عليكم} بنسخ تحريم الجماع في الليل، وبالهداية إلى التوبة، {وعفا عنكم} لتوبتمك من المعصية.
{فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا} في الليل كله، أي فالان أبيح لكم ذلك، فالظرف للأمر، فهي من أدلة حدوث القرآن، والمباشرة كناية عن الجماع وابتغوا بالجماع ما كتب الله لكم من الولد بإتيانهن في محل التسبيب للولد وترك العزل، وهو يفيد أن المشروع طلب تكثير المسلمين كما في الحديث: ((تناكحوا تكاثروا))، وذلك لأن في كثرة المسلمين قوة لهم إذا اتحدوا، وهم وإن كانوا في عصر من العصور غير متحدين فإنهم إذا تكالب عليهم أعداؤهم قتلا ونهبا وإهانة لا بد أن يضطر بعضهم إلى التوحيد، فإذا كانوا كثيرا حصلت القوة، ولا يبعد أن تكون بينهم وبين الكفار حروب طاحنة يستعمل فيها سلاح الإبادة، فإذا كان النسل محددا فهو معرض للنقل بالأمراض والحوادث مع أن من الناس من لم يتزوج أو زوجته عاقرا ويموت أولادها بطنا بعد بطن، فإذا أجحفت الحرب بعدد المسلمين كان البدل قليل قليلا، فغن استمروا على تحديد النسل قرنا بعد قرن فالخطر أعظم، وإن بدا لهم أن هذا الرأي غلط ويرفضوا تحديد النسل حين شاهدوا النقص والحاجة إلى الرجال كان تحصيل جيل بعد ذلك بطيا يحتاج إلى إنتظار نحو عشرين سنة حتى يأتي الجيل الجديد، فربما غلبهم العدو قبل ذلك وحدد نسلهم اضطرارا، وما أرى تحديده فرارا من مؤنتهم إلا غلطا؛ لأن الله هو الرزاق، وإن اتسع العمل بسبب كثرتهم فسيكثر العاملون ويكثر استثمار خيرات الأرض بكثرتهم، وأرض

الله واسعة لن تضيق بأهلها، والموت ينقصهم والحروب التي تأتي حينا بعد حين تأخذ منهم ضحايا قد يكون بها عزة الباقين، وعلى الجملة فالقرآن والسنة هما الحق ومخالفتهما خلاف الصواب؛ لأن الله علام الغيوب، وهو يريد بالمؤمنين اليسر ولا يريد بهم العسر، فلو كان تكثير النسل يؤدي إلى العسر لكان أعلم بذلك، ولما حث عليه، وقوله تعالى: {باشروهن وكلوا واشربوا}.

}

(١٥٣/١)

حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر} دليل على أن الصيام إنما هو من هذا الوقت من الفجر، وفي (أمالي أحمد بن عيسى) في كتاب الصيام ج١ ص٦١٥ من رأب الصدع: حدثنا محمد، قال: أخبرنا جعفر، عن قاسم بن إبراهيم، قال: آخر وقت السحور أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، والخيط الأبيض هو الفجر المعترض، وإنما قيل الخيط لاختياطه [وهو اعتراضه]، انتهى. ومعن {تبين} أن يكون واضحا لمن يرى، ومعنى {يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود} يتميز الخيط الأبيض بوضوحه من الخيط الأسود، أي من ظلام الليل الذي فوق الفجر المعترض الممتد من جهة الشمال إلى جهة الجنوب، والعكس، فهناك خيط أبيض ممتد يمينا وشمالا وخيط أسود ممتد فوق الخيط الأبيض بامتداد الخيط الأبيض يتميز الأبيض من الأسود بتضادهما، وعلى هذا فليس المراد بهذا الخيط الضوء القوي الذي يفصل بينه وبين سواد الليل نور ضعيف، بل هو النور الض١عيف المجاور لسواد الليل يتبين لمن يراه ويتميز له مضاده لسواد الليل، ومعنى تبينه أن يراه الناظر إليه بغير تعأمل، ويتميز له بغير تكلف، ويدخ في هذا من تبين له لكنه لم يتحققه لضعف بصره أو وجود غبار في الأفق أو غير ذلك من الموانع، فأما ضوي القمر فيحتمل اعتباره مانعا كسائر الموانع ويحتمل اعتباره منقصا لسواد الليل المعين على رؤية الفجر قبل قوته يعتبر مانعا، فالأحوط مراعاة الأمرين وأن لا يحكم بقياسه على حال عدم القمر بواسطة الساعة المعروفة التي تبين الساعات والدقائق بل يؤخر قليلا أو ينتظر وضوحه بالتأمل بحيث يعرف أنه لولا القمر لكان واضحا بدون تأمل المراد بوضوحه هنا أن يكون معلوما بالرؤوية متيقنا في حال وجود القمر على أن في هذه الطريقة نظرا؛ لأن القمر آية الليل وهي أصيلة فيه، فليس لها حكم الموانع العارضة، فالأحوط انتظار تبين الفجر بدون تأمل، وهذا للصلاة، فاما لترك المفطرات فالأحوط العمل بالطريقة الماضية لاحتمال أن عدم التبين سببه معارضة نور الفجر بنور القمر لا تخفيف سواد الليل، ومن الاحتياط للصيام العمل بالساعة في الفجر لاحتمال أن ضوء القمر أخفى ضوء الفجر بالغلبة عليه، وهذا إذا لم تكن الأيام في ازدياد الطول، فأما معه فإن الفجر يكون في اليوم الثاني أسرع منه في اليوم الأول فلا يتكل على الساعة.

{ثم أتموا الصيام إلى الليل} الصيام إلى الليل الصيام إلى حضور الظلمة وكون الصائم مظلما أي داخلا في الظلمة بدليل قوله تعالى: {وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون} وعلى هذا فهي ناسخة لأجزاء الصيام إلى سقوط قرص الشمس كما نسخت ابتداء الصيام نسخت انتهاءه.
}

ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد} في عطف هذه على حكم الصيام في آيته إشعار بأن شهر الصوم مظنة الاعتكاف، ودلالة على تخصيص إباحة النساء ليلة الصيام بحال عدم الاعتكاف، وقوله تعالى: {في المساجد} دليل على جواز الاعتكاف في أي مسجد، وفي كون النهي عن المباشرة في حال الاعتكاف، المراد به لا يباشرها في البيت مثلا دليل على أن الاعتكاف يكون لبثا في المسجد مدة محددة بالنية أو النذر حتى يتصور أن يخرج ويجامع في غير المسجد مع اعتباره معتكفا ف حال الجماع، وإنما قلت: إن النهي هنا متناول للجماع في غير المسجد لأن الجماع في المسجد لو كان هو المقصود لقال: {ولا تباشروهن في المساجد}؛ لأن الجماع في المسجد لا يختص تحريمهه بحالة الاعتكاف؛ لأنه يؤدي إلى الجنابة والكون في المسجد في حال الجنابة اختيارا وعمدا، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((لا أحل المسجد لجنب ولا حائض))، والروايات في هذا كثيرة في إخراج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه من المسجد وسد أبوابهم الشارعة إلى المسجد إلا باب علي. وقال الشرفي في (المصابيح) في قول الله تعالى: {ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد}: نزلت في ناس من الصحابة كانوا يعتكفون في المساجد، فإذا عرضت لأحدهم حاجة إلأى أهله خرج وجامعها فنهوا، انتهى.

{تلك حدود الله} الإشارة إلأى حديد الصوم وإباحة الأكل ولاشرب والجماع وحد إباحة الجماع، ويمكن أن الإشارة موجهة إلى ما جاء في آيات الصيام وما صحبها، وهو أظهر؛ لأن هذه خاتمة الموضوع كله؛ ولأنها وقعت مخالفة من الماضين قبل الإسلام في جد الصيام حيث جعلوه في وقت غير الذي أمر الله به. {فلا تقربوها} تأكيد للنهي عن مخالفة تحديد الله سبحانه بإيجاب إلتزام العمل به والوقوف عنده وتحذير من التهاون به، وله صور منها: الإفطار قبل تحقيق الليل، ومنها الأكل ونحوه في السحر بدون حذر من الأكل أو نحوه بعد طلوع الفجر، وذلك فيمن كان في منزل أو خلق جبل أو في حال الغمام أو نحو ذلك، ومنها ملاعبة الزوجة في النهار، ومنها استعمال ما هو مظنة النزول من الحلق مع الريق كالبردقان، فهذه كلها قرب للحد مظنة لتعديه.

{كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون} في هذه الجملة، وقد تكررت ترغيب في تعلم معاني القرآن

ودفع لكيد الشيطان الذي يوسوس للإنسان أنه صعب عليه أو متعذر، فيشتغل بغيره ويتركه، وفيه رد على من يجعل فهمه خاصا بالإمام أو بالشيخ؛ لأن قوله تعلاى: {يبين الله آياته للناس}، وقوله تعالى: {لعلهم يتقولن} أي باتباع آياته وامتثال أمره ونهيه.
{ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون(١٨٨)}
}

(١٥٥/١)

ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل} وهذه عامة لكل وسيلة لأخذ مال أحد الذين آمنوا مخالفة للحق كالرشوة ومهر البغي وكسب المغنية وحلوان الكاهن وكل معاملة محرمة، ومن الباطل ما جعل سببا بواسطة التغرير أو الكذب أو الإكراه، وليس سببا شرعيا يحل به المال؛ لأنه يعمه اسم البطلان؛ لأن ما كان بالكذب أو التغرير ليس سببا، وإنما ظن المعطي أنه سبب، وهو في الواقع باطل وغير مرضي عنده، لو انكشفت له الحقيقة، وأما الإكراه فهو ظلم ولا تصح المعاملة به لفقدان الرضى من المكره، فما ترتب عليه من بيع أو غيره فهو باطل داخل في عموم الاية، ومن الباطل معاشات الظلمة التي تعطى لمن يعينهم أو يكف عن معاونة أهل الحق أو عن القيام بالقسط بإعطائهم إياها باطل فهم يأكلونها بالباطل.
{وتدلوا بها إلى الحكام} أصل الإدلاء يكون إبداء الحجة كإبراز شهادة عادلة واستعمل فيما يسلم من المال إلى الحكام توصلا إلى ألك مال الغير سواء كان الغرض أن يحكم الحاكم للراشي أو أن يترك الحكم لصاحب الحق بحيث يتمكن الطامع من أكل ماله، فالآية الكريمة شاملة للأمرين.
{لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون} قال الشرفي في (المصابيح) في تفسير فريقا: قطعة، وهو مناسب لما في (مفردات الراغب) من اشتقاق الفريق من الفرق لفصله عن الفريق الآخر، والأرجح أنه عبارة عن جملة من المال مأخوذة من مال المسلم؛ لأن الرشوة لا تدفع إلى الحاكم لأخذ التافه الحقير الذي هو أقل من الرشوة، فالفريق عبارة عن مقدار مرغوب فيه ولو شيئا واحدا في معنى جملة من المال لغلاء ثمنه، ولأنه جملة مؤلفة من أبعاضه الثمينة، فالنهي عنه لأنه مظنة الوقوع بسبب الرغبة فيه، وقوله: {بالإثم} أي بالجعالة التي هي إثم، وهو يعم الرشوة والهداية لهذا الغرض، وقوله: {وأنتم تعلمون} أي تعلمون أن الله حرم ذ١لك فتجرؤون على معصيته، وفي هذه الآية وغيرها من القرآن كثير دلالة على بطلان الإشتراكة بمعنى أن الأموال كلها مشتركة لا يختص فرد بشيء منها، ودلالة على أن أكل أموال الناس بدعوى الإشتراكة محرم؛ لأنه أكل لها بالباطل.

{يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون(١٨٩)}
}

(١٥٦/١)

يسألونك عن الأهلة} الأهلة: جمع هلال، وهو ما يبدوا من القمر في أول الشهر، ذكر الراغب في مفرداته: أنه يسمى هلالا إذا كان في الليلة الأولى من الشهر والثانية، اهـ. والسؤال عن شأنه لأنه واضح أنه بعض القمر كأنهم قالوا: لماذا يبدو ثم يكبر ويصير قمرا ثم يصغر حتى يعود كالعرجون القديم، ثد يبدو هلالا في أول الشهر وهكذا مستمرا، ولكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعث القرآن نزل لبيان المعارف الدينية كان الجواب ببيان ما فيه من حكمة ونعمة لا بالجواب المطابق أن سبب ذلك ما يذكره علماء الفلك؛ لأن المهم التعريف بحكمة الله ونعمته وإن كان في ذلاك الجواب بية لكنهم أحوج إلى بيان النعمة والحكمة مع أن الآيات المشاهدة تكفيهم.

{قل هي مواقيت للناس والحج} مواقيت للناس ينتفعون بها في معاملاتهم وأعمالهم مثل أجل الدين وأجل عمل الأجير وأجل العطلة وغير ذلك، وينتفعون بها لمعرفة أشهر الحج ليسافروا للحج ويفعلوه في وقته بواسطة عدد الشهور من محرم إلى شهر الحجة.

{وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها} لأن الله لم يشرع ذلك، فليس قربة كما كانت الجاهلية تظن.

{ولكن البر من اتقى} أي عمل من اتقى ربه فأطاعه واجتنب معاصيه.

{وأتوا البيوت من أبوابها} تركا للبدعة ورفضا لعمل الجاهلية.

{واتقوا الله لعلكم تفلحون} لأن الفلاح لا سبيل إليه إلا التقوى التي تنجي من النار وتبلغ أهلها الجنة.

{وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين(١٩٠)}

{وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم} لأنهم يقاتلونكم محاربة لدين الله وصدا عن سبيل الله فقاتلوهم حماية لدين الله وقصدا لإعلاء كلمة الله، وفيها دلالة على وجوب نية ذلك في القتال لا مجرد الدفاع، فإنه لا يكفي وإن كان حسنا، بل واجبا بدليل قوله تعالى: {وقيل لهم تعالى قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا} لأن المقصود الاستعانة بهم على دفع العدو، وقد عرف منهم أنهم لا يريدون القتال في سبيل الله، فكأنه قيل: قاتلوا في سبيل الله، فإن لم تريدوا ذلك فادفعوا العدو، فليس المراد التخيير في التكليف الشرعي، وإنما المراد قاتلوا على أية حال، ولو لم يكن إلا دفعا للعدو، وهذا واضح، والحاصل أن قتال العدو واجب ونية الدفع لحماية الإسلام وإعلاء كلمة الله واجب، مع ذلك الواجب بدليل هذه الآية وغيرها، وقوله تعالى: {الذين يقاتلونكم} أي الذين قد اعتادوا قتالكم، فليس الأمر هنا

مخصوصا بحالة الدفاع، بل هو كقوله تعالى: {ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة}، وعلى هذا فالواجب قتالهم كما هو مفصل في سورة التوبة.
}

(١٥٧/١)

ولا تعتدوا} بالقتال الذي نهيتم عنه كالقتال في الحرم بغير وجه، والقتال في الأشهر الحرم، وقتال من بينكم وبينهم ميثاق قبل النبذ، وقتال من لم يقاتلوكم ولم يظاهروا عليكم عدوا، ولم يطعنوا في الدين ولم يفنوا مسلما، وقتل النساء والصبيان والشيوخ العاجزين.

{إن الله لا يحب المعتدين} وهذا زجر عظيم؛ لأن أهل السياسة يطمعون في الهجوم على العدو حال غفلته وعدم استعداده ولا يتقيدون بنهي الله، فبين الله أنه لا يحبهم وأنه لا يرضى عملهم، فهم آثمون في ذلك.

{واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين(١٩١) فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم(١٩٢)}

{واقتلوهم} أي الذين آمر الله بقتالهم، {حيث ثقفتموهم} حيث ظفرتم بهم.

{وأخرجوهم من حيث أخرجوكم} من البلد الذي كنتم فيه وهم فيه، فأخرجوكم منه بغير حق، إلا أن تقولوا: ربنا الله، فحيث قد أمكنكم إخراجهم وتطهير البلاد من رجسهم فأخرجوهم، وفيها دلالة على أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقتال أهل مكة وإخراجهم. وقد روي في مكة خاصة أن الله حرمها ولم يأذن في القتال فيها لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساعة من نهار، وهذا معنى الحديث، وهو في (مجموع زيد بن علي) عليهما السلام، فأما غيره فلا يقاتل في الحرم إلا دفاعا وقصاصا.

{والفتنة أشد من القتل} فقد كان الكفار بمكة يفتنون من أسلم ويعذبونه ليرجع عن الإسلام إلى الكفر ولم يكن الكفار يرعون حرمة الحرم ويتركون الفتنة فيه رعاية لحرمته، فليس لهم أن ينكروا عليكم قتلهم فيه؛ لأن فتنتهم لمن أسلم أشد من القتل، فهم يستحقون القتل جزاء، {والحرمات قصاص}.

{ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه} أي في الحرم، والمسجد الحرام: الكعبة، وعنده حرمه، قال تعالى: {أولم نمكن لهم حرما آمنا}.

{فإن قاتلوكم فاقتلوهم} وهم إذا قاتلوكم في الحرم هم المسؤولون عن هتك حرمة الحرم.
}

كذلك جزاء الكافرين} أن يقتلوا. فإن قيل: ظاهر الآية هذه تحريم قتالهم في الحرم إذا لم يبدأوا بالقتال فيه، وظاهر الآية التي قبلها جواز ذلك، فالجواب: أن الاية الأولى خاصة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالمهاجرين معه بدليل قوله: {من حيث أخرجوكم}، وقوله: {والفتنة أشد من القتل}، فقد أباحها الله له كما في الحديث، والاية الثانية عامة لهم ولمن بعدهم، فالأصل تحريم القتال في الحرم إلا دفاعا أو قصاصا، وتخصيص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المهاجرين غير معارض لهذا الأصل؛ لأن المشركين قد بدأوهم حين قتلوا بعض من أسلم وفتنوا بعضا وهموا بقتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له، فأخرجوه ومن معه من مكة، وجواب آخر وهو أظهر: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذن له في قتالهم إلا في الحرم، فلا يبدأهم بقتال، وله أن يدخل الحرم بقوته وجند الله معه كافين عن القتال حتى يبدأهم الكفار بالقتال في الحرم، فالإذن الأول مطلق مقيد بهذه الآية، فإذا بدأوهم بالقتال في الحرم حل قتالهم فيه وأخرجوا منه، فكأنه قيل: أذن لكم في قتالهم وإخراجهم من مكة بأن تدخلوها ولا تبدأوهم بالقتال، فإذا بدأوكم وهم لا بد أن يبدأوكم فاقتلوهم وأخرجوهم، وهذا لتكونوا قد رعيتم حرمة الحرم وقتلتم الذين يقاتلونكم وأخرجتموهم من حيث أخرجوكم، فإن قيل: فظاهر الآيتين جواز ذلك لمن بعدهم لو وقع لهم مثل ما وقع لهم بأن استولى الكفار على مكة وطردوا أولياءه المتقين منها أن يهجم إمام الحق عليها ويطهرها من الكفار بنفس الطريقة بدلالة الآيتين، وبدلالة قوله تعالى: {وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون} فما الحل مع ورود الحديث المصرح باختصاص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قلت: إذا كان إمام شرعي فهو أعلم بالحل، ولعله لا يتفق مثلما وقع في عهده صلى الله عليه وآله وسلم، بل يكون مركز دولة الكفر خارج الحرم، أعني موضع الجيش والقوة لضيق مكة بكثرة السكان، فإذا كان كذلك كفى الإمام أن يهجم على مركز القوة، فإذا انتصر عليهم وبطلت دولتهم لم يحتج إلى قتالهم في الحرم فلا إشكال.

{فإن انتهوا} بأن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة كما دل عليه قوله تعالى: {قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف} وقوله تعالى: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم}، فالانتهاء انتهاؤهم عن عداوة الإسلام وتوبتهم من محاربته بالدخول فيه كما ذكر في الآية، وهذا لأنهم ما داموا مصرين على محاربة الإسلام، فلم ينتهوا؛ لأن اسم محاربتهم للدين باق عليهم وحكمهم باعتيادهم لقتال المسلمين ثابت عليهم ماداموا مصرين غير تائبين منه، ومجرد تركهم للقتال مع بقاء الإصرار ليس انتهاء فلا يتحقق انتهاؤهم إلا بالتوبة؛ لأن الإصرار في قلوبهم لا يذهب إلا بالتوبة، فإذا تابوا {فإن الله

غفور رحيم} يغفر لمن تاب، فلا مقاصة في القتال في الحرم، والسابق للتوبة.
}

(١٥٩/١)

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين(١٩٣)}
{وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله} فهذه فائدتان لقتالهم مع الأولى في سبيل الله وتحقيق لغاية القتال الذي أمروا به، فالذين يقاتلون المسلمين يقاتلون حتى لا يفتن مسلم بسبب إسلامه، وحتى لا يكون دين لغير الله، والفوائد في قتالهم: أن المؤمن يحصل له أجر الجهاد في سبيل الله وأجر دفع الفتنة لمن أسلم وأجر إذهاب الدين لغير الله، ومن الدين لغير الله العمل بالقوانين المخالفة لشريعة الله واتباع علماء السوء في تغيير الدين وطاعة ولاة السوء في معصية الله وأشباه ذلك.
{فإن انتهوا} تابوا عن قتالكم وعن فتنة من أسلم وعن الدين لغير الله كما مر في الأولى. {فلا عدوان إلا على الظالمين} فحيث قد تابوا فقد خرجوا عن كونهم ظالمين وصار قتالكم لهم عدوانا محرما، والعدوان على الظالمين الجائز قتالهم في الشهر الحرام إذا اعتدوا على المسلمين فيه.
{الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين(١٩٤) وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين(١٩٥)}
{الشهر الحرام بالشهر الحرام} قصاص للمتعدي، {والحرمات قصاص} من حرمة الشهر الحرام وحرمة الحرم.
{فمن اعتدى عليكم} بهتك حرمة منها {فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم} في البلد الحرام أو في الشهر الحرام، ولا يضركم تسمية عدوانا في لغة العرب؛ لأن الحرام ما حرم الله والحلال ما أحل.
{واتقوا الله} فلا تزيدوا على ما أحل لكم مثل هتك حرمتين قصاصا في هتك حرمة واحدة، وكذلك حافظوا على طاعته في كل أمر من قتالهم كما أمرتم والإلتزام بحديده في القتال وغيره واجتناب معاصيه كلها والتوبة إليه عند المخالفة.
{واعلموا أن الله مع المتقين} فقاتلوهم كما أمرتم وارجوا النصر من الله؛ لأنه معكم ما دمتم متقين ولا تخالفوا في شيء من أمره متعمدين فتخرجوا عن التقوى وعن استحقاق النصر ويفوتمك كون الله معكم.
{وأنفقوا في سبيل الله} في سبيل نصر دين الله وحماية دين الله والدفاع عن دين الله، وممنه الإنفاق على أنصار الدين ليثبتوا على نصرهم للدين أو لتقويتهم على نصر الدين أكثر، وعلى المهاجرين في سبيل الله والمرابطين وأنصار علماء الدين القائمين في نصر الدين وحراسهم وعلماء الدين أنفسهم لهذا

الغرض، وطلاب علم الدين الذي يتوصلون به إلى الدفاع عن الدين.
}

(١٦٠/١)

ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} بترك الإنفاق في سبيل الله حتى يقهركم أعداء الله لعجزكم عن قتالهم بغلبة الفقر المؤدي إلى ترك الجهاد من كثير من الناس، ومن الألقاء بالأيدي إلأى التهلكة الإستسلام للعدو مع إمكان الدفاع، ومن الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة التخاذل عن نصر الإسلام والتفرق المؤدي إلى الضعف عن الدفاع ونحو هذا من التسبيب الاختياري الذي يكونون فيه عملوا سبب هلاكهم بأيديهم كمن يتسلم للعدو معطيا له يديه ليقبض عليهما، وليس منه جهاد المستميت كأهل بدر وزيد بن علي ومحمد بن عبد الله وإبراهيم بن عبد الله الذين لم يكن لهم بد من القتال، وكان تركهم للقتال إلقاء باليد إلى التهلكة؛ لأنهم لو تركوا القتال لقتلوا، وكالحسين ومن معه رضوان الله عليهم، وهذا؛ لأن أصل المعنى في الاية: ولا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بأيديكم، فمن خرج عن حالة الاختيار لم لكن أعطى العدو نفسه بيديه؛ لأن المراد باختياره وعمله بيديه كما ذكرت، وكذلك من قاتل يرجو النصر أو دعى للقتال راجيا لحصول أنصار كثير قد سبقت منهم بيعة فنكثوا فاضطروا إلى القتال كما ذكرت، ولو دخل في الآية كل من قاتل وقتل لتعذر الجهاد وخرجت الشهادة عن كونها إحدى الحسنيين، فلا يدخل فيه من قاتل مجوز للسلامة، ولو تجويزا ضعيفا، بل هذا شأن الأبطال الذين يقاتلون في سبيل الله لرجائهم إحدى الحسنيين، كأمير المؤمنين علي عليه السلام في بدر والخندق حين فر الناس، وحنين حين فر الناس، وحين رقد في مرقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفداه بنفسه، وكالمجاهدين من ذريته الذين اقتدوا به وأشبهوه في بطولته وضربه وشروا أنفسهم من الله.
}

(١٦١/١)

وأحسنوا إن الله يحب المحسنين} وهذا ترغيب في الإحسان، بل أمر به وهو مطلق يصدق على الإحسان بالإنفاق وسائر أنواع الإحسان. قال الشرفي في (المصابيح): بعد ذكر هذه الآيات الست قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام في أحكام هذه الآيات الست: تدل على وجوب قتال من قاتل أهل الحق وقتلهم حيثما ثقفوا وإخراجهم من حيث أخرجوا أهل الحق، وعلى تحريم الاعتداء وعلى تحريم القتال عند المسجد الحرام حتى يقاتلوا أهل الحق فيه، فمتى فعلوا ذلك وجب قتلهم فيه، وعلى

وجوب قتال كل معتد حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، وعلى أن الحرمات قصاص، فمن اعتدى على الحق جاز الاعتداء عليه بمثل ما اعتدى، وعلى أن من اعتدى في شهر حرام اعتدي عليه في شهر مثله، وعلى وجوب إلتزام التقوى مع ذلك كله، وعلى وجوب الإنفاق في سبيل الله وهو الجهاد، وعلى تحريم الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة بأن يعصوا الله ويتركوا ما أمرهم الله به من هذه الأحكام، أو أن يسلموا أنفسهم إلى أيدي الظالمين فيهلكوهم، وعلى وجوب الإحسان في الأعمال الواجبة، وفي ترك المحرم، على الحث على الحسنات واجبها ومندوبها، انتهى. وقوله تعالى: {فمن اعتدى عليكم فاتعدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم}، لا يبيح المقاصة بالمعصية ولا المعصية بالمقارنة للقصاص، فأما القتال في الحرم قصاصا أو في الشهر الحرام قصاصا فقد دلت الآية على إباحته، فليس قصاصا بالمعصية، وقد أمر الله بالتقوى في قوله تعالى: {واتقون يا أولي الألباب} وغيرها، فلم يرخص في معصته للقصاص، فلا يجوز القصاص بقتل الصبي جزاء لقتل الصبي ولا بالزنا بالحرمة جزاء للزنا بالحرمة، ولا بأكل طعامه في نهار شهر رمضان جزاء لأكله طعامك في نهار شهر رمضان، فليس ذلك وأشباهه مقصود في الآية، إن الله لا يأمر بالفحشاء، ومن هنا حرم القصاص في الجراح بما يظن الموت بسببه، بل ينتظر حال المعتدي عليه، فإن مات من الجراح قتل الجارح له؛ لأنه قتله وإن عوفي سلم له أرش الجناية، وكذلك حرم القصاص بأشد من جناية المعتدي، ولذلك حرم القصاص بما هو مظنة الزيادة ككسر العظم بكسر العظم، وقد قال تعالى: {ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين}، والزيادة اعتداء.

{وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب(١٩٦)}

}

وأتموا الحج والعمرة لله} هذا فيمن دخل في الحج أو العمرة بالإحرام، فأما الأمر بالحج نفسه فهو في آية أخرى.

{فإن أحصرتم} عن الإتمام بمرض أو عدو أو غير ذلك، {فما استيسر من الهدي} يجزي عن الاستمرار فيهما لإتمامهما.

{ولا تحلقوا رؤوسكم} تحللا من الإحرام لهما، {حتى يبلغ الهدي محله} ومحله الحرم أو محل هدى

الإحصار من الحج منى في أيام النحر، والإحصار عن الإتمام قيل: خاص بالإحصار عن الوقوف في الحج والطواف في العمرة، وقوله تعالى: {فإن أحصرتم ظاهره الإطلاق بحيث يتناول من أحصر عن طواف الزيارة وإن كان قد وقف بعرفات؛ لأن قوله تعالى: {ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله} يصلح في المحصر عن الإتمام وإن كان قد وقف بعرفات إذا لم يكن قد رمى الجمرة وحل له الحلق بالرمي؛ لأنه يحل له الحلق بطواف الزيارة، أي طواف النساء فيكون له الإحلال بالهدي على أن يطوف طواف الزيارة متى استطاع مع أن قوله تعالى: {ولا تحلقوا رؤوسكم} ليس قيدا في الإحصار، وإنما هو حكم من أحكامه، ويمكن أن يخص هذا الحمك من لم يكن رمى الجمرة من المحصرين، ولا طاف طواف الزيارة بقرينة أن منع الحلق خاص بمن كان ممنوعا من الحلق لأجل الإحرام، ويبقى قوله تعالى: {فإن أحصرتم} على عمومه، يتناول من قد رمى الجمرة وحلق ولم يطف طواف الزيارة؛ لأنه محصر عن إتمام الحج، وما قيل من أن معناه فإن أردتم التحلل من الإحرام فعليكم ما استيسير من الهدي، فلا نسلم صحته بل معناه فإن أحصرتم عن الإتمام للحج أو العمرة {فما استيسر من الهدي} يجزيكم لترك الإتمام كما قدمت في نظائره، والمذكور هو الإتمام إتمام الحج والعمرة لا إتمام الإحرام، فلا يصح صرفه إلى إتمام الإحرام مع أن إتمام الإحرام لا يكون إلا بطواف الزيارة؛ لن من رمى الجمرة يبقى عليه بعض من الإحرام، وهو تحريم النساء حتى يطوف طواف الزيارة، فيكون حكم الإحصار عاما لمن بقي عليه شيء من الإحرام، وتحريم الحلق خاصا بمن لم يكن رمى الجمرة فالمحصر الذي قد رمى الجمرة وحلق يفدي للتحلل من بقية الإ؛رام، هذا ما فهمته أنا من الآية الكريمة، ولم يذكر الهادي عليه السلام في الأحكام إلا المحصر عن الوقوف حيث قال: فإن هو تخلص من إحصاره حتى يأتي مكة فإن لحق الحج حج.. إلخ.

(١٦٣/١)

فظاهره أنه خاص بالمحصر عن الوقوف، ولكنه لم يذكره تفسيرا للآية، ولم يصرح بأن الإحصار إنما يكون عن الوقوف، ومثيله كلام زيد بن علي عليما السلام في (المجموع)، ويمكن أنهم خصوا بالذكر من أحصر عن الوقوف والطواف في العمرة؛ لأن ذلك هو الغالب في الإحصار، فأما الإ؛صار عن تمام الحج بعد الوقوف فهو نادر جدا؛ لنه إن كان لعدو فالغالب أنه يكون في الطريق قبل الوصول إلأى عرفات، ومن لم يمنع من عرفات لم يمنع من مكة في الغالب؛ لأنهما في العادة يكونان تحت دولة واحدة، وإن كان الحصر لمرض فيمكن التخلص منه في الغالب بركوب سرير يحمل فيه ويطاف به طواف الزيارة، ويذبح دماء عن بقية المناسك، فلم يكن الإحصار بالمرض إلا نادرا فيمن اشتد به المرض وخشي التلف إن طيف به أو زيادة شدة المرض، واستمر به حتى يعود أصحابه واضطر للعودة

معهم لخشية الموت إذا تركوه وحده ولم يستطع إيقافهم لينتظروا حتى يطوف، ولم يستطيعوا انتظاره للخوف من انفرادهم في الطريق إذا تأخروا، فبان أنهم لم يذكروا إلا حصار عن بقية الحج؛ لأنه نادر جدا، وعلى هذا فلا يخص الإحصار بالإحصار عن الوقوف، وقد يتصور الإحصار عن طواف الزيارة فيمن طاف طواف القدوم قبل الوقوف، ثم وقف واشتد به المرض وكان رفيقه جاهلا، وهو زائل العقل، فلم يطف به، وتركه ثم عاد به معه لجهله كيف يصنع به، ولم يفق المريض إلا في الطريق في العودة أو كان جاهلا لم يستطع شيئا من أعمال الحج لمرضه ولم يدر ما يصنع لجهله حتى رجع ثم أحصر عن العودة بمرض أو عدو أو عدم نفقة للعودة، فهذه صورة وهي نادرة أيضا، وقد وقع نظيرها في الإحصار عن العمرة للجهل، فقد خرج أناس من المدينة أحرموا للعمرة ثم انقلبت بهم السيارة وحدثت فيهم جراح وحالة شديدة، فحملوا في سيارة أخرى إلى المدينة المنورة ولبسوا ثيابهم واعتبوا أنفسهم أن قد حلوا لعجزهم في تلك الحال عن إتمام العمرة، ولذلك وللبسهم ثيابهم، فلما تحسنت حالتهم في طيبة ورجعوا أحرموا للعمرة من ذي الحليفة وهم في الواقع ما زالوا محرمين؛ لأنهم لم يبعثوا بهدي، ثم طافوا بالبيت لهذه العمرة الأخيرة ورجعوا بلادهم وعجز بعضهم عن الرجوع لفقره، فهذا لا إشكال أنه محصر على المذهب، وإنما الإشكال في الحاج الذي قد وقف لو وقع له حادث فترك في المستشفى ثم أعيد إلى بلده وهو لا يشعر أو لا يدري ما يصنع، ثم لما وصل إلى البلاد سأل، ما يلزمه؟ فإن كانت تمكنه العودة وجبت عليه ليطوف طواف الزيارة وإن كان عاجزا عن ذلك فعلى ما رجحته يبعث بهدي ويتخلص من إحرامه ببلوغ الهدي محله، وعلى قولهم: إن المحصر إنما هو المحصر عن الوقوف يبقى هذا على بقية إحرامه حتى يتمكن من العودة أو يموت، وقوله تعالى: {ما استسير من الهدي}، قال المؤيد بالله في (شرح التجريد): ولا خلاف أن اسم الهدي يتناول الشاة، وروى ابن أبي شيبة قال: حدثنا حفص، عن جعفر، عن أبيه، عن علي عليهم السلام قال: ما استيسر من الهدي شاة. وروى ابن أبي شيبة، عن ابن عباس، وابن عمر ذلك، وهو مما لا خلاف فيه، انتهى.

}

(١٦٤/١)

فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه} فاحتاج إلى الحلق في المرض، وذلك قد يكون لوضع علاج من الصداع على الرأس إذا احتاج إلى الحلق الذي به أذى من رأسه كالذي به القمل الذي يؤذيه في رأسه.

{ففدية من صيام} ثلاثة أيام، {أو صدقة} إطعام ستة مساكين. {أو نسك} ذبح شاة من الشاء، والنسك: جمع نسيكة، مثل صحيفة وصحف، فمن كان كما ذكر الله ففدية مما ذكر تجزيه عن ترك

الحلق من أجل الإحرام، والمراد تقدير لفظ تجزيه أو ما يوافقها في إفادة حل المشكلة مثل: تكفيه أو تغنيه، فهذا هو الذي يفيده السياق كما مر في آية الصيام، وتفسير الصيام والصدقة والنسك بما ذكرت، رواه زيد بن علي في (مجموعه) عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام.

{فإذا أمنتم} وزال الإحصار بالخوف أو سلمتم الإ؛صار بالخوف فأتموا كما أمرتم.

{فمن تمتع بالعمرة إلى الحج} التمتع الانتفاع العاجل والتمتع بالعمرة أن يعتمر من يريد أن يحج، فإذا وصل ميقات الحج أحرم بالعمرة ليستبيح بعدها ما يحرم بالإحرام مما يحصل لغير المحرم، ويتخلص بها من الإحرام للحج عند وصوله الميقات إذا كان يطول عليه الإحرام ليعد يوم النحر، وهذا لأنه إذا وصل الميقات لم يكن له بد من الإحرام، إذ ليس له أن يتجاوز الميقات إلى الحرم بغير إحرام؛ لأن ذلك ينافي كون الميقات ميقاتا للإحرام، فالإحرام للعمرة أخف له؛ لأنه يصل مكة فيطوف ويسعى ويقصر، وانتهت العمرة وحل له لبس ثيابه وتغطية رأسه والطيب والنساء ونحو ذلك من محظورات الإحرام، وبقي على هذا إلى الحج حين يحرم للحج يوم التروية مثلا، فقد تمتع بما حل له بواسطة العمرة، فلذلك صح التعبير بأنه تمتع بالعمرة إذ لولا العمرة لاحتاج إلى الإحرام للحج حين بلغ الميقات.

}

(١٦٥/١)

فما استيسر من الهدي} يجزيه عن الإحرام للحج من الميقات، واستمراره على إحرامه إلى يوم النحر، وقد قيل: إن في هذا دلالة على أن التمتع دون الإحرام بالحج؛ لأن هذا جار مجرى الترخيص الذي يقرن بفدية؛ لأن الهدي كان بدل الإحرام بالحج، وأنا لا أرى في هذا دلالة على ما قالوه، بل يدل على التخيير؛ لأن الهدي لو كان فدية لسماه الله فدية، فلما سماه هديا دل ذلك على أن الكلام جرى مجرى التخيير بين الإحرام للحج من الميقات وبين التمتع مع الهدي، ولتخيير لا يدل على أن أحدهما أفضل، وقد روي عن بعض الأشئمة اختيار التمتع بما يفيد أنه عنده أفضل، ولعله أفضل في حق من يفعله حماية لحكم الله من الضياع ودفعا لإهماله وتصييره بمنزلة المنسوخ، ولئلا يدعى من بعد أنه منسوخ، وكانت الحال تقتضي ذلك؛ لأن عمر نهى عنه، وروي أن عليا عليه السلام حج متمتعا فأنكر عليه عثمان فقال علي عليه السلام: ما كنت لأدع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قولك أو نحو هذا، وفي (أمالي أحمد بن عيسى) ج١ ص٦٩٧ من (رأب الصدع): حدثنا محمد، قال: حدقنا عباد بن يعقوب، عن يحيى بن سالم، قال: قال أبو الجارود: قال جعفر [أي الباقر]: لو حججت مائة حجة ما حججت إلا متمتعا، اهـ.

{فمن لم يجد} هديا، {فصيام ثلاثة أيام في الحج}، ظاهر الآية أن الهدي يكون عند الإحرام للحج؛ ليكون قد صدق عليه أنه تمتع إلى الحج، فإذا لم يجد هديا صام سبعة أيام، ثلاثة منها بعد أن أحرم للحج ولم يجد هديا، وذلك يستلزم أن يحرم قبل يوم التروية ليصوم الثلاثة الأيام قبل يوم الأضحى للنهي عن صيامه وصيام أيام التشريق، ويحتمل أن النهي لغير المتمتع، فلا إشكال، وظاهر الآية أنه لا يجزي الصيام قبل الإحرام للحج؛ لأنه ليس في الحج، وعلى هذا فالإحرام يوم التروية خاص بواجد الهدي، عليه تحمل الرواية أن السنة للمتمتع أن يحرم يوم التروية.

{وسبعة إذا رجعتم} في الطريق أو عند وصول المسكن فورا بلا تأخير. {تلك عشرة كاملة} وجبت على المتمتع، وفائدة هذا أن لا يتوهم أنه يجزيه ثلاثة أيام في الحج ويجزيه سبعة إذا رجع، ولم يصم ثلاثة أيام في الحج.

}

(١٦٦/١)

ذلك} التمتع بالعمرة إلى الحج وأحكامه {لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام} فمن كان أهله حاضري المسجد الحرام لم يشرع له ذلك، ولعل معناه أنه حاضر لا يرد الميقات من خارج، فلا يحتاج إلى التمتع أو أنه يجوز له لو جاء من خارج أن يحرم من داره؛ لأنه ميقاته، وليس عليه أن يحرم من ميقات الآفاقي، ويحتمل - أيضا - وهو الراجح عندي؛ لترابط سياق الكلام فيها لقوله تعالى: {فإذا أمنتم} فقد ربط بين المسألتين بالفاء، أن الإشارة إلى حكم التمتع وحكم الإحصار كله، فيلزم من كان أهله حاضري المسجد الحرام أن يصبر على إحرامه حتى يجعل الله له سبيلا إلى أهله أو يخرجوا إليه؛ لأن ميقاته داره، فلم يكن محتاجا إلى الإحرام حيث أحصر، فلم يستحق التحليل بالهدي، أو لأنه لم يصح إحرامه قبل بلوغه ميثاقه الذي حاره في الحرم على القول بأنه لا يصح الإحرام قبل بلوغ الميقات عندهم، فيؤخذ من هذا أن حاضري المسجد الحرام همم من في الحرم المحرم، وهو الأقرب؛ لن الحاضر في اللغة ضد الغائب، ومن كان خارج الحرم فهو غائب عن الكعبة، وهي المسجد الحرام، وحضور الكعبة هو القرب منها، ودعوى أكثر من هذا واعتباره حضورا يحتاج إلى دليل، واللغة هي العمدة في تفسير القرآن لا الرأي مع أنه قد ظهر وجه التخصيص لمن في الحرم، فالمهم تخليص الحاج من الانقطاع في الطريق؛ لأنه قد يؤدي إلى هلاكه بنفاد الزاد حيث لا يجد بدلا، ومن كان أهله في الحرم الغالب أن يكون عندهم لا يحضر عنهم، فإذا اتفق خروجه وإحصاره فهي صورة نادرة؛ لأن الإحصار إن كان من أجل الدولة المستولية على الحرم فهي تفتح له لكونه من اهلها، وإن كان الإحصار من خارج فالعادة في الأصل أن يكون صاحب الحرم محترما، ولذلك قال تعالى: {أو لم نمكن حرما

آمنا ويتخطف الناس من حولهم}، وإن كان من أجل قطاع الطريق الطامعين فهو بعيد في أيام الحج لكثرة الأصحاب الوافدين للحج، وإن كان الإحصار لمرض فالهدي لا يفيده شيئا إلا ما قد رخص فيه للمرض مع الفدية، وهي تغني عن الهدي، وقيل: من كان أهله حاضري المسجد الحرام من ميقاته داره أذله الدخول بغير إحرام فلا يحتاج إلى التمتع، وهذا مبني على أنه في داره، وهو بعيد؛ لنه كان يكفي أن يقول ذلك لمن لم يكن حاضر المسجد، ولا معنى يفيد لذكر الأهل وخصوصا أنه مظنة أن يكون الحاضرون فيه دوةن أهلهم كثيرا، فذكر الأهل لافائدة له تظهر إلا في حق من كان متمتعا أو محصرا قد حيل بينه وبين أهله كما حيل بينه وبين إتمام الحج أو العمرة، ومن كان واردا من خارج المواقيت إلأى الحرم التي لأهل الآفاق، وفيه أهله مقيمون فلعله يؤخذ من الاية أن له الدخول بغير إجرام، فلا يحتاج إلى التمتع بل يدخل ويحرم للحج من داره؛ لأنه ميقاته، فقد قال بعضهم: إذا أتى داره قبل الإحرام فله أن يحرم منها ولم يلزمه الإحرام من الميقات، ولكن لم يقرر للمذهب، وكلا القولين تخريج للهادي عليه السلام، أما من قال: يحرم من ميقات أهل الآفاق فتخريجه من قول الهادي في مواقيت أهل الآفاق مواقيت

(١٦٧/١)

لأهلهن، ولمن أتى عليهن من غير أهلهن، فدخل المكي في العموم، وأما من قال: يحرم من داره فتخريجه من قوله في (المنتخب) من كان منزله أقرب إلى مكة أحرم من منزله، وجعل المقصود في الكلام الأول من أتى من أهل الآفاق لا المكي، ومن كان دون المواقيت ويرجحه أمران، الأول: أن الهادي جعل تلك المواقيت لأهل الآفاق خاصة؛ لنه قال في (الأحكام) في باب القول في مواقيت الإحرام: ثم وقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل الآفاق في الإحرام مواقيتهم، فذكرها، فظاهره أنها خصة بهم؛ لأنه أطلقه، ثم قال بعد تعيين كل ميقات لأهل أفق: هن مواقيت لأهلهن، ولمن أتى عليهن من غير أهلهنن والظاهر أن المقصود أهل الآفاق؛ لأنه المفروض أنه لا يأيت ميقاته ويمر منه إلى الحرم، ويعني بذلك أهل الآفاق من أتى منهم ميقاتا من مواقيتهم غير ميقات بلده أو ليس له ميقات مسمى باسم بلده؛ لأنهم المذكورون، ولا ذكر هناك ملن كان أقرب إلى الحرم من المواقيت كلها. الأمر الثاني: أن من كان أقرب إلى الحرم أو فيه ليس من أهل المواقيت المذكورة، وله ميقات أصلي ليس بدلا من المواقيت المذكورة لأهل الآفاق، وهو داره كما هو مذكور في (المنتخب)؛ لأنه قال: أما من حج فأخذ على طريق المدينة فميقات إحرامه من ذي الحليفة، وأما من أخذ على طريق الجادة أو من أتى من أهل نجد . أيضا . فميقات إحرامه من ذات عرق . إلى قوله .: ومن أتى من أهل اليمن من طريق نجد أو من أهل نجد فميقات إحرامه قرن المنازل، قال محمد بن سليمان: قلت: فمن كان منزله أقرب

إلى مكة من هذه المواقيت، فمن أين يحرم؟ قال: من منزله، انتهى. فدل على أن منزله ميقاته، فإذا أتى منزله أحرم منه، ويظهر أن المنزل في حق الحرمي ميقات أصلي، وفي (أمالي أحمد بن عيسى) ج١ ص٦٧٧ من (رأب الصدع): حدثنا محمد، قال: حدثني جعفر، قال: سألت قاسم بن إبراهيم، ما معنى قول علي: من تمام الحج أن تحرم من دويرة أهلك؟ قال: إذا كان من دون الميقات فمن دويرة أهله. قال أبو جعفر: كذلك هو عندي، انتهى. فترجح أن هذا فائدة ذكر الأهل في الآية، وأنه لا تمتع ولا إحصار لمن أهله مقيمون في الحرم.

}

واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب} فأطيعوه في الحج والعمرة وأحكامهما، وحكم الإحصار، وفي كل ما شرع لكم، وفيها دلالة على وجوب العلم بأن الله شديد العقاب، ولا يكفي الظن. قال الشرفي في (المصابيح): قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام: تدل على وجوب إتمام الحج والعمرة على من أحرم بهما فريضة أو نافلة، وعلى وجوب ما استيسر المحصر من الهدي، وأدناه شاة ويجزي على المحصر ولو قارنا؛ لأن الآية لم تفصل بعد أن أباح له الخروج من الإحرام، وعلى تحريم الحلق حتى يبلغ الهدي محله المشروع، وهو مني لمن حج( ) اختيارا ومكة لمن إعتمر اختيارا، وسائر الحرم اضطرارا، هذا هو الأحوط في المحل، ومحله من الزمان هو ما عينه المحصر، والإحصار هو الخوف والمرض. وتدل على إباحة محظورات الإحرام للمريض، ومن به أذى، وعلى وجوب الفدية لأجل استباحتها من صيام ثلاثة أيام أو ذبح شاة أو إطعام ستة مساكين كما ورد ذلك مفصلا في خبر كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى جواز التمتع بالعمرة إلى الحج، وعلى وجوب ما استيسر من الهدي على المتمتع وهو شاة، فإن كان يستيسر أكبر من شاة فهو أفضل، فمن لم يجد من المتمتعين الهدي وجب عليه صيام ثلاثة أيام في الحج، ويجب أن يكون في غير أيام التشريق، ويجب أن يكون في شهر عرفة لأن[ه] من أشهر الحج، وسبعة عند أهله إذا رجع في أي شهر كان غير رمضان والعيدين وأيام التشريق، وعلى أن التمتع( ) لم يشرع إلا لمن لم يكن [أهله] حاضري المسجد الحرام، انتهى. قلت: قوله عليه السلام: يذبح الهدي في مكة، يعني أقرب إلى الكعبة؛ لأنها في عصر الإمام لم تكن قد اتسعت كما في عصرنا، أما في عصرنا فلا عبرة بما جاوز الحرم من مكة، فلا يذبح فيه ولا يذبح إلا في الحرم، وقوله: إباحة محظورات الإحرام للمريض يعني الجائز قبل الإحرام، وقوله: في شهر عرفة؛ لأنه من أشهر الحج، يعني لقول الله تعالى: {فصيام ثلاثة أيام في الحج}، وقوله تعالى: {الحج أشهر معلومات}، وما روي من تفسيرها بشوال والقعدة وعشر ذي الحجة، المراد به وقت الإحرام لا

وقت أعمال الحج كلها، ولعله يعني بقوله: في شهر عرفة ما دام المتمتع في الحج قبل أن يرجع، فلو رجع بعد إتمام الحج في أثناء شهر عرفة فليس له تأخرها لحين رجوعه؛ لأنه ليس في الحج.
{الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب(١٩٧)}
}

(١٦٩/١)

الحج أشهر معلومات} أي الحج وقت أشر معلومان، وهن شوال وذو القعدة للإحرام بالحج، وذو الحجة لأعمال الحج كلها، إلا أن الإحرام ينتهي وقته بانتهاء ليلة النحر وولطواف الزيارة والوقوف بعرفة وغير ذلك، لكل منها وقت معين، ويجمعها الشهر ذو الحجة، ولذلك سمي ذا الحجة وسمي يوم النحر يوم الحج الأكبر لأنه أول وق طواف الزيارة أو هو وقته الإختياري وهو العاشر من ذي الحجة، وفيه من أعمال الحج غير الطواف، فظهر أن الحجة من أشهر الحج كما قال الإمام القاسم محمد فيما نقلته آنفا عنه، ومن قال: إن أشهر الحج شوال والقعدة وحدهما فقد أبعد؛ لأن شهر الحجة متبادر أعظم منها، وإنما فيهما الرواية، ولذلك قال تعالى: {معلوما}؛ لأن ذا الحجة معروف بالحج من عهد الجاهلية والإسلام، وتجويز أن المراد شهران خلاف الظاهر، والإحتجاج بقوله: {فقد صغت قلوبكما} ضعيف؛ لأنه يستغنى بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف، فلا يحتج على استعمال الجمع في غير ذلك، ولو جاء نادرا فلا يفسر به القرآن لتعسر فهمه؛ لأن من الفصاحة سلامة الكلام ع استعمال غريب اللغة النادر الذي لا يفهمه إلا النادر من أهل اللغة كما ذكروا في علم البيان.
}

(١٧٠/١)

فمن فرض فيهن الحج} أوجبه على نفسه بالإحرام له والدخول فيه بالتلبية بنية الدخول في الحج أو كلمة: أحرمت لك، ونحوها مما هو من أعمال الحج مع النية كالتقليد للهدي، {فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج} فكل ذلك محرم على الحاج، الرفث كناية عن الجماع، والفسوق: الفجور والخباثة بكل أنواعها من الظلم والإلحاد في الحرم وسب أولياء الله ومدح الظلمة وغير ذلك، والجدال ظاهر وظاهره المنع من الجدال على الإطلاق، ولعل السبب أنه يوجه القلب إلى مواد الجدل والأخذ والرد، ويشغله عن ذكر الله والدعاء والاستغفار ويثير الغضب فيشغل القلب أشد من ذلك، ومع كون

الحج قد علم الله أنه يلتقي فيه أهل المذاهب المختلفين، فلو جعل الجدال فيه جائزا واستعد كل أناس للجدال عن مذهبهم واختاروا لذلك منهم أقواهم في الجدل لصار الحج ملتقى جدل وكان مظنة أن تثور فيه الفتن بسبب ما يؤدي إليه الجدل من الغيظ، وذلك شغل عن اغتنام تلك المواقف لذكر الله والدعاء والتماس رقة القلب، وهذا أمر واضح والجدال بالحق له وقت غير الحج، فلا يخص من عموم هذه الآية، ويمكن بيان الحق بغير جدال، فإن قبل الخصم فالمراد، وإن لم يقبل جعلت بينك وبينه موعدا لما بعد الحج، إن تعذر ذلك جعلت له موعدا ليدلي بما في نفسه بشأن ما أدليت له من الحجة، فن وجدته منصفا زدت له من البيان ما يحل الإشكال بدون مرادة في الكلام ومغالبة تؤذي وتغيظ، وإن وجدته لا يفيده شيء لتعصبه وبعد عن الحق تركته واعتذرت بهذه الآية الكريمة، فهما أمران مختلفان بيان الحق بلا جدل والجدل لبيان الحق، فيعمل بالأول ويرك الثاني عملا بالآي، فإن قيل: بل يجب الجدال بالحق؛ لأن الله أوجب التبليغ وحرم الكتمان، قلنا: قد بينا أنه يمكن الجمع بين الدليلين فيبين الحق بلا جدال ويترك الخصم يجادل نفسه إن أراد الحق، أعني يفكر فيما ورد عليه من البيان، وما كان يعتقده حجة وينظر بهما أصح فاستعمال هذه الطريقة أنفع من المغالبة والمماراة، وما بدا له من إشكال بعد التفكير والنظر الكامل سأل عنه سؤالا بلا جدال، وأجيب عنه بلا جدال، ثم عاد إلى النظر والتفكير وحده، قال تعالى: {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}، والحاصل بيان الحق بغير جدال جمعا بين الدليلين وتجحا لحكمة مع الجدال في الحج التي ذكرتها آنفا، مع أن الجدال أكثره داعية إلى التعصب فهو عكس المطلوب، وإنما ينبغي أن يكو نبالتي هي أحسن، وهي كلمة جامعة تحتها آداب، منها ترك المقاطعة في الكلام وترك الخصم يدلي بما في نفسه كله بدون مغافصة، ومنها ترك رفع الكلام أكثر من إسماع الخصم، ومنها ترك التسجيل عليه بالخطأ قبل أن يمهل حتى ينظر في الحجة، ومنها إحالته إلى البحث وذكر مواضع البحث حتى يقدر على ذلك حيث الإشكال يستدعي ذلك، ولا يمكن حله في مجلس واحد كإثبات تواتر حديث أو صحته، ومنها ترك الاحتيال لإفحامه قبل أن يقتنع بالدليل، هذا حيث المقصود الإفادة، فأما إن كان المقصود قطع الجدال وكان لا يرضى بتركه إلا

(١٧١/١)

بهذه الجبلة وكانت الحال لا يمكن فيها البيان لعذر شرعي فلا بأس بها، ومنها الإجابة عن الخصم في كل ما أورد عليك، وإن كان في رأيك ضعيفا، وترك الجواب قد يكون مراوغة وفرارا من حجة الخصم، فهو عيب، وقد يكون عجلة على الكلام بما في نفسك، فهذا تقصير؛ لأنه لا يفوت ما في نفسك، ويمكن أن تقوله من بعد فاصبر حتى ترد عليه، فإن كان جاهلا والجواب لا يفيده لجهله قلت له: إنه لا

يستفيد من جوابك غلا بعد أن يقرأ ويتعلم، وإن كان قد انتقل عن موضوع الجدال قلت له: هذا انتقال، وإن كان أورد عليك سؤالا تخشى من الجواب عليه ضررا من الناس لأنهم يغضبون عليك ويضروك أو يهتكوا عرضك حتى يمنع من قبولهم منك كلمة الحق فلا بأس أن تروغ عن الجواب لعذر شرعي كما مر، وكما قال الشاعر:

يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

وبالجملة أدب الجدل بيان الحق بقدر الإمكان، واجتناب ما يثير الخصم إلا بيان الحق بقدر الإمكان ومحاولة تقريب الفائدة بقدر الإمكان.

{وما تفعلوا من خير يعلمه الله} هذا حث على اغتنام فعل الخير في الحج، ولذلك عقبه بقوله تعالى: {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى} فأنتم في سفر بعيد ومهبط أحدكم على جنة أو نار فتزودوا في هذه الحياة زادا يبلغكم الجنة، والحج بما فيه من الدعاء عند البيت، وفي عرفات وسائر المشاعر سبب للتقوى التي هي خير الزاد، وكذلك التوبة هناك والاستغفار وكل عمل سبب للتوفيق وطرد الشيطان وتنوير القلب، كل ذلك سبب للتقوى، فكل مسافر يحتاج إلى الزاد لئلا ينقطع، والتقوى زاد خير من كل زاد؛ لنها تبلغ صاحبها الجنة وتنجيه من النار.

}

واتقون يا أولي الألباب} فكل ذي لب أي كل عاقل إذا استعمل عقله ونظر في عاقبته وأنه لا بد أن يلقى ربه ويسأله ويخحاسبه وجازيه وأنه لا بد صائر إلأى الجنة أو النار وأنه لا طلب للجنة ولا هرب من النار إلا في هذه الحياة، فمن حقه أن يتقي الله؛ لأن من شأن العاقل أن يتدبر عواقب الأمور، قال الشرفي في (المصابيح): وفي أحكام هذه الآية يقول إمامنا المنصور بالله عليه السلام: الأشهر المعلومات: شوال وذو القعدة وذو الحجة، أما الأولان وعشر ذي الحجة فظاهر، وأما ما وراء العشر من ذي الحجة فلتمام ما بقي من أعمال الحج كصيام ثلاثة أيام للمتمتع الذي لم يجد الهدي، وكطواف الزيارة، ويباح فيها [أي في الحجة] الإحرام بالعمرة للمتمتع وللقران مع الحج في أولها، والإحرام بالعمرة للمفرد في آخرها، ويكره تأخير الصيام للمتمتع [عنها]، وطواف الزيارة لغير عذر عنها، تدل على أن فرض الحج فيهن وما غيرهن فلا دليل عليه، وقوله تعالى: {وأتموا الحج والعمرة لله} مجمل، وقوله تعالى: {فمن فرض فيهن الحج} بمين، ويجب رد المجمل إلى المبين، و[تدل] على تحريم الرفث وهو الجماع، وكل قول فاحش، والفسوق، وهو تعمد المعاصي، وتدل على أن فعل المعصية من المحرم أغلظ، وتحريم الجدال، ويجب على صاحب الحق أن يبينه لما تقدم من تحريم كتمان الحق،

فمتى بين الحق فلا يزيد عليه للنهي عن الجدال، وتدل على وجوب الزاد وأن خير الزاد التقوى، ومن التقوى ترك السؤال لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تسأل الناس شيئا ولو سوطك أن يسقط منك حتى تنزل إلأيه، فتأخذ ونحو ذلك، وتدل على الحث على فعل الخير كله، وقوله: {واتقون يا أولي الألباب} من تم عقله فإنه داخل فيمن أمره الله بالتقوى، انتهى.

{ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين(١٩٨)}

{ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم} فقفوا في عرفات ابتغاء فضل الله بطاعته والأعمال الصالحة في عرفات والتلبية والدعاء والذكر والاستغفار، ولا تتحرجوا من الوقوف فيها كما كانت قريش تفعل وتقف في مزدلفة لئلا تخرج من الحرم، فاخرجوا من الحرم ابتغاء فضل الله، ويدخل في ابتغاء فضل الله التجارة في الحج بدون تقصير في طاعة الله.

{فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام} المشعر الحرام مكان في مزدلفة مشهور، وذكر الله عنده يتناول ذكره في الصلوات المغرب والعشاء والفجر وغيرها، وذكر الله عند المشعر ذكره في مزدلفة، فهي كلها عند المشعر الحرام وزيادة القرب منه قبل الخروج من مزدلفة مشروع.

{

(١٧٣/١)

واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين} اذكروه شكرا على هدايته إياكم بعد الضلال، فقد كنتم من قبل رحمة الله لكم بالرسول والقرآن لمن الضالين، فلولا الله لما اهتديتم ولبقيتم على ضلالكم من الشرك وتحريم ما أحل الله، والخرافات في الحج كالوقوف في مزدلفة والطواف بالعراء والصلاة بالمكاء والتصدية وغير ذلك كثير.

{ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم(١٩٩)}

{ثم} بعد ذكر الله عند المشعر الحرام، {أفيضوا من حيث أفاض الناس} بلا اختلاف بينهم من وقف بعرفات ومن وقف بمزدلفة حيث يفيضون من مزدلفة إلى منى أجمعون، هذا هو ظاهر الآية وتحويلها عن ظاهرها لأجل رواية عروة بن الزبير لا يصح عندي.

{واستغفروا الله إن الله غفور رحيم} فتلك مواقف استغفار يرجى فيها القبول، مع أن الله غفور رحيم لا تختص مغفرته ورحمته بتلك المواقف، فاستغفروه؛ لأنه غفور رحيم.

{فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق(٢٠٠)}

{فإذا قضيتم مناسككم} أتممتموها بالطواف بالبيت والبقاء في منى ورمي الجمار وغيرذلك كما بينه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، {فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا} بعد الحج والفراغ منه؛ لأنكم لم تفرغوا من ذكر الله فلا تزالوا ذاكرين لله غير غافلين عنه كما أنكم لا تزالون ذاكرين لآبائكم لطول تربيتهم لكم ونشأتكم في إحسانهم وعيشكم معهم في عطفهم عليكم، فالله أحق أن لا تزالوا ذاكرين له؛ لنه المنعم عليكم بخلقكم وإنعامه عليكم من حين أحياكم مستمر، {وما بكم من نعمة فمن الله}، وقد قيل: إنها في الذين كانوا يتفاخرون بآبائهم فيمدحونهم ويشيدون بذكرهم افتخارا بهم، وهذا عندي ضعيف؛ لأن أكثر آبائهم كانوا مشركين،ولم يكن افتخارهم بهم مرضيا؛ لأنهم حمم جهنم، وأعمالم في الشرك كسراب بقيعة، وقد روي النهي عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلو كان المراد لقيل: فاذكروا الله كما كنتم تذكرون آباءكم، أي في زمان الجاهلية، فلما قال تعالى: {كذكركم} كان ظاهره أنه ذكر غير ذاك الذكر المهجور، وأنه الذكر المعتاد لكل الناس، وقوله تعالى: {أو أشد ذكرا} ينبه على أن ليس المراد الإقتصار على مثل ذكرهم لآبائهم، وإنما المراد التنبيه على أن النعمة بسبب الذكر، فقد كانت نعمة آبائهم سببا لذكر أباهم، فينبغي أن يذكروا الله لنعمته عليهم، وليس المراد التحديد.

}

(١٧٤/١)

فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق} لأن الدنيا أكبر همه، فما له في الآخرة من نصيب، وإنما يبعث للحساب والعقاب والخلود في النار، ليس له أي فائدة في الآخرة، وهذا كقوله تعالى: {من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا}، وليس من شرط هذا أن لا يطلب الآخرة بلسانه، فكثير من عبيد الدنيا إذا ذكرت لهم الآخرة وعذاب النار قالوا: الله يرحمنا، ويقولون في القنوت: {ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار}، ولكن همهم الدنيا وطلبم الجاد هو طلب الدنيا، وأما طلبهم للآخرة فهو بألسنتهم ولا يعملون لها ولا يتقون عذاب النار، وهذا لأن قوله تعالى في هذه الآية لم يذكر فيه الإقتصار على طلب الدنيا بألسنتهم، وغنما أفاد أنها الأهم عندهم، فهم لا يطلبون الآخرة، وإن طلبوها فالطلب بألسنتهم مع الغفلة وترك السعي لها، فهو كلا طلب لأنهم غير مؤمنين بالآخرة، وما وقع منهم من دعاء أو نحوه فهو جري على العادة الموروثة.

{ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار(٢٠١) أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب(٢٠٢)}

{ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة} وهي التي نحتاجها في الدنيا ولا تفسد علينا في ديننا، فهي نعمة حسنة كقوله تعالى: {فلنحيينه حياة طيبة}، وقوله: {حسنة} صفة لمحذوف تقديره، أما مفرد مؤنث مثل: عطية ونعمة، وأما جمع يؤنث وصفة مثل أرزاق، وإما جمع مؤنث مثل: نعم وعطايا ومنافع، وحذف الموصوف لعله وقع اهتماما بالصفة لكونها مهمة عندهم، فهو كما لو قالوا: ربنا آتنا في الدنيا ما ليس فيه محق لديننا، فليس المهم كثرة المسؤول ولا عموم أنواع الهبات، وإنما المراد المحتاج إليه الذي يدل عليه الطلب.

{وفي الآخرة حسنة} وهي الجنة؛ لأن من لم يكن من أهلها لا يؤتى أي حسنة.

{وقنا عذاب النار} طلب الوقاية يشعر بعظم الخطر فيها كأنها طالبة للإنسان أو محيطة به إذا لم يكن له وقاية منها لفحته واستشعار هذا من تمام الإيمان الباعث على طلب الوقاية، والوقاية هي الهداية والتوفيقن ثم العصمة عن المعاصي بحيث يختم للإنسان بتوبة نصوح، والوقاية هذه سبب للوقاية في الآخرة، فأي الوقايتين فهي كناية عن الأخرى للتلازم بينهما.

{أولئك لهم نصيب مما كسبوا} أولئك الذين يريدون الآخرة ويحذرون ويدعون الله كما قال تعالى: {لهم نصيب} في الآخرة، بخلاف الأولين الذين ما لهم في الآخرة من نصيب، وهذا النصيب مما كسبوا في الدنيا؛ لأن كسبهم بعضه مباح وبعضه مباح وبعضه معاصي في حق أكثرهم قد تابوا منها، والذي منه النصيب في الاخرة هو الإيمان والعمل الصالح والتقوى.

{والله سريع الحساب} فحسابه لما كسبوا لا يضيع شيئا؛ لأنه عالم الغيب لا ينسى ولا يغلط في الحساب.

}

واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون(٢٠٣)}

{واذكروا الله في أيام معدودات} هي أيام التشريق، يرمي الحاج فيها الجمار، ويذكرون الله عند الرامي، وينحرون لله البدن، ويذبحون ما أهدوا إذا لم يذبحوه في يوم العيد يذبحون في يومين بعده، ويذكرون الله على ما نحروا وذبحوا.

قال في (مجموع زيد بن علي) عليهما السلام: حدثني زيد بن علين عن أبيه، عن جدهن عن علي عليهم السلام، قال: أيام النحر ثلاثة أيام: يوم العاشر من ذي الحجة، ويومان بعده، في أيهما ذبحت أجزاك، وأشهر الحج، وهو قول الله عز وجل: {الحج أشهر معلومات}: شوال، وذو القعدة، وعشر من

ذي الحجة، والأيام المعلومات أيام العشر، والمعدودات، هي أيام التشريق، {فمن تعجل في يومين فنفر بعد يوم النحر بيومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه}، انتهى. قلت: تفسير أشهر الحج كأنه ناظر إلى اسم الحج في الأصل الذي هو القصد، فصد البيت والتوجه إليه يكون في تلك المدة، أما بقية أعمال الحج بعد الوصول إليه بالوصول في حرمه فبعضها بعد ذلك كما في أيام التشريق المذكورة، وذكر الله فيها منه التكبير الذي يبدأ من فجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق وغيره، قال في (مجموع زيد بن علي) عليهما السلام: حدثني زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((يا علي كبر في دبر صلاة الفجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق صلاة العصر)). وفيه عقيب هذا: حدثني زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام قال: ((التكبير: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد))، انتهى. وفيه: حدثني زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليهم السلام، قال: أيام الرمي يوم النحر، وهو اليوم العاشر، يرمي فيه جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويقف عند الجمرتين الأولتين ولا يقف عند جمرة العقبة، انتهى. قلت: هذه الثلاثة الأيام هي أيام التشريق، والمراد فيها ذكر الله بمنى وفيها دلالة على وجوب البقاء في منى في النهار وأنه أصل ليس لمجرد وجوب الميت.

{فمن تعجل في يومين} وهما الثاني من ايام التشريق والثالث منها، وهو الرابع من أيام منى، بدليل التفريع بالفاء على ذكر الله في أيام معدودات والمتعجل في اليوم الثاني من أيام التشريق الذي هو ثالث العيد، يكو قد ذكر الله بمنى في أيام آخرها يوم نفر، فالمراد باليومين يومي النفر.

}

(١٧٦/١)

فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه} فهما سواء في الجواز {لمن اتقى} بإتمام المناسك والقيام بما لزم من لوازم الحج واجتنب المعاصي من محظورات الإحرام والظلم والتعدي ومعاونة الظلمة ومدحهم، وسب أولياء الله وتخويفهم، وتاب إلى الله من كل معصية فهذا الذي لا إثم عليه. {واتقوا الله} في المستقبل، {واعلموا أنكم إليه تحشرون} لتتقوه وتستعدوا للقائه وتعدوا للسؤال عند ذلك جوابا نافعا وعملا صالحا مقبولا، وفيها دلالة على وجوب العلم بالآخرة، وأنه لا يكفي الظن، ومن فوائد هذه الآية الخاتمة لآيات الحج المحافظة على أعمال الحج وحراستها من الإحباط واغتنام الإستمرار على الصلاح الذي كان في الحج؛ لأنه أيسر من العودة إلى الصلاح ثانيا بعد الفساد.

{ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام(٢٠٤) وإذا

تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد(٢٠٥) وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد(٢٠٦)}

{ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا} أي ما يقوله في شأن الحياة الدنيا كأن يقول: إنها متاع الغرور؛ لأنه كلام يعجب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والراجح يعجبك قوله الذي يغرر به ويخادع؛ لأنك لا تعلم ما في قلبه، وفي الحياة الدنيان أي في دار التكليف والإختبار التي ترك الله عباه يقولو ما شاءوا؛ لأن الحياة الدنيا وقت الإختبار والإبتلاء، فلذلك تركهمالله يقولون ما يعجبك وهم به مخادعون.

{ويشهد الله على ما في قلبه} كأن يقول: أشهد الله أن قلبي مؤمن بأنك رسول الله، وكقولهم: {نشهد أنك لرسول الله}، {وهو ألد الخصام} أي يقول ذلك في حال أنه ألد الخصام، فهو كاذبح ومخادع، وهو شديد الخصام يبالغ في الخصام ويتعمق فيه، أي في خصامه لك الذي يفعله وإفساده بما يبيت من القول وما يناجي به أصحابه وما يقوله لشياطينه، وفي (تفسير الغريب) لزيد بن علي عليه السلام: فالألد: الشديد الخصومة بالباطل، والجمع: لد، اه.

{وإذا تولى} عنك بعد دعواه المذكورة، وقد سمع منك الحق والهدى لو كان يهتدي.

}

سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد} سعى في الأرض ليفسد فيها حين تولى عنك بحيث يدل ذلك على أنه لم يكن صادقا في دعواه لمسارعته إلى الفساد حين تولى؛ لأنه لو كان صادقا لازداد هدى بحضوره عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسماعه منه، وكان بعيدا من الانقلاب والسعي للفساد العام الذي يهلك الحرث والنسل؛ لأنه يسعى لغلبة الكفار على رسول اله وهلاكه وذهاب الإسلام وغموم الكفر، وذلك لو كان سبب للعذاب كما كالن في الأمم الماضية مثل قوم ننوح ومن بعدهم، وفي (تفسير الغريب) لزيد بن علي عليهما السلام: فالحرث: الزرع، والنسل: نسل كل دابة، انتهى. وقوله تعالى: {والله لا يحب الفساد} كالبرهان على كذب المنافق في دعواه المذكورة؛ لأنه لو كان صادقا لكان شأنه أن يسعى لما يحبه الله، وفيه تقريع له وتجهيل حيث جعل الفساد مكان الصلاح كما لو وفد على رجل ضيف فعذبه فقيل في ذلك: ما هذه ضيافة جيدة.

{وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم} أخذته: استولت عليه وسيطرت عليه وصرفته عن التقوى، والعزة: عزته في نفسه واعتزازه بالإثم بتولي الكفار وظنه أن العزة لهم، كقوله تعالك {الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين يبتغون عندهم العزة}، وقولهم: {ليخرجن الأعز منها الأذل، فلأجل

محافظته على هذه العزة لا يتقي الله؛ لأنه يظن أن الإسلام سيذهب، وأن الكفر سيكون الغالب لما يرى للكفار من قوة في العدد والعدة وللمسلمين من قلة العدد بالنسبة للكفار قلة المال والعدة، فالعزة عنده في تولي الكفار وبقائه على النفاق، فعزته بالإثم صرفته عن تقوى الله كتبرك النفقال وترك موالاة الكفار في الخفاء وبالإيمان كما آمن الناس.

{فحسبه جهنم} جزاء لجرائمه كلها، {ولبئس المهاد} مهد لنفسه، فقد كان يظن أنه بالنفاق يمهد لنفسه لحين غلبة الكفار على الإسلام، فإذا الواقع أنه مهد لنفسه جهنم.

{ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد(٢٠٧)}

{ومن الناس من يشري نفسه} يبيعها من الله لإيمانه بالله واليوم الآخر وزهده في الحياة الدنيا.

{ابتغاء مرضاة الله} لحبه لله ورغبته في النجاة من عذابه وفي ثوابه العظيم.

}

(١٧٨/١)

والله رؤوف بالعباد} فهو يشتري منهم أنفسهم بأن لهم الجنة ويرضى عنهم ببيعهم أنفسهم وأعد لهم أجرا عظيما وفضلا كبيرا إذ ليس من الرأفة أن يبيعوا له أنفسهم ويتحملوا المشقة ليرضوه ثم لا يرضى عنهم أو لا يعظم لهم الثواب ويصيرهم في أسعد حال، وهذا وعد مؤكد تأكيدا عجيبا من حيث أنه عبر عنه بما هو برهان عليه، وروي أن هذه الآية نزلت ي علي عليه السلام، وروى الحامك الحسكاني في (شواهد التنزيل) ج١ ص١٣٠ عن الإمام علي بن الحسين بن زين العابدين قال: أول من شرى نفسه لله عز وجل علي، ثم قرأ: {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله}، ومثل هذا رواه محمد بن سليمان الكوفي في (مناقبه) ورواه الحاكم الحسكاني في (شواهد التنزيل) بإسناده عن أبي سعيد الخدري قصة مبيت علي لعيه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد}، وفي تخريجه للشيخ المحمودي أنه أخرجه الثعلبي في تفسير الآية من تفسيره (الكشف والبيان). وروى الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في المستدرك ج٣ ص٤ عن ابن عباس قال: شرى علي نفسه ولبس ثوب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم نام مكانه، ورواه أحمد بن حنبل في المسند ج١ ص٣٣٠ ط١ قال المعلق على (شواهد التنزيل): ورواه الطبراني مطولا في مسند عبد الله بن عباس من المعجم الكبير ج٣ الورق ١٣٨، انتهى المراد. وفي شواهد التنزيل ج١ ص١٢٧ . ١٢٨ عن ابن عباس أنه قال: أنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا على فراشه ليلة انطلق إلى الغار، فجاء أبو بكر يطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره علي أنه قد انطلق فاتبعه أبو بكر وباتت قريش تنظر عليا وجعلوا يرمونه، فلما أصبحوا إذا هم بعلي فقالوا: أين

محمد؟ قال: لا علم لي به، فقالوا: قد أكرنا تضورك، كنا نرمي محمدا فلا يتضور وأنت تتضور، وفيه نزلت هذه الآية {ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله}. وروي نحوه بإسناده عن السدي، وفي الباب روايات غير ذلك في مستدرك الحاكم وحكاه في تعليق (شواهد التنزيل) عن ترجمة الإمام علي من (تاريخ ابن عساكر) في ترجمة الإمام علي وغيره، أقول: وغن عليا عليه السلام مظنة ذلك وأهله لسائر الروايات الدالة على أنه عليه السلام فدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ليلة الغار فأما شراؤه نفسه من الله فلا شك فيه ومقاماته تشهد بذلك في بدر وحنين والخندق وخيبر وأحد.

(١٧٩/١)

وحديث الراية يدل على ذلك مع قوله تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم}، وهو رأس المؤمنين الذي بحبه يعرف المؤمنون، فصح أنه عليه السلام قد شرى نفسه من الله وأنه داخل في الآية دخولا أوليا، وهذا يقوي الرواية أنها نزلت فيه، وليس المراد أنها خاصة به عليه السلام؛ إذ ليس في الاية دلالة على الخصوص،وقد دل قوله تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين} على العموم لكل مؤمن صادق الإيمان كما قال تعالى: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون}، فيدخل فيها الأئمة المجاهدين في سبيل الله من ذرية رسول الله كالحسن والحسين وزيد بن علي ويحيى بن زيد ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وإخوته، والحسين بن علي بن الحسن بن الحسن المقتول بفخ، وغيرهم، وقد ذكر الهادي عليه السلام في أواخر (كتاب الأحكام) كلاما في هذا جر إليه البحث، فقال عليه السلام: بعد أن ذكر الحديث عن جبريل أنه قال: إن يوم الجمعة يوم القيامة، وفيه تقوم الساعة، قال يحيى بن الحسين: ما زلت مذ رويت هذا الحديث يدخلني في كل يوم جمعة وجل وخوف، وما ذلكمن سوء ظني بربي ولا قلة معرفة مني برحمة خالقي، ولكن مخافة من لقائه ولم أقم بما أمرني بالقيام به، وأنهض بما حضني على النهوض فيه وجعله أكبر فائضه علي وأعظمها عندي، ولذي في مباينة الفاسقين ومجاهدة الظالمين والنصرة لدين رب العالمين، وإني لأرجو أن يكون الله سبحانه لا يعلم مني تقصيرا في طلب ذلك، ولكن لا راغب في الحق ولا طالب له من الخلق ولا معين لي عليه ولا مؤازر لي فيه، ولقد دعوت إلى ذلك فعصيت ونهضت فيه فخذلت وخليت ودعوت إلى الرحمن وجهدت في إحياء ما أميت من الإيمانن فصمت آذان هذا الخلق عن دعوتي وزهدوا فيماخبروا من حقائق سيرتي وخولفت في أمر الله، فلم أتبع وعصيت حين دعوت إلأى الله فلم أطع، فقلت: رب إني لا أملك إلا نفسي فبعتها منه ومالي في جوف الكعبة البيت الحرام بما بذل لي من الثمن الربيح ذو الجلال والإكرام حين يقول: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في

التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم} ثم انتظرت أمر الله وأرصدت لذلك حتى يفتح الله ويأذن فيما طلبت من إحياء حقه اذن معونة تسديد وتوفيق لذلك وتأليف بين قلوب العباد الذين يرجى بهم إصلاح البلاد أو نلقاهسبحانه على ذلك عازمين وبه متمسكين، انتهى. نقلته ملا فيه من الفوائد المتعلقة باية وكونه تفسيرا لها.

}

(١٨٠/١)

يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين(٢٠٨) فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم(٢٠٩) هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور(٢١٠)}

{يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة} قرئ السلم بفتح السين وكسرها، وفسر السلم هنا بالإسلام، ولكن الإسلام الذي بمعنى إسلام الوجه لله لا يناسبه السياق؛ لأن كل الذين آمنوا قد أسلموا بهذا المعنى، ولو قال: أسلموا لصح جملة على المستقبل بلا إشكال، فأما قوله تعالى: أدخلوا فإه لا يقال لمن هو داخل فلا بد أنه الإسلام للنفس كلها كالإسلام في قوله تعالى لإبراهيم الخليل: {أسلم}، وقوله تعالى فيه وفي إسماعيل: {فلما أسلما}، والفرق أن الأول معناه عبادة الله وحده، والثاني معناه تسليم النفس لله، وهذا التسليم للنفس يتفاوت، فقسم منه تسليم السابقين الذين يجعلون نياتهم وأعمالهم كلها فيما يرضي الله فلا يعملون شيئا لهوى النفس حتى المباحات لا يستعملونها إلا لتعين على الطاعة والقبان، وغذا تعارضت الرقبة والمباح تركوا المباح واستغرقوا في الطريقة هذه ليلهم ونهارهم وكل أحوالهم وكل معاملاتهم توصلا إلى مرضاة الله وقسم من التسليم للنفس تخصيصها في كل أمر واجب، وفي اجتناب كل محظور من غير فرق بين ما يشق على النفس وما يسهل وما تهواه وما لا تهواه لاعتبارهم أنفسهم لله ليس لهم منها شيء حتى اجتنبوا الشبهات، وأقاموا الصلوات وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم تسليما لها لله ، ومن هذا القسم رفضهم لاتباع الهوى في حكم أو مذهب أو تفسير آية أو حديث أو نحو ذلك أو فتوى أو أمر أو نهي قبل تحقيق أن ذلك حق أي رفض اتباع الهوى بغير هدى من الله، ومن هذا القسم ترك المعاونة في خصومة لأجل الهوى قبل تحقق أنه مع الحق، ومن هذا القسم اجتناب الدخول في حزب من الأحزاب قبل تحقق أنه على الحق لأجل هوى النفس، وعلى الجملة محاربة هوى النفس إلا فيما تحقق أنه حق بناء على أنه ملك لله ليس له من الأمر شيء، وهذا القسم مثل الأول لا فرق بينهما إلا في أمرين المباح المتحقق إباحته يعملونه ويستعملونه؛ لأن الله أباحه والقربات غير الواجبة واجتناب المكروهات غير المحرمة يلتزمه أهل القسم الأول بقدر

طاقتهم، ولا يلتزمه أهل القسم الثاني؛ لأن الله رخص لهم، فقد ظهر للإسلام بمعنى القسمين المذكورين مناسبة للآية التي قبلها؛ لأن أعظم ما يحقق تسليم النفس لله بذلها لله بالجهاد في سبيل الله وبذل المال في ذلك، ومناسبة لقوله: {ادخلوا} من حيث أن بعض المخالفين غافل عن هذا المعنى وعن الإلتزام به بمعنى تسليم النفس لله ورفض هوى النفس إلا فيما لا يعارض التسليم المذكور، وقد فسر السلم بالإستسلام وهو صحيح بمعنى تسليم النفس.
}

(١٨١/١)

ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين} فاتباع خطوات الشيطان طاعة للنفس وللشيطان بمعصية الله، وهو معارض لتسليم النفس لله، وفي قوله تعالى: {خطوات} تحذير من الشيطان أن لا يتبعه في خطوة واحدة يخطوها، فاتباعه في خطوة واحدة يعينه على الإنسان فيطالبه بالخطوة الثانية ثم الثالثة فيوقعه في أكبر من الخطوة الأولى ثم أكبر من الثانية ثم أكبر من الثالثة حتى يصير من حزب الشيطان.
}

(١٨٢/١)

فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم} أصل الزلل: زلل القدمين في شيء يزل بهما كالطين، ويستعمل في الهفوة والمعصية الواقعة وحدها ليس فاعلها من المصرين على المعاصي قبلها، فإن وقعت الزلة منكم من بعدما جاءتكم البينات الدلائل البينات التي بين الحق القاطعة للعلة فاعلموا أن الله عزيز لا ينال، فلم يعص مغلوبا وإنما ترككم تعصونه لأنكم في دار اختبار، وسيجازيكم إن لم تتوبوا؛ لأنه حكيم لا يترك عباده يعملون المعاصي إهمالا إنما يتركهم اختبارا؛ ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ففيه هذا وعيد مؤكد بالبرهان كأنه تعالى يقول: لا تحسبوا أنه يترككم تعصونه وتصرون على عصيانه دون أن يعاقبكم؛ لأن ذلك لا يليق بعزته، ولا يجوز في حكمته. قال الشرفي في (المصابيح): وقال عليه السلام - يعني الإمام القاسم بن محمد عليه السلام - في هاتين الآيتين: تدلان على وجوب الدخول فيما وضح دليله من الدين على الناس كافة، وعلى تحريم اتباع خطوات الشيطان من مخالفة الحق، وأن الوعيد لمن زل عن الحق ولم يرجع، وان ذلك من الكبائر، انتهى.

ولما تقدم ذكر ألد الخصام رجع الكلام إلأيهم في قوله تعالى: {هل ينظرون} أي ينتظرون {إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر} في سورة النحل: {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها} قوله تعالى: {يأتيهم الله} كقوله تعالى: {في أهل الكتاب}، فآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقوله تعالى: {فأتى الله بنيانهم من القواعد}، والمعنى أنه تولى إذلالهم وقهرهم من حيث لم يتوقعوا، وذلك بقذف الرعب في قلوبهم، وأنه تعالى تولى هدم بنيانهم بهدم قواعده، فكذلك قوله تعالى: {يأتيهم الله}، أي كما أتى أهل الكتاب بأن يتولى الإتيان بعذابهم في ظلل من الغمام ينتظرون منها المطر كما فعل بعاد حين أتاهم العذاب، فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا والملائكة يأتون مع ذلك بأمر الله لهم بعذاب آخر أو بما يزيد عذاب الله شدة، وقوله تعالى: {وقضى الأمر} أي بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كقوله تعالى: {قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم فهو رسول أرسله الله إليهم لينذرهم العذاب فإذا جاءهم العذاب ذهب وقت الإنذار وانقطع الخوض بينهم وبين الرسول، فظهر أن الآيات سواء في المعنى، وفي آية الأنعام زيادة: {أو يأتي بعض آيات ربك}، والمراد أنه لا يفيد فهم شيء من الايات والنذر، فلا ينتظر شيء يؤمنون لأجله، فالحصر إضافي، وجعلوا منتظرين للعذاب؛ لأنهم متعرضون له كافرون بالآيات لا يؤمنون حتى يروا العذاب، يقولون: {متى هذا الوعد إن كنتم صادقي}، يستعجلون بالعذاب تكذيبا به ويطالبون بآية يؤمنون بها وهم لا يؤمنون إلا بالعذاب، فانتظارهم للآية على فرض صدقهم في المطالبة انتظار للعذاب، والحاصل أنهم في حالهم كالمنتظرين للعذاب.

{وإلى الله ترجع الأمور} فأرجع يا محمد أمرهم إلى الله وكلهم إلى قضائه.

{سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب(٢١١)}

{سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة} فهم لا يجحدون تلك الآيات البينات المذكورة في أول السورة، ولا يخفى عليهم أنه آتاهم في التوراة آيات كثيرة تهديهم إلى الحق لو اتبعوها وكل الآيات نعمة من الله عليه؛ لأنها تدلهم على الخير والسلامة من العذاب.

{ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب} وهذا إنذار لبني إسرائيل الذين بدلوا آيات الله التي في التوراة بما يفترونه كما تقدم.

{زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من

يشاء بغير حساب(٢١٢)}
}

(١٨٤/١)

زين للذين كفروا الحياة الدنيا} لغفلتهم عن دلائل الإيمان بالآخرة وعدم إيمانهم بها، فليس لهم ما يزهدهم في الحياة الدنيا؛ لأنهم لا يرونها متاع الغرور، ولا يزهدهم فيها خوف من النار ولا رغبة في الجنة.

{و} لذلك {يسخرون من الذين آمنوا} لضعف حالهم من ناحية المال والزينة وإقبالهم على العمل للآخرة.

{والذين} آمنوا و{اتقوا فوقهم يوم القيامة} حين تنقلب الحال بإعزاز أولياء الله ورفع درجاتهم وإهانة أعداء الله، وقال تعالى: {والذين اتقوا} لئلا يتوهم أن التصديق بلا تقوى يكفي أو لأن الذين اتقوا مطابق للذين آمنوا؛ لأن الإيمان الصحيح هو إيمان المتقين، فأتى بذكرهم لإفادة هذه الفائدة من حيث أقام الذين اتقوا مقام كلمة الذين آمنوا، وهذا الوجه أظهر.

{والله يرزق من يشاء بغير حساب} قوله تعالى: {يرزق من يشاء} دليل على أن ما بأيدي الكفار من نعمة الله لم يكن إلا بمشيئة الله إختارا لهم ليس كما يتوهمون من الحظ ويمن الطائر بحيث يقول المحظوظ: {ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا} بناء على أنه صاحب حظ وقبول، وجهله أن ذلك من الله بمشيئته، وقوله: {بغير حساب} دلالة على أن ما عند الله لا ينفد، فلا يحتاج إلى الحساب إنما يحتاج إلى الحساب من يخشى إنفاد ما عنده، هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فإنه يرزق من يشاء، فالأمر فيها لله وحده وسيرزق الذين اتقوى بغير حساب؛ لأنه لا ينفد ما عنده، ولأن نعيمهم لا ينفد فالآية شاملة للفريقين.

{كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم(٢١٣)}

{كان الناس أمة واحدة} على دين واحد، فاختلفوا، أو علم الله أنهم سيختلفون {فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين} لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

{وأنزل معهم الكتاب بالحق} أي مع النبيئين {ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه} لأن الكتاب يكون معروفا بينهم لا يجحدونه، فمن خالفه كانت الحجة قائمة عليه ولم تكف الروايات عن أنبيائهم؛ لأنه

يكون في الروايات الخلاف في صحتها، والكذب على أنبيائهم.
}

(١٨٥/١)

وما اختلف فيه} أي في الكتاب {إلا الذين أوتوه} اختلفوا فيه {من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم} فالاستشفاء شامل لقوله: {الذين أوتوه}، وقوله: {من بعد ما جاءتهم البينات} أي ما اختلف فيه {إلا الذين أوتوه وما اختلفوا فيه إلا من بعد ما جاءتهم البينات} فالاستشفاء شامل لقوله: {الذين أوتوه}، وقوله: {من بعد ما جاءتهم البينات}، أي ما اختلف فيه إلا الذين أوتوه {وما اختلفوا فيه إلا من بعد ما جاءتهم البينات}، فدل على أنهم لم يختلفوا عن جهل بما في الكتاب؛ لنهم الذين أوتوه أي علموه ولا اختلفوا عن عدم الدلائل البينات فيه أو فيه وفيما حفظ متواترا عن أنبيائهم، فدل مجموع ذلك على أنهم اختلفوا أو الحجة قائمة والحق واضح لطالب الحق، ولكن اختلفوا بغيابيهم من أجل الهوى؛ لأنه يصد عن سبيل الله.

{فهدى الله الذين آمنوا} لأنهم لم يغلبهم هوى النفس عن تحكيم الكتاب فيما شجر بينهم ولم يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضى وسلموا للحق تسليما فهداهم {لما اختلفوا فيه} أي لم اختلف الآخرون المخالفون لهم فيه {من الحق بإذنه} لأن مطلوبهم الحق لا ما تهوى الأنفس، وقوله: {بإذنه} متعلق بهذى، ولا حاجة لتقدير، فاهتدوا بإذنه لا مكان أن المعنى فهداهم بإذنه إن يهتدوا، أي الإذن الكوني لا مجرد الإذن التشريعي.

{والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} فينبغي التعرض لهدايته بالإيمان الصادق واجتناب موانعها، وقوله تعالى: {بإذنه يفيد الإذن بأن يهتدوا، وذلك يستلزم التمكين ومنع الصوارف، ومعنى الاختلاف في الكتاب بين أهله الذين أوتوه هو الاختلاف في دلالته في محل النزاع حيث يدعي بعهضم دلالة الكتاب على مذهبه وينفيها الآخر فالاختلاف في دلالة الكتاب اختلاف في الكتاب؛ لن الدلالة كالصفة للكلام والاختلاف في الصفة يسمى ١٩١

(١٨٦/١)

أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب(٢١٤) يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به

عليم(٢١٥) كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون(٢١٦) يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون(٢١٧) إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم(٢١٨) يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون(٢١٩) في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم(٢٢٠)}

تم الجزء الأول

(١٨٧/١)

جاهز

ijk

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١) (١)

---

(١) . . . . بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النساء وهي مدنية

{ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١) } :

هذا خطاب عام للناس أمرهم الله بتقواه فقال: { اتقوا ربكم } ليذكروا أنه مالكهم الذي تجب عليهم طاعته ، وقوله تعالى: { الذي خلقكم من نفس واحدة } فأصلكم واحد فلا تتظالموا ، فمن التقوى تقوى الله من بعضكم في بعض وخلق من النفس الواحدة التي هي آدم عليه السلام خلق منها زوجها وهي أم بني آدم { وبث منهما } : من آدم وزوجه في أقطار الأرض { رجالا كثيرا ونساء } وذلك دليل

على قدرته ورعايته لخلقه ورزقه لهم حتى كثروا ، وفي ذلك إشارة إلى أنه لا يهملهم فهو أعداد إعداد لما يأتي في السورة من التكاليف على بعضهم لبعض .

{ واتقوا الله الذي تساءلون به } : لعلمكم أنه رقيب عليكم ، ومعنى { تساءلون به } : يقول بعضكم لبعض أسألك بالله ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها في المواريث أو غيرها .

{ إن الله كان عليكم رقيبا } : في الحال والماضي فيما قد ظلمتم فيه النساء واليتامى وقطعتم فيه الأرحام وغير ذلك . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢) (١)

---

(١) . { وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (٢) } :

}

ءاتوا اليتامى } أموالهم في حال إنفاقها عليهم ، وعند إيناس رشدهم إذا بلغوا النكاح ، والخبيث الحرام ، والطيب الحلال ، فقد يرى الرجل شيئا من مال اليتيم يستحسنه ويرغب فيه فيأخذه لنفسه ويجعل لليتيم بدله ليزعم أنه هو نصيب اليتيم وقد غش نفسه لأنه يتبدل الخبيث بالطيب { ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم } : بضم مال اليتيم إلى مال الرجل ودعوى أن الكل للرجل ليس لليتيم منه شيء ، وأكثر ما يقع هذا من الذي يتلف ماله فيحتاج إلى مال اليتيم فيتلفه كما أتلف مال نفسه فعبر عنه بالأكل لأن أكثر الإتلاف يكون في الأكل للحاجة إلى الأكل كل يوم وعموم الحاجة للكبير والصغير { إنه كان حوبا كبيرا } : في مفردات الراغب : الحوب الذنب ، ومثله في [الصحاح] ، وفي الكشاف: الحوب الذنب العظيم ، وكذا في [المصابيح] ، وهو في [لسان العرب] عن الفراء ، والأول في [لسان العرب] أيضا عن أبي عبيد والزجاج ، وقد وصفه الله بالكبر فإذا كان معناه الإثم العظيم فهو مثل العذاب الأليم فهو عظيم جدا . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (٣) (١)

---

(١) . { وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (٣) } :

{ وإن خفتم أن لا تقسطوا } : في يتامى النساء اللاتي لا تؤتوهن ما كتب لهن ولا ترغبون في نكاحهن بل ترغبون في تركه فاعدلوا عنهن ، وانكحوا ما طاب لكم : بأن حل ووافق رغبتكم ، ولا تنكحوا اليتامى رغبة في مالهن مع الرغبة في ترك نكاحهن للعشرة لتسلموا ظلمهن بمنعهن ما لهن أو مهورهن أو ما يحق لهن من النفقة الواجبة على الزوج أوصصص غير ذلك مما وجب لهن { فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى } : أي لهذا اثنتان وهذا اثنتان { وثلاث } : لهذا ثلاث من النساء وهذا ثلاث { ورباع } : لواحد أربع ولغيره من الرجال أربع .

{

فإن خفتم أن لا تعدلوا } : فيهن أو بينهن { فواحدة } أنكحوا واقتصروا عليها أو مملوكة أحدكم يستغني بها عن الزواج حذرا من الحيف وعدم القيام بحق الزوجة ، ذلك الإقتصار على واحدة أو المملوكة ينكحها مالكها بالملك أدنى وأقرب لئلا تحيفوا بسبب تعدد المنكوحات .

قال الشرفي في [المصابيح] : قال إمامنا المنصور بالله القاسم بن محمد عليه السلام: دلت هذه الآية على تحريم الجور من الولاة على اليتامى لكثرة الزوجات فقصرهن على أربع فأباح تزويج ما دون الأربع إلى أن قال سبحانه : { فإن خففتم أن لا تعدلوا فواحدة } يريد سبحانه في العدل بين الزوجات وكذلك في العدل في أموال اليتامى لأجل الزوجات فواحدة أو ما ملكت ايمانكم أيمانكم ، ودل ذلك على وجوب تجنب ما يكون سببا للجور أو أي قبيح ، وقوله : { ذلك أدنى أن لا تعولوا } أي ذلك الذي هو الإقتصار على أربع فما دون إلى الواحدة أو ما ملكت اليمين أقرب شيء إلى نفي الميل عن العدل في حق اليتامى وفي حق الزوجات .

العول هاهنا هو الميل من قولهم :عال الميزان أي مال ، وقولهم عال في مشيته إذا مال متبخترا ، وعلى وجوب إيفاء النساء صدقاتهن وهي مهورهن ، وإن المهور نحلة أي هبة فمن نحل امرأته ما تستحق فيه الشفعة لا يشفع لأنه نحلة وليس عوض مال و [ع] لاإباحة ما طبن به نفسا من المهور انتهى . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا (٤) (١)

---

(١) . { وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا (٤) } :
ءاتوا الزوجات مهورهن حال كونها نحلة ، أو نصب على أنه مفعول مطلق على أن ءاتوا بمعنى انحلوا ،
وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام معناه اعطوا ، وصدقاتهن مهورهن ، ونحلة : عن طيب
نفس انتهى .

وفي مفردات الراغب : والنحلة والنحلة عطية على سبيل التبرع انتهى المراد .

وفي [الصحاح] : والنحل بالضم مصدر قولك نحلته أنحله نحلا ، والنحلى العطية على فعلى ،
ونحلت المرأة مهرها عن طيب نفس من غير مطالبة ، ويقال من غير أن يأخذ عوضا يقال : أعطاها
مهرها نحلة بالكسر انتهى المراد .

وفي [لسان العرب] : والنحل بالضم إعطاؤك الإنسان شيئا بلا استعاضة وعم به بعضهم جميع أنواع
العطاء انتهى المراد ، وقال : وفي الحديث ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن ، النحل
العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق ، وفي حديث أبي هريرة : إذا بلغ بنو أبي العاص
ثلاثين كان مال الله نحلا ، أراد : يصير الفيء عطاء من غير استحقاق على الإيثار والتخصيص انتهى ،
وقولهم من غير استحقاق أرادوا ليس أجرا على عمل إلا هذا القول الأخير ، ولا يستقيم في المهر لأنه
مستحق وقد سماه الله أجرا في قوله تعالى : { فما استمعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة } وقوله
تعالى : { أزواجك اللاتي ءاتيت أجورهن } فلا بد من أن أحدهما مجاز إما نحلة وإما أجورهن ، وسواء
كانت نحلة حقيقة أم مجازا فقد أفاد وجوبها على الزوج لا في مقابل خدمتها له ، وأن تكون بطيبة نفس
لأنها حق من الله ، وأن لا يحوجها إلى المطالبة كما هو شأن النحلة أن يكون الباعث عليها الرغبة .
{ فإن طبن لكم عن شيء منه } : مما ءاتيتموهن نفسا فكلوه هنيئا سائغا لا تنغيص فيه ، ومريئا مثله
تأكيد ، أوهو بمعنى : نافعا مغذيا بأن ينهضم بسهولة ، وهو معنى قولهم : ما يحمد عاقبته ، واستعمل
الأكل في المهر مع أنه قد يكون فضة أو ذهبا أو حرثا لأن المراد أخذه والإنتفاع به سواء كان مأكولا
أو غيره واستعمال الأكل فيه مجاز ، وهنيئا مريئا ترشيح . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية
وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله
} .

ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا (٥) (١)

---

(١) . { ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا اخب } :

{ السفهاء } : جمع سفيه ، قال في [الصحاح] : السفه ضد الحلم انتهى ، وفي مفردات الراغب : واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل وفي الأمور الدنيوية والأخروية .. إلى قوله .. قال في السفه الدنيوي ولا تؤتوا السفهاء أموالكم انتهى المراد .

وقال الشرفي رحمه الله عن [البرهان] لأبي الفتح الديلمي عليه السلام : وأصل السفه خفة الحلم فلذلك وصف به الناقص العقل ووصف المفسد بذلك لنقصان تدبيره ووصف الفاسق لنقصانه عند أهل الدين والعلم انتهى المراد .

وقال في الكشاف : السفهاء المبذرون أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم بإصلاحها وتثميرها والتصرف فيها انتهى ، وقوله لا يدي أي لا طاقة .

وقال الشوكاني في فتح القدير في تفسير : { قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء } في تفسير السفاهة : وهي رقة الحلوم وفساد البصائر وسخافة العقول انتهى .

وقال الشرفي في [المصابيح] : وقال المرتضى عليه السلام . أي محمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهم السلام . السفهاء ها هنا فهم الأبناء والإخوة الذين أوجب الله على الآباء النفقة عليهم إذا كانوا فقراء فأمر الله عز وجل إذا علموا منهم الإفساد لها أن لا يدفعوا إليهم منها ما يفسدون أو به على معصية الله يستعينون ، والسفهاء فهم سفهاء الرأي وسفهاء العقول الذين لا تمييز لهم ولا نظر في أمور نفوسهم انتهى .

وظاهره عموم السفه بالنقص الخلقي والسفه في الرأي بإهمال العقل ، ويدل على الثاني قوله تعالى : { ألا إنهم هم السفهاء } وقوله تعالى { سيقول السفهاء من الناس } وقوله تعالى : { ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه } .

ومعنى : جعل الله قيما وقياما أي قواما لمعيشتكم وصلاحا وقياما لكم بأن تسلموا الضعف الذي يقعدكم عجزا عن العمل أو تحيرا عن وسيلة ما يسد الخلة فكأن الإنسان يعتمد في قيامه علي ما له فإذا عدم عجز عن القيام أو لم يجد ما يقوم لأجله فالمال قوام له .

وقوله تعالى : { وارزقوهم فيها } أي في أموالكم وذلك إذا سلمت التبذير أمكن أن تكون رأس مال ترزقونهم من أرباحه أو يشترى بها مال ترزقونهم من غلوله أو كرائه فيكون لهم فيها رزق مع بقاء رأس المال هذا إذا كانت نقدا ، فأما إذا كانت حرثا أو غيره مما له غلول فرزقهم فيها رزقهم من غلولها مع

بقاء رقاب المال ، والرزق: هو العطاء الجاري وهو هنا عبارة عن المأكول ونحوه من المتلفات بقرينة قوله: { واكسوهم } وهذا فيمن تجب نفقته من القرابة وغيرهم ، فأما من لا قرابة له بينك وبينه فالوجوب على قرابته وإن أعسر ، فأما من لا قرابة له فعلى المسلمين من مال المصالح ، فالآية عامة للناس ، وتخصيص القرابة بالآيات الأخر .

{ وقولوا لهم قولا معروفا } : قولا لينا رفيقا ، والمجانين داخلون في عموم الآية أو لاحقون بقياس الأولى لأنهم أشد ضعفا ، ويترجح أن الآية في سفهاء العقول الذين لا يستطيعون التدبير لمصالحهم فأما سفهاء الرأي المهملون لعقولهم مع صحتها فليسوا مظنة أن يقال فيهم : وارزقوهم فيها واكسوهم تبعا لسفاهتهم ، إنما يكون ذلك لمجرد الإعسار . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٥/٢)

وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف (١)

---

(١) . { وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف } : ...

{ ابتلوا اليتامى } : لتعرفوا رشدهم إن كانوا رشيدين وسفاهتهم إن كانوا سفهاء ،حتى : غاية للإختبار ، والشرط وجزاؤه الذي هو الشرط الثاني وجزاؤه هو غاية الإختبار وشرط تسليم أموالهم إليهم ، وبلوغ النكاح بلوغ القوة والحاجة إلى النكاح وقت إنزال المني عند النكاح .

}

فإن ءانستم } : أدركتم وعرفتم ، وعبارة الإيناس تفيد أن الرشد مطلوب كما هو شأن من لا يطمع في مال اليتيم ، والرشد صواب الرأي في التصرف في المال ، ويكفي من الرشد القليل لقوله تعالى : { رشدا } فمتى دل الإختبار على وجود معرفة للرأي السديد في الإنفاق وجب بعد بلوغ اليتيم تسليم ماله إليه كله .

{ ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف } :

{ إسرافا } : مجاوزة للحق الذي حده الشرع ، والبدار: المبادرة والمسابقة إلى أكله قبل أن يكبر اليتيم أي مبادرة كبر اليتيم { ومن كان غنيا } : له مال يقيمه { فليستعفف } عن الحرام عن أكل مال اليتيم وغيره من الحرام وما يعاب أكله ، والإستعفاف: التنزه ، وفي معلقة عنتره :

يخبرك من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى وأعف عند المغنم

{ ومن كان فقيرا } : محتاجا حاجة ماسة لقوت أو ستر عورة أو نحو ذلك من الضروريات له أو لعائلته زوجته وأولاده الصغار ، وحاصلها: ما يبعث الخائف على ذمته وعرضه إلى أن يقترض أو يسأل فهو فقير ومفتقر ومحتاج ، ولا يقال له في اللغة غني ما دام هكذا ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : { ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج .. إلى قوله تعالى .. إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء } أي : يجدون ما ينفقون على أنفسهم في الجهاد راحلة وزادا ، وقوله تعالى: { يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف } أي عندهم ما يسد خلتهم لأنهم لم يسألوا فهم عند الجاهل أغنياء عن الصدقة فالفقير له أن يأكل من اليتيم بالمعروف ، والمعروف ضد المنكر وهو الإقتراض بقدر الضرورة ، وأجرة ما عمل ولي اليتيم بنية الأجرة بقدر عمله ، ولا يبعد أن من المعروف الفضلة التي لا تخزن في العادة ولا تنفق للبيع مثل فضلة الحقين من اللبن التي تعطى للجيران حيث لا يباع ولا يشترى لو عرض للبيع ، وقلت: في الإقتراض بقدر الضرورة لأن قدر الضرورة لا إشكال فيه ، أما الزائد فإنه ينكر على من لا يظن التمكن من القضاء . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا (٦) (١)

---

(١) . { فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا (٦) } :

{ فإذا دفعتم إليهم أموالهم } : في وقت ذلك كما مر ذكره { فأشهدوا عليهم } : شهيدين ممن ترضون من الشهداء يشهدان دفع ما دفعتم إليهم حتى إذا جحد يتيم شهدا عليه ؛ لأن الوصي ونحوه إذا قال: قد دفعت إليك مالك وجحد اليتيم كان المدعي هو الوصي والمنكر هو الذي كان يتيما وهو صاحب المال ، فالبينة على المدعي وإذا لم تكن له بينة كانت اليمين على المنكر ، فإن حلف بطلت دعوى تسليم ماله إليه وحكم عليه لليتيم بماله ، فقد أرشد الله الأوصياء ونحوهم إلى الإشهاد لتبين بالشهادة براءة ذمتهم ، وظاهر الأمر الوجوب .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال أمامنا المنصور بالله عليه السلام دلت الآية الكريمة على

وجوب اختبار اليتامى بعد بلوغهم فإن عرف رشدهم وجب تسليم أموالهم إليهم وإن لم يعرف رشدهم وجب على الولي حفظه ، ويجب الإشهاد عليهم حين رد الأموال عليهم ، وتجب العفة عن تناول أموالهم على من كان متوليا عليهم ، ويباح للولي القريب الوارث حيث يجب الإنفاق عليه من قريبه أن يأكل بالمعروف وهو نفقة مثله من مثله من تجب عليه ممن يرثه انتهى .

وقال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] أيضا : قال الحسين بن القاسم عليهما السلام إنما أطلق الله للفقير أن يأكل من مال اليتيم إلا بمنزلة الأجير ، وإذا قام بالمال اشتغل به عن الكسب لنفسه وضاع إلا أن يقتات ببعضه فأطلق الله له ذلك برحمته وعدله انتهى .

{ وكفى بالله حسيبا } يحاسبكم على مال اليتيم ، لأنه هو العليم بالخفيات الذي لا يضل ولا ينسى فيوكل إليه تعالى ما خفي من مال اليتيم ، وإنما يبين على ما يدفع ويعترف به من مال اليتيم ، أما ما ادعى إنفاقه على اليتيم فيكفي فيه يمينه إن اتهمه اليتيم وأمره إلى الله وهذا فيما خفي ، فأما لو كان لليتيم بينة على مال جحده الوصي عمل بها أو ادعى إنفاقه ولليتيم بينة أنه أنفقه لنفسه خيانة عمل بها . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٧)

للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا (٧) (١)

---

(١) . { للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا (٧) } :

}

الوالدان } : الأب والأم ، وما تركا ما خلفا بعد موتهما من الميراث { والأقربون } : الأصول والفروع البنون وبنوهم وبناتهم وبنو بنيهم ما سفلوا من الذكور وكذلك الأصول الآباء والأجداد من طريق الآباء والجدات من طريقهم والأمهات وأمهاتهن ، فالوالدان قد ذكرا والأجداد والجدات مع عدمهما كما هو مفصل في الفرائض ، وكذلك من الأقربين الإخوة لأبوين أو لأب أو لأم وميراثهم في بعض صور الميراث ، وفي هذه السورة تفسير مواريث الوالدين والإخوة والأولاد فصل فيها ما أجمل في هذه الاية المباركة التي أسست ميراث النساء مما قل أو كثر وقد كانت الجاهلية لا يورثونهن فيما يقال وآثارها باقية إلى الآن فعند بعض الجاهلين الظالمين يكون ميراث المرأة اسما بلا مسمى وقد جعله الله نصيبا

مفروضا فرضه الله لهن وأوجبه لهن . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨/٢)

وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا (٨) (١)

---

(١) . { وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا ارب } :

}

أولو القربى } الذين بينهم وبين الميت قرابة ، والقسمة هي بين الوالدين والأقربين ، ويلزم حضورهم لأنهم المتقاسمون فمع المقاسمة بينهم إذا حضر غيرهم من ذوي القرابة { واليتامى والمساكين فارزقوهم } من المقسوم والضمير له أو لما ترك { وقولوا لهم قولا معروفا } : وذلك تأنيس لذوي القربى الذين لا ميراث لهم ورعاية لقربهم من الميت وتمييز بينهم وبين الأجانب عنه وتأنيس لليتامى أو سد خلة وسد خلة للمساكين والمروءة والعادات تحدد مقدار ما يرزقون ولا حرج مع التزام المروءة وصلاح النية والسلامة من الشح فلا يقال لو كان واجبا لحده الله ، والأقرب أن الأمر للورثة بقوله تعالى : { فارزقوهم } { وقولوا } فيعطون بعد القسمة ليعطي كل واحد من قسمه مارضي به ، أو قبلها إن تراضوا بقدر ما يعطون ، والتكليف للبالغين فأما الصغار فلا شيء عليهم لأنهم غير مكلفين ولم نعرف أن هذا حق في المال وإنما هو من واجب المروءة والمواساة ، والقول المعروف القول الحسن الذي لا جفاء فيه كالترحيب بهم .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليهما السلام وإنما أمر الله بالكلام الجميل لما فيه من سرور العباد والتألف لهم إلى دين الله ذي العزة والأياد ولأن ذلك يدعو إلى المودة والإئتلاف وينفي . كذا . بعد الضغاين والإختلاف ، فلم يرض عز وجل لأوليائه الكرام بطبائع الجفاة الكفرة اللئام الذين لا يلفظون بطيب من الكلام لما هم عليه من الخساسة وسفه الأحلام والتجبر والكبر على ضعفة الأنام والإحتقار والجفاء للمساكين والأيتام انتهى .

قال الشرفي: قال إمامنا المنصور بالله القاسم بن محمد عليه السلام دلت على جواز الصدقة بل على وجوبها لأولي القربى واليتامى والمساكين عند قسمة الميراث ، وعلى أن يقال لهم قولا . كذا . معروفا انتهى .

ولا يقال: قد نسخت الزكاة كل إنفاق لأن الله تعالى قد أوجب غير الزكاة في قوله: { ولكن البر من

ءامن بالله .. إلى قوله .. وءاتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين .. إلى قوله تعالى .. وأقام الصلاة وءاتى الزكاة .. إلى قوله تعالى .. أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون } وقد أوجب الله الإنفاق في سبيله ، وأوجب الخمس وغيره ، فما يروى: ليس في المال حق سوى الزكاة إما عام مخصص بهذه الأوامر القرآنية وغيرها ، وإما ضعيف لمخالفته القرآن ، وقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير عن ابن ماجة عن فاطمة بنت قيس أنها سمعته تعني النبي يقول : ((ليس في المال حق سوى الزكاة)) وقد روى هو وغيره عن أبي هريرة عن النبي : ((إذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك)) وروي عن أنس حديث الأعرابي وفيه : ((..لا أدع منهن شيئا ولا أجاوزهن ، ثم وثب)) فقال النبي : ((إن صدق الأعرابي دخل الجنة)) والأولى أن هذه الروايات منسوخة ، وأنها كانت قبل نزول الآيات في وجوب غير الزكاة ، وفي الترمذي: باب ما جاء أن في المال حقا سوى الزكاة فأورد عن أبي حمزة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس قالت : سألت أو سئل النبي عن الزكاة فقال : ((إن في المال لحقا سوى الزكاة..)) ثم تلى هذه الآية في البقرة : { ليس البر أن تولوا وجوهكم .. } الآية ، أورده من طريقين: عن شريك عن أبي حمزة ، ثم قال الترمذي: هذا حديث إسناده ليس بذاك ، وأبو حمزة ميمون الأعور يضعف انتهى .

قلت: هذا السند هو سند حديث: ((ليس في المال حق سوى الزكاة)) في سنن ابن ماجة : حدثنا علي بن محمد حدثنا يحيى بن آدم عن شريك عن أبي حمزة عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس أنها سمعته تعني النبي يقول : ((ليس في المال حق سوى الزكاة)) فلا معنى للقدح في روايات [ليس] بأبي حمزة لأنه في ضدها فالأولى تساقط الروايتين لتناقضهما واتحاد راويهما والعمل بالقرآن لأنه الحاكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ولأن أول القضاء ما في كتاب الله فهو الناسخ كما حققته في تحرير الأفكار .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩/٢)

وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا (٩) (١)

---

(١) . { وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا (٩)
: {
}
وليخش } :حذف مفعوله لدلالة السياق عليه أي ليخشوا الله ، وقوله تعالى: { الذين لو تركوا } عام في

الأوصياء فعليهم أن يتقوا الله في اليتامى وأن يقولوا قولا سديدا ، وكذا فيمن حضر حين الوصية فعليه أن يتقى الله ولا يأمر بخلاف الحق في الورثة بتحويزهم بإقرار كاذب أو وصية غير جائزة ، وكذا فيمن يتصل باليتامى أو بأموالهم ولو غير الأوصياء فعليهم أن يتقوا الله في اليتامى فلا يظلموهم بضرب أو أذية أو دع عن حق من حقوقهم أو تغريم بدعوى في مالهم أو دعوى دين على مورثهم أو غصب أو أي ظلم لهم { فليتقوا الله } لأنه رقيب عليهم وسيجزيهم بما ظلموا ، وكذا في ضعاف الورثة من النساء والشيوخ والمرضى وغيرهم { وليقولوا لهم } وفيهم { قولا سديدا } أي قولا صوابا ليس فيه ظلم ولا أذى ولا غلظة ولا جفاء بل قول معروف حق . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠/٢)

إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا (١٠) (١)

---

(١) . { إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا (١٠) } :
هذا وعيد مؤكد لما تقدم من الأمر والنهي في قوله تعالى: { ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا } ، وقوله تعالى: { فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا إن يكبروا .. } الآية ، وفي قوله تعالى: { وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا .. } الآية ولعل سبب التأكيد أمور :
الأول : أنهم كانوا يأكلون أموال اليتامى في الجاهلية وكانت عادة يحمل عليها الحرص وحب المال ، ومثل ذلك لا يتركه الحريص إلا بالتأكيد والوعيد .
الثاني : أن من اليتامى يتامى الشهداء والمؤمنين وكان ذلك كثيرا في وقت النبي لكثرة الشهداء والمؤمنين ، ولا ينبغي إلا أن تحسن لهم الخلافة في يتاماهم فضلا عن أن يظلموا .

الثالث : أن الحرص على المال شديد ثابت في الإنسان كالغريزة كما قال تعالى: { وتحبون المال حبا جما } ومال اليتيم يكون معرضا للأخذ لضعفه عن الدفاع مع مجاورة ماله لمال قرابته أو مخالطتها في الغالب أو تزوج أمه بمن يسبب زواجها به لأكل ماله كما قد يسبب لظلم اليتيم باستخدامه بغير فائدة له أو شغله بالخدمة عن قراءة ما ينفعه من الدروس والقرآن ، وقوله تعالى: { إنما يأكلون في بطونهم نارا } أي أن عاقبة ما يأكلونه أن يكون نارا في بطونهم إما بنفسه كما في الكنز أو بسببه كما قال الشاعر :
إن لنا أحمرة عجافا ... يأكلن كل ليلة إكافا

أي ثمن إكاف ، ويمكن اجتماع الأمرين فما أتلفه الظالم من كسوة أو غيرها من غير المأكول يكون نارا في بطنه بسببه وما أكله حقيقة في بطنه كان نارا حقيقة في بطنه حقيقة وبسببه ، ولا إشكال أن قوله تعالى: { إنما يأكلون في بطونهم نارا } مجاز باعتبار الحال العاجلة لأن المراد أنه إنما سيكون نارا في الآخرة في بطنه ، { وسيصلون سعيرا } : نارا ذات لهب .
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال الإمام عليه السلام . يعني القاسم بن محمد . دلت الآية الكريمة على تحريم أموال اليتامى وان أخذه ظلم من الكبائر انتهى . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١/٢)

يوصيكم الله في أولادكم (١) للذكر مثل حظ الأنثيين (٢)

---

(١) . { يوصيكم الله في أولادكم } :
هذا الخطاب لمن أشرف على الموت فهو نسخ لأمره بالوصية في قوله تعالى: { الوصية للوالدين والأقربين } وهذا مفهوم من توجيه الخطاب إلى المأمورين بالوصية ومن تسمية هذه الفرائض وصية من الله في أولها وآخر الآية الثانية فهي مثل صبغة الله . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { للذكر مثل حظ الأنثيين } حيث كان الأولاد ذكورا وإناثا أو ذكرا وأنثيين أو ذكرين ومعهما أنثى أو أكثر ، فالمراد: للأنثى مثل نصف حظ الذكر وللذكر مثلا حظ الأنثى ولكن جعلت الأنثى أي نصيبها أصلا تأكيدا لإرثها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢/٢)

فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك (١) وإن كانت واحدة فلها النصف (٢)

---

(١) . { فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك } :
أي لم يكن معهن ذكر حتى يكون لكل اثنتين مثل حظه بل انفردن فكن نساء ، وقوله تعالى: { فوق اثنتين } أي ولو فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وترك النص على اثنتين لظهوره من حيث أن للواحدة الثلث إذا كان معها ابن وله الثلثان ، ومن حيث أن الواحدة لها النصف إذا انفردت فلا بد أن تكون طريقة الإثنتين مثل طريقة ما فوق الإثنتين لأنا لو جعلنا طريقتهن طريقة الواحدة لزم أن يأخذن المال كله لكل واحدة نصف فإذا كان ما فوق الإثنتين ليس لهن إلا الثلثان فبالأولى الإثنتان مع أن الله قد فرض للأختين الثلثين في آخر السورة فلا ينقص البنتان عنهما لأن البنتين أقرب فظهر أن لهما الثلثين . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وإن كانت واحدة فلها النصف } :

أي نصف ما ترك أبوها ، وانتهى التقسيم بين الأولاد فظهر منه حكم الأولاد إذا كانوا ذكورا وإناثا ، وحكم ما فوق الأثنتين من البنات المنفردات ، وحكم الواحدة ، واكتفى بذلك عن ذكر ميراث الإبن إذا انفرد عن الإناث والإبنين والأبناء كما اكتفى بذكر فوق اثنتين عن ذكر اثنتين لأن للذكر مثل حظ الأنثيين فالواحد له الكل ، والإثنان فما فوق لم يمكن لهما أكثر من الكل فللواحد الكل ولما فوقه الكل ولأن الله قد نص في آخر السورة ما يفيد أن الأخ يرث الكل فالإبن أقرب وهذا إيجاز محكم . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣/٢)

ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد (١) فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث (٢) فإن كان له إخوة فلأمه السدس (٣)

---

(١) . { ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد } :
أبويه لأبيه وأمه إن كان له ولد ذكر أو أنثى . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث } :
فإن ورثه مع الأبوين غيرهما ولا يتصور ذلك إلا إذا كان الزوج فإنه ينقص ميراث الأم عن الثلث لأن الزوج يأخذ ميراثه كما يأتي والباقي تأخذ الأم ثلثه وللأب الباقي . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٣) . { فإن كان له إخوة فلأمه السدس } :
مع أنه لا شيء للإخوة مع وجود الأب لكنه يعود لهم إذا مات الأب قبلهم .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : لا خلاف أن الأخت الواحدة لا تحجب الأم من الثلث إلى السدس وأن الثلاث يحجبن ، واختلفوا في الثنتين فكل الصحابة والتابعين على أنهما كالثلاث غير ابن عباس فإنه لا يحجب بهما ، وقد سقط خلافه بإجماع التابعين انتهى .
وهذا مشكل ففي مجموع زيد بن علي عليهما السلام من حديث عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام : وكان يحجب الأم بالأخوين ولا يحجبها بالأختين ، وكان لا يحجبها بأخ وأخت ، وكان لا يحجب بالأخوات إلا أن يكون معهن أخ لهن انتهى .
قال في شرحه في تتمة الروض النضير: وقد قال زيد بن ثابت لما أنكر . أي ابن عباس . حجبها بالأخوين: إن العرب تسمي الأخوين إخوة كما أخرجه الحاكم وصححه وقال هو على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي ، ورواه البيهقي في سننه ، ثم احتج صاحب التتمة بقول الله تعالى: { فإن كانوا أكثر من ذلك } فقوله أكثر من ذلك يصدق بالإثنين وقد تناولهما ضمير الجمع ، وقوله تعالى: { فهم شركاء في الثلث } انتهى .
ومن استعمال لفظ الجمع في المثنى قول الله تعالى :إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ، ولعله بسبب الإضافة إلى المثنى فأغنت ، وهناك فرق بين استعمال الجمع في عموم الثلاثة فأكثر والإثنين وفي الإثنين وحدهما ، فدخولهما في العموم لا يبعد أنه حقيقة بخلاف استعمال الجمع فيهما وحده ، وهذا إذا كانا ذكرين فأما إذا كانا أخا وأختا أو أختين فظاهر الحديث في المجموع أنهما لا يحجبان وما ذلك إلا لأنهما لا يسميان إخوة لأن فيه جهتين من التغليب تغليب الجمع على المثنى والمذكر على المؤنث واللغة لا تثبت بالقياس فالعمدة ما صح من النقل .
قال في تتمة الروض : وقد روى في الجامع الكافي أن عليا وابن مسعود وزيد بن ثابت كانوا يحجبون الأم من الثلث إلى السدس بالإثنين من الإخوة والأخوات انتهى .
وقد نص الهادي عليه السلام في الأحكام على حجب الأم بالثلاث الأخوات وحدهن ، وقد جعل المؤيد بالله حجب الأختين وحدهما للأم بطريق النظر ، واعتمد النظر في جعل الإثنين بمنزلة الجمع قال: لأن إلحاقهما بالثلاثة أقرب من إلحاقهما بالواحد ، وبين لذلك نظائر في المواريث ، وطريقة

المؤيد بالله عليه السلام أحسن من تحميل القرآن خلاف الظاهر في قوله تعالى: { فإن كان له إخوة } . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤/٢)

من بعد وصية يوصي بها أو دين (١)

---

(١) . { من بعد وصية يوصي بها أو دين } :
أي هذه الفرائض إنما تكون للورثة من بعد وصية يوصي بها أو دين ، وفي تنكير وصية إشعار بأنها غير الوصية المعهودة التي كانت شرعت للوالدين والأقربين لأنها لو كانت هي المراد لقال تعالى: من بعد الوصية ، وقوله تعالى : { أو دين } أي على الميت ولا يشترط أن يوصي به بل يكفي ثبوته ولعله أخر الدين ليكون فرض الدين على الميت مستبعدا إشارة إلى أنه ينبغي للمؤمن الحذر من تخليف الدين بقدر المستطاع ، وقوله تعالى : { أو دين } : مطلق يصدق بالقليل والكثير حتى لو لم يبق من التركة إلا أقل القليل فأما الوصية فقد دل الدليل على أنها لا تزاد على الثلث إلا بإذن الورثة أو إجازتهم فإن زاد ولم يرضوا لم يصح منها إلا الثلث ولعله يستفاد من قوله تعالى : { غير مضار } بخلاف الدين لأنه واجب على الميت ولا خيار له فيه بعد ثبوته في ذمته فيلزم الوفاء به كله . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(١٥/٢)

آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا (١) فريضة من الله (٢)

---

(١) . { آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا } :
الأرجح عندي أن الخطاب للمورثين الذين خوطبوا في أول الآية فالمشرف على الموت لا يدري من هو الأنفع له بعد موته أبوه أم ابنه ليقضي دينه وينفذ وصيته ويرفق بمن يخاف عليه من الورثة الضعاف فلا يدري من الأحق بميراثه وعلى هذا فعليه أن يرضى بقسمة الله ويتكل عليها ولا يلتفت إلى عاطفة لابنه أو أبيه . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر

: مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فريضة من الله } : فلا يسأل عنها الميت في تفضيل وارث على وارث لأنها قسمة الله التي فرضها وأوجبها . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(١٦/٢)

إن الله كان عليما حكيما (١١) (١)* ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين (٢)

---

(١) . { إن الله كان عليما حكيما (١١) } فهو أعلم بما هو الخير من القسمة وما هو مقتضى الحكمة وهو الحكيم الذي كل أحكامه على الحكمة . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين } :

في هذه الآية وجه الخطاب في أولها إلى الورثة وأغنى عن خطاب المورث قوله تعالى في آخرها : { وصية من الله } وتوجيه الخطاب إليه في الأولى المفيد للنسخ ، وقوله تعالى : { إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد } يفيد حجب الزوج بالولد مطلقا ذكرا أو أنثى من هذا الزوج أم من زوج قبله أم كيف ما كان فليس له مع الولد إلا الربع . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٧/٢)

ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين (١)

---

(١) . { ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين } :

هذا الخطاب للمورث ولعل السر فيه أن المقصود توجيه الخطاب إلى الرجال لأنهم الحكام والقاسمون ، والربع إذا تعددت الزوجات أو الثمن يقسم بينهن لأنه لم يقل: لكل واحدة الربع أو الثمن كما قال: { لكل واحد منهما السدس } في موضعين بل جعل لهن الربع أو الثمن من غير فرق بين حالة تعدد أو انفراد . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٨/٢)

وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار ڈ (١)

---

(١) . { وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار ڈ } :
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : المراد هنا بالإخوة الإخوة لأم إجماعا انتهى .
وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : فالكلالة من لم يرثه أب أو ابن ، والكلالة الإخوة والأخوات من الأم انتهى .
وحاصله: أن الكلالة يطلق على المورث المذكور وعلى الإخوة أو الأخوات في حال عدم الأب والإبن لكنه في الآية ظاهر في الأول أي يورث حال كونه كلالة .

وفي نهاية ابن الأثير : وقيل الأب والإبن طرفان للرجل فإذا مات ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه فسمي ذهاب الطرفين كلالة انتهى . وفي حاشيتها القائل هو القتيبي كما في الهروي انتهى .
وقوله فسمي ذهاب طرفيه كلالة أي لأن الكلالة في الأصل مصدر من كل بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء كما في [المصابيح] والكشاف وغيرهما ، والمشهور في تفسير الكلالة : من لم يترك ولدا ولا والدا أو ما خلا من الوالد والولد .
وقال الهادي عليه السلام في الأحكام : وروي ذلك عن رسول الله أن رجلا سأله عن الكلالة؟ فقال: أما سمعت الآية التي أنزلت في الصيف يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة من لم يترك ولدا ولا والدا فورثته كلالة ، وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : الكلالة ما خلا من الوالد والولد وذلك الصواب عندنا انتهى .

وقد احتج الهادي عليه السلام لذلك بالقرآن في باب القول في ميراث الكلالة ولا تضارب في التفسير فكلال القرابة أي ضعفها يصبح نسبته إلى الميت وإلى وارثه القريب فكلاهما كلالة وإنما يختلف التفسير باختلاف السياق الدال على قصد كلالة قرب الموروث أو كلالة قرب الوارث .
وقال في [لسان العرب] : والكلالة الرجل الذي لا والد له ولا ولد ، ثم قال: والعرب تقول لم يرثه كلالة أي لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق قال الفرزدق :
ورثتم قناة الملك غير كلالة ... عن ابني مناف عبد شمس وهاشم

ثم قال: وقال الليث اعلم أن الكلالة في الأصل هي مصدر كل الميت يكل كلا وكلالة فهو كل إذا لم يخلف ولدا ولا والدا يرثانه هذا أصلها ، قال: ثم قد تقع الكلالة على العين دون الحدث فتكون اسما للميت الموروث وإن كانت في الأصل اسما للحدث على حد قولهم هذا خلق الله أي مخلوق الله ، قال: وجاز أن تكون اسما للوارث على حد قولهم رجل عدل أي عادل وماء غور أي غائر .. إلخ .
وفي [لسان العرب] حاكيا عن الأزهري: ودل قول الشاعر أن الأب ليس بكلالة وأن سائر الأولياء من العصبة تعد الولد كلالة وهو قوله :

فإن أبا المرء أحمى له ... ومولى الكلالة لا يغضب

أراد أن أبا المرء يغضب له إذا ظلم وموالي الكلالة وهم الإخوة والأعمام وبنو الأعمام وسائر القرابات لا يعضبون للمرء غضب الأب انتهى ، وفيه حكاية عن ابن بري وقال عامر بن الطفيل :
وما سودتني عامر عن كلالة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

انتهى .
وقال ابن الأثير في النهاية حاكيا عن الهروي : قد تكرر في الحديث ذكر الكلاله وهو أن يموت الرجل و لا يدع والدا ولا ولدا يرثانه انتهى .
وفي [الصحاح] : الكل الذي لا ولد له ولا والد يقال منه كل الرجل يكل كلالة ، والعرب تقول لم يرثه كلالة أي لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق قال الفرزدق :
ورثتم قناة الملك غير كلالة ... عن ابني مناف عبد شمس وهاشم

انتهى .
والتعبير في تفسير الكلالة بلفظ نفي الوالد والولد هو في القاموس ولم أجد التعبير بعدم الأب والإبن إلا في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام وهو كاف إلا أن الشهرة بخلافه أرجح كما حكيت عن

أحكام الهادي عليه السلام وعن [لسان العرب] و[الصحاح] ومثله في القاموس .
وفي تفسير الطبري: واختلف أهل التأويل في الكلالة فقال بعضهم هي ما خلا الوالد والولد ثم رواه عن أبي بكر وعمر بأسانيده ثم رواه عن ابن عباس بأسانيده عن سليم بن عبد أنه قال ما رأيتهم إلا قد اتفقوا أن من مات ولم يدع ولدا ولا والدا أنه كلالة رواه بأسانيد ، ثم رواه عن الحكم وابن زيد ، ثم رواه عن قتادة والزهري وأبي إسحاق قال: الكلالة من ليس له ولد ولا والد ، ثم قال : وقال آخرون الكلالة ما دون الولد ، ثم قال : وقال آخرون الكلالة ما خلا الوالد هكذا قال ولكن روى في إسناد القول بذلك عن شعبة قال: سألت الحكم عن الكلالة قال فهو ما دون الأب ، ثم روى بإسناده عن ابن زيد قال : عن ابن زيد الكلالة الميت الذي لا ولد له ولا والد والحي كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة انتهى .
نعم يمكن تفسير الوالد بالأب وحده وأن أمكن دعوى العموم للأم في قوله : لا والد له بطريقة التغليب لكن الأم تسمى والدة ولا تسمى والدا والتغليب خلاف الأصل ، ألا ترى أنه قد غلب عليها اسم الأب في قوله تعالى: { ولأبويه } ولا يلزم دخولها في نفي الأب فكذا في نفي الوالد ويؤكد هذا أن ذكر الأب قد ورد في قول الشاعر :
وما سودتني عامر عن كلالة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

فهو ظاهر في أن الكلالة ما عدا الأب دون الأم ، وقد وقع التصريح به في بعض المواضع كما مر عن الحكم وكما روى ابن جرير في تفسيره بسنده عن قتادة قوله: { وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة } والكلالة الذي لا ولد له ولا والد لا أب ولا جد ولا ابن ولا ابنة فهؤلاء الأخوة من الأم انتهى .
فما بقي الإشكال أنه سواء قيل لا والد أو لا أب وبقي الإشكال في قولهم ولا ولد ، فالولد يعم الذكر والأنثى ، وقد قال تعالى في الكلالة : { إن امرء هلك ليس له ولد } فالأقرب أن البنت تخرج الإخوة عن الميراث بالآية وإنما يرثون بالحديث ، أعني الإخوة لأبوين أو لأب من حيث أنهم عصبة يأخذون ما أبقت السهام ، ولا تعارض لأن هذا فيما أبقت السهام والآية فيما ترك الميت جملة كما قال تعالى: { فلها نصف ما ترك ولكل واحد منهما السدس } أي الأخ أو الأخت { فإن كانوا أكثر من ذلك } أي أكثر من واحد أو واحدة { فهم شركاء في الثلث } لا يزادون عليه بسبب زيادة عددهم إن زادوا على اثنين ، قالوا ويقسم بينهم بالسوية لأن الله سوى هنا بين الأخ والأخت فجعل لكل واحد منهما السدس ، ولأنه في موضع التفضيل ينص عليه فقد ذكره في الأولاد وذكره في الإخوة أي لأب وأم أو لأب ولم يقتصر على أحدهما فكان تركه هنا مرجحا للتسوية ، وهذا الميراث كغيره من بعد وصية يوصى بها أو دين ، وقوله تعالى : { غير مضار } أما المضاررة بالوصية فهي الزيادة على الثلث ، وأما المضارة بالدين فهو بالتبرع في المرض المخوف والغبن الفاحش المسبب للدين وكلاهما يتصور في اشتراء ما يتبرع به بثمن دين والغبن في اشتراء ما يغبن فيه غبنا فاحشا بدين وكذلك في النكاح بأكثر من مهر المثل في

المرض المخوف . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٩/٢)

وصية من الله (١) والله عليم حليم (١٢) (٢)

---

(١) . { وصية من الله } : للزوجين والإخوة للأم كما أوصى للأولاد فوصية الله أوثق من وصية الميت للورثة . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { والله عليم حليم (١٢) } : فحكمه الحق وفرضه الواجب لعلمه بوجوه الحكمة وقوله تعالى: { حليم } يحتمل أنه ذكر هنا إشارة إلى حلمه تعالى عما سبق في الجاهلية من ظلم النساء واليتامى وغير ذلك ، أو إلى أنه يقسم الميراث كما فرضه الله من غير فرق بين البر والفاجر إذا وحدت الملة الوارث والموروث ولم يكن مانع من الإرث منصوص عليه كالقتل . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(٢٠/٢)

تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم (١٣) ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين (١٤) (١)

---

(١) . { تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم (١٣) ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين (١٤) }
:
}
تلك } الحدود المذكورة من أول السورة في اليتامى والزواج والميراث وغير ذلك كلها { حدود الله } الذي له الملك يجب أن يطاع ولا يتعدى حد من حدوده { ومن يطع الله ورسوله } : في المواريث وسائر الحدود المذكورة وغيرها من أمر الله ونهيه { ندخله جنات } : بساتين غليظة تجن أمكنتها في

جنة النعيم خالدا لا يموت باقيا فيها وذلك الفوز والظفر والفلاح العظيم لما فيه من الملك الكبير والنعيم الدائم ولما يستلزمه من الزحزحة عن النار { ومن يعص الله ورسوله } : بقطيعة رحم أو أي مخالفة في حدود الله المذكورة في السورة أو غيرها { ويتعد حدوده } في المواريث أو غيرها { ندخله نارا } : وهي نار جهنم خالدا فيها باقيا فيها لا يموت { وله عذاب مهين } لما في جهنم من أنواع الإهانة بالعذاب المتنوع . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢١/٢)

واللاتي يأتين الفاحشة من Nà6ح !$ | ،خpS فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا (١٥) (١)

---

(١) . { واللاتي يأتين الفاحشة من Nà6ح !$ | ،خpS فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا (١٥) } :

قال الشرفي في [المصابيح] : الفاحشة الزنا هاهنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح ، قال: والمعنى أي امرأة ادعي عليها الزنا فاستدعوا الشهادة على ذلك أربعة من الرجال انتهى ، والأولى بقاؤه على أصله فالزانية لا تجلد حتى يشهد عليها أربعة شهداء ، وفائدته أن لا يعمل بالظن وأقوال الناس التي يتناقلونها حتى يعتقدوا أنها زانية ، بل لو فرض أنها زانية في الواقع فلا حكم لذلك حتى يشهد عليها أربعة من المسلمين ، فأما الإقرار فإنما يثبت حكمه بالدليل الخاص { فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا } : إمساكها في البيت حبسها فيه .

قال الشرفي رحمه الله : كان ذلك عقوبتهن أول الإسلام ثم نسخ بقوله : { الزانية والزاني فاجلدوا .. }
قال إمامنا المنصور بالله القاسم بن محمد عليه السلام : استشهاد الأربعة محكم غير منسوخ والإمساك في البيوت مسوخ بما علمه رسول الله في الكتب المنزلة انتهى .
قلت : الكتب المنزلة ما عدا القرآن متقدمة قبل هذا الحكم فهي منسوخة به ، والأولى أن الناسخ آية النور والأحاديث النبوية مؤكدة .
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال في [البرهان] إن إمساكهن في البيوت كان حدا عليهن فنسخ الإمساك في البيوت بالجلد والرجم ، وروينا عن رسول الله أنه قال : ((خذوا عني ؛ إن الله قد جعل لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم)) وقد زادوا في الخبر

تغريب عام وهو منسوخ انتهى .

وقال الهادي عليه السلام في الأحكام : وكذلك قول الله حين يقول : { واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا } فكان هذا أول ما أنزل الله على نبيه في أمر الزانيين حتى أنزل عليه ما أنزل من الحدود فكان ذلك السبيل الذي ذكر الله أنه يجعله انتهى . وفيه تفسير الفاحشة وتفسير السبيل .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٢/٢)

واللذان يأتيانها منكم فآذوهما (١) فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما (٢)

---

(١) . { واللذان يأتيانها منكم فآذوهما } :

أي يأتيان الفاحشة فآذوهما كالتعزير والإهانة وقد فسروهما بالزاني والزانية ، ولكن عطفه على قوله تعالى: { واللاتي يأتين الفاحشة } مع تفسيره بالزواني يبعد ذلك ، والأقرب أنه في اللوطيين للمقابلة بهما للإناث ، وإذا كانا زانيين فقد نسخ بحد الزنا وهو المذهب أنه يحد حد الزاني وجعلوه داخلا في حد الزنا ، وفي الحديث: ((اقتلوا الفاعل والمفعول به)) .

والأولى أن هذا ليس من النسخ بل إضافة إلى الأذية القتل ، أو أن الجلد والقتل نوع من الأذية فهو من الإطلاق والتقييد لا من النسخ لأن هذه الآية لم تعين نوعا من الأذى . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما } :

فاتركوا أذيتهما من بعد التوبة والإصلاح لخروجهما عن استحقاق الإهانة بالتوبة ، ولعل هذا قبل وجوب الحد بشهادة الشهود فأما بعده فلا تتحقق التوبة والإصلاح لأن الخوف من الحد يبعث على إظهار التوبة والأقرب أن هذا كان قبل شرع الحد بالجلد والرجم فكانت الأذية تجب حتى التوبة ، وإذا سارع إلى التوبة سقطت الأذية ، ولا يسقط الجلد بالتوبة لأنه حكم آخر وإن كان قيدا للأذية قبل سقوطها لأن الله أوجبه إيجابا مؤكدا ولم يستثن التائب منه وشرعه شرعا مستقلا لا وصفا للأذية فلا يسقط

بسقوط الأذية بغير الحد . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

إن الله كان توابا رحيما (١٦) (١) إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما (١٧) (٢)

---

(١) . { إن الله كان توابا رحيما (١٦) } :
{ توابا } رجاعا من إيجاب العقوبة إلى العفو { رحيما } بعباده التائبين إليه توبة نصوحا . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما (١٧) } :
لما قال { إن الله كان توابا رحيما } بين تعالى من يتوب عليه وأوجب على نفسه أن يتوب عليه لأن الحكمة تقتضي ذلك مع كرمه ورحمته وهو من يتوب إلى الله من قريب أي من وقت قريب وهو ما دام في دار الخيار فتاب مختارا قبل حضور الموت .

وفي تفسير زيد بن علي عليهما السلام : كل شيء دون الموت فهو قريب انتهى .
وقد بين تعالى في الآية التي بعدها أن ما كان عند حضور الموت أو يوم القيامة فهو من بعيد ، والقرب والبعد اعتباريان فلما كان وقت حضور الموت لا تقبل فيه التوبة اعتبر وقتا بعيدا ؛ لأنه تأخر عن وقت قبول التوبة ، والسوء: الذنب ، وقوله تعالى: { بجهالة } أي يعملونه بجهالة وسفاهة وعدول عن اتباع العقل والحكمة وهو يسمى في اللغة جهلا وجهالة ، قال الشاعر :

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وفي مجموع زيد بن علي عن علي عليهم السلام : إذا اعتكف الرجل فلا يرفث ولا يجهل .. إلخ ،
وفي تفسير زيد بن علي عليهما السلام : معناه بعمد .
وفائدة هذا القيد دفع توهم أن الله يتوب عليه بسبب عمل السوء لأنه جهالة لا يصلح إلا أن يكون سببا

للعقوبة ، وإنما ذكره ليرتب عليه ذكر التوبة من العبد التي هي سبب توبة الله عليه والعفو عنه ، فأحكم الحاكمين لا يحب عمل السوء ولا يرضاه لعباده لأنه جهالة لا يرضاها حكيم ، فما روي عن النبي أنه قال : ((لو لم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون ليغفر لهم)) بعيد من الحسن ظاهره الضعف لأن مثل هذا التعبير لا يصدر عن رسول الله الذي ظاهره الترغيب في الذنب ، والله تعالى أرسله ليكون للعالمين نذيرا وداعيا إلى الله بإذنه ، وكان الله عليما : بمن يتوب من قريب ومن لم يتب ، وعليما بمن يستحق التوبة عليه ومن لا يستحق ، حكيما لا يتوب إلا على من يستحق ذلك لأن مقتضى عزته وحكمته أن يعذب من لم يتب . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٤/٢)

وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن (١) ولا الذين يموتون وهم كفار (٢)

---

(١) . { وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن } : يعملون السيئات } : تتكرر منهم ويصرون عليها حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولا الذين يموتون وهم كفار } :

كفار لنعمة الله بالمعاصي والإصرار عليها حتى الموت هذا أحد معاني الكفر والسياق يعينه ، لأنه في مقابلة ثم يتوبون من قريب فالسياق في المعاصي مطلقا لا في كفر الجحود . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٥/٢)

أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما (١٨) (١)

---

(١) . { أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما (١٨) } : لأنهم لم يتوبوا من قريب ، وقد بسط الناصر عليه السلام في البساط الإحتجاج على أن أهل الكبائر المصرين عليها يسمون كفارا فراجعه ، وأعتدنا : أي أعددنا .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : أصل أعتدنا أعددنا فأبدل الدال تاء ، وقيل أصله من العتاد وهو عدة الرجل ، والمعنى هيأنا لهم عذابا أليما موجعا انتهى ، ومثله في مفردات الراغب الأصفهاني ، وإذا كان من العتاد فهو تهكم بهم مثل فبشرهم بعذاب .

قال في [الصحاح] : العتيد الشيء الحاضر المهيأ ، وقد عتده تعتيدا وأعتده اعتادا أي أعده ليوم ، ومنه قوله تعالى : { واعتدت لهن متكأ } ثم قال : والعتاد العدة ، يقال أخذ للأمر عدته وعتاده أي أهبته وآلته انتهى المراد .

ويظهر من قوله الحاضر المهيأ أن فيه معنى الإعداد ولكنه مع ذلك يفيد الحضور كما يفيده الإعداد ، ومثله في [لسان العرب] وذكر الخلاف فقيل أعد يعد إنما هو اعتد يعتد ولكن أدغمت التاء في الدال ، وأنكر الآخرون فقالوا اشتقاق أعد من عين ودالين لأنهم يقولون أعددناه فيظهرون الدالين إلى قوله : قال الأزهري وجائز أن يكون عتد بناء على حدة وعد بناء مضاعفا ، قال: وهذا هو الأصوب عندي انتهى . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٢٦)

يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها (١)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها } :

وراثتهن كرها منهي عنها كيفما كانت ، ونتصورها : في أن يتزوجها قريبها الذي تحل له أي ابن عمها وهي كارهة له غير راضية بزواجه وهو يريد بتزوجها أن يرثها إذا ماتت ما يرثه الزوج وهذا يتصور إذا كانت صغيرة لما تبلغ ، وكذا إذا زوجها إياه أبوه وهو صغير ولكن أباه يريد أن يرثها لو ماتت عن ابنه ثم مات ابنه وهذه بعيدة .

الصورة الثانية: أن يحبسها وليها عن الزواج مع وجود الخاطب الذي ترضاه وترغب فيه فيحبسها وليها عن الزواج ليبقى له ميراثها كله ولا يكون للزوج النصف أو للزوج وأولاده منها الكل أو الأكثر فإذا منعها الزواج كرها ليرثها الكل مثلا كان قد ورثها كرها إذا ماتت في حياته ولم تتزوج .

الصورة الثالثة: أن يتزوج رجل امرأة فيكرهها وتكرهه ويحبسها وهو يسيء عشرتها ويظلمها ولكنه لا يطلقها ليرثها إن ماتت قبله حيث يؤمل أنها تموت قبله لأنها أكبر سنا أو لأنها ذات مرض أو أمراض تتعاهدها في أكثر الأوقات ، فهذه ثلاث صور داخلة في عموم الآية لأن المراد النهي عن إكراههن على سبب إرثهن بأي صورة . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا (١٩) (١)

---

(١) . { ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا (١٩) } :

يأتي تفسير هذه الجملة في كلام المرتضى عليه السلام ، قال الشرفي في [المصابيح] : وفي هذه الآية يقول المرتضى عليه السلام جوابا عمن سأله عنها : معنى أن ترثوا النساء كرها فهو ما يفعله كثير من الناس تكون عنده المرأة يكرهها ولا يحبها ويكون لها مال وسعة فيحمله حب المال والرجا لموتها على أن لا يطلقها وهو غير محب لها ولا قائم بما أوجب الله عليه في أمرها بل هو ظالم لها غير مقيم لما أمر الله سبحانه فيها فأخبرهم عز وجل أنه لا يحل لهم ذلك ، ولا أن ينبغي أن يظلموهن ، وأمرهم أن يقوموا بما أمر الله من حقهن أو ينفذوا فيهن ما أمر الله تبارك وتعالى من سراحهن ولا يحبسوهن ظلما رجاء منهم لورث أموالهن فمنعهم الله من ذلك وزجرهم عنه ، وكذلك أيضا ولا تعضلوهن : فالعضل لهن هو إمساك الرجال لهن من غير رغبة ولا محبة ولا قيام بما أمر الله عز وجل به فيهن طلبا من الزوج للتعنت للمرأة والأذية لها والإحواج حتى يحوجها ذلك إلى أن تفتدي نفسها منه بما جعل الله لها من مهرها فيكون عند ذلك قد ظلمها في أخذه بما يعمل فيه من التضييق عليها حتى أخذ ما أعطاها ، وهذا يفعله كثير ممن لا يتقي الله إذا كره المرأة وكان عليه لها مهر خشي إن طلقها أن تطالبه به وهو فليس في قلبه لها محبة فلزمها فيتعبها عند ذلك بالتضييق عليها والخصومة لها والإعتزال لفراشها ويتبع كل أمر يعلم أنه يغمها حتى يضطرها بفعله هذا إلى أن تفتدي منه ، فإذا فعل ذلك فاعل فقد ظلم وجار وأخذ ما لا يحل له أخذه ، ولا يجوز عند الله سبحانه فعله .

قال عليه السلام : والفاحشة فهي كل أمر استفحش من الفعل واستقبح من ذلك إذا كانت مخالفة للدين مضادة للمؤمنين ، ومن ذلك إذا لم تقم بما أوجب الله عليها من حقه وفعلت في أمره ما ذكرنا أنه يفعل في أمرها من القبيح ، ومن الفاحشة التبرج وإتيان ما حرم سبحانه فإذا فعلت ذلك وطلبت المباراة ورد ما أخذت منه حل له أن يأخذه إذا كان منها لا منه ، وقوله سبحانه : { وعاشروهن بالمعروف } فذاك أمر منه سبحانه عز وجل لأزواجهن بالمعاشرة لهن بالمعروف ، والمعروف فهو الحسن الجميل من الأمور الذي لا ظلم فيه ولا جور ، معنى فإن كرهتموهن : فهو فإن أبغضتموهن وسأمتموهن { فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا } يقول عسى في هذه النساء من البركات واللطف وما يرزق الله منهن من النسل المبارك التقي الذي يسر والده خيرا كثيرا لم تعلموا به أنتم بعد وسيكون منهن ما تسرون انتهى المراد ، وقوله تعالى: لتذهبوا ببعض ما ءاتيتموهن يلحق به بالأولى إذا أراد أن يذهب بكل ما آتاها من مهر ونفقة ، وبالأولى إذا أراد الزيادة على ذلك ، والفاحشة : المعصية لله الزائدة في قبحها كالزنا والقذف ، والمبينة : ما تبين فحشها واتضح وثبتت بالمشاهدة ، أو البينة المعمول بها شرعا ، والمعروف: خلاف المنكر وخلاف ما يستنكر ويعاب على الزوج في عرف بلده ، فإن كرهتموهن فلا تعتقدوا الخير في فراقهن فمن الأمر القريب أن يجعل الله فيهن خيرا كثيرا إن أمسكتموهن وهذا إذا كن صالحات لا فاجرات يبغضن لفجورهن المعلوم ، وقد روي نهي عن الحمقاء ولعله فيمن لم يكن قد تزوجها فأما من قد تزوجها فيمسكها ما تمسكت بالدين وصبرت على ما في نفسها من الأوهام وسوء الظن فإن أداها الحمق إلى الأذية لزوجها بغير حق والتعدي لأجل سوء الظن كانت من أهل الفاحشة البينة لأن الظلم قبيح ، وظلم المرأة لزوجها أقبح لما له من الحق عليها ، وهذا إذا أفرطت في بذاءة اللسان وأفحشت في السباب أو خاصمته ، وإلا فالأحوط المجاملة حتى تفتدي نفسها أو الطلاق بدون عوض . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٨/٢)

وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا (٢٠) (١)

---

(١) . { وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا (٢٠) } :

القنطار : مال كثير وقد تقدم ذكره في سورة آل عمران وذلك أن الزوج إذا رغب في إبدال زوجة مكان التي قد تزوجها وقد آتاها مهرا كثيرا ثم رغب في طلاقها وإبدالها فإنه يرغب في استرجاع مهرها ليعطيه للأخرى ، فهذا الموضع الثالث الذي ينهى فيه عن ظلم النساء بسبب الحرص على المال في هذه الآيات ، والأول إرثهن كرها ، والثاني عضلهن لأخذ بعض المهر ، وذكر القنطار هنا لأنه مظنة طمع الزوج فيه لكثرته ورغبته عنها وحاجته إليه للثانية ، فالمعنى : ولو قنطارا فليس له أن يسترجعه لكثرته وتخيله أنها ظالمة له بأخذه كله وأنه جور عليه ، ومثله ما دونه أو أكثر منه لأنه كله ظلم ، وقوله تعالى : { أتأخذونه بهتانا } لعل البهتان هنا دعوى أن له حقا فيه أو أنها لا تستحقه أو نحو ذلك من الكذب الذي يستعمله الزوج ليبرر في الصورة أخذه ، { وإثما مبينا } : إثما بينا واضحا ؛ لأن الزوج ظالم لها بأخذ مهرها وليس له فيه أي حق . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٩/٢)

وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا (٢١) (١)

---

(١) . { وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا (٢١) } :
سؤال استنكار دلالة على أنه لا وجه لذلك ، أفضى: صار في الفضاء وهو المكان الخالي ، بعضكم إلى بعض : أي صار إليها أو صارت إليه في المكان الخالي الذي يصلح فيه الجماع لخلوه من الناس ، وأخذن منكم ميثاقا : وهو العقد الموجب لحقوقهن ، ومن جملتها ما فرض لهن من مهر فقد تناوله الميثاق الغليظ ، وهو غليظ لعظم حرمته ووجوب الوفاء به وقبح التهاون به .
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : دلت الآية الأولى على تحريم تزويج من يحل تزويجها من بنات القرائب نحو بنات العم وهن كارهات ، وعلى تحريم تزويج امرأة القريب التي يحل تزويجها بعد موته وهي كارهة ، وعلى وجوب معاشرتهن بالمعروف ومن العشرة النفقة والكسوة ، وعلى استحباب إمساك من كرهت من النساء لما يجعل الله في ذلك من الخير الذي ذكره الله سبحانه .

ودلت الآية الثانية على إباحة تبديل الزوجة بمن شاء ممن يحل تزويجها من أخواتها أو غيرهن ، وعلى تحريم ظلمهن شيئا من مهورهن ، ذكر هذا إمامنا المنصور بالله القاسم بن محمد عليه السلام انتهى ، وبعد بيان جملة من حقوق النساء في هذه السورة بين تعالى جملة ممن يحرم منهن فقال تعالى : كقوله

تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٠/٢)

ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا (٢٢) (١)

---

(١) . { ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا (٢٢)
: {
}
إلا ما قد سلف } في الجاهلية قبل الإسلام ، ونكاحها تزوجها وتسريها أي اتخاذها للوطء بالملك ودخوله في النكاح بدليل قوله تعالى : { إلا ما ملكت أيمانكم } فهو اسم لما يستحل به الوطء من زواج أو ملك للتسري إنه أي نكاح من قد نكحها الأب فاحشة معصية زائدة في قبحها ، ومقتا : بغضا شديدا من الله لفاعله أي سبب بغض ، وساء سبيلا : طريقا لقضاء النكاح أي أنه سيء مذموم ، والآباء يتناول الأجداد ، قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام في هذه الآية الكريمة تناول ما نكح الآباء من قبل الأب ، ومن قبل الأم من الأجداد ، ومن قبل الأب من الرضاعة ، ومن قبل الأم من الرضاعة انتهى . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣١/٢)

حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت (١)

---

(١) . { حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت } : حرم الله نكاح الأم التي ولدتك ، والبنت التي ولدتها ولو من الزنا كما تحرم الأم من الزنا ، والأخت وهي تكون أختا من الأم أو من الأب أو منهما ، والعمة أخت الأب لأبويه أو لأحدهما ، والخالة أخت الأم لأبويها أو لأحدهما ، أو لبنات الأخ كذلك وبنات الأخت كذلك .

قال الهادي عليه السلام في الأحكام في هذه الآية الكريمة : فحرم الله تبارك وتعالى الأمهات فحرم

بتحريمهن كل من ولدهن من الجدات وإن علون فارتفعن وتباين في الولادة للأمهات فافترقن لأنهن جدات والجدات فهن أمهات ، وحرم الله تبارك وتعالى على المؤمنين بناتهم وما ولدن من الأولاد وأولاد الأولاد وإن سفلن في الولادات ، فهن بحكم الله للأجداد بنات لا يحل لهم نكاحهن بما حرم الله من نكاح أمهاتهن ، وكذلك حرم جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله الأخوات فحرم بتحريمهن بناتهن على عموماتهن وما ولدن بناتهن من البنات وبنات البنات وإن بعدت مواليدهن على إخوة جداتهن ؛ لأنهم وإن تباعدوا منهن أعمامهن والحكم فيهن وإن سفلن بالتحريم على أعمام جداتهن كحكم أخواتهم اللاتي نطق الكتاب بتحريمهن عليهم ؛ لأنهن في المعنى كبناتهن إذ هن بنات أخواتهم ، وكذلك حرم الله العمات والخالات لأنهن في عداد الآباء والأمهات وحرم الله تبارك وتعالى بنات الإخوة وبنات الأخوات لأنهن من العمومة كالبنات تعظيما منه لقريب القرابات وتأكيدا منه على عبيده في صلة الولادات فصار حكم بنت أخي المسلم كحكم بنته عليه وكذلك حكم بنت أخته لديه انتهى المراد .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٢/٢)

وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم (١) وأخواتكم من الرضاعة (٢)

---

(١) . { وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم } :
أي التي صارت أما لأنها أرضعتك ، وهذا دليل على تحريمها ولو لم ترضع إلا مرة لأنها قد أرضعت ، فهو ناسخ لما روي من عشر ثم خمس رضعات محرمات ، أعني أنه ناسخ للعدد لأن الحكم هنا علق على الرضاع لا على عدد من الرضاع . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وأخواتكم من الرضاعة } : قال الهادي عليه السلام في الأحكام : ثم حرم سبحانه الأمهات المرضعات لمن أرضعن من البنين والبنات على البنين وأبناء البنات والبنين وإن سفل ميلادهم لأنهن بإرضاع الآباء وأن بعدن أمهات للأبناء انتهى .

قلت : دخول ذرية الرضيع هو بالسنة ، والأخت من الرضاعة يعم الأخت التي رضعت من أمها ولو لم ترضع هي من أمك ، ويعم الأخت التي رضعت هي من أمك ولو لم ترضع من أمها ، ويعم الأخت التي رضعت أنت وهي من امرأة ثالثة غير أمك وغير أمها فهي أمكما من الرضاعة وأنتما أخوان من رضاعها ،

ولا فرق بين من رضعت معها في وقت رضاعها أو قبلها ولو قبل وجودها أو بعدها ولو بعد فطامها ولو بعد فطام من بعدها من أخواتها أو إخوتها فأنتما أخوان إذ قد حصل الرضاع .
ولا يعتبر في الرضاع اجتماع على لبن ولادة واحدة فأما الأخت من الأب أي من زوج المرضعة الذي أرضعت من اللبن الحادث بعد علوقها بولد له ففيها خلاف لأنها لم ترضع من أمك ولا رضعت من أمها ولكنها بنت زوج المرضعة ، فإن كانت تسمى في اللغة أختا فقد دخلت في العموم في قوله تعالى : وأخواتكم من الرضاعة ؛ لأن سبب أخوتها هو الرضاع من امرأة أبيها أو من امرأة أبيك أو من امرأة زوج مرضعتك بأن رضعت من امرأة ورضعت هي من ضرتها ، فإذا كان زوج المرضعة يسمى أبا وبنته تسمى أختا من الأب في اللغة دخلت في عموم الآية ، وإلا فتحريمها بالسنة ، وظاهر الكشاف دخولها في الآية . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وأمهات N٣ںح !$|،خ1) S)

---

(١) . { وأمهات N٣ںح !$|،خS } : فهي محرمة على الإطلاق ولا يشترط في تحريمها الدخول ببنتها ؛ لأن تحريمها مطلق غير مشروط بالدخول .
وفي مجموع زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام قال : حرم الله من النسب سبعا ومن الصهر سبعا ، فأما السبع من النسب : فهي: الأم ، والإبنة ، والأخت ، وبنت الأخ ، وبنت الأخت ، والعمة ، والخالة ، والسبع من الصهر: فامرأة الأب ، وامرأة الإبن ، وأم المرأة دخل بالإبنة أو لم يدخل بها ، وابنة الزوجة إن كان دخل بأمها وإن لم يكن دخل بها فهي حلال ، والجمع بين الأختين ، والأم من الرضاعة ، والأخت من الرضاعة انتهى .
وظاهره التفسير للآية لقوله في أول الكلام : حرم الله ، ولأنه لم يذكر غير من في الآية وجعل لغيرهن كلاما آخر ، ولم يدخلهن في هذا الحصر سبعا وسبعا .

وفي أمالي أحمد بن عيسى [٩٦٨/٢] من تخريجها رأب الصدع بإسناده عن الحكم بن عتيبة أن رجلا سأل ابن مسعود بالكوفة عن رجل تزوج امرأة فماتت قبل أن يدخل بها أيحل له أن يتزوج أمها ؟ قال: فكأن ابن مسعود رخص له فيها فتزوجها فولدت له ، فعرض في نفس ابن مسعود منها شيء فلقي عليا فسأله فقال : لا تحل له ، فقال: أليس الله يقول : وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي

دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم ، فقال علي : هذه قد فسرت وهذه مبهمة ، قال : فرجع ابن مسعود ففرق بينهما انتهى .
وفي الأمالي أيضا هناك [ص٩٦٩] بسنده عن السدي في قوله عز وجل : وأمهات نسائكم ، قال : قال علي ابن أبي طالب : إذا تزوج الرجل الجارية دخل بها أو لم يدخل بها لم تحل له أمها لأنها محرمة مبهمة في كتاب الله عز وجل ، وفيها هناك في الصفحة بسنده عن ابن عباس قال : هي مبهمة وأمهات نسائكم انتهى ، ومعنى مبهمة: ليس فيها تفصيل بين المدخولة بنتها وغير المدخولة بنتها ، وهذا واضح ولا يصح دعوى أنها مقيدة مع الربائب لأن من في قوله تعالى :من نسائكم ، هي لابتداء نسبة الربيبة وبيان مصدر هذه النسبة مثلها في قولك : هو أخي من أبي أو من أمي أو منهما لبيان مصدر الأخوة ، ولم يذكر في قوله تعالى : وأمهات نسائكم النسبة بينهن وبين الزوج ولا معنى لأن يقال هي أمها منها أي أم البنت من البنت فجعل القيد راجعا إليها تمحل ودعوى خلاف الظاهر . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وربائبكم اللاتي في حجوركم من مNن٣ح !$|،خpS اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم (١)

---

(١) . { وربائبكم اللاتي في حجوركم من مNن٣ح !$|،خpS اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم } :
الربيبة : هي بنت الزوجة من غيرك ، وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : فربيبة الرجل بنت امرأته ، وفي حجوركم معناه : في بيوتكم انتهى .
وفي [الصحاح] : وحجر الإنسان وحجره بالفتح والكسر والجمع حجور انتهى .
وفي مفردات الراغب: ويقال فلان في حجر فلان أي في منع منه عن التصرف في ماله وكثير من أحواله وجمعه حجور ، قال تعالى : { وربائبكم اللاتي في حجوركم } وحجر القميص أيضا اسم لما يجعل فيه الشيء فيمنع انتهى ، لعله يعني بقوله: في منع منه ، أي في حماية منه وحفظ ، فلعل تفسير زيد بن علي عليهما السلام أراد به هذا لأنهن إذا كن في البيوت كن في الحماية .
وقال صاحب القاموس: ونشأ في حجره أي في حفظه وستره انتهى .

وفي [لسان العرب] : حجر الإنسان وحجره بالفتح والكسر حضنه ، وفي سورة النساء : { في حجوركم من نسائكم } واحدها حجر بفتح الحاء يقال حجر المرأة وحجرها حضنها والجمع الحجور ، وفي حديث عائشة (رض) هي اليتيمة تكون في حجر وليها ويجوز من حجر الثوث وهو طرفه المتقدم لأن الإنسان يرى ولده في حجره ، والولي القائم بأمر اليتيم ، ثم قال في موضع آخر: ونشأ فلان في حجر فلان وحجره أي حفظه وستره انتهى .
قال في [الكشاف] : فإن قلت ما فائدة قوله : في حجوركم ؟ قلت : فائدته التعليل .. إلخ يعني أنه ليس للتقييد وإخراج من ليست في الحجر لكنه سواء كان للتعليل أو للتقييد قد صير الكلام خاصا بمن في الحجر ، ويحتاج من ليس في الحجر إلى دليل لتحريمها .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٥/٢)

وحلائل مNà6ح !$oY/r& الذين من أصلابكم (١) وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف (٢)

---

(١) . { وحلائل مNà6ح !$oY/r& الذين من أصلابكم } :
الحلائل الزوجات الواحدة حليلة ، والزوج حليل ، والذين من أصلابكم: لتحقيق الأبناء لئلا يتوهم دخول المتبنى الذي كانوا يسمونه ابنا فرد الله عليهم بقوله : وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، وفي قوله تعالى : لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعياءهم إذا قضوا منهن وطرا .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف } : في الجاهلية قبل الإسلام فهو مغفور فالإستثناء بمعنى لكن ، وهو نظير قوله تعالى : ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(٣٦/٢)

إن الله كان غفورا رحيما (٢٣) (١) * والمحصنات من النساء (٢) إلا ما ملكت أيمانكم (٣)

---

(١) . { إن الله كان غفورا رحيما (٢٣) } : فهو يغفر لمن تاب ويرحمه ، ومن ذلك من أسلم بعد الجاهلية فقد جب الإسلام ما قبله ، وجعل الإستثناء هنا كالأول لقرينة قوله تعالى : { إن الله كان غفورا رحيما } ولولا ذلك لأمكن أن يكون هنا متصلا أي إلا ما قد سلف فلم يحرم ، والجمع بين الأختين الجمع في زواج في واحد أو تسر . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { * والمحصنات من النساء } : أي من المزوجات حرمن عليكم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { إلا ما ملكت أيمانكم } : أي المملوكات السبي فالمسبية حلال لمالكها ، وعليه أن يستبرئها بحيضة ، وإذا كانت حاملا كف عنها حتى تضع .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

كتاب الله عليكم (١) وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين (٢)

---

(١) . { كتاب الله عليكم } : أي كتب الله عليكم هذا التحريم لمن مر في الثلاث الآيات كتابا . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين } :

}

وأحل لكم ما وراء ذلكم } النكاح المحرم في الآيات ، أو ما وراء ذلكم الكتاب أي مالم يتناوله من النساء ، وهذا العموم قد أخرج منه نكاح المشركات ومن حرمت بالرضاع والجمع بين المرأة وعمتها والجمع بين المرأة وخالتها ، وقوله : { أن تبتغوا } : بدل أي أحل لكم أن تبتغوا أي تطلبوا النكاح بأموالكم محصنين عن الحرام بالحلال ، غير مسافحين: أي زانين كما يبتغى الزنا بالمال ولكن بالمهور

وثمن الإماء السريات . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٨/٢)

فما استمتعتم به (١) منهن فآتوهن أجورهن (٢)

---

(١) . { فما استمتعتم به } : تفريع على قوله تعالى : { أن تبتغوا بأموالكم } . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { منهن فآتوهن أجورهن } : فليس للزوج أن يؤخر المهر بعد الدخول بزوجته ، بل إذا استمتع بها ولو مرة وجب عليه تسليم مهرها ، والدخول استمتاع وفي معلقة امرء القيس :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها ... تمتعت من لهو بها غير معجل

والإستمتاع الإنتفاع القليل المدة ، ففي مجموع زيد بن علي عليهما السلام في الحج عن علي عليه السلام في مواقيت الإحرام : فمن شاء استمتع بثيابه وأهله حتى يبلغ ذا الحليفة ، ثم قال : فمن شاء استمتع بثيابه وأهله حتى يبلغ العقيق ، ثم قال: فمن شاء استمتع بثيابه وأهله حتى يبلغ الجحفة ، ثم قال : فمن شاء استمتع بثيابه وأهله حتى يبلغ يلملم ..إلخ واعتبرت مدة الحياة الدنيا قصيرة فقال تعالى : { وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور } وقال تعالى : { فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم } وقال تعالى : { قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار } .

وأخرج أحمد بن حنبل في المسند [١٦٨/٢] عن رسول الله أنه قال : ((الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة)) وهو في سنن ابن ماجة [٥٧١/١] وراويه عبد الله بن عمرو عربي اللسان .

فإن قيل: إنه يجب تسليم المهر بالعقد ، قلنا : إن صح هذا وأنه لا يجوز تأخيره إلى بعد الدخول فإن العقد قد يشرط فيه التأجيل ففائدة الآية بطلان الشرط بالدخول .

وفي مجموع زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام : أن امرأة أتت عليا عليه السلام ورجل قد تزوجها ودخل بها وسمى لها مهرا وسمى لمهرها أجلا فقال له علي عليه السلام : لا أجل لك في مهرها إذا دخلت بها فحقها حال فأد إليها حقها ، وهذا في أمالي أحمد بن عيسى [٩٨٩/٢] من رأب الصدع حدثنا محمد قال حدثني أحمد بن عيسى عن حسين عن أبي خالد عن زيد بن علي عن آبائه فذكره .

وفي الآية الكريمة فائدة أخرى وهي وجوب المهر معجلا بالدخول ولو لم يكن سمي ، وأجورهن : مهورهن كما قال تعالى : { أزواجك اللاتي آتت أجورهن } فظهر أنه لا يصح الإحتجاج بالآية على تشريع المتعة المؤقتة ، وما روي من قراءة : فما استمتعتم به منهن إلى أجل فالقرآن محفوظ فلو كانت منه لحفظت كما حفظ ولكتبت في المصاحف ، فأما جعل القراءة الشاذة رواية عن النبي فغير متعين لأنه في بعض المواضع يحتمل أن الصحابي ذكره على جهة التفسير كما ذكروا أنها حرقت المصاحف لما اختلط بها من التفسير ، وإذا كان تفسيرا فهو رأي لصاحبه ولا يلزم اتباعه لجواز الخطأ عليه ، ولما ثبت من اللغة العربية أنه غير متعين وأنه صالح في الدخول بالزوجة ، فأما قولهم : إن الإستمتاع قد صار حقيقة شرعية في المتعة المتنازع عليها فهو غير مسلم ولا دليل عليه ، إنما اشتهر في العرف من عهد عمر في متعة النساء أنها هي المؤقتة لا في الإستمتاع ، والقرآن لا يفسر بالعرف الحادث بعد موت الرسول . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فريضة (١) ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة (٢)

---

(١) . { فريضة } : مسماة مهرا فلا تجزي عنه التبرعات . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة } : فما أسقطته بطيبة نفسها برئ منه أو أرجعته له ، وقوله : من بعد الفريضة يخرج به التراضي بأن لا مهر لها من أول الزواج وقبل الفرض فهذا لا يصح ويلزمه المهر ويبطل الشرط ، وفي أمالي أحمد بن عيسى [٩١٥/٢] بإسناده عن علي عليه السلام في رجل نكح امرأة فأصدقته المرأة واشترطت أن بيدها الطلاق والجماع فقال علي : خالفت السنة وولت الحق من لم يوله الله فقضى أن عليه الصداق وبيد الزوج الجماع والفرقة وقال ذلك السنة انتهى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

إن الله كان عليما حكيما (٢٤) (١) ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض (٢)

---

(١) . { إن الله كان عليما حكيما (٢٤) } : عليما بأحوالكم وما تقتضيه الحكمة من تكليف أو ترخيص ، وعليم بما يصدر من تراض حقيقي عن طيبة نفس وما ليس كذلك وعليم بكل شيء ، وحكيم في كل أفعاله وأقواله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض } :

}

ومن لم يستطع منكم } : أيها المؤمنون طولا : تحصيل طول من المال يتزوج به ، والطول: سعة وزيادة على القوت الضروري ونحوه ، واستطاعته إما أن يكون موجودا عنده يستطيع إنفاقه في الزواج لا يحتاجه للقوت الضروري ونحو القوت ، وإما أن يستطيع كسبه حلالا بسبب يستطيعه كمضاربة وإجارة عمل فإذا كان يستطيعه فلا يدخل في هذه الإباحة للتزوج بالأمة ، والمحصنات هنا الحرائر ، وقوله تعالى: { فمما ملكت أيمانكم } أي فلينكح مما ملكت أيمانكم أيها المؤمنون ، فليس له أن يتزوج مملوكة لكافر ، وقوله: { من فتياتكم } الفتاة هي الشابة ، وعلى هذا فليس له أن يتزوج أمة صغيرة ولا عجوزا قد بلغت الستين أما الصغيرة فلعدم صلاحيتها للجماع ، وأما الكبيرة فلأن نفسه لا تقنع بها لتحفظ دينه لنقص لذتها ، والأرجح أنها لا تحرم بمجرد المفهوم بل لا مفهوم له لأن ذكرها لكونها مظنة الفائدة ومظنة التحصيل لا لإخراج غيرها فإذا لم يجد فتاة ووجد عجوزا وخاف العنت حلت له لأن الأصل الحل لدخولها في عموم فأنكحوا ما طاب لكم ، وقوله : { المؤمنات } يخرج الكافرات فلا يحل نكاحها ، فأما الفاجرة المسلمة فلعلها تلحق بالمؤمنة إذا كان فجورها بغير الزنا ؛ لأنهم في المعاملات يلحقون بالمؤمنين فيما ليس فيه موالاة ويحتمل أن تلحق بالكافرة ، والإحتمالان يرجع فيهما إلى دليل آخر .

{ والله .. من بعض } : والله أعلم بإيمانكم : فليس عليكم إلا العمل بظاهر الإيمان لأنكم لا تعلمون منه ما يعلمه الله سبحانه { بعضكم من بعض } : الأحرار والعبيد جنس واحد فإذا جمعهم الإيمان فلا غضاضة في الزواج منهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤١/٢)

فانكحوهن بإذن أهلهن (١) وآتوهن أجورهن (٢) بالمعروف (٣) محصنات (٤)

---

(١) . { فانكحوهن بإذن أهلهن } : المالكين لهن أي تزوجوهن بإذنهم فلا بد من إذنهم إذا كان المزوج لهن قرابتهن أو غيرهم ، وإن تولى المالك العقد فهو أذن وزيادة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وآتوهن أجورهن } : أي مهورهن وفي تسليمه إليهن تأنيس لهن ، وإن كان عليهن تسليمه إلى المالكين لهن ، وقد جرت العادة أن يستلم مهر الحرة وليها ثم لا يعطيها منه شيء فما أبعد هذه العادة من الدين .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { بالمعروف } : بأن يكون مهر زواج لا أجرة بغاء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤) . { محصنات } : مصونات .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٢/٢)

غير مسافحات ولا متخذات أخدان (١)

---

(١) . { غير مسافحات ولا متخذات أخدان } :

كالتفسير لإحصانهن الذي هو حفظهن من الريبة ، والمسافحات : الزانيات ، والمتخذات أخدان : المتخذات أخلاء من الرجال الأجانب فهن متهمات بالزناء غير محفوظات منه لكثرة المخالطة وقوة الحب واطلاع كل منهما على سر الآخر .

قال في [الصحاح] : الخدن والخدين الصديق ، يقال : خادنت الرجل ومنه خدن الجارية ، قال الله تعالى: { ولا متخذات أخدان } انتهى .

ولا بد في تحريمها أن تكون هي اتخذت خدينا فأما لو كان الأجنبي يحسن إليها ويقضي لها أغراضها وهي لا تخالطه ولا تساره بأسرارها ولكنها في بعض الحالات تحسن إليه مكافأة لإحسانه لا توصلا إلى صداقته فلم تتخذه خدينا .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٣/٢)

فإذا أحصن (١) فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب (٢)

---

(١) . { فإذا أحصن } بالزواج الكاسر للشهوة .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب } :

فعلى الحرة مائة جلدة ، وعلى هذه الأمة نصف المائة ، فأما الرجم فلا يتنصف لأن النصف لا يوقف له على حد ، وقد ذكر الهادي عليه السلام أن العبيد إذا أقروا بالزنا أربع مرات جلدوا سواء كانوا محصنين أو غير محصنين ، وهذا قريب لعموم الأدلة في جلد الزاني وورود روايات عديدة في جلد الأمة الزانية من غير فصل بين محصنة وغير محصنة ، فالآية هذه دليل على تنصيف الحد في الأمة المزوجة وتقاس عليها في التنصيف بالأولى غير المزوجة ، وقيس عليها العبد بجامع الرق ولا إشكال أنه العلة في تنصيف حد الأمة .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٤/٢)

ذلك لمن خشي العنت منكم (١) وأن تصبروا خير لكم

(٢)

---

(١) . { ذلك لمن خشي العنت منكم } : أي التزوج بالأمة إنما يجوز للحر إذا خشي العنت أي الوقوع في الفاحشة ، سميت عنتا لأنها ضرر شديد فسر به لقرينة السياق ، وكون مهمة الزواج حفظ الدين فهو الغالب ، مع أن العنت يحتمل أن يفسر بالمشقة العظيمة تشبيها لها بالضرر الشديد لقوله تعالى : ولو شاء الله لأعنتكم ، أي في شأن أموال اليتامى بالتكليف الشاق الزائد في مشقته ، والمعنيان متقاربان شدة المشقة من الشبق وخوف الوقوع في المعصية بسبب شدة الحاجة وهذا أقرب لقوله تعالى : كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وأن تصبروا خير لكم

} : أي تصبروا على الحاجة مع العفاف خير لكم من الزواج بهن لخشية العنت ، فأفاد أن المراد بخشية العنت خشية عدم الصبر على الحاجة أو خشية المشقة الشديدة بمصابرة الحاجة فأما خشية الضرر الشديد في البدن كالجنون فهو نادر يبعد أن يعلق عليه جواز نكاحهن ويبعد الترغيب في الصبر مع خشيته ، وهذا هو ظاهر كلام الشرفي رحمه الله في [المصابيح] وصاحب الكشاف ، فأما صاحب [الصحاح] فقال : العنت الإثم وقد عنت الرجل ، وقال تعالى: { عزيز عليه ما عنتم } وقوله: { ذلك لمن خشي العنت منكم } يعني الفجور والزنا ، والعنت أيضا الوقوع في أمر شاق ، وقد عنت وأعنته غيره ، ويقال للعظم المجبور إذا أصابه شيء فهاضه قد أعنته فهو عنت ومعنت ، وجاءني فلان متعنتا إذا جاء يطلب زلتك انتهى .

فظهر منه أن ما فسرنا به أرجح ، وأنه لا يقال العنت في العظم المكسور بل الإعنات ، وفي [لسان العرب] : العنت دخول المشقة على الإنسان ولقاء الشدة انتهى .

وقد زاد أنه قد يستعمل بمعنى الهلكة ولكن هذا لا يستقيم في سياق هذه الآية مع أنه زائد على الحقيقة كما يظهر من كلامهم . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٥/٢)

والله غفور رحيم (٢٥) (١)

---

(١) . { والله غفور رحيم (٢٥) } : فلا موجب للمبالغة في الحذر من تزوج الإماء بل متى وجد الإنسان من نفسه خشية العنت جاز له أن يتزوجها ولا يضره احتمال أنه يصبر ، وكذلك متى كان

ظاهرها الإيمان جاز له تزوجها وليس عليه جناح إن أخطأ الواقع ، وكذلك متى كان الظاهر عنده العجز عن تحصيل طول حرة لأنه لم يجد وسيلة وقد نظر فلم يخطر بباله وسيلة لطول حرة صح له تزوجها من هذه الجهة ولا يضره لو كان مخطئاً في ظنه ، فقوله تعالى: { والله غفور رحيم } تشجيع على هذا الزواج متى كان الظاهر تكامل شروطه ليتزوج الأعزب المحتاج اتكالا على مغفرة الله ورحمته لما في ذلك من مصلحة الإحصان وسد الذريعة على الشيطان .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٦/٢)

يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم (٢٦) (١)

(١) . { يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم (٢٦) } : { يريد الله } إنزال الآيات السابقة في هذه السورة { ليبين لكم } حتى تعرفوا ما شرع فيها ولا يخفى إلا على معرض عن تفهم القرآن ، وهذه اللام التي يقال إنها زائدة أعتقد أنها تأتي حيث يحذف المراد الحقيقي ويذكر ما لأجله أريد فهي لام التعليل كما قال الشاعر :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل

فالمعنى أريد أن أتناسى ذكرها لأنسى ذكرها فحذف المراد الحقيقي اختصارا لدلالة العلة عليه وأقيمت علته مقامه فقيل اللام زائدة بناء على أن العلة هي المراد ، فالآية الكريمة على ما فسرت تبين لماذا أراد الله ما سبق من الآيات ، وإذا قلنا يريد الله أن يبين لكم فات هذا المعنى { ويهديكم } : بما نزل في أوائل هذه السورة { سنن الذين من قبلكم } : من الذين أنعم الله عليهم من النبيئين وأتباعهم { ويتوب عليكم } : إذا اتبعتموه وتركتم ما كنتم عليه في الجاهلية من ظلم اليتامى والنساء وتزوج امرأة الأب والجمع بين الأختين والزيادة في عدد الزوجات المفرطة وغير ذلك ، والله عليم بما تحتاجون إليه من ذلك وما هو الخير لكم وما تقتضيه الحكمة وكل شيء ، حكيم في أقواله وأحكامه وأفعاله وكل شأن من شأنه سبحانه وتعالى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٧/٢)

والله يريد أن يتوب عليكم (١)

---

(١) . { والله يريد أن يتوب عليكم } :
فانظر كيف لم يأت باللام ولو أتى بها لكان تكرارا لقوله تعالى : { ويتوب عليكم } فبان الفرق ، وأن اللام هي لام التعليل لا زائدة ، فهنا يبين أنه يريد أن نطيعه ونتوب إليه ليتوب علينا إلا أن هذه الإرادة ليست إرادة جبر أو إلجاء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٨/٢)

ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما (٢٧) (١)

---

(١) . { ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما (٢٧) } : وهذا تحذير من الذين يتبعون الشهوات لئلا يستميلونا عن سبيل الله فنميل ميلا عظيما كما يريدون ، والشهوات: ما تشتهي الأنفس من أغراض الدنيا ، فالذين يتبعون الشهوات هم الذين يتبعون ما تهوى الأنفس ، وهو يعم ما تهواه بالأصالة كالنساء ، وما تهواه لغضب أو عداوة أو نحوها وإن كان في الأصل مما تكرهه النفس لولا الغضب أو العداوة أو نحوها فهو عام للمعاصي كلها ؛ لأنها لا تخرج عنه ، فينبغي الحذر ممن يتبع هواه على الإطلاق .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٩/٢)

يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا (٢٨) (١) يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم (٢)

---

(١) . { يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا (٢٨) } : التخفيف ضد التثقيل فالمراد تخفيف التكاليف بما سهل من أسباب تيسير التكليف كإباحة تعداد الزوجات ، وجعل ميراث الأنثى في بعض المواريث نصف ميراث الذكر ، وإباحة الإماء للضرورة ، وغير ذلك من الأحكام ، وخلق الإنسان ضعيفا : ضعيف الصبر ، وضعيف الإرادة والعزم ، وضعيف الثبات فاحتاج إلى تخفيف الله عنه فخفف عنه برحمته وكرمه وحكمته .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم } :

يعبر بالأكل عن أخذ المال للتصرف فيه سواء كان مأكولا أو غير مأكول وذلك علىطريقة التغليب ، أو للتشنيع كما قال تعالى : { وتأكلون التراث أكلا لما } وقوله : بينكم يشعر بالتعامل والأخذ والإعطاء الذي يكون المال فيه بين الآخذ والمعطي في مكان التعامل ، وقوله: بالباطل أي بالسبب الباطل الذي لا يثبت به حق كالربا وحلوان الكاهن وكسب المغنية وكسب الزانية والرشوة والأجرة على حق واجب على العامل ونحو ذلك { إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم } : فهي حلال للبائع والمشتري ، والتجارة يقصد فيها تحصيل الربح ، وهو في الصورة إلى غير مقابل ولكن الله أحله ، ويلحق بذلك التبايع بدون ربح فحله أظهر ، وقوله : عن تراض منكم يخرج ما كان أحد المتبايعين مكرها أو كلاهما فلا يحل به المال المأخوذ به . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ولا تقتلوا أنفسكم (١)

---

(١) . { ولا تقتلوا أنفسكم } : يعم قتل الإنسان نفسه وقتله أخاه المؤمن كقوله تعالى : { وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ..إلى قوله تعالى : ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم } وذلك أنها جعلت الجملة كالشيء الواحد ، فالفرد كالعضو إذا جرح عضوا من صاحبه قيل

جرح نفسه ، وهذا المعنى يشير إلى أن ضرر القتل على الجملة لأن المقتول نقص منها ، ونظير ذلك قول الشاعر :

قومي همو قتلوا أميم أخي ... فإذا رميت يصبني سهمي

فلئن عفوت لأعفون جللا ... ولئن سطوت لأوهنن عظمي

مع أنه لا سواء لأن الإسناد في الآية إلى الجملة كما ذكرت بخلاف البيتين .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال بعضهم اتفقوا على أن هذا نهي عن أن يقتل بعضهم بعضا ، وإنما قال : أنفسكم كقوله : المؤمنون كنفس واحدة ، ولأن الجنس واحد ، وهو مثل قوله تعالى : { فإذا دخلتم بيوتا فسلموا علىأنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة } أي فليسلم بعضكم على بعض ؛ ولأن العرب يقولون قتلنا ورب الكعبة إذا قتل بعضهم ..إلخ .

قلت : وفي القرآن الكريم : { لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا } ولا إشكال في أن قوله تعالى : { ولا تقتلوا أنفسكم } يعم قتل المؤمن نفسه بأي وسيلة ، ويدخل فيه الغسل من الجنابة في البرد القاتل وغير ذلك . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٥١/٢)

إن الله كان بكم رحيما (٢٩) (١) ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا (٣٠) (٢)

---

(١) . { إن الله كان بكم رحيما (٢٩) } :

فلا يرضى أن تقتلوا أنفسكم بغير حق ، ولعله يخرج منه فداء الإسلام والمسلمين مما يكون الضرر فيه أشد من قتل الواحد كالمترس بهم في الحرب ليؤخذ أرض المسلمين ، وكالفدائي الذي يقتل بالمتفجرات أمة من الكفار ليخرج الكفار من أرض المسلمين ، ولكن هذا الإستثناء يحتاج إلى دليل ، فإن كان العقل يدل عليه فهو يجري مجرى التخصيص بالقول ؛ لأنه يستغنى بعلم السامع عن التخصيص بالقول . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا (٣٠) } :

}

ومن يفعل ذلك } : يقتل نفسه أو غيره الإشارة إلى الآخر وهو الذي في [المصابيح] والكشاف ، وقرينته قوله تعالى : { عدوانا وظلما } وإن كان الكل ظلما { فسوف نصليه نارا } : قال في [الصحاح] ويقال : صليت الرجل نارا إذا أدخلته فيها وجعلته يصلاها ، فإن ألقيته فيها إلقاء كأنك تريد إحراقه قلت : أصليته بالألف وصليته تصلية ، وقرئ : ويصلى سعيرا ، ومن خفف فهو من قولهم : صلي فلان النار بالكسر يصلى صليا احترق انتهى المراد ومثله في [لسان العرب] .

وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام لغريب القرآن : { سوف نصليهم نارا } معناه نشويهم بالنار وننضجهم بها انتهى .

وفي [الصحاح] أيضا : وصليت اللحم وغيره أصليه صليا مثال رميته رميا إذا شويته ، وفي الحديث : إنه عليه الصلاة والسلام أتي بشاة مصلية أي مشوية انتهى ، ونحو هذا في مفردات الراغب و[لسان العرب] ، وفي [لسان العرب] : قال الكسائي المصلية المشوية ، فأما إذا أحرقته وأبقيته في النار قلت : صليته بالتشديد وأصليته انتهى ، فهو عنده أشد من الإنضاج وقول الإمام زيد معناه نشويهم يشعر بمباشرتها لأجسادهم وأرواحهم كما تباشر ما يشوى من اللحم { وكان ذلك على الله يسيرا } : فلا مشقة عليه من أجل رقة تحصل عند ذلك ، أو مدافع ينصرهم ، أو نقص عليه في ملكه بهلكهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٥٢/٢)

إن تجتنبوا tچح !$t6ں٢ ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما (٣١) (١)

---

(١) . { إن تجتنبوا tچح !$t6ں٢ ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما (٣١) }
:

{ كبائر ما تنهون عنه } :كالقتل عدوانا وظلما ، فخرج القتل خطأ فهو صغير ، وقد قيل الخطأ غير داخل في النهي ، قلنا : بل هو داخل فيه وإن لم يدخل في الوعيد ، ألا ترى أن قوله تعالى : { ولا تقتلوا أنفسكم } يعم العمد والخطأ ، وقوله تعالى : { ولا تقربوا الزنى } كذلك ، فإن قيل : إنه لا يستطاع اجتنابه فليس معصية ، وعموم الأدلة مخصوص بالعقل ، قلنا : ليس كله لا يستطاع تركه ، ألا ترى أن بعضه يمكن تركه باستعمال الحذر والإحتياط وهو مستطاع ، ولعل ذلك سبب إيجاب الكفارة في القتل خطأ وإيجاب الدية والأرش علىكل حال في العمد والخطأ ، وقال تعالى : { ومن يكرههن فإن

الله من بعد إكراههن غفور رحيم } ولعل هذا خاص بالإكراه على الزنا لأن ما يبيحه الإكراه لا يسمى معصية ، كيف وقد أذن الله به ، فالحاصل أن الخطأ الذي يمكن الإحتراز منه معصية وكذلك النسيان ، وإذا كانت معاصي فهي صغائر بلا إشكال ، والعمد كبائر بالنسبة إلى الخطأ والنسيان ، ومع هذا فالكبائر متفاوتة في الكبر فما وصف في القرآن أو السنة بالكبر أونحوه فهو كبير بالنسبة إلى ما هو دونه من المعاصي المتعمدة ، وكذلك ما جاء فيه وعيد خاص به لأنه يفهم من تخصيصه أنه زائد في القبح زيادة سببت للوعيد عليه بخصوصه .

فإن قيل : ما عدا الموصوف بالعظم ونحوه والمتوعد عليه بخصوصه من سائر المعاصي يحتمل الصغر والكبر ، قلنا : قد حققنا أن المتعمد من ذلك كبير بالنسبة إلى الخطأ والنسيان ، ولا ينافي ذلك أن بعضه صغير بالنسبة إلى تلك الموصوفة بالعظم أو المتوعد عليها بخصوصها ؛ لأن ما هو كبير بالنسبة إلى الخطأ والنسيان قد دخل في عموم : كبائر ما تنهون عنه ، ولا ينافي ذلك وصفه بالصغر بالنسبة إلى ما هو أعظم منه ؛ لأن الحكم في الآية الكريمة معلق على الكبر ، ولا ذكر فيها للصغر ، فما صدق عليه اسم الكبر من حيث هو منهي عنه متعمد بلا تأويل لا يخرجه منها كونه صغيرا بالنسبة إلى العظائم المخصوصة ؛ لأن ذلك لا يرفع عنه اسم الكبر من حيث هو منهي عنه متعمد بلا تأويل ؛ لأن قبحه كبير من حيث هو معصية لله جل جلاله المنعم بالنعم العظمى المستمرة التي لا نحصيها عددا ، ومن حيث قد قامت الحجة على فاعله وعظمت بالمواعظ والعبر وغير ذلك ، فالإساءة إلى الله المالك المنعم باستعمال نعمه في معصيته أو الإشتغال عن طاعته باستعمال نعمته إساءة قبيحة عظيمة القبح ، فالمتعمد بلا تأويل كله كبير .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قلت وعند الناصرية ، وهو ظاهر كلام الهادي عليه السلام ، وصريح قول المرتضى وقول القاسم بن علي العياني عليهم السلام وغيرهم وبعض البغدادية : كل عمد كبيرة انتهى المراد .

وقد يعترض هذا القول بأن الخطأ والنسيان لا يؤاخذ به صاحبه ولو لم يجتنب الكبائر ، والجواب : أنه قد مر عند تفسير قول الله تعالى: { ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا } أن تكفيرها سترها بحيث لا يرونها في الآخرة حسرات عليهم ، وليس المراد نكفر عنكم سيئاتكم الخطأ والنسيان فقط بل كل السيئات الماضية قبل الإيمان ، وقد روى الناصر عليه السلام في البساط قال : وحدثنا بشر قال حدثنا وكيع بن الجراح قال حدثنا الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : قلنا يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية ؟ فقال : ((من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء أخذ بالأول والآخر)) انتهى ، بشر وثقه صاحب طبقات الزيدية في نسمات الأسحار ، وروى عنه الناصر عليه السلام في البساط فأكثر وهو من مشائخه ، والحديث في جامع البخاري المسمى الصحيح [٤٩/٨] حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا سفيان عن منصور والأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكره بتمامه ، وهو في مسلم [١٣٥/١] عنوانه في شرح النووي: باب هل نؤاخذ بأعمال الجاهلية:

حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل إلى آخر السند والحديث بلفظ : ((أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها ، ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام)) ثم قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبي ووكيع ح وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبه واللفظ له حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي وائل إلى آخر السند والحديث ، ثم قال حدثنا منجاب بن الحارث التميمي أخبرنا علي بن مسهر عن الأعمش بهذا الإسناد مثله ، وأخرجه ابن ماجة في سننه في أبواب الرقاق [٥٦٠/٢] حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا وكيع وأبي عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله فذكره ، وشقيق هو أبو وائل ، وهو في سنن الدارمي ، ومسند أحمد من طرق فهذا الحديث شاهد لما فسرنا به الآية الكريمة ، وقد احتج الناصر في البساط لذلك فراجعه.

{ وندخلكم مدخلا كريما } : والمدخل الكريم هو الجنة فيها كرامة أولياء الله ، ووصفت بالكرم لما تعطي أهلها من الإكرام والإحسان .

وقال الشرفي في [المصابيح] : قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام دلت الآية الكريمة على وجوب اجتناب الكبائر وعلى أن اجتنابها سبب للتوفيق الموصل إلى التوبة التي يكفر الله بها سائر الذنوب انتهى المراد .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٥٣/٢)

ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض (١) للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن (٢)

---

(١) . { ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض } : في المواريث وغيرها لأن هذا التمني يستلزم كراهة بقاء النعمة لصاحبها الذي فضله الله بها ، وذلك حسد فلا ينبغي لمؤمن ولا بأس بتمني مثله بشرط الرضى بقسمة الله والصبر عليها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن } : لما كان التفضيل بين الرجال والنساء ظاهر ومتعدد الجهات خصهم الله بهذا يبين أن لكل جنس منهما نصيبا مما اكتسب فالفرصة في هذه الحياة متاحة للرجال أن يكتسبوا لأنفسهم من خير الدنيا ومن خير الآخرة ، وهي للنساء كذلك وإن اختلف الكسب ، وكأن هذا الكلام تسلية للمفضل عليه بالملك القهري أن الله قد مكنه من كسب

الخير الكثير في دينه ودنياه .

فأما قوله تعالى: { نصيب مما } ولم يقل للرجال ما اكتسبوا وللنساء ما اكتسبن ، فالأقرب عندي والله أعلم أنه تزهيد في كسب المال ؛ لأنه يشير إلى أنه لا ينتفع به كله فكأن مالا ينتفع به ليس له كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : لكل امرئ في ماله شريكان الوارث والحوادث ، بل في الحديث عن النبي : ((ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت)) .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٥٤/٢)

واسألوا الله من فضله (١) إن الله كان بكل شيء عليما (٣٢) (٢)

---

(١) . { واسألوا الله من فضله } : وهذه وسيلة عظمى ينال بها الخير ممن بيده الخير فلا ضرورة لتمني ما في يد الغير وبدلا من ذلك يستغني المرء بالإكتساب والدعاء الذي ينال به الداعي من فضل الله الذي لا يعسر عليه خيرا كثيرا ، وينبغي السؤال لما ينجي من النار ويؤدي إلى الجنة والدرجات العلى فيها ؛ لأن ذلك الخير الباقي فأما كثرة المال فلا تبقى لصاحبها ولا يبقى صاحبها لها .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { إن الله كان بكل شيء عليما (٣٢) } : فهو عليم بمن يتمنى وتمنيه ، ومن يصبر وصبره ، ومن يكتسب ومن يدعوه ، وما اكتسب المكتسب ، وما طلب الداعي وعليم بكل احوالهم وبكل شيء ، فهو بصير بقضاء الحاجات وتفريج الكربات ودفع المصيبات ، لطيف لما يشاء فينبغي اغتنام الدعاء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٥٥/٢)

ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون (١) والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم (٢)

---

(١) . { ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون } :
فقد قسم سبحانه ما ترك الوالدان والأقربون فالقسمة باقية لا تنسخ بما يجعل للموالي بالموالاة ، وقوله: { جعلنا موالي } هم الوراث الذين هم أهل ما قسم لهم ، فكأنه تعالى قال : جعلنا أهلا وملاكا ، كقول الشاعر :
وإن مولاك لم يسلم ولم يصد .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم } :
{ عاقدت أيمانكم } : عاهدتموهم على علاقة تقوم مقام الأخوة في النسب ، قال في [المصابيح] : أي ماسحتموهم بأيديكم حال المحالفة ، والمراد هنا مولى ا لحلف لا مولى العتاق انتهى .

قال صاحب الكشاف : وكان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك ، وهدمي هدمك ، وثأري ثأرك ، وحربي حربك ، وسلمي سلمك ، وترثني وأرثك ، وتطلب بي وأطلب بك ، وتعقل عني وأعقل عنك ، فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ انتهى .
فظهر أن المعاقدة والتعقيد هي العقد بالكلام ، ونسب إلى الأيدي لاقترانه بالمصافحة { فآتوهم نصيبهم } : من التركة ظاهره أنه نصيب معهود فلعله السدس وليس ميراثا ؛ لأن الله تولى قسمة المواريث فلا تثبت بعهد ولا تنتفي ولكنه وصية فوجب إيتاؤه ولم ينسخ إلا كونه ميراثا بالولاء ، وإنما جعلته وصية لقولهم: ترثني وأرثك وعلى هذا فله حكم الوصية كالإقرار بالوارث وهذا هو المفهوم من جملة الآية أنه ليس وارثا ولكن يؤتى نصيبه . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٥٦/٢)

إن الله كان على كل شيء شهيدا (٣٣) (١)

---

(١) . { إن الله كان على كل شيء شهيدا (٣٣) } :
فهو شهيد على عقد المحالفة ، وشهيد على إيتائهم إن أوتوا ، ومنعهم إن منعوا فتجب مراقبته والحذر

من معصيته .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(٥٧/٢)

الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم (١)

---

(١) . { الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم } : المرأة ضعيفة بالنسبة إلى الرجل من أصل خلقها وطباعها ، ومن أجل اشتغالها بالحمل والرضاع وحضانة أولادها ، فهي محتاجة إلى قيام الرجل عليها لحفظها وحمايتها وصيانتها والإنفاق عليها والقيام بأمورها التي يقوم بها الرجال ، فقوامون: مثال مبالغة لقائمين لتكرر القيام وتعدد جهاته ، فالمرأة تقوم على أطفالها ، والرجل قائم عليها وعلى أولاده ، فهو مدير الأسرة والقائم بأمورها بما فضل الله بعضهم وهم الرجال على بعض أي على النساء ، فالرجل أصلح للقيام بالأسرة وعليها لما عنده من الكفاءة لهذه الوظيفة ، وبما أنفق من ماله على زوجته وعياله ، فقد أغناها عن السعي للمعيشة ومكنها من القيام بعملها في البيت لتحضن أولادها لشدة حاجتهم إليها ، ولتحفظ نفسها عما يؤدي إليه التكسب من مخالطة الأجانب في كثير من الحالات ، ولتبقى في بيته ليسكن إليها بما أنفق من مهرها فيستغني بها عن الحرام ، وتستغني به فالقيام على المرأة هو القيام بمصالحها ، وهو يستلزم الأمر والنهي في هذا الشأن ، وليس معناه مجرد ولاية أمر ونهي كيف شاء الرجل ولو خارج مصلحتها وحقه الواجب عليها له الذي ثبت بدليل آخر . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٥٨/٢)

فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله (١) واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن (٢)

---

(١) . { فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله } : { قانتات } : مطيعات لا يتكبرن عما يجب عليهن لأزواجهن ، بل يخضعن لأمر الله ويتواضعن للأزواج .

{ حافظات للغيب بما حفظ الله } : الغيب : ما غاب عن الزوج من أنفسهن ومسكنهن وما بأيديهن من ماله وأولاده ، فهن أمينات على ذلك لا يقصرن في حفظه وحفظها لذلك إنما هو بحفظ الله ومعونته ووقايته ، فعليهن وعلى أزواجهن طلب الحفظ منه وشكر نعمته عليه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن } :

{

اللاتي تخافون نشوزهن } : خلاف الصالحات لخروجهن عن القنوت بإظهار الترفع على الزوج والإستخفاف به وعدم المبالاة بحقه أو إظهار عدم الرغبة فيه ، أو إظهار الرغبة في غيره ، أو نحو ذلك من مقدمات النشوز ودلائله التي يخرجن بها عن حقيقة الصالحات { فعظوهن } : ازجروهن عن النشوز بتذكيرهن عقاب الله وشدة عذابه ، وأن الله هو الذي أوجب حق الزوج عليهن كما أوجب عليه حقوقهن ، فعليها أن تراقب الله وتخشاه ، ومن الوعظ تخويفها بأي شيء يحق له كالضرة ، قال في مفردات الراغب: الوعظ زجر مقترن بتخويف { واهجروهن في المضاجع } : هجرها ترك وصلها والإعراض عنها ، والمراد أن يهجرها مؤقتا ليكون ذلك تاديبا لها ، وليس المراد إخراجها من داره أو تحوله في دار أخرى ، إنما هو أن يكون في مضجعه ويتركها في مضجع آخر ولو في منزل واحد ، والمضجع : مكان مد الجسم للنوم أو غيره قال الشاعر :

إذا ما الضجيع ثنى عطفها ... تثنت فكانت عليه لباسا

{ واضربوهن } : والمراد ضرب تأديب لإصلاحهن لا الضرب الشديد لأنه موحش ومسبب للفرقة ، وفي الحديث عنه : ((الرفق يمن ، والخرق شؤم)) .

ولعل المراد الترتيب في هذه الأدوية لإصلاحهن كما رتبن في الآية فيبدأ بالوعظ بقدر ما يستطيع بكلام رفيق ولين ، وبدون سب وتأثيم منفر فلا يقل: يافاجرة يا عدوة الله ، ثم إذا لم ينفع الوعظ انتقل إلى هجرها في المضجع مؤقتا ولو ليلة أو أكثر ما لم يؤد إلى يأسها منه أو تصلح بأقل مدة منه ، فإذا لم ينفع انتقل إلى قليل من الضرب ليدل به على شدة استنكاره لنشوزها ويخيفها به من زيادة الضرب إن لم تصلح ، ولا ينبغي للزوج المبالغة والإستقصاء في طلب حقوقه عليها بل ما كان معلوما كالجماع إذا عرف أنها تمتنع منه لغير عذر بل تمردا ، فأما لعذر كجوع أو تعب أو حزن فيمهلها ولا يحوجها إلى النشوز باستعمال التأديب ونيتها طاعته ؛ لأن ذلك غير المقصود في الآية ، وأما إذا امتنعت عن أمر فيه خلاف هل يجب عليها فيبدأ بمحاكمتها إما لتعرف الواجب عليها وإما لمنع الشقاق أعم من ذلك كما

قال تعالى : { وإن خفتم شقاق بينهما } الآية. كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٥٩/٢)

فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا (١) إن الله كان عليا كبيرا (٣٤) (٢)

---

(١) . { فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا } :

لا تطلبوا سبيلا لأذاهن أو للتقصير في حقوقهن بالتماس ما تجعلونه ذنبا منهن تجعلونه وسيلة لإساءة عشرتهن وهذا قد يقع من الزوج ليؤديها إلى أن تفتدي نفسها منه كما مر وقد يقع منه عملا بأوهام لا يعمل بها في الشرع ، وقد يكون سببها مرض فيه وضرر في أعصابه كما يصدر ممن يكثر من القات ، وقد يكون جهلا من الزوج وميلا إلى الشقاق . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { إن الله كان عليا كبيرا (٣٤) } :

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] وعلوه لا بالجهة ، وكبره لا بكبر الجثة بل هو علي كبير بكمال قدرته ، ونفاذ مشيته وذكر هاتين الصفتين في هذا الموضع في غاية الحسن وبيانه من وجوه :

الأول : أن المقصود منه تهديد الأزواج على ظلم النسوان ، والمعنى أنهن إن ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الإنتصاف منكم فالله سبحانه علي قاهر كبير قادر ينتصف لهن منكم ويستوفي حقهن منكم ، فلا ينبغي أن تغتروا بكونكم أعلى يدا منهن .. إلخ كلامه فمن حيث أن الله علي ينبغي أن نخشاه لأنه القاهر فوق عباده الغالب على أمره ، ومن حيث أن الله كبير ينبغي أن يخشاه ويستحيي منه عبده الحقير الذليل المحتاج إليه في كل حال ، بل يخشع له لعظمته وجلاله . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٠/٢)

وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا (٣٥) (١)

(١) . { وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا (٣٥) } :

{

وإن خفتم } : خطاب لقيادة الأمة القائمة بشؤونها أهل الصلاح والصلاحية لذلك فعليهم أن ينظروا في أمور المسلمين ، ومنها مشاكل الأسرة التي هي مظنة الشقاق ثم الطلاق فيسعوا لحل المشاكل ببعث حكمين أي إرسالهما إلى محل الأسرة أحدهما من أهل الزوج أي قرابته ، والآخر من أهلها أي قرابتها ، ويتخيروا الحكمين من عقلاء الرجال الذين هم مظنة الإصلاح لا التعصب للقرابة بالميل مع القريب فهما مظنة تقوية الشقاق إذا لم يكونا صالحين مصلحين ، { إن يريدا إصلاحا } : إن يرد الزوجان إصلاحا من الحكمين وكانت نيتهما صلاح الزواج وحل المشكلة { يوفق الله بينهما } عند حضور الحكمين إما بإصلاح الحكمين أو بأن ينتبه المخطئ لخطأه عند حضورهما إذا خشي أن يشددا عليه أو أتهمهما بقصد الإفساد ، فبتوفيق الله بينهما يذهب الشقاق ويخلفه الوفاق { إن الله كان عليما خبيرا } : فهو يعلم ما في قلوب الزوجان من النيات الصالحة أو الفاسدة ، ويعلم ما يصلح شأنهما وهو عالم بخبرهما وباطن سرهما ؛ لأنه عليم بكل شيء خبير بكل سر . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦١/٢)

---

* واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا (١)

---

(١) . { * واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا } :

{ اعبدوا الله } : بطاعته والخضوع له ، وإخلاص العبادة له ، فهذه عبادته لا تتم إلا بأن نجعل أنفسنا عبيدا له وحده لا شريك له ، فلو عبدنا غيره لم تتم لنا عبادته ، ألا ترى أن الأنبياء يأمرون قومهم بعبادة الله ما لهم من إله غيره فقد جعلوهم غير عابدين لله حين كانوا مشركين لأنه لا يقبل منهم مع الشرك بعض عبادة ؛ ولأنهم لم يجعلوا أنفسهم في حال الشرك عبيدا لله وحده ، فلم يعبدوه ، بدليل قوله تعالى : { لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر } فدل على أن معنى العبادة أن تجعل نفسك عبدا لله ، فإذا جعلت نفسك لله ولشريك معه كنت لم تجعل نفسك لله إنما جعلت بعضك ، وعلى هذا جرى خطاب الأنبياء لأممهم انظر سورة

الأعراف ، وقول نوح : { يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره } وقول هود مثل ذلك ، وصالح ، وشعيب عليهم السلام .

وقوله تعالى : { ولا تشركوا به شيئا } نهي عن أن نجعل له شريكا في شيء من صفاته وما يتبعها كعلم الغيب والقدرة الخارقة والمشاركة في الملك أو في الحكم أو في الربوبية ، وكونه تعالى لا شريك له في ذلك حجة على من أشرك بعبادته غيره بعبادة غيره معه ، أو بالرئاء ، فمفهوم الإشراك غير مفهوم الإشراك بعبادته .

وقوله تعالى : { وبالوالدين إحسانا } قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : واتفقوا على أن هاهنا محذوفا والتقدير وأحسنوا بالوالدين إحسانا ، كقوله: فضرب الرقاب أي فاضربوها ، ويقال: أحسنت بفلان وإلى فلان كقول كثير :

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت

قلت : أعتقد أن الإستعمال الشائع تعدية الإحسان بـ(إلى) فإذا كانت تعديته بالباء قليلا فالأولى جعله من التضمين لمعنى اللطف أو الرفق وكذلك اسيئي بنا ، فالشائع أن يقال: أساء إليه ، فالأولى أنه أراد أوقعي بقلوبنا السوء بالهجر ونحوه فعداه بالباء لئلا يوهم ، أو صلي إلينا سوءا بقول أو فعل ؛ لأنه لا يريد وصفها بالتعدي والظلم أو أنها مظنة ذلك .

والإحسان بالوالدين شكر لنعمتهما على الولد فإذا وجب لحقهما على الولد فبالأولى أن تقبح الإساءة إليهما ، وقد جاء في الحديث الزجر عنها وأنها من الكبائر ، وفي رواية من أكبر الكبائر . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه .

وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم (١)

---

(١) . { وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم } :

فقد أمرنا أن نحسن بهؤلاء ، وذو القربى صاحب القرب من النسب ، وفسرهم أهل المذهب بمن ولده

جدا أبويه فعم هذا التفسير الأعمام والأخوال وذرياتهم وعم الأجداد والجدات الأسفلين ، وهذا في ذي القربى ، فأما الأقربون ففيه تفضيل في قرب النسب ، فلا يعم أهل القربى كلهم وإنما هم من جاء ذكرهم في المواريث في القرآن ، قال تعالى: { ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون } فهم الإخوة مع الوالدين والأولاد ، وأما قوله تعالى: { وأنذر عشيرتك الأقربين } فعم الأعمام فهم أقرب من سائر العشيرة بعد هم .

وفي [لسان العرب] من رواية عن الزجاج : والقرابة والقربى الدنو في النسب ، والقربى في الرحم وهي في الأصل مصدر ، وفي التنزيل العزيز: { والجار ذي القربى } ثم قال: وأقارب الرجل وأقربوه عشيرته الأدنون ، وفي التنزيل: { وأنذر عشيرتك الأقربين } وجاء في التفسير : أنه لما نزلت هذه الآية صعد الصفا ونادى الأقرب فالأقرب فخذا فخذا يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس يا صفية إلخ .

وأقول: إنه قد اعتمد الرواية في تفسير الأقارب وألفاظها مختلفة ، فأخرج الطبري في تفسيره بإسناده عن عائشة قالت: لما نزلت هذه الآية : { وأنذر عشيرتك الأقربين } قالت: قال رسول الله : ((يا صفية بنت عبد المطلب ، يا فاطمة بنت محمد ، يا بني عبدالمطلب أني لا أملك لكم من الله شيئا ، سلوني من مالي ما شئتم)) وروى مثله بسند آخر ، ثم روى بإسناده مثله عن عروة بن الزبير ، وقال الطبري : حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن نمير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : وأنذر عشيرتك الأقربين ، قام رسول الله على الصفا ثم نادى يا صباحاه فاجتمع الناس إليه فبين رجل يجيء وبين آخر يبعث رسوله فقال يا بني هاشم ، يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني يا بني .. إلخ .

وهذه الرواية لا تدل على أنهم كلهم عشيرته الأقربون ؛ لأنه نذير للأقربين والأبعدين فمن الجائز أنه عم بالدعوة ليأتي الأقربون والأبعدون ليعم الكل ويخص الأقربين بقوله : يا بني عبد المطلب ، ويدل على ذلك ما رواه الطبري بإسناده عن علي عليه السلام قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله : { وأنذر عشيرتك الأقربين } دعاني رسول الله فقال لي : ((يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين)) قال : فضقت بذلك ذرعا وعرفت أني متى ما أنادهم بهذا الأمر أر منهم ما أكره فصمت حتى جاءني جبريل فقال : يا محمد أنك إن لا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلا إلى آخر الرواية ، وهي في تفسير الطبري وتاريخه في تاريخه نحوها بسند آخر تقوي هذه الرواية وإن لم تكن مثلها في اللفظ ، ورواها أبو نعيم في دلائل النبوة ، والبيهقي في دلائل النبوة .

فظهر أنهم الأقربون من العشيرة ، فأما الأقربون من ذوي القربى فهم الوالد والولد ، وألحقنا بهم الإخوة

لدخولهم في تفصيل ما أجمله قوله تعالى: { للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون } فأما الأعمام فإنما ورثوا بالتعصيب والدليل على ذلك أن العمة لا ترث إلا مع ذوي الأرحام بخلاف الأخت .

وقوله تعالى : { واليتامى } قد مر ذكرهم والتحذير من ظلمهم ، وهذا أمر بالإحسان إليهم لتأنيسهم والجبر من ضعف يتمهم .

وقوله تعالى: { والمساكين } هم مثل اليتامى فيحسن إليهم ولو لم يعطوا ، فالإحسان أعم من العطاء فلا يترك الإحسان بالقول ونحوه عند تعذر العطاء ، وقد مر تفسيرهم .

وقوله تعالى: { والجار } هو المجاور في المسكن أي من كان مسكنه قريبا من مسكنك ، وقد جاء في أهل المقبرة : جيران لا يتزاورون ، وأنشد لأمرئ القيس :

أجارتنا إن الخطوب تنوب ... وإني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا أنا مقيمان هاهنا ... وكل غريب للغريب نسيب

وللسموأل :

وما ضرنا أنا قليل وجارنا

١@عزيز وجار الأكثرين ذليل

فلا يشترط في الجوار الملاصقة ، وقوله تعالى : القربى ، تنبيه على أن له حق الجوار مع كونه قريبا ، وكانت الجاهلية غافلة عن هذا وكانت تفتخر بحماية الجار الأجنبي مع أن الجار ذا القربى له حق الجوار وحق الرحامة .

وقوله تعالى : { والجار الجنب } الجنب : الأجنبي ، قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : والإحسان إليهم بالمواساة والنصرة وحسن العشرة وكف الأذى انتهى .

قلت : الأذى إساءة فتحريمه من المفهوم ، ولعله يدخل في حسن العشرة التعليم للقرآن والتربية الدينية إن أمكن ، والنصائح التي يحتاجها الجار ، وطلاقة الوجه ، والإبتسامة ، والكلمة الطيبة ، وغير ، ذلك فالإحسان لا حد له ، وقوله تعالى : { والصاحب بالجنب } الذي يصحبك ويكون معك مستمرا أو في حالة الصحبة ، وقوله تعالى : { بالجنب } يخص الذي حولك فيخرج المبتعد عنك ، وهو يعم الصاحب في السفر حال السفر ، والصاحب : الزميل في طلب العلم مثلا والصاحب في معمل وغير ذلك حتى الصاحب في السجن ، وقد دخلت فيه الزوجة التي تكون معك في مسكن او غيره فهي صاحبة للزوج والزوج صاحب لها فقد دخلا في عموم الآية ، ولذلك فسره الإمام زيد بن علي عليهما السلام بالمرأة ، وروي ذلك عن علي عليه السلام ، وحقوق الصحبة تختلف وتتفاوت .

وقوله تعالى : { وابن السبيل } قالوا : هو المسافر الذي انقطع عن بلده ، وعبارة الراغب : ابن السبيل المسافر البعيد عن منزله ، نسب إلى السبيل لممارسته إياه انتهى . قلت : لعله نسب إلى السبيل

ليحسن إليه ولو كان غريبا مجهولا لغربته فيحسن إليه لأجل السبيل أي لكونه فيه غريبا ، ولا يوقف الإحسان إليه على معرفته ومعرفة أبيه .
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : والإحسان إليه إيواؤه ومعونته وإعطاؤه حقه انتهى . يعني إطعامه وسقيه وإيواؤه جعله في بيت يبيت فيه ، وهذا الإحسان غير حقه من الزكاة كما مر في قوله تعالى : { ولكن البر من آمن بالله .. } الآية ، وما ملكت أيمانكم : العبيد والإماء والبهائم .
قال الشرفي رحمه الله : حتى الهرة والدجاجة . قلت : ويحتمل أنه خاص بالعبيد والإماء لأن السياق في الناس ولأن هذا الإسم كثر استعماله في الإماء خاصة وفي الإماء والعبيد ولعله بسبب نسبة الملك إلى اليمين بخلاف الأنعام فقد قال تعالى : { فهم لها مالكون } وهذا هو الراجح وإن كان الإحسان إلى الأنعام من خلق أهل الدين ، وقد جاء الحث في الحديث على الإحسان اليها أو الرفق بها لكن لم يثبت نسبة ملك اليمين إليها بل الملك فقط بدون ذكر اليمين . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٣/٢)

(خb¨ #$!© wں =دot† `tb tB%ں٢ q'•# CèƒFt$wZم,sù اجدب
ûtدs%©!$# âtbt ƒt7,y=èqbt گكrufƒt'ùD ژ#$9Y¨$Z ب@÷,$$97çخ/
ژqcكBt$! rufƒt6FçJمNكu#?s9go ه!$# `دB ¾3د&خ#ôjز ùs
ôFtR‰%$مr&ru ïût جچدجے"ùx6=دة $\/#t‹xمt $YY‹خBgoB اجذب (١)

---

(١) . { (خb¨ #$!© wں =دot† `tb tB%ں٢ q'•# CèƒFt$wZم,sù اجدب
ûtدs%©!$# âtbt ƒt7,y=èqbt گكrufƒt'ùD ژ#$9Y¨$Z ب@÷,$$97çخ/
ژqcكBt$! rufƒt6FçJمNكu#?s9go ه!$# `دB ¾3د&خ#ôjز ùs
ôFtR‰%$مr&ru ïût جچدجے"ùx6=دة $\/#t‹xمt $YY‹خBgoB اجذب } :
لما أمر الله تعالى بالإحسان ووسع مواقعه وكان امتثال ذلك شأن أهل الإيمان عقب ذلك ببيان أنه تعالى لا يحب من كان على ضد صفات أهل الإحسان ، ونفي الحب تعبير عن تركهم من الألطاف ونحو ذلك مما يفعله الله لأوليائه ، والمختال: ذو الخيلاء ومن لازمه الكبر ؛ لأن سبب الخيلاء إعجابه بنفسه ، وقال الراغب: والخيلاء التكبر عن تخيل فضيلة تراءت للإنسان من نفسه انتهى .
وفي [الصحاح] : والخال والخيلاء والخيلاء الكبر ، تقول منه اختال فهو ذو خيلاء وذو خال وذو

مخيلة أي ذو كبر ، قال :

والخال ثوب من ثياب الجهال انتهى .

وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : فالمختال ذو الخيلاء والكبر انتهى ، ومثله في [المصابيح] ، وفي الكشاف : المختال التياه الجهول الذي يتكبر عن إكرام أقاربه وأصحابه ومماليكه .. إلخ وهو موافق لما مر قال في [المصابيح] : والفخور المفتخر على عباد الله إلخ .

أقول : فخور يدل على كثرة ذلك منه ؛ لأن فعولا من أمثلة المبالغة فهو لإعجابه بنفسه يكثر تعداد ما يدعيه فضلا على غيره ليثبت بذلك ما يعتقده في نفسه من تفوقه على غيره ، وقد فسر الفخور في [لسان العرب] بالمتكبر ، ولعله يعني المتكبر على غيره بالفخر عليه ، وقوله تعالى: الذين يبخلون ، فالبخل كما قال الراغب في مفرداته: إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود انتهى ، ولعله هو المعنى الحقيقي وغيره مجاز كالبخل بالسلام ، والبخل بالعلم ، وفي الحديث : ((البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي)) اللهم صل على محمد وآله ، وقوله تعالى : { ويأمرون الناس بالبخل } بيان لصفة المخالفين الذين لا يحبهم الله لأنهم على صفات ضد صفات المؤمنين ، ومن أمرهم بالبخل قولهم: { لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا } وهو من الأمر بالمنكر الذي هو من عادة الكفار والمنافقين ، وقوله تعالى : { ويكتمون ما آتاهم الله من فضله } يعم كتمان المال عمن يستحق أن يعطى أو يقرض وكتمان العلم ومنه كتمان ما في التوراة مما كانوا مطالبين بإظهاره من صفات رسول الله وغير ذلك .

وقوله تعالى : { وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا } : أعتدنا بمعنى أنه أعده لهم وهيأه سواء كانت التاء أصلية أو أصله أعددنا كما مر ، والكافرين أهل الصفات المذكورة إما لأنه كفر النعمة وهو الأقرب أو الكفر بالإيمان والعذاب المهين عذاب جهنم ، وذكر الإهانة مناسب لاختيالهم وتكبرهم وفخرهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

جاهز

يلاحظ في هذا الملف قوله تفسير قوله تعالى : { ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا } مع أن المؤلف حفظه الله كتبها { فلن تجد له سبيلا } ثم فسرها على هذا اللفظ ، فيتحقق من هذا لاحقا إن شاء الله .

ويلاحظ في تفسير { ولا يكتمون الله حديثا } قول المؤلف : ولعل مثل هذا قد مر في أول الجزء الثاني

إذ لم يعرف مقصوده محددا من هذه العبارة.

وفي قوله والمستضعفين ، قال المؤلف : وفي المستضعفين ، ولعل في العبارة نقصا .

ur#$!©%ىtûi ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا (٣٨) (١)

---

(١) . { والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا (٣٨) } :

قوله تعالى : { والذين } عطف على { الذين } فهو ذم يدل على انقسام أهل الخيلاء والفخر قسمين : قسم البخلاء ، وقسم المنفقين مالهم رئاء الناس ، والرئاء فعال من الرؤية فأصله محاولة أن يراهم ويرونه منفقا ليمدحوه أو يعتقدوا فيه الجود ، والواقع أنهم لا يبذلون المال إلا لطلب الثناء من الناس أي لغرض دنيوي راجع إليهم ، ولكنه أشنع من الإنفاق في أغراض النفس المباحة ؛ لأن الرئاء إشراك لغير الله في العمل ، وقوله تعالى : { ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر } بيان للعيب الثاني من عيوب هذا الفريق ، ولعله يشير إلى من يدعي ذلك دعوى كاذبة كما قال تعالى : { ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين } وهم من المنافقين ، وقد قال تعالى فيهم : { يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا } ، وقوله تعالى : { ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا } يفيد أن الشيطان قرين لهم ، فساء قرينا : فهو قرين سيء ؛ لأنه كما قال تعالى : { وقيضنا هلم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم } فهو يزين لهم باطلهم المستقبل ليفعلوه والماضي ليصروا عليه ، ولا يتوبوا منه ليكونوا من أصحاب السعير. كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٥/٢)

وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما (٣٩) (١)

---

(١) . { وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما (٣٩) } :

أي ضر عليهم لو آمنوا ، وأي نقص لو آمنوا بالله واليوم الآخر ، وأنفقوا مما رزقهم الله إنفاقا مقبولا

ليس الإنفاق رئاء الناس فهو لا يعد إنفاقا محمودا بل هو مذموم ، وهذا زيادة احتجاج عليهم وبيان أن الله تعالى لم يكلفهم ما يضرهم أو يكون عيبا عليهم ، فلا عذر لهم في ترك الإيمان والإنفاق ، وهذا دليل على أنهم كانوا قادرين على الإيمان والإنفاق ؛ لأنهم لو لم يكونوا قادرين لما صح توبيخهم والإحتجاج عليهم ، ومعنى أنهم كانوا قادرين على ذلك أنهم كانوا سالمين من الآفات المانعة مستطيعين للدخول في الإيمان ، فإذا قلنا إنهم كانوا في حال كفرهم قادرين على الإيمان فالمراد أنهم في حال الكفر قادرون على الخروج منه إلى الإيمان ، وليس المراد أنهم قادرون على الجمع بين الكفر والإيمان وهذا واضح ، وقوله تعالى : { وكان الله بهم عليما } إشارة إلى أنه يجزيهم في الآخرة بسوء ما عملوا في الدنيا ؛ لأنه عليم بهم على ما هم عليه . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٦/٢)

إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما (٤٠) (١) فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (٤١) (٢)

---

(١) . { إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما (٤٠) } :
وهذا زيادة في الإحتجاج على أولئك الفريقين وكلهم يبخلون على اختلاف نوعي البخل ، فهو يبين أنهم لو أنفقوا مع أن يكونوا مؤمنين لما ضاع عليهم مثقال ذرة مما أنفقوا وأحسنوا بل كان يضاعف لهم كل حسنة من الإنفاق والإيمان وغيره ، وقد مر تفسير مضاعفتها ، ويؤتون في الآخرة أجرا عظيما وهو ثوابها ضوعف كما ضوعفت حسناتهم وهذا عام لهم ولغيرهم فهو ترغيب في فعل الخير وإنفاق الخير . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (٤١) } :
}
فكيف } بهؤلاء المتكبرين أهل الخيلاء والفخر والبخل وترك الإيمان كيف بهم يوم القيامة { إذا جئنا من كل أمة بشهيد } يوم القيامة يشهد بما رأى وعلم منهم من خير أو شر ، { وجئنا بك } يا محمد { على هؤلاء } الموجودين في عهدك الذين شاهدتهم وعلمت المطيع منهم والعاصي { شهيدا } تشهد عليهم بسيئاتهم التي توجب عليهم العذاب ، فلا ينفعهم جحد وإنكار ولا اعتذار ولا تقبل منهم توبة وما للظالمين من أنصار كيف بهم في هذه الحال .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا (٤٢) (١)

---

(١) . { يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا (٤٢) } :
{ يومئذ } أي يوم إذ جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا { يود } أي يحب ويرغب أو يتمنى في نفسه { لو تسوى بهم الأرض } يصيرون في بطن الأرض ويعفى أثرهم كأنهم غير موجودين في بطنها { ولا يكتمون الله حديثا } إرادة منهم وهو يعم جواب السؤال عما قدموا وما قدموا من الكلام في الدنيا فلا يكتمون شيئا ، ولعله بعد شهادة الشهداء عليهم وانتباههم أنه لا يغني عنهم الإنكار شيئا ، والأمة : الجماعة الذين يجمعهم أمر ، قال تعالى { وجد عليه أمة من الناس يسقون } وقوله تعالى : { هؤلاء } إشارة إلى الحاضرين فهم أمة ، وليس المراد أنه شهيد على من قبله من الأمم ولا من سيوجد بعده ولكن من في عهده وعلم حالهم فهو شهيد عليهم بما علم منهم وشاهده كما قال عيسى عليه السلام : { وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم } وهذا هو سبب استعمال اسم الإشارة هنا وفي سورة النحل ، ثم الأخيار ممن معه شهداء على من في عهدهم من التابعين وغيرهم ، وهكذا الأخيار من التابعين شهداء على من شاهدوه من التابعين ومن بعدهم .
والحاصل : أن كل أمة يشهد عليهم خيارهم كما قال تعالى : { والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم } وقال تعالى : { لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا } ولعل مثل هذا قد مر في أول الجزء الثاني ، والخيار عندنا هم الخيار من آل رسول الله مثل علي والحسنين وعلي بن الحسين وزيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ويحيى بن زيد وغيرهم . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون (١)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون } :
{ لا تقربوا الصلاة } لا تتأهبوا وتقاربوا أن تفعلوها ، فلا تتوضأوا ولا تدخلوا المسجد ولا تؤذنوا ولا تقيموا ولا تصلوا فهو من قسم الكناية وأنتم سكارى ، فاجتنبوا سبب السكر عند الصلاة ، وليس هذا إباحة للسكر في غير وقت الصلاة بل هو مسكوت عنه ، كما لو قال: لا تطف بالبيت وأنت عريان ، فالنهي موجه إلى السكر كما أنه موجه إلى العري في هذا المثال ، وقوله تعالى : { حتى تعلموا ما تقولون } تعليل للنهي عن السكر المانع من العلم بما يقولون في الصلاة من القراءة والأذكار ، وفيها دلالة على وجوب إحضار الذهن لما يقول المصلي ، ولعل ذلك في القدر الواجب من القراءة والأذكار .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٩/٢)

ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا (١)

---

(١) . { ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا } :
أي ولا تقربوا الصلاة جنبا { إلا عابري سبيل } وقد قلنا من معنى قرب الصلاة الإستعداد لها ، فالإستثناء هذا محمول على حال الإستعداد لها والذهاب للتطهر ، فالمعنى إلا عابري سبيل توصلا إلى الصلاة وتقربا إليها بالعبور لفعل شرطها ، ولما كان دخول المسجد هو من مقدمات الصلاة تناوله قرب الصلاة وكانت لهم بيوت موجهة أبوابها إلى المسجد فكانوا يحتاجون المرور من المسجد ، فربما توهموا أن ذلك منهي عنه فقال : { إلا عابري سبيل } ليرخص لهم في المرور إلى خارج المسجد ليتطهروا ، وهذا قد نسخ بسد الأبواب إلا باب علي عليه السلام فما بقي ضرورة للعبور من المسجد ولكن يبقى الحكم لحال الضرورة كمن احتلم في المسجد .
وحديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام له أسانيد عديدة أوردها ابن حجر في القول المسدد ، وصحح بعض أسانيده ، وصحح الحديث ، ومن ألفاظه قول ابن عباس رضي الله عنهما في أثناء حديث : وسد أبواب المسجد غير باب علي ، فكان يدخل المسجد وهو جنب وهو طريقه ليس له طريق غيره

انتهى .

ويؤخذ من الآية وجوب تقديم الغسل على الوضوء وعلى الأذان والإقامة ، وقد فسر قوله تعالى : { إلا عابري سبيل } بالمسافر عادم الماء . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٠/٢)

وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من إفح !$#$t9 أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا (٤٣) (١)

---

(١) . { وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من إفح !$#$t9 أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا (٤٣) } :

{ وإن كنتم } : حين تريدون الصلاة { مرضى } : جمع مريض { أو على سفر } : وأقل السفر بريد حالتان المرض والسفر مظنة فقدان الماء { أو جاء أحد منكم من الغائط } : وهو المكان المنخفض من الأرض يستتر فيه لقضاء الحاجة فهو قد بال أو تغوط { أو لامستم النساء } فأنتم جنب { فلم تجدوا ماء } لتغتسلوا به من الجنابة إن كانت ؛ ولتوصؤوا به من أثر الحدث { فتيمموا } : اقصدوا صعيدا طيبا وتوجهوا إليه .

وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: والملامسة الجماع ، وفيه: فالتيمم التعمد ، والصعيد وجه الأرض ، والطيب النظيف انتهى .

وفي مفردات الراغب : والصعيد يقال لوجه الأرض انتهى ، وفي [الصحاح]: الصعيد التراب ، وقال ثعلب: وجه الأرض لقوله تعالى: فتصبح صعيدا زلقا انتهى ، وفي [لسان العرب]: الصعيد المرتفع من الأرض ، وقيل الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة ، وقيل ما لم يخالطه رمل ولا سبخة ، وقيل وجه الأرض لقوله تعالى: فتصبح صعيدا زلقا وقال جرير :

إذا تيم ثوت بصعيد أرض ... بكت من خبث لؤمهم الصعيد

وقال في آخرين : ... ... وإلا طيبين من التراب صعيدا

وقيل: الصعيد الأرض ، وقيل: الأرض الطيبة ، وقيل: هو كل تراب طيب ، وفي التنزيل: { فتيمموا

صعيدا طيبا } وقال الفراء في قوله صعيدا جرزا: الصعيد التراب ، وقال غيره: هي الأرض المستوية ، وقال الشافعي: لا يقع اسم صعيد إلا على تراب ذي غبار .. إلى قوله .. وقال أبو إسحاق: الصعيد وجه الأرض ..إلى قوله ..لا أعلم خلافا فيه أن الصعيد وجه الأرض .. إلخ .

وهذه الأقوال متقاربة ؛ لأن وجه الأرض هو التراب ، وليس منه الجبال قال تعالى: { أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت } وقال تعالى: { قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين .. إلى قوله .. وجعل فيها رواسي من فوقها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام } وغير ذلك فوجه الأرض تراب وإذا مسه الماء كان طينا ، والإشكال في الطين هل يجزي للتيمم ؟ الأحوط استعماله إذا عدم الماء والتراب ، وفي الحديث : ((جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)) قال الله عز وجل: { فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا } انتهى ، من حديث في مجموع زيد بن علي عليهما السلام ، وفيه دلالة على أن الصعيد من الأرض ، فلا يصح التيمم بالأحجار والنورة ونحوها ، وتفسير الطيب بالنظيف الطاهر هو الأقوى ، فأما اعتبار الإنبات فيه فلعله يصح بناء على أن الأصل في التراب الإنبات فإذا لم ينبت فهو فاسد فلا يوصف بالطيب ، وأما الإحتجاج لذلك بقول الله تعالى: { والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه } ففيه نظر ؛ لأن طيب البلد باعتبار مصلحة السكان ؛ ولذلك قال: والذي خبث لا يخرج إلا نكدا ، فجعله خبيثا لفوات مصلحة أهله وإن كان منبتا نباتا نكدا .

فالحاصل أن خبث البلد وطيبها غير طيب التربة من حيث هي صعيد لا من حيث هي بلد ، وقوله تعالى: { فامسحوا بوجوهكم وأيديكم } أي منه كما يفيده التفريع على تيممه .

{ إن الله كان عفوا } : كثير العفو ، ومن العفو الترخيص بالعدول إلى الصعيد الطيب { غفورا } : كثير المغفرة ، وفيه تشجيع على استعمال الرخصة عند ظهور وقتها ، وترك المبالغة في الحذر من الخطأ لقوله تعالى: { وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به } .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام دلت هذه الآية الكريمة على وجوب فراغ القلب للصلاة ، وأن لا يقرب الصلاة من به سكر النوم أو كان ذاهلا حتى لا يعلم ما يقول في صلاته ، وعلى أن لا يصلي الصلاة من كان جنبا حتى يغتسل إلا أن يكون في سفر ولم يجد الماء فإنه يتيمم كما صرحت به الآية الكريمة ، وكذلك من جاء من الغائط أو لامس النساء ولم يجد الماء ، والمراد من الملامسة الجماع كما قال تعالى: { إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها .. } الآية ونحوها : { لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن .. } إلى قوله { .. وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم } ولخبر عائشة: كانت تمس النبي وهو يصلي ويستمر في صلاته ، وعلى أن التيمم ليس إلا الوجه واليدين ، وعلى أن الله جعل ذلك غفرانا ورحمة أي تخفيفا على عباده انتهى .كقوله تعالى { حتى

مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل (٤٤) (١) والله أعلم Nن٣ح !#ô‰yمr'خ/ وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا (٤٥) (٢)

---

(١) . { ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل (٤٤) } :
{ ألم تر } : كلمة تعجب من قصة هؤلاء اليهود { الذين أوتوا نصيبا } من التوراة أي علموا نصيبا منها ، أي بعضا وكان من حقهم أن ينتفعوا بذلك البعض ويكونوا أبعد عن السعي بالفساد ، ولكنهم على العكس من ذلك يستبدلون الضلالة بدل أن يهتدوا بما علموه ، ويريدون من المؤمنين أن يضلوا ويغووا عن سبيل الله . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { والله أعلم Nن٣ح !#ô‰yمr'خ/ وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا (٤٥) } :
}
والله } وليكم وهو { أعلم بأعدائكم } فلن يضركم كيدهم ومحاولتهم لإفسادكم ؛ لأن الله كاف لمن تولاه لا يحتاج غيره ، ومن يهدي الله فلا مضل له ؛ لأن الله وليه ومتولى هدايته { وكفى بالله نصيرا } لأوليائه فلن يضروكم بالقهر وإبطال عزة الإسلام .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

من الذين هادوا (١) يحرفون الكلم عن مواضعه (٢) ويقولون سمعنا وعصينا (٣)

---

(١) . { من الذين هادوا } :
هؤلاء الذين ذكروا بالتعجيب من قصتهم هم من الذين هادوا أي من اليهود الذين عادتهم أن يسعوا في الأرض فسادا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { يحرفون الكلم عن مواضعه } :

{ الكلم } من بيان الحق ، يحرفونه: يحولونه إلى غير محله ليستطيعوا لبس الحق بالباطل ، وتضييع فائدة سياق الكلام التي بها يتضح المراد ولا يمكن فيه جدال .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { ويقولون سمعنا وعصينا } :

يقولون { سمعنا } قول الرسول أو ما تلاه من القرآن { وعصينا } تمردا وعنادا واستخفافا بكلام الله ورسوله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٣/٢)

واسمع غير مسمع (١) وراعنا (٢) ليا بألسنتهم وطعنا في الدين (٣)

---

(١) . { واسمع غير مسمع } :

وهذا من كلماتهم ، ومعناها: الدعاء عليه بالصمم ولكنها مغلفة باحتمال الدعاء له بأن لا يسمع قولا يسوءه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وراعنا } :

وهذه كلمة يقولونها للرسول راعنا يوهمون أنه طلب المراعاة ، ولهم فيها مقصد فاسد .

قال الشرفي في [المصابيح] : قال الحسين بن القاسم عليهما السلام يقولون راعنا واعتقادهم راعنا بالتنوين من الرعونة التي هي الحمق والسفه لعنهم الله تعالى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { ليا بألسنتهم وطعنا في الدين } :

}

ليا } أصل اللي الفتل ، وهو هنا: تحويل الكلام إلى المعنى الفاسد ، وطعنا في الدين من حيث يزعمون أنه لو كان نبيئا لافتضحوا وانكشف زيفهم ومقاصدهم الفاسدة ، أو لنزل بهم العذاب كقولهم في أنفسهم: { لو لا يعذبنا الله بما نقول } فقد افتضحوا وحسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٤/٢)

ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم (١) ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا (٤٦) (٢)

---

(١) . { ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم } :

{ لكان خيرا لهم } من تلك الكلمات المذمومة التي هي وبال عليهم وأقوم ؛ لأن هذا كلام قيم لا عوج فيه بخلاف كلامهم المذكور آنفا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا (٤٦) } :

{ لعنهم الله } طردهم من رحمته بسبب كفرهم ، وهذا الطرد سلب التوفيق وخذلانهم بسبب كفرهم ولذلك لا يؤمنون إلا قليلا من الإيمان ببعض ما في التوراة لفساد قلوبهم ، ونصب قليلا على أنه قائم مقام المفعول المطلق ولو كان الإستثناء من فاعل يؤمنون لرفع على البدل لأنه أرجح في مثل هذا مثل: { ما فعلوه إلا قليل منهم } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٥/٢)

يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا (٤٧) (١)

---

(١) . { يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا (٤٧) } :
}
يا أيها الذين أوتوا الكتاب } خطاب للعلماء بالتوراة ؛ لأن الحجة عليهم أعظم لعلمهم بما في التوراة من صفات محمد رسول الله وما فيها مما جاء به القرآن من أخبار الأولين وغير ذلك ؛ ولأن فسادهم إن لم يؤمنوا بالقرآن أعظم ؛ لأن لهم أتباعا يغترون بكفرهم { آمنوا بما نزلنا } : بالقرآن { مصدقا لما معكم } من التوراة أو من كتب الله جملة { من قبل أن نطمس وجوها } : وعيد إن لم يؤمنوا بطمس وجوه منهم ، وليس عاما ولكنه تخويف لكل واحد أن يكون وجهه من الوجوه التي يطمسها الله ، وطمسها إزالة صورتها فلا يبقى أنف ولا شفتان ولا عينان { فنردها على أدبارها } : بإدخال صورة الوجه إلى جهة القفا حتى تكون على القفا مبالغة في طمسها { أو نلعنهم } : لعنا خاصا بأن نخزيهم { كما لعنا أصحاب السبت } : كما أخزيناهم ، ويحتمل نجعلهم قردة كما جعلنا أصحاب السبت المذكورين في سورة الأعراف وفي البقرة ، وهذا أظهر .
قال في [المصابيح] : وقيل لما نزلت هذه الآية أتى عبد الله بن سلام إلى النبي وقال: ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي ، وسمع كعب بن عمر هذه الآية فقال: يا رب آمنت يا رب أسلمت انتهى .
فظهر أن هذه الوجوه هي وجوه علماء بني إسرائيل الذين آمنوا فكانت تطمس لو لم يؤمنوا ، { وكان أمر الله } : وهو ما قضى أنه يفعله أو ما شاء أن يفعله فهو واقع لا يتخلف ؛ لأن الله على كل شيء قدير . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (١)

---

(١) . { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } :
يظهر أن هذه الآية متصلة بما قبلها كالتعليل للوعيد في قوله تعالى: { من قبل أن نطمس وجوها .. }

الآية وهذه الآية تعظيم للشرك ودلالة على أن صاحبه لا يعذر بحال من الأحوال ، أما ما دونه من أنواع المعاصي فإنه قد يقع على وجه يصيره معفوا ، ألا ترى أن قتل النفس بغير حق قد يقع خطأ ، وكذا الزنا قد يقع غلطا ، وشرب الخمر قد يقع ممن يجهل أنها خمر ، وهكذا سائر المعاصي ، أما الشرك فلا يكون على وجه يعفى ؛ لأنه لا يكون إلا عمدا لمعنى الشرك فلا يعذر صاحبه ، وفيها دلالة على أنه لا يعذر من أشرك ولو جهل أنه مشرك كالذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، ولعل اتصال هذه الآية بما قبلها دلالة لأهل الكتاب المذكورين أنهم مشركون لاتخاذهم أحبارهم وهبانهم أربابا من دون الله ، وقول اليهود عزير ابن الله ، وقول النصارى المسيح ابن الله ، واتخاذه ربا ولعل بعض اليهود لا يعتقد أنه مشرك وفيه نوع من الشرك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٧/٢)

ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما (٤٨) (١)

---

(١) . { ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما (٤٨) } :
لأنه جعل لله شريكا في عباده أو في ملكه أو في حكمه أو في قدرته أو في علمه بدون برهان وإنما هو افتراء واختلاق اتبع فيه ظنه وهواه ، فكان افتراؤه ذلك إثما عظيما ارتكبه ، وهذا دليل على ما قلت من أن الشرك لا يكون إلا عمدا ، والمراد أن ما هو شرك في الواقع تعمده المشرك ولو لم يعلم أنه شرك فهو لا يغفر لتعمد المعنى والإثم الفجور .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٨/٢)

ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا (٤٩) انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا (٥٠) (١)

(١) . { ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا (٤٩) انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا (٥٠) } :

{ ألم تر } ؟ سؤال تعجيب من الذين { يزكون أنفسهم } : يدعون لأنفسهم الصلاح ، ولا معنى لذلك ؛ لأنه لايفيدهم شيئا { بل الله يزكي من يشاء } فهي التزكية بالحق النافعة لمن زكاه { ولا يظلمون فتيلا } : لا ينقصون مما يستحقون بزكائهم شيئا ولو مقدار فتيل ، والفتيل يكون في بطن نواة التمر كالخيط ، يضرب به المثل في القلة كما يشبه بالنقير وهو كالنقطة الصغيرة في ظهر النواة ، والقطمير وهو قشرة رقيقة على النواة .

{

انظر كيف يفترون على الله الكذب } : فهو أبعد عن الزكاء بل هم المجرمون ، وافتراؤهم على الله كنسبتهم اليه الولد ، وقولهم: { لن تمسنا النار إلا أياما معدودات } { وكفى } بالإفتراء على الله { إثما مبينا } : إثما بينا وفجورا مكشوفا ينافي تزكيتهم لأنفسهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا (٥١) (١)

(١) . { ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا (٥١) } :

{ أوتوا نصيبا من الكتاب } : نصيبا من التوراة ، فقد حصل لهم طرف من العلم ومع ذلك { يؤمنون بالجبت والطاغوت } الذي هو باطل لا يخفى بطلانه على من أوتي نصيبا من الكتاب .

وفي مفردات الراغب: ويقال لكل ما عبد من دون الله جبت ، وسمي الساحر والكاهن جبتا انتهى ، وفي [الصحاح]: الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك انتهى .

وقد اختلف المفسرون في معنى الجبت والطاغوت ، ففي تفسير زيد بن علي عليهما السلام قال زيد بن علي عليهما السلام : فالجبت السحر والجبت الكاهن والطاغوت الشيطان انتهى المراد .

وفي تفسير الشرفي أعني [المصابيح] ما لفظه : وروي عن القاسم عليه السلام أنه قال الجبت السحر والطاغوت كل ما أطغى وأضل عن الحق من الأصنام وغيرها انتهى .
ولعل هؤلاء المؤمنين بالسحر هم الذين قال الله تعالى فيهم: { واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان .. } الآية } وأما إيمانهم بالطاغوت فلعله تحاكمهم إلى الطاغوت كالمذكور في قوله تعالى: { يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت } وهو من يحكم بغير حكم الله من الكهنة وغيرهم { ويقولون للذين كفروا } : أي يقولون في الذين كفروا أي كفروا بالله ورسوله { هؤلاء } أي الكفار { أهدى من الذين آمنوا سبيلا } : أي أهدى سبيلا من الذين آمنوا بالله ورسوله محمد والمراد بالسبيل الطريقة أي الدين .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٠/٢)

أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا (٥٢) (١) أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا (٥٣) (٢)

---

(١) . { أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا (٥٢) } :
{ أولئك } : المؤمنون بالجبت والطاغوت القايلون للذين كفروا هؤلاء أهدى : فهم { الذين لعنهم الله } بعينهم وحقيقتهم ، لعنهم الله: طردهم من رحمته وهذا الطرد هو الخذلا ن وسلب التوفيق ؛ ولذلك قال تعالى: { ومن يلعن الله فلن تجد له سبيلا } أي طريقا يهتدي بسلوكها فهو كقوله تعالى: من يضلل الله فلا هادي له . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا (٥٣) } :

بل ألهم نصيب من الملك ؟ إشارة إلى أنهم كرهوا رسالة محمد ولم يرضوا بحكم الله فيها كأنهم شركاء لله في ملكه لا يرسل إلا من يريدون وليس لهم نصيب في الملك ولو كان لهم نصيب من الملك لبخلوا بما لديهم فلا يؤتون الناس نقيرا لبخلهم ، والنقير نقرة تكون في ظهر نواة التمر يمثل بها في القلة .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨١/٢)

أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله (١)

(١) . { أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله } :
بل أيحسدون اضراب انتقال إلى احتجاج على اليهود الزاعمين أن الكفار أهدى من الذين آمنوا وسلكوا طريقة أهل الحسد الذين يكرهون حصول النعمة لمن أعطاه إياها .

قال الشرفي في [المصابيح] : قال المرتضى عليه السلام [والمراد به أينما ذكر في [المصابيح] محمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ابن القاسم عليهم السلام] هؤلاء المذكورون في الحسد هم أهل الكتاب حسدوا محمدا ما خصه الله به وأعطاه وحسدوا المؤمنين ومن تبعه من المسلمين فقال الله سبحانه: { أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله } . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٢/٢)

فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما (٥٤) فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا (٥٥) (١)

(١) . { فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما (٥٤) } :
فأخبر سبحانه بما آتى الأنبياء وهذا دليل على أنهم أرادوا النبوة فيهم وحسدوا رسول الله ما خصه الله به من الملك وأنزل عليه من الوحي ، ألا تسمع كيف يقول: { فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة .. } إلى قوله { .. فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه } فلم ينتفعوا إذ كان ذلك في داود وسليمان حتى صدوا عنه وأبعدوه . كذا . وكرهوه ونابذوه انتهى .

فحاصل المعنى : أم يحسدون محمدا من آل إبراهيم { فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما } وهو ما كان لداود وسليمان ، فمن أهل الكتاب من آمن به ومنهم من صد عنه: فالمعنى قد سبق منهم هذا الحسد لآل إبراهيم وليس بدعا منهم حسدهم لمحمد أو فقد صد بعضهم

عن آل إبراهيم لغير داعي الحسد والأول أظهر . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٣/٢)

إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما (٥٦) (١)

---

(١) . { إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما (٥٦) } :

هذا وعيد عام لمن سبق ذكرهم من أهل الكتاب ولسائر الكفار الذين جحدوا كون القرآن من الله وكذبوا بالآيات الدالة على صدق الرسول من القرآن وغيره { سوف نصليهم نارا } : نجعلهم فيها تباشر أجسامهم { كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها } ليبقى إحساسهم بالحريق ، ومعنى قوله تعالى: { ليذوقوا العذاب } ليطعموه أي ليجدوا ألم العذاب في قلوبهم وأنفسهم أو هو تعليل لإصلائهم وتجديد جلودهم في كل لحظة أو نحوها ، { إن الله كان عزيزا } : فمقتضى عزته الإنتقام من أعدائه الذين ظلموا واستعملوا نعمه في معاصيه وأطاعوا عدوه وعصوا رسله { حكيما } : ومقتضى حكمته أن يجزيهم بما عملوا ولولا الجزاء ما صح تمكينهم من المعاصي وتخليتهم يظلمون ؛ لأن ذلك لولا الجزاء يكون إهمالا مخالفا للحكمة كما هو مخالف للعزة . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٤/٢)

والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا (٥٧) (١)

---

(١) . { والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا (٥٧) } :

}

جنات } : بساتين ذات أشجار مغطية لأرضها وهي في الجنة التي وعد المتقون { تجري من تحتها الأنهار } فلا تظمأ أكلها دائم وظلها لا تتساقط أوراقها ، وهذا مع جمال اجتماع الخضرة والماء الجاري من تحت الأشجار { خالدين فيها } : لا يموتون بل باقين فيها أبدا { ولهم فيها أزواج مطهرة } : من الحيض ومن كل ما ينافي النظافة فهي نظيفة من أصل فطرتها لا تحتاج إلى تنظف بشيء مما تستعمله نساء الدنيا ولا سعال ولا مخاط { وندخلهم ظلا ظليلا } : معطوف على سندخلهم جنات فاجتمعت لهم لذة الجنات وجمالها وجمال الأنهار ونعمتها ولذة الظل الممدود الذي لا يتخلله شعاع من الشمس ولا ينسخه . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٥/٢)

---

* إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها (١)

---

(١) . { * إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } :

{ الأمانات } : عام لكل أمانة مثل الودائع والرسالات وأموال اليتامى وقضاء الدين وثمن المبيع المؤجل من ذلك ، وأداؤها: تسليمها ، وأهلها: ملاكها ومن لهم ولايتها ، ومن الأمانات الضالة واللقطة فهي أمانة عند من أخذها ، ومنها ما أخذه المصدق من الزكوات وغير ذلك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٦/٢)

وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (١)

---

(١) . { وإذا حكمتم بين الناس } فإن الله يأمركم { أن تحكموا بالعدل } والعدل: هو الحق خلاف الجور ، فلا يجوز الحكم بغير علم يميز بين العدل والجور ، ولا يجوز الحكم بالجور اتباعا للهوى أو بغضا للمحكوم عليه كما قال تعالى: { ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا } وكذلك لا يجوز

الحكم قبل تبين الحق ، فلا يحكم لأحد الخصمين قبل سماع ما يقول الآخر أو قبل أن يدلي كل من الخصمين بحجته إن كان له حجة ، ويحتاج الحاكم إلى أن يكون له ورع يحجزه عن الجور والميل لهوى النفس أو الغضب أو الخوف أو العجلة ، وكلها راجعة إلى اتباع الهوى ، والله تعالى يقول: { يا دواد إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب } وقد قام قوله تعالى: { أن تحكموا بالعدل } مقام ذكر الشروط من العلم والورع والتثبت وكل ما لا يتم العدل إلا به . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه ..وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٧/٢)

---

bً خ) الله نعما يعظكم به (١) إن الله كان سميعا بصيرا (٥٨) (٢)

---

(١) . { إن الله نعما يعظكم به } :
يعظكم عن الخيانة والجور في الحكم بما في القرآن من المواعظ والوعيد وإكمال الحجة عليكم بحكمة الله ورحمته فنعم هذا الذي يعظكم به الله فقال في أول الآية : { إن الله يأمركم } وقال هنا : { إن الله نعما يعظكم به } فهو تأكيد للأمر ودلالة على أن الله قد أتم الحجة عليكم ، وقطع المعذرة بما وعظكم به في هذا القرآن من المواعظ العظيمة التي هي نعم المواعظ .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { إن الله كان سميعا بصيرا (٥٨) } :
فلا تخفى عليه خيانة خائن ، ولا جور جائر في حكمه فراقبوه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٨/٢)

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم (١)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله } :

هذا أمر بطاعة الله في كل شيء وطاعته وجبت بها طاعة الرسول وأولي الأمر ولذلك فصل طاعة الرسول وأولي الأمر لأنه لا شركة لهما في الملك ، فقال تعالى: { وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم } فطاعة الرسول بأمر الله وهي تبع لرسالته قال تعالى: { وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله } { وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى } فوجبت طاعته في كل شيء ولذلك قال تعالى: { فليحذر الذين يخالفون عن أمره .. } الآية ، وقال : { من يطع الرسول فقد أطاع الله } .

وأما طاعة أولي الأمر فهي واجبة تبعا لأمرهم فلا تجب إلا في حدود أمر الأمير فمن حيث أن الأمراء كلهم ليس لأحد منهم أن يأمر بمعصية الله أو ينهى عن طاعة الله ، بل الواجب عليهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر كما قال تعالى: { ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر } وقال تعالى: { الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر } فإمرة الأمراء كلهم محدودة بأن يأمروا بالحق وليس لهم أن يأمروا بمعصية ، فالأمر بالمعصية خارج عن حدود ولايتهم ولا تجب طاعتهم فيه من حيث هم أمراء بل تجب مخالفتهم طاعة لله ورسوله ، وهذا فيمن لم يثبت أنه مع الحق وأنه لا يأمر إلا بالحق فنفس أمره ونهيه دليل على الحق ، وأما سائر الأمراء صغارهم وكبارهم فلا أمر بطاعتهم على الإطلاق بل في حدود أمرتهم لأن الحكم معلق عليها ، فأمير السرية يطاع في حدود أمرته وذلك فيما يتعلق بالمقصود الذي أرسل له لا في كل شيء وكذلك الأمير على بلد لأعمال مخصوصة تذكر في عهد الوالي الذي ولاه ، فإمرته محدودة بها ، وبهذا يظهر أنه لا يجب في كل صاحب ولاية أن يكون معصوما ، ولا حاجة إلى اشتراط العصمة ؛ لأنه ليس مشرعا ولا طاعة له إن أمر بمعصية ، نعم ينبغي في الإمام الأعظم أن يكون الظاهر من حاله لعلمه وورعه وزهده وسعة صدره وقوته على تحمل هذا الأمر أنه لا يتحول في المستقبل إذا تمكن في الأرض وهذا يمكن فيمن كمل اختياره في سفره وحضره ورضاه وغضبه وغير ذلك من أحواله حتى ظهر منه أنه لن يتحول ، ومن كان هكذا فالظاهر من حاله العصمة ، وعلى هذا يحمل ما حكي عن أبي العباس الحسني من اشتراط العصمة في الإمام وأن المراد العصمة في الظاهر لا اشتراط أن تثبت عصمته بدليل ، ومرادنا بالعصمة التسديد من الله والتوفيق والألطاف كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : من العصمة تعذر المعاصي ، والمراد أيضا العصمة عن تعمد الظلم ومخالفة الحق عمدا لا الخطأ والنسيان وما أشبه خطايا الأنبياء ويمكن الإحتجاج لهذا القول بقول الله تعالى: { الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهو ا عن المنكر } والله أعلم .
وفي اشتراط هذا نظر لاحتمال الدليل فإن وجد من ظاهره كما ذكرنا فلا إشكال أنه أولى ممن ليس

كذلك وإن لم يوجد فعدمه دليل على أنه لا يشترط ، وقوله تعالى: { وأولي الأمر منكم } دليل على أنه لا طاعة لكافر ؛ لأنه ليس منا ، وكذا المنافق والفاجر المسرف الغاش لرعيته ؛ لقوله تعالى: { ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا } ؛ ولأن الواجب نهيه عن المنكر والأخذ على يديه من الظلم ، وقد كفرهم الهادي عليه السلام وأوجب البدأ بقتالهم واحتج لذلك بقول الله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار } ولعل هذا فيمن يدعي الباطل الواضح البطلان ويدعي أنه حق بناء على قانون كفري أو لمجرد اتباع هواه . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٩/٢)

فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا (٥٩) (١)

---

(١) . { فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا (٥٩) } :

{ فإن تنازعتم } : خطاب للذين آمنوا فهو يعم الولاة والرعايا فعليهم أن يردوا ما اختلفوا وتعارضوا فيه وتطالبوا إلى الله والرسول .

وفي أمالي المرشد بالله عليه السلام في الحديث الرابع والثلاثين [٢٣٥/٢] قصة التحاكم بين أمير المؤمنين علي عليه السلام ويهودي في درع لأمير المؤمنين عليه السلام بعد حرب صفين ، وفي أمالي أبي طالب عليه السلام بسند آخر عن الشعبي قال : وجد علي بن أبي طالب عليه السلام درعا له عند نصراني فأقبل به إلى شريح يحاكمه إلى آخر القصة وهي في الباب الثالث [ص٥٥-٥٦] ولعل هذا هو السر في الإتيان بالفاء في قوله تعالى : { فإن تنازعتم } ويحتمل أن الإتيان بالفاء للتفريع على طاعة الله وطاعة الرسول المأمور بها في أول الآية ، ولكن هذا يشمل أولي الأمر في إيجاب الرجوع إلى الله ورسوله ، ويدل على أن الرد إلى أولي الأمر لا يغني عن الرجوع إلى الله ورسوله ؛ لأن على أولي الأمر إذا حكموا بين الناس أن يحكموا بحكم الله ورسوله ؛ ولذلك قال تعالى: { فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول } ولم يقل وأولي الأمر منكم ، فظهر أن الوالجب الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وأنه لا يستغنى عن ذلك بالرد إلى أولي الأمر ، فأما التحاكم إلى أولي الأمر الذين يحكمون بكتاب الله وسنة رسوله بناء على أنهم كذلك فليس استغناء عن كتاب الله وسنة رسوله بل توصل إلى حكمهما

بحيث لو ظهر مخالفة الحاكم لهما وقطع بذلك لرد حكمه كسائر الحكام ، ومثل هذا قوله تعالى: { وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه } وعلى هذا فلا دلالة في الآية على أن قول الأمير حجة بمنزلة الكتاب والسنة ، ومعنى الرد إلى الله الرد إلى حكمه كما قال تعالى: { وما أختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله } والرد إلى الرسول الرد إلى حكمه لأنه يحكم بحكم الله في كتابه أو فيما أوحى إليه من وحيه قال تعالى: { إنا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس بما أراك الله } وقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال : الرد إلى الله الرد إلى كتابه ، والرد إلى رسوله الرد إلى سنته الجامعة غير المفرقة ، وقوله تعالى: { إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر } حث على الرد إلى الله والرسول ويدل على أن ذلك من مقتضى الإيمان ، ومن شأن المؤمن وهو يفيد أن من امتنع من الرد إليهما وأصر على الشقاق فليس بمؤمن وكذلك من رد إلى غيرهما كحكام الطاغوت من الكهنة وغيرهم كما يأتي في قوله تعالى : { ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا.. } إلى آخر الآيات .

وأما قوله تعالى : { ذلك خير } فهو ترغيب في الرد إلى الله والرسول عند التنازع ؛ لأنه يقطع الخلاف ويقرب من الإئتلاف ، ويوضح الحق لمن كان غالطا ، ويدفع الكبر ، وقوله تعالى: { وأحسن تأويلا } : فالرد إلى الله والرسول يؤول بالمتنازعين إلى مآل محمود ويصير بهم إلى عاقبة مرضية ؛ لأنه يقطع تطور النزاع وتسلسل الخلاف بين المتنازعين ، بل وبين ورثتهم ومن يتبعهم حتى تبقى فائدة الحكم يتوارثها الأجيال ، كما أن ترك الرد إلى الله ورسوله قد يؤدي إلى القتال وتسلسل القتال فلعظم أهمية الرد إلى الله والرسول جاء في الحث عليه هذه الآية والآيات التي تليها . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٠/٢)

ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا (٦٠) (١)

---

(١) . { ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا (٦٠) } :
}

ألم تر } : تعجيب من قصتهم وتوجيه للسامعين إليها { يزعمون أنهم آمنوا } : يدعون ذلك دعوى ويقولونه بألسنتهم أنهم آمنوا بما أنزل إليك بالقرآن أنه من الله وأنه حق أو بما أنزل إليك من الوحي كله

أنه حق من الله ، ومع هذه الدعوى ما يكشف كذبها وهي أنهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت إلى الكاهن مثلا { وقد أمروا أن يكفروا به } : أن يكفروا بكل حاكم يحكم بغير حكم الله { ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا } : أن يغويهم غواية بعيدة عن طريق الصواب ؛ لأنهم أطاعوه فتسلط عليهم ، وظاهر الآية أن الخصمين أرادا التحاكم إلى الطاغوت فما يروى أن سبب نزولها أن أحدهما طلب التحاكم إلى أبي القاسم أي النبي والآخر طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف ونحو هذه الرواية فذلك غير صحيح لمخالفته ظاهر الآية .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩١/٢)

وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا (٦١) (١) فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا (٦٢) (٢)

---

(١) . { وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا (٦١) } :

أي إذا دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ليردوا ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول { رأيتهم يصدون عنك صدودا } : أي يعرضون عنك إعراضا ؛ لأنهم منافقون غير مؤمنين كما زعموا .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا (٦٢) } :
}
فكيف } تكون حالهم { إذا أصابتهم مصيبة } بنفاقهم وطلبهم التحاكم إلى الطاغوت وسائر معاصيهم { ثم جاؤوك } : للتخلص من المصيبة أو لتغطية نفاقهم { يحلفون بالله ما أردنا } : بطلب التحاكم إلى الطاغوت { إلا إحسانا } فيما بيننا وتيسيرا من كل منا لخصمه لسهولة التحاكم إلى الطاغوت مثلا { وتوفيقا } فيما بيننا وقطعا للخلاف لا الفرار من التحاكم لديك فادع لنا بكشف المصيبة أو فلا تتهمنا بالنفاق .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٢/٢)

أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (٦٣) (١)

---

(١) . { أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (٦٣) } :

{ أولئك } الذين يحلفون بالله إن أردنا أي الذين في قلوبهم خلاف ما يزعمون قد علمه الله فلا يفيدهم الحلف شيئا ، { فأعرض عنهم } : اتركهم { وعظهم } : أزجرهم عن النفاق وادعهم إلى الإيمان لينجوا من النار { وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا } : قال في الكشاف : أي قل لهم قولا بليغا في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم إلخ .

أقول : الظاهر قل لهم في أنفسهم أي قل لهم كلاما فيهم تخبرهم عن حكمهم عند الله وتنذرهم عاقبة نفاقهم ونحو هذا من كشف زيفهم بما يعلمون به أن الله قد أطلعه على ما يكتمون أو نحو هذا { قولا بليغا } : ينفذ إلى قلوبهم ويؤدي إليها الخوف والغم بسبب ما قدمت أيديهم ، والإعراض هنا مثله في قوله تعالى { سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم } فهو ترك العقاب العاجل أو الإعراض عن محاورتهم فيما يعتذرون منه وهذا أقرب ولذلك صح تقديمه قبل قوله تعالى : { وعظهم وقل لهم } . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٣/٢)

وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله (١) ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) (٢)

---

(١) . { وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله } :

فليس لأحد أن لا يرضى بحكم الرسول ولا يتم الإيمان بالرسول إلا باتباعه وطاعته وتحكيمه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) } :
}
ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم } بطلب التحاكم إلى الطاغوت وصدوا عنك { جاؤوك } تائبين { فاستغفروا الله } طلبوه أن يغفر لهم { واستغفر لهم الرسول } ؛ لأنهم قد تابوا { لوجدوا الله توابا رحيما } ؛ لأنه لو تابوا تاب عليهم ورحمهم وأخبرهم بذلك الرسول فكان هذا خيرا لهم من الحلف بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٤/٢)

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥) (١)

---

(١) . { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥) } :
{ فلا وربك } : تكذيب لدعواهم أنهم آمنوا بعد بيان الدليل على بطلان الدعوى كما لو قالوا قد آمنا ، فقال لا ، وقوله تعالى: { وربك } قسم على إبطال دعواهم ، وقوله تعالى: { لا يؤمنون حتى يحكموك.. } إلى آخر الآية دليل على أن الإيمان لا يكون إلا مع تحكيم الرسول ولا يكفي التحكيم بل لا بد من أن لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضى ، ولا يكفي ذلك بل لا بد من التسليم والإنقياد للحكم ، وقوله: { فيما شجر بينهم } أي فيما وقع بينهم من مشكلة تنازعوا فيها .
قال في [الصحاح] : وشجر بين القوم إذا اختلف الأمر بينهم انتهى .
قلت : معنى اختلاف الأمر اختلاف وجوهه التي لأجلها تنازعوا فيه ، ولعل أصل معنى شجر هنا من شجره الرمح إذا شبكه قال :

يذكرني حم والرمح شاجر ... فهلا تلى حم قبل التقدم

والحرج الضيق فإذا وجدوا في أنفسهم ضيقا من حكم الرسول الذي حكم به بينهم فليسوا مؤمنين ، والتسليم الإنقياد بتنفيذ الحكم والعمل به.
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال إمامنا المنصور بالله القاسم بن محمد عليه السلام هذا نص صريح في عدم إيمان من يجد في صدره أدنى حرج من حكم ما جاء به رسول الله انتهى .
قال في الكشاف : تسليما تأكيد للفعل بمنزلة تكريره ، كأنه قيل: وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم انتهى .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٥/٢)

ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم (١)

---

(١) . { ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم } :

السياق في الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وهم يزعمون أنهم آمنوا ، بدليل العطف في قوله تعالى: { ولو أنا كتبنا عليهم } فهم في صدودهم عن الرسول يصدون عن الشريعة اليسرى ، ولو أمروا بقتل انفسهم أو الخروج من ديارهم لامتنعوا ، ولم يبق تستر بالأيمان الفاجرة ، إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا: والضمير في قوله تعالى : ما فعلوه عائد إلى أحد الشيئين ، وقوله تعالى: { إلا قليل منهم } يفيد أن القليل منهم يصلحون في المستقبل مطلقا ، أو لو كلفوا أحد الأمرين ، ويحتمل أن القليل منهم لو خير بين قتل نفسه والخروج من داره لاختار الخروج من داره وامتثل به لأنه لم يؤمر بقتل نفسه على التعيين .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٦/٢)

ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا (٦٦) (١) وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما (٦٧) ولهديناهم صراطا مستقيما (٦٨) (٢)

---

(١) . { ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا (٦٦) } :

{ ما يوعظون به } : ما يؤمرون به زجرا لهم عن الباطل كالتحاكم إلى الرسول لئلا يقعوا في أحد باطلين: إما التحاكم إلى الطاغوت ، وإما المغالبة المؤدية إلى الجرح أو القتل أو نحو ذلك إذا تركوا المحاكمة ، { لكان خيرا لهم } : لأنه أمر علام الغيوب أحكم الحاكمين الذي لا جور فيه لا غلط الذي يريد اليسر ولا يريد العسر { وأشد تثبيتا } : لكم على الحق وطريق النجاة ؛ لأن طاعة الله وتقواه مع الإيمان سبب للتثبيت كما أن المعصية قد تكون سببا للزيغ .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما (٦٧) ولهديناهم صراطا مستقيما (٦٨) } :

}

وإذا } لو أنهم فعلوا ما يوعظون به { لأتيناهم من لدنا } : من عندنا { أجرا } : ثوابا { عيظما } ، فاجتمعت لهم فائدة العاجل بإصابة الحق الذي هو خير وأحسن تأويلا والتثبيت على الحق لئلا تزل قدم بعد ثبوتها وفائدة الثواب في الآخرة وفائدة زيادة الهدى { ويزيد الله الذين اهتدوا هدى } ولعله قدم ذكر الأجر لكونه أبلغ في الترغيب وزيادة الهدى سبب لزيادة الأجر ، والصراط : الطريق القوي الواضح قال الشاعر :

دعسنا أرضهم بالخيل حتى ... تركناها أذل من الصراط

والمستقيم : الذي لا عوج فيه ، والمراد به سبيل الله الذي هو دينه فتدل الآية على أن الإنقياد لأمر الله ونهيه سبب للعلم النافع الذي هو معرفة الدين وسبب للتوفيق للعمل به . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (٦٩) (١)

---

(١) . { ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (٦٩) } :

هذا عام للمؤمنين المطيعين بأن يكونوا مع الذين أنعم الله عليهم في الجنة يرافقونهم فيها يواصلونهم فيها ويلاقونهم ويزورونهم مثلا فكما هداهم في الدنيا لصراطهم جعلهم في الجنة رفقائهم { وحسن أولئك رفيقا } : قال في الكشاف : فيه معنى التعجب كأنه قيل: وما أحسن أولئك رفيقا انتهى . ومثله في [المصابيح] ، والأقرب: أن المراد بالصديقين السابقون إلى الأنبياء المصدقون بما جاؤوا به ، وقد روى الحاكم في شواهد التنزيل في الآيات من سورة الحديد بسنده عن أبي ليلى عن أبيه قال: قال رسول الله : ((الصديقون ثلاثة : حبيب النجار مؤمن آل ياسين قال يا قوم اتبعوا المرسلين ، وحزبيل مؤمن آل فرعون هو الذي قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وعلي ابن أبي طالب الثالث وهو أفضلهم)) انتهى . وأخرجه ابن المغازلي [ص١٥٩-١٦٠] بسنده عن ابن أبي ليلى عن أبيه قال: قال رسول الله فذكره ، وخرجه المحمودي في طبعة شواهد التنزيل الثالثة من عدة كتب فأفاد أنه رواه أبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة ، وابن عدي قال: ورواه أيضا في الروض النضير [٣٦٨/٥] عن ابن النجار وأبي نعيم في المعرفة ، ورواه أيضا السلفي في المشيخة البغدادية انتهى .
وأما الشهداء فيحتمل أنهم الشهداء على الناس وقد مر ذكرهم عند قوله تعالى: { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد } وهذا أظهر ويحتمل أنهم الذين قتلوا في سبيل الله ، ولا يبعد أنهم سموا شهداء لأنهم يشهدون على الناس فيكون المعنى واحدا .
والصالحون هم الكاملون في الإيمان والتقوى والعمل الصالح الذين سلموا من المعايب ومن الجهل فهم أهل العلم النافع والعمل به ، وهذا لأن السياق يدل على تفوقهم في الصلاح . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٨/٢)

ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما (٧٠) (١)

---

(١) . { ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما (٧٠) } :
{ ذلك } إشارة إلى كون المطيع لله ورسوله مع الذين أنعم الله عليهم المذكورين هو الفضل العظيم من الله الذي ينبغي أن يسعى له كل عاقل ويطلبه بكل جهد ؛ لأنه الفضل من الله { والله ذو الفضل العظيم } أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين لا ينقصه عطاء ولا يثقل عليه تفضل ؛ لأنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم { وكفى بالله عليما } بمن أطاع وبما يحق له من الفضل .
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام دلت الآية الكريمة على

أن جميع ما أنعم الله به على عباده المؤمنين من الهداية والثواب فضل من الله تفضل به على أوليائه وليس ذلك بواجب عليه تعالى الله تفضل به على أوليائه وليس ذلك بواجب عليه تعالى الله عن أن يجب عليه واجب انتهى .

قلت: يعني أنه لا يجب على الله تعالى على حد وجوب الأجرة للأجير لأن الطاعات وجبت للمالك المنعم فلا يجب للعبد أجر عليها ولكنه يستحق الثواب ، بمعنى أنه أهل له كما أن العاصي يستحق العقاب بمعنى أنه أهل له وحقيق به { وكفى بالله عليما } بطاعة من أطاعه وما يستاهل من الثواب والتفضل وبكل شيء .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٩/٢)

يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا (٧١) (١) وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا (٧٢) (٢)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا (٧١) } :
{ خذوا حذركم } : كونوا على حذر من أعدائكم وقد جعل الحذر مأخوذا كالسلاح وأضيف إليهم ؛ لأنه وقاية لهم يختص بهم كما يختص بهم السلاح { فانفروا ثبات } : أي جماعات { أو انفروا جميعا } : مجتمعين كلكم ، والنفر: الخروج إلى العدو أو هو عام لكل ارتحال في سرعة ، قال في مفردات الراغب: النفر الإنزعاج عن الشيء وإلى الشيء كالفزع إلى الشيء وعن الشيء انتهى .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا (٧٢) } :
}
وإن منكم } : أي ممن قد آمن في الماضي ولكنه قد صار في قلبه مرض وذهب منه الإيمان وأكد هذا ب(إن واللام) وتأكيد الفعل لأنهم يستبعدون ممن قد آمن أن ينقلب مثبطا عن الجهاد مائلا إلى الدنيا ، { ليبطئن } : ليثبطن عن الجهاد ويخذل عنه { فإن أصابتكم } في الجهاد { مصيبة } بوقوع قتل وجراح مثلا { قال } هذا المثبط: { قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا } : أي أنعم الله علي إذ

لم أكن معهم فيصيبني ما أصابهم ، ومعنى شهيدا: حاضرا وهذا القول منه من خذلانه ؛ لأنه الخاسر بالتخلف عن رسول الله وكأنه أراد تبرير تخلفه وتبرير تثبيطه والزيادة في التثبيط بهذا الكلام . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/١٠٠)

ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (٧٣) (١)

---

(١) . { ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (٧٣) } :
}
ولئن أصابكم } : أي نالكم { فضل من الله } ولحقكم نصر وغنيمة مثلا { ليقولن يا ليتني كنت معهم فأفوز } بالغنيمة { فوزا عظيما } وذلك أنه لا يهمه إلا الدنيا ومطالبها فهي عنده الفوز العظيم ، ويظهر من هذا أن الكلام في بعض من قد آمن ولم ينافق أنما في قلبه مرض قد ذهب عنه الإيمان واشتغل بحب الحياة ومطالبها فتثبيطه ليس نفاقا إنما هو ليوجد متخلفون معه حتى لا ينفرد بالعار ؛ ولهذا لو أصابوا غنيمة لتمنى أنه كان معهم ، والمنافق بعيد من ذلك لأنه يكره نصر الإسلام على كل حال ، ويؤكد هذا قوله تعالى: { كأن لم يكن بينكم وبينه مودة } فهذه مودة الإيمان استمرت فيه حتى ظهر أمره واستمرت فيهم كذلك بناء على إيمانه ، وكانت هذه المودة تهيئ له الغزو معهم لوثوقه بهم في رعاية الصحبة والأخوة في الطريق وحال المعركة لكن تخلف ميلا إلى الراحة وزهدا في الدين وقلة مبالاة بأمر الله ورسوله ، وكثير من الناس أمثال هذا مسلمين غير منافقين لأن المنافقين هم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/١٠١)

---

* فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما (٧٤) (١)

(١) . { * فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما (٧٤) } :
}
فليقاتل في سبيل الله } : أمر بالقتال في سبيل الله { الذين يشرون } : أي يبيعون { الحياة الدنيا بالآخرة } أي بالحياة الآخرة أي حياة السعادة الدائمة في جنات النعيم ، وهذه هي التجارة الرابحة لا تجارة عبيد الدنيا الذين خسروا الجنة وهم لا بد مفارقون للدنيا { ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل } شهيدا أو ينتصر على العدو { فسوف نؤتيه أجرا عظيما } وهو ثواب الآخرة جنات النعيم ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، فكأنه قيل للمؤمنين: قاتلوا في سبيل الله ولا تكونوا مثل هذا المثبط الخاسر ، وفي هذه الآية دلالة على وجوب القتال في سبيل الله ، وهي دلالة واضحة كدلالة قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار } وفي ذلكم دلالة على لزوم ما لا يتم إلا به من إعداد القوة وصلاح ذات البين واتخاذ قيادة صالحة ذات كفاءة كاملة في الشجاعة وحسن الرأي والتدبير والنصح لله ورسوله وبيع الدنيا بالآخرة .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠٢/٢)

وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا (٧٥) (١)

(١) . { وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا (٧٥) } :
{ وما لكم لا تقاتلون } : سؤال استنكار عن سبب ترك القتال { في سبيل الله } مع وجود الباعث عليه لمن آمن واتقى وضعف الصارف عنه بحيث لا ينبغي للمؤمن أن يعتذر به كأن يقول السبب حب الحياة العاجلة ونسيان الآخرة ؛ لأن متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى { والمستضعفين } : وفي المستضعفين لأنهم إخوة في الدين مقهورون ، وفيها دلالة على حق المؤمن على المؤمن ، وأنه يشترك فيه الذكر والأنثى والحر و العبد .

قال في [الصحاح]: والوليد الصبي والعبد والجمع ولدان وولدة انتهى .
قال في [المصابيح] : قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام دلت الآيتان الكريمتان على وجوب القتال في سبيل الله واستنقاذ الضعفاء المؤمنين الذين يحبون الهجرة ولا يستطيعون سبيلا من الرجال والنساء والولدان انتهى .

وقوله تعالى: { الذين يقولون ربنا أخرجنا } يدل على أنهم راغبون في الهجرة إلا أنهم لم يستطيعوا فدعوا الله أن يخرجهم من القرية التي هم فيها ساكنون ؛ لأن أهلها ظالمون ولا يستطيعون الهجرة من بينهم ، { واجعل لنا من لدنك } : أي من عندك { وليا } يتولى شؤننا ويقوم بمصالحنا ويدفع عنا عدونا { واجعل لنا من لدنك نصيرا } : ينصرنا على أهل هذه القرية ، وقولهم: { من لدنك } يفيد أنهم طلبوا أن يجعل الله ذلك من عنده وهو الولي الذي يستطيعون معه العمل بدين الله الذي يرضاه الله لهم غير ولاة السوء ، وكذلك قولهم: { واجعل لنا من لدنك نصيرا } فيظهر أنهم أرادوا بهذا الدعاء طلب نصر الله لنبيه حتى يفتح بلد الظلمة ويخلص المستضعفين من ظلم الظالمين ؛ لأن ذلك هو الذي يتصور في تلك الحال . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت (١)

---

(١) . { الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت } :
{ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله } : امتثالا لأمر الله ورغبة في ثواب الله ومرضاته ؛ لأن إيمانهم بالله واليوم الآخر المبني على اليقين يبعثهم على الخوف من الله والحذر من النار بحيث يؤثرون طاعة الله على حب الدنيا ؛ ولأنهم يغضبون لله على أعداء الإسلام ، وتحركهم الحمية الإسلامية للجهاد فمن هنا كان الجهاد من علامات الإيمان كما في هذه الآية ، وفي قوله تعالى: { إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون } { والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت } : والطاغوت ما أطغى يفسر بالشيطان وقادة الكفر وسبيلهم الباطل ومحاربة الحق . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا (٧٦) (١)

---

(١) . { فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا (٧٦) } :
{ أولياء الشيطان } : هم المقاتلون في سبيل الطاغوت فقد صاروا بذلك من حزب الشيطان وصاروا مع الشيطان في الدعوة إلى الباطل والصد عن سبيل الله { إن كيد الشيطان كان ضعيفا } : فلا يستطيع مقاومة أهل الحق إذا صبروا وكانوا حزب الله وجنده ؛ لما عندهم من قوة الإيمان وما ينزل لهم من نصر الرحمن ؛ ولأن حزب الشيطان يحبون الحياة ويؤثرونها بخلاف المؤمنين الذين باعوا أنفسهم من الله رغبة في الجنة ومرضاة ربهم ، فهم في القتال يرجون إحدى الحسنيين إما النصر وأما الشهادة .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(١٠٥/٢)

ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية (١)

---

(١) . { ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية } :
}
ألم تر } : تعجيب من قصتهم وتنبيه للسامع للإصغاء لها قيل لهم كفوا أيديكم ولا تمدوها لإثارة الفتنة ومخاصمة الكفار كما يفعل بعض الأتباع الذين يجرون المصائب على من هم معه قبل كمال الإعداد لقتال العدو وينفرون الناس عن اتباع الحق ؛ لأن عدوانهم ينسب إلى أهل الحق لانضمامهم إليهم وهم يصورون للناس أن الذي يفعلونه صلابة في الدين فقيل لهم: {كفوا ايديكم } عما تفعلون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فذلك يكفيكم عن الخصومة في هذا الأوان ، واجعلوا جدكم الذي تزعمونه في الدين بدلا من أن تجعلوه في الخصومات اجعلوه في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فهو العمل النافع إذا كان مع التقوى { فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله } :
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال المرتضى عليه السلام هؤلاء قوم ممن كان مع رسول الله من المنافقين يظهر بلسانه ماليس في قلبه وكانوا يتبرعون إلى الفتنة والقتال ويمدون أيديهم فيما لا يجوز من الأفعال فنهاهم الله عن ذلك ، وكان فعل هذا من قبل أن يفترض الله عز وجل على النبي

الجهاد فأمر الله سبحانه بالجهاد وحكم به عليهم ، وأطلق لنبيه ولهم ثم نكلوا عما كانوا يقولون ورجعوا عما كانوا من أنفسهم يظهرون ، ثم أخبر أنهم يخشون الناس ويفزعون من قتالهم كخشية المؤمنين لله الذين لا ينكلون عن أمره ولا يرجعون عن حكمه ، فذكر الله عز وجل هؤلاء المنافقين أنهم يخشون الناس ويهابون كخشية الله وليس لهم خشية ، ولو كانت لهم خشية لله وهيبة ومعرفة ما نكلوا ولا رجعوا ولا ونوا ولا قصروا ولكن الله أخبر نبيه والمؤمنين أن هؤلاء المنافقين يخشون الناس كخشية الله التي في قلب نبيه وقلوب المؤمنين معه ، فذم الله سبحانه أهل النفاق والكفر والشقاق بفعلهم وما ربك بظلام للعبيد انتهى .

قلت: لا يبعد عندي أنهم في أول أمرهم لما ينافقوا وأنهم إنما كانوا فاقدي الإيمان ثم نافقوا بعد ما كتب عليهم القتال والله أعلم . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا (٧٧) (١)

---

(١) . { وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا (٧٧) } :

}

وقالوا } لما كتب عليهم القتال { ربنا لم كتبت علينا القتال } : جهلا منهم بحكمة الله في القتال وعظم فائدته في الدنيا والآخرة وعدم مبالاة بالدين والدفاع عنه ، وهذا لأن معنى: { لم كتبت } لأي سبب كتبت ، وقولهم: { لولا أخرتنا } طلب إمهالهم في الحياة إلى أن يموتوا بآجالهم وهي قريبة ، فهم حريصون على الحياة مدة قليلة طلبوا أن يسقط عنهم القتال حرصا عليها وتقريبهم للأجل ، وتقليلهم للمدة في هذا الدعاء دليل على جهلهم بقدرة الله وسهولة تعميرهم في هذه الحياة فطلبوه كما يطلب المخلوق الشيء القليل ليسهل عليه إعطاء المطلوب ، { قل } يا محمد: { متاع الدنيا قليل } لا ينبغي أن تجعلوه أكبر همكم { والآخرة خير لمن اتقى } : لما في النعيم المقيم والملك الكبير فهي التي ينبغي أن تحرصوا عليها { ولا تظلمون فتيلا } : ولا تنقصون من أجر الجهاد والعمل للآخرة شيئا ، والفتيل يضرب به المثل في القلة كما مر ، وهو خيط صغير يكون في بطن نواة التمر ، وفائدة قوله: { لمن اتقى } دفع توهمهم أن الآخرة خير لهم على الإطلاق لو قال: والآخرة خير ، فبين أن الآخرة خير

لمن اتقى فإن اتقوا فهي خير لهم وإلا فلا .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠٧/٢)

أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة (١)

---

(١) . { أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة } :
{ يدرككم } أي يلحقكم فهو طالب لكم لا تفوتونه ، وفي مفردات الراغب الأصبهاني: البروج القصور الواحد برج انتهى .
وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام لغريب القرآن { في بروج مشيدة } : معناه في حصون واحدها برج والمشيدة المطولة والمشيد المزين انتهى .

قلت: الأنسب للسياق أن المشيدة هنا بمعنى المطولة لزيادة حصانتها بالطول ، وقد يقال إن طلاءها بالشيد الذي هو الجص زيادة في قوتها وحصانتها من حيث أن المشيد يصعب الطلوع فيه من خارجه فيأمن ساكنه طلوع العدو من ظهر البرج ، وعلى هذا فيحمل على المعنيين لعدم التنافي ولمناسبة كل منهما ، وهذه الجملة من الآية تذكير بالموت ، وأنه لا ينفع الفرار منه ؛ لأنه لا بد منه ، وإذا لم يكن الحياد منه إلا لتأخيره مدة قليلة فهي لا تساوي فوات فريضة الجهاد وثوابها والتعرض لعذاب الله بمعصية أمره بالجهاد .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠٨/٢)

وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا (٧٨) (١)

---

(١) . { وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا (٧٨) } :
هذا نوع آخر من كلام هؤلاء الذين قيل لهم كفوا أيديكم يدل على فسادهم وإفسادهم واستعدادهم

للنفاق ، فإذا نالوا نعمة ولو كانت بسبب من رسول الله لم يعترفوا له بالتسبيب للخير ، بل قالوا { هذه من عند الله } واقتصروا على ذلك ، وإن نالتهم مصيبة قالوا للنبي { هذه من عندك } ولولاك ما أصابتنا ، وذلك على طريقتين :

إحداهما: ما كان بسبب وجود النبي وعداوة الكفار له مثل مؤنة حفر الخندق وهول يوم الأحزاب ، وهذا يدل على فسادهم وأنهم لا يريدون الدفاع عن الدين ولا عن النبي .

الطريقة الثانية: التشاؤم كما كان من قوم فرعون وحكاه الله تعالى عنهم في قوله: وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ، وهذا كثير في الأولين والآخرين يتشاءمون بأهل الحق تنفيرا عنهم { قل كل من عند الله } : فالفتح والنصر والغنائم والأرزاق ونحو ذلك كلها من الله تعالى نعمة لعباده واختبار ، والمصائب تنزل من الله اختبارا وتمحيصا للمؤمنين وتمرينا لهم على تحمل الشدائد وغير ذلك من الفوائد وعقوبة للعصاة المتمردين { فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا } : فلا يرجعون عن جهالاتهم ولا يهتدون بما بلغهم الرسول من هدى الله ولا يحسنون إسلامهم ولا يؤمنون إيمانا صحيحا صادقا بعد ما جاءتهم البينات. كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠٩/٢)

ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا (٧٩) (١)

---

(١) . { ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا (٧٩) } :

}

ما أصابك من حسنة } : من نعمة وخير { فمن الله } تفضل { وما أصابك } من مصيبة كالمرض { فمن نفسك } أنت سببت له ، وهذا معنى نسبته إلى العبد أنه بسبب العبد مع أنه من الله ، فلا تعارض وقد قال في مصيبة أحد: { أولما أصابتكم مصيبة .. } إلى قوله تعالى : { ..قل هو من عند أنفسكم } وقال تعالى: { وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } ولا يجب في التسبيب كله أن يكون معصية متعمدة بل يمكن أن يكون خطأ ويكون سببا للمصيبة ، وليست عقوبة كأكل بعض الطعام الذي يضر بغير تعمد ، نعم قوله تعالى: { ما أصابك } الظاهر أنه خطاب للنبي ومن فائدة ذلك

أن يعرف الجاهلون الذين قال تعالى فيهم: { وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك } أن يعرفوا أن ما أصابهم فبما كسبت أيديهم ؛ لأنهم أولى لعصيانهم تعمدا بخلاف الرسول وأرسلناك للناس رسولا كسائر رسلنا مبشرين ومنذرين ، فعلى هاؤلاء المتشائمين أن يكون همهم معرفة ما أرسلت به من عند الله واتباعك لا التشاغل عن ذلك بالأغراض الدنيوية وجعلها أكبر همهم { وكفى بالله شهيدا } على الرسول والمرسل إليهم والمتبع للرسول والمخالف له .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا (٨٠) (١) ويقولون طاعة (٢) فإذا برزوا من عندك بيت ×pxے ح !s$غ منهم غير الذي تقول (٣)

---

(١) . { من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا (٨٠) } :
{ من يطع الرسول فقد أطاع الله } ؛ لأن الله أمر الناس بطاعته لأنه مبلغ عن الله وما ينطق عن الهوى { ومن تولى } عن طاعة الرسول وعصاه فأمره إلى الله فهو الذي يجازيه ، وليس على الرسول أن يحفظه عن العصيان الذي هو سبب هلاكه .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ويقولون طاعة } : هم الذين قيل لهم كفوا أيديكم يقولون شأننا طاعة للرسول .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٣) . { فإذا برزوا من عندك بيت ×pxے ح !s$غ منهم غير الذي تقول } :
}
برزوا من عندك } : ذهبوا من عندك وصاروا في فضاء من الناس { بيت طائفة } : أي قالت في الليل قولا قدرته لنفعها وسلامتها فيما تظن قولا { غير الذي تقول } لك أي خلاف الطاعة فهي تبيت المعصية ، ولعله تزيين النفاق والتآمر بينهم أن ينافقوا .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٨١) (١) أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (٨٢) (٢)

---

(١) . { والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٨١) } :
يحفظ ما يبيتون لا ينساه فيجزيهم به يوم القيامة ، أو يكتب يأمر الحفظة أن يكتبوه { فأعرض عنهم } : لا تعاقبهم ولا توبخهم { وتوكل على الله } : اتخذه وكيلا تكل إليه أمورك ، واعتمد على نصره وحمايته وكفايته { وكفى بالله وكيلا } : لأنه عالم بحالك وكل شأن من شؤونك لا يغيب عنه شيء ولا يغفل عنك لحظة ، ومع ذلك هو قادر على نصرك وحمايتك وكفايتك ، وهو مع ذلك بر رحيم لطيف لما يشاء .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { أفلا يتدبرون القرآن } :

لما كانت معاصيهم سببها مرض في قلوبهم دلهم على القرآن شفاء لما في الصدور ، فإنهم إذا تدبروه بإنصاف وطلب للحق وجدوه ناصحا أمينا يهدي إلى طريق مستقيم بما فيه من الوعد والوعيد والتذكير بالله والتحذير من الشيطان ومن الإغترار بالدنيا نفعهم إذا آمنوا به وأيقنوا أنه من الله أصدق القائلين فلينظروا ليعلموا أنه من الله .
{ ur } : من الدليل على أنه من الله أنه { لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (٨٢) } :
لأن المخلوق ضعيف تختلف حالته في النشاط وحضور الفكر والكسل والغفلة والقوة والضعف ونحو ذلك فيختلف كلامه تبعا لاختلاف حالاته فيحسن نظمه تارة ويغيره تارة أخرى ، فلذلك ترى قصائد الشاعر الواحد تختلف في الحسن والإتقان وتتفاوت ، بل القصيدة الواحدة تختلف في أحكام الكلام ؛ لأن بعض المعاني تتجه إليه فكرته لرغبته فيه وقوة الباعث عليه من حب وشوق أو حزن أو غيظ وغضب أو طمع أو بغض أو غير ذلك ، والبعض الآخر يتكلفه فالذي يسهل يكون أقدر على إتقان نظمه والذي يتكلفه يضعف عن إتقانه وهذا واضح ، أما كلام الله جل جلاله فلا يختلف لأنه { تنزيل من حكيم حميد } على كل شيء وقدير وبكل شيء عليم ، وقد علم العرب هذا فلم يستضعفوا شيئا من نظمه ولا انتقدوا شيئا من تركيبه ، ولو كان فيه اختلاف لسارعوا إلى نقده لكراهتهم للإيمان به ورغبتهم في إبطاله ، وتدبر القرآن: تفهم معانيه وما يستفاد منها وتؤدي إليه .
قال في الكشاف: تدبر الأمر تأمله والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه ، ثم استعمل في كل تأمل ، فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه انتهى .
قال في [المصابيح] حاكيا : وفي الآية دلالة على بطلان قول من يزعم أن القرآن لا يفهم معناه إلا

بتفسير الرسول أو حجة الله تعالى ؛ لأنه لو كان كذلك لم يكن لدعاء المكلفين إلى التدبر في القرآن وتوبيخهم على ترك الإستدلال به معنى انتهى .

وقد بسطت في هذا المعنى في تحرير الأفكار جوابا عمن قال: السنة حاكمة على القرآن ، وهم يحتجون بقول الله تعالى: { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم } .

قالوا : والمراد لتبين بالسنة ، والجواب : لا نسلم أن المراد بالسنة فهي دعوى لا دليل عليها ؛ لأنه المبلغ للقرآن إلى الناس فالمعنى لتبينه بتبليغه تبليغا بينا بتبيين حروفه في تلاوته عليهم ورفع صوتك به بحيث يسمعونه بتمامه ؛ لأنه لو أغمض بعض الحروف بحيث تلتبس على السامع وخفض صوته به عند تلاوته عليهم فلم يسمعوه تماما لصح أن يقال إنه لم يبينه لهم ، وقد روي أنه كان يرتل القرآن حتى لو أراد أحد أن يعد الحروف لعدها أو كما قيل ، وكذلك قوله تعالى: { إن علينا جمعه وقرآنه } { ثم إن علينا بيانه } وقرآنه: أي قراءته لك ثم للناس بتبليغك إليهم ، ثم إن علينا بيانه لك ثم للناس في تبليغك من الملك وتبليغك للناس وقوله: ثم ليس معناه تراخي البيان لأنه ليس المعطوف بثم وإنما هي للترقي من درجة إلى درجة كقوله تعالى: { كتاب أحكمت آياته ثم فصلت } وكقول الشاعر :

إن من ساد ثم ساد أبوه ... ثم قد ساد قبل ذلك جده

ولو سلم أن ثم لتراخي وجوب البيان على الله عن وجوب قراءة القرآن فلا يستلزم ذلك تراخي البيان ؛ لأنه يمكن أنه سبحانه كتب على نفسه أن ينزل القرآن ويقرأ على الرسول ثم على الناس ، ثم كتب على نفسه أن يجعله بينا للرسول وللناس لتقوم به الحجة ويتبين به قصد السبيل لقوله تعالى: { وعلى الله قصد السبيل } وهذا على سبيل الفرض والتقدير ، ولا يلزم منه تراخي البيان عن قراءة القرآن فلا يلزم التغاير بين القرآن وبيانه ، وقد وصف الله آيات القرآن بأنها بينات كقوله تعالى: { بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم } فدل ذلك على أن بيان القرآن صفة له لازمة لا مفارق له مغاير .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٢/٢)

وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم (١)

---

(١) . { وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم } :

قال في الكشاف: هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال ولا استبطان للأمور كانوا إذا جاءهم خبر عن سرايا رسول الله من أمن وسلامة أو خوف وخلل أذاعوا به وكانت إذاعتهم مفسدة ، ولو ردوا ذلك الخبر إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم وهم كبراء الصحابة البصراء بالأمور أو الذين كانوا يؤمرون ، { لعلمه } : لعلم تدبير ما أخبروا به { الذين يستنبطونه } : الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها انتهى .

وفيه نظر من وجوه :

الوجه الأول: أنه قال هم ناس من ضعفة المسلمين .. إلخ مع أن السياق والعطف يفيد أنهم المذكورون في الآيات قبلها من قوله تعالى: { ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم } وقد دلت على فسادهم وأنهم مظنة النفاق فمسارعتهم إلى إذاعة ما سمعوه إما لفساد نياتهم ، وإما لعدم مبالاتهم بما تؤدي إليه الإذاعة .

الوجه الثاني: أنه قال: كانوا إذا جاءهم خبر عن سرايا رسول الله والآية الكريمة لا تدل على قصر الذي جاء من الأمن أو الخوف على ذلك بل ولا عليه نفسه ، ومن الجائز أن الأمن أي سبب الأمن مثل خبر يفيد أن العدو اختلفوا مثلا فأضربوا عن ملاقاة المسلمين في معركة متوقعة يجب على المسلمين الإستعداد لها فيؤدي الخبر إلى ترك الإستعداد للجهاد مع أن الخبر كذب والإستعداد ضروري ، ومن الجائز أن الخوف مثل خبر عن كثرة العدو المهاجم وكثرة عدته من الخيل وغيرها ليرجف على المسلمين ليثبط ضعفاء الإيمان ليتخلفوا عن الجهاد مع الرسول فلعل هؤلاء من الذين قال الله فيهم: { لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة } .

الوجه الثالث: أنه قال: وهم كبراء الصحابة ، وقدمه قبل قوله: أو الذين كانوا يؤمرون مع أن أولي الأمر في الحقيقة في هذه الآية هم الذين أمرهم رسول الله وتسمية من لم يؤمر ولي أمر مجاز ، ولعل فائدة ذكرهم لوقت غيابهم حيث يرسلهم رسول الله فإذا أذاع المفسدون خبرا تضر إذاعته فعليهم أن يسألوا أميرهم عن حقيقة ذلك الخبر ؛ لأن الأمراء أهل رأي وذكاء وشجاعة ، وإرجاع الخبر إليهم يفيد إما تكذيب الخبر وإما الإستعداد بحيلة أو قوة تعارض الخبر أو نحو ذلك ، وأمير المؤمنين علي عليه السلام مقدم فيهم ويلحق سائر أئمة الهدى بالقياس ؛ لأن الآية في حوادث مضت بدليل قوله تعالى: { وإذا جاءهم } وفي أولئك الذين كانوا في وقت الرسول لأن الواو في أول الآية عطف على الكلام فيهم ، والضمير في جاءهم عائد عليهم ، وجاء فعل ماض ، وأذاعوا فعل ماض ، وأولي الأمر منهم أناس مضوا كان رسول الله يؤمرهم .

وأما قول بعضهم: إن قوله تعالى: { ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم } راجع إلى قوله تعالى:

{ أفلا يتدبرون القرآن } وأن المعنى: ولو ردوا القرآن إلى أولي الأمر منهم لعلم معناه الذين يستنبطونه أي يستنبطون معنى القرآن منهم فهو مشكل ؛ لأن الظاهر عود الضمير إلى أقرب ملفوظ ؛ ولأن التوصل إلى ذلك قد يؤدي إلى جعل فهم القرآن من خصائص الأئمة ، وهو مذهب بعض الإمامية ليتوصلوا به إلى اشتراط أن يكون الإمام معصوما وبالتالي منصوصا عليه ، وهو أيضا مذهب الباطنية ، وقد رد عليهم قول الله تعالى: { أفلا يتدبرون القرآن } كما مر في تفسيرها ، وقوله تعالى: { أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها } فعلى قول الباطنية على القلوب كلها أقفالها إلا قلوب الأئمة وبالله التوفيق .

وقال تعالى: { وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه } فكيف يحكم بين الناس وهم لا يفهمونه ، وقال تعالى: { قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء } فكيف يهتدون بما لا يفهمونه ، وقال تعالى: { قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه } فقال: { جاءكم } أفاد أنهم مخاطبون به فكيف يتعذر فهمهم له وهو خطاب لهم ، فهل خاطبهم الله بما لا يفهمونه؟ ثم قال: { يهدي به الله من اتبع رضوانه } فعم كل مؤمن ، وقال: { وكتاب مبين } فلو كان رموزا لا يفهمها إلا الإمام لما كان مبينا .

وقال الشرفي في [المصابيح]: قوله تعالى { أمر من الأمن أو الخوف } عام في كل ما يتعلق بالحروب وفيما يتعلق بسائر الأحكام الشرعية ؛ لأن الأمن والخوف حاصل بكل ما يتعلق بباب التكليف ، فثبت أنه ليس في الآية ما يوجب تخصيصها بأمر الحرب انتهى .

قلت : الكلام حكاية فعل فهو خاص بما جاء المذكورين الذين قيل لهم كفوا أيديكم ، وجاء فيهم ما ذكره الله في الآيات الماضية ، وليس يعم ما أنزل الله من الوعد والوعيد وما يتعلقان به من الطاعة والمعصية ؛ لأن إذاعة الوعد بالجنة والوعيد بالنار غير مذمومة وليس يتبادر من قوله تعالى: { من الأمن أو الخوف } إلا الأمن من المخلوقين أو الخوف منهم ، فظهر أنه فيما يرجع إلى الأمن من أعداء الإسلام أو الخوف منهم ، ولو سلمنا أنه عام للأمن من المخلوقين والأمن من الخالق والخوف من المخلوقين والخوف من الخالق فالوعد والوعيد لا يجوز كتمانه ولا يعاب إذاعته فهو مخصوص من العموم لو سلمناه ، وكيف تعاب إذاعة سبب الأمن وقد ذكره الله في الكتاب العزيز فقال: { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون } وقال تعالى: { وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون } وإذاعة هذا غير مذمومة وكذلك في القرآن كثير من أسباب الخوف مثل: { ويل لكل همزة لمزة } إلى آخر السورة ، ومثل: { ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها } وإذاعة هذا غير مذمومة وفي هذه الآية دلالة على أن المذكورين فيها يفهمون آيات الله ولو كان فهمها خاصا بالإمام لم يقل فيهم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها لأن من لا يفهمها يكون كأن لم يسمعها ، فلا يعاب عليه أن يسمعها ثم يصير غير متأثر بها ولا متعظ

بها ولا مهتد بل هو كأن لم يسمعها وهذا واضح ، ومن الدليل قوله تعالى في القرآن: { نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين } واللسان العربي يفهمه العربي ولا يختص الإمام بفهمه ، وقد وصفه بأنه مبين فدل على سهولة فهمه لكل من يفهم اللسان العربي فلا يختص بالأئمة .

ولا إشكال أنه ينبغي الإستعانه بتفسيرهم لأجل ما لهم من زيادة الفهم ، فأما حجر القرآن عن غيرهم فهو فساد كبير مخالف لما علم من الدين ضرورة ، وأئمة الهدى يدعون الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله لأنهم مخاطبون بهما ويحتجون عليهم بالآيات والأحاديث بناء على أنهم بفهمونهما ، وقال قائل الأئمة عليهم السلام : أطيعوني ما أطعت الله فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم ، فكيف يعلمون أنه عصى الله لولا أن عليهم أن يتمسكوا بكتاب الله ، وأنهم يفهمون الكتاب والسنة فيعرفون الطاعة والمعصية ، وكيف يتمسك بالكتاب من لا يفهمه ، وفي حديث الثقلين: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي)) فقدم الكتاب ، وفي بعض روايات الحديث: ((.. كتاب الله حبل طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به لا تزلوا ولا تضلوا)) فكيف يتركه فيهم لينجوا من الضلال ويحثهم على التمسك به وهم لا يستطيعون فهمه بل فهمه خاص بالإمام ؟

وفي وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام رواها أبو طالب عليه السلام في أماليه وهي في الباب الرابع : (أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغه كتابي هذا .. إلى قوله عليه السلام ... والله الله في القرآن لا يسبقنكم إلى العمل به غيركم ..) إلخ وهذه الوصية رواها الكليني في الكافي [٧/٥١-٥٢] وهي في نهج البلاغة رقم ٤٧ في باب المختار من كتبه عليه السلام ، وفي النهج غيرها من الحث على العمل بكتاب الله كما في عهده عليه السلام للأشتر ، ومن خطبة له عليه السلام رقم ١٧٥ في قسم الخطب يقول فيه : (واعلموا أنه ليس لأحد بعد القرآن من فاقة ولا لأحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال .. إلى قوله عليه السلام ..فكونوا من حرثته وأتباعه استدلوه على ربكم واستنصحوه على أنفسكم واتهموا عليه آراءكم واستغشوا فيه أهواءكم) انتهى .

وفي الكافي للكليني [ج٢] من الأصول [ص٥٩٨-٥٩٩] : علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله : ((أيها الناس إنكم في دار هدنة .. إلى قوله .. فقام المقداد فقال : يا رسول الله وما دار الهدنة ؟ قال : ((دار بلاغ وانقطاع ، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وماحل مصدق ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وهو الدليل يدل على خير سبيل)) الحديث وهو في أمالي أبي طالب عليه السلام في الباب الثالث عشر ، وفي مجموع زيد بن علي عليه السلام في باب طاعة الإمام بسنده عن علي عليه السلام قال : حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ، وأن يعدل في الرعية ، فإذا فعل ذلك فحق عليهم أن يسمعوا وأن يطيعوا وأن يجيبوا إذا دعوا ، وأيما إمام لم

يحكم بما أنزل الله فلا طاعه له)) انتهى .
وقال القاسم بن إبراهيم عليه السلام في كتاب مديح القرآن الكبير بعد أن أورد آيات من القرآن في فضل القرآن وما فيه من الهدى ما لفظه : ومن لم يهتد في أمره بكتاب الله لم يهتد بغيره للحق أبدا ..إلى قوله عليه السلام .. فالويل كل الويل لمن لم يكتف في أموره وأمور غيره بتنزيل رب العالمين كيف عظم ظلاله وغيه وضلت أعماله وسعيه ..ثم قال عليه السلام ..فمن اعتصم بنور كتاب الله وبرهانه واتبع ما فيه من أموره وتبيانه أدخله الله كما قال سبحانه: { مدخلا كريما } وهداه به كما وعد صراطا مستقيما ، ومن أبصر به واهتدى لم يعم بعده أبدا .. إلخ .
وقال عليه السلام في كتاب الدليل الصغير : الحمد لله الذي جعل الهدى فيما نزل من كتابه مكملا ونزل برحمته للعباد منه بيانا مفصلا فيه لمن استغنى به أغنى الغنى ولمن اجتنى ثمرات هداه أكرم مجتنى .. إلى قوله عليه السلام..فاتخذوه هاديا ودليلا .. إلخ .
وقال الهادي عليه السلام في الأحكام : يجب على الإمام أن يكتب إلى الباغين كتابا قبل مسيره إليهم يدعوهم فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله انتهى .
وقال عليه السلام فيها في باب القول في معاونة الظالمين في الكلام في أعداء أهل البيت الذين يحملون البريء ذنب المذنب منهم : ويح من فعل ذلك من هذه الأمة أما يسمع قول الله سبحانه حين يقول في ذلك وفيمن كان من الخلق كذلك : { ولا تزر وازرة وزر } أخرى .. إلى قوله عليه السلام .. بل قد سمعوه ووعوه ولكن عاندوا في ذلك الحق .. إلى قوله ..كأن لم يسمعوا الله سبحانه كيف أمر نبيه أمرا بأن يفرض على الأمة مودتهم فرضا فقال: { قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى } بلى قد سمعوا ذلك بآذانهم وفهموا فرض الله فيهم بقلوبهم ثم رفضوا من بعد ذلك رفضا .. إلخ .
وفي أمالي أبي طالب عليه السلام في قصة عن بعض أعداء الناصر الحسن بن علي الأطروش عليه السلام أنه قال في الناصر نكرهه ؛ لأنه يحسن مثل هذه الحجة ؛ ولأنه يرد متقلدا مصحفه وسيفه ، ويقول: قال أبي رسول الله : ((إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)) فهذا هو كتاب الله أكبر الثقلين وأنا عترة رسول الله أحد الثقلين ، انتهى المراد .
فهذه الجملة تفيد أن أئمة أهل البيت عليهم السلام وخيارهم يدعون إلى كتاب الله ويحتجون على الأمة به ، ومعنى هذا أن فهمه ممكن للأمة وإلا لما كان لدعوتهم إليه معنى ، وقد طال الكلام ومعناه أمر مفروغ منه في هذا العصر في بلادنا ولكن لا يبعد تغير الحال عن قريب والله المستعان . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا (٨٣) (١)

---

(١) . { ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا (٨٣) } :
{ عليكم } : الخطاب للرسول ومن معه الذين هداهم الله وعصمهم عن أن يكونوا مثل المذكورين في الآيات من قوله تعالى : { ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم } إلى هذه الآية فبين للمؤمنين أن ذلك للمؤمنين كان بفضل الله ورحمته وتوفيقه وهدايته فعليهم أن يشكروا نعمته بما أنزل من الإنذار ولا يعجبوا بأنفسهم فإنها قريبة التحول إذا لم يكن لها من لطف الله عاصم { إلا قليلا } : أي منكم ولعله رسول الله وعلي عليه السلام وأبو ذر رضي الله عنه ونحوه . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(٢/١١٤)

فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا (٨٤) (١)

---

(١) . { فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا (٨٤) } :
{ فقاتل } يا محمد { في سبيل الله لا تكلف إلا } أن تبذل { نفسك } لله وتجعلها في الجهاد في سبيله وليس عليك أن يقاتل من معك من المؤمنين ، إنما عليك أن تحرضهم على القتال .
قال في [الصحاح] : والتحريض على القتال الحث والإحماء عليه ، ثم قال : والحراض الذي يوقد على الحرض ليتخذ منه القلي ، وكذلك الذي يوقد على الصخر ليتخذ منه نورة أو جصا انتهى .

قلت : قوله والإحماء معناه إثارة الحمية والغضب على العدو ؛ ولعل ذلك هو سبب اختيار التحريض مكان الحض ، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ، بجهادكم في سبيل الله فالمعنى قاتل { وحرض المؤمنين } على القتال رجاء أن ينصركم الله على الذين كفروا فيكف عنكم بأسهم بنصركم عليهم { والله أشد بأسا } ؛ لأنه القاهر فوق عباده وبطشه شديد فالعاجل منه قد كان في القرون الماضين كقوم عاد وثمود ، والآجل عذاب النار { وأشد تنكيلا } : قال الراغب في مفرداته : ونكلت به إذا فعلت به ما ينكل غيره واسم ذلك الفعل نكال انتهى ، فالمعنى تعذيبا زاجرا عن فعل سبب ذلك التعذيب .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/١١٥)

من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا (٨٥) (١)

---

(١) . { من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا (٨٥) } :

الشفاعة: أن تطلب للمحتاج حاجته أما نيل خير وإما سلامة من شر ، وفي حديث في صحيفة الإمام الرضى : الشفيع جناح الطالب ، قال صاحب الكشاف ونعم ما قال : الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر أو جلب إليه خير وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في أمر جائز انتهى ، والأولى أن يقال بدل حق مسلم غرض صحيح ليشمل الحد ما فيه مصلحة ولو كانت الشفاعة لذمي أو لأسير أو من يرجى إسلامه أو صلاحه بسبب العفو عنه أو ترك ظلمه ، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها .

قال في [المصابيح] : والكفل النصيب ، ومنه قوله تعالى: { يؤتكم كفلين من رحمته } أي نصيبين انتهى باختصار .

والشفاعة السيئة: ما كانت معاونة على الإثم والعدوان أو موادة لمن حاد الله ورسوله ليست لمصلحة دينية ، ومعنى نصيب منها : الثواب في الخير والعقاب في الشر ، ولو أطلقت الشفاعة السيئة على المحل بالمؤمن مثلا لصح المعنى ولكنه مجاز مشاكلة لفظية والأصل الحقيقة .

قال في الكشاف ومثله في [المصابيح] : وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم ؛ لأنها في معنى الشفاعة إلى الله ، وعن النبي : ((من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك : ولك مثل ذلك)) .

قال في تخريج الكشاف : أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء بلفظ قالت الملائكة: آمين ولك بمثله انتهى ، قال في الكشاف : فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك انتهى ، فأدخل صاحب الكشاف المحل في الشفاعة ، والحديث أخرجه أحمد ومسلم عن أبي الدرداء بلفظ ولك بمثل وليس فيه كلمة ذلك ، وقوله ولك بمثل هو آخر الحديث ، وفي سنن ابن ماجة في المناسك هذا الحديث

وآخره ولك بمثله ، وهو في سنن أبي داود وآخره ولك بمثل بدون هاء الضمير ، ولم أجده بلفظ: ولك مثل ذلك مقيتا .

قال في [المصابيح] للشرفي رحمه الله : في المقيت قولان أحدهما: وهو قول المرتضى عليه السلام إن المقيت القادر على الشيء وأنشدوا للزبير بن عبد المطلب :

وضغن كففت السوء عنه ... وكنت على إساءته مقيتا

أي قادرا قال عليه السلام: وقد قال بعض المفسرين إن معنا مقيتا هو شهيدا وليس هذا عندي بصواب انتهى .

قلت: وفي [لسان العرب] الفراء المقيت المقتدر والمقدر كالذي يعطي كل شيء قوته ، وقال الزجاج: المقيت القدير ، ثم قال: وقال أبو إسحاق الزجاج إن المقيت بمعنى الحافظ والحفيظ انتهى .

وعلى تفسيره بالمقتدر يكون المعنى إن الله كان على كل شيء مقيتا مقتدرا فهو مقتدر على جزاء الشافع بالخير وبالشر يجري كلا بمقدار ما يستحق ، وأخذ التقدير في معناه مناسب لاشتقاقه من القوت قال في [المصابيح] : وقال إمامنا عليه السلام دل ذلك على حسن سعي من سعى إلى الخير للغير وعلى قبح ضده انتهى .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٦/٢)

وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا (٨٦) (١)

---

(١) . { وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا (٨٦) } : قال في مفردات الراغب: فالتحية أن يقال حياك الله ، قال: وأصل التحية من الحياة ثم جعل ذلك دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن الحياة أو سبب حياة انتهى المراد ، فالتحية تصدق على الألفاظ المختلفة وأحسنها السلام ، وظاهر الآية العموم فتعم قولهم: عم صباحا ، وقولهم صباح الخير ونحوه ، وقد ورد في المنافقين تحيتهم لعنة ومعناه إذا لقي بعضهم بعضا لعنه مكان التحية ، فهي مشاكلة تقديرية ،

ولا يدخل في التحية قولهم كيف أصبحت وكيف أمسيت وكيف الحال مما ليس دعاء { فحيوا بأحسن منها } : أجيبوا من حياكم بأحسن من تحيته فإذا قال السلام عليكم فقولوا وعليكم السلام ورحمة الله

أو ردوها حياة بتحيته أي بمثلها ، فإذا قال السلام عليكم فالرد لها وعليكم السلام ، وقوله تعالى: { أو } يصلح للتخيير حيث صلح الأمران ، وللترديد بين حالة صلاحية أفضل وحالة أن لا يصلح إلا الرد ومنه إجابة الذمي بقول المجيب: وعليكم ، ولا مانع من ذلك لأنه من الإقساط إليهم وقد قال تعالى : { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم .. } الآية ، مع أن قوله تعالى: { وإذا حييتم } عام لتحية المسلم والذمي والذكر والأنثى ، بل وظاهره عموم تحية الكافر الحربي ، فإن ثبت مخصص لتحيته عمل بالمخصص وإلا عمل بهذا العموم ؛ لأن الرد ليس من الموالاة ولا الموادة بل هو من شأن المسلم الإنصاف والإحسان ، وقد قال تعالى: { وقولوا للناس حسنا } فعم الناس .

فإن قيل: إن معنى السلام الأمان ، ولا ينبغي تأمين الحربي ، قلنا : لا مانع من تأمينه وقتا قصيرا لينظر ما يقول بعد السلام ، ثم إذا لم يرد الإستجارة ولا طلب الأمان لغرض صحيح أعلن له بالبراءة من أمانه إن لم يسلم ثم قتل حيث لا أمان له ، ولا مانع آخر من قتله ، وظاهر الآية وجوب الرد أو الأحسن ، ولو سلم واحد على جماعة وجب على كل واحد الرد أو الأحسن ولكن لعله يجزي جواب الواحد عن الجماعة إذا وكلوه فكان جوابه عنه وعنهم ، وعليه يحمل الحديث إن صح عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ((يجزي عن الجماعة إذا مرت أن يسلم أحدهم ويجزي عن القعود أن يرد أحدهم)) رواه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه وهو في الباب السابع والثلاثين [ص ٣٤٤] ، وهو في سنن أبي داود في باب ما جاء في رد الواحد عن الجماعة [٤/ ٣٥٤] ورقم الحديث [٥٢١٠] والظاهر أن السند واحد من سعيد ابن خالد ، وسعيد هذا ليس بالمشهور وقد ضعفه عدد من القوم ، والعمدة أنه ليس لنا معرفة بحاله ، فالراجح أن الرد فرض عين أو الأحسن ولا يبعد أنهم لو وكلوا واحدا منهم فأجاب عن نفسه وعنهم معلنا للإضافة إليهم فقال: وعليكم السلام عني وعمن عندي أن يجزي ذلك ، وأن ذلك لا يعني أنه فرض كفاية ، ولكن الأحوط أن يجيب كل واحد والله أعلم .

{ إن الله كان على كل شيء حسيبا } : يحاسب على الصغير الذي يتهاون به الناس وغيره ولا يترك .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٧/٢)

الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا (٨٧) (١)

---

(١) . { الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا (٨٧) } :
هذه أصول الدين تدل على أهمية طاعة الرسول والنصح له لدعوته إلى هذه الأصول حين كان أكثر

الناس مشركين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا بكتابه ، واعتبر يوم القيامة فاصلا بين العباد مجازيا لكل عامل بعمله فالناس يجمعهم الله إلى هذا اليوم الذي يقسمون فيه فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير ، وجمعهم إليه جمعهم فيه له كما قال تعالى: { يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن } .

{ لا ريب فيه } : لا شك فيه ، وأصل الريب قلق النفس من الشك كما قال الشاعر :

لقد رابني من عامر أن عامرا ... بعين الرضى يرنو إلي من جفانيا

}

ومن أصدق من الله حديثا } : لا أصدق من الله حديثا ، خرج النفي مخرج السؤال ؛ لأنه لا يدعي أحد انه أصدق ولا يدعى لأحد أنه أصدق من الله ، فوعده بجمع الناس ليوم القيامة صدق ، وكلما في كتابه صدق وحق لأنه غنى كريم لا يحتاج إلى الكذب ولا يريده ؛ لأن إرادته إرادة حكمة لا إرادة شهوة وهوى ، وهو عالم أنه غني عن الكذب والباطل وأن ذلك قبيح لا يصدر من غني حكيم كريم . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٨/٢)

---

* فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (٨٨) (١) (

---

(١) . { * فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (٨٨) } :

{ فما لكم } : تفريع على ما تبين من أهمية طاعة الرسول واتباعه والنصح له ، قال في الكشاف : فئتين نصب على الحال ، كقولك: مالك قائما انتهى ، وهو سؤال استنكار لاختلافهم في المنافقين وتنازعهم بحيث صاروا فئتين ، قال الراغب في مفرداته: والفئة الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد انتهى .

قال الشرفي في [المصابيح] : روي أنها نزلت في قوم قدموا على النبي مسلمين فأقاموا بالمدينة ما شاء الله ثم قالوا: يا رسول الله نريد أن نخرج إلى الصحراء فأذن لنا فيه ، فأذن لهم فلما خرجوا لم يزالوا يرحلوا كذا مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين ، فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم: لو كانوا

مؤمنين مثلنا لبقوا مثلنا وصبروا كما صبرنا ، وقال قوم: هم مسلمون وليس لنا أن ننسبهم إلى الكفر حتى يظهر أمرهم ، انتهى المراد .

ولعل استنكار التنازع راجع إلى أنهم لم يسارعوا إلى رد أمرهم إلى الله والرسول كما أمر سبحانه ، فالإنكار لثباتهم على التنازع بحيث أنهم فئتان ، أو أنهم تنازعوا فيهم مع وضوح حالهم في عدم الإيمان ، أو الخروج من الإيمان لأنهم تعربوا بعد الهجرة ، وهذا أظهر لأن الإنكار جاء مقيدا بالحال الذي هو قوله تعالى: { والله أركسهم بما كسبوا } فلم يكن ينبغي التنازع فيهم بل كان ينبغي أن تتخلوا عن أمرهم وتجعلوا أمرهم إلى الرسول ليرى فيهم رأيه أو يحكم الله فيهم ؛ لأنهم بترك الهجرة قد خرجوا من ولايتكم لقوله تعالى : { والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا } وقد ظهر نفاقهم لأنه لازم لرجوعهم إلى قومهم لأنه لا يتهيأ لهم إلا بإظهار المودة لقومهم وأنهم معهم ولولا ذلك لطردهم قومهم عند وصولهم لاختلاف الملة فكيف تنازع فيهم المسلمون وصاروا فئتين وقد تبين نفاقهم وأن الله أركسهم أي ردهم في الركس والركس النجس { بما كسبوا } : بمعاصيهم السابقة التي سهلت لهم النفاق والرجوع عن الهجرة .

قال في [المصابيح]: وقال المرتضى عليه السلام معناه خذلهم وتركهم من التوفيق لشرارتهم وبعدهم من طاعة ربهم فهلكوا بذلك وصاروا من المعذبين وعند الله من المقبوحين انتهى .

قلت: الآية من المتشابه ولا إشكال أن ليس المراد أن الله أرجعهم في الرجس جبرا ، وإنما هو التسبيب له بالخذلان وترك الشياطين تؤزهم فنسب إلى الله على طريقة المجاز ليدل على أنه غني عنهم لا يبالي بهم وأن خذلانه لهم عقوبة من الله على ما كسبوا من قبل ، وهذا كقوله تعالى: { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم } ولو كانوا مجبورين على الزيغ لكان زيغهم مترتبا على إزاغته لهم فكان سبحانه وتعالى إذا أخبر بذلك قال فلما أزاغ الله قلوبهم زاغوا بدلا من أن يقول { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم } لكن الزيغ منهم باختيارهم كان سببا لعقوبتهم بالإزاغة التي هي التسبيب لزيغ أقبح من الزيغ الأول بإهمالهم وخذلانهم مع استعدادهم لذلك بعصيانهم الماضي { أتريدون أن تهدوا من أضل الله } : سؤال إنكار على من يجادل عنهم ويعتبرهم مسلمين كأنه يريد أن يحكم لهم بالهدى وقد حكم الله بضلالهم فهذا هو الذي ينكر عليهم ، فأما محاولة هداية الكفار والمنافقين بالترغيب في الدين والتألف للكفار فلا يعاب على من فعله وقد أرسل الله رسوله إلى الناس جميعا يدعوهم إلى الإيمان والهدى .

قال الشرفي في [المصابيح] : فالآية دالة على تحريم الحكم بالهدى لمن ضل ذكره أمامنا المنصور بالله عليه السلام ، { ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا } : لأنه قد عدل عن سبيل الله ولا يوجد سبيل غيرها يؤدي إلى بلوغ الخير والسلامة في الآخرة ، وقد شبهوا بمن ضل في متاهة ولن توجد لهم طريق أبدا فهم هالكون لا محالة ، ويحتمل قوله تعالى: { أتريدون أن تهدوا من أضل الله } أنه إنكار على من يرى تألفهم إلى الدين والرفق بهم فشبه بمن يريد أن يهدي من يعلم أن الله قد أضله بحيث لا يرجع إلى الهدى أبدا فالكلام تسجيل عليهم بالضلال الدائم لا إنكار على من يحاول هدايتهم لأنه سؤال

لتشبيههم بمن يريد ذلك وهذا أنسب لآخر الآية .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٩/٢)

---

tFsù٣ںx. tbqçRq‌ےxمچs? $yJx. (#r٣ےàمچur qs9 tbrٹ–r#
Lym ®س٤ &rr÷٩د›u$!ںB uد[÷kھGs? N,د›ںxsù (#rں (uqy™ (1#!ن]
(#rمچإ_$pkç‰' ûخ' ب@›خ٦y™ "!$# (٢)

---

(١) { tFsù٣ںx. tbqçRq‌ےxمچs? $yJx. (#r٣ےàمچur qs9 tbrٹ–r#) } .
[ن!#uqy™ } :
هؤلاء الذين رجعوا إلى بلاد الكفر قد رجعوا إلى الكفر ، وودوا: أحبوا ورغبوا ، لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء: في الكفر لرغبتهم في الكفر وأن لا يبقى فيه مخالف ، أو ليأمنوا جانبكم وهذا أظهر . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) { Lym ®س٤ &rr÷٩د›u$!ںB uد[÷kھGs? N,د›ںxsù (#rں
(#rمچإ_$pkç‰' ûخ' ب@›خ٦y™ "!$# } :
أي حتى يؤمنوا ويهاجروا في سبيل الله ، ولكونه لا يكفي إسلامهم في دار الكفر لوجوب الهجرة عليهم فموالاتهم حرام حتى يهاجروا في سبيل الله ، والهجرة في سبيل الله هي الهجرة لنصر دين الله ولطاعة الله في الدين كله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٠/٢)

---

ym ›[ك sù Oèdqè=çF%$#urد›ںsù (#q©9uqs? Nèdr*خb
wurں ur٩دٹB $wد[÷kھGs? N,د›ںwur (#rںJ›?%‰y`urكNèdq
#·ژچإtR اrزب (١)

(١) . { ym ›[ك sù Oèdqè=çF%$#urد›ںsù (#q©9uqs? Nèdr*خb
wurں ur٩دٹB $wد[÷kهGs? N,د›ںwur (#rںJ›?%‰y`urكNèdq
#·ژچاءtR اrزب } :

{ فإن تولوا } عن الهجرة في سبيل الله مع الإيمان من جديد { فخذوهم } : خذوا منهم من شئتم واقتلوا من شئتم ، وهذا تخيير ين الأخذ والقتل على التوزيع مثل: { فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع } وقوله تعالى: { حيث وجدتموهم } يحتمل في أي موضع من الأرض لتخويفهم في بلادهم وفي غيرها ، وقيل حيث وجدتموهم ولو في الحرم ، والأقرب أنه كقوله تعالى: { فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم } وأن الحرم مخصوص بقوله تعالى: { ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام } .

}

ولا تتخذوا منهم وليا } : لوجوب معاداتهم ولو أدعوا أنهم باقون على الإسلام ؛ لأن الله تعالى قد بين أنهم قد كفروا ، ولا تتخذوا منهم نصيرا في قتال غيرهم ينصركم لأن حكمهم حكم سائر المشركين .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢١/٢)

---

huZ÷ وoY÷ t/ N٣ںOQqs% N (خ>tƒ 4'nإ=tbqè #$!©%دtûï (خw
&br ¹ك%‰ym Nèdâ'rإ¦y_ ôNu$!ںrâ.ںN &iB (1) ÷rrد›sV"،t/ur î
(gtBqs% (2كƒ Nم(s"Gد=qè#) &ƒ ÷rrم(s"Gد=qè.ںN

(١) . { oY÷ t/ ٣ںOQqs% N (خ>tƒ 4'nإ=tbqè #$!©%دtûï (خw
iBد›sV"،huZ÷ t/ur îوN } :

{ يصلون } عند { قوم بينكم وبينهم ميثاق } عهد على ترك القتال ، فإذا وصلوا عندهم مقبلين إليهم فاتركوهم ، قيل: إذا وصلوا إليهم لاجئين إليهم ، ولعل اشتراط اللجوء مفهوم من حيث أن الذين بينهم وبينهم ميثاق لا يقبلونهم إلا إذا كانوا لاجئين ؛ لأنهم ليس لهم أن يؤوا محاربا لله ورسوله ، فلا بد أن يكون لاجئا أو يخرج من بينهم ولا يبقى حكمه حكمهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف

إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { &rr÷ ٹNrâ.ںu$!ںôNu_y‏ؤ‏ؤ r'âdèN ymژ‰%ژ¹ &br N.ںqè=ژGs"(مƒ

&÷rr (#qè=ژGs"(مN ƒژsqBtg%{ :

فهم مثل الذين يصلون إلى من بينكم وبينهم ميثاق ؛ لأنهم جاؤوكم طالبين للسلم لا يريدون قتالكم ولا قتال قومهم { حصرت صدورهم } : ضاقت وانقبضت واحتبست لكراهتهم قتالكم وكراهتهم قتال قومهم ، فهم داخلون في الإستثناء من قوله تعالى: { فخذوهم واقتولهم حيث وجدتموهم } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٢/٢)

---

u ru9sqںu!$x© ھ!$# Nژsg¯=| ،9s /ں٣›tn=وù N.ںGt=ès"1) ùs=n)s(

بb*N ùs.ںq٩u"ôIt\$# N.Nsù=n.ںèF="s(مr9)sq#) ƒ&ru

مN٣ںٹs9خ) =nNzپپùsJy$ #$9 ںy@è_y ھ!$# /ں٣N s9ژ_kژtn=مn

Wx›خ٦y™ بقزا (٢)

---

(١) . { u ru9sqںu!$x© ھ!$# Nژsg¯=| ،9s /ں٣›tn=وù "èq=ژGt=n.ںGs) } :

فلا تخالفوا نهي الله عن قتالهم وكفوا عنهم كما أمركم الله ، واشكروا نعمة الله عليكم بإلقاء الرعب في قلوبهم حتى حصرت صدورهم أن يقاتلوكم ، فلو شاء قوى قلوبهم ومكنهم من قتالكم وأذهب عنهم الرعب ، ولو كان ذلك لقاتلوكم لأنه لم يمنعهم من قتالكم إلا نصر الله لكم بالقاء الرعب في قلوبهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { بb*N ùs.ںq٩u"ôIt\$# N.Nsù=n.ںèF="s(مr9)sq#) ƒ&ru

مN٣ںٹs9خ) =nNzپپùsJy$ #$9 ںy@è_y ھ!$# /ں٣N s9ژ_kژtn=مn

Wx›خ٦y™ بقزا } :

هذا زيادة توضيح وتفسير للإستثناء في قوله: { أو جاءوكم } المعطوف على المستثنى ، وبيان أن المراد بقوله: { أو جاؤوكم } هو مجيئهم لطلب السلم لا بقاؤهم عند المسلمين فليس شرطا ولا هو

المراد بل متى طلبوا السلم وانصرفوا عنكم معتزلين لكم في مكان من الأرض لا يقاتلونكم وطلبوا المضى في السلم والبقاء عليه وأبلغوكم أنهم متمسكون بالسلم أو أنهم مسالمون لكم فلا يجوز قتالهم ، ولعل هذا كان قبل نزول براءة هذا ، ويحتمل أن قوله تعالى: { أو جاؤوكم } عطف على قوله تعالى: { بينكم وبينهم ميثاق } فالمعنى إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ، أو قوم جاء وكم حصرت صدورهم ، أما قوله تعالى: { فإن اعتزلوكم } فالراجح ما قلته أولا أنه تفسير للإستثناء فهو راجع إلى المنافقين إلى قوله تعالى : { فخذوهم واقتلوهم } والمعنى إلا الذين يصلون إلى معاهدين أو مسالمين ، { فإن اعتزلوكم } : أي الواصلون إلى معاهدين أو مسالمين { فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا } فلا تقتلوهم ولا تأخذوهم وأصل السبيل الطريق ، والمعنى ما جعل الله لكم سبيلا إلى قتلهم أي ليس لكم حجة من الله ولا أذن بقتالهم أو أسرهم . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٣/٢)

ZtBù'tƒ مq.ÏN &ƒ brجچƒ‰ëtbr Ïyz#uچftFy™ tûïïة‰ëtbr (خ>â' 'nث–rے#) tB$.ن@¨ %gtBqsكZtBù'tƒur Nم(#q tI÷ètƒ (# "ح٩نq.ósù N©9 O*خù bدjpk$ &é'.د،فq#) #$٩ےدpuZ÷Fد &ƒr÷‰دgtƒكtƒur O٣نے'9$# (# q،،zNn= (خs9›٣ن/ƒur âم=qà)ù rO (ةےJçGكym Nèdqث[ك sù Nèdqè=çG%$#ur,م›نNèdr YY$ ™ك=ùs"YZ$ مn=tjkحs9 N٣ouZù=yèy_ N$ ur&s9'ré"¯´ح٣نN خ٦oB ازتب (١)

---

(١) . { ZtBù'tƒ مq.ÏN &ƒ brجچƒ‰ëtbr Ïyz#uچftFy™ tûïïة‰ëtbr (خ>â' 'nث–rے#) tB$.ن@¨ %gtBqsكZtBù'tƒur Nم(#q tI÷ètƒ (# "ح٩نq.ósù N©9 O*خù bدjpk$ &é'.د،فq#) #$٩ےدpuZ÷Fد &ƒr÷‰دgtƒكtƒur O٣نے'9$# (# q،،zNn= (خs9›٣ن/ƒur âم=qà)ù rO (ةےJçGكym Nèdqث[ك sù Nèdqè=çG%$#ur,م›نNèdr YY$ ™ك=ùs"YZ$ مn=tjkحs9 N٣ouZù=yèy_ N$ ur&s9'ré"¯´ح٣نN خ٦oB ازتب } :

}

ستجدون } : قوما { آخرين } غير المذكورين في الآية السابقة يخادعونكم فيظهرون لكم أنهم يريدون الإسلام أو أنهم مسلمون أو يطلبون منكم أمانا إذا جاءوكم لسبب من الإسلام { يريدون } بذلك { أن يأمنوكم } ثم يرجعون إلي قومهم فيظهرون لهم أنهم لا يتحولون عن دين المشركين ويدفعون توهم قومهم أنهم أسلموا أو أنهم يريدون الإسلام ليأمنوا قومهم {كل ما ردوا إلى الفتنة } : إلي اختبار قومهم لهم أنهم باقون على الشرك كأن يأمروهم بالسجود للصنم أو التقريب له أو يأمروهم بمعاونة الكفار على المسلمين { أركسوا } : في الفتنة وفعلوا ما طلب منهم قومهم فسجدوا للصنم مثلا فلا هم مسلمون ولا قريبون من الإسلام ، وقوله: { أركسوا } مثل قوله تعالى: { والله أركسهم } فهي من المتشابه ، والركس الرجس وهو نجس الشرك ، قال تعالى: { إنما المشركون نجس } وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله أخذ الحجرين وألقى الروثة وقال إنها ركس ، وفي [الصحاح]: والركس بالكسر الرجس ، والأقرب أنهم إذا جاءوا المسلمين أظهروا لهم أنهم يريدون السلم وإذا رجعوا إلي قومهم فهم منهم ، وكلما اختبرهم قومهم إذا شكوا فيهم بسبب ذهابهم إلى المسلمين فعلوا ما اختبروهم به ، فهم كفار غير مظهرين للإسلام ولذلك قال تعالى فيهم: { فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم } فلو كانوا مسلمين ما أمروا باعتزال المسلمين ، وليس في الآية أنهم يسلمون ثم يرتدون ، بل ظاهرها أنهم يريدون أن يجتمع لهم أمن المسلمين وأمن قومهم وذلك لا يكون بالإسلام تارة والردة تارة ؛ لأنهم إذا أسلموا خافوا قومهم ، وإذا ارتدوا خافوا المسلمين فالأقرب أنهم يتوسلون بغير الإسلام إلى أمن المسلمين مع أمنهم قومهم { فإن لم يعتزلوكم } : فلا يدخلوا بلدكم ويلقوا إليكم السلم بإبلاغكم أنهم مسالمون لكم { ويكفوا أيديهم } تصديقا لإلقائهم السلم حتى يذهب الخداع ويكونوا على أمر واضح ، لا بد من اجتماع هذه الثلاث الخصال وإلا { فخذوهم واقتلوهم } : الأخذ الإمساك والأسر { حيث ثقفتموهم } : حيث ظفرتم بهم { وأولئكم } : الأعداء المخادعون { جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا } : حجة واضحة وتسليطا بينا لقتلهم وأسرهم ، وهو تسليط بحكم الله عليهم بذلك وبنصر المسلمين عليهم نصرا عزيزا . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٤/٢)

جاهز

tBur$ كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ (١)

(١) . { وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ } :
ما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله أي أن إيمانه يحجزه عن قتل المؤمن إلا خطأ ؛ لأن الإيمان بالله واليوم الآخر يأمر بتقوى الله واجتناب سخطه خوفا من عذابه ولذلك قال تعالى في أهل الكتاب المدعين للإيمان بما أنزل عليهم: { قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين } وهذا تهكم به وتسجيل عليهم بكذبهم في دعوى الإيمان ؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين ما قتلوا أنبياء الله فهو كقوله تعالى: { ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء } وقد تكرر في القرآن مثل قوله تعالى: { وما كان لمؤمن } قال تعالى حاكيا عن الرسل: { وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله } فليس المراد أن ذلك لا يجوز لنا ، وإنما المراد أنه لا يليق بحالنا ؛ لأنا لا نقدر عليه إلا بإذن الله الذي يظهر الآيات على أيدينا ، وكذلك قوله تعالى: { قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي } وقول يوسف عليه السلام : { واتبعت ملة آبائي ..إلى قوله ...ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء } أي لا يليق بحالنا لمعرفتنا بالله ووحدانيته وخوفنا منه وعلمنا بقبح الشرك إلى غير ذلك من موانع الشرك ؛ ولهذا فالإستثناء في قوله تعالى: { إلا خطأ } متصل ولا حاجة لجعله منقطعا .
والخطأ: ما ليس بعمد كأن يرمي طيرا فيصيب مؤمنا وهو لا يريد أن يصيبه ، أو يضرب رجلا بعصى وهو لا يريد قتله ولا يظن ذلك ، ومن الخطأ وكز موسى عليه السلام للقبطي لأنه لم يرد أن يقتله .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٥/٢)

ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا (١)

(١) . { ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا } :
تحرير رقبة : اعتقاق رقبة أي عبد أو جارية مؤمنة ، فلا يجزي الكافر ، والمنافق المعلوم نفاقه ، ولا الصبي الذي لم يبلغ حد التكليف ، والإيمان والدية معروفة عند العرب مائة ناقة ، وفي الشرع قال الهادي عليه السلام: دية الرجل من الذهب في أصحاب الذهب ألف مثقال ، ثم بين أصحاب الذهب من أهل البلدان ، ثم قال: والدية في أهل الدراهم عشرة آلاف درهم ، ثم قال: وفي أهل البوادي من العرب وغيرهم مائة من الأبل ، ثم قال: وفي أهل البقر مائتا بقرة ، وفي أصحاب الشاء: ألفا شاة انتهى باختصار .

}
مسلمة إلى أهله } : أي أهل المؤمن القتيل ، وهم ورثته ، والراجح أنها لهم جبر لمصيبتهم وتطييب لأنفسهم وصلاح لذات البين بين المؤمنين ، فأما القتيل فعوضه في الآخرة ، وقد سميت الدية ميراثا ، والأقرب أنها لم تسم ميراثا في الكتاب ولا في السنة ، وإنما وقعت تسميتها ميراثا في لفظ بعض الرواة فالتعبير منهم لاعتقادهم أنها ميراث ، وإذا لم تكن ميراثا فلا يقضى منها دين الميت إلا بإذن الورثة ، فلهم أن يفعلوا ذلك كما لهم أن يصدقوا بها على القاتل فيعفوا عنه . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٦/٢)

فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة (١) وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة (٢)

---

(١) . { فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة } :
يجزي لبراءة ذمة القاتل ، ولا تلزمه الدية وهذا يؤكد أنها ليست ميراثا حقيقة ؛ لأن الميراث إذا عدم الوارث لبيت مال المسلمين ، والقوم العدو هم الكفار .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة } :
}
قوم بينكم وبينهم ميثاق } : عهد على ترك القتال أي صلح موثق بالعهد { فدية مسلمة إلى أهله } : لمكان العهد { وتحرير رقبة مؤمنة } : لأنه مؤمن كما يفيده السياق ، وهو ظاهر كلام الهادي عليه السلام في الأحكام ، وهذا يؤكد أن الدية ليست ميراثا حقيقيا وإنما هي جبر لأهل الميت ، وقام العهد في استحقاق الجبر لأهل الميت هنا مقام اتحاد الملة .
وقال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : ثم ذكر حال المسلم المقتول خطأ إذا كان فيما بين أهل العهد وأهل الذمة ولا شك أن هذا ترتيب حسن إلخ.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما (٩٢) (١)

---

(١) . { فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما (٩٢) } :
{ فمن لم يجد } : رقبة لفقره أو لعدم العبيد والإماء كما في زماننا { فصيام شهرين } يكفيه بدل التحرير للرقبة ، ولا بد من تتابعهما { توبة من الله } على القاتل ؛ لكونه غير متعمد ، والتوبة هي الرجوع ، فالتوبة من الله هنا الحكم على القاتل بالدية والكفارة ، لما في ذلك من الرحمة والتطهير وصلاح الشأن { إن الله كان عليما } : بكل شيء ومنه القتل وكونه خطأ { حكيما } : في كل شيء ومنه حكمه على القاتل خطأ ، والعهد المذكور هنا أعني الميثاق ذكر الهادي عليه السلام أنه نسخ بآيات براءة التي أبطلت العهود هذا معنى كلامه . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما (٩٣) (١)

---

(١) . { ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما (٩٣) } :
}
متعمدا } : بأن يوقع به ما هو عالم أنه يقتل في العادة من جرح أو سقي سم أو القاء من شاهق ، ولو لم يكن غرضه قتله بل غرضه البطش به وإيجاعه غير مبال بقتله ، وهذا قد يكون في حال الغضب نعوذ بالله منه { فجزاؤه } : عقوبته في الآخرة نار { جهنم خالدا } باقيا لا يموت { فيها } : في نار جهنم { وغضب الله عليه } فلا يفتر عنه العذاب ، ولا تنفعه شفاعة ، ولا تسمع له شكوى ؛ لأن السياق يفيد أن ذكر الغضب للدلالة على غايته وما يؤدي إليه { ولعنه } : طرده من رحمته إما في الآخرة بإبعاده من الرحمة في جهنم تغلق عليه أبوابها ، وإما في الدنيا بسلب التوفيق للتوبة ، ثم في الآخرة { وأعد له عذابا } : إعداد الشيء من المخلوق تحصيله ليستعمل في المستقبل حين يجيء وقت استعماله ، كإعداد القوة للعدو لتستعمل في المستقبل عند القتال ، أما إعداد الله سبحانه فيحتمل أن يكون هو

الحكم بالشيء وتقديره ؛ لأنه قادر على تحصيله في وقته فهو كالموجود وهذا وإن كان مجاز فهو قريب ، ويحتمل أن إعداد العذاب العظيم إيجاد جهنم كما روي عن النبي وحمل ذلك على المجاز يحتاج إلى قرينة .

فإن قيل القرينة الدليل العقلي وهو أن الله قادر على إيجادها في وقتها ولا فائدة في تعجيل خلقها قبل وقتها لإعدادها ، وقد يجاب بأن نفي الفائدة يحتاج إلى دليل ؛ لأن من الممكن أن في خلقها حكمة لا نعلمها ، أعني في إعدادها كما يخلق للإنسان رجلين قبل وقت المشي ويدين قبل وقت البطش وغير ذلك ، ويمكن أن يكون في ذلك آية لمن يشاهدها من الملائكة وتذكير عظيم يزداد به إيمانهم أو غير ذلك من الحكمة والله أعلم . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٩/٢)

يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا (١)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا } :

}

إذا ضربتم } : سافرتم في سبيل الله في الجهاد { فتبينوا } حذرا من قتل المؤمن { ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام } : أبلغكم السلم ترك القتال ، أي أبلغكم ما يوجب السلم وهو كالنطق بالشهادتين معلنا لكم للكف عن القتال لا تردوا عليه قوله بقولكم له: { لست مؤمنا } بقلبك إنما شهدت شهادة الحق لئلا نقتلك فتقتلوه بناء على أنه كافر ، والتبين: الكف عن قتاله حتى ينظر هل تم على إسلامه فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم أو رجع إلى الكفر فيقتل متى رجع إلى الكفر ، وقوله تعالى: { تبتغون عرض الحيوة الدنيا } أي لا تقتلوه قبل التبين لأجل أخذ ماله غنيمة وهو يفيد أن أخذه ميل إلى الحياة الدنيا ، وترجيح لمطلبها فإيثاره بعد نزول هذه الآية لا يكون من مؤمن يأمره إيمانه بإيثار الآخرة على الدنيا لينجو من النار ، والآية تعم من ألقى السلم بذكر عهد بينه وبين الرسوله مثلا أو أمان قد سبق له فعلى المجاهدين أن يكفوا عنه حتى يظهر ما يدل على صدقه أو يتبين لهم كذبه فهي عامة ، وإن كان قولهم لست مؤمنا إنما يكون فيمن نطق بالشهادتين للرد عليه .

قال الهادي عليه السلام في الأحكام في كتاب الديات : ثم قال عز وجل تحذيرا للمؤمنين وتأكيدا منه

في التحفظ إذا ضربوا في الأرض من قتل المؤمنين ، فذكر الهادي عليه السلام هذه إلى قول الله تعالى: { مغانم كثيرة } ثم قال الهادي عليه السلام: فيقال إن هذه الآية نزلت في أسامة بن زيد حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أرض غطفان ولم يكن بالمؤمر على السرية فبلغ غطفان خبره فهربوا وتخلف رجل من غطفان يقال له مرداس بن نهيك فلما رآهم خافهم فألجأ غنمه إلى كهف في الجبل ثم استقبلهم فسلم عليهم وشهد بشهادة الحق فحمل عليه أسامة فطعنه وأخذ ماله ، فنزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه بخبره فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم جعل صاحب السرية يثني على أسامة ورسول الله صلى الله عليه معرض حتى إذا فرغ الرجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا أسامة قال الرجل لا إله إلا الله فقتلته؟ كيف لك بلا إله إلا الله ؟)) قال : يا رسول الله إنما قالها تعوذا منا قالها بلسانه ولم يكن لها حقيقة في قلبه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ((أفلا شققت على قلبه فنظرت ما فيه ؟)) فقال : إنما قلبه بضعة من جسده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
((إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها حرمت علي دماؤهم وأموالهم وحسابهم على الله)) انتهى [وقد كتبت الصلوات كما هي في الأم ؛ لأني لم أعلم أهي أصلية أم الناسخ تصرف فيها] .

وقوله تعالى: { تبتغون عرض الحيوة الدنيا } أي تطلبون بذلك عرض الحياة وعرض الحياة المال ونحوه من أغراض الحياة الدنيا ؛ ولكون ذلك سبب نزول هذه الآية جاء على طريقة التوبيخ لمن فعل ذلك فلا مفهوم لها ، وكما يدل عليه بقية الآية فلا يقال مفهومها إذا كان الغرض دينيا فلا بأس أن يقال لست مؤمنا .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٠/٢)

فعند الله مغانم كثيرة (١) كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا (٩٤) (٢)

---

(١) . { فعند الله مغانم كثيرة } : تغنيكم عن مال من قال لا إله إلا الله .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا (٩٤) } :
{ كذلك كنتم من قبل } حين قلتم: لا إله إلا الله ولا يعلم الناس ما في قلوبكم { فمن الله عليكم }

بقبول إسلامكم في تلك الحال { فتبينوا } : لأن حكم الله قبول الإسلام ممن أسلم ومعاملته على الظاهر { إن الله كان بما تعملون خبيرا } : فلا تخفى عليه سبحانه مخالفتكم لأمره إن خالفتم وسيجزيكم بما عملتم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣١/٢)

لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم (١)

---

(١) . { لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم } :

رجع الكلام إلى الحث على الجهاد ، والقاعدون: هم الذين تركوا الجهاد ، وسموا قاعدين باعتبار أنهم لم ينفروا بل بقوا في بلدهم وقعدوا عن الجهاد ، والقاعد هو الجالس ليس بقائم ولا مضطجع فذكرت حالتهم الغالبة في وقت النفر وهي القعود ؛ ولعله قد صار عبارة عن البقاء في البلد وترك النفر من غير نظر إلى حالة جلوس أوغيرها ، وقوله تعالى: { غير أولي الضرر } وهم أهل المرض والعمى والعرج يفهم منه أن من أقعده عن الجهاد الضرر ولولا الضرر لجاهد فإنه قد يكون بمنزلة المجاهد ، وقوله تعالى: { لا يستوي } تقديم لتفسيره بقوله تعالى : كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٢/٢)

فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما (٩٥) درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما (٩٦) (١)

---

(١) . { فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله

المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما (٩٥) درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما (٩٦) }

:

}

درجة } : لأنهم اشتركوا في الإيمان ، واختص المجاهدون بفضيلة الجهاد وذلك في مثل يوم بدر حين كان المتخلفون لم يؤمروا بالنفر من المدينة ، فأما المتخلفون العصاة المتمردون فليس لهم فضل ، وليسوا من المؤمنين ؛ لأن شأن المؤمنين أن يجاهدوا في سبيل الله ، قال تعالى: { إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون } وقوله تعالى: { وكلا وعد الله الحسنى } دلالة على أن المؤمنين القاعدين لهم ثواب الإيمان ، والحسنى صفة لموصوف محذوف فإن كان التقدير المثوبة الحسنى أو العاقبة الحسنى فهي ثواب الآخرة ، ون كان التقدير العدة الحسنى فهي وعد الله للمؤمنين في كتابه وعلى لسان رسوله وهذه الآية تدل على إمكان أن يتخلف المؤمن ولا يكون عاصيا ، ولا أقعده الضرر ، وقد قيل إنها تدل على أن الجهاد فرض كفاية ، وفي دلالتها نظر ؛ لأنه قد يسقط عن المؤمن لا لأن الجهاد فرض كفاية بل لحالة عارضة كما في بدر ، وكما إذا تخلف لأجل الوالدين العاجزين المضطرين إليه ، وكمن لا يجد ما يحمله للسفر وينفق على نفسه ونحو ذلك ، والأولى أن الجهاد واجب على كل مؤمن وإنما يسقط لأعذار في حال الأعذار ، والدليل آية الحجرات المذكورة ، وقوله تعالى: { إن الله اشترى من المؤمنين .. } الآية ، وقوله تعالى: { الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله } وقوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار } وغيرها فهذه أوامر عامة لكل مؤمن ، و { فضل الله المجاهدين على القاعدين } لعلهم القاعدون لغير عذر فهم غير مؤمنين ففضل الله المجاهدين بالجنة وما فيها من الأجر العظيم الذي هو درجات لأهلها من الله على قدر أعمالهم ، وفضل المجاهدين على هؤلاء مغفرة لذنوبهم ورحمة بصرف العذاب عنهم ، كما قال تعالى: { من يصرف عنه يؤمئذ فقد رحمه } فلا يناله ضر أبدا { وكان الله غفورا رحيما } : لمن آمن وجاهد ولمن أطاعه واتقاه وتاب إليه ، فالتفضيل هنا كقوله تعالى: { أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة } وكثيرا يأتي التفضيل بدون مشاركة . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٣/٢)

إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها (١)

(١) . { إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها } :

{ ظالمي أنفسهم } : عاصين لله { قالوا فيم كنتم } : في مكان طاعة لله أم في مكان معصية؟ فإن كنتم في مكان طاعة فكيف عصيتم وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ فهناك مكان الطاعة ، وإن كنتم في مكان معصية فكيف لم تهاجروا إلى مكان الطاعة لتتمكنوا من طاعة الله؟ { قالوا كنا مستضعفين في الأرض } : جواب غير مطابق للسؤال كنا مغلوبين على أمرنا لا نستطيع طاعة ربنا { قالوا } : أي الملائكة { ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها } : لتتمكنوا من عبادة ربكم وتقواه ، فليس الإستضعاف عذرا لكم مع تمكنكم من الهجرة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا (٩٧) (١) إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا (٩٨) (٢)

(١) . { فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا (٩٧) } : لأنهم ماتوا وهم ظالموا أنفسهم بمعصية الله تعالى.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا (٩٨) } : استثنى الله المستضعفين الذين { لا يستطيعون حيلة } لطاعة الله ، ولا للهجرة { ولا يهتدون سبيلا } للخروج إلى حيث يتخلصون من قبضة المشركين ويطيعون ربهم { والولدان } الصغار الذين بلغوا حد التكليف ولم يبلغوا حد المعرفة كيف يتخلصون بسبب غفلة الصغر ، أو هم العبيد والإماء على الإطلاق وخصوا بالذكر لأنهم في الغالب يكونون في قبضة ملاكهم مغلوبين على أمرهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٥/٢)

فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا (٩٩) (١)

---

(١) . { فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا (٩٩) } :
{ فأولئك } المستضعفون حقيقة وصدقا { عسى الله أن يعفو عنهم }
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: صرح الهادي وابناه أحمد الناصر ومحمد المرتضى عليهم السلام في تفسيرهم لكتاب الله بأن عسى من الله واجب وأنه ليس على وجه الشك انتهى ، وفي الآيتين دلالة على وجوب الهجرة على من لم يستطع أن يتم دينه إلا بها ، فهي كقوله تعالى: { يا عبادي إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون } ويدخل في عمومها من يضطر إلى معاونة الظلمة بالمال أو غيره على الظلم ، ومن لا يستطيع تعلم دينه إلا بالهجرة ، والمرأة التي يحملها زوجها على ترك الصلوة أو الصيام أو يطأها وهي حائض ولا تستطيع الفرار منه ، فلا يعذر إلا من لا يستطيع حيلة للتخلص ، ولا يهتدي سبيلا لا يدري من أين يذهب إلى حيث يتخلص .

فأما دليل وجوب الهجرة إلى الرسول وإلى إمام الهدى بعده فهو في أواخر سورة الأنفال غير مشروط بظلم المكلف نفسه إن لم يهاجر ، وقوله تعالى: { وكان الله عفوا غفورا } يفيد أنه تعالى عفو غفور في الماضي مع الحال فهو لم يزل عفوا غفورا منذ خلق العباد وكلفهم .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٦/٢)

---

* ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة (١)

---

(١) . { * ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة } :
هذا ترغيب في الهجرة في سبيل الله ، والمراغم: ما يراغم به أعداء الله .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : يقال أرغمت الرجل إذا فعلت ما يكرهه ذلك الرجل ، واشتقاقه من الرغام وهو التراب انتهى .
وقال الراغب في مفرداته : ورغم أنف فلان رغما وقع في التراب ، وأرغمه غيره ، ويعبر بذلك عن السخط كقول الشاعر :

إذا رغمت تلك الأنوف لم ارضها ... ولم أطلب العتبى ولكن أزيدها

فمقابلته بالإرضاء مما ينبه دلالته على الإسخاط ، وعلى هذا قيل أرغم الله أنفه ، وأرغمه أسخطه ، وراغمة ساخطة ، وتجاهدا على أن يرغم أحدهما الآخر انتهى المراد .

فالمراغم محل استطاعة على إرغام العدو والكثير بأنواع من أسباب سخط العدو كالجهاد ، وتكثير أهل الحق وتقويته بهم وتقويتهم به ، والسعة من وسع وهي سعة مجال الهجرة كقوله: { ألم تكن أرض الله واسعة } ويحتمل سعة مكان الهجرة تيسر الرزق فيه والسلامة من الظلم والإضطهاد الذي يعتبر تضييقا ، كقوله تعالى: { ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن } وقوله تعالى: { وضاقت عليهم الأرض بما رحبت } وهذا ظاهر لأن السعة في الأرض لا ترغب إلا مع الرزق فسعة مجال الهجرة بتيسير رزق المهاجر ، وإن قل فهو كثير مع رضوان الله ، ولا بد أن يصبر المكلف ويتوكل على الله ، وإلا ترك الهجرة أو رجع عنها ، قال تعالى: { يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون .. } إلى قوله تعالى: { ... نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون } . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله (١)

---

(١) . { ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله } : فقد امتثل أمر الله بخروجه من بيته مرتحلا عنه للهجرة إلى الله ورسوله ، والهجرة إلى الله الهجرة إلى دينه ، والهجرة إلى رسوله الهجرة إلى محل هجرته للكون معه في دينه ، فإذا خرج مرتحلا بهذه النية الصالحة ثم أدركه الموت قبل بلوغه مهاجر الرسول { فقد وقع أجره على الله } قال الراغب في مفرداته: الوقوع ثبوت الشيء وسقوطه انتهى . قلت: قد يكون ثبوت الشيء حصوله مثل: { إذا وقعت

الواقعة } وإثبات الأجر له دلالة على حصوله ، فأول حصوله عند حضور الموت وتبشير الملائكة له بالجنة ، وقوله تعالى: { على الله } لتضمينه معنى وجب وحق ، وقد يكون ثبت بمعنى استحقه وصار له تشبيها له بما قد حصل ؛ لأنه واقع لا يتخلف وهذا أظهر وأنسب ؛ لقوله: { على الله } . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه ..وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٨/٢)

وكان الله غفورا رحيما (١٠٠) (١) وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا (١٠١) (٢)

---

(١) . { وكان الله غفورا رحيما (١٠٠) } :

ولذلك قبل توبته عند خروجه ، وغفر له ورحمه في وقت قصير قبل أن يبلغ دار الهجرة ويتعلم الفروض ويعمل .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا (١٠١) } :

قال الراغب في مفرداته: والضرب في الأرض الذهاب فيها هو ضربها بالأرجل انتهى ، وفي [الصحاح]: وضرب في الأرض ضربا ومضربا بالفتح أي سار في ابتغاء الرزق انتهى ، وفي [لسان العرب]: يقال ضرب في الأرض إذا سار فيها مسافرا انتهى ، ومثله في [المصابيح] ، ولفظ الكشاف: الضرب في الأرض هو السفر ، انتهى المراد وهو لفظ يشعر بالعناء والمشقة حيث ذكر هنا ، وفي الترخيص في قراءة القرآن { وآخرون يضربون في الأرض } وقصر الصلاة لأجل الخوف هو جعلها على الصفة المشروعة للخوف فقصر منها ما كان يفعله لولا الخوف .

قال الهادي عليه السلام في الأحكام : وأن قول الله عز وجل { فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا } هو قصرها مع الإمام عما جعل الله من فرضها الذي هو ركعتان أي مع الإمام ، ثم ذكر عليه السلام صفة صلاة الخوف إلى أن قال: وكل أي من الطائفتين قد قسم صلاته قسمين وصلاها جزأين جزأ مع إمامه وجزأ وحده ، فهذا

معنى القصر ، ثم قال . لا أدري من كلامه أم حكاية عن جده القاسم عليه السلام . : وقصرها في هذه الآية إنما هو تنصيفها مع الإمام .. إلخ .
قلت: لعله سمي قصرا من حيث هو منعها وكفها عن متابعة الإمام في الركعة التي ينفرد بها المؤتمون ، ونظيره: { قاصرات الطرف } أي لا يمددنها إلى غير أزواجهن بل يقصرنه على أزواجهن ، والله أعلم .
وقوله تعالى: { إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا } الأقرب أنه تعليل للترخيص في قصر الصلاة المذكور ، وقوله تعالى: { مبينا } أي بين العداوة تحتاجون إلى الحذر منه لكفره وإيمانكم . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم ×pxےح !$s غ منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من Nà6ح !#u'ur ولتأت îpxےح !$s غ أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم (١)

---

(١) . { وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم ×pxےح !$s غ منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من Nà6ح !#u'ur ولتأت îpxےح !$s غ أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم } :
}
وإذا كنت } : يا محمد { فيهم } إذا ضربوا في الأرض وخافوا أن يفتنهم الذين كفروا { فأقمت لهم الصلوة } بإقامة المؤذن وشروعك فيها بالتكبير { فلتقم طائفة منهم معك } : في الركعة الأولى { وليأخذوا أسلحتهم } : استعدادا للعدوا إن هجم وهم مصلون ليدافعوه وهم مصلون { فإذا سجدوا } فسر بالسجدتين واتفقت عليه الروايات في صلاة الخوف أي لا تكفي سجدة واحدة فأما التفسير فقد فسرت بإتمامهم صلاتهم ، تقول سلم الإمام أي التسليمتين ، فلا يستمروا مع الإمام في صلاتهم بل عليهم أن يصيروا من وراء المصلين محافظين عليهم مراقبين للعدو { ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا } : ومفهومه أن الطائفة الأولى قد صلت ، فقيل: لأنها إذا سجدت قامت فأتمت صلاتها بسرعة والإمام قائم منتظر للطائفة الثانية ، وقيل: تكفيها ركعة واحدة وتذهب تجاه العدو ، وقيل: تؤخر الثانية ثم تقضيها وتعيين الحكم في الركعة الثانية للطائفة الأولى يرجع فيه إلى السنة ، وقد اختلفت فيه الروايات ، وقد قيل: إن صلاة الخوف خاصة برسول الله ؛ لقوله تعالى: { وإذا كنت فيهم } حكى هذا في

[الكشاف] وهو قريب إلا أنها رويت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في مجموع زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام أنه قال في صلاة الخوف : يقسم الإمام أصحابه طائفتين ..إلخ فأثبتها للإمام ، والطائفة: اسم لناس ولو قلوا ، والمراد بعض الحاضرين معه ، وقوله : { معك } أي يقوموا مصلين معك جماعة ، وفيه دلالة على أهمية الجماعة ، بل وجوبها عند إقامتها لهم بالأذان والإقامة والشروع فيها ، وقوله تعالى : { ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك } وهذا بعد انصراف الطائفة الأولى الذي دل عليه قوله تعالى: { فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم } أي لحمايتكم من العدو ، وقوله: { لم يصلوا } يشعر بأن هناك غيرهم قد صلوا فيؤكد أن الطائفة الأولى قد صلت ، وبذلك احتج القاسم عليه السلام على أن الطائفة الأولى تتم صلاتها قبل انصرافها إلى مواجهة العدو كما رواه في صلاة النبي صلوة الخوف ، فليصلوا معك بقية صلاتك ويتموا لأنفسهم بعد تسليم الإمام كما في الأحاديث عن النبي { وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم } : جعل الحذر كالشيء الذي يؤخذ لدفع شر العدو كالدرع والدرقة ، ولعله خص الطائفة الثانية بذكر الحذر ؛ لأن العدو يزداد حرصهم على مهاجمة المصلين في الركعة الثانية من حيث هي عندهم فرصة كادت أن تفوت . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٠/٢)

ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة (١)

---

(١) . { ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة } : { فيميلون عليكم } : في حال غفلتكم { ميلة واحدة } : وهي الهجوم ولعله سمي ميلة لكونه على غفلة ، كأن العدو كانوا متجهين إلى أمورهم غير مقبلين عليكم فعدلوا إليكم ، وتوحيد الميلة لاجتماع العدو عليها ووقوعها دفعة واحدة لشدة عداوتهم وحرصهم على الأسلحة والأمتعة والمتاع: ما ينتفع به ، وهذا تأكيد للحث على الحذر والتيقظ وأخذ الأسلحة ، أو تعليل لقصر الصلاة على الصفة المذكورة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤١/٢)

ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا (١٠٢) (١)

---

(١) . { ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا (١٠٢) } :

هذا ترخيص في وضع الأسلحة حالة المطر لمشقة حملها مع المطر ، وكون حالة المطر ليست مظنة هجوم العدو ، أما حالة المرض فلضعف المريض عن حمله ، ومع هذا الترخيص أمروا بأخذ الحذر وهو الإنتباه والنظر إلى جهة العدو في الحين بعد الحين ، وقوله تعالى: { إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا } : بيان لحال الكافرين أن الله مكنهم من محاربة المسلمين ؛ لأنه أعد لهم عذابا مهينا ، ولولا أنه يجزيهم بجرائمهم لما مكنهم ، فلإعداد العذاب مكنهم ؛ ولتمكينهم وجب أن تحذروهم ؛ لأنه أعد لهم عذابا جامعا بين الألم والإهانة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/١٤٢)

فإذا قضيتم الصلاة (١) فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم (٢) فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (١٠٣) (٣)

---

(١) . { فإذا قضيتم الصلاة } : أنهيتموها وفرغتم منها .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم } :

{ فاذكروا الله } : في أحوالكم لتكثروا من ذكره ، كقوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون } والجنوب هي الضلوع يضطجع عليها عند إرادة النوم وفي حالة التعب أو نحوه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (١٠٣) } :
}
فإذا اطمأننتم } : ذهب الخوف { فأقيموا الصلاة } : اجعلوها قيمة كما أمرتم في حالة الأمن ، ولا تجعلوها كصلاة الخوف ، إن الصلاة كانت مكتوبة على المؤمنين محدودة بفروضها وشروطها ، ومعنى { موقوتا } : محدودا ، وحدود الصلاة عدد ركعاتها وركوعها وسجوها وقيامها وقعودها كما أمر الله وأذكارها من التكبير والقراءة وغير ذلك ، ومن حدودها أن تكون جامعة لشروطها من الطهارة واستقبال القبلة وغير ذلك ولهذا لا يزاد فيها ولا ينقص منها بل يؤتى بها على عدد ركعاتها وأركانها بلا زيادة ولا نقصان وكذلك أذكارها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٣/٢)

ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما (١٠٤) (١)

---

(١) . { ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما (١٠٤) } :

{ تهنوا } : من الوهن ضد الصلابة ، وابتغاء: القوم طلبهم أي طلب أخذهم أو قتلهم ، فالمعنى: اطلبوهم بصلابة وقسوة { إن تكونوا تألمون } : في طلبهم بالسفر والقتال { فإنهم يألمون كما تألمون } فاصبروا { وترجون من الله } : بقتالهم وطلبهم ما لا يرجون من قتالهم إياكم ، فأنتم ترجون الجنة و رضوان الله وهم لا يرجون ذلك فاصبروا لتنالوا الجنة ورضوان الله { وكان الله عليما } بما في نفوسكم وما في نفوسهم ، وبكل شيء { حكيما } في أمركم بقتالهم وفي كل ما يقضي وما يخلق .

قال الشرفي رحمه الله : قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام دلت الآية على أن خوف الآلام والأسقام في سفر الجهاد لا يرخص في تركه انتهى .

قلت : لأن المعنى ابتغوهم بصلابة وإن ألمتم ، لكن لعله الألم الذي لا يمنع من القتال كالحر والبرد والتعب والجراح وقتل بعض الأصحاب ، فأما ألم المرض الذي يمنع من القتال فليس من توابع الجهاد العادية وقد رخص الله للمرضى ، ويحتمل أنه إذا لم يوقن بالمرض وجب الطلب حتى يمرض ؛ لأن

الحر والبرد ليسا عذرا مع أنهما مظنة التسبيب لمرض فظهر أن الظن للمرض ليس عذرا . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه .
وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٤/٢)

إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله (١)

---

(١) . { إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله } :
{ الكتاب } : القرآن { لتحكم } به { بين الناس } ؛ لأن فيه الحق ، وهذا في الدلالة على أن القرآن هو الحاكم بين الناس كقوله تعالى: { وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه } { بما أراك الله } من الحق ، ولا يشكل على هذا الحديث: ((إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته فأقضي له على نحو ما أرى فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من نار)) ؛ لأنه يستند في الحكم إلى ما أراه الله ، ومثال هذا: رجل ماتت امرأة وادعى أنها زوجته وأقام البينة على عقد النكاح ولم يكن للخصم حجة تدفع الدعوى فإذا حكم بالبينة فحكمه للزوج بالميراث مستند إلى القرآن ، واعتماده على الدعوى مستند إلى ما أراه الله من وجوب الحكم بين الناس ووجوب العمل بالبينة ؛ لقوله تعالى في الطلاق والرجعة : { واشهدوا ذوي عدل منكم } وقوله تعالى في الدين والبيع: { واستشهدوا شهيدين من رجالكم .. إلى قوله تعالى ..وأشهدوا إذا تبايعتم } .

ويحتمل أن يكون قوله تعالى: { بما أراك الله } عاما للقرآن وسائر الوحي ، فالمعنى: لتحكم بين الناس بما أراك الله في القرآن بالقرآن ، وتحكم بسائر الوحي فيما لم تجد في القرآن ، وبهذا تختلف هذه الآية ، وقوله تعالى: { وأنزل معهم الكتاب ليحكم } ؛ لأن هذه في النبي وهو يعلم ما أوحي إليه من غير القرآن ومن القرآن ، أما من بعده فإنهم إذا لم يعلموا غير الكتاب واختلفوا في السنة لم يكن حاكم إلا الكتاب فيما اختلفوا فيه أمن السنة أم لا ، وفي القضية التي هي غير الخلاف ذلك وليس هذا الإختلاف من التدافع لما بينت . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٥/٢)

ولا تكن Zدtûü ح !$ù,y=دj9 خصيما (١٠٥) (١) واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما (١٠٦) (٢)

---

(١) . { ولا تكن Zدtûü ح !$ù,y=دj9 خصيما (١٠٥) } :

قال الشرفي رحمه الله : قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام قال المرتضى عليه السلام أراد الله عز وجل إكرام نبيئه وتعظيمه من بعد إقامة الحجة على أهل الشرك من أهل الكتاب أن لا يكون لهم خصيما فيما قد بان لهم من الحق وعرفوه معه من الصدق ووجدوه في كتبهم وثبت في عقولهم انتهى المراد .

فحاصل المعنى أن احكم بما أنزل الله ولا تجادل من أبى قبول الحق من أهل الكتاب الذين خانوا بكتمان ما عندهم من الحق كصفات النبي الأمي.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما (١٠٦) }

}

استغفر الله } : أطلبه أن يغفر { إن الله كان غفورا } للمستغفرين { رحيما } لهم وغفورا كثير الغفران ، رحيما يرحم عباده ؛ فلكونه يرحم تطلب منه الرحمة بالإستغفار ، وقد جاء عن أمير المؤمنين تفسير الإستغفار بستة معان ، وهو في حق أهل الكبائر ، فأما رسول الله فهو مطهر من الأرجاس ، واستغفاره يكون من الخطأ والنسيان ، وما يقع بتأويل كالأذن لمن يستأذن ؛ لأنه إن استأذن عن الجهاد لعذر فهو معذور وإن استأذن لغير عذر فهو كاره للجهاد غير مأمون أن ينهزم فيضر غيره من المجاهدين أو يفسد ، فأنزل الله تعالى: { عفى الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين } فالإستغفار من الرسول من مثل هذا . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما (١٠٧) (١)

---

(١) . { ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما (١٠٧) } :

كما نهي عن مخاصمتهم نهي عن الجدال عنهم وعن كل من يخون الله ورسوله وجعل مختانا لنفسه

كقوله تعالى: { وما ظلمونا ولكن ظلموا أنفسهم } فكأنه أخذ نفسه واسترقها بخيانته لله ورسوله ؛ لأنه خسر نفسه بخيانته فكأنه أتلفها خيانة وأخذها كما يأخذ الخائن المال خيانة لمن ائتمنه عليه ، وكلمة افتعل تستعمل في أخذ الشيء نحو اقتطف واقتبس واشترى وارتدى وأتزر { إن الله لا يحب } من يعتاد هذه الجريمة ويعتاد الإثم ؛ لأنه مصر على الإثم ، ولعل فائدة التكثير الإشارة إلى أنه مصر فيخرج من ذلك من صدرت منه وسارع إلى التوبة ، أو إن الذين يختانون أنفسهم: معناه أنه تكرر منهم بغير توبة في خلاله ووقع منهم مرارا عديدة كما يشعر به الفعل المضارع الذي يستعمل فيما يتكرر من فاعله ويصير عادة له مستمرة ، فهو في أناس مخصوصين مثل المنافقين ، فأقام قوله: { من كان خوانا أثيما } مقام لا يحبهم ؛ ليفيد أنه لا يحبهم بسبب خيانتهم وإثمهم الذي صار عادة لهم ، فهو ذم لهم ، وبيان لكثرة خيانتهم وإثمهم ، فأقامه مقام إن الله لا يحبهم لهذه الفائدة وليعم من كان مثلهم .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٧/٢)

يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا (١٠٨) (١)

---

(١) . { يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا (١٠٨) } :

}

يستخفون } : للخيانة من المؤمنين فيبيتون التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول في مكان يستخفون فيه ؛ ليخفى على المؤمنين ما يبيتون { ولا يستخفون من الله } : بترك معصيته فلا يحاولون أن لا يراهم في معصيته ويسمع كلامهم المنكر ؛ لأنهم غافلون عن الله آمنون لمكره لا يستحيون منه { وهو معهم } في حال كلامهم الذي لا يرضاه وهم يبيتونه أي يقولونه في البيات ؛ لإخفائه وهو معهم يسمع ويرى ، أي لا يخفى عليه قولهم ولا يخفون عليه ، وليس بينه وبينهم مسافة تبعدهم عنه ، بل هو أقرب إليهم من حبل الوريد ؛ لأنه معهم لا بمقارنة ولا ظرفية ؛ لأن معيته ليست مثل معية الأجسام أو الأعراض ؛ لأنه لا يحتاج إلى مكان { وكان الله بما يعملون محيطا } : قد أحاط بأعمالهم فلا تضر المؤمنين ؛ لأن الله يمنع ضرها .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا (١٠٩) (١)

---

(١) . { ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا (١٠٩) } :
}
ها أنتم هؤلاء } : قال في الكشاف ها للتنبيه في أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر ، وجادلتم جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كما تقول لبعض الأسخياء: أنت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك انتهى . وجوز فيه وجها آخر ، ولكن هذا عندي هو الظاهر ، وأنتم: خطاب لبعض الصحابة جادلوا بناء على حسن الظن ، ولعل ذلك كان قبل النهي ، أو لجهلهم بأن جدالهم من المنهي ؛ لجهلهم بأن من جادلوا عنهم خائنون ، وقد نزل بعض المفسرين تفسير الآيات على سبب خاص وهو بعيد ، والأولى أنها عامة وقعت دستورا ، وإن كان السبب خاصا { جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا } : التي فيها يعمل الإنسان ما يشاء من حق وباطل ، ويقول ما يشاء ؛ لأن الله ترك عباده مخيرين لاختبارهم وتكليفهم حتى يطيع المطيع باختياره ، ومن يعصى يعصي باختياره ، فإن نفع الجدال عنهم في الحيوة الدنيا فهو متاع قليل ينتهي سريعا { فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة } : يوم لا تملك نفس لنفس شيئا { أم من يكون عليهم وكيلا } : توكل أمورهم إليه ليدافع عنهم .
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: والوكيل هو الذي فوض إليه تدبير الشيء والقيام عليه انتهى ، فالمعنى أنهم يوم القيامة يردون إلى الله وما لهم من نصير ولا معين ولا شفيع . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما (١١٠) (١)

---

(١) . { ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما (١١٠) } :
هذا إرشاد للعصاة الخونة والمجادلين عنهم إن كانوا أثموا ليتوبوا إلى الله ؛ لأنه غفور للتائبين ؛ رحيم

يتوب عليهم برحمته ، والإستغفار: طلب المغفرة فمن طلب المغفرة وجد السبيل إليها ، وليس المراد أنه يغفر له مع الإصرار ؛ لأن الإستغفار منه غير مقبول ؛ لقوله تعالى: { إنما يتقبل الله من المتقين } وقوله تعالى: { ذكروا الله فاستغفروا .. } إلى قوله تعالى: { ولم يصروا على ما فعلوا ...} الآية ، وليس في الآية وعد بالمغفرة لمجرد الإستغفار ؛ لأن المراد الطلب الجاد لا باللسان وحده ، والطلب الجاد يكون الباعث عليه الرغبة في المغفرة والخوف من العقوبة ، والطالب بهذا المعنى قد قيل له إنه يجد الله غفورا رحيما ، فلا يقنط ولكن يطلب ذلك من طريقه ، ونظير هذا لو قيل لمريض: إذا أردت الشفاء فاذهب إلى الطبيب فلان فإنه طبيب ، فالمراد أن الطبيب يستطيع أن يداوي مرضه لا أنه يشفى بمجرد الذهاب إليه . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٥٠/٢)

ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما (١١١) (١)

---

(١) . { ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما (١١١) } :
{ فإنما يكسبه على نفسه } : فهو المسؤول عنه والمعاقب عليه ، ولا يتعداه إلى غيره ، فالمجادلون عن الخائنين إذا استغفروا الله ولم يكونوا تعمدوا المعصية فليس عليهم شيء من إثم الخائنين ؛ لأنهم لم يشاركوا فيه ولم يرضوا به ، { وكان الله عليما } : بالخائن والمجادل ومن يستحق العقوبة ومن لا يستحقها { حكيما } فهو يجازي من يستحق ولا يجازي من لا يستحق .
فإن قيل: هذه الآية وأمثالها من القرآن تدل على أن الآمر بالمعصية والراضي بها لا يشاركان فيها .

قلنا : أما الآمر فهو كاسب لها بالأمر ، وكذلك الراضي الذي ترتب وقوعها على رضاه ، قال تعالى في ثمود: { فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر } وقال تعالى: { فعقروها فأصبحوا نادمين } فجعلهم مشاركين في عقرها ونسبه إليهم كلهم مع أن المباشر لعقر الناقة واحد من ثمود ، فأما من رضي بالمنكر بعد وقوعه فالدليل على إثمه ما روي فيه عن علي عليه السلام في نهج البلاغة وتسميته مشاركا في المعصية مجاز استعاره . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٥١/٢)

ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا (١١٢) (١)

---

(١) . { ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا (١١٢) } :
قيل في تفسيرها: الخطيئة المعصية التي لم يتعمدها فاعلها والتي تعمدها ، والإثم ما تعمده صاحبه ، وقيل: الخطيئة ما تخص فاعلها كترك الصلاة والإثم ما يتعداه إلى غيره ، وقيل: الخطيئة الصغيرة والإثم الكبيرة ، وهذا فيه إشكال ؛ لأنه إن أراد بالصغيرة الخطأ فقد جعل في آخر الآية الإثم المبين هذه المعصية فهو متناقض ، وإن أراد بالصغيرة بعض العمد على القول بذلك فليس اشتقاق الخطيئة من الخطأ الذي هو ضد العمد فمن أين سمي الصغير بهذا المعنى خطيئة ؟ وقد قال تعالى في قوم نوح: { مما خطيئاتهم أغرقوا ...} الآية ، وفي خطيئاتهم الشرك وتكذيب رسولهم والدعوة إلى الشرك وهذه كبائر ، والإشكال الوارد على هذا القول وارد على الأول ؛ لأنه قال في تفسير { فقد احتمل بهتانا وإثما } ما معناه: أن البهتان الكذب والإثم فعله المعصية فهو مشكل مع جعل فعله المعصية يعم العمد والخطأ ، والإشكال وقع بسبب تفسير الإثم المبين بالمعصية التي فعلها العاصي ورمى بها بريئا ، وهو بعيد لوجهين :
الأول : أنه أدى إلى الإشكال المذكور ، الثاني : أنه قد فرض وقوعه في أول الآية فكيف يخبر به في آخرها خبرا مبنيا على فرض وقوعه ، فالراجح أن قوله تعالى: { فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا } خاص برمي البري ، معناه برمي البري احتمل إثم البهتان الذي هو الكذب ؛ لأنه إثم ولو لم يكن رميا لغيره بما فعل كما ذكره الله تعالى في قوله: { أتأخذونه بهتانا } واحتمل برمي البريء إثما مبينا ؛ لأنه ظلمه برميه وهو بريء ، وأعتقد والله أعلم أنه تعالى قال في أول الآية: { ومن يكسب خطيئة أو إثما } لئلا يتوهم أن المراد في آخر الآية بالإثم المبين ذلك الفعل الذي هو متردد بين أن يكون خطيئة أو إثما ، فالحمد لله الذي بين آياته وفصلها كما أنه بدأ بذكر فعله لها ، لأن رميه لغيره بها مع كونه فاعلها دون الغير أشنع وأبلغ في القبح مما لو لم يكن هو الفاعل ؛ ولذلك رتب عليه بقوله: { ثم يرم } فأتى بـ(ثم) لأنه أمر بعيد من حيث أنه لا يتوقع من فاعل المعصية إلا محاولة الستر فأما رمي غيره بها بعد أن فعلها فذلك غير متوقع منه فكان هذا كقول الشاعر:

ولا يكشف الغماء إلا بن حرة ... يرى غمرات الموت ثم يزورها

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت ×pxےح !$©غ منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء (١)

---

(١) . { ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت ×pxےح !$©غ منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء } :

{ منهم } : من الذين يختانون أنفهسم ظنوا أنهم يستطيعون أن يستميلوه إلى الباطل فهموا بذلك ، فلولا فضل الله على النبي ورحمته إياه لضل ، وفضل الله ورحمته من جملته العصمة { وما يضلون إلا أنفسهم } ؛ لأن همهم أن يضلوك ضلال منهم ، وما يضرونك من شيء ؛ لأن الله عصمك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٥٣/٢)

وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (١١٣) (١)

---

(١) . { وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (١١٣) } :

}

وأنزل الله } { الكتاب والحكمة } فهداك بهما وثبتك على الهدى وعلمك بهما ما لم تكن تعلم علما نافعا ، وقوله تعالى: { ما لم تكن تعلم } بيان لعظم النعمة من الله عليه { وكان فضل الله عليك عظيما } من قبل إنزال الكتاب وفي حال أنزال الكتاب والحكمة والرسالة ، فهو فضل عظيم ؛ لأنه سبب الكرامة في الدنيا والآخرة والشرف الأبدي والسعادة في الآخرة والمقام المحمود والدرجة الوسيلة وغير ذلك ، ويحتمل قوله تعالى: { ولولا فضل الله } أن جواب لولا قوله تعالى: { لهمت } فيكون المعنى: إن فضل الله ورحمته منعهم أن يهموا بإضلال النبي ليأسهم من إمكان إضلاله وعلمهم بقوة إيمانه وثباته على دينه ، وذلك لأنهم راغبون في إضلاله { وما يضلون إلا أنفسهم } برغبتهم في ذلك والله أعلم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٥٤/٢)

---

* لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس (١)

---

(١) . { * لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس } :
النجوى: الكلام الذي يكون بين متحادثين يكتمونه عن غيرهم ، فلا خير في كثير من النجوى ؛ لأن الداعي إلى كتمانها في الغالب كونها في ذلك الظرف تناجيا بالباطل الذي يخاف أهله من أن يطلع عليه ، وقد يكون النجوى لأمر بصدقة أو معروف فهذا حسن ، وقد تقتضي الحال إخفاءه لوجود من يعارض الأمر ويثبط فيخفى ليسلم الأمر من المعارضة ، أو لوجود من يطالب في الصدقة ، فإذا علم بالأمر بها لغيره ألح في الطلب وآذى وغيره أحق ، وقد يكون الإخفاء لغير ذلك من الأغراض الحسنة ، وكذلك الأمر بمعروف إن أريد بالمعروف الإحسان ، وإن أريد به الواجب والظاهر العموم فقد يكون إخفاؤه أقرب لطاعة الآمر إذا كان المأمور يأنف من الأمر بين الناس كالنصيحة وكذلك الإصلاح بين الناس ، فقد يوجد من يعارض الصلح ولو علم به لأفسد واحتال عند أحد الخصمين حيلة لئلا يقبل الصلح ، ولعل هذا يشير إلى الإستعانة على الأمور بالكتمان ، كما روي في [سلسلة الإبريز بالسند العزيز] عن النبي : ((استعينوا على الحوائج بالكتمان)) انتهى.
وقوله تعالى: { لا خير } يعم المنكر والمباح الذي يضيع به الوقت في غير مصلحة . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٥٥/٢)

ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما (١١٤) (١)

---

(١) . { ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما (١١٤) } :
{ ومن يفعل ذلك } : أي الأمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس { ابتغاء مرضاة الله } : طلبا لمرضاة الله وتوصلا إليها ، وفي هذا ترغيب عظيم ؛ لأن مرضاة الله أهم ما يطلب { فسوف نؤتيه أجرا عظيما } : فحصل له النجاة من غضب الله والفوز بثوابه العظيم ، وقد قل من يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ، بل قد يصلح بين الناس بعض الكبراء لطلب حسن الصيت ، أو لأخذ الأجرة من المتخاصمين ، أو لمجموع الغرضين { إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٥٦/٢)

ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (١١٥) (١)

---

(١) . { ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (١١٥) } :

}

ومن يشاقق الرسول } : عام في الكفار والمنافقين الذين يختانون أنفهسم { من بعد ما تبين } لهم { الهدى } : بالقرآن الحكيم الذي تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فلم يفعلوا ، وقال: { ولن تفعلوا } فكان صدقا مع شدة حرص أعداء الإسلام على إبطال الرسالة وتكذيب الرسول والقرآن ، فقد تبين لهم الهدى بالمعجز العظيم الذي هو القرآن وغيره ، ومع ذلك شاقوا الرسول { ويتبع غير سبيل المؤمنين } : الصادقين في إيمانهم الناصحين لله ورسوله الذين لا يتولون أعداء الله ولا يتناجون بالإثم والعدوان بل هم كما قال الله تعالى: { والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله } فهذه سبيلهم وهم الناس الذين إذا قيل للمنافقين: { آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء } وسبيل المنافقين ذكرها الله تعالى في قوله: { المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر.. } إلى آخر الآية ، وقوله تعالى: { إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا } وقوله تعالى: { فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة.. } الآية وغيرها فغير سبيل المؤمنين سبيل من في قلبه مرض فليس له إيمان يدعوه إلى الخير ويأمره بتقوى الله ، بل يثقل عليه ما يسهل على المؤمن .

وقد يحتج بالآية على أن الإجماع حجة ؛ لأن مخالف الإجماع متبع لغير سبيل المؤمنين ، والراجح أن المراد بسبيل المؤمنين ما يدعو إليه الإيمان من حيث دعوة الإيمان إليه وهي الخصال السابق ذكرها ولكن لا يبعد دخول ما أجمع عليه المؤمنون ضمنا في حق من علم الإجماع في المسائل الدينية ؛ لأن إيمان أهل الإجماع بعثهم على الإجماع من حيث بعضهم على ما اتفقوا عليه طاعة لله ورسوله ، فأما من

لم يعلم الإجماع وهو ملتزم بصفات المؤمنين المذكورة في القرآن الفارقة بين المؤمن وغيره فهو متبع لسبيل المؤمنين ولا يصدق عليه أنه متبع لغير سبيل المؤمنين ؛ لأن سبيلهم في الحقيقة ما ذكرت وقد اتبعه ، وهو المراد في الآية عندي والله أعلم ؛ لأن المراد بسبيل المؤمنين السبيل المعروفة التي دل عليها القرآن فهي المعهودة ، ونظير هذه الآية قوله تعالى: { واتبع سبيل من أناب إلي } فإن معناه العمل بما تدعوا إليه الإنابة إلى الله والرجوع إليه وهي طاعته ، وإيثار طاعته على طاعة من سواه ، وإلا لزم أن كل منيب إلى الله يجب اتباعه في مذهبه { نوله ما تولى } : نخذله ونجعله واليا لما تولاه أي ما اختار لنفسه من مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين ، وذلك ببسط النعمة وسلب التوفيق { ونصله جهنم } : نعذبه بصليها ومباشرتها لجسده { وساءت مصيرا } : ما أسواها مصيرا يصير إليه نعوذ بالله ، ولما كانت الآية الماضية في المنافقين وهم ينصرون المشركين ويتولونهم وفي المشركين عقبها بالتحذير من الشرك فقال تعالى :

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٥٧/٢)

إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا (١١٦) (١)

---

(١) . { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا (١١٦) } :

قد مر تفسير أكثرها ، والمرجئة يتمسكون بها ليجعلوا الآيات البينات مجملة ، وذلك باطل ؛ لأن المجمل يفسر بالمبين ولا يجوز جعل المبين مجملا بالمجمل ، وإجمال من يشاء الله له الغفران بحكمته ورحمته يؤدي إلى إجمال المغفور من حيث أنه عمل من يشاء الله أن يغفر له لا كل عمل ولو لم يعمله من يشاء أن يغفر له فلذلك كان مجملا في العمل ؛ لأنه لا نعلم من هو العامل الذي يغفر له فلا نعلم عمله تبعا للجهل به .

وقد ظن صاحب [حاشية الكشاف] أنها وردت في السورة مرتين لتأكيد الإرجاء ، والتحقيق أنها تكررت للتحذير من الشرك واستدعاء السياق لها في الموضعين كما بينت ، وقد جاء في هذه السورة الوعيد الجازم موجها إلى المسلمين بدليل السياق وذلك في قوله تعالى: { إن الذين يأكلون أموال

اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا } وقوله تعالى عقيب آيات المواريث: { تلك حدود الله.. } إلى قوله تعالى { .. ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ندخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين } وقوله تعالى: { إنما التوبة على الله للذين.. إلى قوله تعالى .. وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ..إلى قوله تعالى.. أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما } وهي بينة في عصاة المسلمين ؛ لأنها لو كانت في الكفار لقال أسلمت أو آمنت كما قال فرعون ، مع أن السياق قبل الآيتين في المسلمين ، وقوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل } { ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا } وقوله تعالى: { ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما } والسياق في المسلمين ، وقوله تعالى: { إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض.. إلى قوله تعالى.. فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين } ولا إشكال أنهما في الذين أسلموا ولم يهاجروا ، وقوله تعالى: { ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا } وظاهر الخطاب في أولها للمسلمين ، فهذه سبع آيات في سورة النساء ، وقوله تعالى: { فقد ضل ضلالا بعيدا } : يفيد تشبيه الضال عن الحق بالضال عن طريق السلامة في متاهة وقد ابتعد عن الطريق ؛ ليفيد أن المشرك قد صار بينه وبين الحق مسافة بعيدة ، والحق هو طريق السلامة . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٥٨/٢)

إن يدعون من دونه إلا إناثا (١) وإن يدعون إلا شيطانا مريدا (١١٧) لعنه الله (٢)

---

(١) . { إن يدعون من دونه إلا إناثا } :
هذا في مشركي قريش ومن كان على طريقتهم ؛ لأنهم يؤنثون أصنامهم مثل اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وكأنهم يعتبرونها رمزا للملائكة الذين يزعمون أنهم إناث ، والآية الأولى في مشركي أهل الكتاب ، والمخصص هنا العقل المخرج للمشركين من أهل الكتاب والحصر إضافي ، أي ليست آلهة وإنما هي إناث كقوله { إن هي إلا أسماء } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وإن يدعون إلا شيطانا مريدا (١١٧) لعنه الله } :
}
وإن يدعون } أي وإن يعبدون { إلا شيطانا مريدا } لا الملائكة ؛ لأنهم عبدوا الأصنام لا الملائكة ونسبت عبادتهم إلى الشيطان لأنه سببها بالأمر والإغراء فالحصر إضافي ، ولا ينافي أنهم يعبدون الأصنام ، وسميت عبادتهم للشيطان دعاء مشاكلة ؛ لأنها دعاؤهم لأصنامهم ، والمريد كما في [الصحاح]: العاتي قال: والمرود على الشيء المرون عليه ، وقال في [لسان العرب] بعد أن فسر المارد بالعاتي: وتأويل المرود أن يبلغ الغاية التي تخرج من جملة ما عليه ذلك الصنف ، ثم قال: والمريد الخبيث المتمرد الشرير ، وشيطان مارد ومريد واحد .

قلت: يؤكد هذا الحديث في فضل شهر رمضان حيث يفهم منه أن مردة الشياطين شر من بقيتهم نعوذ بالله منهم . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٥٩/٢)

وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا (١١٨) (١) ولأضلنهم ولأمنينهم (٢)

---

(١) . { وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا (١١٨) } :

هذه صفة ثانية للمريد ، والأولى: { لعنه الله } أي طرده من رحمته ، فهي خبر لا إنشاء ، والصفة الثانية تفيد أنه ابليس نعوذ بالله منه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولأضلنهم ولأمنينهم } :

الضميرين للنصيب المفروض الذي اقتطعه من بني آدم وغيرهم وفرضه لنفسه بتخلية الله تعالى { ولأمنينهم } : قال في [لسان العرب] حاكيا : أبو العباس أحمد بن يحيى : التمني حديث النفس بما يكون وبما لا يكون انتهى المراد ، والمقصود بحديث النفس التأميل ، فمعنى { لأمنينهم } أوقعهم في التمني لطول العمر مثلا والمغفرة مع الإصرار وتأميل التوبة في آخر العمر ، والتمني هذا غير التمني الذي يعبر عنه بليت لأنه مأيوس . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام (١) ولآمرنهم فليغيرن خلق الله (٢)

---

(١) . { ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام } :
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: البتك القطع ، وسيف باتك قاطع ، والتبتيك التقطيع انتهى ، وفي تفسير الإمام زيد عليه السلام لغريب القرآن: معناه يقطعن انتهى ، وفي مفردات الراغب الأصفهاني مثل ما ذكره الشرفي وزيادة أن البتك يقال في قطع الأعضاء والشعر ، وبتك الآذان ظلم للأنعام سواء فعلوه تقربا لأصناهم أم لعبا وعبثا . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولآمرنهم فليغيرن خلق الله } :

تغيير خلق الله تحول صورة المخلوق عن صفتها الأصلية التي خلقت عليها مثل وشر الأسنان ، وخصي الفحل من الناس ، وجعل البصير أعمى أو أعور ، والسميع أصم ، والسوي أعرج ونحو ذلك ونتف شعر اللحية حتى يصير صاحبها أمردا ، ونتف شعر العانة ، والوشم بشق الجلد وجعل الكحل فيه ، وتشبه الرجال بالنساء ، وتشبه النساء بالرجال ، بتغيير الصورة أو الصوت ، ويدخل في هذا تحويل الذكر أنثى أو الأنثى ذكرا كما قيل بوقوع أحدهما أو كليهما في بلاد الغرب ، فأما مجرد حلق الشعر الذي لم يثبت جواز حلقه وأصوله باقية بلا تشبه بالنساء أو العكس ففيه نظر ، وأما التشبه بلباس أو عادة فلا يترجح دخوله في تغيير خلق الله ، وإن كان داخلا في حديث لعن من تشبه من الرجال بالنساء أو تشبهت من النساء بالرجال أعني يشمله الحديث ، وقوله: { ولآمرنهم } مرتين تكبر عليهم واستعلاء . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا (١١٩) (١)

---

(١) . { ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا (١١٩) } :
{ ومن يتخذ الشيطان وليا } : من يتبع الشيطان فتفوته ولاية الله ويتولاه الشيطان { فقد خسر خسرانا

مبينا } : خسرانا بينا ؛ لأن ولاية الله أن يلطف بعبده وينصره ويدبر له الخير في دينه ودنياه ؛ لأنه يتولى أموره لإصلاح شأنه ، قال تعالى: { إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين } وقال تعالى: { الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات } وقال تعالى { ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير } فتبين أن ولاية الله هداية إلى السعادة الدائمة ، وولاية الشيطان هداية إلى عذاب السعير حيث الشقاوة العظيمة الدائمة ، وهذا خسران بين لمن فاتته ولاية الله واستبدل بها ولاية الشيطان . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه ..وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٦٢/٢)

يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا (١٢٠) (١)

---

(١) . { يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا (١٢٠) } :
فهذه من ولاية الشيطان لمن اتبعه يعدهم وعدا يغويهم به كوعدهم بطول العمر { ويمنيهم } : يوسوس لهم بالأماني ليغويهم بها ويجريهم على المعاصي { وما يعدهم الشيطان } : إلا بأن يغرهم ويخدعهم ، قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: إيهام النفع بما فيه الضرر.. إلخ ، وقال تعالى في يوم الأحزاب: { إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم .. إلى قوله تعالى.. وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا } اهـ ، أرادوا الوعد بإظهار الدين ، وقالوا في وقعة بدر: { غر هؤلاء دينهم } وقال تعالى: { ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٦٣/٢)

أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا (١٢١) (١)

---

(١) . { أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا (١٢١) } :
المأوى الذي يأوي إليه الحيوان من مسكن أو غيره مما فيه غرض له { قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء } { آوى إليه أخاه } { وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين } { فمأواهم النار } من التهكم بهم أو المشاكلة التقديرية ؛ لأنها تكون لهم مستقرا ومقاما كما يكون المأوى { ولا يجدون عنها محيصا } : أي لا يجدون مكانا يحيصون إليه ، أي يعدلون من العذاب ، قال الراغب في المفردات: أصله من حيص بيص أي شدة ، وحاص عن الحق يحيص أي حاد عنه إلى شدة ومكروه انتهى ، فعلى هذا لا يجدون معدلا يلجأون إليه ولا معدلا مكروها مثل الموت يلجأون إليه ، والراجح أن المحيص ما يلجأ إليه من الشر ولو لم يكن ما يلجأ إليه شر ، ففي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام معناه معدل ، وفي [الصحاح]: حاص عنه يحيص حيصا وحيوصا ومحيصا ومحاصا وحيصانا أي عدل وحاد ، يقال ما عنه محيص أي محيد ومهرب انتهى المراد ..كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا (١٢٢) (١)

---

(١) . { والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا (١٢٢) } :
قال في [الكشاف]: وعد الله حقا مصدران مؤكدان الأول لنفسه ، والثاني لغيره انتهى ، قوله: لنفسه يعني للوعد الذي هو قول الله تعالى: { سندخلهم جنات } وقوله تعالى: { حقا } مؤكد للوعد بأن الموعود به حق لا يتخلف ، والقيل: القول ، وفي قصيدة عنترة :
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها ... قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

وصدق الله لا أصدق منه ؛ لأنه غني عن الكذب ، وعالم لا ينسى ، وقدير لا يعجز ، وكل عسير عليه يسير ، وفي الآية دلالة على وصف الوعد بالصدق فلو تخلف كان كذبا ، وذلك من حيث أن وعده خبر عن الواقع الذي سيكون وهو عالم بالمخبر به ، أما المخلوق فوعده مبني على عزمه ونيته وهو لا يعلم يبقى ذلك العزم أو يتحول ، فكأنه إذا وعد إنما يخبر عن عزمه ، وكذلك قوله تعالى: { ولقد

صدقكم الله وعده } كهذه الآية .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٦٥/٢)

ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا (١٢٣) (١)

---

(١) . { ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا (١٢٣) } :

{ ليس بأمانيكم } : أي ليس يكون لكم بأمانيكم أي ما وعد الله به في الآية التي قبل هذه ، ونظير هذا التركيب الحديث: ((ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل)) أي لا ينال العبد أن يكون مؤمنا بالتمني أي بأن يمني نفسه أنه مؤمن ، ولا بالتحلي: أي بإظهار بعض أوصاف المؤمن كالخشوع ، والأماني ما يمني نفسه أو يمنيه الشيطان أو غيره ، أي يرجوه ويؤمله جمع أمنية ، وروى أبو طالب عليه السلام في الأمالي للإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية :

متى ترى للعدل نورا وقد ... أسلمني ظلم إلى ظلم
أمنية طال عذابي بها ... كأنني فيها أخو حلم

وفي قوله تعالى: { ليس بأمانيكم } دلالة على أنه لا يوثق بالظن ، وأن من عمل سوء جزي به ، والسوء والسيئة سواء ، يجز به: وفيها دلالة على أن الشفاعة لا تكون لترك الجزاء ، وإنما تكون لأهل الجنة في زيادة الخير { ولا يجد له من دون الله وليا } : فيها رد على يتوهم أنه سيكون له ولي يدفع عنه العذاب ، وقوله: { من دون الله } أي دافع بينه وبين الله وهو تمثيل بما يكون ممن أراد أن يدفع عمن يضر به غيره فيتوسط بين الضارب والمضروب ليكف عنه ، والولي الذي يتولى رعاية الإنسان وإصلاح شأنه { ولا نصيرا } : ينصره عند سوقه إلى جهنم فيتخلص من العذاب يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والخطاب في قوله تعالى: { ليس بأمانيكم } : للمسلمين المصدقين بما وعد الله به في الآية التي قبل هذه فالآية في عمومها لعصاة المسلمين واضحة الدلالة فأما المؤمن الصادق الإيمان فجزاؤه على الصغائر إن لم يكن منه سبب لتكفيرها ما يناله من المصائب ، وأما خروج التائب من عمومها فأغنى عن ذكره كونه معلوما من الدين لأن رسول الله أرسله الله إلى الناس ليتوبوا من الشرك وغيره ليغفر لهم ، مع

أن هذا غير مقصود في الآية ؛ لأنه لا يقال في الخطأو النسيان ونحوهما { لا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا } ولأن الجزاء مع الإيمان لا ينافي تمنى الجنة فلا يناسب التفسير به أول الآية ؛ ولأن الأقرب أنها تكفر باجتناب الكبائر لدخولها في العموم ، فالأقرب أن الصغائر وإن كانت سببا فلا يدل ذلك على أن المسبب عقوبة ، فقوله تعالى: { وما أصابك من سيئة فمن نفسك } محمول على التسبيب للبلوى ليعوض أجرها الذي ينال بالصبر عليها ، وعوضها ما نقص بسبب الصغيرة أي ما فات والله أعلم ، والروايات في هذا لعلها مما وضع للملوك لتسهيل المعاصي فلا يعدل عن القرآن لأجلها . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا (١٢٤) (١)

---

(١) . { ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا (١٢٤) } :
}
من ذكر أو أنثى } : فلا فرق في حكم الله ، ولا تضر الأنثى أماني أعدائها المتكبرين ، أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة ، فالأماني قد تكون للإنسان وقد تكون عليه ، ووعد الله لا يتبع الأماني بل هو ما فصل به في كتابه ، وقوله تعالى: { وهو مؤمن } شرط في الثواب على العمل ، فلا ينفع العمل بلا إيمان إنما يتقبل الله من المتقين فأولئك يدخلون الجنة من أجل عملهم وإيمانهم { ولا يظلمون نقيرا } : أي لا ينقصون من ثوابهم مقدار نقير ، قال الراغب في المفردات: والنقير وقبة في ظهر النواة يضرب به المثل في الشيء الطفيف ، وقال الوقب كالنقرة في الشيء اه وكذا في [الصحاح] النقير النقرة التي في ظهر النواة انتهى . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا (١) واتخذ الله إبراهيم خليلا (٢) (١٢٥)

---

(١) . { ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا } :
{ ومن أحسن } : سؤال في معنى النفي وجعل سؤالا لوضع معناه في الفطرة ؛ لأن الله هو الخالق الرازق فهو المالك المستحق للعبادة ، وأسلم الوجه لله أن تجعله لله خالصا لا تتوجه به لعبادة غير الله ، كقوله تعالى: { ورجلا سلما لرجل } وغيرها { وهو محسن } : مطيع لله ، قال تعالى: { هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون } ولا يكون كذلك العاصي المصر { واتبع ملة إبراهيم حنيفا } : فأخلص لله وآمن به وهي ملة محمد حنيفا خاشعا لله أو خاشعا لله محبا له . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { واتخذ الله إبراهيم خليلا (١٢٥) } :

الخلة في الأصل صداقة ومودة في الخليل لخليله ، قال الراغب: فإن الخلة من تخلل الود نفسه ومخالطته ، كقول الشاعر :
قد تخللت مسلك الروح مني ... وبه سمي الخليل خليلا

ولهذا يقال تمازج روحانا انتهى ، وقد بين أن ذلك أنما يصح في المخلوق ، فأما الخلة من الله سبحانه وتعالى فالمراد بها غاية ذلك ولازمه .
قال الزمخشري في هذه الآية: هي جملة اعتراضية لا محل لها من الأعراب كنحو ما يجيء في الشعر والحوادث جمة فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته انتهى .
قلت: وتسمية النحاة لها اعتراضية أو معترضة لا يمنع مجيئها في آخر الكلام ؛ لأنها كثيرا تأتي معترضة بين الكلام وذلك كاف في صحة التسمية لأنها اصطلاح لهم . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا (١٢٦) (١) ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن (٢)

---

(١) . { ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا (١٢٦) } :
فكلهم عباده ولا إله إلا هو فالحق هو إسلام الوجوه له ولم يزل { بكل شيء محيطا } فكل شيء في قبضته فمرجع العباد إليه وحده لا شريك له في ملكه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن } :
فقد أفتى سبحانه بحكم النساء في الميراث والزواج في هذه السورة الكريمة وفي سورة البقرة وسورة الطلاق وغيرها.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن (١)

---

(١) . { وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن } :
}
وما يتلى عليكم } : ويفتيكم ما يتلى عليكم من الفتوى { في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن } : من الحقوق كالمهر والنفقة إذا تزوجتموهن وكالميراث { وترغبون أن تنكحوهن } لعدم الرغبة فيهن فتقدم فيهن من الفتوى قوله تعالى: { وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم } أي فاتركوا نكاح اليتامى للرغبة في مالهن وانكحوا غيرهن من النساء ما طاب لكم منهن ، ونزل من الفتوى: { إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما } ونزل: { لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها .. } الآية ، فهذه الآية تأمر بالرجوع إلى ما سبق لأنها إحالة للمستفتي على ما مر ، وتبين أن المراد في أول السورة في قوله تعالى: { وإن خفتم أن لا تقسطوا } هو حكم اليتامى المذكورات هنا .كقوله تعالى {

حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٧٠/٢)

والمستضعفين من الولدان (١) وأن تقوموا لليتامى بالقسط (٢)

---

(١) . { والمستضعفين من الولدان } :
أي وفي المستضعفين من الولدان : أي ما يتلى عليكم فيهم ، أو يفتيكم فيهم ، وابتلوا اليتامى ، وليخش الذين لو تركوا من خلفهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وأن تقوموا لليتامى بالقسط } :
أي يفتيكم أن تقوموا لليتامى بالقسط أو ما يتلى عليكم أن تقوموا لليتامى بالقسط ، وذلك قوله تعالى: { ومن كان غنيا.. } الآية ، وقوله تعالى: { ولا تأكلوها إسرافا وبدارا } وقوله تعالى: { ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم.. } الآية ، وقوله تعالى: { إن الذين يأكلون أموال اليتامى } وغيرها
.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٧١/٢)

وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما (١٢٧) (١)بخ)bur امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير (٢)

---

(١) . ( ) { وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما (١٢٧) } :
فهو يجزيكم به لا يفوت منه شيء ، وهو عام في كل خير ، ويدخل فيه فعل الخير للنساء اليتامى أو عموما ، والمستضعفين من الولدان واليتامى عموما .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير } :

}

بعلها } : زوجها { نشوزا } : نبوا عنها وترفعا ، قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: والمراد أنها خافت لما لاح لها من أمارات النشوز وهو أن يمنعها ما يتوجه عليه من نفقة وحسن عشرة ، والإعراض أن يقل محادثتها لطعن سن أو ملال أو طموح في أخرى أو غير ذلك انتهى المراد { فلا جناح عليهما أن يصالحا } : فلا إثم عليه ولا عليها ، وقوله تعالى: { صلحا } بالتنكير أي أي صلح يرتضيانه ويتفقان عليه ، والمراد ما لا يحل حراما أو يحرم حلالا كما جاء في الحديث ؛ لأن إباحة الصلح ليس إلا لترك بعض الحقوق الزوجية ، وتحريم الحلال أو تحليل الحرام أمر خارج عن ذلك ، فليس داخلا في الآية ، والصلح خير ترغيب في الصلح بين الزوجين وغيرهما .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٧٢/٢)

وأحضرت الأنفس الشح (١) وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا (١٢٨) (٢)

---

(١) . { وأحضرت الأنفس الشح } :

إشارة إلى الصلح بنقص النفقة أو تركها فقد يكون الزوج ثقلت عليه النفقة وأشرف على النشوز من أجل شحه بالمال فلا بأس بالصلح بالنقص أو الترك إذا كانت الزوجة تجد نفقة من مالها أو مال أبيها مثلا وذلك لاستبقاء الزواج بينهما .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا (١٢٨) } :

ترغيب في الإحسان بعد الصلح وأن لا يتكل الزوج عليه ، وكذلك في الإحسان بأن لا يحوجها إلى الصلح وغير ذلك من الإحسان ، وترغيب في التقوى ؛ لأن الله يجزي بما عمل العبد من طاعة وإحسان جزاء موفورا ؛ لأنه بذلك خبير لا يخفى عليه قليل ولا كثير ، وكذلك ما عمل العبد من سوء

فالله كان به خبيرا يجزيه به الجزاء الأوفى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٧٣/٢)

ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة (١)

---

(١) . { ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة } :
قد قال تعالى: { فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة } فمن تزوج اثنتين أو أوكثر فإنه يقع في المشكلة ، فالميل ثلاثة أقسام :
الأول: الميل اليسير بسبب غلبة الحب مثلا مع التسوية في المبيت والإنفاق الواجب ، ومع إخفاء الميل بقدر المستطاع ؛ لأن لا يضر التي مال عنها بالغيظ والغم ، فهذا لا يبعد جوازه ، وقد روى في مجموع زيد بن علي عليهما السلام عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام في قول الله عز وجل: { ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم } قال: هذا في الحب والجماع ، وأما النفقة والكسوة والبيتوتة فلا بد من العدل في ذلك.
القسم الثاني من الميل: التقصير في التسوية في المبيت والواجب من النفقة ، فهذا لا يجوز ، ولكن تجوز المصالحة عند خشيته كما في الآية التي قبل هذه ، فإن أبى أحدهما الصلح فلا بد من العدل أو الطلاق .

القسم الثالث: ما نهي عنه في هذه الآية فلا تميلوا كل الميل ، فهذا لا يجوز ولا بالصلح ؛ لأن الله نهى عنه ، وإن أباح الصلح وخصه بالنهي دون ما دونه والله أعلم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٧٤/٢)

وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما (١٢٩) (١)

---

(١) . { وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما (١٢٩) } :
{ وإن تصلحوا } : بعد الفساد بتركها كالمعلقة وذلك بحسن العشرة أو المصالحة على بعض الحقوق { وتتقوا } : الله بالتوبة من ما مضى والطاعة { فإن الله } يغفر ما مضى ؛ لأنه {كان } وما زال { غفورا رحيما } ومعنى: كان إثبات الشيء فيما مضى لانفيه في الحال فهو يكون في بعض الأمور منتفيا في الحال وفي بعض ثابتا ، ولم أقل: لم يزل لأنه مفهوم كان ولكنه لأنه الواقع ، أما غفورا فمن حين خلق المكلفين وكثرت مغفرته لهم ، وأما رحيما فهو بمعنى من شأنه أن يرحم فيكون صفة له في الأزل فشأنه في الأزل أن يفعل ما يفعله الراحم ، وهذا واضح لأنه في المخلوق صفة مشبهة ليس اسم فاعل .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(١٧٥/٢)

وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما (١٣٠) (١)

---

(١) . { وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما (١٣٠) } :
{ يتفرقا } : بالطلاق أو غيره من أسباب التفرق { يغن الله كلا } : أي كلا منهما عن صاحبه { من سعته } : قال في [الكشاف] : والسعة الغنى والمقدرة ، والواسع الغني المقتدر انتهى ، والأولى أن تفسير السعة بالغنى اولإقتدار إنما يصح لسعة الحال التي تقابل ضيق الحال ، فأما السعة المضافة إلى الله فهي ما يفيده وصفة بأنه واسع .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: وإنما جاز وصف الله بذلك لأنه واسع الرزق ، واسع الفضل ، واسع الرحمة ، واسع القدرة ، واسع العلم فلو ذكر الله تعالى أنه واسع كذا لاختص بذلك المذكور لكنه لما ذكر الواسع وما أضافه إلى شيء معين دل على أنه واسع في جميع الكمالات انتهى ، ونحوه في مفردات الراغب الأصفهاني ، وقوله تعالى: { حكيما } دليل أنه جوز الطلاق بحكمته فالإعتراض على شرع الطلاق إنما هو جهل بالحكمة مع كونه كفرا ، فقد يكون الطلاق فرجا لأحد الزوجين أو لهما معا حتى كأنه خرج من السجن ، مع أن الله قد رخص للزوج لئلا يضطر إلى الطلاق مع بقاء المصلحة في بقاء الزواج حيث رخص في تزوج ثنتين وثلاث وأربع فلا يضطر الزوج إلى طلاق الأولى لرغبته في الثانية

وهكذا ، وكذلك رخص في الصلح كما مر وفيه إبقاء للزواج ، ومع شرعه تعالى للطلاق شرع الرجعة إذا لم يكن خلعا ولا ثالثا وكانت مدخولة ، وقال تعالى: { لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا } فقد يندم الراغب في الطلاق فتكون الرجعة تيسيرا له وإبقاء للزواج ، ثم إن الله أحكم الحاكمين قد حكم به فلا معنى لاعتراض الكفار . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٧٦/٢)

ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله (١)

---

(١) . { ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله } :

{ ولله ما في السموات وما في الأرض } : فيه دلالة على أن من فيهما عباده يحكم فيهم ما يريد ، فالأحكام الماضية في السورة وغيرها كلها حق ، ومن ذلك الصلح بين الزوجين والتفرق إن كان فعلى العباد أن يطيعوه ليتقوا عذابه ، ولقد وصى بتقواه الأولين والآخرين فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس وهي نعمة ورحمة لمن قبلها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٧٧/٢)

وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا (١٣١) (١) ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا (١٣٢) (٢)

---

(١) . { وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا (١٣١) } :

{ وإن تكفروا } : نعمة الله وتخالفوا وصيته ، أو وإن تكفروا بوصيته وتجحدوا أنها منه { فإن لله ما في السموات وما في الأرض } فإنما أنتم عبيد عصوا ربهم فاستحقوا العقاب { وكان الله غنيا } : كقوله تعالى: { إن تكفروا فإن الله غني عنكم } وهنا زيادة الإطلاق فهو ما زال غنيا عن كل شيء { حميدا }

: مستحقا للحمد أهلا ؛ لأن يحمد ولو لم تحمدوه وكفرتم نعمته ، وهذا يرجح تفسير الكفر هنا بكفر النعمة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا (١٣٢) } :

فهو مدبر شؤون عباده بأرزاقهم وغيرها من أحوالهم وبما شرع لهم من الأحكام وبما أنزل من الكتب وأوحاه إلى الرسل وبما جعل من العقول والأسماع والأبصار وتدبير أسباب سعادتهم في الآخرة وسلامتهم من العذاب وغير ذلك من تدبير شؤونهم { وكفى بالله وكيلا } : توكل إليه أمور عباده ؛ لأنه القدير العليم الرحيم الكريم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٧٨/٢)

إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا (١٣٣) (١)

---

(١) . { إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا (١٣٣) } :

{ يذهبكم } : يتوفاكم { ويأت بآخرين } ليعبدوه { وكان الله على ذلك قديرا } : لم يزل قديرا على إذهابكم منذ خلقكم وعلى الإتيان بغيركم من قبل ذلك ، وهذا تنبيه إلى معرفة رحمته ومغفرته كقوله تعالى: { وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب } وأكد أنه غني عن عباده وأنه لا ينقصه إعدامهم وإنما تعليمهم وإرشادهم وما كلفهم به من الأحكام في هذه السورة وغيرها رحمة لهم ونعمة لأنهم إذا أطاعوه صاروا إلى السعادة الدائمة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٧٩/٢)

من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا (١٣٤) (١)

---

(١) . { من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا (١٣٤)
} :
{ من كان يريد ثواب الدنيا } : من الله أو من عباده كالعامل بالأجرة { فعند الله ثواب الدنيا والآخرة } فليطلبه من الله بالدعاء وإخلاص العبادة فهو خير له من ثواب الدنيا وحده { وكان الله سميعا } : لمن دعاه { بصيرا } : لا يخفى عليه عبادة من عبده فيجزيه خيرا ، ويصلح له أمر دنياه كما قال تعالى: { ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب } وقال تعالى: { ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٨٠/٢)

---

* يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين (١)

---

(١) . { * يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين }
:
{ يا أيها الذين آمنوا } : خطاب لمن آمن ؛ لأن إيمانه حجة عليه ، وإذا كان إيمانه باقيا فهو يدعوه إلى الطاعة ، { كونوا قوامين } : لم يقل قوموا بالقسط بل أمر بملازمة القيام بالقسط حتى يكون المؤمن قواما بالقسط ، يسمى بمثال المبالغة ، وأمرهم بذلك أمرا يدل على الوجوب وأكده بقوله تعالى: { ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين } : الأولاد والإخوة والأخوات فيجب أن لا تأخذهم عاطفة تصدهم عن القيام بالقسط بالعدل والشهادة بالحق .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٨١/٢)

إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا (١) وإن تلووا أو تعرضوا (٢)

---

(١) . { إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا } :
{ إن يكن غنيا أو فقيرا } من عليه الحق فاشهدوا عليه لا يمنعكم غنى الغني ولا فقر الفقير فالله أولى بالغني والفقير فعليكم أن تطيعوا أمره فيهما { فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا } : إما هوى في غني لأجل غناه فكثير من الناس يداري الغني ويكره إغضابه أو فعل ما يكره ، وكذلك الفقير قد تدعوا الرحمة له إلى الرفق به وأن لا يحمل ما يثقل عليه ، وكلاهما من الهوى ، فلا تتبعوا الهوى عن أن تعدلوا بكلمة الحق والقيام بالقسط ، ويظهر أن هذا خطاب عام للشهود والحكام .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وإن تلووا أو تعرضوا } :
لي الشهادة: تحويلها عن وجهها ليبطل الحق أو بعضه ، والإعراض: الإعراض عن القيام بالقسط والإعراض عن الشهادة بالحق كتمانا لها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٨٢/٢)

فإن الله كان بما تعملون خبيرا (١٣٥) (١) يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل (٢)

---

(١) . { فإن الله كان بما تعملون خبيرا (١٣٥) } :
عالما بما تعملون بظاهره وخبره الباطن ، وهذا تخويف للمؤمنين بأنه يجزيهم إذا لووا أو أعرضوا الجزاء الأوفى .
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام دلت على تحريم الشهادة بغير الحق وعلى تحريم الإعراض عن أداء الشهادة بالحق انتهى .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل } :

هذه الآية ابتداء في كلام يدعو إلى الإيمان ويحذر من الكفر والنفاق ، وهي تدل على وجوب الإيمان بالله ورسله وكتبه والأمر لمن قد آمن ليؤمن في المستقبل ويثبت على الإيمان بالله ورسوله محمد والكتاب الذي نزل على محمد وهو القرآن ، والكتاب الذي أنزل عام لكتب الله المنزلة على النبيئين الذين قبل محمد { من قبل } : أي من قبل تنزيل الكتاب على محمد .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٨٣/٢)

ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (١٣٦) (١)

---

(١) . { ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (١٣٦) } :
ومن يجمع بين أنواع الكفر المذكورة { فقد ضل ضلالا بعيدا } ؛ لأن كل نوع من الكفر ضلال ، فإذا جمع الأنواع فقد صار بعيدا في ضلاله في متاهة واسعة فبينه وبين العودة إلى الطريق مسافات ومراحل ، ولعل هذا فيمن يكفر بالبعث والجزاء استبعادا للقدرة عليه ويكفر بمحمد وبكون القرآن من الله ويكفر بالملائكة على معناهم الحقيقي ، ويزعم أن إبراهيم كان مشركا ، ولا يؤمن بالرسل ولا بالكتب ، وهم من أهل الجاهلية من العرب الذين ليس لهم كتاب وأشباههم من العجم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٨٤/٢)

إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (١٣٧) (١)

---

(١) . { إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (١٣٧) } :

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: قال المرتضى عليه السلام هؤلاء قوم ممن آمن مع النبي رجعوا إلى قريش وارتدوا عن الإسلام ، ثم رجعوا ثم آمنوا ثانية ، فرجعوا إلى الكفر فازدادوا فيه ومضوا عليه ، فأخبر الله أنهم حين ازدادوا كفرا ثم مضوا على ذلك أن الله لا يغفر لهم ولا يهديهم سبيلا بل تركهم من التوفيق والتسديد والعون والتأييد وحكم عليهم سبحانه عند ذلك بالهلكة والخذلان بما استوجبوه من تركهم للحق والإيمان فصاروا بذلك معذبين ولديه سبحانه من الهالكين فأخبر سبحانه ان لم ينفعهم ما كان من إيمانهم أولا وما كانوا عليه في إسلامهم ؛ لأن ما ختموا به أعمالهم من الردة والكفر موجب لهم النار ..إلخ ، وقوله تعالى: { لم يكن الله ليغفر لهم } فيه تأكيد بقوله تعالى: { لم يكن الله ليغفر } ودلالة على أنه لا يليق بعظمته وجلاله وعزته وحكمته أن يغفر لهم ، ونظير هذا التعبير للتأكيد قوله: { لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون } .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٨٥/٢)

بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨) (١) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين (٢)

---

(١) . { بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨) } :

{ بشر } تهكم بهم لأن البشرى الحقيقية ما كان إعلاما بالخير ، والمنافقين: قيل هم الذين أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام ، والراجح ما قاله الناصر عليه السلام واحتج له في البساط أنهم الذين يتولون الكفار سرا ويظهرون الإسلام سواء أضمروا الكفر أم كانوا مقرين في أنفسهم غير مؤمنين ولا جاحدين ؛ لأن مفهوم النفاق اتخاذ الوجهين لإرضاء الفريقين ، ولكن بعض المنافقين كفروا ولكن ذلك خارج عن مفهوم النفاق ، ويظهر أن الله تعالى قد فسره عقيب هذا الوعيد بقوله تعالى:

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين } :

كما أفاده قوله تعالى في آخر الآيات الآتية في زجر المنافقين: { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين.. إلى قوله تعالى.. إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار } وقوله تعالى في سورة الحشر { .. ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفورا لئن أخرجتم لنخرجن معكم.. } الآية ففسر نفاقهم بهذا القول ، ويدل على أن بعض المنافقين لم يكونوا كافرين وإن كانوا في حكمهم بسبب النفاق قوله تعالى في بعض المنافقين: { هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان } انظر البساط للإمام الناصر الحسن بن علي الأطروش عليه السلام وقد طبع والحمد لله .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩) (١)

---

(١) . { أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩) } :
{ أيبتغون } : سؤال تبكيت للمنافقين وبيان لغلطهم لأن الباعث لبعضهم أو كلهم هو الخوف من غلبة الكفار للمؤمنين ، والمنافقون لجهلهم وعدم الإيمان في قلوبهم ينظرون إلى كثرة الكفار وقوتهم من الناحية المادية فهم أكثر سلاحا وآلة حرب وأكثر أموالا فلاعتقادهم الراجح أن الغلبة ستكون للكفار سارعوا إلى اتخاذهم أولياء خشية أن تصيبهم دائرة ، ولكنهم مع ذلك يرون قوة المؤمنين بإيمانهم فلا يجزمون أنهم سيغلبون ؛ لأنهم قد انتصروا في بدر مع قلتهم وقلة خيلهم ومالهم فلذلك اختار أعداء الله الذين في قلوبهم مرض اختاروا لأنفسهم إظهار الإسلام للمسلمين واتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين ؛ لأنهم كما قال الله تعالى: { قوم يفرقون } وأداهم الفرق مع عدم الإيمان إلى اختيار النفاق فرد الله عليهم اعتقادهم الراجح أن الغلبة ستكون للمؤمنين بأن العزة لله جميعا وهذا واضح لا ينفيه المنافقون ، فكيف لا يرجحون أن النصر يكون لأولياء الله الدعاة إلى عبادته وحده ، ولعل ذلك لأنهم لا يوقنون بأنهم أولياء الله الدعاة إلى دينه لعدم الإيمان في قلوبهم فنظروا إلى ظاهر الحال فاستحقوا التوبيخ لجهلهم بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠) (١)

---

(١) . { وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠) } :

هذا خطاب للمؤمنين أو لهم ولكل من قد أسلم { إذا سمعتم آيات الله يكفر بها } : أي إذا سمعتم ذكرها والكفر بها والإستهزاء بها وأصل الكلام : آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها مبتدأ وخبر فنسخه سمعتم مفعولين بهما لسمعتم على طريقة ظن وأخواتها في نسخ المبتدأ والخبر ، وقد عد صاحب الأجرومية سمعت من أخوات ظننت وهو واضح هنا ، والمنزل قوله تعالى في سورة الأنعام: { وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره.. } الآية ، وفي مجموع الآيتين دلالة على أن خطاب الرسول في مثل هذا يكون حكمه عاما له ولأمته إلا ما خصه دليل { حتى يخوضوا في حديث غيره } : غير الكفر بآيات الله والإستهزاء بها { إنكم إذا مثلهم } : إذا إذا قعدتم معهم وأنتم تسمعونهم يكفرون بآيات الله ويستهزؤون بها مثلهم في الإثم ، وهذا يكفي في الزجر عن ذلك .
{ إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا } : لأن المنافقين يسمعون الكفار يكفرون بآيات الله فاجتمعوا في الدنيا على الإثم وفي الآخرة في العقاب ، وهذا يؤكد أن معنى مثلهم هو مثلهم في العقاب .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٨٨/٢)

الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين (١)

---

(١) . { الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين } :

}

يتربصون بكم } : ينتظرون بكم الدوائر ؛ لأنهم يتوقعون أن يغلبكم الكفار ، وقوله تعالى: { بكم } :
يفهم منه أنهم خائفون منكم أو كارهون لكم ويصبرون على ذلك لتوقعهم ذهابكم ، وهم المنافقون
يجاملون المسلمين ويبقون معهم تربصا به الدوائر { فإن كان لكم فتح من الله } : لم يرجعوا عن
نفاقهم بل يستمرون فيه ؛ فلذلك قالوا لكم: { ألم نكن معكم } أي أنا معكم ما زلنا على دينكم فقد
عرفتم ذلك منا من قبل اليوم وهذا لخوفهم من المؤمنين ؛ لأنهم لم يتبعوا سبيل المؤمنين ويكونوا مثلهم
في المحافظة على الجماعة والإمتثال لأوامر الرسول ومع ذلك قد نافقوا فهم يخافون أن يعتبرهم
المؤمنون كافرين غير مقبول منهم دعوى الإسلام ، وهذا حين رأوا قوة المسلمين { وإن كان للكفارين
نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين } : نصيب بأن حصلت لهم فيكم وقعة مؤلمة
لكم لأن الحرب سجال تتقلب فيه الحال لتقلب أحوال المسلمين كما كان يوم أحد ، وفي أول وقعة
حنين ، قالوا: { ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين } : قالوا للكافرين تقربا إليهم وتحببا لديهم
لزيادة أملهم في أن الغلبة والقوة لهم { ألم نستحوذ عليكم } : نسيطر عليكم في الرأي ونغلبكم في
التدبير { ونمنعكم من المؤمنين } : من أن تكونوا معهم ، فاحتجوا بأمرين على صدقهم في أنهم مع
الكفار: الأمر الأول الإستحواذ عليهم وغلبتهم في الرأي حتى حصلوا على النصيب بسبب رأي
المنافقين وتدبيرهم ، ويظهر أن المنافقين كانوا زينوا للكفار حرب المسلمين ومنوهم أنهم يغلبون
المسلمين ، وغلبوهم بهذا الرأي حتى قاتلوا المسلمين فادعى المنافقون أن هذا بسبب رأيهم لهم في
القتال ، الأمر الثاني: منعهم لهم أن يكونوا مع المؤمنين أي تحذيرهم من الإسلام ، فهو دليل ثان على
صدق المنافقين في أنهم مع الكفار ، وأنهم غير جادين في إظهار الإسلام وهذا حين رأوا قوة الكفار
وتقوى أملهم في أن العاقبة للكفار هذا على فرض أن المنافقين حرضوا الكفار على حرب المسلمين
فإن لم يكونوا فعلوا فالمعنى نسيطر عليكم في المنع من الإسلام ، فهي في المعنى قضية واحدة أرادوا
سيطرنا عليكم بالرأي والتدبير لكثرة تحذيركم من الإسلام حتى منعناكم فالمنع نتيجة التحذير .
والحاصل أنهم أرادوا التقرب إلى الكفار كما صنعوا مع المسملين حين كانت القوة لهم ؛ لأنهم قوم
يفرقون ويخشون أن تصيبهم دائرة بأن يقتلهم الكفار إذا حاربوا المسلمين وغلبوهم في ظنهم وتوقعهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف
إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٨٩/٢)

فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (١٤١) (١)

---

(١) . { فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (١٤١) } :
فالله يحكم بين الفئات الثلاث المؤمنين والكافرين والمنافقين { ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا } : يغلبونهم بها ويقهرونهم ويضيع الإسلام بل قد أراد إظهاره على الدين كله ، فهذا رد على تربص المنافقين بالمؤمنين دائرة السوء ، وبيان أنهم يتوقعون ما لن يكون ، ويحتمل أن المراد في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا لا يزال النصر لأوليائه الناصرين له ، وفي الآخرة لا يكون لهم عند المحاكمة حجة على المؤمنين ؛ لأن المؤمنين قاتلوهم بأمر الله وأذنه والكفار قاتلوا المؤمنين ظلما وعدوانا ، فالحجة للمؤمنين ولن يجعل للكفار سبيل يجادلون بها وتكون لهم بها الحجة على المؤمنين ، وهذا هو الراجح حملها على المعنيين .

وقد يشكل على المعنى الأول غلبة الكفار للمسلمين في هذا العصر ، والجواب: أنهم لن يغلبوا المسلمين غلبة عامة للمسلمين وإن غلبوهم في قطر فذلك لا يضيع به الإسلام ، مع أن ذلك يكون السبب فيه من المسلمين كما قال تعالى: { قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم } فحزب الله هم الغالبون فما دام المؤمنون الصادقون في الإيمان حزبا وجندا كما كانوا في عهد الرسول فلن يغلبوا ، أما إذا اختلفوا وتنازعوا وعصوا فاستحقوا الخذلان فقد أنذرهم ذلك قوله تعالى: { ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم } وقوله تعالى: { قل هو من عند أنفسكم } . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٩٠/٢)

إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم (١)

---

(١) . { إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم } :
{ يخادعون الله } : يخادعون رسوله والمؤمنين ويحلفون على الكذب { إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله } : ولما كانوا مخادعين لرسول الله الذي بلغ دين الله ودعا إلى الله كان خداعهم له مكرا بدين الله فاعتبر خداعا لله ، ويحتمل أنهم استعملوا هذا الخداع وظنوا أنه ينفعهم في الدنيا وأن الله يتركهم لا يكشف أمرهم فاعتبروا مخادعين لله بهذا المعنى { وهو خادعهم } : وهو غالبهم في

الخداع ؛ لأنه ينعم عليهم بالأموال والأولاد كأنه لا يعاقبهم على نفاقهم ومع ذلك يمهلهم ويملي لهم ، وهم لا محالة صائرون إلى الدرك الأسفل من النار فأشبه هذا فعل المخادع الغالب فقال تعالى: { وهو خادعهم } أو هو على طريقة المشاكلة ، والمعنى وهو غالبهم بأمره في الدنيا والآخرة . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (١٤٢) (١)

---

(١) . { وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (١٤٢) } :
{ قاموا كسالى } : لأنه لا دافع لهم إليها إلا الخوف من الناس ؛ لأنهم لا يخافون العقاب من الله ، ولا يرجون الثواب ، ولا يحبون عبادة الله وذكره ، ولا يرغبون في التقرب إليه { يراؤون الناس } : يريدون أن يراهم الناس عند قيامهم إلى الصلاة { ولا يذكرون الله } : في الصلاة إلا قليلا أو ولا يذكرون الله لا في الصلوة ولا في غيرها ، وقوله تعالى: إلا قليلا أي { إلا } ذكرا { قليلا } فهم يذكرونه قليلا ؛ لأنهم مقرون بالله فاجتمعت صفات المنافقين: الأولى { يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين } الثانية: يتربصون بالمؤمنين الدوائر الثالثة: { يخادعون الله } الرابعة: { إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى } فأما قوله تعالى: { يراؤون الناس ولا يذكرون } فيحتمل أنها في الصلاة فتكون صفات لصلاتهم كسالى يراءون ولا يذكرون الله في الصلاة إلا قليلا فيكون مجموع الثلاث هذه صفة واحدة ، ويحتمل أن قوله: { يراءون } غير خاص بالصلاة فهو صفة للمنافقين مستقلة ، وقوله: ولا يذكر الله كذلك ، والمعنى متقارب ؛ لأن المرائي بصلاته يرائي بغيرها ، ومن لا يذكر الله في الصلاة إلا قليلا فغيرها بالأولى أن لا يذكر الله فيه . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء (١)

---

(١) . { مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (١٤٣) } :

قال في الكشاف: وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمي به الرحوان إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى: كلما مال إلى جانب ذب عنه انتهى .

فالمنافق على هذا مدفوع ليس له قبول عند المؤمنين ولا عند الكافرين ؛ لأنه ذليل خائف لا يعتز به الكفار فيرغبوا فيه ؛ لأنهم لا يصدقونه في دعواه أنه معهم ، والمؤمنون يعرفونه بعلاماته فليس له قبول باسم مؤمن { لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء } : لا إلى المؤمنين ينضمون ويرجعون ، ولا الكفار ؛ لأنهم غير مؤمنين بقلوبهم ولا كفار ينطقون بالكفر صراحة وهذا في أول أمرهم ، وقد صرح بعضهم بالكفر عند تطوره في الباطل ، قال تعالى فيهم: { يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا } . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٩٣/٢)

ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (١٤٣) (١)

---

(١) . { ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (١٤٣) } :

ومن يخذله ويسلبه التوفيق لكثرة معاصيه واستمراره على الإصرار أو لعناده بعدما تبين له الحق ، والإضلال في اللغة: التسبيب للضلال ولو بالحق كما قال تعالى: { يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين } وقال تعالى في سورة المدثر: { كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء } فالفاسق يضل بالحق لأنه يجعله سببا لضلاله كقوله تعالى: { فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون } وقال تعالى: { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم } .

وقوله تعالى: { فلن تجد له سبيلا } تشبيه له بمن هو تائه في قفر بعيد من الطريق وليس حوله طريق يهتدي بها ، وذلك لأن المنافق قد كره الحق وتزين له النفاق فلا تؤثر فيه موعظة مع قسوة قلبه وعدم الإيمان في قلبه ولا ينفع استدلال ولا احتجاج ؛ لأن ذلك من كتاب الله أو كلام رسول الله عن الله وهو غير مؤمن بذلك فانسدت الطريق إلى هدايته ؛ لأنه لا يفكر ولا يستعمل عقله بل لا يزال معرضا اتباعا لهواه في النفاق فهو بسبب إعراضه وانصرافه عن قبول الحق والإيمان به كما قال الله تعالى: { صم

بكم عمي فهم لا يرجعون } فالإضلال هنا: التسبيب للضلال بالسبب الحق الذي ليس سببا يؤدي إلى الضلال لا محالة وإنما هو سبب في حق الفاسق لأنه يجعله سببا للضلال باختياره فخذل وولاه الله ما تولى عقوبة له ، وقد حقق هذا الإمام أحمد بن سليمان في [حقائق المعرفة] وبين أن الإضلال يكون عقوبة .

فأما الإضلال بمعنى خلق الضلال فليس معروفا في لغة العرب ؛ لأن المعروف الإضلال عن الطريق ولا يكون في العادة إلا بالتسبيب ولا يفهمون الإضلال بمعنى خلق الضلال ، وكذلك الإضلال بالتسبيب لغير ذنب يستحق به وبسبب يؤدي إلى الضلال حتى ولو وقع لمؤمن فهذا لا تجوز نسبته إلى الله تعالى ؛ لأنه حكيم غني كريم رؤف رحيم لا يظلم العباد ولا يحب الفساد وليس في القرآن ذكر لهذا التسبيب إنما فيه إثبات العقوبة وهي لا تكون إلى بالحق كبسط النعمة ، قال تعالى: { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم } وقال تعالى: { وما يضل به إلا الفاسقين } وقال تعالى: { ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة } وهذه من المتشابة إلا أنها قد أفادت المقصود هنا ، وقال تعالى: { ويضل الله الظالمين } وغير ذلك كثير . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٩٤/٢)

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا (١٤٤) إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا (١٤٥) (١)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا (١٤٤) إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا (١٤٥) } :
لما تم بيان صفات المنافقين المبشرين بالنار حذر من قد آمن كلهم من طريقة المنافقين وبين لهم عظم جريمتهم وشناعتهم ببيان أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، وكفى بذلك تحذيرا من النفاق وفي هذا دلالة واضحة أن حقيقة النفاق اتخاذ من قد آمن الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ولكن من كان كذلك فإنه يفعل ما حكى الله عنهم من صفاتهم المذكورة فيما مر .

وقوله تعالى: { أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا } أي تجعلوا له حقا في تعذيبكم ، أو تجعلوا له عليكم سببا في تعذيبكم ، فالمراد سلطان الحكمة ، فأما سلطان القدرة فهو حاصل ، وقوله تعالى: { مبينا } أي بينا واضحا ، وقوله تعالى: { في الدرك } في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام:

فجهنم أدراك معناه منازل وأطباق انتهى المراد ، وفي [الصحاح]: ودركات النار منازل أهلها ، والنار دركات ، والجنة درجات والقعر الآخر درك ودرك انتهى ، وهذا لا يدل على أن كفار الجحود ليسوا في الدرك الأسفل ، وقد قال تعالى: { فاطلع فرآه في سواء الجحيم } والسياق في كافر نعم يمكن أن الدرك الأسفل واد في سواء الجحيم فيكون أسفل من سواءها والله أعلم .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما (١٤٦) (١)

---

(١) . { إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما (١٤٦) } :

لما توعد الله المنافقين بالعذاب الأليم وبالدرك الأسفل من النار بين لهم أن باب التوبة في هذه الحيوة وفي مدة الإختيار باب التوبة مفتوح لمن تاب وأصلح ما قد أفسد في نفاقه واعتصم بالله فرفض ولاية الكفار واستغنى بحفظ الله لأوليائه ونصره لهم وهو الإعتصام به { وأخلصوا دينهم لله } فرفضوا الرياء { فأولئك } التائبون أهل الصفات الثلاث { مع المؤمنين } في الآخرة كما هم معهم في الدنيا { وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما } : يوم القيامة وقد بينه في غيره هذه الآية . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما (١٤٧) (١) * لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما (١٤٨) (٢)

---

(١) . { ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما (١٤٧) } :

وهذا تأكيد للوعد بقبول التوبة ، وبيان أن التوبة لا تتم بدون الإيمان والشكر ، وتنبيه على كرم الله وسعة رحمته حيث يشكر عبده الشاكر لنعمته ، ودلالة على علمه بتوبة من تاب وإيمان من آمن وشكر من شكر وبكل شيء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { * لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما (١٤٨) } :
}

الجهر } : رفع الصوت بالكلام ، والسوء من القول: يعم كلمة الكفر ونحوها مما يقوله المكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ويعم الشكوى من الظالم ، ويعم السوء من القول كلام الكفر وغيره من الباطل ، والغيبة ، والنميمة ، والتقرير على الباطل بقول القائل أصاب أو أحسن أو نحو ذلك ، وكان سميعا للقول كله وما هو مستثنى وما ليس بمستثنى ، عليما بالعذر وبعدم العذر أي أنه لا عذر ، وسميعا عليما لكل قول وبكل شيء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا (١٤٩) (١)

---

(١) . { إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا (١٤٩) } :

هذا في إظهار الخير ضد الجهر بالسوء وفي إخفاء الخير ، وهو يفيد الترخيص في ذلك حيث لا يعلم سبب إثم وترغيب في العفو بالدلالة على أنه محمود ؛ لأن من صفات الله تعالى أنه عفو قدير ، فهو يعفو مع القدرة على الإنتقام ، وفي الآية هذه إشارة إلى أن إبداء الخير وإخفائه يشملهما العفو من الله ؛ ولعل السبب أن إبداء الخير قد يكون فضولا من القول ليس شكرا لنعمة ولا ذكرا لقدوة ، والإخفاء قد يكون تقصيرا في كلام ينبغي أن يقال ؛ لأنه شكر نعمة وليس المقصود به كتمانها فيكون غير معفو والمعفو ما لم يتعمد فيه معصية ؛ لقوله تعالى: { وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم } فما كان خطأ وزل فيه صاحبه فهو معفو سواء كان أبدأ أم أخفأ ، وأما النطق بالعفو عن السوء فهو داخل في قوله تعالى: { إلا من ظلم } قال في [الصحاح]: وعفوت عن ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه انتهى ، وقال الراغب في المفرادات: وقولهم في الدعاء أسألكم العفو والعافية أي ترك العقوبة والسلامة

انتهى . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٩٨/٢)

إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا (١٥٠) أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا (١٥١) (١)

---

(١) . { إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا (١٥٠) أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا (١٥١) } :

}

يكفرون بالله } يتكرر منهم الكفر بالله مرة بعد مرة مثل حين عبدوا العجل فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي ، ومثل حين شبهوه بخلقه وغير ذلك من كلامهم في الله بما هو كفر به ورسله ، يتكرر منهم الكفر بالرسل بتكذيبهم في دعوى الرسالة جملة أو في بعض ما جاؤوا به يتكرر منهم ذلك المرة بعد المرة كجدالهم في طالوت بقولهم: { أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه } ومثل حين قال لهم موسى: { إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزؤا } وهذا رد لخبره وقد دل على جراءتهم في تكذيب الرسل قوله تعالى: { أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون } ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله بأن يردوا ما تأتي به الرسل ويزعموا أن حكم الله غيره ، فإذا قيل: حكم الرسول بكذا قالوا هذا قاله من تلقاء نفسه وحكم الله خلافه ، ويقولون: { نؤمن ببعض ونكفر ببعض } من الرسل ومما أنزل الله كقوله: { قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا } بين الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه والكفر بذلك { سبيلا } : طريقة ودينا { أولئك هم الكافرون حقا } : هم الكافرون بحقيقتهم وحقا إنهم عين الكافرين وإن سبيلهم هو الكفر بعينه ؛ لأن إيمانهم غير صحيح بما آمنوا به ولا مقبول فهم كفار خلص ، وقد رد الله عليهم دعواهم الإيمان بقوله تعالى: { قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين } فقد عبدوا العجل وعصوا موسى فقالوا: { فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون } ودخلوا الباب على خلاف ما أمرهم الله تعالى بقوله: { وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة } { فبدل الذين ظلموا.. } راجع سورة البقرة .

{ وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا } : أعتدنا للكافرين عموما وهؤلاء قد دخلوا في العموم ؛ لأنهم الكافرون حقا فقد أعدلهم عذابا مهينا مذلا محقرا مناسبا لتكبرهم .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٩٩/٢)

والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما (١٥٢) (١)

---

(١) . { والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما (١٥٢) } :

وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: { آمن الرسول.. } إلى آخر الآية ومن اتبع الرسول { واتبعوه لعلكم تهتدون } .

}

ولم يفرقوا بين أحد } : قال في [المصابيح] وأحد يستعمل في الواحد المذكر والمؤنث والمثنى والمجموع منهما انتهى ، ومثله في الكشاف ، ومفردات الراغب الأصفهاني ، وفي المفردات تفصيل جيد { أجورهم } : ثواب كل منهم بقدر ما يستحق { وكان الله غفورا رحيما } : فلا يمنعهم ثوابهم لما يصدر من زلات غير متعمدة ، أو لم يصروا عليها كما مر في صفة المتقين ، وهذا فارق بينهم وبين عصاة أهل الكتاب المصرين على الكبائر الراضين بما سلف من أوائلهم فكانت معاصيهم مضادة للإيمان دالة على أنهم غير صادقين في دعوى الإيمان .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٠٠/٢)

يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم (١)

---

(١) . { يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم } :
{ أن تنزل عليهم كتابا } : يخصهم { من السماء } ولعلهم أرادوا أن ترقى في السماء وتنزل عليهم بنفسك كتابا يتضمن إثبات نبوتك غير القرآن ، لأن القرآن قد كفى لو أنصفوا لكن للتعنت سألوا كتابا ينزل عليهم إما بأسمائهم يقول: إلى فلان وفلان وفلان اتبعوا محمدا فإني أرسلته ، وإما أن ينزل بالكتاب محمد إليهم خاصة فيبلغهم عن الله أن محمدا نبي { فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة } : فهم أهل التعنت وهو عادتهم فلا تبال بهم يا محمد .
قال الشرفي رحمه الله: ومعنى جهرة أن يريهم الله معاينة ومشاهدة انتهى.

وقال الراغب في المفردات: جهر يقال لظهور الشيء بإفراط حاسة البصر أو حاسة السمع انتهى ، فعلى هذا طلبوا معاينة جلية واضحة وهذا أظهر ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم: في طلب المحال وطمعهم فيه وجهلهم بالله حيث ظنوا انه من المواد التي ترى ، وجهلهم هكذا قد سبقه جهلهم حين قالوا { يا موسى أجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون } .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٠١/٢)

ثم اتخذوا العجل (١) من بعد ما جاءتهم البينات (٢)

---

(١) . { ثم اتخذوا العجل } :
ثم للترقي إلى ذكر جهالة أعظم وأبشع وأقبح من طلب الرؤية وهي اتخاذهم العجل الذي ادعوا أنه إله موسى ولم يكتفوا بالشرك كقول الشاعر :
يرى غمرات الموت ثم يزورها
ويحتمل أن اتخاذ العجل كان من أهله بعد أن أخذت الصاعقة الذين طلبوا الرؤية فتكون ثم للترتيب في الوقوع ، والأول أظهر عندي ؛ لأن المتخذين للعجل غير الذين طلبوا الرؤية ، وإنما جمعهم التراضي بطلب إله من جنس آلهة المشركين كما شاركهم الآخرون بالرضى فشاركوهم ونسب إلى الجملة فحمل ثم على الترقي في المعنى أظهر ؛ لأن اتخاذ العجل ليس انتقالا من طلب الرؤية بل بعضهم طلب الرؤية وكانوا مع موسى في الميقات أربعين ليلة وبعضهم اتخذ العجل وكانوا مع هارون خلفه موسى عليهم حين

ذهب للميقات وفي سورة البقرة { وإذ واعدنا عدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { من بعد ما جاءتهم البينات } :

أن ذلك منكر وباطل حين قال لهم موسى: { إن هؤلاء متبر ما هم فيه } والبينات الدالة على خالق السموات والأرض القادر على كل شيء كفلق البحر لموسى ومن معه وجعله فيه طريقا يبسا وانجائهم من فرعون وقومه وإغراق فرعون ومن معه بنفس البحر الذي انفلق لموسى ومن معه ، وآيات الله لا تحصى .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٠٢/٢)

---

yèsù‌ےtRqx$ عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا (١٥٣) (١) ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم (٢)

---

(١) . { فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا (١٥٣) } :
{ فعفونا عن ذلك } حين تابوا أو عفونا حين وصل موسى ونسف العجل فلم يعاجلهم الله بالعذاب ، كقوله تعالى: { وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد.. } الآية .
{ وآتينا موسى سلطانا } : قوة وهيبة لأجلها انقادوا له حين رجع إليهم ونسف العجل في البحر ، وكذلك آتاه الله سلطانا حين طلبوا الرؤية فأخذهم بالصاعقة ، وهذا يدل على أن موسى لم يطلبها طمعا فيها ولكن لإقناع قومه بما يكون من الله بسبب الطلب .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم } :

حقق معناه قوله تعالى: { وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم } { بميثاقهم } : على قبول التوراة بقوة وجد وصبر وعزم صادق على اتباعها كما قال تعالى: { خذوا ما ءاتيناكم بقوة .. }

الآية ، وقال صاحب [الكشاف]: بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه انتهى ، ولا يبعد أن الباء للمصاحبة وأنهم أعطوا الميثاق حين ظنوا أنه واقع بهم أو إن رفعنا فوقهم الطور مضمن معنى أمرناهم وكلفناهم ؛ لأن رفع الطور فوقهم بعثهم على الميثاق والله أعلم .
والمقصود أن تخويفهم بهذه الآية بعثهم على العهد إما باختيارهم بسبب الخوف ؛ لأنهم لم ينذروا بوقوعه إن لم يعاهدوا ولكن خافوا فعاهدوا فلم يكن اضطرارا ، وهذا أظهر ، وإما أنهم أكرهوا على العهد ليحذروا في المستقبل وقوع مثل ذلك التخويف والإضطرار إلى العهد .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٠٣/٢)

وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا (١) وقلنا لهم لا تعدوا في السبت (٢)

---

(١) . { وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا } :
{ سجدا } بمعنى خاضعين لله ، قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: عن الحسين بن القاسم عليه السلام وادخلوا الباب سجدا أي ادخلوا الباب خشعا لله عز وجل وسيروا عند ذلك بالسكينة والوقار والخشية لله الواحد الجبار ، ولم يرد في هذا الموضع سجودا على الوجوه وإنما أراد ما ذكرنا ، وكذلك روينا عن أئمتنا وسلفنا عليهم السلام انتهى ، من تفسير سورة الأعراف ، وحكى الشرفي عن المرتضى عليه السلام مثله في تفسير قول الله تعالى: { وله يسجدون } آخر سورة الأعراف . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وقلنا لهم لا تعدوا في السبت } :
{ لا تعدوا } أي لا تعتدوا { في السبت } باصطياد الحيتان أو غيره مما هو محرم في السبت في دينهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٠٤/٢)

---

ur&tR‹s{r$ منهم ميثاقا غليظا (١٥٤) (١)$sù٦خyJ$ نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق (٢)

---

(١) . { وأخذنا منهم ميثاقا غليظا (١٥٤) } :

على أن لا يعتدوا في السبت أو على ذلك وغيره ، والأقرب أنه ميثاق خاص بالسبت غلظ حرمة السبت .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق } :

الباء سببيه أي بسبب نقضهم لميثاقهم { وكفرهم بآيات الله } التي يأتي بها الأنبياء الذين كذبوهم { وقتلهم الأنبياء بغير حق } : بغير استحقاق للقصاص مثلا ، وقتل الأنبياء لا يكون بحق ولكن فيه إشارة إلى أن المكلفين سواء أمام العدل لا هوادة ولا لين لأحد فيفيد أن الأنبياء لو قتلوا بغير حق لا ستحقوا القصاص فكذلك من قتلهم بغير حق في أن ذلك جريمة عظيمة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٠٥/٢)

وقولهم قلوبنا غلف (١) بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا (١٥٥) (٢)

---

(١) . { وقولهم قلوبنا غلف } :

أي لا نفهم ما جاء به النبي من الأنبياء الذين كذبوهم أو قتلوهم أو ما جاء به خاتمهم وغلف جمع أغلف أي مغطى بغلاف .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا (١٥٥) } :

{ بل طبع الله عليها } فهم يفهمون ولكن قلوبهم لا تقبل الحق ، فكأن عليها طبع وختم يمنع دخول الإيمان إليها { إلا قليلا } : من الإيمان قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: ذم لهم بأن جعلها

كالمطبوع عليها التي لا تفلح أبدا أي خذلها وسلبها الألطاف بسبب كفرهم وفعل الكفر يوجب العقاب فبان أن الطبع والختم إنما هو على وجه العقوبة انتهى المراد .

وفي إسناد ذلك الطبع إلى الله تعالى وفوائده وكذلك وجه صحة النسبة للمانع من الإيمان إلى الله كلام قد مر مفصلا عند تفسير قول الله تعالى { ختم الله على قلوبهم } من سورة البقرة فراجع ، وقوله تعالى { وقولهم } معطوف على نقضهم . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٠٦/٢)

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما (١٥٦) (١)

---

(١) . { وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما (١٥٦) } :

هذا عطف على فبما نقضهم وكفرهم ؛ لعله هنا كفرهم بعيسى وبالآيات التي جاءهم بها ، ويحتمل العموم لهذا ولكفرهم بأنبياء غيره مثل سليمان ، كما قال تعالى: { ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون } والبهتان العظيم: رميها بالفاحشة مع أن الله قد برأها من ذلك ومع بعدها من ذلك القبيح ونزاهتها الكاملة ومع فضلها وعلو شأنها في الدين ، ومع أن غرضهم برميها فيما بعد ظهور الآيات جحد الآيات والتكذيب بخلق الله لعيسى من غير أب والتكذيب بكونه رسولا من الله والتكذيب بآيات الله التي جاء بها ، فتظاهرت أسباب قبح رميها بالفاحشة .

قال الراغب الأصفهاني في تفسير البهتان: أي كذب يبهت سامعه لفظاعته ، وقال أيضا في تفسير بهت أي دهش وتحير انتهى . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٠٧/٢)

وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله (١) وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم (٢)

---

(١) . { وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله } :

{ وقولهم } : عطف على { نقضهم } وهذا القول جريمة مع كونه كذبا ؛ لأنهم افتخروا بما يدعونه وهو منكر عظيم لو كان والجمع بين الأسماء لتحقيق أنه المقصود بالإفتخار بقتله ، وهذه جرأة منهم عظيمة ودليل على عناد شديد ، والمسيح وعيسى اسمان مترادفان ورسول الله: وصف محقق لدفع استبعاد أن يكون هو المقصود وللدلالة على أنهم لم يبالوا بكونه رسول الله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم } :

الصلب: تعليق الإنسان على خشبة أو نحوها مشدود إليها ، قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] حاكيا عن المرتضى محمد بن الهادي إلى الحق عليهما السلام وهو المراد أينما ذكره في [المصابيح] قال: أراد الله سبحانه بذلك عيسى صلوات الله عليه لما أخذه الظالمون ليهلكوه وسجنوه في البيت لقتلوه [كذا والصواب ليقتلوه] فسلمه الله من كيدهم ودفع عنه ما هموا به من عظيم كفرهم ، وألبس الكافر الذي يحرسه شبه عيسى في صورته وخلقه فلم يفرقوا عند ذلك بينه وبين عيسى عليه السلام في شيء من أمره فلما أن نهضوا لقتل عيسى صلى الله عليه وجدوا صاحبهم في مكانه فقتلوه ولم يشكوا فيه عندما عاينوه أنه عيسى صلى الله عليه فأخبرهم عز وجل عنه فقال: { وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم } ثم رفعه الله عنهم ، وأخرجه من بينهم سالما مسلما انتهى . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٠٨/٢)

وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨) (١)

---

(١) . { وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما (١٥٨) } :

الذين اختلفوا فيه أهل الكتاب الكافر برسالته والمدعي لالهيته والمدعى أنه ابن الله كلهم في شك منه ، وإن ادعوا أنه قتل وصلب فهم مترددون في ذلك ، والشك التردد في الشيء ترددا متساويا أوراجحا

ومرجوحا فيسمى شكا باعتبار التردد وعدم العلم ، ولذلك يعبر عن العلم بنفي الشك فتقول هذا الأمر واقع لا شك فيه ، قال في [الصحاح]: الشك خلاف اليقين انتهى ، وفي [لسان العرب]: الشك نقيض اليقين انتهى ، وفي القاموس: الشك خلاف اليقين انتهى ، فقوله تعالى: { لفي شك منه } إثبات لترددهم في قتله وصلبه ، ثم قال تعالى تصريحا بعدم علمهم بذلك فقال: { مالهم به من علم } فهو تأكيد لإثبات الشك ، وقوله تعالى: { إلا اتباع الظن } أي لكن اتباع الظن زعموا أنهم قتلوه في قولهم: { إنا قتلنا المسيح } والظن اعتقاد راجح مع بقاء التردد ، فهم اتبعوا الظن في دعوى قتله بسبب أنه شبه لهم فظنوا أنهم قتلوه { وما قتلوه يقينا } : أي وما تيقنوا أنهم قتلوه هذا حاصل المعنى ، فكأنه قيل: وما قتلوه قتلا يقينا ، أي متيقنا { بل رفعه الله إليه } : كما مر في سورة آل عمران { وكان الله عزيزا حكيما } : فرفع عيسلم يكن لقوة أعدائه ؛ لأن الله لو شاء أهلكهم في لحظة ، ولكن اقتضت حكمته رفعه مع عزته وحكمته ، ومن العجيب دعواهم أنه إله مع أنهم يقولون إنه قتل وصلب ، ويحملون صورة الصليب ويتبركون بها في ملابسهم ، وذلك دليل على أنهم أهملوا عقولهم.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٠٩/٢)

وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته (١)

---

(١) . مممممممممممممممممممممممممممممممم

{ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته t } :

وما من أحد إلا ليؤمنن به: أي بعيسى عليه السلام قبل موته في آخر الزمان ، فهو عليه السلام لايزال حيا سويا حتى يؤمن به أهل الكتاب كلهم قبل موته ، خلاف دعواهم أنه قتل وصلب ، في الزمان الماضي ، فاليهود يؤمنون بأنه عبد الله ورسوله وكذلك فرق النصارى المختلفين فيه ؛ ولعل ذلك في وقت المهدي عليه السلام وظهور أمره وقوة الإسلام وغلبته على سائر الأديان حتى يسلم الناس أجمعون ، .

قال الشرفي رحمه الله تعالى بعد حكاية كلام في شأن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان مالفظه: يزيد هذا وضوحا ما ذكره الهادي عليه السلام ، أنه [أي عيسى صلى الله عليه] يصلي وراء المهدي ، ويظهر ويأمر وينهى ويؤمن به جميع أهل الكتاب الذين كفروا به من اليهود والنصارى ، ثم يموت من بعد ذلك عليه السلام انتهى .

وقال الشرفي أيضا رحمه الله أيضا في [المصابيح] في تفسير قول الله تعالى: { إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك.. } الآية : قال المرتضى عليه السلام سئل عن هذه المسألة جدي القاسم صلوات الله عليه فقال: معنى { متوفيك إلي } فهو متوفيك إلي صحيحا غير مكلوم ، ورافعك إلي: من الأرض التي هي مأوى كل أثيم ظلوم غشوم ، فرفعه الله كما قال إلى سمائه غير مقتول ولا مجروح بجرح عضو من أعضائه ، كما قال سبحانه وتعالى : { وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه } ثم قال { وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته } ممن يدرك عيسى ، وقوله: { قبل موته } يقول قبل موت عيسى ووفاته وهو صلى الله عليه حي في السماء لم يمت بعد ، وهذه خاصة له من الله لم يدركها قبله ولا بعده أحد ، ولابد بعد طول بقائه من أن يعيش إلى ما وعد الله به غيره من فنائه كما قال سبحانه : {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام } انتهى.

وقال الشرفي في المصابيخ [المصابيح] في تفسير : { وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته } في أن المراد قبل موت عيسى صلى الله عليه يؤمن به الذين يكونون في زمانه من أهل الكتاب ، أي في زمان كونه في الأرض بعد نزوله من السماء قال : ومثل هذا الوجه الثاني ذكره المرتضى عليه السلام وهو ظاهر قول الهادي والقاسم عليهما السلام انتهى المراد .

ويشكل على هذا العموم في قوله تعالى: { وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن } وهذا قسم من الله أصدق القائلين ، فظاهره عموم كل شخص ، ويمكن أن يقال لامانع من أن يؤمن به شخص ولو عند الموت ، قبل موت عيسى عليه السلام ، بل هذا هو المتعين ولا ينافي ذلك إيمان الموجودين بعد نزوله عليه السلام ، هذا إذا لم يصح حمل العموم على أنواع أهل الكتاب ، أي فرقهم ويكن حاصل المعنى: ما من فرقة من أهل الكتاب إلا تؤمن بعيسى قبل موته ، فيصدق العموم بإيمان كل فرقة بعيسى في آخر الزمان كما لو قيل لاتذهب الدنيا ختى حتى يؤمن اليهود والنصارى بعيسى كلهم ، فالتعميم با النسبة إلى الفرق بناء على أنها تبقى إلى ما بعد نزول عيسى عليه السلام من السماء فتؤمن به كلها ، والقرينة تقدم ذكر المختلفين في عيسى في قوله تعالى: { وإن الذين اختلفوا فيه } ولكنه بعيد ؛ لأن الظاهر عموم الأفراد ؛ لقوله تعالى: { إلا ليؤمنن به قبل موته } .

فالذي تلخص أنه ما من أحد من أهل الكتاب إلا والله ليؤمنن بعيسى ، وذلك قبل موت عيسى عليه السلام ، بل في حياته قبل رفعه وبعد رفعه إلى السماء وبعد نزوله من السماء كل كتابي يؤمن به في زمانه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (١٥٩) (١)

---

(١) . { Pqtfur القيامة يكون عليهم شهيدا (١٥٩) } :

بكذبهم في دعواهم قتله وصلبه ، وهذا لاينافي قوله تعالى حاكيا عن عيسى عليه السلام: { وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم } ؛ لأن هذه الشهادة العامة بما فعلوا وهو حاضر فيهم مشاهد لهم ، أما هذه الخاصة بتكذيبهم فيما افتخروا به من قتله وصلبه فإنها جارية مجرى الشهادة بالمحسوس من حيث أنه عالم أنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه ، فصح أن يشهد على المدعين لقتله وصلبه بكذبهم ، وعلى سائر أهل الكتاب الذين أطبقوا على أنه قتل وصلب ، وقد دل سياق هذه الآيات على قبح هذه المقالة ولعل السبب أن أصلها من أعدائه الذين افتخروا بها فأخذها النصارى بجهالة لأنها تنفي كرامة الله لرسوله بمجرد قول أعدائه الظالمين الذين شبه لهم أو اتباع الظن مثلهم ، وفي قوله تعالى: { ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا } دلالة على أن أكثرهم لم يؤمنوا به إلا في حال حضور الموت حين لم ينفع لأنهم لوآمنوا في وقت الاختيار قبل بعثة محمد لجب إيمانهم به ما سبق من المعاصي ، إلا أن يقال أنهم لو آمنوا اختيارا ، فهم لا يزالون مصرين على أنه قتل وصلب فلا يمحى ما هم مصرون عليه ، ويحتمل قوله تعالى: { ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا } على أهل الكتاب بجميع أفعالهم لكنها خاصة بمن كان فيهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله منها ، فإن قيل قد قررتم أنه عليه السلام لايموت إلا في آخر الزمان بعد أن ينزل من السماء فكيف تقولون هذا وقد قال تعالى: { إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي } قلنا أن التوفي لا يتعين أنه الموت ، ألا ترى إلى قول الله تعالى: { الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها } أي يتوفاها في منامها فالتوفي أخذ الشيء ومعناه هنا أما أنه تعالى توفاه بالنوم عند رفعه كما جعل النعاس يوم بدر ويوم أحد ، وفائدة ذلك أن يذهب اهتمامه بالقتال وينساه ويستريح منه ، وإما أنه توفاه من الأرض ومن بين الذين أرسل إليهم بدون نوم بل بأخذه من الأرض ، وفي التعبير بالتوفي مناسبة كما في قوله تعالى: { ورافعك إلي } .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم (١) وبصدهم عن سبيل الله كثيرا (١٦٠) (٢)

---

(١) . { فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم } :
أي فبذلك المذكور من أول الآيات من قوله تعالى: { فبما نقضهم ميثاقهم } قال في [الكشاف]: بدل من قوله { فبما نقضهم } انتهى ، فهو كالإعادة للتعليل وفيه زيادة فائدة أن هذه الأشياء كانت علة للتحريم لكونها ظلما عظيما ؛ ولعلهم أنفوا من تحريم ما حرم الله عليهم فكان عقوبة لهم فكان ، ذلك سببا لتعداد جرائمهم التي كانت سببا لتحريم طيبات ، ثم عطف على ذلك ذكر أسباب أخر فقال تعالى :
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وبصدهم عن سبيل الله كثيرا (١٦٠) } :
صدهم منعهم عن سبيل الله عن دينه كثيرا من الناس ، أوصدا كثيرا وذلك نحو صدهم عن الإيمان بعيسى ومحمد صلى الله عليهما وآل محمد .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: قال إمامنا المنصور بالله عليه السلام دلت على تحريم الاحتجاج بالشبه المضلة لأنها صد عن سبيل الله انتهى .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وأخذهم الربا وقد نهوا عنه (١) وأكلهم أموال الناس بالباطل (٢)

---

(١) . { وأخذهم الربا وقد نهوا عنه } :
عطف على الأسباب للتحريم المذكور وفيها دلالة على أن النهي يكفي لإفادة التحريم وقيام الحجة على المخالف له .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وأكلهم أموال الناس بالباطل } :
عطف على أسباب التحريم المذكورة أي حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم بصدهم وأخذهم وأكلهم ،

والباطل ضروب: منها الربا وقد خص بالذكر لزيادة في قبحه وعاره ، ومنها الرشوة وأجرة السحر وأجرة الكهانة وأجرة تحريف الكتاب ونسبة ما ليس منه إليه كما مر في قول الله تعالى: { فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما (١٦١) (١)ا`إ"٣©٩ الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر (٢)

---

(١) . { وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما (١٦١) } :
عطف على حرمنا عليهم وخص الكافرين بالذكر لبيان أن السبب كفرهم لنعم الله وكفرهم بآيات الله لا كونهم يهودا وليخرج من آمن منهم كما يأتي في قوله تعالى :
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر } :
}
... { الراسخون } : مبتدأ ، وقوله تعالى: { يؤمنون } إلى آخره الخبر ، وقوله تعالى: { والمقيمين الصلاة } قال في كتاب إعراب القرآن الواو معترضة والمقيمين نصب على المدح بإضمار فعل لبيان فضل الصلاة على ما قاله سيبويه وغيره ، والتقدير أعنى أوأخص المقيمين الصلاة الذين يؤدونها على وجه الكمال فإنهم أجدر المؤمنين بالرسوخ في الإيمان ، والنصب على المدح أو العنايةه لا يأتي في الكلام البليغ إلا لنكتة والنكتة هاهنا هي ما ذكرنا آنفا من مزيه الصلاة ، على أن تغيير الإعراب في كلمة بين أمثالها ينبه الذهن إلى وجوب التأمل فيها ، ويهدي التفكير لاستخراج مزيتها ، وهو من أركان البلاغة انتهى .
وقد مر في سورة البقرة نظيره في الصبر في قوله تعالى: { والصابرين في البأساء والضراء والموفون }
ولعل تخصيص إقامة الصلاة لما فيها من الخشوع المعين على امتثال أمر الله كما قال تعالى: { وإنها

لكبيرة إلا على الخاشعين } وهي في البقرة في بني إسرائيل في سياق دعوتهم إلى الإيمان بما أنزل الله على محمد وقد أمر الله بني أسرائيل أن يستعينوا بالصبر والصلاة ، فتخصيص المقيمين الصلاة لمزيد فائدتها في حق أهل الكتاب الذين يصعب عليهم الدخول في الإسلام والإيمان إلا الخاشعين لله { والمؤمنون بالله } : كذلك تخصيص لما قد شمله اسم الإيمان ، وفائدته التنبيه على الخروج من عقائد اليهود في الله مع دعواهم الإيمان به كالتشبيه { واليوم الآخر } : خص مع أنه قد دخل في الإيمان ليحقق إيمانهم على ما يقتضيه الإيمان بالقرآن ، لاعلى عقائدهم السابقة في أمور الثواب والعقاب.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٢١٤)

أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما (١٦٢) (١) * إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا (١٦٣) (٢)

---

(١) . { أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما (١٦٢) } : لإيمانهم وعملهم الصالح وهو ثواب الآخرة في جنات النعيم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { * إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا (١٦٣) } :

إن فيها دلالة على العظمة لله فهي تشير إلى استناد الوحي إلى عظمة الله وجلاله وحكمته وفضله ورحمته وعزته { كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده } : دلالة على أنها عادة الله وسنته في الأولين والآخرين ، فلا عجب إن يوحى إليك ، ودلالة على أنه وحي نبوة مثل وحي نبوتهم ، وقوله: { وأوحينا } يحتمل العطف على أوحينا إلى نوح ، فيكون المعنى وكما أوحينا ، ويحتمل أنه عطف على أوحينا إليك ، وحاصل المعنى واحد { والأسباط } : قيل يوسف وإخوته أسباط إسرائيل ، والسبط قال الراغب فيه في المفردات : ولد الولد انتهى ، وقال تعالى: { وقطعناهم في الأرض أسباطا أمما } سميت ذرية كل سبط باسمه وهو استعمال شائع مثل عاد لذريته ، وقال الشاعر :

كانت حنيفة أثلاثا فثلثهمو ... من العبيد وثلث من مواليها

أي بنو حنيفة ، وفي [لسان العرب] قال أبو العباس سألت ابن الأعرابي ما معنى السبط في كلام العرب قال: السبط والسبطان والأسباط خاصة الأولاد والمصاص منهم انتهى ، وأما تفسير الأسباط هنا بقبائل بني إسرائيل ذرية الأسباط فهو سهو؛ لأنهم ليسوا كلهم أنبياء ، والأقرب أن معنى الأسباط نبي الله يوسف ومن كان مثله من إخوته وذرية يوسف وإخوته .

وقوله تعالى: { وآتينا داوود } عطف على { أوحينا } والزبور: اسم لكتاب داوود عليه السلام ، وقوله تعالى: { زبورا } أي كتابا ولعله نكر لعدم معرفة العرب به قبل نزول القرآن .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢١٥/٢)

ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك (١) وكلم الله موسى تكليما (١٦٤) (٢)

---

(١) . { ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك } :

قال في [الكشاف]: { رسلا } نصب بمضمر في معنى أوحينا إليك ، وهو أرسلنا ونبأنا وما أشبه ذلك ، أو بما فسره قصصنا انتهى ، يعنى أنه من الإشتغال ، وفي كتاب [إعراب القرآن] للدرويش لم يذكر إلا الوجه الأول قال: تقديره وآتينا انتهى { قصصناهم عليك } : أي أخبرناك بهم وبقصة رسالتهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وكلم الله موسى تكليما (١٦٤) } :

بلا واسطة مبلغ عن الله من الملائكة ، بل خاطبه بواسطة بلا واسطة حطابا خطابا موجها إليه ، وهذا الفارق بينه وبين غيره ، وليس في الآية دلافة دلالة على الكلام النفسي الذي تثبته الأشاعرة وتجعله من الصفات ، وقوله تعالى: { تكليما } مصدر مؤكد للتكليم حقيقة وبدون واسطة مبلغ .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢١٦/٢)

رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (١٦٥) (١)

---

(١) { ... ( ) . { رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (١٦٥) { :

}

رسلا } يعني به المذكورين بأسكائهم بأسمائهم ن وفي الجملة رسلا قد قصصنا ورسلا لم نقص ، فكلهم جعلهم الله رسلا { مبشرين ومنذرين } مبشرين لمن آمن واتقى ومنذرين للمجرمين { لئلا يكون للناس على الله حجة } فيقولوا : ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ، فما بقي لهم حجة بعد الرسل { وكان الله عزيزا حكيما } : غالبا لا ينال حكيما فقد عامل عباده بالحكمة في التقديم إليهم بإرسال الرسل ، مع أنه غني عنهم كما عاملهم بالعزة حيث لم يتركهم هملا يفسدون ويظلمون من دون جزاء ولا تمييز بين المطيع والعاصي ، فكذبوا الرسل كل رسول كذبته أمته وكذب الكافرون من أهل الكتاب وغيرهم رسول الله محمدا وجحدوا نزول القرآن عليه من الله .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢١٧/٢)

لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا (١٦٦) (١)

---

(١) { ... ( ) . { لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا (١٦٦) { :

}

لكن } : استدراك من ذكر تكذيب المكذبين من أهل الكتاب في قوله تعالى: { يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء } أي يشهد { بما أنزل إليك } وهو القرآن وسائر الوحي يشهد به أنه منه أنزله إليك ، { أنزله بعلمه } : أنزله وهو عالم به { والملائكة يشهدون } : أن الله أنزله وأنه من الله أنزله عليك { وكفى بالله شهيدا } ؛ لأن قوله الحق ولايجوز عليه الكذب لأنه غني لا يحتاج إلى الكذب وعالم أنه غني ، وقد تبين أن الله قد شهد به بكونه معجزا لم يأتوا بسورة من مثله .كقوله تعالى

{ حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه .
وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢١٨/٢)

إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا (١٦٧) (١) إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم (٢)

---

(١) . { إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا (١٦٧) }
{ صدوا } : إن كان من الصدود فالمعنى أعرضوا ، وإن كان من الصد فالمعنى صدوا غيرهم ومنعوهم عن سبيل الله بأن ضللوا عليهم وأغووهم وقد مر ذكره في قوله تعالى: { وبصدهم عن سبيل الله }
والكل واقع منهم الإعراض والإغواء فيحمل على المعنيين ، قد ضلوا: ضلوا عن طريق الصواب وغووا
{ ضلالا بعيدا } : فصاروا في متاهة لايهتدون للصواب وصار بينهم وبين طريق الحق مسافة بعيدة
.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) { ... ( ) . { إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم } :
}
... ظلموا بالصد عن سبيل الله والتكذيب لرسول الله وغير ذلك { لم يكن الله ليغفر لهم } : نفي مؤكد يفيد أنه لا يليق بعظمة الله ولاينبغي أن يغفرلهم ، لأنه مخالف لعزته وحكمته .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢١٩/٢)

ولا ليهديهم طريقا (١٦٨) (١) إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا (٢) وكان ذلك على الله يسيرا (١٦٩) (٣)

---

(١) { ... ( ) . { ولا ليهديهم طريقا (١٦٨) } : لوجوب خذلانهم في الحكمة عقوبة لهم ، أو لأنه لايؤثر في قلوبهم لتهتدي إلا القسر والإلجاء ، وذلك ينافي حكمته لأنه لايخرجهم إلى الهدى

الحقيقي، وإنما هي صورة الهدى ألجأ إليها القسر ولافائدة لذلك ، وقد استحقوا أن يوليهم ماتولوا بعزته.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) { ... ( ) . { إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا } : أي لكن يهديهم طريق جهنم ، وهي مشاكلة لفظية ؛ لأن الهدى خاص في الدلالة على طريق الصواب ، وخالدين حال مقدرة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) { ... ( ) . { وكان ذلك على الله يسيرا (١٦٩) } : لأنه غني عنهم لانقص عليه في تعذيبهم ولامشقة ولاعناء ، واليسير: ضد العسير .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٢٠/٢)

يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم (١)

---

(١) { ... ( ) . { يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم } : { يا أيها الناس } : دعوة عامة للناس من أهل الكتاب وغيرهم من العرب والعجم { قد جاءكم الرسول } : قد انتهى إليكم الرسول المرسل إليكم ، جاءكم { بالحق } الذي أرسل به وأمر بإبلاغه من ربكم أرسله به وهو القرآن وسائر الوحي إلى محمد { فآمنوا } : الإيمان الذي يدعوكم إليه ويأمركم به وهو الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، ومن ذلك الإيمان برسالة محمد وبالآيات التي جاء بها ، ومن ذلك القرآن { خيرا لكم } : لأن في الإيمان نجاتكم من النار وسعادتكم في الآخرة أبدا وذلك خير من الدنيا ومافيها.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(٢٢١/٢)

وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما (١٧٠) (١)

---

(١) { ... ( ) . { وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما (١٧٠) } :
{ ... { وإن تكفروا } بالرسول أو بالحق الذي جاء به أي القرآن { فإن لله ما في السموات والأرض }
وإنما أنتم قليل في جملة ما في السموات والأرض فلا يعبأ بكم ولا يبالي بفوات طاعتكم ، وأنتم
كغيركم مما في السموات والأرض عبيد مملوكون فإن عصيتم حق عليكم العقاب { وكان الله عليما
حكيما } : عليما بكفر من كفر وبكل شيء ، حكيما: فلا بد من أن يجزي من كفر .
وقال الشرفي رحمه الله في تفسير الآية السابقة : وفيه وجهان :
الأول: المراد أنه تعالى خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم بأصناف النعم كلها فحق كل عاقل أن يكون
منقادا لأوامره ونواهيه يرجو ثوابه ويخاف عقابه .
الثاني: أنهم إن كفروا فإن لله ما في سمواته وأرضه من أصناف مخلوقاته من يوحده ويعبده ويتقيه من
الملائكة والثقلين ، وكان ذلك غنيا عنهم عن خلقه وعبادتهم ومستحقا لأن يحمد لكثرة نعمه وأن لم
يحمده أحد انتهى.

قلت: هذان وجهان ، والذي ذكرت قبله وجهان ، فهي أربعة معان أفادها قوله تعالى: { فإن لله ما في
السموات والأرض } وقد تكررت في هذه السورة لإفادتها الفوائد المتعددة المناسبة للسياقات
المختلفة .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ،
الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٢٢/٢)

---

wur ںدٹZƒدû Nà6خ' ؟w (#qè=sں #$٦٩إtG"=ة tƒ"¯'dr÷@ں
#q)ن٩n?t' s?(àqم "!$# w ؟خ ¨.R¯yJ$ #9$sy(خ ٹx(إ#9$yJ س | Oدٹدم
&ur !$yg9s)9r٢ں=خçmçFyJ¼ے #$!" 'uTMغq^ع û$# zNtƒ tBك
) (iB (1دyrâ'ur çm÷Zس zNtƒ tB (خ>n'ٴ

---

(١) . } wur ںدٹZƒدû Nà6خ' ؟w (#qè=sں #$٦٩إtG"=ة tƒ"¯'dr÷@ں
#q)ن٩n?t' s?(àqم "!$# w ؟خ ¨.R¯yJ$ #9$sy(خ ٹx(إ#9$yJ س | Oدٹدم
&ur !$yg9s)9r٢ں=خçmçFyJ¼ے #$!" 'uTMغq^ع û$# zNtƒ tBك

: { iBدyrâ'ur çm÷Zس zNtƒ tB (خ>n'٤
}

يا أهل الكتاب } : خطاب لليهود والنصارى { لا تغلو في دينكم } : الغلو في الدين تجاوز الحد الصحيح في الدين ، وهو نوع من البدعة اختص باسم الغلو لأن الباعث عليه رغبة أصلها ديني ، ولكنها قويت وصارت هوى نفسيا فدعت إلى تجاوز الحد؛ حد الصواب ، فاليهود غلوا في أنفسهم فتجاوزوا نعمة الله عليهم بتفضيلهم على العالمين بما اختصهم به مثل فلق البحر لهم لينجيهم ويغرق عدوهم وهم ينظرون ، فتجاوزوا ذلك حتى قالوا: { لن تمسنا النار إلا أياما معدودة } وقالوا: { ليس علينا في الأميين سبيل } وقالوا: عزير بن الله ، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله واتخذوا عيسى إلها على اختلافهم بين من يقول إن الله هو المسيح ابن مريم ، ومن يقول ثلاثة أقانيم أقنوم أب ، وأقنوم ابن ، وأقنوم روح القدس ، ومجموع الثلاثة بزعمهم الله سبحانه وتعالى .

{ ولا تقولوا على الله إلا الحق } : فاتركوا الغلو لئلا تقولوا على الله غير الحق فقد نهى عن ذلك وحرمه { إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه } : فدرجته في الشرف أن الله اصطفاه رسولا له إلى بني إسرائيل وكفاه شرفا من هذه الناحية أنه رسول الله ، وخلقه من غير أب لا علاقة له بأن يكون إلها ؛ إنما خلقه الله بقوله كن { قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون } وهي كلمته التي خلق بها آدم بل وكل شيء ، وهي قضاؤه وإيجاده للشيء ألقاها إلى مريم بأن قضى وجود ابنها في بطنها .

{ وروح منه } : من أمره نفخه في جسد الولد كما نفخ في آدم من روحه { ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي } صدق الله فهو أمر استأثر الله بعلمه ؛ وبه يحيي المخلوق ، ويحتمل أن الروح في قوله تعالى: { وروح منه } غير الروح في قوله { فنفخنا فيه من روحنا } وأن قوله تعالى: { وروح منه } مدح لعيسى كما مدح القرآن بذلك ، وقد حكى عن عيسى عليه السلام قوله: { وجعلني مباركا أينما كنت } فلما كان عيسى عليه السلام سببا لحياة الإيمان في القلوب ببركته وحسن تعليمه وموعظته كان حقيقا بأن يسمى روحا كما سمي القرآن روحا ، وهذا أقرب عندي لوجوه :

الأول: أن نفخ الروح قد دخل في قوله: وكلمته ؛ لأنها عبارة عن إيجاده جسدا وروحا .

الثاني: أنه تعالى جعل عيسى نفسه روحا بجملته وذلك غير الإخبار بنفخ الروح فيه وكون الروح جزء منه .

الثالث: أن الحصر بإنما في خطاب الذين غلوا فيه يناسبه أن يشمل مزاياه التي من أجلها غلوا فيه ، ويشمل ما يمتاز به عيسى ؛ ولذلك لم يقتصر على قوله كلمته بل قال: { رسول الله } فكذلك ينبغي أن يذكر ما كان له من البركات وما ظهر على يديه من الآيات التي يحيى بها الإيمان في قلوب المؤمنين كنفخه في صورة الطير بحيث تكون طيرا بإذن الله وإحيائه القلوب الميتة بمواعظه وحكمته وسائر بركاته التي كانت له أينما كان بإذن الله ، وحينئذ تكون هذه الكلمات الثلاث قد عمت وشملت مزايا عيسى

صلى الله عليه ، فكان إدخالها في الحصر بإنما هو مقتضى الحال وكان أبلغ في الحجة على الغلاة فيه ، وقوله تعالى: { وروح منه } يشير إلى أن تلك البركات والحياة إنما هي من الله وبإذنه ، ومن هذه هي من الإبتدائية مثل: { وما بكم من نعمة فمن الله } أعني في قوله تعالى: { فمن الله } أي صادرة منه . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

---

n=rO "qà)s? îpsW٩نwur (#qں â'urTMك#خ&د¾ /خ$$!" sù"B$tدZمq#
(ur (1؛mد‰س (خs9"m× #$!ه (خyz Nà6©9 $yJ¯Rچ‌ژgtFR$# #Zك(#q

---

(١) . { (#qمZدt$B"ùs "!$$خ/ ¾د&#خك™ru'â ںq#) qà)s? ٩نwur
(خs9"m× #$!ه (خyz Nà6©9 $yJ¯Rچ‌ژgtFR$# #Zكn=rO (#q"îpsW
س‰دm؛ru } :

{ فآمنوا بالله } : فلا تجعلوه متعددا ثلاثة أقانيم ولاتجعلوه عيسى بل نزهوه عن مشابهة المخلوقين؛ لأن من آمن بشبيه للمخلوق لم يؤمن بالله فآمنوا بالله ورسله ومن ذلك الإيمان بعيسى رسولا لاإلها والإيمان برسول الله محمد { ولاتقولوا ثلاثة } أقانيم ولاتقولوا الآلهة ثلاثة الله وعيسى ومريم { انتهوا } عن الشرك { خيرا } لكم لتهتدوا { إنما الله إله واحد } : لا ثلاثة أقانيم أقنوم أب واقنوم ابن واقنوم روح القدس { سبحانه أن يكون له ولد } : لأنه الغني فلا يحتاج إلى ولد ، والولد إن أرادوا به الفرع لزمهم أن يكون الله جنسا قابلا للزيادة بالتفرع فلزم أنه قابل للزيادة والنقصان والوجود والعدم سبحانه وتعالى ، وإن أرادوا به الولد بالعاطفة والحب والحنو فذلك خاص بالمخلوق ولا يليق بالغني عن كل شيء ؛ لأن العاطفة حاجة ولعلهم أرادوا هذا فرد الله عليهم بأنه الغني { قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض } فالرد عليهم بأنه الغني ، فقال تعالى : كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ûخ' tB$!©&م¼ (s!ur (1$س !s&م¼ tƒ٣ocqڑ &br ™كys7"çmoY¼ے
(٢) اتذتب ur٢إٹWx /خ$$!" x.ur"F{$# 4's'اع ûخ' 9$# $tBur،،yJ"uq؛Nد
wur ں !° mtƒ #Y%‰7t٣ocqڑ &yJ9$# br،إٹxك "o،YtF٣إ#y ٩©`
(s)çRùQ$# (3چ§/n=yJ9$# tbqç"¯´حèps3

---

(١) . { ے¼ys7"çmoY™ك &br tƒ٣ocqڑ !s&م¼ s!ur$س } لأن ذلك نسبة الحاجة إليه .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { !©&م¼ tB$ ûخ' yJ"uq؛Nد،،$tBur 9$# ûخ' 4's'اع x.ur"F{$# "!$$خ/ ur٢إٹWx اتذتب } :

فكل من جعلوه إلها من دون الله إنما هو عبد لله ، فلا يشارك الله في ملكه { وكفى بالله وكيلا } : لعباده كما قال تعالى: { أليس الله بكاف عبده } فعلى عباده أن يكلوا إليه أمورهم ويستغنوا به لتدبير شؤنهم عن إثبات إله غيره

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { ٩©` #y٣إ"o،YtF br،إٹxك &yJ9$# tƒ٣ocqڑ #Y%‰7t mtƒ !° ں wur tbqç"¯´حèps3 yJ9$#/n=§چ çRùQ$#(s)$# } :

}

لن يستنكف } : لن يأنف { أن يكون عبدا لله } لأنه معترف بأنه عبد لله خاشع له { ولا الملائكة المقربون } : فهم مؤمنون بأنهم عباد الله ولايدعون ما يدعيه بعض المشركين الذين يزعمون أنهم بنات الله { وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون } عطفهم على عيسى لمشابهة القول فيهم للقول في عيسى ؛ ولكون الرد على الفريقين واحدا ؛ ولكون الرد على النصارى جاء لتقرير أن الله لا إله إلاهو فناسب ذكر الرد على من جعل الملائكة ولدا لله مع الرد على اليهود الذين جعلوا عزيرا بن الله والنصارى الذين قالوا المسيح ابن الله ، كقوله تعالى: { ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيئين أربابا }

.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

tƒur ،tG٩٦ةûّ÷ ﺀdt6$ﭫy؟dm،¾ ﺀô`t "o،ZtG٣إ#tBur ô`
(١) اتذثب HsdدﭫYè$ (ﺧm‹s9د sù،à³su‹ | ﺝNèdç

---

(١) . { ô` tBur#إ٣ZtG،o" t`ôﺀ ¾،mdد؟yﭫ$6tdﺀ ÷ûّة٦٩tG، tƒur
: { اتذثب HsdدﭫYè$ (ﺧm‹s9د sù،à³su‹ | ﺝNèdç

{ ومن يستنكف عن عبادته } : عن الإعتراف بالعبودية لله ربهم المالك لهم { ويستكبر } يظن أنه فوق أن يعترف بالعبودية أو يترفع عن الإعتراف بالعبودية فالله سيحشرهم يحشر العباد إليه يوم القيامة إلى محل السؤال والحساب حيث يجمعهم كماقال تعالى { جميعا } : أي مجتمعين .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٢٦/٢)

#$٩ﺀ¢"=ﺧys"Mد urﻡJtد=qè#) ںZtB#uﻡq#) #$!©%ﮊïد Br'sù¨$
sù ﺯô#ﺧ&د¾ iBد` tƒur"ﺝƒ%‰ﻙNèd &é_ﻡsù Nèdu'qﭫﻡjùuqدﭫgﺧN
y93tF™$#ur ﺝs3ZtF™$# (#rçﮯqà#) #$!©%ﮊïد ur&$¨Br
iBد` gs9ﻙgs† N!%‰ﻙwur tbrں &r٩دﭫVJ$ ﻡsù $¹/#x‹tﭫﻡj‹yèﺓ/gçﻙO
(١) اتذجب tRﺀﮊﭺwur #Zں ur٩دﭫw$ #$!" ﭫﻙbrب

---

(١) . { #$٩ﺀ¢"=ﺧys"Mد urﻡJtد=qè#) ںZtB#uﻡq#) #$!©%ﮊïد Br'sù¨$
sù ﺯô#ﺧ&د¾ iBد` tƒur"ﺝƒ%‰ﻙNèd &é_ﻡsù Nèdu'qﭫﻡjùuqدﭫgﺧN
y93tF™$#ur ﺝs3ZtF™$# (#rçﮯqà#) #$!©%ﮊïد ur&$¨Br
iBد` gs9ﻙgs† N!%‰ﻙwur tbrں &r٩دﭫVJ$ ﻡsù $¹/#x‹tﭫﻡj‹yèﺓ/gçﻙO
: { اتذجب tRﺀﮊﭺwur #Zں ur٩دﭫw$ #$!" ﭫﻙbrب

{ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات } فقد عبدوا الله مع الإيمان عبادة مقبولة لمصاحبتها الإيمان { فيوفيهم أجورهم } بالحسنة عشر أمثالها { ويزيدهم من فضله } خيرا كثيرا يتفضل به عليهم .
}
وأما الذين استنكفوا } : أنفوا من عبادة الله { واستكبروا } : ترفعوا عن عبادة الله { فيعذبهم عذابا

أليما } عذاب جهنم { ولا يجدون لهم من دون الله } : من يدفع عنهم بتولي شؤونهم والقيام باصلاح أمورهم ولابنصر لهم وهذا رد على المشركين الذين يظنون أن شركائهم سيشفعون لهم ويدفعون عنهم بما لهم من المكانة عند الله بزعمهم تخولهم أن يتدخلوا يوم القيامة أن بعثوا فيدفعوا عنهم وينصرونهم بالشفاعة ، وقد تم في الآيات الماضية الرد على المشركين من قوله تعالى: { إن الله لا يغفر أن يشرك به } وما جاء في اليهود من قوله تعالى: { يسألك أهل الكتاب } مع ما سبق فيهم عند قوله تعالى: { يا أيها الذين أوتوا الكتاب } وما جاء في النصارى في الآيات التي مرت قريبا احتجاجا كاملا وإنذارا وإعذارا ثم عقب ذلك بقوله تعالى : كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٢٧/٢)

---

n/§' خ٣نiB Nد` /çچyd"`ض `y%!نu.نtƒ â¨$¨Z9$# ô‰s% N"¯'r‰ڤpk$ Br'sù¨$ اتذخب oB٦خ Y'qçR $YY# (خs9›٣نN ur&Rr"!$uZ9t ڈ٪ژ‰©!$# (#qكJ|ءôFtمs$#ur ¾دmخ/ (#qمu#BtYtن "!$$خ/ sùur ژiB 9@ôدû 7puH÷qu' çm÷Zخ' sù، |›م‰zôإ|=gèكN (١) اتذخب oB،tGةڤVJ$ W$ غ؛uژإ ku‰ur‰د‰kحN (خm‹s9د

(١) . { n/§' خ٣نiB Nد` /çچyd"`ض `y%!نu.نtƒ â¨$¨Z9$# ô‰s% N"¯'r‰ڤpk$ اتذخب oB٦خ Y'qçR $YY# (خs9›٣نN ur&Rr"!$uZ9tخ٣نN Br'sù¨$ ڈ٪ژ‰©!$# (#qكJ|ءôFtمs$#ur ¾دmخ/ (#qمu#BtYtن "!$$خ/ sùur ژiB 9@ôدû 7puH÷qu' çm÷Zخ' sù، |›م‰zôإ|=gèكN : { اتذخب oB،tGةڤVJ$ W$ غ؛uژإ ku‰ur‰د‰kحN (خm‹s9د
}

برهان } : دليل وحجة { من ربكم } وما كان من ربكم فهو الحق والهدى ، والبرهان هو القرآن الكريم فهو دليل من حيث إعجازه على أنه من الله ، وهو نور من حيث أنه من الله يبين الحق في الدين ويدل على بطلان الأديان المخالفة للإسلام ، وعلى أن الدين عند الله الإسلام { فأما الذين آمنوا بالله } إلها واحدا لا إله إلا هو ولا رب سواه فعبدوه وأخلصوا له العبادة { واعتصموا به } فلم يتخذوا شفعاء ولاشركاء يعتقدون أنهم ينصرونهم أويشفون مرضاهم أو يوفرون أرزاقهم ، بل اعتصموا بالله وتوكلوا عليه ولم ينافقوا { فسيدخلهم في رحمة منه } : وهي رحمة خاصة بالمؤمنين { وفضل } : منه عليهم خاص

بالمؤمنين { ويهديهم إليه صراطا مستقيما } : كقول موسى { وأهديك إلى ربك فتخشى } والهداية إليه تفيد معرفته الكاملة وذكره وشكره وخشيته ومراقبته { صراطا مستقيما } : طريقا واضحا لا عوج فيه وهو دين الله الذي ارتضاه لعباده ، يؤديهم إلى ذكر الله بقلوبهم وخشيته ومراقبته وكمال معرفته بمعرفة معاني أسمائه الحسنى والإيمان بها ، وهذه الرحمة والفضل والهداية عاجلة لأولياء الله في الدنيا ثم في الآخرة حين يصيرون في مقعد صدق عند مليك مقتدر في دار كرامته ورضوانه وفضله ورحمته ، فنسأل الله التوفيق والسداد والثبات وقد جرت عادة القرآن بإتباع الوعد بالوعيد لكنه هنا كفى الوعيد في الآية التي قبل هذه وأغنت عن تكرار الوعيد لقربها . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٢٨/٢)

"o،tGےy7tRqçF %è@ب ه!$# Nà6›دFےمƒ 'خû د's#"1) #$39s=n)
بbخ) (#âtîگdy=n7y #$D {§ٹ9smç ¼ 9s س$ur!s ے ¼مs&!s ur
&×M÷zé ygn=sù$ ك#ءدt8x tB$ R چOègy$! uqèdur ?s جچbƒ tخ)
N©9 `نrlo$ ƒt°؛ س$2) ur!s)

---

(١) . { "o،tGےy7tRqçF %è@ب ه!$# Nà6›دFےمƒ 'خû د's#"#$39s=n }
:
قال في [الصحاح]: الكل الذي لا ولد له ولا والد ، يقال منه كل الرجل يكل كلالة انتهى .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { بbخ) (#âtîگdy=n7y #$D {§ٹ9smç ¼ 9s س$ur!s ے ¼مs&!s ur
&×M÷zé ygn=sù$ ك#ءدt8x tB$ R چOègy$! uqèdur ?s جچbƒ tخ)
N©9 `نrlo$ ƒt°؛ س$ur!s } :

هذا فيمن لا أب له ؛ لأنه قد فهم من أول السورة أن الأب هو الوارث مع عدم الولد في قوله تعالى: { فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث } فتحصل أن الكلالة من لا أب له ولا ولد ، أعني أن الحكم فيه وأن الأم لا تبطل ميراث الإخوة ، وقوله تعالى: { وهو يرثها } أي الكل والمراد هنا الأخ لأبوين أو لأب وكذلك الأخت ؛ لأنه قد تقدم ذكر ميراث الأخوة من الأم ، فأما من كان له ولد فإن

كان ذكرا فلا إشكال ؛ وإن كان أنثى فميراث الإخوة معها بدليل آخر ليس من هذه الآية ؛ لأنها خاصة بمن لم يكن له ولد ، ولم تفصل بين الذكر والأنثى . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٢٩/٢)

---

b$sVè=›V9$#ب gn=sùځû÷ütFuZO$# $yJب .sù $tFtR%x*خb
'hح`Zw%y (خur (# qçR%x. Zouq÷z(خs? (1) bچE x8tتے®$
(û÷üu‹s[RW{$# (2ب ymلe¡ BدW÷@م sù=خ#%©.xجچ Surخ، | $!ن]

---

(١) . { b$sVè=›V9$#ب gn=sùځû÷ütFuZO$# $yJب .sù $tFtR%x*خb
: { ؟sچE x8tتے®$

إذا كن أكثر فلهن الثلثان لا غير وهو يؤخذ من حكم البنات ؛ لأنهن أقرب { فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { Surخ، | $!ن] 'hح`Zw%y (خur (# qçR%x. Zouq÷z(خb
: { #$}û÷üu‹s[RWب ymلe¡ BدW÷@م sù=خ#%©.xجچ

وأخذ حكم الأثنين من أول الآية حيث كان للواحدة النصف وللواحد الكل ، ، وكذلك الإثنان من الذكور مع الواحدة ، والثنتان من الإناث مع الواحد قد أفادت الآية أن للذكر مثل حظ الأنثيين .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٣٠/٢)

"xنس< /خ٣ن@eب ur#$!ه (s? (1إز=q#) &Nà6s9 br #$!ه ƒمiüt6خûك
vOڤخ=tو اتذدب (٢)

---

(١) . { كûخ6ƒiüt مه!$# br &Nà6s9 (#q=إزs؟ } : أي لئلا تضلوا ، أوكراهة أن تضلوا ، ومعنى تضلوا تخالفوا الحق ، فشبه مخالف الحق بمن ضل الطريق ، وهو هنا عبارة عن الخطا بسبب خفاء الدليل لو لم يبينه أوهو عام للخطأ والعمد .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ه!$#ur بe@ن٣خ/ <نس"x ٧Oث=خt واتذب } :

فهو عليم بالحكمة في الميراث وعليم بحاجة العباد إلى بيان أدلة الأحكام لئلا يضلوا ، وعالم بكل شيء ولعل الحكمة في النص على الجمع من الرجال والنساء بخلاف النص في الإخوة لأم أن الإخوة إذاكانوا جماعة قد يطمعون في أخذ الميراث كله ؛ لكثرتهم مع أن توريث النساء يسبب قلة ما يكون للواحد ، فقطعت الآية الكريمة أطماع الجاهلية ، أما الإخوة فقد قطع طمعهم بالتسوية بين الذكر والأنثى .

بلغ قصاصته والحمد لله بتاريخ ٣٠ شهر رمضان سنة ١٤١٨هـ

وكتب بدر الدين الحوثي وفقه الله .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٣١/٢)

---

ijk

يلاحظ قوله تعالى { كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين } فقوله { ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين } ليس من الآية كما في المصحف والمؤلف حفظه الله ظنها آية فكتبها بين قوسين وفسرها بناء على ذلك فيتأمل انظر الأصل ص/٣١ مع أني حذفت تفسير الزايد .

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود (١)

---

(١) . وفيه باقي تصحيح على محله علامة

تفسير سورة المائدة

ijk

{ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود } :

تخصيص الذين آمنوا بالخطاب ؛ لأنهم يبعثهم إيمانهم بالله ورسوله وكتابه واليوم الآخر وما فيه من الحساب والجزاء يبعثهم على إمتثال امر الله ونهيه ، أو لأن إيمانهم حجة عليهم من حيث أنهم قد وقع منهم الإيمان الذي يدلهم على وجوب الإمتثال ولعل هذا أقرب لأنه أنسب لاختيار الموصول وصلته الفعلية الذين آمنوا دون إسم الفاعل أيها المؤمنون في أكثر المواضع في القرآن الكريم و { أوفوا } أمر من الوفاء وهو تطبيق ما سبق من العقود. العقود: جمع عقد . بفتح العين . وهو الكلام الموثق المستلزم لإلزام قائله حقا ، سواء كان عهدا أو عقدا من عقود المعاملات ، أوقبولا للتكليف من الله يفيد الإلتزام بالطاعة ، ومنه اليمين المعقودة ، ولكنها خصت بالإذن بالكفارة .

قال السيد عبد الله بن أحمد الشرفي في تفسيره[المصابيح] قال: إمامنا المنصور بالله القاسم بن محمد رحمة الله عليه : دلت على انعقاد العقود كلها وعلى وجوب الوفاء بها ..الخ.

قلت :وقد جاء في بعضها الحث على الوفاء نحو: { وأوفوا بعهد الله } ، { وأوفوا بالعهد } ، { يوفون بالنذر } ، { واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا } { وأخذن منكم ميثاقا غليظا } ولعل قوله تعالى : { أوفوا بالعقود } مع عمومه لكل عقد جاء في أول السورة للحث على العمل بمافيها من حيث أن الذين آمنوا قد التزموا بالطاعة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٣٢/٢)

أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد (١) (١)

---

(١) . { أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد (١) } :

{ أحلت لكم } الإحلال للأنعام مقابل التحريم وهو: الأذن بأكلها ، وبذبحها ونحرها ولم يقل: أحلت لكم الأنعام ، كما في غير هذه السورة ، والأنعام ثلاثة أنواع من البهائم . واسم البهائم يعمها ويعم غيرها ، قال الراغب في المفردات :والبهيمة مالا نطق له وذلك لما في صوته من الإبهام ، لكن خص في التعارف بما عدا السباع والطير.

قلت: الأقرب أنها سميت بهيمة لأنها لا تعرف ما يعرف الإنسان ،فالمعارف مستبهمة عليها مجهولة لديها ليس لها إلا ما ألهمها الله لمعاشها ونحوه والإنتفاع بها ، ولذلك قال الهادي بن إبراهيم رحمه الله:

وما الناس إلا أنتم دون غيركم ... وسائر أملاك الزمان بهائم

فقوله تعالى: { بهيمة الأنعام } بمعنى الأنعام التي هي بهائم .

قال في [الكشاف] : إضافته على معنى من .انتهى. ففي قوله تعالى : { بهيمة الأنعام } فائدة تتعلق بإحلال الأنعام.

لعله الإشارة إلى رحمة الله بها لأنه جعلها بهائم فاحلالها مع كونها بهائم أهون عليها مما لو كانت تعرف ما يعرف الإنسان والله أعلم .

وقوله: { إلا ما يتلى عليكم } أي ما ذكر في الآيات القرآنية تحريمه من الميتة وأنواعها التي تأتي في قوله تعالى: { حرمت عليكم الميتة .. } الآية وقوله تعالى: { غير محلي الصيد وأنتم حرم } أي غير جاعليه حلالا في حال إحرامكم فقوله : { غير محلي } حال مما سبق ، والمعنى أن الله قد حرمه وأنتم قد آمنتم فلا تحلونه وقد حرمه الله .هـ

أي لا يقع منكم احلاله فيفيد أن من أحله فقد خرج من الإيمان ومعنى هذا تأكيد تحريمه وهو مذكور في أواخر السورة ولعل ما يأتي نزل قبل هذا أو أن هذا موجز قدم على التفصيل ، وحرم: جمع حرام وهو المحرم .

وقوله تعالى : { إن الله يحكم ما يريد } إشارة إلى أن له الملك ، وإلى أن المخاطبين عباده له أن يتعبدهم كيف شاء ، ودلالة على أن هذه الأحكام العظيمة ، ومنها تعميم التكليف بالعقود وإباحة ذبح الأنعام وأكلها على ما فيه من الألم والشدة عليها ، والتحريم للصيد في حال الإحرام كل ذلك لأن الله يحكم مايريد لا معقب لحكمه ، هذا وهو سبحانه أحكم الحاكمين لا يحكم إلا بالحق ، فالأنعام لها في الآخرة عوض ما نالها في الدنيا عوض عظيم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا (١)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت

الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا } :

قال الشرفي في [المصابيح]: وفي تفسير هذه الآية يقول الهادي – عليه السلام – :هذا نهي من الله سبحانه للمؤمنين أن يحلوا شيئا حرم الله عز وجل من هذه الأشياء ، والشعائر فهي الإبل التي تشعر عند الإحرام ، وإشعارها فهو شق أسنمتها ، والهدي فهو ما أهداه المحرم إلى مكة ، والقلائد فهي الإبل أيضا المقلدة التي يقلدها الحاج بعد احرامه ، { ولا آمين البيت الحرام } فهم القاصدون له المتوجهون نحوه من حاج كان أو معتمر فنهى الله تبارك وتعالى عن اباحة ماذكر ، ومعنى الشهر الحرام فهو الأشهر الحرم ، فقال الشهر الحرام وهو يريد الشهور ، كما قال: { يا أيها الإنسان ما غرك بربك } وهو يريد الناس والأشهر الحرم التي نهوا عن الإحداث فيها فهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، وهن اللواتي ذكر الله تبارك و تعالى حين يقول: { منها أربعة حرم ... } إلخ.

وحكى الشرفي رحمه الله في [المصابيح] عن المرتضى – عليه السلام – أنه قال: والشعائر فهي ما تعبد الله به خلقه في الحج مثل الصفا والمروة والمواقف والجمار والبدن فأمر الله أن لا يبيحوا ذلك ولا يتركوه ولا يفرطوا فيه ... الخ .

قلت: هذا صحيح لقول الله تعالى : { إن الصفا والمروة من شعائر الله } وقوله تعالى : { والبدن جعلناها لكم من شعائر الله } ومن للتبعيض ، ولعل الإمام الهادي – عليه السلام – أراد تفسير قوله تعالى : { ولا تحلوا شعائر الله } يعني أن المراد بالشعائر البدن المشعرة لا أن الإسم خاص بها ،يعنى أن النهي عن إحلال اعتراضها كما فعلت قريش حين صدوا رسول الله وصدوا الهدي الذي كان معه ، ولكن ليس مستحيلا أن يقع من بعض الجبابرة احلال المناسك بالبناء فيها لنفسه وأصحابه وخدمه وجعل بعضها بساتين ونحوها ،فالأولى ابقاء الآية على عمومها ، والقلائد جمع قلادة ، وتفسيرها بالإبل المقلدة من التطبيق ، وأما المفهوم فالظاهر أن المراد احترام القلائد التي هي علامة أنها لله فيترك التعرض للإبل المقلدة احتراما للقلائد. وقوله في الهدي :ما أهداه المحرم المراد إلى الحرم أي أهداها لله ، وقوله تعالى : { يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا } الفضل هنا ثواب الحج والعمرة وما فيهما من القرب. والرضوان غفران الذنوب وما يترتب عليه من التوفيق وتيسير سبل الخير ؛ لأن من رضي عن عبده أراد له الخير ولذلك كان الرضوان في الآخرة أكبر قال الله تعالى : { ورضوان من الله أكبر } وابتغاء ذلك إرادته والتوصل إليه بأم البيت الذي هو الكعبة من حيث هو توصل إلى الحج والعمرة وما فيهما.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وإذا حللتم فاصطادوا (١) ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا (٢)

---

(١) . { وإذا حللتم فاصطادوا } :
فالواجب أنما هو اجتناب الصيد حال الإحرام وليس من الدين اجتنابه بعد الاحلال تورعا ، والإصدياد: أخذ الصيد وما يجري مجرى الأخذ من الاستيلاء عليه والسيطرة بكونه قد صار في الشبكة أو نحو ذلك. كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا } :
ولا يكسبنكم بغض قوم لأن { صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا } أي لا يسبب البغض للعدوان عليهم وإن كان سبب البغض أنهم صدوكم عن المسجد الحرام.
قال الشرفي في [المصابيح] : معناه لا يحملكم بغض أهل مكة وعداوتهم بأن صدوكم عن المسجد الحرام على أن تعاملوهم معاملة تتجاوزون فيها حد الحق إلى الباطل.انتهى

قلت: ويحتمل أنه نهى عن قتالهم في الشهر الحرام لتقدم قوله تعالى : { ولا الشهر الحرام } فخص هذه الحالة لئلا يتوهموا أن صدهم عن المسجد الحرام يحل قتالهم في الشهر الحرام لقوله تعالى : { الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم } وهذا أقرب عندي.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٣٥/٢)

وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان (١)

---

(١) . { وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان } :
التعاون: تفاعل من العون أن يجعل كل ما المتعاونين قوته مع قوة أصحابه لتحصيل شيء باجتماع القوى عليه. والبر: اسم جامع ، وقد بينه الله تعالى في قوله:
{ ولكن البر من آمن بالله ... . } إلى آخر الآية وهي في سورة البقرة. والتقوى : اجتناب المعاصي

لطلب السلامة من العذاب ، وأصل التقوى استعمال الوقاية لدفع المكروه. والإثم الذنب المسبب للعذاب .

قال في[الصحاح]: الإثم :الذنب. انتهى.

والعدوان :الظلم والجور ومنه القتال في الشهر الحرام ،ولا يشترط في مفهوم المعاونة القصد لها كما حققه الإمام القاسم بن محمد – عليه السلام – في:[رسالة التحذير] وقد طبعت. وهذه الآية جامعة لفوائد كثيرة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٣٦/٢)

واتقوا الله إن الله شديد العقاب (٢) (١) حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم (٢)

---

(١) . { واتقوا الله إن الله شديد العقاب (٢) } :

تقوى الله :طاعته في كل أمره ونهيه ؛ وختمت هذه الآية بهذه الجملة ليحافظ الذين آمنوا على مافي هذه الآية وإن شقت على الأنفس كترك العدوان على أعداء الدين الذين صدوا الرسول ومن معه عن المسجد الحرام ، وفي ذلك دلالة على الوعيد على أهل الصلاة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم } :

}

الميتة } . بتخفيف الياء . التي ماتت دون أن تذبح أي لم تمت من الذبح ، ويلحق بها ما قطع من أعضاء أي الأنعام وهي في الحياة قبل أن تذبح للحديث { والدم } لا يجوز شربه رائقا ولا أكله خاثرا مطبوخا ، والخنزير: حيوان بالشام وغيره معروف عندهم ولحمه عند الاطلاق يعم العروق والشحم ؛ لأن الجملة يسمى لحما ، وإنما يختلف عند المقارنة حيث يقال: لحم وشحم. { وما أهل لغير الله به } مر تفسيره في تفسير آية البقرة { والمنخنقة } : التي يخنقها ما يحبس نفسها من حبل أو غيره فتموت كذا

قال الهادي – عليه السلام – في المنخنقة ، وقال – عليه السلام – : وأما الموقوذة فهي التي ترمى على موقذتها ، أو تضرب فتموت ؛ وأما المتردية فهي التي تردى من رأس الجبل أو من المطارة أو في البئر أو في غير ذلك مما تسقط فيه الدابة فتموت ولا يلحق ذكاتها. وأما النطيحة: فهي ما تنطحه البقرة أو الشاة منهن فتموت . وأما ما أكله السبع: فهي الدابة يقتلها السبع ولا تلحق ذكاتها فحرم الله ذلك كله إلا أن يلحق منه ذكاة فيذبح وفيه شيء من حياة فيكون حيئذ ذكيا. انتهى من [الأحكام].

وقال الشرفي في الموقوذة: وهي المقتولة بغير حد رجما أو ضربا بعصى ،يقال وقذه يقذه وقذا إذا ضربه حتى اشفى على الهلاك. انتهى .

وفي [الصحاح] وغيره نحوه ، ولم أجد تفسير الموقوذة وليست شرطا أعنى أن الوقذ ضرب ونحوه يؤدي إلى الموت في أي موضع من الجسد ولعل أصل الموقوذة التي تضرب على موقذتها ثم استعمل في التي تضرب ضربا يؤدي إلى الموت على الإطلاق ؛ لأن هذا هو المعروف في اللغة ، وقوله – عليه السلام – : أو من المطارة .قال في[الصحاح] وبئر مطارة واسعة الفم. انتهى

والأقرب أن الهادي – عليه السلام – أراد المكان المرتفع الذي يطير منه الطائر لارتفاعه لأنه – عليه السلام – قال أو في البئر.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٣٧/٢)

وما ذبح على النصب (١) وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق (٢)

---

(١) . { وما ذبح على النصب } :

قال الهادي – عليه السلام – : : ثم قال سبحانه : { وماذبح على النصب } والنصب :فهي آلهتهم المنصبة التي كانوا يذبحون لها وعلى اسمها ، ومعنى قوله : { على النصب } فإنما هو للنصب. انتهى

.

قلت: أصل مفهوم: { على النصب } حول النصب بحيث يكون الظاهر أنه ذبح من أجلها ولها ، قال أمرؤ القيس:

وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسا وتجمل

ومثله لطرفة بن العبد ، وقال بدل وتجمل وتجلد والمراد حولي ، ومنه قوله تعالى { طوافون عليكم بعضكم على بعض } وفي حديث الهرة: (إنها من الطوافين عليكم) وقوله تعالى : { وكأين من آية في

السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون } وقوله تعالى : { وإنكم لتمرون عليهم مصبحين }
.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق } :

الأزلام: جمع زلم ، وهو قدح . بكسر القاف وسكون الدال . أي قطعة قوية صلبة تستعمل في الاستقسام ، وفي الميسر قال في[الصحاح] والزلم . بالتحريك . القدح قال الشاعر:

بات يقاسيها غلام كالزلم ... ليس براعي إبل ولا غنم

وكذلك الزلم . بضم الزاي . والجمع الأزلام ، وهي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها.
انتهى.
وإنما قلت: قطعة قوية صلبة ؛ لأن الشاعر أراد مدح نفسه بالقوة على سوق الإبل أو الغنم التي ساقها وهرب بها وقصته مذكورة في [المصابيح] في تفسير الآية التي قبيل هذه ، قال : قال في [البرهان] وهذه الآية نزلت في الحطم بن هند البكري أتى رسول الله وحده وخلف خيله خارجه من المدينة فدعاه رسول الله فقال إلى ما تدعو؟. فأخبره وقد كان النبي قال لأصحابه : (يدخل عليكم اليوم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان) فلما أخبره النبي قال لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبى غادر فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق وهو يرتجز ويقول:
قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعي إ بل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم باتوا نياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج الساقين ممسوح القدم
ثم أقبل من العام القابل حاجا قد قلد الهدي فأراد رسول الله أن يبعث إليه فنزلت هذه الآية حتى بلغ: { ولا آمين البيت } انتهى المراد.
وقال في [المصابيح] في تفسير قول الله تعالى : { وأن تستقسموا بالأزلام } قال في [البرهان] أي تطلبون علم ما قسم أو لم يقسم من رزق أو حاجة بالأزلام ،وهي قداح ثلاثة مكتوب على أحدها أمرني ربي ، وعلى الآخر نهاني ربي ، والثالث غفل لا شيء عليه ، وكانوا إذا أرادوا سفرا أوحاجة أوغزوا ضربوا بها واستقسموا فإن خرج أمرني ربي فعلوه ، وإن خرج نهاني ربي تركوه ، وإن خرج الأبيض أعادوه ، فنهى الله سبحانه عنه ،فسمى بذلك استقساما لأنهم طلبوا به علم ما قسم لهم. انتهى.
قوله: وإن خرج الأبيض أعادوه. المراد بالأبيض:الذي لم يكتب فيه . وقوله أعادوه أي أعادوا الضرب

بها والذي يظهر أنهم يجعلونها في شيء يغطيها ويجيلونها فيه ثم يخرجون أحدها وينظرون أيها خرج ، وقرينه هذا قوله فإن خرج وإن خرج فظهر أن الضرب إجالتها وتحريكها بقوة لتختلط ويختلف وضعها عما كانت عليه عند جعلها في الظرف . وقد قيل أن المراد الاستقسام عند أن تذبح الجزور وتقسم سبعة أقسام ثم يتقامرون عليها بأزلام عشرة ، والأقرب أن الآية عامة لذلك كله ، وأن العرب كانوا يتوهمون أن ما أحذوه بالقمار مقسوم لهم فالعموم بواسطة هذا المعنى.

وقوله: { ذلكم فسق } أي معصية وجرأة على الله وخطيئة كما أفاده تفسير الهادي – عليه السلام – لغير هذه الآية ، وتفسير صاحب[البرهان] أنه خروج عن أمر الله وطاعته وهو فعل ما تقدم ذكره أي الاستقسام المذكور. انتهى.

وقوله تعالى : { وأن تستقسموا } في تأويل المصدر معطوف على ما سبق أي وحرم عليكم أن تستقسموا بالأزلام فظاهرها تحريم الإستقسام نفسه . وتفسيره بتحريم أخذ الجزور بالقمار اخراج لها عن ظاهرها فهو تأويل ولو قيل وما استقسموه بالأزلام لكان ظاهرا كقوله تعالى : { أو فسقا أهل لغير الله به } ولا حاجة إلى التأويل لأن تحريم الإستقسام بالأزلام يستلزم تحريم ما أخذ بناء على أنه مقسوم اعتمادا على الاستقسام بالأزلام ، وهو محرم لا يفيد أنه مقسوم فهو مازال ملك مشتري الناقة أو ذابح الناقة أو صاحبها أو قد حرمت بالتحريم على وجه محرم ليس ملك الذي أخذه بالاستقسام بالأزلام فهو حرام عليه وعلى المساكين الذين أعطاهم هذا المستقسم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٣٨/٢)

اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون (١) اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي (٢)

---

(١) . { اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون } :

{ اليوم } قد أظهر الله دينة فما بقي للكفار طمع في اذهابه لأنهم قد أيسوا من قدرتهم على ذلك لقوة الإسلام بقوة أهله واجتماع كلمتهم وطاعتهم لقائدهم وصبرهم على القتال في الدين { واخشون } ليبقى لكم دينكم وعزكم فلا تغيروا ولا تبدلوا واثبتوا على ذلك في حياة الرسول وبعده.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي } :
{ أكملت لكم دينكم } بكمال الشرائع ومطابقتها للحكمة فالتكاليف والأحكام قد نزلت على الرسول كلها كاملة محكمة { تنزيل من حكيم حميد } { وأتممت عليكم نعمتي } بإكمال الدين وجمعكم عليه أخوانا ، قد ألف بين قلوبكم فتمت لكم العزة وحصل لكم الأمن في دينكم بتمكينه في الأرض.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٢٣٩)

ورضيت لكم الإسلام دينا (١)

---

(١) . { ورضيت لكم الإسلام دينا } :
ارتضيت لكم إسلام أنفسكم ووجوهكم لله دينا تدينون الله به ؛ لأنه الحق وفيه لكم السعادة الدائمة في الآخرة والنجاة من النار وأنتم أهل لذلك بشكركم للنعمة ، واستحقاقكم للهداية للإسلام والتوفيق له .
فإن قيل: فكيف دخلت هذه الجملة في حوادث اليوم المذكور وهو يرضى لهم الإسلام دينا من قبله؟.
فالجواب: والله أعلم أنه رضى زائد على ما سبق ؛ لأنهم أتموا أركان الإسلام بالحج من بعضهم وبعزمهم عليه وسفرهم له من بعضهم ونشر كثير من أحكام الحج وغيره وتعلمها تلك الأيام وكثرة العبادة والخشوع في مناسك الحج في عرفات وعند البيت وسائر المواقف ، فقد رضي الله عنهم وأراد لهم الخير وأسباب الجنة والسعادة الدائمة فوق الرضى السابق ، ومعنى الرضى: غايته كمعنى الرحمة أي أن يفعل سبحانه فعل المحب الراضي والرضى في المخلوق ضد الكراهة والبغض ، فالحب داخل في معنى الرضى ؛ ولذلك جاء في الحديث الشريف :(ومن الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، ومن الذي إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق).انتهى.

أما اليوم المذكور فهو اليوم الذي كملت فيه الأحكام ونزولها على الرسول ولعله يربطه بهذه الآية أن هذه الأحكام التي فيها على التفصيل الشامل للمقتولة من الأنعام آخر ما نزل من الأحكام وليس المراد أن إكمال الدين بها بل بإكمال الدين كله ومنه تحريم الميتة والمقتولة كما يكون إتمام خلق الإنسان بخلق بنانه فإذا تم الشيء بتحصيل آخر جزء منه وإن كان صغيرا صح أن يقال اليوم تم.
ولا ينافي أن ذلك يوم عرفة أو يوم الغدير فلعل ولاية أمير المؤمنين قد نزلت قبله بكثير ، وذلك يوم

إنذار عشيرة الرسول أو في تبوك فإنزالها يوم عرفة ثم يوم الغدير تأكيد لما سبق ، ويمكن أن يقال أنه وإن كان تأكيدا باعتبار فهو حكم جديد باعتبار تجديد التشريع والأمر والتكليف لوجوب امتثاله آخرا كما وجب امتثاله أولا ، فمن هنا تكون ولاية أمير المؤمنين – عليه السلام – من حوادث يوم الغدير ويكون اكمال الدين بماحدث منه في ذلك اليوم من ولاية أمير المؤمنين – عليه السلام – وغيرها ، والمراد باءكمال الدين كما مر إنزاله على الرسول كاملا ومنه ولاية أمير المؤمنين فهي حكم من أحكام الدين لا أنها تضمنت بقية الأحكام كما يزعم بعض الشيعة كأنهم أرادوا أن اكمال الدين تبليغ الرسول بعضه إلى الناس كافة واحالتهم في البعض الآخر إلى علي – عليه السلام – ليبلغة ، وهذا غير معنى الآية عندنا ، بل اكمال الدين بانزال ولاية أمير المؤمنين – عليه السلام – التي فيها تشريع القيادة التي تحمي الإسلام وتدافع عنه المفسدين وتنفذ أحكامه بدفع التظالم وإقامة الحدود ونصب الولاة والحكام وغير ذلك ، وهداية من يهتدي بالمواعظ والحكم والآداب والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الصلوات والجمع وإيتاء الزكاة ونشر المعلمين في بلاد الإسلام والمرشدين ونحو ذلك كما قال تعالى : { الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر } وقال تعالى : { ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ... } الآية ، وعليه ما على العلماء من التعليم وإبلاغ الشرائع والوجوب عليه أكثر لأن الحاجة إليه أكثر وهو أقدر ؛ هذا في القيادة جملة فأما أمير المؤمنين علي – عليه السلام – فيجب اتباعه وهو طريق من طرق الشريعة لأنه مع الحق والحق معه ، وقد بسطت هنا للحاجة إليه.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم (٣) (١)

---

(١) . { فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم (٣) } :

{ فمن اضطر } : ألجأته الضرورة وهي الجوع الذي يخشى منه التلف أو المرض الذي يلجئ خوفه إلى أكل الميتة ، والمخمصة المجاعة سواء كانت عامة له ولغيره أم خاصة به حيث لا يجد ما يأكل إلا من الميتة أو المقتولة ، { غير متجانف لإثم } : قال الراغب الأصفهاني : أصل الجنف ميل في الحكم فقوله { فمن خاف من موص جنفا } أي ميلا ظاهرا ، وعلى هذا غير متجانف لإثم أي غير مائل إليه. انتهى ، فيشترط أن لا يأكل منها إلا لأنها ألجأته الضرورة لا ميلا إلى أكلها حراما ، وقد مر زيادة

تحقيق في تفسير آية البقرة { فإن الله غفور رحيم } ولذلك لا يؤاخذ المضطر غير المتجانف لإثم.

قال في[المصابيح]: قال إمامنا المنصور بالله القاسم بن محمد رحمه الله تعالى : دلت الآية على تحريم الميتة ومن ذلك الشظا ومالا ذكاة له إلا ما استثنى رسول الله من السمك والجراد ، وعلى تحريم جميع ما ذكره الله في هذه الآية فهي نصوص صريحة ، وعلى أن المسلمين وأهل الحق إذا كانوا في منعة فإنه يحرم عليهم التخوف من الأعداء يجب عليهم قصدهم لإقامة الدين ، وقوله { اليوم أكملت لكم دينكم ... } إلى آخره دلت هذه الآية الكريمة على أن شريعة محمد لا نقص فيها فلا تحتاج إلى رأي المبطلين وأن الله قد أتم نعمته على عباده بهذه الشريعة المطهرة وأنها داخلة فيما يسأل الله عنه من النعيم في قوله تعالى : { ثم لتسألن يومئذ عن النعيم } وإن رضي الله بالإسلام فيحب الرضى على عباده بما رضي لهم سبحانه. انتهى

وقد يستدل بالآية على إبطال القياس ولكن إذا ثبتت علة الحكم بالدليل الشرعي جرى ذلك مجرى عموم الحكم للفرع ، وقد سماه بعض الإمامية عموما وأثبتوه مع نفيهم للقياس ولذلك لا يخفى تحريم ما نزل الماء عليه فقتله كالمنخنقة ؛ وقد يقال هو من المنخنقة ؛ لأنه لا يشترط أن تنخنق بحبل أو عودين وقد خنقها الماء ؛ والأولى في المثال ما جرح بحد لغير ضرورة في غير المذبح فمات فإن من فهم تحريم المذكورات لأجل أسباب هلاكها وهذا سبب هلاك مثلها يفهم تحريمها ،وهذا مع قوله الله تعالى: { فردوه إلى الله والرسول } ولا يمكن الرد فيما لم يتناوله الحكم إلا بالقياس المذكور.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٤١/٢)

يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات (١) وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم (٢)

---

(١) . { يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات } :

{ يسألونك } إلتفات من الخطاب إلى الغيبة يسألك الذين آمنوا { ماذا أحل لهم } لعل المقصود ماذا أحل لهم من المأكولات { قل أحل لكم الطيبات } منها ، ويحتمل ماذا أحل لهم العموم فيتناول السؤال المأكولات والمشروبات والملبوسات والمنكوحات ، فيكون قوله تعالى : { قل أحل لكم الطيبات } عاما لها كعموم السؤال وإن كان السياق في اللحوم كما يأتي قريبا في النكاح ، وهو خارج

عن السياق.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم } :

ما علمتم اسم شرط وفعل الشرط ، وقوله تعالى : { فكلوا } جواب الشرط يدل على أن ما صاده الكلب المعلم إذا تمت الشروط حلال طيب ، وتعليم الكلب تعليمه ليجيب صحابه ويأتمر بأمره إذا أرسله على الصيد سواء كان جائعا أم شبعانا ، قال القاسم – عليه السلام – فيما رواه الهادي – عليه السلام – في[الأحكام] عن أبيه عن جده :المكلب فهو المغري ، وإكلاب الكلب فهو الإغراء ، ولا يكون ذلك من المغري للكلاب إلا اشلاء وأمرا.
قلت: يظهر أن التكليب تحصيل الكلب على الصيد في الكلب بإشلائه على الصيد أي ارساله لأنه قد تعلم الإمتثال فيحصل فيه الكلب على الصيد ، ولو كان شبعان ، ولذلك قال القاسم – عليه السلام – :والمكلب هو المغرى لأن أمر صاحبه له يكون إغراء له بسبب تعليمه ، وقوله تعالى : { تعلمونهن مما علمكم الله } يفيد أن هذا من نعمة الله علينا لأنه علمنا كيف نعلم الكلاب وغير ذلك فعلينا أن نشكر النعمة ولأنه الذي سخر لنا الكلاب وأعدها لذلك سبحانه ، وقوله تعالى : { فكلوا مما أمسكن عليكم } دليل على حل الصيد بإمساك الكلب له علينا أي ما أمسكن عليكم من الصيد ،ومعنى عليكم: حولكم أو حولكم من أجلكم قال تعالى : { أمسك عليك زوجك } أي لا تفارقها والفراق كناية عن الطلاق وقد أفاد هذا المعنى في[مغني اللبيب] حيث قال في على : تكون للإستعلاء ، أما على المجرور وهو الغالب ، أو على ما يقرب منه نحو أو أجد على النار هدى ، انتهى .
وفي قصيدة عمرو بن كلثوم :

تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة أعنتها صفونا

قال شارحها: يقول:قتلناه وحبسنا خيلنا عليه وقد قلدناها أعنتها في حال صفونها عنده. انتهى
وقال تعالى : { وما ذبح على النصب } وقد مر تفسيره ؛ وفائدة اشتراط أن يكون الإمساك عليكم :أن يترك منه مالم تمسكه إلا بعد غيابها عن صاحبها وغياب الصيد فأمسكته في غيابها إذا لم تدرك ذكاته لإحتمال أن يكون تردى مع الفرار فأعان التردي على قتله ، أو أنه أعان عليه شيء مجهول.
قال الهادي – عليه السلام – في[الأحكام] حدثني أبي عن أبيه أنه سئل عما قتل الكلب والصقر ، فقال :ما قتل الكلب المعلم فحلال عندي أكله وذكاة ماقتل الكلب المعلم فهو قتله له يؤكل ما قتل وإن أكله إلا أقله ولا أعلم فيما أجبتك به في هذا اختلافا بين الناس إلا ما ذكر فيه من خلاف عن ابن

عباس ... إلى قوله :وظننت أن بن عباس تأول في ذلك قول الله جل ثناؤه : { فكلوا مما أمسكن عليكم } فكان عند بن عباس أكله له غير امساك منه على من أرسله ، وهو عندي فقد يمسك بالقتل أكثر الإمساك ، والمذكور المشهور أن عدي بن حاتم وأبا ثعلبة الخشني سألا رسول الله عن أكل الكلب المعلم يأكل من صيده فأمرهما بأكل فضله ، وقال أصحاب رسول الله كلهم إلا ابن عباس وحده من بينهم يؤكل فضل الكلب المعلم وإن لم يبق من الصيد إلا بضعة من اللحم. انتهى المراد.

وقد عنى القاسم – عليه السلام – أن الصيد قد حل بامساكه قبل أن يأكله فلا يحرم بالأكل: لأن حله قد سبق الأكل ، ثم قال – عليه السلام – :فأما ما قتل الصقر والبازي فأعجب ما قيل فيه من القول إلي أنه ليس بذكي ؛ لأن الله سبحانه قال: { مكلبين } ولم يقل:ما علمتم مصقرين. المكلب فهو المغرى . إلى قوله – عليه السلام – :والصقر لا يؤمر ولا يشلا. انتهى.

وهو يعني أن الصقر لا يقبل التعليم والتكليب وإنما يجيب إلى الطعام لحاجته ويذهب إلى الصيد إذاكان جائعا لا لأمر صاحبه ، لأنه إذا كان شبعان لا يأتمر .

قال القاسم – عليه السلام – :فإن كانت حالة الفهود كحالها . أي كحال الصقور. لا تشلأ ولا تؤمر فلا يحل أكل فضول أكلها وإن كانت تؤمر وتشلأ فتأتمر فهي كالكلب يؤكل ما أفضلت وذكي ما قتلت ؛ وبهذا فيما بلغني كان يقول علي – عليه السلام – وبن عباس وبن عمر. انتهى.

يعني أن الفهد كالكلب إذا كان يقبل التكليب بالتعليم فأما أكل الفضل فقد مر خلاف بن عباس ؛ وقد نقلت هذا الكلام لما تضمن من تفسير الآية .

فتحصل أن المعنى : ما علمتم من الكلاب وغيرها من الجوارح التي تجرح الصيد ، وأن تعليمها جعلها تأتمر بأمر صاحبها من حيث أنه يحصل فيها بأمره كلب وشبق على الصيد فتسرع إليه بسبب التعليم الذي جعلها يحصل فيها الكلب على الصيد ، وأن معنى : { مما أمسكن عليكم } مما أمسكن حولكم ولا إشكال أن الإمساك من أجل صاحبه لأنه بسببه ، فسواء قلنا عليكم : حولكم ، أو قلنا عليكم :حولكم من أجلكم ؛ لأن الكلب أمسكه بسبب الكلب عليه والكلب عليه بسبب الإرسال ، وأن أكل الكلب من الصيد أو تركه خارج عن معنى التعليم والتكليب.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٤٢/٢)

واذكروا اسم الله عليه (١)

---

(١) . { واذكروا اسم الله عليه } :
هذا أمر وجوب فيجب ذكر اسم الله على الكلب عند إرساله أو على الصيد عند إرسال الكلب كما في الروايات ، وظاهر الرواية أن الضمير في قوله تعالى { عليه } للكلب أي واذكروا اسم الله على الكلب عند إرساله كأنه قيل : إرسال الكلب على الصيد باسم الله أي بحكمه وإذنه وإباحته ، كما يقول الذابح باسم الله ، والرواية في [أمالي أحمد بن عيسى]: أخبرنا محمد قال أخبرنا محمد بن عبيد قال أخبرنا محمد بن فضيل عن زكرياء عن عامر عن عدي بن حاتم قا ل:سألت رسول الله عن صيد الكلب؟ قال: (إن وجدت عنده كلبا آخر فخشيت أن يكون أخذ معه وقد قتله فلا تأكل فإنما ذكرت اسم الله على كلبك ولم تذكر اسمه على غيره) انتهى .
زكريا هو بن أبي زائدة ، وعامر هو الشعبي ، وذكر صاحب [رأب الصدع] أن هذا الحديث متفق عليه ، يعنى بين البخاري ومسلم قلت: وسنده على شرط صاحب [الصحيح المختار] من أصحابنا إلا بن فضيل وزكرياء ، وقال سيدي عبد الله بن الهادي في[الجداول] في ترجمة محمد بن فضيل عداده في ثقات محدثي الشيعة ، انتهى
وقال في زكريا: وعده المنصور بالله من رواة العدلية ، انتهى

قلت: ومع كونه كوفيا هو مظنة التشيع ولم أجد ما يدل على ميله ، وقال المؤيد بالله – عليه السلام – في[التجريد] وشرحه: إذا أرسل المسلم الكلب المعلم على الصيد وسمى حين أرسله فأخذ الكلب الصيد فقتله قبل أن يلحق صاحبه ذكاته جاز أكله وهذه الجملة لا خلاف فيها ، انتهى وهذا يؤكد أن الضمير للكلب ، فإرساله على الصيد بمنزلة الذبح في التسمية والله أعلم.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٤٣/٢)

واتقوا الله إن الله سريع الحساب (٤) (١) اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم (٢)

---

(١) . { واتقوا الله إن الله سريع الحساب (٤) } :
هذا تحذير من أكل الصيد بدون تمام الشروط كأن يكون الكلب غير معلم ، أو يصطاد بدون إرسال صاحبه المسلم ، أو لا يكون قريبا منه بحيث لا يعلم أنه الذي قتله بإرساله ، أو يعينه كلب آخر لم

يرسله أحد ، أوغير معلم ، وسرعة الحساب تستلزم توفية الجزاء بحيث لا يغفل عن مثقال ذرة.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم } :
}
اليوم } هو يوم نزول الآية { أحل لكم الطيبات } تأكيد للإحلال المذكور سابقا إن كان سبق وتمهيد لإحلال طعام الذين أوتوا الكتاب كما مهد لإحلال صيد الكلاب بقوله تعالى : { قل أحل لكم الطيبات } فيدل على أنه من الطيبات ، والذين أوتوا الكتاب اسم للذين رزقوا علم التوراة ولا يشمل الجهلة الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني بل هم من أهل الكتاب فالإيتاء من الله يشعر في بعض المواضع بالتعليم كما قال تعالى : { يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا } فلا يقال للجاهل ولو قرأ ألفاظ الحكمة وهو لا يعلم معناها لا يقال أوتي الحكمة ، ولذلك قال تعالى في علمائهم { الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين } وقال تعالى : { فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به } كما قال تعالى : { أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل } مع أنه قد يطلق ويراد أهل الكتاب جملة على طريقة التغليب أو لحكمة يقتضيها سياق الكلام.

والمراد بطعامهم ما سلم من سبب آخر يمنع من أكله لا ما أخذوه بالربا أو نجسوه بالخمر أو لحم الخنزير أو بغيرهما من النجاسات فهو واضح في التمر والحبوب ، وقوله تعالى { وطعامكم حل لهم } يفيد جواز إطعامهم ولعله في أهل الذمة ونحوهم كقوله تعالى : { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ... } الآية ، فمثل هذا الترخيص لا يدل إلا على أنه غير ممنوع من هذه الجهة التي علق عليها الترخيص ، ولا يدل على أنه رافع لكل مانع ومبطل لأدلة الموانع الأخرى ، ألا ترى أن قوله تعالى : { أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم .. } إلى قوله تعالى {كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض } لا تدل إلا على أنه لا مانع من ذلك من جهة الصيام وليس رافعا لكل مانع ، فلا يدل على إباحة مقاربة الحائض ليلة الصيام ولا على جواز أكل الميتة والدم ولحم الخنزير ليلة الصيام ، وهذا واضح.

وعلى هذا فلحومهم التي لم تذبح على الطريقة الإسلامية بل طعنت عند اذنها مثلا لا تحل ، أما ما علمنا أنهم ذبحوه على الطريقة الإسلامية فإن كان الإسلام شرطا في صحة الذكاة لقوله تعالى : { إلا ماذكيتم } والخطاب للذين آمنوا فذبحهم مانع من حل اللحم ، وإن لم يكن الإسلام شرطا وقد طابق الذبح الصفة المشروعة لم يبق إلا الإسلام فلا يكون مانعا فالآية هذه لا تدل بنفسها على حل ذبائحهم بل لا بد من دليل آخر وإلا فالظاهر التحريم لقوله تعالى : { إلا ماذكيتم } .

فإن قيل: فمافائدة الترخيص إذا لم يكن المقصود حل اللحم؟.

قلنا: هي كقوله تعالى : { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين .. } إلى قوله تعالى : { إن تبروهم وتقسطوا إليهم } لأنه قد يتوهم وجوب تركهم مبالغة في معاداتهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٤٤/٢)

والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم (١)

---

(١) . { والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم } :

ذكر المحصنات من المؤمنات في هذا السياق من المتشابه ؛ لأن حلهن لنا أمر مفروغ منه إلا أن يقال هو تمهيد لقوله : { والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب } على أن المراد المؤمنات من الذين أوتوا الكتاب فهن حل لكم لأنهن مؤمنات ، وهذا تفسير الهادي – عليه السلام – ، وقد احتج له في [الأحكام] بما يكفي فليراجع في كتاب النكاح من الأحكام ويؤكده أن استعمال قوله : { الذين أوتوا الكتاب } في علمائهم الذين قد آمنوا أظهر ؛ لأنه مدح كما بينت ، ومن أعظم مؤكداته أن نكاح اليهودية والنصرانية مظنة أن يكون لها أولاد تربيهم على دينها إذا مات زوجها أو غاب مع أن كثيرا من المسلمين يغفلون عما يجري على أولادهم من التربية على الباطل وخصوصا العامة من المسلمين الذين لايهمهم إلا أعمال دنياهم ، فكيف يحل من يدعو إلى النار ، وقد علل تحريم مناكحة المشركين بقوله تعالى { أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه } ومثل هذا لا يتصور أن يتخلف فيشرع الله الدعا إلى النار ويترك الدعا إلى الجنة.

فإن قيل: إباحة المؤمنات من أهل الكتاب أمر مفروغ منه فما فائدة ذكره؟.

قلنا: إنه وإن كان أمرا مفروغا منه في وقت الرسول فيمكن أن التصريح به جاء لأجل المستقبل ألا ترى أن في بلدنا هذه يتنزهون من نكاحهن ويعتبرونه معيبا ، مع أنه تعالى قد قال : { والمحصنات من المؤمنات } وحلهن أمر مفروع منه فما المانع في المعطوف عليهن وأن يكون من عطف الخاص على العام ، وأنها من المتشابه جاءت إبتلاء.

ولو قلنا أنها في الكافرة لقلنا فيها كما قلنا في الطعام وإن شرطها أن لا يكون فيها مانع آخر غير كونها من الذين أوتوا الكتاب فإذا كانت مشركة حرمت لأجل الشرك كما لو كانت أختا من نسب أورضاع ، بل لو كانت قد اشركت فيما مضى ثم تركت فلا تحل لقوله تعالى : { ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن } فلا يرفع تحريمها مجرد الترك ولا يرفعه إلا الإيمان ؛ ولعل الحكمة أن القلب قد يكون باقيا على

الشرك وقد يكون مستعدا للعودة فيه مالم تؤمن.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٤٥/٢)

إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان (١)

---

(١) . { إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان } :
{ أجورهن } : مهورهن { إذا آتيتموهن } فتحرم من منعها زوجها المهر ظلما ، ولعل هذه هي فائدة ذكر المحصنات من المؤمنات لأنه حكم جديد محصنين بهذا النكاح ، والإحصان الحماية عن الحرام فهو يحمي نفسه وعرسه { غير مسافحين } توضيح لمعني الإحصان والسفاح الزنا { ولا متخذي أخدان } قال الراغب: قال الله تعالى : { ولا متخذي أخدان } جمع خدن ،أي المصاحب ، وأكثر ذلك يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المرأة ، وخدينها ، وقول الشاعر:
خدين العلى ... فاستعارة كقولهم : يعشق العلى ..الخ ، وقد مر في سورة النساء تفسيره.

قال الشرفي في[المصابيح]قال إمامنا المنصور بالله – عليه السلام – :دلت الآية الكريمة على حل كل طيب والمحصنات من المؤمنات وهن العفيفات من الزنا والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وهم الذين لم يشركوا بالله من اليهود والنصارى دون من أشرك منهم ..الخ. قلت : والأقرب أنه لا يدخل فيها من تهود أو تنصر من غير بني إسرائيل اذا كان المراد الكافرات ، فأما اللاتي أسلمن فهن حل كلهن.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٤٦/٢)

ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين (٥) (١) يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة (٢)

---

(١) . { ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين (٥) } :
{ يكفر } بالإيمان يرجع عنه ويرفضه ويقلع عنه مثل { كفرنا بكم } { ثم يوم القيامة يكفر بعضكم بعض } { فقد حبط عمله } الماضي حين كان مؤمنا ، فلا ينفعه ما سبق من إيمانه وهو في الآخرة من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم وفاتهم كل خير وصاروا في شقوة لا تنقطع ، وهذا حث على الثبات على الإيمان.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة } :

لما كانت الصلاة في الغالب تكون في المسجد يقوم إليها الإنسان من مسكنه إما بعد النوم كالفجر ، وإما بعد راحة الظهيرة كالظهر ، وإما بعد الراحة من عمل النهار كالمغرب ، وإما بعد العشاء . بفتح العين . قال تعالى { إذا قمتم إلى الصلاة } أي إذا تهيأتم لها.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٤٧/٢)

فاغسلوا وجوهكم (١) وأيديكم إلى المرافق (٢) وامسحوا برءوسكم (٣)

---

(١) . { فاغسلوا وجوهكم } :
استعدادا لها وذلك يستلزم النية ، والوجه مابين الأذنين من قدام ، وحده من أعلا حده مقاص الشعر ومن أسفل منتهى الذقن.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وأيديكم إلى المرافق } :
فاليد كلها تغسل إلا ما فوق المرفق ، والمرفق ما يرتفق عليه عند الإتكاء مجمع العضد والذراع.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٣) . { وامسحوا برءوسكم } :

ماء وقد أفاد الماء ذكر الغسل والسياق للتطهر وفي المسح بالماء تنظيف لظاهر الشعر ومسح يتعدى إلى مفعول به فيختلف باختلاف المقصود ، فإذا كان المقصود تجفيف اليد مثلا قلت: امسحها بالمنديل ؛ لأنها هنا ليست آلة بل المسح موجه إليها واقع عليها ، وإذا كان المقصود إزالة ما في اليد من ماء أو دهن أو دم قلت: أمسحه بالأرض أو برأسك أو برجلك أو نحو ذلك ؛ لأن المسح موجه إلى مافي اليد واقع عليه ، ومنه { وامسحوا برؤسكم } أي ماء ، وفي التيمم في سورة النساء { فامسحوا بوجوهكم } أي منه كما صرح به في المائدة ، ومنه الحديث : (إن رسول الله وطئ بعر بعير رطب فمسحه بالأرض وصلى ولم يحدث وضوء ولم يغسل قدما) رواه في مجموع زيد بن علي عليهما السلام وأمالي أحمد بن عيسى ، والحديث الآخر (فأمس إبهامه أنفه فإذا دم فأعادها مرة فلم ير شيئا فأهوى بها إلى الأرض فمسحه ولم يحدث وضوءا ومضى إلى الصلاة) رواه في المجموع والأمالي وفي نهاية ابن الأثير ، وفي حديث فرس المرابط أن علفه وروثه ومسحا عنه في ميزانه يريد مسح التراب عنه. اهـ

فالمفعول محذوف كما في الآية وبهذا يظهر معنى الباء وأنها لإلصاق الماء بالرأس كما في { فامسحوا بوجوهكم } لإلصاق بعض من الصعيد بالوجه ، وأنها ليست زائدة ؛ مع أن الإثبات لا تزاد فيه الباء إلا في نحو: بحسبك درهم { وكفى بالله شهيدا } ومواضع مخصوصة ، وهو سماعي لا يقاس عليه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٤٨/٢)

وأرجلكم إلى الكعبين (١)

---

(١) . { وأرجلكم إلى الكعبين } :

أي واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين ، فالرجل كلها تغسل إلا ما فوق الكعبين من الرجل ، والكعبان : عظمان في أسفل الساق ، وهما المقصود هنا بدليل التثنية ؛ لأن الأرجل مجموعة ، فإما أن يلحظ الجمع فيقال : إلى الكعاب مثل إلى المرافق ، وإما أن يلحظ الفرد ، فلو كان المراد في القدم الواحد كعب واحد كعب الشراك لقيل إلى الكعب ، ولو قيل :والرجلين بالتثنية صح أن يقال : إلى الكعبين لتثنية الرجلين مع كون المقصود كعب الشراك ، إذا كان حقيقيا وفيه نظر.

قال الراغب :كعب الرجل العظم الذي عند ملتقى القدم والساق ، ولم يذكر غيره ، وقال في

[الصحاح]:الكعب: العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم ، وأنكر الأصمعى قول الناس إنه في ظهر القدم ، انتهى
والوجه في غسل الكعبين أن الغاية إذا احتمل دخول ما بعدها وأحتمل خروجه كان هنا وفي المرفقين محمولا على الدخول لأن الأمر قد عم الأرجل والأيدي ، فالأصل مع الإلتباس الغسل ، وإذا لم يتحقق الخروج من الحكم مع أنه أحوط.

وظاهر الآية وجوب الوضوء عند كل قيام إلى الصلاة فإن قام إلى كل فريضة قياما توضأ لكل فريضة ، وإن قام إلى الصلاتين قياما واحدا توضأ لهما وضوءا واحدا ، فالحكم تابع للقيام.
وفي أمالي أحمد بن عيسى :حدثنا محمد حدثنا جعفر بن محمد قال سألت قاسم بن إبراهيم عن الرجل يصلي الصلوات بالوضوء الواحد؟ فقال: قد أمر الله بالوضوء عند ما يقوم إلى الصلاة وهو المحكم عندنا ... الخ
نعم قولنا بغسل الرجلين هو العمل بقرائة النصب وهي القراءة المشهورة في العالم لم تختلف فيها قراءة حفص ونافع ، وحمل العطف على المنصوب لفظا وحكما أقوى من دعوى أنه منصوب بالعطف على محل رؤوسكم ؛ لأن العطف على المنصوب لفظا وحكما ظاهر لا إشكال فيه ، وإن ادعى بعض الإمامية أنه لا يجوز لأجل الفصل بقوله تعالى: { وامسحوا برؤوسكم } قلنا : الفصل لا يمنع ، وهو موجود في مواضع كثيرة في القرآن الكريم كالآية التي قبيل آية الوضوء { والمحصنات من المؤمنات } عطف على { طعامهم حل لكم } وقد فصل { وطعامكم حل لهم } والعطف مع الفصل في سورة الأنعام في مواضع منها : قوله تعالى : { ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم } فانظر كيف عطف: { وكذلك نجزي المحسنين } على جملة : { ونوحا هدينا من قبل } ثم عطف زكريا على نوحا وقد فصل بقوله { وكذلك نجزي المحسنين } ثم عطف إسماعيل وقد فصل بقوله {كل من الصالحين } ثم عطف { وكلا فضلنا على العالمين } على { ونوحا هدينا } ثم عطف : { ومن آبائهم } على إسماعيل أي وهدينا من آبائهم ، وقد فصل بقوله : { وكلا فضلنا على العالمين } ثم عطف قوله { واجتبيناهم } على { نوحا هدينا } وما بعده ، وقد فصل بما ترى فالعطف مع الفاصل لا وجه لمنعه ولا استبعاده.
وقال في [مغني اللبيب] في أقسام العطف: أحدها العطف على اللفظ وهو الأصل ، انتهى ، ولم يشرطوا عدم الفصل.
وأما قوله :إن العطف على أقرب ملفوظ هو الأصل فلا نسلم أنه الأصل إلا إذا استوى المعطوف عليه الأقرب والأبعد ولم يكن مرجح إلا القرب فأما إذا كان العطف على اللفظ والمعنى فهو أرجح من

العطف على المحل ؛ لأنه تأويل خلاف الظاهر لأن الأصل العطف على اللفظ مع أن العطف على المحل لا يجوز إلا بشروط لم تحصل هنا لأن من شروطه إمكان ظهور الإعراب في المعطوف عليه في الفصيح من الكلام مثل ليس زيد بقائم ولا قاعدا ، ومنه قول الشاعر : فلسنا بالجبال ولا الحديدا.
فيصح ليس زيد قائما ، ولسنا الجبال بالنصب الظاهر ، وفي الآية لا يصح حذف باء الإلصاق وإيصال الفعل بنفسه فاختل شرط العطف على المحل.

فإن قيل :لو قيل وامسحوا رؤوسكم لجاز ، قلنا: هذا ليس على حذف باء الإلصاق وتعدية الفعل بنفسه بل يكون رؤسكم مفعول به وهو استعمال آخر جعل فيه الممسوح هو الرأس وإنما المثال لو قال وامسحوا رؤوسكم ماء أي برؤوسكم فهذا لا يصح فلهذا قلت: لا يصح حذف باء الإلصاق فاختل شرط العطف على المحل ، أما ليس زيد بقائم فإنه استعمال واحد تحذف فيه الباء أو تزاد.

فإن قيل: نختار أن الباء زائدة والأصل وامسحوا رؤوسكم ، قلنا: لا يصح حمل القرآن على العدول عن الإستعمال الصحيح الفصيح إلى مالم يثبت جوازه لأن ذلك مخل بالفصاحة ومخالفة للظاهر ؛ لأن المتبادر المعنى الثابت للباء الذي هو الإلصاق بلا خلاف المشهور بين العرب لا غرابة فيه ولا شذوذ فالعدول عنه بلا حجة من عطف القرآن على الرأي والتحكم في التفسير.

وكون الباء للإلصاق معنى ذكره النحاة قال صاحب [مغنى اللبيب]في معاني الباء المفردة: أولها الإلصاق قيل وهو معنى لا يفارقها فلهذا اقتصر عليه سيبويه ، انتهى

وفي [المفصل] قال: والباء معناها الإلصاق كقولك به داء أي إلتصق به وخامره ، ثم قال ويدخلها معنى الإستعانة ، وذكر بقية المعاني ،فقد جعل الإلصاق هو المعنى الأصلي. قال ابن يعيش في شرح[المفصل] واللازم لمعناها الإلصاق.انتهى. وابن الحاجب صدر الإلصاق في معاني الباء ولم نجد أحدا ذكر خلافا بين النحاة في ذلك فالظاهر إجماعهم عليه ،وأما دعوى أن الباء للتبعيض فلا دليل عليه.

وقولهم إنه لابد لها من فائدة وليست إلا التبعيض .قلنا:لا نسلم إنحصار الفائدة في التبعيض وقد بينا الفائدة وأن الرأس في الآية ليس هو المفعول به بل المفعول به محذوف وهو الماء وإنما الرأس يلصق به الماء فهي فائدة ظاهرة اقتضتها اللغة الثابتة أما إستعمال الباء للتبعيض فلم يثبت ،وتفسير القرآن به فرع ثبوته قياسيا ولا يكفي وجوده في كلمة مخصوصة كما قلنا في استعمالها زائدة.

وأما قول بعض الإمامية أن { أرجلكم } معطوف على { رؤوسكم } لأنه الأقرب وإعمال الأقرب في باب التنازع أولى.

قلنا: لا يصح القياس على التنازع لأن طريقته استعمال خاص بتوجه عاملين مختلفين إلى معمول واحد وليس مما نحن فيه ولا يقاس عليه العطف ، لأن اللغة لا تثبت بالقياس مع أن النحاة اختلفوا في باب التنازع هل الأول أولى بالإعمال لسبقة أو الثاني لقربة ، مع أن هذا حيث يجوز العطف ، وقد بينا أن الأصل المتبادر العطف على اللفظ وأن العطف على المحل اختل فيه جواز العطف على المحل

باختلال شرطه.

فإن قيل : إن الرواية عن بعض الأئمة تفيد أن الباء للتبعيض ؛ لأنهم احتجوا على التبعيض بوجود الباء.

قلنا:الرواية عنهم غير صحيحة عندنا ولو صحت لاحتمل أنه أرادوا أنها للإلصاق وأن الإلصاق يحصل بإلصاق الماء ببعض الرأس كما تقول لصقت بجدار الكعبة وإنما لصقت ببعضه وهذا نظر واجتهاد لا حكاية لغة للعرب بإثبات أن الباء للتبعيض وقد اعترف الطوسي بأن الباء تأتي للإلصاق ولكنه نفى أنها في الآية لذلك وقد بينت أنها للإلصاق بما فيه كفاية.

ولو قيل أن الباء في قوله { وامسحوا برؤوسكم } للظرفية والمعنى امسحوا فيها ماء وكذا في آية { فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه } أي امسحوا في وجوهكم من الصعيد فالرأس محل للماء والوجه محل لبعض الصعيد لكان محتملا ؛ لأن الباء تستعمل للظرفية بلا إشكال ، والمعنى واحد ، وامتناع العطف على المحل فيها وفي باء الإلصاق واحد لاختلال شرطه ؛ وقد طولت هنا لكثرة ما وقع من الجدال في هذا الموضوع حين كنت بين الإمامية في إيران.

وقد احتج بعضهم للعطف على المحل بنحو { من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم } في قراءة جزم . يذر . عطفا على محل { فلا هادي له } وهو من إثبات اللغة بالقياس ؛ لأن هذا مع عدم مايعطف عليه لفظا وهو في الفعل وفي العطف على جملة قامت مقام الفعل المجزوم ونحن في العطف على المفرد للمفرد وقد مر ذكر شرطه.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٤٩/٢)

وإن كنتم جنبا فاطهروا (١) وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من إفح t9$#$! أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا (٢)

---

(١) . { وإن كنتم جنبا فاطهروا } :

{ وإن كنتم } حين تقومون إلى الصلاة { جنبا فاطهروا } من الجنابة بالغسل ؛ لأن الجنابة مانعة من الصلاة بدليل قوله تعالى: { ولا جنبا } والتطهر بالإغتسال بدليل قوله تعالى : { حتى تغتسلوا } فهنا إحالة على ما تقدم في سورة النساء.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من إفح !$#$t9 أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا } :
}
وإن كنتم مرضى } فلم تجدوا بسبب عجز المريض عن طلب الماء أو كنتم على سفر { فلم تجدوا ماء } لبعدكم في القفر عن مواضع الماء ، فذكر المرض والسفر لأنهما مظنة أن لا يجدوا ماء ، وفائدة ذكر المظنة تحسين فرض عدم الماء حتى لا يكون فرض الماء مستبعدا عند السامعين الذين عندهم الماء من أيسر الحاجات ، وقوله تعالى { أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء } لتحقيق أن التيمم يكون على الجنب وعلى المحدث.
فقوله : { أوجاء أحد منكم من الغائط } إشارة إلى الحدث لأن الذي يريد أن يبول أو يتبرز ينزل إلى منخفض من الأرض ليستتر فيه ففي هذا تعليم التستر عند قضاء الحاجة والإنفراد لقوله : { أوجاء أحد منكم } ولم يقل: أوجئتم.
وقوله تعالى : { فلم تجدوا ماء } يفهم منه البحث عن الماء لأنك في مثل هذا لا تقول لم أجد إلا إذا بحثت ،ويفهم منه التأخير لأن الماء لا يزال مرجوا بإنزال مطر أو غيره فإذا كان ظانا أنه لا يجد فلا يكفي ذلك لأن (لم) لنفي الوجدان وتحقق النفي في الماضي وما دام مستقبلا لا يقال لم أجد ، فأما من لا يجد فهو غير داخل في الشرط لأن معناه لايجد في الحال أو في الإستقبال فهو غير المذكور ولذلك يلزم التأخير إلى خشية فوت الفرض لأنه يصدق عليه حينئذ أنه لم يجد.
وتيمم الصعيد قصدة والتوجه لتحصيله وهو يدل على اختيار الطيب ولا يكفي مطلق التراب أينما حصل. الصعيد: وجه الأرض وقد مر تحقيقه في تفسير آية سورة النساء. والطيب: السليم من القذر والنجاسات السليم من التغير والفساد وقد مر فيه زيادة تحقيق.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٢٥٠)

فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه (١) ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج (٢)

---

(١) . { فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه } :
{ منه } أي من الصعيد الطيب بأن يلصق بالوجه واليدين بواسطة المسح ، وقوله : { وأيديكم } ولم يقل إلى المرافق إما إحالة عليه وإما إحالة على البيان من السنة إذا لم يكن المراد إليد كلها إلى الإبط ،

فأما تفسيره بالكفين قياسا على قطع السارق فبعيد وقياسه على الوضوء أقرب.

فإن قيل:ليس قياسا وإنما هو دليل على أن اليدين يصدق على الكفين. قلنا:ليس دليلا لأن اليد المقطوعة جملة اليد وقطعها يتحقق من أي أبعاضها ، ولذلك تحقق بقطع الكف كما تقول قطعت الحبل ولو كان قطعه من ربعه أو ثمنه أو نحوذلك.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج } :

ما يريد الله هذا التشريع للوضوء والغسل ليجعل عليكم حرجا ولو قليلا من الحرج فليس المراد بهذه الأحكام.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٥١/٢)

ولكن يريد ليطهركم (١) وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون (٦) (٢)

---

(١) . { ولكن يريد ليطهركم } :

لأن الإنسان قد يبتعد عن التنظف لقلة مبالاته بالنظافة أو كسلا أو اشتغالا فكانت الحكمة أن يفرض عليه فرضا وكانت الصلاة أحق بالطهارة فعين لها المفروض ولفرضه علينا من الله كان الله مطهرا لنا بفرضه وبتيسير الماء للتطهر كما قال تعالى : { وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون (٦) } :

بتشريع أسباب الكمال للإنسان المطيع وارتفاع درجته وتحصيل فوائد الطهارة الدينية كالنشاط للصلاة والدنيوية كالنظافة والصحة ، وشكر النعمة إظهار اعتراف القلب بها باللسان والأعضاء كما قال الشاعر :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

والكفر تغطية النعمة بترك الإظهار .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٥٢/٢)

واذكروا نعمة الله عليكم (١) وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا (٢)

---

(١) . { واذكروا نعمة الله عليكم }
فامتثلوا أوامره في الطهارات وغيرها لأن ذكر النعمة يذكر بحق المنعم ويدعو إلى شكرها.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا } :
حين آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقلتم { سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا } فالتزمتم بطاعته ليغفر لكم، والميثاق: القول المؤكد الذي يكون حجة على قائلة.
قال الشرفي في[المصابيح]:وهو الميثاق الذي أخذه الله على المسلمين حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة ... الخ ، وهو ظاهر فيحمل عليه الميثاق ويلحق به إلتزام العبد عند التوبة أن يطيع ليغفر له.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٥٣/٢)

واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور (٧) (١) يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله (٢)

---

(١) . { واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور (٧) } :

{ واتقوا الله } باتقاء عذابه ، وذلك بالطاعة الخالصة لله وتجديد التوبة عند كل زلة ،وهذا تأكيد لما في الآية الماضية من الأمر وتحذير من المخالفة ، وقوله : { إن الله عليم بذات الصدور } تذكير بوجوب مراقبة الله في كل عمل وكل اعتقاد وكل نية لأنه عليم بالخصلة المضمرة في الصدر المكتومة في الضمير وعليم بخبايا النفس التي قد يغفل صاحبها عنها ، فعلى المكلف أن يتيقظ ويحاسب نفسه محاسبة دقيقة.

وبهذه الآية تم الكلام في وجوب الطهارات وعند إتيان موضوع آخر يبدأ بنداء الذين آمنوا إذا كان فيه تكليف لهم في هذه السورة الكريمة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله } :

}

قوامين } : يدل على الإستمرار والتكرار حتى يوصف الواحد بأنه قوام ، والقيام لله يشمل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن الدين بالقلم واللسان ونصرة الحق كذلك على أن يكون ذلك كله لله طاعة وتقربا إليه وتعبدا له ، فهذا واجب مستقل إضاف إليه واجبا هو منه فقال تعالى :كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٥٤/٢)

شهداء بالقسط (١) ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى (٢)

---

(١) . { شهداء بالقسط } :

شهداء بالحق :عام للمسائل العلمية الدينية وللشهادة بالقسط فيما تشاجر فيه الناس من أمور الدنيا.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى } :

ولا يجرمنكم شنئان : قد مر تفسيره في أول السورة ، والمعنى لا يحملنكم بغض قوم على أن لا تعدلوا فتتركوا العدل لأجل بغضهم ،وهو يعم ترك الشهادة لهم بالحق وترك الإنصاف لهم فيما استحقوه من أرش أو قصاص أو دين أو إجارة أو غير ذلك ،فنهى وأمر بقوله تعالى : { اعدلوا } حثا على العمل

بهذا التكليف وإن شق على النفس ، وقال تعالى : { هو أقرب للتقوى } أي أقرب لاتقاء عذاب الله ؛ لأنه من أهم عمل التقوى الذي هو الطاعة لله سبحانه فيما أمر ونهى فالمطيع فيه أقرب إلى الطاعة في غيره من التكاليف ، فهو أقرب للتقوى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٥٥/٢)

واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (٨) (١) وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم (٩) (٢)

---

(١) . { واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (٨) } :

حث علىتقوى الله بطاعته في القيام له والإنصاف وفي كل شيء ، فهو تأكيد ختمت به هذه كما ختم الكلام في الطهارة بقوله تعالى : { واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور } وختمت آية الصيد بالكلاب بقوله تعالى : { واتقوا الله إن الله سريع الحساب } وختمت آية: { لا تحلوا شعائر الله } بقوله { واتقوا الله إن الله شديد العقاب } فأفاد ذلك أن تقوى الله طاعته في كل أمر ونهي لا في ترك الشرك وحده، ودل ذلك على أن العصاة من الذين قد آمنوا يعذبون ولا يدفع عنهم ترك الشرك بالله الذي خرجوا منه بشهادة التوحيد والدخول في الإسلام.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم (٩) } :

الصالحات: الحسنات التي لم يصحبها مفسد ولا محبط ، لهم مغفرة وأجر عظيم : هذا هو الوعد.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٥٦/٢)

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (١٠) (١) يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم (٢)

---

(١) . { والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (١٠) } :
أيات الله : دلائله من القرآن وغيره ، قال في [الصحاح] الجحيم : إسم من أسماء النار ، وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم من قوله تعالى : { قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم } انتهى
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم } :

هذا الوصف ينطبق على يوم الأحزاب الذي قال تعالى فيه: { ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال } وقال تعالى فيه: { يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١١) (١)

---

(١) . { واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١١) } :
ذكرهم بنعمته ليطيعوه شكرا وتجنبا لكفر النعمة الذي يتنزه عنه من استعمل عقله لقبحه عقلا وعطف عليه الأمر بتقوى الله ليطيعوه ليقوا أنفسهم عذابه ، وأمرهم بالتوكل ليثبتوا على طاعته ولا يصرفهم عنها خوف عدو أو خوف فقر أو نحو ذلك .
قال الشرفي في[المصابيح] في تفسير سورة العنكبوت : والتوكل هو الوثوق به ، وإسناد الأمر إليه ، انتهى .

وقال المنصور بالله – عليه السلام – في [حديقة الحكمة] شرح الأربعين السيلقية في التوكل: ومعناه.

أي التوكل . أن لا تهتم بالأمر المهم اعتماداعلى غيرك فيه ولذلك سمي الرجل: وكلا وهو الذي لا يهتم بالأمور اعتمادا على غيره فيها وهو ذم عندهم ، ومعنى التوكل على الله :أن تعتمد في كل مهم عليه وترد كل ملم إليه وتضع يدك في يديه ولا ترجوا لكل شديدة سواه ، ولا توالي خوفا من المشاق عداه ، تؤثر أن اعطاك لترضي وليه وتشكر إن منعك لتكبت عدوه ، ولا تطلب شيئا من رزقه بمعصيته ، ولا تعصه عز وعلا لرضى أحد من خلقه ، ولا تقصر في شيء من عبادته ولوازم تكليفه ، فهذا معنى التوكل عندنا ، وبه يسمى العبد متوكلا شرعا ، انتهى من شرح الحديث السادس .

وقوله في تفسير الوكل :إعتمادا على غيره من الناس ،وقوله في تفسير التوكل على الله :وتضع يدك في يديه :أي تتوجه حيث وجهك لا يمنعك خوف من عاقبة الأمر لأنك قدوكلت أمرك إليه فما شاء أن يقضي لك بسبب طاعته فأنت راض به ، وقوله تعالى : { وعلى الله فليتوكل المؤمنون } يفيد الحصر فعلى المؤمن أن يتوكل على الله وحده لا يتوكل إلى غيره.

ولما أمر المومنين بذكر ميثاقه الذي واثقهم به ذكرهم بما صار إليه بنوا إسرائيل بعد نقض الميثاق الذي واثقهم به فقال تعالى :كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٥٨/٢)

---

* ولقد أخذ الله ميثاق بني ں@ƒدنآuژ خ) (١) وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا (٢)

---

(١) . { * ولقد أخذ الله ميثاق بني ں@ƒدنآuژ خ) } .

قال الشرفي في [المصابيح] قال: في[البرهان] :يعنى باخلاص العبادة لله ولزوم طاته ، انتهى.

قلت: الأقرب أن الميثاق عليهم بما ذكره : { لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي .. } الآية ، فأخذ الميثاق منهم على ذكل واعطاهم العهد على أنهم إن وفوا بذلك {كفر عنهم سيئاتهم وأدخلهم جنات ... } إلى آخر الآية ، ولذلك قال في سورة البقرة : { وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم } وهذا قد شمله كلام صاحب [البرهان] وهو أبو الفتح الديلمي من أئمة الزيدية.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا } :

قال الشرفي في[المصابيح] عن [البرهان] : أخذ من كل سبط منهم نقيبا والنقيب: الشهيد على قومه

وهو الأمين والضمين أيضا وهؤلاء النقباء كانوا مبعوثين إلى الجبارين ليقفوا على ما عندهم وينظروا في أحوالهم ويرجعوا بها إلى موسى – عليه السلام – فرجعوا ينهون عن قتالهم لما رأوا من شدة الجبارين وعظم بأسهم ، انتهى .

قلت:الظاهر أن وظيفة النقباء تتعلق بالميثاق وأنهم أمناء كل واحد على أصحابه لمتابعتهم بالوفاء بالعهد والله أعلم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٥٩/٢)

وقال الله (١) إني معكم (٢) لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم (٣)

---

(١) . { وقال الله } :

لبني إسرائيل عند أخذ الميثاق كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { إني معكم } :

رقيب عليكم شهيد على ما يكون منكم من وفاء أو نقض للعهد ، ثم رغبهم في الوفاء فقال تعالى :كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم } :

{ وآمنتم برسلي } : من مضى ومن بعث بعد هذا العهد { وعزرتموهم } : قال الراغب: التعزير النصرة مع التعظيم انتهى ، وقال في [الصحاح] : التعزير التعظيم والتوقير ، انتهى.

وقول الراغب أقوى لقول الله تعالى : { وتعزروه وتوقروه } والتوقير التعظيم والعطف ظاهرة التغاير ، وقال صاحب [الكشاف] : وعزرتموهم : نصرتموهم ومنعتموهم من أيدي العدو ، ثم قال في [الكشاف]: يقال عزرت الرجل إذا حطته وكنفته ، والتعزير والتأزير من واد واحد ، ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا ، أي قويا انتهى ، ومثله في [المصابيح] فقد اتفق هو وقول الراغب في إثبات النصرة فهو الراجح

والموافق للعهد على النبيئين { ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه } وقوله تعالى : { وأقرضتم الله قرضا حسنا } يعم الإنفاق في سبيل الله أو هو المراد.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٦٠/٢)

ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار (١) فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل (١٢) (٢)

---

(١) . { ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار } :
فقوله : { لأكفرن عنكم سيئاتكم } يفيد النجاة من عذاب الله ، وقوله : { ولأدخلنكم } يفيد الفوز بالثواب الدائم.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل (١٢) } :
{ فمن كفر } هذه النعمة العظيمة نعمة الدين والوعد العظيم فنكث العهد فقد غوى سواء الطريق وتاه في غير الطريق لأنه عدل عن طريق السلامة والكرامة بعد وضوحه.

ثم بين تعالى ما صاروا إليه بعد الميثاق:كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٦١/٢)

فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه (١)

---

(١) . { فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه } :
بسبب نقضهم لميثاقهم { لعناهم } طردناهم من رحمتنا فمنعناهم الإلطاف وسلبناهم التوفيق { وجعلنا قلوبهم قاسية } لا تؤثر فيها المواعظ ولا تلين لذكر الله وعظمته وجلاله وعزته وجبروته ، ونسبة القسوة

إلى الله لأنه فطر القلوب على قبول التأثر بالخير والشر فتصلح بالخير وتفسد بالشر لأنها تألفه ، وذلك بفعل صاحبه وقد تركه الله يفسد قلبه لاستحقاقه الخذلان ، وفائدة نسبته إلى الله التخويف منه ، وأن لا يخرج الكلام مخرج الشكوى منهم كما قدمت في ختم الله على قلوبهم ، وقوله تعالى : { يحرفون الكلم } يبين قسوة قلوبهم ويذكر أثرا من آثار القسوة يدل على جرأتهم على الباطل وعدم المبالاة بفعل المنكر العظيم ، والكلم: ما أنزل الله من كلماته ، وتحريفها عن مواضعها: تحويلها عن سياقها المبين للمراد بها حتى يمكنهم تفسيرها بغير معناها ، ولعلهم كانوا ينقلون الكلمة دون سياقها في ورقة مستقلة ويكتمون السياق كما قال تعالى : { تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا } والله أعلم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٦٢/٢)

ونسوا حظا مما ذكروا به (١) ولا تزال تطلع على YpoY٧ حـ !s%} منهم إلا قليلا منهم (٢)

---

(١) . { ونسوا حظا مما ذكروا به } :

تركوا نصيبا مفيدا نافعا مما ذكروابه في التورات من المواعظ والترغيب والترهيب كأنهم نسوا لأن الناسي للشيء لا ينتفع به حتى فاتهم ما فيه من الخير.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولا تزال تطلع على YpoY٧ حـ !s%} منهم إلا قليلا منهم } :

{ على خائنة } : علىخيانة { منهم إلا قيلا منهم } وإنما رجحت أنها بمعنى المصدر لأجل الإستثناء ، فالمعنى أنها تتكرر منهم الخيانة فإن كان الخطاب لرسول الله فهي تشير إلى جرأتهم بخيانة الرسول وإن كان الخطاب للسامع فمعناه: إن عادتهم الخيانة عادة مستمرة ، والأول أوفق للسياق قبلها وبعدها.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٦٣/٢)

فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين (١٣) (١) ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم (٢)

---

(١) . { فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين (١٣) } :
أي اعف عما صدر من خيانة محتملة واصفح عن زلاتهم لفضل الحلم والإحسان وما فيه من الترغيب في الإسلام وزيادة الحجة عليهم ، وهذا مطلق مقيد بما في سورة البقرة : { ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا .. } إلى قوله تعالى: { فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره } أو أن آية المائدة نزلت بعدما اعطوا الجزية وصاروا أهل الذمة وهو الأقرب لأن الذين يطلع على خائنة منهم هم الذين قد انتصر عليهم رسول الله لا البعيدون الذين ليس بينهم وبينه عهد ولا ذمة ولا معاملة وغير الذين أجلاهم إلى الشام.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم } :

ومن الذين ادعوا أنهم نصارى وغيروا وبدلوا بعد ذلك ولم يثبتوا على النصرانية لأنهم عدول عن التوحيد الذي هو أصل الدين وحقيقته { وما أمروا إلا ليعبدوا اله مخلصين له الدين.. } الآية فحين أشركوا كانوا قد خرجوا عن دين النصرانية الأصيل وبدلوه مع تمسكهم بهذا الإسم { أخذنا ميثاقهم } على السمع والطاعة وإخلاص العبادة لله والإيمان برسل الله ونصرهم ، أخذ ميثاقهم في الإنجيل مع أخذ الميثاق أولا على بني إسرائيل جملة.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٦٤/٢)

فنسوا حظا مما ذكروا به (١) فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة (٢)

---

(١) . { فنسوا حظا مما ذكروا به } وبذلك نقضوا الميثاق كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة } :

قال في [الكشاف] : فأغرينا فألصقنا وألزمنا عن غري بالشيء إذا لزمه ولصق به وأغراه غيره ، ومنه الغراء الذي يلصق به ، انتهى أي أن الغراء سمي به من اللصوق ، قال الإمام الهادي – عليه السلام – يصف قتاله لأعداء الله:

غريت أنامل راحتي بصفيحتي ... لله در خبعثن أغراها

فإغراء العداوة والبغضاء على أحد معنيين: إما على منى جعلنا في قلوبهم العداوة والبغضاء فأغرينا عداوة وبغضاء كل حزب بالحزب الآخر فنسب الإغراء إلى العداوة والبغضاء وهو لصاحبها ؛ لأن الإغراء لصاحبها وقع بها لأنها الباعثة على القتال فهو مجاز لفظي .

المعنى الثاني: أغرينا بينهم: ألصقنا بقلوبهم العداوة بينهم والبغضاء كما يلصق الشيء بواسطة الغراء ، والإغراء في المعنى الأول هو مثل إغراء الكلب بالصيد ، وهل يحتاج إسناد هذا إلى الله تعالى إلى تأويل أو هو يجوز لأنهم كلهم استحقوا القتل فجاز كما لو أمرهم أن يقتل بعضهم بعضا.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٦٥/٢)

وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون (١٤) (١) يا أهل الكتاب (٢) قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير (٣)

---

(١) . { وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون (١٤) } :
فيه دلالة على أنه سبحانه عليم بما يصنعون ولا ينساه وأنه يحاسبهم عليه يوم القيامة ليجزيهم الجزاء الأوفى.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { يا أهل الكتاب } :
خطاب عام للذين هادوا والذين قالوا إنا نصارى لدعوتهم جميعا إلى الإيمان بالكتاب والرسول وترك الشرك.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير } :
}

يبين لكم } من أحكام الله تعالى وما في كتابكم { كثيرا مما كنتم } تخفونه عن الناس وعن جهلة أصحابكم وهذه آية لكم تدلكم على أن الله أوحى إليه ذلك الذي يبينه لكم وأنتم تكتمونه ؛ لأنه لم يقرأ كتابكم ولا تعلم منكم { ويعفوا عن كثير } مما كنتم تكتمونه لعدم الحكمة في إظهاره.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٦٦/٢)

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (١٥) (١)

---

(١) . { قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (١٥) } :

{ من الله } ربكم فعليكم أن تتبعوه { نور وكتاب مبين } يحتمل أن المراد بالنور القرآن قال تعالى : { ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا } فالعطف مثله في قوله تعالى : { تلك آيات القرآن وكتاب مبين } فهو نزل نورا يهتدى به ونزل كتابا يكتب ليحفظ وتتوارثه الأجيال ، وعلى هذا فترك العطف في أول الآية لتمام الإتصال لأن الرسول جاء بالقرآن وهو برهان رسالته فهما كالشيء الواحد ، ويحتمل أن المراد بالنور الرسول كقوله تعالى: { وسراجا منيرا } وقوله تعالى : { مبين } يدل على أن القرآن واضح الدلالة على ما به يهتدي من اتبعه:

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٦٧/٢)

يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم (١٦) (١)

(١) . { يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم (١٦) } :

{ يهدي به } : يهدي بالقرآن { الله } الذي أنزله هدى للمتقين { من اتبع رضوانه } :من اتبع سبب رضوانه بأن آمن وتاب إلى ربه واتقاه { سبل السلام } :طرق السلام المؤدية إلى السلامة في الآخرة من العذاب ومن كل شر وذلك في دار السلام جنة الخلد.

فإن قيل: هداية من اتبع رضوانه سبل السلام من تحصيل الحاصل ؛ لأن من اتبع رضوانه فقد اهتدى إلى سبيل السلامة من العذاب؟.

فالجواب: أن العاقل عندما يسمع آيات الله إما أن يؤمن ويتوب فيكون قد اتبع رضوان الله في هذه اللحظة ، وإن كان لم يعلم شرائع الإسلام ولكن لابدله من تعلم ماجاء به الرسول واتباعه وإلا انحرف عن رضوان الله ، فإذا تعلم واتبع كلما علم كان متبعا لرضوان الله يزيده الله هدى ، وهكذا ما بقي في دار التكليف فقد ظهر أنه ليس من تحصيل الحاصل ؛ لأن سبب رضوان الله في أول أمره دون سبب رضوانه بعد أن أمكنه التعلم وسبب رضوانه بعد أن علم أكثر من سبب رضوانه قبل إمكان التعلم فالطلب للعلم وسبب رضوانه بعد وجوب الجهاد عليه أكثر منه قبل ذلك وهكذا سائر التكليف ، ولعل هذا سبب جمع سبل السلام باعتبار تعدد التكاليف واختلاف درجات التكليف ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه من ظلمات الباطل والجور كالشرك وسائر العقائد الباطلة والخرافات والظلم والفساد إلى نور الحق والعدل والصدق بإذنه.

قال الشرفي في[المصابيح] أي بأمره ولطفه وتيسيره لابالإجبار كما قال الجهال ، انتهى .

ولما كان خروج الإنسان مما ألفه واعتاده واستمر عليه من العادات الباطلة والديانات التي هي ظلمات إلى نور الحق والعدل والصواب ثقيلا على النفوس بحيث أن كثيرا من الناس لا يريد إلاالبقاء على ما ألفه قال تعالى : { بإذنه } ليعلم أن ذلك غير مستبعد ممن أذن الله بخروجه من الظلمات إلى النور بأن يسر له ذلك وحببه إليه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان ، وذلك برحمة الله وفضله وكون العبد لم يتمرد ويجادل في آيات ويتبع كل شيطان مريد بحيث يستحق لو كان كذلك الخذلان وإرسال الشياطين عليه { ويهديهم إلى صراط مستقيم } وهذه الهداية هي قرينة الإخراج من الظلمات إلى النور ،وهي تنوير القلب الذي يحصل معه الإستمرار على الحق والرغبة في ذلك والزهد فيما يشغل عن ذكر الله وشكره وحسن عبادته وهو الصراط الذي لا يعوج الموصل إلى السعادة الدائمة الواضحة الذي لا يلتبس على صاحبه ولا يخفى لأنه بسبب الزهد في الدنيا لا يدخل في شبهة ولا يسلك طريقا يشك في هدايته ويترك ما يريبه إلى مالا يريبه ،فهو على طريق واحض يوصله السعادة الدائمة.

قال الشرفي في[المصابيح] قال إمامنا المنصور بالله القاسم بن محمد – عليه السلام – :هذه الآية

نص صريح في أن الكتاب العزيز هو الهادي إلى سبل السلام والى الصراط المستقيم من الذين ومن ذلك عرض مالم يعلم مما ورد من السنة على الكتاب العزيز ، انتهى .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٦٨/٢)

لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم (١)

---

(١) . { لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم } :
ذكر سيد قطب في تفسيره أن بعض النصارى أحدثوا هذا القول في سنة ٤٣١ ميلادية ، انتهى ، وذكر هناك في تفسير الآية أقولا لهم مختلفة ولا يكاد يتصور القول بأنه الله مع القول أنه بن مريم لو لا أن إهمال العقل يتقبل الإنسان معه كل باطل ولا يبالي فهذا الكفر كفر بالله وكفر بما جاء في الكتب وما أرسلت به الرسل من تسبيحه وتنزيهه عن مشابة المخلوقين ، وأنه الخالق ، وأنه الأول قبل كل شيء وأنه لا شريك له إله واحد لا إله إلا هو ، وهو مع ذلك كفر بنعمة الله ونسبة للنعمة إلى المسيح – عليه السلام – .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٦٩/٢)

قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا (١) ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير (١٧) (٢)

---

(١) . { قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا } :
وهذا يبين أن الذي خلق المسيح بن مريم قادر على إهلاكه وإهلاك أمه ومن في الأرض جميعا ، فالكل مخلوقون يقدر من خلقهم أن يهلكهم فكيف يكون اله من يجوز عليه الهلاك ولا يملك أن يدفع عن نفسه ولا يملك من الله أن يرجع عما أراد من إهلاكه لو أراد الله إهلاكه ، وقوله : { جميعا } يفيد أنه

تعالى قادر على إهلاكهم في وقت واحد.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير (١٧) } : }

ولله ملك السموات والأرض وما بينهما } : فيه حصر بتقديم الخبر وهو: لله فله الملك وحده لا شريك له ، ولأن له الملك فهو يخلق ما يشاء ومن ذلك خلق آدم بلا أب ولا أم وخلق زوجه وخلق عيسى من أم بلا أب { والله على كل شيء قدير } فلا يعجزه خلق عيسى من غير أب فليس يجب أن يكون له أب حتى قلتم أن الله أبوه سبحانه و تعالى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٧٠/٢)

وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق (١)

---

(١) . { وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق : {

فرعوا على جعلهم عزير بن الله في قول اليهود وجعلهم عيسى بن الله في قول النصاري فرعوا على ذلك قولهم: { نحن أبناء الله } ، وأما قولهم : { وأحباؤه } فلعلهم اغتروا لجهلهم بكثرة نعم الله عليهم كفرق البحر لهم لإنقاذهم من آل فرعون وإهلاك فرعون وقومه بإغراقهم وكالمناجاة لموسى ومعه سبعون من قومه لعلهم يكتبون ما نزل ،وكإنزال المن والسلوى عليهم وتظليل الغمام ونحو ذلك ، وجعل الكتاب فيهم والأنبياء الكثير منهم ، ولكن نعم الله إبتلاء للعبد أيشكر أم يكفر فإن كفر كانت الحجة عليه أعظم وهو عند الله ألوم ، وقد رد الله عليهم بقوله : { قل فلم يعذبكم بذنوبكم } فإن النعمة لو كانت دليلا على الحب لكان التعذيب يدل على البغض والكراهية بل أنتم بشر ممن خلق فأنتم عباد مربوبون كسائر البشر المخلوقين.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (١) ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير (١٨) (٢)

---

(١) . { يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء } :
لأنهم عباده كلهم يحكم فيهم ما يريد ، والذي يشاء أن يغفر له التائب إليه والذي يشاء أن يعذبه من عصاه وتمرد عليه ولم يتب إليه.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير (١٨) } :
لله وحده { ملك السموات والأرض وما بينهما } لا يشاركه فيه عزير ولا عيسى ولا اليهود ولا النصارى بل هم عباده حق عليهم ووجب أن يعبدوه ويتقوه { وإليه المصير } وحده يصير العباد كلهم فيحكم فيهم بحكمه ولا يكون لحكمه راد ولا منازع فيه ، فاليهود والنصارى مصيرهم كغيرهم إلى الله وحده لا إلى غيره معه فلا ينفعهم هناك عزير ولا المسيح بن مريم ولا أمه.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير (١٩) (١)

---

(١) . { يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم } الحق { على فترة من الرسل } قد جاءت فبعد عهدكم بالرسل واحتجتم إلى رسول بين لكم الحق ويخرجكم مما لولاه لم تنفكوا عليه من الباطل كما قال الله تعالى { لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب.. } الآيات.
{ أن تقولوا } يوم القيامة: { ما جاءنا من بشير ولا نذير } أي لئلا تقولوا { فقد جاءكم بشير ونذير } ولم يبق لكم عذر وقامت عليكم الحجة بمحمد والقرآن الحكيم { والله على كل شيء قدير (١٩) } فهو قادر على إرسال الرسل لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فكيف كذبتم الرسول.

ثم بين تعالى بعض تمرد بني إسرائيل ليبين أنه لا يستبعد تكذيبهم للرسول فقال تعالى :كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٧٣/٢)

وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (٢٠) (١)

---

(١) . { وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (٢٠) } :

ذكرهم بنعمة الله ليطيعوا الله فيما يأمرهم به من دخول الأرض المقدسة فإن الحجة عليهم أعظم والمعصية منهم أقبح ، وقوله : { وجعلكم ملوكا } يدل على أنهم قد مكنهم الله في الأرض بعد ما كانوا أذلة وقوله : { وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين } أي من نعم الله التي يجب شكرها.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٧٤/٢)

يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين (٢١) (١)

---

(١) . { يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين (٢١) } :

لما كان هذا التكليف شاقا عليهم لما فيه من قتال الجبارين مهد له بتذكيرهم بعظم نعم الله عليهم وأضاف إلى ذلك تشجيعهم بأن الله كتبها لهم فهم مظنة أن ينتصروا ويدخلوها وحذرهم المعصية وبين لهم أنها ارتداد عن طاعة الله وانقلاب على الأعقاب وهذا دليل على تسمية الفسق ارتداد إلا أن يقال

إنما عنى نهيهم عن الهزيمة والفرار من الزحف وهو محتمل إلا أن قوله: { على أدباركم } يبين أن المراد الإرتداد عن الطاعة ؛ لأن الإرتداد الذي بمعنى الهزيمة تولية الأدبار لا على الإدبار الذي هو القهقرى يتأخر مع بقاء اتجاهه مع أن تولية الأدبار من جملة المعصية ؛ لأنهم أمروا أن يدخلوا فإذا أنهزموا عصوا هذا الأمر وارتدوا عن الطاعة إلى العصيان { فتنقلبوا خاسرين } أي خسارة الدين وخسارة فوت نعمة أخذ الأرض المقدسة التي كتب الله لهم أن يأخذوها يوما من الدهر.

وقد قيل أن اليهود اليوم يحتجون بهذه الآية على أن فلسطين لهم ، والجواب:أنا لا نسلم أنها كانت لهم من حيث هم يهود وإنما كانت لقوم موسى لأنهم بعد التوبة من عبادة العجل كانوا مسلمين وأراد موسى أن يتمكن الإسلام في فلسطين لا لأجل عنصر اليهود ولذلك فسقهم لما عصوا لأن الغرض المقصود كان دينيا هو الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله وتمكين الإسلام في أرض الإسلام التي كانت بلد الإسلام من عهد إبراهيم الخليل صلى الله عليه ، وتطهير الأرض المقدسة من رجس الجبارين ولو كان الغرض مجرد إسكان اليهود في القدس لما شدد عليهم فيه لأنه غرض دنيوي إن شاؤوا نيله وإلا فلا يهم.

واليهود اليوم في القدس بمنزلة الجبارين في وقت موسى – عليه السلام – فينبغي للصادقين من المسلمين إخراج الجبارين من الأرض المقدسة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٧٥/٢)

قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون (٢٢) (١) قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون (٢)

---

(١) . { قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون (٢٢) } :

{ جبارين } قهارون يجبرون الناس على ما يريدون وهذا معناه الإمتناع عن الجهاد يدعون أنهم لا يستطيعون قتال الجبارين.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون
: {
}
من الذين يخافون } الخوف المحمود الذي هو خوفهم عذاب الله { أنعم الله عليهما } بالهداية فعلموا أن الخوف من الله أحق من الخوف من الناس فقالا نصيحة لقوم موسى العاصين: { ادخلوا } على الجبارين الباب باب مدينتهم فذلك وإن شق عليكم يؤدي إلى النصر لأنكم إذا دخلتموه دخل الرعب على أهل البلد فإنكم غالبون بالتأكيد لأنه ما غزي قوم إلى عقر دارهم إلا ذلوا.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٧٦/٢)

وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين (٢٣) (١) قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون (٢٤) (٢)

---

(١) . { وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين (٢٣) } :
لأن شأن المؤمن أن يطيع الله ويكل أمره إلى الله إن أراد له النصر أو الشهادة فلا يمنعه الخوف من طاعة الله تعالى.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون (٢٤) } :

أصروا على الإمتناع وزادوا على ذلك قولهم : { فاذهب أنت وربك } وكأنه جواب عن قوله: { إن الله مع الصابرين } إذا صبرتم نصركم لأن الله معكم ، وقولهم { إنا هاهنا قاعدون } تأكيد لامتناعهم. كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٧٧/٢)

قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين (٢٥) (١)

---

(١). { قال } موسى { رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين (٢٥) }
الملك: بمعنى القدرة على توجيه قومه كيف أراد كقول الشاعر:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا ... أملك رأس البعير إن نفرا

ومنه قول الله تعالى: { فهم لها مالكون } واستثنى نفسه وأخاه لعلمه أن أخاه يطيعه ولا يخالفه أبدا وهو هارون – عليه السلام – . وقوله: { فافرق بيننا وبين القوم } طلب للإدن من الله بتركهم والهجرة من بينهم لمعصيتهم وفسقهم الذي هو خبثهم وفجورهم فقد كره مساكنتهم ، ولا ندري إن كان أجيب ليفارقهم فراقا مؤقتا ويذهب في طلب الخضر الذي جاءت قصته في سورة الكهف الله أعلم ، أو أن الله توفاهما وأراحهما بالموت من التكليف كله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٧٨/٢)

قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض (١)

---

(١). { قال } الله { فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض } :
فإنها أي الارض المقدسة محرمة عليهم ممنوعة منعا باتا لا يستطيعون دخولها كقول عنترة:

ياشاة ما قنص لمن حلت له ... حرمت علي وليتها لم تحرم

إلى قوله :
علقتها عرضا واقتل أهلها ... زعما لعمر أبيك ليس بمزعم

وهذا لا ينافي أنها كتبت لقوم موسى لأنه لم يكن مؤقتا بوقت أمرهم بدخولها وقد صدق بعد الأربعين

سنة والمراد قوم موسى – عليه السلام – جملتهم لا الأشخاص بعينهم لأن بعضا لا بد أن يموت في خلال الأربعين ويكون الداخل بعض شيوخهم وذرياتهم قد صاروا مع بقايا الشيوخ هم قوم موسى ، وقوله تعالى : { يتيهون في الأرض } يمشون في الأرض في حيرة لا يدرون أين يتوجهون فلا هم راجعون إلى مصر ، ولعله للخوف وضرب الذلة على العصاة ولاهم داخلون الأرض المقدسة ولاهم صائرون إلى غيرهما من البلدان ولاهم باقون في مكان من القفر يستوطنونه لأنها عقوبة كتب عليهم التيه والله غالب على أمره.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٧٩/٢)

فلا تأس على القوم الفاسقين (٢٦) (١) * واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق (٢)

---

(١) . { فلا تأس على القوم الفاسقين (٢٦) } :
قال الراغب: الأسى: الحزن وحقيقته اتباع الفائت الغم ، انتهى .
وفي[الصحاح] وأسى على مصيبته بالكسر يأسى أسى أي حزن ، انتهى فالمعنى فلا تحزن عليهم لأنهم فاسقون أي لا تحزنك مصيبتهم التي هي التيه أربعين سنة ؛ ولعل هذه القصة آخر قصص بني إسرائيل مع موسى – عليه السلام – .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { * واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق } :
يقرن ذكر القصص بالحق لأن أكثر القصص لا يكون صدقا بل يختلط الصدق والكذب أو يكون القصص كله كذبا أما قصص الله فكله حق وصدق لأنه علام الغيوب حكيم لا يجوز عليه الكذب – سبحانه وتعالى – .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٨٠/٢)

إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر (١)

---

(١) . { إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر } :
ظاهره أنه قربان واحد اشتركا فيه كما يشترك المضحون في أضحية واحدة فقوله: { من أحدهما } نائب فاعل { فتقبل } وكذا من الآخر نائب فاعل يتقبل أو أن نائب الفاعل صح ضمير القربان كما ذكر أن لكل منهما قربانا ؛ وإنما لم يثن لأنه في الأصل مصدر فذلك محتمل .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٨١/٢)

قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين (٢٧) (١) لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (٢٨) (٢)

---

(١) . { قال } الذي لم يتقبل منه : { لأقتلنك } غاظه قبول قربان أخيه مع عدم قبول قربانه فتوعده بالقتل ليشفي غيظه وهكذا يجر الحسد الى الظلم { قال إنما يتقبل الله من المتقين (٢٧) } فالفارق حكمة الله التي اقتضت أن يتقبل منى دونك ، وأنت الذي لم تتق الله فالسبب من عندك فلم نفسك ولا تلمني .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (٢٨) } :

بسط اليد مدها مقابل قبضها ، وقوله: { ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك } يدل على أنه يتورع من قتل أخيه وإن كان قد توعده بالقتل ؛ ولعل ذلك لم يكن مرخصا وإن ظن صدقه فليس له أن يتغداه قبل أن يتعشاه ، أما الدفاع عند المواجهة للقاتل فلعله و(٣) ؛ لأنه نهي عن منكر .
وقوله: { إني أخاف الله رب العالمين } يبين سبب تورعه من قتل أخيه وفي ذلك موعظة لأخيه وليس فيه دلالة على أنه لا يبسط يده إليه ليدفعه عن قتله لأنه إنما نفى بسط يده إليه ليقتله لا ليدفع عن

نفسه كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٨٢/٢)

إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (٢٩) (١)

---

(١) . { إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (٢٩) } :
إني أريد أن تطهرني بالشهادة وتحمل ذنوبي أي مثلها كما لو جعل على القاتل ما على المقتول من الدين جزاء مع القصاص والله أعلم.
وإثمك الأول والآخر فتكون من أصحاب النار بجرائمك { وذلك } أي الكون من أصحاب النار { جزاء الظالمين } كلهم القتله وغيرهم ، قوله : { أن تبوء } قال في [الصحاح] المباءة :منزل القوم في كل موضع ، ثم قال: وبوأت للرجل منزلا وبوأته منزلا أي هيأته ومكنت له فيه ، ثم قال: وأباءت الإبل رددتها إلى المباءة ، وأبأت على فلان ماله إذا أرحت عليه إبله أو غنمه ، ثم قال : قال الأخفش: وباءوا بغضب من الله رجعوا به أي صار عليهم ، قال . أي الأخفش . وكذلك باء بإثمه يبوء بوءا ، انتهى .

قلت: الأظهر أنه بمعنى الرجوع إلى المباءة أي المنزل كما قالوا أبات الإبل رددتها إلى المباءة إذ ليس في أبات الإبل إلا زيادة همزة التعدية فظهر أن أصله باءت الإبل أي رجعت إلى مباءتها فظهر صحة كلام الأخفش ، فأما تفسير باء أي حل مبوأ فلم يثبت استعمال باء بهذا المعنى إنما يقال تبوأ بمعنى اختار مباءة كقوله تعالى : { وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٨٣/٢)

فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (٣٠) (١)

---

(١) . { فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (٣٠) } :
طوعت له نفسه : زينت له نفسه { قتل أخيه } حتى جعلته طوعا غير كره والطوع ضد الكره ، وجعل

القتل طوعا بمعنى أن يقع طوعا تسمية للمسبب باسم سببه فطوعت له نفسه أبلغ من سولت له نفسه أو سهلت لأن التسويل والتسهيل قد يكون مع بقاء الكره بخلاف التطويع فهو يدل على عدم الكره { فأصبح من الخاسرين } من أهل النار الذين خسروا أنفسهم وفاتهم كل خير ، ذلك هو الخسران المبين.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٨٤/٢)

فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين (٣١) (١)

---

(١) . { فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين (٣١) } :

بعث الله غرابا أثاره ووجهه إلى هذا العمل يبحث في الأرض ويدفن فيها ليريه كيف يواري سوأة ، يواري يستر سوأة أخيه ما يسوء رؤيته أي جسده بعد القتل أو عورته { قال ياويلتى } ياويلتى :كلمة ندب يقولها المصاب بمصيبة شديدة ، والويل الهلاك { فأواري بالنصب } عطفا على أكون ، فلما بعث الله غرابا ليريه أن يبحث في الأرض ليواري فيها سوأة أخيه أي أن يواري سوأة أخيه بطريقة البحث في الأرض والدفن فيها ، وهذا يدل على أنه لم يكن مات قبله أحد من أولاد آدم – عليه السلام – فلم يكونوا عرفوا دفن الميت ، أما قول القاتل : { ياويلتى أعجزت أن أكون } فإنه يظهر منه أنه تنبه لخسارته من جهة جهله وعدم عاطفته على أخيه حيث تركه مكشوفا لم يدفنه لعدم مبالاته به { فأصبح من النادمين } لانتباهه لخسارته بقتله أخاه ثم تركه بدون دفن يشير إلى ذلك قوله { فأواري سوأة أخي } لأن قتله أشد من ترك مواراته وقد علق ذلك الإنكار على نفسه على كونه أخاه وهذه الخسارة عنده أن خسر أخاه بجهله وفرط قسوته وذلك لأن باعثه على القتل قد زال فحصل ندمه على أخيه ولسوء تصرفه بترك دفنه ، والحاصل أن عاطفة الأخوة رجعت بعد قتله فندم ندما مستمرا.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٨٥/٢)

من أجل ذلك كتبنا على بني ںf@دنآuژ خ) أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا (١)

---

(١) . { من أجل ذلك كتبنا على بني ںf@دنآuژ خ) أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا } :

{ من أجل } قتل ابن آدم أخاه مع مابينهما من القرب بسبب الباعث النفسي الذي هو الحسد { كتبنا على بني إسرائيل } زجرا عن القتل بغير حق { أنه } أي الشأن { من قتل نفسا } غير قصاص ، ولا دفع للفساد في الأرض { فكأنما قتل الناس جميعا } في أن ذنبه لا يغفر بل هو من أصحاب النار كما لو قتل الناس جميعا ، وهذا قطع للطمع في مغفرة القتل والتهاون به فالمناط كون المقتول نفسا وكون قتله غير قصاص ولا دفع فساد فلا يختلف في هذا كون المقتول صغيرا أو كبيرا أو معتوها أو مريضا أوشيخا كبيرا أو قريبا أو بعيدا أو أنثى أو غير ذلك.

ومن هنا قال موسى { رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي } فاحتاج إلى التوبة لقتل رجل من آل فرعون قبل الأذن بقتله ، وفائدة ذكر هذا لبني إسرائيل منع تساهل اليهود بقتل النفوس البرئية كقتلهم الأنبياء بغير حق وقتلهم الجماعي للفلسطينيين ، فهم في حاجة إلى الزجر الشديد لتهاونهم بالقتل وخصوصا لمن كان من سائر الأمم الذين لا يرى اليهود لهم حرمة الإسرائيليين ، فبين الله أن أي نفس من أي جنس قتلت بغير قصاص ولا دفع الفساد في الأرض فإن قاتلها معذب في جهنم خالدا فيها كما لو قتل الناس جميعا ، وهذه الآية تبدأ الكلام في بني إسرائيل بحسن تخلص من قصة ابني آدم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٨٦/٢)

ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (١) ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون (٣٢) (٢)

---

(١) . { ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا } :

في أن الله يثيبه ثوابا عظيما ويؤتيه أجرا عظيما ، ولا مانع هنا أن يؤتي تفضلا من الله من أحيى نفسا كما لو أحيى الناس جميعا بعضه ثواب وبعضه تفضل ؛ لأن الثواب بقدر العمل ، والتفضل لا مانع منه وإن كثر ، وإحياء النفس إنقاذها من الموت عند حصول سبب الموت لولا الإنقاذ كإنقاذ الغريق والجنين ومن أراد الظالم قتله.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون (٣٢) } :

ولقد جاءت بني إسرائيل رسل الله بالبينات الدالة دلالة بينة على أنهم رسل الله وبالبينات الناهية عن القتل بغير حق ، والدالة على الحق ، { ثم } بعد ذلك الذي هو حجة قاطعة للعذر { إن كثيرا } من بني إسرائيل { في الأرض لمسرفون } في القتل بغير حق في الأرض إسرافا منتشرا في الأرض كثيرا عظيما بحيث يقتلون النبيئين ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وذلك فساد يعم شره في الأرض .

قال الراغب في تفسيره لمفردات القرآن : السرف: تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر ، انتهى .

وحيث قد جاء ذكر الفساد في الأرض من بني إسرائيل والفساد في الأرض الذي يفهم من الآية أنه يجوز قتل فاعله اتبع ذلك بحد المفسدين في الأرض على اختلاف طبقاتهم فقال تعالى :

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله (١) ويسعون في الأرض فسادا (٢)

---

(١) . { إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله } :

الحرب ضد السلم وهو القتال ومحاربة الله محاربة الدعاة إلى الله وإلى دين الله كأئمة الهدى والذين يأمرون بالقسط من الناس ومحاربة الرسول محاربة لله من هذه الجهة ومحاربة للرسول من حيث هي محاولة لإبطال تبليغ الرسالة واتباعها.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ويسعون في الأرض فسادا } :
بتقوية الباطل ومدافعة الحق بأي طريقة .
قال الشرفي في[المصابيح] : قال إمامنا المنصور بالله رحمة الله عليه : الآية صريحة في حدود المحاربين والساعين في الأرض بالفساد كجند الظالمين وقطاع السبيل و(أو) بمعنى الواو كقول الشاعر:

سيان كسر رغيفه ... أو كسر عظم من عظامه

انتهى.

وقوله تعالى : { ويسعون } يفيد مسارعتهم في عمل الفساد لأن السعي مسارعة في السير ، والمعنى يسعون ليفسدوا كقوله تعالى : { سعى في الأرض ليفسد فيها } وعلى هذا فالآية لا تخص قطاع الطريق بل قدلا تعمهم إذا كان قطعهم للطريق فسادا دنيويا لا يضر الدين وإن جاز قتلهم دفاعا.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٨٨/٢)

أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض (١)

---

(١) . { أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض } :
{ أو يصلبوا } الصلب : تعليق المقتول أو شده إلى خشبة أو نحوها ، أو هو الشد إلى الخشبة والتعليق لحي أو ميت ، قال الهادي – عليه السلام – في [الأحكام] كالمفسر لهذا الآية : يجب بحكم الله ورسوله على من جمل السلاح وأخاف به المسلمين أن ينفى من الأرض فإن أخذ أدب وعزر إن لم يكن أحدث حدثا يلزمه فيه بعض أحكام الله ،فإن لم يؤخذ اتبع بالخيل والرجال حتى يبعد ويذهب ، وعلى من أخاف الطريق وأخذ المال قطع اليد والرجل من خلاف تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ثم يخلى ليذهب حيث شاء ، وعلى من أخاف الطريق وأخذ المال وقتل ، القتل والصلب من بعد القتل ولا يجوز أن يصلب حيا ، انتهى .

وقال الشرفي في [المصابيح] : والمراد أن يقتلوا إن أفردوا القتل ، أو يصلبوا مع القتل حيث جمعوا بين القتل وأخذ المال فيقتل ويصلب ثلاثة أيام فلا صلب فوق ثلاثة أيام عند آل الرسول عليهم السلام ، انتهى المراد .

وظاهر كلام الراغب أن الصلب للحي حيث قال : والصلب الذي هو تعليق الإنسان للقتل ، انتهى . ولكنه قد أفاد أن الصلب لا يكون إلا مع القتل وهو الذي يشعر به قول الذين آمنوا وكانوا سحرة لما قال لهم فرعون: { لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى } فأجابوا وفي جوابهم: { إنما تقضي هذه الحياة الدنيا } وإذا كان الصلب يستلزم القتل قبله أو بعده فيمكن إبقاء (أو) على أصلها أي أحد هذه العقوبات ، فيكون المعنى أن يقتلوا بغير صلب أو يصلبوا أي مع القتل للتلازم ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا ، والمعنى على حسب مقتضى المحاربة ، وما قد أوجب عليه الحد .

وتقطيع الأيدي قالوا : أن تقطع اليمنى إذا كان المحارب قد أخذ المال والأرجل أن تقطع الرجل اليسرى وهو معنى : { من خلاف } ولعله لو تعين قطع اليد اليسرى لضرورة أو غلط لوجب قطع الرجل اليمين ليكون من خلاف جهة اليد المقطوعة كما هو ظاهر الإطلاق ، وله حكمه بدليل ماروى في سارق قطعت يسراه غلطا فأجزأ ذلك .

وأما النفي من الأرض فهو إخافته بحيث يهرب ويبعد عن بلاد يمكن إفساده فيها على المسلمين فإن كفى أخراجه من بلاده لأنه يضعف مع الغربة ويعجز عن الفساد فلعله يكفي وإلا طرد حتى يصير حيث لا يتمكن من الفساد لظاهر الآية لأنه قال : { ويسعون في الأرض فسادا } ثم قال : { أو ينفوا من الأرض } فالأرض الثانية هي الأولى لأن المقصود دفع فساده في الأرض الذى هو الفساد الذي هومظنة أن يعم ضرره بسبب إضعاف المؤمنين بحرب إقتصادهم أو غير ذلك كمنع المدارس الدينية.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٨٩/٢)

ذلك لهم خزي في الدنيا (١) ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٣٣) (٢)

---

(١) . { ذلك لهم خزي في الدنيا } :

{ ذلك } الحد والعقاب { لهم خزي } وإهانة واستخفاف عاجل { في الدنيا } زاجر له ولغيره كما قال تعالى: { ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٣٣) } :
مع العذاب في الدنيا وفيها دلالة على عدم صحة الحديث في (أن من أصابه حد في الدنيا فهو كفارته ولا يعذب في الآخرة) أخرجه الحاكم في المستدرك وهو مخالف للقرآن فهو غير صحيح.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٩٠/٢)

إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم (٣٤) (١)

---

(١) . { إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم (٣٤) } :
فمن تاب في حال يجوز فيه تمكنة من الإستمرار على فساده ؛ لأنه لم يقبض ولا صار في محل حصار غالب فهي توبة صادقة ليس ملجأ إليها ولذلك فهي مقبولة ؛ لأن الله غفور رحيم يغفر للتائبين ويرحمهم ، ويجب علينا أن نعلم ذلك ونعمل بموجبه فلا نؤاخذ التائب بأن نجري عليه الحد المذكور بل يسقط عنه ، أما القصاص فلا يسقط لأنه حق لولي المقتول وهو غير هذا الحد الذي أسقطته التوبة ، وكذلك وجوب إرجاع المظالم لأهلها ؛ لأن الأصل وجوب ذلك إلا أن تصح الرواية عن أمير المؤمنين – عليه السلام – أنه أسقط ذلك كله .
قال الشرفي في [المصابيح] : وقال إمامنا المنصور بالله – عليه السلام – القاسم بن محمد – عليه السلام – : هذه الآية تدل على سقوط حد من تاب قبل أن يظفر به ولا يسقط القصاص لأن هذه الآية في سياق آية الحد فقط ، انتهى

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٩١/٢)

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة (١)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة } :
لما مر ذكر المحاربة لله ورسوله والفساد في الأرض وذكر نوع مدافعة لذلك اتبعه بالدفاع الأكبر الذي هو الجهاد في سبيله فقد قال تعالى : { ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض } وفي آية { لهدمت صوامع ... } إلى آخرها ، ولما كان الجهاد شاقا علىالنفوس قدم على الأمر به الأمر بتقوى الله وابتغاء ما يتوسل به إليه ؛ لأن من امتثل ذلك امتثل الأمر بالجهاد واتقاء الله اتقاء عذابه بطاعته وابتغاء الوسلية إليه طلبها بالفعل المقرب لنيلها أو بالنية التي تصير العمل وسيلة ، فالأول كالشهادة والثاني كالتوبة وكل عمل مقرب .
قال الراغب :الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة وهي أخص من الوصيلة لتضمنها معنى الرغبة ، انتهى المراد.
وقال في [الصحاح] : الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير والجمع الوسيل والوسائل ، يقال وسل فلان إلى ربه وسيلة وتوسل إليه بوسيلة أي تقرب إليه بعمل ، انتهى باختصار.

قال في[الميزان]: وإذا كانت أي الوسيلة نوعا من التوصل وليس إلا توصلا واتصالا معنويا بما يوصل بين العبد وربه ولا رابط يربط العبد بربه إلا ذلة العبودية فالوسيلة هي التحقق بحقيقة العبودية وتوجيه وجه المسكنة والفقر إلى جنابة تعالى ، فهذه هي الوسيلة الرابطة ، وأما العلم والعمل فإنما هما من لوازمها وأدواتها ..الخ.
قلت :ذلة العبودية تكون بالعمل المعبر عنها كتسليم النفس لله في الجهاد والإنقياد لأمر الله فيما يشق على النفس وإخلاص الخضوع لله في الصلاة والدعاء ، وجهد المقل في الصدقة والإيثار على النفس تقربا إلى الله وكل عمل ورد فيه أنه مقرب إلى الله كالسجود على التراب وذلك كله إنما يعرف بالأدلة من الكتاب والسنة وليس للعبد أن يجعل وسيلة غير ذلك لأنه إما شرك وإما بدعة ، وذلك مبعد من الله لا مقرب وقد نقلت كلام صاحب [الميزان] لتحقيق هذا ، أما قول بعض الإمامية في تفسير هذه الجملة يدعو القرآن المؤمنين إلى الإرتقاء في مدارج الكمال الإنساني عبر التقوى واتباع السل والوسائل إلى الله تعالى وهو الكمال المطلق قال : ويعم هذا كل سبيل مقرب إليه ومن الوسائل التأسي بالرسول العظيم وأهل بيته الطاهرين والتوسل والإستشفاع بهم باعتبارهم عبادا مقربين إليه جل وعلا ، انتهى .
فقوله : والتوسل والإستشفاع بهم ، هو غير التوسل بالعمل ومعناه اتخاذهم وسيلة إلى الله وهذا غير مسلم لأن اعتبارهم عباد مقربين لا يستلزم صحة التوسل بهم لأن كونهم مقربين باسم المفعول لا يستلزم أن يكونوا مقربين باسم الفاعل ، فلا يصح منا دعاؤهم لهذا الغرض وسؤالهم أن يقربونا إلى الله.

نعم التوسل إلى الله بحبهم واتباعهم فيما هو صحيح عنهم لا اشكال فيه إنما الأشكال في اخاذ وسيلة لم يثبت أنها وسيلة بنفسها لأن الآية الكريمة لا تدل على ذلك كما أفاده كلام صاحب [الميزان] وهو المحقق في تفسيرها وكم كنت أحب أن تطهر بلادهم من دعاء الأئمة والسجود لبعضهم تعلقا بهذه الآية الكريمة من بعضهم وهو عندي غلط جرهم إلى مايعاب عليهم ويجري خصومهم على جعلهم مشركين بسبب ذلك.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٩٢/٢)

وجاهدوا في سبيله (١) لعلكم تفلحون (٣٥) (٢)

---

(١) . { وجاهدوا في سبيله } :

والجهاد في سبيل الله هو القتال لنصر دين الله وإعلاء كلمة الله كما جاء في الرواية عن النبي : (من جاهد لتكون كلمة الله هي العلياء فهو جهاد في سبيل الله) رواه أبوا طالب – عليه السلام – في أماليه ومحله [الباب الثالث والخمسون] والمعتمد في تفسير الآية معنى الجهاد ومعنى في سبيله في اللغة العربية.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { لعلكم تفلحون (٣٥) } :

قال الراغب: والفلاح الظفر وإدراك بغيته ، انتهى .

والظفر هنا هوالسلامة من النار ودخول الجنة وتضمينه معنى النجاة في هذا الموضع أقرب وقد جاء في الشعر:

لو أن حيا مدرك للفلاح ... أدركه ملاعب الرماح

يريد النجاة من الموت ويناسب هذا المعنى التعليل بقوله تعالى :

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٩٣/٢)

إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم (٣٦) (١)

---

(١) . { إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم (٣٦) } :

فالآية التي قبل هذه الآية حث على طلب النجاة من عذاب يوم القيامة .

قال الشرفي في[المصابيح] : والمقصود من الكلام يعني في قوله تعالى : { إن الذين كفروا .. } إلى آخر الآية التمثيل للزوم العذاب لهم وأنه لا سبيل لهم إلى الخلاص منه ، انتهى.

قلت: وقد أفاد ذلك قوله تعالى ولهم عذاب أليم فدل على أنه لا يدفعه شيء لا الفدية ولا غيرها.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٩٤/٢)

يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم (٣٧) (١)

---

(١) . { يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم (٣٧) } :

{ يريدون أن يخرجوا } يحاولون ذلك لرغبتهم في الخروج ، والدليل على أنه كناية عن المحاولة قوله تعالى : { كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها } فقوله تعالى : { أعيدوا فيها } يدل على أنهم يتزحزحون عن أماكنهم لمحاولة الخروج ؛ لأنهم لو لم يحاولوا لما كان للإعادة معنى ، وقد استبعد بعضهم إرادة أن يخرجوا وقد أيقنوا أنهم لا يخرجون ، والجواب: أن من الجائز غفلتهم عن هذا اليقين وأن تحدث الإرادة في سكرات الألم قال تعالى : { وتري الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد } { وماهم بخارجين منها } فالمحاولة للخروج زيادة في العذاب لما يتكلفون فيها من سحب

السلاسل والتحرك على الجمر ثم العذاب النفسي والجسدي بإعادتهم { ولهم عذاب مقيم } مقيم: باق لا ينقطع بموت ولا غيره وهذه الآية والتي قبلها تابعتان للحث على الجهاد الذي هو دفع الفساد في الأرض.

ولما كان السارق يشبه قاطع الطريق في الظلم بأخذ المال وفي الظلم بتسببه للحاجة إلى الحراسة التي تشغل عن كثير من الأعمال وقد تشغل عن طلب العلم وعن الصلاة في جماعة وغير ذلك جاء زجره بالحد فقال تعالى: كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٩٥/٢)

والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله (١)

---

(١) . { والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله } :
هذا الأمر بقطع يد السارق موجها إلى الذين آمنوا ومثله الأمر بجلد الزاني دليل على أنه يجب على المسلمين إيجاد أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقيم الحدود ، وكذلك قوله تعالى { إذا طلقتم النساء } يدل على أن إلى هذه الأمة إلزام الأزواج جعل الطلاق على السنة وغير ذلك من الخطابات العامة مثل : { وإذا ناديتم إلى الصلاة } فالأحكام التي يقيمها قائد الأمة بسبب تأييد الأمة له وانقيادهم له منسوبة إلى جملتهم وهم مأمورون بها جملة أن تقيمها دولتهم لأن عليهم إعانة الدولة ونصرها فهذه الآيات من دلائل الإمامة لأن الفرد لا يتهيأ له إقامتها وحده ولو حاول أحد بدون سلطة إقامتها لكان ذلك سببا للفوضى والقتال بين المسلمين فتعين وجوب تحضير سلطة قادرة على ذلك، فهي من أدلة الإمامة عندنا وأدلة ولاية الفقيه عند من أثبتها من الإمامية ، والمعنى متقارب .

وجمع الأيدي لعموم السارق والسارقة ؛ لأن المقطوع من السارق يد واحدة فقط كما هو معلوم من السنة والمقطوع الكف ؛ لأنه يحصل به الإمتثال فلا موجب لأكثر منه وليس المحل محل تخيير لما في الزيادة من الضرر الشديد فيبعد التخيير مع الفرق الكبير ، مع أن السنة قد عينت القطع من مفصل الكف وتعيين اليمنى للقطع حكم آخر لا تفسير للآية ولذلك أجزأ قطع اليسرى عند الغلط.
وقوله تعالى : { جزاء بما كسبا } دليل على أن القطع عقوبة فليس للسارق فيه عوض فهو ظلم نفسه { نكالا من الله } زجرا من الله للسارق ولغيره ودفعا لهم عن السرقة فهي قائدة عظيمة للمجتمع ، وقوله :

{ من الله } دليل على أنه حق وصواب فليس لأحد أن يعترض حكمه ولأنه تصرف الذي خلق اليد المالك للعبد.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٩٦/٢)

والله عزيز حكيم (٣٨) (١) فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم (٣٩) (٢)

---

(١) . { والله عزيز حكيم (٣٨) } :

فلعزته وحكمته يعذب المجرمين فليسوا محل رحمة ؛ لأن الرحمة لا تعارض العزة والحكمة لأنها ليست رحمة رقة وضعف وإنما هي رحمة كمال.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم (٣٩) } :

فلا يتوهم من تعجيل عقابة بالقطع أنه لا تقبل له توبة تنجيه من عذاب الآخرة ، وقوله تعالى : { من بعد ظلمه } أي من بعد أن سرق فاستحق العذاب بظلمه ؛ لأن السارق ظلم المسروق عليه وجار وظلم نفسه أيضا ، وقوله تعالى : { وأصلح } يفيد إلزامه أن يرجع السرقة إذا كات باقية بل وظاهره وجوب إصلاح ما أفسد على المسروق عليه بكسر بابه أو خرق جداره أو نحو ذلك ، فأما السرقة إذا كانت قد تلفت فقد قيل تسقط بالحد لأنه لا يجتمع حد وغرم فأما قبل الحد إذا تاب فقال الشرفي في [المصابيح] : وقال إمامنا المنصور بالله القاسم بن محمد رحمة الله عليه: دلت الآية على أن التائب إلى الله ممن سرق المصلح برد ما أخذ والمستحل من المأخوذ عليه يسقط عنه الحد لقوله تعالى : { إن الله غفور رحيم } وهذا قول بعض التابعين ومروي عن الشافعي ، وذهب الثوري وأبو حنيفة وبن حنبل واسحاق : أن السارق إذاغرم سقط الحد وقد قال : (إدرؤا الحدود بالشبهات) وقال لسارق : ((ما أخالك سرقت)) يلقنه بما يدرأ به الحد ، والعمل بهذه الآية أولى .. الخ .

قلت : أما الحديث ما أخالك فلا بد أنه لا يخاله سرق أي لا يظنه ، فهو صادق في ذلك وعليه يحمل تلقينه لئلا يكون أقر لهيبة الرسول هو بريء فالاحتجاج بالآية أولى كما قال – عليه السلام – ، ولعله

يعنى التائب قبل رفعه إلى الإمام وفي حال تجويز أن لا يرفع الإحتمال ذلك فأما من قد رفع فلا مجال من قطعة إذا لم يكن تاب كما ذكرت لأنه عند أخذه إلى الإمام ويأسه من السلامة من القطع ملجأ إلى إظهار التوبة فلا يعلم أنه تائب حقا ، وعند وصوله إلى الإمام وجب قطعه لأن الله قد أوجب القطع ولم يرخص في تأخيره إنتظارا للتوبة المحققة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٩٧/٢)

ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير (٤٠) (١)

---

(١) . { ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير (٤٠) } :

هذه الآية ترد على الكفار الذين يعيبون القطع في الإسلام وتدل على أنه حق من الله الذي له ملك السموت والأرض فهو يحكم ما يريد ويعذب من يشاء لاستحقاقه العذاب ، وقوله تعالى : { ويغفر لمن يشاء } يؤكد كلام القاسم بن محمد – عليه السلام – لأنه قابل التعذيب بالغفران فكأنه قال ويترك تعذيب من يشاء { والله على كل شيء قدير } فهو غالب على أمره ، فمن شاء قطعه على كل حال فلا بد أن يقطع ، وهذا تحذير للسارق من أن يسلط الله عليه وهو يمنى نفسه السلامة من القطع فيسرق وهو لا يدري لعل الله يسلط عليه فينكشف سرقة ويؤخذ وتقطع يده بأمر الله ومشيئته.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢٩٨/٢)

---

* يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا (١)

---

(١) . { * يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا } :
}
لا يحزنك } : لا تحزن من أجلهم ، إما على معنى لا تحزن عليهم لكونهم هالكين فهم متمردون مستحقون لفتنتهم ؛ لأنهم سماعون للباطل مائلون عن الحق فهم ظلموا أنفسهم ، وإما على معنى لا يحزنك كيدهم للإسلام أو الخوف من كيدهم فالله لا بد أن يظهر دينه { والذين قالو آمنا بأفواههم } يعم الذين في قلوبهم مرض المنافقين وغيرهم ممن لم يؤمن ولما ينافق ، ومسارعتهم في الكفر سماعهم لكذب الكفار في تكذيبهم للرسول أي قبولهم له وتصديقهم لهم ، وقولهم: { آمنا } هو قول انفردت به أفواههم ولم يصدر عن قلوبهم ، فالإيمان الصحيح هو الذي يتواطأ عليه القلب واللسان ، أما مجرد القول فليس إيمانا ؛ ولذلك قال تعالى: { من الذين قالوا آمنا } ولم يقل : من الذي آمنوا بأفواههم ، والدليل قوله تعالى: { قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا } فهذا فائدة قوله تعالى: { بأفواههم } وذلك لأن قولهم آمنا إنشاء يوهمون به إيمانهم وليس خبرا عن إيمان قلوبهم ؛ ولهذا لم يقل: من الذين قالوا آمنا ولم تؤمن قلوبهم ؛ لأنهم لم يدعوه كما فعلت الأعراب وإنما أنشأوا بأفواههم إنشاء فقال : { ولم تؤمن قلوبهم } ليبين أن قولهم آمنا مجرد قول باللسان لا يطابقه الجنان لا لإبطال قولهم آمنا وتكذيبه لأنه ليس خبرا { ومن الذين هادوا } عطف على { من الذين قالوا } فالفريقان مسارعون في الكفر وهم حول الرسول حيث ينزل القرآن وآيات النبوة فلا تحزن لأجل مسارعتهم في الكفر .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك (١) يحرفون الكلم من بعد مواضعه (٢) يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا (٣)

---

(١) . { سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك } :
هؤلاء المسارعون في الكفر هم { سماعون للكذب } مكثرون من سماع الكذب وهو يعم ما يعلمون ؛ لأنه كذب وما يغترون به مما يفترونه فيقبلونه اتباعا للهوى كقولهم: { لن تمسنا النار إلا أياما معدودة } سماعون لقوم من اليهود { لم يأتوك } وهؤلاء اليهود مفسدون مضلون.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما

نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { يحرفون الكلم من بعد مواضعه } إفسادا وإضلالا لمن يسمع منهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا } :

فكما أنهم مضلون بكذبهم وتحريفهم الكلم من التوراة من بعد أن جعله الله في مواضعه التي اختارها له لئلا تدل على معناها المقصود ، أو ليمكنهم أن يزعموا لها معنى غير معناها ، فكما أنهم ضالون مضلون بهاتين الطريقتين فهم مضلون بأمرهم أن لا يقبلوا إلا الباطل وتحذيرهم من قبول الحق ؛ لزعمهم أنه الباطل .

قال الهادي – عليه السلام – في[الأحكام]: ومن الدليل على أن الرجم حكم من الله قديم على المحصنين ما أخبر الله به نبيه عن اليهود وتبديلها له وطرحها إياه من التوراة وتحريفها لحكم الله ، وذلك قول الله سبحانه : { ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه } يريد: يحرفون ما في التوراة من حكم الرجم ، وهذه الآية نزلت فيما كان من أمر بشرة اليهودية ... الخ ، ذكر قصتها حتى أمر رسول الله برجمها هي والزاني بها ، وقصة اليهود في إنكارهم حكم التوراة وافتضاحهم وذلك في الأحكام في باب القول في حد الزاني في الكتاب فليرجع إليه.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٣٠٠)

ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا (١)

---

(١) . { ومن يرد الله فتنته } : كهؤلاء المضلين { فلن تملك له من الله شيئا } الفتنة: بمعنى العذاب كقوله تعالى: { يومهم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم } وقوله تعالى: { والفتنة أشد من القتل } أي تعذيب من أسلم ، وقوله تعالى: { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة } لا يعذب مسلم ، وقال تعالى: { إن الذين فتنوا المؤمنين .. } الآية ، وقال تعالى: { حعل فتنة الناس كعذاب الله } أي تعذيبهم لمن أسلم.

فقوله تعالى: { فلن تملك له من الله شيئا } لن تملك له من الله أن يعفو عنه أو أن يخفف من العذاب أو أن ينظره بعد مجيء وقت العذاب أو نحو ذلك ؛ لأن الحكم لله لا معقب لحكمه وليس لأحد لا رسول الله ولا غيره أن يتدخل بين الله وعباده ليحول الله سبحانه عن إرادته إلى إرادة ما يطلب منه المتدخل ؛ لأنهم كلهم عباده والملك يومئذ لله وحده { يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله } وهذا هو معنى ما فسرها به الهادي – عليه السلام – كما حكى في [المصابيح] عنه – عليه السلام – وقال الناصر – عليه السلام – في[البساط] في مسألة في الفتنة وجوابها: فيقول سبحانه: { ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا } وفي هذا الموضع يريد: من يرد الله عذابه فلن تستطيع أن تدفع عنه ما يريده الله من عذابه ، والله سبحانه فلا يريد أن يعذب إلا من هو مصر على معاصيه وقد علم أنه لا يرجع عن كفره ولا يتوب ... إلخ .

فقد اتفق الهادي والناصر عليهما السلام على تفسير الفتنة هنا بالعذاب ، وهو مناسب لتفسير: { لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر } بأن المعنى لا تحزن عليهم لهلاكهم فيكون المعنى: ولو حزنت عليهم والله يريد تعذيبهم فلن تملك لهم من الله شيئا.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم (١)

---

(١) . { أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم } :

لأنهم متمردون مصرون على رجسهم لا يستحقون من الله أن يطهر قلوبهم ، أو لم يستحقوا ؛ أو لأنهم لا يقبلون لطفا ولا يمكن تطهيرها إلا بالقسر والإلجاء الذي لا يفيدهم الخروج إلى الطاعة ولا يدفع استحقاقهم النار بما قدموا ؛ ولذلك فهم يموتون على ما في قلوبهم من الإصرار على باطلهم مستحقين للفتنة على النار.

قال الناصر – عليه السلام – في[البساط]: وليس من حكمه أن يعذب من يعلم أنه يتوب ويرجع يوما ما ؛ لأنه قال: { وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون } يقول: لا أعذب من أعلم أنه يتوب ويستغفر ، وقال جل ذكره: { ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون } يقول: لو علمت أنهم يقبلون لأسمعتهم ما طلبوا وأريتهم من الآيات ما سألوا ، وقال: { ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون } فهذا وأشباهه في القرآن كثير يعلم الله جل ذكره أنه عالم باختيارهم معاصيه

وعاقبة أمرهم ، وأنهم لا يتوبون مختارين غير مضطرين ، وأنه لا يعذب من يعلم أنه يتوب ويرجع عن كفره وضلاله.

وأما قوله سبحانه: { أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم .. } الآية فمعنى ذلك أنه لا يريد أن يحكم لقلوبهم بالطهارة والإيمان وهي كافرة ، ولا يشهد لها بالطهارة وهي نجسة ، ولا يزكيها وإنما صاروا بهذه المنزلة لكفرهم وشركهم الذي اختاروه وأصروا عليه انتهى المراد.

وقوله: ولا يزكيها ؛ لعله إشارة إلى قوله تعالى: { ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء } أو إلى قوله تعالى: { ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم } ومثل تفسير الناصر – عليه السلام – حكى في [المصابيح] عن الهادي – عليه السلام – .

فأما تفسير المجبرة أو بعضهم الفتنة بمعنى الضلال فهو غير معروف في اللسان وإن ادعوه في كتبهم في اللغة فلا يقبل منهم ؛ لأنهم جارون لأنفسهم مع أنه غير مناسب لهذه الآية ؛ لأن قوله تعالى: { أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم } لو جعلناه على تفسيرهم لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من الفتنة بإزالتها منها لصار المعنى ومن يرد الله فتنته أي ضلاله فلن تملك له من الله شيئا { أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم } من الفتنة ، والترتيب على هذا لا يصح ؛ لأنه إذا أراد فتنتهم فقد أغنى عن ذكر أنه لم يرد طهارتهم من الفتنة ؛ لأن إرادة الفتنة أبلغ من عدم إرادة الطهارة منها كما لا يخفى على منصف ؛ وهذا لأن قوله: { لم يرد } لنفي وقوع الإرادة في الماضي فليتأمل ؛ ولذلك لا يصح أن نقول على تفسير الهادي والناصر للآية إن المعنى لم يرد أن يطهر قلوبهم يوم القيامة وإنما يصح أن يكون المعنى لم يرد أن يطهر قلوبهم في الماضي وإن زكوا أنفسهم وزعموا أنهم مطهرون والراجح عندي في قوله تعالى: { لم يرد الله أن يطهر قلوبهم } أنه كناية عن أن في قلوبهم رجسا هو سبب تعذيبهم ، وفائدة الكناية تسلية رسول الله بأنه تعالى أراد أن يتركهم على رجسهم فلا يحزن لشدة رغبته في إيمانهم حبا منه لله وكراهة أن يعصى ، ثم رتب على ذلك قوله تعالى:كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٢ ٣٠)

لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٤١) (١)

---

(١) . { لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٤١) } :

دل تعالى بقوله: { ومن يرد الله فتنته } على إرادته تعذيبهم فما أراده وقع .
فإن قيل :إذا كان { من يرد الله فتنته } من يرد تعذيبه فقد أفاد أنه يعذب فما فائدة قوله تعالى: { لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم } ؟ .
فالجواب: أن له فائدة وهي: أن قوله تعالى: { ومن يرد الله فتنته } اسم شرط وفعل الشرط وذلك ليس صريحا في أنه يريد للمسارعين في الكفر تعذيبهم ، فصرح بأنه يعذبهم ، وفائدة أخرى وهي: الإخبار بوقوع ما يريده فهو أبلغ لما فيه من التصريح بتعذيبهم ، وفائدة أخرى وهي: بيان أنهم يعجل لهم في الدنيا خزي ويؤجل لهم في الآخرة عذاب عظيم ، وفي هذا تفصيل ليس في الإخبار بإرادة تعذيبهم ، قال في [الصحاح]: وخزي . بالكسر . يخزى أي ذل وهان ، انتهى.
قلت: الأولى أن ذل وخزي متقاربان لا مترادفان ؛ لقوله تعالى حاكيا: { من قبل أن نذل ونخزى } .

قال الشرفي في[المصابيح]:من قبل أن نذل بالعذاب ونخزى بالفضيحة على رؤوس الأشهاد ، انتهى، وقال في تفسير قوله تعالى: { ذلك لهم خزي في الدنيا } أي فضيحة وهوان ، انتهى .
وقال صاحب القاموس في تفسير: خزي ، وقع في بلية وشهرة فذل بذلك ، قال: وأخزاه الله فضحه ، انتهى.
وقال في الكشاف في تفسير قوله تعالى: { ذلك لهم خزي في الدنيا } : ذل وفضيحة ، انتهى ، وقال في تفسير قول الله تعالى: { لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى } وأضاف العذاب إلى الخزي وهو الذل والإستكانة ..الخ فظهر أن الخزي انفعال يسببه العذاب من حيث هو عار على الفاجر ؛ لأنه الذي سبب له وجره علنفسه بسوء اختياره.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٠٣/٢)

سماعون للكذب أكالون للسحت (١) فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم (٢)

---

(١) . { سماعون للكذب أكالون للسحت } :
{ سماعون للكذب } : لهواهم في قبوله ، أو لاعتقادهم وجوب قبوله حيث صدر من الأحبار أو الرهبان ، فالمذموم ثلاثة أقسام:
الأول: ماعلم أو ظن أنه كذب ، الثاني: ما قبل اتباعا للهوى مع الشك في صدقه أو مع كونه في مسألة

قطعية وهو لا يفيد القطع مع معارضته للقاطع الذي يجب اتباعه ، الثالث: ما كان سبب قبوله اعتقاد وجوب قبوله لصدوره عن الأحبار والرهبان بناء على أن قبول خبرهم و(٣) على كل حال بناء على وجوب اتباعهم على كل حال.

{ أكالون للسحت } : الحرام كالرشوة والهدية التي هي مكافأة على واجب.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم } :

{ فإن جاؤوك } لتحكم بينهم { فاحكم بينهم } لأن حكمك الحق { أو أعرض عنهم } ؛ لأنهم لا يقبلون حكمك إلا إن وافق هواهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٠٤/٢)

وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا (١) وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط (٢) إن الله يحب المقسطين (٤٢) (٣)

---

(١) . { وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا } :

وإن زعموا أنك لم تدر ما تحكم ، أو أنك كتمت الحق ، أو غضبوا عليك من الإعراض عنهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط } :

قال في [الصحاح]: والقسط –بالكسر– العدل ثم قال: والقسط أيضا مكيال وهو نصف صاع والفرق ستة أقساط.

قلت: هذا الصواب أن القسط العدل ؛ لقول الله تعالى: { قل أمر ربي بالقسط } ولعله يؤخذ في معناه تحقق العدل الذي ليس معه أي ميل فيكون أبلغ من الأمر بالعدل وذلك لمناسبته القسط الذي هو كيل محدود ، والقسطاس لميزان محكم ، والله أعلم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف

إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٣) . { إن الله يحب المقسطين (٤٢) } :

وهذا ترغيب عظيم في العدل لكل من يخاف الله ولكل من يعلم حاجته إلى الله كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٠٥/٢)

وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله (١) ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (٤٣) (٢)

---

(١) . { وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله } :
هذا دليل واضح على أن الكلام من قوله تعالى: { لقوم آخرين لم يأتوك } كان في اليهود أي كيف يصدر عنهم ذلك وهم لم يسلموا ، بل هم ضالون مضلون ، فهؤلاء لا يصدر عنهم إلا لغرض فاسد وفي سبيل اتباع الهوى ورجاء أن تحكم بما يهوون لا لطلب الحق لأن عندهم التوراة فيها حكم الله ، فلو كان غرضهم التوصل إلى الحق لاكتفوا عن تحكيمهم لك.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (٤٣) } :

فلو كانوا يتبعون حكمك ولا يتولون عنه من بعد أن حكمت بينهم لما كان ذلك معيبا بل هو الحق ، ولكنهم يتولون من بعد ذلك { وما أولئك } المعروفون باتباع الهوى والميل معه حيث مال والمعروفون بالكفر والصد عن سبيل الله والتكذيب بآيات الله ماهم { بالمؤمنين } ولذلك عظم باطلهم بتكامل معايبهم ، وفي قوله تعالى: { وما أولئك بالمؤمنين } تأكيد يدل على بعدهم من الإيمان وأن بينهم وبينه مسافات ومراحل.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٠٦/٢)

إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور (١) يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار (٢)

---

(١) . { إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور } :

الهدى: تعليم سبيل الله وهي دينه ، والنور: المواعظ التي تزهد في الدنيا وكل ما يستنير به القلب وتقوى به البصيرة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار } :

الذين أسلموا أنفسهم لله فحكمهم بالتوراة لله ، والربانيون: العلماء الدعاة إلى الله المكثرون من ذكر الله ومراقبته ، والأحبار: العلماء فهم يحكمون بها.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٠٧/٢)

بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء (١)

---

(١) . { بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء } :

بسبب أن الله تعالى استحفظهم كتابه أو بعض كتابه أي أمرهم أن يحفظوه من الضياع ومن التحريف ومن الزيادة والنقصان ، أو بما استحفظوا جعلهم الله حافظين له لا ينسونه ، والأولى عموم المعنيين فهما من حفظه فقد كلفهم الله أن يحكموا وصاروا يحكمون بالتوراة بسبب أن الله جعلهم حافظين لها ، ويحتمل أن قوله: { بما استحفظوا } بدل من قوله: { بها } أي يحكمون بما استحفظوا منها ؛ لأنها كتاب الله وكانوا عليه شهداء يشهدون أنه من التوراة لعلمهم وتيقنهم أنه منها ؛ ولعل في هذا مأخذا أن الرواية شهادة ، وأنه لابد من اثنين يرويان الحديث أو أكثر كما في الشهادة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٠٨/٢)

فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا (١) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون (٤٤) (٢)

---

(١) . { فلا تخشوا الناس } أيها الحكام بالتوراة { واخشون } فلا يجوز الحكم بغير الحق لخشية سلطان أو حزب وليس يعذر حاكم بخشية الناس ؛ لأن عليه أن يخشى الله ويتقي عذابه فيحكم بما في التوراة { ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا } لا تستبدلوا بالحكم بآياتي ثمنا قليلا هو الرشوة فهي قليل في جنب ما هي عوضه ، وقليل في جنب العذاب الذي تؤدي إليه وكل ما في الدنيا قليل ؛ لأنه زائل فهذا تحذير من العدول عن الحكم بما أنزل الله رغبة في الرشوة أو نحوها ، والأول تحذير من تركه للرهبة.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون (٤٤) } :

لأن الحكم بغير ما أنزل الله جحد لما أنزل الله فهو كفر ، ويحتمل أن قوله تعالى: { فلا تخشوا الناس } خطاب لهذه الأمة أي عليكم أن تحكموا بكتاب الله الذي هو القرآن كما حكم النبيئون والربانيون والأحبار بالتوراة ، وهذا هو ظاهر كلام الناصر – عليه السلام – في [البساط] وقال: يعني بالناس أهل مكة ، وجعل قوله تعالى : { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } في هذه الأمة ، والظالمون في اليهود ، والفاسقون في النصارى .
والراجح عندي أن قوله تعالى: { فلا تخشوا... } إلى آخر الآية حكاية لما كلف به النبيئون الذي أسلموا والربانيون والأحبار ؛ لأن الكلام في القرآن يأتي في قوله تعالى : { وأنزلنا إليك الكتاب .. } الآية التي تأتي قريبا والتي بعدها.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٠٩/٢)

وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص (١) فمن تصدق به فهو كفارة له (٢)

---

(١) . { وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص } :

{ وكتبنا عليهم } : أي على بني إسرائيل { فيها } أي في التوراة ، ومعنى كتبنا عليهم: أوجبنا عليهم هذه الأحكام التي هي جعل النفس بدل النفس المقتوله ، والعين بدل العين ، وهكذا بقيتها ، والجروح قصاص: يجرح الجاني بمثل ما جرح المجني عليه ، والباء للمبادلة مثل الحديث النبوي: (الذهب بالذهب والفضة بالفضة..) إلى آخر الحديث .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فمن تصدق به فهو كفارة له } :

فمن تصدق بما استحقه أي عفى عن الجاني { فهو } أي المتصدق به أو التصدق كفارة له يكفر به عنه من سيئاته ، كقوله تعالى: { إن تبدوا الصدقات فنعما هي ... } إلى قوله تعالى: { ..ونكفر عنكم من سيئاتكم } .

قال الشرفي في [المصابيح]: وفيه دليل على أن العفو كان جائزا في شريعة بني إسرئيل، انتهى .

قلت: هو ظاهر السياق ، ولعله مشروط بأن يكون العفو مجانا ليكون كفارة ، أما سيد قطب فزعم أن ليس في التوراة وإنما هو في شريعتنا ، وهو خلاف الظاهر.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (٤٥) (١) وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة (٢)

---

(١) . { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون (٤٥) } :

فهم من أهل النار ؛ لأنها جزاء الظالمين ، فقد أفادت أن من لم يحكم بما أنزل الله اجتمع له الوصف

بالكفر والوصف بالظلم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة } :

قفينا: أتبعنا لأن التابع يكون قفا المتبوع { على آثارهم } : على آثار النبيين الذين أسلموا أو الربانيين والأحبار فهو على طريقتهم في الحكم بما في التورة إلا ما نسخه الله في شريعة عيسى حال كونه { مصدقا } أي بما معه من الآيات الدالة على صدقه ، { لما بين يديه } : لما تقدمه من التوراة فالنبيون يصدقون كتب الله ولا يتفرقون ، ولعله بعض النصارى كانوا قد كفروا بالتوراة في قولهم : { ليست اليهود على شيء } فهذا رد عليهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣١١/٢)

وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين (٤٦) (١)

---

(١) . { وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين (٤٦) } :

وآتينا عيسى بن مريم الإنجيل كتاب الله الذي أنزله على عيسى اسمه الإنجيل { فيه هدى ونور } كما قال في التوراة { ومصدقا لما بين يديه من التوراة } فالإنجيل مصدق لها كما عيسى – عليه السلام – مصدق لها { وهدى وموعظة للمتقين } أي هدى للمتقين وموعظة لهم ، ولا تكرار ؛ لأن قوله تعالى: { فيه هدى ونور } وصف للإنجيل يبين كماله في نفسه مع قطع النظر عمن ينتفع به أولا ينتفع ، وقوله تعالى: { وهدى وموعظة للمتقين } بيان لمن ينتفع بالهدى والنور أنهم المتقون ، ونظيره وصف القرآن { قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين } ثم قال تعالى: { يهدي به الله من اتبع رضوانه } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣١٢/٢)

وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه (١) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (٤٧) (٢)

---

(١) . { وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه } :
من حكم عام أو مخصص لبعض ما في التوراة أو ناسخ لبعضها أو دلالة على النبي الأمي الذي من بعد عيسى وهكذا في التوراة ، فالحكم عام لكل ما أنزل الله وما تجدد إنزاله ناسخا لما قبله وجب العمل بما تجدد ، ولا يجوز إهماله تعظيما لما سبق ؛ لأن الأول إنما ثبت حكمه لأن الله أنزله فوجب اتباع الناسخ لأن الله أنزله.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (٤٧) } :

الخبثة الفجار ، وهذا عام لكل من لم يحكم بما أنزل الله أضاف لهم اسما ثالثا فهم كافرون ، وهم ظالمون ، وهم فاسقون ، وفي هذا الإسم الأخير زجر لمن زينت له طريقة مخالفة لما أنزل الله من اليهود أو من غيرهم كغلاة النصارى وغلاة الشيعة وغلاة الصوفية ، وكاليهود والنصارى التاركين للقرآن بعد نزوله ، فهؤلاء وإن زينت لهم أنفسهم دينهم وظنوا أنهم صالحون أبرار ليسوا إلا خبثة فجارا خارجين عن دين الله ، وإن ظنوا أنهم صالحون مصلحون ، ويدخل في هذا من يترك بعض أحكام الله ويبدله بالقانون لمصحلة اجتماعية يظنها.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه (١)

---

(١) . { وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه } :
{ وأنزلنا إليك } يا محمد { الكتاب } هذا الذي هو القرآن الحكيم { مصدقا لما بين يديه } لما تقدم قبله من كتب الله جملة أو تفصيلا { ومهيمنا } على الكتاب الماضي أي الكتب عبر عنها بالكتاب ؛

لأن أصله مصدر: كتب كتابة وكتابا ولذلك يستعمل كما هو من غير فرق بين مفرد ومثنى ومجموع ، ومعنى إنزاله بالحق أنه أنزله رب العالمين الذي له الحكم في عباده والذي اقتضت حكمته إنزاله على العالمين كقوله تعالى: { وبالحق أنزلناه } ثم عطف عليه: { وبالحق نزل } فالإنزال بالحق ؛ لأنه من الله العزيز الحكيم ، والنازل فيه الحق من الشرائع والوعد والوعيد وقصص الأولين والآيات وغير ذلك ، وقوله تعالى: { ومهيمنا عليه } أي القرآن مهيمن على ما بين يديه من الكتاب أي شاهد عليه مصدق أمين فيما نسبه إلى الكتب التي قبله ؛ لأن القرآن كلام الله { ومن أصدق من الله قيلا } .

قال الناصر – عليه السلام – في البساط : ومهيمنا عليه أي شهيدا عليه .
قال في الصحاح: المهيمن الشاهد ، انتهى ، وفي تفسير الطبري بإسناده عن بن عباس : ومهيمنا عليه قال يقول شهيدا ، وفيه مسند عن السدي : { ومهيمنا عليه } قال شهيدا عليه ، وبسند عن قتادة : أمينا وشاهدا على الكتب التي خلت قبله .
وروى الطبري بأسانيد عن أبي اسحق عن رجل من تميم عن ابن عباس: ومهيمنا عليه قال مؤتمنا عليه ، انتهى ، وهو مثل الأول ، وروى الطبري أيضا بسند آخر عن بن عباس قوله: { ومهيمنا عليه } قال: والمهيمن الأمين ، قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله ، انتهى ، وأورد الطبري روايات عن بعض المفسرين مثل هذا .
وفي تفسير غريب القرآن للإمام زيد بن علي عليهما السلام: وقوله تعالى: { ومهيمنا عليه } فالمهيمن المصدق لما قبله والأمين عليه ، انتهى ، ويحتمل أنه – عليه السلام – أراد تفسير قوله تعالى: { مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه } أو أنه – عليه السلام – يعنى أن المهيمن الأمين عليه مع كونه مصدقا له.
وقال الشرفي في [المصابيح] : ومعنى مهيمنا أي رقيبا على سائر الكتب ؛ لأنه يشهد لها بالصحة ويبين بعض ما حرف فيها ، وقيل: الأمين إلى قول الشرفي ؛ فلهذا قال المفسرون: { ومهيمنا عليه } : أي أمينا على الكتب الذي .كذا . قبله ، انتهى المراد .
فجعله بمعنى رقيبا ، وجعل الرقابة عليه بمعنى الشهادة بصدقه ، والشهادة عليه فيما بين أنه محرف منه فصار المعنى مثل الأول أو قريبا منه.
وقال الشرفي رحمه الله في تفسير اسم الله تعالى : { المهيمن } : الرقيب على كل شيء الحافظ له ، انتهى .
فأما صاحب [الكشاف] فقال: { ومهيمنا } ورقيبا على سائر الكتب ؛ لأنه يشهد لها البصحة والثبات ، انتهى .
وقال في[الكشاف] في تفسير اسم الله تعالى :المهيمن :الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الأمن إلا أن همزته قلبت هاء ، انتهى .

والراجح في معنى الرقيب أن أصله بمعنى الراصد فيكون الرصد للشيء لحفظه ، ويكون الرصد عليه لمعرفة ما يكون منه ، ويكون الرصد للشيء لانتظاره ، فمن الأول قوله تعالى: { لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة } ومن الثاني قوله تعالى: { ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد } ومن الثالث قوله تعالى: { سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب } إلا أنه سمي الإنتظار ترقبا ، وفي [الصحاح] : الرقيب :الحافظ ، والرقيب: المنتظر ، تقول: رقبت الشيء أرقبه رقوبا إذا رصدته ، انتهى باختصار .

وقال الشرفي رحمه الله في تفسير { إن الله كان عليكم رقيبا } والرقيب هو المراقب الذي يحفظ عليك جميع أفعالك ، انتهى .

وعلى هذا فالرقيب قريب من معنى الشهيد ، ولكن تفسير المهيمن في قوله تعالى : { ومهيمنا عليه } بالشهيد الأمين أقرب من تفسيره بالرقيب.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق (١) لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم (٢)

---

(١) . { فاحكم بينهم بما أنزل الله } : بالقرآن لأن الله أنزله إليك { ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق } فاتباع خلاف ما أنزل الله اتباع للأهواء وأهل الكتاب يريدون اتباع أهوائهم وإن خالف ما أنزل الله.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم } :

فلا عذر ولا رخصة في العدول عما أنزل الله وإن أدى إلى التفرق ؛ لأن الله قد شاء ذلك ولو شاء لجعلنا على شرعة واحدة حتى لا نتفرق لكنه أراد أن يبلونا فيما جعل لنا من الشرعة والمنهاج أنتبعه أم نعدل عنه للأهواء والمصالح الدنيوية حتى يتبين من يجعل أمر الله فوق الأغراض والمصالح الدنيوية

الموهومة ومن يعدل عن أمر الله إلى الأهواء.
والشرعة: الشريعة ، والمنهاج: الطريق المستقيم الواضح ، فجعل لليهود شرعة وللنصارى أيضا مع نسخ لبعض الأحكام ، وجعل لنا شريعته التي ارتضاها لنا فأرسل بها محمدا وأنزل بها هذا الكتاب.
قال الشرفي في[المصابيح] : ومعنى الآية كما قال الهادي – عليه السلام – : فالشرعة هي الفرائض المفروضات والأحكام المجعولات المأمور الخلق بفعلهن والمحكوم عليهم بأداء فرضهن ، والمنهاج: فهو الطريق الواضح الدال على ما ذكرنا من الشرعة الناطقة لها السنة المتبعة ، والجعل فلا يكون إلا فعلا لله، انتهى .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣١٥/٢)

فاستبقوا الخيرات (١) إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (٤٨) (٢)

---

(١) . { فاستبقوا الخيرات } :
الخيرات: ما أعد الله لعباده الصالحين ، واستباقه باتباع ما أنزل الله فينبغي لمن أراد نفع نفسه أن يتبع ما أنزل الله ولا يأنف من ترك المنسوخ إلى الناسخ ولا ينظر إلى من تخلف عن ذلك ؛ لأنه في عمل يسبق به الخيرات وهو سابق لمن تخلف ، ومن تخلف فإنما خسر الخيرات ، وعلى هذا فلا خير ولا صلاح في العدول عما أنزل الله وإن سماه أعداء الدين خيرا ، بل هو الخسران المبين ، بل وإن توهم البشر الضعيف أنه أصلح للمجتمع وأوفق للوقت الحاضر فإنما هو الخسران والضلال المبين ؛ لأن الله أعلم بمصالح عباده وليس لهم أن يعصوه نظرا للمصلحة في ظنهم.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { إلى الله } وحده { مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (٤٨) } :

فهناك في الآخرة حين يرجعون إلى الله وقد ضل عنهم ما كانوا يميلون إليه من الأغراض الدنيوية من الرئاسة وجمع المال وغير ذلك يبين لهم الحق الذي كانوا يختلفون فيه ويجزي كل عامل بعمله حيث لا ينفع قانون ولا استحسان ولا مصلحة إلا تقوى الله واتباع ما أنزل ، كما أن الرجوع إليه وحده لا إلى رئيس ولا شارع قانون ولا حزب ولا أنصار.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣١٦/٢)

وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك (١)

---

(١) . { وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك } :

{ و } أنزلنا إليك { أن احكم بينهم } بين أهل الكتاب { بما أنزل الله } على كل حال رضوا أم سخطوا أطاعوا أم عصوا { ولا تتبع أهواءهم } فمخالفة ما أنزل الله إليك في أي شيء من أجلهم إنما هو اتباع لأهوائهم ، وإن كان من دينهم وشريعتهم ؛ لأنه بعد النسخ بما أنزل الله قد صار هواهم لا غير { واحذرهم أن يفتنوك } بأي حيلة وبأي ترغيب يفتنوك لتعدل عن جزء مما أنزل الله إليك أو كلمة أو حرف ولو وعدوك إذا طاوعتهم فيه أن يسلموا أجمعون فمساعدتهم إنماهي افتتان وفساد ووقوع في الهلكة.

ومثل هذا ما يغرر به بعض عملاء الكفار من دعوى أن الزمان هذا لا يصلح بتطبيق الدين كله وأنه لا بد من التعديل فيه وإلا بقي المسلمون في التخلف والرجعية ونحو هذا من التغرير ، فعلينا أن نحذرهم وأن لا نتنازل عن شيء من دين الله لا صغير ولا كبير ، وأن نعلم أن العزة والقوة في اتباع دين الله ؛ لأن العزة لله جميعا ولا يذل من أعزه الله ، ولم يضر المسلمين اليوم إلا تساهلهم في مخالفة ما أنزل ومخالفتهم لأمر الله حتى تفرقوا وضعفوا وقوي عليهم عدوهم ، ولا يزالون حتى يرجعوا إلى دينهم كله ويتوكلوا على الله.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣١٧/٢)

فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم (١) وإن كثيرا من الناس لفاسقون (٤٩) (٢)

---

(١) . { فإن تولوا } عنك بسبب الحذر منهم وترك مساعدتهم بإهمال شيء مما أنزل الله { فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم } فلا تحزن عليهم وارض لهم بما أراد الله لهم ، وإذا أراد تعالى أن يصيبهم ببعض ذنوبهم فبالأولى إصابتهم بسبب ذنوبهم كلها ، ففيه دلالة على أن بعضها كاف في استحقاقهم للعذاب ، وأن بعضها عظيم يستدعي وحده أن يصيبهم الله ، فاعلم ذلك ، ولايحزنك توليهم عنك ولا عليك منهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وإن كثيرا من الناس لفاسقون (٤٩) } :

فهو الخبث والفجور يصرفهم عن قبول الحق بعد وضوحه ولذلك فلا تبال بهم وتوكل على الله.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣١٨/٢)

أفحكم الجاهلية يبغون (١) ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون (٥٠) (٢)

---

(١) . { أفحكم الجاهلية يبغون } :

أن تحكم به بينهم ، فكل حكم خلاف ما أنزل الله فهو حكم الجاهلية وإن ادعوا أنه هو العلم أو أنه مقتضى الحكمة ؛ لأن الله أعلم بالحكمة والصواب ، فالحكمة والصواب فيما أنزل ؛ ولذلك فإن خلافه إنما يستند إلى الجهل وإن ظنوه العلم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون (٥٠) } :

يعلمون يقينا أنه أحكم الحاكمين وأنه علام الغيوب الذي لا يخفى عليه الصواب ولا يرضى لعباده أن يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله ، وأن الخير في اتباع حكمه والأحسن عاقبة كما أخبر بذلك وهو أصدق القائلين.

وما أحسن قول سيد قطب هنا: ومن ذا الذي يجرؤ على ادعاء أنه يشرع للناس ويحكم فيهم خيرا مما

يشرع الله لهم ويحكم فيهم ، وأية حجة يملك أن يسوقها بين يدي هذا الإدعاء العريض ؟ أيستطيع أن يقول: إنه أعلم بالناس من خالق الناس ؟ أيستطيع أن يقول: إنه أرحم بالناس من رب الناس ؟ أيستطيع أن يقول: إنه أعرف بمصالح الناس من إله الناس؟. أيستطيع أن يقول: إن الله سبحانه وهو يشرع شريعته الأخيرة ويرسل رسوله الأخير ويجعل رسوله خاتم النبيين ويجعل رسالته خاتمة الرسالات ويجعل شريعته شريعة الأبد.. كان سبحانه يجهل أن أحوالا ستطرأ وأن حاجات ستستجد ، وأن ملابسات ستقع فلم يحسب حسابها في شريعته ؛ لأنها كانت خافية عليه حتى انكشفت للناس في آخر الزمان ... إلى قوله... ما الذي يستطيع أن يقوله وبخاصة إذا كان يدعي أنه من المسلمين .

الظروف الملابسات عدم رغبة الناس الخوف من الأعداء ..ألم يكن هذا كله في علم الله وهو يأمر المسلمين أن يقيموا بينهم شريعته وأن لا يفتنوا عن بعض ما أنزله قصور شريعة الله عن استيعاب الحاجات الطارئة والأوضاع المتجددة والأحوال المتغلبة ، ألم يكن ذلك في علم الله وهو يشدد هذا التشديد ويحذر هذا التحذير ، يستطيع غير المسلم أن يقول ما شاء ، ولكن المسلم أو من يدعون الإسلام.ما الذي يقولونه من هذا كله ثم يبقون على شيء من الإسلام أو يبقى لهم شيء من الإسلام ، إنه مفرق الطريق الذي لا معدى عنده من الإختيار ، ولا فائدة في المماحكة عنده ولا الجدال ، إما إسلام وإما جاهلية ، إما إيمان وإما كفر ، إما حكم الله وإما حكم الجاهلية ، والذين لا يحكمون بما أنزل الله هم الكافرون الظالمون الفاسقون ..الخ كلامه الجميل المفيد لمن ألقى السمع وهو شهيد.

وبعد هذه الآيات التي توجب الحكم بما أنزل الله حذر سبحانه من موالاة اليهود والنصارى أعداء ما أنزل الله على رسول الله فقال تعالى :كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

---

* يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض (١)

---

(١) . { * يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض } :

الولاية تكون بالحب والصداقة ، وتكون بالمحالفة على النصرة وترك الخذلان.

في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام لمفردات القرآن : ولم يكن له ولي من الذل معناه لم يكن له حليف ولا ناصر ، انتهى .

وفي [الأزهار] وشرحه: وتحرم الموالاة للفاسق ؛ لقوله تعالى: { لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون

إليهم بالمودة } والموالاة هي أن تحب له كلما تحب لنفسك من جلب نفع أو دفع ضرر أو تعظيم أو نحو ذلك ، وتكره له كل ما تكره لنفسك من استخفاف أو نزول مضرة أو نحو ذلك ، فتكون كفرا أو فسقا بحسب الحال ، فالكفر حيث تكون الموالاة لكافر والمعاداة لجملة المؤمنين لا معاداة واحد من المؤمنين أو جماعة مخصوصين لأمر غير إيمانهم بل لمكروه صدر إليه منهم فإن هذه المعاداة لا تكون كفرا وإن كانت محرمة ، وتكون الموالاة والمعادات فسقا حيث تكون الموالاة لفاسق وحيث تكون المعاداة لمؤمن لا لأجل إيمانه ولا لأجل معصية ارتكبها بل ظلما وعدوانا فإنها تكون فسقا ، انتهى المراد نقلته لأجل تفسير الموالاة.

وقوله في آخر الكلام: فإنها تكون فسقا اعترضه في الحاشية للمذهب فقال: بل معصية محتملة ، انتهى .

وقال صاحب [الصحاح] : والولي ضد العدو يقال منه تولاه ، ثم قال: والموالاة ضد المعاداة ، انتهى.

قال الإمام المهدي – عليه السلام – في البحر ج٥ ص٥٠١ : المعاداة للغير أن يريد إنزال المضرة به وصرف المنافع عنه ويعزم على ذلك إن قدر عليه ولم يعرض صارف يرجح الترك ، انتهى .

قلت: وقول زيد – عليه السلام – معناه لم يكن له حليف ولا ناصر ، يوافقه قول المنصور بالله – عليه السلام – من الموالاة المحالفة والمناصرة ، انتهى.

قال في [الصحاح] والحلف –بالكسر– : العهد يكون بين القوم ، انتهى ، والمراد به التحالف على النصرة وأن لا يتخاذلوا وهو واضح ؛ لأن ذلك هو الذي يكون لدفع الذل وما ذكرته من أن الولاية تكون بالحب والصداقة وتكون بالمحالفة والنصرة هو موافق لقوله تعالى: { بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة } مع قوله تعالى: { ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ... } الآية.

نعم والمذموم من ذلك الحلف الذي يعتبر موالاة للكفار ما كان ضد المؤمنين أو عاما يدخل المؤمنون في عمومه وظاهر الكشاف في تفسير قول الله تعالى: { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين } أن الموالاة هي معاشرة ومصادقة ومحبة وهو موافق لكلام صاحب[الصحاح] لأن العدو يقابله الصديق كما يقابله الولي ، وظاهر كلام الهادي في [الأحكام] أن الميل إليهم بأي نصرة ولو بمجرد تأمينهم أن تلك موالاة لهم ، ويؤكد ذلك قوله تعالى: { بعضهم أولياء بعض } وتلك ولاية المحبة والتناصر لاتفاق الدين لا للحلف.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (٥١) (١)

(١) . { ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (٥١) } :
فإنه منهم في أنه كافر عدو لله ورسوله ، والقدر المشترك بين اليهود والنصارى هو الكفر والمعاداة لله ورسوله فهذا كقوله تعالى: { والذين كفروا بعضهم أولياء بعض } فليس المعنى أن المتولي يهودي نصراني وإنما المراد ماذكرت فهو كافر ضال مثلهم في الغواية والبعد عن الهدى ؛ لأنه قد صار من القوم الظالمين الذين لا يهديهم الله لاستحقاقهم الخذلان.
وفي قوله تعالى: { بعضهم أولياء بعض } دلالة على أنهم لا يتولون المنافقين ولا ينصرونهم فهو زجر عن موالاة اليهود والنصارى طمعا في نصرتهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٢١/٢)

فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا ×otچح !#yٹ (١)

(١) . { فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا ×otچح !#yٹ } :
{ فترى } بعد النهي عن اتخاذهم أولياء ترى { الذين في قلوبهم مرض } الذين هم شاكون مرتابون لم يدخل الإيمان في قلوبهم ، وإنما يدعونه وليسوا صادقين ، ولأجل هذا المرض لا يثقون بعزة المؤمنين ولا يعتقدون أن الله ينصرهم بل ينظرون إلى ظاهر الحال من كثرة الكفار وقوتهم المادية فهم يخافون غلبة الكفار لهم إن ثبتوا مع المؤمنين كما قال الله تعالى : { ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون } أي فأظهروا الإيمان فرقا من المؤمنين ونافقوا فرقا من الكافرين ، وقوله تعالى { يسارعون فيهم } يفيد أنهم يخالفونهم ويمشون من عند بعضهم إلى عند بعض مسرعين ؛ ذلك لأنهم يتولونهم بالصداقة والمحبة لعدم الإيمان في قلوبهم يريدون رضاهم عنهم وأن يأمنوهم إن غلب الكفر ويعتذرون عن ذلك بقولهم { نخشى أن تصيبنا دائرة } فنحن نتقيهم تقاة ..كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٢٢/٢)

فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (٥٢) ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) (١)

---

(١) . { فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (٥٢) ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) } :

الفتح الحكم فعسى الله أن يأتي بالحكم بين المؤمنين والمنافقين بعقاب عاجل للمتولين لليهود والنصارى { أو أمر من عنده } يكشف سر هؤلاء المنافقين وأنهم قد تولوا الكفار حقيقة لا مجرد اتقاء بحيث يقول الذين آمنوا في هؤلاء المنافقين أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم أيها المؤمنون حبطت أعمالهم باتخاذ اليهود أو النصارى أولياء بعد ما نهى الله عنه { فأصبحوا خاسرين } لأنهم بذلك أصبحوا منافقين في الدرك الأسفل من النار نادمين بسبب ما أصروا في أنفسهم انكشف وخرج عن كونه سرا في أنفسهم إلى فضيحتهم به وخزيهم أو لذلك والفتح ، ويحتمل الفتح الحكم بين رسول الله وبين الكفار بإعزاز دين الله وإظهاره كقوله تعالى : { إذا جاء نصر الله والفتح } بحيث يندم المنافقون على ما أسروا في أنفسهم من موالاة الكفار وتوقع أن يغلبوا المسلمين لأنهم لم ينالوا خيرا وإنما نالوا به الخزي ولم يكونوا محتاجين إليه ليأمنوا جانب الكفار ، وقوله تعالى : { أو أمر من عنده } كشف نفاقهم وفضيحتهم ، والوجه الأول عندي أرجح .

ولما حذر تعالى من تولي اليهود والنصارى ووقع بعد ما حذر منه عقب ذلك بالزجر عن الردة ؛ لأن سببها وسبب النفاق واحد فقال تعالى :كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٢٣/٢)

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة هOح 1) Iw)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة Oه ح Iw } :

هذه الآية منفصلة عما قبلها كما يفيده تصديرها بقوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا } كما يظهر في نظائرها التي تكون في موضوع جديد ويكون أولها: { يا أيها الذين آمنوا } ولو كانت تابعة لما قبلها مرتبطة به لكفى قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا } في صدر التحذير من تولي الكفار ، والإرتداد عن الدين يحتمل عودتهم إلى الكفر الذي كانوا عليه ؛ لأن الإرتداد الرجوع ، قال تعالى: { فارتد بصيرا } وهذا هو الظاهر هنا لقوله تعالى: { فسوف يأتي الله بقوم .. } إلى قوله : { ..يجاهدون في سبيل الله } لأن الكفر والخروج من الملة يستلزم الجهاد ، ويؤكد هذا وصفهم { أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين } وهذا السياق يفهم منه أن الردةستكون ، وجهاد أهلها سيكون ، وقوله تعالى: { أذلة على المؤمنين } أي لحبهم وعلمهم بحق المؤمن عند الله ، وقوله: { أعزة على الكافرين } لبغضهم في الله وتوكلهم على الله وحرصهم على تطهير الأرض منهم وقوتهم بالألفة بينهم ، وقوله تعالى: { يجاهدون في سبيل الله } يفيد صلاح نياتهم في الجهاد ليس حمية على وطن أو غضبا لأنفسهم بل لإعلاء كلمة الله في الأرض ، وقوله تعالى: { ولا يخافون لومة لائم } يشير إلى ما يكون من كثرة القتلى بحيث يلامون على سفك الدماء ، وأنهم لا يبالون بلوم من لامهم في سفك الدماء لأنه بالحق لله وفي الله.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٢٤/٢)

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) (١)

---

(١) . { ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) } :

{ ذلك } : إشارة إلى الإتيان بهم وإلى ما هداهم له من صفاتهم وأعمالهم والله واسع يسع فضله من يشاء من عباده ولا يقف على رضى المخلوقين ، وفي هذا إشارة إلى أنهم محسودون كما قال في سورة آل عمران بعدما حكى عن أهل الكتاب: { أن يؤتى أحد مثلما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم } وقوله تعالى: { عليم } يرد على من يحسد أو يستبعد بأن الله أعلم حيث يجعل ذلك ومن يصلح لذلك ومن يشكر النعمة أليس الله بأعلم بالشاكرين؟ أو أن قوله تعالى: { يؤتيه من يشاء } صرف للأذهان عن تعيين مدلولها على ظنهم وحسبانهم ، ونظير ذلك

في سورة الروم: { وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون } فالسياق يوهم أنهم يفرحون بغلب الروم على فارس ، ولكنه تعالى حول الفهم عن ذلك بقوله تعالى: { بنصر الله ينصر من يشاء } فهو غير نصر الروم لتقييده بالحال الذي أحال ذلك إلى من يشاء الله أن ينصره وهو رسول الله ومن معه نصرهم يوم بدر ، هذا وفي [الميزان] تدقيق في تفسير هذه الآية ، قال وفي الآية ملحمة غيبية ، انتهى ، وقد رجح في [الميزان] أن الردة المذكورة في الآية هي تولي اليهود والنصارى لقوله تعالى: { ومن يتولهم منكم فإنه منهم } وغيرها وهذا محتمل ؛ لأن الإرتداد الرجوع والنفاق بعد الإيمان رجوع عن الدين ولكن لا يتعين ماذكره فقد روى الهادي – عليه السلام – في [الأحكام] في باب القول فيما ذكر عن المهدي – عليه السلام – قال: وبلغنا عن رسول الله أنه قال: (تكردس الفتن في جراثيم العرب حتى لا يقال: الله ، ثم يبعث الله قوما يجتمعون كما يجتمع قزع الخريف فهنالك يحيي الله الحق ويميت الباطل) انتهى .

فأما الشرفي رحمه الله فقال:قال في [البرهان] وغيره هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين – عليه السلام – ، قال الشرفي: وهذا قول أهل البيت جميعا وشيعتهم رضي الله عنهم ويقولون أنها نزلت في عهد علي – عليه السلام – كرم الله وجهه ويدل عليه وجهان:

الأول: أنه لما دفع الراية إلى علي – عليه السلام – يوم خيبر قال: (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) وهذا هو الصفة المذكورة في الآية فشهد له بذلك ورقته علي المؤمنين وغلظته على الكافرين هي أشهر من الشمس .

والوجه الثاني: أنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله: { إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون } وهذه الآية في حق علي – عليه السلام – فكان الأولى جعل ما قبلها أيضا في حقه انتهى .

وقد رجح هذا الرازي في تفسيره لأجل حديث الراية ، ويمكن الربط بين هذه الآية الكريمة والآيتين الآتيتين بعدها بأن السياق لبيان حماية الله لدينه ودفع أعدائه عن هدمه ، فبين في هذه الآية أنه من يرتدد عن دينه فسوف ينصر الله دينه بالقوم الذين يأتي بهم الصالحين لذلك لأجل صفاتهم المذكورة فيجاهدون في سبيل الله وفي الآيتين الآتيتين بعدها يبين أن عليا – عليه السلام – هو قائد حزب الله ورسوله وأن حزب الله هم الغالبون كما أنه – عليه السلام – مع الرسول أكبر المجاهدين في سبيل الله بعد رسوله فالسياق لنصر دين الله بالقيادة الصالحة ، وفائدة ذلك: أن لا يتوهم المنافقون عدم صلاحية الموجودين لذلك من سياق الآية التي فيها: { فسوف يأتي الله بقوم } ونظير هذا ماتقدم في آل عمران { ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف.. } الآية ، ثم قال تعالى : {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف... } الآية ، راجع تفسيرها هناك.

فإن كانت الآية : { فسوف يأتي الله بقوم } في علي – عليه السلام – وخاصته مثل عمار وأبي أيوب ومحمد بن أبي بكر والأشتر فلا إشكال من ناحية الربط.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٢٥/٢)

---

ur #$!©%دu'ur tûïi™كq!è&م¼ #$!ه ur٩دڤ–٣نNم (خuK¯R$ ƒur مtbqè?÷s #$٩ء¢=ƒ no4qnم(ةJكtbq #$!©%دtûïi نZtB#uم(#q #$!© tBur OAuqtGtƒ` اخخب 'u؛.دèمNèdur tbq #$٩"¨.no4qx #$!" mد"÷<sù z*خb¨ نZtB#uمur (#q#$!©%دu'ur tûïi™كq!s&م¼ ق7tbqç Oèdخ="#$t9 اخدب (١)

---

(١) . { ur #$!©%دu'ur tûïi™كq!è&م¼ #$!ه ur٩دڤ–٣نNم (خuK¯R$ ƒur مtbqè?÷s #$٩ء¢=ƒ no4qnم(ةJكtbq #$!©%دtûïi نZtB#uم(#q #$!© tBur OAuqtGtƒ` اخخب 'u؛.دèمNèdur tbq #$٩"¨.no4qx #$!" mد"÷<sù z*خb¨ نZtB#uمur (#q#$!©%دu'ur tûïi™كq!s&م¼ ق7tbqç Oèdخ="#$t9 اخدب } :

الله ولي المؤمنين يدير شؤونهم ويحسن رعايتهم ويهديهم كما قال تعالى: { الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات } وقال تعالى حاكيا: { إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين } وفي الحديث النبوي: (اللهم اهدني فيمن هديت وتولني فيمن توليت) فهذه ولاية خاصة حاصلها حسن الرعاية ، والرسول ولي الذين آمنوا يحسن رعايتهم لأنه كما قال تعالى: { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم } وعلي – عليه السلام – يحسن رعايتهم ؛ لأنه يحبهم في الله يواسيهم بنفسه ولا يستأثر عليهم بشيء ويسير فيهم سيرة رسول الله لا يضعف عنها بقلة علم ولا بقلة نصح للمؤمنين ولا يعجز عن تحمل أعبائها كيف لا وقد خصه بقوله: (من كنت مولاه فعلي مولاه) وبقوله :(أنت مني وأنا منك) وقوله :(أما ترضي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي) فهو شريكه في أمره إلا النبوة وهو وزيره كما كانا هارون – عليه السلام – لموسى – عليه السلام – قال تعالى: { وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا } وذلك كله يدل على كمال كفاءته لولاية المؤمنين الولاية العامة لإصلاح مجتمعهم ودفع المفسدين عنه وحفظ دينهم وحمايته من أعدائهم ،

فولاية الله سبحانه هي أصل الولاية ؛ لأنه لطيف بعباده وهو أرحم الراحمين ، وولاية رسوله من جملة ولايته للمؤمنين ، وكذلك ولاية الإمام علي – عليه السلام – هو رحمة للمؤمنين ونعمة وحسن رعاية من الله لهم ومن رسوله .

أما نزول هذه الآية في علي – عليه السلام – فقال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال القاسم بن إبراهيم – عليه السلام – : لاخلاف بين الأمة أنها نزلت في علي – عليه السلام – ولم يدعها أحد غيره، انتهى.

قال الشرفي: ونزول هذه الآية في علي – عليه السلام – وكونه المراد بها هو إجماع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم وإجماعهم حجة للأدلة المعلومة من الكتاب والسنة ، اهـ .

وقد قطع بنزولها في علي – عليه السلام – الهادي – عليه السلام – كما أفاده في أول كتاب الأحكام ، وعقد المنصور بالله – عليه السلام – لذلك فصلا في [الشافي] ج١/ ص١٢٢ جمع فيه روايات عديدة من تفسير الثعلبي والسنن الكبرى للنسائي ومناقب ابن المغازلي قال: وقد أوردنا أسانيد أهل البيت في ذلك في آخر الكتاب وهو فصل مفيد فليراجع ، وكذلك الحاكم الحسكاني بسط في تحقيق نزولها في علي – عليه السلام – فرواه عن ابن عباس رضي الله عنهما بسنده عن مجاهد عنه ، وبسنده عن طاووس عنه ، وبسنده عن الضحاك عنه ، وبسند عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس ، وبه عن سفيان قال: وحدثني الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فذكر ذلك مع تفسير للآية وقصة نزولها في علي – عليه السلام – ، وراه في شواهد التنزيل أيضا عن أنس بن مالك بإسناد عن إبراهيم بن هدية عن أنس ، وخرجه المحمودي من فرائد السمطين للحموئي ، ومن [كفاية الطالب] للكنجي ، وأخرجه في شواهد التنزيل عن أنس أيضا من رواية حميد الطويل عن أنس ، وأخرجه في شواهد التنزيل بإسناده عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه ، بإسناده عن عطاء بن السائب وابن جريج ، وخرجه المحمودي في تخريج شواهد التنزيل من رواية أبي نعيم في الحلية بإسناده عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ، ورواه في شواهد التنزيل بإسناده عن عمار ابن ياسر وعن جابر رضي الله عنهما ، ورواه في شواهد التنزيل عن علي – عليه السلام – ، وخرجه المحموي في تخريج شواهد التنزيل من عدة كتب ، وأخرجه في شواهد التنزيل بإسناده عن المقدادبن الأسود وبسند عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنهما ، وخرجه المحمودي ، ورواه في شواهد التنزيل بسند عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه بسند عن عبد الله بن محمد ابن الحنفية ، وأخرج في[شواهد التزيل] بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: { إنما وليكم الله ورسوله } نزلت في علي خاصة ، وقوله: { ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا } في علي ، وقوله : { بلغ ما أنزل إليك } نزلت في علي ، أمر رسول الله أن يبلغ فيه فأخذ بيد علي وقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه ... الخ). وخرجها المحمودي من مناقب محمد بن سليمان ، قال المحمودي: ورواه أيضا أبو الليث السمرقندي ، ثم قال: وقريبا منه رواه أبو نعيم مطولا بسندين عن ابن عباس في كتابه [ما نزل من القرآن في علي] ثم بسط في التخريج

فليراجع ، ونقله في التخريج من [أمالي المرشد بالله الخميسية] كما في الأمالي بتمامه ، ثم أخرج في [شواهد التنزيل] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نزول قول الله تعالى: { ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا } في علي – عليه السلام – من طريقين ، وفي [الدر المنثور] للسيوطي وأخرج الخطيب في المتفق عن ابن عباس قال: تصدق علي بخاتمه وهوراكع فقال النبي للسائل :من أعطاك هذا الخاتم ؟ قال: ذاك الراكع ، فأنزل الله: { إنما وليكم الله ورسوله.. } وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس في قوله : { إنما وليكم الله ورسوله .. } الآية قال: نزلت في علي بن أبي طالب ، وأخرج الطبراني في الأوسط وبن مردويه عن عمار بن ياسر قال: وقف بعلي سائل وهو راكع في صلاة التطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل فأتى رسول الله فأعلمه ذلك فنزلت على النبي هذه الآية: { إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون } فقرأها رسول الله على أصحابه ثم قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال: نزلت هذه الآية على رسول الله في بيته: { إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ... } إلى آخر الآية فخرج رسول الله فدخل المسجد وجاء الناس يصلون بين راكع وساجد وقائم يصلي فإذا سائل فقال ياسائل :هل أعطاك أحد شيئا؟ قال: لا ذاك الراكع – لعلي ابن أبي طالب – أعطاني خاتمه .

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن سلمة بن كهيل قال: تصدق علي بخاتمه وهو راكع فنزلت: { إنما وليكم الله .. } الآية ، وأخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله : { إنما وليكم الله ورسوله } الآية نزلت في علي بن أبي طالب تصدق وهو راكع.

وأخرج ابن جرير عن السدي وعتبة بن حكيم مثله الخ ، التخريج فليراجعه من أراد الزيادة ، وقد حكى الأميني في الغدير عن ابن تيمية أنه نفى ذلك في كتابه المسمى[منهاج السنة] ورد الأميني عليه بنقل نزولها في علي – عليه السلام – من ستة وستين كتابا في بعضها ذكر إتفاق المفسرين على نزولها في علي – عليه السلام – ومحل ذلك في الغديرج٣ ص١٥٥ وما بعدها إلى صفحة١٦٢ .

يؤكد هذه الروايات أنه تعالى قال: { ويؤتون الزكاة وهم راكعون } فجملة: وهم راكعون حال من يؤتون أي يؤتون الزكاة حال الركوع أو الركعة ، وحمل الركوع على المعنى الشرعي الأكثر استعمالا هو أرجح من حمله على الخضوع ؛ لأن كلام الشارع يتبادر منه المعنى الشرعي مع أنه يمكن حمله على المعنيين أو المعاني لإجتماعها في الركوع ، فظهر أنها علامة تميز مصداق الثلاث الجمل: { الذين آمنوا })) { الذين يقيمون الصلاة } { ويؤتون الزكاة } فتعين مصداقها الذي هو المراد بإثبات الولاية له كما هي لله ورسوله بقوله: { وهم راكعون } .

فأما استعمال الجمع ومصدقه واحد ففي القرآن الكريم: { هم الذين يقولون لا تنفقوا } { يقولون لئن رجعنا إلى المدينة } وذلك عبد الله ابن أبي ، وقال تعالى: { الذين قال لهم الناس } وذلك نعيم بن مسعود ، ويؤكد ذلك أيضا أن الخطاب للذين آمنوا المذكورين في الآية قبلها فلو كان المراد العموم

لقال: وبعضكم أولياء بعض كما في سورة الأنفال: { بعضهم أولياء بعض } وفي سورة التوبة: { والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض } لأن قوله: { والذين آمنوا } لو كان المراد به العموم في سياق خطاب الذين آمنوا يكون بمنزلة مالو قال: وأنتم ولي أنفسكم ، والشيء الواحد لا يكون ولي نفسه ، ولذلك يكون التعبير ضعيفا ؛ لأن الجملة كالشيء الواحد ، والموالاة بمنزلة التقارب لا تكون إلا بين شيئين ، بل لو كان المراد ذلك لقال: وأنفسكم بدل { الذين آمنوا } ..الخ.

ولا يقال: إن الولاية للصالحين من الذين آمنوا لا لكلهم فارتفع الإشكال ؛ لأنا نقول إن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من صفات المؤمنين والخطاب لهم فلا خصوص ، أما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فلقوله تعالى: { والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة } فدلت على أن من لم يكن كذلك فليس بمؤمن ؛ لأن الآية في سياق الفرق بين المنافقين والمؤمنين فقال تعالى في المنافقين: { المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ... } إلى آخر الآيات في زجرهم ، ثم قال تعالى: { والمؤمنون والمؤمنات } الآية.

وأما أن الخطاب لهم فلأن أول الكلام: { يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم } فهي تدل على أن الخطاب لهم في حال إيمانهم قبل أن يرتدوا تحذيرا لهم من الإرتداد ومن خرج من الإيمان إلى ترك إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة خاضعا لله فقد ارتد عن دينه الذي هو الإيمان ؛ لأنه رجع إلى العصيان عن الإيمان ، والإرتداد الرجوع وإن خصة العرف بالخروج من الملة فالقرآن لا يفسر بالعرف الحادث بعد نزوله ، فظهر أنه لا يصح أن يكون { الذين آمنوا } في الآية مصداق الذين آمنوا في التي قبلها بل هو مخصوص وذلك يؤكد الروايات أنها نزلت في علي – عليه السلام – .

فأما فائدة استعمال العموم بدل الخصوص فلعل الحكمة والله أعلم أنه لو قال: والمؤمن الذي يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وهو راكع وكان علي – عليه السلام – هو المعروف بإيتاء الزكاة في حال ركوعه لكان ذلك كالتصريح باسمه ولم يكن من الحكمة التصريح في علي – عليه السلام – لكثرة أعدائه وشدة عداوتهم وكثرة حساد الذين يؤيد الله بهم الدين ولا يتحملون التصريح بإمامة على – عليه السلام – ، أو للإبتلاء في هذا الباب وفتنة المسلمين كما فتن الذين من قبلهم ، والله أعلم.

وقوله تعالى: { ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا } توليه لله اتخاذه وليا بطاعته واتباع رسوله ، والكون مع الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة إلى آخر الآية في صفه وعلى طريقته ، كقوله تعالى: { اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } وقوله تعالى: { فإن حزب الله هم الغالبون } يفيد أن من كان مع الله ومع رسوله ومع الإمام علي – عليه السلام – فهو من حزب الله الغالب بنصر الله.

وقوى أن حزب الله هم الغالبون بـ(إن) وقصر القلب الحاصل بتعريف إسم إن وخبرها المفيد للحصر وضمير الفصل ، وهذا ترغيب عظيم ومؤكد لكون السياق في نصر الله لدينه بأوليائه من قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا من يرتدد } وحزب الله الذين يتولون الله ورسوله ولا يوادون من حاد الله ورسوله كما قال تعالى: { لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ... } إلى قوله تعالى: {

..أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون } قال في [الصحاح] : حزب الرجل: أصحابه ، انتهى .
فأما الحصر في قوله تعالى: { إنما وليكم الله } والقصر فهو إما بالنسبة إلى وقت نزول الآية إلى آخر عهد علي – عليه السلام – حتى قتل ، ثم بعده يجب تولي أشبه الناس به في حسن الرعاية للناس بطريقة القياس وبعموم الأدلة كقوله تعالى: { اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } وإما للدلالة على أن من بعده من أئمة الهدى لا يبلغ مبلغه في الولاية التي قرنها الله بولاية الله ورسوله وإن بلغوا في حسن الرعاية ما بلغوا فرعايتهم للمؤمنين دون رعايته – عليه السلام – فصح القصر على الدوام لكن هذا يصير القصر مجازا كقول الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

فتعين أن الحصر بالنسبة إلى وقت نزول الآية ، والموجودين إ ذ ذاك.
والأولى أن يقال: هذا قصر القلب وهو في سياق التحذير من الردة يبين أنه لا حاجة للردة ولا فائدة لها في التخلص من خوف غلبة الكفار ، فإن الله ورسوله والذين آمنوا يحسنون رعاية الذين آمنوا ، وإذا تولوهم فإنهم غالبون ، فكأنه قيل: إنما وليكم الله لا رؤساء الكفر كما يتوهم المنافقون ، وعلى هذا لا إشكال في الحصر والقصر ؛ لأنه ليس قصر الإفراد بل هو كقوله تعالى: { ولا تكسب كل نفس إلا عليها } أي لا على غيرها ولا ينافي أنها تكسب لنفسها .
فإن قيل: يلزم من هذا أن له ولاية في عهد الرسول والمعلوم خلافه.
قلنا: لا نسلم قولكم: والمعلوم خلافه ، وإنما المعلوم أن ولايته كانت لا تعارض ولاية الرسول بل هي وزارة وخلافة إذا غاب ، وحديث الغدير وحديث المنزلة يدلان على ولايته في عصره .

ولما تقدم قبل هذه الآيات الثلاث الزجر عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وكانت حال المسلمين وحال اليهود والنصارى تستدعي مزيدا من التحذير قال تعالى:كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٢٦/٢)

#$!©%دGs? tûï,د›نw (#rن ںZtB#uمq#) #$!©%دtƒ tûï"¯'r%‰ڑpk$
#$!©%دïڑ iBد`ès9ur zدèd $Y6"Yrâ# ٹدuZƒ٣نB$# OھsƒنÀr#)
ur #$٣٩نےs% u'$O٦=خ٣نB Oد` #$٣٩إtG"=| &qè?ré#)
اخذب B÷soBدZدtûü .نêYنL (خqà)¨?$#ur ©!$# b#) &rr÷٩د›u$!نu
B$# ھsƒ›نydr$ #$٩ءَ¢=o4qnح (خ>tR 'n$ٹur NçG÷ƒy(خsŒ#
ètƒ÷(ة=Qqs% w tbqèس/خ'g¯RrكsŒ O؛٩دپڑ ès9urدèd $Y6"#Yrâ
اخرب (١)

---

(١) . { $ڑpk‰%r'¯"ïûtƒ tد%©!$# (#qمuZtB#uں نr#) wن›د, ?Gs
iBد`ès9ur zدèd $Y6"Yrâ# ٹدuZƒ٣نB$# Oھsƒ›نr#) #$!©%دtûï
ur #$٣٩نےs% u'$O٦=خ٣نB Oد` #$٣٩إtG"=| &qè?ré#) #$!©%دïڑ
اخذب B÷soBدZدtûü .نêYنL (خqà)¨?$#ur ©!$# b#) &rr÷٩د›u$!نu
B$# ھsƒ›نydr$ #$٩ءَ¢=o4qnح (خ>tR 'n$ٹur NçG÷ƒy(خsŒ#
ètƒ÷(ة=Qqs% w tbqèس/خ'g¯RrكsŒ O؛٩دپڑ ès9urدèd $Y6"#Yrâ
اخرب } :

إلى قوله تعالى : { ..والله لا يحب المفسدين } فبين – سبحانه وتعالى – أن اليهود والنصارى يقبح اتخاذهم أولياء مع قبحه لكونهم أعداء لله يقبح لاتخاذهم ديننا الذي هو دين الله هزؤاولعبا ، وفي هذا الإسناد إثارة لحمية المسلم حيث علق النهي على الموصول لأجل أن الصلة تستدعي الحمية المانعة من موالاتهم ؛ ولذلك قال تعالى: { دينكم } ولم يقل ديني ، وأما قوله تعالى: { من الذين أوتوا الكتاب } فهو تشنيع عليهم لأنهم لو اهتدوا بالكتاب لآمنوا بمحمد واتبعوا دينه ولكنهم لم يهتدوا وغلبهم الحسد فاتخذوا الإسلام هزؤا ولعبا ؛ جرأة على الله وخبثا ، فكيف يتخذهم المسلم أولياء .

وقوله تعالى: { والكفار } من عطف العام على الخاص ليفيد النهي عن اتخاذ الكفار أولياء من أي صنف كانوا من أصناف الكفار ، وقوله تعالى: { واتقوا الله إن كنتم مؤمنين } تأكيد للنهي ودلالة على أنه يعذبهم إن عصوا ، كقوله تعالى في أول السورة: { واتقوا الله إن الله شديد العقاب } وقوله تعالى: { إن كنتم مؤمنين } يفيد أن شأن المؤمنين تقوى الله ؛ لأن الإيمان الصحيح الصادق يبعث على تقوى الله ويأمر بها ؛ لأنه يسبب الخوف من الله والحذر من عذابه ، وموقع هذه الجملة في هذا السياق مناسب غاية المناسبة ؛ لأن المؤمن لا يتولى الذي كفروا ، والحث هنا على التقوى حث على ترك اتخاذهم أولياء كما هو واضح ، قال تعالى: { لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله } وقال تعالى: { ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء .. } الآية ، ففي قوله تعالى: {

إن كنتم مؤمنين } إلهاب وتحريك للذين آمنوا ليجتنبوا اتخاذ الكفار أولياء ، ثم عطف على قوله تعالى: { اتخذوا دينكم هزؤا ولعبا } عطفا خاصا بالصلاة ؛ لأن اتخاذها هزؤا واضح في القبح والدلالة على قسوة اليهود وعنادهم حيث اتخذوها هزؤا ولعبا ، وهي خضوع لله وتذلل وعبادة لا ينكرها دينهم ، فقال تعالى: { وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزؤا ولعبا } ثم سجل عليهم بإهمال العقول ، وأنهم صاروا كالأنعام بل هم أضل فقال: { ذلك بأنهم قوم لا يعقلون } فدل على أن جرأتهم على اتخاذ الصلاة هزؤا ولعبا سببها إهمال العقول ، ولو استعملوا عقولهم لعلموا أنه لا ينبغي الإستهزاء بعبادة الله وذكره.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٢٧/٢)

جاهز

@è% يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون (٥٩) (١)

---

(١) . { قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون (٥٩) } :

{ هل تنقمون } : هل تعيبون وتنكرون منا إلا أن آمنا ، وهذا ليس عيبا ، قال الراغب: نقمت الشيء ونقمته إذا أنكرته باللسان أو بالعقوبة .

ولكنهم عابوه كفرا منهم بالقرآن وبالإنجيل إذا كان المنكرون هم اليهود ؛ لأن قوله تعالى: { وما أنزل من قبل } يعم الإنجيل .

وقوله تعالى : { وأن أكثركم فاسقون } قيل في تفسيره: إنه نظير قول القائل هل تكره مني إلا أني عفيف وأنك فاجر ، وهل تنكر مني إلا أني غني وأنك فقير .

قلت: إن صح وقوع هذا في لغة العرب بلفظ . مني . في المثالين وبلفظ . وأنك . لا يستقيم في سياق { هل تنقمون } أي تنكرون بالقول ، لقوله تعالى: { وأن أكثركم فاسقون } وإن لم يصح فالراجح أن أهل الكتاب حملوا ذنوب فساقهم على المسلمين وجعلوا إسلام المسلمين هو سبب فسقهم ، وذلك يتصور بطريقتين:

الأولى: ترغيب اليهود لفساقهم بإباحة الجريمة لئلا يدخلوا في الدين الذي يحرمها قولا وفعلا.
الثانية: أن يسهلوها لهم ويجعلوها مكفرة بثباتهم على اليهودية ويزعموا لهم أنها صغيرة في جنب الدخول في الإسلام ، فلما كثر الفسق وانتشر بجعله خيرا من الإسلام وبتهوينه لفساقهم لئلا يدخلوا في الإسلام حملوا الإسلام عيبهم وجعلوه سبب فسقهم ، فكان عندهم من جملة ما يعيبون به الإسلام أنه سبب لإنتشار الفسق فيهم ، والله أعلم .
وعلى هذا يصح التركيب أنهم يعيبون من المؤمنين الإيمان ويعيبون منهم فسق فساقهم مخالفة للعدل الذي يقضي بأنها لا تزر وازرة وزر أخرى .
وقد ذكر في [الكشاف] وجوها أربعة لقوله تعالى: { وأن أكثركم فاسقون } فراجعه إن شئت.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٢٨/٢)

قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت (١)

---

(١) . { قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت } :
{ قل } يا محمد لأهل الكتاب يا أهل الكتاب المنتسبون إليه { هل أنبئكم بشر } مما نقمتم علينا وهو الإيمان وليس مما يحق أن ينقم وفسق أكثركم ونحن منه براء وبريئون فما بقي إلا الإيمان فشر منه يرجعا عند الله عمل من لعنه الله بذنبه وغضب عليه ، وقد مر في السورة: { لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية .. } إلى آخر الآية ، ومر في سورة النساء تعديد جرائمهم ، وجعل منهم القردة كما مر في سورة البقرة ويأتي في سورة الأعراف .
وقوله: { والخنازير } لعلهم قوم من النصارى كفروا بعد إنزال المائدة عليهم قال الله : { إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين } .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] قيل: القردة أصحاب السبت والخنازير كفار أهل مائدة عيسى – عليه السلام – وقال ابن عباس: المسخين في أصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشائخهم خنازير ، ثم قال الشرفي: وقال الهادي – عليه السلام – فهؤلاء قوم من بني إسرئيل مسخوا حين عتوا

واجترأوا فجعلوا صور ما ذكره الله – جل جلاله – عن أن يحويه قول أو يناله من القردة والخنازير ، فجعل الله لهم تحويله لصورهم وإحلاله لنقمه سبحانه بهم على ما كان من فعلهم وما استوجبوا بجرمهم ، انتهى المراد .

وماذكره الهادي – عليه السلام – يكفينا ؛ لأنه الذي دل عليه القرآن من دون تعيين الممسوخين خنازير ، وأما ما حكي عن ابن عباس فلا يصح عنه ؛ لأنه مخالف للقرآن ؛ لأنه دل على مسخ الذين اعتدوا في السبت من أصحاب القرية قردة وذلك ينافي جعلهم قسمين قردة وخنازير ، وابن عباس أجل من أن يخفى عليه أو يعتمد من الأساطير على رواية تخالفه .

{ وعبد الطاغوت } : حكى الشرفي في [المصابيح] عن الهادي – عليه السلام – أنه قال: وأما قوله: { وعبد الطاغوت } فإنما هو على التقديم والتأخير أراد سبحانه هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وعبد الطاغوت ، فجعلها في اللفظ مؤخرة وهي في المعنى مقدمة ، وفعل الطاغوت فليس من فعل الله ؛ لأن الطاغوت هو ما أطغى من الفعل وأفسد من العمل وخالف الحق وجنب عن الصدق ، انتهى .

قلت: قد جعل الهادي – عليه السلام – في آية الوضوء { أرجلكم } معطوفا على { وجوهكم } ومثل ذلك أراد هنا ؛ ولعله جعل اللعنة والغضب شيئا واحدا هو خذلانهم وسلبهم التوفيق بحيث يصيرون إلى عذابه.

والعبادة للطاغوت إما أنها طاعتهم للشيطان في ترك عبادة الله على قول الناصر – عليه السلام – أن الطاعة للشيطان عبادة له كما بسطه في [البساط] وبناء عليه يصلح تفسر الطاغوت بالشيطان وبالملوك الذين كانوا يأمرونهم بالفساد في الأرض حين علوا علوا كبيرا ، ويحتمل أن عبادتهم للطاغوت إيمانهم بهم ، وقد مر التفسير له عند ذكر قوله تعالى: { يؤمنون بالجبت والطاغوت } والظاهر أن منهم من عبد الطاغوت حقيقة ولذلك عابه عليهم لكونهم أهل كتاب يدعون اتباعه.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٢٩/٢)

أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل (٦٠) (١)

---

(١) . { أولئك } أهل الصفات المذكورة { شر مكانا } أي أسوأ حالا ، والمراد أنهم أشر في أنفسهم ، ونسب ذلك إلى مكانهم على طريقة الكناية ، كقول الشاعر:

يبيت بمنجاة من اللؤم بيتها ... إذا ما بيوت بالملامة حلت

... والمعنى واضح ؛ لأن الله – سبحانه وتعالى – لا يغضب عليهم ويلعنهم إلا وهم شر ، ولا يجعل منهم القردة والخنازير إلا وهم شر ؛ ولأن من عبد الطاغوت شر ممن آمن بالله وكتبه ، وهذه المفاضلة كما في قوله تعالى: { أفمن يلقي في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة } .
{ وأضل عن سواء السبيل (٦٠) } :
{ سواء السبيل } : المستوى من الطريق فلا انحراف فيه ولا طلوع ولا نزول فهو لا يخفى على السائر فيه ولا يضل عنه إلا من هو أعمى البصر والبصيرة ، وهؤلاء الموصوفون من أهل الكتاب قد شبهوا به لأنهم عدلوا عن الصراط المستقيم وهو بين لهم في التوراة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٣٠/٢)

وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به (١) والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦١) (٢)

---

(١) . { وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به } :
أي هؤلاء الذي نهاكم الله عن اتخاذهم أولياء الذي اتخذوا دينكم هزؤا ولعبا إذا جاؤوكم { قالوا آمنا } استهزاء بكم ؛ لأنهم قالوا ذلك وقد دخلوا مضمرين للكفر مصرين عليه مصاحبين له ، وهم وإن قالوا { آمنا } قد خرجوا من عندكم بالكفر كما دخلوا به .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦١) } :
في الماضي قبل مجيئهم وعند دخولهم وخروجهم ، فكيف تتخذونهم أولياء وقد نهاكم العليم الخبير؟ .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٣١/٢)

وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت (١) لبئس ما كانوا يعملون (٦٢) (٢)

---

(١) . { وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت } :

{ وترى كثيرا منهم } : أي ذلك ظاهر منهم مكشوف لا يتسترون فيه كما في زماننا الذي حذا كثير من أهله حذو أهل الكتاب.

والإثم: المعاصي كشرب الخمر ، والعدوان: التعدي على الناس ، ومسارعتهم إلى ذلك: إقدامهم عليه بسرعة لفرط جرأتهم على الله وحرصهم على الإثم والعدوان.

{ وأكلهم السحت } : أكلهم الربا والرشوة ، وأكلهم أموال الناس بالباطل بأي طريقة كان.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { لبئس ما كانوا يعملون (٦٢) } :

أي والله لبئس ماكانوا يعملون ، فكيف تتخذونهم أولياء وهم ضالون مضلون.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٣٢/٢)

لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (٦٣) (١)

---

(١) . { لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (٦٣) } :

لبئس ماكان الربانيون والأحبار يصنعون من المصانعة بترك النهي والمداهنة ، كأن ذلك كان صناعة لهم يتقنونها لتحصيل أغراض دنيوية ، فهلا كانوا ينهونهم وهم ربانيون وأحبار.

قال الشرفي: والربانيون علماء أهل الإنجيل ، والأحبار علماء اليهود.

قلت:الراجح أن الأحبار علماء الفريقين بدليل قوله تعالى: { اتخذوا أحبارهم } .

والربانيين: الدعاة إلى الرب فهم يدعون الناس إلى تقوى الله ويأمرونهم بالبر من دون أن ينهوا فاعل المعصية عنها بعينه ، ولعل الحرام سمي سحتا ؛ لأنه سبب لهلاك صاحبه وخلوده في النار ،قال تعالى: { فيسحتكم بعذاب } أي يهلككم بعذاب ، وقال الراغب: السحت: القشر الذي يستأصل قال تعالى: { فيسحتكم بعذاب } وقرئ { فيسحتكم } يقال سحته وأسحته ، ومنه السحت للمحظور الذي يلزم صاحبه العار كأنه يسحت دينه ومروءته ، انتهى .

قوله: القشر الذي يستأصل: عبارة [الصحاح] : وسحت الشحم عن اللحم إذا قشرته عنه ، وفي [الصحاح] : وسحته وأسحته أي استأصله ، انتهى.

وعلى هذا فمعنى: { فيسحتكم بعذاب } فيستأصلكم أي يهلككم أجمعين ، وعلى هذا فلا ينبغي اتخاذهم أولياء حتى الربانيين والأحبار.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٣٣/٢)

وقالت اليهود يد الله مغلولة (١) غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا (٢) بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء (٣)

---

(١) . { وقالت اليهود يد الله مغلولة } :

مجاز عن البخل أخزاهم الله ، قال تعالى: { ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط } أي لا تترك الإنفاق ولا تكثره إلى حد يجحف بحالك .

وفي تفسر الإمام زيد ابن علي عليهما السلام لغريب القرآن: { وقالت اليهود يد الله مغلولة } معناه هو يحب أن يمسك خيره ، انتهى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا } :

هذا من الرد على اليهود يعبر عن سخط الله عليهم ومقته لمقالتهم كقوله تعالى: { قتل أصحاب

الأخدود } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٣) . { بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء } :

فأكذب الله قولهم وبين أن عطاءه مستمر على ما يشاء ؛ لأنه حكيم في إنفاقه في البسط ، والتقدير: وسواء في قدرته وكرمه بسط أوقدر فلا يصعب عليه البسط ولا يقدر لمشقة البسط – سبحانه وتعالى – عما يقول الظالمون علوا كبيرا .
قال في[الكشاف] : غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ، ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط حتى أنه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزيلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال ، وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله :

جاد الحمى بسط اليدين بوابل ... شكرت نداه تلاعه ووهاده

... ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله:
إذ أصبحت بيد الشمال زمامها
ويقال: بسط اليأس كفيه في صدري ، فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الأعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية ، انتهى باختصار .
ويدل على ماذكره قول الله تعالى: { واخفض لهما جناح الذل من الرحمة } وليس للمخاطب جناح حقيقي ، ومن الغلط البين تسمية هذه الآية وأمثالها باسم آيات الصفات ، فليست من الصفات ، وإنما تسميتها دعوى بلا بينة ؛ لأنها لم تخرج في القرآن مخرج الوصف لله سبحانه بأن له أعضاء – سبحانه وتعالى – وإنما جاءت مجيء ذكر الجناح واليد في قوله تعالى: { واخفض جناحك } { واخفض لهما جناح الذل } { إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد } ألا ترى أن هذا السياق ليس بصدد وصف العذاب بأن له يدين كذلك قوله تعالى: { مصدقا لما بين يديه } في القرآن وفي الإنجيل .
ومن العجيب قولهم: إن اليد يختلف معناها بحسب ما تضاف إليه ، ولم ينزهوا الله عن اليد ، فكأنهم يقولون: معنى الآية إثبات اليد ؛ لأن لله يدا ، وعلى هذا فاحتجاجهم بالآية دور ؛ لأنهم أثبتوا له يدا بناء على احتجاجهم بالآية ، ولو أنصفوا مع قولهم إن اليد يختلف معناها بحسب ما تضاف إليه لقالوا ليس المعنى إثبات اليد ؛ لأن الله ليس له أعضاء أو على أقل تقدير وقفوا في المعنى ولم يثبتوا يدا بناء على أصلهم أنه يختلف معناها بحسب ما تضاف إليه ، وهم لم يثبتوا للعذاب يدا بناء على هذا الأصل ،

ومن الدور قولهم: نثبت ما أثبت القرآن ؛ لأنه مبني على أنه أثبت عضوا لا على مجرد لفظ اليد ، ألا ترى أنهم لا يقولون نثبت للقرآن يدين كما أثبت في قوله: { مصدقا لما بين يديه } ولا يقولون نثبت للعذاب ما أثبت القرآن لقوله تعالى: { بين يدي عذاب شديد } فظهر أنهم قاسوا الخالق على المخلوقين ، وجعلوا الإضافة في قوله: { بل يداه } كإضافة اليد إلى المخلوق ، وزعموا أن خلاف ذلك تعطيل بناء على هذا القياس ، وهو جهل عظيم ، بل التعطيل تشبيه الخالق بالمخلوق ؛ لأنه يلزم منه عبادة غير الله أي الصورة التي يتوهمونها ونفي غيرها بناء على أنها هي الله سبحانه وتعالى.
فأما البلكفة فلا تفيدهم بعد إثبات العضو ، وكذلك قولهم: تليق بجلاله لأنه ليس إلا كقولنا: للملائكة أجنحة ليست كأجنحة الطيور التي نراها بل أجنحة تليق بهم وتناسب خلقهم وأجسامهم ، فكما أن هذا لا ينفي الجناح الذي هو آلة الطيران فكذلك قولهم بزعمهم تليق بجلاله ؛ لأنه يكفي عندهم نفي كونها من جنس أيدي المخلوقين ، وليس إلا كنفي كون أجنحة الملائكة من جنس أجنحة الطيور التي نراها ؛ لأنهم لا يعنون بقولهم: تليق بجلاله نفي العضو ، فلذلك لم يخلصهم من التشبيه ، وبالله التوفيق .
ولو خرج ذكر الإعضاء في القرآن مخرج وصفه تعالى بأسمائه الحسنى كما في آخر سورة الحشر بأن كان فيه مثلا: هوالله ذو الوجه واليدين والجنب والعين لساغ جعل ذلك من المتشابه ، فأما وهو لم يقع كذلك فليس ينبغي عده من المتشابه إلا عند من يجهل اللغة العربية ، ولذلك لم يجر عند العرب إشكال في معناها ؛ لأنه لا يخطر ببال العربي الأصيل إلا المعنى الذي سيق له الكلام كإثبات العطاء المستمر ، ولا يخطر بباله إثبات عضو لله – سبحانه وتعالى – وعلى هذا فتسمية هذه وما أشبهها آيات الصفات بدعة ؛ لأنها لم تكن في الكتاب هذه التسمية ، ولا السنة ، وإنما ابتدعوها ليتوصلوا إلى إثبات مذهبهم.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٣٣٤)

وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا (١) وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة (٢)

---

(١) . { وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا } :
وذلك لخذلانهم واستمرارهم في الكفر ، مثل أن يسمعوا قول الله تعالى: { من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا } فيزعموا أنه فقير ؛ لأنه بزعمهم طلب القرض ولا يطلبه إلا الفقير وغير ذلك من أنوع

الطغيان والكفر يتوصلون إليه بالقرآن كما مثلت فيزيدهم طغيانا وكفرا.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة } :

إلقاء الشيء: طرحه ، والعداوة: المباينة مع البغض وإرادة الضر بالغير ، وذكر إلقاء العداوة دون جعل العداوة يشعر بسهولة تحصيلها بينهم وهو على معنى التخلية مع فطرة النفوس على قبول العداوة والبغضاء بسبب ما يقع بينهم من اختلاف مع تركهم تحكيم العقول ، كما قال تعالى: { تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون } أو على أنهم يستحقون كلهم تسليط بعضهم على بعض كقوله تعالى: { أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض } وهذا أظهر ، فهم على ذلك إلى يوم القيامة ، وهذا يدل على أن المهدي المنتظر لا يستطيع إدخالهم في الإسلام ، وغاية قوته عليهم أن يضرب عليهم الجزية والصغار كما أمر الله .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٣٣٥)

كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله (١) ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين (٦٤) (٢)

---

(١) . { كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله } :
لما بينهم من العداوة والبغضاء كما قال تعالى: { لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى } فأما عدوانهم على مصر وسوريا والأردن في حرب الأيام الستة فهي محمولة على أن الموقد لها الحقيقة هو أمريكا ، وإنما هي باسم اليهود ، وكذا عدوانهم السابق على مصر مع دولتين عظيمتن ، أو المراد كلما أوقدوا نارا لحرب المؤمنين بقرينة قوله تعالى: { أطفأها الله } وقوله تعالى: { إلا بحبل من الله وحبل الناس } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين (٦٤) } :

يسعون: يدل على شدة عنايتهم بالفساد والسعي سير سريع ، وقوله تعالى: { في الأرض } يدل على أنهم يسعون لنشر الفساد في الأرض وإشاعته في أقطار الأرض { والله لا يحب المفسدين } فيرجى منه أن لا يخليهم وشأنهم ؛ لأنه لا يحب الفساد وذلك كله دليل على أنه لا ينبغي لمؤمن اتخاذهم أولياء.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٣٦/٢)

ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم (٦٥) (١) ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم (٢)

---

(١) . { ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم (٦٥) } :
{ آمنوا } بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر واتقوا الله بطاعته { لكفرنا عنهم } ما مضى من { سيئاتهم } بالتغطية لها كأن لم تكن { ولأدخلناهم جنات النعيم } مثل كل مؤمن تقي.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم } :
من كتب الله التي منها القرآن في عهد محمد وإقامتها: إحياؤها والعمل بما فيها ،فتركها ونسيانها إضاعة وإهمال ضد الإقامة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٣٧/٢)

لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم (١) منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون (٦٦) (٢)

---

(١) . { لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم } :
بنزول بركات السماء وظهور بركات الأرض كقوله تعالى: { ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم

بركات من السماء والأرض } لكنهم لم يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم فعوقبوا بنقص البركات وقلة الأرزاق حتى قالوا { يد الله مغلولة } والسبب من عند أنفسهم فما كان ينبغي لهم إلا أن يلوموا أنفسهم ويرجعوا إلى ربهم لا أن يزدادوا كفرا إلى كفرهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون (٦٦) } :

}

منهم أمة } : دفع لإيهام أنهم كلهم لم يؤمنوا ولم يقيموا التوراة قال تعالى: { ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون } وقال تعالى: { وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ... } الآية { ساء ما يعملون } ما أسوء أعمالهم التي يعملونها مستمرين على أعمال السوء ، وقد مر تفصيل بعض أعمالهم السيئة قريبا ، وفي سورة البقرة تفصيل كامل يدل على سوء أعمالهم ، وكذلك مر قولهم: { فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون } وفي سورة النساء كلام كثير في جرائم اليهود ، ويأتي في هذه السورة في جرائم النصارى.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٣٨/٢)

---

* يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته (١) والله يعصمك من الناس (٢)

---

(١) . { * يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته } :

{ ما أنزل إليك } منزل مخصوص ليس كلما أنزل ؛ لأنه لو كان عاما لكان قوله تعالى: { وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته } كتحصيل الحاصل ، كما لوقال وإن لم تفعل فلم تفعل فتبين أنه منزل مخصوص لو لم يبلغه لحبط تبليغه الماضي وصار لم يبلغ رسالات الله أو رسالته ، وقوله: { يا أيها الرسول } تقدمة للأمر بالتبليغ مناسبة ما على الرسول إلا البلاغ ، وقوله: { من ربك } تنبيه على وجوب طاعته ؛ لأنه المالك المربي.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { والله يعصمك من الناس } :
وهذا قطع للعلة في ترك التبليغ ، وفيه إشارة إلى أن الأمر الذي أمر بتبليغه مما يخشى منه عدوان أعداء الله على المبلغ .

قال في [الكشاف] : فإن قلت: أين العصمة وقد شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته صلوات الله عليه ، انتهى.
قلت: لا وجه للسؤال لأن قوله تعالى: { والله يعصمك } مضارع فليست العصمة إلا من حين نزول قوله تعالى: { والله يعصمك } ولا يلزم عصمته في الماضي مع أنه تعالى قد عصمه من القتل في الماضي لكن قوله تعالى: { يعصمك من الناس } لا يختص بالقتل ولم يخبره في الماضي بأنه يعصمه من الناس ليباشر المعارك باذلا نفسه لله كما قال تعالى: { فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٣٩/٢)

إن الله لا يهدي القوم الكافرين (٦٧) (١)

---

(١) . { إن الله لا يهدي القوم الكافرين (٦٧) } :
ولذلك احتجت إلى العصمة من الناس وإخبارك بها لتبلغ هذا الأمر المخصوص الذي يثير بعض الناس ، فقوله: { والله يعصمك } والتعليل بأن الله لا يهدي كقوله تعالى: { وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا } في أنه تعليل بتركهم على كفرهم ، إلا أنه هنا عبر عنه بترك هدايته لهم وهناك عبر عنه بإعداد العذاب لهم المسوغ لتركهم على كفرهم يقاتلون المسلمين ويحتاج المسلمون إلى أخذ الحذر منهم .
قال السيوطي في [الدر المنثور]: وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } على رسول الله يوم غدير خم في علي ابن أبي طالب .
وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك إن عليا مولى المؤمنين وإن لم تفعل فمابلغت رسالته والله يعصمك من الناس) انتهى.

وروى المرشد بالله – عليه السلام – في [الأمالي الخميسية] ج١ ص١٤٦.١٤٥ باسناده عن ابن عباس – رضي الله عنه – في قوله – عز وجل – : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين } نزلت في علي – عليه السلام – أمر رسول الله أن يبلغ فيه فأخذ رسول الله بيد علي – عليه السلام – فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) انتهى .

وفي [مناقب أمير المؤمنين علي – عليه السلام –]تأليف محمد ابن سليمان الكوفي: محمد ابن سليمان قال حدثنا محمد ابن منصور عن عباد عن علي ابن هاشم عن أبي الجارود عن أبي جعفر – عليه السلام – قال: لما أمر الله رسول الله بما أمر به قال: قومي حديث عهد بالجاهلية إذ أتاه جبريل فقال: { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } فأخذ بيد علي فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) انتهى .

وقال الهادي – عليه السلام – في أوئل كتاب[الأحكام] : وفيه . أي في علي – عليه السلام – . :أنزل الله على رسوله بغدير خم: { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس } فوقف وقطع سيره ولم يستجز أن يتقدم خطوة واحدة حتى ينفذ ما عزم به عليه في علي – عليه السلام – ..الخ حديث الغدير.

وفي [شواهد التنزيل] عند ذكره لهذه الآية: بإسناده عن أبي هريرة عن النبي قال: لما أسري بي إلى السماء سمعت تحت العرش أن عليا راية الهدى وحبيب من يؤمن بي بلغ يا محمد ، قال فلما نزل النبي أسر ذلك فأنزل الله – عز وجل – : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك.. } في علي ابن أبي طالب { ..وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس } .

وفي[شواهد التنزيل] بإسناد عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية في علي ابن أبي طالب: { يا أيها الرسول بلغ ما إنزل إليك من ربك } وفي [شواهد التنزيل] بإسناد عن ابن عباس في قوله – عز وجل – : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك.. } الآية نزلت في علي أمر رسول الله أن يبلغ فيه فأخذ رسول الله بيد علي فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه).

وفيه بإسناد قال : حدثنا عبد الله ابن أبي أوفى قال: سمعت رسول الله يقول يوم غدير خم وتلا هذه الآية : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته } ثم رفع يديه حتى يرى بياض إبطيه ثم قال: (ألا من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، ثم قال: اللهم اشهد) .

وفيه بإسناد عن زياد ابن المنذر يقول: كنت عند أبي جعفر محمد ابن علي وهو يحدث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعشى كان يروي عن الحسن البصري فقال :يا بن رسول الله جعلني الله فداك إن الحسن يخبرنا أن هذه الآية نزلت بسبب رجل ولا يخبرنا من الرجل: { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } ؟ فقال: لو أراد أن يخبربه لأخبر به ، ولكنه يخاف ، إن جبريل

هبط على النبي فقال له: إن الله يأمرك أن تدل أمتك على صلاتهم إلى قوله – عليه السلام – ..ثم هبط فقال: إن الله يأمرك أن تدل أمتك على وليهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم ليلزمهم الحجة في جميع ذلك ، فقال رسول الله : يارب إن قومي قريبوا عهد بالجاهلية وفيهم تنافس وفخر وما منهم رجل إلا وقد وتره وليهم وإني أخاف ، فأنزل الله تعالى: { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته } يريد فما بلغتها تامة { والله يعصمك من الناس } فلما ضمن الله له بالعصمة وخوفه أخذ بيد علي ابن أبي طالب ثم قال : (يا أيها الناس من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأحب من أحبه وابغض من أبغضه) قال زياد: فقال عثمان: ما انصرفت إلى بلدي بشيء أحب إلي من هذا الحديث ، انتهى ، وأنا اختصرته وهو بتمامه في[شواهد التنزيل] .

وفيه بإسناد عن ابن عباس وجابر ابن عبد الله – رضي الله عنهم – قالا: أمر الله محمدا أن ينصب عليا للناس ليخبرهم بولايته فتخوف رسول الله أن يقولوا حابا ابن عمه ، وأن يطعنوا في ذلك عليه فأوحى الله إليه: { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك.. } الآية ، فقام رسول الله بولايته يوم غدير خم ، انتهى .

قال المحمودي في تخريج أحاديث [شواهد التنزيل] : والحديث رواه ابن مردويه في كتاب مناقب علي – عليه السلام – بعدة طرق..الخ .

وفيه بسند عن ابن عباس عن النبي رواية فيها بعض الطول قال في آخرها حتى كان يوم الثامن عشر أنزل الله عليه: { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } إلى قوله ..ثم أخذ بيد علي ابن أبي طالب فرفعها حتى رأى الناس بياض إبطيهما ثم قال: (أيها الناس الله مولاي وأنا مولاكم فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله) وأنزل الله: { اليوم أكملت لكم دينكم } انتهى ، وفي تخريجه زيادات فليراجع من أراد .

وقد بسط الأميني في [الغدير] تخريج نزول قول الله تعالى: { يا أيها الرسول بلغ ما إنزل إليك من ربك } في غدير خم في ولاية علي – عليه السلام – وذلك في [الغدير] في ج١ ص٢١٤ . ٢٢٣ فراجعه ، وفي [الميزان]بيان مفيد ينبغي تأمله وهو في ج٦ ص٤٢–٤٨، وفي [الشافي] تأليف الإمام المنصور بالله عبد الله ابن حمزة في ج١ ص١١٤ نقل من تفسير الثعلبي بإسناده عن ابن عباس – رضي الله عنه – في قوله تعالى: { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك .. } الآية نزلت في علي ابن أبي طالب أمر النبي بأن يبلغ فيه فأخذ رسول الله بيد علي – عليه السلام – فقال: (من كنت مولاه فعلي موالاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه). اهـ .

وقد أسند المنصور بالله – عليه السلام – تفسير الثعلبي منه إلى المؤلف ج١ ص٥٤ .

فتحصل من ذلك كله أنها نزلت في علي عليه السلام ، وقد أكدته القرائن في الآية كونها في منزل مخصوص ، وقوله تعالى : { والله يعصمك من الناس } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٤٠/٢)

قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم (١)

---

(١) . { قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم } : { لستم على شيء } فلا يكفيكم انتماؤكم إلى بعض كتب الله مع ترك ما بعد فما أنتم عليه ليس شيئا ؛ لأنه لا يقبل منكم .

قال في [الكشاف] كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شأنه ، وفي أمثالهم: أقل من لا شيء ، انتهى ، { حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم } حتى تقيموا:حتى تعملوا بها كلها ، وقوله { وما أنزل إليكم من ربكم } يعم كل ما أنزل الله إليهم ومنه القرآن لا عذر لكم في تركه ؛ لأن الله أنزله إليكم كما أنزل التوراة.

أو قوله: { وما أنزل إليكم } أي القرآن الذي أنزل إليكم وقوله: { إليكم } بين أنه خطاب لأهل الكتاب كما هو خطاب لغيرهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٤١/٢)

وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين (٦٨) (١)

---

(١) . { وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين (٦٨) } : { طغيانا } : تجاوزا للحد المعهود في العصيان وحسدا وكبرا { وكفرا } : تكذيبا وجحودا لآيات الله ، أو كفر نعمة { فلا تأس } : فلا تحزن على القوم الفاسقين الخبثة الفجار ؛ لأنهم متمردون لا يريدون الحق فهم أهلكوا أنفسهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٤٢/٢)

إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٩) (١)

---

(١) . { إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٩) } :
}
إن الذين آمنوا } : الذين قد آمنوا بمحمد والقرآن ودخلوا في دين الله وأهل الملل الثلاث لا ينفعهم ما هم عليه دون الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ، فالمراد في الذين آمنوا اشتراط صدق الإيمان لكونه مقرونا بالعمل الصالح الذي يبعث عليه الإيمان الصادق والإستمرار عليه في المستقبل ، وأما أهل الملل الثلاث فلا بد لهم من الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح كذلك ، وذلك يتضمن توحيد الله وتنزيهه عن مشابهة المخلوقين وعن الشريك وعن الولد ، ويستلزم الإيمان بالرسول والقرآن من حيث أن الإيمان بالله واليوم الآخر يبعث على الإيمان بآيات الله الدالة على أن القرآن من الله وأن محمدا رسول الله وسائر ما يجب الإيمان به ، ويستلزم أن العمل لا يكون صالحا إلا إذا كان كما أمر الله وشرع في كتابه وعلى لسان رسوله ؛ لأن ماخالفه منسوخ قد صار غير مشروع ، فالآية في الملل الثلاث بالنسبة إلى ما قبل البعثة لتبين أن العمدة الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح لا الأسماء فهي ترد قولهم: { لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى } .
والصابون: أهل ملة غير ملة الإسلام وغير ملتي اليهود والنصارى ، وقد بسط في بيان دينهم صاحب [الميزان] ج١ ص١٩٥ ، أما سيد قطب فقال في تفسيره ج١ ص٩٥: والصابئون الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها فاهتدوا إلى التوحيد وقالوا إنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى ملة إبراهيم... إلى قوله ...فقال عنهم المشركون إنهم صبأوا أي مالوا عن دين آبائهم كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك ، ومن ثم سموا الصابئة ، انتهى المراد ، والتعبير بقوله: تلك الطائفة من مشركي العرب لا يناسب تفسيره ، فصواب العبارة: تلك الطائفة الذين كان أصلهم من مشركي العرب ، وقوله فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها فاهتدوا إلى التوحيد فيه أنه يوهم ضياع التوحيد بالكلية ، وظاهر

قوله تعالى: { وجعلها كلمة باقية في عقبه } أنه لم يزل التوحيد يتوارثه عقب إبراهيم – عليه السلام – ولذلك قالوا إنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى ملة إبراهيم ، وقد اتفق التفسيران للصابئين على أنهم قوم يوحدون الله ليسوا من اليهود ولا النصارى ، وكانوا قبل بعثة الرسول إلا أن تفسير [الميزان] أثبت لهم أصناما فنافى ذلك قوله إنهم أناس يوحدون الله .

والحاصل: أنهم أهل ملة دينية غير اليهود وغير النصارى ، وقد قدمت في تفسير البقرة حكايات لدينهم خلاف ما هنا ولكن المحقق هذا الحاصل.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٤٣/٢)

لقد أخذنا ميثاق بني ںƒ@دنآuژ خ) وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (٧٠) (١)

---

(١) . { لقد أخذنا ميثاق بني ںƒ@دنآuژ خ) } :

كما مر في قوله تعالى: { وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم.. } الآية فذكر أخذ الميثاق هنا تقدمة لقوله تعالى:

{ وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (٧٠) } ليبين نقضهم للميثاق وأنه لا يفيدهم انتسابهم للكتاب وهم مخالفون لما فيه عادلون عن الإيمان الصحيح والعمل الصالح إلى ضدهما كيف لا وهم كلما جاءهم رسول من الرسل الذين أرسلوا إليهم استكبروا ففريقا من الرسل كذبوا وفريقا يقتلون ، أي كذبوا فريقا من الرسل وقتلوا فريقا ؛ وقدم المفعول لأنه المهم من حيث هو رسول أخذ عليهم الميثاق بالإيمان به ونصرته فكذبوه أو قتلوه.

قال في [الكشاف]: فإن قلت: لم جيء بأحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا ؟. قلت: جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها ، انتهى ؛ و لعل قوله: للتعجب غلط في النسخة والصواب: والتعجيب منهم . وقد اعتبر باقيا بالنسبة للموجودين من أهل الكتاب { قل فلم تقتلون أنبئاء الله من قبل إن كنتم مؤمنين } فقال والله أعلم: تقتلون ؛ لأنهم مشاركون فيه في الحال فكأنه باق إلى الآن والله أعلم ، أو أنه على استحضار الحال ففيه رد على من زعم أنه جيء بالمضارع في قوله تعالى: { وفريقا تقتلون } لكونه آخر الآية ؛ لأن قوله تعالى: { فلم تقتلون }

ليس آخر آية.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٤٤/٢)

وحسبوا ألا تكون فتنة (١) فعموا وصموا (٢)

---

(١) . { وحسبوا ألا تكون فتنة } :

فلذلك تجرؤا على تكذيب وقتل من كذبوا وقتلوا من الأنبياء وهم قد تعرضوا للفتنة بتلك الجرائم لكنهم يظنون أنهم أحباء الله فلن يؤاخذهم بذنوبهم .

والفتنة: إما عذاب كقوله تعالى: { يوم هم على النار يفتنون } أو تكليف يشق عليهم ويكونون معه إذا عصوا أداهم للعذاب كتكليف أصحاب السبت وابتلائهم بالحوت ، قال تعالى: {كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فعموا وصموا } :

لأن آيات الله تتلى عليهم في التوراة وهم يقرؤونها ولكنهم لا ينتفعون بها كأنهم عمي لا يبصرونها وصم لا يسمعونها ؛ لجرأتهم على المعاصي وقسوة قلوبهم لحسبانهم أن لا تكون فتنة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٤٥/٢)

ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون (٧١) (١) لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم (٢)

---

(١) . { ثم تاب الله عليهم } فهداهم ؛ ولعل ذلك بنبي من أنبيائهم أو زاجر عظيم حدث لهم { ثم

عموا وصموا كثير منهم } بعد اهتدائهم { والله بصير بما يعملون (٧١) } فهو يجازي بقدر المستحق من خير أو شر وينزل كلا من الضال والمهتدي منزلته ولا يخفى عليه شيء من عملهم ولا من توبة التائب وإصرار المصر .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم } :

فهم يعلمون أنه ابن مريم ومع ذلك يزعمون أن الله هو ابن مريم ؛ كأنهم يريدون أن الله – جل جلاله – تجسد أي تحول جسدا – سبحانه وتعالى – .

قال القاسم – عليه السلام – في كتاب[الرد على النصارى] ص٢٩٩ خ: وزعمت الفرق الثلاث من النصارى فنعوذ بالله من الجهل بالله أنها تجد فيما في أيديها من كتب الأنبياء أن المسيح ابن مريم هو الله وابن الله ، فجعلوا في قولهم هذا الابن أباه ، انتهى المراد .

وقد حقق – عليه السلام – مقالاتهم أحسن تحقيق ، ورد عليها بواضح الرد النافع المفيد فليطالعه من أراد التحقيق ، وأقرب الرد وأنفعه القرآن الحكيم فإذا علموا أنه كلام الله علموا بطلان مقالهم ، وقد تبين أن القرآن كلام الله بتحديه للعرب أن يأتوا بسورة من مثله فلم يأتوا بشيء ؛ وباخباره أنهم لن يفعلوا فكان خبره صدقا ، وبناء على ما حكاه القاسم – عليه السلام – بظهر أن الآية الكريمة تعمهم بالتكفير ؛ لأنهم تارة يقولون هو هو ، وتارة يقولون ثالث ثلاثة فكفرهم الله بكلا القولين ، وذكر القاسم – عليه السلام – أن النصارى أخذوا مذاهبهم في المسيح – عليه السلام – من اليهود فأنكر علهيم قبوله من اليهود ؛ ولكن لعله دخل على النصارى بواسطة يهودي تنصر سعيا في إفسادهم وخداعا لهم ليضلهم عن التوحيد لئلا ينتصروا على اليهودي في الحرب بينهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وقال المسيح يا بني ں@ƒدنآuژ خ) اعبدوا الله ربي وربكم (١) إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (٧٢) (٢)

---

(١) . { وقال المسيح يا بني ں@ƒدنآuژ خ) اعبدوا الله ربي وربكم } :

فبين لهم عيسى – عليه السلام – أن الله ربه وربهم وأمرهم أن يعبدوا الله والعبادة اعتراف بالعبودية

.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (٧٢) } :
فأنذرهم المسيح فوات الجنة عليهم بالشرك والخلود في النار ، وأنه لا يكون لهم من ناصر لا المسيح ولا غيره ؛ والعلة في ذلك أنهم ظالمون لأنه أقام { وما للظالمين } مقام : وما لهم ، فظهر أن العلة الجامعة لأهل النار هي الظلم وإن كان الشرك ظلما عظيما.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٤٧/٢)

لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة (١) وما من إله إلا إله واحد (٢)

---

(١) . { لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة } :
كل واحد من الثلاثة إله بزعمهم وهم بزعمهم: الله وروح القدس وعيسى ، فقالوا الله أب ، وعيسى ابن جوهره بزعمهم جوهر الأب وهو مولود غير مخلوق في قولهم ، وروح القدس ليس أبا ولا ابنا ، ومجموع الثلاثة واحد بزعمهم ، راجع كتاب [الرد على النصارى] للقاسم – عليه السلام – .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وما من إله إلا إله واحد } :
واحد غير متعدد وهو الله لا إله إلا هو و(من) تفيد تقوية عموم النفي .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٤٨/٢)

وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (٧٣) (١)

---

(١) . { وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (٧٣) }
ينتهوا: يمتثلوا نهي الله لهم ويطيعوه { الذين كفروا } والذين قالوا : إن الله والمسيح ابن مريم والذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة علق الوعيد على الكفر بعد أن أخبر أنهم كفروا ؛ ولعل الحكمة دفع التوهم من قوله تعالى: { عما يقولون } للعموم لكل ما يقولون من حق وباطل والله أعلم ، وإنما رجحت أن قوله تعالى: { عما يقولون } يعم القولين لأن { يقولون } يدل على التكرار والقولان تكرار من حيث هو قول شرك ، وقد ابتدأ بقوله تعالى: { لقد كفر الذين قالوا } فعدوله عن الماضي إلى المضارع في قوله: { عما يقولون } وهو الفعل الذي يكون عادة لفاعله فيعبر عنه بالمضارع.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٤٩/٢)

أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم (٧٤) (١) ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل (٢)

---

(١) . { أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم (٧٤) } :
الهمزة سؤال للتوبيخ إن لم يتوبوا ، وللدعاء إلى التوبة ، والفاء للتفريع على مامضى في الآيات من بيان كفرهم ومن الوعيد الشديد عليه ؛ لأن من شأنه أن يبعثهم على التوبة والإستغفار لطلب النجاه من العذاب الشديد وحرمان الجنة لأن الله غفور رحيم يقبل التأئبين المستغفرين فيغفر الذنوب المهلكة ويبدل أهلها من غضبه عليهم رحمة .
قال الشرفي في [المصابيح] : وقال الفراء هذا أمر بصورة الإستفهام كقوله: { فهل أنتم منتهون } في آية الخمر ، انتهى .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل } :

أي فليس إلها وهذا قصر القلب أي ماهو إلا رسول لا إله ، وقوله: { قد خلت من قبله الرسل } يحقق أن الرسالة لا تعني أنهم آلهة ؛ ولذلك خلوا أي مضوا من هذه الدنيا مع أنهم جاءوا بالآيات الدالة على صدقهم مثل ما جاء على يدي موسى وعصاه من الخوارق.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٥٠/٢)

وأمه صديقة (١) كانا يأكلان الطعام (٢)

---

(١) . { وأمه صديقة } :
صديقة مصدقة بكلمات الله وكتبه ، أو كثيرة الصدق كما في الحديث الشريف: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا) انتهى أو كما قال .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { كانا يأكلان الطعام } :
وذلك دليل الحاجة والضعف المنافي للربوبية .
قال الشرفي في[المصابيح] : وقال في [البرهان] هذا رد على اليهود والنصارى في قولهم إنه ابن الله { وأمه صديقة } رد على اليهود في نسبتها إلى الفاحشة ، والصديقة: المبالغة في صدقها ونفي الفاحشة عنها ، انتهى .
قلت: يعنى أن قوله تعالى: { كانا يأكلان الطعام } رد على النصارى في قولهم إنه ابن الله ، وقوله تعالى: { وأمه صديقة } رد على اليهود .

قال القاسم – عليه السلام – في كتاب [الرد على النصارى] ص٢٨٤ خ: وليس أحد من النصارى يثبت لمريم ما يثبت لابنها من الإلهية بل كلهم يقول: إنها أمة من إماء الله محدثة غير قديمة ولا أزلية ، وقد يلزمهم صاغرين فيها من إضافة الإلهية إليها ما قال الله تبارك و تعالى – ملزما لهم– فيها ..الخ ، والقول المشار إليه قد نبه – عليه السلام – عليه في ص٢٨٢ –٢٨٣ حيث قال – عليه السلام – وفي ذلك مايقول الله سبحانه لعيسى صلوات الله عليه ورضوانه فيما نزل من الكتاب في يوم البعث

والحساب توقيفا وتعريفا له وللعباد على أنه قد يجب للوالد في الذات ما يجب للأولاد وتوبيخا لمن أفرده دون أمه في العبودية والإلهية وحالهما في الذات حال واحد مستوية فعبدوه عماية وجهلا دونها وهم يعلمون أنه ابنها ومنها ، ويوقنون ولا يشكون أن أباها أبوه فهي وآباؤها أولى منه بما أعطوه.. إلى قوله – عليه السلام – ..إذ يقول له صلى الله عليه في ذلك عن غير ما سخطة ولا لوم { يا عسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك .. } الآية إلى قوله تعالى: { وأنت على كل شيء شهيد } مع بعض تفسير لغرض الإحتجاج على النصارى فراجعه فإنه مفيد ، وكلام صاحب[البرهان]هنا كأنه مبني على ماذكره القاسم – عليه السلام – .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٥١/٢)

انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (٧٥) (١)

---

(١) . { انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (٧٥) } :

فتبيين الآيات لهم يبين عدل الله وحكمته وفضله ورحمته حيث لم يتركهم مع أنهم لو استعملوا عقولهم لاهتدوا للصواب وعلموا بطلان جعل المسيح إلها وربا { ثم انظر } بعد إكمال الحجة عليهم وقطع المعذرة ببيان الآيات { أنى يؤفكون } من أين يؤفكون فإنك إذانظرت وبحثت لم تجد لهم شبهة من شأنها إضلالهم وقلبهم من التوحيد إلى الشرك وإنما هي خرافات مكذوبة على الأنبياء وقبلوها بواسطة إهمالهم لعقولهم أو ما في كتبهم من المتشابه الذي جاء في أصحاب المسيح كما جاء فيه ولم يزعموا أن الحواريين أبناء لله كمازعموا في عيسى – عليه السلام – .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٥٢/٢)

قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم (٧٦) (١)

---

(١) . { قل } يامحمد { أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم (٧٦) } :
ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا وهو عيسى – عليه السلام – ، ولعل هذا وهو كونه لا يملك لهم ضرا ولا نفعا لازم لهم من قولهم إنه لم يستطع تخليص آدم وبني آدم من ملك الشيطان إلا بتعرضه للصلب والأذى فلو كان يملك الضر والنفع لاستطاع إنقاذهم واشتراهم بفدية غير صلبه وتعرضه للضر والأذى ، هذا إذا كانت خارجة مخرج الإلزام ، وكذلك يلزم من قولهم إن الأب خلق الخلق بواسطة الإبن ، وأن تدبير أمور الخليقة وظيفة روح القدس .
قال القاسم – عليه السلام – في كتاب [الرد على النصارى] ص٢٨٤. ٢٨٥ : وكذلك قالت النصارى إن الله خلق الأشياء بآنية نفسه وحفظها ودبرها بروح قدسه ، وأن الابن خلق الخلق وفطره ، وأن روح القدس حفظ الخلق ودبره ، وزعموا أن قوة الخلق غير قوة الحفظ والتدبير ، وأن الأب لم ينفرد من ذلك بقليل ولا كثير ، انتهى المراد .

فإذا كان الحفظ وتدبير الأمر ليس إلا وظيفة روح القدس وله وحده دون عيسى قوة الحفظ والتدبير كان عيسى لا يرجى منه نفع ولا يخشى منه ضر ؛ لأن ذلك كله من الحفظ وتدبير الأمر.
هذا ويحتمل أن الله تعالى قال: { قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا } ليبين للنصارى الحقيقة أن عيسى – عليه السلام – لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ، ومعنى ملكه له قدرته عليه مستقلا غير متوقف على إذن الله وإقداره عليه بل متى شاء فعل بدون قيد ولا شرط فنفى الله ذلك عن عيسى وهو أصدق القائلين ، وقوله تعالى: { والله هو السميع العليم } فيفيد أنه الذي يسمع الدعاء من العابد حين يعبده ويسمع الذاكر له حين يذكره ويعلم العبادة وخلوص النية بها ، فهو الذي يرجى منه نفع العبادة لدفع الصر وجلب النفع.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٥٣/٢)

قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق (١) ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (٧٧) (٢)

---

(١) . { قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق } :

الغلو: تجاوز الحد المشروع تدينا كالإفراط في تعظيم عيسى بجعله ربا وكاتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وقوله تعالى: { لا تغلوا في دينكم غير الحق } أي غلوا غير الحق ، وهذا ذم للغلو بأنه غير الحق وتعريف بالفصل بين الغلو وغير الغلو لمن قد غلا وهو لا يرى أنه غال.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (٧٧) } :

يخبرهم الله أن اتباعهم لأسلافهم الذين يعظمونهم إنما هو اتباع لأهوائهم وليسوا إلا قوما قد ضلوا وأضلوا كثيرا ، فهم مع ضلالهم في أنفسهم مفسدون لا يستحقون أن يعتبروا قدوة في الدين ، ومع أن ضلالهم واضح لمن استعمل عقله لأنهم ضلوا عن الحق الواضح الذي هو سواء السبيل الذي لا عوج فيه.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٥٤/٢)

لعن الذين كفروا من بني ں@ƒدنآuژ خ) على لسان داوود وعيسى ابن مريم (١) ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٧٨) (٢)

---

(١) . { لعن الذين كفروا من بني ں@ƒدنآuژ خ) على لسان داوود وعيسى ابن مريم } :
دعا عليهم داود وعيسى ابن مريم بلعنة الله ، ولما كان ذلك حكم الله فيهم كان لعنة من الله على لسان دود وعيسى ابن مريم.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ذلك } لعنهم المذكور { بما عصوا وكانوا يعتدون (٧٨) } فهو جزاء لهم بما عصوا ربهم كتركهم للنهي عن المنكر وكتوليهم للذين كفروا وبما كانوا يعتدون: كاعتداء أصحاب السبت وكقتل الأنبياء والذين يأمرون بالقسط من الناس.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٥٥/٢)

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه (١)

---

(١) . { كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه } تركوا النهي عن المنكر فيما بينهم حتى لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر قط ، ولعل النهي المذكور في الحديث لم يكن يعد نهيا ؛ لأنه قول غير جاد بل هو لاحق بالهزل .

قال الناصر – عليه السلام – في [البساط] ٩٤. ٩٥ : وحدثنا بشر قال حدثنا وكيع قال حدثنا سفيان قال حدثنا علي ابن بذيمة قال سمعت أبا عبيدة يقول: قال رسول الله : (لما وقع النقص في بني إسرائيل جعل أحدهم يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه ولا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وجليسه فصرف الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن { لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ... } إلى آخر أربع آيات { ..ولكن كثيرا منهم فاسقون }) قال: وكان رسول الله متكئا فاستوى جالسا ، ثم قال: (كلا والذي نفسي بيده حتى يأخذوا على يدي الظالم ويأطروه على الحق أطرا) قال الناصر الحسن بن علي – عليه السلام – : يأطروه على الحق: أي يعطفوه على الحق عطفا ، انتهى .

قوله.. فصرف الله ، هكذا في النسخة ويمكن تفسيره بالخذلان على معنى الصرف عن الهدى ، ولو جاء بلفظ: فضرب بتشديد الراء لكان معناه الإغراء بينهم كما أفاده في[الصحاح] .

والحديث في سنن أبي داود ج٤ ص١٢١ بلفظ: ضرب ، ولعله بدون تشديد مجاز عن إلقاء العداوة والبغضاء بينهم كان قلب المبغض إذا رأى عدوه أو سمعه يضرب بالعصا فجعل العدو يضرب به قلب عدوه ، والله أعلم.

وقد خرج الحديث السيوطي في الدر المنثور من كتب عديدة بلفظ ضرب ، وأورد الحديث ونحوه عن ابن مسعود ، ومعاذ ، وأبي موسى الأشعري .

والحديث أيضا في أمالي المرشد بالله – عليه السلام – بلفظ ضرب من طريقين: عن عبيدة وفي آخر أحداهما: كلا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم..الخ –بالمثناه من فوق– راجع[أمالي المرشد بالله] فله طرق إلا أنه يجمعها طريقان ، وفيهما معا باللفظ أو المعنى الخطاب في آخره بالمثانه من فوق ، والذم لهم على ترك النهي عن المنكرات التي فعلوها موجه إلى تركهم له في وقته لا إلى تركه بعد وقوعه ،

وإنما ذكر وقوعه يفيد أنه قد جاء وقت النهي فلم ينهوا عنه ، ونظيره قوله تعالى في قارون : { فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٥٦/٢)

لبئس ما كانوا يفعلون (٧٩) (١) ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا (٢) لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم (٣)

---

(١) . { لبئس ما كانوا يفعلون (٧٩) } كلهم العصاة والمداهنون ، وهذا ذم مؤكد بلام القسم.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا } :
لوقت نزول القرآن وما قبله يتولون من هم في دين أهل الكتاب كفار لا يجوز توليهم ، أي يصادقونهم ويصافونهم المودة.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٣) . { لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم } :
}
ما قدمت لهم أنفسهم } : هو ما كانوا يفعلون ، ونسب إلى أنفسهم لأنها هي الأمارة بالسوء التي ورطتهم فيه ، وجعل تقديما لأنفسهم لأن من شأن العاقل الذي سمع الوعد والوعيد أن يقدم لنفسه عملا صالحا ينجيه من العذاب ويبلغه الجنة ، فلما كان المذكورون من أهل الكتاب جعلوا مكان ذلك المعاصي الموبقات جعلت تقديما لأنفسهم على طريق المشاكلة التقديرية أو تهكما بهم ، وقوله تعالى: { أن سخط الله عليهم } إما مخصوص بالذم أي هو سخط الله عليهم ؛ لأن معاصيهم سبب السخط ، وإما تعليل للأفعال المذمومة أنها وقعت منهم ؛ لأن سخط الله عليهم ، أي أن معاصيهم جرت معاصي أكبر منها بسبب خذلان الله لهم ، كقوله تعالى: { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وفي العذاب هم خالدون (٨٠) (١) ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون (٨١) (٢)

---

(١) . { وفي العذاب هم خالدون (٨٠) } :
لا يخرجون منه كما زعموا أنها لن تمسهم النار إلا أياما معدودة ، والجملة معطوفة على جملة { لبئس.. } إلى { أن سخط الله عليهم } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون (٨١) } :

النبي الذي ينتمون إليه { وما أنزل إليه } كما يدعون { ما اتخذوهم أولياء } لأن الإيمان لا يدع صاحبه يتولى أعداء الله كما قال تعالى: { لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الأخر يوادون من حاد الله ورسوله } لأن المؤمن يحب في الله ويبغض في الله كما في الحديث: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله) { ولكن كثيرا منهم } أي من أهل الكتاب وهم الذين قال فيهم: { ترى كثيرا منهم } وهو احتراس لئلا يوهم أن أهل الكتاب كلهم فاسقون مع أنهم ليسوا سواء فهؤلاء ليسوا مؤمنين بل هم فاسقون خارجون عن أمر الله خبثة فجار ، ومن كان كذلك لا يستبعد منه الشرك فلا يغتر بهم من بعدهم ، وقد قيل: إن بعض النصارى احتج لقولهم في عيسى بأنه مذهب واضح البطلان في بادئ الرأي فلولا أن فلانا وفلانا وفلانا من أسلافهم قد علموا صحة ذلك لما دانوا به ؛ لأنهم أهل عقول ودين فلعل ما ساقه القرآن من ذكر معاصي أهل الكتاب من ترك التناهي عن المنكر وتولي الكفار ساقه لإبطال هذه الشبهة وتحقيق أن ضلالاتهم إنما هي أهواء أنفسهم لا برهان لهم بها.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

---

* لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا (١)

---

(١) . { * لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا } :
{ لتجدن } : لعله خطاب عام لكل سامع لوضوح عداوتهم لكل من يعرفهم { والذين أشركوا } عام لكفار العرب المشركين وللمشركين من أهل الكتاب وغيرهم ؛ وذلك لأن دين الله الذي عليه المؤمنون ينافي دين المشركين وهم يحبون من يتخذونهم أندادا لله كحب الله ؛ ولذلك يبغضون المؤمنين الذين يبرأون من شركائهم ، فسواء في هذا الغلاة من النصارى الذين أشركوا بعيسى وسائر المشركين ؛ لأن شدة حب النصارى الغلاة لعيسى تجعلهم يغضبون على من ينفي إلاهيته على قدر غلوهم فيه ؛ فلذلك لا فرق بيهنم وبين سائر المشركين ، بل قوله تعالى: { والذين أشركوا } في غلاة النصارى الذين أشركوا بعيسى أظهر ؛ لأنه قال { والذين أشركوا } ولم يقل والمشركين لأن الشرك حادث في النصارى كما هو حادث في بعض اليهود ، وأصل دينهم الذي ينتمون إليه هو التوحيد.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٥٩/٢)

ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى (١) ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (٨٢) (٢)

---

(١) . { ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى } :
أي ولم يشركوا وهم النجاشي ومن أشبهه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ذلك } أي قرب مودتهم للذين آمنوا { بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (٨٢) }
قسيسين: قال الشرفي في [المصابيح] : قال المرتضى – عليه السلام – : والقسيسون فهم كبار النصارى يصلون بهم ويقدمونهم ويعظمونهم ، انتهى .
وقال في[الصحاح]: والقس أيضا رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم وكذلك القسيس ، انتهى ، وأصل الرهبان من الرهبة وهي الخشية ثم صار اسما للزاهد الذي يتخلى للعبادة ويترك شواغل الدنيا ،

ثم صار يستعمل في المتخلي للعبادة المظهر للزهادة والتخلي من الشواغل الدنيوية .

فالحاصل أن في هؤلاء النصارى قدوة مهيأة لقبول الإيمان بدين الله الذي جاء به الرسول وأن هؤلاء الذين قالوا إنا نصارى كلهم { لا يستكبرون } فهم بذلك مهيأون أيضا لقبول الحق لسلامتهم من الكبر المانع منه لثقل الخروج من الدين المألوف إلى غيره لمجرد اتباع الحق فقد سلموا من هذا المانع كما سلموا من الغلو الذي يمنع المشركين من التوحيد ، فكانوا قريبا من قبول الحق غير نافرين من الذين آمنوا ، بل هم أقرب مودة لهم لموافقتهم في التوحيد تجويزهم قبل النظر وسماع القرآن أن الدين الذي دخلوا فيه هو الحق قد أرسل الله به محمدا .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٣٦٠)

وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق (١) يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين (٨٣) (٢)

---

(١) . { وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق } :
{ ما أنزل } من القرآن { ترى } أي يراها الحاضر لهم { مما عرفوا } بسبب ما عرفوا { من الحق } وهو أن الله قد أرسل الرسول الذي بشر به عيسى مصدقا لما جاء به عيسى – عليه السلام – .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين (٨٣) } :
{ آمنا } بما أنزلت على محمد { فاكتبنا مع الشاهدين } به .

قال الشرفي في [المصابيح] : روي عن النجاشي أنه قال لجعفر ابن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويطلبون هلاكهم عنده: هل في كتابكم ذكر مريم؟ قال جعفر: فيه سورة تنسب إليها فقرأها إلى قوله: { ذلك عيسى ابن مريم قول الحق } وقرأ سورة طه إلى قوله : { وهل أتاك حديث موسى } فبكى النجاشي وكذلك قومه الذين وفدوا على رسول الله وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم سورة يس انتهى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٦١/٢)

وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين (٨٤) (١)

---

(١) . { وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين (٨٤) } :
{ وما لنا } : أي مانع يمنعنا ، وأي حالة لنا تنافي الإيمان وتمنع منه ، وهذا استبعاد منهم لترك الإيمان ؛ لأن اللائق بحالهم هو الإيمان بالله وما جاء هم من الحق وطمع أن يدخلهم ربهم مع القوم الصالحين الذين هم محمد ومن معه يدخلهم معهم الجنة وهذه الآيات فيهم مثل الآيات في سورة القصص: { الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنابه إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين } الآيات.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٦٢/٢)

فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين (٨٥) (١)
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (٨٦) (٢)

---

(١) . { فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها } :
أثابهم الله جنات جعلها لهم ثوابا فصارت لهم بحكمه وجعله ، ويحتمل أن ذلك وعد مؤكد بإخراجه مخرج الماضي كأنه قيل: فأحلهم جنات خالدين فيها ، وهذا أقرب لجعل { خالدين } حالا محققة ، وعلى الأول يكون خالدين حالا مقدرة.
{ وذلك جزاء المحسنين (٨٥) } المحسنون: هم المؤمنون المتقون فجزاهم الله ما يجزي المحسنين لأنهم منهم.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف

إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (٨٦) } :

وهذا يعم المشركين من أهل الكتاب وسائر الكفار المكذبين ، والجحيم نار جهنم ، وأصحابها أهلها.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٦٣/٢)

يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (٨٧) (١) وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون (٨٨) (٢)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (٨٧) } :

التحريم هنا منع النفس ذلك باليمين أو بقوله :هو حرام علي مثلا بقرينة قوله تعالى: { ولا تعتدوا } أي تتجاوزوا الحد المشروع { إن الله لا يحب المعتدين } لأنهم تدينوا بما لم يشرعه لهم وفيه مفسدة المشقة عليهم وتثقيل المشروع لاختلاطه بالزيادة مع أنه لا فائدة في الإعتداء وتجنب ما وهب الرب الكريم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون (٨٨) } :

يأكل المؤمن من طيبات الرزق ما تيسر وحضر ، ولكنه لا يشغل وقته بالسعي لتحصيل الفضلات من المأكول ويتجنب تعويد النفس بما يسبب اشتغالها بالشهوات ، ولا بأس بترك الأكل في بعض الحالات إيثارا للمحتاجين ، قال تعالى: { ويطعمون الطعام على حبه } وقوله تعالى: { مما رزقكم الله حلالا } يخرج الحرام ، لأنه رزق من أعطاه الله لا من اغتصبه ، وقوله تعالى: { حلالا طيبا } كالتفسير لما رزقنا ، لأن الخبيث محرم { واتقوا الله } بامتثال أمره ونهيه الذي أنتم به مؤمنون ، فأنتم تعلمون أنه يعلم ما تسرون وما تعلنون ، وأنه يجزي كل نفس بما تسعى .

قال الشرفي في [المصابيح] : روي أنه وصف القيامة يوما لأصحابه فبالغ في الإنذار فرقوا واتفقوا على

أن لا يزالوا صائمين قائمين وأن لا يباتوا .كذا ولعل الأصل يناموا . على الفرش ولا يأكلوا اللحم ولا يقربوا النساء والطيب ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك النبي فقال: (إني لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا ، فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) فنزلت ، انتهى ، يعني قوله تعالى: { يا أيها الذين لا تحرموا } الآية.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٦٤/٢)

لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم (١)

---

(١) . { لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم } :

اللغو: الخطأ الذي لا ينبني عليه حكم فهو ملغي.

قال الشرفي في [المصابيح]: قال المرتضى – عليه السلام – اللغو فهوما لا يعتمد فيه اليمين ولا يقصد فيه جرءة على رب العالمين ، وإنما تقع من طريق الغفلة والسهو ، واللغو: ما لا يكون له حقيقة ولا قصد ولا ضمير ، وقد قيل: إن في اللغو إنه الرجل يحلف على الشيء ما فعله وقد فعله وليس هو عندنا كذلك ، انتهى .

وتفسير المرتضى حسن ؛ لأنه جعله الحلف خطأ الذي لم يتعمده الحالف ولا قصد أن يحلف وهذا داخل في عموم قوله تعالى: { وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به } فأما من تعمد اليمين بناء على ظن الصدق فليست يمينه من اللغو بل إذا اقتطع بها حق مسلم دخل في عموم الوعيد لأنها مما كسب القلب ، وليس له أن يحلف إلا على اليقين بما يحكم به الحاكم لو علمه لأنه شاهد لنفسه.

فإن قيل: فإن الهادي – عليه السلام – فسرها بالتي يظن الحالف صدقها ؟.

قلنا: إن الذي يحلف خطأ لا بد أن يكون ظانا للصدق وإلا كان آثما لتعمده الكذب وإن لم يتعمد اليمين ، فلا بد أن يكون اليمين خطأ ممن يظن الصدق ، وهذا جمع بين التفسيرين ، هذا الراجح عندي.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٦٥/٢)

ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان (١)

(١) . { ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان } :

عقد اليمين: الحلف على فعل في المستقبل أو ترك كقوله: والله ولا أكلت من هذا.

قال الشرفي قال في [البرهان]: وعقدها هو لفظ باللسان وقصد بالقلب ، لأن مالم يقصده الإنسان بقلبه فهو لغو لا يؤاخذ به ، والعقد يجب أن يكون على فعل مستقبل ولا يكون على فعل ماض والفعل المستقبل نوعان: نفي وإثبات ..الخ.

وقوله تعالى: { بما عقدتم } أي بسبب تعقيدكم الأيمان وذلك إذا لم تحفظوها ، ولا حاجة لتقدير محذوف بنكث أيمانكم ؛ لأن المؤاخذه على النكث بسبب التعقيد لليمين ولولا التعقيد ما وقع نكث ؛ ولأن الظاهر أن سبب الكفارة هو اليمين وإنما النكث شرط.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة (١)

(١) . { فكفارته } أي كفارة تعقيد الأيمان ليصير كأن لم يكن ، والتكفير: الستر والتغطية { إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة } :

قال الهادي – عليه السلام – في [الأحكام] في كفارة اليمين كالتفسير للآية: يطعم عشرة مساكين غداءهم وعشاءهم من أوسط ما يطعم أهله من الطعام ، ويأدمهم بأوسط الأدم يطعم كل واحد منهم نصف صاع من دقيق أو صاعا من تمر أو شعير أو صاعا مما يأكله هو وأهله من الذرة وغيرها من الطعام أو يكسوهم كسوة تجمع جسد كل مسكين منهم إما قميصا سابغا ، وإما ملحفة يلتحف بها ، وإما كساء ، ولا تكون الكسوة إلا كسوة جامعة للبدن لا يجوز أن يكسى أحدهم عمامة وحدها ولا سراويل وحده ، أو يعتق رقبة مسلمة صغيرة أو كبيرة ، وهو في هذه الكفارت الثلاث بالخيار ، انتهى المراد.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٦٧/٢)

فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام (١) ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم (٢)

---

(١) . { فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام } : يجزيه كفارة ليمينه ، قالوا: ويجب أن تكون الثلاثة متتابعة ومن كان لا يجد طعاما ولا كسوة ولا رقبة ولكنه يجد ثمن أحد هذه الأشياء فلا يجزيه الصوم ، وكذلك من كان له مال أوعرض إذا باعه تمكن من تحصيل الطعام أو الكسوة أو الرقبة فلا يجزيه الصيام ، فأما من لم يجد عشرة مساكين فيرسل الكفارة لتنفق حيث يوجد المساكين المسلمون ، فإن عدموا انتظر حتى ييأس ومتى يأس فالراجح عندي أنه يجزيه الصوم حيث يأس من تحصيل الرقبة والمساكين ؛ لأنه في المعنى كمن لم يجد طعاما ولا كسوة ولا رقبة ، بل لا يبعد دخوله في عموم قوله تعالى: { فمن لم يجد } وإنما قلت ينتظر تحصيل المساكين للرواية عن أمير المؤمنين – عليه السلام – ذكرها الهادي – عليه السلام – في [الأحكام].

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم } :

ذلك المذكور كما ذكر كفارة أيمانكم ، وهو يدل على أن التكفير لليمين نفسها كما دل عليه أول الآية.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٦٨/٢)

واحفظوا أيمانكم (١) كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون (٨٩) (٢)

---

(١) . { واحفظوا أيمانكم } :

أدوا حقها ولا تهملوها فمن أهملها فقد أضاعها ولم يحفظها قال تعالى: { وما كان الله ليضيع إيمانكم

} وقال تعالى: { إني لا أضيع عمل عامل منكم } وفي الحديث: (كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول) رواه الإمام زيد ابن علي عليهما السلام في المجموع ، وفيه بحث نفس في اليمين والكفارة ، قال في [الصحاح]: حفظت الشيء حفظا أي حرسته ، انتهى.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون (٨٩) } :

كذلك البيان في هذه الآيات يبين الله لكم آياته في القرآن وغيره ، أو المراد آيات القرآن وهذا دليل على أن الآيات بينات بالنسبة للعرب الذين نزل القرآن بلسانهم فلا تحتاج إلى بيان من النبي ولا من إمام ولا شيخ ، فأما تفصيل ما أجمل في القرآن أي عبر به عن جملة مفصلة في السنة فليس من البيان بها ؛ لأن اللفظ القرآني عبارة عن الجملة وهي معروفة بالسنة فصارت بينة ؛ لأنها معروفة جملة ، وليس ذلك من باب الترجمة للكلام الذي لم يفهم كما أن اسم الإنسان مفهوم المعنى ولا ينافيه أن معرفة بعض أجزائه يحتاج إلى علم التشريح فنحمد الله على بيانه ونسأله الهداية لتعلمه واتباعه فإنه من أعظم النعم كما يدل عليه قوله تعالى: { لعلكم تشكرون } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (٩٠) (١)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون (٩٠) } :

قال في لسان العر ب: والخمر ما أسكر من عصير العنب ؛ لأنها خامرت العقل ، ثم قال وقال أبو حنيفة: قد تكون الخمر من الحبوب فجعل الخمر من الحبوب قال ابن سيده : وأظنه تسمحا منه ؛ لأن حقيقة الخمر إنما هي من العنب دون سائر الأشياء. انتهى.

وقد فسر الهادي – عليه السلام – هذه الآية في [الأحكام] في الحدود فقال – عليه السلام – : الخمر كل ما خامر العقل فأفسده فإذا أفسده كثيره كان حراما قليله ، ولذلك سميت خمرا لمخامرتها

للعقل وإبطالها له سواء كانت من عنب أو تمر أو عسل أوذرة أو شعير أو حنطة أو زهو أو غير ذلك من الأشياء ، انتهى المراد هنا ، ويأتي إن شاء الله بقية تفسيره لهذه الآية .

والمختار عندي أن الخمر وإن سميت خمرا لمخامرتها العقل فهو اسم لها لا مجرد صفة بالمصدر ، فإن كانت تصنع من غير العنب فتحصل جامعة للصفات التي يطلبها شارب الخمر من الخاصة المحصلة للنشاط والإطراب والتفريح والتنبيه للأعصاب وغير ذلك مما يعرفه أهلها ويطلبه منها شاربها فقد حصلت حقيقة الخمر ، وأصلها الذي صنعت منه خارج عن مفهومها ، ألا ترى أن خمر الجنة يسمى خمرا وليس من العنب ، وعسلها عسلا وليس من النحل ولبنها لبنا وليس من الأنعام ، وذلك لأن الإسم للذات بصفاتها غير مأخوذ في معناه أصلها ؛ ولعل سبب الخلاف في الخمر هل هو خاص بما أخذ من العنب أم عام لكل شراب خمر وأسكر من غير نظر إلى أصله لعل سبب الخلاف أن العرب لم يكونوا يستطيعون صنعتها جامعة لأوصافها ومميزاته إلا من العنب وما صنعوه من غيره يكون والله أعلم بخلافها في بعض معناها ، إلا أنه موافق لها في الإسكار ، فأما في هذا العصر فلعل بعض النصارى وغيرهم يصنعها جامعة لأوصاف نبت العنب من غير العنب فهي خمر بلا إشكال ؛ لأنه لم يفقد فيها إلا النسبة إلى العنب وهي خارجة عن مفهوم الخمر ، وعلى هذا فالنبيذ المسكر المصنوع من غير العنب الذي لم تكمل فيه أوصاف الخمر التي من العنب إنما يجرم لإسكاره ، وللحديث: (كل مسكر خمر) فإنه يدل على أن كل مسكر له حكم الخمر وهذا هو المقصود في الحديث لا تعليم الإسم لأن العرب لا تحتاج إلى من يعلمها لغتها .

وأيضا: لو كان مفهوم الخمر مفهوم المسكر لكان الحديث بمنزلة ما لو قيل كل مسكر مسكر فظهر أن ليس إلا مثل قوله : (الطواف بالبيت صلاة إلا أن الله أباح فيه الكلام) أو كما قال .

وأوضح من هذا ما رواه الهادي – عليه السلام – في [الأحكام] وهو في [أمالي أحمد ابن عيسى] عن زيد ابن علي عن آبائه عن علي عليهم السلام أنه قال : (السكر بمنزلة الخمر) أي حكمه حكم الخمر ، ولو كان كل سكر خمرا حقيقة ما استقام هذا الكلام .

وقال الهادي – عليه السلام – في [الأحكام] في باب القول في حد الخمر: وحدثني أبي عن أبيه أنه قال: بلغنا عن أمير المؤمنين – عليه السلام – أنه كان يقول: (لا أجد أحدا يشرب خمرا ولا نبيذا مسكرا إلا جلدته الحد ثمانين) انتهى.

وأما الميسر: فقال الهادي – عليه السلام – في[الأحكام] : والميسر فهو النرد والشطرنج والقمار كله ، وكل ما كان من ذلك مما يلهي عن ذكر الرحمن ويشغل عن كل طاعة وإيمان ، انتهى وظاهره أن اللعب بالنرد والشطرنج ونحوهما من الميسر من غير اشتراط القمار.

وفي [لسان العرب] : والميسر اللعب بالقداح ، قال: وفي التنزيل: { يسألونك عن الخمر والميسر } قال مجاهد: كل شيء فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز.

وروي عن علي كرم الله جهه: (الشطرنج ميسر العجم) شبه اللعب به بالميسر وهو القداح ونحو ذلك ، قال: والياسر الجازر ؛ لأنه يجزئ لحم الجزور ، وهذا الأصل في الياسر ، ثم يقال للضاربين بالقداح والمتقامرين على الجزور ياسرون ؛ لأنهم جازرون إذا ـ كذا ـ كانوا سببا لذلك .

الجوهري: الياسر اللاعب بالقداح ، انتهى المراد من [لسان العرب] وفي[الصحاح]: والياسر: اللاعب بالقداح كما حكاه في [لسان العرب] قال: والميسر قمار العرب بالأزلام.انتهى .

وقال في القمار: قال ابن دريد: والقمار المقامرة وتقامروا لعبوا بالقمار ، وقمرت الرجل اقمره – بالكسر– قمرا إذا لاعبته فيه فغلبته ، وقامرته فقمرته اقمره – بالضم– إذا فاخرته فيه فغلبته ، انتهى .

وفي كلام أمير المؤمنين – عليه السلام – رواه في[نهج البلاغة] : (فإن المرء المسلم مالم يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت وتغرى بها لئام الناس كان كالفالج الياسر الذي ينتظر أول فورة من قداحه توجب له المغنم ويرفع بها عنه المغرم ، وكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحسنيين ...)الخ انتهى ، وفيه توضيح الياسر .

وفي مجموع الإمام زيد ابن علي عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام: أنه مر بقوم يلعبون بالنرد فضربهم بدرته حتى فرق بينهم ثم قال: ألا وإن الملاعبة بهذه قمارا كأكل لحم الخنزير ، والملاعبة بها غير قمار كالمتلطخ بشحم الخنزير وبدهنه ، ثم قال: – عليه السلام – هذه كانت ميسر العجم ، والقداح كانت ميسر العرب ، والشطرنج مثل النرد ، انتهى.

وفي تفسير الغريب للإمام زيد – عليه السلام – : { يسألونك عن الخمر والميسر } فالميسر القمار ، انتهى ، ومثله في تفسير هذه الآية.

فترجح أن الميسر القمار بواسطة القداح أو النرد أو الشطرنج أو غيرها ، ولعل الهادي – عليه السلام – ذكر النرد والشطرنج لئلا يتوهم أن الميسر خاص بالقداح.

وأما الأنصاب: فقال الهادي – عليه السلام – في [الأحكام] : والأنصاب فهي أنصاب الجاهلية التي كانوا ينصبونها من الحجارة لعبادتهم يعبدونها من دون الله وهي اليوم فموجودة في شعاب الأرض وفي آثارهم منصوبة على حالها قائمة منذ عهدهم.

وأما الأزلام: فقال الهادي – عليه السلام – :والأزلام فهي القداح التي كانت الجاهلية تضرب بها وتستقسم بها وتجعلها حكما في كل أمرها عليها كتب وعلامات لهم فما خرج من تلك الكتب والعلامات جعلوه لهم هداية ودلالات فأخبر الله تعالى أن ذلك كله من فعلهم أمر عن الله يصدهم ومن طاعته يمنعهم ومن التعاهد لأوقات فرائض الصلوات يشغلهم وذلك قوله سبحانه: { إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون } انتهى

قال الراغب: { فاجتنبوه لعلكم تفلحون } وذلك أبلغ من قولهم اتركوه ، انتهى. قلت: لأن معناه المجانبة له أي الكون في جانب غير جانبه.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٧٠/٢)

إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر (١) ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة (٢)

---

(١) . { إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر } :
أي والواجب عليكم التحاب والتآلف والتآخي ليمكنكم الجهاد في سبيل الله والتعاون على البر والتقوى والشيطان يريد أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء لما في ذلك من المفاسد العظيمة التي من أهمها الضعف عن حماية الإسلام ، وقوله تعالى: { في الخمر والميسر } أي بسبب الخمر والميسر ؛ ولعله من الكناية بأن جعل الخمر والميسر محلا للعداوة والبغضاء ، وفي هذا مأخذ لتحريم أسباب العداوة والبغضاء بين المسلمين.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة } :

ويصرفكم ويمنعكم عن ذكر الله بقلوبكم وألسنتكم لاشتغالكم بالخمر والميسر ، وعن الصلاة كذلك ، والإشتغال بالميسر ظاهر لشدة حرص المتقامرين على الغلبة واشتغاله بسبب القمار ، وأما الخمر فمن جهتين: جهة التجارة فيه ، وجهة السكر.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٧١/٢)

فهل أنتم منتهون (٩١) (١)

---

(١) . { فهل أنتم منتهون (٩١) } :

فهل أنتم يا مسلمون تاركون لهما بعدما بين الله فيهما تلك المعايب التي ينبغي للمسلم أن يبغضهما ويشتد حذره منهما فهما ، رجس وشأنكم التطهر من عمل الشيطان عدو الله وعدوكم ، وشأنكم الحذر منه واجتناب خطواته ، يريد أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء وشأنكم الولاية والحب { ويصدكم عن ذكر الله } وشأنكم ذكر الله كثيرا { وعن الصلاة } وشأنكم المحافظة عليها ، فهذه العيوب تدل على أن شأن المسلم أن يجتنبهما وينتهي بنهي الله عنهما .

وهذا الخطاب للمؤمنين رحمة من الله ليتركوا عن قناعة فيه لطف يشبه لطف الوالد بولده ، ونظيره خطابهم في أول سورة الممتحنة للتحذير من اتخاذ الكفار أولياء فتأمله { وكان بالمؤمنين رحيما } فلهم رحمة خاصة بهم زائدة على الرحمة للناس جملة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٧٢/٢)

وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين (٩٢) (١)

---

(١) . { وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين (٩٢) } :

{ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول } : في كل حكم ومن ذلك اجتناب ما ذكر قبل هذه فيجتنب طاعة لله وطاعة للرسول { فإن توليتم } عن طاعة الله ورسوله فيجب عليكم أن تعلموا يقينا أن الذي على الرسول هو البلاغ المبين ، فأما الحساب والعقاب فهو إلى الله فلا تغتروا إن خفي على الرسول توليكم أو لم يستطع قهركم إذ لم يرسل إليكم لهذا القهر كلما عصيتم ، وقوله تعالى: { البلاغ المبين } أي الموضح لحكم الله الدال عليه دلالة بينة ، وفي هذا رد على الباطنية ومن يثبت التوصل إلى الأحكام بالرموز والإلهام دون البلاغ من الرسول البلاغ المبين الذي تفهمه العرب.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٧٣/٢)

ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين (٩٣) (١)

---

(١) . { ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين (٩٣) } :
{ طعموا } : أكلوا أو شربوا مع تقوى الله واجتناب تعمد معصيته وذلك المباحات وما طعموا خطأً لم تعمد قلوبهم به معصية فهذا الذي يكون مع التقوى ، فأما تعمد الحرام بعد العلم بتحريمه فهو ترك للتقوى وتعرض للعقاب كما قال تعالى في الوعيد على ذلك: { ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ندخله نارا } الآية ، وغيرها.

وقد روى الهادي – عليه السلام – في [الأحكام] في باب القول في حد الخمر عن علي – عليه السلام – في قصة أنه قال – عليه السلام – في تفسير هذه الآية: إن الله لما حرم الخمر شكا المؤمنون إلى النبي فقالوا: كيف بآبائنا وإخواننا الذين ما توا وقتلوا وهم يشربون الخمر . أي قبل تحريمها . وكيف بصلاتنا التي صلينا ونحن نشربها . أي قبل تحريمها . هل قبل الله منا ومنهم أم لا ؟. فأنزل الله فيهم: { ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين } فكان ذلك معذرة للماضين وحجة على الباقين ، انتهى .
وفي قوله: أم لا فائدة نحوية وهي جواز استعمال (أم) بعد (هل) ، وقد منع ذلك صاحب المغني وفي حاشية عن ابن مالك أن (هل) تأتي بمعنى الهمزة ، قال الدسوقي وحينئذ فتعادلها (أم) المتصلة كحديث: (هل تزوجت بكرا أم ثيبا) انتهى دماميني اهـ .
وفي كلام أمير المؤمنين علي – عليه السلام – في الخطبة الغراء: (هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ أو فرار أو محار أم لا ؟) انتهى .
وعندي أن المعادلة بلفظ (أم لا) لم تخرج (هل) عن أصلها.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٧٤/٢)

يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (٩٤) (١)

---

(١). { يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (٩٤) } :

هذه الآية تخبر بأن الله تعالى سيبلوا الذين آمنوا أي يختبرهم من يخاف الله ويصبر عن التعدي فيثيبه ، وهذا الإبتلاء فيما حرم من الصيد مع الإحرام أو صيد الحرم ، ولا تعم الصيد كله ؛ لأن قوله { بشيء من الصيد } يفيد بعضا منه ، ولو كان المراد العموم لكفى أن يقول: بالصيد.

وقوله تعالى: { تناله أيديكم ورماحكم } أي قريب بحيث تناله أيديكم إن اصطدتموه أو لا ينال إلا بالرمح ؛ ولعل فائدة هذا التنبيه على عظم البلوى به حيث أن صيده سهل ينال بالأيدي أو بالرماح لا يحتاج إلى الكلاب ولا إلى السهام ، وهذا ليستعد المؤمن بالعزم على الصبر عنه { ليعلم الله من يخافه بالغيب } مع أنه عالم من سيخاف لكن المراد أن يعلم ذلك واقعا ؛ ليثيب عليه لأن الثواب يترتب على وقوعه { فمن اعتدى } بعد هذا التقديم أو بعد الاختبار بالصيد مع العلم بتحريمه وفي قوله: { فمن اعتدى } دلالة على أن الصيد المحرم يكون اصطياده اعتداء عليه وظلما ؛ لأنه لم يبق للإنسان حق فيه بعد تحريمه ، وقوله تعالى: { فله عذاب أليم } وعيد بعذاب الآخرة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٧٥/٢)

يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم (١)

---

(١). { يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم } :

{ وأنتم حرم } : جمع حرام وهو المحرم – بسكون الحاء وكسر الراء وضم الميم في أوله – ولا يدخل فيه صيد الحرم لغير المحرم فتحريم صيد الحرم بدليل ثان ؛ لأن داخل الحرم إذا لم يكن محرما فليس حراما وإن صح أن يقال له محرم أي صائر في الحرم ، كما يقال منجد أو متهم أو معرق لمن صار إلى نجد أو إلى تهامة أو إلى العراق.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٧٦/٢)

ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام (٩٥) (١)

---

(١) . { ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم } :

كما سماه تعديا في قوله تعالى: { فمن اعتدى } سماه قتلا ، فلا يكون ذكيا وإن ذبحه ، وقوله: { متعمدا } يخرج الخطأ فهو معفو { فجزاء مثل ماقتل } يكفي للتخلص من هذا الإعتداء ، وعلى قراءة إضافة جزاء إلى { مثل } يكون المعنى جزاء مثل المقتول ، فما وجب في مثله فهو جزاؤه ، وعلى ترك الإضافة يكون المعنى فجزاء يكفيه ، وذلك الجزاء هو مثل ماقتله من النعم أي المثل من النعم .

قال في [الصحاح]: والنعم: واحد الأنعام ، وهي المال الراعية ، وأكثر ما يقع هذا الإسم على الإبل ، انتهى .

وفي [لسان العرب] والنعم: واحد الأنعام وهي المال الراعية .

قال ابن سيده: النعم الإبل والشاء ، انتهى المراد .

وفي [مفردات الراغب] النعم خاص بالإبل ، ومثله حكى في [لسان العرب] عن ابن الأعرابي ، وقال في [اللسان] في قوله تعالى { فجزاء مثل ما قتل من النعم } قال الأزهري دخل في النعم هاهنا الإبل والبقر والغنم انتهى ، وهذا ظاهر كلام الهادي عليه السلام لأنه ذكر ذلك في سياق ما دلت عليه الآية ، ونذكر هنا كلامه ، قال عليه السلام في [الأحكام] : قال الله تبارك وتعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم } .

{ ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام (٩٥) } .

والمتعمد لقتل الصيد من المحرمين الذي جعل الله عليه الجزاء فهو الذي يريد قتله متعمدا يرميه بالسهم أو يطعنه بالرمح أو يضربه بالسيف يريد قتله ويتعمد أخذه وهو ناس لإحرامه غير ذاكر لما

داخل فيه من حجة ، فأما من قتله متعمدا ذاكرا لما هو فيه من إحرامه فلا بد له من التوبة النصوح إلى الله من ذلك وهي كبيرة أتاها يجب عليه الخروج إلى الله منها ، ويجب عليه معها الجزاء ، والجزاء فهو مثل ما يقتل يحكم به عليه ذوا عدل ، والعدل فهو البصير بالحكومة في ذلك مع الصلاح في الدين والخشية لرب العالمين ، فمن كان قتل ما يكون جزاؤه شاة فلم يجد الشاة أطعم عشرة مساكين إن أحب أو صام عشرة أيام ، فإن قتل المحرم بقرة وحش أو نعامة أو فعليه في النعامة بدنة يحكم بها ذوا عدل ، فإن كره البدنة لثقل مؤنتها وأحب أن يحكم عليه بالإطعام فإنا نرى أن عليه إطعام مائة مسكين ، وإن أحب أن يحكم عليه بالصيام حكم عليه بصيام مائة يوم وهو في الجزاء والصدقة والصيام بالخيار أيهن شاء فعل لأن الله سبحانه قال: { هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما } فقال: أو فجعل بذلك إلى صاحبه الخيار ، وكذلك عدل البقرة من الإطعام إطعام سبعين يوما ، انتهى باختصار .

وقد بين معنى التعمد ومعنى النعم ، ومعنى العدلين ، وأما قوله تعالى { هديا } فالهدى ما يهدي إلى الكعبة من النعم و { بالغ الكعبة } بالغ عند الكعبة في حرمها ، قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: قال في [البرهان] وعنى بالكعبة الحرم لأنها فيه ، ولا يجوز أن يهدي في الجزاء ما لا يجوز في الأضحية من صغار النعم ، اهـ .

قلت : لعله يعني أن معنى بلوغ الكعبة بلوغ حرمها كما قال تعالى { لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق } والبيت العتيق هو الكعبة البيت الحرام .

قال الشرفي رحمه الله في تفسير { ثم محلها إلى البيت العتيق } : والمعنى وقت وجوب نحرها منهية إلى البيت العتيق ، والمراد الحرم الذي في حكم البيت ..إلخ .

قلت : ويمكن أن محلها اسم مكان حلها فيكون المعنى مكان حلها إلى البيت أي قريب منه يليه ، ويدل على هذا قوله تعالى { والهدي معكوفا أن يبلغ محله } قال الشرفي : ومحله هو مكانه الذي يحل فيه نحره أي يجب ، انتهى .

وقوله تعالى { ليذوق وبال أمره } أي ليذوق من قتل الصيد وعاقبة أمره وضرره الثقيل وفي تفسير الهادي عليه السلام لقوله تعالى { فذاقت وبال أمرها } معنى { فذاقت } هو وجدت ، ومعنى { وبال أمرها } هو عاقبة أمرها ، ومعنى { أمرها } فهو فعلها وما تقدم من فسقها ، انتهى من [المصابيح ج/١ص/٢٥٤خ] عفى الله عما سلف قبل نزول هذا الحكم من قتل الصيد في الإحرام في زمان الجاهلية أو في أول الإسلام { ومن عاد } لقتل الصيد متعمدا { فينتقم الله منه } يجزيه { والله عزيز } ومن عزته أن يجزي من تعدى { ذو انتقام } ذو جزاء وعقاب لمن عصاه متعمدا ولم يتب .

قال الراغب : والنقمة العقوبة انتهى المراد .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٧٧/٢)

أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة (١) وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما (٢)

---

(١) . { أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة } :

{ صيد البحر } : ما صيد من البحر أضيف إلى البحر لأنه من حيوان البحر الذي يعيش فيه ، وطعامه: ما أخذ من غير اصطياد ، وقد جزر عنه البحر فأخذ من مكانه بدون اصطياد ، فأما الطافي على الماء ففيه رواية تدل على تحريمه { متاعا لكم } أينما كنتم ورزقتم منه { وللسيارة } قال الراغب: السير المضي في الأرض ، انتهى ، ولعله أعم من السفر ، وفي معلقة امرئ القيس :

فقلت لها سيري وارخي زمامه

فهو متاع للسيارة صيد البحر وطعامه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما } :

{

صيد البر } : حيوان البر الذي يؤخذ بالإحتيال ؛ لأنه متوحش لا ينال إلا بالإصطياد ، ويدل على أنه اسم للحيوان الذي يصاد قوله تعالى { ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم } وقوله تعالى { لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم.. } الآية وسمي صيدا لأنه يصاد في العادة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٧٨/٢)

واتقوا الله الذي إليه تحشرون (٩٦) (١) * جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس (٢)

---

(١) . { واتقوا الله الذي إليه تحشرون (٩٦) } :

فلا تأكلوا شيئا حرمه عليكم ؛ لأنكم إليه وحده تحشرون فيجزي كل نفس بما تسعى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { * جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس } :
قواما للناس وإقامة لحالهم وصلاحا لهم لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية لمن حج وممن حج أو اعتمر فالتجارة تحيى والأسواق تقوم ومنافع الناس بالتعارف والتلاقي في مواضع الحج والعمرة كما قال تعالى { ليشهدوا منافع لهم } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٧٩/٢)

والشهر الحرام (١) والهدي والقلائد (٢)

---

(١) . { والشهر الحرام } جعله قياما للناس وهو عام لكل شهر من الأربعة الحرم لما فيه من نعمة الأمن وترك الحرب فيمكن مع الأمن ما لا يتهيأ مع الخوف من السفر وطلب المعاش وسائر الحاجات .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { والهدي والقلائد } :
جعل ذلك كله قياما للناس ، فبائع الهدي يستفيد الثمن ، ومشتريه يستفيد الثواب ، والفقراء والملاك ينتفعون بالأكل منه ، والقلائد إما ما يقلد من الهدي إشعارا بأنه هدي ، وتقليده: جعل القلادة في عنقه .

قال الراغب: والقلادة المفتولة التي تجعل في العنق من خيط وفضة وغيرهما وبها شبه كل ما يتطوق وكل ما يحيط بشيء انتهى.

أو القلائد في الآية قلائد ما يقلد من الأنعام المهداة لله ، فإن كان كناية ففائدته الإشارة إلى ما في الهدي المقلد من النعمة التي يفرح بها الفقراء حين يرون القلادة ويحترم الهدي من رأى القلادة كي لا يتعرض له بسوء احتراما للكعبة ، وإن كان المراد القلادة فهي شعار تحصل به الفائدة المذكورة وهذه النعمى المذكورة في الكعبة وهداياها عظيمة وشاملة .
قال في [الميزان ج/٦ص١٤٢] : ولو استقر المفكر المتأمل جزئيات ما ينتفع به الناس انتفاعا جاريا أو ثابتا من بركات البيت العتيق والشهر الحرام من صلة الأرحام ، ومواصلة الأصدقاء ، واتفاق الفقراء ،

واسترباح الأسواق ، وموادة الأقرباء والأداني ، ومعارفة الأجانب والأباعد ، وتقارب القلوب ، وتطهر الأرواح ، واشتداد القوي ، واعتضاد الملة ، وحياة الدين ، وارتفاع أعلام الحق ورايات التوحيد أصاب بركات جمة ورأى عجبا ، انتهى . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٨٠/٢)

ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم (٩٧) (١)

---

(١) . { ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم (٩٧) } :
لأن تدبير أسباب النعمة التي هيأها لعباده دليل على علمه بأحوالهم وحاجاتهم وما فيه صلاح أمرهم كدلالة إتقان الصنع على أن الخالق بكل شيء عليم لكثرة المصنوعات التي لا نحصيها ، وعموم أثر التدبير والإحكام ، ففي السماء النيرات وإحكام سيرها في أفلاكها على نظام لا يغيره طول الزمان ، واختلاف الليل والنهار على نظام محكم ، وما في الأرض من الدواب والأشجار على اختلاف أنواعها وكثرتها وفوائد ثمار الأشجار ، وتدبير خلق الإنسان وتدبير أسباب معيشته وسائر الحيوانات ، آيات لا تحصى تدل على سعة علمه تعالى ، وإحاطته بكل شيء ؛ لأن دليله في كل مخلوق ، فكلها دليل على أن الله بكل شيء عليم ؛ لأنه عالم بذاته لا بعلم مخلوق فيكون محدودا .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(٣٨١/٢)

اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم (٩٨) (١) ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون (٩٩) (٢)

---

(١) . { اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم (٩٨) } :
هذا أمر يدل على وجوب العلم وطريقة النظر المؤدي إلى العلم بصدق الوعد والوعيد ، وفائدة العلم بشده عقابه تعالى: تقواه ، وفائدة العلم بأنه غفور رحيم: طلب مغفرته ورحمته بالتوبة والإستغفار والمحافظة على التقوى ، وقد بين القرآن أسباب العقاب وأسباب المغفرة والرحمة ، ولا تعارض بين

أسمائه تعالى ولا بين أفعاله ، ولا بين أفعاله ولا بين أقواله ؛ لأنه عليم حكيم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢). { ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون (٩٩) } :

فقد بلغ الإنذار وبيان أسباب العقاب ، وبلغ التبشير وأسباب الرحمة { والله يعلم } ما نعلن وما نخفي ، وإليه المرجع وهو الذي يحاسب ويجازي ، فعلينا أن نراقبه ونتقيه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٨٢/٢)

قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون (١٠٠) (١)

---

(١). { قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون (١٠٠) } :

لا يستوي الفاسق والمؤمن { أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون } { ولو أعجبك كثرة الخبيث } فليس له وزن عند الله بكثرته { فاتقوا الله } لتكونوا طيبين { يا أولي الألباب } فبها تهتدون للتقوى ، وهي حجة عليكم يوم القيامة ، إن لم تتقوه { لعلكم تفلحون } تظفرون بالسعادة في الآخرة والنجاة من العذاب ، وقد قال تعالى { الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم } { ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون } ولعل ارتباط قوله تعالى { قل لا يستوي الخبيث والطيب } بما قبلها لتأكيد أن الله شديد العقاب وأنه غفور رحيم ، وأنه أرسل ليبلغ الإنذار والتبشير ، وذلك لأنه حكيم لا يسوي بين المجرمين والمسلمين ، بل لا بد من ثواب المطيع ولذلك فلا بد من الآخرة لتجزى كل نفس بما تسعى ، فكان التصريح بأنه لا يستوي الخبيث والطيب تنبيها على أن الله العزيز الحكيم لا يسوي بينهما بترك الجزاء لهما معا كما يظن الكافرون ؛ ولعل هذا سبب تصدير الآية بكلمة { قل } لأن الكفار يكذبون الرسول في إنذاره بالساعة فكأنه تعالى قال لهم والله أعلم :

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٨٣/٢)

يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم (١٠١) (١)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم (١٠١) } :

الآية هذه أولها { يا أيها الذين آمنوا } كما بدئت الآيات في هذه السورة بهذا المطلع الفاصل لما بعده عما قبله ، والدال على استقلال ما بعده ، وأنه موضوع جديد ، والنهي عن السؤال عن أشياء وصفت بثلاث صفات :

الأولى: قوله تعالى { إن تبد لكم تسؤكم } فخرج السؤال عن ثواب الأعمال وعقوبات المعاصي ليرغب في العمل الصالح ويجتنب المعاصي ونحو ذلك السؤال عن الأحكام الشرعية .

الثانية: قوله تعالى { وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم } فإذا لم يكن حين ينزل القرآن فلا تبدى للسائل فلا بأس بذلك ، وفي هذا دلالة على أنه إذا انقطع الوحي انقطع علم الغيب ، وإذا انقطع وقت نزول القرآن فلا وحي ، فبطل إثبات علم الغيب بالإلهام أو الإتصال بالرسول بعد وفاته ليخبر ببعض المغيبات .

والصفة الثالثة: قوله تعالى { عفى الله عنها } فسترها رحمة بعباده ، وهذه تدل على أن الإخبار بما سئل عنه يستلزم الكشف عن رذيلة يفتضح بها صاحبها ويتألم بذلك السائل ؛ لأن العفو يدل على أن المعفو عنه سوء ، فظهر بهذه الصفات الثلاث أنها تجتمع في مثل سؤال بعضهم للنبيء من أبي؟ فإذا اتفق أنه كان غير الذي ينتسب إليه ويظنه أباه وأنه كان لغير رشدة كان هذا هو المنهي عنه سؤاله .

فإن قيل: النهي عن السؤال لما يحتمل هذا فهو خلاف ظاهر الآية أم لما يتحقق فيه فهو خلاف ما يفيده { إن تبد لكم تسؤكم } لأنه يفيد أنه عند السؤال لم يبد لهم فهو خفي عليهم غير محقق .

قلنا: النهي عما هو في الواقع جامع للثلاث الصفات وذلك يستلزم اجتناب مظنة الوقوع فيه والمحتمل له ؛ لأنه شبهة يقف عندها المؤمن ، أو المراد به النهي عن مظنة وفائدة تعليق الحكم على الواقع التنبيه على المفسدة في السؤال إذا اتفق جامعا للصفات الثلاث .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٨٤/٢)

قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين (١٠٢) (١)

---

(١) . { قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين (١٠٢) } :
قال الراغب: والسؤال إذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بالجار انتهى .
قلت: إذا تعدى بنفسه كان ذلك باعتبار المسؤول عنه مطلوبا بالسؤال ؛ لأنه أي السؤال طلب للجواب ، وفي [الصحاح] أفاد نحو ما ذكره الراغب .
وفي [لسان العرب]: قال ابن بري سألته الشيء بمعنى استعطيته إياه ، قال الله تعالى { ولا يسألكم أموالكم } وسألته عن الشيء استخبرته ، انتهى .
قال في [الكشاف]: فإن قلت: كيف قال { لا تسألوا عن أشياء } ثم قال { قد سألها } ولم يقل: قد سأل عنها ؟
قلت: الضمير في { سألها } ليس براجع إلى { أشياء } حتى تجب تعديته بـ(عن) ، وإنما هو راجع إلى المسألة التي دل عليها { لا تسألوا } يعني قد سأل قوم هذه المسألة من الأولين ثم أصبحوا بها أي بمرجوعها أو بسببها كافرين ، انتهى .

قلت: الراجح أن الضمير في { سألها } يرجع إلى الإجابة المفهومة من { تبد لكم } لأن السائل يطلب الإجابة ، وهذا هو المناسب لقوله تعالى { ثم أصبحوا بها كافرين } أي كافرين بالإجابة التي هي إبداء الأشياء المسؤول عنها ، فالباء على ظاهرها ، إذا قيل: كفر بكذا لم يخرجها إلى السببية ، والمعنى أنهم طلبوها ثم كفروا بها بعد أن طلبوها ، ولو تركوا السؤال ما أنزلها الله فلم يحتاجوا إلى الكفر .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٨٥/٢)

ما جعل الله من بحيرة ولا pt6٧ح !$y™ ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون (١٠٣) (١)

---

(١) . { ما جعل الله من بحيرة ولا pt6٧ح !$y™ ولا وصيلة ولا حام } :
قال الهادي – عليه السلام – : في[الأحكام في كتاب الذبائح]: والبحيرة التي كانوا جعلوها في الناقة من الإبل كانت إذا ولدت خمسة أبطن فنتجت الخامس سقبا وهو الذكر ذبحوه فأهدوه للذين يقومون على آلهتهم ، وإن كانت أنثى استبقوها وغذوها وشرموا أذنها وسموها بحيرة ، ثم لا يجوز لهم بعد ذلك أن يدفعوها في دية ولا يحلبوا لها لبنا ولا يجزوا لها وبرا إلا أن يحلبوا لبنها إن خافوا على ضرعها في البطحاء ، وإن جزوها جزوها في يوم ريح عاصف يذرون وبرها في الرياح ، ولا يحملون على ظهرها ، ويخلون سبيلها تذهب حيث شاءت ، وإن ماتت اشترك في لحمها الرجال والنساء فأكلوه ، انتهى .

قلت: فالبحيرة هي التي يشقون أذنها ويجعلون لها هذه الحرمة لأنها أنثى ، وكانت البطن الخامس مما نتجت أمها ، ونحوه في [لسان العرب] عن ابن عرفة وقد قال بعضهم: إذا كان الخامس ذكرا بحروا أذنه أي شقوها وأعفوا ظهره من الركوب والحمل والذبح ..إلخ .
قال الهادي عليه السلام: وأما السائبة فهي من الإبل كان الرجل إذا مرض فشفي أو سافر فأدي أو سأل شيئا فأعطي سيب من إبله ما أراد أن يسيبه شكرا لله ويسميها سائبة ، ويخليها تذهب حيث شاءت مثل البحيرة ، ولا تمنع من كلأ ولا حوض ماء ولا مرعى ، انتهى ، ومثله في [الكشاف] .
قال الهادي عليه السلام: وأما الوصيلة فهي من الغنم كانوا إذا ولدت الشاة خمسة أبطن عندهم فكان الخامس جديا ذبحوه ، أو جديين ذبحوهما ، وإن ولدت عناقين استحيوهما ، فإن ولدت عناقا وجديا تركوا الجدي ولم يذبحوه من أجل أخته ، وقالوا: قد وصلته ، ولا يجوز ذبحه من أجلها ، وأما الأم فمن عرض الغنم يكون لبنها ولحمها بين الرجال دون النساء ، فإن ماتت أكل الرجال والنساء منها واشتركوا فيها .
وأما الحام فهو الفحل من الإبل كانوا إذا ضرب عشر سنين وضرب ولد ولده في الإبل قالوا: قد حمى ظهره فيتركونه لما نتج لهم ويسمونه حاميا ويخلون سبيله ، فلا يمنع أين ما ذهب ويكون مثل البحيرة والسائبة فلا يجوز في دية ولا يحمل عليه حمل ، فهذه الثلاثة من الأنعام التي حرمت ظهورها ، انتهى المراد .
وقوله تعالى { ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام } معناه أنه لا وجود لها في مخلوقاته فما ادعاه الكفار من إثبات بحيرة أو سائبة أو وصيلة أو حام فهو كذب لا أصل له ؛ ولذلك قال تعالى :
{ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون (١٠٣) } :

فالتي سموها بحيرة ليست بحيرة لأن التاء فيها زيدت لأنه اسم لها يعبر عن حكمها عندهم ، والتي سموها سائبة ليست سايبة وهكذا ؛ لأن الكل حلال كسائر الأنعام ، وفيه رد على المجبرة الذين زعموا أن أفعال العباد من الله ، فعلى قولهم هو الذي جعل بحيرة وسائبة ..إلخ ؛ لأن فعل المشركين على قول المجبرة وفي مذهبهم من الله سبحانه وتعالى ، وقوله تعالى { وأكثرهم لا يعقلون } كقوله تعالى { أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون.. } الآية أي لا يستعملون عقولهم ليعرفوا الحق ، بل يهملونها فلا يعقلون الحق أي لا يفهمونه بل هم كالأنعام بل هم أضل .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون (١٠٤) (١)

---

(١) . { وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله } لتعرفوا حكم الله في الأنعام وغيرها في كتابه { وإلى الرسول } ليبين لكم حكم الله { قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا } قالوا يكفينا ما وجدنا عليه آباءنا فلا نحتاج إلى ما أنزل الله ولا إلى الرسول .

{ أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون (١٠٤) } :

أيكفيهم ما وجودهم عليه ولو كانوا لا يعلمون شيئا ولا يهتدون لحق ، وهذا الرد كاف لإبطال دعواهم أنه يكفيهم سنة آبائهم ؛ لأن ذلك لا يستند إلى حجة بلا احتمال جهل آبائهم واحتمال ضلالهم واقع لا شك فيه فاستنادهم إليه مجرد تعصب لآبائهم بلا حجة ، وعلى قولهم يلزم احتمال أنهم على جهل وضلال مثل آبائهم ، وهذا جواب حكيم بأسلوب جميل ، وفيه دلالة على أن مجرد احتمال بطلان الدعوى يكفي في ردها لأن (لو) تستعمل في المحتمل النادر مثل للسائل حق ولو جاء على فرس ، وبذلك كان الجواب في غاية الرفق بالجهلة المتعصبين لآبائهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم (١)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم } :
قال الشرفي في [المصابيح]: قال المرتضى عليه السلام معنى الآية وتفسيرها لا يضركم ضلال الضالين ولا تحاسبون بفعل المبطلين ولا تسألون عن شيء من أعمال المفسدين ، وإنما أفعالهم عليهم وضررهم في رقابهم وقد ذكر أن اليهود قالوا للمسلمين: كيف تطمعون بالنجاة وآباؤكم مشركون ولستم بناجين من فعلهم ، فأنزل الله هذه الآية ، وقال { ولا تزر وازرة وزر أخرى } فأخبر أنه لا يعذب أحد بجرم أحد والدا كان أو ولدا ، انتهى .
وقوله تعالى { إذا اهتديتم } دليل على أنه لا يسقط عن المؤمن تكليفه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وغير ذلك كإقامة الحدود واجتناب الموالاة ؛ لأن ذلك من الهدى الذي شرعه الله في القرآن فمن ترك ما أمر الله به فلم يهتد ، وأما قوله تعالى { عليكم أنفسكم } فإنما هو إغراء لحفظ النفس من أسباب الهلكة ، وليس معناه لا تبالوا بضلال غيركم ، ولا تأمروا بمعروف ولا تنهوا عن منكر
.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٨٨/٢)

إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون (١٠٥) (١) يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم (٢)

---

(١) . { إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون (١٠٥) } :
{ إلى الله مرجعكم } أنتم ومن ضل ترجعون مجتمعين للسؤال والجزاء { فينبئكم } فيخبركم { بما كنتم تعملون } لأنه لم يخف عليه شيء من أعمالكم وهو يحاسبكم ويجزيكم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم } :
}

شهادة بينكم } هي الشهادة التي تؤدى بين المؤمنين عند الحاجة ، والمراد هنا تحملها بدليل قوله تعالى { إذا حضر أحدكم الموت } وتحملها { حين الوصية } وهي الشهادة على ما أوصى به الميت فلا بد من استشهاد اثنين { ذوا عدل منكم } العدل ضد الجور فهما ملتزمان بالعدل مجتنبان للجور { منكم } أي من الذين آمنوا .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٨٩/٢)

أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت (١) تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى (٢)

---

(١) . { أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت } :
فلا يكفي شاهدان من غير الذين آمنوا إلا في حال الضرورة الملجئة إلى استشهاد شهيدين من غير الذين آمنوا وذلك إذا ضربنا في الأرض وخرجنا من بلاد الإسلام ولم نجد إلا من غير الذين آمنوا لتضيق الحادثة بحضور الموت ، وظاهره الإطلاق بل هو ظاهر في الكفار الذين يؤدي إليهم الضرب في الأرض حيث كان الإسلام لم ينتشر في الأرض وكان الضرب في الأرض مظنة الخروج من بلاد الإسلام
.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { تحبسونهما من بعد الصلاة } :

عند أداء الشهادة راجع إلى أول الكلام فهو في العدلين من الذين آمنوا ، وإنما قوله تعالى { أو آخران } إلى الموت شبه المعترض بين الكلامين .
{ فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى } :
يقسمان بالله بعد الصلاة لا نكتمها أو نغيرها لأجل مال نعطاه لنكتم الشهادة أو نلويها فيكون بدلا من أدائها على وجهها ، وقوله تعالى { إن ارتبتم } أي قلقتم لتجويز أن يكتمها شاهد أو يغير فيها ، والشك في ذلك فخذوا منهما العهد المذكور ، وقوله تعالى { ولو كان ذا قربى } أي المشهود عليه فلا نشتري بالشهادة ثمنا لأن المشهود عليه ذا قربى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٩٠/٢)

ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين (١٠٦) (١) فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان (٢)

---

(١) . { ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين (١٠٦) } :

هذا تمام ما يقسمان عليه الإلتزام بأن لا يكتما الشهادة والإعتراف بأنها حق لله عليهما ، وأنهما إذا كتماها من الآثمين فيكون اعترافهما هذا حجة عليهما إن كتما يوم القيامة وفي الدنيا إن عثر على كتمانها ، وحبس الشاهدين من بعد الصلاة ليؤديا اليمين هو توقيفهما ليحلفا قبل أن يشهدا وهذا عند أداء الشهادة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فإن عثر على أنهما استحقا إثما } :

عثر عليه انكشف وظهر أن الشاهدين استحقا إثما بتغيير في الشهادة إما بتبديل أو بزيادة أو نقص فلم يؤدياها على وجهها ، فاستحقا عقوبة ذلك الإثم كقوله تعالى { فسوف يلق أثاما يضاعف له العذاب } . }

فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان } :

لأن الشاهدين كتما الشهادة أو غيراها فكاد الحق أن يفوت وكاد المستحق عليه أن يضيع الحق عليه فكان الآخران الذان ينال بشهادتهما الحق من المستحق عليه هما { الأوليان } بأن يشهدا ويعمل بشهادتهما لأنهما قاما من الذين استحق عليهم الحق مقام الصدق وشهدا عليه بالحق وهو مقام الشاهدين الأولين لو أقاما الشهادة ولم يكتما أو يغيرا فمقامهما من المشهود عليه هو قيامهما عليه بأداء الشهادة بالحق ، فلما تخلف الأولان عن مقامهما من المشهود عليه كان الآخران الأوليين بذلك المقام ، آخران مبتدأ وجملة { يقومان } إلى قوله { عليهم } صفة سوغت الإبتداء بالنكرة ، والأوليان خبر المبتدأ ، و(من) في قوله تعالى { من الذين } ومجرورها متعلقان بمقامهما وهي (من) التي تحدد المسافة والنسبة ، كالحديث (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) وقول عنترة :

ولقد نزلت فلا تظني غيره ... مني بمنزلة المحب المكرم

بناء على أن قوله (مني) متعلق بـ(نزلت) وهو الظاهر عندي ، ومنه الآية الكريمة { إن رحمة الله قريب من المحسنين } ومقامهما مصدر أو ظرف مكان .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٩١/٢)

فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين (١٠٧) (١)

---

(١) . { فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين (١٠٧) } : تأكيدا لشهادتهما { وما اعتدينا } في شهادتنا على المستحق عليه ، أي لم نعتد عليه { إنا إذا لمن الظالمين } إنا إذا اعتدينا عليه وشهدنا عليه بما ليس عليه { لمن الظالمين } تسجيلا على أنفسهم بالظلم وإقرار بإثم الظلم إن اعتديا وهذا من تأكيد الشهادة .

فإن قيل: كيف يتصور العثور على أن الأولين كتما مثلا قلت إذا شهدا على إقرار الميت ببعض الحق الذي يعلمه الآخران عليه فالمستحق عليهم الورثة ، وإذا شهدا على دعوى الميت بعض الحق له الذي يعلمه الآخران فالمستحق عليهم المدعى عليهم ، فالعثور هو الإطلاع على ما كتم الشاهدان بسبب معاينة المعاملة سابقا قبل ضرب الأرض أو سماع الإقرار سابقا من الميت أو من غرمائه ، أو بسبب إقرار الشاهدين من بعد الشهادة على ما كتما ، أو بسبب من حضر عند الوصية من المسلمين ولم يكونا باسم متحملين للشهادة ، أو حضرا في مرض الموصي قبل أن يوصي وسمعا منه ما يناقض شهادة الشاهدين ويبين ما كتما ، هذا الظاهر عندي ، ولا يجب تنزيل الآية على قصة تميم الداري .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٩٢/٢)

ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم (١)

---

(١) . { ذلك } الذي أمر الله به في الآيتين { أدنى } أقرب { أن يأتوا بالشهادة على وجهها } أن يأتوا الأولان والآخران فالأولان بتحليفهما ما قبل الشهادة بعد الصلاة ، والآخران بقسمهما: لشهادتنا أحق من شهادتهما ..إلخ والكل من الأولين والآخرين لخوف الفضيحة بورود أيمان تكشف كتمانهم .

{ أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم } أي أدنى أن يخافوا { أن ترد أيمان } يؤتى بها بعد غيابها عن موقف الشاهدين فتكشف كتمانهما ، وهذا الخوف يصلح للأولين والآخرين ؛ ولذلك قال تعالى { أو يخافوا } بالجمع .

فإن قيل: فلماذا قيل: أو يخافوا ولم يؤت بـ(الواو) مكان (أو) ؟

قلت: إذا أتوا بالشهادة على وجهها لأجل ما ذكر كله فهو المراد ، وقد تضمن ذلك الخوف المؤدي إلى أداء الشهادة على وجهها ، وإنما جيئ بـ(أو) لأجل حالة الكتمان أو التغيير ؛ لأنه جعل مقابل أداء الشهادة على وجهها الخوف من انكشاف الكتمان أو التغيير ، وفائدة ذلك أنه إذا خان مع خوفه أن يفتضح كان مستحقا للفضيحة أكثر من غيره ؛ لأنه قد تعرض لها عمدا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٩٣/٢)

واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين (١٠٨) (١) * يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب (١٠٩) (٢)

---

(١) . { واتقوا الله } :

عطف على الأوامر المذكورة في الآية للتحذير من المخالفة في شيء منها أو في غيرها وتمهيدا للأمر بالسماع .

{ واسمعوا } : أوامر الله سماع من يريد الإتباع أو بمعنى أقبلوا .

{ والله لا يهدي القوم الفاسقين (١٠٨) } : الذين تركوا التقوى والسماع فهم مخذولون .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { * يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب (١٠٩) } :

اذكر يوم يجمع الله الرسل يوم القيامة { فيقول ماذا أجبتم } أي إجابة أجبتم في الدنيا من أممكم الذين أرسلتم إليهم إجابة حسنة أم سيئة؟ أم ماذا ؟ سؤال عن إجابة أممهم كلها وهم لا يحيطون بها علما ؛ لأن من أممهم من لم يشاهدوه لغيابه عنهم ، أو لأنه كان بعد توفيهم ، وكذلك من أممهم من لا يعلمون سره ونيته وما بطن من إجابته ولذلك نفوا العلم بما يطابق السؤال ، أما العلم ببعض الإجابة فهو غير مسئول عنه هنا ، وفيه دلالة على أنهم لا يعلمون الغيب لا علما ذاتيا ولا بإعلام الله تعالى لهم ؛ لأنهم نفوا العلم عموما ، ولو كانوا يعلمون ذلك كله لما ساغ النفي للعلم في جواب هذا السؤال فتأويله بأنه لا علم لنا ذاتيا خلاف الظاهر ، وكذا قوله { وما أدري ما يفعل بي ولا بكم } وفي هذا رد على بعض الإمامية الذين يدعون للمهدي الذي يدعون أنه قد وجد أنه يعلم أنصاره ومن خالفه ومن هو متبع له على التفصيل بأسمائهم ويعلم ما يفعلون .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٩٤/٢)

إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك (١) إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا (٢)

---

(١) . { إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك } :
هذا يكون يوم القيامة يوم يجمع الله الرسل ، واختص بالكلام لما سبق في الدنيا من غلو بعض النصارى فيه ، وهذا الكلام يشير إلى أنه عبد لله أنعم عليه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا } :
{ أيدتك } قويتك ، وروح القدس: جبريل عليه السلام ، قال تعالى { قل نزله روح القدس } فهو له معين ، ولعل هذا في صغره وكبره ، أما الصغير فإنه ضعيف يحتاج إلى من يرعاه ، وأما الكبير فلأنه يحتاج إلى من يعينه على أعدائه وفي بعض مهماته ، والمهد: ما يمهد للصبي من فراش يجعل عليه ، والكهل: فوق الشباب ، أي من تجاوز سن الشباب أو هو في آخر الشباب .

وحكى الشرفي في [المصابيح] عن الإمام أبي الفتح الديلمي صاحب البرهان أن الكهل ابن ثلاثين سنة ، وأفاد الراغب في [مفرداته] أنه من شارف الشيب ، ولعله يعني من ظهر فيه بياض بعض شعره ، ولم يغلب على السواد .

وقال صاحب [الكشاف]: وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الأشد والحد الذي يستنبأ فيه الأنبياء انتهى ، وفي [الصحاح]: الكهل الذي جاوز الثلاثين ووخطه الشيب انتهى .

والمعنى متقارب ، وهذا التكليم في المهد وكهلا نعمة من حيث أن التكليم في المهد نعمة عليه بالمعجزة وعلى والدته بالتبرئة والدلالة على فضلها ، وفي المهد من حيث أنه كان يكلم الناس بما أرسله الله به ، وعلى والدته برسالة ابنها وسلامته حتى بلغ الكهولة مع أن القدرة على تكليم الناس نعمة على كل حال .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٩٥/٢)

وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل (١)

---

(١) . { وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل } :

{ الكتاب } اسم يعم الكتب كقوله تعالى { مصدقا لما بين يديه من الكتاب } أو هو مصدر كتب أي علمتك الكلام وعلمتك الكتاب الذي هو أحد اللسانين وبه تحصل العلوم المكتوبة ، قال تعالى { علم بالقلم } والحكمة المعلومات النافعة كأسباب الزهد في الدنيا ، وقد حكي عنه عليه السلام كثير من الحكم في كتاب الإعتبار وسلوة العارفين للإمام الموفق بالله عليه السلام ، والتوراة التي أنزلت على موسى والإنجيل الذي أنزل على عيسى ، والإنجيل لم ينسخ التوراة بل هي معمول بها في دين عيسى عليه السلام إلا ما خصه دليل من كلام عيسى عليه السلام أو من الإنجيل ؛ لقوله : { ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٩٦/٢)

وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني (١)

---

(١) . { وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني } :
أذن الله له بالتصوير ، ولعل هذا يشير إلى أن الأصل في التصوير صورة الحيوان التحريم ، وإنما أذن الله لعيسى عليه السلام لما في ذلك من الحكمة الخاصة { فتنفخ فيها } أي من الصورة المفهومة من قوله { كهيئة الطير } والظاهر أن النفخ المطلق الذي هو إرسال النفس من الفم بقوة ولو كان المراد نفخ الروح لقيل: فتنفخ فيها الروح ؛ لأنه المعبر عن نفخ الروح بمطلق النفخ { فتكون طائرا بإذني } { بإذني } أن تكون طائرا بذلك السبب وهو صناعة الطين كهيئة الطير والنفخ فكان سببا لحياته بجعل الله له سببا ، كما جعل حضانة البيضة سببا لحياة الفرخ ، وفي قوله تعالى { بإذني } دلالة على إحاطة قدرة الله تعالى وعلمه بما صنعه عيسى عليه السلام فلو شاء لم تكن طيرا ، ودلالة على سهولة الأمر الخارق على الله حتى كأنه في وجوده لا يحتاج إلا إلى الإذن بوجوده ، وفيه أيضا رد على النصارى الذين زعموا أن إحياءه عليه السلام للموتى راجع إلى أنه إله سبحان الله عما يقولون علوا كبيرا .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٩٧/٢)

وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني (١) وإذ تخرج الموتى بإذني (٢)

---

(١) . { وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني } :
الأكمه الأعمى الذي ولد أعمى وإيجاد البصر له من الله وأذن تعالى أن يكون على يد عيسى عليه السلام معجزة له كسائر المعجزات الخارقة للعادة ، فقوله { بإذني } كذلك رد على النصارى ، والأبرص كذلك يصعب علاجه فإبراؤه معجزة تكون بإذن الله ولا يستقل بها عيسى بقدرته كسائر المعجزات التي تكون على أيدي الرسل كفلق البحر بضربة عصى موسى ، والبرص: بياض يكون في الجلد ويكون به الجلد خشنا في ملمسه ، وهذا الفارق بينه وبين البهق .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وإذ تخرج الموتى بإذني } :

{ الموتى } أي الجنس مثل { يأكل الطعام ويمشي في الأسواق } .
قال في [المصابيح]: والذي أحيى من الموتى رجلين وامرأة ذكره في [البرهان] انتهى .

وهذا نظير إحياء الطير ، وإخراج الموتى: إخراجهم من قبورهم ، وهذه آية عظيمة لدلالة هذا على إحياء وقوة على الخروج من بين التراب ، فهذه المعجزات تقوية له وتصديق من الله له .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٩٨/٢)

وإذ كففت بني ں@ƒدنآuژ خ) عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين (١١٠) (١)

---

(١) . { وإذ كففت بني ں@ƒدنآuژ خ) عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين (١١٠) } :
وإذ نصرتك على الذين كفروا وحاولوا قتلك بأن كففتهم عنك { إذ جئتهم } بالآيات البينات الدالة على أنك رسول الله إلى بني إسرائيل ، وكذلك كففت الذين آمنوا بهدايتهم للإيمان ، فالكف لبني إسرائيل جملة ؛ لأنهم أشداء يقتلون الأنبياء ، ولولا إيمان من آمن لكان مثل الذين كفروا يريد قتلك ، أما { الذين كفروا } فقالوا { إن هذا } أي ما هذا الذي جئتهم به { إلا سحر } وتخييل ، وليس شيئا واقعيا بزعمهم كصنع الساحر في تخييله قلب الحبل حية ، وقولهم { مبين } أي بين أي بين أنه سحر مبالغة منهم في الكفر .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣٩٩/٢)

وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (١١١) (١)

---

(١) . { وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (١١١) } :
الحواريون: الخلص من بني إسرائيل الذين دعاهم عيسى عليه السلام الذين هم الصفوة منهم ، وهذا الوحي الراجح أنه هدايتهم كقوله تعالى { وأوحى ربك إلى النحل } فالمعنى هدايتهم للإيمان بي وبرسولي ليكونوا أنصارا لك ومصدقين لك ؛ لقوله تعالى { فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله } وقوله تعالى {كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله.. } الآية فهم معروفون بنصره عليه السلام وهدايتهم للإيمان بالله وبرسوله عيسى عليه السلام من النعم عليه لتأييده بهم { قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون } لله لا نجعل له شريكا ، وهذا من الرد على النصارى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٠٠/٢)

إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا Zoy‰ح !tB$ من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (١١٢) (١)

---

(١) . { إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا Zoy‰ح !tB$ من السماء } :
{ هل يستطيع } هل يقدر على هذا الأمر الخارق للعادة ، وقولهم { ربك } يشير إلى أنهم يريدون أن يدعو لهم أو يسأل الله عن ذلك فيجيب من أجل عيسى عليه السلام ، وقولهم { علينا } لأنهم يريدون المائدة لأنفسهم .
{ قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (١١٢) } :
فلا تشكوا في قدرته على كل شيء لأن المؤمن لا يرتاب في أن الله على كل شيء قدير ، أو لا تسألوا هذا السؤال الموهم للشك في الله لما فيه من قلة الأدب ، أو لا تطلبوا الأمر الخارق وقد رأيتم من الآيات ما كفاكم للإيمان بالله وبرسوله واشتغلوا بتقوى الله عن طلبه ، أو أراد الكل من هذه المعاني ، فأجابوه عن المعنى الأخير :

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٠١/٢)

قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين (١١٣) (١)

---

(١) . { قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين (١١٣) } :
{ نأكل منها } لنسد جوعنا { وتطمئن قلوبنا } بوقوع الآية التي طلبنا فنزداد إيمانا وتسكن قلوبنا عن الخواطر التي تدعو إلى الشك ونحتاج إلى مدافعتها بالتذكر لما مضى من الآيات { ونعلم أن قد صدقتنا } في كل ما أخبرتنا به عن الله ، وعن قدرته ، وعن رسالتك ، وعن اليوم الآخر { ونكون عليها من الشاهدين } لنشهد لمن لم يعاينها أنها وقعت هذه الآية العظيمة وعايناها أي لنتحمل الشهادة بها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٠٢/٢)

قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا Zoy‰ح !tB$ من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين (١١٤) (١)

---

(١) . { قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا Zoy‰ح !tB$ من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين (١١٤) } :
{ اللهم } أي يا الله ربنا كلنا يقابل قولهم { هل يستطيع ربك } { أنزل } علينا طلبها له ولهم لعله أراد بذلك أن يعرفوا جده في الدعاء .
قال الشرفي في [المصابيح]: قال المرتضى عليه السلام وإنما سألوا أن تكون المائدة لهم عيدا ، وكان ذلك يوم عيد من أعيادهم فقالوا { لأولنا وآخرنا } وأرادوا جميعهم ، وهذا موجود في لغة العرب تقول: بلغت الرسالة أولهم وآخرهم ، وهذا الكلام حسن جميل جائز ، وقلت: هل أنزلها عليهم أم لا؟

قال عليه السلام: بل قد أنزلها ، ألا تسمع كيف يقول وقوله الحق { إني منزلها عليكم } وقد قيل: إنها لم تنزل عليهم ، وليس ذلك عندي كذلك ؛ لأن الله سبحانه يقول { إني منزلها عليكم } وقوله الحق ، ووعده الصدق تعالى علوا كبيرا انتهى .

قلت: ويؤكد أن المراد بقوله تعالى { لأولنا وآخرنا } لجميعنا قوله { تكون لنا عيدا } ولو كان المراد أن تتكرر للموجودين ومن سيوجد لقال: تكون لنا أعيادا ، وقوله { وارزقنا } يدل به على أن سؤال المائدة ليس لمجرد العيد بل لأنه طلب رزق { وأنت خير الرازقين } ثناء على الله بما هو أهله مناسب لطلب الرزق .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٠٣/٢)

%tA$s ه!$# 'خoTخ) $ygن٩حi"t\مN Bن٣›t=nو `ùsJy چàےr٣ƒt ك‰%÷ /tè BدZ٣نN 'خoTخ*çmç¼ ùs/ةt‹jمé& $\/#t‹xم Hwے ¼çmç/ةt‹jمé& #rtn‰%Y& z`دiB tûüد9$#"=Jn ye9$# اتتخب (١)

---

(١) . { %tA$s ه!$# 'خoTخ) $ygن٩حi"t\مN Bن٣›t=nو `ùsJy چàےr٣ƒt ك‰%÷N /tèن٣BدZ 'خoTخ*çmç¼ ùs/ةt‹jمé& $\/#t‹xم Hwے ¼çmç/ةt‹jمé& #rtn‰%Y& z`دiB tûüد9$#"=Jn ye9$# اتتخب } :

{ فمن يكفر } يجحد بعد هذه الآية العظيمة التي طلبوها وجاءت لطلبهم ، أو يكفر النعمة بعد هذه النعمة العظيمة التي يزدادون بها إيمانا مع ما فيها من التكريم لهم .

قال الراغب: والمائدة الطبق الذي عليه الطعام ، ويقال لكل واحدة منهما مائدة انتهى .

وقال في [الصحاح]: وهي خوان عليه طعام فإذا لم يكن عليه طعام فليس بمائدة ، وإنما هو خوان ، انتهى .

والأولى أنه في الآية الطعام على الخوان لقوله { نأكل منها } وكما أفاده الراغب ، وقوله تعالى { لا أعذبه أحدا من العالمين } لعل المراد أنه عذاب خاص يكون خزيا عليهم من حيث أنه خصهم ، وما يروى أنهم طلبوا عيسى أن يريهم من هذه الآية أية أخرى ثم كفروا بعد ذلك فمسخوا قردة وخنازير لا

ينبغي اعتماد الرواية إذا لم تأت من مصدر صحيح ؛ لأن القرآن أثنى على الحواريين ولم يذكر عنهم سوى هذا السؤال الذي يعاب عليهم ، ولا أستبعد أن الرواية من كذب اليهود اختلقوها على الحواريين عداوة لهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٠٤/٢)

---

ou&tƒ tû$# zNtƒ tB |MRr"èدٹO| س #$!ه %ur tA$s(خŒ
Bد` (خs9"û÷üygب ur&hGéح'B$# uهƒدنTrخ' ٩د=Z¨$¨ؤ %Mù=è|
بbrكٹ "!$# (١)

---

(١) . { ou&tƒ tû$# zNtƒ tB |MRr"èدٹO| س #$!ه %ur tA$s(خŒ
Bد` (خs9"û÷üygب ur&hGéح'B$# uهƒدنTrخ' ٩د=Z¨$¨ؤ %Mù=è|
بbrكٹ "!$# } :

هذا معطوف على قوله تعالى { إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي } وهذا السؤال شبه سؤال الموؤودة { بأي ذنب قتلت } وفيه فائدة أخرى استدعاء التوبيخ والتقريع للنصارى الذين اتخذوا عيسى إلها بما في جواب عيسى عليه السلام وذكر أمه لبيان أنه سواء اتخاذه إلها واتخاذها إلها ؛ أو لأن بعض النصارى أشركوا بها كما يحكى عن بعض الحبشة ، ولعل شركهم ليس تصريحا بإلهيتها بل بالغلو فيها ونسبة ما لا يقدر عليه إلا الله إليها من مثل شفاء المريض وإطالة العمر وبركة الرزق وإنزال المطر ومنع المطر عن العصاة غضبا عليهم ، فاتخاذهم لها إلها دعاؤهما لجلب النفع الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، ومعنى { من دون الله } يتخذوهما إلهين قريبين منهم في اعتقادهم يعتبرون نفعهما وإجابتهما للدعاء أقرب من إجابة الله ، ويتخيلون الله بعيدا منهم ، فهذا معنى { من دون الله } وليس معناه نفي إلهية الله ، وهذا كقوله تعالى { حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما } وقوله تعالى { لم نجعل لهم من دونها سترا } أي الشمس ، وقوله تعالى { فاتخذت من دونهم حجابا } وغير ذلك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٠٥/٢)

s9ڤ§{ tB$ &tAqè%r &br÷ >ح' tƒ٣نbqم tB$ ™كys6"tA$s% y7oY
وt=خçmçFù=è% ô%oS)sù ¼çmtGôJ¼ .نàMZ (خb (١) /خd,ys@ >ح'
tR ےإûü y7خ' tB$ &rمOn=ôق tR Iwurے Oس ûخ' Nn=÷ès? $tBم
(٢) اتدب #$٩نqم<ة tم=¯"Nم &MRr| (خy7¨R

---

(١) . { %tA$s } أي عيسى { ™كys6"y7oY } تنزيها وتبعيدا عن أن يكون معك إله .
{ tB$ tƒ٣نbqم >ح' &br÷ &tAqè%r tB$ s9ڤ§{ >ح' /خd,ys@ } :
أي أن عبوديتي لك وإيماني بالتوحيد لك يمنعني أن أقول ما ليس لي بحق ، ونظير هذا النفي { وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ } { قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي } فهو نفي مؤكد بالدلالة على المانع .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { bخ(ZMàن. ¼JôGtmç¼ ùs)o%ô %è=ùFçmç خ=tو م ?sè÷=nN
$tB 'خû سO ےIwur Rt قô=nOمr& $tB 'خy7 ےإûü Rt y7¨R خ(
|rRM& مN"¯=tم ة<مqن٩$# اتدب } :

نفى أن يكون قال للناس { اتخذوني وأمي إلهين } بطريقة إثبات علم الله به لو كان ؛ لأنه علام الغيوب ، ونفى عن نفسه علم الغيب تحقيقا لإقراره بأنه ليس بإله . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٠٦/٢)

&brب /خm3¾ے &sDrگ؟s_سح tB$! (خtB àMù=è% Nçlm; w$
(u'ur (1/٣نn1u' Nخ' #$!© #$مç6ô%oكr#)

---

(١) . { w$ Nçlm; %è=ùMà tBخ) !$tB سح_s؟گrDs& ے¾m3خ/ بbr&
: { u'ur/٣نn1u' Nخ' #$!© #$مç6ô%oكr#)

لأنك أمرتني أن آمرهم بعبادتك وحدك ، فما قلت لهم إلا ذلك المأمور به وبينت لهم أنك ربي وربهم ، فعلينا أن نعبدك وحدك لا شريك إن جعل (أن) مفسرة ، فعلى تظمين { قلت لهم } أمرتهم وعدل عن لفظ الأمر إلى لفظ القول ليناسب قوله { ءأنت قلت للناس } ليناسب مقام الإعتراف بعبوديته لله تعالى الذي هو مقتضى الحال ، فلم يقرن أمر الله له بأمره لهم ؛ لأن أمره لهم إنما هو أمر تبليغ عن الله تعالى وليس إلها من دون الله سبحانه وتعالى ، فقد نفى أنه قال لهم ذلك بوجوه: من ذلك قوله { سبحانك } وقوله { ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق } ومن ذلك قوله { إن كنت قلته فقد علمته.. } إلخ ، ومن ذلك قوله { ما قلت لهم إلا ما أمرتني به } ومن ذلك ما حكاه عن نفسه { اعبدوا الله ربي وربكم } وهذا ينافي دعوى الإلهية ، وينافي أمر الناس باتخاذه واتخاذ أمه إلهين من دون الله .

وإن جعلت (أن) مصدرية فعلى تأويل { أن اعبدوا الله } بمصدر هو أمرهم بعبادة الله ربي وربهم إن صح ذلك ؛ لأن الأصل في (أن) المصدرية أن يكون المعنى على أن تسبك بالمصدر هي والفعل بعدها ، والفعل اعبدوا فالأصل ما أمرتني به عبادتهم لله ربي وربهم ، أي ما أمرتني بقوله عبادة الله ربي وربهم ، وهذا لم يستقم ولا يصح تأويل القول بالمقول فيه ، مثل { ونرثه ما يقول } لأن الإستثناء للقول الحقيقي المأمور به الذي هو قول عيسى عليه السلام لا فعلهم الذي هو عبادة الله وحده .
فجعل (أن) مفسرة أولى وإن كانت في لفظ القول وذلك لأن الحكم يختلف مع التضمين للقول الآخر إذا روعي التضمين ، وقد جعلها مفسرة بناء على التضمين الزمخشري في [كشافه] وهو من علماء العربية حيث جوز جعلها مفسرة على تأويل القول بالأمر ، وحسنه ابن هشام في [مغني اللبيب] ولا إشكال أن معنى { ما أمرتني به } ما أمرتني أن أقوله لهم ؛ لأنه مستثنى من قوله { ما قلت لهم } غاية ما فيه أنه روعي التضمين باستعمال (أن) المفسرة ، وروعي لفظ القول بتعديته إلى المستثنى بنفسه ، فروعي اللفظان كما روعي في قوله تعالى { ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم } التضمين لتضموها المناسب لاستعمال (إلى) مع بقاء معنى الإتلاف أو نحوه مما يعبر عنه بالأكل .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٠٧/٢)

ù $£Jn=sùدŷkحN ٹكB àMB¨$ kyح›‰Y# مn=tŷkحur N.نàMZ
مn=tŷkحN #$٩چ§%د›=| &MRr| .نùuqs? |MY©ٹtG_سح
|ur&MRr ٤'مn?t بe@ن. &نسx" kyح›‰î اتتذب (١)

(١) . { ùàMZ.N urحkţjt=nم #Y‰›حyk $¨BMà Bكث NحkţjùsغJn=£$ ù
سحـGtكث©MY| ?squùن. |rMR& |=›ن‰§چ٩$# Nحkţjt=nم
| rMR&ur ٤'t?nم ب@eن. &نسx" î‰›حyk اتنذب } :

{ وكنت عليهم شهيدا } متحملا للشهادة عليهم { ما دمت فيهم } معاينا لأعمالهم سامعا لأقوالهم مشاهدا لهم { فلما توفيتني } إذ رفعتني من بينهم لم أعلم ما يفعلون و { كنت أنت الرقيب عليهم } تعلم ما يفعلون لا يخفى عليك شيء منهم { وأنت على كل شيء شهيد } في كل حال ، وفي الآية هذه دلالة على أن الشهداء على الأمم هم ممن شاهد أعمالهم فقط ، فالرسول شهيد على أمته الموجودين في عهده الذين شاهدهم ، أما من بعده فالشهداء عليهم هم خيارهم المشاهدون لهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٠٨/٢)

---

bخ) Nھ5kةèèy›jھX¨kخ*8x ùsكث$6tدم bخ)ru چدےN ?كs 9sg
R¯7yخ*rMR| ùs& â"ƒحـ#$9èyo قOثإ٣tp:$# اترب (١)

(١) . { bخ) Nھ5kةèèy›j؟ } بسبب شركهم بي وبأمي { Nھ¨X¨kخ*8x ùsكث$6tدم }
ليس لي من أمرهم شيء ، بل أمرهم إليك وحدك تحكم فيهم ما تريد .
{ bخ)ru چدےN ?كsR¯7y 9sgخ*rMR| ùs& â"ƒحـ#$9èyo قOثإ٣tp:$#
اترب } فلن تكون المغفرة على وجه يخالف عزتك وحكمتك لمجرد إسعاد شفيع متدخل بشفاعته أو نحو ذلك ، وعلى هذا ففرض العفو ليس لاحتمال وقوعه ، وإنما هو للدلالة على أن أمر العباد إلى الله وحده ، وأنه يقضي فيهم بعزته وحكمته ، فالمؤمنون يرحمهم بعزته وحكمته ، قال في سورة التوبة { والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.. } إلى قوله { ..أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم } وقال في أعدائه { كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما } فمن عزته وحكمته رحمة أوليائه ، ومن عزته وحكمته تعذيب أعدائه ، فلا مغفرة للمشركين إلا على فرض إمكانها من دون مخالفة لعزته وحكمته وذلك لا يكون لأعداء الله ؛ لأنه قد ثبت بقوله تعالى { ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما } أن مقتضى عزته وحكمته تعذيبهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٠٩/٢)

%tA$s ه!$# #x›"yd مPqtƒ کیxےtûü ƒZtد%دو‰"¢ء٩$# Nكô%èg‰د¹ (١)

---

(١) . { **%tA$s ه!$# #x›"yd مPqtƒ کیxےtûü ƒZtد%دو‰"¢ء٩$# Nكô%èg‰د¹** } :

{ قال الله } لعيسى عليه السلام بشارة له بصدقه في الحياة الدنيا { هذا } اليوم { يوم ينفع الصادقين صدقهم } والصادقون هم الذين صدقوا الله في إيمانهم فوافق قولهم عملهم ونيتهم ، فنصروا الله وجاهدوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم وأخلصوا دينهم لله ، قال تعالى { يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون } وقال تعالى { إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون } وقال تعالى { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤١٠/٢)

---

yz "#خ$دyg÷RF{$# tûï"مچ FtrBدB $ygد` grBجچ" _Yy¨"Nçlm; ×M مu'ur çm÷Ztتqà#) مk÷]tهN #$!ه '§سجz &ù #Y‰t/rذژ!$pk 9$#،،yJ"uq؛Nد Bم=à7ù ! (١) اتترب àyè9$#دLم #$٩ےqx–م sŒ؛٩دy7 عF{$#ur $tBur' uqèdur 4'n?tذژk`ح £ مù ب@eن. &نسx" ٧چƒ‰s%
اتثقب (٢) .

---

(١) . { ×M Nçlm; _Yy¨"جچgrB" $ygد` FtrBدB "مچ #$}RF÷yg
(#qàت u'ur) ¼çm÷]tهN #$!ه '§جسz &ù #Y%oٍt/rدژyz !$pk"#خ$دtûïi
: { اتتزب àyè9$#دLم #$٩ےqx–م sŒ؛٩دy7 çm÷Ztم

وهذا لاستحقاقهم الثواب والتكريم فبالأولى أن صدقهم نفعهم بأن نجاهم من النار فتم بالصدق نفع الصادقين ، وقوله تعالى { ورضوا عنه } لعله بمعنى رضوا عنه في إثابتهم بما أثابهم به من النعم كقوله تعالى { ولسوف يعطيك ربك فترضى } أو هو تعبير عن عظم سعادتهم برضوان الله عنهم وبرضوانهم عنه وحبهم له { ذلك الفوز العظيم } لأنه سعادة عظمى دائمة ، ونجاة من كل شر .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ! B=à7ùم Nد؛uq"yJ،،#$9 اع'F{$#ur $tBur £`حkژدuqèdur ù
: { اتثقب %s%oدƒچ٧ "xنس& .ن@eب 4'n?tم

}

لله } وحده { ملك السموات والأرض } وما فيهن من المخلوقات من العقلاء وغيرهم ، وذلك يعم المسيح ابن مريم وأمه عليهما السلام ، والملك لله وحده ليس لهما فيه نصيب يشاركان به { وهو على كل شيء قدير } بما قد تقرر من الإحتجاج في هذه السورة على أهل الكتاب وغيرها تقرر أن لله ملك السموات والأرض وما فيهن وأنه على كل شيء قدير .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤١١/٢)

---

ijk

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور (١)

---

(١) . ... ijk

تفسير سورة الأنعام

قال الشرفي في [المصابيح] مكية غير ست آيات فإنها مدنية وهي قوله تعالى { قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ... } إلى آخر الأيات ، ومثل هذا في [البرهان] ، انتهى من [المصابيح] وذكر أنها نزلت جملة واحدة .

{ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله } هو المستحق للحمد { الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور } :

وذلك دليل على قدرته التي لا تساويها قدرة ولا تقاربها وعلى سعة علمه وإحاطته بكل شيء لأنه صنعه محكم والإحكام دليل على العلم ولأن الظلمات والنور مقدران بمقادير محكمة تابعة لمقدار حجم الأرض ومقدار سرعة دورتها ومقدار نسبة المسافة بين الأرض والشمس خلق ذلك وقدره بقدرته وعلمه نعمة منه على عباده ، والمذكور هنا جعل الظلمات فأما تقديرها ففي قوله تعالى { وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر } ولعل جمع الظلمات هنا لتعدد الحجج التي تحجب النور ، كما قال تعالى { أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤١٢/٢)

ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (١) (١)

---

(١) . { ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (١) } :

ثم بعد أن دل خلقه على عظمته وجلاله بما خلق وجعل فالذين كفروا بآيات الله وبأنعمه قابلوا ذلك بأنهم يعدلون بربهم شركاءهم أي يجعلونها عديلة لله لأنهم جعلوها آلهة تستحق العبادة بزعمهم .

وفي تفسير الغريب للإمام زيد بن علي عليه السلام معناه تجعلون له مثلا وتشركون به انتهى ، وفي [الصحاح] والعديل الذي يعادلك ذلك في الوزن والقدر انتهى .

قال الشرفي في [المصابيح] : وفائدة { ثم } استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته .. إلخ ، وفي هذه الآية إشارة إلى معظم ما يأتي في هذه السورة من ذكر آيات الله وما يأتي فيها من الرد على المشركين والعدل بالله يصدق على أنواع الشرك كلها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤١٣/٢)

هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون (٢) (١)

---

(١) . { هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون (٢) } :
وهذه آية أخرى تدل على قدرته وعلمه وملكه للإنسان يتصرف فيه كيف شاء وقدرته على إحيائه بعد الموت وجزائه { خلقكم من طين } بدأ خلق الإنسان من طين وهو خلق أبينا آدم عليه السلام من الطين بتسوية صورته من الطين الذي هو تراب ممزوج بالبلل { ثم قضى أجلا } ثم قضى لكم أجلا في الحياة أو للممات والمعنى متقارب فالحياة حتى الممات هي بقضائه تعالى وذلك يستلزم أن الممات بقضائه تعالى ، والممات هو بقضائه في حينه المقضي يكون لا يتقدم ولا يتأخر ، وذلك يستلزم أن بقاء الحياة بقضائه .
}
وأجل مسمى عنده } أجل آخر { مسمى } معين وقته محدود عنده في قدرته وعلمه يأتي بالمؤجل به في حينه ، والأقرب أنه أجل القيامة ، وهكذا في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام فحياة كل خص مؤقته بتأجيل الله ، وتناسل القرون في هذه الحياة الدنيا مؤجل بتأجيل الله فبقضائه حياة كل فرد وموته وبقضائه الحياة الأولى والحياة الآخرة وانتهاء الحياة الأولى لكل الناس أجمعين بقضائه .
{ ثم أنتم تمترون } في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام معنا تشكون ، أي تشكون في صدق الوعد والوعيد استبعادا للقدرة على إحياء العظام وهي رميم وقد خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور وخلقكم من طين وحدد آجالكم وحدد هذه الحياة الأولى التي تقدمه للآخرة .
قال الشرفي في [المصابيح] حاكيا عن الحاكم الجشمي المفسر : قال الحاكم فإنه نبه بقوله { خلق السموات والأرض } على إبطال قول من يقول بقدم العالم ، وبقوله { وجعل الظلمات والنور } على إبطال قول الثنوية القائلين بقدمهما لأنهما أجسام [كذا] بمنزلة غيرهما ، وبقوله { خلقكم من طين } على إبطال قول الطبائعية انتهى .
قلت: هكذا القرآن شفاء من كل داء .

(٢/٤١٤)

وهو الله في السماوات وفي الأرض (١) يعلم سركم وجهركم (٢) ويعلم ما تكسبون (٣) (٣)

---

(١) . { وهو الله في السماوات وفي الأرض } :
{ وهو الله } يدعوه أهل السماء الله وأهل الأرض يدعونه الله ؛ لأنه الإله في السموات والأرض كقوله

تعالى { وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { يعلم سركم وجهركم } : فهو الذي يعلم دعاءكم له وسائر عبادتكم إياه فاعبدوه ولا تعبدوا غيره .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٣) . { ويعلم ما تكسبون } من سيئات أو حسنات فاتقوه وراقبوه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤١٥/٢)

وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين (٤) (١) فقد كذبوا بالحق لما جاءهم (٢) فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون (٥) (٣)

---

(١) . { وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين } :
ولذلك فهم يشركون بالله ولا يتقونه مع قيام الحجة عليهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فقد كذبوا بالحق لما جاءهم } :
بآيات الله ورسوله وكتابه وما دلت عليه من توحيده وغيره بعد قيام الحجة عليهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٣) . { فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون } :

قال الراغب في [مفرداته]: النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة انتهى ، وقوله ذو فائدة عظيمة لعل الصواب ذو فائدة مهمة

لقول امرئ القيس :

تطاول ليلك بالإثمد ... وبات الخلي ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذي العائر الأرمد

وذلك من نبأ جائني ... وخبرته عن بني الأسود

وقوله عنترة :

نبئت عمرا غير شاكر نعمتي ... والكفر مخبثة لنفس المنعم

وغير ذلك ، وقوله تعالى { ما كانوا به يستهزئون } إن أريد به القرآن الذي كان المكذبون يستهزؤون به فإنباءه ما فيه من الوعيد وإتيانه إتيان المتوعد به كقوله تعالى { حتى يأتي وعد الله } أي ما وعد به ، وإن أريد { ما كانوا به يستهزئون } عامة من الكتاب والرسول وخزنة جهنم والعذاب وغير ذلك فالنبا عنه الإخبار عنه بأنه لم يكن مما يستهزئ به أهل العقول والنبا هذا هو الجزاء الناطق بلسان الحال أنهم كانوا في استهزائهم في غواية بعيدة أو القول المقارن للعذاب { ذوقوا العذاب بما كنتم تستهزئون } أو نحو هذا القول مما يحصل به ندمهم على ما قدموا من التكذيب والإستهزاء ، وهذا أظهر والإستهزاء استخفاف .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤١٦/٢)

ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم (١) ......

---

(١) . { ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (٦) }
:

{ ألم يروا } آثار من قد { أهلكنا } قبلهم من القرون الكثيرة فيعلموا كثرتها أو ألم يعلموا كم أهلكنا أي جواب كم أهلكنا أي أنهم كثير يحق لهم أن يعتبروا بهم ويحذروا أن يهلكهم كما أهلك القرون التي

أهلكها من قبلهم ، فما بالهم لم يعتبروا بهم ويحذروا التكذيب والإستهزاء بالحق كأنهم لم يروا كم أهلكنا قبلهم ، فالسؤال للتوبيخ .

وأما القرن فقال الشرفي في [المصابيح]: وفي القرن يقول المرتضى عليه السلام: القرن الخلف الذي يكون بعد الأول الفاني فأما ما يقال به من ثمانين سنة فليس ذلك بشيء ؛ لأنا قد رأينا قوما يزيدون على الثمانين في عصر واحد ولكن القرن ما خلف من قد مضى ويقال القرن لأنهم غير الأولين وفي ذلك ما يقول الشاعر :.

إذا ذهب القرن الذي أنت فيهم ... وخلفت في قرن فأنت غريب

انتهى .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤١٧/٢)

ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين (٧) (١)
وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون (٨) (٢)

---

(١) . { ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين (٧) } :
{ فلمسوه بأيديهم } ليتيقنوا أنه كتاب ليس خيالا كما يخيل الساحر للبصر لقالوا بعدما علموا أنه كتاب أنزله الله من السماء على رسوله { إن هذا إلا سحر مبين } أي ما هذا الذي رأيناه ولمسناه بأيدينا إلا سحر تخييل من ساحر لا حقيقة له { سحر مبين } أي بين أنه سحر مكابرة منهم وعنادا .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون (٨) } :
}
لقضي الأمر } بينك يا محمد وبين الذي كفروا لأن الرسول أرسل إليهم منذرا لهم ليؤمنوا ويتقوا في حال التكليف وسعة الإختيار غير ملجئين ولا في حال رؤيتهم للعذاب وهذا ينتفي بنزول الملك وتنقلب

الحال حال هلاك لا ينفع معها إيمان ولا بقي معها للإنذار معنى كقوله تعالى { قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم } وقوله تعالى { ما تنزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين } فالملك لا ينزل إلا بما تقتضي الحكمة إنزاله به ولا تقتضي الحكمة إنزاله لأجل اقتراح المتمردين الذين قد جائتهم الآية البينة وهي القرآن فلم يؤمنوا ، ولو نزل الملك ما آمنوا إنما هم لاعبون متمردون فلذلك لا تقتضي الحكمة إنزال الملك نذيرا مع محمد إنما تقتضي لو أنزله الله أن ينزله بهلاكهم وبذلك ينقطع وقت الإنذار والدعوة إلى الله وهذا معنى { قضي الأمر } أي انتهى الإنذار والدعوة إلى الإيمان { ثم لا ينظرون } لأن العذاب يكون قد حضر مع الملك فلا يمهلون .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤١٨/٢)

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون (٩) (١)

---

(١) . { ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون (٩) } :

قال الشرفي في [المصابيح]: وما أحسن جواب الإمام القاسم بن ابراهيم عليهما السلام عن من سأله عن معنى هذه الآية فإنه قال: كانوا يقولون لولا أنزل عليه ملك فيكون معه شهيدا فيشهد له برسالته بما ينكرون فقال سبحانه { ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون } يقول تبارك وتعالى ثم لا يتركون ساعة ولا يؤخرون فيما ينفعهم إذا أخذوا أيمانهم بعد رؤيتهم للعذاب وعيانهم ، ثم قال سبحانه { ولو أنزلنا ملكا } ما أيقنوه إلا أن يروه رؤية ويعاينوه وما كانوا ليروه عيانا إلا أن يجعله الله مثلهم إنسانا في الصورة والحلية وما للرجال من الهيئة لا في جميع حدود البشرية ولكنه في الرؤية والمنظر فقال سبحانه { ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون } يقول سبحانه ولو فعلنا ذلك به فجعلناه رجلا كما يعرفون لزادهم لبسا إلى لبسهم ولما أيقنوا أنه ملك في أنفسهم ولو نزلنا عليه الملك على حاله لما كان أحد منهم معاينا له ولا مدركا ....إلخ ، والحاصل: أن الملك إن جاءهم على صفته الأصلية لم يروه وإن كان رجلا في صورته لم يؤمنوا أنه ملك وكان الله تعالى قد لبس عليهم كونه ملكا بجعله رجلا وهم لبسوا على أنفسهم ويلبسون عليها بطلب ملك مع إنكارهم المعجزات حتى خذلوا وبعدوا عن الإيمان بسبب تعنتهم وتمردهم والرين على قلوبهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤١٩/٢)

ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون (١٠) (١) قل سيروا في الأرض (٢)

---

(١) . { ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون (١٠) } :
{ استهزئ برسل من قبلك } كما استهزأ قومك بقولهم { لولا أنزل عليك ملك } استهزاء وسخرية لا لطلب معرفة الحق { فحاق } فأحاط بهم الأولين { ما كانوا به يستهزئون } من الآيات والرسل أي سببت لهم العذاب العاجل ، وفي هذه تأكيد لكلام صاحب [الصحاح] في تفسيره الإستهزاء بالسخرية ، وقوله تعالى { منهم } أي سخروا من الرسل المذكورين .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قل سيروا في الأرض } :
{ قل } يا محمد لقومك { سيروا في الأرض } لتروا آثار المكذبين الذين أهلكهم الله بذنوبهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٢٠/٢)

ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (١١) (١) قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله (٢) كتب على نفسه الرحمة (٣)

---

(١) . { ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (١١) } :
{ ثم } فكروا كيف كانت { عاقبة المكذبين } الهلاك على سؤء الحال وغضب الجبار والمؤدي إلى النار والشقوة الدائمة لتعتبروا بهم وتحذروا مثل ما حل بهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله } :

{ ما في السموات والأرض } من حي وجماد { قل لله } فهو رب من في السموات ومن في الأرض فهو إلههم وحده .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { كتب على نفسه الرحمة } :

فكيف يدعو المشركون من دونه شركاء لا يملكون ولا ينفعون والله هو ربهم الرحيم بهم الذي هو رازقهم ومطعمهم وساقيهم وشافي مرضاهم وبيده الخير ومنه الخير ومن كرمه كتب وأوجب على نفسه الرحمة فهو لا يعاجل العاصين وهو يدعو إلى التوبة ويعد قبولها ويحذر عباده نفسه ولذلك أرسل الرسل رحمة للعالمين .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٢١/٢)

ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه (١) الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون (١٢) (٢)

---

(١) . { ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه } :

{ ليجمعنكم } إلى موقف العرض على الله يوم القيامة وإلى ما يكون في يوم القيامة من الحساب والجزاء ، فالجمع { إلى يوم القيامة } جمعهم إلى ما فيه كقوله تعالى { يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون (١٢) } :

قال الشرفي في [المصابيح]: { الذين } موضعه نصب على البدل من الضمير في قوله { ليجمعنكم } والمعنى: ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم ، وهذا عندي أحسن الأقوال فيها ، فأول الآية احتجاج عليهم وآخرها تسجيل عليهم بالخذلان وأنهم بسبب تمردهم وعنادهم قد خسروا أنفسهم بأن فوتوا عليها سبيل السلامة وسببوا لها الخذلان المؤدي إلى الخسارة الدائمة ، فأول خسارتهم

أنفسهم بعدهم عن قبول الحق بقسوة قلوبهم وكراهتهم للحق وتكبرهم عن قبوله حتى لم يبق لهم صلاحية لقبوله وصاروا كما قال تعالى { ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله } فلذلك كانوا قد خسروا أنفسهم بوقوعهم في سبب الخسارة الدائمة بدخول النار وترتب أنهم لا يؤمنون على خسارة أنفسهم بوقوعها في الخذلان الشديد والضلال البعيد .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٢٢/٢)

---

* وله ما سكن في الليل والنهار (١) وهو السميع العليم (١٣) (٢)

---

(١) . { * وله ما سكن في الليل والنهار } :

وهذا يعم الأرض كلها والآية الماضية تشمل ما في الأرض وما في السموات ، ويحتمل أن الليل والنهار يكونان شاملين للسموات والأرض والله علم .

وقوله تعالى { ما سكن } إما من السكنى فيكون التعبير به لفائدة الليل والنهار لما اشتملا عليه لنفع الشمس فيما تظهر عليه ثم نفع الليل فيما يأتي عليه بعد الشمس فكانا للجماد وغيره بمنزلة المسكن الذي ينتفع به ساكنوه ، وإما من السكون وهو بعيد لأن الراجح أن الأرض تتحرك جملتها بما فيها وإن كان أهلها لا يحسون حركتها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وهو السميع العليم (١٣) } :

فهو الحقيق بالعبادة ؛ لأنه رب كل شيء ولأنه الذي يسمع الداعي ويعلم عبادة من عبده ، وهو الذي إليه يرجع العباد في الآخرة لأنه ربهم وحده ، وهو السميع لأقوالهم العليم بهم وبأعمالهم لا يضل ربي ولا ينسى وكل من في السموات والأرض عباده ليس لهم من الأمر شيء ، وهو جامع عباده يوم القيامة لجزاء كل نفس بما تسعى لأنه ربهم فما في الآيتين دال على هذه المعاني كلها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٢٣/٢)

قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم (١)

---

(١) . { قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم } :
{ وليا } يتولى أموري ويرعاني ويدبر مصالحي ويدفع عني ، ولا يكون هكذا إلا الله العالم بأحوالي القادر على إصلاح أمري السميع لدعائي ، فأما غيره فإنه يجهل ويعجز ويبخل فكيف أتخذ غير الله وليا .
قال الشرفي في [المصابيح]: وإنما أولى غير الله همزة الإستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي انتهى .
قلت: يعني أن محط الإنكار غير الله كيف يتخذ وليا مع وجود فاطر السموات والأرض القادر على كل شيء العليم بكل شيء الذي يطعم ولا يطعم فهو الوهاب الكريم الغني الذي لا يحتاج ، فهو الذي ينفع من اتخذه إلها يدعوه ويرجوه لرعاية مصالحه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٢٤/٢)

قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم (١) ولا تكونن من المشركين (١٤) (٢) قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم (١٥) (٣)

---

(١) . { قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم } :
فلا بد لي من إسلام وجهي لله قبل الناس كلهم ، وهذا دليل على أهمية الإسلام لله .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولا تكونن من المشركين (١٤) } :
فهم أعداء الله عباد الشيطان فلا تكونن واحدا منهم ، وفي هذا زجر للمشركين عن الشرك حيث نهى أن يكون واحدا منهم ولا يقل ولا تشرك .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف

إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم (١٥) } :

}

إن عصيت ربي } الذي أمرني أن أكون أول من أسلم ونهاني أن أكون من المشركين نهيا مؤكدا فإني أخاف إن عصيته في ذلك أو غيره { عذاب يوم عظيم } بسبب معصيته فالشرك قبيح من حيث هو اتخاذ غير الله وليا ، ومن حيث هو معصية لله ، وفي هذا تحذير للمشركين كقوله تعالى { لئن أشركت ليحبطن عملك } الآية ، ووصف اليوم بأنه عظيم لما فيه من الأمور العظيمة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٢٥/٢)

من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين (١٦) (١) وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو (٢)

---

(١) . { من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين (١٦) } :

{ من يصرف عنه } عذاب اليوم العظيم يوم إذ يأتي ذلك العذاب { فقد رحمه } الله الرحمة العظمى ؛ لأن النجاة من النار أهم ما يكون يومئذ { وذلك } إي صرف عذاب يومئذ أو رحمة الله له { هو الفوز المبين } .

قال في [مفردات الراغب]: الفوز الظفر بالخير مع حصول السلامة انتهى والمبين: البين فهو ظفر بالخير عظيم بنفسه من غير شرط أن يصير إلى الجنة إن كان قوله تعالى { وذلك الفوز } إشارة إلى صرف العذاب ، فأما إن كان إشارة إلى رحمة الله فيحتمل أن جعله من أهل الجنة بعض هذه الرحمة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو } :

وهذا دليل على أن شركاء المشركين لا تفيد شيئا ، وأن الله هو الذي يفعل ما يشاء فهي لا تشفي مريضا ولا تؤمن خائفا ولا تنصر مقاتلا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٢٦/٢)

وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير (١٧) (١) وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير (١٨) (٢)

---

(١) . { وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير (١٧) } :
فلا راد لفضله ، وهذه الآية تدعو إلى عبادة الله وحده والتوكل عليه ورجائه وحده لكشف الضر وإبقاء الخير وتشير إلى بطلان الشرك كقوله تعالى : { قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون }
فهو على كل شيء قدير فلا ممسك لما أعطى .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير (١٨) } :
قال الراغب في تفسير [المفردات]: القهر الغلبة والتذليل معا ويستعمل في كل واحد منها .
وفي [الصحاح]: قهره قهرا غلبه ، وفيه: وقهر غلب انتهى .
}
فوق عباده } لأنه مالكهم ومالك قواهم وله الملك عليهم وعلى كل المخلوقات وهو المحيط بقدرته وعلمه على كل قدرة وعلى كل معلوم ، فقهره لعباده من حيث أنه فوقهم بملكه وملكوته { وهو الحكيم } في قهره فلا يظلم ولا يقهر قهرا يعارض مقتضى الحكمة { الخبير } فلا يغلط في قهره ، بل قهره مطابق لمقتضى علمه ببواطن الأمور وحقائق الأشياء وبمقتضى الحكمة .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٢٧/٢)

قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم (١) وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ (٢)

---

(١) . { قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم } :

{ قل } يا محمد للمشركين المكذبين { أي شيء أكبر شهادة } أي شيء أصدق وأحق وأنفع شهادة؟ وجواب هذا السؤال وهو أن الله أكبر شهادة جواب لا ينازع فيه خصومه الذين بلغهم آيات الله الدالة على صدقه وصدق إنذاره وصدق كل ما بلغهم عن الله ، فالله شهيد له بإقامة الحجة عليهم وقيامه بواجبه وشهيد عليهم بالتمرد بعد تبيان الحق من الله ربهم .

{ قل الله شهيد بيني وبينكم } فراقبوه واتركوا الشرك والتكذيب وآمنوا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ } :

لأنذركم بما في القرآن من كلام الله ووعيده فاحذروا ما أنذرتم ولأنذر به من بلغه من العالمين كقوله تعالى { تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٢٨/٢)

Nن٣§Yخ &r لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد (١) قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون (١٩) (٢)

---

(١) . { Nن٣§Yخ &r لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد } :

{ أئنكم } سؤال توبيخ على هذه الشهادة الكاذبة الآثمة { قل لا أشهد } كما تشهدون .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون (١٩) } :

{ قل إنما } الإله { إله واحد } هو الله ، أما غيره فليس بإله { وإنني بريء مما } تشركونه في الإلهية

أنفي إلاهيتهم وابرأ من عبادتهم ولا صلة بيني وبينهم بل هم عدو لي .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٢٩/٢)

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (١)

---

(١) . { الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم } :
{ يعرفونه } يعرفون القرآن أنه من الله أوحاه إلي أو يعرفون أنه أوحي إلي هذا القرآن { كما يعرفون أبنائهم } تحقيق للمعرفة التي في قلوبهم .
قال الشرفي في [المصابيح]: قال المرتضى عليه السلام : الذين أوتوا الكتاب فهم اليهود والنصارى وهم يعرفون محمدا ويثبتون صفته ويقفون على صحة أمره وما أمروا به من طاعته كما يعرفون أبنائهم مشروح ذلك في كتبهم مبين لهم ولكن جحدوا ما عرفوا وأنكروا ما علموا فضلوا وخسروا ذلك هو الخسران المبين انتهى .

قلت: عبر عنهم سبحانه وتعالى بقوله { الذين آتيناهم الكتاب } لأن الكتاب الذي آتاهم الله جل جلاله هو سبب معرفتهم للرسول وما أنزل إليه أنه من الله تعالى ويظهر أن القرآن يجعل القرآن والرسول كالشيء الوحد ؛ لأن الإيمان بأن القرآن أوحاه الله إلى محمد يستلزم الإيمان بأن محمدا رسول الله ولعله هو السر في قوله تعالى { قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله } وفي سورة البقرة { ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به } قيل كانوا يستفتحون يطلبون الفتح من الله أي الحكم بينهم وبين الذين كفروا بالنبي الذي يتوقع ظهوره ، وفي آية في سور البقرة { ولما جائهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون } وكتاب الله هنا التوراة والإنجيل أو هما كأنهم لا يعلمون ما في كتاب الله وما في نبذه وراء ظهورهم فهي كقوله تعالى { فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به } وإذا جعلنا الضمير في قوله تعالى { يعرفونه } لإيحاء القرآن إلى محمد فلا التفات فيه ، أما إذا جعلناه للرسول ففيه التفات من التكلم إلى الغيبة أو من الخطاب إلى الغيبة لابتداء

الكلام بقوله تعالى { قل الله شهيد } وهذا أظهر .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٣٠/٢)

الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون (٢٠) (١) ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا (٢)

---

(١) . { الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون (٢٠) } :
{ خسروا أنفسهم } حقت على أنفسهم كلمة العذاب ؛ لأنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم فهم لا يؤمنون ؛ لأنهم قد خذلوا وسلطت عليهم الشياطين وكرهوا الحق وكرهوا النظر النافع وأعرضوا فصار بينهم وبين الإيمان مسافات بعيدة ، وهذا كقوله تعالى { أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار } فخسارتهم أنفسهم فسادها ومصيرها بحيث لا تصلح أبدا وحقت عليها كلمة العذاب ، وقوله تعالى { الذين خسروا } الراجح أنه خبر لقوله تعالى { الذين آتيناهم الكتاب } والمراد به كفارهم المعاندون .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا } أي لا أظلم ممن وقع منه إحدى الجريمتين اختلاق الكذب على الله أي تعمد الكذب .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٣١/٢)

أو كذب بآياته (١) إنه لا يفلح الظالمون (٢١) (٢)

---

(١) . { أو كذب بآياته } وكلا الجريمتين وقعتا من المشركين في قولهم { لو شاء الله ما أشركنا } وغير ذلك وكذبوا بآيات الله التي جاء بها رسول الله .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { إنه لا يفلح الظالمون (٢١) } :
لأن مصيرهم إلى العذاب وفوات كل خير ، وهذا عام لكل ظالم وقد يعجل للظالم بعض العقوبة في الدنيا قال تعالى { إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين } وهذا يعم المفترين .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٣٢/٢)

ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون (٢٢) (١)

---

(١) . { ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون (٢٢) } :
واذكر لبيان مصير المشركين { يوم نحشرهم } والضمير للمشركين والمكذبين والمفترين السابق ذكرهم ، وقوله تعالى { جميعا } أي مجتمعين في موقف السؤال { ثم نقول للذين أشركوا } وقد عاينوا أهوال الآخرة وعلموا أن لا ملجأ لهم نقول لهم يومئذ { أين شركاؤكم الذين كنتم } تدعون أنهم شركاء الله ، وذلك توبيخ لهم وتنبيه على أنه قد ضل عنهم ما كانوا يفترون وضل عنهم ما كانوا به يشركون كما قال تعالى { فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون } وقال تعالى { وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون } .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(٤٣٣/٢)

ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (٢٣) (١) انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٢٤) (٢)

---

(١) . { ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (٢٣) } :
{ ثم } بعد توبيخهم وامتحانهم بسؤال الله لهم { أين شركائي الذي كنتم تزعمون } لم يؤد هذا

الإمتحان إلا إلى قولهم { والله ربنا ما كنا مشركين } فالفتنة الإمتحان المذكور وكونه قولهم والله ربنا تأديته إليه وتسببيه له كقوله تعالى { إنما يأكلون في بطونهم نارا } وحاصل المعنى لم يجدوا جوابا عن هذا لإمتحان الشديد إلا جحد الشرك والقسم بالله والإعتراف بربوبيته وذلك لشدة الهول عليهم وإنقطاع حجتهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٢٤) } :

}

انظر } في حالتهم التي صاروا إليها من الذلة وسوء الحال التي أدتهم إلى أن يقولوا { والله ربنا ما كنا مشركين } وانظر كيف ضل عنهم ما كانوا في الدنيا يفترونه من دعوى نصر شركائهم لهم وشفاعتهم لهم ونحو ذلك من افترائهم أي اختلاقهم وكذبهم المتعمد .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه (١)

---

(١) . { ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا } :

ومن المشركين من يستمع القرآن دائما { إليك } يا محمد ليسمع لا رغبة في الحق بل إما لحب الإطلاع لينظر كيف هذا القرآن هذا في أول استماع ، وحب الإطلاع من غرايز الإنسان ، وإما للتعجب من فصاحته وحسن بيانه وجمال أسلوبه .

{ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا } :

قال الراغب: والكنان الغطاء الذي يكن فيه الشيء والجمع أكنة انتهى .

وهذا تمثيل كالختم لما أفسدوا قلوبهم وقد خلقها الله قابلة للصلاح والفساد وصاروا بذلك لا يؤمنون ولا يتفهمون القرآن من حيث دلالة آياته على الحق لكراهتهم لما هو ضد اعتقادهم ودينهم الذي زين لهم وتزيين الشياطين لهم الإعراض عن الإهتداء بالقرآن صاروا كأن بينهم وبين فقه غوامضه ودلالاته النافعة أكنة تحول بين قلوبهم وبين فقهه وفائدة نسبة ذلك إلى الله تعالى الدلالة على أنهم مستحقون

للخذلان بتمردهم مستاهلون لإرسال الشياطين عليهم عقوبة لهم على تمردهم كما قال تعالى { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم } فهو تعالى غير مبال بهم بل قد أراد خذلانهم ، ولما كان خذلانهم كالسبب لبعدهم عن فقه القرآن بحيث أن قلوبهم حين خذلت تواردت عليها أسباب البعد عن الفهم حتى أشبهت ما عليه كنان حائل بينها وبين الفهم أقيم ذلك مقام الخذلان فنسب إلى الله تعالى للدلالة على أنه غير مبال بهم وعلى أنهم استحقوا الخذلان الذي صاروا من أجله لا يفقهون والذي هو عقوبة لهم على تمردهم ، ونظيره ما يقال لمن أهمل ابنه وسهل له الحصول على ما يهواه وأهمله ولم يربه تربية الصلاح: أفسد ابنه ، ومن فائدة هذه النسبة تنزيه كلام الله عن مشابهة الشكوى ، وأعظم من ذلك التحذير من الخذلان المؤدي إلى أن يصير القلب كأنه في كنان ، وقد مر في تفسير { ختم الله على قلوبهم } نحو هذا .

{ وفي آذانهم وقرا } أي وجعلنا في آذانهم وقرا أي ثقلا يمنع السمع وهذا من المجاز واضح ؛ لأنهم يسمعون ولكن لا يصغون له إصغاء راغب في الحق ، بل يسمعون وهم له كارهون فشبهوا بمن لا يسمع كما قال الشاعر :.

أصم عن الأمر الذي لا أريده ... وأسمع خلق الله حين أريد

ولو كانوا لا يسمعونه حقيقة ما كان للأكنة على القلوب معنى ، وقد قال تعالى {كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به } فدل على أنهم يسمعونه ويصل إلى قلوبهم ولكنهم لا يقبلونه ولا يهتدون بهداه فشبهوا بمن لا يفهم ولا يسمع لحائل بينه وبين الفهم والسمع .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٣٥/٢)

وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها (١) حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين (٢٥) (٢)

---

(١) . { وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها } :

لأن قلوبهم فسدت وصارت لا تقبل الآيات كما ترى الطبيعي الملحد تذكر له دلائل الخالق فلا يقبلها كأنها لا تعمل في قلبه شيئا ، والمراد بفساد القلوب فقدانها لصلاحية الإهتداء بالآيات مع بقاء العقل والسمع والبصر ؛ لأن نفوسهم تأباه وترده قبل أن ينتفع به القلب مع بعده عن الإنتفاع بذهاب استعداده

له .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين (٢٥) } :

}

حتى } غاية لمدا بعدهم عن قبول الحق أنهم { إذا جاؤوك } يا محمد وأنت مصدر الهدى جادلوك بشكل عجيب هو مجرد الجحود وقول الزور الذي ليس له أي حجة بل هو واضح البطلان ؛ لأن القرآن مخالف لأساطير الأولين في المواضيع وأحكام حيث أنهم أرادوا بأساطير الأولين أكاذيب سطرها الأولون من المبطلين يتلهى بها السامعون ولا تفيدهم شيئا والقرآن تنزيل من حكيم حميد آيات محكمات نافعات بأدلة صحيحة تعرفها العقول وحكم وإنذار وتبشير وعلوم تخرج من اهتدى بها من الظلمات إلى النور ، وأساطير جمع أسطورة ، والجدال المجادلة أي المغالبة بالقول ، قال تعالى { ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٤٣٦)

وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون (٢٦) (١)

---

(١) . { وهم } أي المذكورون فيما مر كقوله تعالى { حتى إذا جاؤوك يجادلونك } فالضمير لهم { ينهون عنه } { ينهون } عن الذي يقولون فيه { إن هذا إلا أساطير الأولين } ولو كان أساطير الأولين لكان واضح البطلان ولما احتاجوا إلى النهي عن استماعه ولكنهم حين استمعوه سمعوه قرآنا عجبا فنهوا عن استماعه حذرا من إيمان من يسمتع وقلبه سليم ، ونهيهم عنه من جملة جرائمهم المذكورة في هذه السورة ؛ لأنه صد عن سبيل الله .

}

وينأون عنه } يبعدون عنه كراهة له بعد ما سمعوه ووجدوه كلاما لا يطيقه البشر { وإن يهلكون } بالنهي عنه والنأي عنه { إلا أنفسهم وما يشعرون (٢٦) } لأن وبال ذلك عليهم { وما يشعرون } بسوء عاقبتهم لكفرهم ولا يضرون بجدالهم ونهيهم ونأيهم دين الله ولا القرآن ولا الرسول وإن ظنوا أنهم بذلك يضعفون الحق ؛ لأن الله يظهر دينه وينصر رسوله وكتابه ، وما يشعرالكافرون المذكورون فهم

يهلكون أنفسهم ولا يدحضون الحق وما يشعرون بذلك أي ما يعلمون ، ثم بين تعالى بعض وخامة كفرهم وهلاكهم به فقال تعالى :كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٣٧/٢)

ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين (٢٧) (١) بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل (٢)

---

(١) . { ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين (٢٧) : {

{ ولو ترى } حالهم بعد تكذيبهم وجرائمهم في الدنيا حين أشرفوا على دخول النار وعاينوها فقالوا متمنين { يا ليتنا نرد } إلى دار التكليف والعمل { ولا نكذب بآيات ربنا ونكون } فيها { من المؤمنين } لننجو من النار .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل } :
}

بل } تجلت الحقيقة وكشف الغطاء وعلموا علما ضروريا أن الحق هو الإيمان ، وأن الباطل ما كانوا عليه كما قال تعالى { ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين } وقد كان هؤلاء المتمردون الذين فيهم السياق يعرفون الحق كما قال في بعضهم { يعرفونه كما يعرفون أبنائهم } ولكنهم كانوا في غفلة وكبر وهوى حال بينهم وبين الإيمان وكانوا يخفون معرفتهم ؛ لأنهم ينهون عنه وينأون عنه فكيف يعترفون به ولم يتمنوا ذلك الذي تمنوه رغبة في الحق ولكن حبا لأنفسهم وخوفا من النار التي أشفوا عليها نعوذ بالله فهم مجدون في التمني .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٣٨/٢)

ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (١) وإنهم لكاذبون (٢٨) (٢)

---

(١) . { ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه } :
لأنهم يتبعون هوى أنفسهم فلو ردوا ورجع الإبتلاء والإختبار لمالوا عن الحق لتلك الأسباب الأولى ولأملوا أنهم إن رجعوا إلى الله مرة أخرى ردهم إلى دار الخيار كما ردهم أول مرة فاتخذوها تجربة لإمكان الرد أو أن بعضهم يؤمل أن سيتوب في آخر عمره حتى يجيئه الموت وهو على كفره ، والحاصل أن الله علام الغيوب قد أخبر بأنهم لو ردوا لعادوا لما نهو عنه وهو أصدق القائلين .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وإنهم لكاذبون (٢٨) } :
في زعمهم الذي يفهم من كلامهم أنهم لو ردوا لتركوا التكذيب بآيات الله ولآمنوا ، وفي هذه الآية دلالة على أن الكذب ما خالف الواقع وإن طابق الإعتقاد وإنما لا يقال لبعض القائلين المعتقدين للصدق تأدبا وتجنبا للإيهام.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٣٩/٢)

وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (٢٩) (١) ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (٣٠) (٢)

---

(١) . { وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (٢٩) } :
{ وقالوا } عطف على أقوالهم التي مر ذكرها كقوله تعالى { حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين } وقولهم { إن هي إلا حياتنا الدنيا } أي ما الحياة إلا حياتنا الدنيا أي ليس بعدها حياة { وما نحن بمبعوثين } بعد الموت كفرا منهم بالبعث والجزاء فبين الله عاقبة هذا الكفر بقوله تعالى :
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (٣٠) } :

فبين ذلتهم في الآخرة وإقرارهم بالحق وقسمهم عليه بالله ربهم ثم لم يفدهم ذلك شيئا بل قال تعالى لهم { فذوقوا العذاب } تفريعا بالفاء على ما أقروا به { بما كنتم تكفرون } وهنالك يندمون حين لا ينفع الندم ، وقوله تعالى { أليس هذا بالحق } إشارة إلى البعث وإرجاعهم إلى الله إلى موقف السؤال والحساب والحكم من الله فيهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٤٠/٢)

قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون (٣١) (١)

---

(١) . { قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون (٣١) } :

{ قد خسر } تحقيق لوقوع الخسارة العظمى كقوله تعالى { من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه } في تحقيق الرحمة العظمى وهذه الخسارة عند بلوغهم غاية التكذيب بلقاء الله وهي إذا جاءتهم الساعة فجأة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها انقلبت الحال في قدر لمح البصر وانكشفت الحقيقة بمجيء الساعة فعند ذلك قالوا { يا حسرتنا } تحولوا من التكذيب بها إلى التحسر على ما فرطوا فيها .

والحسرة الغم الشديد ، قال في [لسان العرب]: وحسر يحسر حسرا وحسرة إذا اشتدت ندامته على أمر فاته انتهى باختصار ، وقال: والحسرة أشد الندم حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب الذي لا منفعة فيه انتهى ، وقولهم { يا حسرتنا } كقولهم: يا ولينا فهو دعاء للحسرة والغرض تنبيه السامع وذلك تقوية للدلالة على الحسرة وتنويه بها .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال أبو عبيدة يقال فرطت في الشيء أي ضيعته ، فقوله { فرطنا } أي تركنا وضيعنا .

وقال الزجاج: فرطنا أي قدمنا العجز ، جعله من قولهم: فرط فلان إذا سبق وتقدم ، قال الواحدي:

فالتفريط عنده تقديم التقصير انتهى .

{ وهم يحملون أوزارهم } أي ذنوبهم { على ظهورهم } قد لزمتهم ذنوبهم لم تنفك عنهم ولم يستطيعوا طرحها عن ظهورهم على ثقلها وعارها عليهم ووبالها { ألا ساء ما يزرون } ساء ما يحلمون يومئذ في ذلك الموقف الشديد ساء ما يزرون ما أسوأه ، وقوله { ألا } تنبيه للسامع ليصغي لهذه الجملة فما أسوأ تلك الأحمال الثقيلة الوبيلة التي تؤديهم إلى نار جهنم ، وهذا تمثيل لسوء حالهم في موقف السؤال والحساب بسبب ذنوبهم فهم يتحسرون من تفريطهم في الساعة وهم يحملون ذنوبهم لا تنفك عنهم .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو (١) وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون (٣٢) (٢)

---

(١) . { وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو } :

فلم يكن ينبغي لهم أن يؤثروها على الحذر من النار وعلى السعي للدار الآخرة ؛ لأن أغراض الدنيا منتهية بلا فائدة فهي أشبه باللعب واللهو الذي لذته إنما هي في وقته ثم ينتهي بلا ثمرة .

قال الراغب الأصبهاني: اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه ، وصواب العبارة ما ينشغل به ليفيد الإختيار له ويخرج ما شغله اضطرارا كالوجع الشديد فلا يسمى لهوا ، وعبارة [الصحاح]: ولهوت بالشي ألهو لهوا إذا لعبت به وتلهيت به مثله ، وقال في [الصحاح] وألهاه أي شغله انتهى ، فجعل الشغل تفسير الإلهاء لا تفسير اللهو .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون (٣٢) } :

الدار الآخرة هنا الجنة خير من الدنيا ؛ لأن نعيمها دائم وسعادتها دائمة فلا قيمة للدنيا في جنبها لأنها تفنى مع قلتها وما فيها من المنغصات والمحن { أفلا تعقلون } حين تتركون الخير العظيم الدائم من أجل القليل الفاني فمن شأن العاقل أن يتدبر العواقب ويختار الخير العظيم الدائم على القليل الفاني الذي يسبب له العذاب الدائم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٤٢/٢)

قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون (١) فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون (٣٣) (٢)

---

(١) . { قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون } :
من التكذيب بالآخرة وغيره كقولهم { إن هي إلا حياتنا الدنيا } وقولهم : { لولا أنزل عليه ملك } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون (٣٣) } :
قال الراغب: الجحود نفي ما في القلب إثباته وإثبات ما في القلب نفيه انتهى ، وفي [الصحاح]: الجحود الإنكار مع العلم فالمعنى أنهم ينكرون آيات الله الدالة على صدقك كالقرآن وهم يعلمون أنها آيات الله صدقك بها فلا تحزن مما يقولون فإنهم { لا يكذبونك } أما على قراءة نافع [بسكون الكاف وتخفيف الذال] فالمعنى لا يجدونك كاذبا لأن آيات الله قد صدقتك وهم قد علموا أنها آيات الله .

وفي [الشافية] لإبن الحاجب [وشرح الرضي] عليها في معاني (أفعل): ولوجوده عليها أي لوجودك مفعول أفعل على صفة وهي كونه فاعلا لأصل الفعل نحو: أكرمت فاربط أي وجدت فرسا كريما وأسمنت أي وجدت سمينا وأبخلته أي وجدته بخيلا انتهى المراد .
وأما على قراءة { يكذبونك } [بفتح الكاف وتشديد الذال] فالمعنى إنه تكذيب بألسنتهم وهم يعلمون أنك صادق فهو كلا تكذيب ؛ لأن الذي يهمك أن يعلموا أن الذي جئت به هو الحق من ربك ، فقلوبهم مصدقة لك فلا يحزنك التكذيب بألسنتهم ، وقوله تعالى { ولكن الظالمين } ولكنهم { بآيات الله يجحدون } ولكنه أقام الظاهر مقام المضمر لإفادة أن ظلمهم جرأهم على هذا المنكر العظيم وأوردهم ذلك المورد الوخيم الذي لا يليق بعاقل منصف أن يرضاه لنفسه .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٤٣/٢)

ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا (١) حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله (٢) ولقد جاءك من نبإ المرسلين (٣٤) (٣)

---

(١) . { ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا } :

{ رسل } أرسلهم الله من قبلك { فصبروا على } تكذيب المكذبين لهم وأذى الكافرين لهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله } :

كوعده رسله بالنصر فلا مبدل لوعده ؛ لأنه لا مبدل لكلمات الله وهي تعم الوعد والوعيد والحكم والقصص وغير ذلك فلا مبدل لها ؛ لأنه صدق وعدل والله يحكم لا معقب لحكمه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { ولقد جاءك من نبإ المرسلين (٣٤) } :

مافيه لك تسلية وتشجيع على الصبر ووعد بالنصر ونحو ذلك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٤٤/٢)

وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية (١)

---

(١) . { وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية } :

قال في [الصحاح]: والنفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان انتهى ، وقال الراغب: والسلم ما يتوصل به إلى الأمكنة العالية فيرجى به السلامة ثم جعل اسما لكل ما يتوصل به إلى شيء رفيع كالسبب انتهى المراد .

وفي [الصحاح]: السلم واحد السلاليم التي يرتقى عليها ولم يزد ثم جعل اسما إلخ .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال المرتضى عليه السلام هذا تسهيل من الله سبحانه على نبيه لما علم من غمه بإعراض الخلق عن الله سبحانه ومعصيتهم له ومخالفتهم لحكمه ، فلما كبر ذلك على رسول الله وعظم عنده إعراضهم عن الله سبحانه واشتد عليه ما يرى من شرارتهم قال الله سبحانه { وإن كان كبر عليك إعراضهم } أي عظم عليك إعراض المشركين وعدم إيمانهم وتوهمت لرغبتنا في إيمانهم أن كثرة الآيات توثر فيهم { فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء } يقول ترقى في السماء فتأتيهم بآية وهذا غاية الإجتهاد في الذهاب في الأرض والسماء ، فقال إنك قد جئتهم من الآيات والعلامات والحجج الواضحات الباهرات بما في أقل منه يؤمن من كان له قلب أو معرفة ولم تترك غاية في حرص ونصيحة واجتهاد أو موعظة فما تريد أن تعمل بهم بعد ذلك أتذهب في الأرض أو في السماء وليس تقدر على ذلك؟ ليس عليك من الأمر إلا ما قد فعلت انتهى المراد .
وقوله: وتوهمت لرغبتنا في إيمانهم أقول: أظن الأصل لرغبتك في إيمانهم لأن السياق في حرص النبي على إيمانهم فالراجح أن قوله لرغبتنا تصحيف من بعض النساخ .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٤٥/٢)

ولو شاء الله لجمعهم على الهدى (١) فلا تكونن من الجاهلين (٣٥) (٢)

---

(١) . { ولو شاء الله لجمعهم على الهدى } :
وهذه تسلية لرسول الله لأنها تدل على أن الله تعالى قد شاء أن يتركهم وشأنهم لإستحقاقهم الخذلان مع أنه { لو شاء لجمعهم على الهدى } لأنه على كل شيء قدير وهو الذي يتولى إظهار دينه ونصر رسوله فكل أمرك وأمرهم إلى الله ولا تبال بهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فلا تكونن من الجاهلين (٣٥) } :
بمحاولة أن يؤمنوا أكثر مما قد فعلت أو بالطمع في أن يؤمنوا وهو طمع فيما لا يكون أو بمحاولة الإتيان بآية كما يقترحون وحكمة الله تأبى ذلك لأنهم لا يؤمنون ولو جاء ما اقترحوه .

قال الشرفي في [المصابيح]: وهذا النهي لا يقتضي إقدامه على مثل هذه الحالة كما أن قوله { ولا تطع الكافرين والمنافقين } لا تدل على أنه أطاعهم وقبل دينهم..إلخ .

قلت: يعني أن النهي لا يدل على أنه يقع منه المنهي لولا النهي ، ولقائل أن يقول: ذلك النهي من التثبيت والعصمة وقد قال تعالى { ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا } فليس معنى العصمة اكتفاءه عن النهي والتحذير .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٤٦/٢)

---

* إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون (٣٦) (١) وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه (٢)

---

(١) . { * إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون (٣٦) } :
والذين يسمعون هم الذين يريدون الحق فهم الذين يسمعون سماعا يعتد به لأنه السماع الذي ينتفعون به ، أما المعرض الكاره للحق فهو وإن سمع فسماعه كلا سمع ؛ لأنه معرض عن طلب الحق وكاره ، فالذي يسمع سماع طلب للصواب هو الذي يستجيب لله ورسوله ، أما الكاره للحق المعرض عنه المخذول فهو كالميت الذي لا يسمع ، فقراءة القرآن عليه بمنزلة درس عند ميت ولكن عاقبته أن يبعثه الله من الموت الحقيقي ، ثم إلى الله وحده يرجع ليحاسبه ويوفيه حسابه وهناك يسمع حين لا يفيده السمع شيئا .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه } :

أي هلا أنزل عليه { آية من ربه } إن كان أرسله كما يدعي ، وهذا من كفرهم بآيات الله واعتبارهم لها أنها ليست آيات وقد رد الله عليهم في قوله تعالى { أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم }
.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون (٣٧) (١) وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم (٢)

---

(١) . { قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون (٣٧) } :
{ قل إن الله قادر } فلم يترك ذلك إلا لأنه قد بين صدق الرسول ولا تقتضي الحكمة إجابتكم إلى ما تقترحون ، ولولا ذلك لنزله لأنه قادر على تنزيله ، ولكن أكثر هؤلاء الكافرين { لا يعلمون } أن الله قادر على ذلك إما لجهلهم بالله واستبعادهم لقدرته سبحانه على ما يقترحون ، وإما لاعتقادهم أن تنزيل الآية يؤدي إلى إبطال شركائهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم } :

هذا بيان لقدرة الله وسعة علمه تعالى بأن جعل كل دابة تدب في الأرض أمما كل نوع منها أمة ، وجعل سبحانه كل { طائر يطير بجناحيه } صغيرا أم كبيرا أمما كل نوع أمة يجمعها تدبيره لمعاشها وما يتوقف عليه من كمال خلقها الذي به صلحت للمعاش وتدبيره تعالى لتناسلها وتقديره لأعمارها وتدبيره لأسباب سلامتها من أضدادها فيما قدر من حياتها فمنها ما يستطيع الدفاع عن نفسه بما خلق له من آلة الدفاع وقوته ، ومنها ما هو سريع الفرار والإختفاء ، ومنها ما بيته ضيق لا يتسع لضده ، ومنها ما يحتال للسلامة بإيهام أنه قد مات كما يفعل الثعلب ، أو بإعداد مخرج من بيته للفرار من غير بابه كما يفعل اليربوع ، أو بالسكون مكانه كما تفعل الدويبة الصغيرة التي تدل عليها حركتها فإذا سكنت اختفت ، فهذه الأنواع وسائر أنواع الحيوانات والطيور لكل منها تدبير معيشته ورعايته لا يخفى على الله تعالى ولا يشغله شأن عن شأن ، فهي في رعايته سبحانه كما الإنسان في رعايته على كثرة الأنواع ولكل نوع ما يختص به من العادات المعيشية وطلب الرزق والمسكن والمحافظة على الحياة فهو أمة وحده لاجتماعه على ما خصه من بين سائر الأنواع .
قال في [الصحاح]: والأمة الجماعة ، ثم قال: وكل جنس من الحيوان أمة انتهى ، وفي [مفردات الراغب]: والأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما .. إلخ .
وقوله تعالى { أمثالكم } أي في أن كل أمة لها أسباب معيشتها ولها خلقها ورزقها ورعايتها وآجالها

وغير ذلك .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٤٨/٢)

ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون (٣٨) (١)

---

(١) . { ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون (٣٨) } :
قال الشرفي في [المصابيح]: وقوله تعالى { ما فرطنا في الكتاب من شيء } قال في [البرهان] يعني من أمور الدين إما مفصلا يستغني عن التفسير أو مجملا جعل إلى تفسيره سبيلا ، قال الحسين بن القاسم عليهما السلام: معنى { ما فرطنا } أي لم نتوان في شيء في الكتاب ولكنا جعلنا فيه أصول جميع الأسباب ، ولم نتوان في الخبر عن رحمتنا حتى ذكرنا البهائهم والطير والدواب { ثم إلى ربهم يحشرون } أي يجمعون في ذلك اليوم إلى الله وينشرون انتهى .

قلت: والحشر في هذه الآية إحياء الحيوانات والطير وسوقها إلى حيث تجمع لإعطاء كل منها ما يستحقه بسبب ما لحقه في الدنيا من مشقة أو ألم ، وقوله تعالى { ثم إلى ربهم يحشرون } فيه تنزيل الحيوانات والطيرمنزلة العقلاء ، ولعل السر فيه أنها حين تحشر تعطى من الفهم ما تعرف به عدل الله في قضائه ، وأنها قد وفيت ما تستحقه من الأعواض والأجور على ما سخرت له من نفع الإنسان وغيره وعلى ما ألهمت من ذكر الله ونحوه ، وقد قيل: إن لها تكليفا بقدر معين تفهمه والله أعلم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٤٩/٢)

والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات (١) من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (٣٩) (٢)

---

(١) . { والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات } :
لما كانوا لا ينتفعون ببيان الله لهم ورده لأقوالهم الباطلة بما ينفع من يقبل الحق شبههم بالصم الذين لا

يسمعون وأضاف تشبيههم بالبكم الذين لا ينطقون ؛ لأنهم لا ينصفون فيعترفوا بالحق عند وضوحه بل هم عن ذلك كالخرس ، ثم قال { في الظلمات } بدلا من تشبيههم بالعمي ، فدل على أنهم لا يبصرون الحق بسبب ما هم فيه من ظلمات الباطل التي تحول بينهم وبين الرؤية للحق مثل الكبر والحسد وحمية الجاهلية لآبائهم المشركين ولما يعبدونه من دون الله ، ومثل عقائدهم التي استمروا عليها وتعصبوا لها ، ومثل هواهم فيما ورثوه عن آبائهم وما نشؤوا عليه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (٣٩) } :

ومشيئته سبحانه ليست مشيئة شهوة ؛ لأنه لو أراد إرادة الشهوة لعمت إرادته كل مشتهى بل كل شيء ؛ لأن ذاته لا نسبة بينها وبين شيء دون شيء بل ذاته مخالفة للأشياء كلها فليس كالمخلوق الذي جعلت له شهوة فيما يكمل معيشته واستمرار وجوده فإما أن يشتهيها كلها ، وإما أن يستغني عنها كلها ، فلما رأينا الأشياء تنقص وتتغير والأحياء تموت بعد تمام خلقها علمنا أنه غير محتاج إليها لأنه لو كان محتاجا إليها لحافظ عليها ولما جاز عليه تغير الحاجة لأنها لو كانت لكانت ذاتية توجد ما دامت الذات ، فدل ذلك على أنه غير محتاج إلى شيء منها وأنه غني عما خلق كله كما هو غني عما لم يخلق ، وإذا ثبت أن مشيئته ليست مشية شهوة لم يبق إلا أنها مشية الحكمة وليس من الحكمة إضلال عبده وهو يدعوه إلى الهدى وهو مستعد للإجابة ، ولم يسبق منه ما يستحق به الإضلال ، فدل ذلك على أنه لا يشاء الإضلال إلا على ما تقتضيه الحكمة وهو الإضلال لمن استحق الإضلال بتمرده عن قبول الحق بعد بيانه الإضلال الذي لا يسلب الإختيار ولا يسلب التمكن من الفهم والطاعة لأنه لو سلبه الإختيار والتمكن من الفهم والطاعة لرفع عنه التكليف ولما عاقبه على ما صدر عنه في حال الإضلال ؛ لأنه حكيم وهو بالناس رؤوف رحيم ، ولا يظلم الناس شيئا ، ولا يظلم ربك أحدا فما هو الإضلال الذي لا يسلب الإختيار ولا يسلب التمكن من الفهم والطاعة وقد استحقه العبد بتمرده ؟
قلنا: قد بينه الله تعالى في قوله { فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء } ولم يقل إنه يخلق الضلال أو يسلب الإختيار أو يسلب قدرة الفهم والطاعة ، وإنما هو جعل صدره ضيقا فإذا ضاق صدر العاصي بسبب عصيانه وتمرده كان هواه في ترك ما ثقل عليه فاتبع هواه كما اتبع هواه قبل الإضلال فلما اتبع هواه كان قد أضله هواه عن سبيل الله كما قال تعالى : { ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله } وجعل صدره ضيقا بسب تمرده وإن كان منسوبا إلى الله فيمكن مع ذلك أن له نسبة إلى العاصي من حيث أنه عود قلبه اتباع الهوى وترك ما كلف حتى أثرت العادة في قلبه فصار الحق عليه ثقيلا ، وهذا الثقل النفسي هو سبب ضيق الصدر ؛ لأنه مفطور على تأثره بالآثار النفسية ، وعلى هذا تكون العقوبة بخذلانه عند تصرفه المفسد

لقلبه وترك لطفه لأنه استحق الخذلان وبالله التوفيق .
وقوله تعالى { ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم } ترغيب كامل في التعرض لهداية الله تعالى ؛ لأنها هداية يكون عندها على صراط مستقيم بسبب حبه للإيمان وانشراح صدره للإسلام فإذا عاين الصراط المستقيم سار فيه بغير تردد ولا تراخ فاعتبرت هدايته جعله على صراط مستقيم لأنها سببه .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه .
وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٥٠/٢)

قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين (٤٠) (١)

---

(١) . { قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله } في الدنيا { أو أتتكم الساعة } القيامة { أغير الله تدعون إن كنتم صادقين (٤٠) } في دعواكم الشرك ، فإذا كنتم عند هول العذاب أو الساعة لا تدعون غيره تبين أن إشراككم ليس عن اعتقاد أن شركاءكم يسمعون دعاءكم ويكشفون عنكم الضر وإنما هو التقليد الأعمى والتعصب .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٥١/٢)

بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون (٤١) (١) ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون (٤٢) (٢)

---

(١) . { بل إياه تدعون } أي بل الله وحده تدعون لكشف الضر { فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون (٤١) } ولا يشاء كشف الساعة ولا كشف العذاب إذا كان قد نزل وعاينوه ولكنه قادر على ذلك فلو شاء لكشفه ، فهي تدل على أنه هو الذي يسمع الدعاء ويكشف العذاب إن شاء ؛ لأنه على كل شيء قدير فهو الذي ينبغي أن يدعى ويخشى { وتنسون ما تشركون } لاشتغال أذهانكم بطلب النجاة ممن يقدر عليها ويسمع الدعاء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون (٤٢) } :

قال في [الصحاح]: البأساء الشدة انتهى ، وقال: والبأساء والضراء الشدة انتهى .

قلت: لعل في مفهومها اختلافا باعتبار البؤس في البأساء أي هو يقابل النعمة ، واعتبار الضر في الضراء والله أعلم .

وفي التعبير بأخذهم دلالة على عظم المصيبة وقهرها لهم واستيلائها عليهم بحيث عجزوا عن دفعها واستسلموا لها وذلك { لعلهم يتضرعون } إلى الله إذا علموا أن سببها هو الكفر بأن يؤمنوا برسلهم ، والتضرع التذلل الذي هو ضد التكبر وإذا تركوا الكبر وتذللوا لله آمنوا .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٥٢/٢)

فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا (١) ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون (٤٣) (٢)

---

(١) . { فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا } :

لأن الشدة هي من الله فهلا تضرعوا إليه حين جاءت لأن من شأن العاقل طلب النجاة إذا أمكن وهو ممكن بالتضرع .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون (٤٣) } :

}

قست قلوبهم } فلم تؤثر فيها الشدة لتلين وتذل لله { وزين لهم الشيطان } ما تكرر منهم وألفوه من الشرك وسائر الباطل وتزيين الشيطان لهم وسوسته لهم بما يرغبتهم فيما هم عليه حتى يرغبوا فيه فيكون في رأيهم حسنا لإلفهم له ورغبتهم فيه فاستحسنوه استحسان النفس لما تشتهيه فلم يتضرعوا بل تحملوا الشدة وصبروا عليها ، والفرق بين الباس هذا والعذاب المذكور في قوله تعالى { إن أتاكم عذاب الله } أن البأس هذا لم يبلغ بهم الخوف الشديد الملجي إلى الرجوع الذي يكون عند ظن

الهلاك فلذلك تحملوه وصبروا عليه إصرار على كفرهم.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٥٣/٢)

فلما نسوا ما ذكروا به (١) فتحنا عليهم أبواب كل شيء (٢)

---

(١) . { فلما نسوا ما ذكروا به } :

{ نسوا ما ذكروا به } وهو البأساء والضراء التي أخذهم الله ليتذكروا ، ومعنى نسيانهم غفلتهم عنها من حيث هي تذكير لهم وعدم تذكرهم بها وإعراضهم عنها من حيث هي تذكير لهم حتى كأنهم نسوها حقيقة ، ومنها قوله تعالى في المنافقين { نسوا الله } .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فتحنا عليهم أبواب كل شيء } :

{

فتحنا عليهم } أبواب النعم المختلفة بتيسير أسباب الثمار والمراعي وكثرة الأنعام والدواب وأسباب توفر المأكول والمشروب على اختلاف أنواعهما وأسباب اللباس والفراش وغير ذلك كالصحة والقوة والأمن ، فقوله تعالى { أبواب كل شيء } يعم أسباب مطالبهم المعروفة في هذه الحياة الدنيا كقوله تعالى في الحرم { تجبى إليه ثمرات كل شيء } وفي قوله تعالى { فتحنا عليهم } إشعار بإتيان الأسباب ونزولها عليهم بغزارة وإقبال الخير شبه نزول الأمطار ، ولما كان هذا الإقبال فتنة واختبارا ناسبه أن يقول عليهم :

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٥٤/٢)

حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون (٤٤) (١)

---

(١) . { حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون (٤٤) } :
قال في [المصابيح] ونعم ما قال: ومعناه حتى إذا تقلبوا في ضروب النعم وتصرفوا في أنواع اللذات واطمأنوا بها وركنوا إليها أخذناهم انتهى المراد .
وأخذ الطمأنينة والثقة في معنى الفرح وأنه ليس مجرد السرور هو الظاهر من تأمل مواقعه في القرآن ؛ لأن الفرح بالدنيا مذموم والفرح بنصر الله غير مذم ، والفرح بما أنزل الله من الهدى مأمور به ، والفرق أن الإطمئنان إلى الدنيا مذموم لأنه اغترار ، والإطمئنان إلى الدين حق وصواب لأن عاقبته محمودة محققة .
وحكى الشرفي في [المصابيح] عن [البرهان] لأبي الفتح الديلمي في تفسير قول الله تعالى { لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم } قال : ولا تفرحوا بما آتاكم من العوافي والنعم التي لا توجب الفرح بها لفنائها وقلة بقائها انتهى .

فهذا يفيد أن توقع زوال النعمة ينافي الفرح بها فيدل على أن الطمأنينة إلى الشيء لازمة للفرح به مع أن الإنسان مجبول على السرور بحصول ما يحتاجه وإن كان يعلم أنه لا يدوم ، فظهر الفرق بينهما .
وقوله تعالى { أخذناهم بغتة } عذبناهم فجأة لم يكونوا يتوقعون العذاب { فإذا هم مبلسون } في تفسير المرتضى الذي حكاه الشرفي في [المصابيح]: والمبلس فهو الذي ليس له ولا في يده شيء العادم لما كان معه الآيس مما كان يؤمله فدامت حسراتهم ..إلخ .
وفي [الكشاف]: واجمون متحسرون آيسون فزاد الوجوم أي السكوت ، وفيه نظر لأن الله تعالى قال في سورة الأنبياء { قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين } فإن أراد ساكتون بالموت فهو خلاف الظاهر لأن الموتى لا يوصفون بالتحسر واليأس ، فالأولى أن الإبلاس عند العذاب وتحقق الهلاك ، ففجأة العذاب تبعتها فجأة الإبلاس .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٥٥/٢)

فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (٤٥) (١)

---

(١) . { فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (٤٥) } :
{ فقطع دابر القوم } هلكوا كلهم لم يبق لهم عقب بسبب عموم العذاب لهم كلهم ، وقوله { الذين

ظلموا } أقيم مقام الضمير أي دابرهم وهو يفيد أن هلاكهم بسبب ظلمهم { والحمد لله } الذي أهلكهم وطهر الأرض منهم لينقطع ظلمهم وفسادهم لأنه { رب العالمين } المالك لهم المدبر لأمورهم ولإظهار الحق ونصره بتدمير أعدائه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٥٦/٢)

قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به (١) انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون (٤٦) (٢)

---

(١) . { قل } يا محمد للمشركين { أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به } ختم على قلوبكم حتى لا تفهم شيئا ؛ لأنها مسدودة بالختم ، وهذا تمثيل لمنع الفهم فالله تعالى هو القادر على ذلك وشركاء المشركين لا يقدرون على تعويض ما أخذ أو فتح ما غلق . وقوله تعالى { به } أي بالفائت المدلول عليه في الكلام ، فالذي يملك السمع والأبصار والعقول هو الذي يستحق العبادة ؛ لأنه المالك المنعم لا من لا يقدر على ذلك فلا معنى لعبادته بل هي عين الباطل .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون (٤٦) } :
}
انظر } فكر { كيف نصرف الآيات } الدالة على بطلان الشرك وعلى صدق القرآن والرسول تأتيهم بآية ثم نأتي بأخرى من معنى آخر ثم نأتي بأخرى كذلك آيات متنوعة متعددة ومن حيث تنويعها باعتبار معانيها سمي تصريفا مثل تصريف الرياح ، { ثم } بعد تصريف الآيات لهم { هم يصدفون } .
قال الراغب: صدف عنه أعرض إعراضا شديدا ، وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام معناه يعرضون انتهى ، ومثله في [الصحاح] ثم هم أي المشركون يصدفون بعد تصريف الآيات يستمرون على إعراضهم كلما جاءتهم آية.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٥٧/٢)

قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون (٤٧) (١)

---

(١) . { قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون (٤٧) } :
قال تعالى في هذه { قل أرأيتم } وفي التي قبلها { قل أرأيتم } ولعل وجه الحكمة أن لفت أنظارهم في الأولى إلى قدرة الله ونعمته وعجز شركائهم ، وفي هذه الآية لفت أنظارهم إلى أنفسهم كيف يصنعون إن أتاهم { عذاب الله } وهم على ظملهم وقوله تعالى { بغتة أو جهرة } يصور لهم حالة نزول العذاب حين ينزل إما بشدة المباغتة وإما بهول المجاهرة ومعاينته عند نزوله حتى وصوله لا يستطيعون دفعه { هل يهلك } أي بالعذاب { إلا القوم الظالمون } أي فلم يأتكم إلا لأنكم ظالمون فأنتم الذي سببتم لإتيان العذاب بإصراركم على الظلم والإعراض عن آيات الله .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(٤٥٨/٢)

وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين (١) فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٤٨) (٢)

---

(١) . { وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين } :
فالرسل كلهم جاؤوا الأمم { مبشرين } لمن آمن وأصلح { ومنذرين } لمن كفر .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فمن آمن } بالرسل وما جاؤوا به { وأصلح } وعمل صالحا { فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٤٨) } بل هم آمنون في الآخرة مستبشرون .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٥٩/٢)

والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون (٤٩) (١) قل لا أقول لكم عندي خزائن الله (٢) ولا أعلم الغيب (٣)

---

(١) . { والذين كذبوا بآياتنا } فلم يؤمنوا برسولهم { يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون (٤٩) } يباشرهم العذاب بسبب ما كانوا في الدنيا يفسقون أي ما تكرر من فسقهم كله يؤاخذون به كله أوله وآخره .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { قل لا أقول لكم عندي خزائن الله } :

{ قل } يا محمد لا أقول لكم في قولي إني رسول الله إليكم { عندي خزائن الله } من الأموال وما يحتاج الناس إليه فهي بيدي فإذا لم أدع هذا ، فليس لكم أن تقترحوا علي ما ليس في وسعي بل عليكم أن تنظروا في دلائل صدقي .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { ولا أعلم الغيب } :

أي وقل لهم { لا أعلم الغيب } وهذا أقوى من نفي دعوى علم الغيب وهو عام يخصه ما أوحاه إليه ليبلغه كما قال تعالى { فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم } وذلك لأن الآخرة غيب والجنة والنار والملائكة كل ذلك غيب بلغته الرسل إلى أممهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٦٠/٢)

ولا أقول لكم إني ملك (١) إن أتبع إلا ما يوحى إلي (٢) قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون (٥٠) (٣)

(١). { ولا أقول لكم إني ملك } :
فليس لكم أن تكذبوا رسالتي بدعوى أني بشر آكل الطعام وأمشي في الأسواق .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢). { إن أتبع إلا ما يوحى إلي } فأقول ما أمرني الله به لا أتبع غير وحيه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٣). { قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون (٥٠) } :
فالمؤمن المتبع لما أوحاه الله كالبصير ، والكافر كالأعمى ومن تفكر واستعمل عقله علم أن البصير أعرف بالهدى من الأعمى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٦١/٢)

وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون (٥١) (١)

---

(١). { وأنذر به } أي بما يوحى إليك { الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم } الذين ينتفعون بالإنذار لأنك إذا أنذرتهم خافوا أن يحشروا إلى ربهم ليسألهم ويحاسبهم ويجزيهم بما عملوا .
{ ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع } { أن يحشروا إلى ربهم } في حال أنهم ليس من دون ربهم ولي يتولى أمورهم ويدبر ما يصلح شأنهم ولا شفيع يتدخل فيما بينهم وبين ربهم بشفاعته فيصرف عنهم العقاب ، وقوله { من دونه } أي فيما بينهم وبين ربهم يحول دون جزائهم فهم الذي ينتفعون بالإنذار أنذرهم بالقرآن .
}
لعلهم يتقون (٥١) } العذاب والإنذار بالقرآن تلاوة ما فيه من الوعيد وتقييد الإنذار به لأن العربي إذا سمعه عرف أنه خارق في إحكامه وحسن نظمه فعرف أن كلام الله ، فالإنذار به إنذار مقرون بالحجة

.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٦٢/٢)

ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه (١)

---

(١) . { ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه } :
لا تطردهم من عندك كما أراد المتكبرون المحتقرون لهم ، والدعاء : طلب الحاجات من الله والرغبة إليه في قضائها ، والغداة: أول النهار ، وأما العشي فقال الراغب: العشي من زوال الشمس الى الصباح
.

وفي [لسان العرب]: وأما العشي فقال أبو الهيثم إذا زالت الشمس دعي ذلك الوقت العشي .
قال الأزهري وصلاتا العشي هما الظهر والعصر ، وقال الأزهري: يقع العشي على ما بين زوال الشمس إلى وقت غروبها كل ذلك عشي ، فإذا غابت الشمس فهو العشاء ، وقيل: العشي من زوال الشمس إلى الصباح انتهى باختصار .
وقد جاء في روايات حديث الغدير: وراح يصلي عشية مع وصفهم تلك الحال بشدة الحر ، فالراجح أن العشي من زوال الشمس ، وأما آخره فإما الغروب وإما بعد ذلك .

والآية الكريمة تفيد أن المذكورين يكثرون ذكرالله في أوقات الفضيلة ، وقد جاء في الغداة روايات كثيرة تدل على فضل الذكر فيها ، وجاءت روايات في فضل الذكر بعد العصر إلى غروب الشمس ، فأما الذكر من بعد الزوال إلى بعد العصر فلعله في الصلوات وأدبارها ، وأما قوله تعالى { يريدون وجهه } فالراجح في معناه يريدون التقرب إليه والتوسل إلى رضوانه لأن الراضي يقبل على المرضي عنه بوجهه كما أن الساخط يعرض عن المسخوط عليه ، قال تعالى { ولا ينظر إليهم } وهو تعبير عن الغضب عليهم فإرادة وجهه إرادة نظره إلى عبده أي رضوانه ، وقد قال أولاد يوسف { ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا.. } إلى قولهم { ..اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم } يريدون نظره بوجهه إليهم وحدهم كناية عن حبه لهم وحدهم وليس بمعنى الذات ، فالمعنى في الآية هذه وأمثالها خلوص النية للتقرب إلى الله وطلب رضوانه ليس لهم غرض دنيوي لا رياء ولا سمعة ولا غير ذلك ، فهم أهل للتقريب والإكرام لا للطرد والإبعاد .
قال الشرفي في [المصابيح] حاكيا عن المرتضى عليه السلام: ومحمد عليه السلام فلم يطرد أحدا

وإنما قالت له قريش لما دعاهم إلى الله سبحانه فقالوا كيف نؤمن يا محمد وقد سبقنا من ليس له قدر فينا ولا رئاسة من أوساط الناس وأتباعنا فاطردهم فإن طردتهم آمنا بك ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية تعريفا لهم وردا عليهم وأمر بخلاف قولهم ، وشهد الله سبحانه لمن اتبع رسوله بالدين وإخلاص النيات فقال { يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه } فأخبر أنهم يقصدون ويطلبون ما عنده فكان هذا مدحا لهم وثناء عليهم انتهى المراد .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٦٣/٢)

ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين (٥٢) (١)

---

(١) . { ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم } وهذا وجه آخر للنهي عن طردهم يفيد أنه لا يحتاج إلى طردهم ؛ لأنه لا يحاسب بعلمهم ولا يحاسبون بعلمه ، وهو يشير إلى أن ضعف الإنسان وحقارته ليس لقلة ماله أو رجاله إنما هو لقلة عمله الذي يستحق به المدح والثواب أو سوء عمله الذي يستحق به الذم والعقاب ، وهؤلاء الذين نهيت عن طردهم سواء كان عملهم صالحا أو سيئا ليس { عليك من حسابهم من شيء } بسبب مجاورتهم فلا حاجة إلى طردهم لأجل أعمالهم التي لا تعلمها ، وإنما ترى منها خيرا وكذلك لا ينالون بمجاورتك شيئا من حسابك يصير عليهم فينقصوا عليك من حسناتك ولهذا فلا حاجة لك في طردهم ، وفيه إيضا إشارة إلى أنه لو حسن طردهم لما حسن إلا لحاجة النبي خاصة لا لإرضاء الكفار المتكبرين فلا يتصور وقوعه من الرسول ولذلك لم يذكر ، والحاصل لا تطرد الذين يدعون ربهم المذكورين .
{ فتكون من الظالمين (٥٢) } :

فقوله تعالى { فتكون } منصوب في جواب النهي يفيد أنه لو طردهم لكأن من الظالمين وحاشاه من أن يطرد المؤمنين أو يكون من الظالمين ولكن هذا رد على المتكبرين كما أفاده المرتضى عليه السلام وبيان لقدر المؤمنين عند الله وكرامتهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٦٤/٢)

وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا (١)

(١) . { وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا } :
كذلك الفتن الذي فتنا المستكبرين من قريش بالمؤمنين الفقراء الذي يدعون ربهم كذلك الفتن فتنا بعض الناس ببعض امتحنا بعض الناس ببعض ، يمتحن الكبراء أو المستكبرين بالفقراء والمستضعفين ، وفي كلام الإمام علي عليه السلام في الخطبة القاصعة: فإن الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم ، ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون ابن عمران عليهما السلام على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصى فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه ، فقال: ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل فهلا ألقي عليهما أساورة من ذهب إعظاما للذهب وجمعه واحتقارا للصوف ولبسه ...إلخ هكذا يبتلى من يراه الناس عظيما بمن يرونه حقيرا ، ولعل مثل هذا وقريبا منه يحدث لغالب كبراء الناس من الرؤساء والعلماء ومشائح القبائل وكبار الأغنياء وغيرهم ، فنسأل الله الثبات على الحق ، وقوله تعالى { ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا } امتحناهم ليظهر ما يكون منهم عند الفتنة ، وقولهم { أهؤلاء } سؤال احتقار للمشار إليهم لنفي أن يمن الله عليهم ويختارهم من بين المستكبرين يريدون { لو كان } ما عليه المستضعفون { خيرا ما سبقونا إليه } لأنا أحب إلى الله منهم ولذلك يعطينا ويمنعهم ونحن أحق منهم أن يمن الله علينا لو كان خيرا .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٦٥/٢)

أليس الله بأعلم بالشاكرين (٥٣) (١)

(١) . { أليس الله بأعلم بالشاكرين (٥٣) } :
فهم أحق بالنعمة لا الكافرون ، نعم قوله تعالى { ليقولوا أهؤلاء } التعليل من المتشابه ومثله متعدد في هذه السورة ، والأقرب في تأويله أن المراد بيان علم الله سبحانه بما يكون منهم عند الفتنة قبل أن يفتنهم ، فلما جعلوا الفتنة سببا لهذا القول وترتب القول على الفتنة وهو سبحانه يعلم ذلك من قبل كان كأنه فتنهم ليقولوا فهو مجاز عن علم الله به وعدم مبالاته به حتى كأنه مقصود والله أعلم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٦٦/٢)

وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم (٥٤) (١)

---

(١) . { وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم (٥٤) } :
}
الذين يؤمنون بآياتنا } يعم كل مؤمن ولا يخص الذي يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه { فقل سلام عليكم } تكريم لهم وتأمين { كتب ربكم على نفسه الرحمة } أوجب على نفسه تحقيق الرحمة أنها واقعة لهم على كل حال لكن إذا عمل أحدهم { سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح } فالرحمة له من بعد التوبة والإصلاح ، وهي بشرى بقبول توبته والمغفرة لمن تاب وأصلح كلما عمل سوء ، وقوله { بجهالة } كالقيد الواقعي لبيان أن ذلك لا يليق بالمؤمن وأنه يكون جهالة بمعنى سفاهة وقع فيها بسبب غفلته وذهوله عن الإيمان ومفارقته عند غلبة غضبة أو شهوة ، وقوله تعالى { ثم تاب من بعده وأصلح } أي أصلح ما أفسد لأن عامل السوء قد يكون أفسد بل ذلك كثير في معاصي المعاملة والغيبة والنميمة والكذب وأذى المسلم وغير ذلك ، فهذا مثل قوله تعالى { إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا } وهذا أظهر من تفسيره بإصلاح العمل لأنه يقال فيه { وعمل صالحا } والله أعلم ، وقوله تعالى { فأنه غفور رحيم } يفيد أنه يغفر للتائب ويرحمه لأنه غفور رحيم فهو تأكيد للوعد .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٦٧/٢)

وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين (٥٥) (١) قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله (٢)

---

(١) . { وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين (٥٥) } :
{ وكذلك } التفصيل الكامل المبين للمعنى { نفصل الآيات } فلا يصح دعوى أن القرآن رموز لا يفهما إلا الإمام أو الشيخ { ولتستبين سبيل المجرمين } قري برفع { سبيل } على أنها فاعل تستبين أي تتبين ، وقرى بنصب { سبيل } على أنها مفعول به أي تستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين ، والمجرمين هنا ظاهر في الذين هم بربهم يعدلون والذين هم بآيات الله يجحدون وأمثالهم ممن مر ذكرهم في السورة التي تبين فيها سوء سبيل المجرمين وضلالتها ، وأنها سبيل العذاب والخذلان وسبيل التمرد عن قبول الحق والعناد وغير ذلك من عيوبها ، فتفصيل الآيات لحكم عديدة ومنها تبين سبيل المجرمين .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله } :
}
قل } يا محمد للمشركين { إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله } وهو يعم عبادتها بالدعاء وعبادتها بغيره كالذبح وغيره كما يأتي ذكره في هذه السورة ، وهذا تنبيه للمشركين على أن من دين الرسول اجتناب الشرك .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٦٨/٢)

قل لا أتبع أهواءكم (١) قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين (٥٦) (٢) قل إني على بينة من ربي وكذبتم به (٣)

---

(١) . { قل لا أتبع أهواءكم } :
لأني على بينة من ربي فكيف أدع الحق الواضح لأتبع الباطل الذي لا برها ن له وإنما هو مجرد اتباع الأهواء .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين (٥٦) } :

{ قد ضللت } إن اتبعت أهوائكم ضلالا لا أهتدي معه أو بعده فهو ضلال مجرد أو ضلال يسبب الخذلان وسلب التوفيق ، وفي هذا دلالة للمشركين أنهم ضالون بطريقة حكيمة فيها رفق ولطف في التعبير.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { قل إني على بينة من ربي وكذبتم به } :

{

على بينة من ربي } تبين لي أن الحق هو التوحيد وأن الشرك ضلال بعيد ، والبينة هي القرآن الحكيم الذي هو من الله سبحانه فرسول الله على بيان الله الذي بينه له لكن الكفار كذبوا بالقرآن فحرموا أنفسهم سبيل الهدى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ما عندي ما تستعجلون به (١) إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين (٥٧) (٢)

---

(١) . { ما عندي ما تستعجلون به } :

من القيامة أو العذاب لأني لا أملك ذلك وإنما أنا نذير لكم فإن آمنتم فقد تبين لكم الحق وإن كفرتم فقد تبين ولا عذر لكم في عدم إتياني بما تستعجلون وليس لكم ولآبائكم أن تحكموا بما شئتم من شرك أو غيره أو لزوم اتباعي أو تركه لعدم ما اقترحتم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { إن الحكم إلا لله } وقد أمر أن لا تعبدوا إلى إياه فليس لكم أن تتحكموا باشتراط ما اقترحتم .

{ يقص الحق } يقص القصص وقد قص بالحق ما صاب المشركين قبلكم بشركهم وتكذيبهم .

{

وهو خير الفاصلين (٥٧) } لأنه يفصل بالحق ولا يغلط ولا ينسى وهو يستطيع تنفيذ فصله بين عباده فهو فصل نافذ يحق الحق ويبطل الباطل فلا بد أن يفصل بيننا وبينكم .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى

: حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٧٠/٢)

قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين (٥٨) (١) * وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو (٢)

---

(١) . { قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم } :
لأن الساعة أو العذاب الذي أنذركم يقطع وقت الإنذار والدعوة إلى الطاعة والإيمان ؛ لأنه يبطل الإختيار ويرفع التكليف ولا يبقى إلا أن يحل عليكم ما أنذرتكم .
{ والله أعلم بالظالمين (٥٨) } فهو أعلم بكم وهو يجزيكم بإجرامكم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { * وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو } :
قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليهما السلام معناه وعنده علم الغيب الذي لا يعسر عليه عسير ولا يعزب عنه صغير ولا كبير ولكنه ضرب المثل بالمفاتح لعلمه كما ضرب المثل بالكتاب لحفظه وليس ثم كتاب وإنما هو مثل مضروب قال الشاعر :
في كفه من رقى الشيطان مفتاح

أي معه حيل من عزائم الشيطان حتى يسهل عليه ما يتعذر على غيره فضرب المثل بالمفتاح .
قال الشرفي: ومثل هذا ذكر المرتضى عليه السلام وقال: مفتاح الشيء فهو علمه ؛ لأنه لا يوصل إلى ما كان منغلقا إلا بمفاتحه ، وإنما هذا مثل ضربه الله عز وجل لخلقه وبينه لعباده بأنهم يعلمون بأن الاغلاق لا يفتحها إلا المفاتح فلما أن كان الغيب منغلقا عن الخلق والله سبحانه هو العالم قال { وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو } والغيب هو ما استتر واستجن وغبي فلم يعلم ، وذلك لا يعلمه إلى الله عز وجل إلا ما دل عليه وفتحه وبينه لعباده وأخبر به انتهى انتهى من [المصابيح] .
وما ذكره المرتضى عليه السلام هو التحقيق فليس لأحد قوة علم الغيب لا استقلالا ولا بتقوية من الله ولكن ما أخبر الله به من المغيبات علمه من بلغه الخبر مع حجته كالقيامة وأهوالها ، وهذا مخصوص من العموم ولا دليل على تأول نفي علم الغيب بنفي الأصالة والإستقلال الذاتي .كقوله تعالى { حتى

مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٧١/٢)

ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين (٥٩) (١)

---

(١) . { ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين (٥٩) } :

هذا تفصيل لبعض ما أجمله تعالى في قوله { وعنده مفاتح الغيب } بالنسبة إلى ما يغيب من ذلك عن المخلوق وهو مع ذلك دليل على إحاطة علمه بالمشاهدات المذكورة لكن الراجح أن ذكرها لتحقيق سعة علمه ، وأنه لا يغفل عن شيء كما يغفل المخلوق فقد يغفل عن الورقة تسقط بحضرتة والحبة تسقط وتغيب في التراب ، أما الله فلا يغفل عن شيء وقوله تعالى { في ظلمات الأرض } أي تحت ما يحجب النور من أجزاء الأرض تنبيه على أن الظلمات لا تغيب عنه شيئا ، وكذلك قوله { ولا رطب } أي ولا يسقط من رطيب ولا يابس { إلا في كتاب مبين } أي في علمه لا ينساه كما لو كان في كتاب مبين لما كتب وذلك كله يبين صحة الخبر بالبعث والجزاء للأمم كلها أولها وآخرها كما يبين أنه تعالى هو الذي يعلم عبادة من عبده وطاعة من أطاعه ، فهو الإله الحق دون شركاء المشركين الذين لا يسمعون ولو سمعوا ما استجابوا .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٧٢/٢)

وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى (١)

---

(١) . { وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى } :
{ وهو الذي يتوفاكم } ويبعثكم لا شركاؤكم فليس لهم فيكم أي تصرف { يتوفاكم بالليل } في منامكم

فتصير أنفسكم في قبضته ليس لكم تصرف إلا ما أبقاه لكم حال النوم ، وهذا معنى توفيهم قبض أنفسهم كما يتوفى صاحب الدين ماله بقبضة من غريمه لأن النفس حال النوم صارت في قبضة الله وصاحبها لم يبق له تصرف فيها كما كان قبل النوم ، فأنتم في قبضته { ويعلم } حين يتوفاكم { ما جرحتم } ما اكتسبتم في النهار من المعاصي أو غيرها فلو شاء بقيت أنفسكم في قبضته { ثم يبعثكم } في النهار { ليقضى أجل مسمى } لتستكملوا أجلا مسمى حتى تنتهي حياتكم ويحين مماتكم كلكم أو بعضكم ؛ لأن منكم من يخترم بإذن الله فيقتل قبل ذلك أو يموت ، والبعث هنا إرسال النفس بعد قبضها بحيث تنتبه من نومها ويرجع لها تصرفها الكامل .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال في [البرهان]: قوله { ثم يبعثكم فيه } يعني في النهار باليقضة ويصرف الروح بعد قبضها بالنوم { ليقضى أجل مسمى } يعني استكمال العمر وانقضا الأجل بالموت انتهى انتهى من [المصابيح] .

قلت: والضمير في قوله تعالى { فيه } من هذه الآية كالضمير في قول الشاعر :.

تنفك تسمع ما حيي ... ت بهالك حتى تكونه

والمرء قد يرجو الحيا ... ة مؤملا والموت دونه

وقال الشرفي في تفسير سورة سبأ من [المصابيح]: ثم قال [الله] مرة أخرى { قل إن ربي يبسط الرزق } وتضييق الرزق على واحد على حسب المصلحة ، ويحتمل أن يراد بمن قدر له الرزق غير من بسط له انتهى ، فقد جوز مثل ما ذكرناه في قوله تعالى { ثم يبعثم فيه } والراجح عندي في قوله تعالى { قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له } أي لمن يشاء ، ومن أوضح الأمثلة لذلك قوله تعالى { ما قطعتم من لينة أو تركتموها } أي تركتم لينة ، وبالله التوفيق .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٧٣/٢)

ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون (٦٠) (١) وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون (٦١) (٢)

---

(١) . { ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون (٦٠) } :

{ ثم } بعد قضاء الأجل المسمى { إليه مرجعكم } يوم القيامة { ثم } حين ترجعون إليه وتقفون من موقف الحساب { ينبئكم بما كنتم } في الدنيا { تعملون } فأنتم في قبضته في الدنيا والآخرة فكيف تعرضون عنه وتعبدون غيره وكيف لا تتقونه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون (٦١) } :

}

القاهر فوق عباده } الغالب المذل لهم بالموت وغيره من البلاء { ويرسل عليكم حفظة } ليحفظوكم حتى يأذن الله بهلاك أحدهم ، فإذا جاءه الموت أخذته رسلنا الذين أرسلناهم لتوفيه { وهم لا يفرطون } في شيء مما أمروا به بل يفعلون ما أمروا بلا تقصير فلا تأخير لنفس عن أجلها فله الملك دون شركاء المشركين ، فلا يملكون موتا ولا حياة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٧٤/٢)

ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين (٦٢) (١)

---

(١) . { ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين (٦٢) } :

{ ثم ردوا } بعد الموت { إلى الله مولاهم الحق } مالكم الذي له ولاية التصرف فيهم ، كما قال النابغة :

لما رأى واشق إقعاص صاحبه ... ولا سبيل إلى عقل ولا قود

قالت له النفس إني لا أرى فرجا ... وإن مولاك لم يسلم ولم يصد

واشق اسم كلب يعني أنه أيس من نجاة صاحبه ومن أن يصيد بكلبه ، أو أراد متولي أمرك ، والحاصل أن الولاية هنا ولاية الملك ، وردهم إما رد النفس إليه يمسكها كيف يشاء كما قال تعالى { فيمسك التي قضى عليها الموت } فيؤخذ منه أن الإنسان هو النفس ، وأن الجسد لها آلة ووعاء ؛ لأنه تعالى

نسب التوفي إليها في قوله تعالى { الله يتوفى الأنفس حين موتها } فالموت أخذها من الجسد وأسند التوفي إلى المخاطبين في قوله تعالى { توفته رسلنا } وقوله تعالى { قل يتوفاكم ملك الموت } وإما ردهم إلى الله يوم القيامة ، وهذا أرجح لاستعمال الجمع في { ردوا } بعد الإفراد ، ولقوله تعالى { ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين } فظهر أن المراد رد العباد ليوم الحساب وهو من مصاديق قهره فوق عباده ، فهو الذي يملك الحياة والموت والنشور وليس لشركاء المشركين شيء من التصرف في العباد ولغفلتهم جاء التنبيه بقوله تعالى { ألا } ليعلموا بطلان الشرك ؛ لأنه خلاف حكمه تعالى ، وليعلموا أنه يحاسبهم ويجزيهم ؛ لأن { له الحكم وهو أسرع الحاسبين } لأنه يعلم تفصيل الحساب وإفراد المحسوب وجملته من غير تفكير .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٧٥/٢)

قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين (٦٣) (١)

---

(١) . { قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين (٦٣) } :

}

من ينجيكم } من المخاوف التي تعرض لكم في ظلمات البر والبحر كأن الظلمات جاءت بها لأنها مشتملة عليها ولأنها زيادة في هول المصائب ، انظر قوله تعالى { أو كصيب من السماء فيه ظلمات } الآية كالمصائب النازلة في الليل الغالبة التي لا تستطيعون دفعها ولذلك تدعون الله ينجيكم منها ؛ لأنكم بفطرتكم تعلمون أنه القادر على أن ينجيكم ، وأنه الذي يسمع دعاءكم وتعدون عند ذلك وعدا مؤكدا ، بل تعاهدون عهدا { لئن } أنجانا الله أو { أنجيتنا } يالله { من هذه } النازلة { لنكونن من الشاكرين } لك معدودين من الشاكرين وفي جملتهم ، وهذا تأكيد للشكر الذي عاهدوا عليه .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٧٦/٢)

قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب (١) ثم أنتم تشركون (٦٤) (٢) قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم (٣)

---

(١) . { قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب } :
يعرض لكم فينفرج أي { الله } هو الذي { ينجيكم } مما نجوتم منه من هذه المصائب والكرب لا شركاؤكم ولذلك تلجأون إليه وحده إذا اشتد الأمر ولم تجدوا ملجأ .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ثم أنتم } مع علمكم بذلك { تشركون (٦٤) } ما لا ينفعكم ولا يضركم ، والكرب الغم الشديد والإنجاء منه يكون بإزالة سببه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٣) . { قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم } :
}
يبعث عليكم } يظهر عليكم ويثير ويوقع { عذابا } صادرا { من فوقكم } ولا موجب لحصره على مثال ؛ لأن علم الغيب أوسع من الأمثلة وقدرة الله تعالى على كل شيء لا يناسبها تحديد النازل من فوق أو الآتي من تحت الأرجل ، ومن مصاديقها في هذا الزمان القنابل والصواريخ والألغام .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٧٧/٢)

أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض (١)

---

(١) . { أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض } :
{ يلبسكم } يخلطكم { شيعا } في حال أنكم مختلفون فرقا كل فرقة يشايع بعضها بعضا وأحزابا يتعاون كل حزب ضد الآخرين .
وفي [مفردات الراغب]: والشيعة من يتقوى بهم الإنسان وينتشرون عنه : يقال شيعة وشيع وأشياع انتهى باختصار .

وقال في [الصحاح]: وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره يقال شايعه كما يقال والاه من الولى { ويذيق بعضكم بأس بعض } في حال اختلاطكم شيعا ، وذلك بالقتال الذي يكون فيه القتل والجراح والتعويق بالعمى والصمم أو قطع الأيدي أو كسر بعض العظام أو غير ذلك من آثار الحرب التي يسلط الله فيها بعضهم على بعض ، فهو القادر على ذلك وإن ظنوا أنهم يحذرون الوقوع في أسبابها ويسعون في السلم ما استطاعوا ، ولعلها تأتي الحرب العالمية الثالثة مع عناية الدول الكبار في الحذر من الوقوع فيها لما عندكم من أسباب الهلاك العام والدمار الشديد ولكن الله غالب على أمره .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٧٨/٢)

انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون (٦٥) (١) وكذب به قومك وهو الحق (٢) قل لست عليكم بوكيل (٦٦) (٣)

---

(١) . { انظر كيف نصرف الآيات } احتجاجا تارة وتذكيرا تارة وتخويفا تارة نحو الآيات من نوع إلى نوع .

{ لعلهم يفقهون (٦٥) } أنهم في شركهم على خطر عظيم فيتقوا بأس الله قبل أن ينزل بهم وحين ينفعهم التقوى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وكذب به قومك } أي بهذا القرآن وما فيه من الآيات والحجج البالغة والنصائح النافعة لمن قبلها والإنذار القاطع للعلة والبرهان الواضح الفارق بين الحق والباطل والدال على أن القرآن من الله أصدق القائلين وأحكم الحاكمين .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { وهو الحق قل لست عليكم بوكيل (٦٦) } :

لم يكل الله إلي أمركم إنما أنا رسول منه لأنذركم الإنذار القاطع للأعذار ومع الإعذار بالإنذار وبيان

الحق بالحجة فأمركم إلى الله وحده فهو الذي يحاسبكم ويجزيكم بما عملتم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٧٩/٢)

لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون (٦٧) (١) وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا (٢)

---

(١) . { لكل نبإ } نبأ الله به في القرآن من القيامة والحساب والجزاء ومن غير ذلك { مستقر وسوف تعلمون (٦٧) } { مستقر } وقت استقرار وتحقق الموعود به كأن المنتظر الموعود به مقبل إلينا ، فإذا حان وقوعه فكأنه وصل من إقباله وبلغ الغاية واستقر وصار حاضرا بعد أن كان مقبلا ونظير هذا قوله تعالى { يسألونك عن الساعة آيان مرساها } { وسوف تعلمون } يوم القيامة صدق الأنباء التي جاء بها القرآن والرسول حين ترون الموعود به ، وهذا وعيد أمرالله رسوله أن يقوله لقومه عن الله تعالى .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا } يتكلمون في آياتنا بالجدال أو التكذيب أو الإستهزاء يسترسلون في ذلك كما يسترسل الخائض في الماء ، فإذا شرعوا في ذلك توقعت منهم زيادة ثم زيادة ؛ لأنهم أعداء الدين .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٨٠/٢)

فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره (١) وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين (٦٨) (٢)

---

(١) . { فأعرض عنهم } حتى لا تسمع ما يقولون { حتى يخوضوا في حديث غيره } أي غير الخوض في آيات الله ؛ لأن المراد الإعراض عنهم حال ذلك المنكر ؛ فإذا انتهى فلا مانع من الحضور في

مكان يوجدون فيه لإسماعهم القرآن وإبلاغهم الرسالات ولبعض الحاجات ، وهذا قبل وجوب الهجرة عنهم لأن سورة الأنعام مكية .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين (٦٨) } :
}

وإن ما ينسيك الشيطان } فنسيت الإعراض عنهم حال خوضهم في آياتنا { فلا تقعد بعد } التذكر لوجوب الإعراض عنهم بل قم عنهم ولا تقعد معهم ؛ لأنهم ظالمون لا يجوز حضور ظلمهم ، وقوله تعالى { وإن ما ينسينك } أصله وإن ينسك (إن) حرف شرط و(ما) صلة للكلام وتقوية ، ونون التوكيد كذلك ، ولعل فائدة التأكيد التحذير من التساهل مع عدم تحقق النسيان وتأكد الغفلة ، فالشرط هو النسيان المحقق الكامل ، وهذا خطاب للرسول ويلحق به المؤمنون ، والدليل قوله تعالى :

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٨١/٢)

وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون (٦٩) (١)

---

(١) . { وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون (٦٩) } { وما على الذين يتقون } فلا يرضون بالخوض في آيات الله ولا يتأثرون بل يكرهونه بقلوبهم فما عليهم من حساب الخايضين لا قليل ولا كثير ، ولكن نهى الله عن القعود معهم وأمر بالإعراض عنهم تذكيرا للصواب { لعلهم يتقون } يثبتون في المستقبل على تقوى الله ولا ينخدعوا بخوض الخائضين إذا سمعوه ولم يعرضوا عنه ، فقد يغتر من استمع لخوضهم في آيات الله بجدالهم وينقدح في قلبه الشك فيصير مريض القلب بعد أن كان مؤمنا ، فنهوا عن القعود معهم وأمروا بالإعراض عنهم لعلهم يتقون في بقية أعمارهم ولا ينقلبون أو يترددون ، ونظير هذا قوله تعالى في المنافقين الذين ثبطهم عن الخروج مع المجاهدين { يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٨٢/٢)

وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا (١)

---

(١) . { وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا } :
{ ذر الذين اتخذوا } أي اتركهم أي أعرض عنهم ، ولعل هذا بمعنى ترك محادثتهم في غير التبليغ كقوله تعالى { واهجرهم هجرا جميلا } وقوله تعالى { الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا } لعلهم الذين قال تعالى فيهم { وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية } المكاء: الصفير ، والتصدية: التصفيق ، فهذه الآية تنطبق عليهم على ظاهرها فلا ينبغي الإشتغال بمحاورتهم لأنهم إنما يتبعون أهواءهم { وغرتهم الحياة الدنيا } فآثروا أغراضهم الدنيوية على النظر لأنفسهم والتدبر للقرآن والإعداد للآخرة بسبب حبهم للحياة الدنيا وجعلها أكبر همهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٨٣/٢)

وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع (١)

---

(١) . { وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع } :
{ وذكر به } أي بالقرآن مع إعراضك عنهم في غير حال التذكير ، والتذكير به قراءة الوعيد ليخافوا ويتذكروا النظر لأنفسهم والإعداد للآخرة { أن تبسل نفس } أي ذكر به لئلا تبسل نفس أي ليذكروا ويتقوا فينجوا من إبسالهم بما كسبوا ، فقوله { أن تبسل } تعليل لقوله { وذكر } أو كراهة أن تبسل نفس ، وهي أي نفس تذكرت واتقت ، وابسال النفس بما كسبت إسلامها للعذاب يوم القيامة حيث لا شافع ولا دافع ولا بقي لها أي حرمة بل صارت هدرا .
قال في [الصحاح]: وأبسلته إذا أسلمته للهلكة فهو مبسل قال عوف بن الأحوص بن جعفر:
وإبسالي بني بغير جرم ... بعوناه ولا بدم مراق

قال في [الصحاح]: وكان حمل عن غني لبني قشير دم ابن السجفية فقالوا لا نرضى بك فرهنهم بنيه

طلبا للصلح ، قال: وقوله تعالى { أن تبسل نفس بما كسبت } قال أبو عبيدة: أي تسلم ، وأنشد للنابغة الجعدي :

ونحن رهنا بالأفاقة عامرا ... بما كان في الدرداء رهنا فأبسلا

انتهى المراد .
وقال في [لسان العرب] في استعمال البسل بمعنى الحلال :

أيثبت ما زدتم وتلغي زيادتي ... دمي إن أحلت هذه لكم بسل

أي حلال انتهى ، قيل: بعوناه أي أجرمناه ، وقيل: الدرداء كتيبة انتهى .
وقوله تعالى { بما كسبت } أي بسبب ما كسبت من الذنوب من الشرك أو غيره ، وقوله تعالى { ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع } قطع لأطماع المشركين الذين يقولون { هؤلاء شفعاؤنا عند الله } ويرجون منهم النصر ، وقوله { من دون الله } أي يتدخل بينهم وبين الله بتوليهم أو بالشفاعة لهم ، قال تعالى { لم نجعل لهم من دونها سترا } أي يسترهم عن الشمس بينهم وبينها ، وقال تعالى { فاتخذت من دنهم حجابا } أي بينها وبين أهلها ، وقال عنترة :

إن تغذفي دوني القناع فإنني ... طب بأخذ الفارس المستلئم

وقد بسطت في إثبات هذا المعنى في الإيجاز .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٨٤/٢)

وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها (١)

---

(١) . { وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها } :
قال الراغب: وقوله { أو عدل ذلك صياما } أي ما يعادل من الصيام الطعام فيقال للفداء عدل إذا اعتبر فيه معنى المساواة انتهى .

وقال في [الصحاح]: والعدل الفدية ، ومنه قوله تعالى { وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها } أي تفد كل فداء ، وقوله تعالى { أو عدل ذلك صياما } انتهى .

قلت: وانتصاب { كل } إما على أنه مفعول به والأصل وإن تعدل بنفسها كل عدل ، وإما على أنه قائم مقام المفعول المطلق مثل { والله أنبتكم من الأرض نباتا } { ولو تقول علينا بعض الأقاويل } وعلى هذا يصح أن يكون نائب فاعل { يؤخذ } ضمير يعود على { عدل } بمعنى فدية ، فأما جعله مصدرا فإنه يخرجه عن معنى الفدية إلى معنى المساواة أو التسوية قال في [الصحاح]: وعدلت فلانا بفلان إذا سويت بينهما .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٨٥/٢)

أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون (٧٠) (١)

---

(١) . { أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون (٧٠) } : أسلموا للهلكة والعذاب وأهدروا { بما كسبوا } من الجرائم { لهم شراب من حميم } شديد الحر { وعذاب أليم } وفي هذا دلالة على شدة ألمه ؛ لأن العذاب من حيث هو عذاب يؤلم ألما شديدا فإذا وصف بأنه أليم دل على أنه فائق لغيره من العذاب في شدة الألم ، وهذا الشراب والعذاب هو الذي أبسلوا له { بما كانوا يكفرون } كفر النعمة أو كفر الجحود الذي أوقعهم في سائر الجرائم التي كسبوها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٨٦/٢)

قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله (١)

---

(١) . { قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله } احتجاج على

المشركين لإبطال الشرك بأنه دعاء من لا يرجى منه خير فيرغب إليه لطلب الخير ولا يخشى منه ضر فيخضع له لطلب السلامة من ضره ؛ لأنه لا ينفع ولا يضر ، وأبلغ من كونه لا يضر أي ليس من شأنه الضر أنه لا يضرنا وقد تبرأنا منه ودعونا إلى تركه إن دعاءه رجوع عن سبيل الهدى فلو فعلناه موافقة لكم أيها المشركون كنتم قد رددتمونا { على أعقابنا } وأخرتمونا عن السير في سبيل الهدى { بعد إذ هدانا الله } وكنا قد اخترنا موافقتكم بالتأخر عن سبيل الهدى على هدى الله لنا إلى سبيل الخير والنجاح والفلاح ، فكيف نرضى ذلك لأنفسنا ؟ وهذا كقول مؤمن آل يس في دعوته لقومه إلى اتباع المرسلين : { ءأتخذ من دونه آلهة.. } إلى آخر الآية .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٨٧/٢)

كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا (١)

---

(١) . { كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا } :
لو أطعناكم وتركنا هدى الله كنا { كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا } وهو حيران لا يهتدي بدعوة أصحابه .
قال في [الصحاح]: واستهواه الشيطان استهامه انتهى ، وقال في [لسان العرب]: وفي التنزيل العزيز { كالذي استهوته الشياطين } وقيل: استهوته استهامته وحيرته ، وقيل: زينت له الشياطين هواه { حيران } في حال حيرته ، ويقال للمستهام الذي استهامته الجن: استهوته الشياطين انتهى المراد .

قلت هذا تشبيه الضلال في العقيدة والعمل الذي هو الضلال المعنوي بالضلال المحسوس الذي يقع من الذاهب في الأرض وقد ضل الطريق بسبب إغواء الشياطين له حيث وسوسوا له حتى ذهل عن الطريق وذهب لوجهه وصار في حيرة لا يدري أين يذهب ، فهو يمشي { حيران } مترددا { له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا } وهو في حيرته يخبط ولا يجيبهم فأمر الله رسوله أن يقول للمشركين أنكون مثل هذا فنترك الهدى ونتأخر عن سبيل القصد فنبقى في ضلال وحيرة عن الحق والله يدعونا إلى الهدى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٨٨/٢)

قل إن هدى الله هو الهدى (١) وأمرنا لنسلم لرب العالمين (٧١) (٢)

---

(١) . { قل إن هدى الله هو الهدى } :

لأنه ينقذ من عذاب النار ويبلغ أهله جنات النعيم ؛ ولأن هدى الله هدى من عالم الغيب والشهادة الذي لا يغلط ، هدى من الحكيم الذي لا يخالف الصواب والرأي السديد ، هدى من الذي هو بالناس رؤوف رحيم ، فالهدى الحسي إلى الطريق في الأرض ليس شيئا بالنسبة إلى هدى الله لعباده الذي يؤدي من اهتدى به إلى الفلاح والسعادة الدائمة ؛ ولأن هدى الله لا يقبل التغيير بالإضلال لأن هدى الله كامل قوي يغلب كل تضليل فمن يهدي الله فلا مضل له .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وأمرنا لنسلم لرب العالمين (٧١) } :

{ وأمرنا لنسلم } أنفسنا { لرب العالمين } المالك لهم وحده دون غيره ، ليس لغيره فيهم أي مشاركة ، والعبادة اعتراف بالعبودية ، فالإعتراف بالعبودية لغير رب العالمين باطل مبين ، فأمرنا بالإسلام لنسلم لرب العالمين .

قال في [الكشاف] ونعم ما قال: فإن قلت ما معنى (اللام) في { لنسلم } قلت هي تعليل للأمر بمعنى أمرنا وقيل لنا اسلموا لأجل أن نسلم انتهى .

قلت: ومثله ما قدمت في قول الله تعالى { ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم } وفي قوله تعالى { يريد الله ليبين لكم } فاللام لام التعليل ولا نسلم أنها زائدة ولكن لام التعليل تفيد إرادة ما دخلت عليه ، فكأن فعل الإرادة هو الذي أفادها فلعل ذلك سبب جعلهم اللام زائدة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٨٩/٢)

وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون (٧٢) (١) وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق (٢)

---

(١) . { وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون (٧٢) } :

{ وأن أقيموا } أي وأمرنا أن أقيموا { الصلاة واتقوه } أي اتقوا رب العالمين وهو الذي يجب أن تسلموا له وتقيموا الصلاة وأن تتقوه ؛ لأنكم إليه تحشرون إليه وحده فيجزيكم بما قدمتم في الدنيا ، وفي تخصيص إقامة الصلاة من بين العبادات بالذكر هنا دلالة على عظم شأنها في عبادة الله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق } :

{ وهو } أي رب العالمين الذي أمرنا لنسلم له هو { الذي خلق السموات والأرض بالحق } وحده لم يشاركه في خلقها غيرها مما يعبد المشركون ولا من غيره وخلقها بالحق والحكمة والصواب لم يخلقها عبثا ولا باطلا ولا لعبا ولعل المراد هنا بالحق أنه خلقهما ليعبد فيهما فكيف يعبد غيره .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٩٠/٢)

ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور (١) عالم الغيب والشهادة (٢)

---

(١) . { ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور } :

{ يوم يقول } لشيء عظيم { كن فيكون قوله } له كن هو { الحق } وقوله فيه هو الحق { وله الملك } فيه وحده لا شريك له في الملك { يوم ينفخ في الصور } بيان ليوم يقول كن وتفسير له لإبهام المقول له كن ، فظهر أن المقول له كن هو البعث وأمور القيامة كلها ، وهو تعبير عن أقرب سهولته في قدرة الله وسرعته كقوله تعالى { وما أمر الساعة إلا كلمح البصر } أو هو أقرب .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { عالم الغيب والشهادة } :

فلا يغفل عن أحد ممن خلق في الدنيا ولا عن عمل عامل وخبره عن يوم ينفخ في الصور حق ؛ لأنه عالم الغيب والشهادة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٩١/٢)

وهو الحكيم الخبير (٧٣) (١) * ŒخtA$s(%ur قOدtؤ/چ(خ دmًخ/–u'y L{ u#ن ن›د,Gs?r& $·r¹ôZuB$& ؛pygدu#٩ن (٢)

---

(١) . { وهو الحكيم الخبير (٧٣) } :
{ وهو الحكيم } فلا يرضى لنفسه شريكا وهو الحكيم فلا يهمل المحسن والمسيء بدون جزاء { الخبير } العليم بخبر كل مكلف وما يخفيه من نية وعقيدة ونحو ذلك ، فالذي إليه مرجع العباد ، وهو عالم الغيب والشهادة وله الملك يوم القيامة كيف ندعو من دونه ما لا ينفعنا ولا يضرنا .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { * ŒخtA$s(%ur قOدtؤ/چ(خ دmًخ/u#–u'y L{ نن›د,Gs?r& $·r¹ôZuB$& ؛pygدu#٩ن } :

هذا ابتداء رد آخر على المشركين ضمن قصة ابراهيم عليه السلام وحجته على قومه ، وأبوه آزر لعله عمه ميز بذكر اسمه كما هو الأصل في المجاز أن يقرن بقرينة صارفة عن الحقيقة ، أما الأب الحقيقي فيكفي ذكره بدون قرينة ، ويؤكد هذا أن الكلام هذا ليس من الرفق ما في كلام ابراهيم لأبيه المذكور في سورة مريم ، واذكر يا محمد { إذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة } ؟ السؤال سؤال إنكار وتوبيخ ، واكتفى فيه بذكر أصنام لأن الضم جسد لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر فأغنى ذكر اسمه عن ذكر حاله ؛ لأنه مفهوم من اسمه ، ومعنى اتخاذها آلهة عبادته لها وجعلها شريكة لله في ملكه وعبوديته بدون برهان من عقل ولا سمع وذلك الباطل الذي لا ينبغي أن يرضاه لنفسه عاقل فقوله عليه السلام :

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٩٢/٢)

'خTo) r'1u71y& ur%sqBt7y 'خ9 û@"n=|ت &üûخ٧VBo اذحب (١)
ژيد٩؛ü ru.x‹x"جچOz Rçڤdد؛t(چ/خ) |qN٥٣Bt=n دN؛qu"Jy،،#$9
ع'2) ru#$}{F)

---

(١) . { 'خTo) r'1u71y& ur%sqBt7y 'خ9 û@"n=|ت &üûخ٧VBo اذحب }
:

تعبير فيه نوع رفق ببيان أنه معتمد على اليقين في تضليله وتضليل قومه وحكمه بأنه ضلال بين وهو كلام لا يستطيع أن يجيب بمثله فيقول بل اعلم يقينا أنا على هدى إن أنصف ؛ لأنه لا حجة له لا من العقل ولا من السمع فما بقي إلا أن يطالب إبراهيم عليه السلام بالحجة أو يسكت لا يعارضه بسوء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ژيد٩؛ü ru.x‹x"جچOz Rçڤdد؛t(چ/خ) |qN٥٣Bt=n دN؛qu"Jy،،#$9
ع'ru#$}{F } :

{ وكذلك } وكما أريناه ما ذكر في قوله { إني أراك وقومك في ضلال مبين } وأنعمنا عليه بتلك الهداية { نريه ملكوت السموات والأرض } بما جعلنا له من العقل والهداية إلى النظر المؤدي إلى العلم بملكنا للسموات والأرض ليبين للناس ذلك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٩٣/٢)

---

qbt٥٣u»د٩z ru`دüût B؛Y٥د%qڭ#$9J اذحب (١) $£y`£ ùs=nJ_ دt=n‹nmم
م@›©٩$# #u٥x# %s$At .xq.x6Y$ 'u»"dy 'خùs=nJ£$! 'u1n

(٢) اذدب #$ùFyد=خüڑ &méد= tA$s% Iw &sùr@ں

---

(١) . { J9$#كq%دYدB tûüد`ur zغدu٣ںtbq اذخب } :

بالله أهل اليقين بالله وأن له كل شيء ، وأنه رب كل شيء ، وأن لا إله إلا هو ، وحين أراه الله ملكوت السموات والأرض وكان من الموقنين جعل يبين لقومه ويحتج عليهم :

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { u' $Y6x.qx. tA$s% ںu# #$٩©›@مm‹n=tد _Jn=sù ٍ`y£$ #$ùFyد=خüڑ &méد= tA$s% Iw &sùr@ں n1u' !$£Jn=sùخ' yd"›#x اذدب } :

كان قومه في جاهلية جهلاء بعيدة أذهانهم عن النظر والتفكير وهم مع ذلك أشداء في شركهم لا يريدون أن يسمعوا إنكارا له أو جدالا فيه ، فكأن الرأي التدريج في الإحتجاج عليهم وجعله في صورة أنه ناظر لنفسه لا في صورة من يعترض عليهم ، فابتدأ عند رؤية الكوكب بقوله { هذا ربي } كأنه اختاره على الأجسام الأرضية لإشراقه ، وفي تلك الحال لا بد أنه كان يعرف أن الكوكب سيأفل أي يغيب لكنه تجاهل ذلك ليحصل الإحتجاج تدريجيا والتأني { جن عليه الليل } غشيه وأخفاه { فلما أفل قال { لا أحبه ربا ولا أرضاه ؛ لأني { لا أحب الآفلين } لغيابهم عني وجهلهم بحالي وانقطاعهم عني حال غيابهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٤٩٤)

---

n1u' (1) خ' yd"›t/ tA$s% #x$-خyJs)9$# $Zîچu' tںJn=sù #u£$ n1u' sqà2V{ خ' %ku%دT‰خ' s9 N©9بtA$s% û &sùr@ں !$£Jn=sù (٢) اذدب #$٩ز$!!kخ،Qqs)9$# tûد B`z

---

(١) . { 'n1uخ' yd"›t/ tA$s% #x$-خyJs)9$# $Zîچu' tںJn=sù #u£$ } :

تكرارا للإحتجاج بصورة احتجاج آخر وتسويغا للتحول لأجل التفكير الدال على بطلان القول الأول ،

ولا بد أنه كان يعلم أن القمر الذي بزغ بعد غيابه سوف يأفل كما أفل الكوكب { قال هذا ربي } قد اخترته لزيادة نوره :

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { !n1u' خ' %‰ku%‰دTخ' s9 N©9بtA$s% û &sùr@ںJn=sù£$

z {V2àqs`دB tûد #$9(sqQ،خk!!$ز٩$# اذذب } :

فقد تبين الغلط في الكوكب ، ثم تبين الغلط في القمر لو كان ذاك عن جد واعتقاد ولكنه فرض وتقدير كقول عمر: مات النصراني والسلام أي افرض وقدر أنه مات ، فالخوف من تكرر الغلط باعث على اللجوء إلى الله لطلب هدايته والوقاية من أن يكون من القوم الضالين الغاوين عن طريق الصواب ، وفي هذا دلالة على إيمانه بالله ، وأن كلامه في الكوكب والقمر إنما هو جدال لقومه ، ولعل قومه لم يكونوا إلا كمشركي العرب يقرون بالله ويدعون الشركاء فلذلك لم يكن عندهم منافيا لكلامه في الكوكب والقمر لجوءه إلى الله ليهديه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٩٥/٢)

---

n1u' خ' yd"›t/ tA$s% #x$–خu' }§ôJO±9$# ZpxîںJn=sù #u£$

(خoTخ' tƒ"(Qqsة %tA$s &Jn=sù ôMn=sùr£$! (١) &t92rĵyd ç"›!#x

ضن"üجچJ£$ /tبqدt Biن.خژè³ô@ اذرب (٢)

---

(١) . { n1u' خ' yd"›t/ tA$s% #x$–خu' }§ôJO±9$# ZpxîںJn=sù #u£$

&t92rĵyd ç"›!#x } :

لعله اختار الإشارة إلى هذه الجرم الفائق في إشراقه الزائد في حجمه ليعلق افتراض ربوبيته على ما يشاهد منه لا على كونه شمسا يدعي لها المشركون الإلهية باعتبار اعتقادهم فيها فاجتنب إيهام ذلك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { !ôMn=sùr£$ &Jn=sù %tA$s (Qqsة"tƒ 'خTo(خ ضن"üجچ /t

: { اذرب @ô³èخز.ـiB tbqد$£J

{ أفلت } غربت وعند ذلك قرر أنها لا تصلح للربوبية ؛ لأنها تغيب عنه وتهمله في حال غيابها فهو لا يرضاه ، فتقرر أنه ليس شيء من المخلوقات يصلح ربا فتبرأ مما يشركه قومه ، وذلك دليل على كمال اقتناعه بأنها لا تنفع ولا تضر ولذلك يتبرأ منها آمنا مطمئنا مؤكدا للبراءة بـ(إن) والجملة الإسمية المفيدة للإستمرار والثبات .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٩٦/٢)

9$#،،yJ"uq؛V‌إ sùs‌چt ٩د#©%د" gô_urخ'{ àMôg§_ur (خoTخ' ڈ'Z$ ur#$}F‌ےدRrtO$ ruBt$! myZ& ڈئدB ڈüs.خز³ôك#$J9 اذرب (١)

---

(١) . { 'خoT) ur_§gôMà {'خru_ôg "د%©#د٩ t‌چsùs ‌إV؛qu"Jy،،#$9
ڈ'Z$ ur#$}F‌ےدRrtO$ ruBt$! myZ& ڈئدB ڈüs.خز³ôك#$J9 اذرب } :

{ وجهت وجهي } للعبادة وجهته لله ، وعبر بقوله { للذي فطر السموات } لأن ابتداءه خلق السموات والأرض دليل عليه ؛ ولأن غيره لا يتوهم المشركون أنه فطر السموات والأرض ، وقوله { حنيفا } جاء في تفسير القاسم عليه السلام له خاشعا ، وفي بعض المواضع عنه عليه السلام خاشعا محبا ، ولعله مراد الحسين بن القاسم فيما حكاه الشرفي في [المصابيح] حيث قال: قال الحسين بن القاسم عليهما السلام معناه: وجهت وجهي إلى الله بكليتي وصرفت وجهتي وهمتي ، وليس يريد وجهه دون قلبه ولسانه وغيرهما من جوارحه وبنانه ، والحنيف: هو الثابت الذي لا يميل ولا يزيغ عن الطريق ولا يحول قال الشاعر :.

حمدت الله حين هدى فؤادي ... إلى الإسلام والدين الحنيف

وقيل: معنى الحنيف أنه المائل عن الشرك إلى التوحيد واحتجوا بالحنف الذي يكون في بعض الأقدام وهو الميل قال الشاعر :

والله لولا حنف برجله

١@ما كان فيكم من غلام مثله

وقيل غير ذلك ، والقول الأول قول سلفنا وهو المعمول عليه ، انتهى .
قلت: وقد مر بعض الرد على تفسيره بالميل ، وقوله { وما أنا من المشركين } مصارحة لقومه ببراءته من الشرك والمشركين .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٩٧/٢)

#$!" ûخ' &ptéBr"¯oT q'fخ' %Bqs% tA$sمçm§_!%tnur ¼çm¼ /خm³¾ے @ô³èخز.ocqڑ tB$ &s{r%$ك y%‰yd (1) Iwur١`١ ô%‰s%ur (خHw &br 't±o$!ن"u 'n1uخ' $\"›(2) ©x

---

(١). { %Bqsمçm§_!%tnur ¼çm¼ } :
حاجه قومه : جادلوه لدعوته إلى التوحيد ورفض الشرك وإعلان بطلان الشرك والبراءة منه .
{ %tA$s q'fخ' &ptéBr"¯oT #$!" ûخ' ô%‰s%ur y%‰yd١`١ } :
{ أتحاجوني } سؤال توبيخ لهم وإنكار عليهم محاجتهم في الله وقد جعل محاجتهم في الشرك محاجة في الله ؛ لأن الشرك جعل أنداد لله هو منزه في عظمته وجلاله أن يكون له ند من خلقه ولا سيما تلك الأصنام الجمادات فمن السفه جعلها أندادا للذي فطر السموات والأرض ، وقوله { قد هدان } كلمة جامعة لكمال هدى الله له فقد عرف الله وآمن به إيمانا كاملا ، وتبين له بطلان الشرك وأنه ظلم عظيم ، فمحاجتهم له كمحاجة الأعمى للبصير على الطريق والبصير يراها والأعمى يجادل فيها { إن الهدى هدى الله } ثم ذكر لهم حجة واضحة فقال :كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢). { Iwur &s{r%$ك tB$ ..ocqڑ @ô³èخز ے¾m³خ/ (خHw &br
't±o$!ن"u 'n1uخ' $\"›x© } :
فطريق الأمن خير من طريق الخوف وقد علمت أن الله لا يؤاخذني بعبادتي له وحده واجتناب ما سواه ، ولو أشركت بغير برهان من الله لخفت أن يعاقبني ، وقوله { إلا أن يشاء ربي شيئا } يبين أن الأمر كله

لله ، وقد علم أن الله لا يشاء ضره من جهة شركائهم ، ولكن في جعل الأمر كله إلى مشية الله إبطال للأنداد كقوله { إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٩٨/٢)

---

urTMباy 'خ@à2¨ 'n1u <نسx" $¸Jù=دم ںxsùr& مچtbr٢x‹tFs؟ ارقب (١) #y‹ںur٢ كs{r%$! &s$u2GçN Btj°r& ںwur ڗ N Brf$sùèqcںr¯Rr& u.GçOj°r& "!$$خ/ $A 9sN Btحi"t\مf ¾دm خ/ t=n‹6àNو $ZY"s.ù=كTM (٢)

---

(١) . { urTMباy 'خ@à2¨ 'n1u <نسx" $¸Jù=دم } :

فهو يعلم إخلاصي له فلا أتوقع أن يخذلني بإنزال الضر من جهة الأنداد بل أتوقع أن ينصرني .

{ ںxsùr& مچtbr٢x‹tFs؟ ارقب } أنه تعالى لا يخفى عليه من أخلص له ومن أشرك به ، بل هو رقيب عليهم ، وهذا يكفي لحصول الأمن لمن أخلص له وأطاعه ؛ لأن المخلص المطيع يثق بأن الله لا يعذبه على الإخلاص له .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { #y‹ںur٢ كs{r%$! &s$u2GçN Btj°r& ںwur ڗ Brf$sùèqc

N ںr¯Rr& u.GçOj°r& "!$$خ/ $A 9sN Btحi"t\مf ¾دm خ/ t=n‹6àNو

$ZY"s.ù=كTM } :

}

كيف أخاف { ما لا ينفع ولا يضر بل هو جماد كسائر الجمادات ، فكيف أخافه لمجرد أنكم أشركتم به بدون حجة ، وكيف لا تخافون أنكم أشركتم بالله في ملكه وملكه ما لم ينزل الله به عليكم سلطانا تحتجون به على شرككم ، وقد عدل عليه السلام عن أن يقول: ولا تخافون الله ؛ لأن الله هو الرحمن الرحيم الرؤوف بالناس ليس من شأنه أن يخاف إنما المخوف عقابه الذي سببه شرك المشرك وجرم المجرم ، فعلق الخوف على سببه الذي هو أنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به عليهم سلطانا ، ولا إشكال

في صحة إسناد خوف العباد إلى ربهم إلا أن هذا احتراس مطابق لمقتضى الحال ؛ لأنه في خطاب الجاهلين ، ونظيره قول مؤمن آل ياسين { إن يردن الرحمن بضر } فأنكر إبراهيم عليه السلام على قومه اجتماع أن يخاف وهو المخلص لربه ولا يخافون وهم المشركون .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٤٩٩/٢)

.ôêZôL÷ (خb /خ$$}BF`ا &ymr،' #$٩ےxچû÷üs)ƒب r'sù"'
ڑJn=÷èsكcq؟ ارتب (١) #$!©%دtûï (# q ôZtB#uمq#) ،فOs9ur خ٦ ù=tƒ
BF{$# Nèdur `ك gs9كNم &s9'ré"¯´حy7 /خàف=AOù (خyJƒ"guZكO
tGôgoB%‰كtbr ارتب (٢)

---

(١) . { r'sù"' بƒ(üs÷ûچxےم٩$# ',rmy& ١`BF}$$خ/ bخ) ÷LôZêô.
ڑJn=÷èsكcq؟ ارتب } :

القريقان من آمن بالله وأخلص له ، ومن أشرك به ما لم ينزل الله عليه به سلطانا ، سألهم إبراهيم عليه السلام: أي الفريقين أحق بأن يأمن بعد ما بين أنه لا يخاف ما أشركوا به ، وأنكر عليهم كيف يخافهم والمشركون لا يخافون أنهم أشركوا فبين أنه أحق بالأمن فسألهم إن كانوا ممن يعلم أن يقروا بالحق من هو أحق بالأمن ، ثم صرح به فقال عليه السلام :

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { #$!©%دtûï (# q ôZtB#uمq#) ،فOs9ur خ٦ O ù=tƒكguZ"ƒJy(خ
tGôgoB%‰كBF{$# Nèdur tbr`ك gs9كNم &s9'ré"¯´حy7 /خàف=AOù
ارتب } :

}

آمنوا } الإيمان الكامل وهو الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر إيمانا يبعث على الطاعة { ولم يلبسوا } لم يخلطوا { إيمانهم بظلم } كما هو شأن الإيمان الصادق ، عدل عن قوله: الذين أخلصوا العبادة لله إلى قوله { الذين آمنوا } لأن العبادة لا تقبل إلا من مؤمن ، قال تعالى { فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه } فذكر الإيمان يشمل إخلاص العبادة وشرط قبولها قال تعالى

{ إنما يتقبل الله من المتقين } وقوله { ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } شرط للأمن في حال التكليف أي أن من آمن واتقى الظلم أحق أن يأمن وثوقا بأنه على الحق وأن الله لا يعذبه على ذلك ، وشركاء المشركين لا يضرون ولا ينفعون فهو آمن عذاب الله وضر غيره ، فالإحتجاج بالأمن أي في هذه الحياة وفي حال اختيار الطريقة المرضية التي يكون سالكها واثقا بها بعد النظر الصحيح ؛ وشرط اجتناب الظلم لأن الظالم يخاف ذنبه كما قال تعالى { إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم } فالظالم ليس له أن يأمن حتى يتوب ، وهذا الكلام لبيان طريقة الأمن رد على المشركين يبين أن الحق الإخلاص لله والباطل الشرك ، وليس بصدد الأمن في الآخرة ولا بصدد منع الخوف من الذنوب في الدنيا ممن لا يتيقن صحة توبته أو يخاف أن يكون عليه ذنب قد نسيه ولم يتب منه ، أو يخاف أن يذنب في المستقبل ، فكل هذا لا ينافي المقصود في هذه الآية الذي هو بيان الدين الذي يثق به من كان عليه وهو حقيق بأن يثق لا الجاهل الغافل المعرض فإنه لا يستحق أن يأمن ، ولذلك قال { أولئك } أي أهل الإيمان واجتناب الظلم { لهم الأمن } لهم أن يأمنوا { وهم مهتدون } لا من أمن طريقته وهو ضال فليس له أن يأمن بل عليه أن يخاف ؛ لأنه في طريق العذاب .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٥٠٠/٢)

جاهز

ur؟د=y7ù حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه (١) نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم (٨٣) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه } : { تلك } أي حجة إبراهيم صلى الله عليه هي { حجتنا آتيناها } علمناها { إبراهيم } حجة { على قومه } .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم (٨٣) } :

}

نرفع درجات من نشاء } إما جملة حالية أي آتيناه حجتنا حال كوننا { نرفع درجات من نشاء } وإما جملة استئنافية تعليل لإيتاء إبراهيم ، وعلى الوجهين يفيد الكلام رفع إبراهيم درجات بما آتاه الله من الحجة ، أو بما آتاه ومن جملته الحجة { إن ربك } يا محمد { حكيم } فهو يرفع من هو أهل لأن يرفعه { عليم } فهو عليم بمن هو أهل لأن يرفعه درجات ، وهي تشير إلى رفع محمد درجات بما آتاه الله من الحجة على قومه ، أو بما آتاه الله جملة ومنه الحجة على قومه .

(٥٠١/٢)

ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا } : { كلا } من إسحاق ويعقوب { هدينا } أو كلا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب هدينا ، وهو الهدى الكامل بالعلم بالدين كله والهداية للعمل بالعلم ، ومن ذلك الهدى للإخلاص لله تعالى واجتناب الشرك ، ولعله قدم ذكر إسحاق ويعقوب احتجاجا على من أشرك من ذريتهما المدعين أنهم على دينهم .

(٥٠٢/٢)

ونوحا هدينا من قبل (١) ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين (٨٤) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ونوحا هدينا من قبل } فكان على دين الله مخلصا له .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ومن ذريته } أي من ذرية نوح وإن كان أكثر المذكورين من ذرية إبراهيم ، ولكن لوطا ليس من ذرية إبراهيم وهو من المذكورين ، وكذا يونس ، أو الضمير لإبراهيم ورجحه في [المصابيح] قال: وهو قول أئمتنا ، انتهى .

}
داوود وسليمان } ولعله قدمهما لكفر بعض بني إسرائيل بهما أو بسليمان { وأيوب ويوسف وموسى وهارون } هديناهم { وكذلك نجزي المحسنين (٨٤) } نهديهم كما قال في يوسف عليه السلام { ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين } وكذلك قال في موسى { ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين } فالإحسان سبب للهدى بالحكم والعلم .

(٥٠٣/٢)

وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين (٨٥) (١)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين (٨٥) } :
{ وزكرياء } وهدينا من ذريته زكرياء { ويحيى وعيسى وإلياس كل } منهم { من الصالحين } فهديناهم بسبب صلاحهم ، أو لأنا هديناهم كانوا من الصالحين ، وفي ذكر عيسى عليه السلام دليل على أنه من الذرية بواسطة أمه ، ولذلك فيصح أن الحسن والحسين وذريتهما من ذرية رسول الله وقد جمعت الحجج على ذلك في كتاب الذرية المباركة في أن الحسن والحسين ابنا رسول الله في تسعة فصول .

قال الشرفي في [المصابيح]: ومثل هذا المعنى من دلالة الآية ذكره زيد بن علي عليه السلام في كتاب [الصفوة] والرازي في تفسيره وقال فيه : ويقال إن أبا جعفر الباقر استدل بهذه الآية عند الحجاج بن يوسف ، وعن الشعبي قال: كنت عند الحجاج فأتي بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا في الحديد فقال له الحجاج: أنت زعمت أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله ؟ قال: بلى ، فقال الحجاج: لتأتيني بها واضحة من كتاب الله أو لأقطعنك عضوا عضوا ، فقال: أتيتك بها واضحة بينة من كتاب الله يا حجاج ، قال: فتعجب من جرأته بقوله: يا حجاج ، فقال له: ولا تأتيني بهذه الآية { ندع أبناءنا وأبناءكم } فقال: آتيك بها واضحة من كتاب الله قوله تعالى { ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان... } إلى قوله { ..وزكريا ويحيى وعيسى } فمن كان أبو عيسى ؟ وقد ألحق بذرية نوح ، قال: فأطرق الحجاج مليا ثم رفع رأسه وقال: كأني لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله حلوا وثاقه واعطوه من المال كذا ، انتهى .

(٥٠٤/٢)

وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا (١) وكلا فضلنا على العالمين (٨٦) (٢)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا } أي وهدينا من ذريته إسماعيل واليسع ويونس ولوطا .

(٢) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وكلا فضلنا على العالمين (٨٦) } :
}
وكلا } من إبراهيم ونوح والمذكورين من ذريته كلا منهم { فضلنا على العالمين } معطوف على جملة قوله تعالى {كلا هدينا } وما عطف عليه .

(٥٠٥/٢)

ومن Oخgح !$u#/tن وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم (٨٧) (١)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ومن Oخgح !$u#/tن وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم (٨٧) } :

{ ومن آبائهم } عطف على { نوحا هدينا } أي وهدينا ذلك الهدى من آباء الأنبياء المذكورين وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم .

قال في [الصحاح]: واجتباه أي اصطفاه { وهديناهم إلى صراط مستقيم } أي كل المذكورين الذين ذكر الله تعالى أنه هداهم هداهم إلى صراط واحد مستقيم وهو صراط الله الذي ارتضاه لهم وهو توحيده ومعرفة دينه وعبادته وإخلاص العبادة له وطاعته وتقواه ، وقد فسر الصراط المستقيم في قوله تعالى { وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات والأرض } فهدى الله الأنبياء المذكورين ومن قراباتهم إلى هذا الدين فهو الحق الذي ارتضاه لعباده واصطفاه على الأديان .

(٥٠٦/٢)

ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده (١) ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون (٨٨) (٢)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده } :

ولذلك فينبغي أن نسأله فنقول { اهدنا الصراط المستقيم } ونجتنب كل ما خالفه من دين الجاهلية كالشرك ودين المشركين ومن كل دين مخالف لدين الله .

(٢) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون (٨٨) } :

وكفى بهذا تحذيرا من الشرك ودليلا على أنه لا يقبل مع الشرك أي حسنة ؛ لأنه يحبط كل حسنة ، وفي قوله تعالى { ما كانوا يعملون } دلالة على حبوط العمل بالشرك وإن كان متكررا ومستمرا كعمل الأنبياء المذكورين صلى الله عليهم وعلى نبينا وآله .

(٥٠٧/٢)

أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة (١)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة } :

{ أولئك } الموصوفون بالهدى إلى صراط مستقيم { الذين آتيناهم } الكتب السماوية عبر عنها بالكتاب ؛ لأن أصله مصدر { والحكم } علمناهم الحكم ، والراجح أنه جامع لحكم الله في عباده وعليهم أي الحكم التشريعي فيعم أحكام الدين كله ، وعطفه على { الكتاب } ليعم ما اشتمل عليه الكتاب وما لم يذكر في الكتاب مما أوحاه إليهم وليفيد فهمهم الكامل لمعنى الكتاب { والنبوة } التي هي الوحي من الله تعالى بالشرائع فهم أهل الهدى إلى دين الله الذين منه التوحيد واجتناب الشرك .

(٥٠٨/٢)

فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين (٨٩) (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين (٨٩) } :

{ فإن يكفر } بما آتيناك يا محمد إذ آتيناك الكتاب والحكم والنبوءة كما آتيناهم ، فإن يكفر بها هؤلاء المشركون من أهل مكة ومن حولها ، فالضمير هنا مثله في قوله تعالى { ثم يبعثكم فيه } أي في النهار ، فكأنه قيل: فإن يكفر بالكتاب والحكم والنبوءة هؤلاء والمراد به ما آتاه الله محمدا { فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين } وهم السابقون من ورثة الكتاب ؛ لأنهم حملة الدين وحماته قال تعالى { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير } .

وروى الشرفي في [المصابيح] عن المرتضى محمد بن الهادي عليه السلام أن الموكلين بها هم الأئمة المعروفة طاعتهم المحكوم من الله عزوجل بطاعتهم .

قال الشرفي: قال الحسين بن القاسم عليهما السلام: يعني بذلك أمير المؤمنين وذريته الأخيار الطاهرين الذين وكلهم الله بالدعاء إلى جدهم بعد أمير المؤمنين والدهم فهم بالدين والحكمة والنبوة موكلون ، وعلى الله سبحانه متوكلون ، وبطاعته في ذلك وغيره عاملون انتهى .

قلت: تاريخهم يشهد بحمايتهم للدين وجهادهم لأعداء الله المفسدين فجهاد أمير المؤمنين علي عليه السلام وحمزة وجعفر والحسن والحسين وزيد بن علي وابنه يحيى ومحمد بن عبد الله وإبراهيم بن عبد الله وإدريس بن عبد الله ومحمد بن محمد بن زيد والحسين بن علي الفخي ومحمد بن إبراهيم والهادي والناصر الأطروش وكثير من ذرياتهم ظاهر ، ولله در الهبل حيث يقول :

تفانوا على إظهار دين أبيهم ... كراما ولا جبن لديهم ولا بخل

وروى الإمام أبو طالب في [الأمالي] بإسناده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ((إن عند كل بدعة تكون بعدي يكاد بها الإيمان وليا من أهل بيتي موكلا يذب عنه يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله)) انتهى .

ومعنى { وكلنا بها قوما } جعلناهم للإيمان بها ولحمايتها وأمرناهم بذلك .

أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده (١) قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين (٩٠)
(٢)

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده } : { أولئك } الأنبياء المذكورون ومن معهم هم الذين هدى الله إلى الصراط المستقيم لا المشركون من هؤلاء وآبائهم { فبهداهم } فبهدى الله لهم { اقتده } بأن تحذو حذوه ؛ لأنه الهدى إلى الصراط المستقيم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين (٩٠) } :
{ قل } يا محمد { لا أسالكم } على القرآن { أجرا } فلا عذر لكم بمغرم تتحملوه { إن هو إلا ذكرى للعالمين } من ربهم ينبههم من غفلتهم ويثير دفين عقولهم قال تعالى { فذكر إن نفعت الذكرى } .

قال في [الصحاح]: الذكرى ضد النسيان انتهى باختصار ، وعلى هذا يكون وصف القرآن بأنه ذكرى بمعنى أنه سبب للذكرى .
وفي [لسان الميزان]: والذكرى اسم للتذكرة انتهى وهو المتبادر في قوله تعالى { وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين } .
فأما الراغب فقال: والذكرى كثرة الذكر وهو أبلغ من الذكر ، قال تعالى { رحمة منا وذكرى لأولي الألباب } { وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين } في آي كثيرة انتهى .
وعلى تفسير الذكرى بالتذكرة يوصف بها القرآن حقيقة ، والعالمين يعم الأمم كلها .

(٥١٠/٢)

وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء (١)

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر :

مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء } :

في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : معناه ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظموه حق عظمته انتهى.

وقال في [الصحاح]: وقال الله تعالى { ما قدروا الله حق قدره } أي ما عظموا الله حق تعظيمه انتهى.

وفي [المصابيح]: أي ما عظموه حق تعظيمه عن بن عباس والحسن من قولهم: فلان له قدر ، أي خطر انتهى .

وهذا القول { ما أنزل الله على بشر من شيء } قول اليهود كما يدل عليه قوله تعالى في بقية هذه الآية ولعل المشركين من أهل مكة سألوهم .

وفي تفسير قول الله تعالى { ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا } ما يفيد ذلك.

(٥١١/٢)

قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس (١) تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس } :

كما يليق بعظمته وجلاله وعزته وحكمته وفضله ورحمته أن لا يهمل عباده ويتركهم في ظلمات الجهل بلا كتاب ولا رسول ولا شيء يهديهم وينير لهم الطريق إلى سعادتهم ويقيم به الحجة على الظالمين .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا } : }

تجعلونه } تدعون وتزعمون أنه قراطيس { تبدونها } وتلك القراطيس التي تبدونها ليست كل الكتاب بل إنما هي بعضه { وتخفون كثيرا } لم تبدوه وهو من الكتاب ؛ لأنكم تبدون ما لا يخالف هواكم وتكتمون ما يخالف هواكم ، وهذا استطراد بديع حكيم يبين أنهم متمردون لا يريدون الحق ، فغير

عجيب منهم أن يقولوا { ما أنزل الله على بشر من شيء } وقد كانوا يكتمون كثيرا مما أنزل الله على موسى في التوراة .

(٥١٢/٢)

وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم (١) قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون (٩١) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم } : فأنتم تجدون عندكم من العلم { ما لم تعلموا } من تلقاء أنفسكم { ولا } علمه { آباؤكم } من عند أنفسهم ، فمن أنزل هذا العلم ؟ ومن أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ؟.

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قل الله } :
أنزله وأنزل كل علم لا يبلغه الإنسان بعقله ، فقد تبين بطلان قولهم ما أنزل الله على بشر من شيء .
}
ثم ذرهم } بعد هذا الجواب الحاسم { في خوضهم يلعبون (٩١) } { في خوضهم } في كلامهم الباطل وجدالهم في الحق { يلعبون } جعل لعبا لأنه مجرد اتباع هوى ولهو يلهون به فأشبه اللعب بالكورة وغيره من أنواع اللعب الذي يكون للتلهي به وإعطاء النفس هواها فأعرض عن محاورتهم بعد الجواب المذكور واتركهم يقولون ما شاءوا ، وهذا كان قبل قوة الإسلام والتمكن من النهي عن مثل هذا المنكر .

(٥١٣/٢)

وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه } :

{ وهذا } القرآن { كتاب أنزلناه } ليبقى وتتوارثه الأجيال { مبارك } لكثرة فوائده العلمية والروحية وغيرها { مصدق الذي بين يديه } من كتب الله بالتوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أنزل الله من قبل القرآن جملة .

}

ولتنذر } يا محمد { أم القرى } أهل أم القرى وهي مكة { ومن حولها } ومن حول أم القرى فهم في أشد الحاجة إلى إنذارهم لبعد عهدهم بالرسالة ولا كتاب عندهم قبل هذا القرآن مع كثرة الباطل عندهم من الشرك وغيره من أمور الجاهلية فهذا وجه النص عليهم بعينهم مع أنه رسول الله إلى الناس جميعا كما دل عليه قوله تعالى مخاطبا لموسى عليه السلام { ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبيء الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون } ثم قال تعالى بعدها { قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا.. } إلى قوله { ..فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون } وقال تعالى { تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا } وغير ذلك .

والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون (٩٢) (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به } : أي بهذا الكتاب لأن الإيمان بالآخرة يبعثهم على النظر المؤدي إلى الإيمان بالقرآن .

{ وهم على صلاتهم يحافظون (٩٢) } :

كما هو شأن كل مؤمن قال تعالى { والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.. } إلى قوله تعالى { ..ويقيمون الصلاة } وقال تعالى { قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون.. } إلى قوله تعالى { ..والذين هم على صلواتهم يحافظون } والمحافظة على الصلاة العناية بإقامتها في وقتها حذرا من إضاعتها ، وإضاعتها تركها في وقتها .

ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله } :

{ من أظلم } سؤال في معنى النفي لأن من الواضح شناعة هذا الظلم لما يترتب عليه من الفساد العظيم فلا ظلم أشد منه ، والإفتراء والإختلاق أن يقول على الله بلا مستند عقلي ولا شرعي .

قال في [الصحاح]: وفرى فلان كذبا إذا خلقه ، وافتراه اختلقه والإسم الفرية انتهى.

ويدخل المشركون إذا زعموا أن الله يرضى شركهم ومن ادعى الولاية من الله على عباده بلا مستند شرعي ولا عقلي ، وقوله { أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء } فهو في معنى المفتري على الله كذبا مع فساد التغرير على عباد الله بالباطل ليتبعوه على باطله مثل مسيلمة الكذاب ، وقوله تعالى { ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله } وهذا مفسد بكفره بما أنزل الله ودعواه أنه سينزل مثله كذبا وكفرا وصدا عن سبيل الله فهؤلاء الثلاثة قد ظلموا ظلما عظيما .

(٥١٦/٢)

---

qs9ur ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم } هذا تصوير لحال الظالمين عند غمرات موتهم وشدة الملائكة عليهم ، وغمرات الموت:

قال في [الكشاف]: شدائده وسكراته وأصل ، الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة انتهى.

وفي قصيدة عنترة :

في حومة الحرب التي لا تشتكي ... غمراتها الأبطال غير تغمغم

قال شارح [المعلقات السبع]: وغمرات الحرب شدائدها التي تغمر أصحابها أي تغلب قلوبهم وعقولهم.
التغمغم: صياح ولجب لا يفهم منه شيء انتهى ، فهذا يناسب تفسير [الكشاف] لغمرات الموت .

وقوله تعالى { أخرجوا أنفسكم } قال فيه الشرفي في [المصابيح]: وقال الحسين بن القاسم عليه السلام معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب { أخرجوا أنفسكم } أي خلصوا أنفسكم من الدنيا [أيدينا ظن] أي لا تقدرون على الخلاص انتهى المراد ، وهو مناسب لذكر غمرات الموت أي أخرجوا أنفسكم من هذه الغمرات ، وتفسير { باسطوا أيديهم } بأنهم باسطوها بالعذاب موافق لقول الله تعالى { فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم } ويحتمل { باسطوا أيديهم } لقبض أرواحهم عند معالجتها لقبضها ، وقيل: معنى { أخرجوا أنفسكم } هاتوها من أجسادكم وهذا هو الذي صدره الشرفي وهو قريب ليكون مفسرا للبسط أنه لنزع أنفسهم وهو أوفق لتصوير الحال من حذف ما بسطت الأيدي له ، وذلك أوفق لقوله تعالى { ولو ترى } الذي يوجه الذهن لاستماع شرح حال الظالمين عند النزع ، وتصويره للسامع وسواء كان أمرا حقيقيا لإهانتهم أم تعبيرا عن حالهم عند معالجتهم للنفس لتخرج كأنهم آمرون بإخراجها .

(٥١٧/٢)

اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون (٩٣) (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون (٩٣) } :

الراجح أن هذا حكاية لما يقال لهم عند بعثهم كأنه مقترن بإخراج أنفسهم وقد طوي ما بينهما من الزمان في الواقع ؛ لأنه يوم القيامة كأن لم يكن لقلته في نظر الأموات كأن لم يلبثوا إلا ساعة { ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة } ونظيره في طي المدة وتخطيها إلى ما ورائها قوله تعالى { فأرسلون يوسف أيها الصديق } فكأن الظالمين خرجت أنفسهم ورجعت في أبدانهم ، وقيل لهم { اليوم تجزون } في وقت واحد ، والدليل على هذا قوله تعالى في الآية الثانية { كما خلقناكم أول مرة } فأفاد أن قد خلقهم المرة الثانية ، ونظير هذا قوله تعالى { ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة

يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق } أي ويقولون: ذوقوا عذاب الحريق على أنه عطف على قوله { يتوفى } وعذاب الهون عذاب الهوان أي الذلة والصغار ، وقوله تعالى { وكنتم عن آياته تستكبرون } يدل على أن الذي قال { سأنزل مثل ما أنزل الله } استخف بالقرآن وأنف من الإلتفات إليه والنظر في صدقه استعلاء فحمله ذلك على قوله { سأنزل مثل ما أنزل الله } جحدا لكونه معجزا واستخفافا به .

(٥١٨/٢)

ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة (١) وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة } :

هذا نظير قوله تعالى { وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة } فهو تأكيد للوعد بالإشارة إلى ما ذكرهم به في الدنيا من قدرته تعالى على الإعادة كما قدر على خلقهم أول مرة ، وقوله تعالى { فرادى } تنبيه على ضعفهم يوم القيامة بانفراد كل واحد عن الأنصار والقرابة والأعوان والإخوان والعشائر فهو في حال ذلة بعد التكبر في الدنيا والغرور .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم } :
قال في [الصحاح]: وخوله الله الشيء أي ملكه إياه انتهى ، ومثله في [لسان العرب] ففيه فائدتان:

الأولى: أن أسباب التعزز في الدنيا هي الأصحاب والأموال التي كان مالكا لها فقد ذهبت وصار كما قال تعالى { ونرثه ما يقول ويأتينا فردا } .
الثانية: تذكيرهم نعمة الله عليهم كأنه لما قال { خولناكم } قال: أنعمنا عليكم وذلك أبلغ في تبكيتهم ؛ لأنهم كانوا يجعلون نعمة الله سببا لاستكبارهم عن آياته وتكبرهم ، وقوله { وراء ظهوركم } تحقيق لتركه وارتحالهم عنه إلى الآخرة ؛ لأن الراحل عن الشيء التارك له يخلفه وراء ظهره .

(٥١٩/٢)

وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون (٩٤)
(١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون (٩٤) } :
وهذا بعد بيان ذلتهم بالإنفراد عن الأعوان والأنصار ومفارقة المال يبين ذلتهم مع خيبة أملهم بعدم الشافعين الذين كانوا يؤملون شفاعتهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأعظم من ذلك أنه يبين بطلان ما كانوا يزعمون ، ويذكر بجريمتهم العظمى وهم في يوم الحساب والجزاء وذلك أعظم أسباب الذلة والصغار ، وفي قوله تعالى { وما نرى } أي في هذه الحالة التي هي وقت الحاجة إلى الشفاعة ، وفيه تهكم بالمشركين وشركائهم حيث نفى حضورهم معهم بنفي رؤيتهم ، وفيه أيضا تصوير لتلك الحال وبيان أنها أمور ستكون مشاهدة وضرورية ، وقوله تعالى { الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء } فيه فائدتان:

الأولى: أنه قد تبين لكم بطلان ذلك الزعم .
الثانية: تذكيرهم بجريمتهم العظمى زعمهم الباطل أنهم فيهم شركاء وهم لم يخلقوا ولم يرزقوا فجعلوا ما هو لله وحده خالصا له جعلوا بعضه لغيره ، وذلك أن عبادتهم زعم أنهم عباد لهم بدليل قوله تعالى { لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته } فأقام قوله تعالى { عن عبادته } مقام { أن يكون عبدا } فدل على أن معنى العبادة أن يجعل نفسه عبدا ، وقوله تعالى { لقد تقطع بينكم } أي الصلة بين الذين زعمتم أنهم شركاء فيكم وبينكم كقوله تعالى { وتقطعت بينهم الأسباب } وقوله تعالى { وضل عنكم } أي ضاع عنكم { ما كنتم تزعمون } أنه يكون لكم من شركائكم من النصرة والشفاعة وما أشبه ذلك ، فقد ضاع كله في هذا الموقف الحرج فما لكم من قوة ولا ناصر .
ويحتمل في إعراب { لقد تقطع بينكم وضل } أنه من التنازع فكل منهما يطلب { ما كنتم تزعمون } فاعلا له فالمعنى تقطع بينكم ما كنتم تزعمون ، وذلك على توزيع ما كانوا يزعمون أي ما كنتم تزعمون من الصلة بينكم وبين شركائكم التي هي بزعمكم الصلة بين المملوك ومالكه التي من أجلها يحمي المالك مملوكه ، وتزعمونه من حمايتهم لكم من أجل هذه الصلة تقطع ذلك بينكم وضاع عنكم ، وفيه تهكم بهم بجعل الصلة منقطعة والحقيقة أنه لم يكن لها وجود ، وإنما كانوا يتوهمونها جهلا وضلالا كما أن قوله { وضل عنكم } تهكم ؛ لأن أصله أن يستعمل في ضياع ما كان موجودا وهو هنا في ضياع ما كانوا يزعمونه ولا حقيقة له ، ولما كان المشركون قد جعلوا لله شركاء وخوفهم الله عاقبة شركهم

أتبع ذلك بالدلائل على الله الدالة على أنه يجب تنزيهه عن الأنداد التي جعلوها شركاء لله وهي لا تخلق ولا ترزق ، وهذه الدلايل دلائل على قدرة الله على إعادة المشركين وجزائهم في الآخرة بما وعدهم بل تفيد فوائد معرفة الله كلها فقال تعالى :

(٥٢٠/٢)

---

* إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي (١)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { * إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي } :

لما كانت هذه وما بعدها إلى قوله تعالى { وجعلوا لله شركاء } احتجاجا على المشركين تبين أن الله تعالى هو الخالق الرازق وأنه العليم بكل شيء القدير على كل شيء وتعرض بشركائهم أنهم لم يفعلوا شيئا مما عدد في هذه الآيات كانت على هذا الأسلوب فالق الحب والنوى ، مخرج الحي من الميت ، فالق الإصباح ، وهو الذي أنشأكم ، وهو الذي ، وهو الذي .. بعبارة تعيين الفاعل لذلك أنه الله لا بعبارة أن الله فعل ذلك ، ولما كان إخراج الحي من الميت غامضا عند المشركين ناسب في الإحتجاج عليهم أن يأتي مفسرا فقال تعالى { إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت } فدل بهذه الآية على أنه هو الذي يفلق الحب فيخرج منه الزرع ويفلق النوى فيخرج منه النخيل والخوخ وغيرها ؛ ولكون قوله تعالى { فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت } آية واحدة لم يعطف { يخرج الحي } بالواو وبخلاف سائر الآيات فهي متعاطفة ، فوصف الزرع والشجر بالحياة وبذرها بالموت بعد انفلاقه كوصف الأرض بالموت قبل نزول المطر والحياة بعده وبعد اخضرارها ، وقوله تعالى { ومخرج الميت من الحي } آية ثانية تدل على الله فالمولود الذي يكون قد مات في بطن أمه لم تخرجه هي باختيارها متى شاءت ولكن الله هو الذي يخرجه بتهيئة أسباب خروجه متى شاء .

(٥٢١/٢)

ذلكم الله فأنى تؤفكون (٩٥) (١) فالق الإصباح (٢) وجعل الليل سكنا (٣)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ذلكم الله فأنى تؤفكون (٩٥) } :
{ ذلكم } القادر العالم الذي دل عليه إخراجه الحي من الميت والميت من الحي هو { ربكم } لا أصنامكم وما تعبدون من دونه { فأنى تؤفكون } فمن أين تؤفكون عن الحق إلى الباطل أي تقلبون وتحولون فليس لهم خلق ولا لكم برهان فيهم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فالق الإصباح } :
بعد الليل المظلم الذي استمر وقتا إما طويلا كما في الشتاء ، وإما دون ذلك كما في الصيف ، فلماذا جاء الصباح ففلق بضوءه ظلمة الليل ؟ إنها قدرة الله تعالى .

(٣) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وجعل الليل سكنا } :

لما اشتمل عليه من الأرض والأشجار والمياه والحيوان كالبيت الذي يسكن فيه الحي ، فالليل يحفظ رطوبة الأرض والأشجار وقوة المياه ورطوبة الحيوان ويعدل حرارة الشمس وقد سماه الله تعالى لباسا ، وقال تعالى { والله جعل لكم من بيوتكم سكنا } .
قال في [الصحاح]: والسكن النار ، ثم قال: والسكن أيضا كل ما سكنت إليه انتهى .
وفي [لسان العرب]: وقال اللحياني والسكن أيضا سكنى الرجل في الدار يقال: لك فيها سكن أي سكنى والسكن والمسكن المنزل والبيت الأخيرة نادرة .

(٥٢٢/٢)

والشمس والقمر حسبانا (١) ذلك تقدير العزيز العليم (٩٦) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { والشمس والقمر حسبانا } :
والله الذي جعل الشمس والقمر { حسبانا } أي حسابا فلولاهما ما عرف حساب الشهر الواحد وحساب الشهور والسنة الشمسية والفصول الأربعة الصيف والخريف والشتاء والربيع ، وهذا دليل على

قدرته تعالى وعلمه المحيط بكل شيء فحساب الشمس والقمر دقيق محكم مستمر آلاف السنين فتبارك الله رب العالمين .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ذلك تقدير العزيز العليم (٩٦) } :
{ ذلك } أي فلق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا كله { تقدير العزيز } الذي لا يعارضه معارض يغير ما أحكم { العليم } بكل شيء .

(٥٢٣/٢)

وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر (١) قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون (٩٧) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر } :
فيهتدى بنورها ، ولولاهي لاشتدت الظلمة على المسافرين ، ألا ترى كيف تشتد الظلمة إذا حجب نور النجوم سحاب ، ويهتدى بالنجوم لمعرفة الجهات ليهتدى إلى الجهة المطلوبة للمسافرين وأشد الحاجة إلى ذلك في ظلمات البر حيث لا جبال مثل تهامة وفي ظلمات البحر .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون (٩٧) } :
}
فصلنا الآيات } بيناها وميزنا بعضها من بعض فهي آيات عديدة كثيرة يهتدي بها من يعلم أي من من شأنه أن يعلم لسلامته من الهوى المعمي للبصيرة والخذلان بسبب الإستمرار على التمرد والعصيان والإعراض عن النظر في الآيات اشتغالا بأغراض الدنيا ، ففي الشمس آيات وفي القمر آيات والليل آية والنهار آية وفي النجوم آيات عديدة .

(٥٢٤/٢)

وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع (١) قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون (٩٨) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة } من أبينا آدم أنشأنا أوجدنا بعد أن لم نكن { فمستقر ومستودع } فلكم في إنشائكم مستقر ومستودع تكثرون بواسطتهما فالمستقر بطون الأمهات فإنشاء الذريات فيها وتربيتها حتى تتكامل ثم تخرج بعد كمالها ، والمستودع مستودع النطفة حيث تخلق فتخرج إلى المستقر ، وهذه آيات عظيمة .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون (٩٨) } : { يفقهون } الكلام فيفقهون كلام الله في تعديد الآيات وتبيينها فيعلمون بما فصل من آيات الصنع الدالة على الله الخالق العليم القدير ، فالآيات القرآنية تذكر بآيات الكون لمن يفهم الكلام .

(٥٢٥/٢)

وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء } :

{ من السماء } من الجو كقوله تعالى { فيبسطه في السماء } على تقدير محكم في كيفية نزوله بحيث ينفع ولا يضر فتراه كأنه نازل من غربال فيعم البلاد من الحرث والمراتع والمحتطبات بسبب نزوله من السماء { فأخرجنا به } أي أخرج الله بالماء { نبات كل شيء } من الزرع والشجر والمرعى وغير ذلك مما لا يكاد يحصى لكثرة أنواع النبات .

(٥٢٦/٢)

فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا (١) ومن النخل من طلعها قنوان دانية (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فأخرجنا منه خضرا } فأولا يخرج من الأرض أصفر اللون أو أبيض ثم ينمو فيخرج منه الأخضر { نخرج منه حبا متراكبا } { نخرج } من الخضر بعد تكامله وخروج سنبله الأخضر نخرج منه { حبا } وما هو الحب وما الفائدة فيه قد عرفه الإنسان وعرف فائدته فلم يحتج إلى وصفه بأنه طعام الإنسان الذي يعيش به فتبارك الله رب العالمين يخرج هذا الحب { متراكبا } في السنبلة تستمد كل حبة غذائها من السنبلة حتى تكمل وتصلح فيتراكب لكثرته واجتماعه في السنبلة .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ومن النخل من طلعها قنوان دانية } :
}
طلعها } إما أكمامها التي تخرج أولا وفيها الثمر ثم تنشق فيخرج منها العذق ، قال في [المصابيح]: وهو [أي العذق] في النخل كالعنقود من النخل فهو يخرج من الكم والكم يخرج من النخلة ، وعلى هذا التفسير للطلع يظهر أنه مصدر القنو ، وإما نفس الثمر الذي في الكم يكون قنوانا فكأنه أي الكم مصدر للقنوان ، والقنوان جمع قنو .
قال الراغب: القنو العذق تثنيته قنوان وجمعه قنوان انتهى ، أي تثنيته في حال الرفع كجمعه قنوان ، وقوله تعالى { دانية } دانية من الدنو وهو القرب ، فإما بمعنى قرب قطافها ؛ لأنها إذا خرجت من الأكمام ينتظر صلاحها ثم تقطف فتعتبر دانية لقرب قطافها ، وإما دانية بالنسبة إلى منابتها ومخارجها من النخلة ومواضع أصولها ؛ لأنها تتدلى عند ثقل البسر كما قال امرؤ القيس :

فآتت أعاليه وآدت أصوله ... وأدلى بقنوان من البسر أحمرا

وقال تعالى { قطوفها دانية } فهي آية حين تخرج من النخلة وحين تخرج من الأكمام فيرى فيها البسر متراكبا يستمد غذاءه من الشماريخ حتى يتم ويصير رطبا قوتا لأهل بلده وفاكهة لهم ولغيرهم قد أتقن صنعه صانعه وجعله لذيذا للإنسان نافعا فتبارك الله رب العالمين .

وجنات من أعناب (١) والزيتون (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وجنات من أعناب } :
وأخرجنا من النبات أو بالماء جنات شجرا ملتفا يغطي مكانه من أنواع العنب ذوات الألوان المختلفة وأشكال حبها المختلفة والطعم اللذيذ المختلف والنفع للإنسان وفاكهة يستغنى بأكلها عن غيرها أكلة أو أكثر فقد يستغنى بها أياما إلا أنها تقوى شهوة الخبز إذا ترك أياما ، فالأعناب آية عظيمة أشجارها وثمارها .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { والزيتون } :
وهو يكثر وينمو شجره في الشام فيثمر الزيتون يؤكل ويعتصر منه الزيت فيكون إداما نافعا سهل الهضم بالنسبة إلى غيره من الأدهان ودهنا جيدا نافعا للإنسان ، وقد قال تعالى { وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين } وقال تعالى { يوقد من شجرة مباركة } ففي الزيت فائدة ثالثة وهي أنه يستعمل وقودا للمصباح .

(٥٢٨/٢)

والرمان (١) مشتبها وغير متشابه (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { والرمان } :
وهو آية عظيمة في صنعه حيث يكون حبه الضعيف متراكبا في جيوب يستمد غذاء من أجزاء فواصل هي جيوبه وجملتها تستمد من أصل الرمانة ، ويجمعها خباء كالجلد يحفظها حتى تتم وتصلح ، فإذا فلق الآكل خباءه وجده متراكبا مفصلا في جيوب جميل المنظر منه حلو لذيذ نافع للإنسان ، ومنه حامض دواء كالخل صنع الله الذي أتقن صنعه وصنع شجرته .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { مشتبها وغير متشابه } :

أخرجنا هذا المذكور أي الحب والفواكه بالماء الواحد { مشتبها } يشبه بعضه بعضا { وغير متشابه } أي بعضه مشتبها وبعضه غير متشابه ، وذلك تقدير القدير العليم الذي خالف بينه وبين أنواع الصنف الواحد وجعل بعضه مشتبها وبعضه غير متشابه صنعا محكما مفيدا للإنسان ففيه آيات مفصلات تدل على أن الله هو الخالق القدير العليم .

(٥٢٩/٢)

انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه (١) إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون (٩٩) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { انظروا إلى ثمره إذا أثمر } :
كيف يكون تدبير صنعه من الشجرة التي تخالفه في شكله وطعمه ونفعه ويستمد منها غذاءه وكيف يكون حجمه وطعمه ولونه { ur } انظروا إلى { ے¾دmدƒtZ÷è } إذا أينع وتم صلاحه للإنسان كيف يختلف عن صفته في حجمه ولونه وطعمه ونفعه .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون (٩٩) } :
}
إن في } إنزال الماء من السماء وهو واحد وإخراج نبات كل شيء على اختلاف النبات وتطوير النبات حتى تخرج منه الثمرات النافعات للإنسان من الحب والثمر والعنب والزيتون والرمان على صفاتها حين تخرج من أشجارها وصفاتها حين يتم صلاحها { لآيات } مفصلات ودلائل بينات { لقوم } من شأنهم أن يؤمنوا إذا رأوا الآيات وسمعوا القرآن يعددها لهم ويثير دفائن عقولهم ويذكرهم من غفلتهم ، فأما المتمردون فما تغني عنهم الآيات ، فتبارك الله رب العالمين لقد بين الآيات المفصلات الدالة على أنه الخالق الرازق الذي يستحق العبادة ويستحق الشكر على النعم العظيمة المتواصلة المتنوعة .

(٥٣٠/٢)

وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون (١٠٠)
(١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ur } مع هذا كله { جعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون (١٠٠) } :

لما كانت الآيات الماضية تدل على بطلان الشرك وأنه ظلم عظيم عطف عليه ذكر ما عليه المشركون مع اختلافهم في الشرك من جعلهم شركاء لله وبين هؤلاء الذين جعلوهم شركاء بأنهم جن ، وبين أن الله خلقهم ردا عليهم ، فالأقرب أن الجن عطف بيان لشركائهم ، وسوغ ذلك تطابق البيان والمبين ؛ لأن التعريف لفظي لأنه لم يقصد به عموم الجن ولا الحقيقة المعهودة ، أو أن عطف البيان لا يشترط فيه التوافق في التعريف والتنكير بين البيان والمبين كما اختاره الرضي في [شرح الكافية] أو هو بدل وليس المبدل منه ملغي بل هو عمدة كما اختاره الرضي وغيره ، والجن إما من كانوا يعوذون بهم قال تعالى { وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن } وهذا أظهر ، وإما الملائكة .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال ، قال: في [البرهان] وجعلوا لله شركاء أي أن مشركي العرب جعلوا الملائكة بنات الله شركاء له كقوله { وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون } فسمى الملائكة جنا لاجتنانهم عن الأبصار انتهى .

وقوله تعالى { وخلقهم } الراجح أن الضمير للجن أي وخلق الجن فهم عباد لله مربوبون لا شركاء له في عباده .

أما قوله تعالى { وخرقوا له بنين وبنات } ففي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: معناه اختلقوا انتهى ، أي افتروا .

وقال الشرفي في [المصابيح] حاكيا عن [البرهان] للإمام أبي الفتح الديلمي أي كذبوا انتهى .

وفي [لسان العرب]: وخرق الكذب وتخرقه وخرقه كله اختلقه ، قال الله عزوجل { وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه } قرأ نافع وحده { وخرقوا له } بتشديد الراء ، وسائر القراء قرأوا { وخرقوا } بالتخفيف ، قال الفراء: معنى { خرقوا } افتعلوا ذلك كذبا وكفرا ، وقال: وخرقوا واخترقوا وخلقوا واختلقوا واحد ، قال أبو الهيثم: الإختراق والإختلاق والإختراص والإفتراء واحد انتهى .

ومعناه في [المصابيح] و[الكشاف] وخرق البنين جعل عيسى وعزيرا عليهما السلام بنين ، وظاهر الجمع أن المشركين قد زادوا غيرهما ، واختراق البنات قولهم في الملائكة عليهم السلام : بنات الله سبحانه ، وقوله { بغير علم } يعيد قبح قولهم هكذا من حيث أنه اختلاق وافتراء ، ومن حيث أنه قول على الله بغير علم كقوله تعالى { وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون } .

{ سبحانه } تنزيه لله ودلالة على أن ما قالوه بعيد عن الحق ؛ لأن التسبيح تنزيه وتبعيد عن النقص { وتعالى عما يصفون } تعالى علو الشأن والعزة { عما يصفون } عن وصفهم له بصفة المخلوق الضعيف وهو القوي العزيز أي جل وعلا عما وصفوه به .

قال الشرفي في [المصابيح]: فإن قيل: فعلى هذا التقدير لا يبقى بين قوله سبحانه وقوله تعالى فرق قيل له : بل بينهما فرق ظاهر فإن المراد بقوله { سبحانه } إن هذا القائل يسبحه وينزهه عما لا يليق به ، والمراد بقوله { تعالى } كونه في ذاته متعاليا متقدسا عن هذه الصفات ..إلخ .

والظاهر عندي أن مضمون التسبيح نفي النقص ، ومعنى { تعالى } إثبات الكمال وعلو الشأن والغلبة ولعل هذا مراد الشرفي رحمه الله .

(٥٣١/٢)

بديع السماوات والأرض (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { بديع السماوات والأرض } :

قال في [الصحاح]: أبدعت الشيء اخترعته على غير مثال ، والله تعالى بديع السموات والأرض ، والبديع المبتدع ، والبديع المبتدع أيضا انتهى المراد ، ومثله في [مفردات الراغب] ورجح في { بديع السموات والأرض } مبدعهما ، ورجح صاحب [الكشاف] أن المعنى بديع سماواته ، ولم يجوزه بمعنى مبدع ، بل قال في هذا المعنى: وقيل البديع بمعنى المبدع انتهى.

والراجح أن بديع فعيل بمعنى مفعول ؛ لأنه استعمال كثير شائع بخلاف فعيل بمعنى مفعل ، ومع هذا يصير حاصل المعنى بالإلتزام أنه تعالى مبتدع السموات والأرض ؛ لأنها لما كانت مبدوعة لزم منه أنه مبدعها ، أما مفهوم { بديع } فالراجح أنه راجع إلى اسم المفعول ، نعم رجح صاحب [الكشاف] أنه صفة مشبهة فقال: { بديع السموات } من إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك: فلان بديع الشعر انتهى.

وهذا أقرب قال في [لسان العرب]: والبديع والبدع الشيء الذي يكون أولا ، وقال قبل هذا: وركي بديع حديث الحفر ، ثم قال: وسقاء بديع جديد ، وكذلك زمام بديع ، ثم قال: وحبل بديع جديد أيضا ، حكاه أبو حنيفة ، والبديع من الحبال الذي ابتدأ فتله ، ولم يكن حبلا فنكث ثم غزل وأعيد فتله ، ثم قال: والبديع الزق الجديد انتهى المراد ، فهذه المعاني راجعة إلى فعيل بمعنى مفعول إلا أنها صفات .

(٥٣٢/٢)

أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة } : { أنى يكون } من أين يكون { له ولد } وهذا في نفي الولد أي ولد الصلب ، وغير نفي اتخاذ الولد بالتبني ، وفي نفي الولد بالتبني ، فالكل منفي عن الله ، وقوله تعالى { أنى يكون له ولد } إما أن يكون مستقلا بنفي الولد فمعناه: من أين يكون له ولد وهو ليس له جنس فيتكثر بوجود فرع يتفرع منه ، والولد إنما يكون من جنس الوالد ، وهذا خاص بما يقبل الكثرة والقلة ، وما يقبل القلة والكثرة يقبل العدم ، وما يقبل العدم لا يستحق القدم ؛ لأنه ليس واجب الوجود فمن أين يكون لله سبحانه فرع وهو لا يقاس على المخلوقين ؟ وإما أن يكون قوله تعالى { أنى يكون له ولد } مرتبطا بقوله { ولم تكن له صاحبة } فيكون المعنى: أن الولد إنما يكون من الأنثى وليس لله أنثى يتهيأ له منها ولد ؛ لأنه ليس له صاحبة زوجة أو ما في معنى الزوجة ، ولعل هذا كاف في نفي الولد ؛ لأن المشركين لا يثبتون له صاحبة بمعنى أنثى يجامعها فيكون له منها ولد وإن أثبت بعض النصارى أنثى يكون فيها الولد الموجود عندهم من قبل والذي هو عندهم ابن من قبل أن يكون في بطن مريم بل هو عندهم قديم ، والسؤال وارد عليهم { أنى يكون له ولد } ولم يوجد له بواسطة مريم ، فليس جعله ابنا بأولى من جعله أبا ؛ لأن الأب والإبن عندهم قديمان ، فلا وجه لجعل أحدهما أبا دون الآخر ، وجعل الآخر ابنا دون من جعلوه أبا ، وكذلك ابن التبني أنى يكون ولدا فالتبني لا يثبت للمتبني الولادة فليس ولدا .

(٥٣٣/٢)

وخلق كل شيء (١) وهو بكل شيء عليم (١٠١) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وخلق كل شيء } :
فكل شيء مملوك له وهو رب كل شيء كقوله تعالى { وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا } وقوله تعالى { إن هو إلا عبد أنعمنا عليه } والعبودية تنافي البنوة التي معناها يستلزم المشاركة في الجنس ويستلزم للولد مكانة تنافي مكانة العبد ، فهو رد على

دعوى الولد وعلى دعوى اتخاذ الولد ما ليس ولدا بالأصالة ، ولهذا رد الله تعالى على المشركين بإثبات عبودية شركائهم { وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون } { إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم } .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وهو بكل شيء عليم (١٠١) } :

وهذا لنفي الولد بواسطة التبني ؛ لأن من الغلط في الرأي والمنافي للحكمة أن يتخذ عبده ولدا بجعله شريكا له في ملكه ، فمن هو بكل شيء عليم لا يكون منه اتخاذ الولد ؛ لأنه لا يغلط ولا يجهل وجه الحكمة { ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم } { ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون } .

(٥٣٤/٢)

ذلكم الله ربكم (١) لا إله إلا هو خالق كل شيء (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ذلكم الله ربكم } الذي خلق كل شيء فلا شريك له في مخلوقاته .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { لا إله إلا هو خالق كل شيء } :
فهو رب كل شيء فلا شريك له فيكم ولا في غيركم ، والإله هو المعبود بحق فلا تحق العبادة إلا لله ؛ لأن معناها اعتراف بالعبودية للمعبود .

(٥٣٥/٢)

فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل (١٠٢) (١) لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (١٠٣) (٢)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فاعبدوه } وحده لأنكم عباده وحده { وهو على كل شيء وكيل (١٠٢) } فكلوا أموركم إليه لنفعكم ولدفع الضر عنكم فلا ترجوهما من غيره ؛ لأنه لا يقدر على ذلك غيره وهو يقدر على كل شيء ، ويعلم أحوالكم وما تحتاجون إليه وما ينفعكم وما يضركم وهو مالككم والمتصرف فيكم كيف يشاء فهو الوكيل على كل عباده الذي ينبغي أن توكل إليه أمورهم ؛ لأنهم لا ينفعهم أحد إلا بإذنه ولا يضرهم أحد إلا بإذنه وما أراد لهم من نفع أو ضر لا يدفعه غيره فلا وكالة لغيره بهذا المعنى .

(٢) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (١٠٣) } :

تحقيق لكونه لا يقاس على المخلوقين ، فالذين جعلوا له بنين وبنات توهموا أنه يشبه المخلوقين فجوزوا له البنين والبنات سواء بمعنى أنه ولد بنين وبنات ، أو بمعنى اتخذ بنين وبنات ليكونوا له ريحانة يلتذ بهم كما يلتذ الوالد بالولد سبحانه هو الغني ، فقوله تعالى { لا تدركه الأبصار } تنبيه على مخالفته لكل ما تدركه الأبصار فلا يقاس بالمخلوقين { وهو يدرك الأبصار } لأنه لا يخفى عليه شيء ، وهذا تتميم لبيان الفرق بينه وبين المخلوقين وعدم التشابه بينه وبينهم في الذات ؛ لأنها جازت عليهم الرؤية وامتنعت رؤيته فهذا وجه التمدح بها ، فأما من يجعل ذلك لمجرد نفي الرؤية ويقول بإمكانها عليه فقد لزمه أن هذه الآية مثل قوله { إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم } سبحان الله وتعالى { وهو اللطيف } عن أن تدركه الأبصار { الخبير } العليم بخبر كل شيء وغامض سره ، فاللطيف هنا بمعنى الخفي كاسمه تعالى الباطن ومن استعمال اللطيف في الخفاء قول الحجاج: للطف ما توسلت به ، وقوله { إن ربي لطيف لما يشاء } أي يدبر لكونه من حيث لا يشعر المخلوق ، وقوله تعالى { وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا } أرادوا أن يترفق بحيث لا يظهر بسبب إقباله أو تصرفه أو إدباره . وفي [لسان العرب]: واللطيف من الكلام ما غمض معناه وخفي ، فتفسير { اللطيف } هنا بالخفي الذي لا يدرك بالحواس وإنما يعرف بآياته أنسب للسياق من حيث قابل { لا تدكه الأبصار } كما قابل { الخبير } { يدرك الأبصار } وقد أفاده صاحب [الكشاف] وهو من أئمة اللغة العربية .
فأما تفسير { اللطيف } بلطيف التدبير فهو يلزم منه أنه لا يصلح أن يقال له لطيف ؛ لأن اللطيف

تدبيره فيكون لطيف التدبير وصفا جاريا على غير من هو له .
وقال صاحب [لسان العرب]: ومعناه [أي اللطيف] والله أعلم: الرفيق بعباده ، قال أبو عمر واللطيف الذي يوصل إليك أربك في رفق ، انتهى المراد .
وهذا يستقيم في تفسير { لطيف بعباده } بل هو الظاهر فيه لأجل تقييده بعباده ، ولا يلزم اتفاق المقيد والمطلق كما لم يلزم في { البصير } و { بصير بما يعملون } .
وفي [مفردات الراغب] وقد يعبر باللطائف [باللطيف] عما لا الحاسة تدركه ، ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه ، وأن يكون لمعرفته بدقائق الأمور وأن يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم انتهى .
وجعل اللطيف بمعنى الخفي الذي لا تدركه الحواس هو الذي يناسب جعل هذه الآية من البديع كما في [متن التلخيص] حيث جعله من مراعاة النظير ، فقال: ومنها [أي مراعاة النظير] ما يسميه بعضهم تشابه الأطراف وهو أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه نحو { لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير } انتهى .

(٥٣٦/٢)

قد جاءكم مچج !$|ءtع/ من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤) (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قد جاءكم مچج !$|ءtع/ من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤) } :

قد جاءتكم آيات بينات تهدي البصائر وتنير لها وتقويها وتكشف عنها ظلمات الجهل وتحييها بإيقاظها للنظر الصحيح فكأن الآيات من هذه السورة ومن غيرها تفيد بصائر وتوجدها في القلوب ، والبصيرة للقلب كالبصر للعين ، وجمع البصيرة بصائر فقد جاء في هذه السورة ما يكفي ويشفي للهداية إلى إخلاص العبادة لله وتوحيده ورفض الشرك وتقبيحه { فمن أبصر } ببصيرة قلبه واهتدى للحق { فلنفسه } أبصر أي فائدة ذلك لنفسه { ومن عمي } قلبه بعد هذه الآيات فعلى نفسه ضر ذلك العمى { وما أنا عليكم بحفيظ } أحفظكم عن العمى وأردكم عن الردى إنما أنا رسول الله لأبين لكم سبيل الهدى وأنذر وأبشر ، وهذه الآية جاءت على الحكاية لكلام الرسول كما جاء على الحكاية لكلام الملائكة

عليهم السلام قوله تعالى { وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون } ولعل ذلك إشارة إلى أن الآيات في هذه السورة قد بلغت النهاية في بيان بطلان الشرك والتحذير منه ، وفي إبطال الكفر فما بقي إلا التعقيب من الرسول على ذلك الإحتجاج والبيان الكافي بأنه قد جاء نورا للبصائر إلى آخر الآية .

(٥٣٧/٢)

وكذلك نصرف الآيات (١) وليقولوا درست (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وكذلك نصرف الآيات } :
كهذا التصريف للآيات في هذه السورة وتحويلها من أسلوب إلى أسلوب وهي متفقة في المراد كالآيات في أول السورة إلى قوله تعالى { قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا } والآيات في إبراهيم والأنبياء عليهم السلام ثم العودة إلى أسلوب أول السورة بشكل مخالف بعض المخالفة من قوله تعالى { إن الله فالق الحب والنوى } إلى آية { وجعلوا لله شركاء الجن } وبيان جهلهم بالله وقياسهم له على المخلوق ، وبيان الفرق بشكل قريب للأفهام يبطل القياس ، فكذلك يصرف الله الآيات في القرآن في هذه السورة وفي غيرها .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وليقولوا درست } :

قال الشرفي في [المصابيح]: معنى { درست } حفظت وأتقنت فكانوا إذا سمعوا ورأوا ما يجيئ به رسول الله من آيات الله عزوجل وتصرفه من أحكامه وبينه من حلاله وحرامه قالوا درست ، يريدون أنه محكم لما هو فيه دارس له يوهمون أنه عليه السلام يتعلم ذلك ويدرسه من أخبار الأولين انتهى .
وقوله تعالى { ليقولوا } الراجح فيه أنه مجاز شبه قولهم { درست } بالغرض المقصود للدلالة على أن الله تعالى صرف الآيات القرآنية وهو يعلم أنهم يقولون من أجله درست فكأنه صرفها ليقولوا درست ، ومن فائدة ذلك التنبيه على أن الله لا يبالي بقولهم هذا ، ولا بضلالهم بعد البيان كما لو كان مقصودا بالتصريف للآيات .

(٥٣٨/٢)

ولنبينه لقوم يعلمون (١٠٥) (١) اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين (١٠٦) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولنبينه لقوم يعلمون (١٠٥) } :
نصرف الآيات ؛ لأن تصريف الآيات أبلغ في البيان فنصرفها لنبين القرآن { لقوم يعلمون } فيفهموا وينتفعوا ، وقوله { يعلمون } أي عادتهم أن يعلموا ؛ لأن قلوبهم سليمة من موانع العلم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين (١٠٦) } :
}
اتبع } هذا القرآن وسائر { ما أوحي إليك من ربك } لأنه أوحى إليك فأنت أولى من اتبعه ؛ ولأنه من ربك المالك لك فعليك أن تطيعه { لا إله إلا هو } فعليك أن تعبده باتباع ما أوحي إليك منه { وأعرض عن المشركين } تنزها عن مخالطتهم وبعدا عن سماع باطلهم وتطهرا عن رجسهم ، وليس المراد ترك إبلاغهم الحجة ، بل المراد الجمع بين الأمرين الإبلاغ فالإعراض .

(٥٣٩/٢)

ولو شاء الله ما أشركوا (١) وما جعلناك عليهم حفيظا (٢) وما أنت عليهم بوكيل (١٠٧) (٣)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولو شاء الله ما أشركوا } :
فلم يعص مغلوبا ، بل هو قادر على أن يحول بينهم وبين الشرك ، ولكنه أراد أن يمكنهم من التوحيد والشرك ويخليهم يختارون لأنفسهم ؛ لأن حكمته في ذلك ، فلا يحزنك شركهم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وما جعلناك عليهم حفيظا } فما عليك من شركهم أي ضرر ولا مسؤولية فلا تبال بهم .

(٣) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وما أنت عليهم بوكيل (١٠٧) } :

فتردهم عن الشرك إلى التوحيد أو تصنع فيهم ما اقتضاه رأيك كما هو شأن الوكيل الذي وكل إليه أمر غيره ، إن عليك إلا البلاغ .

(٥٤٠/٢)

ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم (١) كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (١٠٨) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم } :

{ ولا تسبوا } شركاءهم الذين يدعونهم { من دون الله } عبادة لهم لاعتقادهم فيهم { فيسبوا الله } كما سببتم آلهتهم عدوانا منهم { بغير علم } بل بجهلهم وضلالهم عن الحق .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . {كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (١٠٨) } :

فلميل طباعهم إليه يغضبون من تقبيحه ؛ لأن من طبع النفس كراهة سب المحبوب ، فأما نسبة التزيين إلى الله سبحانه وتعالى ففائدته كفائدة لام التعليل في { ليقولوا درست } الدلالة على أنه تعالى لا يبالي بهم ولا بشركهم ، فأما معنى التزيين هنا فلعله بفطرة النفس على حب ما تعودته وألفته أو اعتقدت أنه صواب ولو خطأ ، ولعل مرجع حب العقيدة إلى حب النفس ، وذلك من مقدمات الإبتلاء ، فنسبة التزيين إليه بهذا المعنى مجاز وفائدته كفايدة نسبة الختم إليه تعالى مجازا .
قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليهما السلام معناه لما أملينا لهم كان إملاؤنا تزيينا لفعلهم ، وإن كنا لم نرض مع الإملاء بعملهم ، وإنما هذا على المجاز لا الحقيقة ، ومعنى أن

يكون التزيين من الله هو لما جعل وركب في أنفسهم من الشهوات التي جعلها محنة لهم ليفرق بذلك بين أوليائه وبينهم انتهى .

أي ليفرق بين من اتبع هواه ومن خالف هواه طاعة لله { ثم } بعد تركهم يختارون لأنفسهم ما تهواه أنفسهم { إلى ربهم مرجعهم } ليجزيهم بما عملوا { فينبئهم } يوم يرجعون إليه { بما كانوا يعملون } في الدنيا ويبين لهم حقيقته حتى يعلم أهل الباطل أنهم كانوا في ضلال مبين ، وأنهم كانوا كاذبين ، أو ينبئهم بعلمهم بما كانوا يعملون لأنه لم ينس بل أحصاه الله ونسوه ، وذلك في موضع الحساب والتقديم للعقاب ، وهذا أظهر والكل واقع .

(٥٤١/٢)

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها } :

هذا القسم نوع من محاربتهم للرسول والقرآن ؛ لأنهم يزعمون أنها لم تأتهم آية ، ويجعلون آيات الله لا شيء ، أي يجحدون أنها آيات ، وقد قال تعالى { أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم } وجهد أيمانهم أبلغ طاقتهم في المبالغة في الحلف .

قال الشرفي في [المصابيح]: وفي هذه الآية يقول المرتضى عليه السلام: هذا إخبار من الله عز وجل عن أهل الكفر والنفاق والصد عن الحق والشقاق من أهل الكتاب وغيرهم كانوا يحلفون بالله لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ويصدقون بمحمد عند إتيانها ، انتهى المراد .

(٥٤٢/٢)

قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون (١٠٩) (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون (١٠٩) } :

قال الشرفي في [المصابيح] حاكيا عن المرتضى عليه السلام فقال الله سبحانه { قل إنما الآيات عند الله } ومعنى { عند الله } إنما أراد بها من الله سبحانه ، ثم قال { وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون } فأخبر سبحانه بما علم من سرهم وأحاط به من غامض كفرهم ، وأنهم إذا رأوا الآيات لم يؤمنوا بها ولا عند المعاينة لها يصدقونها ولا يرجعون بها ، ولقد جاءهم من الآيات والمعجزات مع رسول الله ما ثبت له به النبوة والتصديق وزاح به الشك عنه وسوء الظن فلم ينتفعوا بذلك ولم يؤمنوا به ، بل ثبتوا على كفرهم وأصروا على معصيتهم ..إلى قوله عليه السلام.. وإنما كان هذا منهم عبثا وتمردا وتعنتا لغير قصد الهدى ولا لطلب التقوى انتهى انتهى .

وقوله تعالى { قل إنما الآيات عند الله } جواب عن مطالبتهم بآية تدل على أنهم كانوا يحلفون مطالبة للنبي كقوله تعالى { وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها } فأمره الله أن يجيب عنهم بأن الآيات ليست عنده إنما هي عند الله فهو الذي يأتي بها متى شاء وذلك لأن مطالبتهم له بالآية مبني على كفرهم بكونها من الله تصديقا له فرد عليهم هنا وفي سورة العنكبوت وقد مر { ما عندي ما تستعجلون به } وهو يناسب ما هنا .

(٥٤٣/٢)

ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة } :

قال في [الصحاح]: وقلبت الشيء فانقلب أي انكب انتهى ، وفي [لسان العرب] القلب تحويل الشيء عن وجهه ، ثم قال: وقلبه وقلبه حوله ظهرا لبطن وقلبت الشيء فانقلب أي انكب انتهى المراد .

فالمعنى تغيير القلوب والأبصار عن حالتها الطبيعية كأنها كبت كما يكب الإناء فلا يعي شيئا هذا في الأفئدة ، أما في الأبصار فكبها يبطل اتجاهها إلى المبصر فهي لكبها لا تراه ، وهذا مجاز لأن أفئدتهم وأبصارهم لو كبت حقيقة لبطل فهمهم ورؤيتهم لكل شيء ولذلك فهو مجاز كجعل الصدر ضيقا ، وحاصل المعنى: أن أفئدتهم وأبصارهم صارت بسبب إبائهم وامتناعهم من الإيمان عند سماعهم للقرآن

ووضوح أنه من الله أنزله مصدقا لرسوله فلتمردهم عن الإيمان بعد وضوح الحق صارت أفئدتهم لا تصلح للإيمان كأنها منكوسة ؛ لأن معصيتهم أفسدتها ورانت عليها كما قال تعالى { إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون } فأما نسبة تغيير القلوب والأبصار هنا إلى الله تعالى فلأنه تركها مع أنه فطرها قابلة للتغير والنفار من الحق فلما تركها لأهلها يفسدونها بالتوجه إلى الباطل والتعود له واعتباره مطابقا لأهوائهم وأغراضهم النفسية حتى كرهوا الحق ونفروا منه كأنهم لا يستطيعون الرجوع إليه لفرط كراهتهم له ، فاعتبر ترك الله لهم يفسدون قلوبهم إفسادا لقلوبهم كما تقول: أفسد فلان ولده إذا لم يؤدبه وأعطاه من المال والكسوة ولذات المأكول ونحو ذلك مع إهماله عن التوجيه الحسن والتربية الصالحة فنسب إليه فساد ولده واعتبر مسببا له على طريقة المجاز فكذلك من هذه الجهة ترك الله للعصاة يفسدون قلوبهم جعل إفسادا منه لها مجازا إلا أنه من الله سبحانه وتعالى حسن ؛ لأنه عقوبة لهم على تمردهم ، وقد مر نحو هذا في تفسير { ختم الله على قلوبهم } وأفئدة: جمع فؤاد وقد فسر بباطن القلب في قوله تعالى { تطلع على الأفئدة } .

(٥٤٤/٢)

ونذرهم في طغيانهم يعمهون (١١٠) (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ونذرهم في طغيانهم يعمهون (١١٠) } : نتركهم في طغيانهم والطغيان تجاوز الحد المعتاد نحو { لما طغى الماء } والعمه: الحيرة والتردد ، قال الراغب: العمه التردد من التحير انتهى .

وفي [لسان العرب]: العمه التحير والتردد ، ثم قال: قال رؤبة:

ومهمه أطرافه في مهمه ... أعمى الهدى بالجاهلين العمه

انتهى المراد .

وقوله تعالى { ونذرهم في طغيانهم يعمهون } يفيد أنه لا يهديهم بعد فساد قلوبهم فهو فساد مستمر لا يكون بعده إيمان .

(٥٤٥/٢)

---

* ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا (١)

---

(١) كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { * ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا } :

هذا بيان لكذب الذين أقسموا لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، فبين تعالى أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم الآيات العظيمة المذكورة فأنزل الله إليهم الملائكة مصدقين للرسول { وكلمهم الموتى } أي كلم هؤلاء الحالفين الموتى فقالوا لهم إن محمدا نبي صادق { وحشرنا } أي أخرجنا وهذا عام للأحياء والأموات فالحشر للأحياء إخراجها من أماكنها ومكامنها كأوجرة السباع وأوكار الطيور والحشر للأموات إخراجهم من بطن الأرض وإخراجهم أيضا من أماكنهم بالبعث والإقبال بهم إلى هؤلاء الذين أقسموا ، فقوله تعالى { كل شيء } عام لكل المخلوقات من الحيوانات والجمادات لو حشرها الله على هؤلاء الذين أقسموا مصدقة للرسول ما آمنوا ، وقوله تعالى { ما كانوا ليؤمنوا } أي لم يكن من شأنهم مبالغة في النفي كقول إبليس لعنه الله { لم أكن لأسجد } وقوله تعالى { قبلا } قرئ [بكسر القاف وفتح الباء] قال الراغب: ومن قرأ قبلا فمعناه عيانا ، ومثله في [الصحاح] ، وقرئ { قبلا } [بضم القاف والباء] قال في [الصحاح]: قال الأخفش أي قبيلا ، قال في [الصحاح]: والقبيل الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب والجمع قبل انتهى ، وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: معناه أصنافا .

قال في [الصحاح]: وقال الحسن معاينة انتهى ، فجعل معنى القراءتين واحدة ، ومعنى معاينة أن يعاين هؤلاء الذين أقسموا كل شيء محشورا عليهم قد جاءهم مصدقا للرسول ما كانوا ليؤمنوا .

(٥٤٦/٢)

إلا أن يشاء الله (١) ولكن أكثرهم يجهلون (١١١) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { إلا أن يشاء الله } :

قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليهما السلام وإنما قال ذلك عز وجل دليلا على قدرته عليهم وأنهم لا يمتنعوا [كذا] بغلبة ، ولكنهم اختاروا هلاك أنفسهم إذ مكنهم من الإختيار

لفعلهم انتهى .

قلت: فالمعنى لكنه شاء أن يخليهم يختارون لأنفسهم ويذرهم في طغيانهم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولكن أكثرهم يجهلون (١١١) } :

ظاهر الضمير عوده إلى الذين أقسموا أي يجهلون أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم تلك الآيات العظيمة فهم عازمون على الإيمان لو جاءتهم آية كما يريدون ولكن الله عليم بهم وبما يكون منهم لو جاءتهم ، وقد بين سبحانه أنهم لا يؤمنون ولو جاءت آية كما يقترحون فلم يكن من الحكمة إجابتهم إلى ما اقترحوا ولأن الله غني عن إظهارها لبيان كذبهم .

(٥٤٧/٢)

وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا (١)

---

(١) كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا } :

}

وكذلك } وكما مكنا هؤلاء الكفار من معاداة الحق وسببنا لها ببيان الحق الذي يغيظهم حتى إنكم لو سببتم الذين يدعون من دون الله لسبوا الله وحتى أقسموا جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية جحدا لنزول الآيات البينات من القرآن وغيره مكنا الكفار قبلهم الذين عادوا الأنبياء وجادلوا بالباطل وسببنا لمعاداتهم لهم بما أوحيناه إلى الأنبياء من الحق الذي يكرهه الكافرون ويبغضون من جاء به كقوله تعالى { أوكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون } وقوله تعالى { شياطين الإنس } مفعول لجعلنا ، أي جعلنا شياطين الإنس عدوا ، أو عطف بيان كما قدمت في { وجعلوا لله شركاء الجن } من أنه لا يشترط التطابق في التعريف والتنكير على ما اختاره الرضي .

والشيطان: قال في [الصحاح]: والشيطان معروف ، وكل عات من الإنس والجن والدواب شيطان ،

قال جرير:

أيام يدعونني الشيطان من غزل ... وهن يهوينني إذ كنت شيطانا

والعرب تسمي الحية شيطانا انتهى المراد .
ولعله خاص بما يضر بطريقة خفية كمن يغوي بتضليله أو بمكره وكيده أو حيلته قال تعالى { وإذا خلوا إلى شياطينهم } وقوله تعالى { يوحي } أي يوسوس أو يقول بطريقة خفية كما هي عادة المضلل يخفي تضليله لئلا يكشف باطله ، وقوله { بعضهم إلى بعض } لعله أظهر في وسوسة الجن للإنس ،
والزخرف: الزينة فزخرف القول: ما زينوه بوجه مرغب في قبوله ، والغرور: ما يغتر به كما أفاده في [الصحاح] أي يخدع به الغافل صفة لزخرف القول.

(٥٤٨/٢)

ولو شاء ربك ما فعلوه (١) فذرهم وما يفترون (١١٢) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولو شاء ربك ما فعلوه } :
أي أنه أراد أن يخليهم وشأنهم ، ولو شاء لسلبهم القدرة على ذلك فلم يفعلوه فهو تعالى لم يعص مغلوبا ، والضمير لما ذكر من العداوة والوحي .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فذرهم وما يفترون (١١٢) } :
ذرهم : أي دعهم أي اتركهم وما يفترونه مما يوحي بعضهم إلى بعض أي اتركهم مع باطلهم أي كل أمرهم إلي ولا تشتغل بهم فليس عليك إلا تبليغهم وقد بلغتهم فعادوك وخادعوا ليبطلوا الحق ، والواو في قوله { وما } واو المعية .

(٥٤٩/٢)

ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون (١١٣) (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة

وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون (١١٣) } :

تصغى : تميل { إليه } إلى ما يفترون الذي هو زخرف القول ، أو إلى زخرف القول { أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة } فلا يخافون العذاب فلذلك تميل أفئدتهم إلى سماع الباطل من شياطين الإنس والجن ؛ لأنه لا غرض لهم في طلب الحق ، وليرضوا زخرف القول ليرغبوا فيه ويقبلوه { وليقترفوا } وليكتسبوا من الإثم بسبب قبولهم لزخرف القول ما هم مكتسبون ، أي جعلنا لكل نبي عدوا يفسدون ويضلون ويفترون لتصغى { إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا } أي أرسلنا وأوحينا ما يغيظ الشياطين فيكونون أعداء للنبي ليترتب عليه ما ترتب من محاربتهم للدين وإضلالهم لغير المؤمنين ، (واللام) إما للتعليل المجازي أي شبه ذلك بالغرض المقصود في أن الله تعالى أنزل الحق الذي يغيظهم وهو يعلم ما يترتب عليه منهم لكنه لم يبال بهم لغضبه عليهم واستغنائه عنهم حتى كأنه يريد ذلك منهم فأكد الدلالة على عدم المبالاة بهم باللام تشبيها له بإرادة ما يكون منهم في أنه لم يصرفه عن إنزال الحق الذي يغيظهم ، وإما (لام العاقبة) كقوله تعالى { فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا } والأول أرجح في هذا السياق .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليهما السلام هذا يرجع إلى قوله يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا لتصغى إليه أفدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ولكنه من التقديم والتأخير ، (والواو) من قوله { ولتصغى } ليس لها معنى إلا الصلة والزينة للكلام ، ومعنى لتصغى : أي فعل الشياطين ووحيهم وكلامهم وزينوا [كذا] كذبهم ومحالهم لتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوا ذلك وليقترفوا ما هم مقترفون ، أي ليكتسبوا من الكفر ما هم مكتسبون ، أي ليكتسبوا ما كسب شياطينهم ، ومعنى { ما هم } ها هنا اسم لشياطينهم انتهى .

يعني أن الضمير في قوله تعالى { ما هم } راجع إلى الشياطين .

(٥٥٠/٢)

أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا (١)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا } :

قد حكم الله بإخلاص العبادة له ورفض الشرك كما يسمعون في هذه السورة حكما مبينا محفوفا بالحجة الصحيحة { أفغير الله أبتغي حكما } أفغير أحكم الحاكمين وأصدق القائلين وعلام الغيوب الذي هو الله أبتغي أحدا شأنه أن يحكم وأعدل عن الله الذي قوله الحق إلى غيره ليحكم ببطلان الشرك أو صحته ؟ وهذا كقول يوسف عليه السلام { إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه } فهو تنبيه وتعليم للجاهلين إنه ليس لمخلوق أن يقول في إثبات الشرك بما شاء ، فالمقلدون لآبائهم في الشرك اعتمدوا على قول آبائهم بغير الحق ؛ لأنه ليس لآبائهم أن يحكموا بما شاءوا { إن الحكم إلا لله } وقد مر في السورة هذه ، إلا أنه في هذه الآية كالتفريع على ما مر وهو { الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا } وهو الذي أقام الحجة وأتم النعمة بأن أنزل إليكم القرآن مفصل المعاني كقوله تعالى { أحكمت آياته ثم فصلت } أي واضح الدلالة على سبيل الهدى فقد حكم بالحق وقطع العلة ، فكيف أعدل عنه حكما إلى غيره بلا برهان ، وقوله { وهو الذي أنزل إليكم } ولم يقل : إلي ليدل على أنه قد حكم بيني وبينكم بالقرآن الذي أنزله خطابا لكم وحجة عليكم .

(٥٥١/٢)

والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق (١) فلا تكونن من الممترين (١١٤) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق } :

{ والذين آتيناهم الكتاب } علماء بني إسرائيل { يعلمون } أن هذا الكتاب { منزل من ربك } يا محمد { بالحق } بالحكمة والصواب فهو الحق وخلافه الباطل .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فلا تكونن من الممترين (١١٤) } : من الشاكين وهذا خطاب للنبي يقصد به غير النبي لأنه عطف على قوله تعالى { وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا } .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: وما أحسن قول المرتضى عليه السلام ذلك فإنه قال لم يكن

محمد من الممترين ولم يخبر الله سبحانه أنه من الممترين وإنما قال لا تكن منهم ، كما قال { لئن أشركت ليحبطن عملك } وهو فلم يشرك وهذا في اللغة جائز ..إلخ .

(٥٥٢/٢)

وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته (١)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته } قرئ { كلمة } بالإفراد و { كلمات } بالجمع وهو من العطف على قوله تعالى { أفغير الله أبتغي حكما } من حيث هو حكاية لكلام النبي بمعنى: قل أفغير الله ، أو تقول أفغير الله أبتغي حكما فأكد هذا بقوله { وهو الذي أنزل } والذين آتيناهم { وتمت كلمات ربك } فكلماته سبحانه أحكامه فيما أنزل من الكتب ومنها { أن لا إله إلا هو } وأمره بأن لا نعبد إلا إياه وكلمته هي هذه التي توارثها الأنبياء أنزلها على الأنبياء أولهم وآخرهم { صدقا } في معناها { وعدلا } في قضائها { لا مبدل لكلماته } كقوله فيما مر { ولقد كذبت رسل من قبلك.. } إلى قوله تعالى { ..ولا مبدل لكلمات الله } لأنه الحق لا يبدل لأن خلافه باطل والله يحكم لا معقب لحكمه .

(٥٥٣/٢)

وهو السميع العليم (١١٥) (١) وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون (١١٦) (٢)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وهو السميع العليم (١١٥) } :
{ وهو السميع } لا يخفى عليه قول { العليم } بكل شيء ولعله وعيد على من خالف حكمه تعالى من شياطين الإنس والجن وغيرهم .

(٢) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن

سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون (١١٦) } :

هذا أيضا راجع إلى قوله تعالى { أفغير الله أبتغي حكما } وأكثر من في الأرض المشركون وسائر المبطلين فقد انتشر الشرك في الأرض باختلاف صوره في العرب والعجم وفي أهل الكتابين وغيرهم ، وكذلك انتشر الباطل وشاع في الأرض باختلاف أنواعه تبعا لاختلاف الأهواء وللجهل وللشياطين { إن يتبعون } في دياناتهم ومللهم ونحلهم { إلا الظن } لا البرهان { وإن هم إلا يخرصون } ليسوا علماء إنما هم أهل تخمين وتقدير وظن كخرص الثمر وذلك لا يفيد علما ولا ينجي من الضلال بل بسببه وقع الضلال والإضلال من التابع والمتبوع .

وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : معناه يظنون ويكذبون انتهى ، قال الراغب: وحقيقة ذلك أن كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال [له] خرص سواء كان مطابقا للشيء أو مخالفا له من حيث أن صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع ، بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل الخارص في خرصه ، انتهى المراد .

ولعله يقال: الأولى تفسير { يخرصون } بيكذبون لأن الظن قد ذكر في قوله تعالى { إن يتبعون إلا الظن } والجواب: أن قوله تعالى { إن يتبعون إلا الظن } كلام في مستندهم ، وقوله تعالى { وإن هم إلا يخرصون } كلام فيهم أنهم ليسوا أهل علم في أباطيلهم ولا معتمدين على بينة معلومة كقوله تعالى { قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون } فدل ذلك على أن أكثر أهل الأرض لا يعتمدون على كتاب من الله ولا مستند شرعي ، وهذا وإن كان قد فهم من قوله تعالى { إن يتبعون إلا الظن } لكن قوله تعالى { وإن هم إلا يخرصون } يوضح أنه ليس لهم أصل معلوم يعتمدون عليه في ظنهم كمن يعتمد على دليل صحيح في أنه من الله ، ولكنه إنما يظن دلالته على ما يرى فليسوا كذلك بل ليسوا أهل علم ولا بينة من الله وإنما هم يخرصون فقوله تعالى { إن يتبعون إلا الظن } كلام فيما يتبعونه ، وقوله { وإن هم إلا يخرصون } كلام فيهم ببيان جهلهم بما يصح اعتماده والله أعلم ، هذا ويحتمل أنه بمعنى يكذبون فقد ثبت استعمال الخرص بمعنى الكذب والكذب وسيلة من وسائل الإضلال ، وقد قال تعالى { وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون } لكنه سبب للضلال خاص بالسامع فأما الكاذب نفسه فليس سببا لضلاله ، والكلام عام لأكثر أهل الأرض لبيان سبب ضلالهم فليتأمل .

(٥٥٤/٢)

إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١١٧) (١) فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين (١١٨) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١١٧) } :

وقد أعلمك بضلال أكثر من في الأرض وأعلمك بسبيل الإهتداء فاستمسك بالذي أوحي إليك .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين (١١٨) } :

تفريع على قوله { أفغير الله أبتغي حكما } وتأكيد ذلك بما عطف عليه لبيان أن حكم الله هو الحق ، والتأكيد بقوله تعالى { إن كنتم بآياته مؤمنين } لأن لا نحرم ما حرم الجاهلون من الأنعام التي كانوا يحرمونها كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وهذا ابتداء رد عليهم في هذا الشان بعد الرد عليهم في الشرك .

(٥٥٥/٢)

وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه (١) وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه } :

مالكم : كلمة إنكار واستبعاد مثل { مال هذا الكتاب لا يغادر } وهي سؤال عن السبب لترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما

اضطررتم إليه } :

وقد بين لكم ما حرم عليكم بيانا كاملا ولم يحرم عليكم تلك التي حرمتها الجاهلية { إلا ما اضطررتم إليه } والإستثناء من الضمير المحذوف الذي هو عائد الموصول أي حرمه عليكم { إلا ما اضطررتم إليه } فقد أحله ، وقد تكرر في القرآن الأمر بالأكل مما ذكر والراجح أنه كناية عن استحلاله ؛ لأن الغالب في السامعين أن لا يمتنعوا من الأكل منه إلا لاعتقادهم تحريمه أو شكهم فيه إذا لم يؤمنوا فقال { إن كنتم مؤمنين } لأن المؤمنين بما أنزل الله لا يرتابون في حل ما أحله الله وإن حرمه آباؤهم ، وإذا استحلوه أكلوا منه متى وجدوه لتوفر الداعي وعدم الصارف .

(٥٥٦/٢)

وإن كثيرا ليضلون Oخgح !#uq÷dr'خ/ بغير علم (١) إن ربك هو أعلم بالمعتدين (١١٩) (٢))

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وإن كثيرا ليضلون Oخgح !#uq÷dr'خ/ بغير علم } :
{ وإن كثيرا } من الإنس والجن { ليضلون عن } طريق الصواب { بأهوائهم } التي يتبعونها فتضلهم عن سبيل الله { بغير } استناد إلى { علم } وهذا لا ينافي اعتمادهم على الظن والخرص لأن اعتماده مما يهوون .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { إن ربك هو أعلم بالمعتدين (١١٩) } :
{ بالمعتدين } للحق الظالمين بتحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله ، فهذا اعتداء في ملك الله .
قال الراغب: والإعتداء مجاوزة الحق ، وقال في [الصحاح]: والعدوان الظلم الصراح وقد عدا عليه وتعدى عليه واعتدى كله بمعنى ، انتهى .

وهذا أقرب فتسمى مجاوزة الحق اعتداء من حيث هي ظلم فربك أعلم بالمعتدين ؛ لأن علمه محيط بهم وباعتدائهم وبسبب اعتدائهم وبسرهم ونياتهم فاستمسك بخبره عنهم .

(٥٥٧/٢)

#$!©%دïژ (خt/ur (1) ¨b$دغçmoY¼ ے #${OOMة كs"gچخrâ'sŒur t#
tI)tƒخژqçR%x. tbqèù#) /خy™ $yJ›مôf"tƒ zOOM}$# tb÷rt٣،إtbqç7
اتثةب (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . } (#كs"gچخrâ'sŒur t
: { t/ur$دغçmoY¼ ے #${OOMة
ذروا: اتركوا { ظاهر الإثم } ما يظهر للناس من بعضهم { وباطنه } ما يخفى بإسرار أو كتمان ، أو بإضمار في القلب .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . } ¨bخ) ژدïi%©!$# tbqç7،إ٣ tƒ
: { اتثةب tI)tƒخژqçR%x. tbqèù#) /خy™ $yJ›مôf"zOOM}$# tb÷rt
قال في [الصحاح]: الإثم الذنب انتهى .

وعلى هذا فهو عام يدخل في عمومه الفواحش والبغي ، وكسب الذنب تحمله ، والإقتراف الإكتساب هنا ، وأصل الكسب العمل لتحصيل الرزق فاستعمل في كسب الإثم لأن الإنسان يطلبه كأنه فائدة يستفيدها أو هو تهكم بالمذنب ، أو مشاكلة تقديرية لأن الذي ينبغي للإنسان أن يسعى لما ينفعه ، والمذنب جعل الذنب بدلا مما ينفعه ، وقوله تعالى { بما كانوا يقترفون } يفيد التكرار ، فيدل على أنه لا يدخل في عمومه صاحب الزلة الذي لا يصر عليها .

(٥٥٨/٢)

مm‹n=tد #$!" #$™Oق ƒم›.xجچ B Os9دwur (#qè=à2ù's? $£Jں
(s9 (1دے،،× ur(خçm¯R¼

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر :

مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ںJ£$?s'ùz2à=èq#) ruwد B
: { ×،،دےs9 ¼R¯çm(خur "!$# دt=n‹mم (ƒق‹O™$# جچx.‹مƒ 9sO

{ مالم يذكر اسم الله عليه } يعم الميتة ونحوها ، ويعم ما أهل به لغير الله ولم يذكر عليه اسم الله .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال المرتضى عليه السلام فنهاهم الله سبحانه عن أكل ذبائح الملحدين والجاحدين المشبهين والكفرة المتمردين لأن هؤلاء كلهم غير عارف بالله عز وجل ولا مقر وإنما يعرفه من آمن به وصدق رسله ووحده ، وذبائحهم فميتة غير ذكية لا يحل أكلها ، ولا يسع مسلما الإنتفاع بها انتهى .

قلت: يعني أن المشبه غير عارف بالله فهو إذا سمى يعبر باسم الله عن الصورة التي يتوهمها فلم يسم الله على الحقيقة .

}

وإنه لفسق } قال الهادي عليه السلام في [الأحكام في كتاب الذبائح]: فأنزل الله سبحانه { ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه } فحرم بذلك الميتة وما ذبحت الجاهلية لغير الله ، ثم قال: { وإنه لفسق } يريد أن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه فمعصية انتهى .

(٥٥٩/٢)

¨b(خur ڈüد"qbt #$9±O‹uمqmم›n'# 9s>خ) Oخgح !$u›د٩÷rr&
N.qن٩د‰%"fyم›د٩ ÷b(خqdèN urكsè÷GçJغr& N0٣¯R(خ
qbt.qز(QmRç³ô اتثتب (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ¨b(خur ڈüد" #$9±O‹u
qbtمqmم›n'# 9s>خ) Oخgح !$u›د٩÷rr& N.qن٩د‰%"fyم›د٩ ÷b(خ ur
qdèNكsè÷GçJغr& N0٣¯R(خ qbt.qز(QmRç³ô اتثتب } الأقرب أن المراد شياطين الجن يوسوسون إلى أوليائهم من الإنس الدعاة ما هو اتباع الشياطين { ليجادلوكم } ليغالبوكم بما يوسوسون به من الشبهة والتلبيس والتغرير والخداع { وإن أطعتموهم } وإن وافقتموهم على ما جادلوكم لأجله وسلمتم لهم تحليل ما لم يذكر اسم عليه { إنكم لمشركون } بتحليل ما حرم الله لأنكم جعلتم الحكم لغير الله وهو إشراك في ملك الله لغير الله سبحانه ، وقد أكد الحكم بالشرك بـ(إن واللام) فيبعد حمله على المجاز مع أن الأصل الحقيقة وقد قال تعالى { ولا يشرك في حكمه أحدا }

وقال تعالى { ولم يكن له شريك في الملك } فظهر أن جعل الحكم لغير الله من الشرك الأكبر الذي هو شرك العدل بالله سبحانه .

(٥٦٠/٢)

ômr'sù $oYù=yèy_ur ڈoY÷ u"tB çmڈtb%x. $\G &tBurr`
sW¨B#é&م¼ .Y9$# `yJx¨$¨ؤ ûخ† /خmد¾ ôJtƒ´سإ ¼çms9 #Y'qçR
'ûخ دM"#$9à–=èJyّ {§ڈl8 s9حsƒ$'؟٢ $pk÷[دiB (1) (iB

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { **&tBurr` $\G tb%x.ڈtB**
u"çm ڈoY÷ #Y'qçR¼çms9 $oYù=yèy_ur ômr'sù ôJtƒ´سإ ¾mدخ/
ûخ† ؤ¨$¨yJx` #$9Y. ¼م&é#B¨Ws 'ûخ دM"#$9à–=èJyّ {§ڈ s9
8lح'$ƒs؟٢ $pk÷[دiB } :

هذه الآية الكريمة تبين أنه لا يستوي من هداه الله للإيمان وعلمه القرآن وسائر ما جاء به الرسول ومن لم يزل في الجاهلية الجهلاء قد أصر على الكفر حتى خذل فهو لا يزال في ظلمات الجاهلية { ليس بخارج منها } فكأنه في الظلمات لا يبصر الطريق ولا يزال فيها فقد تراكمت عليهم الظلمات ظلمة الجهل السبيط وظلمة العقائد الباطلة من الشرك وغيره ظلمة الجهل المركب وظلمة الأثام والظلم التي ترين على القلوب وظلمة الحواجز بينهم وبين الإيمان من الكبر والحسد والتعصب للآباء ولدينهم الذي نشأوا عليه وتزيين الشياطين لهم ما هم عليه وغير ذلك ، وقوله تعالى { أومن كان ميتا } سؤال إنكاري أي لا يكون من كان ميتا بالجهل أو بالكفر { فأحييناه } هديناه للإيمان فصار مؤمنا حي القلب بالإيمان { وجعلنا له نورا } علمناه ما جاء به الرسول من الهدى { يمشي به في الناس } يعمل بالخير مع المؤمنين ويكون مع الصادقين { كمن } صفته أنه { في الظلمات } .
قال في [الكشاف]: ومعنى قوله { كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها } كمن صفته هذه وهي قوله { في الظلمات ليس بخارج منها } بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله تعالى { مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار } أي صفتها هذه وهي قوله { فيها أنهار } انتهى .
فعلى هذا الظلمات مجاز عن الجهل والشرك وسائر ما ذكرت .

(٥٦١/٢)

ڑپد٩؛z .x‹x`خƒiم– tûiجچدے"s3ù=د٩ $#qçR%x$) tB. ڑƒtè÷Jy=cqè اتثب
(١) y7د٩؛yèy=ùZu$ ur.x‹x_ 'خûi بe@ن. >ƒptچu %s؛ژ٩"ں٢r&
$ygڈدBچjfôrم#) Bچuم6ôJuà‹د٩ $ygڈد2) ù)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ڑپد٩؛z .x‹x`خƒiم–
tûiجچدے"s3ù=د٩ $#qçR%x$) tB. ڑƒtè÷Jy=cqè اتثب } :

كما زين لهذا الذي في الظلمات ما كان مستمرا عليه آلفا له من أعماله الباطلة { زين للكافرين } كلهم { ما كانوا يعملون } ولعل الكلام الأول في شياطينهم ، أو في كبير شياطينهم كأبي جهل ، فقوله تعالى { كذلك } إشارة إلى ما فهم من قوله تعالى { ليس بخارج منها } وهو أنه قد زين له ما كان يعمل .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { y7د٩؛yèy=ùZu$ ur.x‹x_ 'خû
بe@ن. >ƒptچu %s؛ژ٩"ں٢r& $ygڈدBچjfôrم#) Bچuم6ôJuà‹د٩ $ygڈد2ù
} :

وكما جعلنا هذا الذي في الظلمات حيث هو أي في مكة { جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها } وجعلهم في كل قرية اسكانهم فيها حتى صاروا أكابر مجرميها ليمكروا بأهل الحق وبأتباعهم من مجرميها ، وهذه اللام مثلها في قوله تعالى { ليقولوا درست } وقوله تعالى { ولتصغى } وقد مر قريبا مبسوطا.

(٥٦٢/٢)

$tbr& tBurچمw ƒtJôà6àخ) Nحkإ¦àےrR'خ/ $tbr& tBurل oم±ôè" اتجب (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { $tbr& tBurچمw ƒtJôà6àخ)
Nحkإ¦àےrR'خ/ $tbr& tBurل oم±ôè" اتجب } :

ولا يضر المؤمنين مكرهم فالحصر إضافي ، أو الضمير في أنفسهم راجع إلى { مجرميها } كقوله تعالى { فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم } وقوله تعالى { وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم } وهذا لأنهم يضلون بالمكر من يتبعهم ، قال تعالى { فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم } فقوله تعالى { وما يشعرون } أي وما يشعرون أنهم لا يضر مكرهم إلا من هو مثلهم في الإجرام ، والأول أرجح ، فالمعنى إنهم يمكرون ضد الإيمان { وما يمكرون } هذا المكر { إلا بأنفسهم } لأن إثمه عليهم لا يتعداهم فهم يمكرون بأنفسهم يحتالون في تعذيبها وما يشعرون بذلك .

(٥٦٣/٢)

B÷sœR ﺩ`s% `s9 z$٩ﻥq#) ﻥy` ×ptƒ#u%!ﻥg?uﻙur N(ﺥsŒ#
#$!ﻫ (١) #$!" 'â™ﻙ@ﻡ &Aréﺥ'B !$tB uﺩV÷@ﻥ Lym 4'tA÷sçR®ﺱ4
'ﺡ™yègs† ¼çmtGs9$y@ﻡ ym›[ﻙ &rﻡNn=ôﻡ (٢)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { #ŒsﺥN(ruﻙu?gﻥ!% `y ﻥ×ptƒ#u ﻥ)q#ﻥ٩$z 9s` %s`ﺩ4 B÷sœR ﺱ®R çs÷At'4 Lym ﻥ@÷Vﺩ B u!$tB 'ﺥAré& ﻡ@ﻙ™â' "!$# ﻫ!$# ﻡô=nNﻡr& ﻙ[›my ﻡ@ †sgèy y$9sGtmç ¼™ﺡ' } :

قال الشرفي رحمه الله : قال المرتضى عليه السلام هذا إخبار من الله عز وجل عن الظالمين الخونة الكافرين أنهم إذا جاءتهم آية من آيات الله سبحانه مع محمد صلوات الله عليه وآله وسلم تبهر العقول وتصحح النبوة { قالوا لن نؤمن } بها { حتى نؤتى } مثلها كما أوتيها فإذا أوتينا ذلك آمنا وصدقنا أنه من الله عز وجل فقال سبحانه :

(٢) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ﻫ!$# ﻡô=nNﻡr& ﻙ[›my ﻡ@y$9sGtmç ¼ †sgèy™ﺡ' } :

أراد أنكم لستم في موضع الرسالة ولا منزلة الطهارة ولا بأهل ثقة ولا أمانة فاختار الله سبحانه لرسالته

وما أنزل من حجته محمدا لأمانته وفضله ومعرفته بالله عز وجل وقدره عنده ، وقد يروى أن الذي قال هذه المقالة الوليد بن المغيرة المخزومي وأبو مسعود الثقفي انتهى [أي كلام المرتضى الذي حكاه في المصابيح] وقد مر في السورة قوله تعالى { وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين } فيحتمل أن هذا الجواب هو المراد في هذه الآية ، أو كلا المعنيين ، وهذا أظهر لاختلاف سبب الجواب ، وما ذكره المرتضى عليه السلام من قوله إنكم لستم في موضع الرسالة تفيده الآية بطريقة التعريض ومعونة الحال ، فأما أصل السياق فهو يدل على أن محمدا أهل للرسالة وأن غيره لا يصلح أن توضع فيه الرسالة ، وفيها مدح عظيم لرسول الله من حيث دلت على أن الله اختاره للرسالة لأنه محلها الذي يصلح لها ، وقد روي عن رسول الله الدعاء بين الجلالتين :

"اللهم أقل العثرة واغفر الزلة واغسل الحوبة واقبل التوبة وتجاوز عن الخطيئة وارحم من لا ناصر له سواك" وهذا الدعاء خضوع لله تعالى وابتعاد عن العجب أو الفخر كما قال نبي الله نوح عليه السلام فيما حكاه الله عنه { وقال اركبوا فيها.. } إلى قوله { ..إن ربي لغفور رحيم } .

(٥٦٤/٢)

---

ur ےx‹t#<ز #$!" ےدî'$t | ¹ y‰Y &ô_rچBtےq#) #$!©%دy™ tûïےإ‍=ڈ. $yJ‰د7‰ƒ /خx© tbr#) ôJtƒ٣مچقçR%x. اتثحب (١)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ڈ=إ‍ےtûï ™y‏د%©!$#
(#q‏ےtBچr_ô& Y‰y ¹ | t$'îدے "!$# ز>#t‹xےur 7‰ƒدJ‰yJ$ ©x‏خ/
(#rbt .x%Rçq‏مچ٣ƒtJô اتثحب } :

{ صغار } حقارة وهوان وذلة وهو جزاء مناسب لتكبرهم عن الإيمان ، ومكرهم ضده ، والذين أجرموا الذين جنوا وأذنبوا وقوله { صغار عند الله } عند لقاء الله في الآخرة { بما كانوا يمكرون } بما تكرر منهم من المكر كله لا يضيع منه شيء ، ولعل هذا راجع إلى ما حكاه الله عز وجل عن شياطين الإنس والجن وعن أكابر المجرمين وعن القائل { لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله } وعيد على الكل .

(٥٦٥/٢)

جاهز

yJsù` يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء } :

قال الشرفي في [المصابيح]: وفي هذه الآية وتفسيرها يقول القاسم عليه السلام : تأويلها من يرد الله أن يرشده فيزيده هدى على هدى لأنه لا يعطي الهداية إلا من اهتدى كما قال تبارك وتعالى في زيادته لهم هدى إلى هداهم : { والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم } والتقوى فمن الهدى ، وآتى فمعناها أعطى فهو آتاهم التقوى بتبصرته وتقويته لهم على ما عملوا منها وبمنعه لهم تبارك وتعالى من الضلالة ونهيه لهم عنها ، وليس بين الضلال والهدى منزلة هادية لأهلها ولا مضلة { فمن يرد الله أن يهديه } بعد الهدى { يشرح } يريد يفسح { صدره } للتقوى { ومن يرد أن يضله } بعد الضلالة والعمى { يجعل صدره } بما اتبع من الضلالة والهوى { ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك } يفعل الله بأهل الضلالة والإعتداء ، انتهى انتهى .

وقال الشرفي حاكيا عن المرتضى عن أبيه الهادي عليه السلام في جملة كلام: وأما تضييق الصدر الذي ذكر الله سبحانه أنه يفعله بعبده فإنما ذلك خذلان من الله لأهل المعاصي على ما يكون من جرأتهم على الله عز وجل وإقدامهم على معاصيه ، فإذا حادوا الله وخالفوه وبإظهار المعصية باينوه خذلهم وتبرأ منهم فعدموا التوفيق فضاقت صدورهم واختلطت عليهم أمورهم بما استجلبوه في معصيتهم جزاء على فعلهم ، قال الله تعالى { إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم } والله تعالى ليس يظلم عبيده ولا يخرجهم من طاعته ولا يدخلهم في معصيته بل طريق الرشد هداهم وسبيل نجاتهم آتاهم كما قال عز وجل { إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون } انتهى المراد نقله من [المصابيح] .

وأما { حرجا } فقال في [الصحاح]: مكان حرج وحرج أي ضيق كثير الشجر لا تصل إليه الراعية انتهى .

كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون (١٢٥) (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . {كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون (١٢٥) } :

فاستحقوا بتركهم الإيمان وإصرارهم على الكفر أن يضيق صدورهم عن الإسلام فيثقل عليها لا بمعنى أنه يخلق الكفر فيها ولا يجبرهم عليه ولكن يكرهونه لثقله ولضيق صدورهم عنه وعدم رغبتهم فيه ، فجعل الرجس هو الإضلال المذكور في قوله تعالى { ومن يرد أن يضله } فيكون حاصل المعنى: كذلك يضل الله الذين لا يؤمنون وسمى الضلال رجسا لقذارته من حيث كونه كالسبب للعصيان والإستمرار على ترك الإيمان ، وقد فسر الهادي عليه السلام جعل الصدر ضيقا بالخذلان المؤدي إلى الضيق ، وذلك لأن الشياطين تزين له الباطل وتذكره ثقل الإيمان لما فيه من التكليف لرفض الهوى وتحمل التكاليف الشرعية والخضوع للحق ورفض الكبر والحسد وتوسوس له أنه لا يستطيع هذا في حال أنه فاقد للطف قد خلي بينه وبين شياطين الإنس والجن كما قال تعالى { ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون } فنسبة التضييق إلى الله كنسبة الإفساد للولد إلى والده إذا أهمل تربيته وتركه يتبع هواه ، إلا أن تضييق صدر الذي لا يؤمن حق ؛ لأنه عقوبة على تمرده على الله ، وفي هذا الكلام دلالة على أن الله غني عنهم لا يبالي بضلالهم ، وأنه قد غضب عليهم وفي ذلك غاية التحذير من التعرض للخذلان .

(٥٦٧/٢)

وهذا صراط ربك مستقيما (١) قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون (١٢٦) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وهذا صراط ربك مستقيما } :
طريق ربك أي سنته في الهداية والإضلال ليس له طريق غيره وهو صراط مستقيم لا عوج فيه ؛ لأنه إحسان إلى المؤمن وعدل في الكافر.

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر :

مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قد فصلنا الآيات } أي قد بينا الآيات بيان تفصيل { لقوم يذكرون (١٢٦) } بتذكير الله لهم وينتبهون من غفلتهم ببيان الله لهم فهم الذين ينتفعون بالآيات وقد فصل الله في هذه السورة وبين عظمته وجلاله واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له وبين سبيل المشركين وبين ضلالهم واستحقاقهم للإضلال ، وفصل الكلام في ذلك تفصيلا نافعا للمؤمنين وكذلك في غير هذه السورة من القرآن الحكيم .

(٥٦٨/٢)

---

* لهم دار السلام عند ربهم (١) وهو وليهم بما كانوا يعملون (١٢٧) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { * لهم دار السلام عند ربهم } :
للقوم الذين يذكرون دار السلام وهي الجنة التي وعد المتقون فهي دار السلامة من كل شر ومن كل ضر ومن كل عناء ومن كل غم ومن كل مكروه .
قال الشرفي في [المصابيح]: ومعنى { عند ربهم } أي في ضمانه كما تقول: لفلان عندي حق انتهى المراد.

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وهو وليهم بما كانوا يعملون (١٢٧) } :
{ وهو } أي ربهم { وليهم } المتولي لرعايتهم وإصلاح شأنهم وصرف كل مكروه عنهم ، وإعطائهم من الثواب ما فيه سعادتهم ومن فضله ما يشاء بسبب ما كانوا يعملون في الأيام الخالية ، أي أعمالهم الصالحات التي كانوا يعملونها .

(٥٦٩/٢)

ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس (١) وقال أولياؤهم من الإنس (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ويوم يحشرهم جميعا } :

واذكر يوم نحشر العباد الذين هديناهم والذين أضللناهم مجموعين في موقف العرض على الله فنقول :
{ يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس } :
أخذتم من الإنس أتباعا لكم كثيرا ، وقد روي أنهم من بني آدم من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وقال أولياؤهم من الإنس } :
{ أولياؤهم } أولياء الجن والمراد بالجن شياطينهم ، وفي هذا دلالة على كثرتهم بالنسبة إلى الصالحين منهم حتى كأن الصالحين غير موجودين لقلتهم ، وكان شياطينهم هم الجن كلهم فقال { أولياؤهم } أي أتباعهم الذين صاروا معهم :

(٥٧٠/٢)

ربنا استمتع بعضنا ببعض (١) وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ربنا استمتع بعضنا ببعض } :
استمتعنا بهم واستمتعوا بنا ، أي نلنا بهم أي بسببهم أغراضا دنيوية تهواها أنفسنا ، ونالوا بنا أغراضا لهم تهواها أنفسهم ، أي بسببنا فكأنا طلبنا بهم متاعا لنا وكأنهم طلبوا بنا متاعا لهم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا } :
{ وبلغنا } نحن والجن { أجلنا الذي أجلت لنا } والراجح أن الأجل هنا أجل الحياة الآخرة وموعد لقائهم لربهم إقرار منهم بذلك حين لا ينفعهم الإقرار ، والأجل الواحد هو موعد لقائهم لربهم ووقوفهم موقف الحساب .

(٥٧١/٢)

قال النار مثواكم خالدين فيها (١) إلا ما شاء الله (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قال النار مثواكم خالدين فيها } :
كقوله تعالى { أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب } فرتب على إقرارهم ببلوغ الأجل إخبارهم بأن النار مثواهم أي مقرهم { خالدين فيها } باقين فيها لا يموتون .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { إلا ما شاء الله } :
إلا مدة الموقف والسؤال فيه والحساب وما يكون فيه من الإحتجاج عليهم فهو استثناء من المدة المفهومة من قوله { النار مثواكم خالدين فيها } لأنه لولا الإستثناء لكان معنى الكلام أنها مقرهم باقين فيها من الآن .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال في [البرهان]: وهذا الإستثناء منه في مدة العرض يوم القيامة ، وذلك ما بين بعثهم من قبورهم إلى حين مصيرهم إلى جهنم فكأنه قال: النار مثواكم إلا في هذه المدة التي ذكرها فإنهم غير خالدين [في النار] إلخ كلامه .

(٥٧٢/٢)

إن ربك حكيم عليم (١٢٨) (١) وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون (١٢٩) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { إن ربك حكيم عليم (١٢٨) } :
فهو يجزي على مقتضى الحكمة ، ولا يهمل الجزاء بعد تمكينهم في الدنيا من أسباب العذاب من الشرك والظلم وأنواع الفساد في الأرض ، وقد علل بعزته وحكمته تعالى في قوله تعالى {كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما } وقوله تعالى { عليم } يفيد علمه باستحقاقهم العذاب الدائم ، وعلمه بما عملوا في الدنيا مما استحقوا به العذاب .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون (١٢٩) } :

نولي: نجعله واليا عليه يستحوذ عليه ويكون له عليه سلطان وقوة على إغوائه ، وذلك بالتخلية والتمكين من غير سلب القدرة عن التابع { وكذلك } وكما ولينا شياطين الجن أتباعهم من الإنس { نولي بعض الظالمين } من الجن أو الإنس { بعضا } من الجن والإنس { بما كانوا يكسبون } أي عقوبة بذنوبهم التي كانوا يكسبونها أي تكررت منهم واستمروا وأصروا عليها حتى استحقوا الخذلان والتسليط عليهم ، وهذه الآية الكريمة جملة معترضة بين قصة المشركين يوم الحشر .

(٥٧٣/٢)

يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا } :

هذا تصوير لموقف المشركين يوم الحشر من قوله تعالى { ويوم نحشرهم جميعا } وهذا سؤال احتجاج عليهم بأن الرسل قد جاءتهم يبينون لهم آيات الله الدالة عليه وعلى توحيده وعلى بطلان الشرك وينذرونهم ملاقاة يوم حشرهم وما فيه من العذاب الشديد ، وقوله تعالى { رسل منكم } قيل: المراد من جملتكم تعرفونهم ويمكنكم التعلم منهم وهم من الإنس ، والظاهر أن الرسل من الثقلين ولا ينافيه أن محمدا إليهم كلهم ؛ لأنه يصدق بالرسل من قبله ، ولا مانع من وجود رسل من الجن قبل محمد فلا موجب للتأويل ، وقيل: الرسل يعم رسل الله ورسلهم فرسل الله من الإنس ولهم رسل من الجن يبلغونهم فيقصون عليهم الآيات وينذرونهم وحجتهم حجة رسل الله ، وهذا قريب إلا أن المتبادر من الرسل رسل الله ، وليس في القرآن أنهم أرسلوا إلى الجن رسلا من الجن ، فأما قوله تعالى { وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن.. } إلى قوله تعالى { ..ولوا إلى قومهم منذرين } فليس فيه أن محمدا أرسلهم .

فإن قيل: هم رسل الله أيضا إلى قومهم ؛ لأنه وجب عليهم التبليغ ؟

قلنا: هذا لا يثبت لهم اسم الرسالة من الله حقيقة كما أن الطائفة في قوله تعالى { فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم } لم يثبت لهم اسم الرسالة من الله ، وكذلك المبلغون من العلماء بعد الرسول لا يقال لهم رسل الله ، ولذا قال بعض المشركين { لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما

أوتي رسل الله } أي من الوحي إليهم وإيتائهم الصحف المطهرة فرد الله عليهم بقوله { الله أعلم حيث يجعل رسالاته } فظهر أن اسم الرسالة خاص بمن أوحى الله إليه شريعة ليبلغها .
وقوله تعالى { يقصون } كقوله { يتلون } لأنهم يبلغون آيات الله كما جاءت الرسل من الله .
قال الراغب: القص تتبع الأثر ، يقال: قصصت أثره ، ثم قال: والقصص الأخبار المتتبعة إلخ.

(٢/٥٧٤)

قالوا شهدنا على أنفسنا (١) وغرتهم الحياة الدنيا (٢) وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (١٣٠) (٣)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قالوا شهدنا على أنفسنا } :
بأن الرسل قد أتتنا كما قال الله تعالى أقروا بما سألهم الله عنه ها هنا وعلموا أن قد لزمتهم الحجة ولم يبق لهم حجة .

(٢) . { وغرتهم الحياة الدنيا } :
فآثروها على طاعة الله ، وهذه جملة ذكرت بين قصة المشركين لبيان سبب إعراضهم عن الرسل المنذرين وردهم لآيات الله .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٣) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (١٣٠) } :
{ أنهم كانوا } في الدنيا { كافرين } بالله ورسله وآياته .

(٢/٥٧٥)

ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون (١٣١) (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ذلك } : أي إرسال الرسل إلى الإنس والجن وتبليغهم الآيات وإنذارهم يوم القيامة وما يكون فيه من الجنة والنار والجزاء بهما .

{ أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون (١٣١) } :

أي لأن لم يكن أي بسبب أن لم يكن { ربك مهلك القرى } ظلما { وأهلها غافلون } لم يعلموا لعدم إبلاغهم الآيات والإنذار ولم يأتهم تذكير من غفلتهم .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: قال المرتضى عليه السلام فأخبر سبحانه أنه لا يهلكهم وهم غافلون ؛ لأن الإهلاك لهم على غفلة من غير دعوة ظلم ، والله عز وجل بريء من ذلك متعال عنه لا يعذب إلا من بعد الإعذار والإنذار ..إلخ .

فهذه الآية كقوله تعالى { رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل } إلا أن هذه الآية تشير إلى أن ما سبق في الدنيا من إهلاكه تعالى للقرى لم يكن إلا بعد إقامة الحجة عليهم وهي قرى المشركين من عاد وثمود وأصحاب مدين وغيرهم كما ذكرها سبحانه في سورة الأعراف وسورة هود وغيرهما ، قال تعالى في سورة هود { ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك } .

(٥٧٦/٢)

ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون (١٣٢) (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون (١٣٢) } :

{ ولكل } من أهل القرى { درجات } متفاوتة من أعمالهم ، فبعضهم أشد عصيانا وتمردا وكفرا من بعض { وما ربك بغافل عما يعملون } عن أعيان معاصيهم وعددها ومقاديرها في القبح وتسبيبها لاستحقاق العذاب بل هي محصاة في علمه لا ينساها ذواتها وصفاتها ، فهم صائرون بعد إهلاكهم العام بتدمير القرى إلى جزاء كل منهم لكل سيئة بمثلها ولا يظلم ربك أحدا .

(٥٧٧/٢)

وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء (١) كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين (١٣٣) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم } أيها الناس { ويستخلف من بعدكم ما يشاء } :
من خلق جديد يستخلفه في الأرض كقوله تعالى { إني جاعل في الأرض خليفة } فهو قادر على ذلك غير محتاج إلى عيشكم في الدنيا .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . {كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين (١٣٣) } :

ولو كان محتاجا إليهم ما أماتهم ، ولو لم يكن قادرا على أن يأتي بآخرين يستخلفهم ما استخلفكم في الأرض ، ولكنه برحمته يبقيكم في هذه الحياة إلى آجالكم كقوله تعالى { وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب } فمن الرحمة تأخيرهم تعريضا لهم على التوبة وتمكينا منها في بقية أعمارهم مع أنه غني عنهم ، أما تأخير المؤمنين فهو أبلغ في الرحمة ؛ لأنهم يكتسبون في هذه الحياة ثواب الآخرة وسعادتها الدائمة ، ويظهر أن هذه الآية غير خاصة بالعصاة لابتدائها بقوله تعالى { وربك } والظاهر أنه خطاب للرسول .

(٥٧٨/٢)

إن ما توعدون لآت (١)!tBur$ أنتم بمعجزين (١٣٤) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { إن ما توعدون لآت } :
إنما توعدونه من الآخرة وما فيها من الثواب والعقاب لا بد أنه آت ؛ لأنه لم يخلقكم في هذه الحياة بطريقة إنشاء قرن بعد قرن يهلك قرنا ويأتي بآخرين لم يخلقكم عبثا ولا لحاجة إليكم إنما خلقكم

تقديما وإعدادا للآخرة التي وعدتم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وما أنتم بمعجزين (١٣٤) } :
بل نحن قادرون على إعادتكم وجزائكم بعد الإعادة وقادرون على جزائكم لا تعجزوننا في الدنيا بقوة ولا بعدها بموتكم ، وهذه كقوله تعالى { ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين }

قال الراغب في تفسير العجز: وصار في التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء ، وهو ضد القدرة { قال أعجزت أن أكون } وأعجزت فلانا وعجزته وعاجزته جعلته عاجزا انتهى المراد .
وهذا هو الظاهر فتفسير الإعجاز بالفوات إنما معناه أنه عجز عن إدراك الفائت.

(٥٧٩/٢)

قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل } :
ذكر صاحب [لسان العرب] وصاحب [القاموس] معنى المكانة التؤدة ، فعلى هذا يصح تفسير المكانة في الآية بالتؤدة بمعنى الأناة ، أي اعملوا على أناتكم في عملكم أي غير معجلين عنه ، وهو تأكيد لتركهم على ما هم عليه إحالة لهم إلى الجزاء ، وذكر الراغب تفسير المكانة المكان وحكاه صاحب [لسان العرب] عن أهل اللغة ، وقال صاحب [الكشاف] المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة إذا تمكن أقصى التمكن ، وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة انتهى .
وذكر صاحب [القاموس] تفسيرا للمكانة المنزلة عند الملك ، وحكاه صاحب [لسان العرب] عن بعض أهل اللغة ، وقال في [لسان العرب]: ابن سيده وتمكن من الشيء واستمكن ظفر ، والإسم من كل ذلك المكانة انتهى .
وحكى في [لسان العرب]: قال بن بري وقد جاء مكن يمكن انتهى ، وظاهره أنه غريب ، وتفسير المكانة بالتؤدة أنسب لاستعمال على في الآية .

قال في [اللسان]: أبو زيد يقال امش على مكينتك ومكانتك وهينتك ، قال قطرب: فلان يعمل على مكينته أي اتئاده انتهى .

فأما استعمال المكانة بمعنى المنزلة عند الملك فهو خاص بمحله ولا يناسبه سياق الآية ، واستعمال المكانة بمعنى المكان يكون مع (في) أو (الباء) فلو كانت التلاوة: (بمكانتكم) أو (في مكانتكم) صلح ذلك .

ويمكن تفسير المكانة بالظفر أي على ظفركم بمطلوبكم من دنياكم كأنه قيل: على مكانتكم مما نلتم من المال ونحوه ، وهذا المعنى هو الذي اختاره صاحب [المصابيح] إلا أنه فسره بقوله: أي من جهتكم التي أنتم فيها فصيرها بمعنى المكان .

وقال الشرفي في تفسير سورة هود: والمعنى حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة ، وفسره في أواخر سورة هود على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي أنتم عليها فكأنه جعلها بمعنى المكان ، أما صاحب [الكشاف] فقد فسرها على المعنيين الذين ذكرهما فقال: وقوله { اعملوا على مكانتكم } يحتمل اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم ، أو اعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها ، يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله: على مكانتك يا فلان ، أي اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه انتهى .

قلت: ليس في الآية اثبتوا ، ولذلك يكون المعنى على كلامه الأخير اعملوا على ما أنتم عليه ، وهذا ليس بالقوي ؛ لأنه مجمل والأقوى المناسب للسياق ما قدمته وهو الذي صدره صاحب [لسان العرب] في تفسير المكانة وصاحب [القاموس] فالمعنى: اعملوا بدينكم متروكين عليه إني عامل بديني وهو جار مجرى { اعملوا ما شئتم } .

(٥٨٠/٢)

فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار (١) إنه لا يفلح الظالمون (١٣٥) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار } : { فسوف تعلمون } عند الموت أو نزول العذاب العاجل أو يوم القيامة { من تكون له عاقبة الدار } الآخرة أي ما فيها من العاقبة المحمودة كقوله تعالى { والعاقبة للمتقين } أما أنا جزاء على عملي ، وأما أنتم جزاء على شرككم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { إنه لا يفلح الظالمون (١٣٥) } :
الفلاح: الظفر والفوز ، فلا يفلح الظالمون ؛ لأن الظلم ليس إلا سببا للعقاب لا للظفر بعاقبة الدار .

(٥٨١/٢)

وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا $oYحY! %u.xژ³àد٩
(١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا $oYحY! %u.xژ³àد٩ } :
جعلوا: بأن حكموا به لله ، أو نذروا به له { مما ذرأ } مما خلق فهو في حكم الحق له وحده ؛ لأنه الذي خلقه ، والحرث: قال الراغب الحرث إلقاء البذر في الأرض وتهيؤها للزرع ، ويسمى المحروث حرثا انتهى المراد .
قال الشرفي في [المصابيح]: والحرث الزرع هاهنا ، ويقال الحرث أرض الزرع ومنه قوله تعالى { نساؤكم حرث لكم } انتهى .

قلت: الزرع هنا عبارة عن النبات المعروف فجعلوا قوله تعالى { أن اغدوا على حرثكم } أي على زرعكم ، ولعله تسمية الشيء باسم محله ؛ لأن الله تعالى فرق بين الحرث والزرع في قوله تعالى { أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون } { فقالوا هذا } الحرث { لله بزعمهم } بدعواهم وبناء على دينهم الباطل لا على الحق إن ذلك كله لله وحده { وهذا } أي الآخر من الحرث والأنعام { لشركائنا } وهذا من باطلهم .

(٥٨٢/٢)

فما كان Nخgحr !%u٢ںژ³àد٩ فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى Oخgحr !%u٢ںژ1) °à) ساء ما يحكمون (١٣٦) (٢)

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فما كان Nخgح !%ں٢uĵ³àد٩ فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى Oخgح !%ں٢uĵà° } :
ما جعلوه لشركائهم لم ينفقوه لله حبا لشركائهم وحماية لحقها بزعمهم ، وما جعلوه لله فهو وحده يصل إلى شركائهم لأي سبب عندهم كأن يكون ما جعلوه لشركائهم قد تلف وأرادوا أن ينفقوا لآلهتهم فينفقون ما هو لله بزعمهم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ساء ما يحكمون (١٣٦) } :

ما أسوأ ما يحكمون أي حكمهم الباطل الجائر من حيث أنهم جعلوا لشركائهم ما ليس لها ولا تملك شيئا ، ومن حيث أنهم يوصلون إليها ما قد جعلوه لله ولا يرضون بالعكس ، ومن حيث أنهم جعلوا ما رزقهم الله في غير فائدة بل في الضر عليهم ، ومن حيث أنهم جعلوا ما رزقهم الله في معصيته ، ومن حيث أنهم جعلوا شركائهم أندادا لله سبحانه وتعالى ينذرون لهم كما ينذرون له ، ومن حيث أنهم حكموا بغير حكم الله فيما هو لله وحده .

(٥٨٣/٢)

وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم (١) ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم (٢)

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم } :
فيه احتمال أنهم ذبحوا أولادهم قربانا لآلهتهم ، وإما أن المراد بشركائهم الذين يجعل المشركون لهم الحكم بغير حكم الله من الكهنة وغيرهم جعلوا شركاء لأنهم جعلوا لهم أن يحكموا فيهم كما قال تعالى { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله } وعلى هذا يصح أن يكون المراد بقتل أولادهم وأد البنات أي دفنهن وهن في حال الحياة .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم } :

اللام على الإحتمال الأول هي لام العاقبة ، أما على الإحتمال الثاني فيصح أن تكون على أصلها وأن تكون للعاقبة { ليردوهم } ليهلكوهم بجعلهم من أهل النار بعملهم الباطل { وليلبسوا عليهم دينهم } الأصلي الذي هو التوحيد الذي ورثوه بعد أبيهم إبراهيم عليه السلام بما يوهم أن الشرك حق ، أما إذا كان ذبح أولادهم لأصنامهم قربانا فذلك يوهم أنهم لو لم يكونوا يعلمون أن شركائهم آلهة ما ذبحوا لها أولادهم لأن العاطفة على الولد تمنع من قتله بغير سبب صحيح بل لمجرد الخرافة والعقيدة الباطلة ، فهذا لبس على المقلدين لهم ، وأما على الإحتمال الثاني فلعله إيقاعهم في اللبس وظلمة الباطل بسبب جرائمهم ومنها هذه الجريمة الشنعاء التي هي ظلم يرين على قلوبهم ويمنعهم من التبصر للحق بإضافة هذه الجريمة إلى جرائمهم الأخر والله أعلم .

(٥٨٤/٢)

ولو شاء الله ما فعلوه (١) فذرهم وما يفترون (١٣٧) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولو شاء الله ما فعلوه } :
أي هذا التزيين لقتل أولادهم ، أو { ما فعلوه } هذا الشرك الذي زين لهم قتل أولادهم ، أو ما فعلوا ما ذكر على أنه عائد إلى جملة المذكور ، أو ما فعلوا اللبس فلو { شاء الله } لمنعهم ؛ لأنه قادر على منعهم حتى لا يقع منهم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فذرهم وما يفترون (١٣٧) } :
فلا تشتغل بهم ولا يحزنك افتراؤهم فتحاول صرفهم عما هم عليه بأي وسيلة غير الإنذار والحجة والموعظة ، والواو هي (واو) المفعول معه كما تقول: اتركه وشأنه ، أو المراد اترك أمرهم إلى الله فهو يتولى جزاءهم على معنى الوعيد لهم ، والإفتراء الإختلاق .

(٥٨٥/٢)

وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم (١) وأنعام حرمت ظهورها (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم } :

حرث: حجر محجور ممنوع أي محرم { لا يطعمها إلا من } يشاء الله تفسير للتحريم بزعمهم أن الله يشاء لبعضهم أن يطعموها دون بعض ، وهذا فيما جعلوه لأوثانهم من الأنعام والزرع ، ولعل التعبير عنه بالحرث لأنهم جعلوا الحرث الذي يزرع لشركائهم والله أعلم .

قال في [المصابيح]: يعني خدم الأوثان والرجال دون النساء فهن ممنوعات اهـ أي التحريم عليهن خاصة .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ur } هذه { حرمت ظهورها } أي حرم ركوبها ولعله الحامي الذي يقولون قد حمى ظهره ، وقد مر تفسيره في المائدة .

(٥٨٦/٢)

وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه (١) سيجزيهم بما كانوا يفترون (١٣٨) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ur } هذه { وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه } :

قال في [المصابيح] في الذبح: وإنما يذكرون أسماء الأصنام انتهى { افتراء عليه } على الله سبحانه وتعالى ، أي قالوا هذه الأباطيل افتراء على الله ، افتراء إما مفعول مطلق لـ { قالوا } وإما مفعول من أجله بالنسبة إلى الذين ابتدعوا لهم هذه الأكاذيب ومن ماثلهم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { سيجزيهم بما كانوا يفترون (١٣٨) } بافتراءاتهم التي تكررت منهم واستمروا عليها { سيجزيهم } يوم القيامة .

(٥٨٧/٢)

وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء (١) سيجزيهم وصفهم (٢)

---

(١) كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله { وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء } :
قال الشرفي في [المصابيح]: قال في [البرهان]: والذي في البطون أرادوا به الأجنة والألبان وجعلوا ذلك لذكورهم دون الإناث وأزواجهم وإنما جعلوا ذلك لأن الذكران كانوا يخدمون الأوثان ففضلوا بذلك للخدمة والذكورة انتهى .

(٢) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { سيجزيهم وصفهم } أي سنعذبهم بسبب وصفهم الذي هو افتراء على الله وإفساد لأتباعهم وجعل الوصف كأنه الجزاء لتأكيد الدلالة على التسبيب للجزاء كقول الشاعر:

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى ... لها الليل إلا وهي من سندس خضر

فجعل دم الشهيد كأنه تحول سندسا .

(٥٨٨/٢)

إنه حكيم عليم (١٣٩) (١) قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين (١٤٠) (٢)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { إنه حكيم عليم (١٣٩) } ومقتضى الحكمة الجزاء وبالعلم لا يضيع شيء بدون جزاء .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين (١٤٠) } :

قتل الأولاد وتحريم ما رزقهم الله سبب لخسارتهم العظمى التي هي دخول النار وفوات كل خير في الآخرة فاجتمع ذلك لهم مع خسارتهم أولادهم وخسارتهم بعض ما أحل الله لهم فحرموه فتحققت عليهم الخسارة ، فقوله تعالى { قد خسر } فيه تأكيد وتحقيق كقوله تعالى { من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه } وكذلك قوله تعالى { قد ضلوا } ومن هذا الباب قول الشاعر :

فلا وأبي الطير المربة بالضحى ... على خالد لقد وقعت على لحم

وقوله تعالى { سفها بغير علم } أي أن صنيعهم في قتل أولادهم سخف وقلة عقل ؛ لأنهم لو استعملوا عقولهم ما فعلوه ، وقوله { بغير علم } لأنهم لم يعتمدوا فيه على حجة من الله بل فعلوه جهالة فهي شناعة عظيمة ؛ لأن قتل الأولاد ظلم ومخالفة للفطرة والإنسانية وقسوة شنيعة وهو مع ذلك إهمال للعقول ومجازفة بداعي الجهل ، وقوله تعالى { وحرموا ما رزقهم الله } إشارة إلى سبب خسارتهم لما أحل الله لهم من حيث أن الله رزقهم ، ومن حيث أنه معارضة لحكم الله ؛ لأنه لم يرزقهم إلا وقد أحله لهم ، وقوله { افتراء على الله } يبين شناعة ذلك التحريم وزيادة قبحه ، وكونه سببا للخسارة العظمى ، وقوله تعالى { قد ضلوا } تسجيل عليهم بالغواية فيما صنعوه تدينا بأنه تضييع لطريق الحق والصواب وتيه في الباطل ، وقوله تعالى { وما كانوا مهتدين } إما بمعنى أن شأنهم أن يضلوا لأنهم ما كانوا مهتدين قط ، وإما بمعنى الرد لاعتقادهم وظنهم أنهم مهتدون كقوله تعالى { وأضل فرعون قومه وما هدى } وقد كان فرعون قال لهم { وما أهديكم إلا سبيل الرشاد } وبعد هذا التسجيل عليهم بالضلال بين الله الحجة البالغة على أن الحكم له في الحرث والأنعام لا لغيره الذي يستحق العبادة دون شركائهم فقال سبحانه :

(٥٨٩/٢)

---

* وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { * وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات } :

قال الراغب: والإنشاء إيجاد الشيء وتربيته اهـ { جنات } أنواعا من الجنات مختلفة وأفرادا كثيرة { معروشات } وهي ما يجعل على عريش كالعنب { والنخل } وأنشأ النخل { والزرع مختلفا أكله } فالنخل له ثمر مختلف في لونه وطعمه وغير ذلك من صفاته ، والزرع كذلك ، فالحبوب أنواع كثيرة البر أنواع والشعير أنواع والذرة أنواع والأرز أنواع والعلس قيل: هو من البر ، وقيل: جنس برأسه ، وذلك الإختلاف تابع لقدرة الله تعالى وعلمه وحكمته وفضله ورحمته .

والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه (١) كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه } : أي وأنشأ الزيتون ، وأنشأ الرمان { متشابها } وهو المتقارب في الصفة مثل نوعي الرمان الحلو { وغير متشابه } مثل النوع الحلو والنوع الحامض ، والوصف بالتشابه لعله عائد إلى جملة الزيتون والرمان إلا أني لا أعرف أنواع الزيتون ، وقد قال تعالى { ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون } وهو قليل في اليمن .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . {كلوا من ثمره إذا أثمر } ولا تحرموا شيئا منه كما فعل المشركون { وآتوا حقه يوم حصاده } { حقه } ما جعل الله فيه من الحق للفقراء والمساكين ، ثم جعله لثمانية أصناف .

والحصاد: قال في [الصحاح]: حصدت الزرع وغيره ، ثم قال: والمحصد المنجل ، فأفاد أن الحصد يكون بالقطع كقطع العنب .

وفي [لسان العرب]: الحصد جزك البر ونحوه من النبات حصد الزرع وغيره من النبات يحصده ، وقوله تعالى {كلوا من ثمره } { وآتوا حقه } الضمير فيهما عائد إلى المذكور من أول الآية ، وقوله تعالى {

إذا أثمر } ترخيص في الأكل منه قبل إخراج زكاته ولا يسقط زكاة ما أكل قبل ؛ لأنه قال { وآتوا حقه } فعاد الضمير إلى المذكور أيضا أو إلى ثمره ، فعم المأكول وغيره .

(٥٩١/٢)

ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (١٤١) (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (١٤١) } :

عطف على { كلوا } و { آتوا } فالظاهر أنه خطاب متعلق بالثمر فيكون الإسراف إما بإنفاقه في معصية الله كمعاونة الظالم وإعطاء خدم شركاء المشركين ، وإما بالإنفاق الزائد على المنفعة وهو إتلاف في غير فائدة كما يفعل في بعض الضيافات ، وإما بجعله مسكرا ، وإما بالإفراط في الأكل ، وقوله تعالى { إنه لا يحب المسرفين } عام لكل مسرف ولو في أمر خارج عن الثمر كالإسراف في القتل والتبذير بالماء أو غيره .
قال في [الصحاح]: والإسراف في النفقة التبذير انتهى ، وقال الراغب: السرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان في الإنفاق أشهر انتهى .
والأقرب في قوله تعالى { إنه لا يحب المسرفين } أنه وعيد كقوله تعالى { ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين } { فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين } { إنه لا يحب الظالمين } ولعله وعيد بالخذلان وترك الألطاف والله أعلم .

(٥٩٢/٢)

ومن الأنعام حمولة وفرشا (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ومن الأنعام حمولة وفرشا } :
أي وهو الذي أنشأ لكم من الأنعام { حمولة } تحملكم وتحمل أثقالكم وهي من الإبل ، ومن الأنعام فرشا ، والفرش يتخذ من جلود الأنعام ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها ، وقال الراغب: والفرش ما يفرش

من الأنعام أي يركب انتهى .

وقال في [الصحاح]: والفرش المفروش من متاع البيت ، ثم قال: والفرش صغار الإبل ومنه قوله تعالى { ومن الأنعام حمولة وفرشا } انتهى .

قلت: الآية واردة في سياق تعديد النعم ، فجعل الفرش صغار الإبل لا يناسب السياق إلا أن يسمى فرشا ؛ لأنه ينحر ويكون جلده ووبره فرشا جيدا أفضل من جلد الكبار فهو مناسب حينئذ .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال في البلغة الحمولة الكبار من الإبل والفرش الصغار ، ومثله في [البرهان] انتهى .

وفي [لسان العرب]: وفرش الإبل وغيرها صغارها ، ثم قال: وقال الفراء الحمولة ما أطاق العمل والحمل والفرش الصغار ، وقال أبو إسحاق: أجمع أهل اللغة على أن الفرش صغار الإبل ، وقال بعض المفسرين: الفرش صغار الإبل وإن البقر والغنم من الفرش ، قال: والذي جاء في التفسير يدل عليه قوله عز وجل { ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين } فلما جاء هذا بدلا من قوله [عز وجل] { حمولة وفرشا } جعله للبقر والغنم مع الإبل انتهى المراد .

قال في [المصابيح]: وقيل الحمولة ما حمل من الإبل والبقر ، والفرش الغنم قال الشاعر :

وحوينا الفرش من أنعامكم ... والحمولات وربات الحجل

انتهى ، فترجح أن الحمولة ما يحمل من الإبل والبقر وأن الفرش صغار الإبل وأن الغنم تسمى فرشا أيضا ؛ لأن جلودها تصلح فراشا ولا سيما الضان فهي كصغار الإبل لما ذكر من الدليل على ذلك .

(٥٩٣/٢)

كلوا مما رزقكم الله (١) ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (١٤٢) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . {كلوا مما رزقكم الله } أمر إباحة وتمنن وزيادة فائدة في الأنعام مع الحمل والفرش .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر :

مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (١٤٢) } :

وهذا عام لكل خطوات الشيطان ، ويدخل فيه دخولا أوليا تحريم ما أحل الله من الأنعام من السائبة والوصيلة والحامي .

قال في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليهما السلام: والخطوات مثل مضروب يراد به لا تفعلوا مثل فعله ، والخطوات بالتخفيف هي جماعة خطوة من الخطا وليست بجماعة الخطيئة فاعلم ذلك انتهى .

قلت: لعل فائدة ذكر الخطوات التحذير من إضلال الشيطان التدريجي كأنه يخطو خطوة واحدة فيتبعه فيها من يتبعه ثم يزيد خطوة فيتبعه ، وهكذا حتى يصير بعيدا من الصواب ، وقوله تعالى { إنه لكم عدو } تعليل معقول لأن اتباع الإنسان لعدوه خطأ واضح لأن العدو مظنة الإضلال والإضرار ، وقله تعالى { مبين } أي بين العداوة ، وكيف لا يكون بين العداوة وهو إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير .

(٥٩٤/٢)

ثمانية أزواج (١) من الضأن اثنين ومن المعز اثنين (٢)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ثمانية أزواج } :

أي وأنشأ لكم من الأنعام ثمانية أزواج حمولة وفرشا من كل نوع زوجين ذكرا وأنثى .

قال الراغب: يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوج ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج كالخف والنعل ، ولكل ما يقترن بآخر مماثلا أو مضاد [كذا] زوج .

ثم قال الراغب: ثمانية أزواج أي أصناف انتهى .

قلت: الأقرب أنها سميت أزواجا لأنها من كل نوع زوجان كما أفاده صاحب [الكشاف] وهو المناسب للتفصيل الآتي :

(٢) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { من الضأن اثنين ومن المعز اثنين } :

}

من الضأن } الكبش والنعجة { ومن المعز } التيس والعنز ، والنعمة متعددة منها في الضأن جودة

اللحم والفرش ، ومنها في المعز زيادة اللبن وصلاح الجلد وعاء للماء والسمن لزيادة قوته ولغير ذلك مع أن المعز أقوى في المرعى فهي لا تكلف أهلها كالضأن .

(٥٩٥/٢)

قل آلذكرين حرم أم الأنثيين (١) أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قل آلذكرين حرم أم الأنثيين } :
{ قل } يا محمد للمشركين الذين يحرمون ما أحل الله { آلذكرين } من الضأن والمعز { حرم } الله { أم الأنثيين } العنز والنعجة .
(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين } :
أم الحمل من أولاد الضأن والمعز الذي في أرحام الأنثيين ، والأرحام: جمع رحم وهي وعاء الجنين اشتملت عليه لتحفظه وتربيه حتى يتم خلقه ، أي أم ما اشتملت عليه حرمه الله ؟ .

(٥٩٦/٢)

نبئوني بعلم إن كنتم صادقين (١٤٣) (١) ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { نبئوني بعلم إن كنتم صادقين (١٤٣) } :
{ نبؤوني بعلم } أي ذلك حرمه الله فهاتوا ما يفيد العلم من كتاب لله ، أو أثارة من علم عن رسول لله { إن كنتم صادقين } في دعواكم التحريم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ومن الإبل اثنين } من الثمانية الأزواج عطف على { من الضأن اثنين ومن المعز اثنين } الذكر من الإبل والأنثى من الإبل { ومن البقر اثنين } الذكر والأنثى عطف على { من الإبل } هنا عطف أربعة على أربعة لتيسير فهم تفصيل الثمانية الأزواج .

قال الشرفي في [المصابيح]: عرفهم الله في الإبل والبقر مثل ما عرفهم في الشا [كذا] والمعز موبخا لهم ومنكرا عليهم ما فعلوه انتهى .

قوله: في الشا يعني في الضأن ، ونظير ما هنا من عطف اثنين على اثنين قوله تعالى { مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا } فالأصم معطوف على الأعمى ، والسميع معطوف على البصير وهما عطف على الأعمى والأصم ، ولذلك قال تعالى { هل يستويان } أي من هو أعمى أصم ومن هو بصير سميع .

(٥٩٧/٢)

قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين (١) أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين } : الجمل والثور أم الناقة والبقرة .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا } : التحريم الذي تزعمونه { شهداء } حاضرين على التحريم مشاهدين له أوحاه الله إليكم { إذ وصاكم } به بزعمكم ، أي بل أكنتم شهداء وهم لا يدعون ذلك فمن أين جاءهم تحريم ما حرموا وليس عندهم من الله وحي بواسطة كتاب ولا رسول ولا بمشاهدة فقد تبين افتراؤكم على الله بتحريم ما حرمتم .

(٥٩٨/٢)

فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم (١) إن الله لا يهدي القوم الظالمين (١٤٤) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر :

مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم } :

أي لا أظلم منه لجمعه بين الإفتراء على الله والتسبيب لإضلال الناس ، أي ليغوي الناس عن طريق الحق بغير علم منهم أنه يغويهم فهو خيانة لهم من حيث يفتري الكذب فيصدقونه وهو كاذب مع كونه تسبيبا لباطلهم ومشاركة في إثمه فقد بان أنه لا أظلم منكم ، وهذا من حسن الجدال من حيث أنه لم يواجههم بأن يقول لا أظلم منكم بل دل عليه بالعموم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { إن الله لا يهدي القوم الظالمين (١٤٤) } :

تحقيق لكونهم مضلين للناس فهم لا ينالون هدى الله إياهم بالإفتراء عليه ليضلوا الناس ؛ لأن الله سبحانه لا يجعل الظلم سببا للهدى فليس افتراؤهم إلا إضلالا خالصا .

(٥٩٩/٢)

قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس } :

فما حرمتموه لم أجده { فيما أوحي إلي محرما } وقوله { إلا أن يكون } أي إلا أن يكون المحرم على الطاعم { ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير } فقد وجدت فيما أوحي إلي تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير { فإنه رجس } أي الذي لم أجد غيره محرما أي الذي وجدته محرما رجس نجاسة وقذر ليس من الطيبات إذا كان ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير ، وهذا حين نزلت السورة بمكة قبل نزول المائدة وقبل تحريم كل ذي ناب من السبع وهذا فائدة { لا أجد فيما أوحي إلي } لئلا ينفي تحريم غير الثلاثة لأنه إنما نفى الوجدان .

(٦٠٠/٢)

أو فسقا أهل لغير الله به (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { أو فسقا أهل لغير الله به } :
عطف على { ميتة } أي أو يكون فسقا أهل لغير الله به ، جعل كأنه فسق ؛ لأنه ذبح { فسقا } فجورا وخبثا ؛ لأن الله تعالى لم يحل ذبحه مع الإهلال به لغير الله .
قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليهما السلام: يريد عز وجل لا يحل لأحد أن يهل ولا يتكلم بغير ذكر الله على ذبيحة ولا غيرها ، وسمي ذلك الكلام فسقا أهل به ونطق به لغير الله ، والإهلال في اللغة هو الجهر بالكلام انتهى المراد .
وهو يعني أن الآية دلت على أن الإهلال لغير الله فسق ؛ لأنها دلت على أن المذبوح فسق إذا أهل به لغير الله وذلك بسبب كون الإهلال لغير الله فسقا .
قال الهادي عليه السلام في [الأحكام]: والمسفوح هو السائل وهو القاطر ، وأما قوله { فإنه رجس } فإنه يقول إنه رجس محرم ، وأما فسق أهل لغير الله به فالفسق هو المعصية والجرأة على الله بالذبح لغير الله والخطية انتهى المراد .

(٢/٦٠١)

فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم (١٤٥) (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم (١٤٥) } :
{ فمن اضطر } إلى شيء من هذه المذكورات الميتة وما ذكر بعدها .
قال الهادي عليه السلام في [الأحكام]: وأما قوله { فمن اضطر غير باغ ولا عاد } يريد غير باغ في فعله ولا مقدم على المعصية في أكله ولا متعد لأمر ربه ولكن من اضطر إلى ذلك فجائز له أن يأكل منه إذا خشي على نفسه التلف من الجوع فيأكل منه ما يقيم نفسه ويثبت في بدنه روحه إلى أن يجد في أمره فسحة انتهى المراد .
فالبغي الإقدام على المعصية في الأكل من المحرم والعدو تعدى ما أحل الله إلى ما حرم كالزيادة على ما اضطر إليه .

(٦٠٢/٢)

وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر } : { الذين هادوا } اليهود ، والظفر الذي ينمو في رأس الإصبع وبعض الحيوان يقتل به ، وبعض الطيور يمسك به أعواد الشجر إذا وقع عليها فقد عم التحريم عليهم أكثر الطيور سباعها وغير سباعها كالدجاج ، وكذلك سائر الحيوان الذي له ظفر كالوبر .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال المرتضى عليه السلام هو ما كان له ظفر يعرف به ويقع عليه اسم الظفر فهو عليهم محرم ، ولكن أباحوه وأكلوه وتعدوا فيه انتهى .

(٦٠٣/٢)

ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم (١)

---

(١) كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم } :

أي حرمنا عليهم الشحوم من البقر والغنم { إلا ما حملت ظهورهما } وهو أكثر الشحم إن دخل فيه ما علق على الظهر كشحم الجنوب والإلية ، والحوايا: الأمعاء في قول الراغب وصاحب [الصحاح] وصاحب [الكشاف] وقيل ما تحوى من الأمعاء كالمباعر أي استدارت فيه الأمعاء فتخرج الدقاق والمستقيم ، وقيل : المباعر أي ما فيه البعر ، وهذا لأن الحوايا إن كانت جمع حاوية فهي الأمعاء كلها لأن بعضها يحوي بعرا وبعضها يحوي سائلا يصير بعرا عند مصيره في الأمعاء الغلاظ ، وإن كانت الحوايا جمع حوية فهي خاصة بالملتوية ، أي ما حملت الحوايا من الشحوم ليس محرما على الذين هادوا ، أو ما اختلط بعظم فهو مستثنى كما حملت ظهورهما وذلك مثل ما بين عظام الصدر والرأس والعصعص وهو داخل الإلية المختلط بعظم العصعص فما بقي محرم إلا الذي على الكرش ثوب البطن والأولى أن ما حملت ظهورهما خاص بما على الظهر فلا تدخل فيه الإلية ولا شحم الجنوب ولا شحم

الكلى ولا الشحم الذي على الصدر الطبقة الخارجة فوق عظام الصدر وإلا لزم أن لا يبقى مستثنى إلا شحم الرأس والعنق والرجلين واليدين ؛ لأن الكرش أيضا معلق في الظهر فشحمه معلق معه ، وظاهر جمع الشحوم تنوع الشحم ، ولا تنوع في شحم العنق والرأس والرجلين واليدين ، فظهر أن المراد أنواع الشحم فالثروب نوع ، والإلية نوع ، وما على الظهر والجنوب والعنق وخارج الرأس والرجلين واليدين نوع ، وشحم الكلى نوع .

(٦٠٤/٢)

ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون (١٤٦) (١) فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين (١٤٧) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون (١٤٦) } :

{ ذلك } التحريم جزينا الذين هادوا عقوبة لهم ببغيهم وتعديهم على عباد الله { وإنا لصادقون } وصدق الله العظيم وكذب اليهود الجاحدون لكونه عقوبة أو لتحريمه .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين (١٤٧) } :

السياق في الذين هادوا فالأقرب أن قوله تعالى { فإن كذبوك } أي اليهود { فقل ربكم ذو رحمة واسعة } في الدنيا ولذلك يمهلكم مع تكذيبكم ، أو ذو رحمة واسعة يختص بها من يشاء كقوله تعالى { يختص برحمته من يشاء والله واسع عليم } فالمعنى ذو رحمة واسعة ولذلك جعل النبوة في بني إسماعيل ولم يختص بها بني إسرائيل { ولا يرد بأسه } إذا جاء المجرمين أي عذابه ، أو البأس أعم فيدخل فيه التسليط على قريظة والنظير وخيبر وغيرهم والمجرمين يعم المكذبين وغيرهم ويدخل فيه المجرمون المكذبون دخولا أوليا .

(٦٠٥/٢)

سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء (١) كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء } :

احتجاجا بترك الله لهم على شركهم وكذلك تركهم على تحريم ما أحل الله أرادوا أنه لو كان كارها لذلك لمنعهم منه ؛ لأنه لا يسكت عليه وهو قادر على منعهم ، فقد جعلوه تعالى مقررا لهم على شركهم وعلى تحريم ما حرموا وهذه شبهتهم يريدون بها أنهم على حق وأن الرسول كاذب في تحريم ما فعلوه من الشرك والتحريم لما لم يحرمه الله .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . {كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا } :

}

كذلك } التكذيب والجدال عنه {كذب الذين من قبلهم } من الأمم الذين نزل بهم العذاب حتى ذاقوا بأسنا ، ولم ينفعهم ما شبهوا به .

(٢/٦٠٦)

قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا (١) إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون (١٤٨) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا } :

{ علم } بأن الله رضي تحريمكم وشرككم من كتاب لله أو أثارة عن رسله فتظهروه لنا ببيان واضح ، أي ليس عندكم فهو سؤال في معنى النفي .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون

: { (١٤٨)

تكذبون بسبب اتباعكم للظن وما تهوى الأنفس ، وقد ترجح أن معنى تخرصون تكذبون ؛ لأنه لو كان بمعنى التخمين لكان من شأنه أن يجعل مع الظن متبعا يبنى عليه قولهم { لو شاء الله.. } إلى آخره فلما عدل به إلى قوله { وإن أنتم إلا تخرصون } ولم يقل إلا الظن والخرص ظهر أن المراد تخرصون بأقوالكم الباطلة كلها ، أو بهذا القول خاصة وذلك لأن الخرص إن كان يستعمل في الكذب على الإطلاق صلح حمله على أقوالهم الباطلة كلها ما استند إلى الظن وما لم يستند إلى شيء ، وإنما هو افتراء وإن كان الخرص خاصا بالكذب المستند إلى التخمين حمل قوله { وإن أنتم إلا تخرصون } على قولهم { لو شاء الله } إلخ .

قال الراغب: وحقيقة ذلك أن كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال [له] خرص سواء كان مطابقا للشيء أو مخالفا له من حيث أن صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل الخارص في خرصه انتهى المراد ، وقوله: ولا غلبة ظن لعله يعني ولا قوة ظن .

(٢٠٧/٢)

قل فلله الحجة البالغة (١) فلو شاء لهداكم أجمعين (١٤٩) (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قل فلله الحجة البالغة } :

{ قل } يا محمد { فلله الحجة } التي قد بلغتكم وبلغت الأمم من قبلكم فقد بعث في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فأي منع ونهي عن الشرك والطاغوت أبين مما نزله على الرسل وبلغوا أممهم وكيف صح مع ذلك أن تدعوا أنه رضي لكم بالشرك وأنه لم يمنعكم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فلو شاء لهداكم أجمعين (١٤٩) } :

{ فلو شاء } بعد بلوغ الحجة إياكم { لهداكم أجمعين } لأنه قادر على ذلك بطريقة القهر لكنه شاء أن يخليكم وما تختارون لأنفسكم فلا حجة لكم في تركه لكم وما تختارون لأنفسكم بعد بلوغ الحجة وقطع المعذرة .

(٢٠٨/٢)

قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا (١) فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون (١٥٠) (٢)

---

(١). كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا } :

{ قل } أحضروا { شهداءكم الذين يشهدون } عن يقين ومشاهدة لحجة من الله لا من يشهدون افتراء على الله وجرأة على الزور أي أنه لا يوجد شهداء على ما تدعون .

(٢). كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فإن شهدوا } لأنفسهم { فلا تشهد معهم } لأنهم كاذبون { ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون (١٥٠)

} { ولا تتبع } يا محمد أهواءهم ولا من كان مثلهم { الذين كذبوا بآيات الله } لأن الهدى هدى الله وما خالفه ضلال { والذين لا يؤمنون بالآخرة } فلا يحجزهم خوف من الرجوع إلى الله والسؤال والجزاء عن تعمد الباطل واتباع ما تهوى الأنفس { والذين هم بربهم يعدلون } فإن من عدل بربه حجرا أو صنما أو أي مخلوق ضعيف فقد تبين أنه على باطل ، وأنه لا يبالي بالباطل فهو يتبع ما تهواه نفسه من الباطل ولا يبالي ، والمعنى ولا تتبع سبلهم فإن سلوكهم ليس إلا لمجرد الأهواء بلا حجة فعبر عن سبلهم بالأهواء ؛ لأنها سببها ، ويحتمل ولا تتبع أهواءهم وتحاول بذلك إرضاءهم فهم ليسوا أهلا لذلك ، وفي جمع الأهواء إشارة إلى اختلافها وتعددها وذلك مما يصعب إرضاء أهله ولو لم يكن باطلا كيف وهم يكذبون ولا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ، فاتباع أهوائهم يستلزم التكذيب بآيات الله والكفر بالآخرة والعدل بالله نعوذ بالله .

(٦٠٩/٢)

---

* قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم (١) ألا تشركوا به شيئا (٢)

---

(١). كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر :

مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { * قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم } :
{ أتل } أتبع بالقراءة ما أوحي فأقرأه عليكم كما أوحي إلي فهو الحق لا افتراؤكم واتباعكم للظن وخرصكم ، وقوله تعالى { ما حرم } إن كانت (ما) مصدرية فظاهر في صحة تفسيره بقوله تعالى :
(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ألا تشركوا به شيئا } إلى آخر الآية ، وإن كانت موصولة أي ما حرمه فالمراد أتل بيان ما حرمه ربكم المالك لكم والذي له الحكم فيكم وعليكم فتحريمه الحق لا تشركوا نهي يقتضي التحريم ، وقوله { شيئا } يعم كل ما يشرك المشركون على اختلافهم بجعله شريكا لله سبحانه وتعالى .

(٦١٠/٢)

وبالوالدين إحسانا (١) ولا تقتلوا أولادكم من إملاق (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وبالوالدين إحسانا } :
فلا يقع منكم إساءة إلى أحدهما ، وقوله بالوالدين أي أحسنوا بالوالدين { إحسانا } .
قال في [الكشاف] في تفسير سورة يوسف: يقال أحسن به وأحسن إليه وهذا صحيح ؛ لأن الله تعالى قال في سورة النساء { وبالوالدين إحسانا وبذي القربى.. } إلى قوله { ..وابن السبيل وما ملكت أيمانكم } وقيل: معناه لا تتركوا الإحسان إلى الوالدين أي لأن السياق فيما حرم الله ، ويحتمل أن المقصود النهي عن العقوق فعبر بالأمر بالإحسان إليهما ؛ لأنه أبلغ في الدلالة على قبح العقوق .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولا تقتلوا أولادكم من إملاق } :

في [الصحاح] و[لسان العرب] و[القاموس]: الإملاق الفقر ، قال صاحب [اللسان]: وأصله إتلاف المال حتى لا يبقى شيء فاستعمل في الفقر حتى صار أشهر ، وقال في [الكشاف]: من أجل فقر ومن خشيته انتهى ، وقال في [المصابيح]: أي من خوف الفقر انتهى المراد .
وفي تفسير الإمام زيد عليه السلام : معناه من فقر وفاقة انتهى .

(٦١١/٢)

نحن نرزقكم وإياهم (١) ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { نحن نرزقكم وإياهم } وهذا وعد من أصدق القائلين فلا ملجئ إلى وأد البنات .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن } :

نهي عن قرب الفاحشة نهي الحوم حولها وعن مقدماتها ، قال الراغب: الفحش والفحشاء والفاحشة: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال انتهى .

وقوله { ما ظهر منها وما بطن } ما كان بحيث يراه الناس أو يسمعونه ، وما يخفى فليس قبحه خاصا بالمعلن ، والفواحش مثل الزنا واللواط والربا وافتراء الكذب على الله واليمين الفاجرة وقذف البرئ بالزنا أو اللواط والسب الزائد تعديا ، وفي قصيدة النابغة :

لم تؤذ أهلا ولم تفحش على جار

قال في [الصحاح]: وكل شيء جاوز حده فهو فاحش انتهى .

(٦١٢/٢)

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق } : { حرم الله } جعلها حراما وأثبت لها الحرمة فليس لأحد أن يعتدي عليها وهي نفس الإنسان الذي لم يقع منه ما يجيز قتله من قتل أو شرك بدون ذمة ولا صلح أو غير ذلك ، وقوله تعالى { إلا بالحق } جعل الحق كأنه آلة للقتل لأنه وسيلته وسببه وذلك الحكم من الله بقتلها لسبب من الأسباب المذكورة في محلها ، وقد عد الهادي عليه السلام في [الأحكام] أسباب استحقاق القتل ، وقوله تعالى { التي

حرم الله } وصف للنفس بأن الله حرمها وليس للتقييد لأنه لو كان للتقييد لكفى عن الإستثناء فقوله تعالى { التي حرم الله } تأكيد للنهي بأن الله حرمها .

(٦١٣/٢)

ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون (١٥١) (١)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون (١٥١) } : { ذلكم } إشارة إلى اتباع مدلول الكلام الذي ذكر من قوله تعالى { أن لا تشركوا به } وقوله تعالى { وصاكم } بمعنى نهاكم وأمركم للمستقبل كوصية الحي لما بعد الموت من حيث أنه للمستقبل ليس للمكلف أن ينساه أو يهمله .

قال الراغب: الوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ انتهى ، وفي [القاموس]: وأوصاه ووصاه توصية عهد إليه انتهى { لعلكم تعقلون } أي تعقلونه كقوله تعالى { إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون } فالمعنى لعلكم تعقلون هذه الوصايا وتفهمونها ؛ لأنها كلام محكم بين يسير الفهم .

(٦١٤/٢)

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده (١)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده } :

تحذير للطامع من قرب مال اليتيم بتوليه أو استعماله أو نحو ذلك فالإبتعاد عنه أسلم له وأقرب إلى تركه ، وقوله { إلا بالتي هي أحسن } أي قربه بالطريقة التي هي أحسن أو بالفعلة التي هي أحسن ، وهي طريقة صاحب العدالة والإحسان الذي لا يقرب مال اليتيم طمعا فيه إنما يقربه ليصلحه ويحفظه فهي أحسن من تركه ، وجازت مع ذلك مخالطة مال اليتيم تيسيرا لمصلحة اليتيم لئلا يؤدي التشديد إلى تركه ، وذلك لا ينافي التصرف بالتي هي أحسن { حتى يبلغ أشده } استمروا على تركه إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ قوته ، ولا تأكلوه بدارا أن يكبر ، وأشده وبلوغه قوته أن يكون قد احتاج النكاح

كما في آية سورة النساء { وابتلوا اليتامى } فعند بلوغه أشده يسلم إليه ماله إذا أونس رشده كما في آية النساء .

(٦١٥/٢)

وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها (١)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها } :

أمر معطوف على النهي لأن الوزن بالقسط يستلزم ترك الحيف على من يعاملهم بالبيع والشراء وغيرهما فهي من النهي عن أكل المال بالباطل وخص الكيل والوزن لأن الأخذ بهما مع البخس يكثر ويسهل والإيفاء إكمال لحق من يعطونه من مشتر أو نحوه ، وقوله تعالى { لا نكلف نفسا إلا وسعها } أي لا نضيق عليها بل نكلفها ما يسعها ، قالوا: والوسع دون الطاقة أي أن ما يطيقه المكلف أكثر مما يسعه فاكتفى بالوسع تيسيرا على المكلف ، وفي هذا دلالة على بطلان الجبر لأنه يلزم من الجبر تكليف ما ليس في وسعه ، أي أنه كلف ما ليس في وسعه ؛ لأن القدرة عندهم موجبة فإذا لم يقع الفعل دل ذلك على عدم القدرة عليه ، وإذا عدمت القدرة عليه فالمكلف لا يطيقه فضلا عن كونه ليس في وسعه .

(٦١٦/٢)

وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى (١) وبعهد الله أوفوا (٢)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى } :

فاعدلوا لا تجوروا في قول ، والجور يكون في الخبر والإنشاء والصدق والكذب ، فالأمر بما لا يحق للآمر ولا مصلحة فيه للمأمور ولا هو حق عليه جور ، ومثله النهي عن الحق ، والخبر الصدق قد يكون ظلما كإخبار الظالم بمكان المظلوم ليأخذه أو يأخذ ماله ، والكذب كله خلاف العدل إلا من أكره وقلبه مطمئن بالصدق ، وقوله تعالى { ولو كان ذا قربى } أي الذي تقولون فيه أو له فلا تمنعكم العاطفة من العدل في شهادة أو غيرها .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وبعهد الله أوفوا } :

لا تنكثوا العهد ولا بعضه بل اثبتوا على موجب العهد وأضيف إلى الله لأن الوفاء بالعهد أوجبه الله وهو يعم المواثيق فيما بين العبد وربه والمواثيق بين الناس كالعهد في الصلح والعهد في البيعة للإمام والعهد المأخوذ على الشاهدين أو على الوصي أو غير ذلك ، ويحتمل أن عهد الله يختص بما كان باسمه تعالى كقولك: علي عهد الله وبما كان لله على عبده كقوله تعالى { وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم } وهذا لأن جعل ما سوى ذلك من عهد لا يظهر وجه لإضافته إلى الله وإن كان يجب الوفاء به وليس كالشهادة التي أضيفت إلى الله في قوله { ولا نكتم شهادة الله } لأن الشهادة بعد تحملها صارت حقا لله على المتحمل وأداؤها لله وليس كذلك العهد إذا لم يكن باسمه ولا بين العبد وربه ، فإن الواجب الوفاء به أما العهد نفسه فهو على حاله لم يصر لله واجبا والذي لله يستحقه على العبد هو الوفاء به فقط والعهد هو الكلام الموثق كالعقد .

(٦١٧/٢)

ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون (١٥٢) (١) وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون (١٥٢) } : { وصاكم به } تقدم به إليكم لتعملوا به وتثبتوا على التمسك به في المستقبل { لعلكم تذكرون } في المستقبل تذكرون ولا تنسون أنه قد وصاكم به ولا تغفلون عنه لتعملوا به ما عشتم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله } :

}

وأن هذا } المتلو صراط الله { مستقيما } والإشارة إلى قوله { أن لا تشركوا به شيئا.. } إلى آخر

الآيات فهو طريق واضح وهو مستقيم لا يعوج ؛ لأنه الحق { فاتبعوه } فاتبعوا صراط الله ولا تتبعوا السبل المخالفة له التي ليست سبيل الله بل سبل غيره { فتفرق بكم عن سبيله } { فتفرق } فتتفرق بكم عن سبيله أي تفرق فيما بينها عادلة بكم عن سبيله ، وبذلك تكونون قد تفرقتم عن سبيله فهذا أمر بالتمسك بالمتلو المذكور ونهي عن التفرق بواسطة اتباع طريقة غيره ، وفتح همزة (أن) لأنه معطوف على منصوب أي وتعالوا أتل عليكم أن هذا صراطي ، ففي هذه الآيات إشارتان بلفظ { ذلكم } وإشارة بلفظ { هذا } فلا بد من الفرق ، والراجح أن الفرق ما ذكر فالإشارتان إلى اتباع المتلو وهذا إشارة إلى المتلو نفسه ، وقد جعله الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في [الإعتصام] إشارة إلى القرآن جملة وهو قريب كقوله تعالى { إن هذا القرآن يهدي } { وهذا كتاب أنزلناه } { وهذا ذكر مبارك } والأصل في الإشارة إلى الكلام الذي تقوله في أوله وآخره وأثنائه أن تكون بإشارة القريب مثل (هذا) لأنه في معنى الحاضر فلا يعدل عنه إلا لاعتبار آخر اقتضى تنزيله منزلة الغائب ، وفي الحديث الشريف في مدح القرآن ((وهو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم)) رواه الإمام أبو طالب في [الأمالي] عن معاذ بن جبل عن النبي ، وعلى هذا فقوله { صراطي } بضمير التكلم ظاهر فسياق هذه الآية غير سياق الآيتين قبلها إلى قوله تعالى { عن سبيله } فقط وضمير المتكلم في { صراطي } مثله في قوله الشاعر :

جاءت لتصرعني فقلت لها اقصري ... إني امرؤ صرعي عليك حرام

الشاهد في ضمير (صرعي) .
وقوله تعالى { عن سبيله } أي عن السبيل الذي دل عليه القرآن ، فيظهر منه أن القرآن جعل صراط الله لأنه بيان صراط الله الذي ارتضاه لعباده ، أو لأن القرآن من صراط الله كقوله تعالى { وهذا صراط ربك مستقيما } فصراطه تعالى هو سنته وأقواله باعتبارها طريقة تقتضيها الحكمة في الأولين والآخرين فهي سنة ومنها القرآن .

ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (١٥٣) (١) ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن (٢)

---

(١) . { ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (١٥٣) } :
{ ذلكم } أي قوله تعالى { وأن هذا صراطي مستقيما.. } إلى { ..سبيله } { وصاكم به لعلكم تتقون

} الله وتتقون التفرق ؛ لأن تقوى الله هي طاعته وطاعته اتباع كتابه ، ومن لازم اتباع كتابه ترك التفرق ، وقوله { ذلكم وصاكم به } من المتلو فلذلك جاء بضمير الغائب .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن } :

قال الشرفي في [المصابيح]: والمعنى { ثم آتينا موسى } بعد هذه التوصية لأنها قديمة يوصي بها كل نبي أمته لم تنسخ فصح العطف بثم على { وصاكم } كأنه قيل: ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ، ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب انتهى .

ولا حاجة لقوله: ثم أعظم من ذلك ؛ لأنه قد جعل العطف بثم للترتيب في الوقوع بالنسبة إلى توصية الأولين ، ويحتمل أن العطف بثم راجع إلى الإحتجاج على الذين حرموا بعض ما أحل الله بغير علم كأنه قيل: وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات لتأكلوا من ثمره ومن الأنعام حمولة وفرشا لتأكلوا مما رزقكم الله لم نحرم شيئا من ذلك هل عندكم من علم بالتحريم فتخرجوه ثم بعد ذلك أنزلنا التوراة والقرآن هدى للناس تبين ما أحل الله وما حرم فعبر عن إنزال التوراة بقوله تعالى { ثم آتينا موسى الكتاب } وعن إنزال القرآن بقوله { وهذا كتاب أنزلناه } فاحتج أولا بأنه خلق هذه النعم للإنسان فحرم الجاهلون بعضها بغير حجة ، وثانيا بأنه قد أنزل الكتابين مبينين لما أحل وما حرم ، ويحتمل أيضا أن هذا العطف بثم راجع إلى ما أفاده قوله تعالى { قل فلله الحجة البالغة } لتضمنه معنى { ولقد بعثنا في كل أمة رسولا منهم أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } ويؤيد هذا ما يأتي من تعليل إنزال القرآن بقوله تعالى { أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين } فإنه كلام في إبلاغ الحجة على المشركين المحرمين من دون الله مناسب لقوله تعالى { قل فلله الحجة البالغة } فكأنه قيل: قل فلله الحجة البالغة ببعث الرسل في كل أمة ثم بإيتائنا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن موسى من بيان تحريم الله للشرك وبيان حل ما أحل الله من الثمرات والأنعام جملة وإنزال هذا الكتاب والله أعلم ، وعلى هذا فالعطف بثم وقع لأن إنزال التوراة على موسى مضاف إلى بعث الرسل في كل أمة أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ما تأخرها عن معظم ذلك البعث .

وهذا الوجه الأخير أرجح الوجوه عندي ونظيره في العطف بثم على مدلول ما تقدم { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون (١٥٤) (١) وهذا كتاب أنزلناه مبارك (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { ur } آتينا موسى الكتاب الذي هو التوراة { Wx‹إےs؟ لكل شيء } محتاج إليه من الدين أي بيانا مفصلا { وهدى } إلى صراط الله { ورحمة } تنقذ من النار ومن ضلالات الجهل { لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون (١٥٤) } :
{ لعلهم } أي قوم موسى { بلقاء ربهم } بحضورهم يوم القيامة موقف السؤال والحساب ؛ لأنه موعود به في التوراة وهو موقف العرض على الله .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وهذا } القرآن {كتاب أنزلناه مبارك } فقد بلغتكم به الحجة عليكم في تحريم الشرك وإبطال تحريم ما أحل الله وغير ذلك { مبارك }كثير الخير عظيم الفوائد .

قال الراغب: والبركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء ، ثم قال: والمبارك ما فيه ذلك الخير ، ثم قال الراغب: ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة انتهى المراد .
وقد وصفه الله بالبركة في هذه السورة مرتين ، وفي سورة اقترب ، وسورة ص ، تنبيها على أن فوائده أكثر مما يقدره الناظر على عدد سوره وآياته لأن فوائده تكثر من حيث لا يحتسب مثل كثرتها من حيث إضافة فائدة إلى فائدة وتفرع فائدة من تلك الإضافة أو فوائد ، وأما عظم فوائده فمن حيث أنها تفيد معرفة أصول الدين ومعرفة أسماء الله الحسنى ومعرفة عظمة الله وجلاله ومعرفة الجنة وطريقها والنار وطريقها ، ومعرفة الطريقة التي هي أقوم الطرائق كما قال تعالى { إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم } الآية .

(٦٢٠/٢)

فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون (١٥٥) (١) أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على بûtGx÷ü ح ے!$sغ من قبلنا (٢)

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون (١٥٥) } واتقوا الله باتباعه { لعلكم ترحمون } بصرف عذاب يوم عظيم .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { أن تقولوا } أي وهذا كتاب أنزلناه { أن تقولوا } أي لئلا تقولوا أو كراهة أن تقولوا يوم القيامة: { إنما أنزل الكتاب على بxGtüü÷ûےح !$sغ من قبلنا } وهما اليهود والنصارى أنزل عليهم من قبل وجودنا أي وجود المخاطبين بمكة وهم أهلها ومن حولها .

وإن كنا عن دراستهم لغافلين (١٥٦) (١) أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة (٢)

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { وإن كنا عن دراستهم لغافلين (١٥٦) } : لبعد بلدنا عنهم وكون دراستهم بالعبرانية ونحن عرب ، وقوله { عن دراستهم } متعلق بـ { كنا } .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { أو تقولوا } يوم القيامة { لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم } لأنهم تفرقوا وتقاتلوا وكثير منهم يظهر يوم القيامة أنهم كانوا فاسقين .
}
فقد جاءكم } هذا الكتاب الذي هو { بينة من ربكم } آية بينة { من ربكم } يدل على أنه من ربكم إعجازه لكم فهو آية بينة على أن محمدا رسول الله وعلى ضلالكم بالشرك ومنكرات الجاهلية { وهدى } للتي هو أقوم { ورحمة } ينقذ من النار ومن ظلمات الجاهلية .

فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها } :

بعد هذا الإحتجاج العظيم فيه عليكم من قوله تعالى { قل فلله الحجة البالغة.. } إلى قوله تعالى { ..ثم آتينا موسى الكتاب.. } إلى قوله { ..وهذا كتاب أنزلناه } وإلى قوله تعالى { ..فقد جاءكم بينة ورحمة } أو من أول سورة الأنعام وهو أنسب لكونها كلها احتجاج على المشركين ولكون هذه الآية في أواخر السورة { فمن أظلم ممن كذب بآيات الله } بعد وضوح الحجة فيها أنها آياته ، وبعد وضوح الحجة على المشركين بما دلت عليه الآيات ، وهذا يدل على أنه لا أظلم من المشركين المحرمين لما أحل الله المكذبين بآيات الله الصادفين عنها .

(٦٢٣/٢)

سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون (١٥٧) (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون (١٥٧) } :

قال الراغب: صدف أعرض إعراضا شديدا انتهى المراد ، وفي [الصحاح]: صدف عني أي أعرض انتهى ، ومثله في [القاموس] وفي [لسان العرب]: الصدوف الميل عن الشيء ثم قال ابن سيده : صدف عنه يصدف صدفا وصدوفا عدل ، وأصدفه عنه عدل به وصدف عني أعرض ، وقوله تعالى { سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون } أي يعرضون انتهى .

فالعذاب واقع بهم على الإعراض لا على التكذيب بآيات الله وحده ولا عليه وعلى الشرك وتحريم ما أحل الله ونحو ذلك وحده بل على الكل وعلى الإعراض لأنه جريمة عظمى ، قال تعالى { ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها } الآية وذلك لأنه لو لم يعرض عنها بل أقبل عليها ونظر فيها لكان مظنة أن يرجع إلى الصواب إذا لم يكن قد تمرد سابقا حتى خذل .

(٦٢٤/٢)

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { هل ينظرون } هل ينتظرون ليؤمنوا { إلا أن تأتيهم الملائكة } كقوله حاكيا عنهم { لولا أنزل علينا الملائكة } وقوله { وقالوا لولا أنزل عليه ملك } .

{ أو يأتي ربك } كقولهم { أو نرى ربنا } وقولهم { أو تأتي بالله والملائكة قبيلا } .
{ أو يأتي بعض آيات ربك } التي تضطرهم إلى الإيمان فهي بعض مخصوص بدليل قوله تعالى :

(٦٢٥/٢)

يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون (١٥٨) (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا } :

ولعلهم انتظروا بإيمانهم هذه الآية حين قالوا { لن نؤمن لك حتى تفجر لنا .. } إلى قولهم { ..أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا } فجعلوا ذلك آية تبعثهم على الإيمان ، ولو سقطت السماء كسفا لكانوا ملجئين إلى الإيمان فلم ينفعهم إيمانهم ، وقوله تعالى { يوم يأتي بعض آيات ربك } يحتمل أنه المذكور أولا ، أي سقوط السماء كسفا ، ويحتمل أن المراد أعم مما ينتظرون ، أي يوم يأتي بعض آيات ربك من الآيات الملجئة إلى الإيمان التي هي سقوط السماء وغيره لا ينفع نفسا إيمانها ، ويحتمل أن المراد بها غير ما ينتظرون فيكون كقوله تعالى { يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين } بعد قوله تعالى { وقال الذين لا يرجون لقائنا لولا أنزل علينا الملائكة } وعلى هذا يصح تفسير بعض آيات ربك الثانية بطلوع الشمس من مغربها كما أخرجه أحمد بن حنبل في [مسنده ج/٣ص/٣١] حدثنا وكيع حدثنا بن أبي ليلى عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها خيرا قال طلوع الشمس من مغربها انتهى وفي طلوع الشمس من مغربها آيات عديدة وأكثرها لا يدل على أن طلوعها من مغربها معنى الآية لاحتمال أنه من التطبيق

بمعنى أنه داخل في عموم الآية .
أما حديث أبي سعيد وسنده جيد فظاهره تفسير الآية به والتفسير للآية بطلوع الشمس من مغربها روي عن بن مسعود من كلامه .
فإن كان { آيات ربك } الثانية يعم الملجئ وغيره أي الآيات عام لا البعض فالتفسير بالبعض الملجئ مناسب لسياق الآية مع دلالة قوله تعالى { أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا } وهذا أظهر من جعل آيات ربك الثانية خاصا بالملجئة .
فأما قوله تعالى { أو كسبت في إيمانها خيرا } فهو يبين أن انتفاع المؤمن الصحيح الإيمان بإيمانه وبعمله الصالح إما كسب الخير في حال الإختيار من غير المؤمن فلا ينفع ، فإذا جاء بعض الآيات الملجئ لم يكن له ما ينفعه لأن كسبه الخير في الماضي حابط كسراب بقيعة ، وإيمانه حال الإلجاء لا ينفعه ، ولا معنى لتقدير كسبه خيرا حال الإلجاء لا ينفعه ؛ لأنه لا كلام في كسبهم الخير حال الإلجاء فلا دليل على تقديره مع عدم ذكره في الآية ، وليس مفروضا في غير هذه الآية إنما يفرض الإيمان ؛ لأنه أعظم ما يتوسل به عند الإضطرار أما الأعمال التي هي كسب الخير فلا يقدر نفعها عند نزول العذاب الملجئ ؛ لأنها منسية حينئذ فلا معنى لتقديرها في الآية ولا دليل عليه فتقديره مجرد دعوى وعطف للقرآن على الهوى ، وإن زخرفه أحمد في حاشيته على [الكشاف] .
وقد جعل بعض المفسرين قوله تعالى { هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك } وعيدا بأمر ممكن فاحتاجوا إلى تأويل قوله تعالى { أو يأتي ربك } وقوله { أن تأتيهم الملائكة } والراجح عندي أنه حكاية لما يعلقون به إيمانهم كما بينت في أول الكلام في معناها ؛ لأنهم جعلوا ما اقترحوه غاية لامتناعهم من الإيمان فكأنهم انتظروا بإيمانهم وقوعه ، وقد تبين جعل بعضه غاية في قوله تعالى { وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا } فمعناه أن تركهم الإيمان ممتد حتى يقع أحد المقترحات في الآيتين ، فهو بمنزلة المنتظر وإن فرض أنهم لا ينتظرونه حقيقة في قلوبهم فيصح تسميته انتظارا مجازا من الإستعارة التبعية لمشابهة تأخيرهم للإيمان بتأخير المنتظر به ، وبذلك يستقيم ذكر الملائكة وذكر إتيان ربه ، ويفيد ما أفاده قوله تعالى { وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر.. } إلى آخر الآيتين في أنه تعليق لإيمانهم بالمقترحات ، وأنهم متمردون ، والوعيد بعده مناسب بقوله تعالى :
{ قل انتظروا إنا منتظرون (١٥٨) } :
أي { انتظروا } بإيمانكم ما علقتموه عليه فهو تهديد { إنا منتظرون } نزول العذاب بكم لهذا التمرد .

إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون (١٥٩) (١)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون (١٥٩) } :

راجع إلى قوله تعالى { أو تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا } دفع لتوهم تحسين طريقة الطائفتين كليهما ، وأن محمدا أنزل عليه هذا الكتاب المبارك ليكون هو ومن اتبعه بمنزلة إحدى الطائفتين فيكونوا طائفة ثالثة لأنهم أهل كتاب كالطائفتين فبين سبحانه أن محمدا متبعا لهذا الكتاب داعيا إلى اتباعه ليس كأولئك الطائفتين اليهود والنصارى المتفرقين لأنهما وإن كانتا أهل كتابين من الله يدعيان اتباعه فإنهم قد تفرقوا من بعد جاءتهم البينة في كتابهم ، وتركوا اتباع ما أنزل عليهم فليس محمدا مثلهم ولا على طريقتهم في الإنتماء إلى ما أنزل الله قولا بلا عمل ومحمد منزه عما هم عليه من الشرك وغيره من الباطل ، وقوله تعالى { شيعا } بمعنى فرقا فرقة شيعة لمتبوعهم وطريقتهم ينصرون متبوعهم وطريقته ويتشايعون فيما بينهم ضد الفرق الأخرى بغيا بينهم بالتعاون ضد الآخرين فهم أهل أهواء وأغراض سياسية لا أهل دين واتباع لما أنزل الله فليس رسول الله مثل فرقة منهم في شيء من الطريقة والتدين وهذا الكلام في المتفرقين منهم وهم أكثرهم وجمهورهم وغالبهم ، ولذلك نسب إليهم جملة في قوله تعالى { وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة } وقوله تعالى { ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة.. } إلى قوله تعالى { ..فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم } وقوله تعالى { إنما أمرهم إلى الله } أي ليحكم بينهم يوم القيامة ، ولأن أمرهم إليه تركهم يتفرقون في أباطيلهم ولم يتركهم لأنهم على حق في ذلك { ثم ينبئهم يوم القيامة بما كانوا يفعلون } أي أنه عالم به لا ينساه فهو ينبئهم يوم القيامة عند الحكم بينهم فيجزيهم بما كانوا يعملون ، وهو وعيد شديد على التفرق في الدين وتحذير منه ، وقد جاءت روايات كثيرة من وجوه عديدة يقوي بعضها بعضا في افتراق اليهود والنصارى وهلاك كل منهم إلا فرقة ، وأن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين كلها هالكة إلا فرقة ، وقد صححها الألباني في [سلسلة الأحاديث الصحيحة ج/١ ص/١٤] وقال في [ج/٣ ص/٤٨٠] في سند رواية عوف بن مالك لهذا الحديث ، وهذا إسناد جيد انتهى .
ثم بين وجه كونه جيدا والعمدة عندنا كثرة الأسانيد ، وقال الألباني في [ج/١ص/١٤]: على أن للشوكاني في هذا المقام خطأ آخر أفحش من هذا [أي من خطئه في تقليده للسخاوي في كلامه في هذا الحديث] وهو تضعيفه في تفسيره لهذه الزيادة مقلدا أيضا في ذلك غيره مع أنها زيادة صحيحة

وردت عن غير واحد من الصحابة بأسانيد جيدة ، كما قال بعض الأئمة انتهى ، وحكى الألباني في [ج/١ ص/٢٠] رد المقبلي في [العلم الشامخ] على من ضعف هذه الزيادة .

(٦٢٧/٢)

من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون (١٦٠) (١)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { `u Bt!ن%y` د |ZupتPt:$$خ/ ¼م&s#ç ùsţtô³م $gyد٩$rBWs& } فسوف يجزى بالحسنة الواحدة جزاء عشر حسنات

.

{ `u ruBt!ن%y` دyp¥حhڭ،،٩$$خ/ ںùsx #"t"gن† wخ) $W÷=ngyدB }

أي بقدر جزاء سيئة واحدة لا يزاد مع السيئة تضعيف لها بطريقة الغضب أو لزجر غيره كما يفعل الظلمة

.

{ rudèN ںqbt wكàô=nJمƒ اتدقب } بنقص من ثواب أو زيادة في عقاب ، وسمي نقص الثواب ظلما والمراد لا ينقصون من ثوابهم ؛ لأن العرب تسمي النقص ظلما قال تعالى { كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا } وقال تعالى { فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلا } ويحتمل وهم لا يظلمون أي ظلم حقيقي .

(٦٢٨/٢)

@è%سح_¯Rخ) سح_١dyو‰%y 'خn'4 'u1n<خ) :ق؛uژإه Oڭة)Gt، Bo ƒYY$ ڭدu$JV ڭد% (١)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { @è%سح_¯Rخ) سح_١dyو‰%y 'خn'4 'u1n<خ) :ق؛uژإه Oڭة)Gt،ƒYY$ Boدڭ $uJVڭد% } :

}

قل } يا محمد { إنني على صراط مستقيم } وهو دين الله الذي ارتضاه لعباده ، فهو المستقيم الذي لا

عوج فيه طريق واضح لا خفاء فيه يوصل إلى رحمة الله ورضوانه مستقيم لا عوج فيه ؛ لأنه الحق فكيف أعدل عنه إلى أباطيل الجاهلية وقد هداني ربي { دينا قيما } تفسير للصراط المذكور بأنه دين أي طاعة لله ومعاملة مع الله { قيما } لا بدعة فيه ولا ميل عن الحق فوصفه بالإستقامة من حيث هو صراط يمدح باستقامته وسلامته من العوج الذي يسبب طول السير وبعد المسافة ، أو يسبب الغلط بانحرافه عن القصد حيث لم يشعر السائر بانحرافه فيتقدم خارجا منه فهو مدح للمشبه به ليفيد مدح الدين المشبه بأنه خير طريقة ، أما قوله تعالى { دينا قيما } فهو يفيد أن الدين نفسه قيم سليم من عيوب الأديان التي تدخلها بسبب الإبتداع والإنحراف أو الأديان التي يختارها الإنسان ليست من الله فهي من أصلها معوجة عن الصواب ، وهذا على قراءة { قيما } [بفتح القاف وكسر الياء وتشديدها] فأما على قراءة { قيما } [بكسر القاف وفتح الياء وتخفيفها] فهو بمعنى قوام ، فهذا الدين قوام لي تقوم به حياتي لصلاحه لها وإصلاحه لها وجعلها حياة طيبة لسلامتها من ضرر المخالفة اللازم لها كضرر الخمر والميسر والقوانين الإنسانية المخالفة لدين الله ولسلامتها من تضييع العمر في غير فائدة للمستقبل وجعل هذا العمر مؤديا إلى عذاب الآخرة وسلامتها من العيش الضنك الذي لا بد منه لمن أعرض عن ذكر الله ، وعلى هذا مرجع القراءتين إلى معنى واحد .

فأما الشرفي فقال في تفسير { قيما } مصدر بمعنى القيام وصف به وهو أبلغ من قائم انتهى ، فجعله بمعنى قائم انتهى ، فجعل قيما وقيما القراءتين بمعنى واحد .

(٦٢٩/٢)

B ژ`Zym $tBur tb%x. zےڈدZ$ (خ/چt؛dںدiB tLد#©'s
u‹txCur$"èSur y،إه' x|¹ںAخ' (خè% ¨b@ (١) اتدتب J9$#كô³خز.ŒtûüŒ
(٢) اتدتب yè9$#"<Hsدu' tûü<bة ! A$yJtBurخ†

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { t؛dںدiB tLد#©'s (خ/چ

: { اتدتب J9$#كô³خز.B tûüد`Zym $tBur tb%x. zےڈدZ$

{ ملة } أبيكم إبراهيم الذي اتفق أهل الأديان أنه على الحق وادعى أهل كل دين أنهم على دينه بلا حجة أو الذي تدعي العرب أنها على دينه خطأ منهم { حنيفا } خاشعا لله { وما كان من المشركين } فزعمكم أيها المشركون أنكم على دينه زعم باطل ؛ لأنكم مشركون وما كان من المشركين قط .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { @è% } يا محمد للمشركين { b¨خ)
u' <bä ! A$yJtBurخ† u‹txCur$"èSur y،فهإ' x|¹ںAخ'
yè9$#"<Hsدtûü اتدثب } :
}

إن صلاتي } لله وحده فأنا أدعوه في صلاتي وحده ولا أدعو غيره كما يفعل المشركون { ونسكي { نحري وذبحي له وحده لا أنسك لغيره كما تصنعون أيها المشركون { ومحياي } ما أنا عليه في حياتي وما أنا عليه في حال موتي فأفعالي في حياتي وتروكي وجميع سلوكي لطالب الحياة وغيرها كله لله وموتي على ذلك { لله رب العالمين } المالك لهم وهذا هو الإسلام الكامل في أعلى درجاته إسلام نفسه لله وحده إسلاما كاملا ؛ لأنه لا يبقى لنفسه من نفسه شيئا إسلاما يحيى عليه ويموت عليه .

(٦٣٠/٢)

&A¨rrم ur&O$tRr &BéحدNك ur/خ›x؛٩دçms9 y7¼ °ںخزw y7ƒں
u' /|$ &r/سب #$!" &xîrژخè% u@ (١) اتدجب #$çRùQ،<حHsدtûü
uqèdur 'u< ب@eن. &نسx" (٢)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { y7ƒں °ںخزw ¼ çms9
&A¨rrم ur&O$tRr } أمرني ربي لا بخلافه { &BéحدNك ur/خ›x؛٩دy7
#$çRùQ،<حHsدtûü اتدجب } سابقهم في الإسلام لا يبلغ مبلغي فيه أحد من البشر ، أو أول المسلمين في زماني سبقت بإسلامي من اتبعني كلهم وكنت قدوتهم في الإسلام وهذا أقرب .

(٢) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { u@ &xîrژخè% #$!" &r/سب
uqèdur/|$ 'u< u' ب@eن. &نسx" } :

أي هذا لا يكون مني أبدا ، فالسؤال بمعنى النفي كقول مؤمن آل ياسين { ءأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم } وقوله { وهو رب كل شيء } احتجاج على المشركين بأن

الله رب كل شيء فلا يستحق العبادة غيره ، ومعنى { أبغي } أطلب أن يكون لي رب غيره وجعل غير بعد همزة السؤال لأن غير محط الإنكار أي كيف غير الله اتخذ وليا ؟ .

(٦٣١/٢)

---

ur #–خ's? ×ou"ج'wur âں وn=tǰpk$ (خtR wے§s? '@à2 C٣،إ=. wurں &zé÷چt"r 3ح–'u (١)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { wurں '@à2 C٣،إ=. tR ے§s? (خw وn=tǰpk$ } :

احتجاج آخر بأني لو فعلت ذلك ما ضررت به إلا نفسي .

{ âں'wur ×ou"ج's? u#–خ'ur 3ح–t"r &zé÷چ } :

احتجاج ثالث بأني لو فعلت ذلك لم يحمل أحد عني ذنبي فهو رد على القائلين { اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم } ومعنى { تزر } تحمل { وازرة } حاملة { وزر } حمل { أخرى } نفس أخرى .

قال في [الصحاح]: والوزر الإثم والثقل ، ثم قال: وقوله تعالى { ولا تزر وازرة وزر أخرى } أي لا تحمل حاملة حمل أخرى انتهى ، والدليل على أنه استعير من حمل الثقيل قوله تعالى { وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم } فقوله { أوزارهم } استعارة ، وقوله { على ظهورهم } ترشيح ، وفي [لسان العرب]: الوزر الحمل الثقيل ، والوزر الذنب لثقله ، ثم قال: ووزرت الشيء أزره وزرا حملته ، ومنه قوله تعالى { ولا تزر وازرة وزر أخرى } انتهى .

(٦٣٢/٢)

4'n§ (خ>NèO /ن٣خ'n/u /ن٣مإ_èگD£ /ن٣م¥خ7tm^م›J$y sùخ/ .نNçFZ دٹms tbqàù ےخ=tGƒrB اتدحب (١)

---

(١) . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { 4'n§ (خ>NèO /ن٣خ'n/u

/ن٣مإ_گèD£گ /ن٣م¥خm7t^م›$yJ sùخ/ ZFçN.ن mڈدù
tbqàےخ=tGƒrB اتدحب } :

{ ثم } ترتيب على الإحتجاج الماضي ، وقوله تعالى { قل إن صلاتي.. } وما بعدها { ثم إلى ربكم } أنت ومن معك والمشركون { مرجعكم } إليه وحده في الآخرة { فينبئكم } يخبركم في القيامة في مقام الحساب والجزاء { بما كنتم فيه تختلفون } في الدنيا من طاعة وعبادة خالصة لله ومعصية وشرك لم يخف عليه منه شيء ، ولم ينس منه شيئا فيبين لكم الذي كنتم تختلفون فيه حين يبين لكم الحق من الباطل مما اختلفتم فيه كقوله تعالى { ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين } .

(٢/٦٣٣)

---

sùu'ur ىF{$# y'اع n=yz"¯´ح#Nà6n=yèy_ y #$!©%د" uqèdur
û !$tBخ' j9ڈدuqè=7u.نN ڈy_u'y"èt/ ;M÷ظ> èt/ s–qsù÷ز٣ںنN
ts9 ےqà'ض urخ)è9$# ¼çm¯Rد)s$<ة | ƒخژى 'u/y7 خ)b¨ نs?#u٣٨ن/
L7mدن§' اتدخب (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { uqèdur "د%©!$# ٍ
èt/ ÷ظ> èt/ s–qsù÷ز٣ںنsùu'ur NىF{$# y'اع n=yz"¯´ح#Nà6n=yèy_ y
: { نs?#u٣٨ن/ û !$tBخ' j9ڈدuqè=7u.نN ڈy_u'y";M
}

خلائف } جمع خليفة وإضافة الخلائف إلى الأرض لخلافتكم من قبلهم في عمارتها والإصلاح لما يصلحون فيها كقوله تعالى { ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون } فالخلافة في الأرض قسمان خلافة قرن لقرن وأمة لأمة ينتفعون بالأرض انتفاع من قبلهم وخلافة إنسان لله كقوله تعالى { يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق } فقوله تعالى { جعلكم خلائف الأرض } الخطاب للموجودين عند نزول الآية وخلافتهم لمن قبلهم معروفة ، ولكن بين الله هنا أنه هو الذي جعلهم خلائف لا غيره ممن يعبدهم المشركون أو غيرهم فهو كقوله تعالى في السورة { وهو الذي } في آيات عديدة يرد فيها على المشركين ويبين لهم أنهم مبطلون ،

وقوله تعالى { ورفع بعضكم فوق بعض درجات } كقوله تعالى { نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات } إلا أن هذه أعم من آية الزخرف ، وقوله تعالى { ليبلوكم فيما آتاكم } عام للنعم كلها من الأموال والأولاد والأزواج ومن القوة والفطنة والعلم والحكمة بل والعقل والسمع والبصر ومن الولاية لما تحت أيديهم من ناس أو أنعام وغير ذلك ونتيجة الإبتلاء الذي هو الإبتلاء بما ذكر الجزاء لكل نفس بما كسبت والمغفرة لمن هو أهل في الحكمة لأن يغفر له فرتب على ذكر البلوى ذكر الجزاء والمغفرة فقال تعالى :

{ b¨ (خ 7y/u' ﮐﯽ f خﮋ | ة<$s (د#$9è } :

وسرعة العقاب وقوعه عقيب المعصية لمن استحق ذلك ، ومن أعظم أنواع العقاب وأشده الخذلان وإرسال الشياطين كما قال تعالى { ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين } فهذا نعوذ بالله عقاب عاجل سريع ، ويحتمل أن قوله تعالى { إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم } كالنتيجة لما تقدم في السورة كلها خاتمة لها ، فقد تبين فيها أنه سريع العقاب بخذلان المتمردين المدلول عليه في السورة وتبين أنه غفور رحيم بالدعوة للعصاة إلى التوبة والمغفرة لهم والرحمة وبتأجيلهم وإمهالهم حتى تتهيأ لهم التوبة .

وقوله تعالى { R¼¯çm (خ ur ض 'àq ﮯL7 9sﮐtﮐm§' اتدخب } :

دعوة إلى مغفرته ورحمته وبيان لما في السورة من وعيد المشركين وتقبيح طريقتهم وأعمالهم الجاهلية أنه كله تقبل التوبة منه ، ويغفر كله لمن تاب ويرحمه الله ؛ لأنه غفور رحيم ، وما في السورة من الإحتجاج عليهم هو نفسه دعوة إلى التوبة ليغفر لهم ويرحمهم ، وكذلك يرحم عباده ويغفر لهم بتأجيلهم في هذه الحياة ، ولو يؤاخذهم حين يكسبون الإثم لكان ذلك عظيما عليهم ، ولكن يعرضهم على التوبة بتأجيلهم ويدعوهم إليها ليغفر لهم ويرحمهم فكان التأجيل والدعوة مغفرة ورحمة كقوله تعالى { وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب } وقوله تعالى { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين } وجعل خاتمة السورة { وإنه لغفور رحيم } مناسب لذكر جرائم المشركين وعنادهم وهو يدعوهم ليغفر لهم من ذنوبهم ويؤخرهم إلى أجل مسمى فكأنه يقول { وإنه لغفور رحيم } حيث لم يعجل لهم العذاب وهم كما قد بين في هذه السورة مبطلون ومكذبون ومجادلون ومصرون على باطلهم معاندون بعد وضوح الحق وقيام الحجة عليهم بهذا القرآن العظيم ، فذلك التأجيل والدعوة إلى رحمته مع أنهم كما ذكرنا لأنه غفور رحيم والحمد لله رب العالمين .

(٦٣٤/٢)

جاهز

ijk

المص (١) (١)

---

(١) - ....

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتداء تفسير سورة الأعراف ..

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : سورة الأعراف مائتان وست آيات مكية ، غير ثماني آيات { { واسألهم عن القرية التي .. } } إلى { { وإذ نتقنا الجبل فوقهم } } فإنها مدنية ، .انتهى.

{ بسم الله الرحمن الرحيم المص (١) } :

تقدم في تفسير الفاتحة تفسير البسملة ، وتقدم في أول تفسير سورة البقرة في الكلام في الحروف المذكورة في أوائل السور ، ولا إشكال أنها عبارة عن معانيها المعروفة المعبر عنها في (ألف باء تاء ثاء .. إلخ) التسعة والعشرين اسما للحروف التي يتركب منها الكلم ، فألف للحرف الأول من أنا و من أمر ومن غيرهما ، والحرف الثاني من رأى ومن نأى وغيرهما وما في سائر الكلام منه سواء في أول الكلمة أو أثنائها أو آخرها ، وهكذا اللام اسم للحرف الثاني في لفظ الجلالة وفي إله وفي علم ، وما هو منه في سائر الكلمات سواء في أولها أو أثنائها أو آخرها ، وهكذا الكلام في ميم وفي صاد ، فالكل أسماء لحروف تستعمل في تركيب الكلام ، فهذا لا إشكال فيه ، إنما الإأشكال في الغرض المقصود الذي لأجله ذكرت في أوائل السور ، فقيل أعلم أعلم به العرب أنه – أي القرآن – مركب من حروف كلامهم في سياق التحدي بسورة من مثله تأكيدا للتحدي .

، قلت : تأكيد التحدي يحتمل أن هذا من جملة الغرض فيها ، ويحتمل مع ذلك أنها ذكرت إعلاما للعرب أنه أوحي إلى رسول الله ( ) كلاما مؤلفا من الحروف المعروفة ليدل بذلك على أنه وحي حقيقة نفس الكلام المؤلف من الحروف لا مجرد المعاني وهذا يظهر في قوله تعالى { { حم * عسق * كذلك يوحيى إليك وإلى الذين من قبلك الله } } .

وقيل: ذكرت الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها للقسم بها ؛ لأنها في بعض السور تقترن بذكر مقسم به مثل { { حم والكتاب المبين } } فأقسم الله بها كما أقسم بغيرها من ما يجتمع فيه أنه آية ونعمة مثل { { والتين والزيتون } } .

وقيل: ذكرت الحروف المذكورة وفيها سر لمعان يطلع الله عليها من هداه لها .

، وفي تفسير الغريب للإمام زيد بن علي عليهما السلام في قوله تعالى { { المص } } : معناه أنا الله أفصل و { { الم } } أنا الله أعلم ، و { { الر } } أن الله أرى ، .انتهى.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٣٥/٢)

كتاب أنزل إليك (١) فلا يكن في صدرك حرج منه (٢) لتنذر به وذكرى للمؤمنين (٢) (٣)

---

(١) . { كتاب أنزل إليك } :
أي ذلك أو هذا كتاب أوحي إليك أي هذا القرآن أنزله الله كتابا يكتب ليحفظ وتتناقله الأمم وتتوارثه الأجيال ، محفوظا بالكتابة في المصاحف { أنزل إليك } يا محمد .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فلا يكن في صدرك حرج منه } :
بل عليك أن ينشرح له صدرك كقوله تعالى { { ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت } } والحرج الضيق .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٣) . { لتنذر به وذكرى للمؤمنين (٢) } :

فالإنذار بالقرآن من أهم مقاصد إنزاله إلى رسول الله ( ) لشدة حاجة الناس إليه بسبب غلبة الجهل وكثرة الشرك على اختلاف المشركين فيه ، وكثرة الباطل في الجاهلية وعند أهل الكتاب ({ وذكرى) } من الغفلة للمؤمنين الذين تنفعهم الذكرى .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٣٦/٢)

اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم (١) ولا تتبعوا من دونه أولياء (٢)

---

(١) . { اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم } :
خطاب للمنذرين وللرسول ( ) وللمؤمنين وهو أمر باتباع القرآن ، أو هو عام له ولسائر الوحي من الله ، وقوله تعالى { { من ربكم } } تنبيه على وجوب اتباعه على العباد ؛ لأنه من مالكهم ؛ ولأنه حق وصواب لأنه من الله ولأنه رحمة للعالمين من ربهم الرحيم بهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولا تتبعوا من دونه أولياء } :
من دونه يحولون بينكم وبينه ({ أولياء) } من تتولونهم وتحبونهم فلا يحملكم توليهم على اتباعهم وترك ما أنزل الله .
،
وقلت : يحولون بينكم وبينه ؛ لأن معنى { من دونه } أن تتبعوهم من قبل أن تتبعوا القرآن ؛، لأن معنى من دونه بينكم وبينه ، فكان المعنى لا تجعلوا الأولياء أسبق إلى اتباعكم لهم ، ومن هذا القبيل قوله تعالى { { وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا } } ومنه اتباع الآباء وترك القرآن من أجل اتباعهم ، ومنه اتباع قوانين وضعها البشر برأيهم غير مستندين إلى القرآن .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

قليلا ما تذكرون (٣) (١) وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم ڗcqè=ح !$ (4) s%
((2

---

(١) . { قليلا ما تذكرون (٣) } :
فتؤثرون اتباع آيات الله على اتباع من تحبون لتذكركم حق الله عليكم ، وأنكم في الآخرة ترجعون إليه فيجزيكم بما قدمتم وأن من خالف أمر الله يتعرض لعذاب عاجل وآجل .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم ڗcqè=ح !$4) s%) } :
أهلكناها بسبب كفرهم بما أنزل الله ومعصيته وإيثارهم اتباع أولياءهم على اتباع ما أنزل الله ، { (فجاءها

بأسنا بياتا }) أي في بيتهم في الليل ({ أو هم قائلون) } في حال قيلولتهم في النهار .
، قال في الصحاح : القائلة الظهيرة ، يقال: أتانا عند القائلة ، وقد يكون بمعنى القيلولة وهي: النوم في الظهيرة ، يقال : قال يقيل قيلولة ..انتهى المراد .
وفي مفردات الراغب : قلت قيلولة نمت وسط النهار ، .انتهى المراد.

فمعنى { قائلون } نائمون في الظهيرة وسط النهار ، وعطف { (فجاءها }) على { (أهلكنا }) لجريه مجرى التفصيل الذي يعطف بالفاء على الإجمال كما تقول خطب فقال كذا .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٣٨/٢)

فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين (٥) (١)

---

(١) . ... { فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين (٥) } :
لم يدعوا أن الله لم يرسل إليهم منذرا ، أو يدعوا أنه لم يمكنهم القبول من النذير ، أو يدعوا أن النذير لم يأت بحجة تدل على صدقه ، أو أن النذير كان مجنونا أو كذابا مجربا في الكذب ؛، ولذلك أعرضوا ولم ينظروا في دليل صدقه ، بل لم يجدوا أي حجة و أي دعوى سوى الاعتراف بأن السبب لهذا العذاب المهلك من عند أنفسهم وهو الظلم بالإعراض عن النذير ، وإيثار الهوى ، وإيثار اتباع الأولياء على اتباع أمر الله ربهم ، وهكذا نجد الناس إذا جاءت المصائب من الجدب أو تسليط الظلمة ليهلكوهم ، قالوا ذنوب الناس وإعراضهم عن طاعة الله ولم يقف حال المعرضين عن ما أنزل الله إلى اتباع أوليائهم على العذاب العاجل وحده ، بل لابد من العقاب الآجل وهو أشد وأبقى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٣٩/٢)

فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين (٦) (١) فلنقصن عليهم بعلم وما كنا ڑüخ٧ح !$ xî
(2 (7))

---

(١) . { فلنسألن الذين أرسل إليهم } : ألم تأتكم رسلي ؟ { ماذا أجبتم المرسلين } .
{ ولنسألن المرسلين (٦) } :
هل بلغتم الرسالة كما أمرتم ؟ وماذا أجبتم؟ وهذا السؤال سؤال حساب لا سؤال تعرف ، فهو سبحانه أعلم بما قدموا كلهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فلنقصن عليهم بعلم وما كنا ڑüخ٧ح !$7) xî) } :

نقص عليهم في الآخرة سيرتهم في الدنيا ، وما قدموا ، وما أخروا ، وما أسروا ، وما أعلنوا بعلم ما فيه تظنن ، بل العلم الذي هو شأن الرقيب عليهم الشهيد على كل ما عملوا هو مع ذلك عالم الغيب والشهادة علام الغيوب ({ وما كنا غائبين) } كما قال عيسى عليه السلام { { كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد } } وكما قال تعالى { { ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد } } وغير ذلك ، فلا يقال له غائب ويجتنب التعبير عنه سبحانه بالغائب .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٦٤٠)

والوزن يومئذ الحق (١) فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون (٨) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون (٩) (٢)

---

(١) . { والوزن يومئذ الحق } :
تقدير مقادير الأعمال ليكون الجزاء تابعا في مقداره لمقدار العمل على التحقيق بلا تساهل ولا مجازفة ولا إهمال لشيء من الأعمال ، { (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره }) ، فهذا العدل هو الحق ، وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: معناه العدل ، .انتهى.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف

إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فمن ثقلت موازينه } كانت له حسنات مقبولة نافعة ثقل بها ميزانه { فأولئك هم المفلحون (٨) } : الفائزون الظافرون بالنجاة والسعادة الدائمة { ومن خفت موازينه } لم يكن له من العمل الصالح ما يثقل به ميزانه ؛ لأن أعماله أحبطتها سيئاته ، فكانت ({ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا }) .

}

فأولئك الذين خسروا أنفسهم } وما أعظمها من مصيبة أن حياتهم الآخرة ليست لهم ، ولم يبق لهم من أنفسهم أي فائدة وإنما يبقون ليعذبوا .

{ بما كانوا بآياتنا يظلمون (٩) } :

فكما خسروا أعمالهم خسروا أنفسهم وسبب ذلك كله أنهم كانوا في الدنيا بآيات الله جل جلاله يظلمون ، والظلم بآيات الله يكون التكذيب بها ، ويكون الاستهزاء بها ، ويكون الاستخفاف بها ، لأنه كله ظلم متعلق بآيات الله .

وهذه الآيات كما ترى ليس فيها ذكر لموازنة بين الحسنات والسيئات ، بل ظاهرها أن الموزون هو الحسنات فقط ، وأما قوله تعالى { { ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره } } فهو كذلك لايفيد الموازنة بين الحسنات والسيئات ، إنما يفيد اعتبار السيئة في الجزاء وإن صغرت ، ولو لم تكن إلا مثقال ذرة فلن تهمل ولن يغفل عنها ، ولن تنسى بل يجدها محضرة في كتابه وفي جزائه ، فأما الموازنة بين الحسنات والسيئات فلم تذكر .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٤١/٢)

ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون (١٠) (١)

---

(١) . { ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون (١٠) } :

{ (مكناكم }) أيها الناس في الأرض لتنتفعوا بها وتعيشوا فيها والتمكين للبشر في الأرض تقويتهم على الانتفاع بمنافعها ، وجعلها لهم قرارا ، وإعدادها لانتفاعهم بها.

{ وجعلنا لكم فيها معايش } ، قال الراغب : العيش الحياة المختصة بالحيوان ، ثم قال : ويشتق منه المعيشة لما يتعيش منه ، .انتهى.

وقال الشرفي في [المصابيح]: معايش جمع معيشة ما يعاش به من المطاعم والمشارب أو ما يتصل به إلى ذلك ، .انتهى.
وعبارة [لسان العرب] : معايش ما يعيشون به ويحتمل أن يكون الوصلة إلى ما يعيشون به ، .انتهى.
قلت : الباء للآلة في قوله: ما يعيشون به ، فقد دخلت الوصلة في جملة الآلة ، فالأولى أنه عام لما يعيشون به أساسا ولما يتوصلون به إلى ما يعيشون به ، فبين الله نعمته على الناس ، ثم بين أن شكرهم قليل هو حث على الشكر .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٦٤٢)

ولقد خلقناكم ثم صورناكم (١) ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين (١١) (٢)

---

(١) . { ولقد خلقناكم ثم صورناكم } :
{ (خلقناكم }) أيها الناس أي خلقنا هذا النوع من الحيوانات والمراد ابتدأنا خلقهم بخلق أولهم وهو آدم ، ونظيره قوله تعالى { { ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون } } وخلق الإنسان إيجاده مقدرا ، وتصويره وتحصيل صورته مثلا جعل عينين ولسانا وشفتين وجعل الإنسان منتصبا على رجليه يعمل بيديه وغير ذلك ، فهذه نعم عظيمة وتكريم للإنسان بما فضله به على سائر الحيوانات .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم } :
وهذا تكريم عظيم للإنسان والنعمة على الوالد نعمة على الولد ، وهذا سجود تكريم ليس سجود عبادة
.
{ فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين (١١) } :
{)
لم يكن من الساجدين) } تصريح بمفهوم الإستثناء ، لأنه ينبني عليه الكلام الآتي.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٤٣/٢)

قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك (١)

---

(١) . { قال } الله تعالى { ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك } هذا سؤال عن الباعث على المعصية ، وقوله تعالى { إذ أمرتك } تحقيق للمعصية بأنه أمره بالسجود ، فلم يسجد حين أمره ، وقد علم سبحانه ما منعه ، ولكن سأله ليجيب بذكر ما منعه ، وأمره بالسجود هو في ضمن قوله تعالى للملائكة { { اسجدوا } } وهو يدل على أنه قد كان بعبادته الماضية في السماء صار من الملائكة ، وإن كان أصله من النار كسائر الجن ؛ن ولذلك دخل في عموم أمر الملائكة ، ولا مانع أن يكون اسم الملك ليس مفهومه نسب معين بل حالة من العبادة والكرامة بسببها مع الكون في السماء مقر العبادة الخالصة ومقر الملائكة كما يسمى الرسول رسولا سواء كان رسولا إلى الناس أو رسولا إلى النبي من الله ، أي أن اسم الملك إنما هو صفة لا اسم جنس مخصوص ، وفي الآية دلالة على أن صيغة اأفعل تسمى أمرا ، وأنها تفيد الوجوب من حيث هي أمر ، وقوله تعالى { { أن لا تسجد } } قيل فيه : لا صلة في الكلام للتأكيد ، وقال بعض المفسرين : والظاهر أن (منع) مضمن معنى حمل أودعا ، والمعنى: ما حملك أو دعاك على أن لا تسجد مانعا لك ، .انتهى.

قلت : ومن هذا قول الراغب : أي ما حملك ، وحصلت به الدلالة على أن السؤال ليس سؤالا عن عذر مانع من السجود ، بل هو سؤال عن الباعث على المعصية الذي حمله عليها ، وعلى هذا فـ(لا) نافيه ، وصح ذلك لتضمين (منع) حمل ، ومثل هذا التضمين مشكل ؛ لأنه لا يستقيم إلا مع حذف مفعول منع ، وتضمين الفعل ضد معناه وهو بعيد ، وأقرب منه ارتكاب جعل (لا) صلة للكلام يحسنها أن أصلها النفي ، وأن المقصود بالسؤال عن المانع من السجود السؤال عن الحامل على تركه ، فحسن جعل الكلام في صورة النفي ملاحظة للمعنى المذكور والله أعلم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٤٤/٢)

قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (١٢) (١)

---

(١) . { قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (١٢) } :
هذا ذكر الباعث على المعصية ، وأنه كونه في دعواه خير من آدم التي احتج لتصحيحها بأن ربه خلقه من نار وخلق آدم من طين ، وهذا ليس مبررا للمعصية ؛ لأن عليه امتثال أمر المالك المنعم ، وأن يسلم لحكم الله لأنه الحق ، فامتناعه عين الباطل ولا و الإنقياد للكبر ، وليس له أن يجادل أحكم الحاكمين الذي لا يظلم أحدا ولا يأمر بالباطل ؛ ولهذا ترك الرد عليه ؛ لأنه لم يأت بحجة إلا مجرد التعبير عن استكباره ؛، لأن أصله من النار ولا يلزم منه أنه خير من آدم ؛ لأن آدم شرف بروحه المخصوص والتسوية التي اختص بها وإعداد فطرته للعلم الغزير .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٤٥/٢)

قال فاهبط منها فما يكون لك أن t چ s3tFs٦؟ فيها فاخرج إنك من الصاغرين (١٣) (١)

---

(١) . { قال فاهبط منها فما يكون لك أن t چ s3tFs٦؟ فيها فاخرج إنك من الصاغرين (١٣) } :
كانت عقوبة عاجلة طرده من مكان شريف رفيع أو مكانة شريفة رفيعة ، وقد أبهم هنا ، وفي سائر مواقع القصة فلنبهم ما أبهم ، ولا نقل هو السماء التي هي محل العبادة ، ولا الجنة ولا الرئاسة ، فذلك أمر زائد على التفسير ؛ لعدم الدليل عليه ، وإن كان ذكر الهبوط يوحي بأنه في السماء جملة من دون تعيين لمقر الملائكة ، وكان الظن أنه مقر الملائكة ؛ لأنه مظنة التنزيه عن إبليس من حيث أنه محل العبادة بمنزلة المسجد كما قال تعالى { { إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا } } فلا نجزم بذلك جزما ، وقوله تعالى { { فما يكون لك أن تتكبر فيها } } يدل على أنه لا يصلح للبقاء فيها في حال تكبره ، وليس من شأنه إلا أن يطرد عنها فرتب عليه طرده عنها بقول عز وجل { { فاخرج إنك من الصاغرين } } والصاغر: الذي يستحق المنزلة الدنيئة السافلة الحقيرة ، فهذا حكم من تكبر عن الحق كما أن من تواضع لأمر الله رفعه الله .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٦٤٦)

قال أنظرني إلى يوم يبعثون (١٤) قال إنك من المنظرين (١٥) (١)

---

(١) . { قال أنظرني } في الحياة هذه { إلى يوم يبعثون (١٤) } يعني بعث آدم وذريته أو كافة المخلوقين ، وذلك يوم القيامة حين ارتفاع التكليف ومجيء وقت الجزاء { قال إنك من المنظرين (١٥) } إلى نهاية وقت التكليف وهو يوم الوقت المعلوم الذي اقتضت حكمة الله إنظاره إليه ابتلاء للعباد واختبارا يظهر فيه من يطيع الله ومن يطيع عدو الله وعدوه ، فأما بعد ارتفاع التكليف فلا وعد له بالإنظار إلى يوم يبعثون ، وفي التعبير بقوله { { إنك من المنظرين } } إشارة إلى أن إنظاره كان مقدرا من قبل سؤاله ، فقوله تعالى { { إنك من المنظرين } } خبر عن أنه منظر من قبل ، لا أنه أحدث له الإنظار إجابة لدعائه ، لأنه لو كان إجابة كان إنشاء لا يؤكد بـ(إن) ولكنه أكده بـ(أن) لئلا يتوهم عدو الله أن الإنظار إجابة لدعائه لم يكن مكتوبا له من قبل ، ونظيره، لو قال رجل : أأعطني هذا القلم ، فقلت: إنه لك ، لأنه إنما نسيه عندك من قبل.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٦٤٧)

قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم (١٦) (١)

---

(١) . { قال } الشيطان { فبما أغويتني لأقعدن لهم } أي لآدم وذريته { صراطك المستقيم (١٦) } لأصدهم عنه ، وقوله { { بما أغويتني } } يعني بما سببت لغوايتي ؛ لأنك أمرتني بالسجود وأنا لام أسجد له ؛ لأنه علي أمر ثقيل كالمستحيل ، فقد أغويتني به أي سببت لغوايتي ومعصيتي لك ، وعدولي عن طريق الرشد ، فبسبب ذلك أقسم لأنتقمن منهم ؛ لأن غوايتي كانت من أجلهم ، { فلأقعدن } لإغوائهم { صراطك } أي اعترضهم في سلوكهم على دينك لأصدهم عنه ، فصراط الله هو دينه الذي ارتضاه لعباده شبهه بالطريق يقعد عليه ليصد المارة عن سلوكه ويحولهم إلى الغواية والمشي في غير طريق هداية .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٤٨/٢)

ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن Nخgخ=ح !$oے1) (w) ولا تجد أكثرهم شاكرين (١٧) (٢)

---

(١) . { ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن Nخgخ=ح !$oےw } :
{ (لآتينهم }) لمحاولة إغوائهم من كل جهة ، فإذا أتيت الإنسان من جهة فلم يرض أتيته من جهة ثانية وهكذا ، بل وإذا كان يوافق حين آتيه من بعض الجهات ومن الجهة أو الجهات الأخرى أتيته منها ، فالحاصل أنه يأتيه من كل جهة من الجهات الأربع سواء أطاعه في بعضها أم عصاه ، وهذا تمثيل لاحتيال الشيطان لإغواء الإنسان من أي جهة يجدها مدخلا على الإنسان كالتخويف من الفقر في المستقبل والتخويف من الفقر على من يخلفه من أولاده والتثقيل للطاعة والتثبيط عنها والدعوة إلى الزيادة والغلو والدعوة إلى بدعة يزينها له دينا ، والدعوة إلى الفواحش والظلم وتزينها .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولا تجد أكثرهم شاكرين (١٧) } :

لأني أستطيع إغواءهم إلا عبادك منهم المخلصين ، وفي قوله { { ولا تجد أكثرهم شاكرين } } احتمالان :
أحدهما: أنه يفوت عليهم فضيلة الشكر ويلحق بهم عار الكفر فيوقعهم في مثل ما وقع فيه من الخسة والدناءة وسقوط المنزلة ويفوت عليهم ثواب الشكر وفائدة العاجلة .
، واحتمال أن عدو الله بجهالته وقلة معرفته بالله أراد أنه يفوت عليه شكر عباده ، بمعنى أنه غرض لله تعالى ، فوته عليه جهلا منه أن الله غني عن العالمين ، كما قال تعالى { { إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم } } وكأن هذه المحاورة وقعت قبل خروجه عن مكانه الذي طرد منه بعد أمره بأن يخرج ، فلذلك أعيد الأمر بالخروج إهانة له وتأكيدا لطرده .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين (١٨) (١)

---

(١) . { قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين (١٨) } :

({ مذؤوما) } في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : معناه معيب مرجوم ، { { مدحورا } }
فيه معناه مبعدا ، .انتهى.

وفي [الصحاح] : الذام العيب يهمز ولا يهمز ، .انتهى المراد.

وفي [الصحاح] : الدحر : الطرد والإبعاد ، .انتهى.

{ { لمن تبعك منهم } } أي من آدم وولده { { لأملأن جنهم منكم } } أي من الجن ومن ذرية آدم ،
دخل الجن في خطاب إبليس لأنه منهم ، و(من) في قوله تعالى { { منكم } } بيان ما ملئت منه ،
وقوله تعالى { { لأملأن .. } إلى آخرها } جواب القسم ساد مسد جواب الشرط فهو كقوله تعالى { {
قال فاذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم } } وقوله تعالى { { لأملأن جنهم من الجنة والناس
أجمعين } } والمراد من تبعه ولم يتب .

،

وقوله تعالى { { أجمعين } } تحقيق لعموم الثقلين الجن والإنس إنه يملأها منهم ، وفي هذه دلاالة
على أنه غني عنهم لا يبالي بغوايتهم ولا بمصيرهم في جنهم وأن إبليس ومن تبعه هم الخاسرون { {
ولن ينفعكم اليوم إذا ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف
إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
(١٩) (١)

---

(١) . { ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة } :

هي جنة فيها نعمة لآدم وزوجه لعلها في الأرض وهي معروفة عند آدم ، فالتعريف لأنها معهودة لعند آدم
.

{ فكلا من حيث شئتما } : تعبير عن كثرة المأكول وأنه موجود حيث شاءا أن يأكلا { ولا تقربا هذه الشجرة } وهي أيضا معهودة لآدم فصحت الإشارة إليها كقوله ( ) : ((من أكل من هذه البقلة)) يعني الثوم فيحتمل أن الإشارة إلى جنس كما في الحديث ، وقد فسرت بشجرة البر ، ويحتمل أن الإشارة إلى عين .

{ فتكونا من الظالمين (١٩) } : بمعصية ربكما وكل معصية لله فهي ظلم ؛، لأن معصية المالك المنعم حيف وجور ؛ لأن الطاعة حق على العبد المنعم عليه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٥١/٢)

فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين (٢٠) (١)

---

(١) . { فوسوس لهما الشيطان } :

قال الشرفي رحمه الله : قال في البرهان: الوسوسة فهو إخفاء الصوت بالدعاء ، يقال: وسوس له إذا أوهمه النصيحة ووسوس إليه إذا ألقى إليه المعنى ، .انتهى المراد.

{ ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما } :

وسوس لهما من أجل أن يكشف لهما ما ستر عنهما ({ من سواءتهما) } من عيوبهما التي تسوءهما ، أو من عوراتهما ، والأول أظهر ؛ لأن العورة لابد أن يكونا قد رأياها وليس في إبدائها لهما ما يهم سواء إبداء عورة الواحد لنفسه أم عورته لزوجته ، والذي يدعو إليه الحسد والعدواة هو إبداء عيوب الإنسان التي لم تكن ظهرت فيهما كضعف العزم وغلبة الشهوة والإاغترار بالعدو بعد التحذير منه والمعصية لله وهما في نعمته العظيمة فهذا هو الذي يطمع فيه عدو الله وعدوهما .

}

وقال } في وسوسته { ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا } كراهة { أن تكونا ملكين } إذا أكلتما منها ، والملائكة ملوك يتصرفون في العالم تصرف الملك ، وهذا ترغيب في أن يكونا ملكين وقد أاسجد الله لآدم ملائكته فمرجعه إلى الترغيب في الملك كقوله { هل أدلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى } .

{ أو تكونا من الخالدين (٢٠) } :
الذين لا يموتون ، ولا يبالي أن يكذب بدعوى أن الملائكة ملوك ، وبدعوى أن من المخلوقين خالدين لا يموتون أبدا ، فقد أوهمهما أن النهي عن أكلهما من الشجرة ليس لمصلحتهما .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٥٢/٢)

وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين (٢١) (١) فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة (٢)

---

(١) . { وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين (٢١) } :
في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام ({ وقاسمهما } معناه : حلف لهما ، .انتهى.
ومثله في الصحاح وغيره .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فدلاهما بغرور } :
({ دلاهما } أوقعهما في الخطر أي في المعصية ، وفي شعر معاوية في مولاه حريث :

ودلاه عمرو والحوادث جمة ... وقد يهلك الإنسان من لا يحاذر

... و لعل أصله التدلية في الحبل في البير أو نحوه ، والغرور كلامه الذي غرهما به .
{ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما } :
في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام ({ سوءاتهما } معناه : فروجهما ، .انتهى.
ويحتمل: بدت لهما عيوبهما ، كقوله { ليريهما سوءاتهما } وكان ذلك لطفا لهما فابتعدا عن الشجرة .
}
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة } :
في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام معناه: فجعلا يخصفان الورق بعضه إلى بعض ، ينظمانه ، .انتهى.

وخصف الورق عليهما الأقرب أنه استعداد للخروج من الجنة بسبب أن لباسهما نزع عنهما ، ليضطرا إلى العمل لتحصيل اللباس كما يعملان لتحصيل الأكل والفراش والمسكن ، فكان استعمال الورق لباسا أول ضعف الحال .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٥٣/٢)

وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين (٢٢) (١) قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٢٣) (٢)

---

(١) . { وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين (٢٢) } :

وفي هذا تذكير لهما بأنهما قد زلا من جهة أنفسهما لاغترارهما بغرور الشيطان ، لا من عدم التحذير من الله .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٢٣) } :

أي تابا إلى الله واعترفا بالخطيئة ، ويترجح أن هذه هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه أي تلقنها ، أي هداه لها ، فاهتدى لها وقالها فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ، ويظهر أن هذا كان قبل نبوءة آدم ، وأنهما كانا في أول أمرهما لما تشرع لهما شريعة إنما نهيا عن الأكل من الشجرة وكان ذلك لطفا لهما ، ليشتد حذرهما من الشيطان حتى ينجوا من النار ، ويدخلا جنة الخلد ؛ لأن التحذير من الشيطان لم يكن كافيا لهما وحده حتى جربا كيده وذاقا مرارة الإغترار بغروره ، ورب ضارة نافعة .

، فإن قيل : لا يخلوا إما أنهما عند نهيهما عن الشجرة قد كانا قد بلغا حد التكليف أولم يكونا بلغا حد التكليف ، إن لم يكونا بلغا حد التكليف فكيف كانت معصية وتوبة ؟ وإن كانا بلغا حد التكليف فكيف لكم يكلفا بشريعة ؟

، والجواب: أنهما بلغا حدا يصح فيه تكليفهما باجتناب الشجرة ، ولا يلزم منه أإنهما بلغا حدا يصح في الحكمة والرحمة تكليفهما فيه بشريعة كاملة ، أي أنهما كانا حديثي سن ، وقد حصل لهما بعض الصلاحية للتكليف ، وعلى هذا تكون قصة الشجرة قبل تعليم آدم الأسماء وتعليمه بعد خروجه من

الجنة ، واصطفاؤه بعدما وجد له بنون.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٦٥٤)

قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو (١) ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (٢٤) (٢)

---

(١) . { قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو } :

ظاهر الأمر بالهبوط لآم وزوجه والشيطان والعدواة بين الشيطان وآدم وزوجه ، ولعل الشيطان أاهبط أولا من السماء فصار إلى آدم وزوجه لإغوائهما ، ولا مانع من أنه كان في الجنة إذا كانت نعمتها لآدم وزوجه وليس فيها لإبليس مثل ما لهما من اللذات ، بل ولا مانع أن يكون له فيها متاع ؛، لأنه ممهل كما في الأرض ، وهذا يستقيم على أن الإهباط الأول من السماء وأنها المراد بقوله تعالى { { فما يكون لك أن تتكبر فيها } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (٢٤) } :

كأن الخطاب لهم ، والحكم لهم ولذرياتهم مثل ما سبق في قوله تعالى { { لأملأن جنهم منكم أجمعين } } والدليل على هذا قوله تعالى:

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٦٥٥)

قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون (٢٥) (١) يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا (٢)

---

(١) . { قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون (٢٥) } :

وقوله تعالى { { ومنها تخرجون } } يحتمل تخرجون من بطنها ، ويحتمل تخرجون منها جملة إلى الجنة والنار وهذا أقرب ، وهذا خطاب لآدم وذريته وما بعده خطاب لبنيه والخطاب الأول لآدم شمل ذريته بالتغليب وما بعده لبني آدم الذين وجدوا عند نزوله ، وما ومن بعدهم يدخل في عمومه حين يوجد.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا } :
خطاب لبني آدم الذين كانوا موجودين في عهد آدم عندما نزول هذا الخطاب ، (ثم من بعدهم حين وجدوا ، فقوله { { يا بني آدم } } من مقول القول في الآية التي قبلها يذكر نعمة الله) يراجع هذا الكلام الأحمر لأنه غير واضح عليهم باللباس ، ففيه فائدتان :
،
الأولى: مواراة السوءات أي ستر العورات ، وهو تكريم للإنسان وتفضيل له على غيره من الحيوانات ، وقد نبه على حاجته إليه بقوله { { وطفقا يخصفان عليهما من روق الجنة } } وبقوله تعالى { { وجعل لكم سرابيل تقيم الحر الحر } } .
الفائدة الثانية: قوله تعالى { { وريشا } } فاللباس للإنسان بمنزلة الريش للطائر ؛، لأن الإنسان في الغالب ظاهر الجلد لا يغطيه شعر كغيره من الحيوانات الأرضية ، ولا ريش كالطيور ، فجعل الله له اللباس قائما مقام الريش للطائر ومقام الشعر لغيره من الحيوانات الأرضية الظاهرة ، ولعله خص الريش بالذكر لإغنائه في الدلالة على حاجة الإنسان إليه ونعمة الله به ؛، لأن الإنسان إن شاء لبس ثوبا واحدا فكان له خفة الريش ، وإن شاء ضاعف اللباس فكان له وفرة الريش ونفعهة في الدفئ ، والله أعلم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٥٦/٢)

ولباس التقوى ذلك خير (١) ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون (٢٦) (٢)

---

(١) . { ولباس التقوى ذلك خير } :
وأنزلنا عليكم لباس التقوى بإرسال الرسل وإنزال الكتب وهدايتكم للتقوى إن اهتديتهم { ذلك } أي لباس التقوى خير ؛ لأنه ستر يستر صاحبه عن معايب الأعمال ورذائل الأخلاق ، وهو شرف لصاحبه ووقاية نافعة في الدنيا والآخرة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون (٢٦) } :

فالآية في اللباس الذي أنزله من القطن وغيره وهدى الإنسان لغزله ونسجه والتستر به واللبس له لحاجته إليه لظهور الجلد جلده ، ومخالفته في ذلك للحيوانات الأرضية الظاهرة ، والطيور ، فهذها دليل على علم الله تعالى وقدرته حيث خلق الإنسان مخالفا في ذلك ، وحيث جعل اللباس له ليقوم مقام الريش والشعر ، والآية في الهداية إلى لباس التقوى حيث ميز الإنسان عن سائر الحيوانات بالعقل ، وميزه في قدرة العمل وجعل له الهداية والتعليم الذي امتاز به عن السباع والبهائم والذي لولاه لكان في أسوء حالة من التظالم وسوء الحال في التناسل والتربية وغير ذلك ، حيث لا يكون له مع زيادة قدرته وفهمه وازعا يحمله على العدل والإحسان ، وينظم له معاملته فيما بينه على ما تستقيم به معيشته وتكافله وتعاونه وغير ذلك ، وقوله تعالى { { لعلهم } } أي بني آدم { { يذكرون } } وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة لظهور إعراض أكثرهم فكفى توجيه الخطاب لمن يستمع وينتفع ، أو لأن أكثرهم لم يكن قد وجد ، وفي هذه الآية الكريمة رد على من يترك اللباس تهاونا به وكفرا ، ومن يتركه في حال الطواف إما تدينا لئلا يجب عليه التصدق به في اعتقاده لأنه طاف فيه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٥٧/٢)

يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون (٢٧) (١)

---

(١) . { يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون (٢٧) } :

في هذه الآية الكريمة تحذير من الشيطان وإشارة إلى وسيلة النجاة من سلطانه ، فالتحذير أولا: بالدعوة لهم إلى أن يعتبروا بأبويهم حيث أغواهما الشيطان حتى أخرجهما من الجنة أي سبب بإغوائه لهما لخروجهما من الجنة ، تأديبا لهما وكون غوايتهما نهاية للبقاء فيها ، لقوله تعالى { { فقلنا يا آدم إن هذا

عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى .. } } إلى آخر الآيات من سورة طه ، وقوله تعالى { { ينزع عنهما لباسهما } } كقوله { { كما أخرج } } أي أنه سبب بإغوائهما لإخراجهما في حال نزع اللباس عنهما بسببه أي بسبب إغوائه ، ففيه بيان شدة عدواته حيث إغوائهما أغواهما ليخرجهما ولينزع عنهما لباسهما { ليريهما } بإخراجهما ونزع لباسهما { سوءاتهما } عيوبهما ، فيعلمان أنهما ضعيفان في إرادتهما ، ضعيفان في حزمهما ، ضعيفان في حذرهما من عدوهما بحيث استطاع إخراجهما من الجنة ونزع لباسهما الذي كان لهما في الجنة ومغادرتهما محل الرفاهية إلى مسكن الشقاء بتوقف تحصيل حاجاتهم على العمل لتحصيلها ، ففي هذا عبرة لبنيهما ليحذروا أشد مما أوقعهما فيه أن يدخلهم عذاب السعير ، وهي الفتنة العظمى .

، ثانيا: قوله تعالى { { إنه } } أي الشيطان { { يراكم هو وقبيله } } { وقبيله } سائر شياطين الجن .

، وفي [مفردات الراغب] : والقبيل جمع قبيلة ، وهي الجماعة المجتمعة التي يقبل بعضها على بعض ، .انتهى.

ففي قوله تعالى { { إنه يراكم.. } } إلى قوله { { ..من حيث لا ترونهم } } تنبيه على أنهم يحاولون إغواء الإنسان وهو لا يشعر بهم ؛ لأنه لا يراهم ، ولذلك فالإنسان يحتاج إلى الحذر منهم في كل حال .

، ثالثا: قوله تعالى { { إنا جعلنا الشياطين أولياء على اللذين لا يؤمنون } } وهذا الجعل هو ترك الشياطين يغوون الذين لا يؤمنون ، بلا صارف من لطف الله ولا معونة على دفع إغوائهم كما قال تعالى { { إنما سلطانه على الذين يتولونه } } وهو ما نعبر عنه بالخذلان ، وهذه الولاية هي أكبر المصائب من حيث أن الله تعالى يقول { { كتب عليه أن من تولاه فأإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير } } . وأما الإشارة إلى وسيلة النجاة من سلطانه ففي قوله تعالى { { للذين لا يؤمنون } } فأافهم أن من يؤمن ينجو من تسلط الشيطان عليه ، وقد قال تعالى { { إأنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذي يتولونه .. } } الآية .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٥٨/٢)

وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها (١) قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون (٢٨) (٢)

---

(١) . { وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها } :

عطف هذه الآية إما على الآية التي قبلها ، بمعنى أن الله حذر بني آدم من الشيطان ولم يحذر أكثرهم بل ينسبون ما أوقعهم فيه إلى الله انقيادا للشيطان ، وإما على { لا يؤمنون } فهي من صلة الموصول ، والأول أظهر ؛ لأن المتمردين على الله المكذبين بآياته المجادلين فيها المصرين على ذلك يخذلون وإن لم يقولوا { { وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها } } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون (٢٨) } :

رد الله سبحانه قولهم ، وبين كذبهم عليه بأان الله لا يأمر بالفحشاء أمر بقول ذلك رسوله ، وأن ينكر عليهم قولهم على الله ما لا يعلمون ، وفيها دلالة على أنه لا يجوز القول على الله بغير علم لا في القطعيات ولا الظنيات ، فينبغي التحرز في الفتوى وفي الحكم بأن يقول الذي أرى أو نحو هذا .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٥٩/٢)

قل أمر ربي بالقسط (١) وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد (٢)

---

(١) . { قل أمر ربي بالقسط } :
في [الصحاح] : القسط بالكسر العدل ، .انتهى المراد ، . ومثله في [لسان العرب] قال : وهو من المصادر الموصوف بها كعدل ، يقال ميزان قسط ، قال : وقوله تعالى { { ونضع الموازين القسط } يوم القيامة } أي ذوات القسط ، .انتهى. ، وفي [المصابيح] : { بالقسط } أي بالعدل .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد } :
أمر الله رسوله ( ) أن يقول { { أمر ربي بالقسط وأقيموا } } وحسن عطف الأمر على الخبر ، لأن الخبر يفيد الأمر ، فكأنه قيل: وأاقسطوا وأقيموا وجوهكم ، أو أن الأمر في المعنى محكي عن الله ؛ لأن الرسول ( ) إنما يأمر بذلك لأن الله يأمر به ، فكأنه قيل أمر ربي بالقسط وبإقامة وجوهكم ، وإقامة الوجوه التوجه بها لله وحده كما أمر .

،

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : ، قال في البرهان : يعني توجهوا حيث كنتم إلى الكعبة في الصلاة واجعلوا سجودكم خالصا لله دون ما سواه من الأصنام والأوثان ، .انتهى.

فجعل { مسجد } مصدرا أي عند كل سجود ، ويحتمل أن المراد توجهوا لعبادة الله وحده عند إتيان كل مسجد ، وهذا أقرب لإبقاء معنى المسجد على معناه المعروف في الشرع ، وفيه فائدة وجوب استحضار النية عند التوجه إلى المسجد للعبادة ووجوب الصلاة في المسجد .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٦٦٠)

وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون (٢٩) (١) فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون (٣٠) (٢) .

---

(١) . { وادعوه مخلصين له الدين } : أي ادعوا ربي مخلصين له العبادة كلها من الدعاء وغيره .

{ كما بدأكم تعودون (٢٩) } : كما خلقكم أول مرة { تعودون } في الآخرة فأنتم محتاجون إلى إخلاص الدين لله ؛ لأنكم تعودون إليه فيجزيكم بما قدمتم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فريقا } منكم { هدى وفريقا حق عليهم الضلالة } : { هدى } لأنهم لم يستحقوا الخذلان فهداهم ، وفريقا استحقوا الخذلان وأن يتركوا وشا،هموشأنهم ضالين عن سبيل الحق .

{ إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون (٣٠) } :

فحق عليهم أن يضلوا ؛ لأن ضلالهم نتيجة حتمية لاتخاذهم الشياطين أولياء كما قال تعالى { { ويتبع كل شيطان مريد } كتب عليه أنه من تولاه فأإنه يضله } ولاكتفائهم بأان يحسبوا أنهم مهتدون مع نزول القرآن بالحق الواضح والدليل القاطع الهادي لمن اتبعه ومجيء الرسل قبله بالبيانات ، كما قال تعالى { { وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا } } والراجح في قوله تعالى { { فريقا .. } } { وفريقا } أإن نسب نصب فريقا على الحال ، والثاني معطوف عليه ، فالمعنى تعودون يوم القيامة فريقين { فريقا هدى وفريقا حقت عليهم الضلالة } ، أي تعودون فريقين ليجزي كل فريق بما يستحق .

، والراجح أن قوله تعالى { { كما بدأكم } } تذكير بالدليل على قدرته تعالى سواء كان المراد بدأكم خلقكم أول مرة ، وهو أظهر ، أم كان المراد كما بدأ خلقكم ، فكل ذلك من دلائل قدرته تعالى على إعادتهم ، فالإنذار بالعودة وإثبات قدرة الله عليها هو من أهم مقاصد القرآن ، وذلك يكفي في التشبيه بالبدء ، ولا دليل على أن المراد به أنه بدأكم فريقين ، فكما بدأكم فريقين تعودون فريقين ، بل هو ضعيف ؛ لأنه يخرج التشبيه عن الإحتجاج المألوف في القرآن في مواضع عديدة إلى ذكر المناظرة بين حالهم في البدء وحالهم في الإعادة ، وذلك ضعيف ؛ لأنهم في حال البدء كانوا غير مكلفين فضلا عن كونهم فريقين { فريقا هدى } وفريقا { اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ، ويحسبون أنهم مهتدون } وإذا ظهر ضعف هذا عند تفسير البدء أبمعناه الحقيقي فلا ملجئ لحمله على المجاز ليتسنى التشبيه المذكور كما يريدون ، فأما قول من قال بذلك لو كان المراد إثبات قدرته تعالى على الإعادة لكان المناسب أن يقال يعيدكم ، فالجواب: أنا لا ندعي أن الكلام مسوق لذلك حتى يلزم ما ذكرت ، وإنما السياق سياق الحث على الإخلاص لأنا عائدون إلى الله وذكر الحجة على العودة بقوله { { كما بدأكم } } لتأكيد الحث على الإخلاص ، فهو عارض فلا يلزم أن يقال يعيدكم ؛، لأن التحذير من العودة هو الذي سيق له الكلام ، والله أعلم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٦١/٢)

---

* يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (٣١) (١)

---

(١) . { * يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (٣١) } :

قد تقدم أن اللباس للإنسان كالريش للطائر ، وأنه قائم مقام الريش ، فالأقرب أن المراد بالزينة اللباس وهو أهم الزينة من حيث أن ستر العورة أهم من غيره من الزينة ، ويناسب هذا ذكر المسجد ؛ لأنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة ، فقرينة الحال تساعد على تعيين اللباس للطواف وللصلاة في أي مسجد ، بقرينة التعميم لكل مسجد ، وليس خاصا بالصلاة بل ظاهره أخذ اللباس عند إتيان المسجد ، وهو ظاهرة حسنة للمسلمين في مجتمعهم ؛، ولذا شرع لهم التجمل في الجمعة ، والأقرب أن الأمر للوجوب بقرينة ذكر المسجد ، ولو كان للإباحة ما كان خاصا بالمسجد .

وأما قوله تعالى { { وكلوا واشربوا ولا تسرفوا } } فيمكن أن المراد به استحلال ما أحله الله واجتناب تحريمه كما فعلت الجاهلية من تحريم بعضه كما مر في سورة الأنعام ، فيكون الأمر هنا كالأمر في قوله تعالى { { فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين } } وقرب وقرن به ذكر الشرب للتنبيه على أنهما سواء ، فكما لا يحرم شرب الماء لا يحرم الطعام ، وهذا إذا لم يكن ما نعمانع كالصيام المشروع ، وختم الكلام بقوله تعالى { { ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين } } كما ختم في سورة الأنعام في الإحتجاج على المشركين { {كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين } } وذلك للنهي عن إنفاق الرزق في الوجه المحرم فيدخل في العموم دخولا أوليا .
ويحتمل أن الأمر بالأكل والشرب للإباحة لبيان بطلان تحريم الجاهلية لبعض المأكول ، وقوله تعالى { { ولا تسرفوا } نهي عام لكل إسراف سواء بإتلاف المال ونحوه ، أي كل نافع في غير فائدة يصلح إتلافه لها ، أو بإنفاقه في محرم كالمعاونة على الإثم والعدوان أو في مضرة راجحة على لذته ، فيدخل إكثار الأكل بحيث يضر الأكل ، وقوله تعالى { { إنه لا يحب المسرفين } } دليل على تحريم كل عمل ذكر الله أنه لا يحب أهله ، { لا يحب المعتدين } { لا يحب الظالمين } ، { لا يحب كل مختار فخور } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٦٢/٢)

قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق (١)

---

(١) . { قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق } :
وهذا احتجاج على أهل الجاهلية الذين حرموا بعض ذلك كما مر في سورة الأنعام ، وهو يؤكد ما فسرت به الآية التي قبل هذه ، وقد روي أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بالكعبة عراة ، فروي أ نهمأنهم كانوا يتحرجون من لبس الثياب في الطواف لأجل أنها ثياب يذنبون فيها ، وروي أنهم كانوا يعتقدون أنهم إذا طافوا في الثياب وجب عليهم أن يتصدقوا بها ، وكل ذلك تحريم لزينة الله التي أخرجها لعباده وسؤالهم { من حرم الله } تنبيه على أن الحرام إنما هو ما حرم الله ، أما ما لم يحرمه فليس حراما ، فعليهم أن ينظروا فيما حرمته الجاهلية ، فإذا لم يصح أن الله حرمه فتحريمه باطل ، وهكذا في الطيبات من الرزق من الأنعام والحرث وغيرها مما ينتفع به الإنسان وهو سليم من أسباب الخبث وما حرمه الله ففيه سبب خبث .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٦٣/٢)

قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة (١)

---

(١) . { قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة } :
{ قل } يا محمد { هي } أي الطيبات من الرزق أو الزينة والطيبات من الرزق { للذين آمنوا في الحياة الدنيا } في وقت الإيمان النافع { خالصة } لهم { يوم القيامة } لا كما هي في الدنيا محفوفة بالمكاره ، فالله أخرجها في الدنيا لعباده البر والفاجر ؛، لأن الدنيا عرض حاضر يأكل فيها البر والفاجر ، والآخرة وعد الله المؤمنين فيها بالرزق الخالص عن المكدرات والمتاعب وسائر ماحفت به أرزاق الدنيا من المكاره ؛ وهذا لأن معنى خلوصها أنه لا يخالطها مكروه ، وليس معناه أنها خاصة لهم ، فمعنى { خالصة } غير معنى خاصة ، وفائدة قوله تعالى { { في الحياة الدنيا } } قطع طمع الكفار في نفع إيمانهم يوم القيامة والمقابلة بين الحياة الدنيا والآخرة بما يدل على أن الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٦٤/٢)

كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون (٣٢) (١) قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون (٣٣) (٢)

---

(١) . {كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون (٣٢) } :
كذلك التفصيل لهذه الآية أو الآيات { نفصل الآيات } أي نبينها بتفصيلها حتى يعلمها من هو مستعد للعلم بسلامة قلبه من الخذلان والغفلة والإعراض والإنشغال بالدنيا ومستعد بالنية الصالحة والتفهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون (٣٣) } :

}

إنما } حصر إضافي أي لم يحرم الله طيبات الرزق والزينة ، إنما حرم هذه التي كانت في الجاهلية ، وهي خبائث و { الفواحش } الزنا واللواط وما أشبههما في القبح والرذالة ، وقوله تعالى { { ما ظهر منها وما بطن } } دفع لتوهم أن المحرم إنما هو ما ظهر منها { والإثم } كالخمر والكذب وكتمان الشهادة والربا وسائر الذنوب التي لا تعد في العرف من الفواحش ولا من التعدي على الناس في ظاهرها { والبغي } التعدي على الناس والظلم لهم بغير حق ، قيد واقعي أو لدفع توهم التسلط بالحق بغيا محرما { { وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا } } وهذا قيد واقعي { { وأن تقولوا على الله مالا تعلمون } } قد مره تفسيره قريبا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٦٥/٢)

ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (٣٤) (١)

---

(١) . { ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (٣٤) } :

{ ولكل أمة } كهذه الأمة التي بعث فيها الرسول ( ) فكفروا به أجل محدود يمتعون بخلاقهم ، ويتقلبون في البلاد ممهملين ، { فإذا جاء أجلهم } ذهبوا بذهاب ريحهم وإدبار دنياهم وبطل اجتماعهم وقوتهم الذي كانوا به أمة ، فهؤلاء المشركون المكذبون لرسول الله ( ) في أمر أم القرى وما حولها لهم أجل يذهب فيه اجتماعهم وقوتهم حتى لا يكونوا أمة ، وهذا إنذار لهم إما بهلاكهم أو ذلتهم وتفرقهم أيادي سبأ ، وهذا قريب من قوله تعالى في أول السورة { { وكم من قرية أهلكناها } الآية } ، وقد ذهبت تلك الأمة ، وذهب ملك بني أمية وبني العباس وغيرهم من الدول { لا يستأخرون } عن أجلهم { ولا يستقدمون } ولعل أصل المعنى لا يسبق ذهابهم أجلهم ولا يتأخر عنه ، وزيدت [السين] لإفادة أن حالهم غير قابلة للتقديم ولا للتأخير ، فلا يتقدمون ولا يقدمهم غيرهم ، ولا يتأخرون ولا يؤخرهم غيرهم والله أعلم ، وقوله تعالى { { ولا يستقدمون } } معطوف على جملة { {

إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة } } والساعة عبارة عن المدة القصيرة غير محددة خلاف الساعة في عرف هذا الزمان .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٦٦/٢)

يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٥) (١)

---

(١) . { يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٥) ڑ } :

يظهر أنه هذه التوصيات الأربع المبدوءة بقوله تعالى { { يا بني آدم } } وقعت لهم بعد خروج أبيهم وأمهم من الجنة في أول زمان بني آدم فحكاها الله تعالى من قوله تعالى { { قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون } } يا بني آدم .. يا بني آدم .. يا بني آدم .. يا بني آدم ، فكلها من مقول القول في { قال فيها تحيون } وما وقع خلالها من قوله تعالى { { وإذا فعلوا فاحشة .. } } إلى قوله تعالى { { ولا يستقدمون } } عارض في خلال الحكاية للتوصيات المتقدمة لنبي لبني آدم في أول عهدهم وبالله التوفيق .

،

والتوصية في هذه الآية قريبة من التوصية في سورة البقرة { { قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون } } وفي سورة طه { { قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هدى فلا يضل ولا يشقى } } .

وجاءت التوصيات الأربع في سورة الأعراف محكية للرد على أهل الجاهلية بما قد وصي به بني آدم جملة في أول عهدهم ، وهذا الخطاب لبني آدم لا بد أنه وقع بعد وجودهم فهو غير التوصية المذكورة عند هبوط آدم وزوجه من الجنة وإن أشبهته في هذا الخطاب الرابع .

، وقوله تعالى { { إما يأتينكم } } أي أن يأتكم ، و(ما) بعد (أإن) تقوية وصلة للكلام ، وقوله { { يأتينكم } } لحقته نون التكوكيد فلم يجزم ، وهذه وصية لنبي لبني آدم من أول جيل منهم ليستعدوا للإيمان بالرسول والعمل بما جاءوا به وهو التقوى والإصلاح ؛ لأان التقوى اجتناب المعاصي ، والإصلاح إصلاح العمل وإصلاح ما ينبغي إصلاحه ، ومنه ما سبق إفساده { { فلا خوف عليهم } }

في الآخرة { { ولاهم يحزنون } فيها . } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٦٧/٢)

والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٦) (١) فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته (٢)

---

(١) . { ur#$!©%sĩ كذبوا بآياتنا } : التي تأتي بها الرسل { واستكبروا عنها } : أنفوا وترفعوا عن الإيمان بها وعن قبولها لأي سبب من كبر أو حسد أو تعصب لما خلفه الآباء أو غير ذلك .
{ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٣٦) } :
فهم أهل الخوف والحزن والعذاب والخسران ، وهذا إنذار ليؤمنوا بالرسل ؛ لأن الإيمان بهم صلاح الفرد من الناس والمجتمع إذا اتبعوهم فقد أكمل الله الحجة على نبي بني آدم بتوصياته .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته } :

وهو يوصيهم بالتقوى واجتناب التكذيب من عهد آدم عليه السلام وتأتيهم الرسل بالآيات من ربهم فلا أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ؛ لأنه أساء إلى ربه وأطاع عدو الله الشيطان ، وحاول الإفساد في الأرض بالكذب على الله أو التكذيب بآياته .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٦٨/٢)

أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (٣٧) (١)

---

(١) . { أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب } :
ينا لهمينالهم نصيبهم مما كتب الله لهم من العمر والزرق وغير ذلك في هذه الحياة التي هي دار اختبار ، فلا تمنع معصيته من نيل ما كتب له .
{ حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم } : { رسلنا } ملائكة الموت يتوفونهم بتوفي أنفسهم { قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله } هل ينصروكم أو يدفعون عنكم ؟
{ قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (٣٧) } :

لنعم الله أو مكذبين لرسل الله ، وقولهم { ضلوا } أي ضاعوا عنا ، فلم يدفعوا عنا اعتراف مع اعتراف ، أي إعتراف بما كانوا عليه من الشرك ، واعتراف بأنهم لم ينفعوهم { { وشهدوا على أنفسهم } } بالإقرار أنهم كانوا في الدنيا كافرين ، وقولهم { أين ما { أينما كنتم } } يحتمل أنه عند الموت وهو الظاهر لقوله تعالى { { حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم } ويحتمل أنه يوم القيامة ، أما قوله تعالى ..
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٦٩/٢)

قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار (١)

---

(١) . { قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار } :
فهو يوم القيامة فهنا قد طويت المدة ما بين الموت والبعث حتى كأن ساعة الموت مقترنة بالأمر بدخولهم النار ، وهذا طي مناسب لأن المدة بينها تمضي ، فإذا بعثوا لم تكن في نظرهم إلا قليلا ، وقد مر مثله في سورة الأنعام ، وقوله تعالى { { في أمم } } أي مع أمم ، وقوله تعالى { { قد خلت } } يدل على أن المراد بقوله تعالى { { فمن أظلم } } الكفار المتأخرون ، والمراد بقوله { { خلت } } مضت ، فالكل في النار .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٧٠/٢)

كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار (١) قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون (٣٨) (٢)

---

(١) . {كلما دخلت أمة لعنت أختها } أختها التابعة لها أو المتبوعة { حتى إذا اداركوا } تتابعوا وتلاحقوا واجتمعوا في جنهم { فيها جميعا } مجتمعين { قالت أخراهم } التابعون { لأولاهم } وهم المتبوعون { ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار } فقد اغتاظ التابعون من المتبوعين حين رأوا أنهم سببوا لدخولهم النار وانقلبوا أعداء يطلبون من الله أن يضاعف عذابهم بالنار بأن يجعل عليهم عذابا من النار مع ما هم فيه مثل ما هم فيه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون (٣٨) } :

فقد وفاهم الله ما يستحقون من تضعيف عذابهم فللمتبوعين ضعف بسبب سعيهم في فساد التابعين ، وللتابعين ضعف لإيثارهم طاعة أعداء الله على طاعة ربهم الخالق الرازق وهو يدعوهم إلى رحمته ويحذرهم من الشيطان ومن أسباب الهلاك ، فعصوه ، فعذابهم على المعصية كامل وتضعيفه بكونه طاعة للمتبوعين ، والله أعلم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٧١/٢)

وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون (٣٩) (١) إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء (٢)

---

(١) . { وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون (٣٩) } :

فما كان لكم علينا من فضل بتخفيف عذابكم وسلامتكم من تضعيفه ؛ لأن لكل ضعفا فكل فريق يحاول الشر للفريق الآخر ، المتبوعون حاولوا إغاظة التابعين ، كما طلب التابعون تضعيف عذاب المتبوعين وهذا العداوة والحسرات والغيظ نوع من عذابهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء } :

آتينا { آياتنا } المعجزات الدالة على صدق الرسول ( ) وآيات القرآن حيث قالوا { ما أنزل الله من شيء } { { واستكبروا عنها } } ترفعوا عن الإيمان بها وطلبوا العلو بذلك { { لا تفتح لهم أبواب السماء } } تعبير عن غضب الله تعالى عليهم فلا تفتح أبواب السماء لقبول أعمالهم و لا لصعود أرواحهم ، وهذا في الدنيا حين السماء باقية بأبوابها ، فأما في الآخرة فقد قال الله تعالى { { وفتحت السماء فكانت أبوابا } } وقال تعالى { { يوم نطوي السماء كطي السجل } } وقال تعالى { { والسموات مطويات بيمينه } } وهذه السماء هي المعهودة التي ينصرف إليها الخطاب ، فأما سماوات الآخرة فلو كانت المراد لنكرت فقيل لا تفتح لهم أبواب السماء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٧٢/٢)

ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط (١) وكذلك نجزي المجرمين (٤٠) (٢)

---

(١) . { ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط } :

دلالة على تعذر دخولهم الجنة كما يتعذر دخول الجمل وهو اكبر أكبر الدواب المعروفة عند العرب في سم الإبرة التي يخاط بها وهي تسمى خياط وسمها ثقبها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وكذلك نجزي المجرمين (٤٠) } :

بحجبهم عن السماء وحرمانهم الجنة فهو جزاء لكل مجرم غير خاص بالمكذبين المستكبرين منهم ، وفيه تعليل لحرمانهم بإجرامهم ، وهذه خسارة عظمى ولعنة دائمة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٧٣/٢)

لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين (٤١) (١)

---

(١) . { لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين (٤١) } :
{ مهاد } جمر ولهب تحتهم ، سمي مهادا باسم الفراش الذي يمهد للنائم مثلا ، وهو تهكم بهم { ومن فوقهم غواش } جمع غاشيه مثل جوار جمع جارية ، وهذا كقوله تعالى { { يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم } } وقوله تعالى { { وكذلك نجزي الظالمين } } تعليل بظلمهم من حيث دل على أن النار جزاء كل ظالم ؛ وذلك لأنهم كلهم مجرمون ، وكلهم ظالمون وإن اختلفت جرائمهم وتفاوت ظلمهم من شرك أو قتل نفس بغير حق أو كفر أو ربا أو يمين فاجرة أو شهادة زور أو نميمة أو غير ذلك ، فكل جرائمهم ظلم ؛ لأنها حيف وعدول عن العدل والإنصاف ؛، لأنها إساءة إلى رب العالمين المالك المنعم ، فهي ظلم وجور { { كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر .. } } إلى قوله تعالى { { فكان عاقبتها أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين } } وقال تعالى في آية الطلاق { { ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٧٤/٢)

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٤٢) (١)

---

(١) . { والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٤٢) } :
}
الصالحات } السليمات من المفسدات ومن المحبطات ، وقوله { { لا نكلف نفسا إلا وسعها } } جملة معترضة من فوائدها: الدلالة على أن المقصود بالصالحات ليس عاما للواجب وغيره ، بل ما كلفوا به وهو الواجب ، ومن فوائدها: دفع توهم أن الإنسان لا يستطع العمل للجنة بأن ذلك في وسعه

، ولو لم يكن في وسعه ما كلفه الله ، فالعمل للجنة في وسع الإنسان ، ومن فوائدها: الدلالة على بطلان القول بالجبر ؛ لأن من معناه أن الكفار الذي يموتون على الكفر ويصيرون في النار لم يكونوا يستطيعون الإيمان والعمل الصالح فضلا عن أن ذلك كان في وسعهم ، وكذلك من معنى الجبر أنهم لم يكونوا يستطيعون ترك المعاصي والتكذيب بآيات الله وأسباب الخذلان ، فأما أن يقول المجبرة أنهم لم يكونوا مكلفين وذلك خلاف المعلوم من الدين ضرورة ، ومن المعلوم ضرورة أن الله لا يعذبهم بما لم يكونوا يستطيعون تركه ، ولا بترك ما لم يكونوا يستطيعون فعله ، ومن المعلوم من الدين أن الكفار معذبون كما في هذه الآيات في هذه السورة وغيرها ، فدل ذلك على بطلان الجبر .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٧٥/٢)

ونزعنا ما في صدورهم من غل (١)

---

(١) . { ونزعنا ما في صدورهم من غل } :
قال في [المصابيح] : الغل هو الحقد ، .انتهى المراد.
وفي [مفردات الراغب الأصبفهاني] : والغل العداوة ، قال: وغل يغل إذا صار ذا غل أي ضغن ، .انتهى المراد.
وفي [الصحاح] : والغل الغش والحقد أيضا ، .انتهى المراد.
وإزالة ما في صدورهم من غل هي من صرف كل مؤذ ومؤلم عنهم ؛ لأن الحقد يؤذي صاحبه ، والسلامة منه راحة له ولجلسائه وخدمه ومجاوريه ومزاوريه ، وهل يدل هذا على أنه كان في صدورهم غل قبل دخول الجنة ؟

الجواب: ظاهر كلمة النزع أنه كان فيها ، ولعل تفسيره بالحقد أولى من تفسيره بالعداوة ، وهو الذي في [البرهان] و[الصحاح] ، فلا يلزم منه إرادة الضرر إن أمكن بخلاف العداوة ، وقد وصف خيار المتقين بكظم الغيظ وهو يستلزم الحقد و لا يتعين في الآية الكريمة أن الغل بين أصحاب الجنة نزع من صدورهم بعد دخلوها ، ولكنه عام لكل غل ، فإن صح أن يكون بينهم في الدنيا غل فهو داخل في العموم ، والأقرب أنه لا يكون بين المؤمنين الصادقين في إيمانهم ؛ ،لأن الحب في الله يغلب أسباب الحقد ؛ ولحديث ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، و لا تؤمنوا حتى تحابوا)) وقد يقال يصح بين

المؤمنين إذا اختلفوا واعتقد بعضهم فسق البعض الآخر غلطا لشبهة ، والله أعلم ، وظاهر الحديث أن ذلك لا يكون ، فينظر إن شاء الله .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

تجري من تحتهم الأنهار (١) وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق (٢)

---

(١) . { تجري من تحتهم الأنهار } :
وفي ذلك لذة للبصر وسرور للنفس وجري الأنهار من تحتهم لا يختص بحال كونهم في القصور ؛ لأنها تجري من تحتهم إذا تجولوا فيها في الجنة تحت الأشجار وإلى القصور ، والله أعلم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق } :
}
وقالوا } في الجنة هذا القول لرغبتهم في الشكر ، { وهدوا إلى الطيب من القول } لم ينشغلوا بهذه النعمة الحاضرة عن ذكر النعمة التي أدت إليها وهي الهدى الذي هو أعظم النعم ، وعن ذكر المنعم ، وسمى الله أهل الهدى الذين أنعم عليهم في سورة الفاتحة ، وقولهم { { وما كنا لنهتدي } } تحقيق للنعمة بشدة حاجتهم إليها لأن الإنسان يغتر بالعاجلة ويغفل عن الآخرة ، فقالوا { وما كنا لنهتدي } أي لم يكن من شأننا أن نهتدي ولا مناسبا لحالنا ، كقول الشيطان { { لم أكن لأسجد } } { { لولا أن هدانا الله } } ثم قالوا { { لقد جاءت رسل ربنا بالحق } } أي هذا مصداق ما جاءت به الرسل من الوعد وذاك مصداق ما جاءت به من الوعيد .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون (٤٣) (١) ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم (٢)

---

(١) . { ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون (٤٣) } :
وهذه نعمة من نعم الجنة أن نادهم المنادي بصوت رفيع بما معناه { تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعلمون } فهذا تكريم لهم ، وبيان أن عملهم في الدنيا كان يستحق الثواب ، وحكايته في القرآن ترغيب للمكلفين في العمل للجنة .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم } :

فأهل الجنة قد هدوا إلى صراط الحميد فأرادوا أن يعترف أهل النار بصدق وعده ؛، لأن أكثرهم كانوا مكذبين وقد علموا حين صاروا في موقف الحساب بالنار لأهلها والكرامة لأولياء الله ، وعلموا أن أهل الجنة قد صاروا فيها فبان لهم صدق الوعد والوعيد ؛ ولذلك سألهم أهل الجنة { فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا } ؟ ولم يقولوا ما وعدكم ؛، لأن المقصود إقرارهم بصدق الوعد للفريقين بدلا من تكذيب المكذبين بهما في الدنيا .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٧٨/٢)

فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (٤٤) (١) الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون (٤٥) (٢)

---

(١) . { فأذن مؤذن بينهم } بين أصحاب الجنة وأصحاب النار كأنه يريد أن يسمع الفريقين { أن لعنة الله على الظالمين (٤٤) } ولعل هذا النداء ترتب على قول أهل النار { نعم } لئلا يطمعوا في نفع هذا الإقرار و { لعنة الله } الطرد من رحمته والبقاء في عذابه.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف

إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { الذين يصدون عن سبيل الله } :

}

يصدون } يستعمل بمعنى يعرضون ومصدره الصدود ، ويستعمل تارة بمعنى صد الغير عن سبيل الله ،، أي منعه واستعمال المضارع ؛ لأنه حكاية الماضي لاستحضاره { ويبغونها } أي سبيل الله { عوجا } بذمها وادعاء العيوب فيها { وهم بالآخرة كافرون (٤٥) } فحكم الكفر باق لم يخرجهم من قوله قولهم { نعم } .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم (١)

---

(١) . { وبينهما } بين أهل الجنة وأهل النار { حجاب } فهم لا يتراءون إلا إذا اطلع من أهل الجنة مطلع .

{ وعلى الأعراف رجال } أعراف الحجاب أي أعاليه ، وفي [تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام] : هو سور بين الجنة والنار ، والأعراف كل موضع مرتفع مشرف ، .انتهى .

. { يعرفون كلا بسيماهم } :

كلا من أهل الجنة وأهل النار من قبل أن يدخلوها يعرفونهم { بسيماهم } وسيماهم علاماتهم وهي بالنسبة إلى كونهم من أهل الجنة أو أهل النار ، بياض الوجوه وسوادها ونحو ذلك ، أما السيما التي تعرفهم بالأشخاص فهي ما كان موجودا في الدنيا وجاء بعضه في الآخرة يتميز به الشخص والرجال هؤلاء من الناس ؛ لأنه المعنى الحقيقي والراجح أنهم من السابقين أو أنهم السابقون سبقوا إلى دخول الجنة واطلعوا من على السور ينظرون إلى من بقي في المحشر ومن دخل النار .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون (٤٦) (١) * وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين (٤٧) (٢)

---

(١) . { ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم } :
عرفوا أنهم من أصحاب الجنة فنادوهم يبشرونهم أن { سلام عليكم } أي لا خوف عليكم .
{ لم يدخلوها وهم يطمعون (٤٦) } :
والنداء في حال أن المبشرين الذين ناداهم أصحاب الأعراف نادوهم قبل أن يدخلوها { وهم يطمعون } في دخولها لم يكن تأخير دخولها إلا لانتظار الإذن لهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { * وإذا صرفت أبصارهم } أي أبصار هؤلاء الطامعين في دخول الجنة { تلقاء أصحاب النار } أي إلى جهنم جهتهم { قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين (٤٧) } :

وهذا يدل على عظم ذلك الموقف حيث يشاهد أهل النار قبل أن يدخلوها ، قد تبين عليهم سوء الحال واسودت وجوههم وخشعت أبصارهم وانحلت قواهم من الخوف فحق لم راءهم رآهم أن يتعوذ بالله من أن يجعله معهم ، والدليل على أن الضمير في { قالوا ربنا } لأصحاب الجنة الطامعين قوله تعالى بعد هذا ..
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٨١/٢)

ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم (١) قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون (٤٨) (٢)

---

(١) . { ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم } :
فجدد ذكر أصحاب الأعراف لما تخلل كلام في غيرهم وبان بذلك أن بقية الكلام الماضي في أصحاب الجنة استطراد ، وموعظة لنا بعد تمام ذكر نداء أصحاب الأعراف لهم ، ثم انتقل أصحاب الأعراف لنداء رجال من أصحاب النار يعرفونهم بعلامات شخصية تميزهم ويعرفونهم بها من هم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون (٤٨) } :

ما دفع عنكم جمعكم للمال والرجال في الدنيا وما استمر منكم في الدنيا من استكباركم عن الحق واعتقادكم أنكم فوق أن تقبلوه فقد انكشف غلطكم فيه ولم يدفع عنكم العذاب .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٨٢/٢)

أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون (٤٩) (١)

---

(١) . { أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة } :

أي من قول أصحاب الأعراف أنهم يقولون لرجال من أصحاب النار { أهؤلاء } المؤمنون الذين قد ظهرت لهم سيما أهل الجنة { الذين أقسمتم } في الدنيا { لا ينالهم الله برحمة } ،وهذا سؤال تقرير يلفتون به أنظار المستكبرين إلى المؤمنين المستضعفين ثم يوجه أصحاب الأعراف الخطاب إلى المؤمنين الذين أقسم المستكبرون لا ينالهم الله برحمة ، فيقول أصحاب الأعراف لهؤلاء المؤمنون.

{ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون (٤٩) } :

فقد أذن الله بدخولكم الجنة ونجاتكم من النار ، فأول الآية خطاب من أصحاب الأعراف لرجال كانوا في الدنيا مستكبرين قد عرفوهم وآخرها خاب خطاب للمستضعفين المذكورين ، والمستكبرون يسمعون قولهم { ادخلوا الجنة } وهذا بيان لخطأ المستكبرين وكرامة المستضعفين فقد رفعهم الله ، وأذل وأخزى المستكبرين والخطابان هنا مثل الخطابين في قوله { يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك } .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٨٣/٢)

ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين (٥٠) (١)

---

(١) . { ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين (٥٠) } :

بلوغ النداء بينهم بإذن الله ونحن نجد في الدنيا وسائل الإعلام تبلغ الكلام من بعيد ، طلبوا الإفاضة عليهم من الماء لعلمهم بتوفره لأهل الجنة وسهولة إفاضته عليهم من ناحية كثرته وطلبوا أحد الأمير الأمرين لاستبعادهم أن يعطوهما معا وقالوا { { مما رزقكم } } أي من المأكولات مثلا ، توصلا إلى إعطائهم على أنه منهم يعطونهم كما يعطي السائل في الدنيا ، فأجابوهم بما يناسب حال المؤمنين الذين لا يرضون ما لا يرضي الله { { إن الله حرمها على الكافرين } } أي فلن نفيض عليكم واحدا منهما ، وهذا التحريم معناه المنع لا التكليف الشرعي .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٨٤/٢)

الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا (١)

---

(١) . { الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا } :

{ اتخذوا دينهم لهوا ولعبا } ، أصل الدين معاملة العبد لربه بالطاعة والعبادة ، وهؤلاء اتخذوا ما هو في الأصل طاعة أو ما أصله طاعة اتخذوه لهوا ولعبا ؛ لأنهم يفعلونه لمجرد أنه عادة يتلهون بها وليلعبوا ، فمثلا يطوفون بالبيت لا للتقرب إلى الله ولا لطاعته ؛، ولكن لأنه عادة جرى عليها الناس في ذلك البلد ، ويصلون عند البيت بالمكاء والتصدية للعب بهما ولعل كثيرا ممن يصلون اليوم ويصومون لاحقون بهؤلاء لجهلهم بالله وبدينه فيفعلون ذلك لأنه عادة الناس فيصلون بلا تعلم لشروط الصلاة وفروضها ولا إحضار ذهن لنية أو لخشوع ولا قصد للتقرب إلى الله ولا لامتثال أمره ولا يتمونها ، فهي مجرد لهو يلهون به ثم ينصرفون إلى دنياهم ، وكذلك يصوم مع الناس لينام النهار ويسر ويسهر الليل على اللهو واللعب ، ولقد بلغني عن بعض أهل البلدان أنهم في ليالي شهر رمضان يرقصون ، وبلغني عن بعضهم أنهم يتخذون تلاوة للقرآن على موسيقا ، وبلغني بعضهم أنه يتخذون الملاهي في الإحتفالات الدينية ،

وقد جاء في حديث عن النبي ( ) : ((إني أخاف عليكم بيع الحكم ، واستخفافا بالدم ، وأن تتخذوا القرآن مزامير)) رواه في صحيفة الإمام الرضا ، وفي اتخاذ القرآن مزامير رواية أخرى في أمالي المرشد بالله ، وهو من مدلول الآية ؛ لأن استماع القرآن في الأصل دين ، فإذا اتخذوه لمجرد التلذذ بالصوت دون التفات إلى المعنى فقد اتخذوه مزامير ، لأن المزامير صوت بلا معنى ، فهذا من اتخاذ الدين لهوا ولعبا ، أما قوله تعالى { { وغرتهم الحياة الدنيا } } فإنهم اغتروا بها ؛ لأنها عالة عاجلة طال أملهم فيها فاشتغلوا بها عن الإعداد للآخرة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٨٥/٢)

فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون (٥١) (١)

---

(١) . { فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا } :

نساهم { ننساهم } لا نجيب لهم دعوة ولا نقضي لهم حاجة ، ونتركهم كالمنسيين في نار جنهم وعذابها جزاء ومبادلة لنسيانهم يومهم هذا ، وهو حين يعذبون في جهنم ولم يستعدوا له في الدنيا حتى ينجوا من عذاب ذلك اليوم .

{ وما كانوا بآياتنا يجحدون (٥١) } :

أي وكما كانوا بآياتنا يجحدون .

واعلم أن هذه الآية إن كانت من الحكاية لجواب أصحاب الجنة على أصحاب النار فيشل فيشكل عليه تحويل الكلام كأنه يقوله الله لقوله { { ننساهم } } وقوله { { بآياتنا } } وإن كانت ابتداء من كلام الله بعد حكاية كلام أهل الجنة ، فلم يكن في أولها دلالة على ذلك .

والجواب: يحتمل أنها حكاية عن أهل الجنة ، وصح تحويل الضمير من الغيبة إلى ضمير ا لقائلالقائل الحاكي لأن الحاكي له هو الذي ينساهم وهو الذي جحدوا بآياته أي كذبوا بها وهم يعلمون أنها حق ، فهو من باب قول الشاعر :

(إني امرؤ صرعي عليك حرام

) وأنها أو أنها أعنيى هذه الآية ليست حكاية ، بل هي من الله جاءت مربوطة بالحكاية عن أهل الجنة وصفا للكافرين المذكورين في كلام أهل الجنة ، وهذا أرجح فلا هي حكاية ولا هي ابتداء بتقدير مبتدأ

، ونظيرها في سورة طه { { قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهادا .. } } إلى قوله تعالى { { ..إن في ذلك لآيات لأولى النهى } } وفي سورة الزخرف { { ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهادا .. } } إلى قوله تعالى { { ..وما كنا له مقرنين } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٨٦/٢)

ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٥٢) (١)

---

(١) . { ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٥٢) } :

{ جئناهم } جئنا أصحاب النار بكتاب ، وهذا يدل على أنها قد جاءتهم الكتب من أول أمة كذبت كما قال تعالى { كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب } وقوله تعالى { { فصلناه } } أي بينا دلالته بواسطة تفصيله وسلامته من التعقيد وتداخل الكلام الذي يصعب معه فهم المعنى وقوله تعالى { { على علم } } يفيد تحقيق التفصيل ؛ لأن الله فصله وهو يعلم كيف يكون مفهوما لعلمه بأإفهامهم وبطريقة جعل الكلام مفهما لهم ، ويحتمل { { على علم } } على علم يستفاد منه ويفيده القرآن كقوله تعالى { { ولا تعجل بالقرآن } } إلى قوله { { علما } } والإاحتمال الأول أرجح ؛، لأن الثاني يكفي عنده عنه في المقام ، قوله تعالى { { هدى ورحمة } } فالكتاب هدى إلى طريق النجاة والسعادة بالجنة فلو آمنوا به واتبعوه نجوا من النار ، وتسمية القرآن هدى ظاهرة ؛ لأنه بيان لطريق الجنة أو لسبيل الله فلا نحتاج إلى تقدير ذي هدى ، وكذلك قوله رحمة لأنه كتسمية الجنة رحمه اللهرحمة الله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٨٧/٢)

هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون

(٥٣) (١)

---

(١). { هل ينظرون إلا تأويله } :
{ تأويله } ما يؤول إليه { ينظرون } أي ينتظرون أي ما ينتظرون إلا ما يؤول إليه أمره من وقوع ما وعد به ليؤمنوا به أو تخلفه فيعلموا أنه لم يكن حقا .
{ يوم يأتي تأويله } : وهو ما وعد به من الحشر والحساب والجزاء وهو تأويله الحق الذي كان لا بد من وقوعه .
}
يقول الذين نسوه من قبل } أي لم يؤمنوا به وتركوه كالمنسي { قد جاءت رسل ربنا بالحق } وذلك يوم جاء ما وعد الله به وهو يوم القيامة ، فقد غلطوا على أنفسهم في انتظاره ليؤمنوا ؛ لأن الإيمان يوم القيامة لا ينفعهم { فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا } وهذه حالة سيئة فقد جاء وعد الله وحضر العذاب ولم يجدوا إلا هذا السؤال حين لا يعلمون شفعاء ولا شفعاء { أو نرد } إلى الحالة التي كنا عليها في الدنيا { فنعمل غير الذي كنا نعمل } أي نعمل الطاعة ونؤمن وهيهات { قد خسروا أنفسهم } فما أعيدوا إلا لالحساب والجزاء ونحوه لا لمصلحة لهم في الحياة ، فحياتهم ليست لهم إنما هي للجزاء ونحوه ففاتهم كل خير .
{ وضل عنهم ما كانوا يفترون (٥٣) } :
{ ضل عنهم } ضاع عنهم ما كانوا في الدنيا يفترونه من دعاويهم أن شركاءهم سينصرونهم أو أن الملائكة سيشفعون لهم أو أنبياءهم أو غير ذلك وما أشبهه من الأماني التي انكشفت خداعا لأنفسهم وغرورا ، ولما كان في هذه الآية إشارة إلى المشركين والمكذبين جاء بعدها الإحتجاج عليهم فقال تعالى :كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٦٨٨)

إن ربكم الله (١) الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام (٢)

---

(١). { إن ربكم الله } :
إن مالككم الله فأنتم عباده وحده فعليكم أن تعبدوه وحده وتتركوا الشرك وتتركوا التكذيب بآيات الله لتؤمنوا بالله ورسوله وتعبدوا الله وتؤمنوا بالآخرة لتستعدوا لها ، ثم بين قدرته تعالى ليعلموا أنه قادر على

كل شيء ، فهو الذي يرجى منه فائدة العبادة وتخشى منه العقوبة ؛ وليعلموا أنه قادر إلى على أحيائهم بعد الموت وبين لهم أن الملك له وحده ليعلموا أنهم في الآخرة يرجعون إليه وحده ، فقال سبحانه ..
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام } :

الظاهر أنها مقادير هذه الأيام المعهودة ، وتأويلها بأيام أطول بكثير يبطل تحديد المدة بأيام ويحولها إلى التحديد بأعوام وليس بعيدا في قدرة الله وإن كان العالم من بعد ذلك يتطور شيئا فشيئا فذلك لا يدل على أنه كذلك من ابتداء خلقه وفيه رد على من يدعي أنه وجد بالتفاعل بين العناصر التي هي التراب والهواء والماء والنار ؛ لأن التفاعل لا يكون منها تلقائيا بل تحتاج إلى من يجعلها بحيث تتفاعل ويدبر لها أسباب التحول إلى أرض وسماء وإلا احتمل أن يطفي الماء النار أو يبدد الهواء والتراب أو يبقى كل واحد في مكان من الفضاء وحده وليس إحراق النار الماء بأولى من إطفاء النار بالماء إذا لم يكن فاعل يدبر طريقة ينتج عنها أحد الأمرين دون الآخر .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ثم استوى على العرش (١) يغشي الليل النهار (٢)

---

(١) . { ثم استوى على العرش } :
فله الملك والتصرف والولاية على ما خلق فهو الذي يتصرف فيه ويدبر أمره من يوم خلقه فالملك له وحده لا يشاركه فيه شيء من خلقه ؛ ولذلك فله الأمر وحده كما له الخلق وحده ، فمعنى { استوى على العرش } تولى ولاية الخلق والملك عليه ، ونفذ ما يشاء من التصرف فيها ولها ولذلك عقبة عقبه بذكر بعض التصرف ، فقال سبحانه ..
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { يغشي الليل النهار } :

قال تعالى { والليل إذا يغشى } فالليل المفعول الأول كما أصله غشي الليل النهار ، فلما دخلت عليه همزة التعدية وصار رباعيا كان مضارعه يغشي وصار الليل مفعولا أولا ، فهذا تصرف عظيم بخلق الشمس وتحديد النسبة بينها وبين الأرض ، وتقدير الدورة الأرضية ، فمن يقدر على ذلك إلا الله القادر على كل شيء الذي يتصرف في العالم كيف يشاء ، وغشيانه وقوعه عليه كقوله تعالى { { وإذا غشيهم موج } } في رأي العين بدليل قوله تعالى : كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

يطلبه حثيثا (١) والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره (٢)

---

(١) . { يطلبه حثيثا } :
مسرعا حريصا على غشيانه فهو في رأي العين قد لحق النهار يدفعه إلى جهة المغرب ، وقد قيل أن قوله تعالى { { يغشي الليل النهار } } يحتمل أن الليل يغشي النهار ، ويحتمل أن النهار يغشي الليل وهو عند عندي بعيد لأن الليل أولى بأن يجعل غاشيا كما أن النهار كاشف يظهر الشيء فلا يعد غاشيا ، قال تعالى { { والليل إذا يغشاها والنهار إذا جلاها } } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره } :

وخلق { الشمس والقمر والنجوم مسخرات } في جريها على نظام محدود كما سخرها دائبة مستمرة على ذلك بأمره ، والأمر الحقيقي ينسب إلى المأمور الذي يفهم ويعقل أما الجماد فأمره أمر تدبير وتسخير بقدرة الله تعالى كقوله تعالى { { إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن } } وهو تمثيل لسهولة كل شيء في قدرته تعالى وتسخير الشمس والقمر والنجوم وهو من تدبير شؤون العالم والتصرف وفي فيه ، وفي هذا دلالة ظاهرة على أن الشمس والقمر والنجوم غير السموات .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥٤) (١)

---

(١) . { ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥٤) } :
{ ألا } حرف تنبيه لأن المشركين كانوا غافلين عن ذلك فأاشركوا به ما لا يخلق و لا ينفع ولا يضر وليس له في ملك الله أي مشاركة ، وإذا كان الخلق والأمر لله وحده كما يفيده تقديم الخبر له فهو رب العالمين المستحق أن يعبدوه ، فهذه الآية تؤكد في آخرها ما بدأت به ، وآخرها بعد ذكر خلق السموات والأرض وتفصيل بعض التصرف في شؤون العالم يشبه ذكر النتيجة بعد تمام الدليل .
((فصل في معنى العرش)) :

لا إشكال أن معنى { استوى على العرش } منسوبا إلى الله غير معنى استواء المخلوق على سرير ؛ لأن مشابهة الخالق للمخلوق محال ، فكذا ما يستلزم المشابهة واللسان العربي يستعمل الكلام في معنى حقيقي تفهمه العرب ويتبادر إلى أذهانها أو معنى مجازي إن صرفت قرينة عن إرادة المعنى الحقيقي ، ولا إشكال أن تعذر المعنى الحقيقي في كلام الحكيم أكبر قرينة على أنه غير مقصود ، فما بقي إلا المجازي لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين ، والمعنى الذي ذكرته وهو تولي أمور العالم والتصرف فيه تصرف الملك في مملكته هو أوفق للسياق ، فقد حصلت القرينة الصارفة والمناسبة وذلك أن العرب تعبر عن الملك بالعرش كقول الشاعر :
تداركتما عبسا وقد ثل عرشها ... وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

... وهو الظاهر في قول الله هـ تعالى { { رفيع الدرجات ذو العرش } } فقوله { { رفيع الدرجات } } تعبير عن علو الشأن ليس معناه درج مثل درج الدار ، وقوله { { ذو العرش } } أي ذو الملك ، ووصف ملكه بالعظم ، وعظم الملك أعظم من عظم عرش مصنوع كالسرير .
، فأما من قال الاستواء معلوم ، فيقال له: هل أردت اللفظ ؟ فهذا الانزاع لا نزاع فيه ، أم أردت المعنى ؟ فما هو إن كان معلوما ؟ فإن قال: معلوم أنه استوى ، قلنا: ما معنى استوى؟ فإن قال: لا نعلم ، فقد أقر أنه غير معلوم ، وإلا فماله لا يزيد على لفظ استوى ، ولا يفسره بكلمة أخرى .
فإن قال : استواء يليق بجلاله ، قلنا: قد ثبت أنه لا يليق بجلاله الإستواء المعروف في العربية الذي هو مفهوم الإستواء فمن أين لكم أنه استواء كما زعمتم ؟ لأن الكلام ليس فيه إلا المعنى الذي تفهمه العرب ، وهي لا تفهم ما ذكرتم ولا تفهمونه أنتم ؛ لأنكم لا تريدون بقولكم استواء يليق بجلاله معنى مفهوما ؛ لأنكم لا تريدون بقولكم استواء يليق بجلاله معنى مفهوما يعبر عنه بالاستواء ، إنما تأتون باللفظ لمعنى مجهول جملة وتفصيلا ، وقولكم: يليق بجلاله ، إنما هو تعبير عن كونه غير المعنى الحقيقي في لغة العرب ، وذلك لا يفهم معناه لا جملة ولا تفصيلا ، وأنتم تقولون وجه يليق بجلاله ،

ويد تليق بجلاله ، فقولكم: يليق بجلاله لا يميز شيئا عن شيء من المعاني التي تدعونها ، وحمل الكلام على المعنى الذي ذكرناه حمل على معنى مفهوم وليس لكم أن تعارضوه ؛ لأنكم لا تدرون ما هو الإستواء الذي يليق بجلاله ، فأما دعواكم أإن إثباتكم للمعنى المجهول للإستواء مثل إثبات علم الله وقدرته ، فهي مغالطة ؛ لأنا أثبتنا معنى العلم والقدرة في اللغة ، وإنما نفينا مشابهته للمخلوق بكون القدرة معنى في جسم ، والعلم معنى في جسم ، ودعواكم أن معناهما في اللغة هو العرض القائم في الجسم دعوى باطلة ، فإن مفهومهما لا يلتفت فيه إلا إلى إثبات ضد الجهل وإثبات ضد العجز من غير النظر إلى ما هو .

، والحاصل أن العلم والقدرة قد فهم معناهما المعروف عند العرب جملة فأما الإستواء فلم نفهم ما تدعون لا جملة ولا تفصيلا ، فليس معنى عربيا ، وقد جعلتم لهذه الكلمة وضعا جديدا ، وكذلك للوجه واليد بلا دليل ، وهو تحكم باطل ، ولو كان معناه مجهولا ما صح الإحتجاج لإثبات الربوبية لله في هذه المبدوءة بقوله تعالى { { إن ربكم الله .. } المختومة بقوله تعالى { { ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين } } وكذلك الإحتجاج في سورة يونس { { إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تتذكرون } } فكيف صح الإحتجاج بالمعنى المجهول جملة وتفصيلا ، فهذا احتجاج واضح ولذا ختمه بقوله { { أفلا تتذكرون } } .

قال الشرفي في [المصابيح] عن القاسم بن إبراهيم عليه السلام : أما العرش والكرسي فإنهما ملك الله وسلطانه كما أن العرش والكرسي مقعد كل ملك ومكانهة وليس يتوهم من آمن بالله أنما ذكره الله سبحانه من كرسيه وعرشه ككراسي خلقه وعروشهم التي تكون مقاعد لهم في ملكهم ، .انتهى المراد.

وللقاسم عليه السلام في مجموعه كتاب العرش والكرسي كتاب مفيد في الموضوع فليطالع ، وقد حقق الله في هذه الآية الكريمة ربوبيته وقدرته ، وأن له الخلق والأمر ، ثم قال كالتفريع على ذلك ..

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين (٥٥) (١)

---

(١) . { ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين (٥٥) } :

أمرنا بالدعاء أن ندعو ربنا الذي خلقنا ورزقنا ففيه فوائد:

الأولى: أنه عبادة له ، وللعبادة خلقنا .

، الثانية: أنه سميع الدعاء القادر على إجابته ، وقد أنعم علينا ابتداء قبل أن ندعوه فهو بكرمه مظنة أنه يجيب الدعاء .

،

والثالثة: أنه قد وعد بالإجابة فالدعاء مفتاح خير لنا ووقاية لنا من الشرور ، وقوله تعالى { { تضرعا } } بمعنى تذللا ، كقوله تعالى { { فلولا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا } } وقد يكون التضرع برفع الأصوات بالدعاء على وجه التذلل كما في الاستسقاء والحج ، وقوله { { وخفية } } لأنه لا يخفى عليه ، وقد روي أن موسى عليه السلام قال : (يا رب أقريب أنت فأناجيك ، أم بعيد فأناديك ، قال يا موسى : أنا جليس من ذكرني) ، أو كما قال ، وأظن الحديث في صحيفة الإمام الرضا ، وقال تعالى { { سواء منكم من أسر القول ومن جهر به .. } الآية } ، وقوله تعالى { { إنه لا يحب المعتدين } } وهم الذين يدعون غير الله كما يرشد إليه السياق من حيث أن السياق في الرد على المشركين ولا إشكال أن الشرك بالدعاء لغير الله اعتداء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٦٩٣)

ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها (١) وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين (٥٦) (٢)

---

(١) . { ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها } :

{ لا تفسدوا في الأرض } بمحاربة الدين ، ونصرة الباطل ، والجدال في آيات الله ، وإضلال عباد الله { بعد إصلاحها } بالرسل والكتب وأسباب الهدى والعدل والإحسان في عباد الله ، ومن الإفساد في الأرض السعي في التفريق بين المسلمين ، وإلقاء العدواة والبغضاء بينهم ، والمدارس التي تحول الطلاب إلى الباطل ، وكذلك إفساد إفشاء أسباب الفساد بدعوى مشاركة المرأة للرجل أو غير ذلك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين (٥٦) } :

}

وادعوه } ، وادعوا ربكم خوفا بطلب النجاة من عذابه ومن كل شر { وطمعا } بطلب الجنة وكل حاجة { إن رحمة الله } بالإجابة للدعاء والإثابة على العبادة الخالصة بالدعاء وغيره { قريب من المحسنين } المؤمنين المخلصين ، وقد فسر { المحسنين } في أول سورة لقمان بما فسر به { المتقين } في أول سورة البقرة وفسر به { المؤمنين } في أول سورة النمل ، فكلها تتضمن إقامة الصلاة والإنفاق والإيقان بالآخرة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٩٤/٢)

وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت (١) فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات (٢)

---

(١) . { وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته } :

وربكم الذي يرسل الرياح مبشرات { بين يدي رحمته } أي قبل المطر الذي هو رحمته لعباده وقرئى { ننشرا } بالنون أي محييات للأرض بتسببها للمطر .

{ حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت } :

{ أقلت } أي الرياح ، رفعت في الجو { سحابا ثقالا } بالماء الذي فيها { سقناه } من حيث أقلته حتى يبلغ فوق البلد الميت من الجدب وإبطاء المطر ، فقد يبست فيه المراعي وانقطع إنبات الزرع ونحوه ، فهو في ضعف حاله وانقطاع إنباته كالميت الهامد .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات } :

لتأكلوا منها فهذا التدبير دليل على الله وقدرته ورحمته بعباده ونعمته ، وهذا بيان واضح نافع لمن تدبر ليعرف ربه فهي حركات مدبرة لنهاية مطلوبة للعباد نافعة ، إرسال الرياح بعد سكونها ثم سوق السحاب بمائها تحفظه حتى تصل على البلد الميت فترسله فينزل بالبلد الميت فيحييه ، ويخرج به من كل الثمرات التي يحتاجها عباد الله ، وذلك دليل على الله الرازق لعباده ؛ لأنه تدبير مدبر عليم قدير كريم رحيم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٩٥/٢)

كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون (٥٧) (١) والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا (٢)

---

(١) . { كذلك نخرج الموتى } :

كما أخرجنا بالأرض بعد موتها من كل الثمرات وكان البلد قبل ذلك كأنه لا يصلح لإخراج الثمرات لاستمرار يباسه وطول مدة إجدابه ، فلما نزل به المطر أحياه وأنبت وأثمر وذلك التدبير والصنع دليل على قدرة الله تعالى على إخراج الموتى من قبورهم وأإن استبعاد الكفار له إنما هو كاستبعاد القانطين لنبات الأرض قبل أن ينزل المطر .

{ لعلكم تذكرون (٥٧) } :

بهذا التدبير بإرسال الرياح ، ثم سوق السحاب لبلد ميت ، ثم إنزال الماء به ، ثم إخراج أنواع الثمرات أي فعلنا ذلك { لعلكم تذكرون } قدرتنا على إخراج الموتى فهي آية ونعمة جعلناها للأمرين .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { والبلد الطيب } :

الذي طاب لأهله لصلاح تربته ؛ لأنه يتيسر فيه رزقهم .

}

يخرج نباته بإذن ربه } : { يخرج نباته } صالحا أو قويا بإذن ربه الذي صنع تربته وأعدها لذلك { والذي خبث } على أهله بضعف تربته { لا يخرج } نباته { إلا نكدا } :

، قال الراغب : وناقة نكداء طفيفة الدر صعبة الحلب ، .انتهى. ، وعلى هذا يكون المعنى: قليل النبات لا يحصل إلا بصعوبة إذا كان صفة للبلد .

وفي [لسان العرب] : ونكد الرجل قلل العطاء ، أو لم يعط البتة ، .انتهى. وهذا يصلح وصفا للبلد ، وقال في [لسان العرب]: النكد الشؤم واللؤم نكد نكدا فهو نكد.. إلخ ، فالبلد القليل النبات مشؤوم ؛ لأن أهله يتعبون في خدمة الحرث وفائدته قليلة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٩٦/٢)

كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون (٥٨) (١)

---

(١) . { كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون (٥٨) } :

أي كما فصلنا الآيات في هذا السياق من قوله تعالى { { وهو الذي يرسل الرياح.. } } إلى قوله { { ..نكدا } } عادتنا نفصل الآيات في سائر القرآن الكريم وغيره ، أو في الكون وما فيه من أثر التدبير والدلالة على ربكم ، والآية في المخالفة بين التربة بجعل طبع هذه هو الصلاح للإنبات وطبع هذه قلة الصلاح والحاجة إلى عناء أهلها هي اختلاف طبع التربتين الذي لا يكون إلا من فاعل أصلح طبع تربة نعمة لأهلها ، وأضعف طبع تربة لتبين نعمته في غيرها ، وابتلاء لأهلها ، ولو كانت آثار طبع واحد لاتفقت في الصلاح أو في الضعف ؛ لأن ما تنتجه الورشة الواحدة يكون سواء ، أما الصانع فيخالف بين مصنوعاته كيف يشاء كما خالف بين القطع المتجاورات من الأرض ، وخالف بين الشجر التي تسقى بماء واحد ويختلف ثمرها في الجودة وخالف بين ألوان الناس والدواب والأنعام ، وإن كان ذلك بسبب طبائع مختلفة ، فهو الذي خالف بين الطبائع ، ولا بد أن ينتهي اختلافها إلى فاعل مختار ، وقوله تعالى { { لقوم يشكرون } } دليل على أن الآيات نعم تستوجب شكر الناس ؛ لأنها سبب للعلم النافع لمن تفكر .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٩٧/٢)

لقد أرسلنا نوحا إلى قومه (١) فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (٥٩) (٢)

---

(١) . { لقد أرسلنا نوحا إلى قومه } :

هذا ابتداء القصص بالحق الذي يبين هداية الله لعباده وإرساله للرسل إليهم بآياته منذرين لهم ومحذرين

من عذاب الآخرة وداعين إلى عبادة الله وحده واجتناب الشرك والفساد في الأرض ، ويبين عاقبة المكذبين لهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (٥٩) } :
بدأا بقوله { يا قوم } للدلالة على عطفه عليهم ونصحه لهم فدعاهم إلى عبادة الله التي لها خلقوا وذكرهم بأن الله لا شريك له ليتركوا الشرك الذي هو الظلم العظيم ، ثم خوفهم بعذاب الله لينظروا حتى يعلموا أنه يدعوهم إلى الحق ويجتنبوا أسباب عذاب الله الذي يكون في يوم عظيم ، وبين لهم نصحه بأنه يخافه عليهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٩٨/٢)

قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين (٦٠) (١) قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين (٦١) (٢)

---

(١) . { قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين (٦٠) } :
أي في عدول عن طريق الصواب وغواية عن عنه { ضلال مبين } بين واضح لإلا خفاء فيه و { الملأ } جماعة اجتمعوا على أمر ويقال هم كبار القوم وهو الأقرب هنا ، وإن كانت الجماعة تسمى ملأ ، وقالوا عنادا { { إنا لنراك } } مؤكدين دعواهم أنهم يرونه في غواية بينة جرأة منهم على الكذب وحرصا على إبطال قول نبيهم ؛ ولعل الباعث لهم كراهة أن يكون له الرئاسة في قومهم ولهذا قالوا { ما هذا إلا رجل يريد أن يتفضل عليكم } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين (٦١) } :

ليس بي ضلالة واحدة أي ليس بي أي ضلال ليس الباعث لي على دعوتكم وإبلاغكم أني لكم نذير

مبين أي ضلالة ، ولكني رسول إليكم { من رب العالمين } الذي هو ربكم المالك لكم والذي هو أولى بكم وهو المالك للعالمين كلهم .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٦٩٩/٢)

أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون (٦٢) (١) أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون (٦٣) (٢)

---

(١) . { أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم } :

خبر ثاني لـ(لكن) أي أبلغكم ما أرسلني به ربي المالك لي الذي لا بد لي من طاعته وهي رسالات متعددة أريد تبليغها كلها { وأنصح لكم } كما هو شأن الرسول من رب العالمين الذي أرسله رحمة لهم أن يتحرى لهم الخير مخلصا في ذلك .

{ وأعلم من الله ما لا تعلمون (٦٢) } فأنتم محتاجون إلى استماع كلامي واتباعي لأنقذكم من ظلمات الجهل .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم } :

}

أو عجبتم } معطوف على تضليلهم له والسؤال لإنكار العجب كيفي عجبوا لذلك وهو خير جاءهم من ربهم { ذكر } يذكرهم من غفلتهم وهم غافلون في أشد الحاجة إلى الذكر وهذا الذكر ولعله الكتاب الذي أنزله على رسوله ، أنزله { على رجل } منهم معروف لديهم لاينكرونه ، جاءهم هذا الذكر من ربهم منزلا على رجل منهم لأمر مهم في أشد الأهمية وهو إنذارهم عذابا شديدا دائما .

{ ولتتقوا ولعلكم ترحمون (٦٣) } :

وليتقوا هذا العذاب ، ولعلهم إذا جاءهم ذكر من ربهم يرحمون ، يرحمهم الله بتوفيقه وألطافه إذا لم يعاندوا حتى ينجوا من النار ويفوزوا برحمة الله العظمى في جنات النعيم ، فالرحمة الكاملة هي السلامة من العذاب والفوز بالجنة والمراد الرحمة بالتوفيق المؤدي إلى الرحمة الكاملة ، فعجبهم من الذكر والرسول لهذا الغرض المهم عجب منكر معيب عليهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٠٠/٢)

فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين (٦٤) (١)

---

(١) . { فكذبوه } :
أي كذبوه في كل ما قال لهم من أنه ما لهم من إله غير الله وأن عليهم أن يعبدوا الله وحده ، وأنه نذير لهم ، وأنه جاءهم بذكر من ربهم لينذرهم وليتقوا ولعلهم يتقون ، واستمروا على تكذيبهم حتى جاءهم العذاب .
{ فأنجيناه والذين معه في الفلك } :
الذين معه في الدين والإيمان شاركوه في ذلك وصاحبوه عليه ، فهذه هي معيتهم للرسول ، ولا يستحق هذا الاسم منافق ولا فاسق و { الفلك } السفينة وهي آية لتدبير نجاتهم في قوة أخشابها ومساميرها وإتقان صنعها حتى صارت ضامنة لنجاتهم من الغرق وهي تجري بهم في موج كالجبال .
{ وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين (٦٤) } :
لا يبصرون ببصائرهم ، وهذا إنذار للمكذبين من بعدهم والتكذيب بالآيات جحد كونها آيات مع دعوى أن نسبتها إلى الله كذب .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٠١/٢)

---

* وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون (٦٥) (١) قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين (٦٦) (٢)

---

(١) . { * وإلى عاد أخاهم هودا } أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا { قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره } كما قال نوح لقومه { أفلا تتقون (٦٥) } عذاب الله وقد اتخذتم من دونه آلهة وتركتم

إخلاص العبادة لله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين (٦٦) } :
{ سفاهة } خفة عقل وعتاهة ، بحيث لا ينبغي لنا أن نصغي لقولك ولا نلتفت لكلامك { وإنا لنظنك من الكاذبين } في قولك { ما لكم من إله غيره } ، وإنذارك لنا بقولك { أفلا تتقون } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٠٢/٢)

قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين (٦٧) أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين (٦٨) (١)

---

(١) . { قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين (٦٧) } :
لم يردعه قولهم إنا لنراك في سفاهة ، واكتفى بالجواب المحكم الذي هو الحق الذي يدل على رجاحة عقله والذي هو مهمته .
{ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين (٦٨) } :
{ رسالات ربي } التي أرسلني بها إليكم وأمرنا أن أبلغكم إياها ، فأنا أمتثل أمر ربي { وأنا لكم ناصح أمين } ، فأنا أدعوكم إلى ما فيه الخير لكم وأخلص لكم الإرشاد إلى ما فيه الخير لكم ، وأنا أمين في ذلك لأنا لله اختارني لذلك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٠٣/٢)

أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون (٦٩) (١)

---

(١) . { أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم } :
إنكار لعجبهم من أنهم في أمس الحاجة إلى النذير ، وربهم المالك لهم لا يريد أن يهملهم بلا نذير .
{ واذكروا } نعمة الله عليكم { إذ جعلكم خلفاء } في الأرض { من بعد قوم نوح وزادكم } على قوم نوح { في الخلق بسطة } زيادة واسعة في كمال أبدانكم وقوتكم .
،قال في [الصحاح] : البسطة السعة ، .انتهى ، . فبين لهم أنها نعمة عليهم يجب أن يشكروا الله عليها ولكنهم جعلوها داعية لهم إلى الكفر حيث قالوا { من أشد منا قوة } .
{ فاذكروا آلاء الله } :
تذكروا نعم الله لتشكروه ولا تكفروه ، أو { فاذكروا } كناية عن الأمر بالشكر .
{ لعلكم تفلحون (٦٩) } تظفرون بالخير وتنجون من العذاب إذا شكرتم نعم الله عليكم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٧٠٤)

قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٧٠) (١)

---

(١) . { قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا } :
حولوا دعوته لهم إلى معنى يتعصبون له وهو ترك ما كان يعبد آباؤهم فانشغلوا بالتعصب لآبائهم بحيث طلبوا تعجيل العذاب إن كان صادقا ، وهيو وسيلة شيطانية لرفض الحق والتعصب للباطل .
{ فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٧٠) } :
فإذا جاءهم العذاب فقد نال الشيطان مراده منهم ليكونوا من أصحاب السعير ، والرسول جاءهم منذرا يدعوهم إلى النجاة من العذاب .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين (٧١) (١)

---

(١) . { قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب } :
عقوبة عاجلة من ربكم لتمردكم بعد وضوح الحق وإصراركم على الباطل ، فقد خذلتم وغضب ربكم عليكم فأرسل عليكم الشياطين تؤزكم أزا حتى صرتم إلى حد من الغواية والعمى في مكان بعيد من الحق .
{ أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان } :
{ أتجادلونني } سؤال إنكار يعيب عليهم جدالهم في ما يعبدون من دون الله وهي مجرد أسماء سموها هم وآباؤهم لأنهم يرون حجرا أو تمثالا فيسمونه إلها فليس له مزية على سائر الأحجار والتماثيل المصنوعة إلا مجرد تسميتهم له إلها بلا حجة وإنما هي تسمية اختلقوها من أنفسهم ؛ ولهذا جعلها مجرد أسماء سموها هم وآباؤهم بدون أي حجة من الله تسلطهم على التسمية .
{
فانتظروا } ما استعجلتم به { إني معكم من المنتظرين (٧١) } له لأنكم قد صرتم بحيث يتوقع نزوله عليكم .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين (٧٢) (١)

---

(١) . { فأنجيناه والذين معه برحمة منا } :
كان المقدم في قصة نوح وقصة هود ذكر نجاتهما ومن معهما وذلك إرشاد إلى النجاة في اتباع ما أنزل إلينا من ربنا وترك الأولياء من دونه ، وقوله تعالى { { برحمة منا } } أي بوسيلة لنجاتهم دبرها لهم كإخراجهم من بلد قومهم قبل نزول العذاب .
{ وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين (٧٢) } :
{

قطعنا دابر الذين كذبوا } أي أهلكناهم بسبب تكذيبهم بآياتنا ، والدابر العقب أي الذرية فأهلكهم بحيث لم يبق لهم عقب ، وذلك لأن العذاب عمهم ولم يبق كبيرا ولا صغيرا ، وقوله تعالى { { وما كانوا مؤمنين } } معطوف على { كذبوا بآياتنا } وهو يفيد أنهم لو كانوا يؤمنون في بقية أعمارهم لما أهلكهم ، ولكنه تعالى علم أنهم لن يؤمنوا لو أبقاهم فإهلاكهم لمجموع الأمرين: التكذيب ، وكونهم لن يؤمنوا ، ومثلها في سورة يونس قوله تعالى { { ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين } } .

قال في [المصابيح] : وأما عاد فهم قوم كانوا باليمن بالأحقاف ، قال ابن إسحاق : والأحقاف الرمل الذي بين عمان إلى حضرموت .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٠٧/٢)

وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم (٧٣) (١)

---

(١) . { وإلى ثمود أخاهم صالحا } أي ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا .

{ قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره } :

أي اعبدوا الله وحده ، وهو يفيد أن عبادتهم لو كانت لله مع شركائهم ما كانت مقبولة فهي كلا عبادة ، إنما العبادة لله ما كان له خالصا .

{ قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية } :

بينة تدل على صدق رسولكم وأن ما جاءكم به حق ، وقوله { { هذه ناقة الله } } بيان للبينة أنها هي ناقة الله ، وقوله { { لكم آية } } أي جعلها الله لكم لتكون لكم آية ، فهي لكم من حيث هي آية لا لتركبوها ولا لتأكلوها .

{ فذروها تأكل في أرض الله } :

اتركوها ترتع في أرض الله لا تعترضوها ولا تمنعوها ؛ لأنها ناقة الله والأرض لله وهو المالك للأرض له حكمة فيها ، فعليكم أن تتركوها تأكل في أرض الله ، وهذا ابتلاء لهم ولعله بمطالبتهم كانت هذه الآية العظيمة الناقة التي تشرب ماءهم في يوم ولهم يوم.

{ ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم (٧٣) } :
ولا تمسوها بسوء يعم الضرب والجرح والقتل والضر كله وهذا إنذار لهم بالعذاب الأليم إأن مسوها بسوء .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٧٠٨)

واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٧٤) (١)

---

(١) . { واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد } :
اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم خلفاء في الأرض تنتفعون بمنافعها من بعد عاد .
{ وبوأكم في الأرض } : جعل لكم في الأرض مباءة أو مباءات أي مواضع سكني سكنى .
، قال في [لسان العرب] : والتبوءأ أن يعلم الرجل الرجل على المكان إذا أعجبه لينزله ، وقيل: تبوأه أصلحه وهيأه ، وقيل: تبوءا فلان منزلا إذا نظر إلى أسهل ما يرى وأشده استواء وأمكنه لمبيته فاتخذه ، وتبوأ نزل وأقام والمعنيان قريبان ، .انتهى.
{ تتخذون من سهولها قصورا } :
من السهول ما تبنى منه القصور بجعله طينا متينا ، وبناء القصر منه ، أو بجعله لبنا ثم يبنى ، ومنها ما يجعل آجرا يوقد عليه في النار فيصير قويا خفيفا وهو أصلح لأعالى القصور ، ولذلك اختاره عدو الله ، فقال { { فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا } . }
}
وتنحتون الجبال بيوتا } :
نحت الجبال تسويتها بآلات تجعل فيها التجاويف الكبير التي تصلح للسكنى ، وذلك بالضرب بالفؤوس أو نحوها حتى تأخذ بطون الجبال وتصير الجبال بيوتا ، وقد شاهدنا من هذه البيوت في بلاد صعدة ،حكى الشرفي في [المصابيح] : أن ثمودا عمروا أعمارا طوالا حتى أن الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال .، انتهى.
{ فاذكروا آلاء الله } نعم الله والمراد أشكروا نعم الله { ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٧٤) } ولا تفسدوا فسادا ينتشر في الأرض ، والعثي الفساد وأخذ انتشاره في الأرض من نسبته إليها ، وقوله { }

مفسدين } حال مؤكدة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٧٠٩)

قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون (٧٥) (١) قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون (٧٦) (٢)

---

(١) . { قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم } :

{ لمن آمن منهم } بدل بعض من كل ، يفهم منه أن الذين استضعفوا لم يكونوا آمنوا كلهم ولكن آمن بعضهم فقال لهم الملأ الذين استكبروا .

{ أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه } مجادلة منهم للمؤمنين { قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون (٧٥) } { بما أرسل به } بالآية التي أرسل بها تدل على أنه مرسل من ربه مؤمنون بأنها آية من الله تدل على صدقه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون (٧٦) } :

وهذا نهاية العناد أن يكفروا بالآية العظمى التي هي الناقة .

، قال الشرفي في [المصابيح] :، قال في البرهان: في الناقة آيتان : أحدهما: أنها خرجت من صخرة ملينا [ملساء (ظ)] تمخضت بها كما تمخض المرأة ، ثم انفلقت على الصفة التي طلبوها ، والثاني: كان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله ، وتسقيهم اللبن بدله ، ولهم شرب يوم يخصهم لهم ما فيه .انتهى. انتهى ، .انتهى.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٧١٠)

فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين (٧٧) (١)

---

(١) . { فعقروا الناقة } كفرا بها ومحاربة لدين الله { وعتوا عن أمر ربهم } :
قال في [لسان العرب] : عتا يعتوا عتوا وعتيا استكبر وجاوز الحد ، ثم قال: وأظنه حاكيا عن الأزهري : ، والعاتي الشديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل موعظة ، .انتهى. ، وهذا المعنى عند عندي أحسن في تفسير العتو أي شدة الإمتناع والإصرار فهو يقارب عتو الهرم ، وعتو الريح التي أهلكت عادا ، فعتوا ثمود شدة امتناعهم عن أمر ربهم بحيث أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم .
{ وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين (٧٧) } :

كفرا منهم بقوله { ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أاليم } وكفرا برسالته .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (٧٨) (١)

---

(١) . { فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (٧٨) } :
{ الرجفة } زلزلة الأرض وكانت شديدة فأهلكتهم وكأن وكان سبب الرجفة صيحة لعلها صيحة ملك شديدة رجفت منها الأرض رجفة شديدة فأهلكتهم الصيحة بواسطة الرجفة ، أو كانت الرجفة نفسها صيحة لقوة صوتها ، والأول أقرب عندي إلا أن يكون صوت الرجفة أهلكهم والله أاعلم وقوله { { فأصبحوا في دارهم جاثمين } } تصوير لحالهم في الصباح الذي كان وقت الخروج والحركة والإقبال على الأعمال جاثمين لسقوطهم هلكى على الأرض كالقاعدين ، يقال جثم الطائر إذا قعد ولطيء بالأرض ، وفي [لسان العرب] : الجاثم القاعد مكانه لا يبرح ، ثم قال: وقال أبو العباس : أي أصابهم البلاء فبركوا فبركوا فيها ، والبارك الجاثم على رجليه ، .انتهى. ، وقوله { { في دارهم } } أي في بلدهم بدليل قوله تعالى في سورة هود { { في ديارهم } } يقال للبلد دار ، ألا ترى أنهم يقولون دار حرب ، ودار هجرة ،، قال الراغب : ثم تسمى البلدة دارا إلخ .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧١٢/٢)

&tƒ ô‰ѕ)s9 Nà6çGn=/r"(Qqsة tA$s%ur ؉k÷]tهuqtFsù N>¯'ٍ
téB›s9ur w tbq™7"٣إ` s9٣تtRur Nء|n1u' àMsخ' 'ح™s's!$y
ڑüدغاء"¨#$Y9 اذزب (١)

---

(١) . { uqtFsù>¯'ٍ } نبيهم { ؉k÷]tهN } لعله غاب عنهم في الثلاثة الأيام بعدما قال لهم { تمتعوا في داركم ثلاثة أيام } ثم عاد إليهم بعد هلاكهم لينظر كيف هلكوا فتولى عنهم .
{ tA$s%ur Nà6çGn=/r"(Qqsة ô‰ѕ)s9 &tƒ 'ح™s's!$y 'n1uخ' } أبلغتكم أني رسول من الله لأنذركم { àMs|Nء s9٣تtRur } فلم آل جهدا في طلب صلاحكم { إ٣"tbq™7 w téB›s9ur ڑüدغاء"¨#$Y9 اذزب } :
فبين بذلك أنها لم تبق لهم حجة ، وأنهم هم الذين ظلموا أنفسهم ؛ لأنهم أهملوا عقولهم وجدوا في اتباع أهوائهم إلى حد أنهم لا يحبون الناصحين ؛، لأنهم يدعونهم إلى خلاف ما تهواه أنفسهم ، وكلامه معهم في صورة الخطاب لهم لأنه أبلغ في موعظة السامع أو هو كخطاب الرسول ( ) لأهل القليب الذي الذين قتلوا في بدر .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧١٣/٢)

#$٩ےx"s|±spt &tbqè?ù's?r ٩د(Bqsدmد¾ے %tA$s (خur Œ٩تoqغ"$
yè9$#"=JnدiB tûüئد ڑ&B 7%‰tnrد`ô هحs)t7y™ $pk٣تtB N$ ارقب
ڈcrآ iBد` Zouqky #$٩جhج_tbqè?ù'tGs9 tA$y (خNà6¯R
oBچجcqèüڑ %Pqs× &iY9$# @t/ OçFRrد،|$!دن ارتب (١)

---

(١) . { &tbqè?ù's?r ٩د)Bqsدmد¾ے %tA$s)خur Œ٩نqغ"$

iB ڑئد &B 7%‰tnrد`ô هحs)t7y™ $pk٣نtB N$ #$٩ےx"s|±spt

yè9$#"=Jnدtûü ارقب { { ولوطا } أي ولقد أرسلنا لوطا وأغنى قوله تعالى { { إذا قال لقومه }

عن قوله إلى قومه { إذ قال } أي أذكر إذ قال { { أتأتون الفاحشة } } سؤال توبيخ وإنكار عليهم {

{ ما سبقكم بها من أحد من العالمين } } دلالة على سبقهم في الخبث والفجور حيث ابتدعوا فاحشة لم يسبقوا إليها .

{ Nà6¯R)خtA$y 'tGs9 tbqè?ù_hج٩چ$# Zouqky iBد` crآكٹ

دن!$ | ،د#$9Yi } :

هذا تفسير للفاحشة المذكورة ومعنى تأتون الرجل إتيان الرجال في أدبارهم شهوة لزيادة إيضاح المعنى ، وقوله { { من دون النساء } } أي بينكم وبين النساء أي تجعلون ذلك أقرب من إتيان النساء ، وهو يفيد أنهم لا يصلون إلى النساء ، كقوله { { وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم } } وذلك مخالفة للفطرة ، والنساء زيادة في الحجة عليهم .

}

OçFRr@ &t/ %Pqs× cqèùڑجچ،oB ارتب } :

قال الراغب : السرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان ، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر ، انتهى.

والمعنى { مسرفون } متجاوزون في الباطل الحد المعهود من غيركم أو متجاوزون الحق إلى الباطل في هذا الأمر وغيره .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧١٤/٢)

---

s% $٩نq #) &br)خBqs% Hwدmد¾ے _uqy#<z ٢ں%cڑ tBur$

&tRé$¨س)خg¯Rكs% NچGtƒدiB Nà6د` &zr÷جچ_مNèdq

tGtƒgs£مچtbr ارثب (١)

---

(١) . { s% $٩نq #) &br)خBqs% Hwدmد¾ے _uqy#<z ٢ں%cڑ tBur$

&tRé$¨س)خg¯Rكs% NچGtƒدiB Nà6د` &zr÷جچ_مNèdq

tbrمچ£gsƒtGt ارثب } :

فقولهم } { أخرجوهم } { قام مقام الجواب ولم يجيبوا كما أجاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ، فجعل قول قوم لوط } { أخرجوهم .. } { إلى آخره جوابا على طريق المشاكلة لوضعه موضع الجواب وجعله بدله ، وقولهم } { أخرجوهم } { أي أخرجوا لوطا وآله ، وقولهم } { من قريتكم } { جعلوها قريتهم كأنها لهم وحدهم ، لعدم اعتبارهم مشاركة لوط وآله استخفافا بحقهم ، وقولهم } { إنهم أناس يتطهرون } { تعليل لإخراجهم .

،

قال في [الكشاف] : وقولهم } { إنهم أناس يتطهرون } { سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أابعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد ، .انتهى.كقوله تعالى } حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى } إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٧١٥)

çm"sù'rRfy‹Yo ےم¼&s#÷rd&ru wخ) ¼r?smç&zگD$#
x%RtMô. ڈئïûtB ةخ"#$9t ارجب (١) $RtجsrB&ru Nخgtٹt=nو
#\جsــB چفy ùs$$Rà#ں٢ 7tpè .x%cة)"tم ڈüدBجfôكـ#$9J ارحب (٢)

---

(١) . { çm"sù'rRfy‹Yo ےم¼&s#÷rd&ru wخ) ¼r?smç&zگD$#
x%RtMô. ڈئïûtB ةخ"#$9t ارجب } :

{ وأهله } لأنهم كانوا مؤمنين } إلا امرأته { وكانت مسلمة لكنها خانت بني نبي الله فكانت من الغابرين الماضين الهالكين .

كقوله تعالى } حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى } إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { $RtجsrB&ru Nخgtٹt=nو #\جsــB } أي مطرا غير المعهود وهو الحجارة } چفy ùs$$Rà#ں٢ 7tpè .x%cة)"tم ڈüدBجfôكـ#$9J ارحب } ففيهم عبرة لمن يعتبر لينجوا من الهلاك الذي يسببه الإجرام .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٧١٦)

---

tf "(Qqsة %tA$s ©ںyèڈY7$ &tïô%‰tB Nèd%s{rڑ ur(خ>n'ٹ xî ô%‰s% ڑçnç¼ (خs9"m< iBد`tB Nà6s9 ô$ #$!© #$م7ô%‰ك(#r x69$#›@ں n/§' (#qèù÷rr'sùخiB Nà6د` /i tï y_ ×poY$!نNà6?u wur ں &u‹ô©r$!نy,7s? }¨$¨Y9$# Nèdu،فwur (#qںJ9$#urچد"c#uڑ yz ×ڑچ sŒ؛٩دNà6 (خn=ô¹"s،F{$# y%‰÷èt/ $yg'ع ûخ† ؟èے،إ%‰ك(#r N ن٣©٩ bخ) OçFZà2 ڑüدZدB÷soBد ارخب (١)

---

(١) . { ٹ'n>خ)ur ڑr}s%dèN Bt‰%ôïtB& $7Y ڈèyں© } أي ولقد أرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا .

{ tA% sqQ)"r# ftك‰%ô7$çم$# ©!$# $ô 9s6àN Bt`دBi <m"9s)خ ¼çnçژڑ Nà6?u %s%‰ô îx ن!$Yopx _yï t` /ià6دN iخn/§' } :

تدل على أن لا إله إلا هو وأني رسول منه ، وأن عليكم أن تعبدوه .

{)#ùès'rr÷ùèq ں@›#$9x ڑu#c"چدur#$9Jںq# ف،ruw ?s7,y ن!$r©ôà‹u& }¨$¨Y9$# udèN } :

أمرهم أن يوفوا الكيل ؛، لأن المطفف قد ينقص في الكيل وإن كان المكيال وافيا ، وفي موضع آخر ذكر الله أنه أمرهم أن يوفوا المكيال ؛ لأن المطفف ينقص بواسطة نقص المكيال ، وذلك يدل على أن شعيبا عليه السلام أمرهم أن يوفوا المكيال ويوفوا الكيل ، وأمرهم أن يوفوا الميزان ؛ لأن التطفيف في الوزن قد لا يتهيأ إلا بالنقص في الميزان بجعله مائلا أو بنقص ما يوزن عليه ؛ لأن المشتري يراقب استواء الميزان مراقبة تبعد التطفيف بغير نقص الميزان ، وقوله { { ولا تبخسوا الناس أشياءهم } } أي لا تنقصوهم ما هو لهم أو لا تظلموهم شيئا من أشيائهم وهو يعم الأموال وغير الأموال م ، قال الراغب : البخس نقص الشيء على سبيل الظلم ، .انتهى.

{ ں#r) ûwur%‰ك،إ%‰ے؟ †خû 'عgy$ /tè÷‰%y #${Fs،"¹ôn=خ) } :

بعد إصلاح الأرض بمرافقها وأموالها وطرقها ومساكنها ومياهها ونحو ذلك من إصلاح منافع الأرض ،

فالإفساد فيها تغيير صلاحها بمثل إغوار الماء وقطع الطريق وحرق المحتطب والمرعى والزرع وقطع الأشجار المثمرة بالفواكه ونحو ذلك ، وتخريب الدور وإفساد الهواء بالدخان أو غيره ، ويدخل في ذلك بالأولى إبطال التربة وإماتتها بالقنابل الذرية .

{ sŒ؛٩دNà6 ×ژچN ٣ںyz ٩© b خ) OçFZà2 ڈüدZدB÷soB ارخب } :

ذلكم المذكور من قوله { { اعبدوا الله.. } } إلى { { ..إصلاحها } { خير لكم } } في دينكم ودنياكم ؛ لأن صلاح المجتمع بانتشار العدل وعدم الغش والخيانة والإفساد في منافع الناس ، وقوله { { إن كنتم مؤمنين } } أي إن قبلتم مني ، وذلك يتوقف على إيمانكم بالله ورسله و اليوم الآخر .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧١٧/٢)

ں#r) wurك‰مs)è؟ ب6à@eخ/ :ق؛uژإه tbrك‰دمqè؟ ڈcr'‰فء`t s?urم

ب@›خ٦y™" !$# tB`ô ڈئu#tBن ¾دmخ/ $qRtgyںن٦uq_[$ s?urدم (١) (

---

(١) . { ں#r) wurك‰مs)è؟ ب6à@eخ/ :ق؛uژإه tbrك‰دمqè؟ ڈcr'‰فء s?ur

t`م ب@›خ٦y™" !$# tB`ô ڈئu#tBن ¾دmخ/ $qRtgyںن٦uq_[$ s?urدم {

:

الصراط: الطريق الواضح ، والقعود به الجلوس فيه لإنتظار من يمر فيه من المؤمنين أو من يخافون أن يؤمن بشعيب ، وقوله { { توعدون } } أي توعدون بالقتل أو غيره مما يخاف للتحذير من الإيمان أو من الإستمرار عليه { وتصدون عن سبيل الله } تمنعون عن دين الله { من آمن } بالله { { وتبغونها عوجا } } تبغون سبيل الله عوجا بذكر الشبه والتغرير لتجعلوا في سبيل الله عوجا وتنسبون إلى دين الله أنه غير مستقيم على الصواب مثل ما يقول المحاولون في إفساد المسلمين أن الدين يؤخر الناس عن التقدم و الحضارة ويبقيهم في الضعف والجمود والجهل بأسباب القوة ، فيجعلون سبب ضعف المسلمين هو الإسلام ، وهذا باطل فإن سبب ضعفهم التفرق والتنازع ، كما قال الله تعالى { { ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم } } وقوله { { وتبغونها عوجا } } معطوف على { توعدون } و { تصدون } فمعنى ذلك تقولون لمن آمن أو تخشون أن يؤمن شبها لتغووهم عن سبيل الله بالقدح في استقامة سبيل الله وكونها صوابا ، وذلك كله في حال قعودكم بكل صراط .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧١٨/٢)

Ys3sù ©ûs% Nà2u=Ï›OçFZà2 Wx (Ïà2Œ$#ur Œ̧ŒrÎ#
(١) اردب J9$#èپ%tûï pt"ة(c%x. èpt6ـ .àR$#ur y#‹xجفمr#)

---

(١) . { (#ژrچŒà2Œ$#ur } نعمة الله عليكم { Œ Ï) Wx ÷à2ZFçOÏ›=s% Nà2u Ys3sù©ûNà2u } :

فاشكروا هذه النعمة ، أو الدعوة إلى ذكرها كناية عن الدعوة إلى شكرها وهو أقرب ، والكثرة نعمة عظيمة ؛ لأنها قوة يستطاع بها غلبة العدو والدفاع عن الأنفس والأموال والدين ودفع المفسدين المفسدين ولكن الخلاف والتنازع يفوت هذه الفائدة والمسؤول عن ذلك المفسدوين لذات البين .
{ (#rفجمx‹y#ur .àR$#ur èpt6ـ .x%c)ة pt"tûï%پè#$9J اردب } :
فاعتبروا بمن قبلكم من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط لتنجوا من العذاب الذي سببه الإفساد .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧١٩/٢)

---

b(Ïpx× .tb%x ur‌ےح !$s غ Z6àNدq#) iBمu#BtZ ن ü"د%©!$$Ï/
ƒ Bمr÷sدZمur O©9 (#qغ s$! ح‌ےpx× /Ïm3¾ &é'™إ=àMù
yzچûuZoY÷ t/ uqèdur ç$ #$!ه †ts٣نLym zN®سô¹$$sù 4٩ة(#rç
(١) اردب #$:pt"٣إJدüـ

---

(١) . { b(Ïpx× .tb%x ur‌ےح !$s غ Z6àNدq#) iBمu#BtZ ن ü"د%©!$$Ï/
ur O©9 (#qغ s$! ح‌ےpx× } من آيات الله ووحيه { /Ïm3¾ &é'™إ=àMù

uZoY÷ t/ $ #$!ه †tsڑ٣Lym zN®سô¹$$sù 4ةڑ٩ƒ (#rçمB÷sدZم(#q
ç yzچuqèdur ڑJدüڑ٣"pt:$# اربذ } :
اصبروا على انتظار حكم الله خير الحاكمينبينا ، ولا تعجلوا على الشر فإن الله خير الحاكمين وانتظار حكمه يكفيكم ؛ لأن الله خير الحاكمين فحيث كل فريق يدعي أنه على حق فعليه أن يرضى بحكم الله لأن الله خير الحاكمين ، ولن يكون حكمه ضد المحق من الفريقين ، فهذا صلح أصلح من عجلة الكفار على التعدي على المؤمنين وعلى الرسول ؛ لأن ذلك يؤدي إلى تعجيل عذابهم ، وفي التأني السلامة ولكنهم أبوا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٧٢٠)

---

* tûïّ #$9Jy |_ %$sAtد%©!$# (#çrچ؛Ft39y™T$# `دB ¾دmدm %sqB
y7"Zy_چج÷,مZs9 =›àèy±"ïûٍt ƒtد%©!$#q# (ruرمZ#BtZن Btèy7y `د B
Y$o!$دƒtK چrr÷ %s$& "bكثqمGs9tè '؟Z$u ûدG¯=دrrus9q %s$At B&
$"Zن .üûٍtدجچ"x. اررب (١) دo%uƒ÷Y$o %sjtؤ?n' #$ùIt م"!$# $¹/ة‹ .x
b÷خ) $Rôt%‰م '؟خ6àN ûدG¯=دـŒ /tè÷‰%y B(خ) $RtO8Zu ه!$#
$kp÷]دB2) B)

---

(١) . } * ïûٍt #$9Jy |_ %$sAtد%©!$# (#çrچ؛Ft39y™T$# `دB
¾دmدy ¨Zy7 %sqB_چج÷,مZs9 =›àèy±"ïûٍt ƒtد%©!$# ru
q#)مuZ#BtZن `دY$o!$ دBƒtK چrr÷ %s$& "bكثqمGs9tè '؟خ û
Z$u ûدG¯=دrrB } :
لم يقبلوا نصح نبيهم بأن يصبروا وتهددوه ومن معه بإخراجهم من قريتهم إن لم يعودوا في ملتهم ، ولم يكترث نبيهم بالوعيد بإخراجهم له من قريتهم فلم يجب فيه وأجاب عن قولهم { } أو لتعودن في ملتنا } } ..
{ urr9qs %s$At&$ ¨Z$. üûٍtدجچ"x. اررب { أي أنعود في ملتكم ولو كنا كارهين ،
ثم قال :كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر

: مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

û خ' مم%‰tRô$ (خx. ÷b›ة/¹$ #$!" مtIù$# 'n?tۜs% $oY÷ƒu%‰دو } . (٢)
: { Bد[÷pk$ #$!ه uZ8OftR$ (خB y%‰÷èt/ Œد=¯GدNà6

لأنا إن عدنا في ملتكم قلنا على الله ما تقولون من إثبات الشركاء لله وغير ذلك من كذبكم على الله وقد علمنا حين هدانا الله ونجانا من ملتكم أن ما تقولونه على الله كذب ، فلو رجعنا في ملتكم كنا قد تعمدنا الكذب على الله ، وليس في هذا إثبات أن شعيبا كان مشركا ؛ لأن قوله { { إن عدنا } } فيه حرف الشرط فهو فرض وتقدير لا يلزم منه أنه كان عليه ، بل هو في حقه متوقف على فرض أنه كان فيه ففرض العود فرض لما يتوقف عليه العود ، أي فرض لما يتوقف عليه كون الدخول في ملتهم عودا فيها ، وكأنه ترك الجدال في أنه كان معهم لأن المهم بيان أن ما هم عليه باطل يجب تركه سواء كان معهم أو لم يكن .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٢١/٢)

"t±o$!نu &br (خù Hwدۜè¯R !$pkمqث‌y &tƒ !$uZs9 br٣نbqم tBur$
#$!" مn?t' دو=Jù¸$ "xنس< .ن@¨ 'u/ڑur $uZ™باu' y/ڑuZ$ #$!ه
%Bqsدu' ôxtFù$# $uZoY÷ t/ tû÷üt/ur $uZ/uZù=©.uqs? uZ
ب$$d,ys9/ خ| ur&MRr ۜtûüç yz!sدG"x‌ے٩$# ارزب (١)

---

(١) . { tBur$ مbr٣نbqم $uZs9! &tƒ y‌ثqمpk$! R¯èۜدHwù خ) &br
: { دو=Jù¸$ "xنس< .ن@¨ 'u/ڑur $uZ™باu' y/ڑuZ$ #$!ه "t±o$!نu
{ وما يكون لنا } ما يليق بحالنا و لا يناسب ما نحن فيه من اليقين بالحق وكراهة ما أنتم عليه من الباطل ، فهو شبه المستحيل منا ، ثم قال { { إلا أن يشاء الله ربنا } } لأن الهدى والصلاح ليس ذاتيا لنا إنما هو بلطف الله وعصمته ، وهو أعلم بحالنا في المستقبل يعلم إن كنا نتغير ونستحق الخذلان في المستقبل أو أنا نثبت على دينه بعصمته ولطفه .
{ 't?n' م"!$# $squ.©=ùZu؟ } فلن نترك دينه لوعيدكم لأنا في طاعتنا له ولكنا وكلنا أمرنا إليه .

} uZ/uZ tû÷üt/ur $uZoY÷ t/ ôxtFù$# %Bqsدu' ب$$ys9d,خ/
|ur&MRr tûüڑçج x"Gدsإyz #$٩ے ارزب { :

ربنا احكم بيننا وافصل بالحق سواء لنا أو علينا وأنت خير الحاكمين ؛، لأنك لا تحيف ولا تخطئ ، وفي قوله { { بالحق } } في جوابه على قومه دلالة على أنه واثق أنه على الحق ، وأن الحكم من الله بالحق هو له لا عليه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٢٢/٢)

---

tûïQ$# pRù|_ ur%$sA%t©دﺍ$# (#rمچx ےx. `دB ¾mدsq%B

بûtè÷Fçn 9sv¨؟$# $٠٦›èyا© /ن٣¯Rخ) #[Œخ) çrbtڑ؛إ£"9©,y ازقب

مNxهèpx ùs'r{s‹xEk_ے ô§چ٩$# (#qﮎùs'r¹ôtts 'Nخ ûدdح'#y ٹ

ڑüدJW"y_ ازتب ûtïدﺍ%©!$# (#èy‹6Y$ .x‹O/çq©ن 9©N .xr(br

ڑïدﺍ%©!$# (#èy‹6Y$ .x‹O/çq©ن (#x%Rçq. مdèN ùدn(#qtZf$yg ازثب y,9$#"£إڑخïڑ (١)

---

(١) . { tûïQ$# pRù|_ ur%$sA%t©دﺍ$# (#rمچx ےx. `دB ¾mدsq%B

{ كبراء الكفار من قوم شعيب .

{ بûtè÷Fçn 6·$ #$?¨7tè÷FçN 9sن© /ن٣¯Rخ) #[Œخ) çrbtڑ؛إ£"9©,y ازقب

: {

يقولون لأصحابهم أو لقومهم تثبيطا وصدا عن الحق ، فلم يكفهم إصرارهم على الكفر بل أضافوا إليه إصرارهم على الصد عن سبيل الله كأنهم لم يسمعوا نصيحة نبيهم .

{ مNxهèpx ùs'r{s‹xEk_ے ô§چ٩$# (#qﮎùs'r¹ôtts 'Nخ ûدdح'#y ٹ

ڑüدJW"y_ ازتب ûtïدﺍ%©!$# (#èy‹6Y$ .x‹O/çq©ن } :

أخذتهم الرجفة كلهم الذين استكبروا والذين استضعفوا { $yg (#qtZf 9©N .x(br›ùد }

كأن لم يسكنوا في قريتهم حيث هلكوا كلهم كبيرهم وصغيرهم ، قال الراغب : وغني في مكان كذا ، إذا طال مقامه فيه مستغنيا به عن غيره ، .انتهى.

وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : { { كأن لم يغنوا فيها } } معناه لم ينزلوا فيها ولم يعيشوا .

{ ڑïدs%©!$# (#èy‹6Y$ .x‹O/çqن© (#x%Rçq. مdèN ڑïخژإ£"#$9,y

ازثب } لا من اتبعه كما زعموا .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٢٣/٢)

&t*f* ô‰s)s9 Nà6çGn=/r"(Qqsة tA$s%ur مg÷YtكuqtGsù N>¯'ٴ

مn?t'ٴ نs9 y#‹s3sù 4†y›#u٣نtRur Nء|n1u' àMsخ' 'ح™y"=n"Mد

%Qqsv ڑïجچدے"x. ازجب (١)

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } . { مg÷YtكuqtGsù N>¯'ٴ

n1u' خ' 'ح™y"=n"Mد &t*f* ô‰s)s9 Nà6çGn=/r"(Qqsة tA$s%ur

{ ازجب .x"ڑïجچدے %Qqsv مn?t'ٴ نs9 y#‹s3sù 4†y›#u٣نtRur Nء|àMs

:

{ آسى } في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : معناه أحزن وأتوجع ، .انتهى.

وقد مر تفسير مثلها ، وفي هذه زيادة جمع رسالة رسالات ، ولعل السبب أنه بلغ أكثر لأن بعض قومه كانوا قدقد كانوا آأمنوا فكان قد بلغهم كل ما أرسل به .

(٧٢٤/٢)

جاهز

!tBur$ أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون (٩٤) (١)

---

(١) . { وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون (٩٤) } :

{ أخذنا أهلها بالبأساء والضراء } أصبناهم بالبأساء والضراء بحيث غلبتهم البأساء والضراء ، وسيطرت

عليهم ، ولم يستطيعوا التخلص من البأساء والضراء ، والبأساء مثل الجدب والجوع والفقر الشديد ، والضراء مثل الأمراض { لعلهم يضرعون } تعريضا لهم على التضرع إلى الله والتذلل له إذا أذلهم الفقر والضر وذهبت سكرة النعمة وهو تأديب لهم كما يؤدب الصبي أبوه ولكن لم يتضرعوا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون (٩٥) (١)

---

(١) . { ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا } :

مكان السيئة مكان ما كان يسوؤهم من البأساء والضراء جعلنا بدله الحسنة الرزق والعافية { حتى عفوا } ، قال في [لسان العرب] : وفي التنزيل { حتى عفوا } ، أي كثروا ، وعفا النبت والشعر وغيره يعفوا فهو عاف: كثر وطال ..إلخ ، وفي [الصحاح] : وعفا الشعر والنبت وغيرهما : كثر ، ومنه قوله تعالى { { حتى عفوا } } أي كثروا ، .انتهى. ، وفي هذا دلالة على طول مدة الخير .

{ وقالوا } لطول مدة الخير { قد مس آباءنا الضراء والسراء } لم يعتبروا البأساء تأديبا ليتضرعوا ولا الخير نعمة ليشكروا ، بل جعلوا من ذلك مجرد عادة من عادات الدهر بزعمهم جاءت فيهم كما مست آباءهم { فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون (٩٥) } :

{ بغتة } : فجأة { وهم لا يشعرون } أنه الهلاك حين بغتهم وهذا عذاب عاجل بتكذيبهم لرسلهم وعصيانهم لربهم ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض (١)

---

(١) . { ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض } :
{ آمنوا } بآيات الله وآمنوا بالله ورسله واليوم الآخر { واتقوا } أسباب العذاب أي أطاعوا الله واجتنبوا العصيان وتابوا إلى الله مما مضى منهم من المعاصي { لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض } ،قال بعض المفسرين : ونعم ما قال: ، فيه استعارة بالكناية فقد شبهت البركات بمجاري تجري منها عليهم كل ما يتمتعون به من نعم الله لكنها سدت دونهم ، فلا يجري عليهم منها شيء ، لكنهم لو آمنوا واتقوا لفتحها الله سبحانه فجرى عليهم منها بركات السماء من الأمطار والثلوج والحر والبرد وغير ذلك كل في موقعه وبالمقدار النافع منه ، وبركات الأرض من النبات والفواكه والأمن وغيرها ، ففي الكلام استعارة المجاري للبركات ، ثم ذكر بعض لوازمه وآثاره وهو الفتح للمستعار له ، .انتهى.
قلت : وفيه فائدتان :

الأولى: سهولة ذلك حتى كأن البركات موجودة إذا فتحت فاضت على العباد ؛ لأن إنزالها ليس فيه أي عسر على الله ؛ لأنه على كل شيء قدير.
، الثانية: أن إفاضة البركات على العباد هي الأصل ففيض البركات عليهم كالطبيعي كما أن من طبع الماء أن يفيض إذا فتح ، وإنما تسد عليهم لذنوبهم إذا اقتضت الحكمة تأديبهم بالبأساء والضراء ، ففي ذلك تنبيه على كرم الله وإرادة الخير واليسر لعباده لولا أنهم يظلمون أنفسهم ، ويؤكد ما ذكره من الإستعارة قول صاحب [لسان العرب] : والفتح الماء المفتح على إلى الأرض ليسقى به ، والفتح الماء الجاري على وجه الأرض عن أبي حنيفة ، ، الأزهري: والفتح النهر وجاء في الحديث : ((ما سقى فتحا وماسقي بالفتح ففيه العشر)) .انتهى المراد.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٢٧/٢)

ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون (٩٦) (١) أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم
(tR (97) (2$! ﮔJtbq

---

(١) . { ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون (٩٦) } :

كقوله تعالى { { كذبوا بآياتنا فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر } } وقوله { { بما كانوا يكسبون } } يفيد أن سبب الأخذ معاصيهم كلها التي استمروا يكسبونها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { أفأمن أهل القرى } بعد أهل القرى الماضين { أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم tR $! حJكtbq ((97 } :

{ بياتا } أي أن نبيتهم بالعذاب بياتا والبيات الهجوم على العدو لقتلهم في الليل فيأتيهم { بأسنا } كالرجفة والصيحة { وهم نائمون } وفي ذلك شدة الفزع إذا أيقظتهم المصيبة النازلة بهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون (٩٨) (١)

---

(١) . { أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون (٩٨) } :

{ ضحى } أول النهار حين تشرق الشمس ، وتبياض وقت خروجهم من بيوتهم وأخذهم في أفعالهم من أعمال الدنيا ولهوهم ، وسمي ذلك لعبا لانقطاع فائدته ، كاللعب فائدته وقته فإذا انتهى ذهبت لذته ، وفي التعبير باللعب دلالة على أنهم مستحقون للعذاب القاطع للذات المبطل للأعمال فاشتغلهم فاشتغالهم بدنياهم في حال أن قد تعرضوا لعذاب الله اشتغال بما لا فائدة له وتلة وتله بما لا ثمرة إذا تعقبه الهلاك اكشف انكشف أنه كاللعب لأنه كان ينبغي لهم بدلا منه أن يتلافوا أنفسهم بالإيمان والتوبة إلى الله فكان اشتغالهم بدنياهم ولهوهم كالإشتغال باللعب .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون (٩٩) (١) أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون (١٠٠) (٢)

---

(١) . { أفأمنوا مكر الله } أي أفأمن أهل القرى مكر الله وقد تعرضوا لغضبه { فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون (٩٩) } الذي الذين عاقبتهم الخسران المبين لغفلتهم عن الله وإعراضهم عن هداه حتى نسوا أو جهلوا أنهم متعرضون لبطشه بالتمرد عليه والإصرار على الباطل .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم } :
}
أولم يهد } أي أكان ذلك الإهلاك للقرى ومكر الله بهم ولم يهد للذين يخلفونهم أنه { لو نشاء أصبناهم بذنوبهم } كما أصبنا من قبلهم ، والسؤال بمعنى النفي ، فالذين يرثون الأرض من بعد أهلها كيف لا يعتبرون بهم ، وقد بين لهم إهلاك من قبلهم أن لو يشاء الله لأهلكهم كما أهلك من قبلهم .
{ ونطبع على قلوبهم } معطوف على { أولم يهد } لأنه بمعنى قد هديى لهم أي بين لهم ونطبع على قلوبهم { فهم لا يسمعون (١٠٠) } بيانا يهديهم لما فيه نجاتهم لأنهم قد خذلوا بتمردهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٣٠/٢)

تلك القرى نقص عليك من yg ح !&t6/Rr$ ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل (١)

---

(١) . { تلك القرى نقص عليك من yg ح !&t6/Rr$ ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات } القاطعة للعذر { فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل } :
فما كانوا ليؤمنوا أي ما كان يناسب حالهم أن يؤمنوا فهو نفي مؤكد مثل { لم أكن لأسجد } لأنهم قد كذبوا بالآيات من قبل فما كانوا ليؤمنوا بها من بعد ؛ لأنهم قد خذلوا من أجل التكذيب بها فما كانوا مع خذلانهم ليؤمنوا بما كذبوا من الرسل ، والآيات البينات من قبل والراجح أن هنا إيجازا ، وأن المعنى فكذبوا الرسل بعدما رأوا الآيات البينات وأصروا على ذلك واستمروا ولم ينتفعوا بعد ذلك بإنذار ولا

موعظة ولا نصيحة ليؤمنوا ؛ لأنهم قد كذبوا الرسل من قبل فخذلوا فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل .
، قلت : هنا إيجاز لأن قوله تعالى { { بما كذبوا من قبل } } يدل على أنهم قد كذبوا من قبل وذلك يستلزم أنهم أصروا على التكذيب حتى خذلوا فما كانوا ليؤمنوا .. إلخ .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٣١/٢)

كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين (١٠١) (١) وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين (١٠٢) (٢)

---

(١) . ، {كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين (١٠١) } :
كذلك الذي منعهم من الإيمان وباعدهم عنه يطبع الله على قلوب الكافرين فهو أي الطبع يكون بسبب تكذيبهم { من قبل } من بعدما جاءتهم البينات فتبين لهم الحق ، فتمردوا وكفروا فاستحقوا الخذلان وإرسال الشياطين عليهم حتى تصير قلوبهم كالمختوم عليها لا يدخلها الإيمان أبدا .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين (١٠٢) } :
فأكثرهم يكونونا قد عاهدوا عند إصابتهم بالضراء وخوفهم الهلاك بذنوبهم { لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين } ثم نكثوا وأضاعوا العهد كأن لم يكن { وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين } فجارا خبثة يتركون الحق تعمدا وتمردا أو يتعمدون الباطل خبثا وفجورا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٣٢/٢)

ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (١٠٣) (١) وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين (١٠٤) (٢)

---

(١). { ثم بعثنا من بعدهم } من بعد الرسل المذكورين سابقا وأممهم { موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه } أصحابه الذين هم معه في الباطل والظلم وزراء ومعينون { فظلموا بها } فاستهزءوا بها وكذبوا بها { فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (١٠٣) } أنا دمرناهم أجمعين فصاروا عبرة لمن بعدهم من الأمم وكانوا مفسدين بالشرك والظلم لبني إسرائيل والتكذيب بآيات الله وغير ذلك .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢). { وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين (١٠٤) } :

قال الشرفي في [المصابيح] : أي مرسل إليكم من مالك الخلق أجمعين ، كان يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الأكاسرة ، فكأنه قال يا ملك مصر ، .انتهى المراد.
وقد تضمن قوله { { من رب العالمين } } حجة على فرعون وهي أنه عبد لمرسل موسى ، فعليه أن يمتثل أمره ويتبع رسوله وأن بني إاسرائيل عباد الله فعليه أن يرسلهم لموسى وأن مرسله رب العالمين فهو مالك الملك وله الحكم فيهم لا لغيره .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٣٣/٢)

حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني ں@ƒدنآuژ خ) (١٠٥) (١)

---

(١). { حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني ں@ƒدنآuژ خ) (١٠٥) } :
على قراءة نافع { { حقيق علي } } بإدخال على على ياء المتكلم أي: واجب علي أن لا أقول على الله إلا الحق ، وعلى قراءة غيره { { حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق } } بدون ياء المتكلم ذكر فيه صاحب الكشاف وجوها: أحدها: أن ضمن حقيق معنى حريص فعدي تعديته ، وهذا أقرب

الوجوه عندي فمعناه: أإني حقيق وجدير بأن لا أقول على الله إلا الحق لأنه أرسلني رب العالمين وهو لا يرسل من يقول غير الحق وإني حريص على ذلك .
{ قد جئتكم ببينة من ربكم } تدلى تدل على أني رسول رب العالمين وأني حقيق أن لا أقول على الله إلا الحق { فأرسل معي بني إسرائيل } ليتخلصوا من ظلم ظلمك ويهتدوا باتباع الرسول .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٣٤/٢)

قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين (١٠٦) فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين (١٠٧) ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين (١٠٨) (١)

---

(١) . { قال } فرعون { إن كنت جئت بآية فأت بها } فأاظهرها لنا { إن كنت من الصادقين (١٠٦) } وهذا دليل على آية عظمى وهي أن الله صرفه عن قتله فتشاغل بطلب الآية والجدال بالباطل.
{ فألقى } موسى { عصاه فإذا هي ثعبان مبين (١٠٧) } :
وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام ثعبان مبين وهو الذكر من الحيات ، .انتهى.
وفي [المصابيح] والثعبان: الحية اضخم الضخم الذكر في قول جمع .كذا . أهل اللغة .انتهى. ومعنى مبين { مبين } بين واضح أنه ثعبان { ونزع يده } من جيبه { فإذا هي بيضاء للناظرين (١٠٨) } تعجبهم بجمالها ، وفي التعبير إشارة لضيق الثوب الذي أخرجها منه كقوله تعالى { { اسلك يدك في جيبك } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٣٥/٢)

قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم (١٠٩) يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون (١١٠) (١)

(١) . { قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم (١٠٩) } :
بالسحر ماهر فيه ، أي قال إأن موسى إنما جاء بتخييل لا حقيقة له فلا ثعبان ولا بياض ليده بعدما تبين لهم الثعبان الذي لا شك فيه والبياض الذي رآه الناظرون ولكنهم خافوا أن يتحرر بنو إسرائيل ويكونوا قوة ضدهم فتآمروا في مدافعة الآية البينة فقالوا:
{ يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون (١١٠) } :

يقول ذلك بعضهم وهذا مما يحقق الآية العظمى التي هي صرف الله لهم عن قتله ؛ لأنه لو كان ساحرا كما زعموا يريد ما زعموا لكان قتله أيسر وأنفع من كل رأي للتخلص منه ولكن الصارف عن قتله أمر باني رباني لأجله لجأوا إلى الجدال وقرروا أن الرأي أن يعارضوا الآيات بالسحر وذلك وإن كان مظنة أن يظهر الفرق بينه وبين الآية البينة فهو عندهم يكون مجالا للجدل ومجالا لدعوى أن سحرهم قد غلب الآية أو على الأقل دعوى التشابه وبينه وبين ما جاء به موسى ودعوى أن الكل سحر ، جدالا ومدافعة بالباطل تطويلا لمدة المدافعة للحق وظنوا أنهم في ذلك قد أ صابوا الرأي الآخر فاتجهوا إلى فرعون .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٣٦/٢)

قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين (١١١) يأتوك بكل ساحر عليم (١١٢) (١)

(١) . { قالوا أرجه وأخاه } :
أخرهما ولا تقتلهما وهذه للجدال في الآية العظمى الواضحة الجلية التي هي صرفهم عن قتل موسى قد دل عليها بقوله { { وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون } } فلا إرجاء منه بل هو ملجأ إلى تأخيرهما وترك قتلهما وليس تركه لقتلهما من أجل قولهم { أرجه وأخاه } ، وقد عرفوا ذلك ولكن أرادوا التغطية على الحق والتغرير على اتباعهم .
{ وأرسل في المدائن حاشرين (١١١) } يحشرون إليك ا لسحرة من كل مدينة { يأتوك بكل ساحر عليم (١١٢) } بالسحر ماهر فيه ومضى على هذا الرأي { فأرسل في المدائن حاشرين } للسحرة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٣٧/٢)

وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين (١١٣) قال نعم وإنكم لمن المقربين (١١٤) (١)

---

(١) . { وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين (١١٣) } :
لموسى وهارون ، وهذا عرض عليه ليعدهم الأجر أو هو استفهام .
{ قال نعم } إن لكم لأجرا { وإنكم لمن المقربين (١١٤) } تصيرون وزراء أو نحو الوزراء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٣٨/٢)

قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين (١١٥) (١) قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم (١١٦) (٢)

---

(١) . { قالوا يا موسى إما أن تلقي } ما أعددت للمغالبة { وإما أن نكون نحن الملقين (١١٥) } لما أعددنا ، وظاهر الحصر أنهم يظنون أنهم إن ألقوا لم يلق موسى ولا ينافي هذا قولهم ، { وإأما أن نكون أول من ألقى } لأنهم في ظاهر كلامهم يعرضون عليه أن يبدأ أو يبدءوا بالإلقاء ، وهنا زيادة أنهم إذا بدأوا عجز موسى عن الإلقاء تأثرا بسحرهم أو انبهارا منه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قال ألقوا } ما أنتم ملقون { فلما ألقوا سحروا أعين الناس } فخيل إليهم أن حبالهم وعصيهم تسعى ، فالسحر تأثير في أعين الناس بوسيلة يعرفها السحرة والتأثير في الأعين هو وسيلة التخييل { واسترهبوهم } .

قال في [الكشاف] في تفسير { واسترهبوهم } : وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم ، .انتهى. قلنا : لما كانت الرهبة وقعت بحيلة السحر جعل السحر استدعاء للرهبة ، ففائدة [سين الطلب] أن لا يوهم الكلام أنهم أرهبوا الناس بمواجهة بنار أو سلاح أو نحو ذلك ، وإنما حيلة أوقعت الخوف في القلوب { وجاءوا بسحر عظيم (١١٦) } ولعله عظم لكثرتهم مع شدة عنايتهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٣٩/٢)

---

* وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون (١١٧) (١)

---

(١) . { * وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك } فألقاها { فإذا هي تلقف ما يأفكون (١١٧) } : فإذا هي دليل المفاجأة بسرعة التلقف لما يأفكون ، فالعصا أخذت ما يأفكون كأنها جذبته إليها وأبطلته و { ما يأفكون } هو السحر الذي سحروا به الأعين ؛ لأنه إفك من حيث هو تخييل خلاف الحقيقة وتزوير بتخييل قلب حقيقة حبالهم وعصيهم ولا يظهر أنها تلقفت الحبال والعصي ؛ لأن الإفك تخييل أنها تسعى لأنفس لا نفس الحبال والعصي ، فليست ما يأفكون ، ويظهر هنا أن العصي تلقفت سحرهم وأبطلته وهي مازالت عصي ؛ لأنا لم نجد في القرآن أنها تحولت في هذه الحالة حية ولذلك فهي واحدة من التسع الآيات .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٤٠/٢)

فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون (١١٨) فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين (١١٩) (١) وألقي السحرة ساجدين (١٢٠) قالوا آمنا برب العالمين (١٢١) رب موسى وهارون (١٢٢) (٢)

---

(١) . { فوقع الحق } ثبت في الأرض واستقر ورسخ وانتصر { وبطل ما كانوا يعملون (١١٨) } من

السحر الذي طال طالت مدة عنايتهم به والإعداد للمغالبة به .

{ فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين (١١٩) } غلب فرعون وقومه وانقلبوا صاغرين ببطلان كيدهم وسقوط حجتهم وافتضاح عناهم عنادهم والصغار: الذلة .

(٢) . { وألقي السحرة ساجدين (١٢٠) } :

لله خروا سجدا كأنهم أالقوا على الأرض لسرعة هويهم إلى الأرض مبالغة في الخضوع لرب العالمين .

{ قالوا آمنا برب العالمين (١٢١) رب موسى وهارون (١٢٢) } :

تصريح بإيمانهم بالله الذي هو مالكهم ومالك العالمين كلهم فطاعته واجبة عليهم كلهم ولا طاعة لمن كفر به ، وقوله { { رب موسى وهارون } } لزيادة التحقيق وللإيمان بموسى وهارون حيث جاء سبب الإيمان على يديهما .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٤١/٢)

قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون (١٢٣) لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين (١٢٤) (١)

---

(١) . { قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها } :

ءآمنتم؟ إنكار منه عليهم لأنهم آمنوا قبل أن يأذن لهم بناء على أن الأمر له وقد ضل وتاه عن الحق ؛ لأن الأمر لله وحده والحكم له ؛ ولهذا قالوا { لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا } وقوله { إنه لمكر مكرتموه في المدينة } أراد به عدو الله أن السحرة اتفقوا هم وموسى على أن يغلبهم ليبطل أمر فرعون ويستولي موسى على المدينة فجعلوا سحرهم ضعيفا بحيث يغلبه موسى وكذب عدو الله لقد جاءوا بسحر عظيم ولكن غلبة غلبه أمر الله الغالب على أمره .

{

فسوف تعلمون (١٢٣) } ما يصيبكم بسبب مكركم وإيمانكم قبل أن آذن لكم { لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين (١٢٤) } :

من خلاف اليد من جانب ، والرجل من الجانب الآخر كاليد اليمنى والرجل اليسرى ، والصلب تعليقهم

في النخل وهذا مما يدل على الآية الأولى التي هي صرفه عن قتل موسى وهارون ، فقد كان إيمان السحرة بهما من أعظم ما يبعثه على قتلهما قبل وعيده للسحرة ولو بدعواه المكر الذي ادعاه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٤٢/٢)

قالوا إنا إلى ربنا منقلبون (١٢٥) (١) وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين (١٢٦) (٢)

---

(١) . { قالوا إنا إلى ربنا منقلبون (١٢٥) } فرجوعنا إليه وهو راض عنا هو الذي نرغب فيه ولانبالي بغراق بفراق الحياة الدنيا لأنه لابد منه والآخرة خير وأبقى .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا } هذا منهم تكذيب لفرعون في دعواه المكر وبيان أن السبب هو إيمانهم لا غيره { ربنا أفرغ علينا صبرا } لنثبت على الإيمان { وتوفنا مسلمين (١٢٦) } لك وجوهنا وأنفسنا لا نشرك بك أحدا ، وهذا الثبات منهم على الإيمان مع الوعيد دليل على صدق إيمانهم وكذب فرعون في قوله { { إأن هذا لمكر } } وقد كان ينبغي لقومه أن يؤمنوا بموسى وهارون لوضوح الحجة وتبين الحق ولكن أهملوا عقولهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٤٣/٢)

وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك (١)

---

(١) . { وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض } :
فقد بطلت حيلة السحر ولم يبق وسيلة لإبطال أمره قبل أن يميل الناس معه إلا أن تبطش به وبقومه ،

وهذا يؤخذ منه أن الذين آمنوا بعد السحر قد صاروا من قومه ، وانضموا إليه خلاف ما يروى أن فرعون فعل ما أوعدهم ؛ ولأنه لو كان يفعله لكان الفعل يغني عن التهديد ولبادر جاوزته جلاوزته لأخذهم حين سجدوا ، وقولهم { { ليفسدوا في الأرض } } أرادوا أن انتشار الإيمان بموسى فساد في الأرض تبريرا لقتل موسى وقومه .

{ ويذرك وآلهتك } :

}

يذرك } يتركك فلا يطيعك في أمر ولا يتبعك في طريق طريقة { وآلهتك } ويذر آلهتك يتركها ، وهذا منهم إثارة لحميته ليقتل موسى ، وهذا يدل على أن قوله { { أنا ربكم الأعلى } } ليس عن اعتقاد إنما هو افتراء ، ولا حاجة إلى تنزيهه عن المناقضة على أنه لا يبعد أن قوله ({ أنا ربكم الأعلى) } إنما قاله على طريق المشاكلة ،لقول موسى { { إني رسول رب العالمين } } وأراد إلزام قومه طاعته مقابل دعوة موسى إلى طاعة رب العالمين ، فهو مشاكلة تقديرية .

، قال الشرفي في [المصابيح] في عبادة فرعون لآلهته: وهذا يؤيد قول القاسم عليه السلا م أن لم يدع أنه رب خلاق و لا إله رازاق ، وإنما أراد أنا ربكم الأعلى أي مليككم الأعلى ، .انتهى.

قلت : أما قوله { { ما علمت لكم من إله غيري } } فهو يعني أن عليهم أن يعبدوه بطاعته ، وأنه مالك لهم ولا مانع من أنيقض أن ينقض كلامه حيث يقول ذلك ويتخذ آلهة أو أنه جعل آلهته فوقهه فوقه وهو من تحتهم إله قومه في زعمه وطغيانه الجنوني .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٤٤/٢)

قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون (١٢٧) (١) قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (١٢٨) (٢)

---

(١) . { قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون (١٢٧) } :

هذا جوابه على ملائه يدل على عجزه عن قتل موسى ، وإنما عبر به عن قهره لموسى وقومه دعوى يدعيها ، ،قدوقد عجز عن إبطال دعوة موسى ، وعجز عن قتله فلم يحصل مطلوبهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (١٢٨) } :

هذا درس من موسى لقومه يعلمهم فيه أسباب النصر فأمرهم أن يستعينوا بالله ، أي يسببوا لمعونة الله له لهم ويتوصلوا إليها ؛، لأنه الغالب على أمره والأرض له يورثها من يشاء من عباده ، فإذا أراد نصرهم على أعدائهم وأورثهم الأرض ، وهذا ليثبتوا معه على مقاومته فرعون ولا يتأثروا من وعيده مع قوته ، ثم بين لهم وسيلة الإستعانة فقال { والعاقبة للمتقين } فدلهم، على تقوى الله ؛ لأن حزب الله هم الغالبون ، وقد أمرهم أن يصبروا على مقاومة فرعون بالحجة وعلى الثبات مع موسى ؛، لأنهم لو ضعفوا لوعيد فرعون وإرجافه عليهم فتركوا موسى وتفرقوا عنه أو رجعوا إلى فرعون لفاتهم النصر ، وأيضا الإستعانة بالله لا تتم إلا مع الصبر لأن لأنه لابد من الصبر على تقوى الله ، وأيضا الصبر على مقاومة العدو هو من الإستعانة بالله ؛ لأن الله مع الصابرين ، وأيضا الصبر على مقاومة العدو في الله صبر على نصر دين الله ، والله تعالى يقول { { ولينصرن الله من ينصره } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٤٥/٢)

قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا (١) قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون (١٢٩) (٢)

---

(١) . { قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا } :

عجلوا على الفرج من شدتهم وأرادوا أن يكون الفرج على يدي موسى عاجلا من دون مجاهدة ولا مصابرة ، فهم يشكون إلى موسى تأخر الفرج ، وكأنهم قد أحسوا بخيبة أمل ، وقد كانت الحال تستدعي أن يتركوا خائفين راجين ليلجأوا إلى الله ويصبروا ولا يستغنوا عن ذلك لو أخبرهم أن الفرج قريب ، وأن الله يغرق آل فرعون قريبا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون (١٢٩) } :

}

عسى } أي يقرب أن يهلك ربكم عدوكم ، فهذا تشجيع لهم لأنهم قد علموا أنه رسول من الله غالب بالحجة وتلك للمؤمن كافية لرجاء النصر ، وأكدها بقوله { { ويستخلفكم في الأرض } } ثم قال { لينظر كيف تعملون } ليكونوا مستعدين لطاعة الله حين يستخلفهم في الأرض ولا يظنوا أن نجاتهم من فرعون نهاية المقصود برسالة موسى عليه السلام ، فلم يجبهم موسى بما يغني عن الإستعانة بالله والصبر وإخبارهم أن العاقبة للمتقين ، بل أشار إلى أنه لابد لهم من طاعة الله ؛ لأنهم مختبرون عباد من عباد الله ليسوا خيرة منهم ، بحيث يأتيهم النصر ولا يحتاجون إلى الصبر ، فقال { { فينظر كيف تعملون } } .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال الهادي عليه السلام : إن قال قائل كيف يستعان بالله ؟ وما يقول المستعين؟، قيل: له الإستعانة بالله هي العمل لا المقال من كل مستعين من النساء والرجال وهي العمل بطاعة الله والأمر بأمره والنهي عن نهيه والوقوف عن معاصيه ، فمن عمل ذلك من النساء [ء والرجال] فقد استعان بالواحد الرحمن ، وفي ذلك ما يقول الله سبحانه { إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون } ، ومن كان الله معه فقد قهر أمره وقي وقوي ، ومن لم يكن الله معه فقد عجز في أموره وغوي ، والله سبحانه فلا يكون إلا مع من ذكر من المتقين والمحسنين ، وإذا لم يكن إلا مع المتقين فهو لا شك خاذل للفاسقين ومن خذله الله فقد هلك وهوى ، ومن وفقه الله وأعانه قهر أمره وعلا ، ألا ترى كيف يدل آخر الآية التي سألت عن تفسير أولها على جميع ما عنه سألت منها حين يقول { { والعاقبة للمتقين } } ، فهذا دليل لمن عقل وفهم واستضاء بنور كتاب الله فعلم فعمل على ما قلنا به من تفسير الآية وشرحنا ، .انتهى.

قلت : لو قال استعينوا الله ، لكان معناه اسألوا الله الإعانة ، لكنه قال { { استعينوا بالله } } فاختلف المعنى ؛ لأن الإستعانة بالله التوسل لأنه يكون الله معينا ، وذلك باستعمال أسباب الإعانة ، وقول الهادي عليه السلام : ومن كان الله معه فقد قهر أمره ، تنبيه منه على أن هذه معية حسن الرعاية بمصالح من هو معهم ، وهي واضحة ، ألا ترى إلى قوله تعالى { { ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا } } وكذلك قصة في طالوت { { قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين } } وفي سورة طه { { قال لا تخافا إنني معكما } } وفي سورة التوبة { { قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا منكم فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين } } فهذه معية خاصة غير المعية العامة ، ومعناهما مختلف.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون (١٣٠) (١)

---

(١) . { ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون (١٣٠) } :
وهذا كقوله تعالى { { وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون } }
ففي مدة دعوة موسى لهم وإتيانه بالآيات البينة أصابهم الله بالسنين وهي سنين الجدب والجوع وانقطاع الأمطار وانقطاع الينابيع ونحوها أو نقصها بسبب انقطاع الأمطار ونقص من الثمرات شديد يذكرهم ليرجعوا إلى الله { لعلهم يذكرون } تعريضا لهم على التذكر لكونهم مجرمين يستحقون التشديد وسوء الحال وأنهم إذا رجعوا إلى الله أغاثهم ولكنهم أبوا أن يتذكروا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٤٧/٢)

فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون (١٣١) (١)

---

(١) . { فإذا جاءتهم الحسنة } الخير من الرزق وسعة الحال { قالوا لنا هذه } نحن نستاهل هذه الحسنة ونستحقها { وإن تصبهم سيئة } كالسنين والنقص الشديد من الثمرات والطوفان والجاد والجراد والقمل والضفادع { يطيروا بموسى ومن معه } أي يتشاءمون بموسى ومن معه ، يزعمون أن سبب ذلك النحس وجود موسى ومن معه على ما هو عليه هو ومن معه ؛، ولعلهم يجعلون ما وقع من الهلاك على الأمم الماضية بنحس أنبيائهم قلبا للحقائق ولبسا للحق بالباطل .
{ ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون (١٣١) } :
}
ألا } حرف تنبيه لأنهم جاهلون في عبد بعد عن ذكر الله ، إنما شؤمهم عند الله ؛ لأنه الذي قضى عليهم بسوء الحال بسبب ذنوبهم ليذكروا ، فطائرهم الذي عند الله هو علمه بأعمالهم وحكمته التي اقتضت إصابتهم لعلهم يذكرون ، وصح استعمال (عند) هنا كما صح في قوله تعالى { { قل إنما العلم عند الله } } فليس ذلك بشؤم ما ممن زعموا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (١٣٢) (١) فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين (١٣٣) (٢)

---

(١) . { وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (١٣٢) } :
{ وقالوا } أي فرعون وقومه { ما تأتنا به من آية } لنؤمن لك وما يكون إيمانهم لهم لو اتبعوه إلا وهم مسحورون بها بزعمهم ، { فما نحن لك بمؤمنين } فلا تتوقع منا أن نؤمن لك لو جئت بكل آية .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين (١٣٣) } :
فبعد تمردهم وإعلانهم أنهم لن يؤمنوا أرسلنا عليهم أشد مما سبق من السنين والنقص من الثمرات .
،
قال الشرفي في [المصابيح] : قال الحسين بن القاسم عليه السلام : الطوفان فهو العذاب الذي طاف بهم ، والجراد والقمل فهما معروفان ، أما الجراد فأرسله الله عليهم لهلاك ثمارهم ، وأما القمل فهو البرغوث بلغة الحجاز جعله الله نقمة عليهم يؤرقهم ويذهب بنومهم ، والضفادع أيضا فهي معروفة تكون في المياه ، قال الشاعر :
عين مطلحبة الإثرجاء طامية فيها الضفادع والحيات تصطحب
... وإنما أرسل الضفادع عليهم لينتقم بها منهم ويضيق وتضيق بها صدورهم ويعذبهم بها ويغمهم ، وأما الدم فهو علة من العلل ويمكن أن يكون على ما روى روي من أن الله عز وجل عذبهم بأن جعل شرابهم وأغذيتهم دما عبيطا .
وفي تفسير الإمام زيد عليه السلام : الطوفان معناه الموت الذريع ، ويقال الماء فأمطرنا عليهم مطرا دائما ثمانية أيام بلياليها ، .انتهى.
وقوله تعالى { { آيات } } آي دلائل وع لامات على صدق موسى واستحقاقهم العذاب بكفرهم ، وهذه الأربع هي من التسع الآيات التي كانت لموسى عليه السلام حجة عليه عليهم ، وقبلها ثلاث:

صرف الله فرعون عن قتل موسى وهارون ، وانقلاب العصى ثعبانا مبينا ، وبياض يد موسى ، والثامنة ضمه جناحه إليه من الرهب ، والتاسعة تلقف العصي العصى لسحر السحرة .

، وقوله تعالى { { فاستكبروا } } يدل على إبائهم من الإيمان وأنفتهم منه في حال الشدة المذكورة ترفعا لما في صدورهم من الكبر ، وقوله { { وكانوا قوما مجرمين } } بمنزلة الجملة المعترضة ، أي وكانت عادتهم من قبل ذلك الإجرام كقول الشاعر :

فمضى وقدمها وكانت عادة منه إذا هي عر دت إقدامها .

وقول الشاعر :

رأيت رؤيا ثم عبرتها ... وكنت للأحلام عبارا

وهي كثيرة في القرآن في أواخر الآيات .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٤٩/٢)

ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني ں@ƒدآنuژ خ (١٣٤) (١)

---

(١) . { ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني ں@ƒدآنuژ خ (١٣٤) } :

{ الرجز } العذاب بهذه الأمور المذكورة في الآية قبل هذا أبوا أن يؤمنوا ولكن لشدة الأمر عليهم وعدوا موسى إن كشف عنهم الرجز أن يؤمنوا له ، وقولهم { { بما عهد عندك } } أي ادع بما أوصاك به وعلمك أن تدعو به ليجيبك ويعطيك ما سألت .

، وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام { { بما عهد عندك } } معناه بما أوصاك به ، .انتهى.

وهذا اعتراف منهم بوحي الله إلى موسى وكأنهم ظنوا أن الله أوصاه أن يدعو بألفاظ مخصوصة تكون سببا لإجابة دعائه ، وقولهم { { لئن كشفت } } ولم يقولوا كشف الله لأنهم أرادوا أن يكشف موسى الرجز بالدعاء فعلقوا الوعد بالإيمان على دعائه الكاشف للعذاب ترغيبا له في الدعاء وهم غافلون عن الله تعالى وعن اللجوء الى الله.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٥٠/٢)

فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون (١٣٥) (١)

---

(١) . { فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون (١٣٥) } :
{ فلما كشفنا } عن آل فرعون { الرجز } كشفا كشفا مؤجلا { إلى أجل } سيبلغونه فيعود عليهم رجز عظيم { إذا هم ينكثون } العهد الذي عاهد و أا به موسى { لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك } وهذا عهد لئن لأن معناه: نقسم لئن كشفت ، وقوله تعالى { { إلى أجل هم بالغوه } } دلالة هـ على أنه تعالى عالم أنهم ينكثون وبعد أن ينكثوان يعذبهم فكان كشفا للعذاب مؤجلا لعلمه بينكثهم واستحقاقهم فيما بعد عذابا بعد كشف العذاب ، وقوله تعالى { { إلى أجل } } متعلق بـ { كشفنا } وإنما قلت: كشفا مؤجلا إ الى أاجل تحقيقا للمعنى ، و مفاجأة نكثهم هي في حال الكشف المؤجل ، ولا يحب يجب تاأخرها عنه ، كما أنه لما وقع عليهم الرجز قالوا قبل نهاية الرجز وفي خلاله { يا موسى { ادع لنا } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٥١/٢)

فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين (١٣٦) (١)

---

(١) . { فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم } :
{ فانتقمنا } عاقبنا ، (الفاء) تفيد أن ما ذكر من جرائمهم سبب لهذا الانتقام ، وقوله تعالى { { فأغرقناهم } } كالتفصيل لما أجمله في قوله { { فانتقمنا } كما تقول: توضأ فغسل وجهه ويديه..الخ ، وقوله { { في اليم } } أي في البحر العظيم ، أو في البحر .
{ بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين (١٣٦) } :

فالتكذيب بالآيات والغفلة عنها سبب إغراقهم الذي هو عقوبة التكذيب والغفلة وما ترتب عليها عليهما من الجرائم ، فلما ترتبت الجرائم عليهما صح جعلهما سببا للعذاب من حيث أنهما سبب ومن حيث أنهما سبب الأسباب الأخرى كقوله تعالى { { من كان يريد العاجلة عجلنا له.. } } .. إلى قوله تعالى { { ..ثم جعلنا له جهنم } } لما كان حب الدنيا رأس كل خطيئة جعل اختيارها سببا مستقلا لجهنم ؛، لأنه سبب الأسباب الأخرى ، وقوله تعالى { { وكانوا عنها غافلين } } أي سبب بسبب إعراضهم عنها واشتغالهم عنها بدنياهم ومعاصيهم وتركهم للنظر فيها والتذكر لها كراهة منهم لها ونفارا عنها ، ويجوز أن يكون مجازا ، كما يعبر بالنسيان في مثل هذا ، وهذا محل العبرة من قصتهم قصة هلاكهم بسبب تكذيبهم وإعراضهم كما في الأمم الأولى .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٧٥٢)

وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني ںƒ@دنآuژ خ) بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون (١٣٧) (١)

---

(١) . { وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني ںƒ@دنآuژ خ) بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون (١٣٧) } :
}
القوم الذين كانوا يستضعفون } موسى ومن معه ، قال { { إن هؤلاء لشرذمة قليلون } وهذا الإيراث سببه الإيمان واتباع الرسول ؛ لأنهم لو كانوا مثل فرعون وقومه لأهلكهم { { وتمت كلمة ربك الحسنى } } عدة ربك الحسنى إن كان وعدهم فكانت صدقا وعدلا ورحمة وفضلا ، أو نعمته التي هي في سهولتها كالكلمة وإن كانت أمرا عظيما ، فلق البحر لهم ، وجعله لهم في قراره طريقا يبسا حتى خرجوا من البحر وأهلك عدوهم بإغراقهم أجمعين ، وقوله تعالى { { بما صبروا } } دليل على أن سبب نعمته نعمتهم هي الإيمان واتباع الرسول في حال الشدة والخوف من فرعون ، وذلك كان متوقفا على الصبر ، فجعل الصبر السبب كما جعل التكذيب بالآيات والغفلة عنها سبب هلاك فرعون وقومه ، وفي هذا رد على من توهم من الإسرائيليين أنها خصوصية لعنصر بني إسرائيل سواء صبروا على الدين أم لم يصبروا

، بل وحين كفروا بعيسى ومحمد صلى الله عليهما وعلى آل محمد ونكثوا العهد بالإيمان بالرسول ونصره المذكور في سورة المائدة ، وقوله تعالى { { ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه } } من عمارة الدنيا وزينتها وآثار القوة في ذلك { وما كانوا يعرشون } من الجنات كالكرم يجعل له عريش ينتشر ينمو عليه ، وهذا يدل على أن الله دمر مداينهم وأموالهم بعد هلاكم في البحر أو معه ، وأورث بني إسرائيل حين كانوا مسلمين مشارق الأرض المباركة ومغاربها وأورثهم بعد ذلك مصر وغيرها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٥٣/٢)

وجاوزنا ببني ں@ƒدنآuژ خ) البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون (١٣٨) (١)

---

(١) . { وجاوزنا ببني ں@ƒدنآuژ خ) البحر } (الباء) للتعدية فقد جاوزوا البحر بتهيئة الله لهم ذلك وتيسيره وتمكينهم منه وإأقدارهم عليه { فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم } يعبدون الأصنام بالعكوف عليها وحبس أنفسهم عليها خضوعا لها { قالوا } أي بنو إسرائيل { يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة } إله مثل آلهتهم واحد أواحدا نقنع بنه منك ولا نطلب أكثر من كالهممنه كما لهم آلهة عدة { قال إنكم قوم تجهلون (١٣٨) } جعل طلبهم هذا جهالة وخالفه مخالفة للعقول { تجهلون } عادتكم الجهالات فهي تقع منكم المرة بعد المرة { { قالوا أتتخذنا هزؤا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلون } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٥٤/٢)

إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (١٣٩) (١) قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين (١٤٠) (٢)

---

(١) . { أ ¨b خ) هؤلاء } المشركين { متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (١٣٩) } :
{ متبر } هالك ذاهب لا يبقى ما هم فيه ، بل لا بد أن يتركوه بغلبة أهل الحق أو تسليط الله عليهم ما يقطع منكرهم أو بهداية الله لهم إلى الإسلام { وباطل } أي لا فائدة فيه بل يذهب عملهم الذي استمروا عليه ضائعا لا ثواب فيه لا خير ، فكيف عملهم ترغبون في مثله .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين (١٤٠) } :
}
أا بغيكم } أطلب لكم ، والسؤال سؤال إنكار وتوبيخ فالله الذي هو رب العالمين فضلكم في النعمة عليهم لأا نه يختص برحمته من يشاء ، فعليكم أن يتشكروا نعمة الله ربكم ولا تعصوه وتسيئوا بعبادة غيره وطاعة عدوه ، وفيه دلالة أن المنكر إذا وقع من المفضلين كان أقبح من الواقع من غيرهم .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٥٥/٢)

وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (١٤١) (١)

---

(١) . { ur } (و) اذكروا نعمة الله { إذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب } { يسومونكم } يكلفونكم سوء العذاب ويبتغونه فيكم
قال الشاعر :
إذا ما الملك سام الناس خسفا ... أبينا أن نقر الذل فينا
{ يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم } : تفسير لـ { سوء العذاب } { ويستحيون } نكم يستبقون في الحياة نساءكم لتعذيبهن بالحزن على أبنائهن وزيادة حزنكم بحزنهن .
{ و'خûur ذلكم بلاء من ربكم عظيم (١٤١) } : في ذلكم الإنجا ء والخلاص من آل فرعون { بلاء } نعمة { من ربكم } و إحسان { عظيم } عليكم أن تشكروه.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٧٥٦)

---

* وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة (١)

---

(١) . { * وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة } :
{ وواعدنا موسى } للكلام معه في الطور { ثلاثين ليلة } وأضفنا إليها عشرا تماما لفائدة الثلاثين وكمالا لمصلحتها ، ولعل العشر كانت في الأربعين بمنزلة العشر الأواخر في شهر رمضان ، والأقرب أن الأربعين ميقات للمناجاة كلها ، والميقات الموعد الذي هو وقت محدود.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٧٥٧)

وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين (١٤٢) (١) ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك (٢)

---

(١) . { وقال موسى لأخيه هارون } حين أراد الذهاب إلى الطور للموعد المذكور { اخلفني في قومي } قم فيهم مقامي لهدايتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ودفع التظالم بينهم والمفاسد منهم أو عليهم { وأصلح } في سياستهم وقيادتهم { ولا تتبع سبيل المفسدين (١٤٢) } يسوء بسوء السيرة أو بالعنف أو بالإهمال والتهاون بالأمور المهمة أو بالتسوية بين المحسن والمسيء والناصح والغاش أوبا لمحا بالمحا باهبة والميل لبعضهم بغير موجب .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك } :
}

جاء موسى لميقاتنا } حضر في الطور للموعد المذكور { وكلمه ربه قال } له ما أراد سبحانه أن يقوله ، ولعل منه تعليمه التوراة قال موسى { { رب أرني أنظر إليك } } قيل في تفسيره : سأل ربه علما ضروريا خاصا يعبر عنه بالرؤية في مثل قولك: أراني أريد كذا ، وأراني أكره كذا ، وأحب كذا وأابغض كذا ، أي أجد وأشاهد إرادتي الباطنة التي ليست بمحسوسبة ولا فكريه وأاجد في باطن ذاتي كراهة وكان وكأنه أراد بهذا علما ضروريا في معنى العلم الوجداني ، ولكن يشكل عليه قوله { أنظر إليك } لأنه لا يستعمل في رؤية القلب ووجدانه ، و الأقرب أنه وجد قومه مصرين على طلب الرؤية وأذهانهم بعيدة عن فهم امتناعها من طريق النظر والتفكير وقد سبق منهم طلب إله كآلهة المشركين وبلغ بهم الميول إلى مشاهدة معبودهم إلى درجة أن قالوا لموسى { { لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة } } فأراد عليه السلام أن يعملوا يعلموا امتناع رؤيته تعالى بطريقة يذهب بها لجاجهم وهوى أنفسهم ففي في الرؤية وكان طلبه لنفسه الرؤية أقوى من طلبها لهم في أنها إذا امتنعت إجابته إليها فبالأولى أن تمتنع إجابته موسى لو سألها لقومه ، فسألها لنفسه وهو يعلم إ متنامتناا ععها و استحالتها ليرى قومه ما تكون نتيجة هذا السؤال ليتركوا المطالبة بالرؤية وتنصرف أنفسهم عن هواها فيها فقال { { رب أرني أنظر إليك } }

.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٥٨/٢)

---

sù*خbب t6yf9$#@ب (خ>àR$# 'nچف s9ur"٣إ`ا ؟sچt١_سح tA$s% `s9 s? $£Jn=sù 4'©?pgrB چt١_سح sù،s)tG™$# ¼çmtR$x6tB t$q|چ§ B ؤy›qسyzur 4چ§ ٹyèy_ $y2y#s&م¼ ٩د=t7yfù@ب 'u/ڑ¼çm ! (è|¹ (1د)$Z

---

(١) . { s9` tA$s% سح_t١چs؟ ا`٣"s9ur چفn' #$R>à(خ ب@#$t6yf9 بsù*خ b چ§|q$t tB6x$Rtmç¼ #$™Gt(s،ùs سح_t١چs؟ } :

فأجابه أولا بأنه لن يراه ، وثانيا بالجواب الذي ينبني عليه الجواب المسكت لقومه .

{ $£mç¼ Bprgp?©'4 sùJn=ڑ/u' بy@ùfy7t=د٩ ¼م&s#y2y$ _yèyٹ §چ4 zyqسy›yمZ$ Bد¹|è } { جعله دكا } أي مدكوكا .

قال في[الصحاح]: الدك الدق ، وقد دككت الشيء أدكه دكا إذا ضربته وسويته بالا أرض ، انتهى .

فتبين أن الجبل الذي يرونه على ما به من العظم والشموخ والقسوة لم يتحمل تجليي ربه له فبالا ولفبالأول أن لا يتحمل موسر موسى وقومه الرؤية التي هي أعظم من التجلي ؛ لأن ذلك التجلي كشف بغير رؤية ، فبالأولى الكشف بالرؤية لو كانت ممكنة ، و معنى التجلي: خلق علم ضروري بعظمته الله وجلاله كالعلم الوجد أاني أو كعلم أهل ا لآخرة ، وهذا كقوله تعالى { { لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرايته لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله } .

وأما وقوله تعالى { { وخر موسى صعقا } } فلعل ذلك من رجفة الجبل حين اندك ، كما أن قومه صعقوا من الرجفة ، وقد جاء ذكر موسى هنا وحده وهناك في قوله تعالى { { واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا } } وذكر قومه فقال تعالى { { فلما أ خذا تهم الرجفة } } ولعله فصل موسى عنهم للفرق بينه وبينهم لا نهلأنه لم يستحق من العقوبة ما استحقوا فذكر هنا وحده لئلا يتوهم مشاركته لهم في الذنب والعقوبة ، وصعقة موسى عليه السلام غشيته بدليل قوله تعالى : كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٥٩/٢)

---

ur&O$tRr (خs9›ڑپ؟àM6è ™كys6"oYڑپ %tA$s &Jn=sù s–$sùr£$
(خoTخ' tƒ"Jكy›q#سم %tA$s (١) اتحجب J9$#كB÷sدZدtûü &A¨rم
sù ذ› ur/خn=s3"Jد' /خ ح™y"=n"Lسة Z9$#¨$"ؤ مô¹$# 'n?tsےxٹy7çG
(٢) اتحجب O±9$#"٣جاجiB tûïدڑ ur.ن` ن!$tB y7çG÷ s?#u

---

(١) . { { !&Jn=sù s–$sùr£$ } } والإفاقة: الإنتباه بعد الغشية .

{ %tA$s ڑپ؟àM6è ™كys6"oYڑپ (خs9› ur&O$tRr &A¨rم J9$#كB÷sدZدtûü اتحجب } :

وقوله { { سبحانك } } تنزيه بعد طلب الرؤية يدل به على علمه بتنزه الله عنها ، وقوله { { تبت إليك } } يحتمل أنه تاب من مساعدة قومه بالسؤال ، ولعله لم يكن استأذن من الله في ذلك سهوا ، والله أعلم وقوله { { وأنا أول المؤمنين } } أي لا أقف أيماني على شرط كما فعل قومي حين قالوا { لن نؤمن } فأنا مؤمن سابق لكل مؤمن من قومي مع إذعاني بامتناع الرؤية .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف

إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { %tA$s #سq›yكJ"tƒ 'خTo(خ Gçy7ڤx‏ے n?t‌s' #$¹ô‏م ؤ¨$"¨#$9Z
سةL"n="yTM‏خ /'J"3s=nخ/ru ›uن#?s ÷Gçy7 tB$! ùsن `.ur ئد ڑiB
tûiجچإ٣"#$9±O اتحجب } :

هذا التذكير له بنعمة الله عليه تقدمة للأمر بأخذ ما آتاه الله من التوراة وغيرها { { وكن من الشاكرين { } على نعمة الله الإصطفاء والرسالة ونعمة تعليم الدين وغير ذلك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٦٠/٢)

$Y;tF‏oں٢9smç¼ ur 'خûا F9quy#y}$# `dB ب2àe@ &نسx"
àspZمدxW B¨q›ےإ ur?s ب@eن٣دj9 &نسx" $dy›نàq§o; ùs)خ/
چمùB&ur r#) %sqBt7yنpk$ ƒt'ù{èب] |،rmô'خ/ ن٣ƒf"حTMy'ér
y#'uڤ üûtة)إ"x‏ے٩$# اتحخب (١)

---

(١) . { $F;tYo‏ں٢9smç¼ ur 'خûا F9quy#y}$# `dB ب2àe@ &نسx" } :
علوما كثيرة في كل شيء يحتاج إليه { ر àspZدمB¨q } { زجرا وتخويفا من المعاصي { {
Wxإءےruوs?eب@ن٣دj9 &نسx" } :
بيانا لكل ما يحتاج إليه من الدين وغيره مما ينفع في الدين كأخبار الأولين والتبشير بنبينا محمد ( )
وأخذ الميثاق بالإيمان بالرسل ونصرهم وذكر القيامة وما أعد الله للمؤمنين وغير ذلك .
{ $dy›نàq§o; ùs)خ/ } : فخذ الألواح { بقوة { على اتباع ما فيها والتمسك به وإبلاغه {
چمùB&ur r#) %sqBt7yنpk$ ƒt'ù{èب] |،rmô'خ/ { وهو المحكم {
ن٣ƒf"حy#'u TMy'érڤ üûtة)إ"x‏ے٩$# اتحخب } :
فاحذروا المخالفة التي توجب لهم تلك الدار وهذا كقوله تعالى { { لترون الجحيم } { .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٦١/٢)

#$}F'ع ûخ' s3tGtƒ٦ ژcrمچ #$!©%دtûï ٍtƒ#u"Lةسz مr'y™ ô`tهخز$ك
ƒ مB÷sدZمw (#q ٍtƒ ¨@à2 7ptƒ#uچur (#÷rt(خd‚ys9$# bب /خtچخز
Gtƒ ‚د›ٍw çnrں #$٩چ"©ô%‰د ™y٦خ›@ں tƒچur (#÷rt(خb هحز$pk
Gtƒ ‚د›ٍx9$# çnrسc ؤ™y٦خ›@ں tƒچur (#÷rt(خy™ b٦خ›Wx
/خ"tƒ$t"Gدqç/O‹x. $uZ#) /خ'k¨XrھsŒ N؛٩دy™ y7٦خ›Wx
(#t]÷kp$ ur.x%RçqمJûtخ،#دے"îx اتحدب (١)

---

(١) . { ك$خزه`tô ™y'rم z سةL"u#fto ïûtد%©!$# ژcrمچ ٦fGt3s 'خû
ع'F}$# خزچt/خ bب #$9sy‚d(خtr÷#) ruچu#fpt7 2à@¨ ƒtٍ w
q#)مZدs÷Bمpk$ ƒحهb خ)tr÷#) ruچƒt ں@›خ٦y™ د‰%ô©"چ٩$# ں w
çnr‚د›ٍ,xW ƒtGخ›٦b ™y)خtr÷#) ruچƒt ں@›خ٦y™ ؤcسrçn #$9xٍ›د‚-
xW ƒtGخ›٦7y ™y٩؛N ŒsھrX¨k'خ/ (#Z‍u$ .x‹O/çqدG"t$ƒt"خ/
(#t]÷kp$ ur.x%RçqمJûtخ،#دے"îx اتحدب { :

هذه الآية والتي بعدها يترجح أنهما بعد نهاية قصة موصى موسى في الطور ، وحكاية الله تعالى لها في القرآن دليل على أنه من الله ، وفيها تسلية لرسول الله ( ) وإعدادا له لمواجهة عنادهم مع وضوح صدقه حتى لا يتعب نفسه بمحاولة إيمانهم ، ولا يكبر عليه إصرارهم على الكفر ، وفي هذه الآية زجر عظيم عن التكذيب بآيات الله والغفلة عنها ببيان ما يؤدي إليه ذلك من الخذلان والميل إلى الباطل والكراهة للحق ، وقوله تعالى { { سأصرف عن آياتي } } دليل على أنه غني عنهم لا يبالي بهم بل يملي لهم ويمدهم بالنعم الدنيوية فينشغلوا بها ويطمئنوا إليها ويستمروا على طغيانهم ، فكان إنعامه عليهم صرفا لهم عن الآيات وهم الذين اتخذوه صارفا بإقبالهم عليه وانشغالهم به ، فعبر بأنه يصرفهم للدلالة على أنه لا يبالي بهم وأنه يفعل ما يؤديهم إلى الانصراف غير مبال بهم ؛ لأنهم يستحقون ذلك بتمردهم بتكبرهم في الأرض الذي هو تكبر بغير الحق ؛ وبكونهم مصرين على الكفر بحيث لا يؤمنون بأي آية يرونها ، بل إن { يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد } الذي جاء به الرسول ودل عليه { لا يتخذوه سبيلا } لتكبرهم وإصرارهم على الكفر وإن يروا سبيل الغواية يتخذوه سبيلا لتكبرهم وإصرارهم على الكفر ، وإن يروا سبيل الغواية { يتخذوه سبيلا } اتباعا لهواهم واستمرارا على الكفر { ذلك } الغي والإصرار والتكبر والعناد الذي صاروا عليه سببه أنهم { كذبوا } بآيات الله وأعرضوا عنها واستمروا

على ذلك فصاروا عنها معرضين باستمرار { { غافلين } } فاستحقوا بذلك عقوبة الخذلان وإرسال الشياطين عليهم كقوله تعالى { { ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة } } وقد تكرر [في سورة الأعراف] التحذير من التكذيب بآيات الله والغفلة عنها .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٦٢/٢)

... ...

(٧٦٣/٢)

جاهز
ڈtiا%©!$#ur كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون (١٤٧)
(١) واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار (٢)

---

(١) . { والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون (١٤٧) } :
{ حبطت أعمالهم } التي عملوها في الدنيا وهي ما وقع منهم من إحسان فهو حابط غير مقبول ولا ثواب لهم عليه جزاء لهم بما كانوا يعملون من التكذيب وغيره ، وقد تكرر هذا المعنى في القرآن .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار } :
}
عجلا } صورة عجل من الفضة أو الذهب { جسدا } لا روح فيه إنما هو جسد { له خوار } صوت كصوت العجل لعله بواسطة ضغط الهواء فيكون مثل تطريق السيارة ، اتخذوا هذا العجل من بعد موسى في غيابه عنهم في سفره إلى الطور وبقائه فيه ، والحلي: جمع حلي وهو يكون من الفضة ويكون من الذهب ، قال تعالى { { يحلون فيها من أساور من ذهب } } وقال تعالى { { وحلوا أساور من فضة } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٦٤/٢)

ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا (١) اتخذوه وكانوا ظالمين (١٤٨) (٢)

---

(١) . { ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا } :
فاتخاذه جهالة لا سبب لها إلا طمعهم في معبود مشاهد واستحسانهم للحلية ، ولا وجه لذلك في العقل بل هو مجرد هوى مع أنه لا مطمع فيه لإجابة دعوة ؛، لأنه جماد لا يكلمهم ، ولا مطمع فيه لهداية إلى سبيل ؛، لأنه جماد ، فاتخاذه إلها وهم يرونه جمادا مجردا اتباع هوى تركوا فيه عقولهم فتورطوا في أعظم المنكرات .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { اتخذوه وكانوا ظالمين (١٤٨) } :
من قبل اتخاذه ؛ لأنهم مصرون على الجهل والطمع في معبود مشاهد ، وقد قال لهم موسى من قبل { { إنكم قوم تجهلون } } ولكونهم ظالمين من قبل تورطوا في أكبر الكبائر ، ولو كان الإيمان قد دخل قلوبهم ما قفزوا منه إلى أكبر الكبائر .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٦٥/٢)

ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين (١٤٩) (١)

---

(١) . { ولما سقط في أيديهم } برجوع موسى إليهم وغضبه عليهم وإنكاره عليهم ، يقال: سقط في يده أي ندم { ورأوا أنهم قد ضلوا } لتحريقه عجلهم ونسفه في اليم وتبيينه لهم أنهم قد ضلوا { قالوا لئن

لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين (١٤٩) } أي طلبوا المغفرة من الله والرحمة واعترفوا بالخسران إن لم يغفر لهم ويرحمهم لوقوع سبب الخسران منهم ، وقد جاءت هذه عجيب عقيب ذكر العجل ؛ لأن أكثرهم قد تابوا منه فناسب ذلك تعجيل ذكر توبتهم وإن كانت تأخرت حتى رجع موسى واشتد عليهم وغضب غضبا شديدا وبين لهم بطلان ما صنعوا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٦٦/٢)

ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم (١)

---

(١). { ولما رجع موسى إلى قومه } من الطور { غضبان أسفا } لأن الله أخبره بضلالهم ، فغضب وأسف عليهم ؛ لأنهم أصحابه وكان مؤملا فيهم اتباعه والعمل بما في التوراة ، وقد جاء بالألواح التي كتبت فيها ، والإنسان يأسف لفساد صاحبه الذي كان يظن فيه الخير ولم يكن يتوقع منه الفساد وقد قال لهم من قبل { { أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين } } .

{ قال بئسما خلفتموني من بعدي } فقد كان ينبغي لهم أن يخلفوه بالثبات على ما علمهم والتمسك بدينه ؛ لأنه لهم ناصح أمين وقد أتعب نفسه من أجل إصلاحهم ، فخلفوه شر الخلافة بعبادة العجل { أعجلتم أمر ربكم } لعله من التضمين ، ضمن عجلتم استبطأتم فعدى بنفسه فعدي بنفسه .

،

قال في [الصحاح] : وقوله تعالى { { أعجلتم أمر ربكم } } أي أسبقتم ، .انتهى ، . وقال في [لسان العرب] : وعجله سبقه .. ثم قال: وفي التنزيل: { { أعجلتم أمر ربكم } } أي أسبقتم ، قال الفراء : تقول عجلت الشيء أي سبقته ، .انتهى.

والسؤال سؤال إنكار وتوبيخ على تضمين استبطأتم ، والتوبيخ على ترك انتظار أمر الله الذي يبينه موسى حين يرجع فلوا انتظروا بالعجل مجيء موسى ما عبدوه ولكن سارعوا إلى عبادته بلا ترو ولا نظر لأنفسهم { ، وقالوا { لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى } } وهذا إذا لم يقتنعوا بقول هارون ، فكان عليهم أن ينتظروا أمر الله فيه ؛ لأن الحكم لله وليس لهم أن يحكموا بما شاءوا ، ويمكن تفسير (أسبقتم) بمثل هذا لأنهم عجلوا على عبادة العجل وسبقوا بها بيان أمر الله في العجل وحكمه فيه على لسان موسى الذين يقتنعون ببيانه ، ويحتمل { { أمر ربكم } } عذابه كقوله تعالى { { أتاها أمرنا ليلا أو

نهارا } } فيكون المعنى أنكم قد تعرضتم لعذاب الله بعبادة العجل ، فهل عجلتم على العذاب بمسارعتكم إلى عبادة العجل؟ ، وهذا على تضمين (عجلتم) معنى (استبطأتم) .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٦٧/٢)

وألقى الألواح (١) وأخذ برأس أخيه يجره إليه (٢)

---

(١) . { وألقى الألواح } :
عن ظهور الحاملات لها للتخفيف عنها ؛ وليتفرغ لمهاجمة قومه بالكلام والإنكار عليهم وتحريق العجل ونفسه ونسفه ، وما يقال إأنه كسر بعضها قول باطل ، وأعتقده من أباطيل اليهود لأنه لا يرجع غضبه على الألواح وفيها كتاب الله وهداه وهو أعظم من يصونها ويحفظها ، وإنما الإلقاء لازم للأحمال الثقيلة إذا طرحت عن ظهور الإبل .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وأخذ برأس أخيه يجره إليه } :

أخذ برأس هارون ، وقوله { { أخيه } } تنبيه على شدة موسى في تلك الحال ، وأنه لم تمنعه عاطفة الأخوة ؛، لأنه في حال الغضب لله ولم يتهم أخاه بالشرك لكنه لم يعلم عذره في بقائه عندهم وهم يعبدون العجل .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٦٨/٢)

قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين (١٥٠) (١)

---

(١) . { قال } أخوه يا { ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا

تجعلني مع القوم الظالمين (١٥٠) } :
{ ابن أم } يا ابن أمي ، وهذا نداء استعطاف ، وقوله { { إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني } }
بيان لعذره في ت في تركهم يعبدون العجل أنه لم يتركهم وهو يتمكن من التغيير عليهم ، بل كان مغلوبا
، وقوله { { استضعفوني } } أي تظاهروا علي حتى ضعفت عن مقاومتهم أو اعتقدوني ضعيفا لانفرادي
بينهم فتجرأوا على مقاومتي وكادوا يقتلونني .
، قال الشرفي في [المصابيح] .. : قال في [البرهان] : كان هارون أخا موسى لأبيه وأمه ، وإنما قال
ذلك على عادة العرب استعطافا بالرحم قال الشاعر :
يا ابن أمي ويا شقيق نفسي ... أنت خلفتني لدهر شديد

.انتهى.

يعني عليه السلام أن هارون عليه السلام استعمل الإستعطاف الذي يعبر عنه العرب بقولهم : يا ابن أم
، وقوله { { فلا تشمت بي الأعداء } } قال الراغب : الشماتة: الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك ،
.انتهى. ، فحاصل المعنى: ولا تجعلني سببا لشماتة الأعداء ، وقوله { { وكادوا يقتلونني } } تعبير عن
كونه مغلوبا مقهورا وأنهم في إصرارهم على عبادة العجل لم يلتفتوا إلى نهي هارون وبيانه ضلالهم ، بل
أشرفوا على قتله من شدة إصرارهم وعنادهم ، وقوله { { ولا تجعلني مع القوم الظالمين } } أي لا
تجعلني شريكا لهم في الظلم الذي فعلوه أي عبادة العجل ؛ لأني لم أرض به ولم أقصر في نهيهم ولم
أقعد معهم إلا مضطرا لانتظارك والالتزام بوصيتك ، وفي توقف هارون مع وجود المنكر للضرورة عبرة
وحجة للزيدية المقدمين للإمام علي عليه السلام على الثلاثة ، فقد قالوا: إ أن أمير المؤمنين اضطر إلى
ترك المقاومة حفاظا على قوة المسلمين ضد المرتدين والمشرفين على الردة ؛ لأن أهل عاصمة الإسلام
وهي المدينة المنورة يومئذ لو قاموا للقتال بينهم واشتغلوا به عن حماية الإسلام كانت قوة لأعداء
الإسلام ، وصارت شوكة الإسلام على خطر ، فقول المخالفين: إأن الزيدية قد نسبوا الإمام علي عليه
السلام إلى الضعف والعجز وهو البطل الكرار مجرد مغالطة ، وفي قصة هارون عليه السلام عبرة لهم
فقد قعد وترك قومه يعبدون العجل لما ألجأته الضرورة ، ولم يكن ذلك ضعفا من هارون عن القتال ولا
جبنا ، بل عملا بالرأي الصائب ، وبالله التوفيق .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف
إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين (١٥١) (١) إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين (١٥٢) (٢)

---

(١) . { قال } موسى { رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين (١٥١) } :
وهذا يفيد أنه قد قبل عذره ورضي عنه ، وقوله { { وأدخلنا في رحمتك } } جعلها شاملة لهما أو ظرفا لهما ، ولعله أراد بها الجنة أو أراد أنها عامة وسعت كل شيء ، وقوله { { وأنت أرحم الراحمين } } لأنه لا رحمة تعادل رحمة الله ؛ لأن رحمة الله فيها النجاة من النار والفوز بالجنة وتلك السعادة الدائمة.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين (١٥٢) } :

سمي العذاب غضبا كما سميت الجنة رحمة ، ومعنى { ينالهم } يصيبهم ، إلا أن الغضب جعل طالبا لهم فجعل إدراكه لهم نيلا كما لو سمي إدراكا ، والذلة ضد العزة وسببها الضعف والخذلان من الله وقوة الأعداء { { وكذلك نجزي المفترين } } ينالهم غضب { وذلة في الحياة الدنيا } عقوبة عاجلة على الإفتراء وهو تعمد الكذب وظاهره الإطلاق في الإفتراء على الله والإفتراء الراجع إلى الإفتراء على الله كدعوة النبوءة أو الإمامة أو الإفتراء في فتوى أو إثبات مسألة دينية .
، قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : فالمعنى أن كل مفتر في دين الله فجزاؤه غضب الله والذلة في الدنيا ، .انتهى.
ولا شك أنه يدخل فيه الإفتراء بإثبات إله غير الله ولو لم يحكه عن الله فلا وجه لتخصيص الآية بالإفتراء على الله ؛ لأن العام لا يقصر على سببه .
ولما ذكر الوعيد للذين اتخذوا العجل خصص من العموم من تاب فقال تعالى ..
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٧٠/٢)

والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (١٥٣) (١) ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون (١٥٤) (٢)

(١) . { والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (١٥٣) } :
تابوا من السيئات وآمنوا بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر إيمانا، يأمرهم بالطاعة وينهاهم عن المعصية ، فهم الذين يقبل الله توبتهم فلا تكفي التوبة من الشرك مع عدم الإيمان لحصول المغفرة والرحمة من الله وإن كفت في الخروج من الشرك وانقطاع حكم المعصية .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولما سكت عن موسى الغضب } :

هدأ غضبه وسكن ، وعبر عن ذلك بالسكوت ؛ لأن الغضب كالمطالب بالبطش ، فسكت برجوع قومه عن عبادة العجل وإظهارهم التوبة بقولهم { { لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا } } ونسف العجل وإظهار عقوبة السامري ونحو ذلك { أخذ الألواح } التي جاء بها من الطور لتعليم قومه دينهم وإبلاغ ما في الألواح .
{ وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون (١٥٤) } :
{ في نسختها } المكتوبة فيها المثبت من كلام الله لموسى وتعليمه إياه ، { { هدى } } إلى طريق الحق { { ورحمة } } سبب للسلامة من شرور عاجلهة وآجلهة ، وإنقاذ من مشاق في الدنيا { للذين هم } يرهبون ربهم – أي يخافونه – فهم الذين ينتفعون بما في نسختها ، وأما (اللام) في { لربهم } فقيل هي لام التقوية مثل { { للرؤيا تعبرون } وقيل هي بمعنى: لأجل ربهم ، ولعل الأحسن أنها جعلت لتفيد أن هذه الرهبة مطلوبة لهم للتقرب إلى الله فيه فهي لله كقولك صلى الله .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٧١/٢)

واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا (١) فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي (٢)

(١) . { واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا } :
{ لميقاتنا } موعد المناجاة لموسى عليه السلام في الطور ، فانتخب سبعين رجلا ليكونوا معه في الطور

عند المناجاة ، ولعلهم أعانوه بكتابة التوراة في الألواح والله أعلم ، قالوا: الأصل اختار موسى من قومه ، فحذف (من) ونصب { قومه } بنزع الخافض وإيصال العامل إليه بنفسه ، وهذا سماعي لا يقاس عليه ، ويحتمل أنهم جعلوا أي السبعين قومه ؛ لأنهم نخبتهم وخيارهم ، والله أعلم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي } :

أي أنت مالكنا تحيينا وتميتنا متى شئت ، فلو شئت أهلكتنا من قبل ما وقع من سؤال الرؤية وتعليقهم إيمانهم عليها ، ولا يتوقف إهلاكنا على كونه عقوبة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٧٢/٢)

أتهلكنا بما فعل السفهاء منا (١) إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء (٢)

---

(١) . { أتهلكنا بما فعل السفهاء منا } :

أي حاشاك أن تهلكنا عقوبة على ما فعله السفهاء منا، ؛ لأنها لا تزور تزر وازرة وزر أخرى ، فالسؤال بمعنى النفي والدلالة على أن صعقة موسى لم تكون عقوبة وإنما العقوبة للذين قالوا { { لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء } :

أي التعميم بالمصيبة التي أدت إلى أن خر موسى صعقا ، فمن هداه الله يعلم أن الله لم يعاقب من هو بريء من سبب الرجفة ، وإنما هيو بلوى له فيها عوض ولله فيها حكمة ، ومن استحق الإضلال والخذلان يدعي أن الله أصابهم كلهم من غير فرق بين بريء ومذنب أو يدعي أن الرجفة حادث طبيعي غير مقصود فيه عقاب ولا ابتلاء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٧٣/٢)

أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين (١٥٥) (١) * واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك (٢)

---

(١) . { أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين (١٥٥) } :

{ وليناولينا } تحسن رعايتنا وتدبير أمورنا فما كتبته لنا فهو خير لنا { { فاغفر لنا } } ولعل هذا الإستغفار بعد إحياء الذين ماتوا وتوبتهم ، فاستغفر لنفسه ولهم ، وطلب الرحمة وأما استغفاره لنفسه فهو كقوله { { تبت إليك } } ، { { وأنت خير الغافرين } } لأنها مغفرة تؤدي إلى خطر خير عظيم ، ومغفرة من ذنوب قد توجب على أهلها لولا المغفرة العذاب الأليم ، فموقع مغفرتك عظيم حيث تنجي من النار وتبلغ الجنة فهي خير مغفرة وأنت خير الغافرين .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { * واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك } :

}

حسنة } صفة لمحذوف ، ولعله في تقدير عيشة حسنة { وفي الآخرة } حالة حسنة { { إنا هددنا إليك } } أي رجعنا وتبنا ، وهذا حكاية عنه وعن السبعين ، فدل على أنهم قد تابوا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٧٤/٢)

قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون (١٥٦) (١)

---

(١) . { قال عذابي أصيب به من أشاء } : لا راد لأمري ولذلك أصاب قومك ولم يدفع عنهم كونك

فيهم .

{ ورحمتي وسعت كل شيء } : فلا تضيق عن شيء وما عقاب العصاة لضيقها ، ولكن للحكمة والعزة
.

{ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة } فإن اتقى قومك كتبتها لهم { والذين هم بآياتنا يؤمنون (١٥٦) } لا يكذبون بشيء وهذا دليل على أنها لا تكتب لمن كفر بعيسى صلى الله عليه ولا لمن كفر بعيسى ومحمد ( ) فهو سبحانه في إجابته لموسى يذكر الشرط كما أخذ على بني إسرائيل الميثاق { ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه } لأنه سبحانه عالم ما سيكون من بعض بني إسرائيل .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٧٥/٢)

الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم (١)

---

(١) . { الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل } : أي يتبعونه حين يبعث ومع ومعه الآيات الدالة على أنه رسول مصدق لما معهم { يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث } :

هذه من صفاته ( ) ذكرت لموسى في الجواب على دعائه ، ومعنى { يجدونه مكتوبا } سواء باسمه أم بصفاته المعينة له ، وفي وصفه بأنه { يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر } دلالة على وجه وجوب اتباعه ، ووصفه بأنه يحل لهم الطيبات { ويحرم عليهم الخبائث } كذلك ترغيب في اتباعه { ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم } وهذا ترغيب عظيم في اتباعه ، والأصر: الثقل الذي يحبس صاحبه مكانه لا يستطيع أن يمشي به لثقله ، وفي إضافة الإأصر إليهم ، وهو التكليف الثقيل لأنهم استحقوا بعض التشديد في دنيهم دينهم أو أنهم ابتدعوه ولم يكلفهم الله إياه ، ويحتمل أنه أضيف إليهم لأن ثقله عليهم تحقيقا لنعمة وضعه عنهم ، وقوله { { والأغلال التي كانت عليهم } } وهي

قيود، أي تكاليف كانوا يتقيدون بها فيها تضييق عليهم ، فإسقاط تلك القيود التي كانت عليهم نعمة من الله عظيمة ، وتسميتها أغلالا مجازا ؛ لأن الغل [بضم الغين]: قيد، .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : وفي [البرهان] أراد بالأغلال المواثيق التي اتخذت عليهم فيما حرمه عليهم ، .انتهى.

وعلى هذا فوضع الأغلال بوضع التحريم المذكور ، وفي هذا دلالة على نجاة المتبعين لرسول الله ( ) من بني إسرائيل .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٧٦/٢)

فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون (١٥٧) (١)

---

(١) . { فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون (١٥٧) } : { عزروه } قووه وعضدوه ، وفي [لسان العرب] : وعزره أعانه وقواه ونصره ، .انتهى. { { واتبعوا النور } } القرآن الذي أنزل معه ، والفلاح: الظفر ، وفي هذا حصر الفلاح عليهم ويلزم منه هلاك المخالفين له من أهل الكتاب وغيرهم وبها وبهذا تمت قصة الطور .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٧٧/٢)

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (١٥٨) (١)

---

(١) . { قل } يا محمد { يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض } :

فله الحكم ؛ لأن له ملك السموات والأرض فهو يحكم ما يشاء ، ومن حكمه إرسالي إليكم جميعا

أهل الكتابين وغيرهم من العرب والعجم .

{ لا إله إلا هو يحيي ويميت } :

وهذا إعلان التوحيد لأهمية وانتشار الشرك حتى في أهل الكتابين كما في سورة التوبة وغيرها وقوله تعالى { يحيي ويميت } تنبيه على أن الملك لله في الإأحياء ودلالة على قدرته على كل شئ من الحياة بعد الموت وغيرها ، فهو الذي تحق له العبادة لا المخلوق العاجز ، فعلى الناس أن يطيعوه عبادة له وأن يعبدوه وحده { فآمنوا بالله } الذي له ملك السموآت والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت. }

ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته } :

أي وآمنوا برسوله النبي الأمي ، قال الراغب : والأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب ، .انتهى.

وفي تفسير الإمام زيد عليه السلام { { هو الذي بعث في الأميين } } معناه الذين لا يكتبون ، .انتهى.

وقوله { الذي يؤمن بالله وكلماته } من تمام صفات النبي ( ) ولعلها مذكورة في التوراة ، ودليل إيمانه بالله طاعته له وإخلاصه وكثرة ذكره له وإيمانه بكلمات الله يعم ما أنزل الله من كتاب { واتبعوه لعلكم تهتدون (١٥٨) } فأمر بالإيمان به وباتباعه وهذا ما أمره أني يأمر به فهو الحق وغيره الضلال ، فلا يقبل تدين بغير اتباعه وهو مخصص لقوله تعالى { { إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون } } فهذا في المؤمنين العاملين بالشرائع المذكورة قبل نسختها نسخها ؛ لأن من الإيمان الإيمان بالرسل كلهم ومنهم محمد ( ) فلم يؤمن من كفر به ومن الإيمان الإيمان بالرسل كلهم ومنهم محمد ( ) فلم يؤمن من كفر به، ومن الإيمان الإيمان بكتب الله كلها ومنها القرآن فلم يؤمن من كفر به ، ولو آمن بالله ورسله وكتبه ولم يتبع محمدا ( ) لم ينفعه عمل ولم يصلح عمله ؛ لأنه غير مقبول وذلك لأنه عاص بترك اتباع محمد ( ) وقد أمر الله به في القرآن فليس من لم يتبعه من المتقين { إنما يتقبل الله من المتقين } ، وقد أخذ الله الميثاق على أهل الكتاب بما ذكر في سورة المائدة في قوله تعالى { { ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل.. } } إلى قوله { { ..وآمنتم برسلي وعزرتموهم } } ثم دعاهم الله في سورة البقرة إلى الوفاء بالعهد فقال تعالى { { وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم } } وكذلك أخذ الميثاق على النبيئين وأممهم تابعون لهم وهو ما حكاه الله في سورة آل عمران في قوله تعالى { { وإذ أخذ الله ميثاق النبيئين لما أتيناكم.. } إلى قوله تعالى { { ..ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٥٩) (١) وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما (٢)

---

(١) . { ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٥٩) } :
{ أمة } جامعة جماعة كقوله تعالى { { ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله .. } الآية } ، وهم جماعة آمنوا بالله ورسوله ( ) ، وقوله { { وبه يعدلون } } أي وبالحق يعدلون ، والعدل: ضد الجور يكون في الحكم ، ويكون في المعاملة كالعدل في الوزن والكيل والقسم ، ويكون في الشهادة وغيرها ، وذلك كله بالحق ، والحق في القرآن قال تعالى { { وبالحق أنزلناه وبالحق نزل } } وقال تعالى { { فما بعد الحق إلا الضلال } } والهدى بالحق يكون ببيان الحق ، ويحتمل أن المراد بـ { قوم موسى } الذين كانوا معه في حياته .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما } :
{ وقطعنا } قوم موسى أي قسمناهم اثنتي عشر أمة ؛ لأن آباءهم اثنا عشر أبناء يعقوب .
،
قال الشرفي رحمه الله : وكانوا اثنتي عشر قبيلة اثني [كتب في الأم من المصابيح اثنا عشر ولعله غلط من الناسخ تمت] عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام ، .انتهى. ، ولعلهم في أول الأمر كانوا قبائل ثم كثروا حتى صاروا شعوبا كل شعب سبط ، واختصوا بهذا الإسم والظاهر أن سببه انتسابهم إلى الأسباط أولاد يعقوب ؛ لأن القبيلة تسمى باسم جدها كما قال الشاعر :
كانت حنيفة أثلاثا فثلثهم ... من العبيد وثلث من مواليها

وقال بعض الشعراء :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ... عشية لا قينا جذاما و حميرا

وأحسن من هذا القرآن قال الله تعالى { { وإلى عاد أخاهم هودا } ا } وقال تعالى { { لقد كان لسبأ في مساكنهم آية } } وقوله تعالى { { أسباطا أمما } } بدل بيان لا بدل إلغاء ، وقد ذكر بدل البيان صاحب [البرهان] وأثبته الرضي في [شرح الكافية] حيث جعل بعض البدل من عطف البيان .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (١٦٠) (١)

---

(١). { وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا } :

{ استسقاه قومه } طلبوه السقيا ، ولعلهم أرادوا أن يدعوا الله لهم ليسقيهم الماء ، أو هو كقولهم { { اجعل لنا إلها } } أي من جهالاتهم { { فانبجست } } أي حسن حين ضرب الحجر بعصاه خرج من الحجر اثنتا عشرة عينا انفجرت منه ، ولعل الله جعلها اثنتي عشر عينا من الماء لتكون لكل سبط عين .

{ قد علم كل أناس مشربهم } : من قبل انفجار الماء من الحجر .

{ وظللنا عليهم الغمام } : جعلنا الغمام ظلا عليهم يظلهم من الشمس وذلك حين كانوا في التيه .

{

وأنزلنا عليهم المن والسلوى } : وهذا أيضا حين كانوا في التيه طعاما لهم كما مر ذكره في سورة البقرة .

{كلوا من طيبات ما رزقناكم } : إما قيل لهم زيادة في النعمة: كلوا من هذا المن والسلوى ، وهما من أطيب الطعام لذة ونفعا وسلامة من مكارة مكاره بعض المأكولات كالرائحة غير المرغوبة في الثوم ، وإأما كان بذلها لهم وتيسيرها أمرا بلسان الحال كأنه قيل كلوا، .

{ وما ظلمونا } بكفرهم لهذه النعم ، أي لم يضرنا ظلمهم { ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (١٦٠) } لأن عقوبة الظلم كانت بسبب المعاصي التي كانت منهم فكانوا هم جروا على أنفسهم العذاب فظلموا أنفسهم بالمعاصي ؛ لأنها سببت للعذاب ، وقوله { {كانوا أنفسهم يظلمون } يدل على تكرار المعاصي منهم الموجبة للعذاب.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين (١٦١) (١)

---

(١) . { وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين (١٦١) } :
واذكر { إذ قيل } لبني إسرائيل ، والظاهر أن هذه القرية هي التي حرمت عليهم أربعين سنته فبعد انقضاء الأربعين أمروا أن يدخلوها ، ويظهر أن موسى كان قد توفي في مدة التيه بعدما بعد ما عصوا ودعا الله أن يفرق بينه وبين القوم الفاسقين فقيل لهم { اسكنوا هذه القرية } خروجا من التيه الذي لم يكن لكم فيه مساكن من البيوت ، وكلوا من هذه القرية حيث شئتم تجدوا المأكول ، ولعله لخصبها في نفسها ولما يجلب إليها من حولها .

قال الشرفي في [المصابيح] : وهي بيت المقدس ، وقال: قال الحسين ابن القاسم عليه السلام: معنا قوله { { حطة } } فهي كلمة تعبدهم الله بها ومحنته من المحن جعلها ليمحص بها ضمائرهم ويظهر بها اعتقادهم وسرائرهم فرحم الله عبدا حذر على نفسه من سوء الظنون ، واعتمد على العقل الصحيح واليقين ولم يعجل عند محن الله إلى سوء الظن والجنون ومشاركة أهل العمى والمجون ، ومعنى و أد { وادخلوا الباب سجدا } أي أادخلوا الباب خشعا لله عز وجل وسيروا عند ذلك بالسكينة والوقار والخشية لله الواحد الجبار ، ولم يرد في هذا الموضع سجودا على الوجوه وإنما أراد ما ذكرنا ، وكذلك روينا عن أئمتنا وسلفنا عليهم السلام ، انتهى .
وقوله تعالى { { تنغفر لكم خطيئاتكم } } أي إن فعلتم ذلك ، وقوله تعالى { { سنزيد المحسنين } أي سنزيدهم خيرا إلى هذه النعم وإلى مغفرة خطاياهم زيادة على ذلك.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٨١/٢)

فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون (١٦٢) (١)

---

(١) . { فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم } :

لم يقولوا حطه حطة كما أمروا ، وقالوا مكانها قولا مخالفا لما أمروا به والذين و { الذين ظلموا } لعلهم بقايا العصاة الذين عصوا موسى وقالوا { { فاذهب أنت وربك فقاتلا } } فقد خذلوا واستمروا على كفر النعم .
{ فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون (١٦٢) } :
بما كانوا يظلمون من قبل دخول القرية وفي حال دخولها كان ظلمهم السابق كله سبب سببا لهذا الرجز .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: فقال الحسين بن القاسم عليهم السلام: معنى رجزا يريد أنه أرسل عليهم عذابا من السماء والرجز وهو العذاب ، .انتهى.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٨٢/٢)

واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون (١٦٣) (١)

---

(١) . { واسألهم } وأسال بني إسرائيل ، سؤال توقيف وتذكير ليعتبروا { عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم } :
{ كانت حاضرة البحر } فهي تصطاد الحيتان وتعتمد عليها مفي معيشتها ، وقوله { إذ يعدون } إما بدل من { القرية } وإما بمعنى (اذكر) إذ يعدون أي يعتدون في السبت ، واعتداؤهم فعلهم ما لا يجوز لهم في السبت أن يفعلوه ، والسبت محرم عليهم فيه الصيد ، ولكنهم ابتلوا بمنعه عليهم في سائر الأيام وإظهار الحوت قريبا منهم .
شرعا { شرعا } : في تفسير الإمام زيد عليه السلام: شرعا معناه : ظاهرا. انتهى ، أي السمك ظاهر في أعلا البحر قريبا من أصحاب القرية وهذا يوم يسبتون ، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم الحيتان فتعسر فيتعسر صيدها .
}
كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون (١٦٣) } :
{ كذلك } البلاء الشديد نبلو أهل هذه القرية بما تكرر منهم من الفسق أي بسبب الشديد ما { كانوا

يفسقون } وكان تكرر تعسير صدر صيد الحوت عليهم في أيام جوازه ، وإظهار الحوت وتقريبها يوم سبتهم ، أعنى تكرر البلاء المذكور ولكن ولكنه ابتلاء شاق وقع في حال قسوة قلوبهم وغفلتهم عن الله وعن تذكر عقابه فاعتدوا في السبت بصيد الحوت فيه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٨٣/٢)

وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون (١٦٤) (١)

---

(١) . { وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون (١٦٤) } :
واذكر إذ قالت أمة من أهل القرية ى للناهين عن المنكر الواعظين منهم للمعتدين لأي غرض تعظون قوما قد تمردوا على الله واستحقوا العذاب الشديد وصار متوقعا إهلاكهم أو تعذيبهم لعظم جرائمهم فلا يفيد فيهم الوعظ ، قال الواعظون : وعظنا لهم معذرة لنا عند الله ننجو بها من عذابه ، أو وعظناهم معذرة إلى ربكم .
قال بعض المفسرين: وفي قولهم { إلى ربكم } حيث أضافوا الرب إلى اللائمين ولم يقولوا إلى ربنا إشارة إلى أن التكليف بالعظة ليس مختصا بنا بل أنتم أيضا مثلنا يحب يجب عليكم أن تعظوهم ، انتهى .

قلت: هذه عادة المقصرين في دفع الفساد أن يلوموا من دافع وذلك لغرض تبرير ما هم عليه من التقصير ، وقد يكون منهم حسدا للعامل الذي يحصل له الشرف والصيت يريدون لئلا يحصل له الشرف ، وقولهم { ولعلهم يتقون } أي وتعريضا لهم على التقوى ، أو ورجاء أن يتقوا ؛ لأنهم لو تابوا قبل نزول العذاب لقبلت توبتهم ونجوا من العذاب.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٨٤/٢)

فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون (١٦٥) (١)

---

(١) . { فلما نسوا ما ذكروا به } : اشتد إعراضهم عما ذكروا من آيات الله وتخويفه في التوراة ، وصار عندهم كالمنسي فلا يتذكرون لوعظ الواعظين ، لا تلفت إليه أذهانهم كأن لم يكن ، بل كأنهم قد نسوه حقيقة .

{ أنجينا الذين ينهون عن السوء } الذين وعظوا المعتدين في السبت { وأخذنا الذين ظلموا } بالتعدي في السبت وبالحضور عليه وترك النهي وترك الهجرة وبالرضى { بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون (١٦٥) } { عذاب بئيس } موصوف بالبأس أو بالبؤس ، وفي تفسير الإمام زيد عليه السلام ك: معناه شديد ، ويقال: وجميع وجيع أليم ، .انتهى. { { بما كانوا يفسقون } } بما تكرر منهم من الفسق .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٨٥/٢)

فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين (١٦٦) (١)

---

(١) . { فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين (١٦٦) } :

{ عتوا } لم يؤثر فيهم النهي ، بل تمردوا وأصروا بسبب ما نهوا عنه من المنكرات التي فعلوها فازدادوا إصرارا وقسوة حتى لم يؤثر فيهم العذاب البئيس كما لم تؤثر في آل فرعون السنين والرجز الذي وقع عليهم ، فلما عتوا { قلنا لهم } أي للذين ظلموا { { كونوا قردة خاسئين } } وقوله تعالى { { عما نهوا عنه } } أي بسببه كقوله تعالى { { فأزلهما الشيطان عنها } } أي عن الشجرة ، وقوله تعالى { { قلنا لهم كونوا قردة } } كقوله تعالى { { إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن } } فالمعنى مسخناهم { قردة } جمع قرد ، وهو الحيوان المعروف الذي هو قريب من مشابهة الإنسان فجعلت صورهم مثل صور القردة ، ومعنى { خاسئين } مطرودين مبعدين من رحمة الله ، لا تقبل لهم توبة ولا تسمع لهم شكوى .

، قال الشرفي في [المصابيح] : قال ابن عباس : أصبح القوم وهم قردة صاغرون فمكثوا كذلك ثلاثا يراهم الناس ثم هلكوا ، .انتهى.

وذكر الشرفي في [المصابيح] عن ابن عباس رحمه الله رواية قصتهم وفيها: ثم قال – أي ابن عباس – : والله ما سمعت الله يقول نجا إلا الفرقة التي نهت واعتزلت ، ولقد أهلك الله الفرقتين جميعا التي عصت والتي نهت ، وأقامت معهم .. ثم تلا ابن عباس { { فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بيس بئيس بما كانوا يفسقون } } .انتهى المراد.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٨٦/٢)

وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم (١٦٧) (١)

---

(١) . { وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم (١٦٧) } :
{ وإذ تأذن } ، واذكر إذ تأذن ، قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قوله { { وإذ تأذن } } أجري مجرى فعل ل القسم كعلم الله ، وشهد الله ، ولذلك أجيب بما يجيب يجاب به القسم وهو قوله { { ليبعثن } والمعنى: وإذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، .انتهى.

وقال في [لسان العرب] : وتأذن ليفعلن أي أقسم ، ثم قال : وقوله عز وجل { وإذ تأذن ربك } قيل تأذنأذن تألي ، وقيل: تأذن أعلم هذا قول الزجاج ، الليث: أي قال الليث تمت: تأذ نت لأا فعلن كذا وكذا أيراد به إيجاب الفعل وقد أذن وتأذن بمعنى كما يقال أيقن وتيقن ، ويقال : تأذن الأمير في الناس إذا نادى فيهم يكون في التهديد والنهي أي تقدم وأعلم انتهى .
قوله: قيل { تأذن } { قيل تأذن } تالي تألى أي أقسم يمكن الجمع بينه وبين القول أن تأذن بمعنى أعلم بأان أصل معنى تأذن أعلم وتوعد ، وضمن معنى أقسم فأجيب بجواب القسم والله أعلم .
وقوله تعالى { { إلى يوم القيامة } } وعد صادق وقد كانوا يسلمون الجزية ، وفي هذا الزمان قويت شوكتهم في فلسطين بحبل من أمريكا ودول الغرب ومع ذلك لم يسلموا من يسومهم سوء العذاب من الفلسطينيين وغيرهم فلا يزالون في توقع للعذاب والقتل فيهم يأتي حينا بعد حين وهم خائفون من إيران

ومن حزب الله الموجود في لبنان ، ولابد لهم مما وعد الله به إلى يوم القيامة وهذا الوعد كما يدل على ما ذكر يدل على أنهم باقون إلى يوم القيامة يمضى من مضى ويخلفه منهم خلف مصحوبيين مصحوبين في كل قرن بمن يسومهم سوء العذاب ، وقوله تعالى { { إن ربك لسريع العقاب } } كالتعليل لما توعدهم به ، وقوله { وإنه لغفور رحيم } بيان أن العالم كلهم يعيشون في مغفرته ورحمته وإن عاقب من عاقب ، فالعقاب ضربان: ضرب بعد الإمهال والنعمة ففي الإمهال المغفرة والرحمة ؛ لأنه يستحق التعجيل قال تعالى { وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب } وضرب من المغفرة والرحمة يكون في حال البلاء الذي يأتي عقوبة ؛ لأنه ليس موفيا لهم بما يستحقون في العاجلة ؛ ألا ترى إلى قوله تعالى { { ولقد أخذنا ء ال آل فرعون } بالسنين } فهم في حال بلاء السنين الواقع بسبب ذنوبهم هم باعتبار آخر في ظل مغفرة ورحمة ؛ لأا نهم يستحقون أكثر من ذلك البلاء ، ومن هذا قوله تعالى { { وإأن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإأن ربك لشديد العقاب } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٨٧/٢)

وقطعناهم في الأرض أمما (١) منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون (١٦٨) (٢)

---

(١) . { وقطعناهم في الأرض أمما } :

قسمناهم في الأرض فبعضهم في بلاد الإتحاد السوفيتي ، وبعضهم في بلاد الغرب ، وبعضهم في أقطار من الأرض متفوقة متفرقة ففي تلك النواحي أمم منهم ، وفي هذا الزمان صار منهم في فلسطين أمم ، وفي أمريكا أمم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ومنهم منهم الصالحون } : في الزمان الأول حين قطعهم في الأرض أمما فجعله فجملة { منهم الصالحون } في معنى الحال أي قطعنا هم حال كونهم منهم الصالحون .

{ ومنهم دون ذلك } : أي دون الصالحين أو دون الصلاح أي في محل من الدين دون الصلاح .

قال في الكاشف [الكشاف]: فإن قلت ما محل { دون ذلك } ؟ قلت : الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه: ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه { وما منا إلا له مقام } بمعنى: وما منا أحد

إلا له مقام ، انتهى .

يعني أن { دون } مع كونه منصوبا على الظرفية هو في محل الرفع كما قالوا في قوله تعالى { { والركب أسفل منكم } } أن أسفل الذي هو منصوب على الظرفية خبر المبتدأ في محل الرفع .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٨٨/٢)

فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى (١)

---

(١) . { مخلف فخلف من بعدهم } من بعد الفريقين الصالحين والذين دونهم { خلف ورثوا الكتاب } أي التوراة { يأخذون عرض هذا الأدنى } هذا العاجل الدين ءالدنيء البالغ في الدناءة لتحريمه الشديد وكونه عارا عليهم ، فإذا فعلت عرض لهم أخذوه ولم يتورعوا منه ، مع أانهم قد ورثوا التوراة وعرفوا الحلال والحرام ، ومن أمثله ذلك الرشوة على الباطل قال تعالى { سما عون { سماعون للكذاب أكالون للسحت } وقال تعالى { { وأكلهم أموال الناس بالباطل } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٨٩/٢)

ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه (١)

---

(١) . { ويقولون سيغفر لنا } لأانا أبناءؤ الله وأحباؤه { وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه } فهم لم يقولوا: سيغفر لنا لتوبة سارعوا إليها بل هم مصرون مستعدون لأخذ مثله متى عرض لهم ، فحين يأتيهم يأخذونه طمعا في هذا إلا وفي الأدنى الذي هو عار على آكلهة ونار .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٩٠/٢)

ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه (١) والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون (١٦٩) (٢)

---

(١) . { ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب } الذي هو التوراة { أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه } أي قد أخذ عليهم الميثاق في التوراة { أن لا يقولوا على الله ا لاإلا الحق و درسوا } ما في الكتاب فقد درسوا الميثاق وعلموه ، فهم قد تجرأ تجرءوا على واعلم نقض الميثاق وقالوا على الله الباطل على حين قالوا { سيغفر لنا } فجمعوا جريمة أخذ الحرام وجريمة قول الباطل على الله وجريمة بقض الميثاق .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { والدار الآخرة خير للذين يتقون } :

فلوا اتقوا ربهم لكان خير خيرا الهم ، ثم وجد وجه الخطاب إليهم لوجودهم حين نزل القرآءان فقال تعالى { أفلا تعقلون (١٦٩) } وهو توبيخ لهم على إيثار ما تهواه أنفسهم على تقوى الله التي عاقبتها الجنة ، وما تهواه أنفسهم قليل لا يبقى و لا يبقون له وعاقبته النار وفوات الجحنة فكا نهمفكأنهم لا يعقلون ؛ لا نهملأنهم لو استعملوا عقولهم ما أصروا على تلك الجرائم الموبقة .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٩١/٢)

والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين (١٧٠) (١)

---

(١) . { والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين (١٧٠) } :

وهذا لكل عصر ففي الزمان الأول كان المصلح من يتمسك بالتوراة من أهل الكتاب والمفسد من يخالفها ، وبعد مجيء عيسى عليه السلام كان المصلح من يتمسك بالتوراة والإنجيل ، وبعد ما بعث الله محمد محمدا صلى الله عليه وآله كان المصلح من يتمسك بالقرآن ، وقوله تعالى { يمسكون } يفيد معنى يتمسكون أي يعتصمون به ويتبعونه .

قال في [الصحاح] : أمسكت الشيء وتمسكت به و استمسكت به و أمتسكت به وامتسكت به كله بمعنى اعتصمت به ، وكذلك مسكت به تمسيكا انتهى ، ومعنى اعتصمت به جلته جعلته عاصما لي من الهلكةه أي منجيا وحافظا ، ومنه حديث الثقلين : (أإني تارك فيكم الثقلين ما أإن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله و عترتي أهل بيتي) فالتمسك بهما الإعتصام بهما من الضلال ، فالذين ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه وخالفوه هالكون لكون ، وقوله تعالى { { والذين يمسكون } } ا لآيةه وعد لمن تمسك بالكتاب على عادةه القرآن في العطف بين الوعد والوعيد ، وقوله تعالى { { إأنا لا نضيع أجر المصلحين } } خبر { الذين } والرابط العموم الذي دخلوا فيه دخولا أوليا ، و أفاد أن إلا صلاالإصلاح يكون باتباع الكتاب خلاف ما يدعى الكفار من أن التمسك به حجر عشرة عثرة في الطريق التقدم ، إنما العشرة العثرة في الطريق التقدم هي بالتفوق بالتفرق وعدول الجماهير من المنتمين إلى الإسلام عن التمسك به ، إنهم لو لم يتفرقوا ويشتغلوا بالشقاق فيمها بينهم لسادوا الأمم ، وقد أكد القرآن نهيهم عن التفرق وفيه: و لا { ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم } وفيه: { وإأن جندنا لهم الغالبون } { فإن حزب الله هم الغالبون } { ولينصرن الله من ينصره أإن الله قوي لقوي عزيز } وفيه: { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة } فالقرآن يدعوا إلى إعداد القوةه بأي شكل كانت بما فيها اتخاذ الطائرات ومضادات الطائرات وغير ذلك ، وليس يدعوا إلى التخلي عن ذلك والإاشتغال بالرهبانية ، فتبين أن الإصلاح إنما هو باتباع القرآن .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٩٢/٢)

---

* وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون (١٧١) (١)

---

(١) . { * وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه

لعلكم تتقون (١٧١) } :
في [لسان العرب]: نتق الشيء ينتقه وينتقه [بالضم] جذبه جذبه وأقتلعه ، وفي التنزيل { وإذ نتقنا الجبل فوقهم } أي زعزعناه ورفعناه ، ثم قال: ونتقت الغرب من البئر أي جذبته بمرة ، انتهى المراد.

فالراجح في معناه : أنه تعالى قلعه ورفعه بسرعة وجعله فوق قوم موسى ، وقوله { خذوا ما آء أتيناكم بقوة } كالتفسير لرفع الجبل فوقه بمعنى أنه اا مر لهم أن يأخذوا ما ء أآتاهم ربهم { بقوة } بجد وصبر وعزم صادق ، ومعنى { كأنه ظلة } هـ أنه تعالى رفعه فوقهم كما ترفع ا لظله فوق المستظل بها بقدرته تعالى ، وقوله تعالى { { واذكروا ما فيه } } ما تأكيد للأمر بأخذ التوراة بقوة بالأمر بتذمر بتذكر ما فيها من البواعث على الصبر والطاعة والتمسك بالكتاب ، وذلك كالوعيد والوعد والعبر والأمثال والحكم النافعة المقوية للعزم على الطاعة ، وقوله تعالى { { لعلكم تتقون } } أي تتقون الله فتنجبوا فتنجوا من عذابه ،فرفعه التخوف والتخويف به لمصلحتكم لتتقوا ، وقوله تعالى { { وظنوا أنه واقع بهم } } ظاهره أن هذا غاية المراد به ولم يذكر أنه قيل لهم: إن أخذتموه بجد واجتهاد وإلا ألقي عليكم ، فالرواية ضعيفة ؛ لأنه لو كان كذلك لكانوا ملجأين إلجاء ، أما إذا لم يعلموا أنه يلقى عليهم يقينا فهو تخويف كالتخويف بالرجفة ، ومعناه الموعظة التي يفهم منها بمعونة الحال أن التزام التمسك بالتوراة ينجهم ينجيهم ؛ لأنه تقوى الله التي تنجي من غضبه ، فصح تفسير التخويف ينتق بنتق الجبل فوقهم بقوله تعالى { خذوا ما آتيناكم .. } إلى آخر الآية وهذا مبني على أن الجبل استقر في الجو وشاهدوه مستقرا مكانه وعلموا أن الله ممسك له كما علموا أن الله ممسك للبحر حين مروا وهو فوقهم كالطود العظيم فلذلك لم يكونوا ملجئين .
نعم لو الجأ هم ألجأهم تعالى إلى قوله قبوله والتزام العمل به ثم لم يكن ذلك الالتزام عهدا يسألون عن نكثه ولا كانوا معاقبين على إخلاف ذلك القبول والوعد لصح ذلك إأن كانت فيه حكمة والله أعلم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٩٣/٢)

وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا
(١)

---

(١) . { وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا } :

وأذكر يا محمد إذا { أخذ ربك من بني آدم } من الدرجة الأول من بني آدم وممن بعدهم من بني آدم أخذ منهم { من ظهورهم ذرياتهم } حين أخرجهم من ظهورهم إلى بطون أمهاتهم وكثرهم و ناسلهم بهذه الطريقة طريقةه ذرية من آباء ولو شاء لخلق كل فرد لآمن لا من أب كما خلق آدم عليه السلام ولكن اقتضت حكمته خلقهم بطريقة التناسل ، وهي آية من آياته حيث خلقهم من ماء مهين وصورهم وأكمل خلقهم فهم يشاهدون ذلك ويعلمونه بعقولهم دليلا قاطعا على خالقهم { وأاشهدهم } بما جعل لهم من العقول وأراهم من الآيات الدالة على أنه خالقهم ومربيهم المالك لهم حتى كأنه سألهم { ألست بربكم } ؟ { قالوا } بعقولهم { بلى شهدنا } أنك ربنا .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : ويؤيد هذا المعنى من قول أئمتنا عليهم السلام قول القاسم ابن إبراهيم عليه السلام فإنه قال : وأخذ الله على بني آدم فهو أخذه على أولهم ما أخذ من الإقرار به ويوجد وبوحدانيتهانية و الإقرار بفرائضه وكتبه ورسله لأيزيله لا يزيله عنهم شيء إلى أن تقوم الساعة فرضا لازما في الأولين و الآأخرين فهذا معنى أخذ الله من بني آدم ، ومعنى { من ظهورهم } فهو أخذه على نسلهم نسلا بعد نسل ، والظهور ما يخرج من الظهور من النسول وعلى ما يخرج منها كان الأخذ عليها الآتسمع ألا تسمع كيف يقول { ذرياتهم } ؟ فاأخبر بذلك أنه على الذرية التي تخرج من الظهور ، ومعنى { وأشهدهم على أنفسهم } فهو بما جعل من حجج العقل الشاهد لهم وفيهم بحقائق ما أاخذ الله من الإقرار برب وبيته بربوبيته ووحدانيته عليهم انتهى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٩٤/٢)

أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (١٧٢) (١) أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (١٧٣) (٢)

---

(١) . { أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (١٧٢) } :

أشهدناكم على أنفسكم لئلا { تقولوا يوم القيامة إأنا كنا } في الدنيا { عن هذا } الذي في يوم القيامة من العقاب والثواب { غافلين } لم نكن نعلم أنا نصير إلى الآخرة وإلى ما فيها من الجنة والنار ؛ وذلك

لأن أصل العلم من فطرة العقل وبه تعرف الكتب والرسل وبذلك تعرف القيامة والجنة والنار ، فلولا العقول لم تعلم القيامة وما فيها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (١٧٣) } :

أشهدناكم على أنفسكم لئلا تقولوا { إنا كنا عن هذا غافلين } أو تقولوا لو لم تكن لكم عقول { إنما أشرك آباؤنا } فقلدناهم في الشرك ؛ لأنا كنا { ذرية من بعدهم } ومن طبع الذرية الميل إلى إتباع الآباء ولم تكن لنا عقول نعرف بها ضلال آبائنا { أفتهلكنا بما فعل المبطلون } الذين كانت لهم عقول فتركوها واتبعوا أهواءهم ، وهذا على فرض أن الذرية لم يجعل لها عقول وأنه قد جعل لآبائهم عقولا فأشرك بعضهم وتبعتهم ذريتهم في الشرك ؛ لأن قوله تعالى { وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم } عام لكل جيل من الذريات فقوله تعالى { وأشهدهم } كذلك عام فجاء التعليل من غير إعتبار سلب العقول عن الآخرين وجعلها لمن قبلهم من الذريات ، وباعتبار لو فرض عدم التعميم لكل جيل وتخصيص سلب العقول بالمخاطبين بقوله تعالى { { أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا } } فهذه الآيات تبين أهمية العقول في إثبات الحجة على كل جيل كما أن آيات سورة الأنعام تبين أهمية الكتاب كذلك في إثبات الحجة عليهم ، أنظر قوله { { ثم آتينا موسى الكتاب } .. } إلى قوله تعالى { ..وهذا كتاب أنزلناه } إ { أنزلناه } إلى قوله تعالى على { { ..أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين.. } } إلى قوله تعالى { { ..أو تقولوا لوا أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمةه } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٩٥/٢)

وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون (١٧٤) (١)

---

(١) . { { وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون (١٧٤) } :

{ وكذلك } التفصيل في هذه الآيات المتين المبين لفطرة الإنسان التي تدله على ربه الخالق له { نفصل الآيات } نبينها بيانا مفصلا ليفهمها المخاطبون بها { ولعلهم يرجعون } إلى الله ، أو ليفهمها

المشركون ؛ ولعلهم يرجعون عن الشرك أي وتعرضا لهم على الرجوع .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٩٦/٢)

واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين (١٧٥) (١) ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه (٢)

---

(١) . { واتل عليهم } وأاقرأا على أهل الكتاب مما نوحيهة إليك { نبأ الذي آتيناه آياتنا } علمناه آياتنا فقرا فقرأ التوراة مثلا وعلم ما فيها { فانسخ فانسلخ منها } تخلى عنها وتركها كانة كأنه كان مشتملا عليها حين كانت في صدره فلما تركها صار كانة كأنه اأنسلخ منها كما ينسلخ الجلد من الذبيحة { فأتبعه الشيطان } طرده لثقته بأنه يغويه أكثر مما قد غوي { فكان من الغاوين (١٧٥) } لم يرجع عن غوايته بل اأستمر عليها حتى مات ؛ لأنه سلط عليه الشيطان بسبب تركه لآيات الله وأعرضه وإعراضه عنها .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولو شئنا لرفعناه بها } :

}

لرفعناه } بأان شرفناه وفضلناه على غيره وذلك بأان يكون له شرف العلم والعمل فلو شاء الله لجعلها سببا لرفعه بهداية الله وتوفيقه.

{ ولكنه } لم يكن أهلا لأان يرفعه بها لأنه { أخلد إلى الأرض واتبع هواه } :

{ أخلد إلى الأرض } ركن إليها واطمأن قلبه إليها لاعتباره لها ما لا باقيا تغل مزارعها وبساتينها من الحبوب والفواكه ما يستغني به وبأثمانه فاطمأن إليها وانشغل بها كما اطمأن صاحب الجنتين المذكور في سورة الكهف إلى جنتيه ، وقوله تعالى { واتبع هواه } يدل على ضلاله عن الحق ولذلك سلب التوفيق ، وفي هذا تحذير زائد للعلماء .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال الحسين بن القاسم عليه السلام: يريد أن يتلوا يتلو عليهم خبر الذي آأتاه الله معرفته إياه وعلمه ما يحتاج إليه من بيناته فانسلخ من تلك الآيات وخرج من أوامر الله البينات وأاتبعه الشيطان ليضله ويزيده عمى إلى عماه وبعدا عن الله سيده ومولاه لما خرج من طاعة

الله واتبع هواه وجانب سبيل نجاته وتقواه ، وإنما قص الله خبره على العباد ليحذروا من التجاهل بعد البينات ولا ينسلخوا مما آتاهم الله من البينات فهم لم يقبلوا هذه الموعظة ولم يفلحوا وأفسدوا بعد علمهم ولم يصلحوا ، فصار هذا القول حجة من الله عليهم ، انتهى .

قوله: فهم لم يقبلوا.. الخ. أظنه يعني به علماء السوء وهو صحيح ، وإن كان السبب علماء السوء من بني إسرائيل الموجودين حين نزل القران.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٩٧/٢)

فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث (١)

---

(١) . { فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث } :

مثل هذا الذي كان من الغاوين كمثل الكلب المشغول يدلع بدلع لسانه ومتابعة أنفاسه في كلتا الحالتين إأن حمل عليه لضربه أو لرحمه لرجمه أو ترك فلم يعرض يعرض فقد انشغل باللهث الذي هو دلع لسانه ومتابعة أنفاسه .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليه السلام يريد أنك أن وعضته وعظته لم ينتفع وإن تركته لم ينتفع ، فهو بمنزلة الكلب الذي يلهث إن تركته ، ويلهث إن زجرته ، فالزجر والترك عنده سواء لا فرق بينهما ولا يترك طبيعته لواحد منهما .

واللهث في اللغة: هو دلع الكلب لسانه ومتابعة أنفاسه نسمه ، ويحتمل وجها آخر أن يكون شبهه بالكلب لدناءته لدنائته وخسته واإتباعه لهوى نفسه وبغاضته والله أعز وأكرم وأجل من أن يعتب على الكلب وإنما عتب عتب من .... [هكذا في المصابيح ولم أعرف ما هي ولعلها تصحيف من عصا ربه أو معناها] ولم يستعمل ما ركب الله فيه من حجة عقله ،.انتهى. المراد .

وقوله: ويحتمل وجها آخر الفرق بين الوجه الأول والوجه الآخر أإن الأول جعل التشبيه في حالة مذمومة هي استواء الحالتين عند الكلب حالة زجره وحالة تركه ، وأما الوجه الآخر فمعناه أن التشبيه بالكلب لبشاعة حالته وكراهتها عند من ينظر إليه وهو لا يزال دالعا للسانه حتى لو زجر ؛ لأنه في صورة شويهة لاستمراره على إخراج لسانه وعند ذلك يسيل لعابه ، فالكلب في تلك الحالة قد شبه به هذا العبد العاصي لله الذي لم يستعمل عقله فأشبه البهيمة وزادت خسته باختباره باختياره طريقة الجهل

والهوى مع ما قدره قد رزقه الله من علم قد كان ينال به شرف الدنيا والآخرة ، فقبحت معصيته بزيادة نعمة الله عليه وزيادة حجة الله عليه فكان حقيقيا بأن يشبه بالكلب في حالة الكلب الضعيفة التي منظرها مكروه ، وقوله: ويحتمل وجها آخر هذا الوجه الآخر هو أرجح ؛ لأنه يعبر عن خسة ذلك الرجل وحقارته ودناءته وسقوط همته فحسن مقابلته لحالة الشرف التي فاتته وصار المعنى: ولو شئنا لرفعنا بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فصار حقيرا دنيئا ذميما ، فهذا الوجه انسب للسياق والله اعلم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٩٨/٢)

ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (١٧٦) (١)

---

(١) . { ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (١٧٦) } :

فمثلهم كمثل الكلب المذكور ؛ لأنهم أهملوا عقولهم ودفعوا هدى الله ففسدوا فاستحقوا ذلك المثل ، وعلى الوجه الأول في تفسير الحسين بن القاسم أنهم أهملوا عقولهم حين جاءتهم الآيات وأاعرضوا عنها فاستوت حالتهم في الجهل الجهل والضلال قبل أن تأتيهم الآيات وبعد أن ما جاءتهم الآيات فكانوا كالكلب في استواء حالتيه إذا زجر وإذا ترك مستمرا على لهثه ، وقوله تعالى { { فاقصص القصص } } الظاهر أنه قصص بلعام ؛ لأنه عبرة لهم وتذكرة لكل من آتاه الله آياته فانسلخ منها ، وقوله تعالى { { لعلهم يتفكرون } } أني أي ينظرون بأفكارهم وعقولهم كيف كانت عاقبته وكيف خسر الشرف الحقيقي واستبدل به الحقارة واللؤم واستحوذ عليهم الشيطان فهو فهو عبرة لمن يعتبر .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٧٩٩/٢)

ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون (١٧٧) (١)

---

(١) . { ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون (١٧٧) } :

قوله تعالى { { فمثله كمثل الكلب } } أي حاله القبيحة الجارية مجرى المثل كحال الكلب ، فالمثل عبارة عن الحالة ، فقوله تعالى { { ساء مثلا القوم الذين كذبوا } } أي ما أسوأ مثلهم الذي هو كمثل كمثل الكلب ، وقوله تعالى { { وأنفسهم كانوا يظلمون } } لأنهم هم أوقعوا أنفسهم في تلك الحالة القبيحة التي كانت سببا لخسرانهم وحقارتهم وأستحوذ واستحواذ الشيطان عليهم الذي يؤيدهم يؤديهم إلى الشقاوة الدائمة والخسران المبين ، فهم الذين ظلموا أنفسهم وهذا ، وهذا من أوضح الأدلة على بطلان القول بالجبر ؛ لأنه لو كان الفعل ناتجا عن فعل الله حتما ما كان لهذا الكلام فائدة سواء نتج الفعل عن القدرة الموجبة أم عن مجموع القدرة الموجبة بشرط الإرادة ، والإرادة التي هي عندهم فعل الله تعالى ، فالمعنى واحد ، فكيف لو كان الأمر كذلك ينسب إليهم ظلم أنفسهم ، وأبلغ من هذا أنه قال تعالى { { وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين } } وقال تعالى { { وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٠٠/٢)

من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون (١٧٨) (١)

---

(١) . { من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون (١٧٨) } :

هذا ترغيب في طلب هداية الله والتعريض لها بالأيمان واجتناب أسباب الخذلان ، وقوله تعالى { { ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون } } تحذير من التعريض للإضلال بالتكذيب بآيات الله بعد وضوح الحق ؛ لأان الإضلال بأي معنى كان إنما يكون عقوبة قال تعالى { { وما يضل به إلا الفاسقين } } وقال تعالى { { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم } } وقال تعالى { { ويضل الله الظالمين } } وقوله تعالى { { فأولئك هم الخاسرون } } يبين سوء عاقبتهم مع خسرانهم العاجل بسلب التوفيق ، فهو خسران عاقبته الخسران يوم القيامة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٠١/٢)

ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (١٧٩) (١)

---

(١) . { ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها } :

في تفسيرها أقوال:

الأول: أن معنى { ولقد ذرأنا } أنه تعالى يذرؤهم بالبعث بعد الموت ولتحقيق ذلك عبر عنه بعبارة الماضي كقوله تعالى { { ونفخ في الصور } } إلى آخر الآية ، وقوله تعالى { { أتى أمر الله فلا تستعجلوه } } وهذا مبني على أن الآية من المتشابه ، فصح تأويلها بالمعنى المجازي .

،

القول الثاني: { { ولقد ذرأنا لجهنم } } أي لقد خلقنا من عاقبته لجهنم كقوله تعالى { { فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا } } وهذا لأن الله خلق الجن والإنس كلهم ليعبدوه ، وقال تعالى { { إلا من رحم ربك } ولذلك خلقهم } على تفسير الإشارة أي وللرحمة خلقهم ، فجعل خلقهم لجهنم مع خلقهم للعبادة معناه أنه خلقهم لعبادته وعاقبتهم لجهنم بسوء اختيارهم .

، القول الثالث: ليس معنى { { ذرأنا لجهنم } } خلقنا خلقناهم ليكونوا لجهنم ، وإنما معناه خلقناهم ونحن نعلم أنهم لجهنم لعلمنا بما سيكون منهم من التكذيب بآيات الله وإهمال عقولهم وأسماعهم وأبصارهم وغفلتهم عن آيات الله بالإعراض عنها بحيث صاروا كالناسين لها باختيارهم لسبب ذلك ، وذلك أنك تقول تقول:خيخيطت لفلان ثوبا وليس المعنى ليكون لفلان بل المعنى أنه له ، وكذلك غسلت له ثوبا ، ومن هذا القبيل بنيت له بيتا وصغت له خاتما ، فالمعنى أن البيت والخاتم والثوب له وليس المعنى ليكون له وذلك وأاضح .

وفائدة الإأخبار بخلقهم لجنهم بيان أنه تعالى خلقهم وهو يعلم أنهم لجنهم فلم يخلقهم غلطا بل خلقهم وهو يعلم أنهم يكذبون بآياته ويستحقون بذلك جنهم ، وفي ذلك تنبيه على أنه غني عن طاعتهم ، وأنها لا تنقصه معصيتهم ، وأنه لايباليي بتكذيبهم وبمصيرهم إلى جهنم كما قال تعالى { أ { إن تكفروا فإأن الله غني عنكم } } وقال { { ومن يكفر فإان الله غني عن العالمين } } وقوله تعالى { { لهم قلوب لا يعقلون } بها } دلالة على أن الله قد أكمل حجته عليهم بعقولهم وكذلك بأسماعهم وأبصارهم ولكنهم أهملوها فلم يستعملوها في طلب الهدى ، فكأنهم لا يعقلون بألبابهم التي ركبها في قلوبهم وفطرتهم وفطرتهمالتي فطرتهم التي فطرهم عليها حين أشهدهم على أنفسهم وكأنهم لا يبصرون و لا يسمعون ، كل ذلك لإأعراضهم عن الهدى العقلي و الآأفاقي والسمعي كما قال الشاعر:

أصم عن الأمر الذي لا أريده ... وأسمع خلق الله حين أريد

فكانوا بإهمالهم لطريق المعرفة كالأنعام في جهلهما بما يعرف بالعقول ، ثم قال تعالى :
{ بل هم أضل } : لأن الأنعام لم تجهز بالعقول فهي غير معاقبة على غفلتها بخلاف من جعل الله له قلبا وركب فيه لبا وأضاف إلى ذلك السمع والبصر وجاءته آيات الله ورسله فأاعرض عن آيات الله وتغافل عنها وأعرض عما سمع ورأى كأنه لأعقل لا عقل له ولألا سمع ولألا بصر ، فهو معاقب على غفلته خاسر بتكذيبه بآيات الله وإأجرامه فهو لذلك أضل من الأنعام .
وقوله تعالى : { { أولئك هم الغافلون (١٧٩) } } : تسجيل عليهم بالغفلة المذمومة والجهالة الممقوتة ؛ لأن سببها إأعراضهم وتمردهم على الله ورسله وآياته.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٠٢/٢)

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (١٨٠) (١)

---

(١) . { ولله الأسماء الحسنى } :
الأسماء التي هي أحسن الأسماء لدلالتها على الله وعلى تسبيحه وتقديسه و تعظيمه و تحميده .
{ فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه } :

أي فادعوه بها قولوا: يا الله يا الرحمن يا الرحيم أو يا من هو الرحمن الرحيم أي أدعوه بكل أسم من أسمائه لا تتركوا أسماء اسما عن أن تدعوا الله به كما تركت الجاهلية أسم الرحمن ، وليس المراد جمع الأسماء الأسماء في الدعوة الواحدة ، وقوله تعالى { وذروا الذين يلحدون } اتركوا الذين يلحدون { في أسمائه } أي يجعلونها لغيره كفرا بها كالذين قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة ، قال تعالى { قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى } الحسنى والإاسم الأحسن هو الذي يفيد مدحا عظيما ولا يستلزم إثبات نقض نقص ، بل يفيد مدحا عظيما خالصا فهي لله سبحانه كلها بلا حصر ، وهو يختص بها سبحانه لا يشاركه فيها وغيره وصف ووصف غيره بلفظ بعض أسمائه ليس معناه إثبات ما أثبت لله مثل { بالمؤمنين رؤوف رحيم } بل الأسماء الحسنى على معانيها خاصة بالله وجعل شيء منها لغير الله هو من الإلحاد في أسمائه .
قال في [لسان العرب]: ومعنى الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد ، وقال في [لسان العرب]: وأصل

الإلحاد الميل والعدول عن الشيء ، وقال في [لسان العرب]: والخذ وألحد في الحرم ترك القصد فيما أمر به ومال إلى الظلم انتهى .

وفي [مفردات الراغب]: وألحد مال عن الحق انتهى المراد ، ويدل على هذا قوله تعالى { { ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون أليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين } } فجعل عدوهم عدولهم إلى غير الله إالحادا إلى ذلك الرجل الأعجمي .

{ سيجزون ما كانوا يعملون (١٨٠) } :

سيجزون أعمالهم كلها التي كانوا يعلمونها يعملونها أي استمروا وعلى علمها عملها ، والأصل يجزون جزاءها المناسب الذي يستحقونه من أجلها فكانة فكأنه هي لما لما كان جزاء لها كقوله تعالى { { ويقول ذوقوا ما كنتم تعملمون } } وذلك تحقيق لكونه جزاء العمل.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٠٣/٢)

ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٨١) (١) والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (١٨٢) (٢)

---

(١) . { ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٨١) } :

فذروا الذين يلحدون في أسمائه واقتدوا بالأمة الهادية بالحق العادلة به فهي القدوة الصالحة ، وهؤلاء هم السابقون بالخيرات كقوله تعالى في سوره الأنعام { { وإأن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين بكافرين } فراجع تفسيرها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (١٨٢) } :

{

كذبوا بآياتنا } منهم من كذب بالقرآن { سنستدرجهم } يجعلهم يتقربون إلى الله الهلاك درجه درجة { من حيث لا يعلمون } أنهم يتقدمون إلى الهلاك ؛ ولعل المراد بقوله تعالى { { من حيث لا يعلمون } } من جهة الإأنعام عليهم ؛ لأنهم يتلهون به حتى يحضرهم الموت فيغلق عنهم باب التوبة ويصيرون إلى العذاب من حين تحضرهم الملائكة ويوم القيامة إلى عذاب النار .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٠٤/٢)

وأملي لهم إن كيدي متين (١٨٣) (١) أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة (٢)

---

(١) . { وأملي لهم إن كيدي متين (١٨٣) } :

أملي لهم : أمهلهم في هذه الحياوة الدنيا مدة طويلة بالنسبة إلى استحقاقهم العذاب العاجل فلا أعاجلهم بعذاب وهم يفترون يغترون بالإملاء ويستزيدون من المعاصي ؛ فلذلك جعله تعالى كيدا كيدا متينا أي قويا قال تعالى { { إنما نملي لهم ليزدادوا إأثما } فمن حيث أن الإملاء قد جعلوه سببا لزيادة المعاصي فصار سببا لزيادة العذاب ، فمن هنا صار كيدا كيدا باختيارهم وكان قويا ؛ لأنه مصحوب بالنعم ومنته ومنته بهم إلى العذاب الشديد الدائم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { أولم يتفكروا } أي المكذبون بآيات الله .، { { ما بصاحبهم من جنة } } :

}

ما بصاحبهم } محمد ( )من جنون العقل فيعرضوا عنه ولا يلتفتوا إلى إنذاره ، بل هو في غاية رجاحة العقل فكيف لم تدعهم عقولهم إلى التفكر فيما جاء به من الآيات وما أنذرهم حتى لا يقعوا في التكذيب بآيات الله ويستحقوا العذاب في الآخرة وما أنذرهم الآخرة والخذلان في الدنيا و الإستدارج و الإملاء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٠٥/٢)

إن هو إلا نذير مبين (١٨٤) (١)

---

(١) . { إن هو إلا نذير مبين (١٨٤) } :

ومن شأن العاقل أن يحذر ما أنذر فكيف وقد أنذرهم عذابا شديد شديدا أو صارحهم بالإنذار والتحذير وجاء هم بالآيات الدالة على صدقه ، فهو { نذير مبين } بين واضح أنه نذير يستدعي إنذاره النظر والتفكر في إنذاره وفيما جاء به من الآيات وأن لا يعرضوا عن إنذاره كما يعرض عن كلام المجنون وهم يعلمون أنه عاقل ، فكان من حقهم أن يخافون يخافوا أن يكون صادقا في إنذاره فيصيروا إلى ما أنذرهم من العذاب الشديد ، فإذا خافوا فمن حقهم إذا استعملوا عقولهم أن ينظروا في الآيات التي جاء بها دليلا على صدقه حتى يبنوا على حقيقة فيؤمنوا إأن صح الدليل أو يعلموان أنه لا حجه له إأن لم يكن له .آية صحيحة فيأمنوا ما أنذرهم ، فأإما استعمالهم استعجالهم على تكذيبه بلا نظر بل انقيادا للحسد والكبر والعصبية فهو جهالة وإهمال للعقول وتوريط في المهالك ، ولكن قلوبهم قاسيةه وهم مقبلون على دنياهم وأهوائهم فأاعرضوا وغفلوا.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء (١) وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم (٢)

---

(١) . { أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء } :
حتى يعرفوا أن الله هو مالك السموات والأرض والمخلوقات كلها و مالكهم فهو ربكم رب كل شيء فيلتفتوا بأفكارهم إلى رسوله وآياته ويحذروا عاقبة عصيانه والأعراض عنه ويحذروا الشرك به .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم } :
أي وينظروا أن { عسى أن يكون قد اأقترب أجلهم } أي أن من المتوقع الذي لا يبعد لأن كثيرا من الناس قد ماتوا وهم مثلهم في السن وأصغرهم وأصغر منهم { أن يكون قد اأقترب أجلهم } أي الموت .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٠٧/٢)

فبأي حديث بعده يؤمنون (١٨٥) (١)

---

(١) . { فبأي حديث بعده يؤمنون (١٨٥) } :

لأن هذا الحديث الذي هو ا القرآن قد دل على صدق الرسول بإعجازه ومع ذلك إنذارهم أنذرهم القرآن وحذرهم ووعظهم وخوفهم بضروب من الواعظ المواعظ ليؤمنوا به فلم يؤمنوا ، فتبين أنهم لا يؤمنون بأي حديث بعد هذا القرآن ؛ لأنه لا يبلغ مبلغه حديث .

ولو نظرنا ما في هذه السورة وحدها لو جلوجدنا شيئا عجبا ، من ذلك: ذكر نعم الله ودعوته إلى الشكر ، ومن ذلك: ذكر قصة إبليس ووعيده بإغواء بين بني آدم وتحذيرهم من أن يفتهم يفتنهم كما أخرج أبويهم من الجنة ، أبوهم من الجنة ومن ذلك: قصص الأمم الذين كذبوا الرسل فأخذهم الله بذنوبهم ، وتفصيل قصص أنبيائهم ، ومن ذلك: قصة القرية التي كانت حاضرة البحر ، وقصة الذي آأتاه الله آياته فانسلخ منها ، ومن ذلك: التحذير من الخذلان المتتابع في السورة في مواضع متعدده متعددة ، ومن ذلك: التذكير بالأخره بالآخرة والتذكير بجهنم وكثرة أهلها ، ومن ذلك: الإحتجاج على المشركين في مواضع من السورة ، وعلى الجملة كل السورة هدى ونور وشفاء لما في الصدور.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٠٨/٢)

من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون (١٨٦) (١) يسألونك عن الساعة أيان مرساها (٢)

---

(١) . { من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون (١٨٦) } :

كما أن من لم يهتد بالقرآن أن للإيمان لا يؤمن لأجل حديث بعد القرآن أي بعد أن ترك القرآن وأعرض

كذلك من فاتته هداية الله وتوفيقه وأرسل عليه الشياطين حتى ضل فلا هادي له بعد الله ولن تكون هداية من غير الله بدلا من هدايته وتذر هم { ونذرهم } نتركهم أو يذر هميذرهم [بالياء] أي يتركهم الله { في طغيانهم } الذي اختاروه وفعلوه ، والطغيان: مجاوزة الحد ومنه التكذيب بآيات الله والإصرار على معاصي الله يعمهون { يعمهون } يتكرر منهم عمى البصيرة ويسترسلون فيه ، وهذا من التحذير عن أسباب الضلال كالتكذيب بآيات الله بعد وضوحها للناظر فيها.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { يسألونك عن الساعة أيان مرساها } :

هذا من الناس الذين سمعوا رسول الله ( ) ينذرهم { الساعة } أي القيامة وكأنها سميت بهذا لسرعتها عند مجيئها قال تعالى { وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب } فقالوا لرسول الله ( ) أيان { أيان } أي متى { مرساها } ؟ أي وصولها وحضورها كأنها في إقبال ، فإذا جاءت أرست مكاأنها وثبتت فلا ترجع أبدا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٠٩/٢)

قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو (١)

---

(١) . { قل إنما علمها عند ربي } :

{ علمها } المحيط بها وبما يكون فيها وبوقتها إنما هو { عند ربي } وحده فهو الذي يعلم متى تأتي .

{ لا يجليها لوقتها إلا هو } :

لا يظهرها ويبينها حتى تتجلى للناس وتتضح عن إتيان وقتها وحلول أجلها { إلا هو } أي ربي الذي أرسلني نذيرا لكم من مجيئها ، وإذا جلاها لم يكن أواو أن تصديقكم بها ولم يكن مجيء أمر تفخرون تفرحون به أو تتفرجون عليه ، إنما هو أمر ثقيل شديد .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨١٠/٢)

ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها (١)

---

(١) . { ثقلت في السماوات } عند الملائكة لإيمانهم بها { والأرض } لهو لهالهولها على أهل الأرض وإشفاق المؤمنين منها { لا تأتيكم إلا بغتة } كما قفضت حكمة الله أن الس { إن الساعة أآتيةته أكاد أخفيها } كما فقضت بإخفاء أجل الموت ، فالقيامة لا تأتيكم إلا إأتيانا بغتة حين لا تتوقعونها وعلى غفلتكم عن إأتيناها ، قال الراغب: البغت مفاجأه الشيء من حيث لا يحتسب انتهى .

{ يسألونك كأنك حفي عنها } :

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليه السلام : معناه حتى كأنك حريص مستقص عن السؤال عنها وأنت غير حريص في البحث عن وقتها إذ أنت موقن بها خائف منها .

والحفي على وجوه :

أحدها: الحريص المستقصي قال الشاعر :

فإن تسألي عني فيا أرب سائل ... حفي عن الأعشى به حيث أصعدا

انتهى .

وقد ذكر في [الصحاح] هذا في معاني الحفي فقال: والحفي أيضام المستقصي في السؤال قال الشاعر :

فإن تسألي عني فيا رب سائل

١@حفي عن الأعشى به حيث أصعدا

انتهى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨١١/٢)

قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (١٨٧) (١) قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله (٢)

---

(١) . { قل إنما علمها عند الله } :
لا يعلمها أحد غيره لما أعاد ذكر السؤال ليرتب عليه قوله تعالى { { يسألونك } كأنك حفي عنها } أعد أعاد ذكر الجواب لأن السؤال يستدعيه ؛ ولعلهم أكثروا السؤال فاقتضى الحال التأكيد في الجواب .
{ ولكن أكثر الناس لا يعلمون (١٨٧) } : لأنهم لا يعلمون أنها ستقوم فلا يعلمون أن علمها عند الله .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله } :
النفع كالرزق والضر كالمرض وملكهما اقتداره عليهما جلبا ودفعا ، فقوله إلا ما { إلا ما شاء } إما بمعنى إلا ما شاء الله من الملك وهو ما أقدرني على سببه وعلمني طريق تحصيله ومكنني من تحصيله وتركه كبعض الرزق ، وإأما استثناء منقطع ، وهذا أقرب ؛ لأن الملك أبلغ من الإقتدار المحدود .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨١٢/٢)

ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير (١) وما مسني السوء (٢)

---

(١) . { ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير } :
فأنا لألا أعلم الغيب وليس أخبار ي إخباري بالساعة إألا لأن الله أعلمني أنها ستقوم ؛ ولذلك لا أدري متى هي؟ { ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير } الذي يتوصل إليه بالأسباب المقدورة للبشر ، وفي هذا رد على من زعم أن بعض المخلوقين يعلم الغيب ، ولا يصح تأويله بعلم الغيب الذاتي ؛ لأن الإستكثار من الخير لا يتوقف على الذاتي فلوا فلو أعطاه الله قوة علم الغيب لاستكثر من الخير .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف

إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وما مسني السوء } :

يحتمل أنه من جواب (لو) على لو أن السوء مطلق في السوء من أي ضر كان مما يتوصل إلى دفعه بالأسباب المقدورة ويتحمل ، ويحتمل أن الجملة معطوفة على جملة { لا أملك لنفسي نفعا } فهي مما أمرمما أمر في أول الآية أن يقوله ، وعلى هذا فالمراد بالسوء الجنون بقرينة دعوى الكفار أنه مجنون ، وعلى الإحتمال الأول يكون المعنى: لو كنت أعلم الغيب ما مسنى مسني السوء ، والأرجح الثاني لأنه لو كان من جواب الأول لما نفى نفيا مطلقا كما لم يثبت الخير إثباتا مطلقا ولكان الظاهر أن يقال: لاأستكثرت من الخير ومن دفع السوء ، وذلك يتوجه إلى الممكن في قدرة البشر لو علموه ؛ ولأن النفي لم يقترن بـ(لام الجواب) وكان أبلغ في الدلالة على أنه معطوف على جواب (لو) أن يقال: ولما مسني السوء أو لاستكثرت من دفع السوء ، فلأجل القرينتين ترجح أن الجملة النافية ليست من جواب العجل (لو) بل هي مستقلة .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون (١٨٨) (١)

---

(١) . { إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون (١٨٨) } :
{ نذير وبشير } قد عرف متعلقة متعلقه من غير هذه الآية أنه نذير بالنار لأعداء الله وبشير بالجنة للمتقين ، فقوله { لقوم } إأن أريد نبه يؤمنون بالفعل فهم المتقون ، وهو قيد لـ(بشير) متعلق به ، وإن أريد لقوم شأنهم أن يؤمنوا حين تأتيهم الآيات لأنهم يريدون الحق لا يصرفهم كبر ولا تعصب ولا غيرهما فقوله تعالى { { لقوم يؤمنون } } راجع إلى حملة جملة { أإن أنا إلا نذير وبشير } والمراد أنهم هم الذين ينتفعون بالإنذار والتبشير ؛ لأنهم يتفكرون إذا جاءتهم البينة فيؤمنون بالفعل ، ونظيره قولة قوله تعالى { { إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون } } وهذا أرجح عندي والله أعلم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨١٤/٢)

---

* هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها (١)

---

(١) . { * هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها } :
قولة قوله تعالى { { خلقكم } } إن كان الخطاب نه به للناس فالنفس الواحدة آدم ، وقوله تعالى { { وجعل منها } } أي وجعل لها زوجها منها أنشأاها ، وقوله { { ليسكن إليها } } تعليل لجل لجعل الزوج لآدم ليسكن ، ويحتمل وجعل منها أن زوجه منه بمعنى قوة التشابه في الصورة والقوى والطباع كقوله لعلي عليه السلام : (أنت مني وأنا منك) و هذا حمل على المجاز و لكن كونه أنسب للتعليل بقوله ليسكن إليها لاينا فيلا ينافي إثبات الحقيقة وجعل التشابه في الصورة القوى والقوى والطباع نتيجة لإنشاء زوجه منه كما يكون من التشابه بين الوالد وولده .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨١٥/٢)

فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين (١٨٩) (١)

---

(١) . { فلما تغشاها } الرجل الذي خلق منه المخاطبون { حملت حملا خفيفا فمرت به } علقت بالوالد وصار حملا في بطنها خفيفا في أول الأمر { فمرت به } مشت به تذهب وتجيء لا يثقلها { فلما أثقلت دعوا الله ربهما } عالمين مؤمنين أنه هو الذي يصور الولد في رحم أمه كيف يشاء إأن شاء جعله صالحا وإأن شاء جعله ناقصا أو ضعيفا فلذلك دعوا الله ربنا ربنا { لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين (١٨٩) } فالخلق خلق الله أصله ونسله فهو الحقيق بأن يعبد لا يشرك المشركون من الأصنام وغيرها مما لا يخلق شيئا لا خلق المشركين ولا غيرهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون (١٩٠) (١)

---

(١) . { فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما } :

إأما على قراءة نافع شركانافع شركا [بكسر الشين وسكون الراء وتنوين الكاف] فيستقم تفسيره أنها أنهما جعلا لله نصيبا في الولد شكرا للنعمة ، بمعنى أن يشغلا بعض وقته بالعبادة فارغا من عمل الدنيا وجعلا أو جعلا الولد كله لله شكرا للنعمة ونذرا أن تربياه يربياه على الدين ويتركاه يعبد الله لا يشغلانه بشيء من عمل الدنيا ، ثم بدا لهما أن يجعلاه للعبادة وللخدمة فكانا بذلك قد جعلا للعبادة وللخدمة فكانا بذلك قد جعلا لله شركا فيما آتاهما ولم يتركاه له وحده كما نذرا .

وأما على قراءة شركاء جمع شريك فيمكن تفسيره كالأول إلا أنهما جعلاه للعبادة ولخدمة الأسرة فكانا قد جعلا الأسرة شركاء لله في هذا الولد ، أما صحة النذر هذا بأان يجعلاه لله أو نصيبا منه فيشبه نذر امرأة عمران { { رب إني نذرت لك ما في بطني محررا } } وتفسره وتفسير هذه الجملة بما ذكرت ، يروي نحوه عن القاسم عليه السلام انظر [المصابيح] وهو المناسب لاعترافهما بأن الله هو الخالق ولمعاهدتهما على الشكر مناكما أنه المناسب للإاحتجاج على المشركين من ذريتهما الغافلين عن كون ربهم هو الخالق وحده وكون ما أشركوا به ليس له شيء من الربوبية ؛ ولذلك قال تعالى :

{ فتعالى الله عما يشركون (١٩٠) } : بعبارة الجمع لا التثنية ؛ لأن الكلام صار في المشركين الموجودين وقت نزول القرآءان بدليل ما يأتي من خطاب الله تعالى لهم بقوله تعالى { { إن الذين تدعون.. } } الآية وخاطبهم في أول الآية بقوله { هو الذي خلقكم } في ضمن خطاب الناس احتجاجا عليهم بأن الذيأنه الذي خلقهم من نفس واحدة ، وإما أن كان الخطاب لقريش وحدهم لكون سورة السورة مكية وكان المراد بالنفس الواحدة جدهم قصي فلا إشكال إذ لا مانع أن يكون نكث العهد وأشرك فيما بعد والله أعلم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون (١٩١) (١) ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون (١٩٢) (٢)

---

(١) . { أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون (١٩١) } :
هذا إنكار وتوبيخ للمشركين وبيان لبطلان الشرك ؛ لأنهم يجعلون لشركائهم نصيبا في أنفسهم مع أنهم لم يخلقوهم ، والمشركوين يخلقون خلق آباؤءهم الذين أشركوا قبلهم وخلقوا من بعد خلق آبائهم فهم عباد لخالقهم رب العالمين .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . . { ولا يستطيعون } أي شركاؤهم { لهم } أي للمشركين { نصرا } وهذا دفع لتوهمهم قال تعالى { { واتخذوا } من دون الله آإلهة لعلهم ينصرون } .
{ ولا أنفسهم ينصرون (١٩٢) } : أي هؤلاء المعبودوين لا ينصرون أنفسهم لو حطمهم أحد كما فعل إبراهيم عليه السلام ؛ ولذلك يجند المشركون أنفسهم لحماية شركائهم كما قال تعالى { { لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون (١٩٣) (١)

---

(١) . { وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون (١٩٣) } هذا بيان لكون أصنامهم جمادات عاجزة ، فكما أنهم لا ينصرون أنفسهم فهم أيضا عاجزون أن يفعلوا لأنفسهم خيرا وصلاحا فإن تدعوهم إلى ما هو هدى ورشاد في حقهم ليتبعوكم إلى ما دعوتموهم إليه كالإنتقال إلى مكان أفضل من مكانهم أو كالإنتقال معكم حيث تنتقلون إلى مكان في طلب المرعى والماء لأنعامكم لا يتبعوكم ، أو تدعوهم إلى النزول من فوق بيت الله الذي ليس ليس لهم فيه حق لأن الله وحده هو رب البيت وهو الذي جعله نعمة لقريش آمنا أمنا في بلدهم وفي رحلتيهم ، وبقاء الشركاء على بيت الله باطل فإن تدعوهم لينزلوا { لا يتبعوكم } لعجزهم سواء عليكم دعاؤهم إلى ذلك والسكوت عنه ؛ ولكون السكوت عن هذا الدعاء هو الأصل ليس حادثا بعد الدعاء المذكور قال { أم

أنتم صامتون } لأنه استمرار على الحالة الأصلية .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨١٩/٢)

إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين (١٩٤) ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها (١)

---

(١) . { إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين (١٩٤) ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها ب }
:
}
عباد أمثالكم } عباد لله الذي خلقهم { أمثالكم } في أنكم عباد لله { فأدعوهم } لطلب شيء من حوائجكم منهم { فليستجيبوا لكم } بتحصيل ما طلبتم { إن كنتم صادقين } في جعلهم شركاء فيكم ، وهذا بيان ءاخر آخر لعجزهم وتذكير لهم بما هم به عالمون في الأصل ؛ لأنها جمادات كسائر الجمادات لا تمتاز عنها بشيء ، وإأنما سموها آءالهة هم وآبائهم وهي ما زالت على حالتها الأصلية لم يحدث لها من التسمية قدرة ولا علم ، وقوله تعالى { ألهم أرجل يمشون بها } إهانة للمشركين وتنزيل لهم منلة منزلة من لا يفهم ؛ لأنهم يعلمون أنها أحجار أو تماثيل لا تمشى ولا تبطش ولا تبصر ولا تسمع فلم يسموها ءالهة آلهة لشيء من ذلك وهم يعلمون أنه لا أرجل لها تمشي بها ولا يدولا أيد تبطش بها ولا أعين تبصر بها ولا ءاذن آذان تسمع بها فهم يعلمون أنهم وءابائهم وآبائهم سموها ءاآلهة في حال أنها لا تتميز عن سائر الجمادات بشيء من قدرة أو بصر أو سمع ، فلا حجة لهم فيها ولا شبه حجة .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٢٠/٢)

قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون (١٩٥) (١) إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين (١٩٦) (٢)

---

(١) . { قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون (١٩٥) } :
وهذا بيان لعجزها بتحديها لتكيد رسول الله وتحدي أهلها ليدعوها تكيده معهم في أسرع وقت تهلكه وهذا مع كونه بيانا لعجزهم بيان لعلمهم بذلك ودليل على ثقة الرسول بعجزها وأنه لا تستطيع شيئا من ذلك.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { أن ولى¨b خ) وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين (١٩٦) } :

ولى { وليي } الذين يرعاني ويحسن رعايتي { الله الذي } هو القادر على كل شيء والعالم بكل شيء فهو يهديني ويحفظني ويرزقني وإذا أرادني بخير لا يمسكه غيره وإن أرادني بضر لا يكشفه غيره ، ومن حسن رعايته { نزل الكتاب } رحمة وهدى ودليلا على توحيده وعلى بطلان الشرك وفيه الهدى والنور فمن الله الهدى والخير كله { وهو يتولى الصالحين } فلو صلحتم لتولاكم كما تولاني .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٢١/٢)

والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون (١٩٧) (١) وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون (١٩٨) (٢)

---

(١) . { والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم } : والنصر من أهم الحاجات فبالأولى ولى غيره من حاجاتكم لا يقضون لكم منها شيئا .
{ ولا أنفسهم ينصرون (١٩٧) } : وكفى بذلك دليلا على أنهم لا ينفعون فيعبد فيعبدوا والطلب نفعهم ولا يضرون فيعبدوا والدفع ضلدفع ضررهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا } :
دعاءكم لأنهم جمادات ولو كانوا يسمعون لسمعوا إأن تدعوهم إلى الهدى لأهمية السمع لمن يدعو إلى الهدى فهو حقيق أن يصغي له فيسمع .
ر { وتراهم } أي الأصنام { ينظرون إليك وهم لا يبصرون (١٩٨) } :

موجهون إليك أما أنهم تماثيل لأحياء ينظرون فإذا جئتهم كانوا أمامك كأنهم ينظرون إليك ومعلوم أنهم { لا يبصرون } وإأما لأنهم أحجار موجهة إلى من ءاتاها أتاها كأنها تنظر إليه ، ومن المعلوم أنها لا تبصر فقد ذكرهم الله عجز أصنامهم وتحداهم بما يكشف عن علمهم بعجزها فهم يعبدون ما لا ينفعهم شيئا ولا يضرهم وكفى بذلك جهلا وغباوة وانقيادا للباطل ، وبعد تمام الإحتجاج على المشركين والكفار والإنذار الكامل في هذه السورة التي في أولها الأمر بإتباع ما أنزل إلينا من ربنا واجتناب ما يصرفنا عنه وإكمال الحجة لرسول الله على المشركين والمكذبين بالقرآن وصى الله رسوله في خاتمة هذه السورة فقال تعالى :
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٢٢/٢)

#$:pg"gخ=üڑ mt`ا ur&rمôعجچ /خè9$$م $إ ur&Dùكگ yè9$#ےè{ uq›ة
اتزرب (١)

---

(١) . { uq›ة yè9$#ےè{ ur&Dùكگ $إ /خè9$$م ur&rمôعجچ mt`ا
#$:pg"gخ=üڑ اتزرب } :
{ العفو } الميسور من أخلاق الناس وأدبهم الرسول ( )ولا تستقص عليهم في حقوقك وأمر { وأمر بالعرف } وهو ما تعرفه العقول من توحيد الله والإحسان إلى الوالدين والأقارب والجار واليتيم والمسكين وغير ذلك وأعرض { وأعرض عن الجاهلين } السفهاء الذين يجهلون عليك بالكلام المؤذي فلا ترد عليهم بمثل كلامهم مما يؤذيهم من السب بل أعرض عنهم واشتغل بما كلفته من الدعوة والإبلاغ والإنذار والتبشير والهداية .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليه السلام: معنى { خذ العفو وأمر

بالمعرولعرف } هو أدب من الله لنبيه ( ) فجمعت هذه الأحرف اليسيرة من ألا داالآداب الكثيرة ما فيه حكمة عظيمة لمن عقلها وأقبل عليها بفكره وقبلها ؛ لأن قوله { خذ العفو } يدل على أأحمال)احتمال) [احتمال] الشرور وستر كثير من قبائح الأمور لما في الأناة الحلم وحسن التدبير من المعونة والسلامة والبركة والخير الكثير ، ثم قال { وأمر بالعرف } فدل على الأمر بالخيرات والزجر عن جميع القبائح المنكرات ، ثم قال { وأعرض عن الجاهلين } فدل بذلك على ألطف المواعظ كلها وهي الهجرة الجميلة لسفهاء البرية وسفلها عند الأعراض والترك لجدالها ومكاألبتها والتشاغل بها ومجالستها ، فانظر وا أما في هذه الكلمات من الحكمة وحسن التدبير والبركات والسلامة من القبائح والشنع المهلكات نبحمد الله على ما علمنا من كتابه ونشكره على هدايته وآدابه انتهى .

قال في [المصابيح]: وعن جعفر بن الصادق عليه السلام أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آيةه أجمع لمكارم الأخلاق منها انتهى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٢٣/٢)

/خ$$!" ètGTM$$sùدء tR"÷ط O±9$#›s"`ا Bد`tƒ z\"Zxîu¨ڑپ ur(خB¨$ ¼R¯çm(خ ى‹دyJTM يOڈخ=tو اثقةب (١)

---

(١) . { $¨Bخ)ur ڑپ¨uîxZ"\z ƒt`دB ا`"s‹#$9±O ط÷"Rt دsù$$TMGtè "!$$خ/ ¼R¯çm(خ ى‹دyJTM يOڈخ=tو اثقةب } :

{ وإما } أصله (وإن ما) وهي (أن) الشرطية اتصلت بها (ما) صلة للكلام فأدغمت النون في الميم .

والنزغ من الشيطان تحريك الشر أو محاولة تحريكه قال { من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين أإخوتي } .

وفي تفسير الأمام زيدن بن علي عليهما السلام: { وإإما ينزعغنك من الشيطان نزغ } معناه يستخفنك منه خفة مخفية عجلته ، ونزغ الشيطان الإفساد بين الناس انتهى ، ونحوه في [الصحاح] وقوله تعالى { { فاستعذ بالله } } أي توصل إلى إعاذته عاذته لك كما مر في { قال موسى لقومه استعينوا بالله } ومن الإستعانة بالله طلب الإعاذة ، ومن التوسل إلى إعاذة الله الإيمان والتوكل لقوله تعالى { { إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون } .

ومعنى طلب الإأعاذه طلبت الأنحاء الإنجاء للعائذ بالله ، والعائذ: اللاجيء ، فمعنى: أعوذ بالله ألجأ

إلى الله لينجيني من الشيطان إأن الله { سميع } الدعاء { عليم } بمن يستعيذ به.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٢٤/٢)

---

iBد`z ¯sغ"´ح#× ¦tBدkهN (خqs)¨?$# #sŒ#) #$!©%ïڙ (خc
(١) اثةتب oBv|ڑsù Nèd tbrç*خx‹s? #sŒ٢مچO±9$# (#r›s"`ا

---

(١) . { cخ) ڙïد%©!$# (#Œs# #$?¨(sqخ) NهkدBt¦ ×#ح´¯"sغ z`دBi
: { اثةتب oBv|ڑsù Nèd tbrç*خx‹s? #sŒ٢مچO±9$# (#r›s"`ا
طاف به جاءه فمعنى { مسهم طائف } أصابهم طائف أي آت ووارد ؛ لأن الشيطان غير ملازم للمتقين ، وإنما هو عارض يعرض لهم ، وقوله { من الشيطان } لعل (من) للإبتداء فهو بمعنى وسوسة من الشيطان ونزغ منه ، وقوله { تذكروا } أي ذكروا الله في أنفسهم فخافوا عذابه ، وقوله { { فإذا هم مبصرون } } (إذا) هي للمفاجأة لسرعة انتباههم لوسوسة الشيطان وغروره وسرعة حذرهم منه ، أبصروا بعقولهم طريق الصواب ، وقوله { { فإذا هم مبصرون } } جملة إسمية تفيد ثباتهم على إبصار الصواب والحذر من الشيطان ، وهذا لا ينافي وقوع اللم اللمم منهم ؛ ولعل التعبير بمسهم من أجل أنهم ربما وقعوا في المعصية إلا أنهم لا يصرون كما في سورة آل عمران { { والذين إذا فعلوا فاعحشة فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله.. } } .. إلى قوله { { ..ولم يصروا } } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٢٥/٢)

---

w ں x9$# ¢OèOسcؤ ûخ' Jtƒك‰'ktXrهur N(خuq÷z؛gçRكN
%s$٩ںq#) /خ"ù's? 7ptƒ$t؟دgخur Ns9 N(خsŒ# (١) اثةتب ƒم(ڑ|tbrç
(wqs9 $ygtF‹u;tGô_$# (2ں

---

(١) . { Nك‏gçR؛z÷uq‏(خN urهـktXr'‏ك‰Jtƒ'‏خû ؤcس‏¢OèO #$x9 ن w tbrçژإا)مƒ اثةثب } :

وإخوان الشياطين رجع الضمير على الشيطان ضمير الجمع ؛، لأنه اسم جنس عام فكان في معنى الجمع من حيث التعدد في مفهومه { يمدونهم } ، يمدهم الشياطيان في الغي، { في الغي } في الغواية عن طريق الرشد والصواب ، ومعنى يمدونهم [بضم الياء وكسر الميم] أن الشياطين مع إغوائهم يزيدونهم من الغواية فيسترسلون في الغواية { ثم لا يقصرون } عنها بل يستمرون في الغواية ، أما المتقون فهم بخلاف ذلك كله كما مر .

، قال الراغب: وأقصر عنه كف مع القدرة عليه ، .انتهى.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { #sŒ(خN Ns9 urخgدؤt$ƒtp7 ?s'ù"خ/ (#q٩ن$s%‏ ن wqs9 #$_$ygtF‹u;tGô } :

هذا عائد إلى بعض إخوان الشياطين إذا تأخروا نزول آية من الله قالوا في خلال مدة التأخر { لولا اجتبيتها } أي هلا اجتلبت آية وجئت بها ، أو إذا لم تأتهم بآية كما يطلبون لتكذيبهم بآيات الله وزعمهم أنها ليست آيات ويريدون آية كما يقترحون كآية ثمود ، { { قالوا لولا اجتبيتها } } لتأتينا بها .

، قال في [لسان العرب]: واجتباه أي اصطفاه وفي الحدي الحديث: (أنه اجتباه لنفسه) أي اختاره واصطفاه .

، ابن سيده :هـ ، واجتبى الشيء اختاره ، وقوله عز وجل { { وإذا لم تأيتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها } } قال معناه عند ثعلب : جئت بها من نفسك .

، وقال الفراء : معناه هلا اجتبيتها هلا اختلقتها وافتعلتها من قبل نفسك ، وهو في كلام العرب جائز أن يقول لقد اختار لك الشيء واجتباه وارتجله ، وقوله [عز وجل] { { وكذلك يجتبيك ربك } } قال الزجاج : معناه وكذلك يختارك ويصطفيك ، وهو مشتق من جبيت الشيء ، إذا أخلصته لنفسك ، ومنه: جبيت الماء في الحوض ،. قال الأزهري : وجباية الخراج جمعه وتحصيله مأخوذ من هذا ، .انتهى. ، وقال في [الصحاح] : واجتباه أي اصطفاه ، .انتهى.

قلت : الراجح أنهم يقولون { لولا اجتبيتها } أي لولا اصطفيتها ، أي تخيرت آية تعريضا منهم بأنه يفتعلها من تلقاء نفسه ، وهذا يناسبه الجواب .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٢٦/٢)

---

yd"›n1§' #xخ' Bد` (خ>ƒ ¥'nمyrqس# tB$ &r؟¨vكخ (خè% !$yJ¯R@
مجح !$| tء/ `Nà6د B خn/§' "Qqs5 ur'qu÷Hupx rudè‰%Y(د j9
tbqمZدs÷Bم ƒ اثةجب (١)

---

(١) . { @R¯Jy$! %èخ) خكv¨؟r& $Bt #qرyn'¥ ƒ>خ) `دB 'خ §1n
yd"›#x مجح !$| tء/ `Nà6د B خn/§' "Qqs5 ur'qu÷Hupx rudè‰%Y(د j9
tbqمZدs÷Bم ƒ اثةجب } :
لا أصطنع الآيات من تلقاء نفسي { إنما أتبع ما يوحى إلي } فأبلغكم ما أمرت بإبلاغه ، هذا القرآن بصائر { بصائر } آيات تبصرها ودلائل تبصر بها القلوب ، فهي للقلوب بصائر إلى بصائرها إما على طريق التشبيه بالبصائر لقوة البصائر بالقرآن وتنورها به ، أو البصائر الأصلية هي العلوم العشرة والعلوم الحاصلة من القرآن زيادة في البصائر أي في العلوم ، فهي بصائر كالأصلية ، فيكفيكم هذا القرآن آية ، تدل على صدق الرسول ، فهذا كقوله تعالى { { أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون } وقوله تعالى { { وهدى } { أي دلالة على طريق الخير ورحمة ؛ لأنه سبب للنجاة من العذاب ومخرج من الظلمات إلى النور ، وقوله تعالى { { لقوم يؤمنون } { لأنهم الذي يهتدون به ،وينالون الرحمة بسببه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٢٧/٢)

#sŒ(خ ur چكجچè% مu#bنچq# (#$9)àمè sد 9smç ¼ sù$$™GtJ
#qçF)إءRr&ur N٣oه=qxHçqbt 9sèyچ؟è اثةحب (١)

---

(١) . { #Œsخ) ur چكجچè% مu#bنچq#) #$9)àمè sد 9smç ¼ sù$$™GtJ
#qçF)إءRr&ur N٣oه=qxHçqbt 9sèyچ؟è اثةحب } :
وهذا مؤكد لكونه آية بينة من حيث أن مستمعه المنصت له متعرض رحمة لرحمة الله بأن يوفقه للإيمان

ويهديه به للتقوى التي يبلغ بها الجنة .

، قال الشرفي في المصابيح [المصابيح]:، قال في [البرهان] : وهذها الآية نزلت في المأموم خلف الإمام ينصت لقراءته ولا يقرأ وإذا حضر الجمعة أنصت لخطبة الإمام ، ولا يتكلم ، وقيل : إذا تلى عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا ، .انتهى المراد.

والراجح أن الآية عامة ؛ لأن قرئ { قرئ } فعل بعد حرف الشرط فجرى مجرى النكرة في سياق النفي ، ولا وجه لتخصيصها بالرسول ( ) لأن قوله تعالى { قرئ } فعل مغير صيغة مبني للمفعول ، فعم كل قراءة من غير تخصيص لقارئ ، ولا إشكال أن حال تبليغ القرآن يجب استماعه ويحرم الإعراض ، فأما المؤتم ومستمع الخطبة إذا كانت من القرآن يتلوه الخطيب فذلك داخل في عمومها ، وقوله تعالى : { { فاستمعوا له } } أي للقرآن وهو الصوت المتلو فلا حاجة لتقدير فاستمعوا لقراءته ، وقوله تعالى { { وأنصتوا } } أي اسكتوا مع قراءته ، لا تعارضوها بكلام .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٢٨/٢)

چن.ŒE$#ur ڑپ/§' 'خû ڑپا،ےY% tRوoژ| طZpx @nےإ›tbr zurكٹur
جچz #$9ôgyf`Bد #$9ة Aqs)حirك‰ن٩$$خ/ ة1) ur#$Fy¹|A$)

---

(١) . { چن.ŒE$#ur ڑپ/§' 'خû ڑپا،ےY% tRوoژ| طZpx @nےإ›zur } :
هذا الذكر بالقلب لله ولمعاني أسماءه الحسنى { { تضرعا } } تذللا لله تعالى وخيفة منه – أي مخافة – تبعث على الذكر تقربا إلى الله جل جلاله .

{ ur } واذكر ربك { tbrكٹ جچz #$9ôgyf`Bد #$9ة Aqs) } وهذا الذكر باللسان أمر الله به ، وقد قال تعالى { { يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا } } .

قال في [الصحاح] : جهر بالقول رفع به صوته ، .انتهى.

قلت : الصوت قد يكون جهرا يعلن لا يخفى عن أحد ، وقد يكون سرا لا يسمعه من بجنبه ، وقد يكون متوسطا بين الجهر والإسرار ، فدون الجهر يعم السر والمتوسط .

{ حirك‰ن٩$$خ/ ةur#$Fy¹|A$ } :قال في [الصحاح] : والغدو نقيض الرواح ، ثم قال : وقوله تعالى { { بالغدو والآصال } } أي بالغدوات فعبر فعبر بالفعل عن الوقت كما يقال (آتيك طلوع

الشمس) ، وقال : والغدوة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس ، .انتهى.

وفي هذا الوقت وفضل الذكر فيه أحاديث صحيحة مشهورة ، وقال في [الصحاح] أيضا : والأصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب ، .انتهى.
وفي [لسان العرب] : والأصيل العشي ، .انتهى. ، وعلى هذا فهو من بعد الظهر .
، وفي [مصابيح الشرفي] عن البرهان [البرهان]: بالغدو والآلآصال أي بالبواكر والعشيات ، وذكر هذين الوقتين لفضلهما ، .انتهى المراد.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٢٩/٢)

---

wurں `z٣ن ?s`tûد iB،خ#دے"#$t9 اثةخب (١) ¨bخ) tûiد%©!$# Z‰%yدم ڑپخu/n' ںtbrç w ڑةG٩٣t،o" t`ôم ¾دm؟yںٹ$t7دم ¼qRtmçكsخ| m6،çur" ¼مs&!ur ڑcrك‰fà،o") اثةدب (٢) .

---

(١) . { wurں `z٣ن ?s`tûد iB،خ#دے"#$t9 اثةخب } :
الذي لا يذكرون الله إلا قليلا ، والغفلة: ضد التذكر والإنتباه فرجوعه إلى قوله { { واأذكر ربك في نفسك } ظاهر } أما إلى قوله تعالى { { ودون الجهر } } فيؤخذ منه إحضار الذهن عند الذكر باللسان ؛، لأن الذكر باللسان قد يكون مع الغفلة عنه وعن معناه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ¨bخ) tûiد%©!$# Z‰%yدم ڑپخu/n' } أي إن الملائكة المقربين { ں w ڑةG٩٣t،o"tbrç t`ôم ¾دm؟yںٹ$t7دم ¼qRtmçكsخ| m6،çur" ¼مs&!ur ڑcrك‰fà،o") اثةدب } :

قال الشرفي في [المصابيح] في قوله تعالى { لا يستكبرون عن عبادته } : قال في [البرهان] – أي عن التسبيح له : له والصلاة والخضوع ولا يغفلون عن طاعته في أوامره ونواهيه ويستصغرون حالهم في طاعته وعبادته ، ثم قال : ويسبحونه – أأي ينزهونه عما لا يليق به ، { { وله يسجدون } } أي

يخضعون بالعبادة لا يشركون به غيره ، وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين ، .انتهى.
قلت : وهو تذكير للبشر بمن هو في الدين فوقهم في الدين ، فوق المعهود من الناس ؛ لأن من الحكمة أن ينظر الإنسان إلى من فوقه في الدين ليستصغر عمله ويستقله ، وفي قوله تعالى { { وله يسجدون } } حصر ، فدل على أن السجود هناهو هنا هو الخضوع بالعبادة ، فهم يعبدون الله وحده لا يشركون به ، وبالله التوفيق .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

… … … … … … … …

جاهز
ijk
يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول (١) فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين (١) (٢)

---

(١) . … … … … تفسير سورة الأنفال وهي مدنية
{ بسم الله الرحمن الرحيم tRqè=tv"o،" عن الأنفال } :
الأنفال هنا هي الغنائم ، والسائلون فيما يفيده السياق هم من الذين مع رسول الله ، أي يسألونك يا محمد عن حكم الغنائم لمن هي ، ولعل سبب السؤال اختلافهم فيها .
{ قل الأنفال لله والرسول } :
فالغنائم يجب تسليمها إلى رسول الله لأنها لله وله ، وحسبها عنه غلول ، وهذا لا ينافي أنهم يملكون أربعة أخماس الغنيمة حين يقسمها الرسول فيهم كما أن أهل الخمس يملكونه حين يعطيهم .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين (١) } :

فاتقوا الله أي اتقوا الله بطاعته في شأن الأنفال وغيرها ، وهو أيضا توطئة لبقية الآية { وأصلحوا ذات بينكم } باستعمال أسباب صلاح ذات البين من التزام العدل والإحسان واجتناب الإساءة بينكم وتلافي ما فرط من إساءة باستحلال المظلوم والتخلص من ظلامته وتطييب نفسه ، وذات البين من التزام العدل والإحسان واجتناب الإساءة بينكم وتلافي ما فرط من إساءة باستحلال المظلوم والتخلص من ظلامته وتطييب نفسه ، وذات البين: هي العلاقة والحالة التي بين المؤمنين ، وإصلاحها يكون كما ذكرت بالعدل والإحسان ومن ذلك الكلمة الطيبة وترك الإنقباض والحمل على السلامة ، ومن أعظم فساد ذات البين ظن السوء والأوهام المنفرده والغيبة والنميمة والإحتقار والسخريه وغير ذلك مما نهى الله عنه في سورة الحجرات ، وقوله تعالى { وأطيعوا الله ورسوله } أي في شأن الغنائم وغيرها ، وهو قائم مقام جواب الشرط في قوله تعالى { إن كنتم مؤمنين } أي إن كنتم مؤمنين أطعتم الله ورسوله ؛ لأن طاعة الله ورسوله من صفات المؤمنين المميزة لهم عن غيرهم كما في قوله تعالى { والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.. } إلى قوله تعالى { ..ويطيعون الله ورسوله } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٣٢/٢)

إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون (١) (٢)

---

(١) . { إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم } :

أي خافت لتذكرها عند ذكره ما يوقع الخوف فيها ؛ لأن الإيمان بالله واليوم الأخر راسخ في القلوب والإيمان بالرجوع إليه يوم القيامة والسؤال والحساب والجزاء على الأعمال والإيمان بعلم الله تعالى بكل ما يفعل العبد وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فذكر الله يسبب خوفا أسبابه في النفس إنما يذهب عند الغفلة فإذا ارتفعت الغفلة وقع الخوف .

{ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا } :

أي إذا تليت عليهم ءايات الله التي هي ءايات القرآن زادتهم إيمانا ؛ لأن القرآن وما فيه من الآيات أعظم أسباب الإيمان لدلالته على رسالة الرسول وعلى اليوم الأخر وما فيه من الثواب والعقاب فسماعه عند تلاوته عليهم يزيدهم إيمانا إلى إيمانهم السابق .

{ وعلى ربهم يتوكلون (٢) } :

أي على ربهم وحده يتكلون في إصلاح أمرهم ؛ لأنهم يعلمون أن ما كتبه الله لهم نالهم أو نالوه وأنهم لا يعدوهم ما كتب لهم ولا يعدون ما كتب لهم ، والإتكال على الله هو في طاعته فيمتثلون أمر الله لا يمنعهم خوف من عدو أو خوف من فقر أو نحو ذلك ، ويجتنبون ما نهى عنه لا يعصونه لخوف فقر أو غيره مما يخوفهم الشيطان ، وليس معنى هذا أن الأعذار الشرعية لا تسقط التكليف إنما المراد ما ليس عذرا شرعيا لا يمنعهم من طاعة الله ؛ لأنهم يطيعون الله ويكلون إليه أمرهم فيما يحتمل وقوعه في المستقبل ؛ ولهذا يجاهدون في سبيل الله من دون أن يضمن للواحد منهم السلامة من القتل ومن دون أن يضمن لهم أن يغلبوا العدو على كل حال .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) (١) أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم (٤) (٢)

---

(١) . { الذين يقيمون الصلاة } :
وإقامة الصلوة من مميزات المؤمن عن غيره ، وإقامتها إحياؤها بفعلها كاملة بفروضها جامعة لشروطها كما أمر الله والمحافظة عليها في أوقاتها ، ولا يبعد أن من إقامتها الأذان لها والإقامة والجماعة حيث لا عذر وذلك في حق الرجال ، وقد تكرر في القرآن الدلالة على أن إقامة الصلاة من صفات المؤمن.
{ ومما رزقناهم ينفقون (٣) } :
مما رزقناهم: مما أعطيناهم ينفقون فيما أمروا بأن ينفقوا فيه كالجهاد في سبيل الله والزكاة وسائر وجوه الإنفاق الواجب .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { أولئك } أي أهل الصفات المذكورة { هم المؤمنون حقا } :

أما غيرهم فليس بمؤمن وأن ادعى الإيمان كالمنافقين والذين في قلوبهم مرض والأعراب الذين ادعو

الإيمان ولما يدخل الإيمان في قلوبهم وكل من لم تحصل فيه هذه الصفات ؛ لأنها جاءت لبيان المؤمنين حقا بعد قوله تعالى { وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين } كما جاءت آية التوبة في صفات المؤمنين وهي قوله تعالى { والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض } للتمييز بينهم وبين المنافقين ، وجاءت آية الحجرات في صفة المؤمنين في الرد على الأعراب لدعواهم الإيمان ، وجاءت في سورة النساء { فلا وربك لا يؤمنون.. } الآية في الرد على الذين يزعمون أنهم آمنوا وهم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، فكل ذلك يدل على أن هذا حكم الله في الفرق بين المؤمن حقا والمدعي للإيمان دعوى كما لا يخفى على من تفهم القرآن .

{ لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم (٤) } :

{ درجات } : رفع لقدرهم وتشريف وكأن ذلك قدم ؛ لأنه من أعظم المرغبات عند أهل الهمم العالية والنفوس الرفيعة ، ومغفرة: فهم ناجون من العقاب وهذه الفائدة المهمة فذكرها من الترقي من مرغب إلى أعظم منه في الترغيب ، وقوله تعالى { ورزق كريم } يفيد رزقهم في الدنيا وفي الجنة ، ووصف بالكرم لسلامته عما قد يقترن به الرزق في الدنيا من الهوان بسبب الحاجة إلى الرزق ؛ ولاقترانه في الآخرة بالتكريم للمؤمن وإعلامه أنه جزاء بما صبر في الدنيا وبما عمل وعلى هذا فوصفه بالكرم ؛ لأنه يتجلى فيه كرم الرازق ويعبر عن كرم المرزوق { إن أكرمكم عند الله أتقاكم } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٣٤/٢)

كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون (٥) (١)

---

(١) . { كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون (٥) } :

جعل الله الأنفال لله والرسول وصادف ذلك كراهة فريق من المؤمنين لنزعها منهم وجعلها لله والرسول وذلك يشبه إخراج الله لك يا محمد من بيتك للقتال خارج المدينة المنورة في أحد إخراجه لك بالحق ، فهذا بالحق وذاك بالحق المشبه والمشبه به وإن كان كل منهما مع كراهة فريق من المؤمنين .

قال الشرفي في [المصابيح] :قال الهادي عليه السلام هذا إخبار من الله تبارك وتعالى بما كان من خيرته لنبيه في خروجه إلى أحد وتبرزه عن المدينة حتى كانت الحرب بأحد ولم يكن على أبواب المدينة فكان ذلك خيرة من الله لنبيه ، فأما قوله { وإن فريقا من المؤمنين لكارهون } فقد كان رسول الله

شاورهم أين يكون قتالهم ، أيرون أن نثبت حتى يأتون المدينة فنقاتلهم على دروبها أو نخرج فنقاتلهم ناحية منها فأشروا عليه بالقتال في المدينة فأطاعهم ثم بدا لهم فأشاروا بالخروج فأطاعهم فدخل منزله ولبس لأمته ثم ركب وخرج فلما خرج قالوا: يا رسول الله ارجع على الرأي الأول إلى القتال على أبواب المدينة نثبت لهم حتى يأتونا إلى أهلنا فقال ما كان للنبي إذا لبس لامته . يعني درعه . أن يفسخها حتى يقاتل ، ومضى نحو أحد فكرهوا ذلك وجادلوه فيه وثقل عليهم الخروج إلى قريش ورجع من الطريق عبد الله أبن أبي الأنصاري في ثلاث مائة ، ومضى رسول الله وباقي الناس وفيهم من الهيبة والفرق ما قال الله عز و جل { كأنما يسأقون إلى الموت وهم ينظرون } من لقاء القوم وحاربوهم وكان من الأمر ما كان انتهى .

وقوله تعالى { وإن فريقا } قال في لسان العرب والفريق: الطائفة من الشيء المتفرق انتهى .

قلت: هي طائفة مفارقة مثل { فريق في الجنة وفريق في السعير } ومثل { فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٣٥/٢)

يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون (٦) (١)

---

(١) . { يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون (٦) } :

{ يجادلونك } : أي الفريق المذكور يجادلونك { في الحق } في الخروج للقاء العدو ليفتلوك عنه إلى البقاء في المدينة ليكون القتال على أبوابها { بعد ما تبين لهم } الحق أنه الخروج بأمر رسول الله حيث أفاد أنه لابد منه فهم في جدالهم كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون مع أنهم قد وعدوا بالنصر إن أطاعوا الله ورسوله فلا موجب للجدال ، وقوله { وهم ينظرون } أي ينظرون محل الموت وما أعد فيه لإماتتهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٣٦/٢)

وإذ يعدكم الله إحدى بûtGx÷üـےح !$©.٩$# أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين (٧) (١)

---

(١) . { وإذ يعدكم الله إحدى بûtGx÷üـےح !$©.٩$# أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين (٧) } :
{ وإذ يعدكم الله } قبل القتال في بدر { إحدى الطائفتين } من العدو إما العير وإما النفير ، والعير كانوا راجعين من الشام بمال تجارة كثير على العير أي الإبل ، والنفير عسكر قريش الذين نفروا من مكة للدفاع عن العير .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال الهادي عليه السلام إحدى الطائفتين فهم عسكر قريش الذي لقي النبي ببدر ، والطائفة الأخرى فهي العير التي أقبلت من الشام إلى مكة تحمل الطعام ، فلما أن وعدهم أن يظفروا بأحدهما أحب المسلمون وودوا أن تكون طائفة العير و الطعام الذي ليس فيها إلا الحاملين الذين لا يحاربون ولا يدافعون عنها ولا شوكة فيها ، وأشفقوا طائفة العسكر الجيش الذي فيه السلاح والخيل فأحبوا أن يلقوا غير هذه الطائفة فيكون أهون عليهم في المعاناة وأسلم لهم ، وكان الله يريد غير ذلك من إذلال العسكر ومن فيه وقتل أعداء نبيه وإظهار النصرة على عدوه وإحقاق الحق وإبطال الباطل انتهى .

قال الشرفي رحمه الله: وعبارة البرهان في معنى { وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم } أي غير ذات الحرب وهي العير لأن نفوسهم في لقائها أسكن ، وهم إلى ما فيها من الأموال أحوج ، وفي الشوكة التي كنى بها عن الحرب وجهان:

أحدهما: السد د (الشدة) ويكنى بها عن الحرب لما فيها من الشدة .

الثاني: أنها السلاح وشاك السلاح ، فكنى بها عن الحرب لما فيها من السلاح انتهى المراد .

وظاهر كلام الهادي عليه السلام أن الشوكة السلاح ، وقد حكى الشرفي عن الحسين بن القاسم عليهما السلام أن الشوكة هي الحد وهذا مأخوذ من الشوكة وحدها ، وهو موافق لكلام الهادي عليه السلام .

وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام معناه غير ذات الحدة انتهى هكذا في المطبوعة ، والذي في المخطوطة بدون هاء أي تاء التأنيث ؛ فلعل الأصل: غير ذات الحد .

وفي لسان العرب : والشوكة شدة البأس ، والحد في السلاح ، ثم قال: وفي التنزيل { وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم } قيل: معناه حد السلاح ، وقيل : شدة الكفاح ، انتهى .

ولم يذكر في الصحاح إلا المعنى الحقيقي فقال: الشوكة واحد الشوك ، وشجر شائك أي ذو شوك .. إلى قوله ..وشوكة العقرب إبرتها فالراجح أن الشوكة هي السلاح ، وتستعمل بمعنى القوة بالسلاح ،

ولازم خوف السلاح خوف الحرب بالسلاح ، فصح تفسير خوف الشوكة بخوف الحرب على هذا المعنى ، وقوله تعالى { ويريد الله أن يحق الحق } أي يثبت الحق ويقره في الأرض { بكلماته } و هيء آيات الكتاب وما أوحاه إلى نبيه { ويقطع دابر الكافرين } بكلماته المحاولين لإبطالهما بالقوة والشوكة ، وقطع الدبر كناية عن الهلاك الذي لا يبقي منهم كافرا وذلك بإذلال ذات الشوكة وقتل بعضهم أولا ثم بفتح مكة آخرا وبما بينهما من قتل الكفار ، والمراد ويقطع دابرهم أي الطائفتين لكفرهم فأقيم الظاهر مقام المضمر .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (٨) (١) إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين (٩) (٢)

---

(١) . { ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (٨) } :

ليحق الحق ليثبت الحق في الأرض ، أي يقطع دابر الكافرين ليحق الحق { ويبطل الباطل } أي يزهقه ويذهبه ، ويحتمل يحق الحق: يقضى فيه بما يليق به ؛ لأنه الحق { ويبطل الباطل } يقضي فيه بما يليق به من حيث أنه الباطل أي قضى قضاء جعل به الحق حقا وجعل الباطل باطلا ، وهو جعل الحكم التكويني بنصر الحق وإذلال الباطل ، وقوله تعالى { ولوكره المجرمون } أي أنه أمر غالب قاهر للمجرمين المذنبون لا يستطيعون رده لأجل كراهتهم له ، والمجرمون المذنبون والمراد به هنا أعداء رسول الله ونصره عليهم يوم بدر وبعده .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { إذ تستغيثون ربكم } :

اذكر إذ تستغيثون أي ببدر تطلبون ربكم أن يغيثكم يدفع العدو وينقذكم من بأسه بنصركم عليه .

{ فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين (٩) } :

ممدكم بألف: جاعل لكم مددا أي زيارة في الجند من الملائكة { مردفين } بآخرين من الملائكة فعلى قراءة فتح الدال متبعين بلا تراخ ، وعلى قراءة كسر الدال مردفين لآخرين أي جاعلين لهم رادفين لهم

من غير الألف المذكور ، ولو كان المراد ترادف الألف بعضه لبعض لقيل مترادفين .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٣٨/٢)

وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم (١٠) (١)

---

(١) . { وما جعله الله إلا بشرى } :
أي الإمداد بالملائكة ما جعله الله إلا بشرى لكم تستبشرون به وينكشف عنكم الغم من كثرة الأعداء وقوتهم مع قتلهم وقلة عدتكم .
{ ولتطمئن به قلوبكم } : يذهب عن قلوبكم القلق والإضطراب بهذا الإمداد .
{ وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم (١٠) } :
من عند الله لا من وجود الملائكة فيكم أو لا من الملائكة ؛ لأن الله تعالى هو الذي يلقى في قلوب الذين كفروا الرعب ويربط على قلوبهم المؤمنين ويهيئ أسباب انتصار المؤمنين بعلمه وقدرته وبعزته وحكمته ؛ لأن من العزة نصر دينه ومن الحكمة أيضا نصر دينه مع ابتلاء المؤمنين بالجهاد وصبرهم عليه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٣٩/٢)

إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام (١١) (١)

---

(١) . { إذ يغشيكم النعاس أمنة منه } :
في هذه الآية ذكر بعض أسباب النصر فمنها: أن الله تعالى أغشاهم النعاس أي أرسله عليهم ، والنعاس نوم قليل متقطع ؛ لأنه يتخلله انتباه { أمنة } أمانا من الله ، فجعل النعاس أمانا لهم ، وانتصاب أمنة

على الحال ، أي حال كون النعاس أمنة كائنة من الله أي سببا منه لأمان في قلوبكم .
{ وينزل عليكم من السماء ماء } مطرا لأربع فوائد:
الأولى : أفادها قوله تعالى: { ليطهركم به } من النجاسات ومن الجنابة إن كانت وبالوضوء وينظفكم به من أثر السفر لما يكون فيه من العرق والغبار .
{ ويذهب عنكم رجز الشيطان } :
وهذه الفائدة الثانية: إذهاب وسواس الشيطان القذر ؛ لما فيه من التخويف من العدو وسبقهم إلى الماء ، والتذكير بقوة العدو وقتلتكم مع أنه كان العدو سبق إلى الماء قبل نزول المطر .
{
وليربط على قلوبكم } :
يشجعكم ويمنع قلوبكم من أن تضطرب وذلك لثقتكم بالماء للشرب وغيره و استغنائكم عن الماء الذي كان الكفار قد سبقوا إليه ، وهذا الفائدة الثالثة ؛ ولعل في برد المطر سببا للإحساس بالقوة والنشاط وزوال التعب فيكون بذلك من التشجيع .
{ ويثبت به الأقدام (١١) } :
أي يثبت بالماء النازل عليكم أقدامكم ، وثبات الأقدام يحتاجه المقاتلون ؛ لأن من زلت قدمه ضعف وكان ذلك فرصة للعدو فأما إذا سقط فذلك أشد عليه ، وانظر الدعاء بثبات الأقدام في سورة البقرة وسورة آل عمران ، وهذه الفائدة الرابعة من فوائد ذلك المطر .
وفي مصابيح الشرفي رحمه الله عن الحسين بن القاسم عليهما السلام أنه قال في تثبيت الأقدام: وذلك أن المطر إذا وقع بالأرض اللينة اشتدت والتأم بعضها إلى بعض وقويت واستمسكت بها الحوافر والأقدام ، انتهى المراد.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٤٠/٢)

إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان (١٢) (١)

---

(١) . { إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا } :
{ أني معكم } : في إعانة المؤمنين ليعلم الملائكة فضل ذلك العمل ، وأن يقربهم إلى الله { فثبتوا

الذين آمنوا } للتثبيت طريقتان:
الأولى: تثبيتهم بالتشجيع ليثبتوا في مواقعهم ولا يرجعوا عن القتال .
الثانية: إمساك المقاتل ليبقى قائما لا يسقط مع مصاولة العدو ، وهذا تثبيته بتثبيت قدمه وإمساكه قائما
.
{ سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب } :
بشرى للملائكة بنصر المؤمنين ، والرعب: قال في لسان العرب: الرعب والرعب الفزع والخوف ، انتهى المراد .
وقال تعالى: { سألقي } وفي سورة الحشر { وقذف في قلوبهم الرعب } وذلك تصوير للرعب كأنه جسم يلقى ويقذف في القلب وذلك لإفادة سهولته على الله أو لإفادة شغل قلوبهم به .
{ فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان (١٢) } :

أي قد أمكن الله منهم بتثبيت المؤمنين وإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا ، فهيأ لكم أن تضربوا فوق الأعناق ، وفوق العنق: هو المفصل بينه وبين الجمجمة ، وفي هذا تعليم للمجاهد ليتحرى ذلك المفصل فهو أيسر لقطع الرأس ، وهيأ لكم أن تضربوا من الكفار كل بنان ، وهذا يتفق مع فشلهم واتقائهم للسيوف بأيديهم بغير روية فتقطع بنانهم ، والأمر هنا فاضربوا واضربوا عبارة عن تسليط المؤمنين على الكفار وإغرائهم بضربهم بالسيوف ؛ وذلك لأن هذا الأمر واقع في حكاية قصة المعركة ، والخطاب هنا راجع إلى النبي لذكره في أول الآية أي أنت ومن معك ، وهذا هو المناسب لتفريع فاضربوا على تثبيت الذين آمنوا وإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا ، ولو كان الأمر للملائكة ما تفرع على ذلك ، وقد قالوا في تفسير قول الله تعالى { قد أصبتم مثليها } قتل المؤمنين للكفار في بدر سبعين منهم ، ولو كان الملائكة أمروا بضرب فوق الأعناق ما أبقوا أحدا إلا ضربوا فوق عنقه ؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم وذلك يستلزم أن المؤمنين لم يقتلوا السبعين من الكفار ، فظهر أن الخطاب بقوله تعالى { فاضربوا } للنبي ومن معه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٤١/٢)

ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب (١٣) (١)

---

(١) . { ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب (١٣) } :
ذلك المذكور في الآية قبل هذه بأنهم أي الكفار شاقوا الله ورسوله:عادوا الله ورسوله وباينوه ، وقد دل على أن محاربة دين الله محاربة لله كما أن نصر دين الله نصر لله ، وذكر الرسول هنا في الموضعين لتأكيد الزجر عن معاداته والدلالة على أنها سبب للعقاب ، وفي الحشر { ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب } للدلالة على أن العقاب على مشاقة الرسول ( ) بسبب أنها مشاقة لله تعالى فقام قوله { ومن يشاقق الله فإن الله شديد العقاب } مقام قوله ومن يشاق الله ورسوله فإن ...إلخ ، وقام قوله تعالى { فإن الله شديد العقاب } مقام قوله يعاقبه عقابا شديدا ، وفي قوله تعالى { فإن الله شديد العقاب } تأكيد شديد من حيث دل على أن ذلك صفة له وأن { شديد العقاب } اسم من أسمائه الحسنى ؛ وذلك لأنه من شأنه لعزته وحكمته بدليل قوله تعالى {كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما } وعلى هذا فقد أعد للمشاقين عذاب النار مع ما أصابهم ببدر وفي ذلك قوله تعالى :كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٤٢/٢)

ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار (١٤) (١) يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار (١٥) (٢)

---

(١) . { ذلكم } الخطاب للكفار { فذوقوه } الأمر ذلكم { فذوقوه } فأنتم مستحقون له بما أجرمتم وهذا تعبير غضب من الله عليهم ، ودلالة على أنه يريد ذلك فيهم لاستحقاقهم له ، وهو تصوير لحالهم في المعركة من حيث هم في حالها في غضب الله وعذابه بأيدي المؤمنين ، والأمر هنا كالأمر في قوله تعالى { فاضربوا } .
{ وأن للكافرين عذاب النار (١٤) } :
عطف على ذلكم ، أي أمركم ذلكم { وأن للكافرين عذاب النار } كلهم وأنتم منهم ، فكأنه قيل: أمركم ذلكم وأن لكم عذاب النار .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار (١٥) } :

قال الشرفي رحمه الله في المصابيح: والزحف الدنو قليلا قليلا ، وهو الجيش يرى لكثرته ، كأنه يزحف أي يدب من زحف الصبي على إسته دب ، انتهى.

وكأنه حكاية عن الزجاج ، ونحوه في لسان العرب ، بعضه عن الزجاج وبعضه عن الأزهري ، فالمعنى: إذا لقيتم الذين كفروا حال كونهم جيشا زاحفا إليكم متقدما إليكم لقتالكم فلا تفروا ، وقوله تعالى { فلا تولوهم الأدبار } الأدبار: كناية عن النهي عن الفرار ، فلا تولوهم فلا تجعلوا أدباركم إليهم متجهة إليهم ، مثل { فول وجهك شطر المسجد الحرام } والأدبار: جمع دبر ، وهو القفا أي الخلف ، قال الراغب: دبر الشيء خلاف القبل وكني بهما عن العضوين المخصوصين ، انتهى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٤٣/٢)

ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير (١٦) (١)

---

(١) . { ومن يولهم يومئذ } أي يوم لقاء الكفار زحفا يولهم { دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير (١٦) } :

متحرفا: عن المكان الذي لقي الكفار فيه إلى مكان آخر { لقتال } أي ليقاتل في طرف آخر ، وذلك لأن المكان الآخر أنسب له للقتال { أو متحيزا } منظما إلى فئة ليقاتل معهم ، قال الراغب: والفئة الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد ، قال: إذا لقيتم فئة ، انتهى المراد.

وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام لقوله الله تعالى { كم من فئة قليلة .. } الآية فالفئة الجماعة ، انتهى المراد.

وفي الكشاف: إلى فئة إلى جماعة أخرى من المسلمين ، انتهى المراد ، وكذلك قال في تفسير قوله تعالى { إذا لقيتم فئة } إذا حاربتم جماعة من الكفار ، انتهى { فقد باء بغضب } رجع متحملا غضبا من الله عليه ، باء مغضوبا عليه ومأواه ومصيره الذي ينضم إليه جهنم وبئس المصير ، وتعريف المأوى يفيد أن لا مأوى له غيره ، فهو يفيد الخلود في جهنم وهذا وعيد للمسلم إذا فر من الزحف .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم (١) وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى (٢)

---

(١). { فلم تقتلوهم } ببدر { ولكن الله قتلهم } :
أي لم تقتلوهم بقوتكم ؛ لأنكم كنتم قليلا ، وعدتكم دون عدتهم ، فلولا الله هيأ لكم أسباب القتل لهم لما قتلتموهم ، فالله قتلهم بأيديكم ، كقوله تعالى { يعذبهم الله بأيديكم } فالنفي في قوله تعالى { فلم تقتلوهم } مجاز كقول الشاعر :
ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢). { وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى } :
{ إذ رميت } الحصباء إلى وجوه العدو فكان لها الأثر العظيم في هزيمتهم ، فالرمية كلا رمية بالنسبة إلى العادة ، ولكن الله جعلها سببا لما حصل منها من الأثر في الكفار ، فكانت رمية شديدة بصنع الله فيها ، فالنفي مجاز كما في { فلم تقتلوهم } وهو هنا أوضح ؛ لأن الله قد قال { إذ رميت } فأثبتها ولا تناقض لاختلاف معنى النفي والإثبات كقول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت
ولعل ما ذكرت في تفسير { ما رميت } هو مراد القاسم عليه السلام حيث قال كما حكاه الشرفي في المصابيح: معناه ما رميت في قلوبهم بالرعب ولكن الله رمى به في قلوبهم ، أي أن الرعب الذي كان عندما رميت الحصباء لم يكن أثرا عاديا وإنما هو صنع الله في الرمية جعلها سببا ، فالنفي والإثبات اختلف معناهما .
قال الشرفي : وقال ولده محمد بن القاسم عليه السلام : أن رسول الله رمى في وجوههم بكف من حصى ففرق الله ذلك التراب حتى أصاب أعيانهم ، وكان ذلك من الله عز وجل ، انتهى.
وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: معناه أن الله هو الذي أيدك ونصرك ، انتهى ، وهذا مثل تفسير الإمام القاسم ذكر فيه حاصل المعنى .
وقال الشرفي في [المصابيح] : قال المرتضى عليه السلام : فكان هذا إخبار من الله عز وجل لنبيه [و] للمؤمنين بما كان من نعمته عليهم في تكثير قبضة الحصي التي رمى بها رسول الله حتى انتشرت

تلك القبضة وكثرت فوقعت في أعين جميع أهل الكفر ، فعمتهم علىكثرتهم ، وتباعد بعضهم من بعض ، فلم يبق منهم رجل بعد ولا قرب حتى ملت تلك القبضة عينيه ، فوقع الرعب عند وقوعها بهم في قلوبهم فظفر المؤمنون عند ذلك بأعداء الله فكانت هذه الرمية من محمد والتكثير لها مع إيقاعها في أعينهم سببا كان من الله سبحانه أذل به الكفر والطغيان وأعز به أهل الفضل والإيمان ، ولم يكن لينال محمد بالقبضة التي رمى بها ما نال إلا بفضل الله وتأييده الذي جعله في قبضته التراب حتى بلغت من النكاية لأعداء الله ما كان سببا لهلاكهم فالحمد لله المعز لأوليائه أهل الحمد والتحميد والتوحيد حمد من آمن به واتقاه وآثر في الأمور كلها رضاه ، انتهى.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٤٥/٢)

وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم (١٧) (١)

---

(١) . { وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا } :
في [لسان العرب] : ويقال أبلاه الله يبليه إبلاء حسنا إذا صنع به صنعا جميلا ، وبلاه الله وابتلاه اختبره ، ثم قال : قال القتيبي : يقال من الخير أبليته إبلاء ، ومن الشر بلوته أبلوه بلاء ، قال: [أي القتيبي] والمعروف أن الإبتلاء يكون في الخير والشر معا من غير فرق بين فعليهما ، ومنه قوله تعالى { ونبلوكم بالشر والخير فتنة } انتهى.
قلت : الراجح أن المتعدي بالهمزة خاص بالخير بمعنى الإنعام ، وغير المتعدي بها مشترك بين الخير والشر بمعنى الإختبار ، قال في لسان العرب: قال ابن بري: والبلاء الإنعام ، قال الله تعالى { وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين } أي إنعام بين ، وفي الحديث: (من أبلي فذكر فقد شكر) الإبلاء: الإنعام والإحسان ، يقال: بلوت الرجل وأبليت عنده بلاء حسنا ، وفي حديث كعب بن مالك: (ما علمت أحدا أبلاه الله أحسن مما أبلاني) والبلاء الإسم ممدود ، يقال : أبلاه الله بلاء حسنا وأبليته معروفا .
قال زهير :

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم ... وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

أي صنع بهما خير الصنع الذي يبلو به عباده ، انتهى المراد ، فالمعنى وليعطي المؤمنين عطاء حسنا أو

نحو ذلك .

{ إن الله سميع عليم (١٧) } : فقد سمع استغاثتهم وعلم صبرهم وصدق نياتهم وأنهم أهل للإبلاء الحسن .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٤٦/٢)

ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين (١٨) (١)

---

(١) . { ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين (١٨) } :

أمركم ذلكم البلاء الحسن والنصر على أعدائكم { وأن الله موهن كيد الكافرين } موهن: الوهن ضد الصلابة ، وكيد الكافرين: ما يعلمونه ضد الإسلام والمسلمين من الإحتيال لقهر المسلمين وإبطال الإسلام فأمر المسلمين البلاء الحسن بنصرهم ، وأمرهم أيضا توهين كيد الكافرين ، ويحتمل الأمر نصر أولياء الله وإيهان أعداء الله فإيهان أعداء الله الكفار مقصود مستقل ، وهذا أظهر ، فقوله تعالى { ذلكم } أي الأمر والشان ذلكم البلاء الحسن أن الله بقدرته وحكمته موهن كيد الكافرين لكفرهم ؛ليطهر الأرض من فسادهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٤٧/٢)

إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين (١٩) (١)

---

(١) . { إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح } :

خطاب للكفار يروى أنهم دعوا الله أن يحكم بينهم وبين المؤمنين إن تطلبوا الفتح فقد جاءكم الفتح القضاء الذي هو إعزاز المؤمنين وإذلالكم .

{ وإن تنتهوا } عن محاربة الرسول والمؤمنين { فهو خير لكم } لأنهم منصورون وأنتم مخذولون { وإن تعودوا } لقتالهم { نعد } لنصرهم وخذلانكم .
{ ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت } :
{ فئتكم } : جماعتكم { ولو كثرت } ، لن تغني عنكم شيئا: لن تكفيكم بأس المؤمنين المنصورين أي لن تدفع عنكم شيئا.
{ وأن الله مع المؤمنين (١٩) } ولأن الله مع المؤمنين فهو ناصرهم ومذل من حاربهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٤٨/٢)

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون (٢٠) (١) ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون (٢١) (٢)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون (٢٠) } :
{ ولا تولوا عنه } عن الرسول { وأنتم تسمعون } أمر الله بطاعته واتباعه وتسمعون القرآن الذي أنزله الله عليه مصدقا له وتسمعون ما وعظكم الله به في كتابه ، وهذا تأكيد لوجوب اتباع الرسول ليأتمروا بأمره في كل شيء من الجهاد وغيره والتأكيد ؛ لأن بعض التكاليف شاقة يحتاجون ليطيعوا ويصبروا عليها إلى تأكيد في الحث عليها ومبالغة ، وكان كثير ممن قد أسلم مظنة المخالفة بمثل ما وقع منهم يوم أحد ، وما وقع من بعضهم من التخلف عن الجهاد .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون (٢١) } :

لا تكونوا كالمنافقين الذين زعموا أنهم يطيعون الله ورسوله { وهم لا يسمعون } لا يقبلون كلام الرسول وإنما هم مراءون ، فهذه الآية كقوله تعالى { ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٤٩/٢)

---

* إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون (٢٢) (١) ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون (٢٣) (٢)

---

(١) . { * إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون (٢٢) } :
وهم المخذولون الذين لا تنفع فيهم الآيات والنذر فكأنهم صم لكراهتهم سماع الحق وإعراضهم بقلوبهم عنه ، والبكم تشبيه بالذين لا يستطيعون النطق ، فقد شبه المنافقين بهم في سورة البقرة وذلك لكراهتهم النطق بالحق كأنهم لا يستطيعون الكلام وإنما أظهروا الإسلام فقالوا سمعنا خوفا من الرسول ثم قال: الذين لا يعقلون ؛ لأنهم أهملوا عقولهم وتركوا النظر والتفكر والتدبر لآيات الله فكأنهم لا يعقلون ، فهم شر الدواب { إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم } :

بأن لطف بهم وهداهم لاستماع أمر الله ورسوله ، والخير هنا حسن النية ولكنهم لا ينوون الخير ولا يريدونه { ur } لذلك }
qs9 أسمعهم لتولوا وهم معرضون (٢٣) } : وهذا يدل على أنهم قد بلغوا في البعد امتثال أمر الله ورسوله إلى حد لا يطيعون ولو سمعوا ما يقول لإعراض قلوبهم عنه وكراهتهم له .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٥٠/٢)

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم (١)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم } :
أجيبوا دعوة الرسول أجابة امتثال وطاعة وقبول لدعوته بالعمل لا مجرد القول ، وقوله تعالى { وللرسول } لأن الإستجابه للرسول إستجابة لله { من يطع الرسول فقد أطاع الله } وقوله { إذا دعاكم } إذا : هي

ظرفية بمعنى حين يدعوكم أي أنه يدعوكم لما يحييكم فسارعوا إلى إجابته ولا تتأخروا فحين يدعوكم أجيبوا فورا ، وحياة الأفراد حياة القلوب التي تحصل بالإيمان والطاعة والزهد في الدنيا والرغبة في طاعة الله ، وحياة المجتمع عزه ونصره وانتظام أمره بالتوحد وطاعة القائد في طاعة الله وجعل أمر الله فوق كل أمر وحكمه فوق كل حكم ، وذلك يتوقف على حياة القلوب .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٥١/٢)

واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه (١)

---

(١) . { واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه } :
هذا تحذير من الخذلان الذي يكون بسبب العصيان ، فهو كقوله تعالى { نسوا الله فأنساهم أنفسهم } وقوله تعالى { فليحذر الذين يخالفون أمره أن تصيبهم فتنة } فالخذلان يؤدي إلى فوات الإنتفاع بالقلب في طريق الخير والهدى لإصراره على الباطل وتوجهه إليه وكراهته للحق كما مر في قوله تعالى { ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة } فهذه من المتشابه ، وقد تكرر نظيرها في سورة الأنعام ، وقد بينا أن ذلك راجع إلى الخذلان وترك الشياطين يزينون له الباطل ويكرهون إليه طريق الخير بوسواسهم ومع ذلك بسط النعمة والإملاء ، وذلك حق من الله لإستحقاق العاصي المتمرد المصر بعد وضوح الحق له وفائدة نسبة ذلك إلى الله تعالى الدلالة على أنه غني مع التحذير من معصيتة التي تؤدي إلى الخذلان الذي يترتب عليه فساد القلب وبعده عن الحق وقد مر نحو هذا في سورة الأنعام فراجعه إن شئت.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٥٢/٢)

وأنه إليه تحشرون (٢٤) (١) واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب (٢٥) (٢)

---

(١) . { ur } اعلموا { ے&çm¯Rr¼ } أن الله { إليه تحشرون (٢٤) } إليه وحده تحشرون ليجزيكم بما أسلفتم فاحذروا ترك الإستجابه لرسوله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { واتقوا فتنة } تصيب بعضكم بسبب تركهم الإستجابه لرسول الله كقوله تعالى { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة } .

}

لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة } : لهم من بين المؤمنين لا تصيبن نهي لهم كقوله تعالى { لا يفتننكم الشيطان } أي لا تتعرضوا لها فتصيب من سبب لها وحده دون سائر المؤمنين ، والفتنة: ابتلاء كابتلاء أصحاب السبت بالحوت ، قال تعالى { كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون } فهي أمر يصعب على العاصي امتثاله ، وقد لا يصعب على المؤمن كما يصعب على العاصي ؛ لأن المؤمن يستسهل الصعب في طاعة الله ؛ لأنه يرى الطاعة أهون من العذاب وأهون من فوات الجنة ، يرى الطاعة أهون من غضب الله وفوات رحمته ورضوانه ، فقد استلان ما استوعره المترفون ؛ لأنه عود نفسه الطاعة وسيطر على نفسه ، والفاجر عود نفسه اتباع هوى نفسه وسيطرة نفسه عليه ، فكان بعض التكاليف فتنة له { ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا } .

{ واعلموا أن الله شديد العقاب (٢٥) } فطاعته فيما شق على النفس وكرهته أهون من عقاب الله بكثير ؛ لأن عقاب الله جهنم التي ليس لله فيها رحمة نعوذ بالله منها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٥٣/٢)

واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون (٢٦) (١)

---

(١) . { واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره

: }

أي اذكروا نعمة الله عليكم فلا تقابلوها بالعصيان فاذكروا حين كنتم قليلا يراكم أعداؤكم ضعفاء فهم جريئون على قتالكم لأنهم يستضعفونكم لقلتكم ولما أنتم عليه من الفقر وقلة العدة من الخيل وغيرها ، فأنتم في تلك الحال تخافون أن يتخطفكم الكفار من كل جانب لكثرتهم ، فهناك مشركون قريش ومن حولهم ، وهناك كفار أهل الكتابين ، وهناك الدولتان العضيمتان كسرى وقيصر ، فأنتم تخافون أن يأخذوكم بسرعة لاقتدارهم وضعفكم فجعل أخذ الناس لهم من كل جانب تخطفا لسرعته لو وقع وذلك لسرعته مع كثرة الأعداء وقوتهم وقلتكم وضعفكم ، وذلك يدل على توكل رسول الله والمؤمنين الصادقين في إيمانهم ، ويدل على أنهم كانوا في شدة ففرجها الله عنهم بأن آواهم: جعل لهم مأوى ودار إيمان هي المدينة المنورة التي كانت إليها الهجرة وأيدهم: أي قواهم بنصره ، فعزوا بعد الذلة التي هي الضعف ، والقلة في حال كثرة الأعداء وقوتهم وجرأتهم على المؤمنين.

{ ورزقكم من الطيبات } فأغناكم عن العيش في دياركم وأموالكم { لعلكم تشكرون (٢٦) } تعريضا لكم على شكر هذه النعم العظيمة ، فكيف تقابلون أنعمه عليكم بمعصية رسوله ، وهذا تأكيد لحثهم على طاعة الرسول في كل شيء ؛ ولعل ذلك لأنهم يستقبلون مشاق الجهاد وحالات رغبة تدعو إلى معصية الرسول ورهبة كذلك فقبلهم يوم الخندق ويوم الأحزاب ويوم مؤتة ويوم خيبر ويوم حنين فيظهر أن هذه التأكيدات المتظاهرة من أجل ما يستقبلون لا لمجرد الخلاف على الغنيمة يوم بدر .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٥٤/٢)

يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون (٢٧) (١)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون (٢٧) } :
الخيانة لله ورسوله: مخالفة ما يظهرونه من الإلتزام بطاعة الله ورسوله والنصح لله ورسوله إلى خلافه ، وذلك يكون بصور :
منها: موادة الكفار سرا ، ومنها: وعدهم بالكون معهم سرا أو بتخذيل المؤمنين أو بخذلان المؤمنين ، ومنها: التناجي بمعصية الرسول في الخفاء ، ومنها: الإرجاف بهجوم الكفار وكثرتهم وقوتهم ، ومنها: التخلف عن الجهاد عقيب إظهار العزم والوعد به كما رجع بعضهم يوم أحد من الطريق ، ومنها: كتمان

ما يجب إبلاغ الرسول ومن معه ليحذروه ، ومنها: الغلول ، وكل خيانة للرسول فهي خيانة لله تعالى ؛ ولعل ذلك سبب قوله تعالى { لا تخونوا الله } أي لا تخونوه بخيانة الرسول وذلك لأن السر والعلانية سواء عند الله ، فمن أخفى منه كمن جاهر ، ومن وعد ثم أخلف كمن أعلن بالخلاف من قبل ، ولا تكاد تتصور خيانة لله حقيقية ، فظهر أن المعنى لا تخونوا الله بخيانة الرسول .

ويمكن أن يدخل في خيانة الله ما صورته الخيانة له ، لكنه مجاز كإفطار الصائم خفية ، والصلاة بعد انتقاض الوضوء بما يخفى ، وترك غسل الجنابة التي لم يعلم بها الناس ، و ترك الغسل من الإحتلام ، والرئاء في العبادة ، وقوله تعالى: { وتخونوا أماناتكم } أي لا تخونوا فيما ائتمنتم عليه من وديعة أو جوار أو صحبة في طريق أو قرض أو وصية أو رسالة أو مشورة أو مجلس قيل فيه سر ائتمانا للحاضر وغير ذلك { وأنتم تعلمون } أن ذلك معصية لله تعالى ، وتعلمون وعده ووعيده وما يوجب اجتناب الخيانة من فوائد الطاعة ومضار المعصية .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٥٥/٢)

واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم (٢٨) (١)

---

(١) . { واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم (٢٨) } :

{ فتنة } : ابتلاء أي اختبار ، فالمؤمن يطيع الله ولا يعصيه ولا يخون الله ورسوله من أجل مال ولا ولد ، لأنه يعلم أنهم فتنة له ويعلم أن الله عنده أجر عظيم خير من الأموال والأولاد ، ويخشى الله ويتقيه فلا يخونه لحماية مال أو ولد ، بل يطيع الله وينصح له ويتوكل عليه في شأن المال والولد ، والفاجر بخلاف ذلك يغلبه حب المال أو الولد ؛ ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام : (أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار) .

ولعل بعض العامة قد فتنوا بالمال ففسدت نياتهم في معاونة أهل الدين في حال إظهارهم أنهم مازالوا معهم ، وذلك من خيانة الله ورسوله ، وصدق أمير المؤمنين عليه السلام : (المال يعسوب الفجار) وحقيقة اليعسوب أمير النحل الذي تتبعه أينما كان أي ما يسمى أبو النوب ، والنوب اسم عربي .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٥٦/٢)

يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم (٢٩) (١)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم (٢٩) } :

هذا من جملة الحث على طاعة الله ورسوله والترغيب في تقوى الله ليستعد المؤمنون لها تمام الإستعداد ، إن تتقوا الله كما أمرتم في الآيات الماضية ، فتتقوا الفرار من الزحف ، وتستجيبوا لله ورسوله إذا دعاكم لما يحييكم ، وتجتنبوا الخيانة لله ورسوله ، وتطيعوا الله كما أمرتم فإنه سبحانه { يجعل لكم فرقانا } يفرق بين حالكم اليوم وحالكم في المستقبل حين تقومون بواجبكم في طاعة الله ورسوله كما وعد في قوله تعالى { وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا } فمن الفرقان: إظهار دينهم على الدين كله وأمنهم بعد الخوف وتمكينهم في الأرض ورزقهم وكشف الشدة عنهم ، ومن الفرقان: زيادتهم هدى إلى هداهم وعلما إلى علمهم بما يتنزل من القرآن وسائر الوحي على رسول الله ومن الفرقان: تنوير قلوبهم وتقوية بصائرهم بحيث يتبين الفرق بسبب صبرهم وجهادهم كما قال تعالى { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا } فيزدادون فهما لكلام الله ورسوله ، ومن الفرقان: جودة الرأي والتدبير بما يحصل لهم من ممارسة الحرب ومقاومة أعداء الله ، ومن الفرقان: القوة على تحمل الشدايد بسبب تعود ذلك والتمرن عليه كما قال تعالى { يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين } فبذلك كله يحصل لهم الفرقان بين حالتهم يوم نزول هذه الآية ، وحالتهم يوم يعطيهم الله ما وعدهم من الفرقان ، وليس يتوقف كله على التقوى والإستمرار عليها طول حياة الرسول بل كلما ازدادوا ثباتا على التقوى حصل لهم فرقان ، أي نوع فرقان ، وعلى هذا فقد كانت معصية الرسول عن إنفاذ جيش أسامة ممن تحتم عليهم الوجوب كانت المعصية سببا لفوات بعض الفرقان ، وقوله تعالى { ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم } فذلك فيما تقدم قبل التقوى ، وفي الصغائر التي لا تنافي التقوى ، وهي عندنا الخطأ والنسيان والمكره عليه فيما قد أمكن التحفظ منه ،

وقوله تعالى { والله ذو الفضل العظيم } زيادة ترغيب في التقوى ؛ لأنها سبب لفضل الله وفي الآخرة بمضاعفة الحسنات والتفضل العظيم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٥٧/٢)

وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (٣٠) (١)

---

(١) . { وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (٣٠) } :
{ وإذ يمكر } واذكر إذ يمكر ، ففيه عبرة لك ؛ لأن الله حفظك وسلمك من مكرهم ، ، ومكرهم هذا تآمرهم على رسول الله { ليثبتوك } في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام معناه ليقيدوك ، انتهى.
قال الشرفي في [المصابيح] : قال في البرهان : وذلك أن قريشا تآمروا في دار الندوة على رسول الله فقال هشام بن عمر[و] قيدوه واحبسوه في بيت تتربصون به ريب المنون ، وقال أبو البختري:
أخرجوه عنكم على بعير مطرودا تستريحون من أذاه لكم ، وقال أبو جهل : ما هذا برأي ، و لكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل قبيلة رجل فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية ، فأوحى الله عز وجل إلى نبيه بذلك ، فخرج إلى الغار ثم خرج مهاجرا إلى المدينة ، انتهى.
{
ويمكرون } أي مكرا غير ذلك ، فلم ينالوا ما أملوا بل يمكر الله بهم حين يمكرون ، فهو يملي لهم ويهيئ لهم أسباب الهلكة والكبت حتى قتلوا ببدر وغيرها وأذلهم الله { والله خير الماكرين } لأن مكره عدل وإحسان مع الإعذار والإنذار وإيضاح الحجة .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٥٨/٢)

وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين (٣١) (١)

---

(١) . { وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين (٣١) } :

قولهم: { قد سمعنا } تقدمة لقولهم : { لو نشاء لقلنا مثل هذا } أي أنهم قالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا بعد سماعهم له ومعرفتهم له ، وهم كاذبون فإنهم لا يأتون بمثله ولو استطاعوا لكان ذلك أيسر من محاولة حبسه أو طرده أو قتله وأيسر من قتاله ببدر وأحد وحنين ، وتحتمل المشقة يوم الأحزاب ، وقولهم { إن هذا إلا أساطير الأولين } كذب وتكذيب وإعجازه لهم يكذبهم ، والأساطير: جمع أسطورة وهي ما سطر من القصص .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٥٩/٢)

وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (٣٢) (١)

---

(١) . { وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (٣٢) } :

{ وإذ } أي واذكر إذ قالوا . أي الذين كفروا . : { اللهم } أي يا الله { إن كان هذا } أي القرآن ، أو إرسال محمد { هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة } يريدون بذلك الصد عنه ودعوى أنهم يعلمون أنه باطل ؛ لأنهم لا يدعون على أنفسهم بزعمهم إلا وقد علموا أنه ليس الحق وهذا لشدة حرصهم على إبطال أمره وتكذيب ماجاء به من الآيات .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٦٠/٢)

وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (٣٣) (١) وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون (٣٤) (٢)

---

(١) . { وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم } : لأن الرسول أرسله الله نذيرا لهم ومعاجلتهم بالعذاب تبطل فائدة بقاء الرسول فيهم .

{ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (٣٣) } : فمن علم الله أنه يتوب لا يعاجله بالعذاب وهذا يشير إلى أن فيهم من يتوب .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام } :

فهم مستحقون للعذاب ، إنما يؤخره الله عن وقت طلبهم له لحكمة في التأخير ، وصدهم عن المسجد الحرام منعهم لرسول الله حيث اضطروه إلى الخروج من مكة وأخافوه في الحرم .

}

وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون (٣٤) } :

{ وما كانوا } : أي وما كان الكفار أولياء المسجد الحرام ، إن أولياء المسجد الحرام أي ما أولياء المسجد الحرام { إلا المتقون } وفي هذا دلالة على أن الظلمة لا ولاية لهم على الأمة الإسلامية ؛ لأنهم لا يصلحون لولاية المسجد الحرام ، فكيف يصلحون لولاية المساجد كلها ، والمدارس والمصالح الدينية كلها { ولكن أكثرهم } أكثر الكفار { لا يعلمون } قد غلب عليهم الجهل والبعد عن فهم الحق .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٦١/٢)

وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (٣٥) (١)

---

(١) . { وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (٣٥) } :

فكيف يكونون أولياء البيت وما دينهم إلا لعب { مكاء } أي صفيرا ونحوه .

وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: فالمكاء: الصوت والصفير ، والصوت يصفر كما يصفر

المكاء وهو طائر ، والتصدية: التصفيق بالأكف ، انتهى.

{ فذوقوا العذاب } ببدر { بما كنتم تكفرون } وهذا بعد خروج الرسول من مكة وهجرته ، فبطل أمانهم بقوله { وأنتم فيهم } وهو أيضا في كفار لا يستغفرون ؛ لأنهم قد خذلوا فما كانوا ليؤمنوا ، ففاتهم الأمان الثاني ، وقد كان ما نزل بهم في بدر عذابا ؛ لأنه جمع القتل والإهانة مع الكبر المتأصل في صدورهم والإغاظة لشدة عدواتهم لرسول الله فغاظهم القتل والأسر والهزيمة والإذلال ، وهذا عذاب عاجل { ولعذاب الآخرة أشد وأبقى } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٦٢/٢)

إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون (٣٦) (١)

---

(١) . { إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله } :

كما أنفقوا يوم بدر ليقاتلوا النبي محاربة لدين الله ليصدوا الناس عن اتباعه .

{ فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون } :

{ فسينفقونها } في المستقبل كما أنفقوها يوم بدر { ثم تكون عليهم حسرة } لحبهم المال مع ظنهم خيبة الأمل حين يرون النبي يزداد قوة وأنصارا { ثم يغلبون } وذلك يوم فتح مكة.

{ والذين كفروا إلى جهنم يحشرون (٣٦) } : فعاقبتهم الخسران المبين والشقوة الدائمة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٦٣/٢)

ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون (٣٧) (١)

(١) . { ليميز الله الخبيث من الطيب } :
هذه حجة لإثبات الحشر إلى جهنم ، وهي أن الله بحكمته يميز بين المسلم والمجرم ، بين المؤمن والفاسق ، قال تعالى { أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون } .
{ ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم } :
وهذا إشارة إلى كثرة أهل النار ، فالله بعزته وحكمته يجعل بعضهم على بعض { جميعا } مجتمعين { فيركمه } لكثرته وتزاحمه حتى يكون ركاما مجموعين بلا تخلل بل بعضهم مضموم إلى بعض ، كما تركم الأدوات في المكان الضيق ؛ ولعل هذا بعد سوقهم إلى جهنم يحشرون حولها بهذا الشكل إهانة لهم وتنزيلا لهم منزلة الجمادات المركومة ، فأولا ميزهم من بين المؤمنين بسوقهم من محل الجمع ، فجمعهم حول جهنم ، فجعلهم في جهنم ؛ لأنهم جنس خبيث .
{ أولئك هم الخاسرون (٣٧) } الخاسرون الخسارة العظمى ، فاتهم كل خير وصاروا في عذاب دائم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٦٤/٢)

قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف (١) وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين (٣٨) (٢)

(١) . { قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف } هذا دفع لتوهم الكفار من قوله { والذين كفروا إلى جهنم يحشرون } أنها لا تقبل لهم توبة في الدنيا ، فإنهم إن ينتهوا عما نهى الله عنه مما هم عليه من الباطل بأن يسلموا ويؤمنوا يغفر لهم ما قد سلف منهم من الشرك وغيره .
ويحتمل أن ينتهوا عن محاربة الرسول يغفر لهم في الدنيا ما قد سلف ، أي لا يعاجلون فيها بهلاك أو عذاب من أجل ما قد سلف منهم إمهالا لهم لينظروا حين يرون إظهار الله لدينه ، وهذا مغفرة كقوله تعالى { وربك الغفور ذو الرحمة .. } الآية وهذا أقرب .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وإن يعودوا } لإصرارهم على باطلهم إلى قتال الرسول .
{ فقد مضت سنة الأولين (٣٨) } :

بإهلاك الكفار المقاتلين لأنبيائهم ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ، قال تعالى { كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب } فلا بد من هلاكهم إن لم يتوبوا وإن اختلفت مدتهم ، فبعضهم ببدر وبعضهم في أحد ، وبعضهم في الخندق ، وبعضهم في حنين ، وبعضهم يوم الفتح ، وبعضهم فيما بين ذلك ، أوما بعده عقابا عاجلا في الدنيا لكل بما يستحق من التعجيل .

وفي هذه الآية على ما ترجح من تفسير { إن ينتهوا } دلالة على أن الحرب في أول الإسلام كانت دفاعية حتى نزلت براءة ، ولم يبق من المشركين إلا متمرد عدو للإسلام ، وقد عرف الحق أو معرض عن النظر متمرد في إعراضه عدو للإسلام أيضا ، فنزل الأمر بالقتال بقوله : { وآذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريئ من المشركين ورسوله.. } إلى قوله تعالى { ..فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم .. } الآية ، فهي ثلاث مراحل : مرحلة الكف عن القتال وهي بمكة وأول الهجرة { ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم .. } الآية ، ومرحلة القتال للدفاع ببدر وأحد والخندق ونحوها ، ومرحلة القتال بحكم الله رب العالمين من بعد براءة ، ولا موجب لجعلها كلها دفاعية ؛ لأن الله يحكم ما يريد ، ويحدث من أمره ما يشاء ، وقد أحدث الأمر بقتال المشركين مطلقا في براءة ، فإن أريد بكونها دفاعية أن قتال المشركين لم يشرع إلا لعداوتهم للإسلام والمسلمين وأنهم كلما تمكنوا قاتلوا المسلمين وليس المراد بكونها دفاعية أن المسلمين لا يقاتلون إلا إذا قوتلوا فيقاتلون لمجرد الدفاع لمن قاتلهم ، فإذا لم يكن هذا هو المراد بكون الحرب كلها دفاعية ، فالخلاف لفظي أو قريب من الخلاف اللفظي .

فإن قيل : فالمشرك القوي السليم من العوائق كالعمى ونحوه لو أعلن أنه لن يقاتل المسلمين ودعا إلى السلم هل يقبل منه ذلك ؟

فالجواب : أنه إن كان ممن استثني وهم الرهبان المتخلون للعبادة فنعم يترك وإلا لم يصدق في دعواه ودعوته إلى السلم ؛ لأنه مع شركه وإصراره على الشرك لا بد أن يكون عدوا للمسلمين ، وإنما يدعو إلى السلم لعجزه ، نعم من دعا إلى السلم ، وهو يستطيع الحرب ، فمن الرأي مصالحته صلحا مؤقتا إلا أن يظهر منه إرادة الخيانة ، وذلك جائز لمصلحة الإسلام ؛ لقوله تعالى { وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله } كما يأتي في هذه السورة ، ولعله يأتي مزيد تحقيق إن شاء الله في تفسير براءة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٦٥/٢)

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير (٣٩) (١)

---

(١) . { وقاتلوهم } إن لم ينتهوا { حتى لا تكون فتنة } حتى لا يفتن مسلم ليرجع عن الإسلام كما كان الكفار يصنعون بالمسلمين في مكة { ur } حتى { tbqà6t*f* الدين كله لله } بأن تغلبوهم فيسلموا أو يقتلوا ، وهذا فيمن بدأ بالقتال إذا لم ينته بعد نزول قوله تعالى { إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف } .
}
فإن انتهوا } بعد الحرب الأولى ولم يعودوا لقتال المسلمين { فإن الله بما يعملون بصير (٣٩) } فهو يحاسبهم ويجازيهم بما أسلفوا وما يكون منهم في المستقبل وأمرهم إليه .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٦٦/٢)

وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (٤٠) (١) * واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل (٢)

---

(١) . { وإن تولوا } عما دعوا إليه من الكف عن قتال المسلمين { فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (٤٠) } أي فاعلموا لتقاتلوهم كما أمرتم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله وارجوا النصر من الله الذي هو { مولاكم } متولي أموركم ومحسن رعايتكم { نعم المولى } لأنه رحيم بالمؤمنين وعلى نصرهم قدير { ونعم النصير } لأنه الغالب على أمره .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { * واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول } :
أمرهم بالعلم ؛ لأنهم إذا علموا سهل عليهم الإنقياد لحكم الله ولئلا يتهموا الرسول بظلم إذا أخذه ولم يقسمه عليهم مع الغنائم .
}
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل } :
فليس سبيله أن يقسمه بين الغانمين كما يفعل بالأربعة الأخماس ، بل عليه أن يخص الأربعة الأصناف فيعطيهم من الخمس ، أما الأربعة الأخماس فهي وإن كانت له لكنه يقسمها أو يضعها في مصلحة عامة

، أما الخمس فهو له ، وعليه أن يعطي الأربعة الأصناف ، الأول ذو القربى وهو قريبه من النسب وهم بنو هاشم ، وقالوا: أعطى معهم بني المطلب لاتصالهم ببني هاشم ، وهذا يناسب أنه له ، وإنما يعطي الأربعة بعد ملكه له { واليتامى } الذين قتل آباؤهم أو ماتوا وهم لم يبلغوا الحلم ، فهو تأنيس لهم وجبر ليتمهم ؛ ولعل سببه أن أكثرهم قتل آباؤهم في سبيل الله ، ولكن العام لا يقصر على سببه { والمساكين } أضعف حالا من الفقراء ، فحاجتهم شديدة { وابن السبيل } المسافر فيعطى بقدر حاجته .

هذا والغنيمة ما يستفاد من أموال العدو بالقتال كما في هذه الآية ، فهي في سياق القتال ، وقال تعالى { فكلوا مما غنمتم } أي مما أخذتم من أموال العدو بالجهاد ، وفي الحديث (وأحل لي المغنم ولم يحل لأحد قبلي) قوله تعالى { واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى .. } الآية ، انتهى ، رواه في مجموع زيد بن علي عليهما السلام عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام قال : قال رسول الله .. الحديث ، وخرجه في شرحه عن علي عليه السلام وعن ابن عمر وعن جابر وعن أبي هريرة ، وقوله تعالى { فكلوا مما غنمتم } فذلك كله يفيد أن المغنم هو المستفاد من مال العدو بالجهاد ، أما سائر المستفادات بالتجارة أو الإجارة أو الزراعة فلم يكن في حلها إشكال ولم تكن محرمة على الأولين وفي معلقة عنترة :

يخبرك من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وفي لسان العرب: وقد تكرر في الحديث ذكر الغنيمة والمغنم والغنائم وهو: ما أصيب من أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمون الخيل والركاب ، انتهى.

ولا إشكال أنه قد يستعمل الغنم [بضم الغين وسكون النون] في الفائدة ضد [الغرم] لكن الراجح أن المعنى الأصلي للغنيمة والمغنم هو ما ذكرت ، واستعمال الغنم في الفائدة توسع إما مجازا وهو الراجح كما قيل: الصوم في الشتاء غنيمة باردة ، ولو كان مجرد الإستعمال ولو مع القرينة يصير اللفظ حقيقة لما بقي في اللغة مجاز ، وإما حقيقة في لفظ الغنم [بضم الغين] خاصة لا في الغنيمة والمغنم وغنم ، ولا ينافي هذا وجوب الخمس في غير ما أخذ من مال العدو المقاتلين كالركاز ؛ لأنه لا تلازم بين وجوب الخمس واسم الغنيمة ووجوب الخمس في غير الغنيمة بدليل آخر .

وأما قول الراغب : الغنم معروف .. إلى قوله : والغنم إصابته والظفر به ، ثم استعمل في كل مظفور به من جهة العدى وغيرهم ، انتهى ، فقد خلط الحقيقة بالمجاز ، كقوله في تفسير الأب الأب الوالد ، ويسمى كل من كان سببا في إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره أبا ، وكذا قال في تفسير الإبن: ويقال لكل ما يحصل من جهة شيء أو من تربيته أو بتفقده أو كثرة خدمته له أو قيامه بأمره هو ابنه ، انتهى المراد ، فلا حجة في كلامه لإثبات أن الغنم حقيقة في كل مستفاد ولا نكره ثبوت ذلك لو ثبت فإن

أكثر الهاشميين من الزيدية في أبين الحاجة إلى خمس الأرباح ؛ لأنهم قد منعوا الزكاة فصاروا لا ينالون زكاة ولا خمسا إلا نادرا لا يخلصهم من الفقر ، لكن الحق عندنا أن خمس الأرباح ليس من خمس الغنائم ، والحق أحق أن يتبع ، ويمكن أن يحتج عليهم بما في الكافي بسنده عن العبد الصالح قال : الخمس من خمسة أشياء من الغنائم والغوص ومن الكنوز ومن المعادن والملاحة ، انتهى.

فجعل الغنائم غير المستفادة من الأربعة المذكورة ، فظهر أنه المأخوذ بالقتال من مال العدو.

وفي مجمع البيان للطبرسي في تفسير هذه الآية: الغنيمة ما أخذ من أموال أهل الحرب من الكفار بقتال ، وهي هبة من الله تعالى للمسلمين ، والفيء: ما أخذ بغير قتال ، وهو قول عطاء ومذهب الشافعي وسفيان ، وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام ، انتهى المراد.

ثم قال الطبرسي: وقال أصحابنا أن الخمس واجب في كل فائدة تحصل للإنسان.. إلى قوله: ويمكن أن يستدل على ذلك بهذه الآية ، فإن في عرف اللغة يطلق على ذلك اسم الغنم والغنيمة ، انتهى ، قلنا : قد أقر بالمعنى الحقيقي ، ولم يثبت المعنى العرفي ؛ لأن الإستعمال مع القرينة لا يدل على أنه حقيقة ، هذا والطبرسي من الإمامية فلا يحتج بدعواه العرف .

وأما قوله تعالى { ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل } فذوا القربى: من بينه وبين رسول الله قربى النسب ؛ لأنه ذكر عقيب ذكر الرسول ، فكأنه قيل ولذي قرباه ، مع أن المفروض أن الرسول هو الذي يعطي ذا القربى ، فإذا شرع له أن يعطي ذا القربى كان الظاهر أنه ذو القربى من رسول الله وهو يعم كل واحد منهم ؛ لأنه اسم جنس مضاف ، ولو كان خاصا بالإمام لما كان لفاطمة منه شيء ، والرواية تدل على أن رسول الله كان يعطي سهم ذوي القرابة قرابته – أي كلهم – فدعوى أن ذا القربى هو الإمام خلاف الظاهر ، وإفراده كإفراد ابن السبيل ، وأما اليتامى والمساكين وابن السبيل فظاهر ما روي عن زين العابدين عليه السلام هم يتامانا ومساكيننا وابن سبيلنا محمول على إيثارهم عند الحاجة لتحريم الزكاة عليهم ، فيدل ذلك على أن المراد جنس اليتامى والمساكين وابن السبيل على حسب ما يراه الرسول من تعميم للصنف الواحد أو تخصيص لبعضه كما في الزكاة .

فأما السبب في إفراد ذي القربى وابن السبيل وجمع اليتامى والمساكين فلعل والله أعلم كلمة [ذي] للصنف جعل كالشيء الواحد ؛ لأن ذا تصلح للفرد وللجماعة إذا جعلت الجماعة شيئا واحدا مثل فريق وصنف وطائفة ؛ ولذلك أطلق [ذات] على الجماعة في قوله تعالى { وتودون أن غير ذات الشوكة } فكأنه على هذا قيل : وللفريق ذي القربى ، أو أفراد لإثبات أن الواحد مع القربى أهل للعطف عليه بسبب القربى ، أو ليلفت السامع إلى القربى الباعثة على العطف ، ولا يتجه ذهنه إلى قلة أو كثرة ، وقد أفرد في قوله تعالى { إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى } وفي سورة سبحان { وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل } والظاهر أنها معطوفة على الأمر في الوالدين ، وفي الوالدين { إما يبلغن عندك الكبر أحدهما } فليست في الرسول ، فأما آية الروم { فآت ذا القربى حقه } فروى في شواهد التنزيل بسنده عن ابن عباس أنها لما نزلت دعى رسول الله فاطمة وأعطاها فدكا ، وذلك بصلة

القرابة ، انتهى.

وأما ابن السبيل فقد أفرد في القرآن في كل موضع ، ولعله لقلته يوم نزولها أو لأن المنفرد هو مظنة الإنقطاع بخلاف من له أصحاب في السفر.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٦٧/٢)

إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير (٤١) (١)

---

(١) . { إن كنتم آمنتم بالله } :

هذا حث عظيم على العلم بفريضة الخمس يفيد أن من لم يعلم بها بعدما حكم الله بها فليس مؤمنا بالله ؛ لأن من شأن المؤمن أن يعلم أن حكم الله هو الحق .

{ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان } :

أي وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم بدر ، والفرقان هو نصر الله للمؤمنين فرق به بين حالهم قبل المعركة وحالهم بعدها ، وفرق به بين المجاهدين في سبيله والذين كفروا الصادين عن سبيله ، وبين الحق والباطل { وما أنزلنا } من الوحي ومن الملائكة ، وفائدة ذكر الإيمان بالملائكة المنزلين ببدر تذكر تلك النعمة العظمى ليشكروا الله ويسلموا لحكمه في الغنائم ، فلولا نصره ما غنموا .

وقوله تعالى : { يوم التقى الجمعان } أي جمع المؤمنين وجمع الكافرين للقتال ببدر وهو تفسير ليوم الفرقان { والله على كل شيء قدير (٤١) } فتوكلوا عليه وارجوا منه النصر والغنائم في المستقبل .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٦٨/٢)

إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا (١)

(١) . { إذ أنتم بالعدوة الدنيا } اذكروا إذا أنتم أيها المؤمنون بعدوة الوادي { الدنيا } القريبة إلى طريق المدينة .

قال في الصحاح: والعدوة والعدوة جانب الوادي وحافته ، قال الله تعالى { إذا أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى } انتهى المراد ، وأعتقد أن المراد بجانب الوادي وحافته وشاطئه هو المرتفع عن يمين الوادي والمرتفع عن يساره كل واحد عدوة .

{ وهم بالعدوة القصوى } :

{ وهم } : أي الذين كفروا في العدوة القصوى بالنسبة إلى المدينة أي البعيدة ، فقد قربوا إليكم وقربتم إليهم وتراءيتم .

{ والركب أسفل منكم } الركب: أهل الإبل الذين هم إحدى الطائفتين غير ذات الشوكة سارعتم لأخذها وسارع الكفار لحمايتها .

{

ولو تواعدتم } للقتال من دون هذا السبب { لاختلفتم في الميعاد } والإختلاف يكون في الزمان أو في المكان أو فيهما معا ؛ لأن كلا من الفريقين يراعي ظروفه وينظر لما يناسبه من الزمان والمكان ، فمثلا المسلمون يريدون تأخير الميعاد حتى يكثروا وتتوفر لهم العدة من الخيل والنفقة ، والكفار يريدون التعجيل قبل أن يتقوى المسلمون { ولكن } هيأ الله لقاءكم بلا مواعدة بل على الحال التي وقع عليها بسبب الركب الذين أسفل منكم { ليقضي الله أمرا كان مفعولا } ليقضي الله أمرا : يوقعه ويتمه وهو الأمر واحد الأمور وهو إظهار دينه ونصر نبيه وإعزاز أوليائه { كان مفعولا } كان واقعا لا بد من وقوعه . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم (٤٢) (١)

(١) . { ليهلك من هلك عن بينة } :

ليصير للعذاب من هلك بالكفر وصار مستحقا للعذاب { عن بينة } للحق قاطعة لعذره فلا يبقى له يوم القيامة دعوى أنه كان غافلا لم يأته من الله بيان .

{ ويحيى من حيي عن بينة } :

توجب له صحة العقيدة وتهيئ له الثبات على الحق ، وهذه الحياة حياة القلب بالإيمان الصادق كقوله تعالى { أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا .. } الآية .

وفي [المصابيح] للشرفي رحمه الله عن الحسين بن القاسم عليهما السلام : وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه ففيه أوضح دليل لكل من الفريقين على أمر دينه وذلك أنه لا شك أن عسكر الرسول في أول الأمر كانوا في غاية من الضعف والخوف بسبب القلة وعدم الأهبة ونزلوا بعيدا من الماء ، وكانت الأرض التي نزلوا فيها أرضا رمليا تغوص فيه أرجلهم ، وأما الكفار فكانوا في غاية القوة بسبب الكثرة في العدد وحصول الآلات والأدوات وأنهم كانوا قريبا من الماء ؛ ولأن الأرض التي كانوا عليها كانت صالحة للمشي ؛ ولأن العير كانوا خلف ظهورهم وكانوا يتوقعون مجيء العدو ساعة فساعة ، ثم إنه تعالى قلب القصة وعكس القضية وجعل الغلبة للمسلمين والدمار على الكافرين ، فصار ذلك من أعظم المعجزات وأقوى البينات على صدق محمد فيما أخبر عن ربه من وعد النصر والفتح والظفر ، انتهى المراد.

قلت : وقد كان من أسباب الضعف لولا النصر من الله غلبة العدو على الماء ومشاهدة المسلمين لكثرة العدو وخيلهم ونحرهم للإبل ليأكلوا ، فهذا لولا النصر كان من أسباب الضعف النفسي، والآيات القرآنية توضح الآيات الكونية في بدر ومن أجل بدر ما مر من الآيات في هذه السورة وما يأتي .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٧٠/٢)

إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور (٤٣) (١)

---

(١) . { إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر } :

هذه الرؤيا كان تأويلها قلة الكفار وضعفهم في جنب ما يجعل الله للمسلمين من الإمداد والنصر ، فلم تكن خبرا بظاهرها ؛ لأن هذا شأن الرؤيا أن يكون لها تأويل هو مصداقها ، ولكن من طبيعة البشر توهم ظاهرها وتوقعه أو ما يقرب من ظاهرها لسبقه إلى الخيال قبل تأويلها الصحيح ، فلذلك صح أن يري الله رسوله في المنام قلة المشركين { ولو أراكهم كثيرا لفشلتم } لغلبكم الخوف من كثرتهم مع قلتكم وقلة عدتكم { ولتنازعتم في الأمر } بسبب شدة الحال وفرط الإهتمام ، فمثلا يقول قائل: لا نلاقيهم

بل نقف حتى يأتونا أو يرجعوا ، ويقول آخر: لا بد من لقائهم لئلا يروا أنا قد جبنا فيتجرءوا علينا أشد ، ويقول آخر: إن لي عذرا في التخلف ، ويقول آخر: إما أن نلقى كلنا وإما أن نقعد كلنا ، والتنازع سبب للفشل فينضاف الفشل إلى فشل .

}

ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور (٤٣) } : سلم المؤمنين من هذا الفشل وهذا التنازع { إنه عليم بذات الصدور } بالخفية مما في الصدور ، فهو يعلم أسباب قوة القلوب وأسباب ضعفها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٧١/٢)

وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور (٤٤) (١)

---

(١) . { وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا } : إذا التقيتم على العدوتين فتراءيتم وذلك قبل اختلاط الفريقين ليتشجع المؤمنون برؤيتهم للكفار قليلا ، ويتجرأ الكفار ويطمعوا في قتل المؤمنين وأسرهم { ليقضي الله أمرا } إذا اختلط الفريقان ينصر دينه ويحق الحق ويبطل الباطل ، وقوله تعالى { وإذ يريكموهم إذ التقيتم } هي إراءة جملة الكفار مصغرة وليست إراءة تفصيلية تحقق كل فرد منهم بعينه ، ومثل هذا يغلط فيه البصر ، يرى الكبير صغيرا أو الصغير كبيرا لنوع من البعد مع الشمس والسراب أو الغبار ، وكما يرى في المرآة المصغرة للشيء والمرآة المكبرة لسبب في المرآة فلا تفيد الجزم والقطع بقلتهم ، ولكنها تشجع المؤمنين بتخيلهم قليلا .

}

وإلى الله ترجع الأمور (٤٤) } : لأنه القادر على كل شيء والعالم بكل شيء ، فشأن المؤمن أن يرجع أموره إليه ويتوكل عليه إذا كان مجاهدا في سبيله أو كان في طاعة لربه فلا يتحول عنها لوسواس الشيطان وتخويفه ، بل يتوكل على الله ، فهو الذي ينبغي أن يتوكل عليه المتوكلون ، وهذا من إعداد المؤمنين للجهاد في المستقبل.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (٤٥) (١) وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم (٢)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (٤٥) } :
{ إذا لقيتم } للقتال { فئة } جماعة تريد قتالكم فاثبتوا في محل القتال ، لا تفروا { واذكروا الله } حال اللقاء ذكرا كثيرا { لعلكم تفلحون } تظفرون بالخير ، فذكر الله يعين على القتال { ألا بذكر الله تطمئن القلوب } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وأطيعوا الله ورسوله } :
فذلك من أسباب النصر ، والمعاصي تضعف المجاهد في سبيل الله قال تعالى { إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا } .
{ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم } :

وكفى بهذا تحذيرا من التنازع ، وإنما ينبغي للمجاهدين إذا عرض الخلاف أن يحكموا قائدهم فيما يتعلق بالقتال ويرجعوا إلى رأيه ولا يصر أحدهم على الخلاف ، فأما التنازع في أمر آخر فيؤخر لما بعد القتال إن أمكن تأخيره وإلا قطع النزاع بحكم من صلح للحكم فيهم أو صلح من يصلح بينهم وإلا فقد عصوا ربهم ، والمسؤولية على من أصر على النزاع ، وقوله تعالى { فتفشلوا } قال الراغب : الفشل ضعف مع جبن ، وقوله تعالى : { وتذهب ريحكم } نشاطكم للقتال وتهيئة النصر لكم ؛ ولعله تشبيه بالريح المبشرة بالمطر ، فيكون معنى الريح العلامات المبشرة بالنصر من نشاط المجاهدين وتآخيهم وتوحدهم وقوتهم وثباتهم ، وظهور خلاف ذلك من أعدائهم والله أعلم .
وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام معناه تنقطع دولتكم ، انتهى ، ولعله يعني بالدولة إقبال النصر والغلبة والله أعلم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

واصبروا إن الله مع الصابرين (٤٦) (١)

---

(١) . { واصبروا إن الله مع الصابرين (٤٦) } :
وهذا من التعليم لأسباب النصر ، فلا بد من الصبر وتحمل مشقة الجهاد ، وقوله تعالى { إن الله مع الصابرين } دليل على أن الله يعينهم ويهيئ لهم القوة ويقويهم ، وهذا وعد مؤكد وقد مر في قصة طالوت { والله مع الصابرين } وفي آل عمران { وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا } وفيها { يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون } وفيها { بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم } وفيها { والله يحب الصابرين } وفي سورة الأعراف { قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا } وفيها { وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٧٤/٢)

ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط (٤٧) (١)

---

(١) . { ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس } :
قال في الصحاح : البطر الأشر وهو شدة المرح ، وقال في تفسير المرح: شدة الفرح والنشاط ، انتهى ، وهذا يناسب ما روي أن قريشا خرجوا إلى بدر معهم القيان والمعازف يشربون الخمور وتعزف عليهم القيان .

وقال الشرفي في [المصابيح] : البطر وهو الطغيان في النعمة ، انتهى المراد ، وذكر صاحب لسان العرب خلافا في معنى البطر ، ثم قال: وقال الزجاج: البطر الطغيان عند النعمة ، ثم قال : وبطر النعمة بطرا فهو بطر لم يشكرها ، انتهى المراد ، وهذا يناسب طغيان قريش عند خروجهم إلى بدر في ثروتهم وقوتهم ، فالبطر قد كان منهم على المعنيين { ورئاء الناس } أي ليراهم الناس فيعتزوا بذلك عند الناس ، فلا تكونوا مثلهم في خروجكم للجهاد ، بل أخلصوا النية لله واذكروا الله كثيرا.
{ ويصدون عن سبيل الله } :

فهم يقاتلون في سبيل الشيطان، فلا تكونوا مثلهم ، وكل من قاتل في نصرة الباطل فهو يصد عن سبيل الله ، أي يمنع عن دين الله { والله بما يعملون محيط (٤٧) } : فلا يفيدهم ما يعملون عزة ولا غلبة للحق وأهله ، لأنه محاط بقدرة الله وعلمه وعزته وقهره .

قال بعض المفسرين ونعم ما قال : وقد اشتملت هذه الآيات الثلاث على أمور ستة أوجب الله سبحانه على المؤمنين رعايتها في الحروب الإسلامية عند اللقاء: وهي الثبات ، وذكر الله كثيرا ، وطاعة الله ورسوله ، وعدم التنازع ، وأن لا يخرجوا بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ، ومجموع الأمور الستة دستور حربي جامع لا يفقد من مهام الدستورات الحربية شيئا ..إلخ .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٧٥/٢)

وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم (١)

---

(١) . { وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم } :

و(إذ) هذه وما قبلها كلها بمعنى يوم خروجهم ومصيرهم للقتال الذي كان ببدر أو متعلقة به ، وتزيين الشيطان إن كان من شياطين الجن فهو بوسوسته لهم ، وإن كان من شياطين الإنس فبقوله لهم إنهم قد أصابوا الرأي بما عملوا من جمع الناس وترغيبهم باللهو وتوجهم لقتال المسلمين ونحو ذلك ، ومما زين لهم قوله { لا غالب لكم اليوم } لكثرتهم وقوتكم ، قوة القلوب وقوة الأبدان وقوة السلاح ، وقوله { من الناس } أي أنكم أقوى من كل من حولكم من الناس من المسلمين وكنانة ، وقوله { وإني جار لكم } يفيد أنه من شياطين الإنس ، وأنه يجيرهم من أصحابه ، فلا يقاتلونهم ليفرغوا لقتال المسلمين ، ولعل هذا الشيطان هو سراقة بن ختعم الشاعر الكناني الذي زعم بعض المفسرين أن إبليس تصور بصورته لقي قريش وشجعهم وصحبهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٧٦/٢)

فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب (٤٨) (١)

---

(١) . { فلما تراءت الفئتان } جمع المسلمين وجمع المشركين ، رأى جمع المشركين جمع المسلمين ، ورأى جمع المسلمين جمع المشركين { نكص على عقبيه } تأخر عن قريش ورجع القهقرى ؛ لأنه لا يريد القتال إنما أراد أن يشجع غيره { وقال إني بريء منكم } برئ من جواركم ، فلا أصحبكم لأجل الجوار بل أرجع { إني أرى ما لا ترون } يعني فأنتم ترون محمدا وأصحابه قليلا ضعفاء وأنا أراهم أقوياء بالله ، ولا طاقة لي بحرب الله .

{ إني أخاف الله والله شديد العقاب (٤٨) } : وقوله { إني أرى ما لا ترون } أبهمه عنهم ؛ لأنه لا يريد أن يرجف عليهم ، إنما أراد أن يذكر لنفسه مبررا لتركهم ونكوصه عن القتال ، لا بأنه رأى رجال إيمان بالرسول صادق وعقيدة راسخة ؛ لأنهم ملازمون له صابرون على الجوع والأذى والخوف والعناء ، ورآهم مستميتين لا يستسلمون ولا يفرون ، فليس قتالهم مما يطلب .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٧٧/٢)

إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم (١) ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم (٤٩) (٢)

---

(١) . { إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم } :

{ المنافقون } الذين أظهروا الإسلام وتولوا الكفار سرا { والذين في قلوبهم مرض } شك في صدق الرسول وسوء نية في نصره ، فكلا الفريقين لم يؤمنوا ، وإنما نظروا إلى ظاهر قوة قريش وقلة المؤمنين وقلة عتادهم ، فقالوا { غر هؤلاء دينهم } لظنهم أن الغلبة لقريش وأن المؤمنين اغتروا في مواجهتهم باعتقادهم أنهم إما أن ينصرهم الله ؛ لأنهم في سبيله ، وإما أن ينالوا الشهادة فهي إحدى الحسنين ، وهذا لا معنى له عند المنافقين والذين في قلوبهم مرض ، فزعموا أنه اغترار وأن المؤمنين قد تورطوا في مهلكة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف

إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم (٤٩) } :

هذا رد على المنافقين والذين في قلوبهم مرض ، بأن المؤمنين لم يكونوا مغرورين ولم يتورطوا ؛ لأنهم توكلوا على الله ، فكيف يخذلهم مع عزته وقدرته على نصر أوليائه المجاهدين في سبيله وحكمته التي تقتضي إظهار دينه ونصر نبيه وتكريم أوليائه ؟ وقال في المؤمنين { أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم } فجعل رحمته لهم من شأن عزته وحكمته ، ولو اختار لهم الشهادة ما كانت ورطة كما يظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض ، بل كان قد أعد لهم السعادة والشرف العظيم الدائم الذي لا تدانيه حياة المنافقين والذين في قلوبهم مرض ، بل حياتهم تزيدهم إثما ثم يموتون أو يقتلون ، فما نال المؤمنين من إحدى الحسنين فهو من شأن عزة الله وحكمته ورحمته لأوليائه ، وإن ظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض الذين نسوا الله أنه لا قوة للمؤمنين ولا ناصر ، وكفروا لما قالوا { غر هؤلاء دينهم } فقد كفروا بدين الله ورسوله وجعلوه اغترارا .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٧٨/٢)

ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق (٥٠) (١)

---

(١) . { ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق (٥٠) } :

هذا عامة للذين كفروا بالله ورسوله من قريش وغيرهم ، تدل على سوء عاقبتهم من حين تتوفاهم الملائكة أي تعالج قبض أرواحهم ونزعها من أجسادهم ، فتعذبهم عند ذلك وتهينهم بضرب وجوههم وأدبارهم ، وتلك الورطة العظمى التي تصيرهم على عذاب الحريق ، وهم المغترون الذين غرتهم الحياة الدنيا ، فلو تراهم في تلك الحال لرأيت شيئا عظيما ، وقوله تعالى { وذوقوا } أي نعذبكم بهذا { وذوقوا عذاب الحريق } والراجح أنه طوي ما بين موتهم ومصيرهم في عذاب الحريق ، فكأن عذاب الحريق عقيب ضربهم ؛ لأنهم إذا صاروا في عذاب الحريق كانت المدة الماضية كأن لم تكن ، وهذا تصوير عظيم لسوء عاقبتهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٧٩/٢)

ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد (٥١) (١) كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب (٥٢) (٢)

---

(١) . { ذلك } العذاب { بما قدمت أيديكم } بما قدمتم من الجرائم كلها { وأن الله ليس بظلام للعبيد (٥١) } :

أي وبأن الله ليس بظلام للعبيد ، أي وبعدل الله وتقدسه عن الظلم لعبيده فعدله سبحانه كان لأجله تعذيبهم لإنصاف المؤمنين خصومهم المظلومين الذين حاربوهم في الدنيا واعتدوا عليهم وآذوهم واتخذوهم سخريا وكذبوهم وسبوهم وكذبوا عليهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب (٥٢) } :

تعذيب الذين كفروا بمحمد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم في تعذيبهم عذابا عاجلا ، فقوله تعالى { كدأب آل فرعون } كقوله تعالى { فقد مضت سنة الأولين } وهذا كقوله تعالى في سورة فاطر : { فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا } فقال { سنة الأولين } والمعنى سنة الله في الأولين – أي العذاب العاجل – فقوله تعالى { كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم } تفسير لدأبهم ؛ لأن الكفر بآيات الله وأخذهم بسبب التكذيب جزاء على ذنوبهم كلها تتابع في الأمم كما مر في سورة الأعراف أي تتابع التكذيب والأخذ بتتابع الأمم ، وقوله تعالى { إن الله قوي شديد العقاب } كالتعليل لدأبه في الأولين وإتباع الآخرين بهم ، والراجح أن هذه الآية وما بعدها في قتلى بدر ؛ لأن أكثر الآيات الماضية في هذه السورة في وقعة بدر ، فأغنى وقوع المعركة ومشاهدة ما حل بالكفار عن ذكره في تلك الحال ، مع أنه قد أفاده قوله تعالى { فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه } ولم يبعد العهد لسوق الآيات بعدها في وقعة بدر ، وقد قال تعالى في الفريقين { هذان خصمان

اختصموا في ربهم } فأغنى حضور المعركة في الأذهان عن أن يقول: هذا المقتتلان ببدر خصمان ، فالمعنى أن الله تعالى عذب هؤلاء المشركين بأيديكم كما عذب من قبلهم من الأمم الذين كذبوا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٨٠/٢)

ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم (٥٣) (١)

---

(١) . { ذلك } الأخذ { بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم } :
فقد أنعم على قريش بتمكين الحرم الآمن الذي تجبى إليه ثمرات كل شيء ، وأنعم عليهم بئيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فلما جاءهم الرسول كذبه أكثرهم وحاربوه وهموا بقتله تكذيبا بآيات الله ، فسلبهم الله تلك النعمة ، فبين الله تعالى أنه لم يكن مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فلو لم يفعلوا ما فعلوا من الجرائم لدامت لهم النعمة بفضل الله ، وهذا كقوله تعالى { ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا .. } الآية فكما أنعم عليهم لم يكن ليغير نعمته لو آمنوا واتقوا .
{ وأن الله سميع عليم (٥٣) } : فقد سمع تكذيبهم للرسول وأباطيلهم وعلم ما كان منهم من تغيير ما بأنفسهم من الحال التي كانوا عليها حين أنعم عليهم من صلاح أو قلة فساد أو حسن نية أو نحو ذلك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٨١/٢)

كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين (٥٤) (١)

---

(١) . { كدأب آل فرعون والذين من قبلهم } مكناهم في الأرض ولم نسلبهم النعمة حتى { كذبوا

بآيات ربهم } المالك لهم المنعم عليهم { فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون } لعله خصهم بذكر الغرق بعدما كانوا في جنات وعيون وكنوز ومقام كريم آية لأهل الكتاب بما في هذا من بيان موقع آل فرعون في الأمم المهلكة بالتكذيب.

{ وكل كانوا ظالمين (٥٤) } : مشركو قريش المأخوذون وآل فرعون ومن قبلهم ، فقد اشتركوا في سبب سلب النعمة كما اشتركوا في الأخذ .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٨٢/٢)

إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون (٥٥) (١)

---

(١) . { إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون (٥٥) } كقوله تعالى { أولئك هم شر البرية } والدواب أخص من البرية وهو عام للناس وغيرهم ، كقوله تعالى { وما من دابة في الأرض } وقوله تعالى { فهم لا يؤمنون } معناه أنهم يبقون على كفرهم حتى يموتوا لا تنفعهم الآيات ولا يؤثر فيهم الإنذار والتخويف.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٨٣/٢)

الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون (٥٦) (١) فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون (٥٧) (٢)

---

(١) . { الذين عاهدت منهم } أي من الذين كفروا { ثم ينقضون عهدهم } ينكثون { في كل مرة } عاهدتهم فيها ، أي كلما عاهدتهم نكثوا عهدهم { وهم لا يتقون (٥٦) } الله فيما يعلمون مما به ينكثون ، ومن نفس النكث ومن غيرهما ، فهم في جرأة على المعاصي ، فكأنه قيل: ينقضون عهدهم

في كل مرة في حال أنه يتجرءون على عصيانهم لله بذلك وبغيره ، فهؤلاء شر الدواب .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون (٥٧) } :
}
فإما } أي فإن ما [أدغمت النون في الميم ، فكتبت كما ينطق بها] أي فإن تثقفهم ، و[ما] هي صلة للكلام { تثقفنهم في الحرب } أي تظفر بهم في الحرب وتتمكن من قتلهم فاقتلهم وشرد بقلتهم { من خلفهم } من الكفار وتشريدهم: إبعادهم عن محاربة رسول الله وفرارهم لاعتبارهم بمن قتلهم وخوفهم من أن يقتلهم مثل أولئك الذين نكثوا ، فقتلهم ومن خلفهم من الكفار: من حولهم من الكفار { لعلهم } أي من حولهم { يذكرون } أن حرب رسول الله ليس مثل حرب غيره ، وأن له نصرا من الله ، فكما نصره على الناكثين المذكورين ، ينصره على غيرهم أو نحو هذا ، المهم يذكرون ما به يرتدعون ، وهذا فيمن تحقق منه النكث ، فأما من يتوقع منه ولما يقع فقال تعالى فيهم .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٨٤/٢)

وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب Y‌ƒtûü ح !$1) (58) #$:sƒ)
ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون (٥٩) (٢)

---

(١) . { وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب Y‌ƒtûü ح !$ #$:sƒ (58)) } :
{ فانبذ إليهم } أي فألق إليهم عهدهم ، أي فأبلغهم إلغاء عهدهم وأنه ما بقي بينك وبينهم عهد ، فاعتبر هذا الإعلان نبذا لعهدهم ، كأنه إرجاع له إليهم ؛ لأنه لم يبق مقبولا ، وقوله { على سواء } أي فيما بينهم يستوون في الإبلاغ ، أي يعمهم كلهم و لا تبدأهم بقتال قبل النبذ المذكور لأن الله لا يحب الخائنين ، أو لا يحب الخائنين فلا يحب تمكينهم من الخيانة بالبقاء على عهدهم وترك النبذ له إليهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا } السبق: بمعنى فواتهم ونجاتهم من أخذ الله لهم في العاجل { إنهم لا يعجزون (٥٩) } :

لا يعجزون الله ، فمتى شاء سلطكم عليهم فعذبهم بأيديكم ، والمناسب لقوله { سبقوا } أن يقدر أنهم لا يعجزون الله هربا.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٨٥/٢)

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم (١)

---

(١) . { وأعدوا لهم } أي لقتالهم { ما استطعتم من قوة } وهذا يعم قوة القلوب ، وقوة الأبدان ، ويدخل في ذلك القوة التي تحصل بالتدريب وتعلم الإصابة في الرمي ، ونحو ذلك ، وقوة آلات الحرب ونحوها من المال الذي ينفق في سبيل الجهاد وحاله وبعده ، وفي هذا العصر يعم القوات التي تستعمل في الحرب في هذا الزمان ونحوها .
{ ومن رباط الخيل } لم يقل: ومن اقتناء الخيل ، فهو لا يكفي لإرهاب العدو ، بل من رباط ، فالظاهر أنه مرابطة الخيل أي إعدادها للقتال بأن تربط استعدادا للقتال وانتظارا له ، فتعلف حيث يتوقع لقاء العدو ، ولا ترسل لتتبع المراعي حيث كانت ، أو بأن تربط حيث المرعى في حبل طويل ، وذلك إذا كان المرعى في موضع المرابطة .
}
ترهبون به } أي بما استطعتم { عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم } { ترهبون } : أي تخيفون ، وعدو الله يصلح للفرد والجماعة ، قال تعالى { فإنهم عدو لي } وقال تعالى { وإن كان من قوم عدو لكم } وقوله تعالى { وآخرين } آي وترهبون آخرين من دون الذين قد ظهرت عداوتهم من الذين كفروا ، ولعلهم المنافقون ؛ لأنهم أدنى إلى المسلمين من الكفار المتحاربين ، وفائدة الإرهاب إما أن يتركوا قتالكم لخوفهم من قوتكم وخيلكم ، وإما أن يقاتلوكم على رعب فيضعفوا في قتالكم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٨٦/٢)

وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون (٦٠) (١)

---

(١) . { وما تنفقوا من شيء في سبيل الله } في سبيل نصر دين الله وحماية دين الله { يوف إليكم وأنتم لا تظلمون (٦٠) } : فهو بمنزلة القرض يرجع للمقرض وافيا لم ينقص منه شيء ، وهذا تمثيل للثواب في الآخرة على ما أنفق في الدنيا ، كأنه لقي ما أنفق وهو في وقت الحاجة إليه حيث لا يمكن تحصيله بتجارة هناك ولا غيرها من أنواع الكسب ، وقوله تعالى { وأنتم } أي وأنتم أيها المؤمنون { لا تظلمون } لا تنقصون مما أنفقتم في سبيل الله شيئا ، كقوله تعالى { ولم تظلم منه شيئا } وهذا خطاب عام للذين آمنوا ، فعلى كل فرد إعداد ما استطاع ، وما أنفق في سبيل الله يوف إليه ، والخطاب قبل هذه الآية وبعدها للرسول لتوليه قيادة المؤمنين .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٨٧/٢)

---

* وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم (٦١) (١)

---

(١) . { * وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم (٦١) } :
{ جنحوا } مالوا للسلم أي لترك الحرب بينكم وبينهم ، كأنها سميت سلما لما فيها من السلامة .
قال في الصحاح : والسلم الصلح [يفتح ويكسر ويذكر ويؤنث] وقوله تعالى { فاجنح لها } أي فمل إلى السلم كما مالوا ، وذلك يستدعي المعاهدة على الصلح ولوازمه ، ويأتي في سورة التوبة في معاهدة المشركين تفصيل .
{ وتوكل على الله } كل أمرك إليه في تدبير نصرك وسلامتك من غدرهم { إنه هو السميع } لما قالوا ، إذا أرادوا خيانة مثلا أو غيرها { العليم } بما أضمروا من وفاء أو خيانة أو غيرهما ، فكل أمرك إليه فهو

كافيك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٨٨/٢)

وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين (٦٢) (١) وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم (٦٣) (٢)

---

(١) . { وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله } :
{ يخدعوك } : يغدروا بك في السلم ، أو في طلبه ، أو في التظاهر بالجنوح إليه { فإن حسبك الله } فإن كافيك الله ؛ لأنه معك .
{ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين (٦٢) } : { أيدك } قواك ، قال الشاعر :
فآتت أعاليه وآدت أصوله ... وأدلى بقنوان من البسر أحمرا

... { بنصره } بإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا ، وسائر أسباب الغلبة ، وأيدك بالمؤمنين ؛ لأنهم أطاعوا الرسول وجاهدوا معه واستعدوا لذلك للمستقبل .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وألف بين قلوبهم } :

جعل قلوبهم متفقة على الرغبة في نصر الرسول وقتال أعداء الله أعداء رسوله ، وعلى التعاون على ذلك ، فأصبحوا إخوانا بعد عدواة كانت بين الأوس والخزرج شديدة.
{ لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم } : لشدة العدواة التي كانت فيهم ورسخوها في قلوبهم لما سبق بينهم من القتل والقتال والظلم من بعضهم لبعض والإهانة .
{ ولكن الله ألف بينهم } : بالتأليف بين قلوبهم ونزع الغل منها وإبدالها بالمحبة بينهم والتآخي على طاعة الله ورسوله ، فاجتمعوا مع الرسول وتوحدوا في نصره ومعاداة أعدائه ، فصاروا بذلك قوة للرسول أيده الله بهم { إنه عزيز } قاهر لا ينال { حكيم (٦٣) } وكان من الحكمة نصر نبيه لإظهار دينه على

الدين كله وإحقاق الحق وإبطال الباطل .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٨٩/٢)

يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين (٦٤) (١) يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال (٢)

---

(١) . { يا أيها النبيء حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين (٦٤) } :
{ حسبك الله } : أي فحسبك أي كافيك ؛ لأنه معك ومن اتبعك وانقاد لأمرك وحكمك والجهاد معك ، فقاتل في سبيل الله ولا تنتظر زيادة عليهم من الأعوان في الجهاد .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { يا أيها النبيء حرض المؤمنين على القتال } :
قال في [الصحاح] : التحريض على القتال: الحث والإحماء عليه ، انتهى ، وقال في تفسير :حمي وحميت عليه بالكسر غضبت ، انتهى ، وذكروا أنه يقال حراض للذي يوقد على الأحجار لتكون نورة أو جصا ، انتهى ، فظهر أن التحريض حث يحرك الحمية والغضب لا مجرد الحث .

وقال الراغب: والتحريض الحث على الشيء بكثرة التزيين له وتسهيل الخطب فيه ، انتهى المراد ، فلم يجعله مطلق الحث عليه ، بل جعله الحث المخصوص الذي يرغب في القتال بطريقة تزيينه وتسهيل شدته ، وذلك بذكر فوائده العاجلة والآجلة ، وما أعد الله للمجاهد من الثواب ، وما في الشهادة من الترغيب العظيم في القرآن والحديث الشريف.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٩٠/٢)

إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون (٦٥) (١)

---

(١) . { إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن تكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون (٦٥) } :

{ إن يكن منكم } من الرسول والمؤمنين { عشرون صابرون } ومائة صابرة ، شرط الصبر لأنه شرط النصر ، فأفاد أن مع الإيمان والصبر يغلب المجاهدون مثلهم عشر مرات من الكفار بسبب أن الذين كفروا قوم لا يفقهون .

قال بعض المفسرين ونعم ما قال : وفقدان الفقه في الكفار وبالمقابلة ثبوته في المؤمنين هو الذي أوجب أن يعدل الواحد من العشرين من المؤمنين أكثر من العشرة من المائتين من الذين كفروا حتى يغلب العشرون من هؤلاء المائتين من أولئك على ما بني عليه الحكم في الآية ، فإن المؤمنين إنما يقدمون فيما يقدمون عن إيمان بالله وهو القوة التي لا يعادله ولا يقاومه أي قوة أخرى لابتنائه على الفقه الصحيح الذي يوصفهم بكل شجية نفسانية فاضلة كالشجاعة والشهامة الجرأة والاستقامة والوقار والطمأنينة والثقة بالله واليقين بأنه [أي المجاهد المؤمن] على إحدى الحسنيين إن قتل ففي الجنة وإن قتل ففي الجنة ، وأن الموت بالمعنى الذي يراه الكفار لا مصداق له [يعني أنه في حق المؤمن الشهيد أو كل مؤمن إنما هو انتقال من هذه الحياة إلى حياة أفضل] وأما الكفار فإنما اتكاؤهم على هوى النفس .. إلخ .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٩١/٢)

الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا (١)

---

(١) . { الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا }

{ الآن } أي هذا الحين الذين نزلت فيه هذه الآية خفف الله عنكم بنسخ ذلك التكليف بقتال العشرين مائتين ، والمائة ألفا من الذين كفروا { وعلم أن فيكم ضعفا } ولم يقل إنكم ضعفاء ؛ لأن الضعف في جملتهم لا في كل فرد ، وهو الضعف الذي يصعب معه تحمل التكليف المذكور صعوبة زائدة على

صعوبته في المرة الأولى ؛ لأن الإنسان قد يقوى على الشيء في المرة الواحدة ، ويضعف عن تكرره عليه ، فقد حدث الضعف من هذه الناحية ، وهذا بالنسبة إلى بعضهم لأن ما كان كل واحد منهم بلغ في إيمانه وزهده في هذه الحياة بل ولا في الشجاعة الأصلية مبلغ رسول الله وعلي بن أبي طالب عليه السلام حتى تكون قوتهم على المعاودة كقوتهم على الإبتداء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٩٢/٢)

فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين (٦٦) (١)

---

(١) . { فإن تكن منكم مئة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين (٦٦) } :
قوله تعالى { وإن يكن منكم ألف } أي صابر بقرينة ذكره مع المائة ، والإكتفاء واقع في القرآن ، قال تعالى { والذاكرين الله كثيرا والذاكرات } أي الذاكرات الله كثيرا ، وقال تعالى { والحافظين فروجهم والحافظات } .

وقوله تعالى { بإذن الله } أي إذنه بالغلبة المذكورة ، وإن كانت مخالفة للعادة المعهودة ، وقوله تعالى { والله مع الصابرين } يبين أن من سبب الغلبة هو الصبر الذي لأجله يكون الله معهم ، فينصرهم بحيث تغلب المائة مائتين ، والألف ألفين ، فأما دون هذا العدد من المؤمنين مع هذا العدد من الكافرين فموجب النسخ والتخفيف أنه لايجب عليهم الثبات ، بل لهم أن يحتالوا لترك مواجهتهم بأي حيلة ، بل لو واجهوهم فلهم أن يفروا ، وهذا مخصص لقوله تعالى { إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار } وهو في الحقيقة نسخ لبعض ما تضمنته ، وإن سمي تخصيصا فهو مجاز ، وما وقع يوم حنين من ثبات رسول الله وعلي عليه السلام ومن معهما في حال انهزام الباقي من جيش رسول الله وكذلك ما وقع من ثبات الحسين في قلة أصحابه وكثرة أعدائه هو عمل بأحد الجائزين ، وهو أفضل وأشرف ، وعليه جرى أئمة الهدى وسائر الأخيار من ذريتهم وشيعتهم .
وفي مجموع الإمام زيد بن علي عليهما السلام : وقال زيد بن علي عليهما السلام : (إذا كان الإمام

في قلة من العدد لم يجب عليه قتال أهل البغي ، فإذا كان أصحابه ثلاثمائة وبضع عشرة عدة أهل بدر وجب عليه وعليهم القتال ولم يعذروا بترك القتال ، فإنه ليس من الأعمال شيء أفضل من جهادهم) ، انتهى.

ولعل هذا خاص في قتال البغاة ، لقوله تعالى { فقاتلوا التي تبغي } واختصاص الباغي بأن فساده في دار الإسلام ، والله أعلم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٩٣/٢)

ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض (١)

---

(١) . { ما كان لنبيء أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض } :

ليس يليق بحال النبي ولا صح ولا استقام أن يكون له أسرى ؛ لأن تعجل الأسرى لا يحصل له به قوة ، وغرضه ومهمته عزة دينه ورفع راية الحق وذلك لا يحصل إلا بالإثخان في الأرض وإضعاف الكفر وأهله بالقتل المؤدي إلى ذلتهم .

والأسرى: جمع أسير ، والأسرى يؤخذون ويربطون حتى يفتدوا أو يفديهم غيرهم بمال يعطون الآسرين فيطلقونهم ، وهذا لا يليق بحال النبي أن يكون مطلبا مقدما قبل الإثخان في الأرض .

وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : { حتى يثخن في الأرض } معناه يغلب ويبالغ ، ويقال حتى يظهر على الأرض ، انتهى.

قال في الصحاح : وأثخنته الجراح أوهنته ، ويقال أثخن في الأرض قتلا إذا أكثر ، انتهى.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٩٤/٢)

تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم (٦٧) (١) ں9©wq ز="tGد. z`دiB
"!$# N ™t7y,t,ن٣،،yJ$! 9yJs›rد{s‹?èN ù& ë<#t‹xمx×Lبدtàp ادرب (٢))

(١) . { تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة } :

{ تريدون } الخطاب لأصحاب رسول الله الذين أرادوا فداء الأسرى ، وهو عرض الدنيا ؛ لأنه عارض يزول ، والله يريد إعزاز دينه الذي هو سبب سعادة الآخرة لمن اتبعه وذلك بالإثخان في الأرض قبل الأسر .

{ والله عزيز حكيم (٦٧) } : { عزيز } غالب لا ينال ، فمن عزته إعزاز دينه { حكيم } فأمره ونهيه على ما فيه الحكمة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { wq©9ں ز=”tG. ztG`دBi "!$# N ™y7t,t7oپ،،yJ$! 9sJy‹دr}s‹?èN ùـ& ë<#t‹xم ×Lدtàم ادرب } :

}

لولا كتاب من الله } وهو حكمه أن لا يؤاخذ على الخطأ أو نحو هذا { لمسكم فيما أخذتم } أي في الأسرى { عذاب عظيم } فقد كان تعالى قادرا على أن يجعل في الأسرى قوة ويسلطهم على المسلمين ، فيقتلوهم ويضعفوا أمرهم ، فيكون للمسلمين ضد ما أملوا في الأسرى من الفائدة التي أخذوهم لأجلها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٩٥/٢)

#=qè=ںJ٣ـ£$ ùsJ؛ôFçN BدxW Yxî"7Y$ myي=n حs›h غ (# ru#$?¨)qà
c #$!© (خ©!$# ض'qàےxî ز O›دm§' ادزب (١)

(١) . { (#qè=ںJ٣ـ£$ ùsJ؛ôFçN BدxW Yxî"7Y$ myي=n حs›h غ
(#c #$!© ur#$?¨)qàخ (#$!© ض'qàےxî ز O›دm§' ادزب } :

{ فكلوا } لعل الفاء للتفريع على العفو المفهوم من قوله تعالى { لولا كتاب من الله سبق } فلكون الكتاب سبق بما اقتضى العفو { كلوا مما غنمتم } ووجه التفريع : إما أن الغنائم تفرعت على العفو ، ولولا العفو لفات النصر وفاتت الغنائم ، وإما أنهم كانوا يعاقبون بتحريم الغنائم لولا الكتاب ، فإباحتها

متفرع على العفو ، فكلوا من الغنائم { حلالا طيبا } أي هي حلال طيب ، فهو حال { واتقوا الله } بطاعته في كل شيء من الغنائم وغيرها ، ومن ذلك حكمه في أول السورة وقوله { إن الله غفور رحيم } كالتعليل لقوله تعالى { فكلوا مما غنمتم } فهو من مغفرته ورحمته .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٩٦/٢)

$pk‰r'¯"tƒ ≥گسة`yJ¨> %è@ #$9Z9د j'خN ûن٣ƒ د‰÷rƒ& ژئدBi
#"t‗™b #${Fخ) ƒtè÷=nN ه!$# /Z# %è=qè ژچyz
Nن٣د؟÷sمZ# ƒژچJ£$! yzx دiB}é& Z6àNدB چدےN ruƒtن٣9s
ه!$#ur ض'qà‗îx ز‹دOm§' اذقب (١)

---

(١) . { $pk‰r'¯"tƒ النبيء @yJ` %èد9j 'خN ûن٣ƒ د‰÷rƒ& ژئدBi
#"t‗™b #${Fخ) ƒtè÷=nN ه!$# /Z# %è=qè ژچyz
Nن٣د؟÷sمZ# ƒژچJ£$! yzx دiB}é& Z6àNدB چدےN ruƒtن٣9s } :
{ خيرا } الإيمان والنية الصالحة { يؤتكم خيرا مما أخذ منكم } من الفدى ويعوضكم بخير مما أخذ منكم لإطلاقكم من الأسر ، والراجح أن هذا وعد لهم بتعجيل رزق خير مما غرموا في الفدى { ويغفر لكم } إن كانت المغفرة الكاملة للدنيا والآخرة ، فالخير الإيمان والتوبة ، وإن أريد المغفرة رفع العذاب العاجل كقوله تعالى { وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب } فالخير الإسلام والإقلاع عن الشرك .
{ ه!$#ur ض'qà‗îx ز‹دOm§' اذقب } : مغفرة ورحمة عاجلة ، ومغفرة ورحمة عاجلة وآجلة ، ولكل منهما أهل .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٩٧/٢)

Bد` #$!© z ô%os)sù (#qçR$yz‹!ƒ y7tGtR$uجحمƒ%ookur (#r(خb
م@N٦ z`s3Br'sù B[÷kهs% ur#$!ه Oيڤخ=t وOيڤإmy٣ اذتب (١)

---

(١) . { b(خr# ur%ookƒحمu$yR7tGt y7ƒ!‹zy$Rçq#) sù(s%ô z ©!$#
Bد` م@N٦ z`s3Br'sù B[÷kهs% ur#$!ه Oيڤخ=t وOيڤإmy٣ اذتب } :
{ وإن يريدوا } أي الأسرى { خيانتك } أن يخونوك بعد إطلاقهم من الأسر ، فقد خانوا الله من قبل بمحاربة رسوله ومعاونة المشركين أو بالشرك { فأمكن } نبيه { منهم } من أخذهم وأسرهم ، فهو قادر على أن يمكن منهم مرة أخرى إن خانوك ؛ لأنهم خانوا الله بخيانتهم لك { والله عليم } بما يكون منهم من خير أو شر ، وبكل شيء { حكيم } فهو لا يهمل المفسدين ولا يسوي بين المحسن والمسيء ، وإحكامه موافقة لحكمته .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٨٩٨/٢)

---

b¨(خ ƒ`zد%©!$# (#qمuB#tZôن (#rمچr#) ur$ydy_$y‹و%gy" ur
Oخgد٩؛rBqBr'uخ/ N‌kحإ¦ àRr&ru 'خû ب@‹خ٦y™T "!$#
ïûïtد%©!$#u#rur# (#ruچçبِ) ur 7y| r¨Rt ح´"¨é'r9s& Nهفk÷÷ /tè
âن!$u‹د٩÷rr& <ظ÷1) /tè)

---

(١) . { b¨(خ ƒ`zد%©!$# (#qمuB#tZôن (#rمچr#) ur$ydy_$y‹و%gy" ur
Oخgد٩؛rBqBr'uخ/ N‌kحإ¦ àRr&ru 'خû ب@‹خ٦y™T "!$#
ïûïtد%©!$#u#rur# (#ruچçبِ) ur 7y| r¨Rt ح´"¨é'r9s& Nهفk÷÷ /tè
âن!$u‹د٩÷rr& <ظ÷tè/ } :

هذه في المؤمنين مع رسول الله من المهاجرين الذين تركوا بلادهم وهاجروا المشركين ، أي هجروا المشركين ، وهجرهم المشركون ، وهجر المؤمنين للمشركين ومهاجرتهم مفارقتهم لمن في بلدهم منهم بالخروج إلى المدينة المنورة دار الهجرة التي صارت دار الإسلام والإيمان ومأوى الرسول ومن معه من

المهاجرين والأنصار ، فحكم بالولاية بين المؤمنين المهاجرين الذين جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم والذين آووا رسول الله وآووا من معه من المهاجرين في وقت الهجرة وذلك ببذل بلادهم لهم وإمدادهم من مالهم ، والجهاد معهم لحماية الرسول وإيوائه ومن معه ، ونصروا رسول الله بالجهاد معه وفي نصرته ، وهذا يفيد إيمانهم لأن الذين في قلوبهم مرض والمنافقين لم يكونوا كذلك ، فأهل هذه الصفات من المهاجرين والأنصار أولئك بعضهم أولياء بعض ، فهم إخوان في الدين متعاونون على نصرته وحمايتهم له ، همهم في ذلك واحد ، فبعضهم مع بعض ، فهم مجتمعون على ذلك متحابون عليه ، وذلك معنى الولاية ، فكل مهاجر ولي لكل أنصاري من المؤمنين والعكس .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/٨٩٩)

---

iB د` s9٣ن/ pkç‰ tB_مچإNs9ur (#r ٠ZtB#uمur (#q#$!©%دtûï
ur (بخb (pkç‰ (1$_مچإLym (#r®٤س "xنس< iBد` s9ur"›JuةkحN
(خZ9$# w¨ژNà6‹n=yèsù çم d‰9$#دûïب ûخ' #$™ZoKا|ژrç.٠N
/خur $yJ#$!ه iBدڈsV"،× huZ÷ t/urوoY÷ t/ N٣٠OQqs% N مn?t'٤
tbqè=yJ÷ès؟ ×ژچإt/ اذثب (٢)

---

(١) . { s9٣ن/ pkç‰ tB_مچإNs9ur (#r ٠ZtB#uمur (#q#$!©%دtûï
iB Nد` s9ur"›JuةkحiB N د` "xنس< iBد` ٤س®#r) ‰pkç$_مچإLym } :

فلا ولاية بينكم وبينهم ؛ لأنه ليسوا معكم في الأمر المهم الذي هو التعاون على نصر الدين وحمايته والتآخي عليه حتى يهاجروا أو يصيروا معكم في ذلك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { بخb (N ٠ur .çr ژ|ZoKا™$# 'خû بïûدt#$9‰d م Nà6‹n=yèsù
w¨ژç (خZ9$# ٤'n?t م N %sqQO٠٣N /t ÷Yoو ru/t ÷Zuh ×،"Vsڈد iB
ه!$#Jy$ ru خ/ sè÷Jy=èqbt ؟ ×ژچإt/ اذثب } :

}

استنصروكم في الدين } وذلك إذا قوتلوا على الدين ليرجعوا إلى الشرك أو هم قوم بقتالهم ليرتدوا ،

فعلى رسول الله أن ينصرهم هو ومن معه من المهاجرين والأنصار مع عدم الولاية ، ينصروهم لينقذوهم منهم ويتمكنوا من الهجرة ، إلا على من بينه وبينهم عهد على الصلح يتمسك به المعاهدون ويثقون به في ترك الحرب ، فعلى الرسول وعلى من معه التمسك بالميثاق ، وترك نصرة هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا في هذه الحالة تمسكا بالميثاق ، وهذا حكم وسط للذين آمنوا ولم يهاجروا { والله بما تعملون } كلكم أنتم ومن لم يهاجر { بصير } فيحكم في كل بما يليق به ولكل بما يصلح له .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(#r#$!©%دtûi Nےxمچur .xهkفص÷â /èt!ن$uدٹ٩÷rr& C÷ظw /èt(خ ×puZ÷G٣ن` ؟sےçnqè=yè ùدs? ûخ† #$}F'اع ×ٹ$|،sùur ×ژچخ٧ں٢ اذجب (١)

---

(١) . { (#r#$!©%دtûi Nےxمچur .xهkفص÷â /èt!ن$uدٹ٩÷rr& C÷ظ/èt } مالكم من ولايتهم من شيء { w(خ ×puZ÷G٣ن` ؟sےçnqè=yè ùدs? ûخ† #$}F'اع ×ٹ$|،sùur ×ژچخ٧ں٢ اذجب } إن لا تفعلوا الولاية بين المؤمنين المهاجرين والأنصار دون غيرهم واعتبار الكفار بعضهم أولياء بعض لا يتولاهم مؤمن ولا يتولونه { تكن فتنة } باختلال نظام المؤمنين وبث الخلاف والفرقة بينهم والمعاداة وضعف التناصح ، وفي الأخير ضعفهم وقوة الكفار ، وحينئذ يكون نشر الفساد في الأرض ويضعف المسلمون عن دفعه كما هو الحال اليوم .

قال الشرفي في [المصابيح] : قال في البرهان : وفساد كبير يعني بغلبة الكفار ، وفساد كبير لضعف الإسلام ، وأيضا يحتمل تكن [فتنة] في الأرض: باختلاف الكلمة ، وفساد كبير بكثرة المنازعات والفتن ، انتهى.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ûخ' y_ur"yg‰كy_$ydur (#rمچr#) ںZtB#uمur (#q#$!©%ةïڑ
&s9'ré"¯´ڑپح tR¨rا|ٹrçے#) ںur (#rur#u#$٩©›ةtûï #$!" ™y٦خ›@ب
.xچجur ×Lq'ح--× B¨چدےJ9$# $y)ym Nçl°; ×otكB÷sدZمNèd tbqم
اذحب (١)

---

(١) . { ûخ' y_ur"yg‰كy_$ydur (#rمچr#) ںZtB#uمur (#q#$!©%ةïڑ
&s9'ré"¯´ڑپح tR¨rا|ٹrçے#) ںur (#rur#u#$٩©›ةtûï #$!" ™y٦خ›@ب
: { J9$# $y)ymكB÷sدZمNèd tbqم

لأنهم الذين تمت فيهم حقيقة الإيمان وصفاته المذكورة في أول السورة .

{ ×otچدےNçl°; B¨×--ح'Lq× urچج.x اذحب } : { مغفرة } لما سلف منهم قبل الإيمان وللصغائر ، ومما سلف ما وقع من الزلات فتابوا منه ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون { ورزق كريم } وعد بالرزق الكريم مطلق فيرجى به الرزق في الدنيا والآخرة ، وكانوا في أول الهجرة في إقلال وجوع فرزقهم الله من الغنائم والفيء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٠٢/٢)

---

y_$ydur مچèt/ (#r÷‰ك Bدئ– ںZtB#uمur (#q#$!©%دtûï
ur&ré'٩ںB (1) (#qدZ٣ںs9'ré'sù O"¯´حyètB y7٣ںy_ur N"yg‰ك(#r
(خb¨ #$!" .دtF"=ة ûخ' /خèt7÷ظ< &rr÷>èt/ 4'n÷هفصkQ%tn'F{$# Nد
©!$# ب@eن٣خ/ <نسx" Lvبخ=tو اذحب (٢) .

---

(١) . { y_$ydur مچèt/ (#r÷‰ك Bدئ– ںZtB#uمur (#q#$!©%دtûï
: { BدZ٣ںs9'ré'sù O"¯´حyètB y7٣ںy_ur N"yg‰ك(#r

من بعد هجرة الأولين الذين هاجروا قبل نزول قوله تعالى { إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم } الآية فهؤلاء المتأخرون آمنوا وهاجروا قبل الفتح المسقط للهجرة من مكة ؛ لأنها صارت بالفتح دار إسلام ولكنهم تأخروا عن أولئك الذين هاجروا من قبل نزول هذه الآيات فأولئك المتأخرون

منكم في ولايتكم تتولونهم ويتولونكم لصدق إيمانهم وهجرتهم بدليل الجهاد معكم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { (#qà٩'ér&ru دN #$}F'ntِ%Qkهفصع÷n'4 /tèْ<÷rr& <ظ÷7tèخ/
'ûخ ة="Ftد. "!$# } :

فالولاية بين المؤمنين المجاهدين لا تبطل الولاية بين أولي الأرحام منهم ، بل أولو الأرحام من المؤمنين من المهاجرين والأنصار أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ؛ لأن سبب الولاية العامة للمؤمنين المجاهدين قد حصل لهم واختص أولو الأرحام بسبب خاص هو الرحامة الانتساب الخاص إلى رحم ولدوا منها فهم أولى ببعضهم من سائر المؤمنين والمهاجرين { في كتاب الله } في حكم الله الذي كتبه ، إما كتابة القرآن وإما كتابة إيحائه وحكمه الجازم مثل { كتب عليكم القتال } { كتب عليكم الصيام } { كتب عليكم القصاص } .
قال الشرفي في [المصابيح] : واحتج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم جميعا في كتابه إلى أبي جعفر المنصور بهذه الآية في أن الإمام بعد رسول الله هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، ذكره الرازي ، انتهى.
قلت : الآية مطلقة في كل أمر راجع إلى الولاية والإختصاص ولذلك كان أمير المؤمنين علي عليه السلام هو الذي تولى غسل رسول الله وحراسته حتى صلى عليه الناس في يومين ، وحتى دفنه .
{ (خ¨b ©!$# بe@ä3ن٣خ/ <نسx" ٧Lخ=tوا ذخب } : فقوله الحق وحكمه الحق ، وعلينا أن نمتثل أمره ونهيه ، ونعلم أنه رقيب علينا في كل عمل لا يخفى عليه طاعة مطيع لله ورسوله ولا معصية عاص لله ورسوله .
فهذه الخاتمة راجعة إلى ما في هذه السورة من ذكر وقائع وتكاليف وأخبار وأحكام وهي تشير إلى الوعد والوعيد ، وبالله التوفيق .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٠٣/٢)

جاهز
×ûoي!#tچt/ من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين (١) (١)

(١) ابتداء تفسير سورة براءة وهي مدنية

( ) . { براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من
stûüد.خز³ôك1) #$J9) } :

قال الشرفي في [المصابيح]: قال الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام : إن قال قائل لم لم تكتب في أولها { بسم الله الرحمن الرحيم } قيل له: اعلم هداك الله أن
{ بسم الله الرحمن الرحيم } مفتاح كل خير وبركة ورضى وتزكية أثبتها الله فيما كان أنزله على نبيه وعلى المؤمنين من القرآن ، وأن براءة نزل في أولها مفتاح حرب وإنذار ونبذ العهد الذي كان بين الرسول وبين المشركين وإنذار وإبعاد لهم من ذي الجلال والإكرام عن المسجد المطهر والبيت الحرام وإخبارا لهم بأن ما كانوا يفهمون ويعرفون قد زال وتصرم وحال ، وأنهم إن ثبتوا على شركهم قتلوا حيث ما ثقفوا إشادة من الله سبحانه بذكر الإسلام وإظهارا وإعزازا لدعوة نبيه عليه السلام فلذلك لم يثبت فيها { بسم الله الرحمن الرحيم } انتهى .

أي هذه { براءة } واقعة من الله ورسوله موجهة وبالغة { إلى } المشركين { الذين عاهدتم } أيها المؤمنون ، أي براءة لله ورسوله من عهودهم فلا يلحق الرسول عيب ولا ذنب في رفض العهود المذكورة ؛ لأنها بلاغ إلى الكفار يعلن التخلي من الصلح السابق ويؤذن بالحرب وذلك نهاية لمضمون العهد السابق نهاية لحكمهم ؛ لأنه في حال يمكن فيه استعداد العدو للحرب إن شاء فلا غدر فيه ولا نكث للعهد ، وقد أرسل هذه البراءة رسول الله إلى المشركين لتقرأ عليهم أيام الحج في مكة في حال اجتماع الكثير منهم بحيث تبلغهم كلهم .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال في [البرهان] براءة نزلت برفع الأمان ونزلت سنة تسع من الهجرة فأنفذها رسول الله مع أمير المؤمنين علي عليه السلام في الموسم بعد ما سلمها إلى أبي بكر فاستردها منه بأمر من الله عز وجل نزل به جبريل عليه السلام وقال: (لا يبلغها إلا أنت أو رجل منك) فسلمها رسول الله إليه فقرأها أمير المؤمنين عليه السلام في يوم النحر على جمرة العقبة وكان قدر ما قراه عشر آيات من أولها ، انتهى .

قال الشرفي: ومثل هذا ذكر الإمام الناصر أحمد بن يحي عن أبيه الهادي إلى الحق صلوات الله عليه ، ثم قال عليه السلام: وقد روت العامة هذا الخبر في رد أبي بكر وإرسال علي صلوات الله عليه الصحيفة في مسند ابن أبي شيبة وغيره ، فلما كان يوم النحر واجتمع المشركون قام علي بن أبي طالب صلوات الله [عليه] عند جمرة العقبة فقال: (يا أيها الناس إني رسول [رسول] الله إليكم) وكان فيما روى أنه سمع أقصى الناس كما سمع أدناهم ، فقالوا: بماذا أرسلك؟ فقرأ عليهم { براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين } يقول من كان بينه وبين رسول الله عهد فهو بريء منه ، انتهى .

قلت: في مسند [أحمد بن حنبل ج١/ص٣]حدثنا عبد الله قال حدثني أبي قال حدثنا وكيع قال قال إسرائيل : قال أبو إسحاق: عن زيد بن يثيع عن أبى بكر أن النبي بعثه ببراءة لأهل مكة لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، من كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله إلى مدته والله بريء من المشركين ورسوله ، قال: فسار بها ثلاثا ، ثم قال لعلي رضي الله عنه: الحقه فرد علي أبا بكر وبلغها أنت ، قال: ففعل ، قال: فلما قدم على النبي أبو بكر بكى ، قال: يا رسول حدث في شيء ، قال: ((ما حدث فيك إلا خير ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني)) انتهى .

وفيه من [زوائد] ابنه عبد الله: حدثنا عبد الله حدثنا محمد بن سليمان لوين حدثنا محمد بن جابر عن سماك عن حنش عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت عشر آيات من سورة براءة على النبي دعا النبي أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ، ثم دعاني النبي فقال لي: ((أدرك أبا بكر (رض) فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم)) فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر (رض) إلى النبي فقال: يا رسول الله نزل في شيء ، قال: ((لا ولكن جبريل جاءني فقال :لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك)) انتهى .

وفي [الدر المنثور] للسيوطي: وأخرج ابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص (رض) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر (رض) ببراءة إلى أهل مكة ثم بعث عليا رضى الله عنه على إثره فأخذها منه ، فكأن أبا بكر (رض) وجد في نفسه ، فقال النبي : ((يا أبا بكر إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني)) انتهى ، وفي هذا روايات عديدة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٠٤/٢)

فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين (٢) (١)

---

(١) . { فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين (٢) } : السياحة: السير الطويل في الأرض ، والأمر بالسياحة كناية عن الأمان في هذه الأربعة الأشهر وهي من يوم إبلاغهم في الحج عاشر ذي الحجة إلى عاشر ربيع الأول فهي مهلة للمشركين يأمنون فيها لينظروا لأنفسهم فإما اختاروا الإسلام وإما اختاروا الحرب ، وقد أمروا أن يعلموا { أنهم غير معجزي الله } فهو قادر على قهرهم بنصر نبيه وبغير ذلك ، لا يعجزونه بقوتهم ولا يعجزونه بهرب وأمروا أن يعلموا أن {

الله مخزي الكافرين } فعليهم أن لا يتعرضوا للخزي والهوان والعار بل أن يسلموا ليسلموا الخزي من الله الذي يجعله على الكافرين .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٠٥/٢)

وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله (١)

---

(١) . { وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله } :
الأذان: إبلاغ بصوت رفيع إلى الناس موجه إلى الناس كلهم ليعلموا { أن الله بريء من المشركين ورسوله } بريء منهم ، وهذا عام للمشركين من كان له عهد ومن لم يكن له عهد .
ويوم الحج الأكبر عاشر ذي الحجة يوم طواف الزيارة المسمى طواف النساء لحلهن به ، وعموم الأذان للمشركين يأتي تخصيصه قريبا ، ومعنى براءته منهم إعلان الحرب بينه وبينهم وأنه ليس لهم أمان من بعد هذا فلا يلحق الرسول عار من قتلهم ولا إثم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٠٦/٢)

فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم (٣) (١)

---

(١) . { فإن تبتم } إلى الله أي رجعتم عن الإباق منه { فهو خير لكم } في دنياكم وآخرتكم { وإن توليتم } عن الله وأصررتم على الشرك { فاعلموا أنكم غير معجزي الله } وهذا تأكيد ليعلموا أنهم حرب لله وأنه غالبهم.
{ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم (٣) } :

هذا إنذار بعذاب النار عبر عنه بالتبشير تهكما بهم ؛ لأنهم أبوا إلا أن يعملوا ما يؤديهم إليه كأنهم طالبون له.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٠٧/٢)

إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين (٤) (١)

---

(١) . { إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا } :
أي وفوا بالعهد وفاء كاملا لم ينقصوا مما عاهدوا عليه شيئا { ولم يظاهروا عليكم أحدا } ولم يعينوا عليكم أيها المؤمنون أحدا { فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين (٤) } وهذا تخصيص لعموم البراءة والأذان أخرج منه من قد جربه المؤمنون موفيا بعهده على التمام ، فمن التقوى أن يبقى المؤمنون على العهد بينهم وبينه ، ويبقى آمنا منهم إلى مدة الأجل الذي جعل حدا للصلح والعهد.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٠٨/٢)

فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم (٥) (١)

---

(١) . { فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم } :
{ فإذا } تفريع على البراءة من المشركين والأذان وبيان أن ليس مراد قتالهم في الأشهر الحرم وهي أربعة يأتي ذكرها في هذه السورة ، وانسلاخها: انقضاؤها وذهابها.

قال الراغب: السلخ نزع جلد الحيوان يقال سلخته فانسلخ ، وعنه استعير سلخت درعه نزعتها ، وسلخ الشهر وانسلخ ، انتهى.
وقوله تعالى { حيث وجدتموهم } يدل على قتلهم سواء في بلدهم أو في سفر أو في معركة أو أينما كانوا ، مستعدين للقتال أو غير مستعدين ، وفيه تخويف لهم ، ويحتمل أن يعم الحرم لقوله تعالى { فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا } ويحتمل أن هذا العموم مبني على الخصوص في قوله تعالى { ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام } .
{ وخذوهم } أسرى إن شئتم أي اقتلوا من شئتم وخذوا من شئتم
}
واحصروهم } امنعوهم من الذهاب حيث شاءوا ؛ لتقتلوهم أو تأسروهم متى ضاقوا من حصرهم واضطروا إلى الإستسلام.
{ واقعدوا لهم كل مرصد } : { كل مرصد } كل مكان يصلح لرصدهم وانتظارهم حتى يأتوا عنده فيقتلوا أو يؤخذوا مثل انتظارهم على طريق يمرون منها.
{ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم } : لأنهم قد خرجوا من الشرك الذي لأجله أمرتم بقتلهم.
{ إن الله غفور رحيم (٥) } يغفر لمن تاب إليه ويرحمه ، وتخلية سبيلهم أن لا يعترضوا في سبيل بل يتركوا ليذهبوا حيث شاءوا ، وهذا تخصيص ثان من عموم البراءة والأذان.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٠٩/٢)

وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون (٦) (١)

---

(١) . { وإن أحد من المشركين استجارك } :
طلبك أن تجيره ممن يخاف منه القتل أو نحوه { فأجره } فاحمه من ذلك { حتى يسمع كلام الله } لزيادة الحجة عليه إذا سمعه ؛ لأنه يعرف أنه كلام الله بكونه خارقا في كماله { ثم أبلغه مأمنه } مثل بلده أو أصحابه حيث يأمن ، وبذلك لا يبقى له جوار إذا بلغ مأمنه { ذلك } الحكم بأن يجار حتى يسمع كلام الله ثم يبلغ مأمنه { بأنهم قوم لا يعلمون (٦) } لعدم استعدادهم للعلم ولإعراضهم

واشتغالهم بدنياهم فالآيات تمر عليهم فيعرضون عنها ، ففي حالة استجارة المشرك قد يتذكر وينتبه إذا سمع القرآن ، ففي هذا تخصيص مؤقت لهذه الحالة يخرجها من عموم الأذان والبراءة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩١٠/٢)

كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين (٧) (١)

---

(١) . { كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين (٧) } :

{ كيف يكون للمشركين عهد } ؟ وهذا يدل على أنهم لا يصلحون لعهد لما يأتي بيانه في الآية التي بعد هذه ، وقوله تعالى { إلا الذين عاهدتم } استثناء لأناس مخصوصين قد مضت معاهدتهم واستقاموا عليها ، وقوله تعالى { عند المسجد الحرام } أي عند الكعبة { فما استقاموا لكم } على العهد لم يميلوا { فاستقيموا لهم } إن الله يحب المتقين ، واستقامتكم حينئذ من التقوى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩١١/٢)

كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون (٨) (١)

---

(١) . { كيف } يكون للمشركين عهد { ur } لا وفاء لهم بل { إن يظهروا عليكم } يكونوا أقوى منكم حتى يتمكنوا من قتلكم أو أخذكم .

{ لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة } إما { لا يرقبوا } لا ينتظروا إلى أي عهد ، أي لا ينتظروا تمام مدة عهد

ولا مدة ذمة ، أو لا ينظرون إلى عهد ولا ذمة ولا يلتفتون إليه ، وهذا الذي أفاده في [المصابيح].

قال في [الصحاح]: الرقيب الحافظ والرقيب المنتظر تقول: رقبت الشيء أرقبه...إلخ.

قلت: وإذا كان في الآية بمعنى لا يحفظون فهو مستقيم ؛ لأن معناه أنهم يضيعون العهد والذمة لإهمالهم لهما.

وفي [مفردات الراغب]: ورقبته حفظته ، والرقيب الحافظ ، انتهى.

وقال الشرفي في تفسير قول الله تعالى حاكيا عن هارون عليه السلام { ولم ترقب قولي } : أي تحافظ على وصيتي في قولي لك { اخلفني في قومي وأصلح } ولم تعمل بموجبها ، انتهى المراد.

وأما الذمة: فقال في [لسان العرب]: وفي الحديث ذكر الذمة والذمام وهما بمعنى العهد والأمان والضمان والحرمة والحق ، انتهى المراد.

وفي الحديث: ((لا تعطوا القوم ذمتي ولا ذمة الله ، فالمخفر ذمة الله لاق الله وهو عليه ساخط ، اعطوهم ذمتكم وذمم آبائكم وفوا لهم فإن أحدكم لأن يخفر ذمته وذمة أبيه خير له من أن يخفر ذمة الله وذمة رسوله)) انتهى من مجموع زيد بن علي عليهما السلام.

قلت: يظهر أن الذمة هنا بمعنى الضمان مبالغة في الأمان وزيادة في العهد لتأكيده ، فالمشركون لا يرعون عهدا ولا يرعون ذمة إن ظهروا على المسلمين ، وكأن عطفها على العهد من الترقي ، كأنه لا يرقبون في مؤمن إلا بلا ذمة ولا ما هو أقوى منه وهو الذمة أن أعطوكم ذممهم ، وهذا خبر الله عالم الغيب بين أنهم إن يظهروا على المؤمنين لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة ، فقد بين تعالى بذلك أنه لا عهد لهم باعتبار ما سيكون منهم أي من المشركين إن ظهروا على المؤمنين.

{ يرضونكم بأفواههم } أي بكلامهم { وتأبى قلوبهم } تمتنع قلوبهم من تطبيق ما قالوا { وأكثرهم فاسقون (٨) } فسوقا غير الكفر والشرك خبث وتعمد للفجور ، فهم أبعد من أن يوفوا بعهد ؛ لأنهم شاركوا المشركين في عقيدتهم وفي كفرهم بآيات الله وامتازوا بأنهم لا يتحرجون من قبيح.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩١٢/٢)

اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون (٩) (١) لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون (١٠) (٢)

---

(١) . { اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله } استبدلوا باتباع آيات الله أو بالإيمان بآيات الله { ثمنا } هو الأغراض الدنيوية التي يرون أنها تفوت إن آمنوا واتبعوا آيات الله.

{ إنهم ساء ما كانوا يعملون (٩) } ما أسوأ { ما كانوا يعملون } ما تكرر منهم من العمل الفاحش.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون (١٠) } :

}

لا يرقبون } هذه صفتهم التي استمروا عليها واعتادوها فهم لا يردعهم عن النكث إلا الخوف منكم ، فأما العهد والذمة فلا يرقبونه ولا يلتفتون إليه ، وهذا خبر عن ماضيهم المتصل بالحال فلا تكرار بينه وبين الأول ، وهذا من بيان خبثهم ودفعا لتوهم أنه قد راقبوا العهد في الماضي { وأولئك } أهل هذه الصفات { هم المعتدون } لنقضهم عهد الله عليه وإصرارهم على نقض العهود.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون (١١) (١)

---

(١) . { فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين } :

{ فإن تابوا } عن جرائمهم كلها ورجعوا إلى الله بالإيمان { وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة } فهم إخوانكم { في الدين } فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

{ ونفصل الآيات لقوم يعلمون (١١) } :

{ نفصل الآيات } التفصيل خلاف الإجمال ، نفصل: نجعل الآيات القرآنية مفصلة ليستفيد منها وينتفع بفهمها قوم يعلمون ما علمناهم بالآيات المفصلة ، وبهذه الآية ختمت الآيات العشر النازلة سنة تسع لإعلان البراءة من المشركين أو بالآية التي قبلها.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا J£spح &r الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون (١٢) (١)

---

(١) . { وإن نكثوا أيمانهم } كما هو شأنهم { من بعد عهدهم } من بعد أن عاهدوا على الصلح ، نكثوا: أي نقضوا الميثاق بعد أن عقدوا لكم اليمين على الصلح ولعله في الأصل تشبيه بنكث الشعر والصوف والوبر بعد غزله أي نقضه وإرجاعه إلى ما كان عليه قبل غزله ، ونكث الأيمان بقتل المسلمين أو قتال حلفائهم.

{ وطعنوا في دينكم } طعنوا في الإسلام بكلامهم في ذم الإسلام

{ فقاتلوا J£spح &r الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون (١٢) } أي فقاتلوهم فهم { أئمة الكفر } أي المتبوعون في الكفر فقاتلوهم { إنهم لا أيمان لهم } لا عهد لهم ، فكل عهد لهم ضائع { لعلهم ينتهون } عن قتالكم إذا قاتلتموهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩١٥/٢)

ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين (١٣) (١)

---

(١) . { ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين (١٣) } :

{ ألا تقاتلون } إنكار على المؤمنين كأنه قيل: كيف لا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم

{ وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة } بقتالكم يوم بدر { أتخشونهم } ؟ فتتركون قتالهم خوفا منهم { فالله أحق أن تخشوه } لأن عذابه أشد من قتال القوم ، وهذه الآيات يظهر أنها نزلت في الحث على فتح مكة وقتال قريش ، وذلك متقدم قبل نزول العشر الآيات التي في أول براءة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩١٦/٢)

قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين (١٤) (١)

---

(١) . { قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين (١٤) } وهذا أمر وترغيب بذكر فوائد ونصر ، وهو غاية الترغيب ، وقوله تعالى { يعذبهم الله بأيديكم } بقتل من يقتل وغيظ قرابته منهم وأصحابه ، وقوله { ويخزهم } يذلهم ويفضحهم بعجزهم عن الدفاع واستسلامهم بعد كبرهم وعنادهم ، وقوله { وينصركم عليهم } أي إن تقاتلوهم ينصركم { ويشف صدور قوم مؤمنين } قد ظلمهم المشركون كثيرا ففي قلوبهم حرارات وحقد على الكفار لا يشفيها إلا قتال الكفار وإخزاؤهم والنصر عليهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩١٧/٢)

ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم (١٥) (١)

---

(١) . { ويذهب غيظ قلوبهم } : { ويذهب غيظ } قلوب هؤلاء المؤمنين الذين غاظهم المشركون كثيرا حتى رسخ الغيظ في قلوبهم فلا يذهبه إلا ما ينال المشركين بقتال المؤمنين لهم.
{ ويتوب الله } من بعد ذلك القتال وفوائده { على من يشاء } فباب التوبة مفتوح لهم وإن قوتلوا وعذبوا بالقتال ، فمن شاء الله هداه للتوبة فأسلم وتاب ، وهذا دفع لتوهمهم أنها لا تقبل توبتهم لطول تمردهم وقتالهم للمسلمين وتعذيبهم قبل الهجرة ومعاداتهم لرسول الله وهمهم بإخراجه وغير ذلك من عدوانهم وظلمهم وتكذيبهم لآيات الله.
{ والله عليم حكيم (١٥) } فهو عليم بما سيكون ، وهو عليم بما عليه الكفار وما قد مضى منهم ، وبكل شيء حكيم فحكمه بالقتال وتوبته من بعد على من يشاء كل ذلك مطابق للحكمة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩١٨/٢)

أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون (١٦) (١)

---

(١) . { أم حسبتم أن تتركوا } غير مكلفين بالقتال { ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم } أي تتركوا في حال لم يتميز المؤمن الصادق في إيمانه المجاهد في سبيله.
{ ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة } جاهدوا ولم يتخذوا من الكفار { وليجة } : بطانة يتولونهم من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين.
قال الراغب: والوليجة كل ما يتخذه الإنسان معتمدا عليه وليس من أهله من قولهم: فلان وليجة في القوم إذا لحق بهم وليس منهم ، انتهى .
وقال في [الصحاح]: ووليجة الرجل خاصته وبطانته ، انتهى.

فالمؤمنون الخلص جاهدوا وثبتوا على إيمانهم ولم ينافقوا ، فكان التكليف بالجهاد لتمييزهم وإثابتهم وإظهار فضلهم على غيرهم ممن تقاعد عن الجهاد ومن نافق ، ولولا التكليف بالجهاد لكانوا في الظاهر سواء ولم تحصل للمؤمن فضيلة الجهاد وفضيلة التوكل والثبات عند الزلازل والخوف.
{ والله خبير بما تعملون (١٦) } عليم بخبر أعمالكم كلها ؛ لأنه عالم الغيب ، فقوله { ولما يعلم الله } إنما هو كناية عن وقوع ما يعلم الله وقوعه ، مع أنه سبحانه عالم ما سيكون قبل كونه ولكنه تشبيه للتكليف بالإختبار الذي يترتب عليه تمييز الخبيث من الطيب في حقنا ، وقوله تعالى { أم حسبتم } بمعنى بل أحسبتم ، فهو إضراب من الترغيب في الجهاد بذكر فوائدة إلى ذكر حق الله فيه من الإختبار الذي يريده.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩١٩/٢)

ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون (١٧) (١)

---

(١) . { ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر } :
ليس من شأن المشركين كأنه لا يتصور منهم { أن يعمروا مساجد الله } لأن أعمالهم حابطة لا تقبل فهي كلا عمل ، فالمراد العمارة التي لها فائدة وتعد حسنة ؛ ولذلك قال تعالى:
{ أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون (١٧) } :

قال الشرفي في [المصابيح]: قال الإمام الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق عليه السلام : وقد جاء في الرواية أنه لما أسر بعض رؤساء المشركين أقبل ناس من المهاجرين فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم وعون المشركين على رسول الله وتركه الإيمان والإقامة على الكفر فقال لهم: ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكروا محاسننا؟ قالوا له: وهل لكم محاسن؟ قال: نعم ، إن كنتم تجاهدون في سبيل الله مع رسول الله الأعداء فنحن أفضل منكم أجرا ، قالوا: وبأي شيء؟ قالوا [قال] :نعمر المسجد الحرام ، ونحجب الكعبة ،ونفك العاني ، ونفادي الأسير ، ونسقي الحاج ، ونؤمن الخائف ، فأنزل الله ردا عليهم { ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله .. } الآية انتهى.
و { مساجد الله } المسجد الحرام وسائر المساجد الشرعية ، ولعل ذكر الجنس ليتناول الكلام من كان من المشركين يدعي عمارة المسجد الحرام ، ويتناول سائر المساجد الشرعية في أن عمارتها لا تتهيأ من مشرك.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٢٠/٢)

إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (١٨) (١)

---

(١) . { إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (١٨) } :
أصل العمارة ضد التخريب ولكن السياق يدل على أن العمارة هنا بمعنى إحياء المسجد بالعبادة فيه ،

وعمارة المسجد الحرام بالطائفين والعاكفين والركع السجود ، قال تعالى { والبيت المعمور } وافتخار المشركين بعمارة المسجد الحرام يظهر أنهم أرادوا إحياءه بمعاونة الحجاج والعمار بالسقاية ونحوها والحماية بحيث كثر الحجاج والعمار ، أو أرادوا إحياءه بأنفسهم بالطواف وبصلاتهم ، أو بالمعنيين.
وفي [الصحاح]: أبو زيد يقال عمر الله بك منزلك ، انتهى.
وفي [لسان العرب]: ويقال عمر الله بك منزلك يعمره عمارة وأعمره جعله آهلا ، انتهى المراد.

فالذين يعمرون مساجد الله هم المؤمنون ؛ لأن العمل لا يقبل إلا من المؤمن ، والجامع للصفات الأربع هو المؤمن حقا ، فعمل الكفار لا يعد عمارة ؛ لأنه غير مقبول بل هو حابط ، فهو كلا شيء ، ويمكن أن لا يسمى عمارة ؛ لأن المشرك لا يجي المسجد ؛ لأن حياة المسجد وعمارته إنما هي بالعبادة الحقيقية ، وعمل المشرك فيه أشبه باللعب ؛ ولكون المشرك نجسا لا يصلح للكون في المسجد ، فلا يعتبر أهلا ببقائه فيه كما لو كان فيه كلب فلا يعتبر كونه في المسجد عمارة له بل شغلا ونجسا ، وقوله تعالى في المؤمنين { فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين } أي يقرب أن يكون أهل هذه الصفات الأربع من المهتدين في بقية أعمارهم للصراط المستقيم فيختم لهم بالخير ويثابون على عمارة المسجد وسائر أعمالهم ففائدة { فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين } بيان أنه لابد من الثبات على الإيمان والإهتداء بهدى الله لئلا يحبط العمل ، وأهل الصفات المذكورة قريب منهم الثبات بسبب الإيمان وترجيح خشية الله على خشية غيره ، فهم بعيد من النفاق والإنقلاب فعسى { أن يكونوا من المهتدين } ولعل هذا المعنى هو المراد في قوله تعالى
{ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى } ومنه قول المصلي { اهدنا الصراط المستقيم }
.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

---

* أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين (١٩) (١)

---

(١) . { * أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين (١٩) } :

{ أجعلتم } ؟ الخطاب لمن سوى بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وبين الإيمان بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل سؤال إنكار للتسوية بينهما وسقاية الحاج سقاية الحجاج بالماء العذب { لا يستوون عند الله } في علمه أو في علمه وحكمه وهو أحكم الحاكمين { والله لا يهدي القوم الظالمين } فقد كان المشركون في ضلال حين يزعمون سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام مع شركهم عملا صالحا يفتخر به ، ولو كانوا على هدى لعلموا أنه لا يقبل منهم عمل مع الشرك ، وأن ذلك كسراب بقيعة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٢٢/٢)

الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم tbrâ"ح !xے٩$# (٢٠) (١)

---

(١) . { الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم tbrâ"ح !xے٩$# (٢٠) } :

ولكون المراد بالكلام في العمل الكلام في العاملين قال تعالى { لا يستوون } أي من يسقي الحاج ويعمر المسجد الحرام ومن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ، ثم زاد توضيحا بقوله تعالى { الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة } فبين أنهم لا يستوون وأوضح عظم درجة المؤمن المهاجر المجاهد ، وفي التفضيل وجهان :

أحدهما: أنه ليس معناه المشاركة في الدرجة وإنما هو لإثبات درجة عظيمة مقابل لا شيء كقوله تعالى { إن أكرمكم عند الله أتقاكم } ولا كرامة للمشرك عند الله ، ويؤكد هذا الحصر بقوله تعالى { وأولئك هم الفائزون } فلا درجة لغير الفائز .

الوجه الثاني: أن يكون مدعي المساواة كان قد أسلم وأراد أن سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام نافعان له وإن كانا قبل الإسلام فرد الله عليه بنفي التسوية ، ثم ببيان فضل المؤمن المهاجر المجاهد ؛ لأنه قام بواجب الإيمان وواجب الهجرة وواجب الجهاد ، وتعداد ذلك مناسب لذكر فضله وإن كان الإيمان والجهاد في تلك الظروف قد أفاد الهجرة بالنسبة لمن لم يكن من أهل المدينة ويشعر ذكر

الهجرة هنا أن دعوى المساواة كانت بين عمل مشرك وعمل مهاجر كما تدل عليه الرواية.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٢٣/٢)

يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم (٢١) خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم (٢٢) (١)

---

(١) . { يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم (٢١) خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم (٢٢) } :

قال الهادي عليه السلام في [الأحكام]: ويقول تبارك وتعالى فيه [أي في علي عليه السلام] وفي العباس ابن عبد المطلب عندما كان من تشاجرهما على الفضيلة فقال العباس: أنا ساقي الحجيج ، وقال علي عليه السلام: (أنا السابق إلى الله ورسوله) فأنزل الله عز وجل في ذلك { أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم } وكان سبب ما أنزل الله من ذلك أن العباس بن عبد المطلب رحمه الله ذكر فضل ما في يده وما يظهر من عمله من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وذكر أمير المؤمنين عليه السلام قديم إسلامه وهجرته واجتهاده في جهاد أعداء ربه وبذله مهجته لله ورسوله فقضى الرحمن بينهما وبين الفضل بين فضيلتيهما بما ذكر وقال في كتابه ، انتهى ما أردت نقله هنا.
وفي [الدر المنثور] روايات حاصلها: نزول قوله تعالى { أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام .. } الآية في علي عليه السلام والعباس رحمه الله ، وفيه: وأخرج أبو نعيم في [فضائل الصحابة] وابن عساكر عن أنس (رض) قال: قعد العباس وشيبة يفتخران ..إلى قوله.. فقال علي رضي الله عنه: (أنا خير منكما أنا أول من آمن وهاجر) فانطلقوا ثلاثتهم إلى النبي فأخبروه فما أجابهم بشيء فانصرفوا ، فنزل عليه الوحي بعد أيام فأرسل إليهم فقرأ عليهم { أجعلتم سقاية الحاج .. } إلى آخر العشر ، انتهى.
وفيه: وأخرج ابن أبي شيبة وأبو الشيخ وابن مردويه عن عبد الله بن عبيده رضي الله عنه قال: قال علي

للعباس رضي الله عنه : (لو هاجرت إلى المدينة) قال: أولست في أفضل من الهجرة ألست أسقي الحاج وأعمر المسجد الحرام؟ فنزلت هذه الآية يعني

{ أعظم درجة عند الله } قال فجعل الله للمدينة فضل درجة على مكة ، انتهى.

وفي [مصنف ابن أبي شيبة ج١٢/ص٨١ ، الطبعة الأولى تاريخها١٤٠٢هجرية] حدثنا وكيع عن إسماعيل عن الشعبي { أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام } قال نزلت في علي والعباس ، انتهى.

وفي حاشيته أخرجه الطبري في التفسير من طريق ابن عيينة عن اسماعيل ، انتهى .

وذكره ابن كثير من طريق عبد الرزاق أخبرنا ابن عيينة..إلخ ، وفي كتاب [شواهد التنزيل] تأليف الحاكم الحسكاني روايات كثيرة تؤيد هذا وفي النسخة المطبوعة تخريج واسع لتدل الروايات فراجعه ، وقوله تعالى { إن الله عنده أجر عظيم } كالتعليل يشير إلى سبب عظم الثواب من قدرة الله وعلمه وغناه وكرمه وغاية الرحمة والرضوان لأوليائه.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٢٤/٢)

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان (١)

---

(١) . { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان } : اتخاذهم أولياء إصفاء المودة لهم والكون معهم فيما يهمهم ، أي النصح لهم في المعاونة لهم على الأمر المهم لهم .

وذكر الشرفي في [المصابيح] في معنى هذه الآية عن الإمام الناصر أحمد بن الهادي عليه السلام قال إنها نزلت في المسلمين من أهل مكة ، فالذي وصل إلينا من الخبر أن رسول الله أمر الناس بالهجرة إلى المدينة فجعل الرجل يقول لأبيه والرجل لأخيه والرجل يقول لامرأته والرجل يقول لقرابته: إنا قد أمرنا بالهجرة إلى المدينة فاخرجوا معنا ، فمنهم من سارع وتعجبه الهجرة ، ومنهم من يأبى على صاحبه أن يهاجر معه ، فجعل الرجل يقول لزوجته ولولده ولأخيه ولقرابته إذا أبوا عليه أن يهاجروا معه: والله لئن ضمني [ضمنا] الله في دار هجرة بعد اليوم لا نفعتكم بشيء أبدا ولا أعطيكم شيئا أبدا وصفهم [كذا] [فمنهم] من تتعلق به زوجته وعياله فيقولون: ننشدك بالله أن تدعنا على غير شيء فنضيع ونهلك فيرق

لهم عند ذلك ويرحمهم فيجلس معهم ويدع الهجرة ، فأنزل الله تبارك وتعالى { لا تتخذوا آباءكم وأبناءكم [وإخوانكم] الآية انتهى.

قلت: ولا يشكل على هذا تأخر نزول براءة بعد الفتح فإن المتأخر هو العشر الآيات في أولها وقد مر ما يفيد هذا ، فأما بقية السورة فمنها ما هو متقدم أو كل بقيتها أو أكثره.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون (٢٣) (١) قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين (٢٤) (٢)

---

(١) . { ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون (٢٣) } :

لأنهم عصوا الله ورسوله بتوليهم ، ومعصية الله ظلم لأنها حيف وجور ؛ لأن الحق والعدل طاعة العبد المنعم عليه لسيده المنعم عليه بنعم لا يحصيها ، فإذا أساء إليه بالمعصية وارتكاب ما نهاه عنه فقد ظلم وجار وتعدى.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم } :

قال الراغب: فصار العشيرة اسما لكل جماعة من أقارب الرجل الذين يتكثر بهم ، انتهى.

{ وأموال اقترفتموها } أي اكتسبتموها فهي عزيزة عليكم بسبب اكتسابكم لها.

{ وتجارة تخشون كسادها } أي أموال تجارة تخشون أن لا تنفق لكم إن هاجرتم.

{ ومساكن ترضونها } إما لإلفهم لها وإما لأن فيها أغراضهم ومطالبهم فلا يريدون مفارقتها للهجرة قل إن كان ذلك المذكور { أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا } أي فانتظروا

{ حتى يأتي الله بأمره } بنصر نبيه والإنتقام منكم.

{ والله لا يهدي القوم الفاسقين (٢٤) } الخارجين عن أمره الخبثة الفجار ، أي فأنتم حينئذ فاسقون محرومون من هدى الله ؛ لأنه لا يهدي القوم الفاسقين ، وهو يفيد أنهم مستحقون لانتقام الله منهم ؛

لأن الفاسق يستحق العقاب ، وهذه الآية للمسلم مخبر الإيمان الصحيح أو الفسق الصريح فليتأمل نفسه ليعرف من أي الفريقين هو أمن المؤمنين أم من الفاسقين؟.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٢٦/٢)

لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين (٢٥) (١)

---

(١) . { لقد نصركم الله في مواطن كثيرة **ur** } واذكروا { ***Pqtf*** حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين (٢٥) } :
قال في [الصحاح] والموطن المشهد من مشاهد الحرب ، قال تعالى { لقد نصركم الله في مواطن كثيرة } وقال طرفة:

على موطن يخشى الفتى عنده الردى ... متى تعترك فيه الفوارس ترعد

انتهى .
وحنين موضع وقعت فيه معركة شديدة ، قال في [الكشاف]: وحنين واد بين مكة والطائف ، انتهى.
{ إذ أعجبتكم كثرتكم } قال في [لسان العرب]: وأعجبه الأمر سره ، انتهى.
سرتكم كثرتكم لظنكم أنكم تغلبون العدو بسبب كثرتكم.
{
فلم تغن عنكم شيئا } لم تكفكم شيئا من عدوكم أي لم تدفع كثرتكم عنكم شيئا من ضر العدو لكم ، وهذا يدل على أن العدو قد أصابوهم ببعض الإصابات لم يدفعوها بكثرتهم.
{ ثم وليتم مدبرين } بعد أن لم تغن عنكم كثرتكم شيئا انهزمتم مدبرين ، والإدبار ضد الإقبال.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٢٧/٢)

ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين (٢٦) (١)

---

(١) . { ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين (٢٦) } :
{ سكينته } الطمأنينة وسكون القلوب وذهاب الفزع على رسوله وعلى المؤمنين ، والمؤمنون في تلك الحال هم الذين ثبتوا مع رسول الله لم يفروا من الزحف ، ويحتمل أن هذا الفرار من بعضهم لاحق بالخطأ فلا يخرجهم من الإيمان وذلك فرار من رجع فورا وكان فراره بسبب مفاجأة العدو قبل التوقع له ولمصادفته يرمي وهم غافلون ، والله أعلم.
فهذه السكينة في وقت الخوف أضافها الله إلى نفسه هي آية من الله وأمر خارق كإنزال الجنود ، فأما اطمئنان بقية الجند المنهزمين بعد تراجع المجيبون لدعوة الرسول فليس من السكينة المذكورة لأنه أمر غير خارق لحصول سبب الأمن الطبيعي.

قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليه السلام : حنين واد بين مكة والطائف كان فيه القتال بين رسول الله وبين قبائل من المشركين فأعجب أصحاب النبي بكثرتهم حتى ظنوا أنهم لا يهزمون فلما التقوا بحنين حمل عليهم المشركون حملة واحدة فخفت أقدامهم واختلفت قلوبهم وثبت رسول الله وأمير المؤمنين ، ومعه نفر من بني هاشم فلم يبرحوا ، وثبت الله أقدامهم ونصحوا قال الشاعر:

خلا الناس عنه في حنين بأسرهم ... وولوا هزيما بالرماح الشوارع
سوى الهاشميين الكرام فإنهم ... ذوو الصبر تحت المرهفات القواطع
وفيهم علي خير من وطئ الحصا ... قريع قريش كلها في الوقائع
سنان رسول الله في كل حومة ... وكاشفها عن وجهها غير راجع

قال الشرفي: ومعنى قوله { فلم تغن عنكم شيئا } فلم تدفع عنكم الكثرة شيئا
{ وضاقت عليكم الأرض بما رحبت } مع رحبها وسعتها أي لا تجدون موضعا لمنجاتكم لشدة الخوف ، انتهى المراد.
وقال الشرفي في [المصابيح]: وفي هذه الآية وتفسيرها يقول الإمام الناصر أحمد بن الهادي عليه السلام: فلما التقوا بحنين كسر العدو [جفون] سيوفهم ثم حملوا عليهم فهزموا المسلمين هزيمة شديدة ورسول الله على بغلته وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به وهو ابن عمه ، والعباس

بن عبد المطلب آخذ بالسفر [بالثفر] وانهزم الناس عن رسول الله إلا عشرة رجال كلهم من بني هاشم لم يخلطهم أحد من الناس منهم: العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وأمير المؤمنين علي عليه السلام ، وفيهم نزلت هذه الآية { فأنزل [ثم أنزل] الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين .. } الآية فوجبت السكينة على رسوله وعلى المؤمنين ..الآية فوجبت السكينة وفضلها له ولمن وقف معه بحنين خاصة وبمثل هذه يعرف الحق لأهله والفضل لمن جعله الله له وفيه ، وقد قال غيرنا: إن الذين وقفوا معه نحو من ثلثمائة رجل وليس ذلك بشيء وليس الصحيح إلا عشرة من بني هاشم ، وفي ذلك يقول الشاعر:

خلى الناس عنه في حنين بأسرهم ... .

ثم ذكر الأبيات التي مر ذكرها آنفا .

قال عليه السلام: وقد قيل في ذلك من الشواهد ما لا نحصيه ورجع رسول الله يناديهم : ((يا معشر المهاجرين إلي)) ويقول :((يا معشر الأنصار إلي)) ثم يقول :((أين أصحاب البقرة؟)) فاجتمع الناس ، ثم حملوا على المشركين فهزمهم الله لرسوله وولوا مدبرين وغنمت أموالهم وذراريهم ولهم خبر يطول وأنت تجده في كتاب المغازي إن شاء الله تعالى ، انتهى.

قلت: قد صححت بما بين المعقوفات ؛ لأن الظاهر أن خلافه تصحيف من بعض النساخ وغلطهم .

وفي [سيرة ابن هشام] أن رسول الله قال: ((يا عباس أصرخ يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السمرة)) انتهى. وهي الشجرة المذكورة في القرآن { لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة } فالدعوة لهم تذكير لهم بالبيعة تحتها ، وقوله تعالى { وعذب الذين كفروا } أي بالقتل والهزيمة واغتنام أموالهم وذراريهم وما في ذلك من الغيظ والحزن ، وقوله { وذلك جزاء الكافرين } أي تعذيبهم عقوبة عاجلة ، أو التعذيب من حيث هو تعذيب ، وفي قصة حنين تذكير بنصر الله لرسوله والمؤمنين حين لم تنفعهم الكثرة فهو تذكير لهم بنعمة الله وعبرة ليزدادوا توكلا على الله ، وليس فيها دلالة على أنهم أثموا بإعجاب كثرتهم لهم وكيف لا تعجبهم وهي في ظاهر الحال قوة للإسلام وقد قال الله تعالى { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة } وليس العجب بالقتال مع الكثرة بل مظنة العجب القتال في حال القلة فجعل ذلك من العجب المذموم غير صحيح عندي ، وبالله التوفيق.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم (٢٧) (١) يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا (٢)

---

(١) . { ثم يتوب الله من بعد ذلك } القتال للمسلمين والتعذيب للكفار.
{ على من يشاء } فيهديه للإسلام وهذا دفع لتوهم الكفار أنه لا توبة لهم ، فأما المسلمون فلا إشكال في قبول توبة من تاب منهم من الفرار وقد تقرر ذلك يوم أحد فجعل هذه الآية فيهم بعيد عندي مع أنهم داخلون في عمومها.
{ والله غفور رحيم (٢٧) } ومن مغفرته ورحمته توبته على بعض العصاة ليتوبوا.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا } :

قال الشرفي في [المصابيح]: قال في [البرهان] هم أنجاس الأبدان كنجاسة الكلب والخنزير وتنزه منهم المساجد كما تنزه من الكلاب والخنازير { فلا يقربوا المسجد الحرام } بحج أو عمرة كما كانوا يفعلون ، وقوله { بعد عامهم هذا } وهو سنة تسع من الهجرة لقول علي عليه السلام : (ألا لا يحج بعد هذا العام مشرك) انتهى.
قلت: يعني أنه تفسير للآية وهو واضح لأن رسول الله أرسل عليا إليهم ببراءة وهم بمكة فدل ذلك على أنه لم يكن سبق النهي عن دخولهم المسجد الحرام ؛ لأنه لو كان قد سبق لم يحج المشركون لأن رسول الله قد كان فتح مكة وصارت دار إسلام ، ولو كانت هذه الآية نزلت قبل سنة تسع لنهاهم رسول الله قبل إرسال براءة سنة ثمان مثلا ولو نهاهم لاشتهر أنهم انتهوا أو أنهم لم ينتهوا.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٢٩/٢)

وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم (٢٨) (١)

---

(١) . { وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم (٢٨) } :
{ وإن خفتم } يا أيها الذين آمنوا خفتم { عيلة } فقرا بسبب انقطاع ما كان يأتي به المشركون مع

الحج من الطعام وغيره { فسوف يغنيكم الله } من الفقر { من فضله إن شاء } فعليكم أن تمنعوا المشركين على كل حال ، وتوكلوا على الله وهذا فائدة قوله تعالى
{ إن شاء } لأنه لو لم يقل إن شاء لذهب الإبتلاء بمنعهم مع خوف العيلة .
فإن قيل: فما فائدة هذا الوعد المعلق على شرط المشيئة؟

قلت: فائدته أن يرجو فضل الله ولا ييأسوا لمنع المشركين من رزق يغني عما كانوا يجلبونه إلى مكة ، وإذا اجتمع الخوف والرجاء كان شأن المؤمن التوكل على الله في امتثال أمره ونهيه وأن لا يمنعه الخوف من طاعة الله تعالى ، وقوله تعالى { إن الله عليم حكيم } تذكير لهم أنه عليم بأحوالهم فهو عليم بانقطاع ما كان يجلبه المشركون عليم بحاجة المؤمنين إلى بدله من الرزق وهو حكيم ، فإذا اقتضت حكمته أن يرزقهم ويغنيهم من فضله فعل ، وهذا أيضا مما يحصل به الرجاء لفضله ، وأما الحصر في قوله تعالى { إنما المشركون نجس } والقصر فيه فالراجح أن معناه ليس المشركون صالحين لقرب المسجد الحرام ؛ لأن عملهم غير مقبول وهم يطوفون عراة وصلاتهم عند البيت مكاء وتصدية وفي تلبيتهم الشرك ؛ لقولهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك ، فليس فيهم خير يؤهلهم لقرب المسجد الحرام إنما هم نجس ، فالقصر قصر القلب مثل { لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون } وذلك لئلا يظنوا منع المشركين من قرب المسجد الحرام إنه من الصد عن العبادة في المسجد الحرام فليسوا أهل عبادة لله إنما هم نجس.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٣٠/٢)

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (٢٩) (١)

---

(١) . { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (٢٩) } :
{ لا يؤمنون بالله } واليوم الآخر ؛ لأنهم وإن ادعوا ذلك غير مؤمنين كقوله تعالى
}
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين } وقال في بعض أهل الكتاب { ولو كانوا

يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء } فالإيمان الصحيح هو ما بعث على طاعة الله وتقواه لبعثه على الخشية من الله ومراقبته وهكذا الإيمان باليوم الآخر هو ما بعث على الإستعداد له والحذر من النار والصبر على طاعة الله وترك الإصرار على معصية الله خوفا من النار ، وقوله تعالى { ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله } فهم أهل فساد وإفساد وإذا تركوا فهم يبيحون الخمر والخنزير وذلك يؤدي إلى نشرهم لفسادهم في الأرض وقد قال تعالى في اليهود { ويسعون في الأرض فسادا }
والتجربة في هذا الزمان تدل على انتشار الفساد بسبب الحرية التي تبيح الخمر والزنا واللواط وغير ذلك من أسباب شيوع الفساد وانتشاره وانتشار الأمراض بسببه مع انحراف أهل الأهواء عن الديانات جملة .

وقوله تعالى { لا يدينون دين الحق } وهو دين الله ارتضاه لهذه الأمة وأرسل به رسوله وأنزل به كتابه وقامت الحجة على أهل الكتاب وغيرهم بالقرآن فعتوا عن الإيمان به وأصروا على الكفر ، وهذا مع ما يأتي في الآيتين بعد هذه الآية من فسادهم ، وقوله
{ من الذين أوتوا الكتاب } يخص أهل الكتاب من بين سائر الكفار لحكمة وهو أحكم الحاكمين حيث شرع قتالهم حتى يعطوا الجزية بخلاف سائر المشركين الذين ليسوا أهل كتاب سماوي ، وقوله { حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون } غاية للأمر بقتالهم فلا يجب متى أعطوا الجزية { عن يد وهم صاغرون } عن يد بسبب يد ونعمة عليهم هي أمانهم من القتل فقوله تعالى { عن يد } كقوله { فأزلهما الشيطان عنها } أي في معنى (عن) فاليد هنا النعمة ولذلك أفردت ، ولو كانت عبارة عن العضو لجمعت كقوله { غلت أيديهم } وقوله تعالى { وهم صاغرون } (الواو) واو الحال أي في حال صغارهم والصغار الذلة وذلك يفيد أن لا يبقى لهم عز بل يخضعوا لدولة الإسلام وأحكامه من غير أن يظلموا ولا ينالوا كرامة المسلم ، ومن أمثلة ذلك ما روي عن علي عليه السلام في مخاصمته لكتابي ادعى عليه علي عليه السلام درعا له فتحاكما إلى شريح فجلس علي عليه السلام عند شريح والقصة بسندها في [أمالي] أبي طالب عليه السلام في [الباب الثالث] وفيها: فقال . أي أمير المؤمنين علي عليه السلام . : (هيه يا شريح لو كان خصمي مسلما ما جلست إلا معه ولكنه نصراني ، وقد قال رسول الله : ((إذا كنتم وإياهم في طريق فصيروهم إلى مضائقه وصغروهم كما صغر الله بهم من غير أن تطغوا)) انتهى.
والقصة في [أمالي] المرشد بالله عليه السلام في [الباب الرابع والثلاثين ج ٢/ص٢٣] بسند آخر .
وفيها: فقال علي عليه السلام: (لولا أن خصمي ذمي لاستويت معه في المجلس لكنى سمعت رسول الله يقول : ((أصغروا بهم كما أصغر الله بهم)) انتهى.

وفائدة الجزية: أن تعين على إدارة أمورهم مع أنه لا زكاة عليهم ولا فطرة ، وفائدة التصغير بهم: تقريبهم إلى الإسلام لأنهم في مهلة الأمان قد يأنفون من أداء الجزية صاغرين ويرون عدالة الإسلام فيرغبون فيه ، وقد روي أنهم كانوا في دولة الهادي إلى الحق يحي ابن الحسين يسلمون بسبب عدله ، وكذلك الخصم الذي خاصمه أمير المؤمنين علي عليه السلام لدى شريح في قضية الدرع قال كما في الرواية

في [أمالي] المرشد بالله عليه السلام: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه أشهد أن هذا الحق أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ومثله في [أمالي] أبي طالب عليه السلام ، ورواية [أمالي] أبي طالب رواها الهادي عليه السلام في [الأحكام] في باب القول فيما يجب على القاضي أن يفعله وعقب عليها الهادي عليه السلام في ما يفيد صحتها عنده حيث قال عقيبها: (رحم الله عليا أمير المؤمنين فقد جهل الحق من جهل فضله)..الخ.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٣١/٢)

وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون (٣٠) (١)

---

(١) . { وقالت اليهود چ÷ƒt"مم ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون (٣٠) } :

قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين ابن القاسم عليه السلام : يعني قوما من اليهود كانوا غلوا في عزير صلوات الله عليه لما بعثه الله بعد موته بمدة من الزمان فقرأ لهم التوراة جميعا وكتبها وأحاط بمعرفتها كلها وحفظها يروى أنهم صدقوه أنه مبعوث بعدما أنكروا عليه وقالوا عزير مات منذ زمن طويل ، فلما رأوا ما فعل من كتابة التوراة كلها وحفظها وروايته لجميعها غلوا فيه حتى جاوزوا به الحد وخرجوا به من الدين والقصد ، انتهى.

قلت: ظاهر الآية أنهم أجمعوا فعل ذلك بقول بعضهم ورضى الباقين ، وهو يحتمل أنهم كالنصارى في إثبات اللاهوت والناسوت ، ويحتمل أنهم جعلوا عزيرا ابنا بالتبني والإتخاذ ، وكلا القولين باطل وجهل بالله الغني الحميد.

وقال الشرفي في [المصابيح]: قال الإمام الناصر أحمد بن يحي الهادي عليه السلام : قد جاء في الرواية أن بخت نصر لما ملك بابل وظهر على بني إسرائيل وملك بيت المقدس وهدمه وقتل من قرأ التوراة وأحرق ما قدر عليه منها وكان عزير إذ ذاك غلاما صغيرا فاستصغره فلم يقتله ولم ير أنه يقرأ في التوراة فلما توفي عزير ببابل صلوات الله عليه ورجعت بنو إسرائيل من بعده إلى بيت المقدس رجعوا وليس منهم إنسان يقرأ التوراة فمكث عزير عليه السلام في موته مائة سنة ثم بعثه الله ليجدد لبني

إسرائيل توراتهم ويكون لهم آية فأتاهم فقال أنا عزير فكذبوه وقالوا: قد حدثنا آباؤنا أن عزيرا مات ببابل فإن كنت كما تزعم عزيرا فأت بالتوراة علينا قال: نعم فكتبها لهم حتى فرغ ، فقال: هذه التوراة ، ثم إن رجلا من بني إسرائيل يقال له سمحان بن لحيان ، وكان من أبناء الذين سباهم بخت نصر وكان أبوه رجلا صالحا فقال: إن أبي أخبرني أن التوراة جعلت في حاسة والحاسة هي الحرة ثم دفنت في كرم لنا ، فانطلقوا معي حتى أستخرجها لكم ، فانطلقوا معه حتى احتفرها فاستخرج الحابية وفيها التوراة فعارضوها بما كتب لهم غزير فلم يجدوها غادر منها آية واحدة مما كتب كله ولا سورة فعجبوا وقالوا إن الله عز وجل لم يقذف التوراة في قلب رجل منا بعد ما ذهبت في بيوتنا وقلوبنا إلى قلب رجل واحد إلا وهو ابنه ، فهذا شركهم بالله عز وجل فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله جل وتعالى وتقدس عن قول كل كافر وعلا علوا كبيرا ، وأما النصارى فكان شركهم بالمسيح صلوات الله عليه لما رفعه الله إليه وحدث من بعد عيسى صلى الله عليه وسلم قوم لم يكونوا أدركوه ولكنهم كانوا يقرؤون التوراة ويؤمنون بعيسى صلوات الله عليه فأتاهم رجل من اليهود يقال له يونس فغرهم في دينهم حتى لبس عليهم وأتاهم بالشبهة مثل ما ترى أكرمك الله في دهرك ممن يتحيل في إدخال الجبر والتشبيه وفساد الدين والطعن على المحقين من الزنادقة وأهل الإلحاد ووضع الكتب المخالفة للقرآن فنعوذ بالله لنا ولك من الحيرة في دينه والجهل بكتابه والركون إلى غير مرضاته إنه قوي عزيز ، انتهى المراد.

{ ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل } : يضاهون يشاكلون فهو قولهم خرج من أفواههم على كبره ونطقوا به في حال أنهم يضاهئون به قول الذين كفروا من قبل فهو الباعث لهم على النطق به ، وذلك أن من طبع البشر الميل إلى الإقتداء كما قالوا لموسى { اجعل لنا إلها كما لهم آلهة } قال بعض المفسرين: إن تسرب العقائد الوثنية في دين النصارى ومثلهم اليهود من الحقائق التي كشف عنها القرآن الكريم في هذه الآية { يضاهون قول الذين كفروا من قبل } وقد اعتنى جمع من محققي هذا العصر بتحقيق ما تضمنته كتب القوم أعني العهدين القديم والجديد على ما حصل من مذاهب البوذيين والبرهمانيين فوجدوا معارف العهد منطبقة على ذلك حذو النعل بالنعل حتى كثيرا من القصص والحكايات الموجودة في الأناجيل فلم يبق ذلك ريبا لأي باحث في أصالة قوله تعالى { يضاهئون .. } الآية) في هذا الباب ، انتهى.

وقوله تعالى { قاتلهم الله } تعبير عن الغضب عليهم بسب تلك المقالة ، ثم قال تعالى { أنى يؤفكون } أي من أين يصرفون عن القول في الله بالحق إلى القول بالباطل الذي لا يقبله عقل ولا دين ولا تؤدي إليه حجة ولا شبهة لو عرفوا الله جل جلاله.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم (١)

---

(١) . { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم } :
{ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله } : { اتخذوا } أي المذكورون في الآيتين قبل هذه ولعله جمع لهم على التوزيع أي بعضهم اتخذوا أحبارهم وبعضهم اتخذوا المسيح فنسب إلى مجموع الفريقين لذلك ، والأحبار: علماء اليهود هنا ، والرهبان: عباد النصارى المتفرغون للعبادة فلا يشتغلون بكسب الرزق ولا بأعمال دنيوية ، اتخذوهم
}
أربابا } أي ملاكا مالكين لهم { من دون الله } لأنهم جعلوا أحكامهم تجري عليهم دون أحكام الله تعالى ، فجعلوا تحريم الحلال إذا حرموه عليهم جعلوه ملزما لهم ليس لهم أن يستحلوه بعد أن حرمه أحبارهم ورهبانهم ، وهكذا إذا أحلوا لهم ما حرم الله جعلوا ما حرم الله حلالا لهم فقد جعلوا أحبارهم ورهبانهم مالكين لهم يحق لهم أن يحكموا فيهم بما شاءوا ؛ لأن حكمهم لا يكون حقا إذا كانوا أحرارا مثلهم ، وإنما المالك هو الذي يحكم في عبده فيلزمه حكمه ، فمعنى جعل الحكم لأحبارهم ورهبانهم جعلهم مالكين لهم ، فصح أنهم اتخذوهم أربابا حقيقة وجعلوا لهم الربوبية أسبق إليهم من ربوبية الله لهم حيث آثروا حكمهم على حكم الله ، فصح أنهم اتخذوهم أربابا من دون الله .
{ والمسيح ابن مريم } اتخذوه ربا مالكا لهم ؛ لأنهم أوجبوا على أنفسهم عبادته والعبادة إقرار بالعبودية بزعم العابد .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٣٣/٢)

وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون (٣١) (١) يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم (٢)

---

(١) . { وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون (٣١) } :
فلم يأذن الله لهم باتخاذ أرباب من دون الله ولا بعبادة غير الله ، فتدينهم بذلك الشرك تدين لم يأذن الله به وإن ادعوا أنه من دين الله { وما أمروا } بعبادة الله { إلا ليعبدوا إلها واحدا } ليس ثلاثة أقانيم ولا مؤلفا من متعدد بل هو واحد حقيقة { لا إله إلا هو } لا يشاركه ابن ولا صاحبة ولا غيرهما ليس له

صاحبة ولا ولد ، وهو المالك لعباده ؛ لأنه الذي خلقهم ورزقهم فهو ربهم فلا يستحق العبادة إلا هو { سبحانه } بعد عن مشابهة ما يشركونه من المخلوقين الضعفاء المربوبين وتعالى عن ذلك بعزته وقهره فوق عباده .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم } :

}

نور الله } هداه بالقرآن والرسول فهم أعداء الحق وأعداء الهدى فلا حق لهم في أن يتركوا ليفسدوا في الأرض بل يجب أن يقتلوا حتى يخضعوا لحكم الإسلام في إطار الصغار حتى لا يتمكنوا من نشر الفساد ، ألا ترى أنهم في هذا الزمان ظهر فسادهم وانتشر بالمبشرين وبالإذاعات والتلفزيون والإنترنت وغيرها لما تمكنوا وضعف المسلمون بتفرقهم وتخاذلهم بل وعدم الإيمان في قلوب أكثرهم وصاروا يقتلون المسلمين قتلا ذريعا لا يحميهم ميثاق الأمم المتحدة ولا ما يزعمون من رعاية حقوق الإنسان ، وقد قال الله تعالى { ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا } ولو أصلح المسلمون ما بينهم وبين الله لأصلح ما بينهم وبين الناس ولكن كثيرا منهم لا يؤمنون الإيمان الصحيح وإن ادعوا بألسنتهم أنهم مؤمنون { ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون } { ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون } وصار الكثير منهم علمانية يرفضون تطبيق الشريعة الإسلامية فكيف لا تضرب عليهم الذلة والمسكنة .

وإطفاء نور الله بأفواههم هو التشكيك في صدق الرسول في أنه رسول الله ، وفي أن القرآن كلام الله ونحو ذلك من الكلام المضل عن الهدى ، وفي العبارة تشبيه بإطفاء السراج بالتيار الهوائي الخارج من الفم ، وفي إضافة نور الله إلى الله تعظيم أو دلالة على قوته وضعف أفواههم عن إطفائه. كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٣٤/٢)

ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون (٣٢) (١) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٣٣) (٢)

---

(١) . { ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون (٣٢) } :
قد كانوا أرادوا إطفاء نور الله في وقت رسول الله فأبى الله { إلا أن يتم
نوره } بإتمام الوحي وإكمال الدين وإظهاره ، وقد كان ذلك في آخر عهد الرسول فأتم نوره والكافرون
كارهون لذلك ، لأن الله غالب على أمره .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف
إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٣٣) } :

هذا كالتعليل لقوله { ويأبى الله } فالله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
يأبى أن يطفئوا هذا النور قبل أن يظهره على الدين كله ، ولا يستطيعون مغالبة الله على أمره ، والهدى:
ما بلغه الرسول عن الله من القرآن وسائر الوحي يهدي من اتبعه إلى الحق ، ودين الحق: ما شرعه الله
لعباده من عبادته والقيام به من الأعمال والمعاملات وغيرها ، وهو دين العباد لربهم يدينون به أي
يطيعون الله به ويعملون له ، وقوله تعالى { ليظهره } أي ليعليه ويجعله فوق الأديان كلها بقوة حجته
ونصره لأهله
{ ولو كره المشركون } لأن الله غالب على أمره ، وفي هذه الآيات تشجيع على قتال أعداء الإسلام
المذكورين حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف
إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٣٥/٢)

---

* يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله
(١)

---

(١) . { * يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن
سبيل الله } :
هذا تحذير من الإغترار بهم فهم فاسدون يأكلون الحرام ويصدون عن دين الله الذي ارتضاه لعباده ،
فلا ينبغي مع هذا النظر إلى أنهم أحبار أو أنهم رهبان فذلك مظهر خداع وتضليل ، كما أنه حث على
منع تمكنهم من الصد عن سبيل الله بإذلال مجتمعهم وإخضاعه لحكم الإسلام بقتال من أمر بقتالهم

في الآيات السابقة حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٣٦/٢)

والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم (٣٤) يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون (٣٥) (١)

---

(١) . { والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم (٣٤) يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون (٣٥) } :
قال في [الصحاح]: الكنز المال المدفون ، ثم قال وفي الحديث: ((كل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز)) انتهى .
وفي [مفردات الراغب]: الكنز جعل المال بعضه على بعض وحفظه ، ثم قال وقوله { والذين يكنزون الذهب والفضة } أي يدخرونها ، انتهى .
وفي [لسان العرب]: الكنز اسم للمال إذا أحرز في وعاء ولما يحرز فيه ، وقيل: الكنز المال المدفون ، انتهى المراد .

وقوله: ولما يحرز فيه الصواب وللإحراز فيه يعني أنه يكون مصدر كنز كما يكون اسما للمال المكنوز ، وقد روي عن رسول الله أنه قال: ((ما بلغ أن تؤدى زكاته فزكي فليس بكنز)) رواه الإمام أبو طالب عليه السلام في [الأمالي] ومحله [الباب الثاني والعشرون] وفي الآية الكريمة دلالة على وجوب الإنفاق في سبيل الله وهو الإنفاق في سبيل دين الله أي لحمايته أو نصرته أو حفظه أو نحو ذلك ، وهذا واجب غير الزكاة والآية عامة لأهل البخل الذين يكنزون الذهب والفضة ، وفيها تعريض بالأحبار والرهبان أن منهم من يكنز وأنه داخل في الوعيد المذكور ، وهو دليل واضح على أن الذهب والفضة المكنوزة يحمى عليه في نار جهنم فتكوى به جباه الكانزين ، والجبهة: أعلا الوجه فوق العينين ، والجنب: الضلوع ، والظهر: القفا .

قال في [لسان العرب]: والظهر من الإنسان من لدن مؤخر الكاهل إلى أدنى العجز عند آخره ، انتهى ، وقال فيه: والكاهل مقدم أعلا الظهر مما يلي العنق وهو الثلث الأعلا فيه ست فقر ، انتهى .

{ هذا ما كنزتم لأنفسكم } يقال لهم حين يعذبون بها هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ، وهو تحقيق لخسرانهم العظيم بسبب ما كنزوا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٣٧/٢)

إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم (١)

---

(١) . { إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم } :

{ عدة الشهور } : أي شهور العام الواحد ما هي إلا { اثنا عشر شهرا } وهذا حكم الله الذي حكم به في كتابه ، أو في كتاب الله في حكمه حين كون الشمس والقمر وبروجهما يوم خلق السموات والأرض ، فجعل الليل والنهار وجعل الأهلة وجعل القمر يمر على منازله في شهر ، والشمس تمر على منازلها في سنة ، فكتب هذا التوقيت بتسخيره للشمس والقمر على سيرهما المقدر المحدود كما قال تعالى { الشمس والقمر بحسبان } فبهما علم الناس السنين وحساب الأوقات أيام وشهور وسنين وهذا مع دورة الأرض ، ولعلها ذكرت هنا لمشاركتها في تحديد الشهور ، لأن الهلال إنما يكون هلالا لموقع القمر بين الشمس والأرض ، والله أعلم .

وقوله تعالى { يوم خلق السموات والأرض } يفيد أنه خلق الشمس والقمر وسخرهما في بروجهما يوم خلق السموات والأرض فكانت الأشهر اثنا عشر شهرا يوم خلق السموات والأرض ، وقوله تعالى { منها أربعة حرم } الأربعة: ذو العقدة وذو الحجة ومحرم ورجب ، ومعنى { حرم } : أن كل شهر منها حرام أي لا يحل القتل فيه { ذلك الدين القيم } تحديد الأشهر بهذا العدد اثني عشر وتحريم أربعة منها { فلا تظلموا فيهن أنفسكم } بالقتل فيها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٣٨/٢)

وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين (٣٦) (١)

---

(١) . { وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة } :
ومع تحريم الأربعة الحرم قاتلوا في غيرها المشركين كلهم عربهم وعجمهم وأهل الكتاب وغيرهم إلا أن قتال أهل الكتاب محدود بإعطاء الجزية ، وخص من الأمر بالقتال من ذكر في أول سورة التوبة .
وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام لقول الله تعالى { وقاتلوا المشركين كافة } معناه عامة انتهى .
وفي [الصحاح]: والكافة: الجمع من الناس ، يقال لقيتهم كافة أي كلهم ، انتهى في [لسان العرب]: الكافة الجماعة ، وقيل الجماعة من الناس يقال لقيتهم كافة :أي كلهم.
وقال أبو إسحاق في قوله تعالى { ادخلوا في السلم كافة } قال كافة بمعنى الجميع والإحاطة انتهى المراد .
وقال الشرفي في [المصابيح]: قال الفرا معنا كافة: أي جميعا ، والكافة لا تكون مذكرة ولا مجموعة على عدد الرجال ، انتهى .
{ واعلموا أن الله مع المتقين (٣٦) } فقاتلوهم وثقوا بأن الله معكم إذا كنتم متقين لله مطيعين ، وهذا تشجيع وتعبير عن قوة المتقين بالله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٣٩/٢)

إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله (١)

---

(١) . { إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله } :
قال في [الصحاح]: وقوله تعالى { إنما النسيء زيادة في الكفر } : هو فعيل بمعنى مفعول من قولك

نسأت الشيء فهو منسوء إذا أخرته ، ثم يحول منسوء إلى نسيء كما يحول مقتول إلى قتيل ، انتهى .
وعلى هذا فالمعنى أن حرمة الشهر الحرام التي يؤجلها المشركون إلى شهر آخر من غير الأشهر الحرم هذه الحرمة المجعولة في غير الشهر الحرام هي زيادة في الكفر ، لأنها تشريع لم يشرعه الله ؛ ولأنها يضل بها الذين كفروا ؛ لأنهم يستحلون الشهر الحرام بسبب تأجيل حرمته إلى غيره ، والمعنى أن التأجيل لهذه الحرمة إلى الشهر الحلال زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ، ولعل هذا هو السبب في تفسير النسيء بتأجيل الحرمة وتأخيرها أي بالمصدر .

قال الشرفي في [المصابيح] قال الحسين بن القاسم عليه السلام: كان أهل الجاهلية فيما روي إذا احتاجوا إلى القتال في الأشهر الحرم تسلفوا [تسلفوا] منها أياما يحلونها لحاجتهم ويحرمون بعد ذلك أياما بعددها من زمانهم ويسمونها النسيء بمنزلة نسيء الدين وهو النظرة بين المتداينين قال الشاعر :
ونحن الناسئون على معد ... شهورهم الحرام إلى الحليل

انتهى المراد .
وهذا يفيد أن النسيء اسم للشهر الذي حرموه بدلا من تحريم الشهر الحرام فتسميته النسيء بمعنى أنه الشهر الحرام أخر عن وقته الحقيقي .
وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : هم قوم من بني كنانة كانوا ينسئون الشهور معناه يؤخرونها لحرب أو لأمر فيجعلون ذا الحجة في المحرم أو ذي [ذا] القعدة أو غيرها من الشهور ، انتهى نقلته من صورة المخطوطة .
وأفاد في حاشية المطبوعة بتحقيق الدكتور /محمد حسن تقي ، أن في بعض النسخ (ذا) في الموضعين أي بالنصب ولعله الصواب ؛ لأن ذلك هو التأخير ، أما جعل ذي الحجة في ذي القعدة فهو تقديم ، وفائدة جعل ذي الحجة في المحرم أن يستحلوا ذا الحجة ولعلهم يجعلون المحرم حينئذ في صفر فتكون تلك السنة عندهم ثلاثة عشر شهرا ، وقد رد الله تعالى ذلك بقوله تعالى { إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا } وهذا هو الراجح في معنى النسيء أنه يستلزم أن تكون السنة أكثر من اثني عشر شهرا بشهر أو بأيام ، وقوله تعالى { يضل به الذين كفروا } أي بسببه يقعون في الضلال عن الحق لأنهم يقعون في الباطل بناء على النسيء .
وقوله تعالى { يحلونه عاما ويحرمونه عاما } : قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين ابن القاسم عليه السلام والمعنى أنهم يحلونه عند حاجتهم إليه سنة ، ويرمونه إذا استغنوا عن القتال فيه سنة أخرى ، والعام هو السنة وهو الحول ، انتهى المراد.
قلت: الراجح أنهم كانوا إذا أحلوه عاما حرموه في العام الذي يليه حفاظا على وقته الأصلي ؛ لأنهم لو استمروا عليه نسوا الأصل فهو نوع من تبرير باطلهم بغير مبرر ، والله أعلم.

وقوله تعالى { ليواطئوا عدة ما حرم الله } أي ليوافقوها بتحريم أربعة أشهر وذلك لا يكفي ، وأما قوله تعالى { فيحلوا ما حرم الله } فهو تفريع على إحلاله عاما وهو الأصل في التفريع وعلى تحريمه عاما لأنهم توصلوا به إلى إحلاله في العام الأول وجعلوه مبررا له ، فكانوا بإحلاله عاما وتحريمه عاما قد أحلوا ما حرم الله .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٤٠/٢)

زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين (٣٧) (١) يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض (٢)

---

(١) . { زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين (٣٧) } :

{ زين لهم } : زينته أنفسهم للحصول على هواها بالقتال فيه وزينه لهم الشيطان ليزدادوا كفرا وضلالا وليكونوا من أصحاب السعير { والله لا يهدي القوم الكافرين } لأنهم يستحقون الخذلان بكفرهم ، وسوء أعمالهم قبيح أعمالهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض } :

{

يا أيها الذين آمنوا } تقديم للحث على الجهاد في سبيل الله وإنكار التثاقل عنه ؛ لأن من شأن المؤمن الجهاد في سبيل الله ، قال تعالى { الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله } وقال تعالى { إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله } فالإنكار عليهم بقوله { ما لكم } معناه السؤال ما المانع عن إجابة الدعوة إلى الجهاد ؟ لأن الأصل فيهم إن كانوا مؤمنين أن يجيبوا ولا يتثاقلوا ، والمراد به بعضهم إلا أنهم غلبوا على المؤمنين لكثرة المتثاقلين في تلك الحال { إذا قيل لكم انفروا } أي اخرجوا من البلد إلى الجهاد .

وفي [مفردات الراغب]: النفر الإنزعاج عن الشيء وإلى الشيء كالفزع إلى الشيء وعن الشيء ، انتهى المراد.

فهو يشعر بالسرعة وقوة النهوض والحركة ، وقوله تعالى { اثاقلتم إلى الأرض } أي تثاقلتم مائلين إلى القعود على الأرض أي اثاقلتم عن الخروج مائلين إلى البقاء في مكانكم من الأرض وهو يصور تباطئهم

بتثاقل يصعب معه التزحزح للخروج لأجل الثقل الحاصل بالتثاقل .

قال سيد قطب في قوله تعالى { اثاقلتم } : وهي بجرسها تمثل الجسم المسترخي الثقيل يرفعه الرافعون في جهد فيسقط منهم في ثقل ويلقيها بمعنى ألفاظه اثاقلتم إلى الأرض ومالها من جاذبية تشد إلى أسفل وتقاوم رفرفة الأرواح وانطلاق الأشواق ..إلخ .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٤١/٢)

أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة (١) فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل (٣٨) (٢)

---

(١) . { أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة } :

{ أرضيتم } بهذه الحياة الدنيا على قصرها وقلة لذاتها وكثرة المنغصات فيها بدلا من الحياة الآخرة في جنات وسعادة دائمة ، فالقاعد عن الجهاد في سبيل الله العاصي لربه بالقعود عنه تفوته الجنة وليس له متعة إلا هذه الحياة الفانية.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل (٣٨) } :

{ فما متاع الحياة } في الآخرة أي في جنب الآخرة أي بالنسبة إلى الآخرة { إلا قليل } وكيف لا يكون قليلا وهو منسوب إلى الخلود الأبدي في جنات النعيم ؟ فهو قليل في مدته وقليل في لذته وخيره بل هو أقل من نسبة ساعة واحدة إلى مليون سنة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٤٢/٢)

إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير (٣٩) (١)

---

(١) . { إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير (٣٩) } :

كتبت في المصحف [إلا] بغير نون كما ينطق بها ، والأصل [إن لا] وهي (إن) الشرطية و(لا) النافية . { إن لا تنفروا } كما أمرتم يعذبكم عذابا أليما يحتمل عذابا عاجلا وآجلا ويحتمل عذابا آجلا ، والأول أرجح لتقديمه على قوله تعالى { ويستبدل قوما غيركم } ويحتمل أن تقديمه لأنه أهم وأشد من الإستبدال لا لتقدمه في الوقوع ، وقوله تعالى { ويستبدل قوما } أي يأتي بقوم يجاهدون بدلا منكم ، وقوله { ولا تضرونه شيئا } أي شيئا من الضر ؛ لأنه لا تضره معصية من عصاه ولأن دينه يظهر ونبيه ينصر بغيركم إن لم تنفروا { والله على كل شيء قدير } فهو قادر على تعذيبكم وعلى استبدال قوم غيركم وعلى نصر نبيه وإظهار دينه وعلى كل شيء وليس محتاجا إلى جهادكم إنما يريد أن يبلوكم بالأمر بالجهاد وبالجهاد إن جاهدتم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم (٤٠) (١)

---

(١) . { إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم (٤٠) } :

}

إن لا تنصروه فقد نصره الله } في حال غيابكم عنه وغيابه عنكم { إذ أخرجه الذين كفروا } أي حين أخرجه الذين كفروا حين { يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا } فقد نصره الله في حال حين انفراده عن الأنصار ليس معه من ينصره { إذ يقول لصاحبه } أي لرفيقه في تلك الحال { لا تحزن } فهو قوي بالله واثق بالله وصاحبه لا ينصره بل هو يطمئن صاحبه بقوله له { إن الله معنا } ويثبته على دينه بقوله لا تحزن أي لا تحزن لكونك معي فإني وأنت في رعاية الله فلا تحزن لأجل وحدتنا أو لا تحزن لعدم من

ينصرنا { إن الله معنا } والفرق دقيق فالحزن الأول سببه الصحبة ، والحزن الثاني سببه اليأس من السلامة ، وهذا الحزن غير الخوف فهو غير منهي عن الخوف وليس منكرا إنما المنكر الحزن لكونه لازما لمحذور ففي تلك الحال تبين نصر الله له واستغناؤه بالله عن الأنصار من الناس فاعتبروا بها لتعلموا أن الله ناصر نبيه ولو قعدتم عن نصره .

قال الشرفي في [المصابيح]: إذ هما في الغار يعني النبي حين خرج من مكة ودخل غارا في جبل ثور ليخف على من خرج من قريش في طلبه والغار عميق في الجبل والغار هو الجرف من جراف [استعمال الجرف بمعنى الغار لغة يمنية ولعلها عرفية مولده] الجبال وهو الكهف وهو الكنان ، ثم قال الشرفي: والمراد من قوله { إذ أخرجه الذين كفروا } هو أنهم جعلوه كالمضطر إلى الخروج وخرج أول الليل إلى الغار وأمر عليا أن يضطجع على فراشه ليمنعهم السواد من طلبه حتى يبلغ إلى ما أمر الله به ، انتهى المراد.

وقوله: جعلوه كالمضطر إلى الخروج يعني بتآمرهم على قتله تلك الليلة ، وقوله تعالى { وأيده بجنود لم تروها } يدل على أن الكفار طلبوه فأيده الله بالملائكة ودفع بهم أعداء الله عن نبيه ، وقوله تعالى { وجعل كلمة الذين كفروا السفلى } بأن أعز نبيه وسلمه من أخذهم له وقتله وقد تآمروا على قتله ليبطلوا أمر الله ودينه ويبقى الشرك فأبطل الله كيدهم ونجاه منهم بما جعل له من أسباب النجاة منهم وتفويت غرضهم حتى أبطل الشرك والكفر وجعله الأسفل .

فإن قيل: فأين نصر الله له والآية إنما دلت على انفراده عن الأنصار ، وقوله { لصاحبه لا تحزن إن الله معنا } ؟ .

قلنا: بل أفادت نصره بقوله تعالى { فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى } فنجاته وفوات غرضهم بنصر الله وإنزال السكينة عليه جعل قلبه مطمئنا ثابتا كأنه غير مطلوب ليقتل حذرا أن يفوتهم فيكون له أنصار فيعود عليهم ويقهرهم ويبطل دينهم ، فشدة الطلب وشدة حرص الطالبين من شأنه تحصيل الخوف وارتجاف قلب المطلوب مع وحدته وابتعاده عن قرابته وعدم من ينصره من الناس ، فكيف لا يكون محتاجا إلى إنزال السكينة عليه ؟فكان إنزال السكينة عليه وتخييب أمل أعدائه من النصر { وكلمة الله هي العليا } لأنه إذا قال للشيء كن كان ؛ ولأن دينه الأعلى لأنه لا بد أن يظهره على الدين كله ، وقوله تعالى { فأنزل الله سكينته } عطف على قوله تعالى { فقد نصره الله } كالتفصيل والبيان للنصر وما بينهما ظرف للنصر كأنه قيل: فقد نصره الله في حال وحدته عن الأنصار { فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (٤١) (١)

(١) . { انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (٤١) } :

هذا الأمر راجع إلى ما قبله من إنكار التثاقل إذا قيل لهم انفروا ، فكأنه قيل: { ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض } { انفروا خفافا وثقالا } وقوله: إذا قيل يدل على وجوب النفر عند القول لهم: { انفروا في سبيل الله } ولعل المراد قول من له الولاية عليهم كالرسول ويحتمل وجوب النفر ولو لم يكن للآمر ولاية عليهم ؛ لأن قوله تعالى { إذا قيل } لم يفصل فيكون كقوله تعالى { إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة } فإنه لا يشترط فيه أن تكون للمؤذن ولاية عليهم .

وفي مجموع زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام قال: (لا يفسد الجهاد والحج جور جائر كما لا يفسد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غلبة أهل الفسق) انتهى.

وقوله تعالى { خفافا } مطلق في سبب الخفة فتكون خفة البدن لعدم ما يثقله من نقص قوة لمرض سابق أو كثر لحم وشحم أو غير ذلك ، وقوله تعالى { وثقالا } مطلق في أسباب الثقل إلا أنه قد خص الأعمى والأعرج والمريض وبقي من سواهم في العموم ، وقوله تعالى { ذلكم خير لكم } أي النفر خفافا وثقالا والجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله خير لهم ؛ لأن ثوابه عظيم وفيه إعزاز للدين وإذلال للكفر وحماية من الفاسد في الأرض ، وقوله { إن كنتم تعلمون } أي إن كنتم تعلمون علمتم ذلك ، ومعنى إن كنتم تعلمون الإطلاق ليس مقيدا بمعلوم ، فكأنه قيل: إن كان من شأنكم أن تعلموا ، وذلك شأن كل عاقل والخطاب للمؤمنين ، فلا بد أن يعلموا ما أخبر الله به .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٤٥/٢)

لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة (١)

(١) . { لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة } :

لو كان ما دعوا إليه والكلام في المتثاقلين إلى الأرض عرضا قريبا .
قال في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام معناه غنيمة قريبة ، انتهى.
والعرض يصدق على متاع الدنيا لأنه عارض لا يبقى قال تعالى { يأخذون عرض هذا الأدنى } فالغنيمة منه ،وسفرا قاصدا يسيرون في الطريق لا يعدلون عن السير وهذا ليس شأن المجاهدين فإنهم يجولون ويصولون ويذهبون يمينا وشمالا على ما تدعو إليه حال المعركة فالمعنى لو كان ما دعوا إليه متاع من متاع الدنيا يسافرون له سفرا قاصداص حتى ينالوه بغير قتال لا بتحرك ولكن بعدت عليهم الشقة .
قال في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام معناه : السفر والسير .انتهى.
وقال الراغب والشقة :الناحية التي تلحقك المشقة في الوصول إليها .انتهى.
وفي [الصحاح] : والشقة أيضا السفر البعيد يقال شقة شاقة .انتهى.

ومثله في [لسان العرب] ثم قال فيه الأزهري :والشقة بعد مسير إلى الأرض البعيدة قال الله تعالى (ولكن بعدت عليهم الشقة) وفي حديث وفد عبد القيس :أنا نأتيك من قة بعيدة أي مسافة بعيدة والشقة أيضا السفر الطويل .انتهى.
والمعاني متقاربة وهي تدل على أن المتخلفين عن الجهاد مع رسول الله تخلفوا لبعد المسافة إلى محل الجهاد وفي ذلك مشقة السفر الطويل مشقة الغياب عن الأهل والمسكن والمال وفي هذا التعبير دلالة على عدم إمانهم لأنهم إذا تخلفوا لهذه العلة فهم غير مؤمنين لأنهم عصوا الله ورسوله فرارا من مشقة السفر الطويل فبالأولى أنهم لا يجاهدون في سبيل الله مع رسول الله لأنهم أهل دنيا فقط .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون (٤٢) (١) عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (٤٣) (٢)

---

(١) . { وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون (٤٢) } يهلكون أنفسهم بالكذب والحلف على الكذب فقد كانوا استطاعوا ولكن كرهوا الجهاد في سبيل الله وفي هذه الآية رد على من قال أن استطاعة العبد لا تكون إلاعند الفعل وهي عندهم موجبة للفعل والله يعلم إنهم لكاذبون في حلفهم لو استطعنا لخرجنا معكم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (٤٣) } :

قال الشرفي في [المصابيح] :قال الحسين بن القاسم عليه السلام معنى عفى الله عنك : أي غفر الله لك ،مالك أذنت لهم ولم تبتليهم بما يثقل عليهم حتى تختبرهم ويتبين لك الصادق والمنافق الكاذب منهم .انتهى.

ويظهر أن المتثاقلين إلى الأرض عند الأمر بالخروج إلى غزوة تبوك استأذنوا رسول الله في التخلف فأذن لهم لأن المتثاقل غيابه أفضل من حضوره ولمعرفته أنهم مظنة الإنهزام لو خرجوا ولمثل هذا صرف طالوت أكثر جنده بالنهر الذي شربوا منه فكان الأذن لهم هو الصواب في ظاهر الحال ولكن هذه الغزوة كانت مسافتها بعيدة وهي تؤدي إلى حزب الروم أهل القوة والكثرة فكانت هيبتهم مع ضعف حال المجاهدين تمنع غير المؤمنين من امتثال أمر الرسول بالجهاد لهم ؛ لأن المنافقين والذين في قلوبهم مرض يحبون الحياة ولا يريدون طاعة الله ورسوله فكانت صعوبة المعركة والسفر لها وهيبتها تحملهم على التخلف سواء أذن لهم النبي أم لم يأذن لهم ،فكان الأذن لا موب له بل كان تركه فرصة يتبين له الصادق في دعواه الإيمان والكاذب وقد فاتت بطريقة السهو وصار الأذن لهم مجرد رفق بهم وستر عليهم وهو ينافي الغلظة عليهم التي يستحقونها ومن هنا كان زلة غفرها الله له قبل أن نبهه عليها فقوله لم أذنت لهم ليس سؤال توبيخ وإنما هو سؤال عن سبب الإذن ليبين له أنه كان ساهيا فيه وإنهم كانوا يستحقون تركه ليتبين له الكاذبون والصادقون بطاعة السادقين ومعصية الكاذبين وفيه دلالة على غضب الله عليهم وإن أذن النبي لم يفدهم شيئا ، لأنهم متثاقلون عن الجهاد ليس لهم فيه نية والأذن لهم بترك الخروج مع النبي لم يكن أذنا في ترك الجهاد في سبيل الله لنهم لا يجاهدون في سبيل الله ولو خرجوا معه وزعموا أنهم يجاهدون في سبيل الله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٤٧/٢)

لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين (٤٤)

(١) إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون (٤٥)

(٢)

(١) . { لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين (٤٤) } :

أي لا يستأذنونك أي لئلا يجاهدوا كقوله تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) والله عليم بالمتقين بضمائرهم ونياتهم وأنهم يريدون الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فهو أخبر عنهم لعلمه بهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون (٤٥) } :

لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فلا يخافون عذاب الآخرة لمعصيتهم لله ولا يرجون ثوابها لو جاهدوا في سبي لالله وارتابت قلوبهم شكت في صدق الرسول وقلقت فهم في ريبهم في شكهم وقلقهم يترددون بين الإيمان والكفر وبين الطاعة والمعصية فاحتمال صدق الرسول في نفوسهم يدعو إلى الإيمان والطاعة وتجويزهم كذبه يدعوهم إلى الكفر والمعصية واحتمال انتصار الرسول يدعوهم إلى طاعته واحتمال غلبة الكفار له في نفوس المرتابين يدعوهم إلى ترك الجهاد معه بل وإلى النفاق واتخاذ الولائج وكلا الإحتمالين مقلق لهم مخيف والجهاد لمشقته وكونه تعرضا للقتل يبعد وقوعه منهم لأنهم يحبون الحياة الدنيا ولا يوقنون بالحياة الآخرة فحرصهم على الحياة الدنيا يصرفهم عن الجهاد ويدعوهم إلى الإستئذان ليتستروا بالأذن لهم في التخلف ولا يصارحوا بالعصيان وهذا الإستئذان هو استئذانهم في ترك الخروج للجهاد بعد دعوة الرسول إلى الخروج للجهاد وهو غير الإستئذان المذكور في آخر سورة النور فهناك الإستئذان من بعض المؤمنين بالله ورسوله الحاضرين معه على أمر جامع للرسول والمؤمنين يستأذنونه ليذهبوا عن محل اجتماعهم لبعض شأنهم وذلك مثل اجتماع لمشاورة في أمر مهم أو لموعظة أو تبليغ وحي يراد تبليغه للعموم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

* ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم Nكgs. sVsùv وقيل اقعدوا مع القاعدين (٤٦) (١) لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا (٢)

(١) . { * ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة } :
فتركهم للأعداد مع تمكنهم منه دليل على انهم لا يريدون الخروج .
{ ولكن كره الله انبعاثهم } :
سمي خروجهم انبعاثا ؛ لأنهم لا يخرجون للجهاد في سبيل الله فكأنه مجرد خروج عن البلد ليس كخروج المؤمنين وليس من الطاعة لله ورسوله إنما هو رئاء لو كان .
{ Nكgs. vùsVs } حبب إليهم القعود وزادهم كسلا .
{ وقيل } بلسان الحال :
{ اقعدوا مع القاعدين (٤٦) } المأذون لهم في ترك الخروج للعذر الشرعي كالأعمى والأعرج والمريض وهذا تحقير لهم حيث قرنوا بالعجزة .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا } :

بالإرجاف عليكم والتخويف من الأعداء وبانهزامهم عند لقاء العدو حين البأس ونحو ذلك من أسباب الضعف في الرأي وفي العزم واستثناء الخبال على طريق المشاكلة التقديرية لأنهم يضعون الخيال موضع زيادة القوة للمجاهدين بتسويدهم وتكثيرهم فبطريقة المشاكلة جعله من الزيادة بنفس الإستثناء المفرغ ويأتي نظيره وهو قوله الله تعالى (وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من قبل) وقريب منه في الإستثناء وإن لم يكن من المشاكلة قول الشاعر :
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

هذا والخبال ضعف الرأي والإضطراب .
قال الراغب الخبال :الفساد الذي يلحق الحيوان فيورثه اضطرابا كالجنون والمرض المؤثر في العقل والفكر .انتهى.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين (٤٧) (١)

---

(١) . { ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون

Nçlm، } :

قال الراغب : ووضعت الدابة تضع في سيرها أسرعت ، ثم قال وأوضعتها حملتها على الإسراع ، انتهى.

فقوله تعالى { ولأوضعوا خلالكم } مجاز عن السعي في التفريق بين المؤمنين لأن من أوضع بعيره خلال الناس فرقهم وقوله تعالى { يبغونكم الفتنة } أي يطلبون لكم الفتنة أن يفتنكم الذين كفروا بسبب تفرقكم واختلاف قلوبكم وفيكم سماعون لهم غافلون عن كيدهم وفساد نياتهم لا يظنون فيهم الكذب والتغرير وهكذا كثيرا من الناس ولذا يتوصل الكفار بالصحافة الخائنة لا فساد العوب الإسلامية والتفريق بينهم ويجعلون منع الصحافة ظلما وكبتا للحرية .

{ والله عليم بالظالمين (٤٧) } :

عليم بما يفعلون وعليم بما يسرون وعليم بكل أمورهم ؛ لأنه عالم الغيب والشهادة فقوله فيهم هو الحق .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٥٠/٢)

لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون (٤٨) (١)

---

(١) . { لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون (٤٨) }
:

لقد ابتغى هؤلاء المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله ابتغوا من قبل هذا التخلف الفتنة للمسلمين بتدبير الكيد لهم أما بالتحريض للكفار عليهم مع الأرجاف على المسلمين وتخويفهم من قوة الكفار وأما بالتناجي فيما بينهم وتدبير الكيد بأي وسيلة وأما بغير ذلك وقلبوا لك يا رسول الله المور التي حاولوا كيدك بها فاتخذوا وسائل مختلفة وآراء متعددة لإبطال أمرك بتقليب الأمور وتحويلها عن وجه إلى وجه خداعا والتقليب يكون بقلب الحقائق كذبا وخداعا ويكون بفعل ما يظهرونه طاعة وهم يكيدون به

الرسول مثل خروج بعضهم مع رسول الله يوم أحد ، ثم رجعوعهم من الطريق فهذا الرجوع تخذيل للمجاهدين وكان ظاهر الخروج الطاعة فانقلب مكيدة .

قال الشرفي في [المصابيح] : قال الإمام الناصر أحمد بن يحيى عليه السلام وتقليب الأمر تصريفه وترديده لأجل التدبر والتأمل فيه يعني اجتهدوا في تدبير الحيل والمكايد ودور الآراء في إبطال أمرك .
قال في [البرهان] : وتقليبهم الأمور هو معاونتهم في الظاهر وممالات المشركين في الباطن والثاني كذا توقعهم الدوائر وانتظارهم الفرص ، انتهى.
حتى جاء الحق الذي أبطل ذلك الكيد وخيب آمالهم ولعله كف أسرارهم تارة وتفويت أغراضهم بنصر الله لرسوله وعصمته له من كيدهم وظهر أمر الله دينه الذي حاولوا اسقاطه واصاعته وهم كارهون فهم ما زالوا أغذاء الدين في الماضي وأعداءه في المستقبل .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٥١/٢)

ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٤٩) (١)

---

(١) . { ومنهم } من المتخلفين .
{ من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٤٩) } قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال الهادي عليه السلام هذه الآية نزلت في جد بن قيس وذلك أنه أمره رسول الله بالخروج معه في غزوة تبوك فقال يا رسول الله قد علمت إعجابي بالنساء ومحبتي لهن وأنا أخشى إن رأيت بنات الأصفر أن لا أصبر وأفتتن بهن ، فقال سبحانه { ألا في الفتنة سقطوا } يقول سبحانه ألا في العذاب والفتنة فمعناها العذاب فأخبر سبحانه أنه عاد وتعلل بمعنى قد وقع فيه بتخلفه عن الرسول انتهى.
فقوله ولا تفتني أي لا توقعني في الفتنة أي في الإثم إذا رأيت جواري الروم ووقعت في الزنا أو أرتددت إلى دينهن طمعا فيهن وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام معناه ولا تأتمني ألا في الفتنة سقطوا معناه في الإثم وقعوا ، انتهى.

وتسمية الإثم فتنة لأنه سبب للعذاب وهذا أرجح وقوله سقطوا أي هذا القائل وأضرابه من المتخلفين

المعذرين .

قال سيد قطب ونعم ما قال : والتعبير يرسم مشهدا كأن الفتنة فيه هاوية يسقط فيها المفتونون وكأن جهنم من ورائهم تحيط بهم وتأخذ عليهم المنافذ والمتجهات فلا يفلتون ، انتهى المراد.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٥٢/٢)

إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون (٥٠) (١)

---

(١) . { إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون (٥٠) } :

{ إن تصبك } يا رسول الله { حسنة } مثل نصر وغنيمة { تسؤهم } تغمهم وتؤلم قلوبهم يقال ساءه ضد سرره { وإن تصبك مصيبة } مثل قتل فيمن معك من المؤمنين

{ يقولوا } هؤلاء المتخلفون { قد أخذنا أمرنا } أي سبب سلامتنا { من قبل } بتخلفنا عن الجهاد { ويتولوا } إلى مقاعدهم { وهم فرحون } بما هم عليه من المخادعة للمؤمنين وترك الجهاد معهم وفرحون بما أصاب رسول الله عداوة له ورجاء لضعفه واطمئنانا إلى قوة الكفار وركونا إليهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٥٣/٢)

قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٥١) (١)

---

(١) . { قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا } :

{ لن يصيبنا إلا ما } هو خير لنا في العاقبة فكتبه الله لنا لأنه خير لنا هو مولانا مدبر أمورنا ومحسن رعايتنا ومتولي مصالحنا فقوله تعالى { كتب الله لنا } يدل على أنه فائدة لا خسارة علينا ولعل هذا

المعنى هو مراد الحسين بن القاسم عليه السلام ، فقد قال الشرفي في [المصابيح] وقال الحسين بن القاسم عليه السلام معناه لن يصيبنا من الكفار وظلمهم إلا ما كتب الله لنا عليه الأجر والثواب ولكنه اختصر في كثير من متشابه الكتاب ليثبن بذلك فضل أولي الألباب ،ثم قال هو مولانا أي مالكنا وناصرنا وعلى لاله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمن أن لا يتوكل على غيره .انتهى من [المصابيح] .

{ وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٥١) } :

ليكلوا أمرهم إليه يدبر لهم ما شاء فلا يتركوا الجهاد حذرا من المصيبة وهذا أمر للمؤمنين أن يتوكلوا على الله لا على غيره .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٥٤/٢)

قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون (٥٢) (١)

---

(١) . { قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين } :

{ تربصون } تنتظرون { بنا } ينالنا ونصير إليه { إلا إحدى } الخصلتين { الحسنيين } وهما النصر أو الشهادة فالنصر خير عظيم لظهور دين الله في الأرض وذهاب الشرك والفساد ، والشهادة خير عظيم لما مر في سورة آل عمران .

{ ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا } :

ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بسبب عداوتكم للدين وتخلفكم عن الجهاد في سبيل الله وكيدكم للإسلام فنحن نتوقع { أن يصيبكم الله بعذاب من عنده } يوقعه عليكم بأي سبب من أسباب عذابه أو يصيبكم الله بعذاب بأيدينا بأن يأمرنا أن نعذبكم ويسلطنا عليكم بإجرامكم .

{ فتربصوا إنا معكم متربصون (٥٢) } :

{

فتربصوا } بنا { إنا معكم متربصون } بكم وقوله معكم هي معية الإشتراك في التربص ووقته وإن اختلف متعلقه وقوله { فتربصوا } تعبير عن عدم المبالاة بتربصهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٥٥/٢)

قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين (٥٣) (١) وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون (٥٤) (٢)

---

(١) . { قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين (٥٣) } :

أي سواء أنفقتم طوعا رئاء وتعمية على أهل الحق توهمون به النصح للدين أو كرها عند الأمر بالإنفاق في سبيل الله الأمر للعموم ؛ لئلا يظهر نفاقكم لن يتقبل منكم ؛ لأنكم من قبل قوم فاسقون وإنما يتقبل الله من المتقين وأنتم قد استمر منكم وتكرر الخبث والفجور .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { tR ےs)x"gçGكB Oد[÷kهt6)è? N@ں &gyèuZtB brكtBur O$

Hwخ) &g¯RrكO (#rمچxےں٢ "!$$خ/ &د¾qخ!ك™tچخ/ur } :

وهذا خبث عظيم وفجور كبير فهو من بيان فسقهم .

}

no4qnں tbqè?ù'tƒ wur=¢ء٩$# wخ) n'4 durèN<$|،2à } :

لأنهم لا يرجون الثواب ولا يخافون عذاب الآخرة فهم إنما يراؤون بها رئاء ؛ لئلا يقتلوا وهم كارهون لها وذلك سبب كسلهم .

{ ںtbqà wur)دےZمw ƒخ) tbqèd Nèdurجچ"x. اخحب } :

كذلك لعدم إيمانهم بالثواب والعقاب ولبخلهم عن الإنفاق في وجوه القرب فهم يكرهون الإنفاق في سبي الله وللفقراء والمساكين وسائر ما يأمر الله به ورسوله وسبب ذلك عدم الإيمان الذي هو شرط في قبول الأعمال قال تعالى { فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون } وقد اجتمع منهم الإخلال بشرط القبول والمانع من القبول قال تعالى { وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء

منثورا } وقال تعالى { والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٥٦/٢)

(خyJ¯R$ &s9÷rr"‰كIwur Nèd &uqBr؛٩ںgكf÷èè? Oöxsù y77ں
ك%ƒجچƒ ه!$# N5ھu؛èy‹jم‹د٩ $kpجـo 'خû جـuq4oڈ #$9sy
t,yd #$9‰'R÷‹u$÷"N ru?sھkك ¦àےRr& tbr ruدèNےمچد"x. اخخب (١)

---

(١) . { ںy77 ùsxöO ?èè÷fكgں٩؛rBqu& dèN ruwIك‰"rr÷9s& $R¯Jyخ)
ك%ƒجچƒ ه!$# N5ھu؛èy‹jم‹د٩ $kpجـo 'خû جـuq4oڈ #$9sy
t,yd #$9‰'R÷‹u$÷"N ru?sھkك ¦àےRr& tbr ruدèNےمچد"x. اخخب } :

قال في [لسان العرب] : وشيء معجب إذا كان حسنا جدا .

قلت : فإعجابه تسبيبه للسرور به أو للرغبة فيه ، ألا ترى إلي قوله تعالى { ولو أعجبك حسنهن } فإن المعنى ولو رغبت في حسنهن وتفسيره بالسرور غير متعين في كل موضع وإنما يتعين فيمن قد حصل له الأمر المعجب .

وقد قال الراغب في تفسير العجب ويستعار مرة للمؤنق فيقال : أعجبني أي راقني ، انتهى.

وفي [لسان العرب] : وكذلك حديث عبيد بن عمير :ما من عاشية أد أنفا ولا أبعد شبعا من طالب علم ، أي أد إعجابا واستحسانا ومحبة ورغبة والعاشية من العشاء وهو الأكل بالليل ومن أمثالهم ليس المتعلق كالمتأنق معناه ليس القانع بالعلقة وهي البلغة من العيش كالذي لا يقنع إلا بأنق الأشياء وأعجبها ويقال هو يتأنق أي يطلب أنق الأشياء ، أبو زيد : أنقت الشيء أنقا إذا أحببته ، انتهى.

وروى أبو طالب عليه السلام في الأمالي وهو في باب الترغيب في حسن الخلق بإسناده عن علي عليه السلام :كلا ماله ذكره في الأمالي منه قوله عليه السلام :وقعت جارية حماء حواء لعساء لمياء .. إلى قوله عليه السلام .. فلما رأيتها أعجبت بها وقلت لأطلبن على رسول الله أن يجعلها في قسمي .. إلخ ، فظاهر قوله عليه السلام أعجبت بها رغبت فيها وفي حديث مجموع الإمام زيد بن علي عليهما السلام عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام قال : كان رسول الله يعجبه من الحلو التمر والرطب ومن الأطعمة الثريد ومن البقول الهندبا) فالظاهر من قوله يعجبه أنه كان يحبه أحسن من غيره فالراجح في تفسير قوله تعالى { فلا تعجبك } أنه تفريع على كون نفقاتهم لا تقبل فهي قليلة الفائدة كما في

الحديث :((ليس لك من مالك إلا ما لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت أو أكلت فأفنيت)) فقد فاتتهم الفائدة العظمى في مالهم فهو حقير لقلة فائدته فلا ينبغي استحسانه لوفوره لأن نصيبهم منه قليل كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :(لكل امرئ في ماله شريكان :الوارث والحوادث) وعلى هذا فتكثير مالهم وولدهم ليس مسارعة له في الخير إنما هو فتنة لهم لأنهم يتعبون في خدمة المال وحرساته ويشقون بالحرص عليه والأسف على ما فات .

{ yJ¯R$خ) ك%‰ƒجچمƒ ه!$# } أن يمدهم بالمال والبنين .

{ Nهـ5ukuةèy›jمد›٩ $kpحه 'ûخ حuq4oٹ#$9‰'R÷‹u$ #$9sy } : فيعيشون معيشة ضنكا بسببهما ،أما الولد فيزيد الحرص على جمع المال فيكون التعذيب به من هذه الجهة وقد يكون عاقا أو غير مساعد على معاونة أبيه فيكون التعذيب بالغيظ الذي يحدث لأبيه بسبب عقوقه أو معصيته والآية الكريمة لم تحدد التعذيب بالمال والولد وقد أراده الله فهو بصير بذلك وليس لنا أن نحدده .

{ dy,t÷"N ru?sهـkك ¦ àےrR& rbt ruدèNچمےx". اخخب } مستحقون للنار وذلك أنهم يغلون أوقاتهم بمالهم وتتوجه قلوبهم إلى الجمع والمحافظة وتزداد قسوة وغفلة حتى يموتوا على ذلك وذلك عقوبة على محادة الله ورسوله وسببه منهم فلو آمنوا لكانت أموالهم وأولادهم خيرا نافعا في الدنيا والآخرة وكان أولادهم سببا لزيادة الثواب بتربيتهم على الدين والطهارة ولكنهم أقبلوا على الدنيا واختاروها وصارت همهم ونيتهم وإرادتهم فصارت عليهم عناء وعذابا بفساد قلوبهم بالحرص وطول الأمل وعدم التوكل على الله وعدم القناعة وأراد الله أن يتركهم على ما ختاروا لأنفسهم عقوبة لهم عاجلة فأنزل عليهم الموت وهم كافرون باختيارهم فالحال التي زهقت أنفسهم وهم عليها منهم والله أراد إزهاق أنفسهم وهم على ما اختاروا لأنفسهم عقوبة لهم بترك التوفيق فساءت خاتمتهم باختيارهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٥٧/٢)

ژàqcےخ=ur†st "!$$خ/ NهـX¨kخ) Z6àNدO Nèd ruBt$ 9sJـنZد Bi

Nكـ¨Z¨g|ـ"sqP× ur9s% ژt%èqcچےft اخذب (١) qs9 ژrcكـ%¡sg†

$·"rr÷ Bt=ùfy& NBt؛t"چrr÷ Btt& zyxW£‰م9©uq9©q#) B

9s›mخ) qbt Nèdurكـ9gsyJs† اخذب (٢)

(١) . { cqàڗ=خےts†ur "!$$خ/ } حلفة المسلمين تظاهرا بالإسلام .

{ NهX¨kخ) Js9دNà6Z } على دينكم .

{ $O Nèd iBدZ٣٥tBur } فهم يحلفون على الكذب .

{ NكZ¨g؛٣"×Pqs %s9ur %tڗcqè%چےtƒ } اخدب :

فلذلك أظهروا الإسلام ولذلك يحلفون بالله إنهم لمنكم والفرق بفتح الراء والفاء الخوف وخوفهم من القتل بسبب كفرهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { qs9 ڗcrك%؛gs† $·"rr÷ Bt=ûfy& NB؛tچ"rr÷ Btt& zyxW£‰%م B

9©quq9©#) د9s‹mخ) tbq Nèdurك sgJys† } اخذب :

هذا تحقيق لفرقهم وبيان لشدته عليهم فلو { يجدون ملجأ } يلجأون إليه من دون أن يفارقوا ديارهم وأموالهم للجأوا إليه خوفا من رسول الله وخوفا من غلبة الكفار ، والملجأ ما يحميهم وينجيهم لو لجأوا إليه من قوى يجيرهم أو غيره { أو مغارات } جمع مغارة وهي إما الغار على قول صاحب [الصحاح] وغيره وقال صاحب [لسان العرب] والمغار والمغارة كالغار وفي التنزيل : { لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا } انتهى.

وأما منخفض من مكان كما ذكره الراغب فالحاصل مكانا يختفون ممن يخافونه ،إما كهف عميق وإما حفرة والأول أظهر وقوله تعالى { أو مدخلا } نفقا ضيقا أو جحرا ضيقا يندسون فيه ليأمنوا .

قال الشرفي في [المصابيح] قال في [البرهان] : والمدخل الضيق الذي يدخل فيه بشدة ، انتهى.

وقال الراغب وادخل اجتهد في دخوله قال لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا ، انتهى.

وقوله تعالى { لولوا إليه } أي هربوا إليه طلبا للنجاة ، وقوله تعالى { وهم يجمحون } أي يسرعون إسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح .. إلخ .

وفي [لسان العرب]: وقوله تعالى : { لولوا إليه وهم يجمحون } أي يسرعون ، وقال الزجاج : يسرعون إسراعا لا يرد وجوههم شيء ، ومن هذا قيل فرس جموح وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام ، انتهى المراد.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

&éمôسù (#q*خb÷ #$٩ء¢‰s%y"Mد ûخ' Jù=tƒد"Bur ``B x8âد[÷kهN
Nèd (خB #sŒد[÷ƒ !$pkمè÷.ur N©9 (#qs(خu' bتB (#qàد[÷pk$
ڗcqسy,tƒ اخرب (١)

---

(١). { #$٩ء¢‰s%y"Mد ûخ' Jù=tƒد"Bur ``B x8âد[÷kهN } :

قال الشرفي في [المصابيح] : قال في البرهان : روينا عن بعض السلف أنه قال : بينا رسول الله يقسم قسما إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي فقال له : أعدل يا رسول الله ؟ فقال :((ومن يعدل إن لم أعدل)) فأنزل الله ذلك فيه رواه أبو سعيد الخدري ، انتهى المراد.

وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام معناه يعيبك ويقع منك ويطعن عليك ، انتهى.

فالحاصل يذمك في الصدقات أنك تخطئ في قسمتها أن تضعها في غير الصواب أو نحو ذلك .

{ ÷خb*q#) ùسôمé& $kp÷[دB } بعد اللمز { (#àqتu' } لأن سبب اللمز إنما هو حرصهم عليها .

}

b(خsq#) N©9 ru.÷èمkp$! ƒ÷[دŒs# Bخ) dèN ڗqcسy,ƒt اخرب { على رسول الله لأنهم لم يعطوا والمفاجأة هنا بالنظر إلى أنهم يظهرون الإسلام فسخطهم على رسول الله مفاجئ ؛ لأنه لا يتوقع من مسلم ومع ذلك هو ينافي الحياء والمروءة ويدل على خسة النفس لذلك فهو مفاجئ ممن لم يكن ظهر منه مثل ذلك من قبل .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٥٩/٢)

---

u'ur ™كq!è&م¼ #$!ه og9s?#uكOق u' !$tBتqà#) &g¯Rrكqs9ur O
sùژô#خ&د¾ Bد` #$!ه ™y›مs÷؟دڈoY$ #$!ه ym،s%ur $uZç6$٩ن(#q
ے¼م&è!qك™R¯$! ru'u(خ >n' (خ"!$# 6çqcدîع'u اخزب (١)

---

(١). { O ru9sqك rR¯g& (#àqتBt$! 'u ق Ouك#?s9go ه!$#
¼م&è!qك™q#) ru'u٩$ru%s حين منعوا {
{ $6çZuy ،ym ه!$# $Yo؟د÷sم›y™ ه!$# `دB ¾د&خ#ôژعùs

ے¼م&è!qڪ™R¯$! u'urخ) 'n>خ) "!$# ڗ6çqcدî؛u' اخزب } :
لكان خيرا لهم ، ومعنى { حسبنا الله } كافينا الله ؛ لأنه الرزاق وهو لا يخفى عليه حالنا { إنا إلى الله راغبون } إما راغبون عما منعناه أي راغبون عنه إلى الرجاء في الله وحده وانتظار فضله ، وإما إلى الله راغبون أي نرغب إليه وحده أي ندعوه ليعطينا من فضله وهذا أرجح ، والحصر هنا لأجل الدعاء أي ندعوه وحده فلا ينافي قولهم ورسوله ؛ لأنه إذا أجبا دعاءهم فقد يعطيهم من طريق رسول الله .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٦٠/٢)

جاهز
* إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم (٦٠) (١)

---

(١) . { * إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم (٦٠) } :

تشريع من الله يقطع طمع الطامعين من أغنياء المنافقين والذين في قلوبهم مرض الذين يلمزون رسول الله في الصدقات ، والفقراء : المحتاجون حاجة تلجيء إلى السؤال والإقتراض والمراد الحاجة الطبيعية لا حاجة النهم بجمع المال والحاجة الطبيعية مثل حاجة القوت ، حاجة اللباس الساتر ، حاجة المسكن الذي يؤويه ، حاجة الماء ، حاجة الدفاء من البرد ، حاجة الدواء ، حاجة ما يخفف الحر في بلاد الحر الشديد ، حاجة الزواج ، حاجة ما يخفف البرد ويدخل في حاجة القوت أو نحوه من هذه الأشياء ما يتوقف حصولها عليه كالحطب والتنور والآنية المحتاج إليها لتحضير الطعام أو حفظه ، فحاجة ذلك كله من الفقر ومن كان واجدا ما يسد خلته حي يحصل دخل آخر من غلول مال أو نحوه فليس فقيرا في اللغة بل هو غني .
وقيل : الفقير من لا يملك ما تجب في مثله الزكاة فاضلا عن المنزل والأثاث والكسوة ونحو ذلك ، وذلك بناء على أن اسم الفقر والغنى قد نقلا عن معناهما إلى معنى شرعي ؛ بدليل قوله : ((فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم)) انتهى.
قلت : مجرد الإستعمال في حديث لا يدل على النقل ؛ لأنه قابل للتخصيص والتقييد ولا يجب أن

يشمل كل من وجبت عليه الزكاة ؛ لأن صدقة نكرة لا يعم كل صدقة ، وعلى الجملة هذا موكول إلى بيان تفاصيل أحكام الزكاة فهي تبين من تجب عليه ونصا بها الذي تجب فيه وليس الحديث بصدد بيان حقيقة الغني والفقير ولو دل على أن من تؤخذ منه الزكاة غني لم يدل على أن من لم تؤخذ منه ليس غنيا لاحتماله التخصيص والتقييد وذلك كثير في الحديث فلا يجب قصر اسم الغني فرارا من التخصيص ، والله أعلم.

قال الشرفي في [المصابيح] : قال الحسين بن القاسم عليه السلام : وإنما سمي الفقر فقرا ؛ لأنه يفقر الظهر ويقطعه وكذا المسكين فإنما سمي مسكينا لأنه يذلك ويستكين ويخضع للفقر ويضعف ويلين انتهى.

وقال الراغب : وأصل الفقير هو مكسور الفقار ، انتهى المراد.

قال الهادي عليه السلام في الأحكام مفسرا لهذه الآية : فأما الفقراء فهم الذين لا يملكون إلا المنزل والخادم وثياب الأبدان فهؤلاء هم الفقراء والمساكين الذين يجب لهم أن يأخذوا من الصدقة فهم أهل الحاجة والفاقة والإضطرار إلى أخذها ، والعاملون عليها : فهم الجباة لها المستوفون لكيلها وأخذها من أيدي أربابها ، والمؤلفة قلوبهم : فهم أهل الدنيا المائلون إليها الذين لا يتبعون المحقين إلا عليها ولا غنى بالمسلمين عنهم ولا عن تألفهم إما لتقوي بهم على عدوهم وإما تخذيلا لهم وصدا عن معاونة أعدائهم كما فعل رسول الله ويجب على الإمام أن يتألفهم لذلك وعليه أن ينبلهم بعض ما يرغبون فيه ، وأما الرقاب : فهم المكاتبون الذين يكاتبون مواليهم على شيء معلوم ، فيجب على الإمام أن يعينهم في ذلك بقدر ما يرى أو على قدر ضعف حيلتهم وقوتها ، وأما الغارمون : الذين قد لزمتهم الديون من غير سرف ولا سفه ولا إنفاق في معصية ، فيجب على الإمام أن يقضي عنهم ما عليهم من ديونهم ويعطيهم من بعد ذلك ما يقسمهم ويحييهم ويقوتهم ويكفيهم ، وأما السبيل [سبيل الله] : فهو أن يصرف جزء السبيل في التقوية للمجاهدين والإستعداد بالقوة للظالمين مما يتقوى له من الخيل والسلاح من الآلات عليهم وذلك ما أمر الله سبحانه فيهم فقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وأما ابن السبيل : فهو مار الطريق المسافر الضعيف فيعان بما يقيته ويكفيه من قليل أو كثير يدفع إليه الإمام مما له في يده ما يقوم به في كرائه ونفقته وما يكون إن كان عاريا في كسوته حتى ينتهي ويصل إلى بلده .انتهى.

وقوله تعالى { فريضة من الله } أي مفروضة للثمانية الأصناف فرضها الله لهم أي أوجبها وحدها ولحقته التاء لأنه قد صار اسما مثل النطيحة .

قال في [الصحاح] : والفرض ما أوجبه الله تعالى سمي بذلك لأن له معالم وحدودا ، انتهى المراد.

وقال الراغب : والفرض كالإيجاب لكن الإيجاب يقال اعتبارا بوقوعه وثباته والفرض بقطع الحكم فيه ، انتهى المراد.

وقوله في الرقاب فواجب على الإمام أن يعينهم ..إلخ . الراجح أن المكاتب مصرف لمعاونته على

التحرر وللإنفاق على نفسه وهو في الحقيقة معاونة على التحرر لكن الآية لم تخص المعاونة وكذا قوله تعالى { فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم } فيتصدق عليه لقوته وحاجاته ولمعاونته على تحرير رقبته .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٦١/٢)

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن (١)

---

(١) . { ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن } :
هنا جريمتان من المنافقين : الأولى أذيتهم للنبي إما بكلام فيه وإما بالتناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإما بغير ذلك فهو جريمة من حيث هو أذية للنبي ولا حاجة بنا لتعيينه ما هو ، والجريمة الثانية : قولهم : { هو أذن } أي مسماع سموه أذنا كما سمي الرقيب عينا.
قال الشرفي في [المصابيح] : عن الناصر أحمد بن الهادي عليهما السلام كانوا يؤذون رسول الله فيقولون فيه مالا ينبغي فقال بعضهم لبعض لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع كذا بنا فقال ابن سويد بل نقول ما شئنا فإنما محمد أذن سامعة لمن يأتيه فنحن نأتيه فيصدقنا ، فنزل عليه صلوات الله عليه { ومنهم } يعني المنافقين { الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن } أي يسمع من أتاه انتهى.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٦٢/٢)

قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم (٦١) (١)

---

(١) . { قل } يا أيها النبي { أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم (٦١) } :

}

أذن خير } سماع سماعا هو خير لكم لما فيه من الإغضاء عن كلام المنافقين والإعراض عن جهالاتهم وإفساح المجال لمن أراد أن يتوب إلى الله ويصحح إسلامه ، فاللين والرفق بكم أقرب لاستصلاحكم { فبما رحمة من الله لنت لهم } فالتغافل عن حقيقتكم رحمة لكم بإظهار قبول أعذاركم تارة وترك كشف حقيقتكم عند اعتذاركم تارة أخرى ، وأذن خير لكم من حيث أنه يسمع كلام الله فيؤمن بالله الذي أنزله عليه ويبلغ ما أنزله الله إليه من الهدى والرحمة للعالمين وأذن خير يؤمن { للذين آمنوا منكم } فيقبل منهم قولهم آمنا ولا يردهم لاحتمال أنهم كاذبون فيسهل عليهم الدخول في الإيمان بإيمانه لهم وهذه نعمة عظيمة على من كان منافقا فتاب وآمن ؛ لأنه لو رد عليه كلامه وقوله آمنت ، رده عليه بأنك قد عرف منك النفاق والله أعلم بكلامك هذا لشق عليه وعسر الإيمان لمواجهة بالغلظة عليه ، فكون رسول الله مسماعا رحمة وكرم وصفة مدح له ومن تكلم فيه بالذم لكونه مسماعا وآذاه بذلك أو بغيره له عذاب أليم عقوبة له بأذيته لرسول الله عاجلة وآجلة يوم القيامة وقلت عاجله لقوله تعالى { إنما يريد الله ليعذبهم بها } وقوله تعالى { إنما يريد الله أن يعذبهم بها } وقوله تعالى { سنعذبهم مرتين ثم يردون } وقوله تعالى { أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٦٣/٢)

يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين (٦٢) (١)

---

(١) . { يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين (٦٢) } :
يتسترون بالأيمان الكاذبة ليرضوا محمدا والمؤمنين ويحلفون بالله إنهم لمنكم اتخذوا أيمانهم جنة والله العالم بحقيقتهم العالم بكذب أيمانهم { أحق أن يرضوه } ويرضوا رسوله ليسلموا عذابه ويفوزوا بثوابه ؛ ولأنه ربهم المنعم عليهم بما لا يحصونه من النعم ، فهو أحق أن يرضوه ، وقوله { إن كانوا مؤمنين } لأن المؤمنين يعلمون أن الله ورسوله أحق أن يرضوه فهؤلاء المنافقون إن كانوا مؤمنين كما يدعون فهم يعلمون ذلك.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٦٤/٢)

ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم (٦٣) (١)

---

(١) . { ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم (٦٣) }
:

{ ألم يعلموا } فقد جاءتهم الآيات البينات الدالة على ذلك فمن حق المنافقين أن يعلموا لو استعملوا عقولهم من { يحادد الله ورسوله } .

في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام معناه من يحارب ويشاقق ، انتهى.

وهو أحسن في التعبير من تفسيره بالمخالفة ؛ لأنه يستعمل في مواضع الحرب أو الشقاق ، قال تعالى { إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز } وقال تعالى { إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم .. } إلى قوله تعالى { ..وللكافرين عذاب أليم } .

قال الشرفي في تفسيرها : { إن الذين يحادون الله ورسوله } أي يخالفون أمره ويعادون ويحاربون أولياءه ويتعدون حدوده وذلك تارة بالمحاربة لأولياء الله وتارة بالتكذيب والصد عن دين الله ، والضمير في قوله { يحادون } يمكن أن يكون راجعا إلى المنافقين ، إلى قوله : ويحتمل سائر الكفار ، انتهى المراد.

فالأقرب في معنى المحادة أنه المعاداة وأنها مشتقة من الحدود التي تكون بين بلدان المتعادين المتباينين فالآية تفيد أن للمنافقين نار جهنم خالدين فيها ؛ لأنهم شاقوا الله ورسوله ذلك الخزي الفضيحة والعار العظيم أشد من افتضاحهم في الدنيا إذا انكشف نفاقهم وفجورهم في أيمانهم وكذبهم وما يقولونه من تحقير النبي وما يتناجون به من الإثم والعدوان ومعصية الرسول وتوليتهم للكفار من دون المؤمنين وغير ذلك من عيوبهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٦٥/٢)

يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون (٦٤) (١)

---

(١) . { يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون (٦٤) }

قال الراغب : الحذر احتراز عن مخيف انتهى.

فالمراد أنهم يحاولون إخفاء ما في قلوبهم من الغش والعداوة للإسلام وأهله لئلا تنزل فيهم سورة من القرآن تخبرهم أن في قلوبكم كذا وكذا من الكفر والبغضاء وهذا من جهلهم ؛ لأن الله لا يخفى عليه ما يكتمون ثم أن كتمانه وإخفاءه بما يظهرونه للمسلمين من دعوى الإيمان وحلفهم أنهم لمنهم ونحو ذلك مما يقولونه تغطية على نفاقهم وهم فيه غير جادين إنما هم مستهزئون كما قالوا لشياطينهم { إنما نحن مستهزئون } فحذرهم بكلامهم الذي يقولونه استهزاء فقال تعالى { قل استهزئوا } أي لن يفيدكم الإستهزاء بترك إنزال سورة تنبؤكم بما في قلوبكم { إن الله مخرج ما تحذرون } إخراجه بكشفه لرسوله ومصارحتكم به .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٦٦/٢)

ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون (٦٥) (١) لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن pxv ےح !$s غ منكم نعذب Opx ےح !$s غ بأنهم كانوا مجرمين (٦٦) (٢)

---

(١) . { ولئن سألتهم } عن خوضهم وتناجيتم بالإثم والعدوان .

{ ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب } نخوض تفيض في الكلام ونسترسل فيه تلهيا بالخوض وكنا نلعب بما نقول ليس جدا فيه .

{ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون (٦٥) } :

فهو في صورة السؤال عما ادعوه خوضا ولعبا وهو استهزاء بالله وآياته ورسوله قد انكف ولم ينفعهم كتمانه بقولهم { إنما كنا نخوض ونلعب } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { لا تعتذروا } بقولكم { إنما كنا نخوض ونلعب } .

{ قد كفرتم بعد إيمانكم } ليس مجرد خوض ولعب بل هو الكفر بعينه .

}

إن يعف عن pxv ے ح !$s غ منكم { يوفقون للتوبة لحكمة في ذلك .

{ تعذب pxے ح !$s غ } منكم .

{ بأنهم كانوا مجرمين (٦٦) } استمروا على كونهم مجرمين وأصروا فلم يوفقوا للتوبة ولا بد من تعذيبهم في الدنيا والآخرة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٦٧/٢)

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم (١) نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون (٦٧) (٢)

---

(١) . { المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض } متشابهون في أهوائهم وسلوكهم وغشهم وعداوتهم للدين فهم :

{ يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون

: { &ƒr÷‰د‰kuهـN

يبخلون فقد كان هناك المهاجرون في سبيل الله والمحتاجون المؤمنون من الأنصار ، وكان المؤمنون يتصدقون ، وبعضهم يؤثرون على أنفسهم ، والمنافقون يقبضون أيديهم في خلال ذلك المجتمع مجتمع المواساة والإيثار وكثرة المحتاجين ؛ لأنهم يبغضون المسلمين ويكرهون معاونتهم حتى قال قائلهم : { لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى

ينفضوا } .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { نسوا الله فنسيهم } :

}

نسوا الله } غفلوا عنه وتوجهت قلوبهم إلى أغراضهم وباطلهم فلم يراقبوا الله ولم يخافوه فنسيهم تركهم وأهملهم عن التوفيق والألطاف والهداية كأنه نسيهم من هذه الجهة.

{ إن المنافقين هم الفاسقون (٦٧) } هم الخبثة الفجار بعينهم ليسوا من الإيمان في شيء.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم (٦٨) (١)

---

(١) . { وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم (٦٨) } :

هذا وعد الله لا يتخلف ولا يعارضه قوله تعالى { إن يعف عن طائفة منكم } لأنه في معنى التوفيق للخروج من النفاق ومن خرج من النفاق وتاب تاب الله عليه وذلك أي قبول التوبة معلوم من الدين لا يلزم استثناؤه بل يترك الإستثناء إحالة على فهم السامع ، وكذلك قوله تعالى { ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا

رحيما } فإنما معناه إن شاء أن يتوب عليهم بالتوفيق ليتوبوا وهو لا يعارض الوعيد ؛ لأنه إنما يفيد أن الأمر لله فيهم يحكم فيهم بما يشاء وهو لا ينافي الوعيد القاطع للتردد وكذا قوله تعالى : { ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أويعذبهم فإنهم ظالمون } فهو لا ينافي وعيده للكفار الذين لم يتوبوا ؛ لأنه ليس إلا بيان أن الحكم له فيهم يحكم فيهم ما يريد ، وقد بين ما يريد بما أنزل فيهم من الوعيد إن لم يتوبوا ، وإن التائب يغفر الله له بيانا واضحا جليا ، وقوله تعالى { ولعنهم الله } أي طردهم من رحمته ، وقوله تعالى { ولهم عذاب مقيم } أي باق لا نهاية له .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون (٦٩) (١)

---

(١) . { كالذين من قبلكم } هذا التفات خطاب للمنافقين أي أنتم كالذين من قبلكم .
{ كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون (٦٩) } :
{ كالذين من قبلكم } قد مضوا وهلكوا وقد { كانوا أشد منكم قوة } في أبدانهم
}
وأكثر } منكم { أموالا وأولادا فاستمتعوا } في الحياة الدنيا { بخلاقهم } بنصيبهم من متاعها الذي هو انتفاع محدود الوقت { وخضتم } أيها المنافقون كالخوض الذي خاضوا من القول الذي بقيت تبعته وذهبت لذته { أولئك } الخائضون بالباطل { حبطت أعمالهم } التي عملوها من الخير كإطعام جائع أو تفريج عن ملهوف ونحو ذلك مما يظنون نفعه ، فهو حابط { في الدنيا } لم يدفع عنهم العذاب العاجل { والآخرة } لن يدفع عنهم في الآخرة { وأولئك هم الخاسرون } لأن دنياهم انقضت وعقبى الكافرين النار { إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٧٠/٢)

ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٧٠) (١)

---

(١) . { ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات } :
{ ألم يأتهم } ألم تبلغهم { نبأ الذين من قبلهم } خبر الذين من قبلهم وقصتهم فيعتبروا بهم لئلا يهلكهم الله بذنوبهم كما أهلك من قبلهم بذنوبهم وصاروا إلى جهنم وذلك الخسران المبين { وقوم إبراهيم } النمرود وأتباعه { وأصحاب مدين } قوم شعيب الذين أخذتهم الرجفة { والمؤتفكات }

المتقلبات إلى الباطل ، ولعلهم كانوا مسلمين فانقلبوا فسموا مؤتفكات لتحولهم عن الحق إلى الباطل ، وخصوا بهذا الإسم لذلك من بين الأمم المكذبة للرسل ولم يقل الأفكات وإن كان سبب عذابهم إفكهم ؛ ولعل ذلك ليدل المنافقين الذين كفروا بعد إيمانهم أن من انقلب على عقبيه لم ينفعه إيمانه الذي قدمه قبل الإنقلاب بل حبط في الدنيا والآخرة لأنها:

}

أتتهم رسلهم بالبينات } فكذبوا بآيات الله البينات فأهلكهم الله .

{ فما كان الله ليظلمهم } لأنه غني حكيم فلا يصح منه ولا يستقيم أن يظلمهم.

{ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٧٠) } :

بتكذيبهم بآيات الله ومحاربتهم لدين الله ، وهذا من أوضح الدلائل على بطلان الجبر ، وإلا فما المنفي بقوله { فما كان الله ليظلمهم } وما المثبت بقوله { ولكن كانوا أنفسهم يظلمون } وما الفائدة من هذا النفي وهذا الإثبات وقد تبين أن المعنى أنه سبحانه وتعالى لم يكن ليظلمهم بتعذيبهم الذي عذبهم ويعذبهم به { ولكن كانوا أنفسهم يظلمون } أي هم الذين فعلوا سبب استحقاقهم للعذاب ، وأصابهم سيئات ما كسبوا فلو كان فعلهم من الله لما كان لهذا الكلام معنى ، فليحرر فكره من طلب الحق وإلى الله المصير ، ولا شك أنه يستوي قول من قال :لا قدرة للعبد إنما هو كالشجرة –إن صح أن أحدا قال بهذا القول– وقول من قال :للعبد قدرة موجبة للفعل ، وأنه يستوي من قال : أنها موجبة يوجد فعل العبد بوجودها فيه ، ومن قال : يوجد فعل العبد بوجودها فيه ووجود إرادته ، وإرادته عندهم فعل الله يخلقها في العبد ، فمتى خلقها وجب عندهم حصول الفعل بالقدرة فالقدرة عندهم موجبة للفعل بشرط إرادة العبد للفعل ، وإرادة العبد للفعل هي من الله عندهم يخلقها في العبد فإذا وجدت بقدرة الله وجد الفعل بالقدرة الموجبة بشرط الإرادة وإنما هؤلاء محتالون للقول بالجبر بحيلة ؛ لأنهم يقولون وجد فعل العبد بقدرته وإرادته وصورة هذا القول صورة قول أهل العدل ولكنهم وقعوا في الجبر بجعلهم إرادة العبد من الله يوجدها في العبد وجعلهم تأثير قدرة العبد بزعمهم علة موجبة موجبة لحصول فعل العبد بشرط إرادة العبد ، وجعلوا حصول هذا الشرط من الله فقد جعلوا القدرة والإرادة من الله وجعلوا القدرة موجبة للفعل متى خلق الله الإرادة في العبد وأوجدها ولا تؤثر القدرة إلا بشرطها والشرط والمشروط والفعل عندهم كله من الله فلم يخرجوا من الجبر وإن أثبتوا للعبد بزعمهم قدرة وجعلوا وجود فعله متوقفا على إرادته فإن هذا لم يخلصهم من إثبات تعذيب الله للعبد عقوبة على ما أوجده الله فيه كما لو عذبه على السواد الذي خلقه فيه سواء سواء ؛ لأن نسبة الفعل على العبد لمجرد قيامه به ووجوده بقدرته وإرادته ولكن هذه الإضافات لا معنى لها ؛ لأن قدرته عندهم موجبة للمراد والإرادة ليست فعل العبد فلم يبق للعبد تمكن من ترك الفعل ؛ لأنه على قولهم مجبور على الإرادة وعلى الفعل وإن كان لا يسمى مجبرا ولا مكرها فهذا لا يفيدهم شيئا في إثبات عدل الله وحكمته وتنزيهه من ظلم عباده ؛ لأن الله إذا عذبه بذنبه والله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد ذنبه بخلقه للقدرة الموجبة والإرادة فيه فقد عذبه

على قولهم بما خلق فيه ولا يفيد اللفظ بأنه إنما عذبه بذنبه شيئا من تنزيه الله عن تعذيبه بغير استحقاق ، وكيف يكون ذلك الفعل سببا لاستحقاق العذاب وذلك الفعل ناتج عن فعل الله في العبد ولا دخل للعبد في وجود الفعل أصلا ؛ لأن سببه الموجب من الله عندهم فهو من الله وحده ؛ لأن فاعل السبب فاعل المسبب فنعوذ بالله من إهمال العقول .

ولما وصف المنافقين بصفاتهم ووعظهم بالوعيد وبذكر من فيه عبرة لهم من الذين من قبلهم وصف المؤمنين بصفاتهم التي تميزهم عن غيرهم فقال تعالى:

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٧١/٢)

والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم (٧١) (١)

---

(١) . { والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله } :

{ بعضهم أولياء بعض } الولاية ضد العداوة فهي الحب والمحبة في الأمور المهمة بسبب الحب

ويوافق هذا الحديث الشريف :((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا)) .

}

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر } لحرصهم على طاعة الله منهم ومن غيرهم حبا لله ولدينه ؛ ولكونهم مأمورين بذلك { ويقيمون الصلاة } لأن إيمانهم يبعثهم على إقامتها أي إحيائها وإتمام فروضها وشروطها وخشوعها ؛ لرغبتهم في عبادة الله ؛ ولأنهم مأمورون بذلك { ويؤتون الزكاة } رغبة في ثوابها وفي مواساة مصارفها ؛ ولأنهم مأمورون بذلك { ويطيعون الله ورسوله } لأن إيمانهم يأمرهم بطاعة الله ورسوله لخوفهم من الله وإيمانهم بالجنة والنار ؛ ولذلك إذا زل أحدهم سارع إلى التوبة ولم يصر على ما فعل وهو يعلم أنه قد عصى الله .

{ أولئك } أي أهل تلك الصفات .

{ سيرحمهم الله } في الآخرة ولعل هذه الرحمة صرف عذاب النار عنهم ، قال تعالى { من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه } .

{ إن الله عزيز حكيم (٧١) } ومن عزته وحكمته أن يرحم المؤمنين ؛ لأنهم أهل ولايته .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٧٢/٢)

وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم (٧٢) (١)

---

(١) . { وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها } :

باقين فيها لا يموتون .

{ ومساكن طيبة في جنات عدن } :

قال الشرفي في [المصابيح] قال في البرهان [أي في المساكن] هي القصور من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر مبنية بهذه الجواهر ، فأما جنات عدن فمعناها جنات خلود وإقامة ومنه المعدن لإقامة جوهره ، انتهى المراد.

وكون المساكن في جنات بقاء فضيلة للمساكن ؛ لأنها مع حسنها وطيبها وجودتها لا يخاف صاحبها أنه سيفارقها بل يكون واثقا ببقائه فيها .

{ &t92rĵç #$!" iBدئڙ ur'تحuqô؛b× } :

تنكير الرضوان إما لتعظيمه أي ورضوان عظيم من الله أكبر من ذلك المذكور ، وإما للدلالة على أن أي رضوان من الله فهو أكبر من ذلك النعيم ؛ لأن لذته في قلب المحب لله أعظم من كل لذة إذا علم رضاه عنه وأكبر من كل غرض في الجنة في نفس المؤمن ، أو لأنه يفيد أن لهم من النعيم ما يستدعيه رضى الله لكرمه وقدرته على كل شيء وعلمه بكل شيء وذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب ، هذا ولعل نسبة الرضوان إلى الله تعالى كنسبة الرحمة أي أنه باعتبار الغاية من دون إثبات عاطفة أو نحوها.

قال الشرفي في [المصابيح] : وقال الحسين بن القاسم قيل إن رضوان الله عليهم أكبر من دخولهم الجنة ، قال عليه السلام : وأنا أقول إن رضوان الله في ذلك اليوم هو الجنة ، ومعنى أكبر أي أن رضوان الله كبير فقام أكبر مقام كبير ..إلخ.

قلت : لعله عليه السلام تأول الرضوان بناء على أن معناه عرض ينزه الله عنه فجعل الرضوان هو الجنة كما كانت الرحمة في قوله تعالى { ففي رحمة الله هم فيها خالدون } هي الجنة ، والله أعلم.

{ y7د٩؛uqèd sŒ م–qxے٩$# قOدث#$9èyà اذثب } :

{ ذلك } الذي وعد الله المؤمنين والمؤمنات { هو الفوز } والظفر والفلاح { العظيم } لأنه سعادة دائمة وسلامة من شقاوة دائمة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٧٣/٢)

$kpڈ‰r'¯"ƒtگسة>¨#$9Z د‰خg"O$'u _yے #$96à

tûüة)دے"Yoك#$9J ل‌N ur#$=èحkڑt=nم Nك‌rBt'ùru1g قygyY¨O_

{§©خ/ç urڑچاء#$9Jy اذجب (١)

---

(١) . { $kpڈ‰r'¯"ƒt سة>¨#$9Zء د‰خg"O$'u _yے #$96à

tûüة)دے"Yoك#$9J ل‌N ur#$=èحkڑt=nم Nك‌rBt'ùru1g قygyY¨O_

{§©خ/ç urڑچاء#$9Jy اذجب } :

{ جاهد الكفار } غالبهم وحاول قهرهم بضروب المغالبة فبعضها بالسلاح ، وبعضها بالتخويف والإذلال ، وبعضها بالحجة القوية البالغة ، وإبطال الشبة والتعللات ؛ بحيث يضعف المبطل ويقوى جانب الحق { واغلظ } الغلظة ضد الرقة فهي قسوة وشدة وعدم مبالاة كما قال الشاعر :

يبكى علينا ولا نبكي على أحد ... لنحن أغلظ أكبادا من الإبل

{ ومأواهم } يوم القيامة { جهنم } يأوون إليها ويصيرون فيها { وبئس المصير } كلمة ذم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٧٤/٢)

يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا (١) وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله (٢)

(١) . { يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا } هؤلاء منافقون قالوا كلام كفر ،ثم صاروا يحلفون بالله ما قالوا خوفا من المسلمين فأكذبهم الله وبين فجورهم في حلفهم ،ثم قال تعالى (وهموا بمالم ينالوا) أي هموا بعد وإن كاغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينالوا ذلك الذي هموا به وهذا تحقيق لكفرهم وقد روي أنهم حاولوا في عودة رسول الله صلى الله عليه وآله من تبوك إسقاطه وهو في العقبة إسقاطه من فوق بغلته إلى الوادي . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وما نقموا } أي ما أنكر هؤلاء المنافقون شيئا يبعث على الكفر والهم بالفتك.

}

إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله } وهذا يستدعي الشكر فوضعوا الكفر موضع الشكر وجعلوه بدله كما مر في قوله تعالى: { ما زادوكم إلا خبالا } والغنى ما كانوا ينالونه من الغنائم والصدقات قبل نزول آية المصارف الثمانية ، أو بالتأليف لبعضهم ، وقوله : { من فضله } أي من فضل الله . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فإن يتوبوا يك خيرا لهم (١) وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير (٧٤) (٢)

(١) . { فإن يتوبوا يك خيرا لهم } وهذا بعد كشف جرائمهم دفع لتوهمهم أنه لا توبة لهم . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وإن يتولوا } عن الله بالإصرار على كفرهم { يعذبهم عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير } فلا ينصرهم الكفار الذين نافقوا إليهم ولا غيرهم ، والولي أعم من النصير ؛ لأنه يتولى رعاية من يتولاه وحمايته وإصلاح أموره . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

* ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين (٧٥) (١) فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون (٧٦) (٢)

---

(١) . { ومنهم } أي من المنافقين { من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين (٧٥) } :

قال الشرفي في [المصابيح] : والمشهور في سبب نزول هذه الآية أن ثعلبة بن حاطب قال : يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا ، فقال : (قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه) فراجعه وقال : والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه ، فدعى له انتهى .

وقصة ثعلبة في أمالي المرشد بالله ج/١ ص/١٩٨. ١٩٩ .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون (٧٦) } :

}

بخلوا به } لم يصدقوا كما عاهدوا الله { وتولوا } عن طاعة الله لم يكونوا من الصالحين { وهم معرضون } عما يبلغه رسول الله بحضرتهم من الآيات والمواعظ .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون (٧٧) (١)

---

(١) . { فأعقبهم } ذلك التولي والإعراض ، أو الله على أنه من المتشابه المؤول بالخذلان { نفاقا في قلوبهم } أي حبا للنفاق وإصرارا عليه ، كقوله : { وأشربوا في قلوبهم العجل } { إلى يوم يلقونه } أي يموتون على ذلك ويبعثون يوم القيامة عليه ويوقفون موقف الحساب والسؤال وهم كذلك .

}

بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون } فالعصيان بالخلف وبالكذب جرهم إلى النفاق وفي الحديث (.. والكذب يهدي إلى الفجور) فهو موافق للآية الكريمة .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى :

حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٧٨/٢)

ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب (٧٨) (١) الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم (٢)

---

(١) . { ألم يعلموا } حين عاهدوا الله كاذبين { أن الله يعلم سرهم ونجواهم } ما يتناجون به من الإثم والعدوان ومعصية الرسول { وأن الله علام الغيوب } ألم يعلموا ذلك فيراقبوا الله ويتقوه ويجتنبوا أسباب غضب الله عليهم ، لقد آن لهم أن يعلموا .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم } :

هذا وصف لمن عاهد الله فقد أضاف إلى نكث العهد وإلى البخل جريمة أخرى هي لمز المطوعين من المؤمنين في الصدقات ، واللمز : الذم كما مر عن الإمام زيد بن علي عليهما السلام ووافقه صاحب الصحاح فقال : اللمز العيب .. إلى قوله ..ورجل لماز ولمزة أي عياب انتهى .
وقيل : اللمز الإغتياب ، وفي تفسير القاسم عليه السلام لقوله تعالى : { ويل لكل همزة لمزة } الجمع بين القولين والله أعلم .
والمطوعين الذين ينفقون رغبة وطوعا .
{ والذين لا يجدون إلا جهدهم } :
حكى الشرفي في [المصابيح] عن الحسين بن القاسم عليهما السلام معنى { والذين لا يجدون إلا جهدهم } وهم مع ذلك لا يجدون إلا جهدهم ، وهو طاقتهم وقوتهم وما يقيم ويثبت أرواحهم في أجسادهم انتهى المراد ، فقد جعل الذين لا يجدون وصفا للمطوعين معطوفا بالواو ، كقول الشاعر :
هو الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

وهو قريب ؛ لقوله تعالى : { فيسخرون منهم } لأن مظنة أن يسخروا منه هو منفق القليل ، فأما منفق الكثير فإنما يذمونه بدعوى أنه أنفق رياء ، وليس ذلك من السخرية ، والآية تفيد أنهم جمعوا بين اللمز

والسخرية ، فالمطوعون يستحقون المدح والإحترام ، فإذا انضاف إلى تطوعهم أنه إيثار على أنفسهم زاد به استحقاقهم للمدح والتعظيم فلمزهم والسخرية منهم ظلم على ظلم ظلمات بعضها فوق بعض .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٧٩/٢)

سخر الله منهم ولهم عذاب أليم (٧٩) (١) استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم (٢)

---

(١) . { سخر الله منهم } :
أي فعل بهم كفعل الساخر بهم والمستهزئ بهم ؛ لأنه أعد لهم العذاب الأليم في الدنيا والآخرة ، وأملى لهم ، وهم يتوهمون الإملاء لهم خيرا لأنفسهم .
{ ولهم عذاب أليم } : على جرائمهم كلها ، ومنها اللمز والسخرية .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { استغفر لهم أو لا تستغفر لهم } :
أي سواء استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، فهو تخيير بين الإستغفار وتركه لبيان أنهما سواء .
{ إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم } :

لأنه أعلم بجرائمهم وإصرارهم وأنهم ليسوا أهلا لأن يغفر الله لهم .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٨٠/٢)

ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين (٨٠) (١)

---

(١) . { ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين } فكفرهم بالله ورسوله جراهم على

الجرائم الآخر وعلى الإصرار والبعد من التوبة لعدم الخشية من الله وعدم الخوف من عذاب الآخرة لأنهم قد كذبوا الرسول الذي أنذرهم والله لا يهدي القوم الفاسقين الخبثة الفجار المتمردين على الله فلا يغفر لهم ولو أكثرت الإستغفار لهم لأن الغفران متوقف على اهتدائهم وتوبتهم ولا يهديهم الله لأنهم فاسقون. كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(٩٨١/٢)

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون (٨١) (١)

---

(١) . { فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون } فرح المخلفون بمقعدهم ،سرهم تخلفهم وقعودهم عن الجهاد مع رسول الله سرورا اطمأنوا إليه كأنهم قد أدركوا الخبر الذي لا يعقبهم شرا وسرهم مقعدهم من حيث أنه خلاف رسول الله كراهة له ولمرافقته وللتأسي به ،فهذا الفرح نتيجة كفر وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وهذا تقديم لما يترتب عليه من الوعيد ليدل على أنهم فرحوا بما يضرهم وكرهوا ما هو خير لهم وقالوا لبعض الناس لا تنفروا في الحر تخذيلاص عن الجهاد ومعارضة لدعوة الرسول صلى الله عليه وآله إليه ونهيا عن المعروف قل نار جهنم أشد حرا وأنتم صائرون إليها ولم تتقوها فلم تنهون عن النفر في الحر وأنتم لم تتقوا نار جهنم لو كانوا يفقهون لو كان المنافقون يفهمون ليحذروا خرجهم لكنهم قد أهملوا عقولهم فهم لا يفقهون فقه من استعمل عقله.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٨٢/٢)

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون (٨٢) (١)

---

(١) . { فليضحكوا } في فرحهم بالقعود وتركهم للجهاد.
{ قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون } قليلا مدة في هذه الحياة الدنيا تنتهي ثم يصيرون إلى

نار جهنم حيث يبكون كثيرا وقوله تعالى (فليضحكوا) تعبير عن حقارة ذلك وقتله في جنب أنهم يصيرون إلى جهنم كقوله تعالى (قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار) ،وأما قوله وليبكوا كثيرا فهو يدل على أنه البكاء الكثير كائن لهم وأنه مطلوب لهم أي يريده الله لهم ،وقوله تعالى (جزاء بما كانوا يكسبون) أي يجعلهم باكين كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون من الآثام المتكررة العديدة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٨٣/٢)

فإن رجعك الله إلى pxv ےح !$s غ منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا سةëtB عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين (٨٣) (١)

---

(١) . { فإن رجعك الله } من هذه العروة التي فرحوا بمقعدهم عنها خلاف رسول الله قالوا وهي غزوة تبوك.

{ إلى طائفة منهم } من هؤلاء المنافقين ولعل الشرفي قوله طائفة منهم ولم يقل إليهم أنهم لا يبقون كلهم حتى يرجع بل يموت بعضهم أو ليعم كل طائفة لأنه نكرة في سياق الشرط فكل طائفة منهم يقول لها ما أمر به في قوله.

}

فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا أنكم رضيتم بالقعدود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين { لأنكم لا تزالون منافقين أعداء للدين مفسدين فلن تصلحوا للخروج معي أبدا ولن تقاتلوا معي أنكم رضيتم لأنفسكم بالقعود أول مرة وكنتم مأمورين بالخروج للجهاد في سبيل الله فعصيتم فكف الله سركم وبين أنكم لو خرجتم أفسدتم وأنكم لا تصلحون للجهادي سبيل الله فكيف تصلحون للخروج مع رسول الله ومرافقة نبي الله وأنتم أعداؤه وأعداء دينه وقوله مع الخالفين تحقيق لقعودهم في المدينة والخالفون الباقون فيها خلف المجاهدين أي مع غياب المجاهدين.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٨٤/٢)

ولا تصل على أحد منهم مات أبدا (١)

---

(١) . { ولا تصل على أحد منهم مات أبدا } هي صلاة الجنازة سميت صلاة لأنه يدعى للميت فيها ،والله أعلم. وفائدة التأبيد بيان أن من تأخر موته حتى جوز الرسول صلى الله عليه وآله أنه قد تاب فلا حكم لذلك لو وقع لأنهم لا يزالون فاسقين ولو عاش أحدهم سبعين سنة بعد هذا التخلف.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٨٥/٢)

ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (٨٤) (١) ولا تعجبك أموالهم وأولادهم (٢)

---

(١) . { ولا تقم علىقبره } : لأن ذلك تكريم له ، وليس أهلا إلا للإهانة { إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون } فهنا علتان للنهي : الأولى : أنهم كفروا بالله ورسوله ، والثانية : أنهم ماتوا وهم خبثة فجار متعمدون للفجور لخبثهم .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولا تعجبك أموالهم وأولادهم } ولا تستحسن أموالهم الوافرة وأولادهم.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(٩٨٦/٢)

إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون (٨٥) (١)!

---

(١) . { إنما يريد الله أن يعذبهم بها } فتعذيبهم بها هو المراد بها لأنها تجر عليهم الهم والغم والعناء والتعب المتواصل والتشديد على أنفسهم وعلى أهلهم فبذلك ونحوه يعذبهم الله بها عذابا عاجلا والقصر في هذه الآية التي مثلها هو قصر القلب أي إنما يريد الله أن يشقوا بها لا أن يسعدوا ، { في

الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون } لاشتغالهم بالدنيا وشغل قلوبهم بها عن النظر لأنفسهم لفرط حبهم لها وغفلتهم عن الحياة الدائمة ، فكأنه لا حياة إلا هذه الحياة ، فلذلك جعلوها أكبر همهم حتى ماتوا وهم كافرون ، فمأواهم جهنم وبئس المصير .
قال الراغب : زهقت نفسه خرجت من الأسف على الشيء .انتهى.

وفسر في الصحاح ولسان العرب زهوق النفس بخروجها من غير قيد الأسف وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام وتزهق أنفسهم معناه تخرج .انتهى.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٨٧/٢)

#sŒخ)ur أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين (٨٦) (١)

---

(١) . { وإذا أنزلت سورة إن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين } كان الكلام فيمن قيل لهم انفروا في سبيل الله وهنا فيمن سمع كتاب الله يأمر بالإيمان والجهاد مع رسول الله وهو خاص بأولي الطول من المذكورين أو لا ،ولعل هذا كان قبل أن يبلغهم رسول الله صلى الله عليه وآله ما أمر به في قوله تعالى (فقل لن تخرجوا معي أبدا) لأن هذا بعد غزوة تبوك وقد نزل الأمر بالإيمان والجهاد في القرآن من قبل قالوا وكانت غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة وأولوا الطول الأغنياء الذين لهم فضل من المال يستطيعون به الخروج للجهاد سواء كان معنى الطول الغنى والسعة أو كان معناه القدرة ،وقالوا ذرنا أي اتركنا نكن مع القاعدين ،كأنهم يحتجون بقعود غيرهم مع أن القاعدين إما معذور فلا حجة به لغير المعذور وإما عاص فلا حجة فيه بل المقتدي بالعاصي عاص.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٨٨/٢)

رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (٨٧) (١)

---

(١) . { رضوا بأن يكونوا مع الخوالف } رضوا لأنفسهم سيما الضعف بأن يكونوا قاعدين مع النساء لأنهن لم يكتب عليهن الجهاد لضعفهن مع كفاية الرجال.

{ وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون } لا يفهمون الزجر والإنذار والتخويف فهما نافعا لأنهم معرضون لا يتفهمون ولا تقبل أنفسهم ما فهموه لأنهم كارهون لذلك.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٨٩/٢)

لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون (٨٨) (١) أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (٨٩) (٢)

---

(١) . { لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون } الرسول محمد صلى الله عليه وآله والذين آمنوا معه أهل الإيمان الصادق المشاركون لرسول الله صلى الله عليه وآله في نصرة الإسلام والدعوة إلى الله والإيمان الصحيح الكامل لهم الخيرات مكتوب لهم ومعد لهم الخير الكثير وأولئك أهل تلك الصفات هم المفلحون الظافرون بالخير لا من قعد في أهله وماله وظن أن الخير في ذلك.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { أعد الله لهم } للرسول والذين آمنوا معه.

{ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم } لأنه السعادة الدائمة ومنجاة من الشقاوة الدائمة فهو الفوز العظيم.

قال الراغب :الفوز الظفر بالخير مع حصول السلامة .انتهى.

وقوله تعالى (لكن الرسول والذين آمنوا معه) تنبيه على أنهم على خلاف ما عليه المتخلفون الذين تقدم الكلام فيهم وبضدها تتميز الأشياء فقوله { لكن } لإفادة ذلك.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٩٠/٢)

وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم (١) وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم (٩٠) (٢)

---

(١) . { وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم } قال الشرفي في المصابيح قال في البرهان والفرق بين العذر والتعذير أن العذر حق والتعذير كذب .انتهى.

وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام :وجاء المعذرون وهم الذين غير جادين في الأمر يظهرون باللسان خلاف ما في القلب .انتهى.

فالمعذرون هنا هم الذين يدعون الأعذار المرخصة في ترك الجهاد أو الأعذار التي تسبب الأذن لهم في التخلف وقوله تعالى (وجاء) أي جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يدلون إليه بدعواي الأعذار لؤذن لهم في التخلف عن الجهاد.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وقعد الذين كذبوا الله ورسوله } قعد عن الجهاد وتخلف فلم يخرج للجهاد الذين كذبوا الله أي قالوا كاذبين إما قولهم آمنا وأما أنهم يقولون لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم سنجاهد معك وهم في ذلك متعمدون للكذب.

}

سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم } علق الوعيد على الكفر ليخرج من خرج من الكفر بالتوبة ويحتمل رجوعة إلى المعذرين والكاذبين وهو الراجح.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٩١/٢)

ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم (٩١) (١)

---

(١) . { ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج } ليس عليهم حرج في ترك الجهاد والضعف قد يكون من أثر المرض وقد يكون من شدة الكبر بحيث لا يستطيع القتال.

{ إذا نصحوا لله ورسوله } إذا صلحت نياتهم وجدوا في معاونة الإسلام بما يقدرون عليه من القول ونحوه فالنصح إخلاص الموالاة لله ورسوله

{ ما على المحسنين من سبيل } ما عليهم حجة ليصيبهم حرج لأنهم محسنون والحرج إنما هو على المسيئين.

{ والله غفور رحيم } فهو يغفر لأهل الأعذار الصحيحة ويرحمهم مما قد يقع منهم من تقصير في النصح لغفلة أو سهو أو نحو ذلك.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٩٢/٢)

ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون (٩٢) (١)

---

(١) . { ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون } ولا حرج على الذين هم راغبون في الجهاد لكن ليس لهم رواحل تحملهم إلى محل الجهاد وهو بعيد فإذا أتوك لتحملهم على أبل من عندك لم يكن عندك ما تحملهم عليه تولوا من عندك يبكون حزنا من أنهم لا يجدون ما ينفقون ليجاهدوا فهؤلاء ما عليهم من حرج في ترك الجهاد لأنهم راغبون فيه لم يمنعهم إلا أنهم لا يجدون ما ينفقون في رواحل أو في كراء رواحل وفي مؤونة السفر.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٩٣/٢)

---

* إنما السبيل على الذين يستأذنوك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون (٩٣) (١)

---

(١) . { إنما السبيل على الذين يستأذنوك وهم أغنياء } يقدرون على تحصيل الذواب ومؤونة السفر ولكن ليسوا مؤمنين فيرغبوا في نصرة الإسلام بل أرادوا القعود.
{ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف } مع النساء الخوالف في البلد للذين رحلوا للجهاد أي خلفن المجاهدين وهذه صورة للأغنياء المعتذرين دنيئة قد رضوا بها لأنفسهم بسبب كراهتهم للجهاد.
{ وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون } وهذا يدل على أنهم قد تمردوا حتى استحقوا الخذلان فصارت قلوبهم كارهة للحق فكأن عليها طبعا وختما كالختم على الزجاجة يمنع من دخول العلم إلى قلوبهم وهذا تمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير أول سورة البقرة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٩٤/٢)

يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم (١)

---

(١) .
{ يعتذرون إليكم إذا رجعتم } إليهم يعتذرون من تخلفهم واستئذانهم لترضوا عنهم.
{ قل } يا رسول الله.
{ لا تعتذروا لن نؤمن لكم } لن نصدقكم ولن نقبل منكم اعتذاركم.
{ قد نبأنا الله من أخباركم } وفي هذا دليل على أن المعتذر المخادع الذي يعلم كذبه وأضراره لا يجب قبول عذره وهو مخصص لعموم الحديث من لم يقبل العذر من محق أو مبطل لا ورد على الحوض فإن

قبل فما فائدة قوله أو مبطل قلنا له فائدتان الأولى إذا كان تائبا وقد ندم على إساءته فاعتذر منها فيقبل اعتذاره لتبقى الأخوة بين المؤمنين الثانية إذا فرض أنه مبطل في الواقع لكن لا يعلم أهو محق أم مبطل فيقبل اعتذاره حملا له على السلامة لتبقى الأخوة بين المؤمنين فأما هؤلاء المذكورون في الآية فهم مصرون مخادعون بدليل هذه الآية وقوله تعالى (قد نبأنا) أي أخبرنا الله وأعلمنا بعض أخباركم وهو ما يكشف كذبكم وخداعكم وإصراركم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٩٥/٢)

وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (٩٤) (١)

---

(١) . { وسيرى الله عملكم ورسوله } أي عملكم المستقبل سيراه الله ورسوله فإن صلحتم نفعم وإن بقيتم على ما أنتم عليه كان أمركم مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وآله.

{ ثم تردون } في الآخرة.

{ إلى عالم الغيب والهادة } العالم بكل ما قدمتم لأنه عالم الغيب والشهادة.

{ فينبئكم بما كنتم تعلمون } حتى لا ينفعكم ككتمان ما تكتمون في الدنيا من نفاقكم وفسادكم ويكون يوم القيامة عملكم كله مكشوفا فتجون الجزاء الأوفى لأن الله ينبئكم به هو ولا يحتاج إلى سؤالكم لتعرف ما كنتم تعملون.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٩٦/٢)

سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم (١) فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون (٩٥) (٢)

---

(١) . { سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم } عن تعنيفهم أو مؤاخذتهم بسبب تخلفهم عن الجهاد أي يحلفون على اعتذارهم لتصدقوهم فيه فتتركوهم أعيد ذكر هذا وأن تضمنه قوله يعتذرون من أجل ذكر حلفهم بالله.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فأعرضوا عنهم } إعراض هجر وإرجاء لأمرهم لحكم الله فيهم.

{ إنهم رجس } تترك مجالستهم وتتقي مخالطتهم لرجسهم أي فسقهم وخبثهم وفجورهم.

{ ومأواهم جهنم } فهي حسبهم.

{ جزاء بما كانوا يكسبون } أي بكل جرائمهم التي تكررت منهم وتعددت ونعوذ بالله من غضب الله فقد ولاهم ما تولوا وتركهم وأنهم على أنه حافظ لدينه ولرسوله ومنتقم منهم بجهنم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٩٧/٢)

يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين (٩٦) (١) الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم (٩٧) (٢)

---

(١) . { يحلفون لكم لترضوا عنهم } اعيد ذكر الحلف ليرتب عليه قوله تعالى:

{ فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين } الفجرة الخبيثين المتمردين على الله فكانت لاعنادهم المصحوبة بإيمانهم ثلاثة أحكام:

الأول :(قل لا تعتذروا ..إلى آخر الآية).

الثاني :(فأعرضوا عنهم).

الثالث :(إن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عنهم) ما داموا فاسقين ،أي فرضاكم عنهم باطل.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم } قال الشرفي في المصابيح قال الحسين بن القاسم عليه السلام هم أهل البادية الجهال والكفرة والجفاة

الضلال ..إلخ.

أقول :الأعراب البدو وما ذكر فيهم هو من تفسير قوله تعالى (أشد كفرا ..الآية).
قال الراغب :العرب ولد إسماعيل والأعراب جمعه في الأصل وصار ذلك اسما لسكان البادية .انتهى.
أي سكان البادية من العرب.
وفي الصحاح :العرب جبيل من الناس وهم أهل الأمصار والأعراب منهم سكان البادية خاصة ،ثم قال وليس الأعراب جمعا لعرب وإنما العرب اسم جنس .انتهى باختصار.
وقوله تعالى (أشد كفرا ونفاقا) أي أشد من هؤلاء الذين في المدينة الذين يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم وقوله تعالى (كفرا) لعله ككفر بعض المنافقين مع إظهارهم للإسلام ولقد قالوا كلمة الكفر وقوله تعالى (ونفاقا) أي أد ولاء للكفار مع إظهارهم الإسلام وهذا مما يفيد أن ليس مفهوم النفاق إبطان الكفر مع إظهار الإسلام بل الكفر شيء والنفاق شيء قد يجتمعان وقد لا يجتمعان أعني كفر الجحود بالرسول والقرآن وذلك أن مريض القلب يعترف بالإسلام خوفا فيشهد الشهادتين ويكون بذلك قد أسلم كما قال تعالى (وكفروا بعد إسلامهم) ثم بجملة الخوف من الكفار لعدم نفيه بنصر الله لرسوله وإظهاره لدينه ،لأنه غير مؤمن فينافق ليكون له عند الكفار ما يؤمنه أن غلبوا المسلمين فالنفاق هو موالاة الكفار سرا مع إظهار الإسلام ،وقوله تعالى (وأجدر) أي أقرب إلى أن لا يعلموا حدود ما أنزل على رسوله من الوحي في القرآن وفيما جاء منه على لسان الرسول صلى الله عليه وآله ومن طريقة من غير القرآن فالأعراب لبعدهم عنه أجدر بالجهل لأحكام الله وشرائعه وهكذا يكونون لبعدهم عن العلم والعلماء إلا أنهم في هذا الزمان قد يتمكنون من المعرفة بواسطة الكتب والشروط التي تسمع في المسجلات وقد يزدادون جهلا بما يلقى إليهم من وسائل الإعلام المشتملة على البه والتضليل فيضيفون جهلا مركبا إلى الجهل البسيط ،وقوله تعالى (حدود ما أنزل الله) أي حدود الدين المأخوذة مما أنزل الله وحدود الدين مثل أعداد الصلوات ،أعداد الركعات ،كيفية الركوع ،كيفية السجود ،أول وقت الصيام ،أول وقت الإفطار ،كم نصاب الزكاة من المرعى ،وكم الزكاة العشر أو نصف العشر أو ربع العشر ونحو ذلك ،فحالذلك أنهم أقرب إلى الجهل بتفاصيل الشريعة وتفاصيل الدين.
قال في الصحاح :وفلان جدير بكذا أي خليق وأنت جدير أن تفعل كذا .انتهى المراد.
وقال الراغب :والجدير المنتهى لانتهاء الأمر إليه انتهاء الشيء إلى الجدار وقد جدر بكذا فهو جدير وما أجدره بكذا وأجدر به .انتهى.
فمعنى الجدير على قول الراغب الغاية في الأهلية للشيء ،والله عليم حكيم فهو يعلم الفرق بين الأعراب ومن بالمدينة ويعلم كل شيء وهو يحكم فيهم بما هو من مقتضى الحكمة في الدنيا وفي الآخرة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٩٨/٢)

ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم tچح !#$urO#$!$# عليهم نotچح !#yث السوء والله سميع عليم (٩٨) (١)

---

(١) . { ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم } يتخذ ما ينفق مغرما يعده غراما وضياع مال بلا فائدة أي خسرانا لأنه ينفق لمداراة المسلمين لا لطلب الثواب ولا يرجو ثوابا على ما أنفق فهو عنده تألف في غير فائدة ويتربص ينتظر بكم أيها المسلمون الدوائر أي دوائر الزمان وتقلب الأحوال فهو ينتظر أن تنقلب الحال فتسقط دولة الإسلام ويفنى المسلمون عليهم أي على هؤلاء الأعراب ،دائرة السوء هذا دعاء عليهم بأن تدور عليهم دائرة السوء وهو دلالة على اتستحقاقهم دائرة السوء وتعبير عن الغضب عليهم كقوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) والله سميع لأقوالهم ولكل قول ،عليم بما يخفون من تمني دائرة السوء على المسلمين أو غير ذلك ،عليم بكل شيء.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٩٩٩/٢)

ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم (٩٩) (١)

---

(١) . { ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول إلا أنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم } هذا يدل على أن قوله تعالى (الأعراب أد كفرا) خارد منه بعضهم يتخذ ما ينفق قربات أي يعدها قربات له عند الله ،لأنه مؤمن أنفقها لله وفي سبيله وصلوات الرسول أي دعاءه لهم عند أخذ المنفق منهم فهم يرجون الخير بصلوات الرسول صلى

الله عليه وآله فإن كان صلوات معطوفا على ما ينفق فالمعنى ويتخذ صولات الرسول قربات عند الله أي سببا للقربة عند الله لأن دعاء الرسول مستجاب وهم يرجون أن يكون سببا للتوفيق والهداية ولأن صلوات الرسول تزيدهم رغبة ،فيزدادون بسببه من العمل المقرب عند الله وهذا الوجه أقرب من جهة التركيب فيما نرى فإن معناه لا يحوج إلى التأويل والأول أرجح ويؤكده تأنيث الضمير في قوله تعالى إلا أنها قربة لهم ،فظاهره العود إلى صلوات الرسول ولأنه أقرب من ما ينفق فعود الضمير إلى صلوات الرسول أقرب وإن شمشل ما ينفقون فبطريقة الإكتفاء كقوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها) ،وقوله تعالى (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها فأكتفى بضمير أحد الشيئين اكتفاء بفهم السامع لإرادة الحكم على كل واحد مهما وقوله تعالى (سيدخلهم الله في رحمته) تحقيق لحصول القربة لهم عند الله ورحمته الجنة بدليل سيدخلهم فهي قرينة فأما رحمة الدنيا فهم داخلون فيها ،إن الله غفور رحيم ولذلك يقبل العمل الصالح ويعد عليه الثواب ونجعل ما نقدم من زلات الإنسان الصغائر غير مانعة من الثواب العظيم وكذلك ما تقدم من السيئات قبل الإيمان والتوبة يجعله كأن لم يكن.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠٠٠/٢)

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم (١)

---

(١) . { والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم } كأن الكلام في المؤمنين من الأعراب كان سببا للكلام في بقية المؤمنين مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأقرب أن أعرابه السابقون مبتدأ خبره رضي الله عنهم وما عطف عليه ،والسبق هنا هو السبق إلى الإيمان ،وقوله الأولون يخرج بعض المهاجرين والأنصار وبعض السابقين منهم لأن السبق إضافي فكل مؤمن سابق لمن آمن بعده ولكن قد مل الباقين الذين هم مؤمنون ،قوله تعالى (والذين اتبعوهم) أي آمنوا بعدهم ولا يدخل فيها التابعون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لأن اتبعوهم فعل ماض فلا يدخل فيه إلا من كان قد آمن قبل نزول هذه الآية إمانا مقرونا بالإحسان والمراد به أهل الإيمان الصادق الباعث على أن يكون صاحبه من المحسنين وقد فسر المحسنين أول سورة لقمان ولأن التابعين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله لا ينسب اتباعهم إلى السابقين الأويلن فحسب لأنهم تابعون للصحابة كلهم سابقهم ومسبوقهم فظهر أن المقصود بالتابعين للسابقين الأولين المسبوقون من المهاجرين والأنصار الذين سبقهم السابقون الأولون وقوله تعالى رضي الله عنهم تعبير عن قبول إيمانهم

وإحسانهم وأنه غير ساخط على من كان كافرا منهم لأن إيمانه وتوبته محى ما سلف منه وقوله تعالى: كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠٠١/٢)

ورضوا عنه (١)

---

(١) . { ورضوا عنه } لأنهم بإيمانهم الصادق يرضون بقضائه ولا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضى ويتحملون التكاليف رغبة لأيمانهم بالثواب ورغبتهم في رحمة الله ورضوانه وهذا يقابل ما مر في الأعراب والمنافقين الكارهين لطاعة الله في الجهاد والإنفاق وغير ذلك الذين نسوا الله فنسيهم.
أخرج الحاكم في المستدرك [ج٣/ص١٣٧] :عن أنس قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :((اشتاقت الجنة إلى ثلاثة :علي وعمار وسلمان)) قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد وأقره الذهبي في تلخيصه وأخرجه الترمذي [ج٥/ص٦٦٧] وقال حسن غريب وأخرجه أبو نعيم في الحلية [١٤٢/١] وذكره المتقي في كنز العمال هكذا أو ذكره بلفظ :((أن الجنة تشتاق إلى أربعة :علي وعمار وسلمان والمقداد)) وأفاد أنه أخرجه الطبراني في الكبير عن أنس وذلك في [ج١٤/ص٢٣٣] من كنز العمال.

وأخرج الحاكم في المستدرك [ج٣/ص١٣٠] عن بريدة قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :((إن الله أمرني بحب أربعة من أصحابي وأخبرني أنه يحبهم .قال قلنا :من هم يا رسول الله؟ ،وكلنا نحب أن نكون منهم. فقال : ألا إن عليا منهم ،ثم سكت ،ثم قال :أما إن عليا منهم ،ثم سكت)) قال الحاكم :هذا حديث صحيح على شرط مسلم. قال الذهبي ما أخرج مسلم لأبي ربيعة.
قلت :يكفي في صحته على شرط مسلم أن يكون ربيعة على شرط مسلم وأن لم يخرج له.
وفي تهذيب التهذيب حسن الترمذي بعض أفراد ربيعة .انتهى.
والحديث أخرجه أحمد في المسند [ج٥/٣٥١] بلفظ :((إن الله عز وجل يحب من أصحابي أربعة أخبرني أنه يحبهم وأمرني أن أحبهم. قالوا :من هم يا رسول الله؟ قال :إن عليا منهم وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود الكندي)).
وأخرجه الطبري في منخب ذيل المذيل المتصل بتاريخه في المجلد الآخر منه [ص٣٨] من صفحات المنتخب ،فقال :حدثني إسماعيل بن موسى السدي ،قال أخبرني شريك عن أبي ربيعة الإيادي عن ابن

بريدة عن أبيه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله :((إن الله تعالى أمرني بحب أربعة. قيل :يا رسول الله من هم؟ سمهم لنا. فقال :علي منهم يقول ذلك ثلاثا وأبو ذر والمقداد وسملان أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم)).

وأخرجه الترمذي في جامعه [ج٥/ص٦٣٦] وحسنه وذكره المتقي الهندي في كنز العمال [ج١٢/٢٣٣] في فضائل الصحابة في قسم الأقوال بلفظ :((أمرت بحب أربعة من أصحابي وأخبرني الله أنه يحبهم :علي وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود الكندي)).

وأفاد أنه أخرجه الروياني عن بريدة وأخرجه في [ص٢٣٦] من ذلك الجزء بلفظ :((إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم :علي منهم وأبو ذر والمقداد وسلمان)).

وأفاد أنه أخرجه الترمذي وابن ماجة ،وأفاد أنه أخرجه الحاكم وأنهم أخرجوه عن بريدة .انتهى.

وهو في سنن ابن ماجة [ج١/ص٦٦] ،وأخرجه أبو نعيم في الحلية [ج١/ص١٧٢] وأفاد ابن حجر في الصواعق أنه أخرجه الترمذي والحاكم وصححه عن بريدة فظهر أنه سقط من نسخة المستدرك المطبوعة قوله :وأبو ذر والمقداد وسلمان ،وأنه ثابت في المستدرك.

قال الشرفي في المصابيح في تفسير قول الله تعالى (والسابقون الأولون) قال في البرهان وهو أمير المؤمنين علي عليه السلام لأنه أول من سبق إلى الإسلام من الرجال وخديجة بنت خويلد .انتهى.

قلت : تحقيق هذا في كتيب الزيدية والإمامية ،وقد عقد له السيد العلامة عبد الله بن الهادي الحسن بن يحيى القاسمي بابا في حاشية كرامة الأولياء وحقق ذلك تحقيقا كافيا ونقله هنا يطول.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠٠٢/٢)

وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم (١٠٠) (١)

---

(١) . { وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم } أعد إما أنه قد خلقها فأعدها للمتقين حقيقة وإما أنها بمنزلة المخلوقة لسهولة إيجادها فكأنها قد وجدت وإعدادها للمذكورين بشارة عظمى لمن لم يتحول عن خط الإحسان إلى الإساءة ولا دلالة فيها على أنهم كلهم لا يتحول أحد منهم عن طريق الجنة لأن معنى أعداد الشيء تهيأته لمن أعد له وهي قد تكون لأناس يتخلف بعضهم ولا ينافي ذلك إعدادها لهم وقد أفاد القرآن أن بعض المنافقين كانوا قد آمنوا وقد مر قوله تعالى فيهم (قد كفرتم بعد إيمانكم) ،وقال تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما

حوله ذهب الله بنورهم) ،وفي جامع البخاري المسمى بالصحيح [ج٤/ص١٤٣.١٤٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :((تحشرون حفاة عراة غرلا ،ثم قرأ (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين) فأول من يكسى إبراهيم ،ثم يؤخذ رحال من أصحابي ذات اليمين وذات المال فأقول أصحابي ،فيقال :إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)) إلى آخر الحديث نقلته من المطبوعة المجردة عن الشروح عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول ،والحديث مخرج من كتب وطرق عديدة ،أنظر الإعتصام تأليف الإمام القاسم بن محمد عليه السلام الجزء الأول.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠٠٣/٢)

ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم (١٠١) (١)

---

(١) . { ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم } ممن حولكم ممن هو خارج المدينة المنورة ومن هل المدينة حيث الرسول صلى الله عليه وآله والقرآن يتلي وآيات النبوءة تتجدد مردوا على النفاق في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام معناه عتوا .انتهى.

وفي لسان العرب المارد العاتي ،ثم قال والمرود على الشيء المرون عليه وترد على الكلام أي مرن عليه لا يعبأ به قال الله تعالى (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) قال الفراء يريد مرنوا عليه وجربوا .انتهى المراد.

فالراجح أن المعنى عتوا على النفاق بسبب مرونهم عليه والفهم له فالعتو حاصل المعنى ،والله أعلم.

وقوله تعالى (مردوا على النفاق) صفة لقوله منافقون أي منافقون مردوا على النفاق وكلهم من أهل المدينة وممن حولهم ،وقوله تعالى(لا تعلمهم) دليل على أن الله لم يجعله يعلم الغيب إنما يعلم ما أوحي إليه به ولم يوح إليه بكل شيء وقوله تعالى (سنعذبهم مرتين) يحتمل في الدنيا ،ويحتمل مرة في الدنيا أو عند حضور الموت ومرة بعد الموت قبل القيامة ،وقوله تعالى (ثم يردون إلى عذاب عظيم) هو عذاب جهنم نعوذ بالله من عذابه وفي الآية دلالة على أن ما كل من رأى رسول الله صلى الله عليه وآله

وسمعه صحابيا إذا كان قد هد الشهادتين ،لأن هذا الأصل يستلزم جعل المنافقين من الصحابة فإذا جعلوا من الصحابة وجعل الصحابة كلهم عدولا نتج عنه تعديل المنافقين وإيجاب قبول حديثهم وهم أعداء الإسلام ،فالأولى أن الصحابي :من طالبت ملازمته لرسول الله صلى الله عليه وآله متبعا لشرعه ولم يثبت عنه تحول عن اتباعه. وقد حققت هذه المسألة في تحرير الأفكار.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠٠٤/٢)

وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا (١) عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم (١٠٢) (٢)

---

(١) . { وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا } وآخرون لعله عطف على قوله منافقون فالمعنى وممن حولكم ومن أهل المدينة آخرون غير منافقين لكنهم خلطوا عملا صالحا وعملا آخر سيئا تارة يعصون وتارة يطيعون.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم } عسى الله أن يتوب عليهم فيؤفقهم للطاعة المستمرة والتوبة النصوح إن الله غفور رحيم ومن مغفرته ورحمته تعريض عباده على التوبة وتوفيق من لم يستوجب الخذلان.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠٠٥/٢)

خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها (١)

---

(١) . { خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها } ليسوا كمن قال فيهم (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن

يتقبل منهم) لأن هؤلاء غير منافقين وإنما يتقلبون لعدم رسوخ الإيمان في قلوبهم كما قال أمير المؤمنين :(من الإيمان ما يكون ثابتا مستمرا ومنه ما يكون عواري بين الصدور والقلوب) وذلك أنها تعرض الغفلة فينسى الإيمان فكأنه كان عارية مردودة وقوله تعالى من أموالهم يعر بأنها الزكاة لأنها تجب في الأموال المختلفة أما غيرها فيكفي الإنفاق من غير تبع لأنواع المال بل قد يكفي من نوع واحد وقوله تعالى (تطهرهم وتزكيهم بها) يفيد أن في إخراج الزكاة على الوجه المقبول تظهره لصاحبها ،فهي سبب للتوفيق كلقوله في الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ،والزكاة الطيب والصلاح ،وهذه فائدة في الزكاة عظيمة يرغب فيها كل مؤمن.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠٠٦/٢)

إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم (١٠٣) (١)

---

(١) . { وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم } وصل عليهم :أدع لهم إن دعواتك سكن لهم ،في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام لقوله تعالى (إن صلاتك سكن لهم) معناه دعاؤك سكن لهم وتثبيت .انتهى المراد.
وفي المصابيح للشرفي عن البرهان لأبي الفتح الديلمي تفسير سكن لهم أي تثبيت لهم ورحمة .انتهى.
وعند أخذ الصدقة ليس قيدا للدعاء لهم إذ ليس في الآية والعطف لا يفيده ومجرد الترتيب لا يفيد أن الدعاء لهم عقيب استلام الزكاة وقد روي الدعاء لهم عند استلام الزكاة وهو مناسب والله سميع فهو يسمع الدعاء عليم بمن ينبغي الدعاء له وسميع لكل قول وعليم بكل شيء.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠٠٧/٢)

ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم (١٠٤) (١)

---

(١) . { ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم } ألم يعلموا قد آن لهم أن يعلموا لأن محمدا إنما هو رسول الله مبلغ عن الله دعا الناس إلى التوبة وأكثرهم مشركون وهو يخبرهم ا،هـ رسول الله يدعوهم بأمر الله فقد آن لهم أن يعلموا أن الله هو لا غيره يقب التوبة عن عباده فيكفيهم أن يتوبوا إليه فتقبل منهم ولو لم يكن الرسول صلى الله عليه وآله قد علم توبتهم فليس المهم أن يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ويرضى عنهم إنما المهم تحقيق التوبة وليس المراد أن يخفوها عن الرسول صلى الله عليه وآله أو أن لا يبالوا به ولكن المراد أن يعلموا أن الأمر لله وحده وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ،وقوله تعالى (ويأخذ الصدقات) كذلك دليل على أن النافع قبوله لها وأنه يقبلها فليرغبوا في إيتائها والمراد من التائبين لقوله تعالى (إنما يتقل الله من المتقين) و (إن الله هوا لتواب الرحيم) فليرجع إليه كل مذنب وليتوبوا كلما زلوا والتواب :كلمة مبالغة تدل على كثرة التوبة وهي نوعان توبة التوفيق للتوبة وقبول التوبة وذلك كله كثير وكله رحمة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠٠٨/٢)

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (١٠٥) (١)

---

(١) . { وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون } وقل لهؤلاء التائبين اعملوا في المستقبل فسيرى الله عملكم وهو الذي يجزي ورسوله والمؤمنون فيعاملونكم معاملة المؤمنين إن تبتم على التوبة وبخلاف معاملة المؤمنين إن أسأتم وهذا أنيس لهم لئلا يظنوا أن معاملتهم ستكون على ما تقتضيه الإساءة السابقة ولذلك قال هنا والمؤمنون فهم يتولون من تاب ويؤاخونه وينسون ما سلف منه قبل التوبة وبالأولى أن يرضى عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه على خلق عظيم.

{ وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون } وهذا بعث على الإخلاص لله لأنه هو الذي يردون إليه ليجزيهم بما عملوا من خير أو شر وهو الذي يعلم الغيب والشهادة ولا ينفع عنده التمظهر بالصلاح مع فساد الباطن ولو نفع عند الرسول والمؤمنين.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠٠٩/٢)

وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم (١٠٦) (١)

(١) . { وآخرون } ممن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة.
{ مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم } قال الشرفي في المصابيح قال في البرهان وهم الثلاثة الباقون من العشرة المتأخرين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك ولم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة وهم هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعبن بن مالك ومعنى مرجون لأمر الله أي مؤخرون موقوفون لما يرد من أمر الله عز وجل فيهم إما يعذبهم أي يأمر بعذابهم في الدنيا إن لم يعلم صحة توبتهم إن بقوا على إصرارهم وإما يتوب عليهم إن تابوا انتهى ومثل هذا في تفسير ابن كثير وتفسير سيد قطب وغيرهما والله عليم بما يخفون وما يعلنون عليم بنياتهم عليم بتوبة من تاب وندم من ندم حكيم فحكمه فيهم هو الحق وتأتي إن شاء الله الآية في توبة الله تعالى عليهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠١٠/٢)

والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل (١)

(١) . { والذين اتخذوا مسجدا } إثبات الواو قراءة حفص وعليها يكون المعنى أنهم من أهل المدينة أو ممن حولهم الذين اتخذوا مسجدا { ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل } إما على حذف الواو وهي قراءة نافع فالذين مبتدأ خبره لا يزال بنيانهم الآية أو ما أفاده اللام قبله مقدر وقوله تعالى ضرارا أي أرادوا بهذا البنيان أن يكون مسجدا لقصد المضارة للمؤمنين بتقوية جانب المنافقين وفرا هو الباعث على اتخاذ المسجد لأن الغرض به محاربة الدين وتفريقا بين المؤمنين لينشقوا ويصر بعضهم إلى مسجد الضرار بحجة أنه مسجد فيتفرقوا وإرصادا

:إعدادا للمنافقين ،أي أعدوا هذا البيان مسجدا لمن حارب الله ورسوله من قبل ليأتي فيصلي فيه ومعنى حارب الله ورسوله نافق وحارب دين الله ورسوله وحرض على قتال رسول الله صلى الله عليه وآله كما حكى هذا الشرفي في المصابيح عن البرهان ،ثم قال الحسين بن القاسم عليه السلام في معنى هذه الآية :يريد سبحانه أنهم بنوا مسجدا للضرر على الإسلام وجعلوه حبالة وحيلة لضعفة الأنام ليصلي معهم بعض المؤمنين ويفترقوا بذلك عن خاتم النبيئين وجعلوه شبكة لضعفه المسلمين ومعونة ورصداص وطريقا لمن حارب الله ورسوله .انتهى المراد.

والحبالة والشبكة آلة توضع لإصطياد الصيد بها متى وقع فيها.

قال الشرفي في المصابيح قال في البرهان أبو عامر الراهب [يعين الذي حارب الله ورسوله من قبل] هو أبو حنظلة بن الراهب قد حرب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم خاف فهرب إلى الروم ومصر واستنجد هرقل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبنوا هذا المسجد حتى إذا عاد من [عند] هرقل صلى فيه ..إلخ .

وقوله أبو ،وفي نسخة والد ،وقوله حزب هي مهملة بغير نقط تحتمل حز وخرب ولأجل الغلط في لاكتابة تركت نقل بقية الكلام.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠١١/٢)

وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون (١٠٧) (١) لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين (١٠٨) (٢)

---

(١) . { وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون } أي أقسم ليحلف الذين اتخذوا مسجدا ضرارا إن أردنا بذلك المسجد إلا الحسنى إلا الخصلة الحسنى أو الا الإرادة الحسنى مثلا أردنا الثواب والتوسعة للمصلين وتيسير حضور الصلاة للمجاورين له في الليلة الشاتية واليوم المطير والله يشهد إنهم لكاذبون في تلك الحلفة لأنهم قد أرادوا الضرار وسائر ما ذكره الله في أول الآية.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { لا تقم فيه أبدا } لأنهم يرغبون في أن تصلي فيه أنت يا رسول الله ليحتجوا بصلاتك على أنه

مسجد ثابت له حكم المسجد وحرمة المسجد فلا تقم فيه إبطالا لكيدهم وتخييبا لأملهم.

}

لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه } مسجد أسس بناؤه على تقوى الله ،لأنه بني على بنيه العمل بما يرضي الله وإقامة الصلاة فيه جماعة وجمعة وإحياء الدين فيه بتبليغ القرآن وغيره وجمع المؤمنين لذلك فهو أحق أن تقوم فيه للصلاة وللخطبة ونحوها.

{ فيه } أي في هذا المسجد الذي أسس على التقوى.

{ رجال يحبون أن يتطهروا } لصدق نيتهم في إقامة الصلاة فهم أحق أن تصلي بهم ومعهم وتعلمهم وترشدهم وفيه دلالة على تفضيل جماعة الذين يحبون أن يتطهروا.

{ والله يحب المطهرين } للصلاة ولما وجب التطهر له والمراد به المتقون الذين يقبل منهم التطهر لقول الله تعالى إنما يتقبل الله من المتقين كما أن المراد به التطهير المشروع لا ما زاد عليه فلا فضل فيه ولا قربة به ويؤخذ من الاية أن الرجال هم الأصل في الكون في المسجد وفي الجماعة فهم أحق من الصبيان بالمسجد ومن النساء لو ضاق المسجد وجماعة الرجال هي الأصل ينظم إليها الرجال والنساء لأنها الأصل.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠١٢/٢)

#$!" Bدئ ؟uq)s"٣ ِu‹^ç/ 4'n?t"çmuZ¼ &r™¢]ڑ &ô`yJsùr ِu‹^ç/ 4'n?t"çmuZ¼ &ô``B }§¢™r &yz Prڑur î'تuqô؛Ab _tR tL©èygy$'ح ûخ' /خm3¾ yd u'$pk÷X$$sù$'٩ _مچ$< ©xےx$!$#ur "دw ں%#$9(sqPt ku‰ ڑJدü=خ"©#$9à اتقزب (١)

---

(١) . { أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين } هذا مثل لأهل المسجدين المسجد الذي أسس على التقوى وبنيان الضرار وتسميته بنيانا هي الصواب لأن الذين اتخذوه مسجدا لم يقروا على اتخاذه مسجدا فهو بنيان لا غير لمسجد أسس على تقوى من الله وهدى لها وعلمها بما أنزل على رسوله ورضوان من الله بتأسيس مسجدا فهو ثابت وحكمه الثبوت وله الحرمة والباقية لبنائه على الوجه الشرعي وعلى رضوان الله به ،أفأهل هذا البيان خير أن تقوم فيهم أم المنافقون الذين أسس بنيانهم على نفاق

وعداوة لله ورسوله فهو خطر على أهله يوقعهم في نار جهنم كأ،هـ بني على شفى جرف هار فسقط بمن أسسه في نار جهنم ،والجرف تكون من الأرض في جانب الوادي قد أخذ السيل أسفلها وبقي أعلاها تحته فضاوة فهو هار حين بني مشرف على السقوط أو ساقط ،وشفا هو طرف أعلاها من جهة الوادي فالبنيان الذي أسس على فجور وسخط من الله من شأنه أن يسقط كأنه أسس على ذلك الشفا أنه أن يهوي بصاحبه المؤسس له في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لأنهم على ظلمهم لا يستحقون الهداية ولذلك كان بنيانهم باطلا.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠١٣/٢)

û خ' 'حquZt/ Zpt7ƒ#) #$!©%د" /ç^ثu"ZمgكO ق tƒ"A#tم wں
وt=خثOي ur#$!ه %gç/qè=èكs)s? O©ىy &br (خqè=è% Hw/خgخO
يOثإ٣ym اتقب (١)

---

(١) . { لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم } لا يزال شكا مقلقا لهم في صدق الرسول والقرآن أي لا يزال سببا لعدم الإيمان واليقين في قلوبهم لأنه منكر عظيم ارتكبوه افستحقوا به الخذلان وما زادهم إلا بعدا من الإيمان بما نزل فيه من القرآن ويهدمه المثير لغضبهم من الحق وتعصبهم للباطل.

{ إلا أن تقطع قلوبهم } هذا تحقيق لالتصاق الريب بقلوبهم بحيث لا يذهب عنها إلا أن تتقطع وتغني فيغني تبعا لفنائها فهو كالصباغ الثابت في الخرقة.

{ والله عليم حكيم } فهو عليم بقلوبهم وما فيها وهو قد حكم فيها وفيهم بالحق الذي هو مقتضى الحكمة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠١٤/٢)

&Rrےà،g | كJ9$# OكB÷sدZدüڑ Bدئڑ #$©tIôڑu"٣ #$!© (خb¨ *
ûخ' ƒم(s"Gد=cqèڑ gs9 sp¨Yyf9$#كO ق/خ'cr ur&uqBr؛؛Nçlm

(ƒur (1م(cqè=tFڙ sùٹtbqè=çG)u #$!" ™y٦خ‹@ب

---

(١) .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٠١٥/٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة يونس

ومواضيعها مواضيع السور المكية

{ بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم } ({تلك}) إشارة إلى الحروف التي يتركب منها الكلام ({الر) } وسائرها ، ومعنى أنها آيات القرآن أنه مؤلف منها ولذلك فائدتان:

الأولى: أن الله تعالى أوحاه إلى رسوله صلى الله عليه وآله كلاما ليس مجرد معناه فذكر الحروف لتحقيق أن الله أوحاه بكلماته وحروفه.

الفائدة الثانية: تحدي العرب بهذا الكتاب الذي هو مؤلف من الحروف التي ينطقون بها فلو كانوا يستطيعون الإتيان بمثله لكان إتيانهم به أيسر من حيث أنه من جنس حروف كلامهم ، فلما لم يأتوا بمثله تبين أنه كلام الله تعالى ، وقوله تعالى {الحكيم}وصف للكتاب بما يوصف به العالم الذي يدل على الصواب ويرشد إلى ما تقتضيه الحكمة ؛ لأن هذا القرآن تستفاد منه الحكمة ؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد ، ولكن الكفار كذبوا به وكذبوا الرسول الذي جاءهم به فقال تعالى:

}

(١٠١٦/٢)

أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم } {أكان للناس عجبا} ؛ أي عجيبا أو سبب عجب والسؤال سؤال توبيخ لهم ودلالة على أنه ليس عجبا ؛ لأن هذا الوحي تقتضيه الحكمة والرحمة وتستدعيه عظمة الله وعزته فهو لم يخلق الناس عبثا فلا يهملهم وقبلهم الآخرة بما فيها من الجزاء العظيم عذاب شديد تقتضي الحكمة إنذار الناس لئلا يقولوا في الآخرة {لولا أرسلت إلينا رسولا} {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} وثواب عظيم يستدعي تبشير المؤمنين ليعملوا ويصبروا و في السعي له على المكاره حتى يفوزوا به فليس الوحي بهذا

عجبا ، وهذا الثواب بسبب أن لهم قدم صدق عند ربهم فإذا برهم بشرهم أن لهم قدم صدق عند ربهم فهو يبرهم يبشرهم بما يرغب فيه أهل الحب لله أعظم من رغبتهم فيما يترتب عليه من الجنة ونعيمها.
قال في [الكشاف] في تفسير {قدم صدق عند ربهم} ؛ أي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ، فإن قلت : لم سميت السابقة قدماقدما؟ قلت : لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما ، .انتهى.
وأما الراغب فقال : وقوله {قدم صدق عند ربهم} أي سابقة فضيلة وهو اسم مصدر ، .انتهى.

(١٠١٧/٢)

فجعل القدم نفس التقدم والزلفى والتفسير وواحد واحد إلا أن صابح صاحب [الكشاف] جعل القدم المعبر بها عن السعي عبارة عن المسبب الذي هو المنزلة الفيعةالرفيعة.
{ قال الكافرون إن هذا } القرآن الذي أوحيناه { لسحر مبين } وهذا دليل على أن له مرية مزية على كلامهم تستدعي الإيمان به فجعلوه سحرا لذلك وكذبوا لو ولو كان سحرا لغلب المعاند كالوليد وأبي جهل وأبي لهب ولأحس المسحور بسلب حرية الإختيار أن يبقي له عقل أو فارق العقلاء كمن خبله السحر وصار لأجله من المجانين ؛ ولعنادهم وجرأتهم على الكذب قالوا سحر مبين ، وأكدوا كذبهم بـ(إأن) و(اللام) وادعوا أنه بين كونه سحرا لا يخفى فأضافوا كذبا إلى كذب ولم يكن ينبغي لهذا القرآن الذي هو خير لمن آمن به وإنذار وتبشير أن يقابلوه بالمحاربة له ؛ لأنه الحق ولأن الناس في أشد الحاجة إليه ليخرجهم من الظلمات إلى النور وينقذهم من النار ويهديهم إلى السعادة الدائمة.
{ إن ربكم الله الذي خلق السموات وال { لأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون } :

(١٠١٨/٢)

هذا احتجاج على المشركين وبيان لبطلان الشرك {إن ربكم} المالك لكم هو {الله} فأنتم عباده وحده لا شريك له فيكم فكيف جعلتم له شركاء فيكم ، ثم قال {الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش} فبين أن له الملك على كل شيء ؛ لأن له الملك قبل كل المخلوقين فقد استحق الملك [بضم الميم] وثبت له يوم خلق السموات والأرض وهو الملك الحقيقي الذي معناه أن له أن يحكم ما يريد ، وله الولاية المطلقة على كل شيء لأنه المالك لكل شيء ؛ لأنه الخالق للسموات والأرض وما فيهما ، فترتيب استوائه على العرش على خلق السموات والأرض ، وقوله في ستة أيام يدل

على قدرته العظيمة ، وضلالا وضلال الكافرين به الجاعلين له أندادا ، ثم استوى على العرش فبين أن له الملك على كل شيء لأن له الملك قبل كل المخلوقين فقد استحق الملك بضم الميم وثبت له يوم خلق السموات والأرض وهو الملك الحقيقي الذي معناه أن له أن يحكم ما يريد وله الولاية المطلقة على كل شيء لأنه المالك لك لكل شيء لأنه الخالك الخالق للسموات والأرض وما فيهما ، فترتيب استوائه على العرش على خلق السموات والأرض يفيد ثبوت الملك له الملك العظيم العام ، وعلى سبق ملكه ؛ لأنه خلق فملك فكان له

(٢/١٠١٩)

الملك [بضم الميم] فتولى أمر ما خلق ، وهو معنى {استوى على العرش} أما عطفه بثم ب(ثم) فثم ليس للتراخي وإنما هو للدلالة على الترتيب مع تباين ما بين المعنيين الخلق وثم ثم والإستواء على العرش استوى على العرش في علو الأن الشأن أو لحكمة لا أعلمها ، وإذا كان له الملك [بالضم] الملك المطالق فله الحكم وحده ليس لأحد غيره ، وهذا يثبت أن حكمه يبطلان الشرك هو الحق ، وأن حكمه عللى على عباده أن يعبدوه وهو هو الحق فليس لمخلوق أن يشرع الشرك أو أن يتخذ لله ريكا شريكا ، وهذا نظير قول يوسف عليه السلام : (({ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه)) } وبهذا ظهر ارتباط قوله تعالى ({ثم استوى على العرش) } بسياق الآية الذي هو الدلالة على وجوب عبادة الله وحده وعلى بطلان الرك الشرك بخلاف تفسير المخالفين له بمعنى مجهول فإنه لا يفيد في الإحتجياج على إبطال الشرك الذي كانوا عليه في الجزيرة العربية عند نزول القرآن .

(٢/١٠٢٠)

أما قولهم: الإستواء معلوم فإنما أرادوا به اللفظ معلوم وله عندهم معنى مجهول وأإن سموه معلوما فإنما ذلك بمعنى أن الإستواء المجهول معناه الذي لا يسأل عنه هو معلوم عندهم أي أنهم يعلمون استواء لا يفهمون معناه ، وهذا يصير قوله {ثم استوى على العرش} أجنبيا عن سياق الآية لإا يجاب التوحيد وإبطال الشرك ؛ لأنه لا معنى للإحتجاج بالمجهول جملة وتفصيلا ، وأبعد من ذلك تفسير المشبهة الذين يعرفون بالتشبيه بأنه مثل استواء الناس على سررهم أي عند اعتدالهم مع قعودهم عليه.
{ يدبر الأمر } يهيئ ويعد لمستقبل ما خلق على ما تقتضيه الحكمة مثل تقدير الأقوات في الأرض ليكون عاقبة ذلك انتفاع الإنسان وعيشه في الأرض فتدبير الأمر إعداده لعاقبة تقتضيها الحكمة ،

والأمر هو أمر ما خلق وأمر استوائه على العرش الذي هو شأن تصرف الملك في مملكته فله الحكم وحده ، وهو الذي ينبغي أن يخشى ويرجى ويعبد ويدعا ليدبر لعبده حياة طيبة في الدنيا والآخرة ، وتدبيره تعالى للأمر يعترف به المشركون الذين كانوا حول الرسول صلى الله عليه وآله كما يأتي ذكره في هذه السورة إن شاء الله.

}

(١٠٢١/٢)

ما من شفيع إلا من بعد إذنه } بالشفاعة لأن الملك له وحده لا يشاركه فيه أحد وكل من في السموات والأرض عباد له ، فبطل بذلك قول المشركين {هؤلاء شفعاؤنا عند الله} .

{ ذلكم الله ربكم } وحده لا شريك له في ربوبيته.

{ فاعبدوه } إقرارا بأنكم عباده وأنه ربكم ، وهذه عبادته وحدته لأنها هي التي يقبلها الله ، أما مع الشرك فالعبادة له غير مقبولة فلا يعد صاحبها ممتثلا لأمر الله تعالى في قوله {فاعبدوه}.

{ أفلا تذكرون } أنه ربكم وأنكم عبيده لا شريك له فيكم ، وأنه الذي خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش حتى تعبدوه وحده وترفضوا شركاءكم.

{ إليه مر جعكم جميعا } {إليه} وحده {مرجعكم} يوم القيامة {جميعا} مجموعين في موقف العرض على الله.

{ وعد الله حقا } أي الوعد بالمرجع إليه وعده الله وعدا حقا صادقا لا يتخلف حقا صوابا ، ويحتمل {وعد الله} موعود الله أي المرجع إليه موعود ا لله حقا ثابتا لا يتخلف كما تقول : الموت حق والعين حق أي أنه أمر واقع فالوعد به صادق وإذا كان مرجعكم إليه وحده ما لكم من دونه من ولي ولا نصير فاتقوه واعبدوه وحده.

}

(١٠٢٢/٢)

إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده } لأنه على كل شيء قدير وقد علم الإبداء فدل على قدرته على الإعادة ، فدل ذلك على صدق الوعد بالحياة الآخرة والمرجع إلى الله فيها.

{ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط } {بالقسط} بالعدل لأنهم أطاعوه فأعادتهم ليجزيهم بقدر ما يستحق كل واحد منهم مع أنه يزيدهم من فضله.

{ والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون } الذين كفروا بالله إأما لجحودهم وتكذيبهم بآيات الله الدالة على صدق وعده بالمرجع والجزاء ، وإأما لكفرهم بنعمة الله ففي هذه الثلاث الآيات ذكر الرسول والوحي إغليه ، ثم الدليل على أن التوحيد هو الحق ، ثم ذكر الآخرة.
{ هو الذي جعل الشمس ضياء } وهذه آية عظيمة تدل على قدرته ونعمته على العبيد تستدعي شكره عليها ؛ لأنهم في ضياء الشمس يطلبون المعاش ولو استمر الليل لساءت حالتهم فجعلها ضياء هو من تدبير الأمر يحتج به على المشركين لإبطال الشرك ولإثبات صدق الوعد بالآخرة.
{ والقمر نورا } يخفف ظلمة الليل لمن احتاج إلى ذلك لسفر أو غيره.
{ وقدره } أي قدر القمر.
}

(١٠٢٣/٢)

منازلا لتعلموا عدد السنين والحساب } قدره صغيرا ثم يكبر يصغر تبعا لمنازله من البروج التي ينزل فيها فينزل في كل ليلة في منزلة حتى يتمها ويتم الشهر بتمامها {لتعلموا} بذلك {عدد السنين} التي تعدادها بواسطة تعداد الشهور ولتعلموا ولا {حساوالحساب} حساب الأوقات كالتاريخ الهجري والتاريخ والتاريخ الميلادي وغير ذلك.
{ ما خلق الله ذلك إلا بالحق } له لأنه مما تقتضيه الحكمة ويطابقها فليس عبثا بل هو مخلوق لما يترتب عليه من الفوائد للإنسان وغيره ومن الثواب والعقاب في الآخرة.
{ نفصل الآيات لقوم يعلمون } {نفصل الآيات} الدالة على قدرة الله وأنه ربكم وحده ، وأن مرجعكم إليه ، والجملة حالية كما أن قوله بالحق حال من قوله تعالى ({خلق الله ذلك) } فهي الآيات الكونية أو ما يعمها وغيرها ، وتفصيل الآيات جعل بعضها منفصلا عن بعضها الآخر لتعدد الدلالات بتعدد الآيات وتفصيلها ، وتتضح كل آية بفصلها عن غيرها وتفصيلها {لقوم يعلمون} من أجل أن يعلموا دلالاتها على الله وهم الذين من أنهم شأنهم أن يعلموا لسلامة قلوبهم من العمى المسبب عن التمرد والعناد.
{ إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض الآيات لقوم يتقون } :
}

(١٠٢٤/٢)

اختلاف الليل والنهار} تخالفهما فكل واحد يخلف الآخر ويخلفه الآخر على نظام محكم وتقدير مناسب للمراد وفي .... في للحيوان وغيره ففي ذلك دليل على الله تعالى {وما خلق الله في السموات} لعل المراد به الشمس والقمر والنجوم أو أعم من ذلك لمن يطلع على الملائكة وعلى كل ما في السموات والأرض أي وما خلق الله في الأرض من حيوان ونبات وجمادات وغيرها {لأيات} إن في ذلك المذكور لآيات {لقوم يثقون يتقون} وخص المتقون لأنهم هم الذين سلمت قلوبهم من توابع الخذلان المسبب عن التمرد والعناد ، فهم يعرفون آيات الله ودلالتها على الله.

{ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون } :

(١٠٢٥/٢)

قال الراغب في تفسيره [لمفردات القرآن] : والرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة ، وقوله تعالى ({مالكم لا ترجون لله وقارا) } قيل: ما لكم لا تخافون ..إلخ وهو في الآية يمكن بقاؤه على أصله ؛ لأن الكلام في الذين لا يؤمنون بالآخرة فهم لا يرجون لقاء الله خيرا ولا شرا ، ولعل فائدة ذكر الرجاء إفادة أنهم لا يظنون لقاء الله وإفادة أنهم لا يظنون به خيرا لهم لعدم عملهم ما يسبب للظن ، ولقاء الله حضور موقف العرض على الله تعالى والسؤال والحساب ، وقوله تعالى {ورضوا بالحياة الدنيا} أحبوها ورضوا بها بدلا من الآخرة ؛ لأن الدنيا عاجلة والآخرة لا يؤمنون بها ، وقوله {واطمأنوا} إليها سكنت نفوسهم إليها غفلة عن تقلبها بأهلها ، وقوله تعالى ({والذين هم عن آياتنا غافلون) } أي غفلة الإعراض عنها والإشتغال بالدنيا فهم كالناسين لآيات الله الدالة على صدق رسله.

{ أولئك مأواهم } {أولئك} أهل الصفات المذكورة {مأواهم} الذي يأوون إليه في الآخرة.

{ النار بما كانوا يكسبون } أي جزاء بما تكرر منهم في الدنيا من جرائمهم المذكورة في الآية التي قبل هذه وسائر جرائمهم فيعذبون جزاء بها كلها يضاعف لهم العذاب بقدرها.

}

(١٠٢٦/٢)

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم } وعد الله المؤمنين بعد وعيده للكافرين ، وقوله تعالى ({يهديهم ربهم بإيمانهم) } أي بسبب إيمانهم أو هي (باء) الآلة مثلها في كتيب كتبت بالقلم فالإيمان سبب للهدى كما قد يكون الكفر سببا للخذلان ، والهدى للأعمال الصالحات بتعليمها وتحبيبها وتيسيرها ، وقيل: الهدى بمعنى الثواب بالجنة ، وإذا

كانت (الباء) سببية فيمكن دلالتها على الثواب بالهدى للأعمال الصالحات كما أن الخذلان يكون عقوبة عاجلة فيكون الهدى ثوابا عاجلا ، فأما جعل مفهوم الهدى هو الثواب فيحتاج إلى دليل غير هذه الآية ؛ لأن احتمالها لما ذكرت يمنع الإستدلال بها على جعل مفهوم الهدى هو الثواب ، وقوله تعالى {تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم} خبر (إن) على ما رجحت من تفسير الهدى إأما على قول من جعل مغعنى يهديهم يثبهم يثيبهم فهو خبر (إن) ، وقوله {تجري..} إلى آخرها إأما خبر ثان وإما حال من الخبر.

{ دعواهم فيها } في جنات النعيم.

}

(١٠٢٧/٢)

سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين } دعاؤهم لله التسبيح {اللهم} أي يا الله سبحانك أي نسبحك وذلك لرغبتهم في الدعاء والذكر لله كما قال تعالى ({وهدوا إلى الطيب من القول ..}الآية) وتحيتهمفيها {وتحيتهم فيها} أي في الجنة {سلام} وهي التحية المباركة الطيبة والتحية كامة كلمة تقال عند اللقاء.

قال في [الصحاح]: والمحيي الوجه ، .انتهى.

ولكونها كلمة طيبة تقال عند اللقاء سمى الضرب عند اللقاء تحية على المشاكلة ؛ لأنه وضع موضع التحية في قول الشاعر:

تحية بينهم ضرب وجيع

وجاء في المنافقين: تحيتهم لعنة ؛ لأنهم يجعلونها إذا تلاقوا مكان التحية فتقوم مقامها في إدخال السرور على المنافق.

{ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين } رغبة منهم في حمد الله الحميد لكثرة ما هم فيه من النعيم الذي يبعثهم على الحمد لله على ربوبيته للعالمين ويختمون بها دعاءهم والحمد لله رب العالمين هنا مثله في آخر سورة الزمر ، وقيل: الحمد لله رب العالمين فهو حمد على قضائه في الآخرة والأولى في العالمين.

}

(١٠٢٨/٢)

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم } {ولو} (الواو) عاطفة على ماسبق ذكره من كفر الكفار واستعبادهم الوحي إلى رجل من الناس فقد احتج عليهم وأنذرهم وهنا يشير إلى أنهم يستحقون تعجيل العذاب وهم يستعجلون الخير مع كفر أكثرهم لأنعم الله ، فالمعنى: ولو يعجل الله للناس ما يستحقونه كاستعجالهم بخير الدنيا {لقضي إعليهم وأجلهم أجلهم} لمضى وانقضى أجلهم بالهلاك السريع ولكن اقتضت حكمته إمهالهم.

{ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا } وقد مر تفسيره.

{ في طغيانهم يعمهون } {في طغيانهم} في تجاوزهم الحد من الكفر وكفر نعم الله نتركهم {يعمهون} يترددون عميي القلوب في حيرة لا يهتدون سبيلا.

قال الراغب : العمه التردد في الأمر من التحير ، .انتهى.

{ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون } :

}

الضر} كالمرض {لجنبه} أي على جنبه {أو قاعدا أو قائما} أي على أي حالة كان عليها حين مسه الضر ، أي دعانا لكشف الضر عنه فلما كشفنا عنه ضره مر مضى في سعيه لما يهوى غير ذاكر لنعمة الله عليه بيكشف الضر ولا شاكر {كأن لم يدعنا إلى ضر مسه} لأنه استغنى ونسي افتقاره إلى الله حين كان يدعوه لالكشف لكشف ضره فلم يعتبر بذلك بل أصر على إعراضه وتمرده {كذلك زين للمسرفين} ما استمروا عليه وتكرر منهم من العمل السيىء كذلك كتركه في إأعراضه ونسيانه شكر النعمة زين للمسرفين المتجاوزين للحد في كفر النعمة {ما كانوا يعملون} فلا يتركونه لما يعرض لهم من التأديب.

{ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا } :

{أهلكنا القرون} مثل قوم نوح وعاد وثمود لما اجتمع فيهم ثلاث خصال:

الأولى : أنهم {ظلموا} بالشرك مثلا والتكذيب بآيات الله وتكذيب الرسل ، الثانية : أنها جاءتهم الرسل القاطعة للعلة ببيان الحق وإقامة الحجة عليهم ، الثالثة : أنهم ما كانوا ليؤمنوا لو لم يهلكوا في بقية أعمارهم لإصرارهم وعنادهم وبعدهم عن الهدى فما صح ولا استقام أن يؤمنوا.

}

كذلك نجزي القوم المجرمين } أي كذلك العذاب الذي عذبنا به القرون الماضية جزاء الظلمهم وأجراحهم وإأجرامهم {نجزري القوم} الذين أجمعوا على الإجرام أو فشى فيهم ولم يقبلوا نصيحة الرسل وما كانوا ليؤمنوا ، فهي سنة الله في الأولين والآخرين أن يهلكهم أو يعذبهم عذابا شديدا.

{ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون } {خلائف} تخلفون القرون الماضية في الأرض تتمتعون فيها {لننظر كيف تعملون} أي لنختبركم في الأرض وفي خلافتكم للقرون الماضية نيختبركم كيف تعملون أتعملون صالحا أم سيئا أي إأنكم في مقام التكليف الذي يقع فيه الإحسان الذي هو سبب الثواب أو الإساءة التي هي سبب العقاب فأشبهت حالتكم حالة الإبتلاء والإختبار والله لا يخفى عليه ما سيكون منهم.

{ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله } :

(١٠٣١/٢)

هذا في الخلائف المكذبين الذين كانوا في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله إذا تتلى عليهم آيات الله حال كونها {بينات} واضحات تدل على أن القرآن من الله دلالة بينة قال الجاهلون أو الغافلون الذين لا يتوقعون لقاء الله في الآخرة ؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة {ائت بقرآن في غير هذا} القرآن {أو بدله} كفرا منهم بكونه كلام الله وزعماء وزعما أنه من كلام الرسول صلى الله عليه وآله وأرادوا أن يأتي بقرآن لا ينهى عن الشرك ولا ينكره بل يقرهم عليه أو يتغافل عنه والإتيان بقرآن غير هذا إتيان بقرآن آخر مع بقاء هذا القرآن منسيا ، والتبديل نسخهة والرجوع عما فيه وكل ذلك تبديل ؛ لأنهم أرادوا ترك هذا القرآن على كلا المعنيين والإتيان مكانه بقرآن آخر فرد الله عليهم بقوله تعالى:

{ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي } كما طلبتم.

{ إن اتبع إلا ما يوحى إلي } يوحيه ربي.

{ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم } يوم القيامة الذي لا ترجونه فلا بد لي من اتباع ما يوحى إلي فما صبح صح ولا استقام مني ما طلبتم مع إيماني بالآخرة وخوفي عذاب يوم عظيم إن أطعتكم ، وفي هذا دلالة على أن المعصية بسبب تسبب سبب للعذاب في الآخرة وإن لم تكن من مركمشرك.

}

(١٠٣٢/٢)

قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون } {لو شاء الله} أن لا أتلوه عليكم {ما تلوته عليكم} لأنه لو شاء لم يوجه إلي أو لم يأمرني بتلاوته عليم عليكم لكنه شاء أن أتلوه عليكم فتلوته عليكم بأمره ليس ذلك من تلقاء نفسي وكذلك لو شاء الله ما {أدراكم به} لكن قضت حكمته إبلاغكم الحجة وعرض الهدى عليكم فقد لبثت بقيت فيكم عمرا نحو أربعين سنة من قبل نزول القرآن علي علي ومضى الشباب الذي هو وقت الطموح في مدة طويلة لو كان من شأني الإتراء الإفتراء على الله لكان العمر الماضي وقتا له واسعا {أفلا تعقلون} فتنظرون بعقولكم نظر إنصاف وتعرف للحق وتتركوا الإأعراض والمسارعة إلى التكذيب بآيات الله قبل النظر فيما جئتكم به من الآيات نظر إنصاف وطلب للحق.

}

(١٠٣٣/٢)

فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون } {فمن أظلم} بعد قيام الحجة بهذا القرآن {ممن افترى} واختلق {على الله كذبا} إما وأما إما أنا لوا بدلت هذا القرآن بكلام مني وإما وإأما أنتم فيما تدعون على الله الرضى بدينكم من الشرك وتحريم ما أحل الله ، وإما أي مكلف بلغة القرآن ، فلا أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآيات الله وهي بينات واضحات الدلالة على أنها من الله {إأنه لا يفلح} لا يظفر بالخير ولا يفوز به {المجرمون} لأن الله غالب على أمره وهو على كل شيء شهيد ، فكيف يترك المجرمين ينالون الخير بإجرامهم دون أن يفضحهم ويخيب آمالهم.

{ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم } فيعبدوه خوفا { ولا ينفعهم } فيعبدوه رغبة في نفعه لهم { ويقولون هؤلاء } الذين تيعبدونهم { شفعاؤنا عند الله } لمانتهم لمكانتهم عند الله فيعبدونهم ليشفعوا لهم عند الله بزعمهم لئلا يعذبهم أولا يمنعهم الخيير بسبب ذنوبهم ، وهذا دعوى لا حجة له لا حجة لكونهم شفعاء ولا حجة لكون عبادتهم سببا لشفاعتهم.

{ قل ألتنبؤون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون } :

}

(١٠٣٤/٢)

أانتبئون} سيؤال سؤال توبيخ على قولهم هذا ، فالله علام الغيوب الذي لا يعزبعنه يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض لا يعلم له شريكا ولا شفيعا كما يدعون ، ولا يعلم هؤلاء الذين يعبدونهم إلا عبادا أمثالهم لا مشاركة لهم في ملك ولا ملك {وكم من ملك في المسوات السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى} {سبحانه} عما يشركون تنزه تنزه عن أن يكونوا له أندادا أو شركاء أو أكفاء {وتعالى عما يشركون} علو القهر وعلو العظمة وهذا التسبيح والتنزيه راجح راجع إلى أول الآية ليس من مقول القول.

}

(١٠٣٥/٢)

وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي عليهم بينهم فيما فيه يختلفون } {أمة واحدة} جماعة مجتمعين على دين واحد هو توحيد الله {فاختلفوا} من بعد بذلك ، فليس الشرك إلا محدثا أحدثه المخالفون للدين الأصلي الذي كانوا مجتمعين عليه {ولولا كلمة سبقت من ربك} بحكمته جل وعلى أن يمهل المخالف للحق إلى حين تقتضي الحكمة إهلاكه لقوله تعالى {ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم}وأن أو أن تكون هذه الدار دار ابتلاء واختبار والآخرة دار الجزاء {لقضي بينهم} بين الناس حين اختلفوا لقضي بينهم: أي حكم وفصل {فيما فيه يختلفون} كله بنصر المحق وإهلاك المبطل حتى ينتفي الخلاف أو بإنهاء الخلاف بالقسصر والإلجاء ، وقوله تعالى ({فيما فيه يختلفون) } يعم كل ما فيه يختلفون من التوحيد وغيره.

{ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين } :

}

(١٠٣٦/٢)

عليه} أي على رسول الله صلى الله عليه وآله {آية من ربه} تدل على صدقه ، فقد كذبوا بالقرآن وبسائر آيات الله {فقل} لهم في مقابل كفرهم بآيات الله {إنما الغيب لله} فهو الذي يعلم ما يحكم به بيني وبينكم {فانتظروا} حكمه {إني معكم من المنتظرين} وهذا لأنه قد جاءهم بالبينة الواضحة فكذبوا بها كما مر من قولهم {هذا سحر مبين} فالجواب في هذه الآية إنما هو عن تكذيبهم بآيات الله التكذيب الذي عبروا عنه بقولهم {لولا أنزل عليه آية} .

}

(١٠٣٧/٢)

وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أاسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون } الرحمة بعد الضراء يكون لها وقع في النفس فتسر بها النفوس وتكون نعمة ينتبه لها الغافل فمن حقها أن يشكرها الإنسان لكن الناس على خلاف الشكر يسارعون إلى المكر في آيات الله والعمل لإبطالها في حين النعمة عليهم ، وهذا أمر مفاجئ بالنسبة إلى المخلوق أن تحسن إلى الإنسان فيسارع إلى الإساءة إليك مع أنه لم يسبق منك إلا الإحسان {قل الله أسرع مكرا} لأنه جفعل الملائكة الحفظة يكتبون ما يمكرون ليروه يوم القيامة فيكون حسرة عليهم وسببا لعذاب النار ، فسرعة مكره إرسال الملائكة ليكتبوا ما سيقوله الكافرون أمر قبل أن يمكروا ويسمي مكر ا لغفلة الكفار عنه وكونه تقدمة لكتابة مكرهم التي تترتب عليها ندامتهم يوم الحساب ، ومن مكره بالحق خذلانهم فهو عقوبة عاجلة.

{ هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحط أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين } :

}

(١٠٣٨/٢)

هو الذي يسيركم} بما جعل لكم من قوة السير وما يسر لكم من الدواب في البر والفلك في البحر {حتى إذا كنتم} غاية لتسييره لكم وجرين أي الفلك وهي السفائن {وجرين بهم} أي بالراكبين فيها أي ببعضهم ، وفيه التفات من فوائده: أن القصة خاصة ببعض الكائنين في الفلك فلم يحسن الإستمرار في الخطاب العام ، وقوله تعالى ({بريح طيبة) } فهي التي كانت تسوق السفينة في البحر فتجري براكبيها {وفرحوا} سرتهم وأمنوا أن يغرقوا {جاءتها} أي جاءت الفلك {ريح عاصف} شديدة تحمل الماء وترفعه حتى يكون فوقها كالظلل وإذا نزل فيها أثقلها وغرقوا لا محالة {وجاءهم الموج} موج البحر {من كل مكان} أي من الجهات كلها أي جهات الفلك {وظنوا أنهم أحيط بهم} أي ظنوا أنهم صاروا في مهلكة لا مخلص لهم منها {دعوا الله} قائلين في دعائهم لطلب النجاة {لئن أنجيتنا} يا ألله {لنكونن من} عبادك {الشاكرين} وهذا أبلغ مما لو قالوا: لنشكرن ؛ لأن الشاكرين وصف لمن شكروا وثبتوا على شكرهم والكون منهم يشعر بأن يكون الشاكر ثابتا على شكره مثلهم من حيث أن من لم يثبت

على الشكر وبدله بالكفر يخرج من إسم الشاكر.
}

(١٠٣٩/٢)

فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق } نكثوا العهد بسرعة فاعتبر النكث مفاجئا ، وقوله {يبغون في الأرض} يفيد انتشار بغيرهم بغيهم أو أن من شأنه أن ينتشر في الأرض {بغير الحق} بل هو ظلم وفساد في الأرض وكفر نعمة.

{ يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا } إنما تبغون على أنفسكم حين تبغون على عباد الله ، فقوله {على أنفسكم} خبر {بغيكم} وقوله {متاع الحياة} برفع متاع خبر بعد خبر ، وبنصب متاع حال ، ومعنى كونه متاع الحياة الدنيا أنه قليل يفنى وحسابه في الآخرة حيث الجزاء الدائم.

{ ثم إلينا مرجعكم } في الآخرة ترجعون إلى الله وحده.

{ فينبئؤكم بما كنتم تعملون } {ننبئؤكم} نخبركم ، لأنه لم يخف علينا شيء من عملكم ولم ننس منه شيئا ولم نهمله فهناك الحساب والجزاء الأوفى ، فأي فائدة للباغي في بغيه مع أن يوم المظلوم على الظالم شر من يوم الظالم على المظلوم ؛ لأن عذاب الباغي دائم وبغيه متاع قليل.
}

(١٠٤٠/٢)

إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيا كأن لم تغن بالأمس } :

هذه الآية الكريمة تبين قصر مدة متاع الحياة الدنيا واغترار الناس بها مع ذلك ، وقوله تعالى ({كماء) } التشبيه ليس بالماء وحده وإنما هو بجملة ما أفادته قصة إنزال السماء وما ترتب عليه من ظهور النبات ونموه وإثماره وذهابه حين ظن أهله أنهم قادرون عليه ، وقوله تعالى ({فاختلط به نبات الأرض) } أي نبتت الأنواع المختلفة بسبب المطر واختلطت بسبب اختلاط أصولها أو بذورها وهذه عادة الأرض بعد أن تحيا بالمطر تنبت نباتات مختلطة فهو يشير إلى قوة ربها ، وقوله {مما يأكل الناس} كالفجل والبصل والثوم والكراث والجرجير وكذلك ثمار الجر الشجر الأخرى لأنها من النبات قال تعالى ({فأنبتنا فيها حبا وعنبا) } وما تأكل الأنعام ظاهر ؛ ولحصول المأكولين يرغب الناس فيهما ، وقوله

تعالى ({حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت) } يشير إلى تكامل النبات وظهور ما تقوى فيه رغبة الناس من الثمر اليانع الذي تزينه ألوان ينعه المختلفة الدالة

(١٠٤١/٢)

على ينعه فكأن الأرض بإنتاجه امرأة أخذت زينتها ولبستها ليرغب فيها من يراها ، فقوله {أخذت الأرض زخرفها} استعارة مكنية قرينتها قوله {أخذت} وقوله {وازينت} يدل على المقصود بأخذ الزينة الذي هو التزين لمن يرى ، وقوله تعالى {وظن أهلها أنهم قادرون عليها} لأنها في تلك الحال تحت تصرفهم ولا يعلمون ما في الغيب ، ويعجبني قول سيد قطب في تفسيره لهذه الآية من حيث نبه على بقية المعنى فقال : ذلك مثل الحياة الدنيا التي لا يملك الناس إلا متاعها حين يرضون بها ويقفون عندها ولا يتطلعون منها إلى ما هو أكرم وأبقى ، هذا هو الماء ينزل من السماء وهذا هو النبات يمتصه ويختلط به فيمرع ويزدهر وها هي ذي الأرض كأنها عروس مجلوة تتزين لعرس وتتبرج وأهلها مزهوون بها يظنون أنها بجهدهم ازدهرت وبإرادتهم تزينت وأنهم أصحاب الأمر فيها لا يغيرها عليهم مغير ولا ينازعهم فيها منازع ، وفي وسط هذا الخصب الممرع وفي نشوة هذا الفرح المعلع الملعلع وفي غمرة هذا الإطمئنان الواثق {أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلنا حصيدا كأن لم تغنى بالأمس} . انتهى.
}

(١٠٤٢/٢)

كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون } {كذلك} التفصيل الذي بين صفة الدنيا وسرعة زوالها واغترار الناس بها {نفصل الآيات} نبين الآيات بيان تفصيل {لقوم يتفكرون} ليؤديهم التفكر إلى معرفة ما به يهتدون.

{ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم } {دار السلام} الجنة لسلامة أهلها من النار ومن كل ر كل شر فهو يدعو إليها ويبين لعباده طريقها فمن أجاب داعي الله تسبب للهدى إلى صراط مستقيم ، وقوله تعالى ({ويهدي من يشاء)} دليل لمن أراد الهدى أنه من الله ليستهديه ويسبب لهداه بتقواه فقد قال تعالى ({ومن يؤمن بالله يهد قلبه) } وقال تعالى ({يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به} .

{ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة } {للذين أحسنوا} آمنوا وعملوا الصالحات لهم ثوابا عليها {الحسنى} أي لاحسنة الحسنة الزائدة في حسنها والمنثوبأو مثوبة أو

المثوبة الحسنى وزيادة وهي تفضل من الله كقوله تعالى {ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله} ويحتمل أن الحسنى حسنة واحدة والزيادة تسع حسنات معها لقوله تعالى ({من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)
} والأول أظهر.
} }

(١٠٤٣/٢)

ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة} } قال الشرفي في [المصابيح]: قال في [البرهان] والقتر سواد يعتري الوجه عند حزن شديد ، وأصل القتر الغبار قال الشاعر:
متوج برداء الملك يتبعه ... موج ترى فوقه الرايات والكدرا

.انتهى. وقوله تعالى {ولا ذلة} أي لا هوان وانكسار كما يكون لأعداء الله فالذين أحسنوا لا يغشاهم قتر و لا ذلة.
{ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون } وفي الجنة الحسنى والزيادة فكأن هذا تفسير لأول الآية ، وهنا فائدة الدلالة على أنهم فيها لا يموتون فالنعيم دائم والملك الكبير لا يذهب.
{ والذين كسبوا السيئات } أي وللذين كسبوا السيئات { جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة } بمثلها أي ما يقتضيه العدل وهو أن يكون عذابه في شدته على قدر سيئته وليس معنى ذلك أنه ينتهي ؛، لأنه لوكان المعنى أن مدته في النار على قدر سيئته لكان لامشرك المشرك والمكذب بآيات الله وكل صاحب جريمة لا يبقون دائما في النار .
فإن قيل: أن المشرك ونحوه ذنبه عظيم لا يقاس به غيره ، قلنا : صحيح أنه عظيم ولكن لا دخل له في الخلود الخلود إذا كان معنا المماثلة في ممدة اللبقاء وكانت مدة غير الشرك تنتهي .

(١٠٤٤/٢)

فإن قيل: بل قبح الشرك يقتضي الخلود ، قلنا: إأن الخلود لا نهياة نهاية له وشرك المشرك منته لأنه كان في أثناء الحياة الدنيا فتعذيب المشرك أطول من مدة الشرك .
فإن قيل: إأن العذاب على قدر القبح لا على قدر مدة المعصية ، قلنا: فإذا جاز أن يكون قبيح الشرك يقتضي الخلود جاز في غيره أن يكون قبحه يقتضي الخلود ، وإنما تختلف مراتب العقاب باختلاف مقادير شدته ومسألة الخلود لا مجال للعقل فيها وإنما تظهر الحقائق يوم القيامة ووعد الله حق ؛ لأنه

أحكم الحاكمين وأصدق القائلين.
{ مالهم من الله من عاصم } العاصم والعاصم المنجي ({قال سئاوي على إلى جبل يعصمني من الماء)
} فلا يمنجيهم من الله شيء لا صنم ولا ملك ولا عيسى ولا عزير ولا نبي {إ(ن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا} {لمن الملك اليوم لله الواحد القهار).} .
{كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما } لشدة حزنهم وهول الموقف عليهم اسودت وجوههم حتى كأنها أغشست أغشيت ظلم الليل في حال خلوهة عن النور فلا قمر ولا غيره مما يخفف ظلمة الليل ، وذلك يكون في ليلة كفر النجوم غمامها ، وفي الآية تنبيه عجيب لتضمنه استعارة مكنية وتقييد الليل بالإظلام .

،

(١٠٤٥/٢)

قال سيد قطب في تفسيره: ثم يرسم السياق صورة حسية للظلام النفسي والكدرة التي تغشى وجه المكروب المأخوذ المرعوب {كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما} كأنما أخذ من الليل المظلم فقطع رقعا غشيت بها هذه الوجوه ،. وهكذا يغشى الجو كله ظلام من ظلام الليل المظلم ورهبة من رهبته تبدو فيه هذه الوجوه ملفعة بأغشية من هذا الليل البهيم ، .انتهى.
وقوله ورهبة من رهبته صواب العبارة أن من محاسن هذا التشبيه وهذه الإستعارة اختيار سواد الليل لا شتما له أعلى الوحشة والخوف ، والله أعلم.
{ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } {أولئك} أهل الصفة المذكورة ويحتمل أن الإشارة إلى المذكورين باعتبار القفترة والسواد المذكور وكذلك الإشارة إلى الذين أحسنوا باعتبار أن وجوههم لا يرهقها قتر ولا ذلة فيكون السياق هنا كالسياق في قوله تعالى ({يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم ..} إلى قوله تعالى {.. وأما الذين ابيضت وجوههم ..} الآية) في إفادة أن اللون يوم القيامة إما دليل الخلود في الجنة وإما دليل الخلود في النار.
}

(١٠٤٦/٢)

ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم } {نحشرهم جميعا} الذين أحسنوا والذين كسبوا السيئات جميعا مجتمعين في موقف السؤال ، ويوم ظرف ولعل العامل فيه {تبلو كل نفس

ما أسلفت ..} الآية ، {ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم} أي الزموا أماكنكم مكانكم وقفوا لا تبرحوا حتى تسألوا أنتم وشركاؤكم.

{ فزيلنا بينهم } {زيلنا} فرقنا بينهم بسؤالهم في ذلك الموقف الرهيب التفريق متعدد فتفريق بينهم وبين شركائهم ، وتفريق بين الأخلاء الذين كانوا متحابين على الشرك ، وتفريق بين التابعين والمتبوعين ، انقطعت العلاقات وانقلبت على إلى عداوات وذلك لهول الموقف.

{ وقال شركاؤهم ما كنتم أبانا إيانا تعبدون } {ما كنتم} تخصوننا بالعبادة لأنكم كنتم تعبدون الجن بها وهم الذين كانوا يأمرونكم بعبادتنا ويزعمون لكم أن عبادتنا حق وصواب ، فالمسؤولية عليكم وعليهم ، فنفى التخصيص بالعبادة تقدمة للتهرب من المسؤولية بدعوى أن عبادتهم كانت عبادة لغيرهم فلا تتعين المسئولية على هؤلاء الشركاء ، وهذه الآية تشبه آية سورة سبأ فتفسيرهما سواء وإذا لم تكونوا تخصوننا بالعبادة:.

}

(١٠٤٧/٢)

فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين } فالمسؤول غيرنا ونحن براء ؛ لأنا لم نعلم بعبادتكم فلا أمرنا ولا رضينا فنحن نبرأ من عبادتكم لنا وهذا تمام التنصل والتخلص من مسؤولية شركائهم.

{ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون } :
{هنالك} في مكان السؤال والحساب يوم القيامة {تبلو كل نفس ما أسلفت} تختبر ما أسلفت من حسن أو سيء بمشاهدتها لجزائه وتعرف خبر عملها الذي أسلفت أي أمضته في الدنيا {وردوا} أي المحشورون كلهم {إلى الله} ليحكم فيهم ما يريد {مولاهم الحق} مالكهم الحق لا شركاء المشركين ولا قادة المتبوعين {وضل} ضاع {عنهم} هنالك {ما كانوا} في الدنيا {يفترون} من الدعاوي والمبررات الباطلة والأماني الكاذبات الخادعة فلا شركاء ولا شفعاء ولا عاصم من أمر الله.

{ قل } للمشركين { من يرزقكم من السماء والأرض } من ينزل لكم المطر من السماء ، ومن ينبت لكم الثمرات من الأرض وما تأكلون وتأكل أنعامكم.

}

(١٠٤٨/٢)

أم من يملك السمع والأبصار } يجعلها لمن يشاء ويفقدها من يشاء فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، { ومن يخرج الحي من الميت } كالشجر من الحب والنوى ، { ويخرج الميت من الحي } كالمولود الميت في بطن أمه ، { ومن يدبر الأمر } أمر المخلوقات فيجعلها مؤدية لما يؤول إليه أمرها كتدبير أمر المطر بجعله مؤريا مؤديا إلى ري الحيوان والنبات وتدبير النبات لإنتاج الثمر وتدبير الثمر لتغذية الإنسان وغيره وكذلك التدبير للخصب وللجدب وللصحة وللمستم وللسقم وللغنى والفقر واللفقر وللحياة وللموت بتهيئة الأسباب والشروط ونحوها وغير ذلك.

{ فسيقولون الله } الذي يرزقنا وهو الذي يملك السمع والأبصار وهو الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وهو الذي يدبر الأمر.

{ فقل أفلا تتقون } عذاب الله بترك الشرك وبعبادة الله وحده وقد عرفتم أنه الذي يرزقكم من السماء والأرض إلى آخر ما ذكر.

{ فذلكم الله ربكم الحق } ذلكم الذي له الصفات المذكورة {ربكم} ما لككم الحق لا ما تعبدون من من دونه فما يملكون من قطمير فلا ربوبية لهم.

}

(١٠٤٩/٢)

فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون } لأن ما بعد الحق خلاف الحق فهو باطل وأتباعه ضلال وغواية {فأنى} فمن أي أين {تصرفون} عن الحق الذي تقضي به فطرة العقول إلى الباطل الذي ليس عليه دليل.

{ كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون } {حقت} صدقت وكانت صوابا كما حقت على المشركين المذكورين الذين قامت عليهم الحجة الواضحة في الآيات الماضية فلم يؤمنوا ؛ لأنه ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون و{كلمة ربك} إخباره أنهم لا يؤمنون في حال فسقهم للتنافي بين الفسق والإيمان فظلمة الفسق على قلوبهم تمنع دخول نور الإيمان وذلك الفسق هو تعمد الفجور والخبث والتمرد والعناد لا الفسق العرفي الذي هو المنزلة بين المنزلتين إذا لم يكن معه عناد للحق ومحارب ومحاربة للدين.

{ قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده } {من يبدأ الخلق} من يخلقه أول مرة ابتداء ، {ثم يعيده} يخلقه تارة أخرى بعد إفنائه.

}

(١٠٥٠/٢)

قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده } أي الله وحده يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن سواه عاجز عن ذلك { فأنى تؤفكون } فمن أين تقلبون عن فطرة العقول في شراك بإشراك من لا يخلق وجعله ندا للخالق ، وعلى قراءة [كلمات] يكون المراد بها الكلمات المتعدد في القرآن المفيدة لمعنى هذه الكلمة مثل ما مر في أوائل سورة البقرة وفي سورة الأنعام ومثل ما في سورة يس والمطففين ومثل ما يأتي في هذه السورة وغير ذلك.

{ قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق } وهذا احتجاج على المشركين بأن ليس في شركائهم من يهدي للحق ؛ لأنها لا تكلمهم وهي جمادات لا تسمع ولا تبصر ، أما الله سبحانه وتعالى فإنه {يهدي للحق} بجعل العقول في القلوب وإرسال الرسل وإنزال الكتب وما جعل من الآيات الكونية والآيات المسموعة.

{ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون } :

(١٠٥١/٢)

فهذه قضية تعرفها فطرة العقل أن من يهدي إلى الحق أحق أن يتبع لوجوب التوصل إلى الحق واجتناب الباطل ، أما الأصنام التي لا تهتدي فضلا عن أن تهدي فلا يفيد اتباعها والإقبال عليها والتعبد لها شيئا من الحق بل هي سبب للضلال فمالك فما لكم أيها المشركون تركتم حكم فطرة العقول وانصرفتم إلى الباطل وهذا توبيخ لهم خاطبهم الله به ، ثم التفت الكلام عن خطأ بهم إلى خطاب غيرهم لتمام الإحتجاج عليهم وعدم جدواه فيهم.

{

(١٠٥٢/٢)

وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون } {وما يتبع} أكثر المشركين {إلا ظنا} فهم لا يعلمون أنهم على حق وإنما يظن أكثرهم أنهم على حق وإنما يظن أكثرهم أنهم على حق لوسواس يؤدي إلى الظن مثل ما عبروا عنه بقولهم {لو شاء الله ما أشركنا} ومثل حسن ظنهم بأسلافهم واستبعادهم أن يتعمد إسلامهم أسلافهم الباطل ولكن ذلك لا يقاوم الدليل القاطع الدال على بطلان الشرك أن {الظن لا يغني} أي لا يكفي شيئا من الحق أي لا يدفع شيئا من الحق ، وهذا يدل على أن اتباع المعلوم هو الحق وأن لا يعدل عن اتباعه إلى الروايات التي لا يعلم أن النبي

صلى الله عليه وآله قال ما روي عنه فيها وقوله تعالى ({إن الله عليم بما يفعلون) } يبين أن الله تعالى أخبر أن أكثرهم إنما يتبعون الظن ؛ لأنه عليم بما يفعلون فهو يعلم أنه اتباع للظن أو على أي وجه وقع ، وقوله {أكثرهم} لعله يخرج المقلدين المهملين للنظر بالكية وإنما يقلدون لمجرد الهوى في اتباع آبائهم.

{ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله } {هذا القرآن} الذي تسمعونه خارقا للعادة في حكمته وإأحكام بيانه .

،

(١٠٥٣/٢)

قال صاحب [الكشاف] : ومعنى وما كان أن يفترى وما صح وما استقام أن يكون مثله في علو أمره وإعجازه مفترى ، .انتهى.

يعني أن هذا النفي مثله في {فما كان الله ليظلمهم} ونحوها مما فيه نفي الكون ولام الجحود .

وعبارة [سيد قطب] في تفسير هذه الآية: فهو [(أي هذا القرآن)] بخصائصه الموضوعية والتعبيرية ، بهذا الكمال في تناسقه ، بهذا الكمال في العقيدة ا لتي جاء بها وفي النظام الإنساني الذي يتضمن قواعده ، وبهذا الكمال في تصوير حقيقة الألوهية وفي تصوير طبيعة البشر وطبيعة الحياة وطبيعة الكون لا يمكن أن يكون مفترى من دون الله ؛ لأن قدرة واحدة هي التي تملك الإتيان به هي قدرة الله القدرة التي تحيط بالأوائل والأواخر وبالظواهر والسرائر وتضع المنهج المبرأ من القصور والنقص ومن آثار الجهل والعجز ، {وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله} ما كان من شأنه أصلا أن يفترى فليس المنفي هو الإفتراء ولكن جواز وجوده هو ا لمنفي وهو أبلغ في النفي وأبعد ، .انتهى.

}

(١٠٥٤/٢)

ولكن تصديق الذي بين يديه } من الكتاب وهو التوراة والإنجيل ، { وتفصيل الكتاب } أي ولكن كان هذا القرآن تفصيل الذي بين يديه ، وكان هذا القرآن {تفصيل الكتاب} أي الفرض والإيجاب على عباد الله بما فيه من الأوامر وسائر أدلة الإيجاب مثل ({كتب عليكم الصيام} {كتب عليكم القصاص}{كتب عليكم القتال}كما كتب على الذين من قبلكم) .... ، ففي القرآن تفصيل بين ويحتلم ويحتمل شمول الكتاب لأمر الله ونهيه ؛ لأن النهي يوجب الترك.

{ لا ريب فيه من رب العالمين } لا ريب في القرآن ؛ لأنه الحق الواضح بالحجة المفيدة للعلم اليقين ، وهذا القرآن من رب العالمين المالك لهم فهو يدعو عباده إلى دار السلام ويأمرهم وينهاهم ؛ ، لأن له الحكم في عباده وعليهم أن يعبدوه كما علمهم.
{ أم يقولون افتراه } بل أيقول يقول أيقول المشركون افتربا محمد هذا القرآن تمردا منهم وعنادا.
}

(١٠٥٥/٢)

قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين } {قل} إن افتراه كما زعمتم {فأتوا بسورة مثله} في الحكمة وعظم الفائدة وإتقان البيان {وادعوا من استطعتم} ليعينكم على الإتيان بسورة مثله فادعوا من استطعتم أن تدعوه لذلك {من دون الله} لأنكم قد زعمتم أنه من قول البشر حين قلتم افتراه محمد ، فإذا كان من قول البشر فإنه لا بد أن تستطيعوا أن تأتوا بسورة مثله إن كان من قول البشر فإنه لا بد أن تستطيعوا أن تأتوا بسورة مثله إن كان من قول البر وكنتم صادقين في زعمكم أنه افتراه ، وقد بسط [قطب] عند تفسيره لقوله تعالى ({وما كان هذا القرآن أن يفترى) } بسط في ذكر ما يمتاز به القرآن بقدر مستطاع سيد قطب فليراجعه من أراد التوسع ، وذكر [الطباطبائي] في تفسير هذه الآية كلاما مفيدا وحاصله أنا لتالتحديحدي التحدي في هذه الآية وأمثالها بما في القرآن من العلوم النافعة المهمة والمتنوعة الواسعة التي يعجز ا لبشر عن الإتيان بها ومع ذلك وقوعه في أعلا درجات البلاغة وهو كلام مفيد فليرجع إليه من أراد التفصيل في هذا المعنى ، وقد جمع تلك المعاني قول الله تعالى ({كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) } ، وقوله تعالى ({وإنه لكتاب

(١٠٥٦/٢)

عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حمدحميد) } فليطالع لفهم هذه المعاني ما في تفسير قطب وما في تفسير الطباطبائي ، وقد جادا بكثير مما يتطلبه العصر الحاضر في تفسيريهما .
والتحدي في هذه الآية وفي غيرها من القرآن يكف يكشف بطلان زعمهم أنه افتراه ؛ لأنهم لم يأتوا بسورة واحدة مثله مع شدة حرصهم على إبطاله ومع أنه بلسانهم العربي المبين جاءهم به رجل نشأ بينهم فلغته لغتهم ولو أطاق اختلاقه لأطاقوا مثله ، ومع أن التحدي بسورة منه مستمر في حياة الرسول صلى الله عليه وآله من حين جاءهم بالقرآن وذلك نحو ثلاث وعشرين سنة وبعده فلم يأتوا بمثله كما

أخبر الله تعالى في قوله ({ولن تفعلوا).} .
}

(١٠٥٧/٢)

بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه } استعجالا منهم على رده وحرصا على دفعه فكذبوا بأنه من الله ، ولعلهم لو أحاطوا بعلمه على الكمال لعلموا أن قولهم {افتراه} كلام في غير محله ؛ لأنه كتاب فيه العلوم الواسعة والحكم البالغة والبيان الواضح المحكم ومع ذلك فهو عزيز لا مدخل فيه لطاعن ، وسليم من الإختلاف والتدافع والتفاوت الذي يكون في كلام البشر بسبب اختلاف حالتهم من قوة وضعف ونشوناط وملل واأنتشباه وغفلة وانبساط وانقباض كما قدمت في تفسير قول الله تعالى({ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) } فقولهم {افتراه} وهم يعلمون أنه رجل نشأ في بلد لا علم فيه ولا دراسة للكتب وهو لا يقرأ كتابا ولا يخطه بيمينه جهالة منهم وخبط عشواء.
{ ولما يأتهم تأويله } لما يأتيهم تأويله وهو مصداقه الذي يطابقه ؛ لأنه عاقبة خبره عما سيكون ومآله فحين يأتيهم يؤمنون حين لا ينفعهم إيمانهم.
{ كذلك كذب الذين من قبلهم } فإنهم كذبوا بآيات الله ؛ لأنهم لم يحيطوا بها علما ؛ ولأنهم لما يأتهم تأويلها ولذلك أهلكهم الله.
}

(١٠٥٨/٢)

فانظر كيف كان عاقبة الظالمين } {فانظر} يا محمد أما هؤلاء المكذبون فإنهم لا يريدون أن ينظروا كيف كان عاقبة الظالمين الذين سارعوا إلى الكتذيب بآيات الله من دون أن يحيطوا بها علما عجلة بالسيئة قبل الحسنة واتباعا لأهوائهم وأصروا على التكذيب فما كانوا ليؤمنوا حتى يأتيهم تأويلها فأخذهم الله ولعذاب الآخرة أشد وأخزى.
{ ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين } {ومنهم} ومن المكذبين اليوم {من يؤمن به} بعد اليوم ، فقوله تعالى ({أم يقولون) } سؤال وليس بعم الذين لم يؤمنوا {ومنهم من لا يؤمن به} أبدا في دار الخيار ؛ لأنهم مفسدون محاربون للدين فاستحقوا الخذلان {وربك أعلم بالمفسدين} فهو يجازيهم بكفرهم وإفاسادهم وكل جرائمهم ، فالكفار في أول تبليغ الرسالة كانوا فريقين فريقا: كذبوا وهم أتباع للمفسدين مضلل عليهم ، وفريقا: كذبوا وحاربوا الرسالة بالصد عن الإيمان وإلقاء

الشبهات وتعذيب بعض من آمن ونحو ذلك ، فهؤلاء المفسدون مخذولون لا يؤمنون ، وفائدة الإخبار بأن منهم من سيؤمن تهوين الأمر على الرسول صلى الله عليه وآله لقوة رغبته في إيمان الناس وقلة من آمن به في أول الرسالة أو ذلك من فائدة الإخبار بالفريقين .
}

(١٠٥٩/٢)

وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بري مما تعملون } :
{وإن كذبوك} بعد إيمانهم فتبرأ من عملهم كقوله تعالى في سورة الشعراء ({واخفض جناحك للمؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون فتوكل على العزيز الرحيم) } ففي إعلان البراءة والمفاصلة إظهار القوة والتوكل على الله وعدم المبالاة بهم وإبطال لكيد من كاده بإظهار الإسلام ثم الكفر كما ذكر الله تعالى عن بعضهم في قولهم {آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون} {فقل لي عملي} فأنا ثابت عليه ؛ لأنه لي ونفعه لي {ولكم عملكم} إما نافعا وإما ضارا {أنتم بريئون مما أعمل} فلستم مسؤولين عن عملي {وأنا بريء مما تعملون} فلست مسؤولا عنه ولا يضرني ، وهذه كلمة متاركة ومقاطعة ودلالة على أنهم إن كذبوه فغإنما يضرون أنفسهم.
{ ومنهم من يستمعون إليك } استماع تعجب أن أو إجابة لداعي حب الإطلاع الطبيعي مع إصرارهم على الفسق.
}

(١٠٦٠/٢)

أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون } فاستماعهم كأسماع كاإستماع الصم ؛ لأنهم كارهون للحق معرضون عن التدبر فهو يمر على آذانهم قبل أن يتدبروه ؛ لأن قلوبهم غير صالحة للتدبر لأنهم أهملوا عقولهم ، فكأنه اجتمع عليهم الصمم وسلب العقول.
{ ومنهم من ينظر إغليك } لأنك بينهم في مكة تدعوهم إلى الله ولكنهم مصرون عليهما السلام على الكفر.
{ أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون } فنظرهم إليك كنظر العمي لأنهم لا ينتفعون به ولا يدعوهم إلى النظر الصحيح وطلب الصواب فلا تحرص على إيمان كل من استمع إليك ونظر إليك ؛ لأن بينهم

وبين الإيمان مسافات بعيدة ولا تبال بهم.

}

(١٠٦١/٢)

إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون } فهم يوقعون أنفهسم في طريق النار ، وهم يوقعون أنفسهم في حبائل الشيطان وما يترتب على الخذلان ، وفي هذه دلالة واضحة لمن أنصف على بطلان دعوى أن الله هو الذي يوجد فعل العبد الذي هو ا لمعصية التي يستحق بها النار ، ففي هذه الآية نفي لقولهم وإثبات لقولنا ، ولا يفيدهم تأويل قوله تعالى ({إن الله لا يظلم الناس) } بأن فعله بهم لا يكون ظلما ولو عذبهم بلا ذنب ؛ لأن عطف قوله {ولكن الناس أنفهسم يظلمون} يفيد أن المقصود لا يظلمهم بأن يعذبهم بغير استحقاق منهم أو بفعل ما يوقعهم في العذاب أي لا يفعل ذلك ، ولذلك عطف عليه قوله تعالى ({ولكن الناس أنفسهم يظلمون) } أي هم الذين يفعلون ما يوقعهم في النار ، فأثبت لهم ما نفاه عن نفسه ودل على أنهم هم الذين يوقعون أنفهسم في أسباب العذاب فيظلمون أفنسهم أنفسهم بذلك ، فأي دليل أوضح من هذا لمن سلمت بصيرته؟ ..

{ ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين } :

}

(١٠٦٢/٢)

ويوم نحشرهم} الظرف منصوب بقوله تعالى ({قد خسر الذين) } أوبـ(ا ذكر) كان لم يلبثوا في الدنيا وفي البرزخ يرون المدة قصيرة جدا ؛ لأنها قد مضت وذلك يبسبب التندم على ما قدموا من أسباب العذاب ميلا إلى الدنيا فبقيت عقوبته ، فالمعنى ويوم نحشرهم مستقلين المدة الماضية {كأن لم يلبثوا} فيها {إلا ساعة من النهار} أي يستشعرون ذلك ، فقوله {يتعارفون} سواء كان حالا ثانية أي نحشرهم يتعارفون أو حالا من يلبثوا داخلا في المستثنى استثناء مفرغا ؛ لأن الآية على كلا التقديرين تفيد تعارفهم في الدارين ، فعلى الوجه الأول يتعارفون يوم الحشر ؛ لأنهم قد تعارفوا في الدنيا فإذا تراءوا في الآخرة عرف بعضهم بعضا لأنهم قد تعارفوا في الدنيا ، وعلى الوجه الثاني كأن لم يلبثوا إلا ساعة يتعارفون فيها لأنهم قد تعارفوا في الآخرة بسبب ذلك التعارف في الدنيا فاستشعروا قصر مدة تعارفهم في الدنيا وما كان في ذلك التعارف من أسباب العداوة في الآخرة والندم الطويل وانقطاع الألفة في

الآخرة {لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه} وقوله تعالى {(قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) } لأن دنياهم قد مضت وفاتهم في الآخرة كل خير وصار مأواهم النار ذلك هو الخسران المبين ، فقد تحقق

خسرانهم {وما كانوا مهتدين} في الدنيا كما كانوا يزعمون أن التكذيب هو الصواب ، بل تحقق يوم حشر الله لهم أنهم كانوا ضالين.

{ وإما نرينك بعض الذي نعذبهم نعدهم } أي وإن أريناك بعض العذاب الذي نعدهم أريناك بأن عجلناه في حيوتك وشاهدته فقوله تعالى {وإما} أصله (وإن ما) وهي (إن) الشرطية أدغمت في الميم و(ما) صلة تحسن القول.

{ أو نتوفينك } قبل أن نعذبهم.

{ فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون } وحسبهم ذلك سواء عجل لهم عذاب في الدنيا أم لم يعجل ؛ لأن مرجعهم إلى الله وحده وهو الشهيد على ما يفعلون ، والشهيد هو الحاكم فيهم لا يفوتونه ولا يجدون منه وليا ولانصيرا.

{ ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون } رسول من الله أرسله إليهم {فإذا جاء رسولهم} يوم القيامة يخاصمهم بما كذبوه في الدنيا وآذوه وقاتلوه {قضى بينهم} أي بين الرسول وأمته {بالقسط} أي بالعدل والحق {وهم} الرسول وأمته {لا يظلمون} بل تجزى كل نفس بما تسعى ، فيثاب رسولهم وينال ما وعده الله من الخير ، ويعاقب أعداؤه جزاء سيئة بمثلها كما مر.
}

ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين } {متى هذا الوعد} بالعذاب الذي وعدتمونا استعجالا له لظنهم أن الوعد غير واقع ، وقولهم إن كنتم صادقين تحكم لأن المعنى إن كنتم صادقين أخبرونا متى يكون إن كنتم صادقين وإلا فلستم صادقين ، وهذا كفر بالرسول وبالوعد حيث سووا بينه وبين من معه من المؤمنين فنسبوا الوعد إليهم على سواء والمطالبة لهم على سواء .

وإنما قلت: أنه تحكم لأنهم جعلوا شرط الصدق ما ليس رطا لأنه لا يجب إلا الدليل على صدق الوعد وقد بينه الله ورسوله فلم يقبلوا وكلامهم هذا ذكره الله في مواضع من القرآن وفي كل موضع جواب مناسب وجوابه هنا ما في الأربع الآيات التي بعد هذه.

{ قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله } فلا أملك تحصيل ما أقترحتم من تحديد وقت الوعد لأن الأمر كله لله فإن شاء حدد وإن لم يأ فلا يستطيع غيره أن يحدد كما لا يستطيع أحد أن يعجل ما وعد الله به من القيامة وما فيها.

}

(١٠٦٥/٢)

لكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون } فلا تحسبوا إمهالكم وأنتم تكذبون بآيات وباليوم الآخر إهمالا لكم إنما هو إملاء حتى يأتي أجلكم كما كان للأمم قبلكم وهو أجل محدود لا تستقدمون قبله وإذا جاء لا تستأخرون وبهذا يظهر أن السياق في وعدهم بالعذاب من غير فرق بين أن يكون في الدنيا أو في الآخرة لأنهم كافرون بالآخرة.

{ قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون } عذابه عذاب الله الذي وعدكم جزاء على كفركم و يشير إلى شدته بإضافته إلى الله بياتا وأنتم نامئون نائمون فهو مباغت لكم في الليل أو نهارا فلن تقدروا على دفعه وإن عاينتموه في النهار نازلا عليكم ماذا يستعجل منه المجرمون هل فيه يء شيء مرغوب يستعجله المجرمون المستحقون للعذاب بإجرامهم أي أنه عذاب ليس فيه أي مرغب يدعوا إلى استعجاله فلماذا تستعجلونه بقولكم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين.

}

(١٠٦٦/٢)

أثم إذا ما وقع آمنتم به } أي تكفرون به وتستعجلونه ثم إذا ما وقع آمنتم به ،وآمنتم أنه العذاب الذي وعد الله به أو آمنتم بالرسول بسبب وقوع العذاب والأول أظهر فهم مكذبون بالعذاب فقيل {أإثم إذا ما وقع آمنتم به} بأنهحق بأنه حق كما وعدكم الله به.

{ الآن وقد كنتم به تستعجلون } الآن يقبل إيمانكم حكي قد وقع العذاب بعدما كذبتم به وكنتم به لفرط تكذيبكم به تستعجلون به أي أنه إذا وقع لم يرفع عنهم ولم ينفعهم إيمانهم.

{ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون } ثم بعد وقوع العذاب بياتا أو نهارا صرتم إلى عذاب الخلد وهوا لعذاب الدائم الذي لا موت فيه فقيل لكم بسبب ظلمكم في الدنيا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون وهو جرائمكم التي تكررت منكم في الدنيا فالعذاب العاجل تصيرون به إلى عذاب الخلد من أجل سوء الخاتمة لأنه

أخذكم العذاب وأنتم ظالمون.
{ ويستنبؤنك أحق هو } {أحق} ما وعد الله به من عذاب الخلد {يستنبؤنك} يسألونك أن تنبئهم أي تخبرهم أحق هو.
}

(١٠٦٧/٢)

قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين } {قل} يا محمد {إي} أي نعم {وربي} أحلف به {إنه لحق} واقع بكم {وما أنتم بمعجزين} لله أي لا تدفعونه عن أنفسكم ولا يعجز الله عن تعذيبكم.
{ ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به } فكل نفس قد ظلمت في الدنيا لو أن لها عند حضور عذاب الآخرة ما في الأرض من الأموال {لافتدت به} من سوء العذاب ، أي لبذلته فدية لها من العذاب.
{ وأسروا الندامة لما رأوا العذاب } وذلك حين رأوه من مكان بعيد وعلموا أنه واقع بهم بما كسبوا في الدنيا فندموا وودوا لو أنهم أطاعوا الله ورسوله ، فأما إسرار الندامة فلعل سببه الكبر فيما بينهم.
{ وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون } بينهم بين أهل الموقف المفهومين من كل نفس {بالقسط} بالحق والعدل {وهم لا يظلمون} فتجزى كل نفس بما تستحق لا يزاد في عذاب أحد فوق ما يستحق ولا ينقص على المظلوم شيء من إنصافه من الظالم.
}

(١٠٦٨/٢)

ألا إن لله ما في السموات والأرض إلا إن وعد الله حق } {إن لله ما في السموات} وما في الأرض فهو يقضي بينهم ويحكم فيهم لا معقب لحكمه ، ووعده حق ؛ لأنه يعد بتصرفه والحق في ملكه فلا صارف له عما وعد به {ألا إن وعد الله حق} لأنه قادر على كل شيء وعليم بكل شيء وغني عن كل شيء فلا أصدق منه قيلا.
{ ولكن أكثرهم لا يعلمون } أكثر الناس أو أكثر المكذبين الذين فيهم السياق ؛ لأنهم لا ينظرون نظر طلب لمعرفة الصواب بل يعرضون.
{ هو يحيي ويميت وإليه ترجعون } هو وحده {يحيي} عادته الإحياء {ويميت} عادته الإماتة ؛ لأنه على كل شيء قدير {وإليه} وحده {ترجعون} لأنه المالك لكم الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم تارة

أخرى يتصرف فيكم كيف يشاء فإليه وحده ترجعون للحساب والجزاء.

{ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون } :
}

(١٠٦٩/٢)

قد جاءكم} سبب النجاة من العذاب والفوز بالجنة بما في هذا القرآن من الموعظة التي تزجر عن معصية الله وتبعث على طاعة الله ، وما فيه من الشفاء لما في الصدور من الريب وسائر عيوب القلب ، فهو يؤدي إلى سلامة القلب من العيوب لتسبيبه للإيمان واحتقار الدنيا والعمل للآخرة ، ونهيه عن عيوب القلب {وهدى ورحمة للمؤمنين} فهو حقيق بأن يرغب فيه الناس ويقبلوا على تعلمه وتدبر آياته والتمسك وأن يتركوا الجدال فيه والمكابرة والتكذيب ؛ لأنه نعمة وخير عظيم.

{قل بفضل الله} قل يا محمد جاءكم هذا الخير العظيم بفضل الله {وبرحمته} ملتبسا بفضل الله مثل {وبالحق أنزلناه وبالحق نزل} ومثل {تنبت بالدهن} فبفضل الله على الناس ورحمته لهم جاءهم هذا الكتاب الذي هو الخير العظيم {فبذلك} الذي جاءكم ملتبسا بفضل الله ورحمته {فليفرحوا} فهو الحقيق بأن يفرحوا به ؛ لأنه خير مما يجمعون ؛ لأنه يهدي إلى السعادة الدائمة وإلى النجاة من الشقاوة الدائمة ، فالفرح به والإطمئنان إليه حق وصواب ليس كالفرح بالدنيا الذي هو اغترار.

{ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون } :
}

(١٠٧٠/٢)

قل} يا رسول الله للمكذبين بالقرآن {أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق} وعطاء لتنتفعوا به {فجعلتم منه حراما وحلالا} كما هو مذكور في سورة الأنعام فلم تشكروا نعمة الله فيه وتبقوه على ما جعله الله عليه {قل} يا رسول الله {آلله أذن لكم} بذلك التحكم بالتحريم والتحليل أو بذلك التحريم والتحليل {أم على الله تفترون} فتحكمون بغير ما أنزل الله افتراء على الله واختلاقا وذلك هو الباطل الواضح الذي أنتم متمسكون به ، ثم بهذا القرآن تكذبون وهو يدعوكم إلى الحق وترك أباطيل الجاهلية ، وقوله تعالى {أرأيتم ما أنزل الله} فيه لفت لأنظارهم إليه وإعداد للسؤال عنه ، كأنه يقول: أخبروني عما أنزل الله لكم من رزق.

{ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون } :
}

(١٠٧١/٢)

ما ظن الذين} ما يظنون يوم القيامة أيظنونه سهلا عليهم ؟ هيهات بل هو الداهية الدهيا والشقاوة التي ليس لها منتهى {إن الله لذو فضل على الناس} بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين وإنزال الكتب تهدي إلى طريق النجاة ودعوة الناس إلى التوبة وإمهال الناس ليذكروا وغير ذلك من نعمه سبحانه وتعالى التي تهيء لهم أسباب السلامة والكرامة في يوم القيامة ، ولكن أكثر الناس {لا يشكرون} بل يكفرون نعم الله ويكذبون بالنذر .

{ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل
إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه } :

وأنت يا رسول الله في تبليغك لهؤلاء الذين يفترون على الله وصبرك على تحمل أعباء الرسالة والقيام بشئونها {ما تكون} يا محمد {في شأن} أي شأن {إلا} والله يشهد ما تكون فيه {وما تتلو} يا محمد من هذا القرآن {من قرآن} قليل أو كثير {إلا} والله يشهد ما أنت فيه {ولا تعملون} كلكم أنت ومن آمن ومن كفر أي عمل صالح أو فاسد حسن أو سيئ {إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه} إذ تندفعون وتسترسلون فيه لا يخفى علينا منه شيء.

{ وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء } {ما يعزب} ما يبعد ولا يغيب عنه.

(١٠٧٢/٢)

قال في [الصحاح] : وعزب عنى فلان يعزب ويعزب أي بعد وغاب ، انتهى.

فالمعنى أن الله شهيد على كل شيء حتى مثقال الذرة في الأرض ومثقال الذرة في السماء.

{ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين } {لا أصغر} من مثقال ذرة إلا وقد أحاط به علم الله فلا يفوته ولا ينساه ، فكل إنسان وكل عمل لا يخفى على الله ولا ينساه ، وذكر الكتاب هنا تمثيل للإحصاء والإحاطة والحفظ.

{ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون } فإحصاء أعمالهم صغيرها وكبيرها لا يضرهم ؛ لأن أعمالهم صالحة ، وسيئاتهم ممحوة بالتوبة ، وصغائرهم مكفرة باجتناب الكبائر فلا {خوف عليهم} يوم

القيامة {ولا هم يحزنون}.
{ الذين آمنوا وكانوا يتقون } هذا تفسير لأولياء الله فلا يقرب أحدا عند الله إلا الإيمان والتقوى.
{ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم } :
}

(١٠٧٣/٢)

لهم البشرى} وحدهم دون غيرهم {في الحياة الدنيا} إما بمثل رؤيا مبشرة أو كرامة خارقة للعادة أو بشرى الملائكة عند حضور الموت قبل خروج النفس {وفي الآخرة} من حين يبعثون {لا تبديل لكلمات الله} تأكيد لوعد الله لهم بالبشرى ولكل وعد وكل وعيد كما قال تعالى في الوعيد {ما يبدل القول لدي} فكل ما وعد الله به أو أوعد فلن يتخلف أبدا {ذلك} الذي هو السلامة التي دل عليها قوله تعالى {لا خوف عليهم ولا هم يحزنون} والكرامة التي دل عليها قوله تعالى {لهم البشرى} وقد قال تعالى {تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون} فلهم {الفوز العظيم} النجاة والظفر بالجنة والخير العظيم.
{ ولا يحزنك قولهم } أي لا تحزن لتكذيب المكذبين بوعد الله وبآيات الله.
{ إن العزة لله جميعا هو السميع العليم } {إن العزة لله جميعا} فلا بد من الجزاء الأوفى ونصر أولياء الله وإهانة أعداء الله ، فتكذيب المكذبين وبال عليهم ولن يضروا الله شيئا {هو السميع} لقولهم ولكل قول {العليم} بإجرامهم وبكل شيء فلا بد لهم من الجزاء الأوفى.
}

(١٠٧٤/٢)

ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض } فمرجعهم إليه وحده وهو يحكم فيهم ما يريد وعليهم إن يعبدوه وحده.
{ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء } أي شيء يتبعونه؟ وأي شيء يحتجون به لشركهم؟.
{ إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون } ليس لهم حجة وليس لهم دليل يتبعونه {إن يتبعون} أي ما يتبعون {إلا الظن} وما هم {إلا يخرصون} بما يقولون كما يقول خارص التمر: في رؤوس النخل قدره كذا كيلا ، وعلى هذا فليس لهم أن يعارضوا الحق الثابت بكتاب الله بظنونهم وخرصهم.
{ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا } فربكم المنعم عليكم هو المستحق للعبادة ،

ذكر هنا منفعة الليل وهي السكون والراحة من أعمال الجسد والفكر لتعود القوة لليوم الثاني {والنهار مبصرا} والبصر نعمة وفائدته واضحة وهي السعي للمعاش وحاجات الحياة.
}

(١٠٧٥/٢)

إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون } {إن في ذلك} في جعل الليل ليسكنوا فيه وجعل النهار مبصرا {لآيات} عديدة {لقوم يسمعون} أما من يعرض حتى كأنه لا يسمع فهو لا يهتدي بآيات الله ، ففي الليل والنهار الدلالة على قدرة الله وعلمه والدلالة ملكه لعباده من حيث إنعامه عليهم وتربيتهم بجعل الليل والنهار خلفة والدلالة على فضل الله ورحمته ، وفي إقبال الليل بعد النهار آية ، وفي طلوع الفجر بعد الليل آية ، وفي طلوع الشمس آية ، وفي الضحى آية ، وفي العصر آية ، وفي غروب الشمس آية ، فهي آيات تدل على متصرف في الكون مدبر لأمور عباده.
{ قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني } {قالوا اتخذ الله ولدا} كأنهم أرادوا أنه اتخذ الملائكة بنات لا بمعنى أنه ولدهم ، بل بمعنى التبني ليكونوا له قرة عين {سبحانه} تنزيه له عن كل نقص وعن كل عيب {هو الغني} فلا يحتاج إلى اتخاذ الولد ، وإنما يتخذ الولد من يحتاج ، والله المنزه عن مشابهة المخلوق لا يحتاج.
{ له ما في السموات وما في الأرض } فكلهم عبيد ليس فيهم ولد.
{ إن عندكم من سلطان بهذا } ما عندكم {من سلطان} حجة {بهذا} القول على الله.
{ أتقولون على الله ما لا تعلمون } سؤال إنكار عليهم وتوبيخ.
}

(١٠٧٦/٢)

قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون } يفترون الكذب يختلقونه {لا يفلحون} لا ينالون بافترائهم خيرا إنما لهم { متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون } {ثم إلينا مرجعهم} في الآخرة ولا يرجعون إلى من زعموا أن الله اتخذهم ولدا {ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون} بأنعم الله أو يكذبون بآيات الله ويجحدون رسالاته التي قامت بها الحجة عليهم وبينت بطلان قولهم فلم يقبلوها فاستحقوا العذاب الشديد بسبب كفرهم بها.
{ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله

توكلت فأجمعوا أمركم وشراءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون } :
}

(١٠٧٧/٢)

كبر عليكم} ثقل عليكم وشق عليكم {مقامي} بتبليغ رسالة ربي والدعوة إلى عبادته وحده ونفي الآلهة إلا إياه {وتذكيري} لكم {بآيات الله} الدالة على صدقي في دعوتي وتبليغي {فعلى الله توكلت} مقابل صعوبة ذلك عليكم وبغضكم لي وكونكم تريدون التخلص مني فأنا أكل أمري إليه ليعصمني منكم إن شاء ، وحسبي ذلك من الإستعداد لما تريدون من الإيقاع بي ، وبعد توكلي عليه {فأجمعوا أمركم} مع شركائكم الذين تزعمون أنهم ينصرونكم.
قال الشرفي في [المصابيح]: والواو في قوله وشركاءكم بمعنى (مع) أي وأجمعوا أمركم مع أوثانكم واستعينوا بها في هلاكي ، انتهى.
ومعنى إجماعهم أمرهم تقريرهم لقرارهم وتأهبهم لإنفاذه واستعدادهم كما قال الشاعر :
أجمعوا أمرهم عشاء فلما ... أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
من مناد ومن مجيب ومن تصـ تصـ ... ـهال خيل وبين ذاك رغاء

{ثم لا يكن أمركم عليكم غمة} ثم لا يغمكم أمركم الذي تقررونه وتريدون إنفاذه ولا تبالوا به وامضوا له بجد وصرامة ، ومنه قول طرفة في معلقته:
لعمرك ما يومي علي بغمة ... نهاري ولا ليلي علي بسرمد .انتهى.

انتهى ، يعني أنه ماضي العزيمة ، قال شارح القصيدة: وتلخيص المعنى أنه تمدح بمضاء الصريمة وذكاء العزيمة ، انتهى.
}

(١٠٧٨/٢)

ثم اقضوا إلي} انهوا إلي وأوصلوا أمركم {ولا تنظرون} ولا تمهلوني إن استطعتم فهذه أوامر تعجيز وتحد للكفار ، فهي متى عجزوا عنها كانت دليلا على صدقه وكانت معجزة تدل على نبوته.
{ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله } فلا علة لكم في التولي بأن تقولوا ثقل علينا

أجر نوح ولولا خوف المغرم لاتبعناه إن أجري على الله الذي أرسلني إليكم ولا يفوتني أجره بتوليكم فضرر توليكم عليكم وحدكم.

{ وأمرت أن أكون من المسلمين } لله وجهي ونفسي فلا أعبد ما تعبدون من دون الله.

{ فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين } :

فالمنذرون الذين آمنوا واتبعوا رسولهم نجاهم الله من العذاب مع رسولهم وصاروا معه خلفاء الأرض ، والمنذرون الذين كذبوا رسولهم وكذبوا بآيات الله أهلكهم وقوله تعالى {فنجيناه ومن معه في الفلك} أي نجيناهم من العذاب الذي هو الغرق نجيناهم في الفلك أي في السفينة ، وهذه آية من آيات الله الفرق بين من آمن ومن كذب بنجاة المؤمنين وهلاك الكافرين.

}

(١٠٧٩/٢)

ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين } :

{من بعده} من بعد نوح {رسلا} مثل هود وصالح وشعيب وغيرهم كما قال الله تعالى {منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك} أرسلهم الله إلى قومهم وذلك أبلغ في الحجة لمعرفتهم لرسلهم من قبل الرسالة {فجاؤوهم بالبينات} جاؤوا قومهم بالآيات البينات في دلالتها على صدقهم ، وأن الله أرسلهم فكذبوهم وكذبوا بآيات الله وأصروا على ذلك حتى خذلوا {فما كانوا} بعد الخذلان {ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل} ما صح ولا استقام كأنه صار محالا أن يؤمنوا بما كذبوا به من قبل ؛ لأن تكذيبهم لرسلهم من قبل أفسد قلوبهم وباعدهم عن الإيمان حتى كأنه لا يتصور منهم أن يؤمنوا {كذلك} الطبع على قلوبهم {نطبع على قلوب المعتدين} بالإفساد في الأرض ومحاربة الدين والصد عن سبيل الله ، فالتكذيب الأول جرهم إلى الإعتداء والإعتداء أوقعهم في الخذلان المعبر عنه بالطبع على القلوب كأنه ختم مانع من دخول الإيمان إلى القلوب ؛ لأنه يترتب على الخذلان تسلط الشيطان على المخذول وتزيينه له الباطل وإفساده لقلبه بغروره وخدعه حتى يصير قلبه كالمطبوع

(١٠٨٠/٢)

عليه.
{ ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملإه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين } :
{من بعدهم} من بعد الرسل المذكورين آنفا {إلى فرعون وملإه} جماعته المعاونين له على أمره {بآياتنا} أي بعثنا موسى وهارون مصحوبين بآياتنا {فاستكبروا} وأنفوا من قبول الحق والإيمان بهما وبما جاءا به من الآيات وكان هذا شأنهم ؛ لأنهم {كانوا قوما مجرمين} أهل جرائم ف(الواو) هنا بمنزلة (واو) الإعتراض كما في قول الشاعر:
رأيت رؤيا ثم عبرتها

١@وكنت للأحلام عبارا

وقد أثبتها الزمخشري في [كشافه] وإن أنكرها بعض النحاة بناء منهم على تسميتهم لها (واو) الإعتراض .
قلنا: الخلل في التسمية أي في تسميتها (واو) الإعتراض وهو اصطلاح لا حجة فيه مع أنه يمكن تسميتها (واو) الإعتراض لاعتراضها في بعض الحالات بين الكلام.
}

(١٠٨١/٢)

فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين } الحق وهو الآيات الدالة على صدقهما {قالوا} مع أنها الحق من عند الله جرأة على الله وعنادا منهم {إن هذا} الذي نشاهده في العصى وفي يد موسى ونحو ذلك ما هو {إلا سحر} وتخييل {مبين} أي بين كونه سحرا لا خفاء فيه ، فهو أمر لا حقيقة له فلا عصاه صارت ثعبانا ولا يده صارت بيضاء ، وهذا غاية العناد.
{ قال موسى أتقولون للحق ما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون } {أتقولون للحق} سؤال إنكار وتوبيخ على جرأتهم بأن يقولوا في الحق الذي جاءهم هذا القول دفعا للحق: {أسحر هذا} سؤال بمعنى النفي أي كيف يكون هذا الحق الواضح سحرا والسحر لا حقيقة له إنما هو تخييل وهذا الذي جاءكم أمر حقيقي رباني تعلمون أنه ليس تخيلا لمعرفتكم السحر ومشاهدتكم لهذا تعرفون بها أنه الحق الواقع ولذلك تخافون الثعبان وتعجبون في أنفسكم لبياض اليد وإن جحدتم بألسنتكم {ولا يفلح الساحرون} فإن كنت ساحرا فإنه لا بد أن ينكشف وتبطل دعوى الرسالة.

{ قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين } : }

(١٠٨٢/٢)

لتلفتنا} لتحولنا وتصرفنا {عما وجدنا} وشاهدنا {عليه آباءنا} جعلوها قضية تعصب لآبائهم ، وقولهم: {وتكون لكما الكبرياء} يريدون أن ذلك هو الباعث لهما على دعوى الرسالة كما قال قوم نوح: {يريد أن يتفضل عليكم} وهو تجاهل وتغافل ؛ لأن العمدة الدليل الصحيح وكلامهم على الإرادة والقصد من باب:

سألته عن أبيه فقال خالي شعيب

(١٠٨٣/٢)

وهي منهم دعوى عارية عن الدليل ولا يعلمون الإرادة ؛ لأنها غيب في الصدور ، وقولهم {وما نحن لكما بمؤمنين} تعبير عن إصرارهم على باطلهم وأنهم لا يقبلون من موسى وأخيه أي دليل ، فهو لطلب اليأس وترك الخوض ، والراجح أن [الهمزة] في أول الآية للإنكار عليه ، وأنهم أرادوا: كيف جئتنا لطلب ما لا يكون لطلب أن تلفتنا وتحولنا عما نحن عليه ورثناه من آبائنا فهم يعنون أن التحول عن الأمر المألوف ثقيل ومع ذلك أنهم وجدوا عليه آباءهم فطمع موسى في تحولهم طمع في أمر بعيد ، وأيضا: إن غرضه بزعمهم أن تكون له ولأخيه بذلك الكبرياء في الأرض فينقلبوا بعد سيادتهم تحت رئاسة موسى وأخيه ، فكيف يتصور عندهم أن يتجشموا الأمر الثقيل عليهم لأجل غرضه الذي هو ضد غرضهم ؟ ومع ذلك أنهم لا يؤمنون لهما ، فكيف جاء موسى مطالبا فيما لا يتصور بزعمهم أن يكون؟ فهم يعيبون عليه ذلك .

(١٠٨٤/٢)

وجوابه واضح ولكنه يكفيه التمسك بالحجة الواضحة والآية البينة ، فأما تحولهم عن المألوف فإنه وإن شق على أهل الجمود الذين لا يطلبون الحق فإنه سهل على طالب الحق لينجو من عذاب الله ويفوز برحمة الله ، وكذلك ترك التعصب للآباء لأن إنقاذ النفوس من النار أهم ، وكذلك كون الكبرياء لرسل الله لا يهم من يتقي النار ، وهذا على فرض أنه غرض الرسل وليس كذلك ، وأما أنهم لا يؤمنون فإن

ذلك لا يمنع من تبليغ موسى وأخيه لرسالة الله ؛ لأنهما أطاعا ربهما ولا يضرهما امتناع المرسل إليهم من الإيمان.
{ وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم } ليباري بينهم وبين موسى وأخيه ويظهر بزعمه إذا غلبوا موسى وأخاه أنهما ساحران ، وهي حيلة لمدافعة موسى وأخيه في تلك الحال التي تجلت حجتهما وتبين صدقهما وكأنه ظن أنه سيعارض بسحر السحرة وسيدعي أنه الغالب حتى لا تنتهي مدافعته للحق ومراوغته.
{ فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون } لأنهم قالوا: {إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين} ليلقي عصاه في الأرض أو يلقوا حبالهم وعصيهم.
{ فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين } :
}

(١٠٨٥/٢)

ما جئتم به} هو {السحر} لا ما جئت به ؛ ولكون ما جئتم به هو السحر فإن الله سيبطله ؛ لأنه عمل فساد ومحاربة للحق {إن الله لا يصلح عمل المفسدين} ليضلوا الناس بإصلاح عملهم ؛ لأن الله يريد إظهار دينه فلا يصلح ما يؤدي إلى قوة الباطل ويجعله أهل الباطل حجة لهم.
{ ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون } {يحق الله الحق} يثبته {بكلماته} بآياته ودلائله ، سميت المعجزات كلمات إما لدلالتها كما يدل الكلام ؛ وإما لأن الله يوجدها بقوله {كن} أي أنها تسهل عليه كما لو لم توجد إلا بمجرد قوله {كن} فسميت كلمات كما سميت عيسى صلوات الله عليه كلمة من الله {ولو كره المجرمون} إحقاق الحق ؛ لأن الله غالب على أمره وقد أحق الله الحق وأبطل سحر السحرة كما هو مذكور في غير هذه السورة.
}

(١٠٨٦/٢)

فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم } {ذرية} أولاد من قومه ليسوا من الآباء ولا الشيوخ ؛ ولعل السبب أن الكبار قد {ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون} وتمكنت في قلوبهم هيبة فرعون ومحاذرة بطشه لكثرة ما قد جربوا في الماضي من ظلمه وطغيانه {على خوف} آمنوا مع خوف شديد {من فرعون وملائهم} جماعتهم المجمعين على طاعة فرعون وهم من بني

إسرائيل ، فهؤلاء الذين آمنوا أفراد من الأولاد هداهم الله للإيمان والمخاطرة بأنفسهم لأجل طاعة الله ورسوله {فآمنوا على خوف من فرعون أن يفتنهم} يعذبهم ليرجعوا عن إيمانهم بموسى إلى الكفر وخوف من ملائهم أن يخبروا بهم فرعون فيفتنهم أي يعذبهم ليرجعوا عن إيمانهم وإن فرعون لعال في الأرض.
قال الشرفي في [المصابيح] : أي غالب قاهر متجبر طاغ ، انتهى.
وقوله {في الأرض} يدل على انتشار علوه وطغيانه في الأرض {وإنه لمن المسرفين} المتجاوزين حد غيرهم في الظلم والفساد فلذلك خافه من آمن بموسى من بني إسرائيل.
}

(١٠٨٧/٢)

وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين } {وقال موسى} للذين آمنوا له على خوف من فرعون {يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا} وحده فإليه ارجعوا أمركم وعليه اتكلوا ؛ لأنكم قد أرضيتموه بالإيمان فارضوا بما قدر لكم من نصر أو شهادة وكلوا أمركم إليه ليدبر لكم ما شاء {إن كنتم مسلمين} له أنفسكم ووجوهكم ؛ لأن شأن من أسلم نفسه لله وأخلصها لربه أن يكل نفسه إلى مالكها ليدبر لها ما شاء وأن لا يريد لنفسه خلاف ما يريده لها ربه وأن يطيعه وحده لا يشرك في طاعته عدوه ، فالإيمان بالله يستلزم معرفة قدرته وعلمه وغناه وكرمه وفضله ورحمته ومعرفة ربوبيته وإحاطة ملكه بعباده وتدبيره لشؤونهم ، فإذا نظر المؤمن إلى ذلك كان من شأنه أن يتوكل على ربه في كل ما كلفه ؛ لأنه يعلم أنه لا يخفى عليه حال عبده ولا ينساه ولا يهمله ، وأنه مدبر أموره ولذلك فلا يمنعه الخوف عن الإيمان.
{ فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين } :
{فقالوا} لموسى تعبيرا عن طاعتهم لأمره {على الله توكلنا} ومع ذلك دعوا ربهم أن لا يمكن الظالمين من ظلمهم.

(١٠٨٨/٢)

قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليه السلام المعنى لا تجعلنا فتنة لهم ولا تخلنا ولا تذرنا من نصرك وتفتنهم بنا فيكون هلاكنا بأيديهم محنة لهم ولكن أعنا وانصرنا عليهم ، وتحتمل الآية معنى آخر ، انتهى المراد.
وهذا المعنى الذي نقلته هنا هو الراجح ، وقولهم {ونجنا برحمتك من القوم الكافرين} موافق للمعنى

الأول الذي حاصله طلب النجاة من فرعون وقومه ، إلا أن الأول طلب النجاة من تمكين عدوهم من ظلمهم من حيث أن ذلك غيظ على المؤمن وشديد عليه أن يسلط عليه عدو الله ، فهو من معنى بغض أعداء الله وكراهة أن ينالوا غرضهم في المؤمنين ، وأما الثاني فقولهم {ونجنا برحمتك} فهو طلب النجاة برحمة من الله عاجلة من حيث هي رحمة للمؤمنين بالنجاة من القوم الكافرين ، وذكر الكافرين لأن كفرهم يبعثهم على الظلم والتعدي على المؤمنين.
}

(١٠٨٩/٢)

وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين } {تبوءا} اتخذا لأنفسكما مباءة بيوتا تبوئون إليها لقومكما حيث يتعين لهم مقركما فيأوون إلى ناحيتكما بمصر حيث العدو إلا أن مصر واسعة المجال فهم في هذه الحالة في حالة الخوف والإستعداد لما يأمرهم به موسى وأخوه ، ومقتضى هذا الأمر الإستقرار في ناحية معينة ثقة بوعد الله فلا يصلون إليكما وتخير بيوت لا البقاء في البادية الخالية عن البيوت ، وهذه طريقة تسهل اجتماعهم حول موسى وهارون للتعلم منهما وأخذ التربية الروحية وإقامة الصلاة معهما كما هي تغيظ فرعون وملأه من حيث يفهمون منها عدم مبالاة موسى وقومه بهم ؛ ولذلك {أرسل في المدائن حاشرين إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون} {واجعلوا بيوتكم قبلة} أي متقابلة كقوله تعالى {وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة} أي متخالفين كل واحد يخلف الآخر ، وجعل البيوت قبلة هو أقرب للتلاقي بينهم والتوحد ، وقوله تعالى {وأقيموا الصلاة} أي أنت وقومك ؛ لأن المقصود بإنقاذ بني إسرائيل وإرسالكما هو أن تعبدوا الله كما قال موسى في دعائه {هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا

(١٠٩٠/٢)

ونذكرك كثيرا} والصلاة محل الذكر أفضل من غيرها كما يفيده قول الله تعالى {وأقم الصلاة لذكري} وقوله تعالى {وبشر المؤمنين} ترغيب في ثبات قوم موسى على إيمانهم في تلك لحال الشديدة ليثبتوا ويصبروا رغبة في حسن العاقبة ، وإبهام البشارة يدل على عظمها ؛ لأنها من ملك الملوك.
{ وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم } :

(١٠٩١/٢)

ربنا ليضلوا قيل: هي من المتشابه فيؤول ، وقيل: يجوز العقاب بما يؤدي إلى الضلال ، وإرادة الضلال في العقاب ليست إرادة له من حيث هو ضلال ، وإنما هي إرادة له من حيث هو سبب العقاب كما قال {واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم} والله سبحانه وتعالى منزه عن إرادة القبيح ، ويحتمل وجها ثالثا أنه عليه السلام أراد أن لا يكون صورة هذا الدعاء صورة الإعتراض لو قال فضلوا عن سبيلك فجاء بـ(لام) التعليل ليبين أن الله أنعم عليهم وهو يعلم أن ذلك يؤديهم إلى الضلال ليس غالطا في الإنعام عليهم فقال {ليضلوا} ليدل على أن الله تعالى أنعم عليهم ، وهو غير غافل بل هو عالم أنه يؤديهم إلى الضلال ، فشبه ذلك بالغرض المقصود ، والحاصل أن التعليل مجاز وإنما شبه ذلك بالغرض فاستعمل فيه عبارة فاستعمل فيه عبارة الغرض مجازا تنزيها لله عن الغلط في التصرف وتأدبا عن جعل الكلام في صورة الإعتراض .

وقوله {ربنا اطمس} قال في [الصحاح] الطموس الدروس والإمحاء ، وقد طمس الطريق يطمس وطمس وطمسته طمسا يتعدى ولا يتعدى وانطمس الشيء وتطمس أي امحى ودرس ، وقوله تعالى {ربنا اطمس على أموالهم} أي غيرها ، انتهى المراد.

(١٠٩٢/٢)

قلت: ويدل على صحة هذا قوله تعالى {ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون} وقوله {واشدد على قلوبهم} :

قال الشرفي في [المصابيح]: ثم قال {واشدد على قلوبهم} أي اسلب المعونة لهم فيبقون على الضلالة فيهلكون كفارا وينالهم عذاب الآخرة ، انتهى.

ولعل هذا حاصل المعنى والأصل واشدد العقد على قلوبهم على طريق التمثيل كذكر الختم والطبع ولذلك فرع عليه قوله {فلا يؤمنوا}.

قال سيد قطب: أما دعاؤه بأن يشد الله على قلوبهم فهو دعاء من قد يئس من صلاح هذه القلوب ومن أن يكون لها توبة أو إنابة دعاء بأن يزيدها الله قسوة واستغلاقا حتى يأتيهم العذاب وعندئذ لن يقبل منهم الإيمان ، انتهى المراد.

}

(١٠٩٣/٢)

قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون } {قد أجيبت دعوتكما} قبلت وسيكون ما سألتما {فاستقيما} على ما أرسلتما له من الدعوة وإقامة الحجة فلم ينته عملكما بهذه الإجابة وكذلك استقيما على طاعة الله في كل شيء ، والإستقامة ضد الإعوجاج فهي الإيمان والتقوى والثبات على ذلك {ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون} فلا تسأما من الثبات والصبر ولا تعجلا على ما طلبتما قبل أجله ، وقوله {الذين لا يعلمون} أي الذين يجهلون ؛ لأن الجهل بثواب الصبر قد يؤدي إلى الجزع ، والجهل سبب الضلال أو كالسبب في كل شيء لأن العلم النافع دواء لأمراض القلب وغيره.

{ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين } :

(١٠٩٤/٢)

في هذه الآية والتي بعدها ذكر نهاية فرعون وقومه بالعذاب العاجل الذي لم ينفعهم عند رؤيته إيمان ، والآية هذه تبين سوء خاتمتهم بالبغي على رسولي الله ومن معهما {وجاوزنا ببني إسرائيل البحر} أي جعلناهم جائزين للبحر حيث فرقنا بهم البحر فأتبعهم فرعون وقومه وهذا من أعجب الضلال أن يتبعوهم وقد رأوا البحر انفلق لهم ، فهي آية عظمى يحق لها أن يخروا سجدا لو كان عندهم أي استعداد للحق ولكنهم قد خذلوا وأجيبت فيهم دعوة موسى {فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا} ساروا بعدهم ليدركوهم فيأخذوهم أو يقتلوهم .

وقوله تعالى {بغيا وعدوا} في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: معناه أي البغي والعدو عدوان وطغيان ، انتهى.

{حتى إذا أدركه الغرق} لحقه الغرق وأحاط به العذاب الأليم {قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل} أي إلا الله ، وكأنه قال {إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل} ليعلن أنه معهم على دينهم {وأنا من المسلمين} المتبرئين من الشرك.

}

(١٠٩٥/٢)

آلآن } ينفعك الإيمان { وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين } أي قبل هذه الحالة التي أنت فيها مضطر إلى الإيمان لطلب النجاة من الغرق أي أينفعك الإيمان الآن؟ دخلت همزة سؤال إنكار على الآن ؛ لأن {الآن} محل الإنكار حيث أن {الآن} وقت الإضطرار الذي لا تنفع فيه توبة ، كأنه قيل: هل الآن ينفعك الإيمان وقد عصيت ربك قبل الآن وكنت على الفساد في الأرض مكررا له لا تتورع ولا تتقي فكنت من المفسدين؟ .

ومن محاسن النظم حذف المسؤول عنه كأن المنكر له يكره ذكره لشدة إنكاره له ومن هذا {بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد} أي أئذا متنا وكنا ترابا نرجع.

}

(١٠٩٦/٢)

فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية } {فاليوم} الفاء للتفريع على قوله تعالى {آلآن} أي لا ينفعك إيمانك {فاليوم ننجيك ببدنك} والسياق يرشد إلى أن المراد ننجيك جسدا بلا روح {لتكون لمن خلفك آية} حين تكون جسدا خاويا فيذكرون ما كنت فيه من الطغيان وما صرت إليه من الذلة والهوان جثة هامدة مفردة عن الأتباع والأنصار ، فقوله {ننجيك} من النجاة باعتبار إنقاذ الجثة من الضياع في البحر وإخراجها للناس ، وقيل: من النجوة أي نجعلك على نجوة خارج البحر ، والنجوة المكان المرتفع ، وقيل: ببدنك بدرعك .

والراجح التفسير بالمعنى المشهور فهو الظاهر {ننجيك} ننقذك من البحر بجسدك وقد بلغ أن جسده باق اليوم في مصر في متحف للآثار القديمة ، وبهذا تمت العبرة في فرعون وقومه المكذبين بآيات الله.

{ وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون } فهو جسد يتعجب منه في المتحف مع الغفلة عن الإعتبار به ، وهكذا يغفل كثير من الناس عن آيات الله.

}

(١٠٩٧/٢)

ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات } بعد أن كانوا مستضعفين يتيهون في الأرض ليس لهم وطن بوأهم الله مسكنا جيدا وهو فلسطين ولعله حين دخلوا القرية التي ذكرها في القرآن بقيادة يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام فعند ذلك كان لهم بلدة طيبة فيها بركات وفيها الماء

والثمرات ونحو ذلك من الصفات التي يصلح بها البلد مع عزتهم في بلدهم وأمنهم الذي لا يتم الإستقرار إلا به {ورزقناهم من الطيبات} فعظمت عليهم النعمة بتيسير الدين وحاجات الدنيا.
{ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم } {حتى جاءهم} علم الدين وعرفوا الحق فلم يختلفوا عن جهل بل لأجل اختلاف الأهواء كما هو شأن أهل السياسة أن يضللوا من لم يكن معهم ويدعوا أنهم هم أهل الحق ويتمسكوا بالشبهات والدعايات المضللة.
{ إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون } فليس بالأمر السهل ولا هو الإجتهاد والخطأ فيه وهكذا اختلفت هذه الأمة {فإن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون} وكما اختلف بنو إسرائيل من بعدما جاءهم العلم كتم كفارهم ما جاءهم في التوراة من علم رسالة محمد وعلاماته الدالة عليه اتباعا للهوى.
}

(١٠٩٨/٢)

فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك } {فإن كنت} يا محمد {في شك مما أنزلنا إليك} من القرآن وسائر الوحي لم تتيقن أنه صدق وحق من الله فسأل القراء من أهل الكتاب وهم الذين يتلونه حق تلاوته ولا يكتمون الحق ، وهذا فرض وتقدير كقوله تعالى {لئن أشركت ليحبطن عملك} وفائدته بيان أن علم رسالة محمد وتصديق ما أنزل الله إليه موجود عندهم في الكتاب الذي يقرؤونه.
{ لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين } والحق ما أنزل الله إلى عبده ورسوله محمد يقول الله له {لقد جاءك الحق} الذي ليس محلا للريب {فلا تكونن من الممترين} الشاكين المترددين في أنه الحق من ربك ، وفي قوله تعالى {من ربك} تنبيه على وجوب قبوله واتباعه ؛ لأنه من ربه المالك المنعم.
{ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين } هذا نهي من الله لعبده ورسوله ووعيده له إن كذب وهو تعبد من ربه يؤجر ويثاب إن أطاع ويعاقب إن عصى كسائر عباد الله ، وحاشا رسول الله من أن يعصي ربه متعمدا أو يشك فيما أنزل إليه أو يكذب بآياته لكن ذلك لا يمنع من أمره ونهيه تعبدا له كسائر عباد الله.
}

(١٠٩٩/٢)

إن الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم } :
{كلمات ربك} إما كلماته الدالة على أنهم يعذبون كقوله تعالى {أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار} حقت عليهم: وقعت عليهم وصدقت عليهم لأنهم مجرمون مصرون لا يتوبون أبدا ، فشملهم الوعيد بالعذاب ، وإما كلماته أنهم لا يؤمنون على اختلاف دلالتها المتفقة في أنهم لن يؤمنوا مثل ما مر في هذه السورة ومثل ما مر في سورة الأنعام حول قوله تعالى {ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ..}الآية ومرجع المعنيين واحد ، فيمكن شمول هذه الآية لهما معا ، وقوله تعالى {حتى يروا العذاب الأليم} أي العذاب الذي لا يقبل الإيمان عند رؤيته ، وفائدة هذا الخبر أو من فائدته أن لا يشغل رسول الله نفسه بالطمع في إيمانهم ومحاولة أن يؤمنوا أكثر مما قد وقع منه .
}

(١١٠٠/٢)

فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها } كلام في القرى الماضية الذين أهلكهم الله بكفرهم ولم ينفعهم الإيمان حين رأوا العذاب {فلولا} فهلا {كانت قرية آمنت} في حين الإختيار وقبل نزول العذاب ، ومعنى هذا أنهم أضاعوا فرصة النجاة وكانت ممكنة لهم فهو يعيب عليهم ذلك بقوله {فلولا كانت قرية آمنت} وفائدة ذلك تحذير الأحياء من أن يصيروا مصير الماضين.
{ إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين } استثنى قوم يونس لدخولهم في عموم ما قبله ؛ لأنه في معنى النكرة في سياق النفي لأنه يفيد أنها لم تؤمن قرية آمنت فنفعها إيمانها ، فصح استثناء قوم يونس وفي استثنائهم ترغيب في إيمان الكفار الأحياء لينفعهم الإيمان النفع العاجل ، وهو كشف العذاب العاجل في الدنيا مع التمتيع بالعيش ولذاته إلى حين ، فأما نفع الإيمان بالنجاة في الآخرة فهو يتوقف على أن يكون الإيمان خاتمة الحياة فليس السياق فيه ، وقوله تعالى {إلى حين} مجمل ولعله الأجل المسمى لكلهم أو لبعضهم.
{ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين } :

(١١٠١/٢)

لما بين تعالى أن بعض الكفار لا يؤمنون ، وأفاد أن بعض الماضين لم يؤمنوا في وقت نفع الإيمان ، وأن قوم يونس آمنوا في وقت نفع الإيمان فنفعهم إيمانهم بين في هذا أنه لم يعص مغلوبا وأن من لم يؤمن إنما بقي على كفره لأن الله أراد تركه على ما يختار لنفسه ولو شاء الله لم يتركه على ما اختار لنفسه

ولكنه اقتضت حكمته تمكين المكلفين من الطاعة والمعصية فترك كلا على ما اختار لنفسه ؛ لأنه غني عن طاعة المطيع والعاصي ولا تضره معصية العاصي ؛ ولذلك تركهم مختلفين منهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء لجعلهم جميعا مؤمنين مجتمعين على الإيمان ، وهذا تسلية لرسول الله عمن أبى الإيمان أن لا يأسف عليهم لأن الله لو شاء أن يجعلهم مؤمنين لجعلهم ولكنه شاء تركهم على ما اختاروا لأنفسهم {أفأنت} مع هذا {تكره الناس} على ما يصيرون به مؤمنين مختارين للإيمان موصوفين بالإيمان حقيقة هذا لا تستطيعه فهون على نفسك من محاولة إيمان من لا يؤمن.

}

(١١٠٢/٢)

وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون } {وما كان لنفس أن تؤمن} أي ما استقام كأنه لا يتصور أن يؤمن إذا لم يأذن الله أن تؤمن ؛ وذلك لأن الإيمان يتوقف على النظر في آيات الله والسلامة من أسباب الخذلان ، فمن استعمل عقله بالنظر في الآيات وكان سليم الفطرة فقد أذن الله أن يؤمن لأنه يسر له الإيمان أما من أهمل عقله وأعرض عن آيات ربه فالإيمان بعيد منه لتركه النظر في الدلائل التي يتوقف الإيمان عليها وعدم استعداده لقبول ما دلت عليه لأنه كاره له تأباه نفسه وترفضه فما كان له أن يؤمن وإن كان إيمانه ممكنا لو اختاره بأن يستعد في نفسه لقبول الحق وينظر في آيات الله بحيث يحصل شرط الإيمان ويذهب المانع لكن ذلك لا يكون ولا يقع ممن خذل وسلطت عليه الشياطين عقوبة له بتمرده وإفساده واستحقاقه للخذلان ، فبهذا يظهر خطر العناد على صاحبه وأن الله غني عن إيمانه ، وأفاد ذلك بقوله تعالى {وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس} قذر الخذلان واعتبر قذرا لأنه تحصل معه أقذار المعاصي وسلطان الشيطان.

}

(١١٠٣/٢)

قل انظروا ماذا في السموات والأرض } {انظروا} تفكروا بعقولكم {ماذا في السموات والأرض} من آيات الله ودلائل قدرته وعلمه.

{ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون } {وما تغني} حاصله ما تدفع عنهم الآيات لا تنقذهم من النار وأسبابها {عن قوم لا يؤمنون} ليس من شأنهم أن يؤمنوا لأنهم معرضون عن آيات الله فلا تنفعهم كثرة الآيات في السموات والأرض كما لا تفيد الأعمى كثرة الأنوار ؛ لأنه ليس من شأنه أن يبصر ،

والنذر: جمع نذير فهي لا تنفعهم لأنهم يكذبون بالنذر.
{ فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم } حين لم تنفعهم الآيات والنذر وأصروا على تكذيبهم بآيات الله وعنادهم {فهل ينتظرون} بعد آيات الله ونذره {إلا} العقاب العاجل وأيام {الذين خلوا من قبلهم} أيام العذاب النازل بالأمم الماضين ، وانتظارهم لذلك إما مجاز بمعنى أنهم كالمنتظرين له لأنه متوقع نزوله عليهم وهم مسببون له ، وإما مجاز بمعنى أنهم مطالبون به كقولهم: {متى هذا الوعد إن كنتم صادقين} فكأنهم منتظرون له ، ومثل هذا في مواضع من القرآن قال تعالى {ما ينظرون إلا صيحة واحدة} و{ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة}.
}

(١١٠٤/٢)

قل فانتظروا إني معكم من المنظرين } {قل} يا رسول الله {فانتظروا} أي إن كنتم تنتظرون مثل أيام الذين خلوا فانتظروا نزوله بكم ، أي أنتم أهل أن تنتظروا وهو مثل {اعملوا ما شئتم} لأن انتظارهم له بمعنى الإستمرار على التكذيب بالآيات والنذر والمطالبة بالعذاب إن كان النبي صادقا {إني معكم من المنتظرين} لنزول العذاب عليكم الذي يخصكم وينجو منه المؤمنون.
{ ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين } لما كان قوله تعالى {فهل ينتظرون ..}إلى آخر الآية تفيد نزول العذاب على الأمم الخالية وأن ذلك سنة الله في الذين خلوا عطف عليها بيان أن من سنة الله إنجاء الرسل ومن معهم من المؤمنين ، وقوله {كذلك حقا علينا} أي حق علينا حقا أن ننجي المؤمنين ، أي أن الله كتب على نفسه أن ينجي المؤمنين وهو وعد مؤكد ولم يذكر الرسل في آخرها ؛ إما لأن العلة في النجاة هي الإيمان والرسل هم أول المؤمنين ؛ وإما لأن المراد ننجي المؤمنين في المستقبل إن نزل العذاب في المستقبل وهو لا ينزل مع وجود الرسول فيهم.
}

(١١٠٥/٢)

قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله } {قل} يا رسول الله بعد الإحتجاج الكامل على صدقك وعلى بطلان الشرك {يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني} فلا أشك في بطلان دينكم {فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله} فأنا بريء من دينكم.
{ ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم } فلا تنجيكم آلهتكم من الموت فأي الفريقين أحق بالأمن فأنا أعبد

الله الذي بيده نفوسنا ، وأنتم تعبدون من دونه ما لا برهان لكم به.
{ وأمرت أن أكون من المسلمين } أي أمرني ربي أن أكون من المسلمين وجوههم وأنفسهم له ، فأنا في طاعته ولم تؤمروا بالشرك فانتبهوا لتوقنوا أنكم على باطل.
{ وأن أقم وجهك للدين حنيفا } أي وأمرت أن أقم وجهك للدين الذي هو الدين لأنه الدين النافع .
وقوله تعالى {حنيفا} قيل في تفسير الحنيف: الخاشع أو الخاشع المحب ، وهو أقرب من تفسيره بالمائل ، وأقم وجهك للدين: اجعل وجهك قيما مستقيما للدين لا يعوج عن الدين أولا يعوج عن إقباله على الدين وقبوله له وصلاحه له واستعداده له.
{ ولا تكونن من المشركين } نهي مؤكد عن الشرك أي قل يا أيها الناس ذلك القول ، {ولا تكونن من المشركين} بل تبرأ منهم وباينهم.
}

(١١٠٦/٢)

ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك } ولا تطلب من دون الله لمالا يقدر عليه إلا الله كشفاء مريض ونصر على عدو وبركة في مال أو ولد وحفظ من الأمر الغالب ، والقرينة لإرادة هذا هي السياق والحال ، وقوله {من دون الله} وقوله {ما لا ينفعك ولا يضرك} فكل ذلك يدل على أن المعنى لا تفعل كما يفعل المشركون الذين يدعون من دون الله شركاءهم ويرجون منهم ما يطلبون وهم لا ينفعون ولا يضرون.
{ فإن فعلت } ذلك { فإنك إذا من الظالمين } إذا: تأكيد للشرط وهذا تعبد من الله لعبده ورسوله وتحذير لسائر الناس من الشرك من حيث دلالته على أن رسول الله لو أشرك لكان من الظالمين المستحقين للعذاب بظلمهم الذي هو الشرك.
{ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو } أما شركاء المشركين فلا يكشفونه.
}

(١١٠٧/٢)

وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم } {وإن يردك بخير} يجعله لك {فلا راد لفضله} لأنه الغالب على أمره ، وهذا يدل على كفاية الله لعبده ، وأنه لا فائدة لعبادة من دونه كقوله تعالى {قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره

أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله} وقوله تعالى {يصيب به} أي بفضله {من يشاء من عباده} أي من الناس وغيرهم ، وفيه تنبيه على أن الله يصيب بفضله من يشاء من الناس لأنهم عباده وهو ربهم الذي خلقهم والذي يرزقهم ، ففيه تنبيه على بطلان الشرك ، وقوله {وهو الغفور الرحيم} لأنه يصيب بفضله المطيع والعاصي فكأن الإنعام على العاصي نوع من المغفرة والرحمة كقوله تعالى {وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا} ، وقوله تعالى {وهو الغفور الرحيم} كقوله تعالى في سبأ {بلدة طيبة ورب غفور}.
}

(١١٠٨/٢)

قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل } {قل} يا رسول الله {قد جاءكم} في هذا القرآن وفيما بلغتكم عن الله {الحق من ربكم} المالك لكم الذي له الحكم فيكم وعليكم وبينكم {فمن اهتدى} قبل الحق وآمن به واتبعه {فلنفسه} اهتدى لأن نفع الإهتداء له {ومن ضل} وغوي عن الحق {فإنما يضل عليها} أي على نفسه ؛ لأن ضر الضلالة عليه {وما أنا عليكم بوكيل} فلست مسؤولا عن ضلال من ضل ؛ لأني لست عليكم بوكيل ، فلم يوكل إلي أمر هدايتكم وضلالكم ليس علي إلا البلاغ ، وليس علي هداكم ، وهذا في خواتم هذه السورة من أحسن ما يختم به الحجاج.
{ واتبع } يا محمد { ما يوحى إليك } من ربك { واصبر } لحكم ربك على تبليغ الرسالة وما يكون من العناء والجهاد وأذى الأعداء ولطاعة ربك في كل أمر ونهي وعلى بلائه.
{ حتى يحكم الله } بينك وبين من أرسلك إليهم.
}

(١١٠٩/٢)

وهو خير الحاكمين } لأنه يحكم بالحق لا يحيف ولا يغلط ؛ لأنه العليم القدير الغني ، فاصبر حتى يحكم الله فتنال الثواب العظيم والسعادة الدائمة ويجزى المكذبون العقاب الشديد الدائم ، فتلك عاقبة لك وعليهم تستحق منك الصبر في هذه الحياة الدنيا ، فهو قليل بالنسبة إلى العاقبة الدائمة ، فقوله تعالى {حتى يحكم الله} كقوله تعالى {فاصبر إن العاقبة للمتقين} .

(١١١٠/٢)

جاهز

ijk

چ!٩#كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (١) (١)

---

(١) تفسير سورة هود وهي مكية

( ) . . . . { ijkچ!٩#كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (١) } :

{ آلر } قد مر الكلام في هذه الحروف في تفسير سورة الأعراف وسورة البقرة

}

كتاب } لم ينزل من السماء مصحفا مخطوطا ولكن أنزل الله القرآن على رسوله الذي لا يقرأ مخطوطا ولا يخط كتابا ، نزل به الروح الأمين على قلبه أنزله إليه على أنه كتاب يكتب ليحفظ وتتوارثه الأجيال فسماه كتابا { أحكمت آياته } جعلت آياته كما تقتضيه حكمة قائله محفوظة من كل نقص ومن كل عيب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد { آياته } دلائله الدالة على سبل الهدى ، وبعد إحكام معانيها فصلت في تعبيرها فجعلت بالتفصيل وهو جعلها ذات فصول تتمايز بها جملها وكلماتها حتى يتيسر تفهمها كلمة كلمة وجملة جملة ، وإن كان بعض هذا التفصيل تابعا لكونها بلسان عربي مبين فهي بينة لمن يتدبرها سليمة من التعقيد والترتيب بين الأحكام ، والتفصيل إنما هو متأخر في الرتبة لا في الزمن ، وقوله تعالى { من حكيم خبير } كالدليل على أنها أحكمت آياته وأنها فصلت لأن قائلها حكيم جعلها مطابقة لمقتضى الحكمة ومقتضى خبرته بإفهام عباده وما هو أصلح لتفهيمهم وماهم به يفهمون كما أنه خبير بالعبارات بينها وغامضها وغير ذلك من شأنها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١١١/٢)

ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير (٢) (١)

---

(١) . { ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير (٢) } :

هذا من تفسير الكتاب وبيان مضمونه جملة وخلاصة معانية وقد أجري التعبير فيه عن الرسول لأنه

والكتاب كالشيء الواحد فكأن ذكر الكتاب ذكر للرسول وقد مر اعتبارهما كالشيء الواحد ، وهو ظاهر في قوله تعالى { قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم آيات الله } ونظير جعل التعبير عنه قوله تعالى في الملائكة

{

وإنا لنحن الصافون } وقوله تعالى { أن لا تعبدوا إلا الله } يفيد النهي عن الشرك في العبادة وتشريع العبادة لله وحده ، وأتبعه بقوله { إنني لكم منه } أي من الله بشير ونذير ؛ لأنه ينذر المشركين بعذاب شديد كما هو مبين في موضع آخر من الكتاب ، بل وينذر المكذبين بآيات الله وسائر المجرمين المصرين بعذاب النار ويبشر المؤمنين المتقين بجنات النعيم ، كل ذلك مبين في الكتاب وعلى المرسل إليهم تفهم ما أوجزه هنا طلبا للنجاة مما أنذرهم فهو أمر تدعو إليه فطرة العقول ، والعبادة تشمل طاعة الله في العبادات والمعاملات والمواريث والأخلاق بامتثال أمره واجتناب ما نهى عنه وتشمل اتباع ما أنزل على رسوله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١١٢/٢)

وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير (٣) (١)

---

(١) . { وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله } :

وهذا بيان معطوف على البيان الأول ، وقوله { استغفروا ربكم } دعوة للمشركين وهم عامة الناس وجمهورهم يوم نزول الكتاب لم ينج منه إلا القليل وكان الفساد ظاهرا بسبب الجاهلية بالشرك على اختلاف أنواعه وبغيره من المنكرات ، فالمخاطبون بهذا محتاجون إلى طلب المغفرة من ربهم الذي لا يغفر الذنوب إلا هو ، وطلب المغفرة يستلزم التخلي عما يستغفرون منه من الشرك وغيره ؛ لأن الطلب الجاد الذي هو المراد شأنه ترك الإصرار على ما يستغفر منه الطالب وإلا كان لغوا وهو خلاف المراد ، ولذلك رتب عليه وعلى التوبة { يمتعكم متاعا حسنا } { ويؤت كل ذي فضل فضله } وقوله تعالى { ثم توبوا إليه } أي ثم ارجعوا إليه تشبيه للعبد العاصي بالعبد الآبق ، فإذا خرج عن العصيان بالإقلاع

عنه والعزم على الطاعة والندم على ما مضى والشروع في الطاعة كان كالعبد الذي كان آبقا فرجع إلى سيده مطيعا ، فظهر أن التوبة تتضمن الطاعة لله ورسوله فأفاد الإستغفار النطق بالشهادتين في حق من كان كافرا وأفاد { ثم توبوا } الطاعة لله رسوله وذلك لفوائد :

الأولى: أفادها قوله تعالى { يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى } وذلك يتضمن النجاة من العذاب العاجل الذي يتعرض له الكافرون .

والثانية: الثواب على الإيمان والعمل الصالح والطاعة وذلك هو الفضل الذي به يتفاضل الناس ويؤتونه يوم القيامة بأن يوفوا أجره وهو يعم الواجب وكل قربة وهذا لأنه مع الإستغفار والتوبة يكون مقبولا بخلاف عمل المجرم فلذلك رتب الوعد المذكور على الإستغفار والتوبة .

الثالثة: أفادها قوله تعالى :

{ وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير (٣) } :

{ وإن تولوا } وإن تدبروا عن الطاعة { فإني أخاف عليكم عذاب } النار وهو عذاب اليوم الكبير يوم القيامة ، وصف هنا بأنه كبير ، وفي سورة عظيم وذلك لما فيه من القضاء الكبير بثواب لأولياء الله عظيم دائم وعذاب لأعداء الله شديد دائم ، وما فيه من الأهوال على أعداء الله والبشرى لأولياء الله ، وما فيه من جمع الناس كلهم والحكم فيهم لكل نفس بما أسلفت .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١١٣/٢)

إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير (٤) (١)

---

(١) . { إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير (٤) } :

هذا تمام البيان الذي بدأ ب(أن) المفسرة في قوله { أن لا تعبدوا إلا الله } وقوله تعالى { إلى الله مرجعكم } حث على الحذر من اليوم الكبير لأنهم إلى الله وحده مرجعهم لا يجدون من دونه وليا ولا نصيرا { وهو على كل شيء قدير } فهو قدير على إعادتهم بعد الموت وعلى تعذيبهم إن لم يتوبوا وعلى كل شيء ، فعليهم أن يحذروا بأسه ويطلبوا رحمته ؛ لأنه يفعل ما يريد ، ففي هذه الآيات دعوة ينبغي لكل عاقل أن يصغي لها سمعها ويفكر بقلبه ليؤمن بربه ويعبده وحده ويستعد لمرجعه إليه فقد أفادت التوحيد والقيامة والنبوة وغير ذلك من مهمات الدين كما ترى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/١١١٤)

ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور (٥) (١)

---

(١) . { ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور (٥) } :
{ ألا } حرف تنبيه وكأن سببه التعجب من إعراض الكفار عن النذير الذي ينذرهم العذاب الشديد ، فإن من شأن العاقل أن يحذر ما ينذر ، ولكونه أمرا ينبغي التعجب منه أكده بقوله { إنهم } من حيث أن شأنه أن يكون بعيدا وقوعه يستبعده السامع ، وقوله تعالى { يثنون صدورهم } :
قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليه السلام معنى { يثنون صدورهم } أي يردون صدورهم مدبرين بعد إقبالهم [كذا] وراجعين عن القرآن مستخفين منه لئلا يسمعوه انتهى .

فجعله من ثناه بمعنى صرفه ، وقال الراغب: ويقال للاوي الشيء قد ثناه نحو قوله تعالى { ألا إنهم يثنون صدورهم } انتهى المراد ، وله معنيان : ثناه بمعنى عطفه ، وبمعنى رد بعضه إلى بعض ، وهذا لا يتصور في الصدر ، وثناه بمعنى لواه وصرفه وحوله وهو الراجح هنا ، وقوله { ليستخفوا منه } يحتمل أن الضمير في { منه } للقرآن فالمعنى فيه: يتحولون بصدورهم ووجوههم ليستخفوا أي لئلا يسمعوه ، أو أن الضمير للرسول عند تلاوته للقرآن يثنون صدورهم وهم بين الناس ليستخفوا من الرسول حتى لا يعرفهم لئلا يعلم أن قد سمعوا القرآن وقامت عليهم الحجة به ، والأقرب أن المعنى أنهم يكرهون سماع القرآن فلكراهتهم له يحولون أعاليهم عن وجهته ليتخبئوا منه كراهة لاستماعه كما يستغشون ثيابهم لهذا الغرض ، وعلى هذا فهم يحولون أعاليهم ويحنون ظهورهم كما في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام وحني الظهر يفهم من قوله { ليستخفوا منه } وعلى هذا فالضمير في { منه } للقرآن أي ليتخبئوا من استماعه كراهة له .
{ ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور (٥) } :
{ يستغشون ثيابهم } كما فعل قوم نوح ، وقوله تعالى { يعلم ما يسرون وما يعلنون } وعيد لهم بسبب ما يسرون في تلك الحالة من كراهة القرآن والإصرار على الإعراض عنه ،

وعلى الكفر وما يعلنون من ثني صدورهم واستغشاء ثيابهم { إنه } تعالى
{ عليم } بما هو أخفى من ذلك ذات { الصدور } التي لا تظهر منها إلى اللسان أو الوجه أوالجوارح
بل لم تزل مخبوة في الصدور ، ولعلها التي تخفى على صاحبها ولا ينتبه لها تحقيق لإحاطة علمه بكل
ما يخفى وكل ما يعلن والله أعلم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف
إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١١٥/٢)

---

* وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين (٦) (١)

---

(١) . { * وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين (٦)
} :

فيها فوائد راجعة إلى ما مر ، فمنها: إفادتها أنه تعالى الرازق فهو المنعم الذي يستحق أن يعبدوه شكرا
على نعمه وأن لا يعبدوا غيره من شركائهم ؛ لأنهم لا يرزقونهم ولا يملكون لهم رزقا فابتغوا عند الله
الرزق ، ومنها: إفادتها سعة علمه بأحوال عباده فهو يعلم ما يحتاجون ويعلم إن دعوه لحاجة يعطيها أو
لكشف مهمة فهذه تناسب قوله تعالى { أن لا تعبدوا إلا الله } ومنها: مناسبتها لقوله تعالى { إلى الله
مرجعكم وهو على كل شيء قدير } فخلقه لكل دابة وتكفله برزقها دليل على سعة علمه وقدرته ، فهو
قادر على البعث بعد الموت لكل فرد ، وكذلك قوله تعالى { ويعلم مستقرها ومستودعها } فهو يعلم
مستقر كل حيوان كبير أو صغير من الذرة إلى الفيل يحيط علمه بأحوالها أين تستقر من ظهر الأرض أو
بطنها أو في الجبال أو في الشجر أو في أوكار الطيور أو في الماء كل دابة على حدة يعلم مستقرها
ومستودعها ، والمستقر: المسكن الذي يسكن فيه الحيوان ، أما المستودع: فالراجح أنه محله بعد
وفاته من قبر أو غيره سمي مستودعا لأنه أودع فيه ليبقى إلى يوم البعث ، فعلم الله تعالى محيط به في
أي مكان كان .
وقال الشرفي في [المصابيح]: ومستودعها حيث كانت مودعة من صلب أو رحم أو بيضة انتهى .
وقد عطف المستودع على المستقر هنا وفي سورة الأنعام فيرجح تقدم المستقر قبل المستودع ، والله
أعلم .
وقوله تعالى { كل في كتاب مبين } أي معلوم لا ينسى كقوله تعالى { قال علمها عند ربي في كتاب لا

يضل ربي ولا ينسى } .
قال الشرفي في [المصابيح]: ثم قال عز وجل { كل } أي من الدواب والأرزاق والمستقر والمستودع { في كتاب مبين } أي في علم الله العليم ، ولكنه ضرب المثل بالكتاب المبين كذا عن القاسم والهادي وغيرهما من أئمتنا عليهم السلام انتهى المراد .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١١٦/٢)

وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء (١)

---

(١) . { وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء } :
وهذه تناسب قوله تعالى { إلى الله مرجعكم } من حيث دلالتها على قدرته على البعث وتناسب قوله { ألا تعبدوا إلا الله } من حيث دلالتها على قدرته وعلمه ، وقوله
}
في ستة أيام } تنبيه على عظم قدرته حيث خلقها على كبرها في ستة أيام ، أي مقدار ستة أيام ، وحمل الأيام على أيام الأرض المعهودة أرجح لأنه المتبادر عند العرب ؛ ولأنه أنسب للسياق من حيث دل على عظم قدرة الله تعالى حيث خلقها في المدة القصيرة على عظم السموات والأرض ، وكذا قوله تعالى { قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين } خطابا للعرب الذين ينكرون قدرته تعالى على إعادتهم بعد الموت ، وتأويلها بأيام من أيام غير الأرض خلاف الظاهر ، وتفسيره بمطلق الأوقات يبطل فائدة التحديد بيومين ثم بأربعة أيام بل لا يبقى لذكر الأيام فائدة تذكر ؛ لأن خلقها لا موجب لذكر وقته إذا لم يكن له حد محدود مفهوم يؤدي إلى معرفة عظم قدرته تعالى وتأويله بأطوار الخلق خلاف الظاهر ؛ لأن أطوار الخلق من الخلق لا من زمانه ، وأما قوله تعالى { وكان عرشه على الماء } ففي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: معناه العز والسلطان انتهى .
وفي [مصابيح الشرفي] رحمه الله: قال القاسم عليه السلام تأويله وكان [ظن] كل ملك الله على الماء إذ ليس إلا الماء كما ملكه اليوم على الأرض والسماء وعلى جميع ما فيهما من الأشياء انتهى .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١١٧/٢)

ليبلوكم أيكم أحسن عملا (١) ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين (٧) (٢)

(١) . { ليبلوكم أيكم أحسن عملا } :
{ ليبلوكم } تعليل لخلق السموات والأرض وبيان أنه تعالى خلقهما ليبلو أي ليختبر الناس أيهم { أحسن عملا } ويترتب على هذا الإبتلاء الجزاء كما قال تعالى { وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت } ولكن الجزاء للعمل الحسن والأحسن هو بالثواب عليهما ، فثواب المحسنين غاية مستقلة مقصودة بخلق السموات والأرض ، وذلك أي خلق السموات والأرض من دلائل البعث ؛ ولذلك عطف قوله تعالى :
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين (٧) } :

فهم مكابرون مكذبون بالقرآن الدال بإعجازه على أنه من الله ليس سحرا ، وهو يدعوهم إلى عبادة الله وحده وينذرهم عذابا شديدا ، ويبين لهم دلائل قدرة الله وعلمه المحيط بكل شيء فيجحدون البعث والجزاء الذي من أجله خلق الله السموات والأرض فما أضلهم وما أبعدهم عن نفع أنفسهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١١٨/٢)

ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه (١) ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون (٨) (٢)

(١) . { ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه } :
وهذه منهم حماقة عجيبة ؛ لأنهم قد تعرضوا لعذاب الله ولو قد نزل لندموا حين لا ينفعهم الندم وليس بالأمر السهل .
وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: وقوله تعالى { إلى أمة معدودة } معناه أجل معدود انتهى

.

ومعنى { ما يحبسه } ما يمنع نزوله وإصابتهم به ؟ وهو استهزاء بوعد الله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون (٨) } :

}

ألا } حرف تنبيه ينادي بغفلتهم المهلكة لهم { ألا يوم يأتيهم } العذاب لا يرتد عنهم ولا يصرفه عنهم صارف ولا إيمان عنده ولا قوة ولا ناصر ولا شافع { وحاق بهم } أحاط بهم { ما كانوا به يستهزئون }

.

قال الشرفي في [المصابيح]: وقوله { ما كانوا به يستهزئون } وضع يستهزئون موضع يستعجلون ؛ لأن استعجالهم كان على جهة الإستهزاء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور (٩) ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور (١٠) إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير (١١) (١)

---

(١) . { ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور (٩) ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور (١٠) إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير (١١) } :

}

أذقنا الإنسان } نعمة شأنها أن تبعثه في كل حال على رجاء الخير منا ؛ لأنها رحمة مبتدأة فمن حقه لو استعمل عقله أن يرجو من ربه مثلها وأمثالها { ثم نزعناها منه } نزعنا منه تلك النعمة فمصائب الدنيا كلها إنما هي نزع نعمة { إنه ليؤوس } كثير اليأس والقنوط من رحمة الله { كفور } لنعمة الله فهو ينساه ويغفل في حالة اليأس عن كون الخير من ربه ينعم به على عبده ابتداء وقد كان في نعمته قبل نزعها فكيف لا يرجو منه الخير

{ كفور } يحتمل كفور لنعمة ربه ويحتمل كفور بقنوطه { إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون } وصح بعد قوله { يؤوس } لتعدد المفهوم فكأنه قال يؤوس كفور بقنوطه.

{ ولئن أذقناه نعماء } قد وجد لذتها وتحققها { بعد ضراء مسته } من فقر أو غيره { ليقولن ذهب السيئات عني } ذهب عني ما يسوءني وصلحت حالتي لا يهمه إلا نفسه ، فإذا زالت عنه الضراء ووجد لذة النعماء لم يشكرها بل يفرح بها ويفخر على غيره بها فيقول { ذهب السيئات عني } سرورا بها واطمئنانا إليها وفخرا على من ليس له مثلها ، وما كان ينبغي للإنسان إلا أن يصبر عند البلاء ويشكر ربه عند الرخاء ، وقد استثنى الله المؤمنين فقال تعالى:

{ إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير (١١) } :

لأنهم يصبرون على بلاء الله وتقواه ويعملون الصالحات شكرا { أولئك } أهل هذه الصفات { لهم مغفرة } لخطيئاتهم { وأجر كبير } على أعمالهم الصالحات ، فبشرهم بالنجاة من العقاب والفوز بالثواب وهذه الأيات تدل على أن الإنسان أقرب إلي الكفر والغرور منه إلى الإيمان والشكر ولذلك رتب على ما حكى عن الكفار من العناد قوله تعالى :

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٢٠/٢)

فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك ٧،ح !$|تur به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل (١٢) (١)

---

(١) . { فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك ٧،ح !$|تur به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل (١٢) } :

فثقيل عليك تبليغهم حتى كأنك تعجز عن بعضه مع شدة كتمانه عليك وضيق صدرك بحيث إنك تطلب التنفس بتبليغه من جهة ضيق صدرك عن كتمانه ويثقل تبليغهم من جهة عنادهم وبعدهم عن قبوله وكراهتك أن يقولوا كفرا وجدالا بالباطل { لولا أنزل عليه } أي على محمد { كنز } لأنه لا يهمهم إلا الدنيا وأغراضها ويعتبرونها الخير كله ومن قولهم الذي تحاذره { أو جاء معه ملك } رسولا إلينا احتقارا لمحمد لقلة ذات يده وقلة أتباعه في أول الإسلام فيرونه ليس أهلا للرسالة وحده ولو كان معه ملك لكان عندهم أهلا أن يؤمنوا به لمكان الملك فرد الله عليهم بقوله { إنما أنت نذير } تنذرهم العذاب

الشديد فلا تحتاج إلى كنز ولا إلى مقارنة ملك رسول معك لأن الإنذار يتم بدون ذلك ، ولا تدعي أمرا يتوقف على الكنز أو الملك ، وقد تم الإنذار بآيات الله الدالة على صدقك { والله على كل شيء وكيل } فأمرهم إليه وإليه مآبهم وعليه حسابهم فكل أمرهم إليه واثبت على إنذارهم وتبليغهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٢١/٢)

أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين (١٣) (١)

---

(١) . { أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين (١٣) } :
}
أم يقولون } إضراب عن توقع قولهم { لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك } إلى السؤال أيقولون { افتراه } أي افترى هذا القرآن على الله وليس من الله { قل } يا رسول الله فإن كنت افتريته { فأتوا بعشر سور مثله } في الحكمة والإحكام { مفتريات } تفترونها أنتم وغيركم فإنه إذا أمكن أن افتريه أمكن غيري أن يأتي بمثله مفترى ، وهذا جواب مسكت لأنهم أرادوا أن القرآن ليس معجزة ، فإذا لم يكن معجزة فليأتوا بمثله وقوله { قل فأتوا بعشر سور مثله } التحدي بأن يأتوا بحديث مثله في حكمته وإحكامه وإنما تذكر السورة والعشر لتوضيح عجزهم ، وإذا عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله فهم عاجزون عن الإتيان بعشر ولا تعارض لأنهم إذا عجزوا عن الإتيان بعشر فقد تحداهم في موضع آخر بسورة فلو استطاعوا سورة وجاءوا بها لأبطلوا التحدي بسورة ، وإذا بطل التحدي بسورة بطل التحدي بعشر ؛ لأن ما كان من مقدور البشر لا يختلف فيه السورة الواحدة والعشر في إمكان الإتيان به غاية ما في الأمر أن تحتاج العشر إلى وقت أطول أو إلى أعوان أكثر فلوا استطاعوا السورة لاستطاعوا العشر .
فإن قيل: فما فائدة ذكر العشر ؟ فالجواب إن المكابر يصلح له ما هو أوضح في عجزه لإسكاته مع أن التحدي بالعشر صحيح ؛ لأنه لو كان القرآن قول البشر لاستطاعوا العشر لأنه لم يحدد لها وقتا ولا عددا من الناس وغيرهم بل قال { وادعوا من استطعتم } أي ليعينكم على تحصيل العشر السور ، وقوله تعالى { من دون الله } يطابق قولهم افتراه ؛ لأنهم أرادوا ليس من الله فتحداهم أن يأتوا بعشر ليست من الله ، وقوله تعالى { إن كنتم صادقين } أي في قولكم { افتراه } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٢٢/٢)

فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون (١٤) (١)

---

(١) . { فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون (١٤) } :

{ فإن لم يستجيبوا لكم } أي من دعوتموهم لمعاونتكم على الإتيان بعشر سور من مثله لم يستجيبوا لكم إلى الإتيان بعشر والمعاونة عليها ؛ لأنهم آيسون من ذلك لعلمهم أن هذا القرآن معجز { فاعلموا } أيها الكافرون بوضوح الدليل القاطع أنه من الله أنزله بعلمه بالحكمة والإحكام الذي يعجز البشر عنه لقصور علمهم وعلمه تعالمحيط بكل شيء بالحكمة التي لا يحيط بها البشر والإحكام الذي يعجز عن مثله البشر ومحيط بقلوب البشر ونفسياتهم وما هو أحسن أثرا فيها من أسلوب التعبير وغيره لمن يهتدي بالقرآن .

وقوله تعالى { وأن لا إله إلا هو } أي واعلموا أن لا إله إلا هو ؛ لأن الله قد بين في القرآن أن لا إله إلا هو ، وقد صح أن القرآن كلام الله أصدق القائلين ، فالحجة هذه تثبت أن القرآن كلام الله وتثبت بطلان الشرك وأن لا إله إلا الله ، وقوله تعالى { فهل أنتم مسلمون } أي بعد وضوح هذه الحجة هل أنتم مسلمون لله وجوهكم مخلصون له العبادة ؟ لأنكم قد دعوتم من استطعتم ليعينوكم فمن هو مظنة إسعادكم لمشاركته لكم في الكفر وحرصهم على حماية دينهم وإبطال دين محمد فأبوا وهذا طبيعي أن لا يدعوا إلا من هو عندهم مظنة إسعادهم دون المؤمنين .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٢٣/٢)

من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون (١٥) أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون (١٦) (١)

(١) . { من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون (١٥) أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون (١٦) } :
}
من كان يريد الحياة الدنيا } يريد أن يعيش في هذه الحياة العاجلة { وزينتها } يريد المال والبنين وسائر ما تتزين به الحياة الدنيا من شهواتها ، والمراد إرادتها القوية التي تكون أرجح من إرادة الآخرة ، فالمعنى من كان يختار ويؤثر الحياة الدنيا وزينتها بدليل المقابلة بينه وبين من يريد الآخرة في غير هذا الموضع { نوف إليهم أعمالهم فيها } نوصل إليهم ثمرة أعمالهم وفائدتها على ما جرت به سنة الحياة الدنيا تمهيلا لهم واستغناء عن عملهم للآخرة فإذا حرث أحدهم وبذر نال ما ناله غيره من الزرع ، وهكذا سائر الأسباب وإن إختلف الناس في تحصيل مطالب الحياة بسعيهم فليس المراد إلا أن اختياره للدنيا وزينتها لا يمنع في الغالب من تحصيل ما جرت به سنة الحياة وأسباب الرزق والمطالب كما قال تعالى { ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها } وقال تعالى { من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد } وما حصل من فائدة عمله فهو توفية عمله قليلا كان أو كثيرا ؛ لأنه ثمرته وفائدته ، وقوله تعالى { وهم فيها لا يبخسون } لا ينقصون في الدنيا شيئا من سعيهم لها ، وهذا مطلق مقيد بما إذا استحق عقوبة عاجلة واقتضت الحكمة تعجيلها فهو عارض بالنسبة إلى العادة ، وذلك مثل ما أصاب آل فرعون من النقص في الثمرات لعلهم يذكرون ، ومثل ما أصاب أصحاب الجنة المذكورين في سورة نون ، وما هو مشاهد مما يصاب به الناس في أموالهم مما ظهوره للسامع يغني عن استثنائه في الكلام .
وقوله تعالى { أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون } :

قال الشرفي في [المصابيح]: قال الهادي عليه السلام { أولئك } فهم الأولون المذكورون بالميل إلى الدنيا وزينتها والرضى بما فيها من زخرفها دون ما هو خير منها ، فأخبر الله سبحانه أنه لا نصيب لهم في الآخرة ..إلخ .

وفي هذه الآية دلالة على أنهم لا يدخلون الجنة ولا يخرجون من النار ، وقوله تعالى : { وحبط ما صنعوا فيها } أي حبط في الآخرة ما صنعوا في الدنيا فلم ينفعهم في الآخرة وإن كان من عمل الخير كالإحسان إلى الناس والأعمال الدينية التي لم يعملوها إلا للعادة والعرف وللحذر من أن يعيب الناس عليهم تركها لا للتقرب إلى الله والإخلاص له أو كانت مقرونة بالجرائم والإصرار عليها فلم تكن مقبولة ، وقوله تعالى { وباطل ما كانوا يعملون } الباطل هنا مثله في قول موسى { إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون } فالمراد أن عمارة الدنيا وخدمتها التي ضيعوا أعمارهم فيها وأتبعوا أنفسهم فيها قد ضاعت وصارت كأن لم تكن من حيث بطلان نفعها ومصيرها كالأحلام ، وهاتان الآيتان تضمنتا وعيد القائلين { افتراه } لأن الباعث لهم على الكفر إيثار الدنيا وزينتها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٢٤/٢)

أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به (١)

---

(١) . { أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به } :

}

أفمن كان على بينة من ربه } قلتم فيه { افتراه } وهو على بينة من ربه بينت له أن القرآن هو الحق من الله { ويتلوه } في أنه على بينة من ربه { شاهد } بصدقه شهادة مبنية على بينة من ربه ، وهذا الشاهد هو الإمام علي عليه السلام جعله الله لمحمد كما جعل لموسى هارون ردأ يصدقه ، ويدل على أنه الشاهد قول الله تعالى { ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب } فقد دل على أن من عنده علم الكتاب شهيد بصدقه وعلي عليه السلام هو الذي عنده علم الكتاب جملة وتفصيلا ، أما جملة فعلمه أنه من الله وأنه الحق يهدي إلى التي هي أقوم ونحو هذا من صفاته جملة ، وإما تفصيلا فلإحاطته بمعانية على التفصيل ، أما دلالة الكفار على صدق شهادة علي عليه السلام فهي سلوكه في اتباعه للنبي وجده في نصرته وصبره على تحمل الشدائد في ذلك في حال قلة المؤمنين وضعف حالهم مما يدل على أنه على بصيرة من أمره وبينة من ربه ورسوخ في إيمانه ، فهو شاهد له بالصدق بعمله وتفانيه في نصرته مع شهادته له بلسانه ، وهذا مع الروايات الواردة في أنه عليه السلام هو الشاهد ، وفي أنه الذي عنده علم الكتاب :

ففي [الدر المنثور] للسيوطي : أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في [المعرفة] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما من رجل من قريش إلا نزل فيه طائفة من القرآن فقال له رجل: ما نزل فيك ؟ قال : أما تقرأ سورة هود { أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه } رسول الله صلى الله عليه على بينة من ربه وأنا شاهد منه .

وأخرج بن مردويه وابن عساكر عن علي رضي الله عنه في الآية قال : رسول الله على بينة من ربه وأنا شاهد منه .

وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله

{ أفمن كان على بينة من ربه } أنا { ويتلوه شاهد منه } قال : علي انتهى .

وقد أورد روايات مخالفة بعيدة لا تناسب قوله { يتلوه } أو قوله { شاهد } .
قال الشرفي في [المصابيح] بعد ذكر الأقوال المخالفة في تفسير الشاهد: واعلم أن الأقوال كلها ملفقة ضعيفة بل هي تشكيك في معنى الآية لا بيان ، والحق أن المراد بالشاهد علي عليه السلام كما مر دليل ذلك يتلو النبي أي يتبعه شاهد على الأمة منه أي من لحمة النبي وهذا تفسير أئمة الهدى أهل البيت عليهم السلام ، ومروي عن علي عليه السلام وغيره :
من ذلك ما روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتابه [شواهد التنزيل] بإسناده إلى المنهال بن عمرو عن عبد الله عن علي عليه السلام { أفمن كان على بينة من ربه } قال : هو رسول الله ويتلوه شاهد منه قال أنا الشاهد منه ، قال الحاكم: وله طرق عن الأعمش وطرق عن المنهال والحارث عنه أي علي عليه السلام .
وروى الحاكم أيضا بإسناده إلى ابن عباس { أفمن كان على بينة من ربه } قال : هو النبي { ويتلوه شاهد منه } قال هو علي بن أبي طالب عليه السلام ذكر الحاكم روايات كثيرة تضمن هذا المعنى ، وقوله: رسول الله على بينة من ربه موافق لقول الله تعالى { لقد رآى من آيات ربه الكبرى } .
{ ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة } وكتاب موسى هو التوراة { إماما } قائدا متبوعا { ورحمة } نعمة وهدى فهو مصدق لرسول الله بالتبشير به وذكر علاماته ، ويحتمل أن المراد أن الله قد أنزل التوراة على موسى ليتبعها ويهتدي بها بنو إسرائيل فكيف لا ينزل القرآن على محمد إماما ورحمة والعرب في أمس الحاجة إليه ومن قبله كتاب موسى ، وهذا القرآن مصدق لذلك الكتاب مطابق له في أصل الدين كقوله تعالى في سورة الأحقاف { وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا } وهذا الوجه أقرب عندي والله أعلم .
ويمكن الجمع بين الوجهين الأخيرين وهما يفيدان معنى الوجه الأول ، وقوله تعالى { أولئك يؤمنون به } أي من كان على بينة من ربه مؤكدا بالشاهد منه وبمكانة كتابه من كتاب موسى يؤمن به أي بالقرآن وإن قال المكابرون { افتراه } .
ووجه الجمع مع كون مدلوله فردا أن الكلام فيه خرج مخرج الإبهام الذي يصلح للكثير والقليل ، وفائدته التعليق على الصلة وما عطف عليها من غير نظر إلى أنه محمد فمفهومه غير محدود بفرد ، وإنما كان مدلوله فردا لأنه صدق عليه الكلام وحده فناسبه الإتيان بعبارة الجمع في قوله تعالى { أولئك } ولعل من هذا الباب قوله تعالى
{ والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده (١)

---

(١) . { ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده } :
فالنار مكانه الذي وعد الكون فيه ، والأحزاب جمع حزب يعم أحزاب الكفار من قريش ومن معهم ومن اليهود ومن النصارى وغيرهم ، قال الراغب: الحزب جماعة فيها غلظ ، يعني كثرة ، وفي [الصحاح]: حزب الرجل أصحابه ، ثم قال: والأحزاب الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم السلام انتهى ، وفي [لسان العرب]: الحزب جماعة الناس ، والجمع أحزاب ، والأحزاب جنود الكفار تألبوا وتظاهروا على حزب [كذا] النبي وهم قريش وغطفان وبنو قريضة ، ثم قال: وحزب الرجل أصحابه وجنده الذين على رأيه والجمع كالجمع .. إلخ .
فظهر أنه يستعمل مفيدا لمعنى التحزب والتعاون أو اتحاد الطريقة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٢٦/٢)

فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (١٧) (١)

---

(١) . { فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (١٧) } :
{ فلا تك في مرية } في شك { منه } من القرآن أي اثبت على يقينك به وإيمانك وإن قال الكفار { افتراه } وإن كثر الكافرون به وقل المؤمنون { إنه الحق من ربك } ولهذا تكون به محقا والكافرون به مبطلين فأنت على الحق والكافرون على الباطل ، فلا تلتفت إلى كلامهم في القرآن ولا إلى كثرتهم { ولكن أكثر الناس لا يؤمنون } فسبب كفرهم عدم صلاحيتهم للإيمان لميلهم إلى الباطل واتباعهم أهوائهم لا كون القرآن محل مرية ، فإعجازه المعلوم يدفع ذلك وكذا رسول الله لا يكون في مرية منه لأنه معصوم وهو أول المؤمنين ولكن هذا تعبد له يثاب على الطاعة فيه وليستفيد به غيره والله أعلم .
وقوله تعالى { إنه الحق من ربك } يفيد أنه الحق من المالك المنعم فلا خيار لعبده في قبوله أو رده أو في الإيمان به أو الكفر به .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٢٧/٢)

ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين (١٨) (١)

---

(١) . { ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين (١٨) } :

من أظلم ؟ سؤال في معنى النفي يفيد أنه لا أظلم ممن افترى على الله كذبا

{ أولئك } أهل هذا الظلم { يعرضون } يوم القيامة { على ربهم } يوم الحساب والجزاء

{ ويقول الأشهاد } وهم الأنبياء شهود على من عرفوه في عصرهم والهداة من بعدهم في كل أمة شهيد منهم ، ولعل من الأشهاد الملائكة الكاتبين لأعمال الناس وتأديتهم للشهادة تنديد بالظالمين وفضيحة لهم وتوبيخ { ألا لعنة الله } مستمرة على الظالمين أي طردهم من رحمة الله ففي الدنيا طردوا من رحمة الله بأن لم يوفقوا للتوبة وخذلوا حتى ماتوا مطرودين من رحمة الله وحشروا ملعونين وعرضوا على الله ملعونين لا نصيب لهم من رحمة الله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٢٨/٢)

الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون (١٩) (١)

---

(١) . { الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون (١٩) } :

هذا تفسير للظالمين الملعونين اللعنة المذكورة ولا ينافي أن غيرهم ملعون إذا استحق مثل لعنتهم وإنما السياق في المكذبين بآيات الله الذين يقولون { افتراه } فخصهم بالذكر زجرا لهم وتحذيرا لغيرهم والله أعلم ، وقوله تعالى { ويصدون عن سبيل الله } إن كان يصدون الذي مصدره الصد فمعناه يصدون

غيرهم وهو أظهر هنا ؛ لأنه أوفق للسياق ، وإن كان من الصدود فمعناه يعرضون ، وسبيل الله دينه الذي ارتضاه لعباده ، وقوله تعالى { ويبغونها عوجا } يتطلبون لها عوجا والعوج ضد الإستقامة والإستواء وذلك بجدالهم فيها أي في سبيل الله وتقولهم فيها ، ولعل تكرار الضمير في قوله تعالى { وهم بالآخرة هم كافرون } للتأكيد من حيث أن السياق في ذكر أسباب لعنتهم الدائمة لفتا للسامع إليهم ليكونوا عبرة لغيرهم والله أعلم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٢٩/٢)

أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون (٢٠) (١)

---

(١) . { أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون (٢٠) } :

هذه الآية الكريمة تمثل حالهم في موقف العرض على الله حين تذكر بما كانوا عليه من كراهتهم للحق وإعراضهم عن سماع آيات الله وإبصار دلائل الكون بسبب كراهتهم للإيمان واستكبارهم عنه حتى كأنهم ما كانوا يستطيعون ولا كان لهم بصر يبصرون ، وتبين الآية استحضارا لذلك الموقف أنهم لم يكونوا معجزين في الأرض فلو شاء لعجل لهم العذاب في أول كفرهم لكنهم لحكمته آخرهم حتى انتهى أجلهم الذي أجل لهم { وما كان لهم } في الدنيا ولا في الآخرة { من أولياء } كما كانوا يزعمون في الذين اتخذوهم من دون الله أولياء فلم يكونوا في الدنيا ينفعونهم ولا هم في الآخرة ينفعونهم فاليوم يضاعف لهم العذاب بتضاعف جرائمهم وصدهم غيرهم عن سبيل الله كما قال تعالى { ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم } وقال تعالى { وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٣٠/٢)

أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٢١) (١) لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون (٢٢) (٢)

---

(١) . { أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٢١) } :
وهذه الآية تستحضر حالهم يوم القيامة كالتي قبلها { خسروا أنفسهم } اليوم لأنهم لم يبعثوا إلا للجزاء لا لأي متاع لهم فحياتهم وأنفسهم ليست لهم إنما هي للنار { وضل عنهم } ضاع عنهم ما كانوا يفترونه في الدنيا فلا شركاء ولا شفعاء ولا شيء مما كانوا يمنون أنفسهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون (٢٢) } :
{ لا جرم } أي حقا { أنهم في الآخرة هم الأخسرون } لأنه خسران بفوات كل خير والخلود في العذاب الشديد الدائم فأي خسران أعظم من هذا مع أنهم مفضلون على غيرهم في العذاب يضاعف لهم على قدر جرائمهم ففضلوا بذلك في التعبير عن الخسران بقوله تعالى { هم الأخسرون } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٢٣) (١)

---

(١) . { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٢٣) } :
{ وأخبتوا } الإخبات لله شأن كل مؤمن ، ولعله ذكر هنا ليقابل وصف الكافرين المعاندين المتمردين فهؤلاء خاشعون لله متذللون وإليه متقربون ، والكفار على عكس ذلك ، قال في [الصحاح]: الخبت المطمئن من الأرض فيه رمل ، والإخبات الخشوع يقال أخبت لله انتهى المراد ، والراجح أنه مضمن معنى الرجوع إلى الله والتقرب إليه فعدي ب(إلى) ، وفي تفسير الإمام زيد عليه السلام وأخبتوا معناه أنابوا وتواضعوا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٣٢/٢)

---

* مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون (٢٤) (١)

---

(١) . { * مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون (٢٤) } :
{ الفريقين } أي الكفار المذكورون سابقا ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم { كالأعمى والأصم } كالذي اجتمع عليه العمى والصمم ، وفائدة العطف الإشارة إلى تعدد أسباب الضلال عن الطريق على الأعمى كان قيل أعمى وأنضاف إلى عماه أنه أصم ، ففي هذا نوع بلاغة ليس في قولك أعمى أصم ، وكذلك قوله تعالى في مقابل ذلك { والبصير والسميع } فقد تعدد سبب اهتدائه للطريق فالعطف في الموضعين كقول الشاعر :
هو الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

والعطف في قوله تعالى { والبصير } عطف المقابلة بين الشيئين أي هو عطف لازم لاختلاف الأعمى الأصم والبصير السميع ، فهو عطف وصفين لواحد على وصفين لواحد ، والدليل على ذلك قوله تعالى { هل يستويان مثلا } فجعل الأعمى والأصم واحدا والسميع والبصير واحدا ، والتباين بين الفريقين على هذا أوضح وأقوى .

قال الشرفي في [المصابيح]: فقال تعالى { مثل الفريقين } المؤمنين والكافرين {كالأعمى والأصم والبصير والسميع } فقوله {كالأعمى والأصم } تشبيه للكافرين بمن جمع بين العمى والصمم في عدم الإنتفاع بما يسمع ويبصر من دلائل الهدى ، وقوله { والبصير والسميع } تشبيه للمؤمنين بمن جمع بين الصحة [كذا] والبصر والسمع لانتفاعهم بما يسمع ويبصر من دلائل الهدى والحق انتهى .
وقوله تعالى { هل يستويان مثلا } سؤال يفيد النفي أي لا يستويان في الصفة ، فالأعمى الأصم مظنة الضلال والغلط والتيه في سيره بغير هدى ، والبصير السميع سبيل الهدى ميسر له فهكذا الكافر والمؤمن العامل الصالحات المخبت إلى ربه .
{ أفلا تذكرون } تذكرون بالتذكير أم أنتم كما قال تعالى { وإذا ذكروا لا يذكرون } والتذكر الإنتباه لما

كان منسيا أو حضوره في الذهن ، فأما الذكر فيكون لبقاء الشيء في الذهن مع عدم نسيانه من قبل أو بعد نسيانه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٣٣/٢)

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين (٢٥) (١) أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم (٢٦) (٢)

---

(١) . { ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين (٢٥) } :

هذا ابتداء قصص بالحق فيه عبرة للمكذبين بخاتم المرسلين وفيه تسلية له ليتأسى بالرسل الأولين الذين كذبوا فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصر الله { إني لكم نذير مبين } تفسير لما أرسل به إلى قومه وهي كلمة هامة تلفت أنظار العقلاء وتدعوهم إلى النظر في صدقه طلبا للنجاة مما أنذرهم على تقدير صدقه وهو الواقع ، فالحكمة أن يبدأهم نبي الله بها في تبليغ الرسالة ، وقوله :

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم (٢٦) } :

كالتفسير لما ينذرهم وهو العذاب ولسببه وهو ترك عبادة الله وحده ، ووصف يوم العذاب بأنه أليم تعبيرا عن شدة ذلك وهوله العظيم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٣٤/٢)

فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين (٢٧) (١)

---

(١) . { فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين (٢٧) } :
{ فقال } عطف على { أرسلنا } قابلوا كلامه بمجرد التعبير عن الشك الذي لا تبطل به حجة النذير ، وقولهم { ما نراك إلا بشرا مثلنا } استبعاد لإرسال بشر إليهم ، أي لو أرسل الله رسولا لجعله ملكا ، وقولهم { ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا } أي أنك لو كنت على حق لكنا أولى به فكنا أتباعك لأنا أعرف بالحقائق كقولهم { لو كان خيرا ما سبقونا إليه } وقولهم { أراذلنا } احتقار لهم لفقرهم أو نحوه لا غير .

قال في [الصحاح]: الرذل الدون الخسيس انتهى ، وقال الراغب الرذل والرذال المرغوب عنه لردائته قال تعالى { ومنكم من يرد إلى أرذل العمر } انتهى المراد ، وأراذل جمع أرذل ففيه مبالغة لتحقير أتباع نبي الله ، وقوله { بادي الرأي } أي بسبب رأي بدا لهم لا لأنهم عرفوا الحق معك فاتبعوه ، وقولهم { وما نرى لكم علينا من فضل } أي تستحقون به أن تكونوا متبوعين ونكون تابعين لكم ، وهذه مبالغة في الجدل جعلوا اتباع النبي اتباعا لمن قد اتبعه بعد أن جعلوهم الأراذل ليبعدوا أتباعهم للنبي وقولهم { بل نظنكم كاذبين } جعلوه واحدا من أهل الدعوة لهم تكذيبا منهم له وزعما أنه هو والذين اتبعوه سواء ليس له مزية الرسالة ، وقولهم : { وما نراك } { بل نظنكم } مبالغة في الجدل بإسناده إلى مشاهدتهم وإلى قلوبهم زعما أنهم لا يعملون صدقه بقلوبهم ويجحدونه بألسنتهم ، ونظيره قول فرعون { وإني لأظنك يا موسى مسحورا } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٣٥/٢)

قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون (٢٨) (١)

---

(١) . { قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون (٢٨) } :

هذا لفت لأنظار قوم نوح وتنبيه لهم لكي يتركوا الإعراض عن النظر الصحيح ويفكروا فيما جاء به من

البينات الدالة على صدقه في أنه رسول من الله ونذير لهم { يا قوم } أخبروني عن حالكم وشأنكم في إعراضكم { إن كنت على بينة من ربي } تدل على صحة ما جئت به وصدقه ، افرضوا هذا وقدروا لتعرفوا ما أنتم عليه من الخطر العظيم وتعرفوا أن السبب في جهلكم من عندكم وبسبب إعراضكم عن الآيات البينات إذا فكرتم فيها ونظرتم نظر إنصاف وطلب للحق { وآتاني } ربي { رحمة من عنده } وهي هداه لي ولمن تبعني إلى طريق الحق وعبادته وحده ورفض الشرك ، افرضوا هذا وقدروه لتعرفوا أنكم على خسارة بفوات ذلك إذا نظرتم أو تعرفوا احتمال أنكم على خطر عظيم بسبب ترك النظر والإنصاف فشأن العاقل أن ينظر ليتخلص من هذا الإحتمال لأن النظر ممكن ، وإنما أظلمت عليكم طريقه لفرط كراهتكم له المانعة من النظر والداعية إلى الإعراض ، أنلزمكم رحمة الله التي آتاني من عنده حتى تعرفوا الحق وتؤمنوا بي وتعبدوا الله وحده بالصاق ذلك منا في قلوبكم وألسنتكم وأعضائكم { وأنتم لها كارهون } تأبون الإصغاء لما أقول والنظر في صحته بإنصاف ، ولقد رفق بهم في هذا الجواب ودعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة فيما مضى منه وما يأتي .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٣٦/٢)

ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون (٢٩) (١)

---

(١) . { ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله } :
فلا عذر لكم بخوف مغرم يثقلكم إن اتبعتموني ما أجري إلا على الله الذي أرسلني وكلفني تبليغ الرسالة .

{ وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون (٢٩) } :
{ وما أنا بطارد الذين آمنوا } فليس ذلك جزاؤهم في إيمانهم بي وبما جئت به من الله { إنهم ملاقوا ربهم } فأمرهم إليه وحده ليحاسبهم ويجزيهم بما عملوا إن خيرا فخير وإن شرا فشر ولا دخل لي في ذلك { ولكني أراكم قوما تجهلون } بالإساءة التي هي من الجهالة والسفاهة وبمقابلة الآيات بالإعراض والعناد .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٣٧/٢)

ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون (٣٠) (١) ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين (٣١) (٢)

---

(١) . { ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم } لأنه لا ذنب لهم يوجب طردهم لأن الفقر وضعف الحال لا يوجب طردهم والإيمان لا يوجب إلا تكريمهم ، فلو طردتهم لعصيت الله بظلمهم ولم يكن لي ناصر يدفع عني عقوبته .

{ أفلا تذكرون (٣٠) } : أفلا تتذكرون إن ذكرتم ما تقضي به العقول وتحكم به الفطرة مثل ما ذكرتكم في هذا الكلام الماضي والآتي .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك } :

فقولكم { ما نراك إلا بشرا مثلنا } لا حجة لكم فيه لأني لا أدعي امتيازا عليكم بأن عندي خزائن الله التي يرزق منها عباده ، ولست أعلم الغيب حتى أدعي امتيازا بعلم الغيب { ولا أقول لكم إني ملك } حتى تعارضوني بقولكم { ما نراك إلا بشرا } إنما أمتاز بما قد ذكرت لكم من الرسالة وما إخباري لكم ببعض المغيبات لأني أعلم الغيب .

{ ولا أقول للذين تزدري أعينكم } : تحتقرهم أعينكم لضعف مظاهرهم لفقرهم وضعف حالهم لا أقول فيهم :

{ لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين (٣١) } :

فالله يؤتي الخير من آمن واتقى ، ولا دخل للمال والولد والمظاهر الدنيوية في التقريب إلى الله فلا يصح أن أقول { لن يؤتيهم الله خيرا } وظاهرهم الإيمان والتقوى الذي هو سبب الخير ؛ لأن الله هو الذي يعلم ما في أنفسهم إن كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين { إني إذا لمن الظالمين } لو قلت { لن يؤتيهم الله خيرا } لأنه ظلم لهم وقول على الله بغير علم وبهذا تمت الحجة عليهم وانقطعت معاذيرهم

.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٣٨/٢)

قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٣٢) (١) قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين (٣٣) (٢)

---

(١) . { قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٣٢) } :
وهذا يفيد إصرارهم على الكفر والإعراض عما ذكرهم به وعما احتج عليهم به ، فركنوا إلى ما يدعو إليه الجهل والكبر من هذا التحدي ليوهموا أنهم على معرفة بأنهم على الحق فخاطروا بأنفسهم باستعجال العذاب حماقة وسوء نظر لأنفسهم { فأتنا بما تعدنا } من عذاب يوم أليم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين (٣٣) } :

فهذا جواب عن قولهم { فأتنا بما تعدنا } وهو إنما أنذرهم عذاب الله ، وقوله { وما أنتم بمعجزين } أي أنتم لا تدفعون العذاب بقوة فلا تعجزوا عن تعذيبكم إذا شاء الله أن يأتيكم به ، وقد يؤخذ من إطلاق قوله { بمعجزين } أنكم ما أنتم بمعجزين سواء أتاكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٣٩/٢)

ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون (٣٤) (١)

---

(١) . { ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون

: { (٣٤)

وهذا جواب عن قولهم { قد جادلتنا فأكثرت جدالنا } يفيد أن جداله لهم نصح لهم لكنه لا ينفعهم إن كانوا قد استحقوا من الله عقوبة الخذلان الذي تترتب عليه غوايتهم لا محالة حتى كأن الخذلان هو الإغواء نفسه فهو كقول نبي الله هود لقومه { قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب } إلا أن هودا عليه السلام قال { قد وقع } ونوحا عليه السلام قال { إن كان الله يريد أن يغويكم } وكيف لا يترتب على خذلان العبد غوايته والشيطان مسلط على من اتبعه لقوله تعالى { إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين } فالإغواء مرتب على طاعتهم للشيطان ومحاربتهم لدين الله بالجدال في آيات الله ، وليس إغواء ابتداء بل عقوبة اتباع الشيطان والتمرد على الله خذلوا فدعاهم الشيطان إلى ما تهواه أنفسهم فأجابوا الأتباع هواهم باختيارهم فلذلك كانت الغواية لازمة لخذلانهم وتركهم للشيطان الذي هو عقوبة التمرد على الله ومحاربة دينه فلهذا لا يكون نبي الله نوحا يدعي معارضته لمراد الله الذي أرسله إلى قومه لينذرهم ولكنه اختصر الكلام ليبين أنه لا سبيل لنفع النصح إن كانوا قد خذلوا وعبر عن ذلك بإغواء الله ليفهموا أنه أمر لا ينفع معه نصح ؛ لأنه لا سبيل إلى تخليصهم من الخذلان لأنه أمر الله الغالب على أمره .

فالحاصل أنه أراد أن يفهمهم أنه لا ينفعهم نصحه إن كان الله يريد أن يغويهم ليعلموا أن السبب غوايتهم لا عدم الحجة عليهم ولم يكن بصدد بيان كيف كانت غوايتهم المنسوبة إلى الله ؛ لأنهم كفار لا يقبلون منه التفصيل ولا يلتفتون إلى التطويل في التعليل لبيان أن هذا الإغواء لا ينافي عدل الله وحكمته ؛ لأن الإغواء هو التسبيب للغواية والتسبيب حق لأنه عقوبة وهو مجرد الخذلان وكونه سببا ليس موجبا للمسبب بل ترتب عليه باختيارهم لطاعة الشيطان فلذلك كان سببا ليس موجبا للمسبب بل ترتب عليه باختيارهم لطاعة الشيطان فلذلك كان سببا ، وقد يكون الشيء الواحد سبب هدى وسبب ضلال ؛ لأن المهتدي جعله سبب هدى والضال جعله سبب ضلال ؛ ولذلك قال تعالى { يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا } ومثال ذلك النعمة يستعين بها المؤمن على طاعة الله ويجعلها سببا للشكر ، ويستعين بها الكافر على الباطل ويجعلها سببا للطغيان والبطر فكانت النعمة سببا غير موجب وصاحبها هو الذي جعلها سببا فكذلك الخذلان وإن كان لا يصلح سببا للخير ، وليس الإغواء في اللغة إلا التسبب للغواية كقولهم { ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا } فأما دعوى أن الإغواء خلق الغواية فهي مخالفة للغة العرب ولا دليل عليها ولكنه التسبيب ولا يكون من الله إلا بالحق كما بينت .

وأما قوله عليه السلام { هو ربكم } أي مالككم فهو يبين أنه أولى بهم من نبيه ، وأنه يفعل فيهم ما يشاء من العقوبة التي استحقوها ، وقوله تعالى { وإليه ترجعون } أي إليه لا إلى غيره من شركائكم ولا غيرهم ترجعون ليجزيكم بما قدمتم فلم يترككم على غوايتكم إلا لأنه يجزيكم بعقابها فلا بد من عقابكم فلا تستعجلوه بقولكم { فأتنا بما تعدنا } فهذه قصة قوم نوح حين جاءهم الرسول وكذبوه وما دار من

الجدل بينهم وبينه وإصرارهم وطلبهم تعجيل العذاب .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٤٠/٢)

أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون (٣٥) (١)

---

(١) . { أم يقولون افتراه } :
بل يقول الكافرون بك يا محمد { افتراه } أي افترى هذا القصص الذي هو حق وعبرة لهم ، ودليل على أن الله أوحى إليك هذا الذي قد علمته من أخبار الأمم الماضيين ورسلهم وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك بل نشأت في الأميين فلم تعلمه إلا بوحي من الله وقد رد الله عليهم فيما مر قولهم { افتراه } أي هذا القرآن .
{ قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون (٣٥) } :
}
قل } يا محمد إن افتريت هذا القصص وهذا القرآن { فعلي } وحدي { إجرامي } أي ذنبي وجنايتي ليس عليكم منه شيء وأنا بريء مما تجرمون متكررا منكم من الشرك وغيره من إجرامكم ليس علي منه شيء ولا أرضاه ولا أشارككم فيه بوجه لأني قد نهيتكم ونصحتكم وأبلغت جهدي في ذلك فلم تقبلوا مني فلا يضرني مما تجرمون ، وبعد هذا تأتي قصة نزول العذاب على قوم نوح عليه السلام وقد تخلل بين القصتين الفصل بقوله تعالى { أم يقولون افتراه } لأنهما قصتان كل واحدة مستقلة بفائدتها وما سيقت له ، ولولا الفصل لكانتا قصة واحدة ، فالأولى تفيد دعوة الرسول قومة إلى توحيد الله وإنذاره لهم من عذاب الله وإخباره أنه رسول من الله فهي تفيد مهمات من أصول الدين وتفيد تسلية رسول الله حين كذب قومه بما جاء به وقالوا افتراه بأن من قبله من الرسل كذبهم قومه ، والقصة الثانية تفيد نزول العذاب بالمكذبين على التفصيل المذكور فيها وتفيد ذكر مقدمات نزول العذاب وكيف نجا منه المؤمنون وكيف عم المجرمين .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٤١/٢)

وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون (٣٦) (١) واصنع الفلك بأعيننا ووحينا (٢)

---

(١) . { وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون (٣٦) } :
{ لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن } فما بقي موجب أو سبب لتأخير العذاب العام لمن لم يؤمن لأنه لم يبق فيهم من يؤمن فيؤخر العذاب حتى يؤمن { فلا تبتئس } فلا تبتئس لا تحزن حزن بائس { بما كانوا يفعلون } من الشرك والظلم والتكذيب الذي استمر منهم زمنا طويلا ؛ لأن الله منتقم منهم ومنزل عذابه العاجل ، فقوله { فلا تبتئس } تقدمة للأمر بصنع السفينة لينجوا من الغرق ويهلك من لم يؤمن .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { واصنع الفلك بأعيننا ووحينا } :
}
الفلك } السفينة وقوله تعالى { بأعيننا ووحينا } تحت رعايتنا وتدبيرنا لك ووحينا لك كيف تعملها ومن أي أجناس الخشب تعملها وكيف تجعلها ألواحا عراضا وكيف تجعل غلظ كل لوح وكيف تنظم بعضها إلى بعض بالمسامير ، وكيف تجعلها حتى لا يدخلها الماء لا من تحتها ولا من أي جهة ونحو ذلك .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون (٣٧) (١)

---

(١) . { ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون (٣٧) } :
{ ولا تخاطبني } الخطاب القول الموجه إلى المقول له ، فهو يتضمن النهي عن المطالبة بتأخير العذاب أو بإنجاء بعضهم ، ويتضمن النهي عن السؤال عن تعذيبهم أو تعذيب أحد منهم كيف لم يكن أو كيف لم يعجل له أو غير ذلك من السؤالات ، وهذه عبارة غضب ودلالة على أن الحكم له فيهم لا يسأل عما يفعل وهي مقدمة لقوله { إنهم مغرقون } لئلا يخاطبه بعد قوله له { إنهم مغرقون } فليس له أن يجادله مثلا فيهم أو في بعضهم ، وقوله تعالى { في الذين ظلموا } تنبيه على أن العلة في الغرق وغضب الله عليهم هي ظلمهم الواقع منهم بالشرك والتكذيب والجدال في الحق وغير ذلك الجملة كل

جرائمهم فهي ظلم وجور استحقوا بها العذاب العاجل لكونها ظلما أي حيفا وجورا .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٤٣/٢)

ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه (١) قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون (٣٨) (٢)

---

(١) . { ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه } :

{ ويصنع } مضارع لاستحضار الحال الماضية كأنها واقعة الآن { وكلما مر عليه ملأ } جماعة أو جماعة من كبراء قومه { سخروا منه } استجهلوه واستهزؤوا به مثلا ، كما روي يقولون: صرت نجرا وكنت نبيا ؟ ويقولون: كيف تصنع سفينة عظيمة في البر بعيدة من البحر ولا يمكن نقلها لعظمها وما تصنع بسفينة في البر حيث لا ماء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { قال } نوح عليه السلام { إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون (٣٨) } :

{ نسخر منكم } نستجهلكم حيث تسخرون من هذه السفينة وهي معدة لنجاتنا من العذاب الذي ينزل عليكم وقد كتب لكم العذاب وقرب منكم وأنتم تلعبون ، فأنتم أحق أن يسخر منكم لجهالتكم واستمرار سكرتكم .

قال الشرفي في [المصابيح]: فإن قيل السخرية من أمهات المعاصي فكيف تليق بالأنبياء ؟

قلنا: إنما سمي الثاني سخرية كما في قوله تعالى { وجزاء سيئة مثلها } .

قلت: ليس تحريما عقليا ، ويمكن أن يختلف حكمها بإختلاف المسخور منه ، وباختلاف سببها فلا يجب أن تكون كلها جهالة وحيث لا تكون جهالة ولا ظلما يمكن أن يبيحها الله لمن يشاء كالتهكم والله أعلم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٤٤/٢)

فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم (٣٩) (١)

---

(١) . { فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم (٣٩) } :
{ فسوف } عطف على { إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم } فسوف تعلمون عند نزول الغرق عليكم { من يأتيه عذاب } أنتم أم أنا ، فمن أحق بالسخرية من يأتيه عذاب يخزيه ويفضحه ويذله وهو اليوم يلعب ويسخر { ويحل عليه عذاب مقيم } .

قال في [الصحاح]: وحل العذاب يحل [بالكسر] أي وجب ، وفي [لسان العرب]: وحل عليه أمر الله يحل حلولا وجب ، وحكى في [لسان العرب] أيضا مثل ذلك عن الزجاج وجعله من حلول الدين بمعنى وجوب تسليمه مستقيم حل أي وجب تسليمه لانقضاء أجله فأما الحلال بالبلد فمضارعه يحل [بضم الحاء] فالظاهر أنه لا يصح تفسير حلول العذاب المذكور هنا به ، فقوله { عذاب يخزيه } هو العاجل المهلك وقوله { ويحل عليه عذاب مقيم } أي باق وهو عذاب الآخرة كما قال تعالى { يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم } ووجوبه عليهم إما وجوبه حين يأتيهم ولا ينظرون ، وإما وجوبه بهلاكهم عند الغرق مستوجبين لعذاب الآخرة ؛ لأنهم يعلمون بذلك عند هلاكهم والله أعلم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٤٥/٢)

حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل (٤٠) (١)

---

(١) . { حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل (٤٠) } :
{
حتى } غاية لسخرية قومه بسبب صنع السفينة وجوابه فما زال ذلك حتى جاء أمر الله وبدأ ظهور الماء

من الأرض فنبع وارتفع من التنور التي هي من قبل للنار فصارت منبعا من منابع الماء { قلنا } احمل جواب الشرط فيها أي في السفينة أي اجعل فيها ليحمه الماء { من كل زوجين } من الحيوان أي نوعين ذكر وأنثى اثنين فردين لإنقاذهما من الغرق { وأهلك } أي واحمل فيها أهلك { إلا من سبق عليه القول } إلا من كان ظالما لما سبق عليه القول إنه مغرق في قوله تعالى { ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون } { ومن آمن } واحمل فيها من آمن { وما آمن معه } مع نوح { إلا قليل } وفي هذا دليل على أن الحق قليل وأن الكثرة لا تدل على أن الكثير هم أهل الحق .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٤٦/٢)

---

* وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم (٤١) (١)

---

(١) . { * وقال اركبوا فيها } أي في السفينة { بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم (٤١) } : { باسم الله مجراها } فهو الذي يجريها كيف يشاء { ومرساها } فهو الذي يرسيها متى شاء ليس لأهلها أن يجروها ولا أن يرسوها ؛ لأنهم في داخلها ومجراها ومرساها بغير فعلهم بخلاف سفائن البحر ، وهذا لا ينافي التسمية على كل نعمة من الله ، فمعناها أن السبب نعمة الله ، أو إني أفعلها بأمر الله أو نحو ذلك لكل شيء بما يناسبه ، فإذا لبست قلت باسم الله ؛ لأنه الذي كساك ، وإذا أكلت قلت باسم الله ؛ لأنه الذي أطعمك ، وهكذا سائر النعم .

وقوله { إن ربي لغفور رحيم } أي ولمغفرته ورحمته حملنا في السفينة ، وأنجانا من الغرق ونجانا من القوم الظالمين ، وهذا تعبير عن كون ذلك بفضل الله ورحمته ودفع للإعجاب بأنفسهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٤٧/٢)

وهي تجري بهم في موج كالجبال (١)

---

(١) . { وهي تجري بهم في موج كالجبال } :
هذا تصوير لجريها في الموج واستحضار للحال تلك ، بقوله { وهي تجري بهم } والموج الماء الكثير المرتفع فوق الماء ، قال تعالى { أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج } .
قال في [لسان العرب]: الموج ما ارتفع من الماء فوق الماء انتهى ، وعبارة الأصفهاني في [تفسير المفردات] الموج في البحر ما يعلو من غوارب الماء انتهى ، وقوله تعالى { كالجبال } يفيد ارتفاع هذا الموج وعلو سمكه فهو على ظهر الماء كالجبال ترفعه قوة تزخر الماء على وجه الأرض واضطرابه بكثرة مصادرة الغزيرة من الأرض والجو وسرعة نبوعه من الأرض ونزوله من السماء والسفينة تجري بهم في ذلك الموج بأمر الله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٤٨/٢)

ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين (٤٢) (١)

---

(١) . { ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين (٤٢) } :
{ نادى } دعى بصوت رفيع ليسمع ابنه مع صوت المطر والأمواج { وكان في معزل } أي وكان ابنه في معزل اعتزل فيه عن أبيه ، ولعله كان اعتزل موافقة للكفار ودلالة لهم على أنه غير مؤمن بأبيه ولذلك قال أبوه ولا تكن مع الكافرين ولعله كان يوهم أباه أنه مؤمن ولذلك قال له أبوه ولا تكن مع الكافرين .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٤٩/٢)

قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين (٤٣) (١)

---

(١) . { قال } ابنه { سآوي إلى جبل يعصمني من الماء } استمرارا على انعزاله عن أبيه { قال } أبوه { لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم } :

{ لا عاصم } لا جبل ولا غيره يعصم { من أمر الله } الذي هو إغراق أعداء الله { إلا من رحم } أي لكن من رحم الله ويسر نجاتهم وعصمهم بالسفينة فهم الذين ينجون ، ولعل نوحا يقول هذا لابنه ليلجأ إلى السفينة على معنى الرجوع إلى الله والتعرض لرحمته ليتهيأ له بلوغ السفينة .

{ وحال بينهما الموج } الماء المرتفع { فكان من المغرقين (٤٣) } :

أي { فكان } ابن نوح { من المغرقين } لم تنقذه عاطفة أبيه ولا نجاة نسبه ، وفي هذا دلالة على أنه لا ينجي من عذاب الله إلا الإيمان والتقوى ، وأنه لا ينفع النسب بدون الإيمان والتقوى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٥٠/٢)

وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي (١) وغيض الماء وقضي الأمر (٢) واستوت على الجودي (٣)

---

(١) . { وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي } :

أي أمر الله الأرض أن تبلع ما عليها من الماء فتجعله في بطنها كما تقول: ابلع اللقمة ، وهذا الأمر لعله أمر تكوين ليس قولا { ويا سماء أقعلي } أوقفي واتركي إنزال الماء إلى الأرض لتنضب وتصلح لسكنى الإنسان .

قال في [الصحاح]: والإقلاع عن الأمر الكف عنه انتهى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وغيض الماء وقضي الأمر } :

غاضت الأرض الماء الذي عليها فزال عن وجهها { وقضي الأمر } الذي هو تعذيب قوم نوح وإهلاكهم وإنجاء نبي الله ومن آمن بالله معه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { واستوت على الجودي } :

واستقرت السفينة واعتدلت { على } الجبل الذي اسمه { الجودي } وذلك بتقدير الله تعالى استواءها عند نضوب الماء ، وقد كان يمكن عند نضوب الماء أن تقع غير مستوية بوقوع بعضها على مرتفع وبعضها على منخفض أو تسقط متجهة إلى أسفل الجبل .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/١١٥١)

وقيل بعدا للقوم الظالمين (٤٤) (١) ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (٤٥) (٢)

---

(١) . { وقيل بعدا للقوم الظالمين (٤٤) } :
قال الشرفي في [المصابيح]: ومعنى { بعدا } أي هلاكا ، ومعناه الدعاء عليهم تعبيرا عن السخط عليهم والرضى بهلاكهم وموافقته لغرض الداعين كما يقال سحقا لهذا المعنى ، وفي التعليق على ظلمهم دلالة على أنه السبب في هذا القول وأنهم بظلمهم استحقوا العذاب والهلاك .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين (٤٥) } :

نادى : دعى ربه ولعله جعل دعاؤه نداء لإحاحه في الدعاء وجده في الطلب لقوة الباعث عليه فهو في مشكلة دينية راجعة إلى العقيدة فطلب من ربه حلها واستهداه الهدى للصواب فهو يرى أن الله قد وعده نجاة أهله وأن ابنه من أهله ولم ينج وأن وعد الله حق لا يتخلف وأنه أحكم الحاكمين ، ويظهر أن سبب المشكلة تغرير ابنه وإيهامه أنه مؤمن وأن أباه كان يظنه مؤمنا ويحمله في انعزاله على السلامة فكان يعتقد أنه ممن وعد الله نوحا بنجاتهم ، ولو كان ابنه يصارحه بالكفر ما أشكل عليه إغراقه لأن الله قد استثنى من سبق عليه القول منهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٥٢/٢)

قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح (١) فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين (٤٦) (٢)

---

(١) . { قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح } :
{ عمل } مصدر عبر به في وصف ابنه مبالغة كأنه نفس العمل ، فلعله كان يبالغ عند أبيه في إظهار الإيمان فكان حل المشكلة بأن عمله ذلك غير صالح بل هو فاسد لأنه مجرد رياء ولم يكن مؤمنا فهو ممن سبق عليه القول .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين (٤٦) } :
}
فلا تسألن } لا تطلب مني { ما ليس لك به علم } أهو صواب أم غير صواب مثلا لا تسألني إنقاذ ابنك من الغرق وأنت لا تعلم إنقاذه صواب أم لا من حيث أن الله أعلم بسره وحقيقة عمله وهو لم يكن قد طلب ذلك ، والنهي عنه لا يدل على أنه قد وقع ، وقوله تعالى { إني أعظك أن تكون من الجاهلين } تأكيد للنهي ، قال الراغب: الوعظ زجر مقترن بتخويف ، وقوله تعالى { أن تكون من الجاهلين } أي لئلا تكون من الجاهلين أي من أهل الجهالة والسفاهة ، وفي هذا دلالة على أنه لا شفاعة لمن حكم الله بتعذيبه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٥٣/٢)

قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين (٤٧) (١)

---

(١) . { قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم } :
{ أعوذ بك } ألجأ إليك لتعصمني من أن أسألك ما ليس لي به علم .

{ وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين (٤٧) } :

{ إلا } هي (إن لا) أدغمت النون في اللام أي وإن لا { تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين } .

فإن قيل: هذا طلب للمغفرة فما هو الذنب ؟

قلنا: لعله استعجاله بعرض مشكلته وهو لا يخلو إما أن يكون ابنه ممن وعده الله بنجاته فهو لا بد أن ينجو ، وإما أن لا يكون منهم فلا إشكال ، فإن كان قد علم أنه لا ينجو إلا من ركب في السفينة وأن ابنه لم يركب فعلم أنه لا ينجو فهو لا يعلم حقيقة ابنه وباطنه فكيف يشكل عليه إهلاكه بناء على ظاهره وهو يعلم أن الله أعلم بحقيقة ابنه منه ، فكانت الزلة استعجاله بقوله { إن ابني من أهلي } أي الذين وعدت بنجاتهم وهو غالط في ذلك فاستغفر لأجل ذلك ، وإن كان قد تأدب حيث لم يقل: الذين وعدتني بنجاتهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٥٤/٢)

قيل يا نوح اهبط بسلام منا (١) وبركات عليك وعلى أمم ممن معك (٢)

---

(١) . { قيل يا نوح اهبط بسلام منا } يظهر أن هذا القول كان عند إقلاع السماء وابتداء نضوب الأرض فهو هبوط السفينة تبعا لهبوط الماء ، فالأمر بمعنى الخبر عن هبوطه من ذلك الحين بشارة له بالعودة على قرار الأرض بسلام لم يلحقه بأس في السفينة ولا بهبوط السفينة على الجبل ولا بعد خروجهم منها ونزولهم في قرار الأرض فلا وحل يضرهم ولا وباء من أثر الماء وفرط الرطوبة ولا غير ذلك مما هو من مثل ذلك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وبركات عليك وعلى أمم ممن معك } :

في [لسان العرب]: عن الزجاج البركة الكثرة في كل خير انتهى .

فالبركات على نوح الدينية زيادة الهدى والنور وتيسير العبادة والقوة عليها والبركات الدنيوية مثل العافية والصحة وزيادة القوة ، وذلك يستلزم الرزق وما يحتاجه من اللباس والمسكن والفراش وغير ذلك ،

وقوله تعالى { وعلى أمم ممن معك } الأمم جماعات من ذريات من معه ، أي وبركات على أمم ممن معك وهم الصالحون من ذريتهم وهي تشملهم أي من معه من باب الأولى ؛ لأن العلة الإيمان وقد ثبت إيمانهم أو لأن البركة على الذرية تفرقت على البركة على الآباء ، وهذا يفيد أنهم يلدون كلهم لأن (من) ابتدائية فلعل من عدا أبناء نوح انقطع نسلهم من بعد ما كان لهم نسل فصارت ذريته هم الباقين .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٥٥/٢)

وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم (٤٨) (١) تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين (٤٩) (٢)

---

(١) . { وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم (٤٨) } :
{ وأمم } جماعات أي ممن معك { سنمتعهم } وإن لم يكونوا مؤمنين كالذين بارك الله عليهم فلهم متاع في الدنيا ينتهي { ثم يمسهم } من الله { عذاب أليم } في الآخرة أو في الدنيا والآخرة .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين (٤٩) } :
}
تلك من أنباء الغيب } تلك الآيات الماضية التي فيها قصة صنع السفينة ونجاة نوح ومن آمن معه وهلاك من لم يؤمن من أولاده وقومه على ما فيها من التفصيل الكامل هي من أنباء الغيب أي من أخبار الغيب المهمة أخبر الله بها وأوحاها إليك في جملة أنباء الغيب يوحيها الله إليك من أخبار الأمم الماضية والأشياء الماضية وأخبار ما سيكون وكلها { ما كنت تعلمها } يا محمد { أنت ولا قومك } الذين نشأت فيهم وتتلو هذا القرآن عليهم أي على التفصيل وإن كان خبر السفينة التي نجا فيها نوح وهلاك قومه بالغرق مما توارثته الأجيال ما كنت تعلمها أنت ولا قومك على التفصيل من قبل هذا القرآن ، وفيه دلالة على نصر الله لأنبيائه وعلى هلاك الكفار المعاندين لهم { فاصبر } يا محمد { إن العاقبة للمتقين } فمدة الصبر تنتهي بالنصر لك ولمن معك من المؤمنين الصابرين المجاهدين ، وهذا يعين على الصبر ، وقوله تعالى { إن العاقبة للمتقين } كالتعليل للصبر والراجح أنها غير مخصصة

بالدنيا بل إما في الدنيا والآخرة وإما في الآخرة فهي كقوله تعالى { فاصبر إن وعد الله حق } فدلالتها على النصر في الدنيا بواسطة دليل آخر كقوله تعالى { ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٥٦/٢)

وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون (٥٠) (١)

---

(١) . { وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون (٥٠) } :
{ وإلى عاد } وأرسلنا إلى عاد { أخاهم هودا } فهو عطف على قوله تعالى { نوحا إلى قومه } وعاد بعد قوم نوح وكأنهم أحدثوا الشرك بعد طهارة الأرض منه بإهلاك المشركين من قوم نوح { اعبدوا الله } بأن تعبدوه وحده { مالكم من إله غيره } نفي مؤكد بـ(من) { إن أنتم } ما أنتم { إلا مفترون } مختلقون كذبا حيث جعلتم له شركاء ، والإفتراء الكذب المتعمد بدليل قولهم فيما حكاه الله { أفترى على كذبا أم به جنة } قال في [الصحاح]: وافتراه اختلقه والإسم الفرية انتهى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٥٧/٢)

يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون (٥١) (١)

---

(١) . { يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون (٥١) } :
{ عليه } على ما أرسلت به من أمر الله بعبادته وحده وغير ذلك { لا أسألكم } لا أطلبكم { عليه أجرا } فاستمعوا لقولي واصغوا لما جئت به من آيات ربكم وفكروا في صحتها حتى تعلموا أني صادق فهذا احتجاج عليهم في إعراضهم وتكذيبه بدون نظر ، فإنه غير متهم بغرض دنيوي وهو ينذرهم ويعلمهم أنه لا يستحق عليهم أجرا إنما أجره على الله ، وهذا تأكيد لدفع التعلل باحتمال أنه يريد منهم أجرا ، وفيه

فائدة أخرى وهو أنه لا عذر لهم بخوف المغرم لو كان يريد منهم أجرا ، وقوله { أفلا تعقلون } تنبيه لهم على أنه ليس من شأن العاقل الإعراض عن النذير المنذر بالخطر العظيم لمجرد الهوى أو الكبر أو الحسد أو الإستعباد مع إمكان النظر في صدقة والتأمل لحجته الدالة على صدقه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٥٨/٢)

ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين (٥٢) (١)

---

(١) . { ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين (٥٢) } :

}

استغفروا ربكم } اطلبوه مغفرة ذنوبكم لتنجوا من العذاب العاجل فقد تعرضتم له بما قدمتم من الشرك وغيره { ثم توبوا إليه } ثم ارجعوا إليه بالطاعة له وتقواه وهي من استغفاره ولكن بدأ بذكر الإستغفار تنبيها على أنهم بذنوبهم قد استحقوا العذاب بحبس المطر عنهم أو غيره ، فالإستغفار لمحو الماضي المانع من الرحمة ، والتوبة لإصلاح المستقبل تعرضا للرحمة وهما في أول أمرهم شيء واحد ولكنه تعدد لاختلاف الإعتبار وأتى ب(ثم) للترتيب المعنوي بين طلب مغفرة الذنوب الماضية الذي هو التخلص من ماضيهم والرجوع إلى الله الذي هو إصلاح حالهم ومستقبلهم للتعرض لفضل ربهم ، وقوله { يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم } أي من أجل الإستغفار والرجوع إلى الله بطاعته وتقواه { مدرارا } كثيرة الدر الذي هو المطر وهذه صفة لها إذا أرسلها الله كثيرة المطر متتابعة الأمطار النافعة مستمرة على ذلك كأنها تمطر ، ومن شأنها أن تمطر لأنها مدرار كالبهيمة الحلوب ، وفي التعبير بالمدرار إشارة إلى أنه مطر خير وفائدة كما هو معهود من در البهيمة الحلوب { ويزدكم قوة إلى قوتكم } بنزول البركات وغير ذلك { ولاتتولوا } عن ربكم وهذا التولي ضد الرجوع إليه ، وقوله { مجرمين } تحذير لهم من عاقبة التولي ؛ لأنهم مجرمون قد استحقوا العذاب فإذا تولوا على هذه الحالة فقد تعرضوا للعذاب بجرائمهم السابقة مع جريمة التولي والإمتناع من الإيمان والتقوى والإصرار على الشرك وسائر جرائمهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٥٩/٢)

... (#qo٩$s% يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين (٥٣) (١) إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء (٢)

---

(١) . { قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين (٥٣) } :
{ ما جئتنا ببينة } تكذيب بالبينة التي جاءهم بها كقول الكفار بمحمد { لولا أنزل عليه آية من ربه } { عن قولك } صادرين عن قولك في تركنا لآلهتنا أي لا نتركها بسبب قولك ، وهو يشير إلى كفرهم بأنه في قوله مبلغ عن الله فلو أطاعوه أطاعوا الله وكانوا تركوها عن أمر الله تعالى ، وقولهم { وما نحن لك بمؤمنين } نفي بليغ بـ(ما) مع (الباء) لتأكيد أنهم لن يؤمنوا برسالته .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء } ما نقول إنك رسول صادق بل نقول { اعتراك } أي غشيك وأصابك { بعض آلهتنا بسوء } أي بخلل في عقلك أو بضعف في عقلك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٦٠/٢)

قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون (٥٤) من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون (٥٥) (١)

---

(١) . { قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون (٥٤) من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون (٥٥) } :
{ بريء } مقاطع لها لا علاقة لي بها يعلن التبري منها تحديا لهم لما يشركونه أي يجعلونه شريكا لربهم

فيهم { من دونه } أي يتخذونهم أقرب إليه من الله لغفلتهم عن الله ونسيانهم له ، وقوله { فكيدوني } تصريح بالتحدي لقومه ولشركائهم الذين زعموا أنهم قد ضروه في عقله ، وقوله { جميعا } أي مجتمعين متعاونين على كيدي أي اعملوا ما دبرتم من سوء خفي كتهيئة قتلى { ثم لا تنظرون } ثم لا تمهلوني ، وهذا كقول نوح عليه السلام السابق في سورة يونس فهو ينفي قولهم { اعتراك بعض آلهتنا بسوء } كأنه عليه السلام قال: إن كانوا اعتروني بسوء فليفعلوا أشد منه كيدي وهلاكي وأعينوهم على ذلك فأنا هذا أعلن البراءة منهم لله ربي وأشهدكم على ذلك ، ولكنهم لا يضرون ولا ينفعون كما تزعمون .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٦١/٢)

إني توكلت على الله ربي وربكم (١) ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها (٢)

---

(١) . { إني توكلت على الله ربي وربكم } :

وكلت أمري إليه فيما بيني وبينكم ، وفي تبيلغ رسالته إليكم فلا يردني عن التبيلغ تخويف في سبيل الله بل أمضي لما أمرت به وأرضى بما كتب لي وما أراد لي في طاعته ولا ينالني إلا ما كتب لي ؛ لأنه ربي وربكم مالكنا ومالك التصرف فينا.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها } :

الناصية مقدم شعر الرأس ، وهذا مجاز عن كون كل دابة في قبضة الله وتحت تصرفه أي فأنا وأنتم في قبضته كما كل دابة في قبضته ، فلا تتصرف إلا في حدود إقداره لها وتخليته وتمكينه ، فإن شاء نصرني وإن شاء غير ذلك فهو الغالب على أمره .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٦٢/٢)

إن ربي على صراط مستقيم (٥٦) (١) فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ (٥٧) (٢)

---

(١) . { إن ربي على صراط مستقيم (٥٦) } :

طريقة قيمة وسنة مطابقة للعدل والحكمة فما دبره لي فهو حكمة وصواب وما دبره لكم فهو حكمة وصواب ذكرهم بالله وبأنه الذي يستحق أن يخشى ويرجى ويتوكل عليه المتوكلون .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم } :

فإن تتولوا يا قومي { فقد أبلغتكم } فقد قمت بواجبي في رسالتي إليكم فلا يضرني توليكم ؛ لأنه ليس علي إلا البلاغ وليس علي أن تهتدوا .

{ ويستخلف ربي قوما غيركم } : أي يهلككم ويستخلف قوما غيركم .

{ ولا تضرونه شيئا } : لا بمعصيتكم ولا بهلاككم .

{ إن ربي على كل شيء حفيظ (٥٧) } :

راجع إلى قوله { ويستخلف ربي قوما غيركم } أي يستخلف للإيمان والطاعة غيركم كقوله تعالى { وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم } فالمعنى يستخلف لطاعتي واتباعي { إن ربي على كل شيء حفيظ } فهو يحفظني والذين آمنوا معي ولا يلحقنا عذابكم حين يهلككم ربي ؛ لأنه على كل شيء حفيظ ، فلا يهلك إلا ما أذن بهلاكه ولا يهلك شيء على طريق الصدفة ، وهذا المعنى لقوله تعالى { إن ربي على كل شيء حفيظ } هو أنسب لقوله { ويستخلف } من حيث ارتباطه بالإستخلاف ، ولقوله { ربي } فإنه يناسبه تعلق الإستخلاف بهود ، فكأنه قال ويستخلف لي ربي قوما غيركم ، وذلك بتكثير ذرية هود والذين آمنوا معه في حياة هود فيكثر أتباعه بحيث يكونون قوما ، أو أنهم قوم من قبل هلاك الهالكين .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ (٥٨) (١)

---

(١) . { ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ (٥٨) } :
{ أمرنا } عذاب قوم هود { نجينا هودا } أي من ذلك العذاب { ونجيناهم من عذاب غليظ } هو العذاب النازل على قوم هود غليظ شديد ، ووصفه بالغلظة إما لتضعيف الشدة فهو مثل عظيم وكبير ، وإما لوصفه بالقسوة على أعداء الله كقوله تعالى { وليجدوا فيهم غلظة } ومن شدته وغلظته أنه عذاب يهلكهم على كفرهم فيؤديهم إلى عذاب الأخرة فهو عذاب يؤديهم إلى عذاب الآخرة ، وقوله تعالى { برحمة منا } أي بسبب رحمة منا أو كأن الرحمة آلة لنجاتهم أو نجاة ملتبسة برحمة منا وهي رحمته تعالى للرسل ومن آمن معهم أو رحمتهم ورحمة من يهتدي بهم من بعد هلاك قومهم واستبدال غيرهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٦٤/٢)

وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد (٥٩) (١)

---

(١) . { وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد (٥٩) } :
{ وتلك عاد } إشارة إلى القبيلة المذكورين { تلك } مبتدأ و { عاد } خبره ، وهو توطئة لوصفهم بقوله تعالى { جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله } فدل على كذبهم في قولهم { ما جئتنا ببينة } ورسله هود ومن قبله من الرسل لأن دعوتهم واحدة إلى توحيد الله وعبادته وحده عامة للناس شاملة لمن في عصرهم ومن بعدهم { واتبعوا أمر كل جبار عنيد } فهذه صفتهم فقد استحقوا العذاب الغليظ .
قال في [الصحاح]: والجبار الذي يقتل على الغضب انتهى ، ثم قال: وتجبر الرجل تكبر ، وقال الراغب: ويقال للقاهر غيره جبار ، قال { وما أنت عليهم بجبار } انتهى .
وفي تفسير الغريب للإمام زيد بن علي عليه السلام: فالجبار المتكبر عن عبادة الله تعالى والجبار الطويل العظيم الفتاك في غير حق والجبار القاهر والعنيد الجائر العادل عن الحق انتهى .

وقال الراغب: والعنيد المعجب بما عنده ، والمعاند المباهي بما عنده انتهى ، وقال في [الصحاح]: وعند يعند [بالكسر] عنودا أي خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند انتهى ، فظهر أن الجبار

هنا الظلوم الفتاك في غير الحق ، وأن العنيد المعاند للحق ولو عرفه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٦٥/٢)

وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة (١) ألا إن عادا كفروا ربهم (٢)

---

(١) . { وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة } :
{ وأتبعوا في هذه الدنيا } بعد مهلكهم { لعنة } من الله ، فكان من عقابهم سوء الذكر في الدنيا لعنة من الله عقوبة في الدنيا بسوء ذكرهم ، إما بلعنتهم فيما أنزل على الرسل وإما به وبشرع لعنتهم من الملائكة والناس أجمعين { ويوم القيامة } يطردون من رحمة الله فيصيرون إلى عذاب الأبد .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ألا إن عادا كفروا ربهم } :
{
كفروا ربهم } جحدوه بجحدهم قدرته على كل شيء بقولهم { من أشد منا قوة } أو كفروا به بمعنى المقاطعة له مثل { كفرنا بكم } وهو بعيد ؛ لأن كفروا ربهم عدي بنفسه والكفر الذي بمعنى المقاطعة والمباينة يستعمل بالباء وجعله من نزع الخافض تأويل ، وقد حكى أهل اللغة كافرني حقي فاستعمل متعديا بمعنى الجحد والإتيان بحرف التنبيه إلا في هذا السياق لعل سببه أن كفرهم يستبعد وقوعه كأنه لا يتصور أن يجحدوا قدرة الله عليهم وهو الذي خلقهم فأتى بحرف التنبيه وأكده ب(إن) .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٦٦/٢)

ألا بعدا لعاد قوم هود (٦٠) (١) * وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها (٢)

---

(١) . { ألا بعدا لعاد قوم هود (٦٠) } :

صورته دعاء عليهم بالبعد لكنه كما يقال بعدا وسحقا وهو دلالة على استحقاقهم للعذاب الذي نزل لهم ، وعبارة غضب الله عليهم ، وقوله { قوم هود } عطف بيان لإخراج عاد الأخرى ، وقول صاحب [الكشاف] إن عادا الأخرى هي عاد أرم فيه نظر ؛ لأن الراجح أن عاد إرم هي عاد الأولى قوم هود ، والله أعلم .

والتنويه بهم بقوله { ألا } مرتين دلالة على غضب الله عليهم وإرادة التنديد بهم حيثما بلغ القرآن وإلى آخر الزمان ما دام القرآن .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { * وإلى ثمود أخاهم صالحا } أي ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا { قال يا قوم } أي يا قومي بزيادة الياء.

}

اعبدوا الله ما لكم من إله غيره } مر تفسيره { هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها } :

{ هو أنشأكم } أوجدكم من الأرض من حيث أن الله تعالى بدأ خلق الإنسان من طين ، ومن حيث أن النطفة تخلق من الغذاء ، وأصل الغذاء من نبات الأرض ، وفي ذلك أي خلقهم دلالة على أن الله هو ربهم لا ما يعبدونه من دونه وفي التنبيه على أن أصلهم من الأرض دفع لتكبرهم ، وقوله تعالى { واستعمركم فيها } أي وهو استعمركم فيها ، وعمارتها إحياؤها وإصلاحها للإنتفاع بها ، ومعنى استعمركم جعلها صالحة معدة للعمارة وجعلكم قادرين على عمارتها ، فأما إعدادها للعمارة فإنه جعل التربة تصلح للإنبات وتصلح للبناء فيها وبعضها تصلح للبناء بها ومنها يجعل الآجر كما أعده لذلك وكذلك جعلها صالحة للعمل فيها للزراعة وللغرس وللبناء وصالحة للسفر فيها للتجارة وغيرها ، وأما إعداد الإنسان فبجعل يديه معدتين للعمل بهما بما لهما من قوة العمل وما فيهما من الكفين والأصابع والمفاصل في الأصابع ومفصل الكف ومفصل المرفق ومفصل العضد أعلى اليد ، وبجعل ظهره صالحا للإنحناء حال العمل ، وبجعل البقر صالحة للحرث ومسخرة للإنسان ليعمل بها ويسقي الحرث ، وكذلك الإبل فهو الذي أعد للإنسان تحصيل رزقه من الأرض بعمارتها فهو الخالق الرازق المستحق للعبادة وحده لا شريك له تعبدا له وشكرا لنعمته فقال { هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها } تنبيها على وجوب عبادته وحده لا شريك له ، وأن عبادة غيره ظلم عظيم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

%sچجƒ=ز 'n1uخ' (خb¨ (خm‹s9د ؟tF™$$sù ¢OèO (# qç/qèےمچدçnr
ز=‹إg'C ادتب (١))

---

(١) . { 'n1uخ' (خb¨ (خm‹s9د ؟tF™$$sù ¢OèO (# qç/qèےمچدçnr
%sچجƒ=ز ز=‹إg'C ادتب } :

{ فاستغفروه } من الشرك الماضي وغيره من الذنوب لتنجو من العقاب عليه ، ثم ارجعوا في المستقبل إلى الله لتصلحوا مستقبلكم ، والتوبة الرجوع فالطاعة كلها من التوبة { إن ربي قريب } بخلاف ما تتوهمون من بعد عنكم فلا تحتاجون إلى وسائط بينكم وبينه تقربكم إليه أو تبلغه عنكم { مجيب } لدعوة الداعي فادعوه يستجب لكم واستغفروه يغفر لكم ، وقد مر في قول هود { فاستغفروه ثم توبوا إليه } %ôMs9$s #سƒuq÷=àtLn"à ƒt$خ!ur&ىu ×-ƒqàfمr$tO&ur
#x›"rudy 'حؤ÷c ©x‹¸$ /tèخ) #x›"dy ينسy´s9 ز=‹ةftم اذثب نحو هذا التفسير .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/١١٦٨)

#qن٩$s% كx=خ"| ء"YM| %s‰ô ƒtο. $Zuثqدq#vùمـچBt ن@٦ %s
x#!›"r?sY÷gy9Zu$! dy& rb& Bt$ R¯èِ÷7çy ك‰‰%ƒtè÷7ç7ç
R$tsuن/#t!$to (١) $ZR¯uخ(ur '"إJ£$ ©x7e7 9س‹Rt$! Biمs‰%ô؟
دs9‹mخ) =ƒƒكگحD اذثب (٢)

---

(١) . { (#qن٩$s% كx=خ"| ء"YM| %s‰ô ƒtο. $Zuثqدq#vùمـچBt
ن@٦x#! %s›"r?sY÷gy9Zu$! dy& rb& Bt$ R¯èِ÷7çy ك‰‰%ƒtè÷7ç7ç
R$tsuن/#t!$to } :

{ قد كنت فينا مرجوا } قد كنا نرجو خيرا لقومك فيك { قبل هذا } قبل أن تدعونا لعبادة الله وحده فلما دعوتنا لهذا خاب أملنا فيك ، وهو اعتراف له برجاحة العقل والخصال الكريمة التي معها ينفع الرجل قومه ، وقولهم { أتنهانا } إنكار عليه بناء منهم على أن الصواب عبادة ما يعبد آباؤهم وليس لهم

في ذلك حجة ولكنهم جعلوا عبادتم تعصبا لآبائهم وهي لا تفيد آبائهم شيئا بل تضرهم من حيث أنهم سنوا لهم الشرك ومع أن المهم إنقاذ أنفسهم من النار .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { $R¯ZuخuR(' !"J£$ ©x7e7 9sدqRt$! iBمs‰ô؟ 9sدm‹خ)

: { ادثب Dكگحƒ=ه

}

مما تدعونا إليه } من عبادة الله وترك الشرك أهو حق أم باطل في شك مريب مقلق لأنفسنا لا تطمئن إليه ، وقد أخطأوا وضلوا ضلالا بعيدا لأنهم إن إردوا أنهم في شك من عبادة الله ربهم فكيف يشك عاقل في أنها حق وهو الذي خلق ورزق ، وإن أرادوا في شك من عبادة شركائهم فليس مقتضى الشك فيه أن يستمروا عليه لأن تركه مع الشك أحوط من فعله مع الشك ؛ لأن الفعل إقدام بغير دليل والترك توقف فكلامهم هذا مجرد جدل بألسنتهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٦٩/٢)

---

iBد` /i tوpoY٧ pàMZà2 4'n?t (خb &u'rںtƒ OçF÷ƒu"(Qqsة %tA$s BدڑZtƒءمچفTخ' B ZptHôqy' `yJsùدur çm÷Zںs?#u٨_سح '§n1خ' ƒrB؛ڑچاxî 9ڑچs? u"جƒ‰ںtRr_سح yJsù$ (١) pt؛|ڤçmçF¼ (خb÷ #$!" ادجب (٢)

---

(١) . { %tA$s (Qqsة u"ƒ÷OçF ƒtںr'u& b(خ 4'n?t pàMZà2 tوpoY٧ /i iBد` BدڑZtƒءمچفTخ' B ZptHôqy' `yJsùدur çm÷Zںs?#u٨_سح '§n1خ' BدڑZtƒ #$!" ÷b(خ pt؛|ڤçmçF¼ } :

{ بينة } آية بينة { من ربي } تدل على أني رسول من الله إليكم لأنهاكم عن عبادة ما كان يعبد آباؤكم من دون الله { وآتاني منه رحمة } بما أوحاه إلي وعلمني من الهدى لعبادته وحده وامتثال أمره واجتناب ما نهى عنه { فمن ينصرني من الله } أي من يدفع عني عذاب الله { إن عصيته } إن لم أبلغكم ما أمرت تبليغه ولم أنهكم عن الشرك كما أمرت بنهيكم ولم أدعكم إلى عبادة الله وحده كما أمرت أن

أدعوكم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { yJsù$ سح_tRr‰ƒجu"?s9 چxî ؛ژچإBrƒ ادجب } :

}

فما تزيدونني } على الكفر برسالتي { غير تخسير } لو أطعتكم لأنها خسارة رحمة ربي ورسالته باستبدال معصيته الموجبة لعذابه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٧٠/٢)

---

ydrâ'x‹sù $ ںNà6s9 Zpƒ#u #$!" yd èps%$tR"›ƒnح¾ tƒur"(Qqsد

x‹è{ù'u‹sù.ن/ ٤خ،فq ں& ؟yJs،wur $ydq ب #$!" &r'ع ûخ' ؟@à2ù's

ز<#x‹t#ء ز=ƒجچs%ادحب (١)

---

(١) . { ںNà6s9 Zpƒ#u #$!" yd èps%$tR"›ƒnح¾ tƒur"(Qqsد

٤خ،فq ں& ؟yJs،wur $ydq ب #$!" &r'ع ûخ' ؟ydrâ'x‹sù @à2ù's$

x‹è{ù'u‹sù.ن/ ز<#x‹t#ء ز=ƒجچs%ادحب } :

{ ناقة الله } أضافها إلى الله لأنها عظيمة عظما خارقا جعلها آية تدل على صدقه .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: يروى أن قومه خرجوا في عيد لهم فسألوه أن يأتيهم بآية وأن يخرج لهم من صخرة معينة أشاروا إليها ناقة فدعا صالح ربه فخرجت كما سألوا .

قال الشرفي: واعلم أن تلك الناقة كانت معجزة من وجوه :

أحدها: أنه تعالى خلقها من الصخرة .

وثانيها: أنه تعالى خلقها حاملا من غير ذكر .

وثالثها: أنه تعالى خلقها على تلك الصورة دفعة واحدة من غير ولادة .

ورابعها: ما روي إنه كان لها شرب يوم وكان للقوم شرب يوم .

وخامسها: أنه كان يحصل منها لبن كثير يكتفي الخلق العظيم به .

وكل واحد من هذه الوجوه معجز قوي انتهى .

قلت: قد دل القرآن الكريم على أنها آية ويكفينا ذلك لأن الله أصدق القائلين ، وقد دل القرآن على عظمها لقول الله تعالى { لها شرب ولكم شرب يوم معلوم } وقوله: يكتفي الخلق العظيم به يعني الناس الكثير أي قومه ، فقد روي أنها كانت تكفيهم لبنا في اليوم الذي تشرب فيه ماء بئرهم .
وقوله { فذروها تأكل في أرض الله } أي اتركوها تأكل في أرض الله فهو يكفيها المرعى ولا تكلفكم مغرما { ولا تمسوها بسوء } لا ضرب ولا جرح ولا قتل يبعثكم عليه عداوتكم للحق والرغبة في إخفاء آيته التي غاظتكم { فيأخذكم عذاب قريب } إن فعلتم وهذا إنذار لهم من نذيرصادق قد دلت الآية العظمى على صدقه ولكنهم لتمردهم ومعارضتهم للحق بالجدال فيه قد خذلوا .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٧١/٢)

---

n=rO 5Q$–"spsW ٹy#'حû Nà2خ' ؟èGyJsمs)yèsù tA$s)sù (#qمچydr$ &ƒr ڑپد٩؛ î‰ô çمsŒ 5ژچur r<xî tB٣›ن ادخب (١)

---

(١) . { $ydrمچs)yèsù } أي فقتلوها بفعل بعضهم وأمر ورضى الباقين .
قال الشرفي في [المصابيح]: يحتمل أنهم عقروها لإبطال تلك الحجة وأن يكون لأنها ضيقت الشرب على القوم ، وأن يكون لأنهم رغبوا في لحمها وشحمها .
قلت: الوجه الأول أقرب وأنهم طمعوا في أن يقتلوها ولا يعذبون فينكشف كذب الوعد ، وأنه كان مثل تحدي قوم نوح له حين قالوا { فاتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين } .
{ (#q ù s)sA$tمsJyGè؟ '؟خ2àN ûح'#y ٹWsps"rƒ$Q5 Orn=&n ڑپد٩؛ sŒ î‰ôمç ur5ژچ îx<r›ن٣Bt ادخب } :
{ تمتعوا } انتفعوا بحياتكم ومطالبها الموجودة عندكم { ثلاثة أيام } فلن ينزل العذاب في الثلاثة الأيام ، وفائدة هذا أن لايتوهموا أن العذاب قد تخلف ، وأن قوله { فيأخذكم عذاب قريب } تخلف أي لا يسارعوا إلى تكذيبه في هذا الوعد ، وقوله { ذلك وعد غير مكذوب } إما الوعد بالنجاة المحدودة في الثلاثة ، وإما منطوق الوعد ومفهومه أي أن العذاب ينزل فورا بعد الثلاث لا يتأخر ، وقوله { غير مكذوب } لعله من قولك كذبه الحديث كما قال الجاحظ :

أترجو أن تكون وأنت شيخ ... كما قد كنت أيام الشباب

لقد كذبتك نفسك أي ثوب ... خليع كالجديد من الثياب

وأفضل من ذلك قول الله تعالى { وقعد الذين كذبوا الله ورسوله } قال الراغب ويقال لا مكذوبة أي لا أكذبك وكذبتك [كذا] حديثا انتهى .

فعلى هذا يكون المعنى لم أكذبكم الوعد المذكور فهو نظير: صدقه الحديث قال تعالى { ولقد صدقكم الله وعده } ويحتمل أنه مصدر بمعنى غير كذب ، والأول أرجح عندي ومؤادهما واحد .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٧٢/٢)

---

ur #$!©%دïڑ ¹ | "=خuZ‹¯gwU $[s$ &Drگy_ $tRâ$!نJn=sù u£$ z|"÷"ؤ Burد`iB ôدY¨$ /چخçmyètB 7pyJômt¼ نZtB#uم(#q <‹ح³دb¨ خ(Bqtƒ ڑپ/uqèd 'u '"بâ #$9(qs"ƒح"#$9èy اددب (١)

---

(١) . { u£$ نJn=sù $tRâ$! &Drگy_ $[s$ خuZ‹¯gwU "= | ¹

ڑدï%©!$#q#) ur مuZtB#u ن¼ çmyètB } :

{ أمرنا } أي عذابنا الذي أنزلناه .

{ pyJômtv چخ/ $¨YدBi } وهي تيسير سبب النجاة كالهجرة من بين قومهم .

{ Burد`ô ؤ"÷"z| <‹ح³دBqtƒ } ونجينا صالحا والذين معه من خزي يومئذ أي يوم إذ جاء أمرنا ونزل عذابنا .

{ b¨ خ(ڑپ/uqèd 'u '"بâ #$9(qs"ƒح"#$9èy اددب } :

{ إن ربك } يا محمد { هو القوي } فهو يفعل ما يشاء من تعذيب ومن إنجاء من العذاب ومن غير ذلك فإن يشأ ينزل بقومك مثل ما أنزل بقوم صالح وغيرهم وهو { العزيز } الذي لا ينال فلا يهمل العصاة المفسدين بل لم يمهلهم حتى عصوا وعاندوا إلا لأن الجزاء معد لهم كما قال تعالى { إن ربك لبالمرصاد } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٧٣/٢)

û خ' st7ô¹r'sùكq#) #$٩ءٹ¢èpys كJn=sكq#) #$!©%دiژ ur&x‹s{r &ù Iwrدjbr(x. N©9 (#quZtƒ !$pk (١) اذب _y"WدJدüژ ٹدtƒ"جچdدN Y%‰÷èç/ # &wrں 'k®5uهN ٢ںےxمچJrO (#rكqٹy#) (خb¨ ٹy‏ qكVsJد9j اربد (٢)

---

(١) . { r}s›x&ru ژiد%©!$#)#qكs=nJك syspèٹ¢ء٩$#)#qكsù'r¹ô7ts 'خ ûدd"چƒtدٹ ژüدJدW"y_ اذب } :

{ الصيحة } صوت شديد وفي سورة الأعراف { فأخذتهم الرجفة } فيظهر من مجموع ذلك أنها صيحة شديدة رجفت منها الأرض فهلكوا من الرجفة ، ونسب هلاكهم إلى الصيحة ؛ لأنها هي ولدت الرجفة ، وقوله { جاثمين } قال الراغب: من جثم الطائر إذا قعد ولطئ بالأرض .

قلت: هو كناية عن هلاكهم الذي أدى إلى جثومهم على الأرض .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { kp$! ƒtZuq#) 9©N .x(rbjدùّ } :

كأن لم يسكنوا ديارهم أحياء فلا ترى في ديارهم حركة ولا تسمع صوتا ولا ترى أثرا من آثار الأحياء ولا تسمع صوت دابة ولا تجد شيئا حيا من توابع القوم كالكلب أو الهر وقد جمع هذا قوله تعالى { كأن لم يغنوا فيها } .

}

&Iwr ¨bخ))#yٹqكr#) OrJمچx٢ںے Nه u5®k' } :

قال الشرفي في [المصابيح]: أي جحدوه انتهى ، وهو موافق لما قدمت في قوله تعالى { ألا إن عادا كفروا ربهم } .

{ ںrw& #y /çè÷‰%Yٹy‏qكVsJد9j اربد } :

دعا عليهم تعبير عن الغضب عليهم وإرادة هلاكهم مثل سحقا قال تعالى { فسحقا لأصحاب السعير } وهذا هو البعد ضد القرب مثل السحق ، فأما بمعنى الهلاك فهو البعد [بفتح الباء والعين] كما أفاده

في [الصحاح] و أما الراغب فقال: والبعد والبعد يقال فيه [أي في الهلاك] وفي ضد القرب انتهى ، ولعل الأكثر في ضد القرب البعد [بالضم والسكون] والأكثر في الهلاك البعد والله أعلم وبعدا مصدر منصوب بإضمار الفعل أي أبعدهم الله بعدا .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٧٤/٢)

جاهز
ô%os)s9ur جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ (٦٩) (١)

---

(١) . { ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى } :
هذا الكلام في الخليل عليه السلام كالتقدمة لقصة هلاك قوم لوط والبشرى لإبراهيم بإسحاق ومن وراء اسحق يعقوب ، والرسل هنا ملائكة .
{ قالوا سلاما قال سلام } :
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: ومعنى سلاما سلمنا عليك سلاما قال سلام أي أمري سلام انتهى ، أي سلام عليكم .
{ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ (٦٩) } :
{ ما لبث } أي أسرع بالعجل ليأكلوا منه وهذا أعني الإسراع بنزل الضيف من كرم الضيافة كما قال حاتم :

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا ... رشدت ولم أقعد إليه أسائله
فأطعمته من كبدها وسنامها ... شواء وخير البر ما هو عاجله

والحنيذ : قال الراغب قال تعالى { جاء بعجل حنيذ } أي مشوي بين حجرين انتهى المراد .
وفي [الصحاح]: حنذت الشاة أحنذها حنذا ، أي شويتها وجعلت فوقها حجارة محماة لتنضجها فهي حنيذ .
قلت: هو فعيل بمعنى مفعول يقال للمذكر والمؤنث كما أفاده في [الصحاح] و[لسان العرب] .

قال الشرفي رحمه الله: { فما لبث أن جاء بعجل حنيذ } أي فما أبطأ ولا أقام حتى جاء بعجل مشوي ، والحنيذ هو المشوي ، والعرب تقول: حنذنا الجراد وحنذنا الشواء وإنما أتاهم بالقرى وهو يظن أنهم أضياف من الآدميين فبادر إليهم ولم يلبث ولم يبطء بكرامتهم انتهى . وعندي أن تقديره فما لبث عن أن جاء أي تأخر عن أن جاء وما أبطأ فهو نفي للبث ليدل على الإسراع والله أعلم ، وقد وصف العجل هنا بأنه حنيذ ليدل على الإسراع به ووصفه في سورة الذاريات بأنه سمين ليدل على كرمه من ناحية سمن العجل . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٧٥/٢)

فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط (٧٠) (١) وامرأته ×pyJح !$s% فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب (٧١) (٢)

---

(١) . { فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة } :
{ فلما رأى } إبراهيم عليه السلام أيدي الأضياف لا تصل إلى الطعام الذي هو العجل الحنيذ { نكرهم } أنكرهم وخطر بباله أنهم ليسوا أضيافا وإذ ليسوا أضيافا فلماذا أتوا وهو لما يعلم أنهم ملائكة ؛ لأنهم تمثلوا له بشرا { وأوجس منهم خيفة } أضمر منهم خوفا .
{ قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط (٧٠) } : أي لإهلاكهم ليفهم أنهم ملائكة وليعلم ما قضاه الله في قوم لوط .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وامرأته ×pyJح !$s% } : إما استعدادا لخدمة الأضياف وإما لسماع المحاورة بينهم لاهتمامها بتركهم الأكل .
}
فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب (٧١) } :
لعل الضحك من سرورها بالأضياف الكرام حين علمت أنهم ملائكة قد جاءوا إبراهيم عليه السلام زوجها في صورة البشر يقرب لهذا الترتيب بالفاء ، وتفسير الضحك بالحيض خلاف الظاهر ، وترتبت بشارتها بالولد على أنهم ملائكة بلغوها عن الله تعالى ، والبشارة بالولد تغني عن ذكر الحيض ؛ لأنه

أمارة للولد ضعيفة والبشارة صريحة { فبشرناها } أي بشرها الملائكة عن الله تعالى أو فبشرها الله { بإسحاق } وبيعقوب من وراء إسحاق ، وما قيل من أنه سمي يعقوب لأنه عقيب إسحاق في الولادة لأنه ابنه محل نظر ؛ لأن الأقرب أنه اسم أعجمي ولهذا منع من الصرف .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٧٦/٢)

قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب (٧٢) (١) قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد (٧٣) (٢)

---

(١) . { قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب (٧٢) } :
{ يا ويلتى } استغاثة من شدة ؛ لأنها تذكرت شدة الولادة من حيث أنها تتقدمها الأوجاع والخوف من الموت وهي عجوز قليلة التحمل لمشقة مقدمات الوضع ، فلذلك قالت { ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا } لا يولد لمثله فلم تنجني شيخوخته ، ويحتمل أنها خافت عيب السفهاء من الشباب عليها ، ويحتمل الأمرين ، وأما قولها { إن هذا لشيء عجيب } فترتيب بغير عاطف لأنه أمر آخر ترتب على ولادتهما .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد (٧٣) } :
}
أتعجبين } سؤال إنكار لعجبها من ولادتها وهي عجوز وبعلها شيخ ؛ لأنه أمر الله وهو قادر على كل شيء ، وهذا لا ينافي العجب والذي ينافي العجب لو تذكرت أنها في محل البركات والرحمة فلهذا قالوا لها { رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت } فليس عجبا أن ينالكم الخير الخارق للعادة بفضل الله الحميد المستحق للحمد المجيد ذي الكرم والجود والعظمة .
قال الراغب في تفسيره لمفردات القرآن: المجد السعة في الكرم والجلال انتهى .
وقال صاحب [الصحاح]: المجد الكرم والمجيد الكريم .
قلت: وصفة الكرم تدل على الجود والحلم وغير ذلك ، وقد قال القاسم عليه السلام في تفسير الفاتحة ما يدل على اتفاق المجد والجود في المعنى ولعله من حيث اتفاقهما من حيث أن المجد

الكرم .

فائدة : قول القاسم عليه السلام : المجد من الجود محمول على اتحادهما في المعنى لا على الإشتقاق الإصطلاحي ولم يقل مشتق منه ، فهو كقول إبراهيم عليه السلام { فمن تبعني فإنه مني } وقول طالوت عليه السلام { ومن لم يطعمه فإنه مني } .

قال صاحب [لسان العرب]: ورجل ماجد مفضال كثير الخير شريف ، والمجيد فعيل منه للمبالغة انتهى .

وهذا أوفق لكلام القاسم عليه السلام فهو أرجح ؛ لأن القاسم عليه السلام عربي محقق في العربية وفي تفسير القرآن وغيره ، وقال تعالى { بل هو قرآن مجيد } فوصف القرآن به لكثرة خيره ونفعه وفوائده . فوصف بالجود كما يوصف به البحر والسحاب ، ويقويه قول زهير في معلقته إحدى السبع المعلقات يمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف لإصلاحهما بين عبس وذبيان القبيلتين بتحمل الديات بقوله :

وقد قلتما أن ندرك السلم واسعى ... بمال ومعروف من القول نسلم
فأصبحتما منها على خير موطن ... بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد هديتما ... ومن يستبح كنزا من المجد يعظم

فجعل الجود والمجد سببا للعظم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٧٧/٢)

فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط (٧٤) إن إبراهيم لحليم أواه منيب (٧٥) (١)

---

(١) . { فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط (٧٤) إن إبراهيم لحليم أواه منيب (٧٥) } :

{ الروع } : الفزع الذي سبق ذكره في قوله تعالى { فأوجس منهم خيفة } والبشرى كذلك البشرى بابنه وابن ابنه { يجادلنا } يجادل الملائكة { في } أمرنا بهلاك { قوم لوط } وهو جواب لما جيء به بصيغة المضارع تعجيبا من جداله فيهم { إن إبراهيم لحليم } لا يعجل على معاقبة المسيء إليه

والإنتقام من عدوه { أواه } كثير التأوه حزنا إما على ما فاته مما نواه من عمل الخير ولم يدركه ؛ لأن المؤمن ينوي كثيرا من الخير ويتلهف على ما فاته كما في الحديث ، وإما لفساد عباد الله وطاعة أكثرهم للشيطان كما قال تعالى { لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين } { منيب } راجع إلى الله في جميع أحواله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٧٨/٢)

يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود (٧٦) (١) ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب (٧٧) (٢)

---

(١) . { يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود (٧٦) } :
{ أعرض عن هذا } أي عن هذا الجدال في قوم لوط في أمره الله بتركه سواء أوحاه إليه أو بلغته الملائكة الحاضرون لديه { أمر ربك } أمره بعذابهم وإنهم بأمر الله { آتيهم عذاب غير مردود } لا يرده شافع ولا ناصر ولا شيء .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب (٧٧) } :
{ رسلنا } الملائكة المرسلون لتعذيب قوم لوط وهم في صورة البشر كما كانوا عند إبراهيم عليه السلام
{ سيء بهم } ساءه وجودهم لديه ؛ لأنه ظنهم أضيافا من البشر
}
وضاق بهم ذرعا } قل احتماله لهذه المصيبة ولم يجد نفسه تطيقها ؛ لأنه يتوقع هجوم قومه عليهم وهو لا يستطيع حمايتهم { وقال هذا يوم عصيب } شديد ذو شر تعصب مدافعه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٧٩/٢)

وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات (١) قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم (٢)

---

(١) . { وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات } :
جاءه قومه: جاءوا ليواجهوه بالإساءة ورفض احترامه في أضيافه { يهرعون } يسرعون كأنهم يساقون بعنف أو يسوقهم الشيطان ويهرعهم أي يسوقهم بشدة .
قال في [الصحاح]: وجاءه قومه يهرعون إليه قال أبو عبيدة: يستحثون إليه كأنه يحث بعضهم بعضا انتهى { ومن قبل } أي من قبل مجيئهم إلى نبيهم وأضيافه { كانوا يعملون السيئات } المعاصي القبيحة معتادين لها مستمرين عليها فلا يتبادر إلى ذهن نبيهم حين جاءوا إلا أنهم أرادوا عمل الفاحشة ، وهذه سيئة منهم مع سيئاتهم من حيث ساءوا نبيهم ومن حيث هموا بالفاحشة فقد بلغت الشدة على نبيهم أقصاها ؛ لأنه خبير بقومه وعنادهم وخبثهم.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم } :

ليس عرضا لبناته لعمل الفاحشة بهن حاشاه ولكنه إيهام يكشف لهم عن غاية اهتمامه بدفعهم عن أضيافه وشدة غمه وألمه وهمه لعلهم يراعون حاله وقد استعطفهم بقوله { يا قوم } وبإيهام عرض بناته عليهم وقاية لأضيافه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد (٧٨) (١) قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد (٧٩) (٢)

---

(١) . { فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد (٧٨) } :
{ فاتقوا الله } في { ولاتخزون } بعمل الفاحشة بأضيافي ، فقوله { في ضيفي } أي بذلك { أليس منكم رجل رشيد } فيعينني وينصحكم لتتركوا ما قد هممتم به .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف

إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢). { قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق } :

فكيف نرضى بهن وقاية لأضيافك ، وهذا بناء على توهمهم أن قد عرضهن عليهم وهو يعرف منهم أنه لا يريدونهن ؛ لأنهم يرتكون نساءهم من أجل شبقهم على اللواط لا لأنهم يتحرجون من الحرام ،

وقولهم { لقد علمت ما لنا في بناتك من حق } إيهام لتورعهم من الحرام .

{ وإنك لتعلم ما نريد (٧٩) } : إنك لتعلم أنا نريد أضيافك فلا تغالطنا بعرض بناتك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٨١/٢)

قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد (٨٠) (١)

---

(١). { قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد (٨٠) } :

{ قال } نبيهم تنبيها لهم على عظم المصيبة في نفسه يستعطفهم { لو أن لي بكم قوة } ليت لي بكم طاقة أي ليتني أطيق دفعكم كقول أصحاب طالوت { لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده } أي لا نطيق دفعهم عنا وغلبتهم { أو آوي } أي أنظم { إلى ركن } قوي { شديد } يعنني وينصرني ويكون لي قوة كالحديث الشريف ((سلام الله عليك أبا الريحانتين فعن قليل ينهد ركناك)) أو كما قال ، وأصله من ركن البناء لأنه قوة للبناء فيجعل قويا ليقوى به البناء ولذلك رشحه في الحديث بقوله ((..ينهد..)) .

قال في [الصحاح]: وركن الشيء جانبه الأقوى ، وهو يأوي إلى ركن شديد أي عز ومنعة انتهى .

وفي الآية { إلى ركن شديد } أي ركن قوي يصعب عليكم دفعه ، فالركن يفيد القوة ووصفه بالقوة يفيد قوة إلى قوة ، وهذا يدل على التحسر من ضعف الحال في حال شدة الحاجة إلى القوة ، وإذا بلغت النوائب حدها زالت .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٨٢/٢)

قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب (٨١) (١)

---

(١) . { قالوا } أي الملائكة المرسلون لتعذيبهم { يا لوط إنا رسل ربك } : أي الملائكة الذين أرسلهم ربك وهذا يشعر بأنه متوقع لنزول العذاب بقومه فالرسل بالعذاب أمر معهود في نفسه { لن يصلوا } أي قومك { إليك } لا بضر ولا بإخزاء { فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد } أمروه بما هو من الإعداد لنزول العذاب على قرية قوم لوط { فاسر بأهلك } أخرجهم من القرية في الليل { بقطع } .

قال الراغب: بقطع من الليل بقطعة انتهى ، أي بقية من الليل أي بسحر .

{ ولا يلتفت منكم أحد } : لا ينظر إلى ما وراءه ولا يمينا ولا شمالا بل كل واحد يقبل بوجهه إلى أمامه ساريا ، لعل ذلك ليسرعوا السير ولا يصيب أحدهم نكبه بسبب الإلتفاف ، والله أعلم .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال القاسم بن ابراهيم عليه السلام معنى { لا يلتفت منكم أحد } لا يتأنى ولا يتراخى انتهى .

{ إلا امرأتك } : استثناء من المجرور أي لا تسر بها دعها نائمة أو عازمة على ترك الخروج أو موافقة على البقاء ولو كرها .

{ إنه مصيبها ما أصابهم } : نفس العذاب الذي أصابهم أي قومه ، فلا بد أن الحاصب أدركها وقتلها بالأحجار .

{ إن موعدهم الصبح } : أي وقت هلاكهم الموعود به .

{ أليس الصبح بقريب (٨١) } : وهذا يناسب ضيق صدره منهم فهو يحب تعجيل عذابهم كلهم ، وتعجيل هلاكهم كلهم فكأنه استبطأ الصبح فقيل له : { أليس الصبح بقريب } ؟ .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٨٣/٢)

فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها (١)

---

(١) . { فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها } أي القرية { سافلها } والأقرب عندي أن الرجفة أسقطت أعالي

المباني لقوله تعالى { فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل } ولذلك بقيت آثارها كما يفيده قول الله تعالى { وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون } وهذا يفيد بقاء آثار القرية ليعتبروا بهم إذا مروا بها وذكروهم ، وقوله تعالى في سورة الحجر { فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم } يفيد أخذهم بالحجارة مع أخذهم بالصيحة ، ولعل معنى الأخذ بالصيحة سيطرتها عليهم وحبسهم بشدتها أي بشدة رجفتها ؛ لأنها إذا اشتدت الرجفة أزالت العقل ، ويدل على أخذهم بالحجارة أي قتلهم قوله تعالى { إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين } فعذابهم ثلاثة أصناف: طمس الأعين ، والصحية ، والحجارة ، فيما يروى أن جبريل عليه السلام أخذ قراهم قالوا وهي سبع بجناحه وقلبها مشكل فالله أعلم بصحته . والمذكور في القرآن الكريم قرية ، ولو كانت سبعا لكان من شأنها أن تذكر في القرآن لزيادة العبرة فيها وهي تذكر ليعتبر بها الكافرون.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٨٤/٢)

وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود (٨٢) (١)

---

(١) . { وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود (٨٢) } :

{ عليها } لما عم العذاب القرية ولم يخص الأفراد ناسب إسناده إليها جملة ، وقد أسند إليهم في غير هذا الموضع { حجارة من سجيل } حجارة أصلها طين مستحجر ، والأقرب بأن معنى { سجيل } ذات خطوط سجلت فيها وامتازت بها عن بقية الأحجار ، أو من عذاب مسجل لهم مكتوب ، وقوله { منضود } أجزاء الحجر منضودة ليس فيه تخلخل ولا له تجويف بل أجزاءه مرصوصة صلب ثقيل الوزن أو متراكم عند إرساله عليهم لكثرته وتزاحمه في الهواء .

قال في [لسان العرب]: نضد الشي جعل بعضه على بعضه متسقا أو بعضه على بعض انتهى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٨٥/٢)

مسومة عند ربك (١) وما هي من الظالمين ببعيد (٨٣) (٢)

---

(١) . { مسومة عند ربك } : { مسومة } ذات علامات فيها ، والسمة العلامة { عند ربك } جعل هو تلك السمات لتدل على معناها عند ربك ، ولعله جعلها للملائكة الذين أرسلوا بها تدل على أنها جعلت لعذابهم وعلى الملائكة أن يحصبوهم بها بعينها تعبدا لهم ، ويحتمل أن كل حجر كتبت لشخص تصيبه وجعل للملائكة عليهم السلام فهم معنى سمتها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وما هي من الظالمين ببعيد (٨٣) } :

وما تلك الحجار { ببعيد } من الظالمين أي المجرمين الذين كذبوا رسول الله محمد فإنهم ظالمون مستحقون لها بظلمهم فليس إرسالها عليهم ببعيد في قدرة الله تعالى { إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٨٦/٢)

---

* وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره (١) ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط (٨٤) (٢)

---

(١) . { * وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره } :

{ وإلى مدين } أي ولقد أرسلنا إلى مدين .

قال الشرفي في [المصابيح]: اعلم أن مدين اسم ابن لإبراهيم صار اسما للقبيلة ، قال في [البرهان]: لأنهم بنو مدين بن إبراهيم فقيل مدين ، والمراد بنو مدين كما يقال مضر والمراد بنو مضر انتهى ، دعاهم إلى عبادة الله وحده كما دعا من قبله قومهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولا تنقصوا المكيال والميزان } :

نهاهم عن الخيانة في الكيل والوزن عند البيع أو نحوه مما ينقص ماهو مستحق على صاحب المكيال والميزان .

}

إني أراكم بخير } في نعمة ورخاء { وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط (٨٤) } :

لكفركم نعمة الله وتعرضكم لنقمته { يوم محيط } يعمكم بعذابه ولا ينجو منه أحد منكم ، والأقرب أنه يحذرهم عذابا عاجلا يؤديهم إلى عذاب الآخرة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم (١)

---

(١) . { ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط } :

أوفوا تأكيد للنهي عن النقص بحيث لايكفي عدم تحقق النقص بل لا بد من تحقق الوفاء بالقسط بالعدل والحق .

{ ولا تبخسوا الناس أشياءهم } :

{ ولا تبخسوا } ولا تنقصوا { الناس أشياءهم } المستحقة لهم والنقص يكون نقص العين ونقص الصفة ، ومثال نقص الصفة تعويض (ألف) من العملة اليمنية كان في ذمته قبل نزول سعر اليمني ب(ألف) بعد نزوله كثيرا ، ومن أمثلته إعطاء الرديء بدلا عن الجيد في وعاء مختوم أو وجهه من الجيد وأسفله من الرديء ، ومن أمثلته ذم سلعة الغير لئلا تشترى مثلا أو بنته لئلا تتزوج ، ولذا أمثلة كثيرة ، وقد يخلط الشيء بما يمحقه فيكون من نقص العين ونقص الصفة معا مثل مزج اللبن بماء ضار فيه سبب البلهرسيا أو نحوه كأن يودع رجل لبنا خالصا فيسرق الوديع بعضه ويبدله بالماء المذكور فيجمع بين معصيتين وخيانتين .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٨٥) (١) بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين (٢)

---

(١) . { ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٨٥) } :
{ ولا تعثوا في الأرض } لا تفسدوا في الأرض أشد الفساد { مفسدين } مسببين لانتشار الفساد أو ثباته ، فالفساد الأشد ما يباشرونه كوقوفهم على الطرق لمنع من يريد الإسلام وإبعاده وصدهم عن سبيل الله فهو فساد يفسدون به لمنعهم من انتشار دعوة النبي وظهور دينه ، فقد أجملت هذه الجملة ما فصله قوله تعالى { ولاتقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا } والله أعلم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين } :
{ بقية الله } إبقاؤه لكم ولنعمتكم خير لكم مما تأخذون من الحرام بالبخس والنقص في الكيل والون ؛ لأنكم قد تعرضتكم لسخط الله وأخذه وسلبه لنعمتكم .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: وقال الحسين بن القاسم معناه [كذا] بقية الله خير أي بقية وسلامته لكم خير من إهلاكه وتدميره عليكم ، قال الشاعر :

قال البقية يا قيسا فقلت له ... اصبر حذيف فأنت السيد الصمد
ب

أي قال استبقني بقاء ولا تهلكني انتهى .
{ إن كنتم مؤمنين } بما قلت لكم وبرسالتي إليكم فإنكم حينئذ تعلمون ذلك ، ونظيره { ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون } أو إن كنتم مؤمنين فبقية الله خير لكم ، أي إن بقية الله تكون لكم إن كنتم مؤمنين ، فهي في حال الإيمان خير لكم مما تجمعون من الحرام ، ومؤدى المعنيين واحد ؛ لأنه إما أن يكون الإيمان شرطا في علمهم بأن البقية خير ، فإذا آمنوا فقد علموا أو إذا علموا تركوا الحرام وهم مؤمنون ، وإما أن يكون الإيمان شرطا في بقية الله التي هي خير فليؤمنوا لتكون لهم البقية ، فمؤدى الكلام الدعوة إلى الإيمان على كلا المعنين ؛ لأن الإيمان شرط في البقية وشرط في العلم بأنها خير .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وما أنا عليكم بحفيظ (٨٦) (١) قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد (٨٧) (٢)

---

(١) . { وما أنا عليكم بحفيظ (٨٦) } :

ليس علي حفظكم من سبب هلاككم ، ما علي إلا الإنذار وهذا يؤكد تفسير البقية بالسلامة من الهلاك

.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد (٨٧) } :

كفروا برسالة شعيب وبدينه وتهمكوا بصلاته لله وحده ، وزعموا أنه لا داعي لما يأمرهم به من ترك الشرك ونقص المكيال والميزان ؛ لأنهم قالوا { أصلواتك تأمرك أن نترك } فكأنهم قالوا: لا موجب لذلك فهل صلواتك تأمرك وهو لا يرون أنها تأمره حقيقة ولا مجازا إنما أرادوا التهكم بها ؛ لأنهم مشركون لا يرون لصلاته فائدة ولا يرون فيها ارتباطا بينها وبين أمرهم بالترك للشرك والنقص في المكيال والميزان بل هم يجحدون ذلك فلذلك سألوه سؤال إنكار وعيب منهم عليه فإسناد الأمر إليها تهكم بها وبه مستندين في ذلك إلى أنهم على دين آبائهم وإلى أن لهم الحرية في التصرف في أموالهم يتصرفون فيها كيف شاءوا من تطفيف أو غيره بزعمهم فقولهم { إنك لأنت الحليم الرشيد } الراجح فيه أنه تهكم وأنهم يعنون سفيه غاو ، ولو قالوا قد كنت حليما رشيدا فكيف تأمر بذلك لناسب حمله على الحقيقة ، وكذلك لو قالوا أتأمرنا بذلك وأنت الحليم الرشيد لساغ ذلك أيضا فأما على هذا السياق فإنما قولهم { إنك لأنت الحليم الرشيد } قرار بنوه على قولهم { أصلواتك تأمرك } فهو تهكم مبني على تهكم وتسفيه له ، كما قالت عاد { إنا لنراك في سفاهة } وقال قوم نوح { إنا لنراك في ضلال مبين } فقد جمعوا بين إنكارهم للحق وبين الهتكم به ولكن مهمة الرسول بيان الحق وتبيلغ الحجة ، وليست مهمته الرد علىالتهكم إلا ببيان أنه على الحق .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٩٠/٢)

قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي (١) ورزقني منه رزقا حسنا (٢)

---

(١) . { قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي } :
{ على بينة } علىحجة بينة تدل على أنه أرسلني إليكم وعلى صدق ما بلغتكم من إبطال الشرك والتطفيف وغير ذلك فهل رأيتم إن كنت هكذا وأنتم تجحدون ذلك تنهمكون به فما تكون عاقبتكم وقد أمعنتم في الكفر وتمردتم ، وهذا لفت لأنظارهم إلى التفكير فيما جاء به من الآيات والنظر الصحيح ليتخلصوا من الخطر الذي ينذرهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ورزقني منه رزقا حسنا } :
أي رزقني ربي رزقا حلالا قنعت به وكفاني ولم يشغلني عن عبادة ربي ، فلا أحتاج إلى أن أحتال لأجر منكم على ما جئت به أو أن أسألكم معونة عليه ، فأنتم لا تخشون مغرما أكلفكم ولا داعي لي إليه ؛ لأن رزقي يكفيني فلا أدعوكم إلى طاعتي توصلا إلى مال .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٩١/٢)

وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه (١) إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت (٢) وما توفيقي إلا بالله (٣)

---

(١) . { وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه } :
ما أريد الفساد الذي أنهى عنه فمن العيب على من ينهى عن الأمر المنكر أن يخالف المنهي بالنهي والمباينة توصلا إلى المنكر أو وهو يريد أن يفعل المنكر .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت } :
{ إن أريد } بدعوتي لكم إلى عبادة الله وحده وترك الشرك والتطفيف { إلا الإصلاح } إلا إصلاحكم وإصلاح معاملتكم وإصلاح مجتمعكم { ما استطعت } ما دمت أستطيع الإصلاح وبقدر ما أستطيع .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٣) . { وما توفيقي إلا بالله } :

وما توفيق الله لي إلا بالله فهو الموفق للصواب وهو مسبب التوفيق بتهيئته للتوفيق بتحصيل أسبابه وصرف موانعه وبهدايتي لأسبابه التي هي من فعلي .
قال الشرفي رحمه الله: والمعنى أنه طلب ربه التوفيق وفي ضمنه تهديد للكفار انتهى .
قلت: هو يفيد اللجوء إلى الله فيفيد الطلب ، وأما التهديد فلعله في قوله :
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٩٢/٢)

عليه توكلت وإليه أنيب (٨٨) (١) ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد (٨٩) (٢)

---

(١) . { عليه توكلت وإليه أنيب (٨٨) } :
{ عليه توكلت } وحده فأنا أمضي في تبليغي لرسالته والدعوة إليه وإبلاغ حجته لتوكلي عليه فهو تهديد باستمراره على عمله ، ولعل هذا مراد صاحب [الكشاف] حيث قال في ضمنه تهديد للكفار { وإليه أنيب } أي أرجع إليه وحده وأقبل على طاعته وحده .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد (٨٩) } :
}
ويا قوم } خطاب يعبر عن عاطفته عليهم ليحذرهم أن يصيبهم عذاب مثل عذاب إحدى الأمم الماضية

قبلهم الذين شاقوا وعادوا رسل الله إليهم فأنزل بهم العذاب ، والمراد بقوله { لا يجرمنكم } لا يسبب عليكم شقاقي أي شقاقكم { أن يصيبكم } عذاب { مثل ما أصاب قوم نوح } أو من بعدهم ، وأصل معنى { لا يجرمنكم } لا يكسبنكم من جرم بمعنى كسب أي لا يكسب لكم شقاقي عذابا من الله مثل ما أصاب قوم نوح { أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد } أي أو قوم لوط ، فهم هلكوا في زمن قريب منكم مع أنهم في مكان قريب من قوم شعيب أيضا مع قرب الزمان المعلوم عندهم قد علمتم ما أصابهم ولم تنسوه فاعتبروا بمن قبلكم لتسلموا من عذاب الله .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٩٣/٢)

واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود (٩٠) (١)

---

(١) . { واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود (٩٠) } أي :
احذروا شقاقكم لي { واستغفروا ربكم } المالك لكم المستحق لأن تعبدوه وحده ليغفر لكم ما قدمتم من شرك وغيره { ثم توبوا إليه } ثم ارجعوا إليه بالإيمان والطاعة ليرحمكم ويحبكم { إن ربي } الذي هو ربكم { رحيم ودود } أي لمن استغفره وتاب إليه ، وقد مر معنى العطف بـ(ثم) .
قال بعض المفسرين: وكان حق الكلام أن يقول في تعليله إن ربكم رحيم ودود لكنه لما كان مع كونه تعليلا ثناء على الله سبحانه وقد أثبت سابقا أنه رب القوم أضافه ثانيا ليفيد الكلام بمجموعه معنى إن ربكم رحيم ودود انتهى المراد .
قلت: ومن فائدة ذلك تحقيق أنه عنى بقوله { ربكم } الله تعالى الذي هو ربهم لا رب لهم سواه وإن كانوا قد جعلوا غيره شريكا في الربوبية .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٩٤/٢)

قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز (٩١) (١)

---

(١) . { قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز (٩١) } :

قابلوا عطفه عليهم بالجفاء ، وقولهم { ما نفقه كثيرا مما تقول } تعبير عن إعراضهم عن كلامه والإستخفاف به ، ومعنى { ما نفقه } ما نفهم لغموض معنى كلامك وتركنا لتفهمه فلا نجيب عما لم نفهم ، وقولهم { كثيرا } يدل على أنه قد أطال في الإحتجاج عليهم والإنذار وبيان طريق نجاتهم لو استعملوا عقولهم وتركوا الكبر والتعصب لآبائهم ودين آبائهم ، وقولهم { وإنا لنراك فينا ضعيفا } أرادوا به أنهم قادرون على رجمه ، وقولهم { ولولا رهطك } أي لولا قرابتك وإن كان الرهط يستعمل في القوم والقبيلة فهو يستعمل في القرابة كما في [لسان العرب] قال قال أبو منصور : وإذا قيل بنو فلان رهط فلان فهو ذو قرابته الأدنون انتهى ، وهو واضح في الآية لأن قوم شعيب قالوا له

{

ولولا رهطك لرجمناك } ولا يصح أن يكون معناه ولولا قومك أو قبيلتك ؛ لأنهم قومه وقبيلته فما بقي إلا أن المراد ولولا قرابتك ، وقولهم { لرجمناك } أي بالحجارة أو نحوها كناية عن قتله ليستريحوا من مطالبته لهم بالرجوع إلى الله ، وقولهم { وما أنت علينا بعزيز } أي لو قتلناك ما اعتبرنا هلاكك خسارة علينا ولا بالينا به ؛ لأنك غير كريم علينا .

قال في [الصحاح]: وعززت عليه أيضا كرمت عليه انتهى ، ومثله في [لسان العرب] .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٩٥/٢)

قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله (١) واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط (٩٢) (٢)

---

(١) . { قال } أي شعيب { يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله } أنكر عليهم قولهم { ولولا رهطك لرجمناك } لأن معناه أنه لا يمنعنا من رجمك إلى كرم قرابتك علينا ، ومعنى هذا أنهم لا يبالون بمعصية الله العظمى التي هي قتل نبي الله من حيث هي معصية لله ولكن من حيث هي تسوء قرابته فكان معناه

إن قرابته أعز عليهم من الله .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { واتخذتموه وراءكم ظهريا } :
}
واتخذتموه } واتخذتم الله { وراءكم } جعلتموه منسيا لا تقبلون إليه ولا تلتفتون إليه بل اتخذتموه متروكا ، وحقق هذا المعنى بقوله { وراءكم ظهريا } وفي قوله { واتخذتموه } أنهم جعلوا ذلك طريقة لهم ومذهبا كما يقول بعض كفار العصر إن القرآن حجر عثرة في طريق التقدم وجعلوا ذلك أساسا للإعراض عن الإسلام ، والحاصل أنهم جعلوا الإعراض عنه وترك طاعته أصلا يبنون عليه سلوكهم ، فقوله { وراءكم } كقوله تعالى
{ نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم } وقوله { ظهريا } نسبة إلى الظهر وكسر الظاء من تغييرات النسب ، وفائدة النسبة كفائدة الإتخاذ تفيد لزومه للوراء تعبيرا عن نسيانه .
قال في [الصحاح]: والظهري أيضا الذي تجعله بظهر أي تنساه ، ومنه قوله تعالى { واتخذتموه ورائكم ظهريا } انتهى ، ومثله قال الراغب الأصفهاني في تفسيره لمفردات القرآن .
{ إن ربي بما تعملون محيط (٩٢) } : لم يفت علمه شيء منه ولا يفوته أي فهو يجازيكم عليه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٩٦/٢)

ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣) (١)

---

(١) . { ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب (٩٣) } :
{ على مكانتكم } قد مر تفسيره في تفسير سورة الأنعام ويأتي قريبا في أواخر هذه السورة وهو جار مجرى التهديد ولذا رتب عليه قوله { سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب } وقوله { وارتقبوا } أي انتظروا وقوله { إني معكم رقيب } قال في [الصحاح] والرقيب المنتظر انتهى ، وهو في هذا السياق مستقيم فهو الراجح ، والمراد انتظار عاقبة عمله وعاقبة عملهم ، وقوله { فسوف تعلمون

من يأتيه عذاب يخزيه } منكم أو مني يخزيه أي يهينه ويفضحه ، وقوله { ومن هو كاذب } أي منكم أو مني .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٩٧/٢)

ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤) (١)

---

(١) . { ولما جاء أمرنا } :
أي عذابنا الذي أمرنا به إما بأمره تعالى للملائكة وإما { أمرنا } كناية عن العذاب لوجوده بأمره تعالى أي قوله { كن } وهو تمثيل لسرعة وجوده بدون أي كلفة .
{ نجينا } من العذاب { شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا } :
برحمة خاصة من الله خصهم بها فنجاهم من العذاب ، ولعلها السبب الذي جعله الله لنجاتهم كأمرهم بالخروج من البلد كما أمر لوطا .
{ وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٩٤) } :
{ الصيحة } : إما عبارة عن العذاب النازل المهلك كائنا ما كان ، وإما صيحة حقيقية رجفت بها أرضهم رجفة عنيفة سريعة أهلكتهم ، وفي سورة الأعراف :
{ فأخذتهم الرجفة } وهو مرجع للمعنى الثاني مع كونه الحقيقة .
قال الشرفي في [المصابيح]: وإنما ذكر الصيحة بالألف واللام إشارة إلى المعهود السابق وهو صيحة جبريل عليه السلام انتهى .

قلت: لعله يعني بالسابق صيحة ثمود ؛ لأنه ذكر أن الله عذبهم بمثل عذاب ثمود ، وقوله تعالى { فأصبحوا في ديارهم جاثمين } أي لا يتحركون في الصباح كما كانوا يتحركون لحاجاتهم وأغراضهم بل هم في ذلك الوقت جثث هامدة .
قال الشرفي : الجاثم اللازم لمكانه الذي لا يبرح ولا يتحول انتهى ، ومثله في [لسان العرب] ولعله خاص بلزوم المكان على الصدر أو الركب أي المعنى الحقيقي والله أعلم ، وقد حكى نحو هذا عن

بعضهم صاحب [لسان العرب] فهو قريب من معنى جثى .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٩٨/٢)

كأن لم يغنوا فيها (١) ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٩٥) (٢)

---

(١) . {كأن لم يغنوا فيها } :
قال في [الصحاح] غني بالمكان أي أقام وغني أي عاش انتهى ، وقال الراغب: وغني في مكان كذا إذا طال مقامه فيه مستغنيا به عن غيره بغنى ، قال {كأن لم يغنوا فيها } وهو قريب من قول صاحب [الصحاح] عاش وهو تحقيق لهلاكهم وهلاك ما كان معهم كما قدمت .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود (٩٥) } :
أصله دعاء بالهلاك وهو تعبير عن الغضب عليهم .
قال الشرفي في [المصابيح]: البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد انتهى .
ثم أفاد أن البعد بمعنى الهلاك أصله البعد إلا أن المراد به البعد الحاصل بالهلاك لا بعد المسافة أو الزمان فجعلوا ما كان بمعنى الهلاك [بكسر العين] في الماضي ليمتاز عن بعد المسافة قلت : ومضارعة [بفتح العين] ونظير ما في الآية الكريمة قول الشاعر :

يقولون لا تبعد وهم يدفنونني ... وأين مكان البعد إلا مكانيا

وقوله تعالى {كما بعدت ثمود } تحقيق وتأكيد للمعنى . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١١٩٩/٢)

ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (٩٦) (١) إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد (٩٧) (٢)

---

(١) . { ولقد أرسلنا موسى بآياتنا } وهي التسع الآيات { وسلطان مبين (٩٦) } قوة وهيبة كما قال تعالى { ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما } وقوله تعالى { مبين } أي بين واضح فقد هابها فرعون حتى بلغا رسالة ربهما وأقاما حجته على فرعون وملائه بتسليط الله لهما بهذا الشأن .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد (٩٧) } :

}

إلى فرعون } أي أرسلناه إلى فرعون وملئه ، وملؤه كبراء قومه المتولون لإعانته كالوزراء { فاتبعوا } أي ملأه { أمر فرعون } وعليهم ولم يلتفتوا إلى ما جاءهم به موسى من الآيات والإبلاغ الكامل وقيام الحجة على فرعون وعليهم { وما أمر فرعون برشيد } نفي مؤكد بـ(ما) و(الباء) وكأنه رد لقوله { وما أهديكم إلا سبيل الرشاد } فهو كقوله تعالى { وأضل فرعون قومه وما هدى } وهو أيضا تمهيد لقوله تعالى :

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٠٠/٢)

يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود (٩٨) (١)

---

(١) . { يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود (٩٨) } :

وقد قام هذا البيان مقام أن يقال: بل أمر فرعون في أقصى الغواية ؛ لأنه كان سببا في وروده النار وورود أتباعه معه وهو أوردهم النار بأمره الذي أطاعوه { وبئس الورد المورود } الذي وردوه ليس فيه ري من ظما ولا برد من التهاب إنما هو عذاب النار .

قال الراغب في [تفسيره]: الورود أصله قصد الماء ثم يستعمل في غيره ، ثم قال: والماء مورود وقد أوردت الإبل الماء ، ثم قال: والورد الماء المرشح للورود ..إلخ .

ونحوه في [لسان العرب] فالورد في الآية هذه النار ، ويشهد له قوله تعالى

{ المورود } فدل على أن الورد هنا بمعنى اسم المفعول فهو النار التي يردونها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٠١/٢)

وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود (٩٩) (١) ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها زOح !$s% وحصيد (١٠٠) (٢)

---

(١) . { وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة } في هذه الدار التي تتعاقب فيها الأجيال { لعنة ويوم القيامة } يلعنهم من بعدهم في هذه ، ويلعنهم الله ويوم القيامة يلعنون اللعنة الكبرى .

{ بئس الرفد المرفود (٩٩) } :

الرفد العطا والمعونة في الأصل ، واستعماله في اللعنة تهكم بهم ، وقوله { المرفود } إما بمعنى أن الرفد نفسه مرفود ؛ لأنها لعنة متواصلة يمد بعضها بعضا ، وإما بمعنى بئس الرفد الذي رفدناهم ومرجع المعنين واحد .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها زOح !$s% وحصيد (١٠٠) } :

}

ذلك } إشارة إلى ما مر من قصة رسول الله نوح وهلاك قومه وقصة من بعده من رسل الله وهلاك قومهم ، والقرى كناية عن أهلها الذين دمرهم الله { نقصه } أي نقص ذلك النبأ أي نقصه نحن فهو الحق { منها قائم } ومنها حصيد من القرى قائم أي بقايا بناء المساكن { وحصيد } قد سقط وتهدم شبههم بالزرع الحصيد لما كان هلاكهم جماعيا ، وقد عاد الضمير إلى بقايا جدران مساكنهم لما فيها من العبرة لمن مر عليها وراءها وهو يرجح أن القرى كناية عن أهلها ، والكناية استعمال الكلمة في معناها الحقيقي لإفادة لازمه فعاد الضمير إلى المعنى الحقيقي لبقائه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٠٢/٢)

وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب (١٠١) (١)

---

(١) . { وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم } :
وهذا من أوضح الأدلة القرآنية الدالة على إبطال قول المجبرة كما قدمت في نظير هذه الآية من سورة التوبة .
{ فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء } :
{ من شيء } أي ما أغنت عنهم من شيء ، وحاصل معنى { فما أغنت عنهم } ما دفعت عنهم من شيء من عذاب الله لا قليلا ولا كثيرا ، وذهب دعاؤهم لها ضائعا باطلا.
{ لما جاء أمر ربك } : لأنه الغالب على أمره فلا دافع لأمره .
{ وما زادوهم غير تتبيب (١٠١) } : ومازادهم شركاؤهم { غير تتبيب } خيبة وخسار ؛ لأنهم كانوا سببا في عذابهم وهو مجاز كقوله تعالى حاكيا { أضللن كثيرا من الناس } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٠٣/٢)

وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد (١٠٢) (١) إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (١٠٣) (٢)

---

(١) . { وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد (١٠٢) } :
كذلك أي كأخذ قوم نوح ، فالأمم المذكورة بعدهم { أخذ ربك } لمن يأخذه ، وبطشه بمن بطش به في هذه الدنيا فليحذر الكافرون بك أن يأخذهم ذلك الأخذ { إن أخذه } سبحانه { أليم } مؤلم { شديد } قوي صليب ليس فيه إبقاء ولا رحمة .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة } :

ذلك : أي أخذه في العاجلة آية لمن يظن أن الله لا يجازي المجرمين وذلك ظن كثير من الذين كفروا .

وقوله تعالى { لمن خاف } أي أنهم الذي ينتفعون ويعتبرون بعذاب الأمم الخالية ؛ لأن الخوف من عذاب الآخرة يبعثهم على النظر الصحيح ، فإن قيل: فما فائدة النظر إذا كانوا قد آمنوا بالآخرة ؟
قلنا: إن الخوف يحصل للعاقل سليم الفطرة بمجرد الإنذار بعذاب الآخرة فيبعثه الخوف على النظر في الآيات ويعتبر بالأمم الخالية المعذبة فيعرف أن الله يعاقب المجرمين لم يهملهم ليفعلوا ما شاؤا وهو لا يجزيهم ، ولو كان مهملا لهم لما عذب القرون الخالية ، وفي قوله تعالى { لمن خاف عذاب الآخرة } انتقال من ذكر عذاب الدنيا إلى ذكر الآخرة وما يكون فيها فقال تعالى :
{ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (١٠٣) } :
{ ذلك } أي الآخرة وتذكير الإشارة باعتبار المعنى ؛ لأنه قابل للتذكير والتأنيث
{ يوم مجموع له الناس } واليوم هنا بمعنى الحادث العظيم كما يقال يوم الحمل ويوم صفين وإن كان وقته أطول من يوم واحد ، فهو كناية عن حوادث يوم الحساب وأهواله .
قال في [لسان العرب] : وقال شمر جاءت الأيام بمعنى الوقائع والنعم ، وقال: إنما خصوا الأيام دون ذكر الليالي لأن حروبهم كانت نهارا ، وإن كانت ليلا ذكروها كقوله :
ليلة العر قرب حتى غامرت ... جعفر يدعى ورهط ابن شكل

انتهى المراد ، وفي قصيدة عمرو بن كلثوم وهي إحدى المعلقات السبع :
وأيام لنا غر طوال ... عصينا الملك فيها أن ندينا

قال شارحها: الأيام الوقائع الغر بمعنى المشاهير كالخيل الغر لا شتهارها فيما بين الخيل انتهى وقال في شرحها أيضا نخبرك بوقائع لنا مشاهير كالغر من الخيل انتهى ، ويؤكد هذا المعنى في الآية الكريمة قوله تعالى { يوم يأتي } فهذا اليوم بمعنى الزمان ، ولا يظهر أن يكون المعنى يوم يأتي يوم بمعنى الزمان وهو ظاهر إذا كان بمعنى يوم يأتي ذلك الحدث العظيم ، ويؤكده أيضا أن الناس يجمعون لما في اليوم من الحساب والجزاء ونحو ذلك ومعنى { مشهود } يشهده الناس كلهم والجن والشياطين والملائكة وكل من يمكن منه أن يشهده ، أي يشهد ذلك الحدث العظيم والخطب الكبير الذي هو البعث بعد الموت وما يكون معه من الأهوال ، ونظير هذا التعبير قوله تعالى { يسألونك عن
الساعة.. } إلى قوله تعالى { ..لا يجليها لوقتها إلا هو } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٠٤/٢)

وما نؤخره إلا لأجل معدود (١٠٤) (١) يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد (١٠٥) (٢)

---

(١) . { وما نؤخره إلا لأجل معدود (١٠٤) } :
{ لأجل معدود } لمدة محدودة لا يتأخر عنها ولا يتقدم قبل انتهاء الأجل ، فالأجل هنا بمعنى المهلة التي منها هذه الحيوة الدنيا أو هي الحيوة الدنيا ، والراجح أن اللام في قوله تعالى { لأجل } هي (لام) التعليل أي لأجل أجل معدود قد جعلناه أجلا وسبقت كلمتنا به فلا يأتي مادام ذلك الأجل .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد (١٠٥) } :
{ يوم يأتي } اليوم المجموع له الناس { لا تكلم نفس إلا بإذنه } فليس لها في الآخرة من الإختيار كما لها في الدنيا فجدالها عن نفسها إنما هو بإذنه ، وشفاعة من يشفع إنما هي بإذنه { فمنهم شقي } ومنهم سعيد الناس قسمان: شقي { وسعيد } يوم يأتي ذلك اليوم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٠٥/٢)

فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق (١٠٦) (١)

---

(١) . { فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق (١٠٦) } :
{ الذين شقوا } ذلك اليوم بما قدموا من جرائمهم فلأجلها شقوا في الآخرة ، فهم في النار { لهم فيها زفير } وهو صوت يصحب خروج النفس { وشهيق } صوت يصحب جذب النفس ، أو الزفير عند جذب النفس والشهيق الصوت مع إخراج النفس اختلف في ذلك ، وحاصلة أن لهم أصواتا كنهيق الحمير ، وقيل: الزفير من أنينهم والشهيق صوت رفيع جدا ، وقيل غير ذلك ، وقد اتفقت الأقوال أن الزفير والشهيق أصوات أهل النار من ألم العذاب ، وقد قال الله تعالى { وهم يصطرخون فيها ربنا

أخرجنا.. } الآية فدل على أصوات مختلفة ، وقال { ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٠٦/٢)

خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد (١٠٧) (١)

---

(١) . { خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد (١٠٧) } :
{ خالدين فيها } باقين فيها لا يموتون كما هو شأن الحيوة الدنيا أن تذهب لشدة العذاب ، وقوله تعالى { ما دامت السموات والأرض } تعبير عن طول المدة واستمرارها ودوامها كقول الشاعر :

لن تزالوا كذلكم ثم لا زلـ ... ـت لكم خالدا خلود الجبال

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: قال القاسم بن إبراهيم عليه السلام : هي سموات الآخرة وأرضها ، وليست سموات هذه الدنيا ولا أرضها التي هي زائلة فانية .

وأما { إلا ما شاء ربك } فهو إخبار عن قدرة الله على إفنائها إن شاء ، وذلك فهو كذلك إذ كان هو الذي خلق وأنشأ ؛ لأنه لا يقدر أحد أن يبقي شيئا بتخليده وإبقاءه إلا من يقدر على أن يفنيه فلم يشأ سبحانه إفناءه ولكن يشاء تخليده وإبقاءه ، وأخبر بقدرته إن شاء على الإفناء كما قدر كما قدر على الإبقاء ، وأن أهل الجنة بإبقائه لهم فيها باقون خالدين [كذا] فيها أبدا لا يفنون كما لا تفنى أرضهم فيها ولا سماؤهم انتهى .
قال الشرفي : ومثل هذا ذكر المرتضى عليه السلام ، قال الفراء والزجاج: إن هذا الإستثناء هو مثل قولك أريد أن أفعل إلا أن أشاء غيره وأنت مقيم على ذلك الفعل ، والمعنى لو شاء أن يخرجهم لأخرجهم ولكنه أعلمهم أنهم خالدون فهو لا يخرجهم انتهى .
قلت: قوله إلا أن أشاء يفيد أنه جعل (ما) مصدرية غير مدية بل بمعنى (أن) المصدرية ، وهو محتمل ، وإذا كانت مدية فهو يصح الإستثناء من قوله تعالى { ما دامت السموات والأرض } لأول يوم يأتي فالمدة المستثناة هي مدة خروجهم من القبور وسوقهم إلى موضع الحساب ووقوفهم للسؤال والعرض

على الله صفا وحسابهم ، وقد قال تعالى
{ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة } وإذا لم يكن هذا المقدار إلا مقدار خمسين يوما فهو يستحق الإستثناء ويبين أن أهل النار لم يكونوا فيها من أول يوم يأتي وكذلك أهل الجنة لم يكونوا فيها من أول اليوم ، وكان مقتضى السياق لولا الإستثناء أن يكون أهل النار فيها من أول يوم يأتي وأهل الجنة فيها من أول يوم يأتي ، واستثناء أول المدة صحيح كما يصح استثناء وسطها وآخرها ، وعلى هذا فأقل أحوالها أن تكون من المتشابه لإجمال المدة المستثناة والمجمل لا يعارض المبين والمتشابه لا يعارض المحكم ، وقد قال تعالى { فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه } وقال تعالى { واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم } وقال في التوراة { وأمر قومك يأخذوا بأحسنها } ولا إشكان أن المحكم والمبين أحسن من المتشابه والمجمل وإن كان القرآن حسنا كله .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٠٧/٢)

---

* وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ (١٠٨) (١)

---

(١) . { * وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ (١٠٨) } :
{ غير مجذوذ } مقطوع فهو بخلاف عطاء الدنيا فهو ينقطع فالعنب والتين ونحوهما تثمر في بعض السنة ثم تنقطع والشباب ينقطع والقوة والصحة تنقطع والحيوة تنقطع .
فإن قيل: ما الفارق بين آية الأشقياء وآية السعداء حيث قال تعالىفي آخر الأولى
{ إن ربك فعال لما يريد } وقال تعالى في آخر آية أهل الجنة { عطاء غير مجذوذ } ؟
فالجواب: أن المشركين يقولون فيمن يعبدونهم { هؤلاء شفعاؤنا عند الله } فرد الله عليهم وبين أنه لا يتدخل أحد يومئذ لتحويل حكم الله على أعدائه ، فكرر في القرآن
{
وما للظالمين من أنصار } ونحوها وكرر نفي الشفاعة أو نفي نفعها ، وكرر أنه تعالى فعال لما يريد هنا وفي سورة البروج { إن بطش ربك لشديد.. } إلى قوله تعالى { ..فعال لما يريد } وفي سورة الحج { ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء } وقال تعالى في سورة المعارج { بعذاب واقع

للكافرين ليس له دافع } وفي سورة الطور { إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع } فأما السعادة فليس في أوهام المشركين أن شركاءهم تدفعها أو تشفع لهم في فواتها ، وأما قوله تعالى في الجنة { عطاء غير مجذوذ } فهو ترغيب فيها ليرجحها العاقل على الدنيا كقوله تعالى { مثل الجنة التي وعد المتقون أكلها دائم وظلها } وقوله تعالى { وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة } فجاء في كل واحد من السياقين ما يناسبه ، فأما قوله بعض المخالفين إن قوله تعالى { عطاء غير مجذوذ } يفهم منه أن العذاب مجذوذ فالجواب: أنه لا وجه لهذه الدعوى وليس هذا محل مفهوم من المفاهيم التي ذكرها أهل الأصول ، ويلزمهم في فاكهة السابقين أن يفهموا انقطاعها لأن الله تعالى قال في فاكهة أصحاب اليمين { لا مقطوعة } ولم يقل ذلك في فاكهة السابقين .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٠٨/٢)

فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص (١٠٩) (١)

---

(١) . { فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص (١٠٩) } :

{ في مرية } في شك وتردد من أصنام المشركين أو من شركهم أي لا تتردد في بطلانه ، وتفريع هذا على ما مر في السورة من إرسال الرسل المذكورين إلى قومهم وأمرهم لهم بعبادة الله وتدميرهم لإصرارهم على الشرك وتكذيبهم لرسلهم ، فذلك يدل على أن دين الله في الأولين والآخرين هو عبادة الله وحده واجتناب الشرك وأن الشرك باطل .

أما قوله تعالى { ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل } فهو يبين أنه لا برهان لهم يعتمدونه ، ولا وحي من الله يتبعونه وإنما هؤلاء المشركون مقلدون لآبائهم في باطلهم ، وقوله تعالى { من قبل } يناسب ذكر اتباعهم لهم واقتدائهم بهم ، ويبين أن قوله { يعبد } المراد به في الماضي وإن كان بلفظ المضارع ولعل سببه أن هؤلاء المشركين يستحضرون عبادة آبائهم لشركائهم في أذهانهم فيتبعونهم فيها ، وقوله تعالى { وإنا لموفوهم نصيبهم } أي إنا سنوفي هؤلاء نصيبهم من العذاب { غير منقوص } مما يستحقون بل كامل موفور وفي لفظ النصيب ولفظ منقوص تهكم بهم مثل { فبشرهم بعذا أليم } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٠٩/٢)

ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه (١)

---

(١) . { ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه } :
الخلاف فيه إما بين أهل الكتاب وغيرهم من أهل الديانات القديمة وإما بين أهل الكتاب أنفسهم في بعض تفاصيله بسبب ما يحدث من بعضهم من كتابة ما ليس منه ودعوى أنه منه كما قال تعالى { وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب } أو بسبب الخلاف في أنواع الكلام منه كما اختلف الإسلاميون في الأمر مثلا هل هو للوجوب ، وفي ألفاظ العموم ، وفي دلالة بعض الكلام على بعض الأحكام توصلا إلى الخلاف في الدين لأغراض سياسية ، وعلى الأول يكون قوله تعالى { فاختلف فيه } تسلية لرسول الله حيث اختلف الناس في القرآن فمنهم من آمن ومنهم من كفر كما اختلفوا في التوراة من قبل ، فأما الثاني فهو خاص بأهل الكتاب وفيه تسلية عنهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢١٠/٢)

ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم (١) وإنهم لفي شك منه مريب (١١٠) (٢)

---

(١) . { ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم } :
{ كلمة } أي الحكم بإمهالهم وإمهال غيرهم لمدة الإختبار إلى أجل قال تعالى { ولكل أمة أجل } وقال تعالى { ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين } { لقضي بينهم } لقضي بين المختلفين .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وإنهم لفي شك منه مريب (١١٠) } :

{ مريب } مقلق لهم لأنه شك يهمهم بأحد احتماليه أو كليهما .
قال الشاعر :

لقد رابني من عامر أن عامرا ... بعين الرضى يرنوا إلى من جفانيا

قال صاحب [لسان العرب]: ورابني فلا يريبني إذا رأيت منه ما يريبك وتكرهه انتهى ، ومثله في [الصحاح] .

قال في [الكشاف] في تفسير أول سورة البقرة وحقيقة الريبة قلق النفس واظطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي قال سمعت رسول الله يقول : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الشك ريبة وإن الصدق طمأنينة أي فإن كون الأمر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ، ومنه أنه مر بظبي حاقف فقال لا يربه أحد بشيء انتهى ، فظهر أن الريب هو القلق الذي يحدث من الشك في الشيء وأنه أظهر من تفسير الريب بالشك نفسه فأما على تفسير الريب بالشك فيكون المراد بقوله تعالى { شك مريب } المبالغة في شكهم كما لو قيل ريب مريب ، وفي صحته نظر ؛ لأنه يحتاج إلى تصحيحه في اللغة والمعهود في المبالغة أنها تكون مع اتفاق اللفظ في الإشتقاق مثل ليل أليل ومثل قول الشاعر :
مروان يا مروان لليوم اليمي
فإن قيل: فما المانع أن يكون معنى { شك مريب } شك يحدث شكا آخر حقيقة لا مجرد مبالغة ، فالجواب : أن الشك الآخر لم يذكر متعلقه أي لم يذكر فيماذا الشك المتولد من الشك وبذلك تقل فائدة ذكره أو يكون التعبير ضعيفا والقرآن منزه عما لا فائدة فيه وعن ضعف التعبير فهذا الوجه ضعيف نعم والضمير في قوله تعالى { وإنهم لفي شك } للمختلفين فيفيد أن الكافر والمقر بالتوراة كلاهما في شك ، وهذا على الوجه الأول في ذكر المختلفين ، أما على الثاني فيفيد أن أهل الكتاب أنفسهم في شك منه كقوله تعالى
{ وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب } فيفيد أنهم غير مؤمنين به إيمانا صادقا عن يقين كما يشير إليه قوله تعالى { قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين } ردا على قولهم { نؤمن بما أنزل علينا } ونسبة الشك إليهم بالنظر إلى الجمهور لأن منهم المؤمنين .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢١١/٢)

وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير (١١١) (١) فاستقم كما أمرت ومن تاب معك (٢)

---

(١) . { وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير (١١١) } :
{ كلا } أي كل المختلفين { ليوفينهم ربك أعمالهم } أي جزاء أعمالهم (واللام) في { لما } هي الموطئة للقسم إن كانت (إن) هي المخففة من الثقيلة (واللام) في قوله تعالى
{ ليوفينهم } لام جواب قسم مقدر أي أقسم ليوفينهم ربك أعمالهم ، وأعمالهم يعم الخلاف وغيره لذلك قال تعالى { إنه بما يعملون خبير } أي فلا يفوته شيء من أعمالهم ولا من خبرها وباطنها ولذلك فهو يوفيهم كل أعمالهم بقدر ما تستحق من الجزاء .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فاستقم كما أمرت ومن تاب معك } :
{
فاستقم } تفريع على الوعد بتوفية الأعمال أو تفريع ما مر في السورة من القصص وغيره مما هو باعث على الثبات على الحق ، والإستقامة ضد الإعوجاج أي اثبت على الحق حتى لا تميل عنه أدنى ميل { كما أمرت } كما أمرك الله فهو يبين لك الإستقامة على الحق ؛ لأنها هي العمل بما أوحاه الله إليه من التكاليف كلها { ومن تاب معك } فليستقيموا كما أمروا ومن تاب هم المؤمنون ، وقوله { معك } أي مصاحبين لك في التوبة إلى الله ملازمين لك فهو خاص بهم كما خص رسول الله يقوله { فاستقم } ولعل فائدته أنهم هم مظنة الثبات وأنهم الذين يفيدهم هذا الحث دون المنافقين ومن لم يؤمن ممن أسلم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢١٢/٢)

ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير (١١٢) (١) ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون (١١٣) (٢)

(١) . { ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير (١١٢) } :
لا تتجاوزوا حد العبودية بظلم عباد الله أو التكبر عليهم أو نحو ذلك { إنه } أي إن الله { بما تعملون بصير } لعلمه به وبمقدار ما يستحق من الجزاء وعلمه بما هو خطأ يستحق العفو ونحو ذلك من أحوال العمل التي توجب اختلاف حكمه .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون (١١٣) } :
قال في [الصحاح]: ركن إليه أي مال إليه وسكن ، قال الله تعالى { ولا تركنوا إلى الذين ظلموا } انتهى باختصار ، ومثله في [لسان العرب] .

وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام: معناه ولا تميلوا انتهى ، وفي كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام : الركون إلى الدنيا مع ما تعاين منها جهل أي الإطمئنان ، وفي هذه الآية دلالة على تحريم الركون إلى الذين ظلموا وإن لم يبلغ حد الموالاة ، وليس من هذا مجرد المجاملة والمداراة ومكافاة الإحسان بالإحسان كما قال تعالى { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم } فالميل إليهم رغبة في النفس وحب لمجالسهم أو عاداتهم أو زيهم أو نحو ذلك من لوازم الرغبة في طريقتهم أو في دنياهم والإطمئنان إليهم ، وقوله تعالى { فتمسكم النار } وعيد بالعذاب ؛ لأنها إذا مست أحرقت ، وقوله تعالى { وما لكم من دون الله من أولياء } حال من
{ تمسكم النار } أي تعذبون في حال أنه مالكم من دون الله من أوليا يتولون رعايتكم ليحولوا بينكم وبين عذاب الله { ثم لا تنصرون } من عذاب الله لا ينصركم أحد .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين (١١٤)
(١)

(١) . { وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات } :
{ وأقم } عطف على النهي ، أو على { فاستقم } وطرفي النهار أوله فهو وقت لصلاة الفجر وآخره وقت لصلاة العصر ، وللعصر والظهر إذا أخرت الظهر فهو وقت لهما .
{ وزلفا من الليل } في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام معناه ساعات منه واحدها زلفة انتهى .
وقال الشرفي في [المصابيح]: قال في [البرهان]: { وزلفا من الليل } جمع زلفة والزلفة المنزلة ، فكأنه قال: ومنازل من الليل أي ساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قربه انتهى.
قلت: لعل الأصل أو هي ساعاته بدليل قوله: من أزلفه إذا قربه ، ففي كلامه ذكر احتمالين أنه من الزلفة بمعنى المنزلة ، وأنه من أزلفه إذا قربه ، فعلى الأول ساعات من الليل غير مقيد ، وعلى الثاني ساعات من الليل قريبة والله أعلم .

ولعل الأقرب الأول وجعلت زلفا لأنه زلف لمن أحياها بالقيام ، أي درجات يرقى فيها وقرب يتقرب بها أي بقيامها وسهرها إلى الله ، وقوله تعالى { إن الحسنات يذهبن السيئات } يحتمل يمحون السيئات ، ويحتمل ينهين عن السيئات كقوله تعالى { إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس } وكقوله تعالى { إن الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر } وعلى الإحتمال الأول يخص الخطأ ونحوه ؛ لأن العمد يخرج صاحبه عن كونه من المتقين فلا تقبل منه حسنة والله تعالى يقول { إنما يتقبل الله من المتقين } وعلى الإحتمال الثاني يكون المعنى إن الحسنات لطف في ترك السيئات كما روي في صيام أيام البيض إنها تذهب وحر الصدر .
{ ذلك ذكرى للذاكرين (١١٤) } :
{ ذلك } الأمر والنهي ، ولعل الإشارة إلى ما سبق من قوله تعالى { فاستقم } وما بعدها { ذكرى } تذكرة وموعظة { للذاكرين } غير الغافلين والذاكر ضد الناسي ، فالذاكرون الذي يقبلون الذكرى وينتفعون بها .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين (١١٥) (١) فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم (٢)

---

(١) . { واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين (١١٥) } :
{ واصبر } على كل التكاليف التي حملتها { فإن الله لا يضيع أجر المحسنين } فأجرك لا يضيع فأنت بأعمالك تعمل لنفسك وتتجر تجارة لن تبور بل ربحها عظيم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم } :
لولا بمعنى هلا ، وحاصله الإنكار عليهم حيث لم يكن فيهم بعض منهم صالحون { ينهون } قومهم { عن الفساد في الأرض } حتى لا يهلكوا كلهم بالعذاب العام ثم بعذاب الآخرة ، وقوله تعالى { أولوا بقية } في معناه هنا خلاف بين أهل اللغة والراجح منها الإبقاء على أنفسهم كما قال الشاعر :

قال البقية يا قيسا فقلت له ... صبرا حذيف فأنت السيد الصمد

ومن جهة المعنى أنهم بنهيهم عن المنكر يبقون على أنفسهم أي ينقذونها من الهلاك كما قال تعالى { أنجينا الذين ينهون عن السوء } فالمعنى أولو بقية أي إيمان وتقى وطاعة لله ولذلك ينهون عن الفساد في الأرض ، وقوله تعالى { إلا قليلا ممن أنجينا منهم } استثناء لأجل النفي المفهوم من قوله تعالى { فلولا } فكأنه قيل فما كان من القرون أولوا بقية ، وعمومه ينفي القليل والكثير فاستثنى القليل لأنهم بنهيهم نجوا أنفسهم وإن لم ينقذوا قومهم كما لو كانوا كثيرا يستطيعون التغيير ، وقوله تعالى { ممن أنجينا } يدل على أنهم بعض من أنجاه الله فمن هو البعض الآخر ؟ والجواب أنه من ترك النهي لعذر صحيح .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين (١١٦) (١)

---

(١) . { واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين (١١٦) } :
{ الذين ظلموا } من القرون لم يوجد منهم من ينهاهم عن الفساد بحيث يحول بينهم وبينه ، واتبعوا أموالهم التي أترفوا فيها وشهواتهم فجعلوها هي السعادة واستكبروا في أنفسهم بسبب إحرازها ، وعظمهم الجاهلون بسببها فاستحقروا الرسل وأتباعهم وأنفوا من الإنقياد لهم .
وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام ما أترفوا فيه معناه ما تكبروا فيه انتهى ، وهو تفسير بحاصل المعنى ، وعلى هذا فالمراد بالذين ظلموا كبراء الأمم الماضيين وقادتهم إلى الفساد { وكانوا مجرمين } فانقاد للكبر وهوى النفوس .
قال الراغب: الترفه التوسع في النعمة يقال أترف فلان فهو مترف انتهى ، وفي [لسان العرب] : الترف التنعم والترفة النعمة انتهى المراد .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢١٦/٢)

وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون (١١٧) (١) 'x© y7o/u$!ںqs9ur u
ں@Bé¨pZ #$9Z¨$¨} :&yèpgm Zoy‰دn؛2) ur)

---

(١) . { tb$ tBur%ں٢ ڑپu/o' ڑپد=gôمڈد٩ ٣"tچùN8 #$9(à=فàخ/
$rd÷=ègy&ur ڑqcكsخ=ءمB اتتذب } :
ما كان ربك ليهلك : نفي مؤكد يفيد أنه ليس من شأنه تعالى ولا يليق بجلاله أن يهلك { القرى بظلم وأهلها مصلحون } وهو تأكيد للدلالة على أن سبب هلاك القرون الأولى هو الفساد في الأرض فما أخذهم الله إلا بذنوبهم وهذا ليعتبر بهم الباقون بعدهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { u ur9sqں!$u/o7y ©x' ں@Bé¨pZ #$9Z¨$¨} :&yèpgm
Zoy‰دn؛ur } :

{ أمة واحدة } غير مختلفين في الدين لكنه غني عن عبادتهم وقضت حكمته التمكين لعباده من الطاعة والمعصية وتركهم يختارون ما شاؤا كما قال تعالى { وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر } مع أنه قادر على أن يضطرهم إلي التوحد على عبادته .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢١٧/٢)

---

tbqںwur t#٩ںt"tƒt ڙüدےخ=tGƒèC اترب wخ) zM` 1دtB) y7o/u' m§')

---

(١) . { tbqںwur t#٩ںt"tƒt ڙüدےخ=tGƒèC اترب } :
لا يزالون في المستقبل { مختلفين } لأنه مكنهم أن يختاروا لأنفسهم ما شاؤوا فمنهم من يتبع هواه ، ومنهم من يتبع عقله .
{ wخ) zM` y7o/uدtB 'm§' } : فهم لا يختلفون في الحق بل يتوحدون على دين واحد بهداية الله لهم كما قال تعالى { فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه } والسياق يرشد إلي أن المراد بالإختلاف ما به يكون بعضهم مطيعا مصلحا وبعضهم عاصيا مفسدا إلا مجرد الإختلاف في فروع المسائل مع تحري كل طرفي الإختلاف للحق ومع اتفاقهم على تقوى الله والإيمان الذي لا يعذر بتركه أحد ، والدليل على هذا قول الله تعالى { وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به } وقوله تعالى حاكيا مقررا { ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢١٨/٢)

---

y7دy٩s؛%خ!O urك1) zy=n(gs)

---

(١) . { y7دy٩s؛%خ!O urكzy=n(gs } إن كانت الإشارة إلي قوله تعالى { إلا من رحم ربك }

فالمعنى وليرحمهم بالهداية والتوفيق خلقهم ؛ لأنه خلقهم لعبادته وهي ملزوم الهداية والرحمة ولازمهما فلا إشكال ، وإن كانت الإشارة إلى قوله تعالى { ولا يزالون مختلفين } فهي من المتشابه .
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: قال القاسم عليه السلام [هو القاسم بن إبراهيم] فلن يزالوا كما قال الله سبحانه مختلفين ؛ لأن الإختلاف لا يزال بين المحقين والمبطلين وهو خبر من الله عما يكون وأنهم لن يزالوا يختلفون فيما يستأنفون فالإختلاف منهم وفيهم ولذلك نسبه الله إليهم ، وقوله { إلا من رحم ربك } يريد من المؤمنين فإنهم في دينهم مؤتلفون غير مختلفين ، وقوله تعالى { ولذلك خلقهم } يقول سبحانه للمكنة [من] ما يجب به الثواب والعقاب من السيئة والحسنة ، ولولا خلقه لذلك على ما فطرهم عليه من ذلك لما اختلفوا في شيء ولما نزل بهم أمر ولا نهي ولا كان فيهم مسيء ولا محسن ولا فيهم كافر ولا مؤمن ولكانوا كالموات الذي لا يسيء ولا يحسن ولا يفجرعند الله ولا يتقي انتهى .
وقد يقال: كيف صحت الإشارة إلى المكنة وهي غير مذكورة ؟

والجواب: قد ذكر لازمها فكأنه قيل: ولكونهم لا يزالوان مختلفين خلفقهم لأنه أراد أن يخلقهم ليمكنهم من التقوى والفجور وهو يعلم أن ذلك يستلزم أن يختلفوا ، فالتعليل بكونهم لا يزالون مختلفين راجع إلى سببه أي لأنه مسبب عن التمكين ، وفائدة هذا التعبير الدلالة على أنه تعالى غني لا يمنعه كونهم سيختلفون عن خلقهم كما قلت في { ختم الله على قلوبهم } ولذلك كانت من المتشابه وقد قضت حكمة الله أن يجعل القرآن منه آيات محكمات وأخرمتشابهات ، ونظير التعليل بلازم العلة قولك قصرت الصلاة لأني مسافر ، فالمراد لأن المسافر شرع له القصر والمراد بالتعليل قصرت لأنه شرع لي القصر .
هذا وقد ذكر الشرفي في تفسير آخر فقال : وما أحسن قول الهادي عليه السلام حيث قال : والذي أراه أنا في ذلك أنه سبحانه أراد أنه خلق المؤمنين لمخالفة الكافرين ؛ لأن مخالفة الكافرين في كفرهم أعظم الطاعة لرب العالمين ، وقد قال الله سبحانه { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } فأخبر أنه لم يخلق الخلق إلا لعبادته ، فمن خالف عبادته وطاعته فمخالفته في ذلك فرض من الله على من يخالفه ولا مخالفة لأعداء الله ولا مفارقة أكبر من ضرب وجوههم بالسيف وسفك دمائهم ومجاهدتهم على مخالفته الحق ، وهذا فهو أكبر فرائض الله على خلقه وأعظم ما افترض الله على عباده ؛ ولهذا خلق الخلق لأنه أفضل عبادته ، فإذا صح المخالفة للفاسقين على المؤمنين والجهاد لهم فقد صح أن لتلك المخالفة التي افترضها عليهم خلقهم وإليها دعاهم وبها [في الأم من تفسير الشرفي : وبما وهو غلط واضح تمت منه] في أعدائه أمرهم انتهى .
وقال في [البرهان] ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك من أهل الحق فلم يختلفوا { ولذلك خلقهم } أي للرحمة خلقهم انتهى ، قال الشرفي: وهذا قول ابن عباس وهو اختيار جمهور المعتزلة انتهى ، وقد

بسط الشرفي في تقوية هذا التفسير الأخير .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢١٩/٢)

---

f9$#ةp¨Yد Bد`n/u' ¨bV|BV{ zO¨Yygy_ zخx. y7=خôM£Js?ur èpyJ
Bد`ô مà)¯R y7‹n=tب ur.ںyx (١) اتتزب &èuHdrدZ9$#ur tûü¨$¨ؤ
xsèù #ٹx8y /خmد¾ m7sVçRخtB àM$ #$٩چ"™ك@ب &t6/Rr$!دن
((2

---

(١) . { Bد`n/u' ¨bV|BV{ zO¨Yygy_ zخx. y7=خôM£Js?ur èpyJ
f9$#ةp¨Yد ؤ¨$¨tûü &èuHdrدZ9$#ur اتتزب } :
تمت : من التمام ضد النقصان وهو التمام المعنوي ، ومعناه أنها حقت أي أنها حق وصواب ، وقوله تعالى { لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين } تفسير لكلمته التي حكم لها بالتمام ، وكل كلماته تعالى حق وصواب فكلها تامة .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ur.ںyx y7‹n=tب مà)¯R Bد`ô دن!&t6/Rr$ ب@ك™"چ٩$# $ tB
àMخm7sVçR خmد¾/ xsèù#ٹx8y } :
}
وكلا } حذف المضاف إليه وعوض بتنوين العوض ، وفسره قوله تعالى { من أنباء الرسل } أي وكل ذلك القصص المذكور ، فحذف لأنه كفى عنه قوله تعالى { نقص عليك من أنباء الرسل } أي أخبارهم أي الإخبار عنهم { ما نثبت به } أي نقص ما نثبت به { فؤادك } أي نثبت نطمئن قلبك على ما أوحي إليك وما كلفته حتى لا يكون قلقا مضطربا مع كثرة المخالفين لك وقوة الخلاف بينك وبينهم المؤدي إلى القتال .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٢٢٠/٢)

Œur د.چt"qtBur 3مدyd ',ys9$# ×psà"›änح ûخ' y`ur%!ٍx8u
ƒ مB÷sدYمw tbqں j9د#©%دè%ur tûï@ (١) اتثقب ٩د=JùكB÷sدYدtûü
اتثتب مt"Jد=tbqè (خGtR%s3tB $¯Rد٣ٍN مn?t'ٍ #$م(#qè=yJô
(#ےمچrدR$¯ $#ur$àtGR (خ$àtFZمچدtbr B (٢) اتثتب !

---

(١) . { y`ur%!ٍx8u ûخ' yd"›änح } السورة { 'ys9$# ×psà، qtBur مدys9$#
3"t.چد tûüدŒur YدB÷sدJùكB=دو ٩ اتثقب } :

{ الحق } فكل ما في هذه السورة من القصص وغيرها هو الحق ، وإن خالف في بعضها الكافرون وجاءك فيها موعظة كذكر اليوم المجموع له الناس وما يكون فيه ، والأمر بالإستقامة ، والتحذير من الطغيان ومن الركون إلى الظالمين ، والوعيد المذكور في السورة كله ، وقوله تعالى { وذكرى } أي تذكير للمؤمنين الذين تنفعهم الذكرى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { tûï@ دè%ur#©%دj9 ںtbqw مB÷sدYمyJô=#qè(ƒ م$# ٍ't?n م
N٣ٍدR$¯ $#tBt3s%RtG خ) tbqè=دJ"t م اتثتب (#ےrمچدR$¯ $#ur$àtGR (خ
tbrمچدZFtàB م اتثتب } :

{ لا يؤمنون } بما جئت به من القرآن ، أو من هذه السورة { اعملوا على

مكانتكم } إما على تمكنكم أي على ما أنتم عليه من التمكن والقوة ، وإما على أتئادكم غير معجلين ، أي نتكركم وشأنكم ونحيلكم إلى حكم الله فيكم { إنا عاملون } على ما نحن عليه { وانتظروا } الجزاء من ربكم { إنا منتظرون } لجزائه لكم العاجل أو منتظرون لجزائه لنا على عملنا وستعلمون من يأتيه عذاب يخزيه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/١٢٢١)

#$}BFمچ ƒچم_yکی urخ(m‹s9د F{$#ur'اع 9$#،،yJ"uq؛Nد xî›=. ur
'tBur y7o/u$ ؟m‹n=tد sù @2uqs?ur$$مçnô%‰ç6ô .ن#–&م¼
@@دے"tخ/ $Jt£م tbqè=yJ÷ès؟ اتثجب (١) .

---

(١) . { F{$#ur'اع 9$#،،yJ"uq؛Nد xî›=. ur! } :
فهو العليم بما غاب عنا فيهما ومنهما ومن شأنهما ، ويعلم موعد الجزاء لعباده ، ويعلم الأعمال ظاهرة وباطنة لا تخفى عليه خافية .
{ urخ(m‹s9د ƒچم_yکی #$}BFمچ .ن#–&م¼ } :
لأنه القادر على كل شيء والعليم بكل شيء فأرجع أمرك وأمر قومك إليه وإلى تدبيره لشأنك وشأنهم وإلى جزائه وحكمه بينكم .
{ sù$$مçnô%‰ç6ô } : فيما بقي من عمرك كما عبدته فيما مضى .
{ @٢uqs?ur دm‹n=tم } في عبادتك له وطاعتك لتكاليفه من تبليغ الرسالة وغيره ، أي كل أمرك إليه فامض على ما أمرت به اعتمادا على حفظه وعونه لك وتدبيره لشأنك.
{ 'tBur y7o/u$ @@دے"tخ/ $Jt£م tbqè=yJ÷ès؟ اتثجب } :
أنت ومن معك ومن عاداك وكذبك فاكتف بذلك في ثباتك على طاعته وعنايتك بتقواه ومراقبتك له وصبرك على ما كلفت من تبليغ الرسالة والمجاهدة لأعداء الدين وغير ذلك .
والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢/١٢٢٢)

بسم الله الرحمن الرحيم
؟ ابتداء تفسير سورة يوسف
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] سورة يوسف عليه السلام مائة وإحدى عشر آية ، قال الإمام الناصر أبو الفتح الديلمي عليه السلام سورة سورة يوسف مكية كلها .انتهى.
{ بسم الله الرحمن الرحيم ألر } قد مر في تفسير أول سورة الأعراف بحث في هذه الحروف { تلك آيات الكتاب المبين } {تلك} إشارة والراجح أن المشار إليه هذه الحروف المذكورة في أوائل عدة من

السور ، وفي ذلك فائدتان:
الأولى: أن هذا الكتاب المعجز هو في أصله مؤلف من الحروف التي تنطق بها العرب فما عجزهم عن الإتيان بمثله مع أنه من جنس الحروف التي ينطقون بها إلا من أجل حكمته وإحكامه .
الثانية: الدلالة على أن الكتاب هو مؤلف من الحروف أوحاه الله لا الكلام النفسي ولا مجرد المعاني بدون ألفاظ فهو تحقيق لوحيه بحروفه وكلماته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله /
ـن أخا العراق إذا أتينا
أن العراق وأهله

عنق إليك فهيت هيتا

أي فهلم هلم ، .انتهى.
وفي [الصحاح]: وقولهم هيت لك أي هلم لك قال الشاعر في علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

أبلغ أمير المؤمنيـ ... ـن أخا العراق إذا أتينا
أن العراق وأهله ... سلم إليك فهيت هيتا

(١٢٢٣/٢)

أي هلم وتعال لي يستوي فيه الواحد والجمع إلا أن العدد فيما بعده ، تقول هيت لكما وهيت لكن ، .انتهى ، ونحوه في [لسان العرب] .
واللام في {لك} إما للدلالة على أنه المخاطب [بفتح الطاء] ، وإما للدلالة أنها تريد العمل لأجله ليلتذ به كما يقال كل لك واشرب لك ، وقول يوسف {معاذ الله} يعني أعوذ بالله معاذا ، ومعنى أعوذ بالله: ألجأ إلى الله ليعصمني ويعينني على نفسي ، وقوله ({إنه ربي أحسن مثواي) } أي إأن الله ربي مالكي {أحسن مثواي} أنعم علي بتيسير هذا المثوى الذي أنا فيه الذي سخر له العزيز وحببه إليه حتى قال {أكرمي مثواه} وخلصني به من تبادل أيدي التجار ، وفيه وجهان:
إما أنه يريد أرجوه أن يعصمني كما أنعم علي بإحسان مثواي ، وإما أنه يريد أنه أنعم علي بإحسان مثواي فلا أكفر نعمته بمعصيته وفيه إفادة أن الحق لله علي أعظم من حق غيره ليدفع توهمها أنه فتاها عليه أن يطيعها ، وقوله ({إنه لا يفلح الظالمون) } تعبير عن حذره سوء عاقبة المعصية لله ؛ لأنها ظلم عاقبته وخيمة ، والفلاح: الظفر بالخير والنجاة من الشر ، وفيه قول الشاعر :

لو أن حيا مدرك الفلاح ... أدركه ملاعب الرماح

يريد الخلود والنجاة من الموت .

}

(١٢٢٤/٢)

ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين } :

قال الشرفي في [المصابيح] : قال الحسين بن القاسم عليه السلام معنى همت به وهم بها أي أرادته وأرادها وكانت إرادته صلى الله عليه إرادته . كذا . منازعة الطباع ولم يزمع كما أزمعت هي على الجماع ، وإنما خطر على باله الشهوة والهوى ولم يطع هواه إلى الدنو منها .، انتهى المراد.

(١٢٢٥/٢)

وقوله تعالى ({لولا أن رأى برهان) } أي رأى يوسف حجة ربه عليه القاطعة لعذره لو ارتكب الفاحشة ولكنه رأى برهان ربه فانصرف عما هم به وهرب ، وقوله تعالى ({كذلك) } لعل الإشارة إلى مدلول قوله {إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون} وهذا برهان صرفه عنها فرأى برهان ربه ثانيا كذلك ، والراجح إنهاء أنها آية حدثت له ورآها ، وقوله تعالى ({لنصرف عنه السوء والفحشاء) } أي أريناه البرهان لنصرف عنه السوء والفحشاء ، والسوء الشر وهو نوعان : سوء المعصية وما فيها من وجوه القبح من حيث هي زنا ، ومن حيث هي خيانة للعزيز في أهله وكفر لإحسانه إليه في تربيته ، النوع الثاني : تبعة المعصية واستحقاق فاعلها للعقاب العاجل والآجل ، والفحشاء هي البالغة في القبح مبلغا شنيعا وهي الزنا ، وصدق عليه السوء من حيث هو شر على فاعله يسقط به قدره وشرفه ويستحق به الإهانة والعقاب ، وصدق عليه الفحشاء لشدة قبحه ، وأيضا الراجح أن المراد لنصرف عنه السوء كله مدا الحياة أي المعاصي المتعمدة كلها والفحشاء كذلك ، فالسوء يصرف عنه ولولم يكن فحشاء ، وقوله تعالى ({إنه من عبادنا المخلصين) } تعليل لعصمته من السوء والفحشاء كما يزيد الله من اهتدى هدى ،

(١٢٢٦/٢)

والمخلصين الذين جعلوا خالصين من عيوب المعاصي وإخلاصهم منها بتوفيق الله وهدايته ؛ ولأنهم استعملوا عقولهم وأكثروا ذكر الآخرة ، ولعله معنى قوله تعالى {إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار} .

{ واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم } :

{واستبقا الباب} حاول كل منهما أن يسبق الباب الذي هو باب الدار فيوسف يريد أن يسبقه ليخرج وهي تريد أن تسبقه لئلا تتركه يفتحه وقدت قميصه لترده في حال فراره فقدته بجذبه إليها {وألفيا سيدها} وجدا سيدها عند الباب {قالت} لسيدها {ما جزاء من أراد بأهلك سوءا} تعني أنه أراد بها الزنا {إلا أن يسجن أو عذاب أليم} عقوبة له على إرادته بأهلك فهي هنا تثبت حرمة أهله لكونها أهله وبهذا تحاول صرف التهمة عنها وكذلك بإيجاب جزائه بالسجن أو العذاب الأليم على هذه الإرادة بامرأة العزيز أي لمكانة زوجها ووجوب احترام ساحته.

{ قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين } :

}

(١٢٢٧/٢)

قال} يوسف {هي راودتني} لا أنا راودتها ففي العبارة قصر قلب ، وقوله ({إن كان قميصه) } أي قميص يوسف قد من قبله {فصدقت} لأن ذلك قرينة أنه يريد رفعه وجذبته إلى أسفل لئلا يكشف عن ذكره.

{ فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم } {فلما رأى} يحتمل سيدها ويحتمل الشاهد ، والأرجح سيدها {قال} سيدها {إأنه من كيدكن} أي من احتيالكن الضار ، والضمير في {إأنه} إما للقد ، وإما للحادث الممتنازع عليه فكله مستقيم ، وفي إضافته إليها وإلى عامة النساء رفق بها في الحكم عليها وتقوية للحكم بأنها مظنته من حيث هي امرأة ، وقوله ({إن كيدكن عظيم) } دلالة على أنها مظنته وإأن عظم.

{ يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين } يا {يوسف أعرض عن هذا} فلا تطالب بجزائها واكتمه {واستغفري لذنبك} يقول لامرأته استغفري لذنبك {إنك كنتت من الخاطئين} فهذا زجره لها ، وقد كان ينبغي له أن ينقل يوسف من ساعته إلى محل لا تصل إليه امرأته لكنه قليل

الغيرة وأنه قد وثق باعتصام يوسف ، وأنه لا يطاوعها أبدا ولم يهمه ما يلحق يوسف من مشقة الإستعصام ، والخاطئ فاعل الخطء [بكسر الخاء وسكون الطاء] وهو الذنب المتعمد.
}

(١٢٢٨/٢)

وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين } : إنكار منهن على امرأة العزيز يعنين أنها تنازلت عن درجتها في الشرف بمراودتها لعبدها والفتى الحدث الشاب ، وشغفها: أصاب شغاف قلبها أي حجاب قلبها وكان هذا منهن احتيال ليرين يوسف ؛ لأنه يبلغها كلامهن فيها فتطلبهن لتعاتبهن على هذا الكلام وتعتذر مما وقع منها.
{ فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأاعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم } :
}

(١٢٢٩/٢)

فلما سمعت} امرأة العزيز {بمكرهن} أي أخبرت به ومكرهن كلامهن الذي هو حيلة للتوصل إليها ورؤية يوسف {أرسلت إليهن} ليأتينها {وأاعتدت لهن} أي وأعدت لهن {متكأ} فراشا يتكئن عليه عندها {وآتت كل واحدة منهن سكينا} ليقطعن الفاكهة من تفاح أو نحوه أو أرادت أن توهمهن أنها تأتي بالفاكهة ، والأول أظهر ، {وقالت} ليوسف {أخرج اخرج عليهن} يفيد هذا أنه كان في مكان داخل إما داخل في منزلها ، وإما أن متكأهن كان في حجرة المنزل فخرج بإذن الله له لأنه نبي {فلما رأينه أكبرنه} عظم في نفوسهن وكبر لجماله وكماله ونور النبوة والفضل في الدين {وقطعن أيديهن} بالسكاكين غلطا وذلك لما وقع في أنفسهن عند رؤيته .
،

(١٢٣٠/٢)

قال الشرفي في {المصابيح} : قال الحسين بن القاسم عليه السلام فوروي أنهن قطعن أيديهن وذلك معروف في طباع الآدميين إذا اشتغلت قلوبهم وضلت من الهموم عقولهن[كذا] عبثت حينئذ وتحركت

جوارحهم وقلقت أيديهم عند قلق نفوسهم فمنهن[كذا] من يخط في الأرض ومنهم من يعبث بيده ولحمه لما داخله من همه وزوال عقله ، ثم قال: {وقلن حاش لله} أي معاذ الله وهي كلمة تنزيه الله من صفات العجز وتعجبا من خلق مثله حتى قلن {ما هذا بشرا} أي من جملة البشر لما شاهدن من حسنه البارع وجماله البديع ودلائل الخير وأمارات الصدق وعلامات النبوة وآثار الصفوة ، .انتهى.

قلت : الأقرب أنهن كن يحاولن قطع الفاكهة مع اشتغال أبصارهن وقلوبهن بالنظر إلى يوسف فقطعن أيديهن فقد بلغن مرادهن برؤية يوسف ولم يستفدن إلا الهوى فيه والرغبة في مثل ما رغبت فيه امرأة العزيز والله عاصم له.

{ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين } :

}

(١٢٣١/٢)

فذلكن} أي يوسف {الذي لمتنني فيه} بقولكن {إنا لنراها في ضلال مبين} {ولقد راودته} كما قال {عن نفسه} فهو صادق ولا أزال في محاولة أن يفعل ، وقولها {فاستعصم} أي توصل إلى ما يعصمه أي ينجيه امتناعا وفرارا مما أريد {ولئن لم يفعل} وأيست من أن يطيعني فيما آمره {ليسجنن} تهدده بالسجن ظنا منها أنه يكبر عليه بعد عيشه في المثوى الكريم ورغد العيش {وليكونا من الصاغرين} لما عرفت أن من شأنه طلب العلا ظنت أن تهديده بالصغار يؤثر فيه والصغار الذلة.

{ قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإن لا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين } :

{أحب إلي} لحبي لطاعتك وبغضي لمعصيتك ، وقوله ({مما يدعونني إليه) } يفيد أن النسوة المذكورات عاون امرأة العزيز وطلبن منه أن يطيعها ، وقوله ({وإلا تصرف عني) } أصله (أن إن) الشرطية و(لا) النافية أدغمت النون في اللام فصار (إلا) والقياس أن تكتب (وإن لا) ، وقوله ({أصب } من الصبوة حذفت واوه للجزم ، قال في [الصحاح]: والصبا أيضا من الشوق يقال منه تصابى وصبا يصبو صبوة وصبوا وأي مال إلى الجهل والفتوة واصبته وأصبته الجارية ، .انتهى.

(١٢٣٢/٢)

فالمعنى إأن لا تصرف عني أمل إليهن وأطاوعهن وهذا اللجوء على إلى الله ليعصمه ومعناه الدعاء أن يصرف الله عنه كيدهن واحتيالهن عليه ليفتتن.

{ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم } وهذا مما يرغب في الدعاء لحفظ الدين والسلامة من مضلات الفتن وإن كان لا بد من ابتلاء الله لعبده ليتبين ويظهر صبره فيكون أهلا للطف والوقاية من مضلات الفتن.

{ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين } {بدا لهم} تجدد لهم رأي لم يكن من قبل وفسر هذا الرأي قوله {ليسجننه حتى حين} أو بدا لهم هذا القول ولعلهم أرادوا بسجنه أن يغيبوه عن امرأة العزيز للتخفيف عنها حيث اشتدت رغبتها فيه ، وظهر افتتانها به مع ضغط الظروف عليها وشدة امتناع يوسف ؛ لأن حضوره لديها ومشاهدتها لجماله وفتوته يزيد من محنتها ، فأما تفسير سجنه بأنهم أرادوا المغالطة وإيهام الناس أنه هو الذي راودها فبعيد عندي بعد اشتهار الأمر الواقع ، وقوله ({من بعد ما رأوا الآيات) } أي الآيات الدالة على براءة يوسف من مراودتها وهو يدل على أن قد كانت له من الآيات غير قد القميص مادل على براءته ، وقوله ({حتى حين) } أي غير دائم ، وإنما هو أمد حصول الغرض من سجنه.

}

(١٢٣٣/٢)

ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبأنا بتأويله إنا نراك من المحسنين } :

{ودخل معه السجن فتيان} دخلا معه مسجونين مثله ، وقوله ({إني أراني) } هو من الرؤيا ، وقولهما {نبأنا نبئنا بتأويله} أي أخبرنا بتأويل ما رأيناه.

{ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون } :

}

(١٢٣٤/٢)

لا يأتيكما طعام ترزقانه} وأنتما عندي {إلا نبأتكما} بتأويل ذلك الطعام ، وتأويله إما ما يؤدي إليه ، وإما ما يدل عليه ، فالطعام يرزقانه من جهة من حبسهما وكيفيته يستدل بها على نية الحابس لهما وإرادته

فيهما من عفو أو عقاب أو رضى أو سخط أو تطويل حبس أو تقصيره أو تشديده أو تيسيره ، ولكن هذه الدلالة يختص بها يوسف ، وقوله ({ذلكما مما علمني ربي) } أي علم تأويل الطعام ، وقوله ({إني تركت ملة قوم) } تعليل أي علمني ربي بسبب أإني تركت ملة قوم.. إلى آخر الآيتين ، وهذا الترغيب في علمه تقديم لدعوتهما إلى التوحيد ليصغيا إليه ولذلك أخر الجواب عن سؤالهما عن تأويل رؤياهما وذلك من الحكمة في الدعوة ، فقوله {إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون} يبين لهما أنهم أي القوم على ملة باطلة لا يرضاها ربه وعدم إيمانهم بالله لشركهم أو لإنكار البعث استبعادا للقدرة على إحياء الموتى.

{ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون } :

}

(١٢٣٥/٢)

واتبعت} عطف على قوله {تركت} أي علمني ربي بسبب أني تركت {ملة قوم} وأإني اتبعت وهذا موافق لقول الله تعالى {آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين} ، وقوله ({ما كان لنا أن نشرك) } نفي مؤكد كقوله تعالى {قل ما يكون لي أن أبدله} ، وقوله تعالى ({وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ) } أي لا يليق ذلك بحالنا ، وقد مر نظيره في قوله تعالى حاكيا ({وما يكون لنا أن نعود فيها) } ، وقوله ({ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس) } أي تحريرنا من عبادة المخلوق وأمرنا بإخلاص العبادة لله هو نعمة من الله وفضل علينا وعلى الناس {ولكن أكثر الناس لا يشكرون} فليس لكما أن تقتدوا بالمشركين الذين أهملوا عقولهم فتركوا شكر ربهم.

{ يا صاحبي السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار } {ياصاحبي السجن} أي صاحبي بسبب السجن الذي جمعنا ، {ءأرباب متفرقون} كما يزعم المشركون {خير أم الله} خير لا شك أن أربابهم المتفرقين ضعفاء لا يقدرون على نفع ولا ضر ولذلك كانوا متفرقين تبعا لتفرق العابدين لهم وكون ربوبيتهم المزعومة تابعة لجعل عابديهم لهم أربابا ولذلك قال بعد هذا الإحتجاج:.

}

(١٢٣٦/٢)

ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن ا لحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون } :

{ما تعبدون من دونه} أي من دون الله {إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم} وليست كما تسمونها فهي مجرد أسماء منكم بلا مسمى ؛ لأن المسميات ما زالت كما كانت قبل أن تسموها أحجارا أو تماثيل من أي جنس من نحاس أو، غيره ولم يحصل لها إلا مجرد الأسماء بدون معنى الأسماء ، وهذه التسمية لا صحة لها بل هي باطلة ؛ لأن الحكم لله ليس لكم أإن تحكموا بأنها أرباب إن {الحكم إلا لله} وذلك لأن عباده مملوكون ليس لهم أن يحكموا في ملكه بما شاؤوا بل الحكم لله المالك لهم وللسموات والأرض فالحكم له في حال أنه {أمر أن لا تعبدوا إلا إياه} فهو الحكم من المالك لعباده على عباده فهو الحق {ذلك الدين} يدين به العباد ربهم {القيم} الذي لا عوج فيه ؛ لأنه الحق الذي لا يشوبه باطل {ولكن أكثر الناس لا يعلمون} الحق بل خيم عليهم الجهل وتصرفوا بلا علم فضلوا فلا تقتدوا بهم ، وبهذا تمت دعوته لصاحبي حبي السجن إلى التوحيد وترك الشرك واجتنابه كله بحجة واضحة قريبة لفهمها ثم أول رؤياهما فقال:

}

(١٢٣٧/٢)

يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان } :

{ربه} أي سيده (وقوله {وأما الآخر فيصلب) } قال الراغب : والصلب الذي هو تعليق الإنسان للقتل ، .انتهى.

وإلا ظهر والأظهر إنه أنه شد الإنسان مربوطا إلى خشبة أو نحوها ، وقد مر تفصيل القول فيه في تفسير سورة المائدة ، وقوله ({فتأكل الطير من رأسه) } يظهر منه أنه يترك مقتولا مصلوبا حتى تأكل الطير من رأسه ؛ لأنه ليس من عادة الطير أان تأكل من الإنسان قبل موته ، ويظهر أن هذا تأويل رؤيا الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه ، وقوله ({قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) } أي تطلبان الفتوى فيه وهو تأويل رؤياهما طلبا أن يفتيهما فيه ما هو ، وفائدة قوله {فيه تستفتيان} تعريفهما أن هذا هو تأويل رؤياهما ؛ لأنه لو قال: قضي ذلك لما تعين أنه أراد أنه تأويل رؤياهما لطول الفصل بينه وبين قصصهما للرؤيا وطلبهما أن ينبأهما بتأويل ما رأياه ، وفيما حكاه الشرفي عن الحسين بن القاسم أنه قال في تفسير قوله {قضي الأمر} أي قضى الملك الأمر الذي عنه تسألان وهو هلاك أحدهما ونجاة الآخر ، .انتهى.

(١٢٣٨/٢)

وقوله: ونجاة الآخر أي حتى يسقي ربه خمرا ؛ لأن تأويل رؤياه أنه يسقي ربه خمرا لا أنه ينجو على الإطلاق.

{ وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين } :

{للذي ظن أنه ناج منهما} وهو الذي أفاد أنه يسقي ربه خمرا وسبب ظنه لنجاته ظهور رضى الملك عنه ، وسبب عدم القطع بنجاته احتمال أن يقتله الملك عقيب سقيه إما لسكره وإما لتجدد غضبه واحتمال أن يقتل بغير أمر الملك ولو تعديا فلا إشكال فيه بعد قوله {قضى الأمر} ، وقوله ({اذكرني) } أي قال يوسف اذكرني {عند ربك} أي عند سيدك ، ولعله كان عبدا للملك فقال عند ربك كما يقال رب الدار ، وقوله تعالى ({فأنساه الشيطان ذكر ربه) } أي تذكر ربه ليوسف ؛ لأنه كان السجن على أنه لمدة محدودة ريثما يحصل الغرض به وقد حصل الغرض فلو ذكر الملك لأخرجه من السجن لكنه نسي فالمعنى: فأنساه الشيطان هذا الغرض الذي هو تذكر ربه فلم يذكره ، ويحتمل فأنساه الشيطان ذكر يوسف لربه كما أمره فأضيف الذكر إلى ربه اختصارا لوضوح المعنى من السياق ، والأول أقرب عندي لأنه غرض الشيطان حين أنساه ليبقى يوسف في السجن عداوة له ، وقوله ({بضع سنين) } قالوا في تفسير البضع كما

(١٢٣٩/٢)

ذكره الشرفي من ثلاث إلى سبع ، وقيل من ثلاث إلى تسع ، وقيل من ثلاث إلى اثني عشر ، .انتهى.

ورجح الراغب ما بين الثلاث إلى العشر قال: وقيل بل هو فوق الخمس ودون العشرة ، .انتهى.

ولم يذكر غير ذلك .

فأما صاحب [الصحاح]: فلم يذكر إلا ما بين الثلاث إلى التسع ، وليس على المفسر تعيين هذه المدة ، فإن صح أنها سبع سنين بدليل صحيح ترجح ذلك وإلا فالوقف أولى ويكفي إثبات البضع وقد اشتهر في تفسيره فوق الثلاث وهي مدة طويلة ، ومع أن ما فوقه يسمى كل عدد بضعا إلى السبع أو إلى لاتسع التسع أو إلى العشر فلا يفيدنا ذلك زيادة في تحديد المدة فلا موجب للإشتغال بتحديد أكثر البضع لأن ما دونه يسمى بضعا بلا إشكال فالتردد باق.

{ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون } :

سبع عجاف: أي سبع بقرات عجاف ، قال في [الصحاح]: العجف بالتحريك الهزال ، والأعجف المهزول ، .انتهى المراد.

(١٢٤٠/٢)

والسنبلات: جمع سنبلة وهي ما يبدو في الزرعة ويكون فيه الحب {وأخر يابسات} أي وسنابل أخر يابسات قابل بين الخضر واليابسات ؛ لأن لون السنبلة من البر والشعير الخضرة حتى تيبس فإذا يبست تغير لونها ، وقوله ({يا أيها الملأ) } لعله يعني وزراءه ، وقوله ({إن كنتم للرؤيا تعبرون) } لم يكلفهم ما لا يعلمون وعبر الرؤيا أي فسرها بما يناسب ظاهرها أي إن كانت عادتكم أن تعبروا الرؤيا.
{ قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين } {أضغاث} جمع ضغث ، قال الراغب: الضغث قبضة ريحان أو حشيش أو قضبان .، انتهى.
أرادوا لفيف أحلام لا يستحق أن يطلب له تأويل ، ثم اعترفوا بعدم العلم بتأويل الأحلام.
{ وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون } {منهما} من صاحبي السجن {وادكر} تذكر يوسف وتذكر قوله {اذكرني عند ربك} وعلمه بتأويل الرؤيا فقال {أنا أنبئكم} أي آتيكم بنبأ تأويله {فأرسلون} إلى يوسف فعنده علم تأويل الرؤيا ، وقوله ({بعد أمة) } أي بعد مدة.
{ يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون } :
}

(١٢٤١/٢)

يوسف} أي يا يوسف {أيها الصديق} أي يا أيها الصديق أي كثير الصدق أو البليغ في الصدق وهذا الرسول قد عرف صدق يوسف بما جرب منه مما قال له في السجن ، وفي الكلام إيجاز والمعنى فأرسلوه فقال ليوسف ، وقوله ({أفتنا في سبع بقرات ..} إلى قوله {.. يابسات) } أي رؤيت في المنام أي أخبرنا بتأويلها ، وقوله ({سبع سنبلات خضر وأخر يابسات) } يفيد وجودها لا غير فالملك رآها موجودة أو حاضرة حوله وليس فيه أكثر من ذلك ، وقوله {لعلي أارجع إلى الناس لعلهم يعلمون} ترغيب ليوسف في تأويل الرؤيا ليعلمها الناس لما في ذلك من مصلحة الناس ؛ لأن العلم خير من الجهل وبالعلم يطلب الخير ويتقى الشر أو يستعد له.
}

(١٢٤٢/٢)

قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون } {فما حصدتم} فما قطعتم من الثمر {فذروه في سنبله} فاتركوه في سنبله لا تخرجوا الحب من السنبلات {إلا قليلا مما تأكلون} في السبع وحولها ، وفائدة ذلك أن يدخر بسنبله إما لأن الشدة والجوع يحوجهم إلى أكل بعض السنبل وذلك معروف في سنبل الذرة ، وإما لأنهم متى استخرجوا الحب من السنبل في وقت الشدة حافظوا على الحب من التبذير أكثر من محافظتهم عليه في وقت الخير وسعة الرزق وتساهلهم بما يتساقط منه ، وقوله ({دأبا) } أي دائبين على أن تزرعوا في السنين لا ينقطع زرعكم لجدب أو نحوه بل يستمر في أوقاته طوال السبع السنين ، وقد قيل إأنه أمرهم بترك الحب في سنبله لئلا يأكله السوس وهذا عندي غير صحيح.

{ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون } {سبع شداد} أي سبع سنين شداد لا زرع فيها ولا مطر يرفع الشدة {يأكلن ما قدمتم لهن} أي تأكلون فيهن ما أحصنتم وحفظتم لهن في السنين السبع الأولى ونسب الأكلن إليهن فلعل فيهن جوعا هو من معنى شدتهن ، وذلك أن غلاء الحب قد يكون معه جوع غالب زائد على المعتاد ، وقد يكون الغلاء مع السلامة من الجوع وهو أهون.

}

(١٢٤٣/٢)

ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون } {يغاث الناس} يرزقون وتكف عنهم الشدة {وفيه يعصرون} لكثرة الفواكه التي يعصرون منها مثل العنب ، أو لكثرة العنب إن كانوا لا يعصرون غيره ، والمراد التنبيه على رجوع الخصب وتوفر الثمر في ذلك العام ، وإثبات أنهم يعصرون زائد على تأويل الرؤيا فلا بد أنه بوحي من الله.

{ وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم } :

{ائتوني به} أي بيوسف ، ولعله أراد أن يبقيه لديه لتأويل الأحلام {قال ارجع} قال يوسف للرسول {ارجع إلى ربك} إلى سيدك {فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن} أي ما بالهن قطعن أيديهن ، أو ما بالهن دعون يوسف إلى الفاحشة {إن ربي بكيدهن} ليوسف {عليم} وكيدهن دعوتهن له إلى الفاحشة.

{ قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين } :
}

(١٢٤٤/٢)

قال ما خطبكن} قال الملك للنسوة {ما خطبكن} أي ما هو الباعث الكبير على مراودة يوسف عن نفسه {قلن} للملك {حاش لله} تنزيها لله الذي عصم يوسف {ما علمنا عليه من سوء} فليس سبب المراودة سوءا علمناه منه كأن الغالب على المراود أن لا يراود إلا من قد سبق منه فعل الفاحشة معه أو مع غيره فيتجرأ بذلك على مراودته فلذلك فهمن من سؤال الملك ما خطبكن هل قد علمتن منه سوءا؟ ، {قالت امرأة العزيز الآن} حال الحضور عند الملك وسؤاله وغياب يوسف {حصحص الحق} أي وضح الحق ؛ لأني الآن أعترف بالحقيقة {أنا راودته عن نفسه} لا أنه راودني عن نفسي {وإنه لمن الصادقين} في قوله هي راودتني.

{ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين } {ذلك} الإقرار بالحقيقة {ليعلم} يوسف {أني لم أخنه بالغيب} وهو غائب عني وأنا غائبة عنه {وأن الله لا يهدي} أي ولأن الله لا يهدي {كيد الخائنين} فلا يجعل الله لهم بكيدهم خيرا خالصا ، بل يكون عاقبة كيدهم ضرا عليهم أي لا يجعل الله كيد الخائنين طريقا إلى الخير ووسيلة له.
}

(١٢٤٥/٢)

وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي لغفور رحيم } {وما أبرئ نفسي} عطف على قولها {أنا راودته} تأكيد لإقرارها ورجوع عن تبرئة نفسها فيما سلف حين قالت {ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن} وقولها {لأمارة} أي كثيرة الأمر بالسوء بسبب ما تهواه {إلا ما رحم ربي} من الأنسفس فعصمها عن الأمر بالسوء أو إلا مدة رحمة ربي للنفس {إن ربي غفور رحيم} فبمغفرته ورحمته يعصم النفس ويلطف بها ، والمغفرة هنا إما لما قد تاب منه العبد فيعصمه بعد التوبة ؛ لأنه قد قبلها وغفر الذنب ، وإما للصغير الذي لا يؤدي إلى استحقاق الخذلان والحرمان من اللطف ، ونعني بالعصمة هنا اللطف ، وكلامها على انلفس النفس التي هي الجنس العام للنفوس تجميل لاعترافها بأن غلاب غالب البشر هكذا لأن النفس أمارة بالسوء.

{ وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين } :
}

(١٢٤٦/٢)

أاستخلصه لنفسي} فأبقيه لمعاونتي على أمري خالصا لا يشاركني فيه أحد ، وفي هذا أنه لا يرجع لخدمة امرأة العزيز ، ولا يعمل لأحد غير الملك ، وفيه إخراجه من السجن وإيصاله عند الملك {فلما كلمه} يوسف حين أتى قال له الملك {إنك اليوم لدينا مكين أمين} مكين: لك عندنا مكانة ومنزلة قريبة رفيعة ، أمين لما مر عليك من التجارب التي أثبتت أمانتك .

، قال الشرفي في [المصابيح]: وتقدير [وتقرير ظن] بدل الكلام أن الملك عظم اعتقاده في يوسف لوجوه :

أحدها: أنه عظم اعتقاده في علمه وذلك لأنه لما عجز القوم عن الجواب الموافق الذي يشهد العقل بصحته مال الطبع إليه .

، وثانيها : أنه عظم اعتقاده في صبره وثباته وذلك لأنه بعد أن بقي في السجن بضع سنين لما أذن له في الخروج لم يسارع إلى الخروج بل صبر وتوقف وطلب أولا ما يدل على براءة حاله من جميع التهم .

، وثالثها : أنه عظم اعتقاده في حسن أدبه لأنه اقتصر على قوله {ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن} وكان غرضه ذكر امرأة العزيز فستر ذكرها وتعرض لأمر سائر النسوة مع أنه وصل إليه من جهتها أنواع عظيمة من البلايا ، وهذا من الأدب العجيب .

،

(١٢٤٧/٢)

ورابعها : براءة حالة من جميع التهم فإن الخصم أقر له بالطهارة والنزاهة والبراءة عن الجرم ،.

وخامسها : أن الساقي وصف له جده في الطاعات واجتهاده في الإحسان إلى الذين كانوا في السجن .

، وسادسها : أنه بقي في السجن بضع سنين مع أنه لم يكتب إلى الملك ولم يلتمس منه تخليصه من السجن .

فهذه الأمور كل واحدة منها توجب حسن الإعتقاد في الإنسان فكيف مجموعها فلهذا السبب حسن اعتقاد الملك فيه وإذا أراد الله شيئا جمع أسبابه ، .انتهى.

قلت : أما الثالث فالراجح أنه من جودة الرأي والتدبير.
}

(١٢٤٨/٢)

قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم } {قال} يوسف للملك {إجعلني} واليا {على خزائن الأرض} الأموال المخزونة العامة ، والمراد بالأرض ما تحت دولة الملك منها ، وقوله ({إني حفيظ عليم) } بيان لكفاءته لهذه الولاية فهو يحفظ إما تحت يده ، وهو عليم كيف يتصرف في المال لمصلحة الشعب ، وعليم بما يحتاج من الحساب ، وعليم بالكتابة وغير ذلك ، ولا إشكال أنها كانت له ولاية شرعية صح لأجلها أن يأخذ الولاية من الملك وصح لأجلها أن يعمل في مصلحة الشعب توصلا إلى إصلاحه أو تمكين الدين فيه ، ولعل ذلك كان بوحي من الله تعالى يبين له تحقق المصلحة العظيمة الدينية بسبب ولايته وعمله في مصلحة الشعب ويرخص له في مباشرة العمل لمصلحتهم توصلا إلى إصلاحهم أو إصلاح جمهورهم ولو من جهة التوجيه التوحيد وترك الشرك وعزة الدين وخمول الباطل وترك المجاهرة بالمنكرات ، والله أعلم.
{ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين } :
}

(١٢٤٩/٢)

وكذلك} التمكين الذي هو جعل يوسف على خجزائن الأرض {مكنا ليوسف في الأرض} بعد هذا التمكين {يتبوأ منها} يتخذ مباءة مقرا ومسكنا {حيث يشاء} لتمكنه رحمة له {نصيب برحمتنا من نشاء} ولا يستطاع دفعها ؛ لأن الله غالب على أمره ولا يستفيد حاسده أو عدوه إلا الغم {ولا نضيع أجر المحسنين} ولذلك آتيناه حكما وعلما ولا تنقص عليه رحمتنا له بالتمكين في الأرض لا تضيع عليه شيئا من أجره.
{ ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون } أجر الآخرة: الثواب في الآخرة خير من أجر الحياة الأولى للذين استحقوه بالإيمان والتقوى المتكررة في الحياة الدنيا التي ختم لهم بها ، وهذا في غير المعصوم لعموم الآية فأما المعصوم فتكرر التقوى منه بتكرر الإبتلاء والإختبار ؛ لأنهم كانوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ، أو كلما أذنبوا تابوا ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون.

{ وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون } عرفهم أنهم إخوته وعرف كل واحد منهم ، ولعل ذلك بزيادة ذكائه وحفظه ، وكونه فارقهم وهم شباب {وهم له منكرون} لا يخطر ببالهم أن يتأملوا فيه ويتعرفوا لمكان ملكه وتمكينه في الأرض وهم فارقوه صغيرا.

}

(١٢٥٠/٢)

ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين } : {جهزهم} يوسف للسفر بعد أن وفر لهم الطعام الذي جاءوا له أو أن توفير الطعام من جملة الجهاز لترتب سفرهم عليه ، وقوله ({بجهازهم) } أي الذي قد أعطاهم أو الذي يليق بحالهم ويحتاجون إليه {قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم} لأعطيه مثل ما أعطيت الواحد منكم من الطعام وأنزله مثل إنزالي لكل واحد منكم ، وفي تنكيره دلالة على أنه لم يسبق فيه كلام بينه وبينهم خلاف ما تظنن بعض المفسرين ؛ لأنه لو سبق بينه وبينهم ذكره ووصف حاله كما زعموا لقال يوسف بأخيكم ، وقوله ({ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين) } ترغيب لهم في العودة للميرة وفي الإتيان بأخيهم ليزدادوا حمل بعير من الحب ، ويحتمل أنه اكتفى بقوله {ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين} ليوهمهم أنه طلب أخاهم لهذا الغرض إيهاما ومراده خلافه أي تخليصه من بين إخوته بإذن الله ، وهذا هو االراجح ، والنزل: ما يهيأ للضيف من الطعام وغيره ، والمنزلون المضيفون.

}

(١٢٥١/٢)

فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون } {به} بهذا الأخ المطلوبف {فلا كيل لكم عندي} لا أكيل لكم طعاما {ولا تقربون} فلا حق لكم في الضيافة بعد هذا.

{ قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون } {سنراود عنه أباه} نحاول منه إرساله معنا كما راودناه عن يوسف {وإنا لفاعلون} لنأتيك به كما أمرت فقد جربناه لا يمنعنا أو إذا منعنا سرقناه فجئنا به لضرورة إطعام أهلنا.

{ وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون } :

}

(١٢٥٢/٢)

وقال لفيتيته} وقال يوسف لخدمه الشباب أو عبيده الشباب {اجعلوا بضاعتهم} التي جاءوا بها اجعلوها {في رحالهم} ليردوها معهم ، والرحال: أاقتاب الأبل وما معها من آلة السفر ، والراجح أن البضاعة كانت خفيفة لا يضر الإبل حملها مع الحب ، وذلك يقرب إلى معرفة أنها كانت من الجلود الخفيفة ، وقوله ({لعلهم يعرفونها) } أي فيعرفوا أنها ردت إليهم ، وفي هذا ترغيب في العودة إن كان معهم أخوهم ؛ لأنه يشير إلى سماحة عظيمة ؛ لأنها كانت عوض الحب الذي معهم فقد أخذوه مجانا ، ويفيد أنه يعطيهم بها الحب متى رجعوا ، وفيه ترهيب من أنه لا يقبلهم إن رجعوا وليس أخوهم معهم ؛ لأن إرجاع بضاعتهم يقطع أملهم ؛ لأنه يدل على أنه لا رغبة في بضاعتهم ، وقوله ({لعلهم يرجعون) } لأنه احتياط لرجعوعهم إليه ؛ لأنهم إذا لم يكن بقي عندهم ما يمتارون به فقد يتركون لذلك الرجوع لعدم البضاعة وليس عندهم ثمن غيرها فإرجاع بضاعتهم احتياط لئلا يعجزوا عن العودة التي رغبهم فيها بالميرة.

{ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون } :

}

(١٢٥٣/٢)

إلى أبيهم} كان اتجاههم إلى أبيهم ليراودوه عن ابنه ، فهو مهمتهم مع أنهم راجعون إلى أهليهم وبلدهم {قالوا يا أبانا} مستعطفين له بقولهم يا أبانا {منع منا الكيل} بدأوا بالحجة التي لأجلها يطلبون إرسال ابنه {منع منا الكيل} ونحن لا بد لنا من الطعام الضروري للحياة {فأرسل معنا أخانا} هكذا أخانا إظهارا للعطف عليه ؛ لأنه أخوهم لئلا يخافهم أبوهم على ابنه بعدما قد فرطوا في يوسف ليكتالوا وقالوا {إنا له لحافظون} فضلا عن أن نعتدي عليه نحفظه من الضياع ومن عدوان غيرنا.

{ قال هل آمنكم عليه هي إلا كما أآمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين } :

{هل آمنكم} لا آمنكم عليه {إلا كما أمنتكم على أخيه} يوسف {من قبل} فإني لم آمنكم على أخيه لقولكم {إنا له ناصحون} {وإنا له لحافظون} إنما أآمنتكم لثقتي بالله أنه يحفظه ويجتبيه فأرسلته معكم ؛ لأني {أعلم من الله ما لا تعلمون} {فالله خير حافظا} ليوسف ولأخيه {وهو أرحم الراحمين} لهما ولي ولمن أراد رحمته ، وحاصل هذا الجواب أني لا آمنكم عليه لوعدكم بحفظه بل إن أمنتكم عليه فلرجائي أن يحفظه الله ؛ لأني أعلم من الله ما لا تعلمون.

}

(١٢٥٤/٢)

ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير } :

{متاعهم} أوعيتهم التي فيها الحب {وجدوا بضاعتهم ردت إليهم} فازداد جدهم في طلب أبيهم لإرسال أخيهم ليكتالوا بالبضاعة التي ردت إليهم {قالوا يا أبانا ما نبغي} ما نطلب إذا لم نرجع إلى مصر إلى عزيز مصر أنطلب القوت من غيره فلن نجده أم نختار أكل الأنعام وترك الحب أم نجد سببا غير ذلك نطلبه {هذه بضاعتنا ردت إلينا} فلا نتكلف للعودة بضاعة أخرى {ونمير أهلنا} نشتري لهم الحب {ونحفظ أخانا} فالذي نطلبه خير خالص لا شر فيه {ونزداد كيل بعير} لأخينا أي نكتال زيادة حمل بعير أي كيل حجمل بعير من الحب {ذلك كيل يسير} سهل لأنها البضاعة نكتال بها على عدد إأبلنا أحمال حب فإذا زادت الإبل زاد الحب من دون زيادة البضاعة.

{ قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آآتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل } :

}

(١٢٥٥/٢)

قال} يعقوب لابنه لبنيه {لن أارسله} أي لن أرسل أخاكم {معكم حتى تؤتون موثقا من الله} ما يوثق به ويعتمد عليه في حكم الله وتشريعه وهو العهد الذي جعله الله موثقا بين عباده {لتأتنني} بأخيكم هذا {إلا أن يحاط بكم} أي إلا تغلبوا وتقهروا فتعجزوا عن إتياني به ، ولعل أصل استعمال الإحاطة في الأمر الغالب إحاطة العدو وبالإنسان بحيث يعجز عن التخلص منهم ثم استعمل في الأمر الغالب المهلك قال تعالى ({وظنوا أنهم أحيط بهم) } وقال تعالى ({وأحاطت به خطيئته) } .

قال في [لسان العرب]: وأحيط بفلان إذا دنا هلاكه فهو محاط به ، قال الله عز وجل ({وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها) } أي أصابه ما أهلكه وأفسده ، وقوله تعالى ({إلا أن يحاط بكم} أي تؤخذوا من جوانبكم .، انتهى المراد.

وقال الشرفي في [المصابيح]: أي تغلبوا على أمركم أو تموتوا ، .انتهى.

(١٢٥٦/٢)

وفائدة أخذ العهد عليهم أن يأتوا به ؛ لأنه لا يريد مجرد حفظه وإأن بقي غائبا عنه كيوسف فهو يعلم أن يوسف محفوظ ولكنه يحزنه غيابه ، ويخاف أن يغيب عنه أخوه وأن يبقى في حفظ الله كما أن فائدة العهد إلزامهم الدفاع عنه إأن عرض عدوان عليه وإن أدى الدفاع إلى قتلهم أو أسرهم إن استطاعوا الدفاع ، وهذا فائدة قوله {إلا أن يحاط بكم} ، وقوله تعالى ({فلما آتوه موثقهم) } لم يقل موثقا أو الموثق وأضافه إليهم لأنه غرضهم للتوصل إلى إرسال أخيهم معهم ، وقوله تعالى ({قال الله على ما نقول وكيل) } أي قال أبوهم الله على ما نقول وكيل أي على عهدكم وما قلت لكم فأكل إليه أمركم في رعاية العهد وأمري في أخذه عليكم.

{ وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون } :

}

(١٢٥٧/٢)

لا تدخلوا من باب واحد} لا تدخلوا القرية من باب واحد وادخلوها {من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء} إن عصيتم أمري فدخلتم من باب واحد ؛ لأن هذا حكم الله عليكم حيث أمركم بطاعتي فاتقوه وراقبوه ولا تتهاونوا بأمري وليس لكم الخيار في حكم الله أو إأن تحكموا برأيكم وتعدلوا عن حكمه فهذا تأكيد لنهيهم عن الدخول من باب واحد ودلالة على أنهم إن خالفوه عصوا الله وتعرضوا لعقابه ، وقوله ({عليه توكلت) } أي في إرسالي إياكم وإرسالي الإبني معكم وفي كل أموري {وعليه} وحده {فليتوكل المتوكلون} لأنه الذي لا يغفل عما وكل إليه ولا يعجز عن رعايته وهو على كل شيء وكيل.

{ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون } :

}

(١٢٥٨/٢)

من حيث أمرهم} امتثلوا أمره فدخلوا من أبواب متفرقة في حال أن أباهم {ما كان يغني عنهم من الله من شيء} وإن دخلوا من حيث أمرهم أبوهم فطاعته في هذا لا تكفيهم ولا بد لهم من تقواه في كل أمرهم ، فلم يأمرهم من أجل أن يغني عنهم إأن امتثلوا أمره من الله شيئا لكن أمرهم لحاجة في نفسه

قضاها بهذا الأمر ، وقد أبهمها البارئ فليس لنا أن نتطفل فنبينها ما هي ، وقد قيل إأنها سلامتهم من العدوان عليهم والعدوان لا يختص بحال الدخول وهم مجتمعون في سفرهم وبعد دخولهم ، وإذا كان في الظن إرضاء للقارئ فأظن أن حاجته أن لا يفوتهم يوسف لو دخلوا من باب واحد وخرج من الباب الآخر ؛ لأن أباهم كان يعلم أن يوسف ما زال موجودا وسيأتي أمره لهم بأن يتحسسوا من يوسف وأخيه ، وأما قوله تعالى {قضاها} فيحتمل أن المعنى قضاها الله ، وقد مر ذكر الجلالة قريبا وهذا يناسب إذا كان المراد قضى الله حاجته بسلامتهم من العين أو غيرها ، ويناسبه قوله {فالله خير حافظا} ويناسب إذا كان المراد قضى الله حاجته بوجدان يوسف ثم بالجمع بينهما ، ويحتمل أن الضمير ليعقوب عليه السلام أي قضى يعقوب الحاجة التي في نفسه بنهيهم عن دخولهم من باب واحد وأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة ،

(١٢٥٩/٢)

فالمعنى أنه كان محتاجا إلى نهيهم المذكور وأمرهم المذكور فقضى بالنهي والأمر حاجته ، وهذا يوافق في المعنى تفسير من قال إأنه خاف عليهم العين أي أنه احتاج إلى استعمال السبب ليحفظهم الله ويوافق تفسير الحاجة بتحصيل يوسف أي أنه كان محتاجا إلى أمرهم ونهيهم لقوة رغبته في أن يتفقوا بيوسف عند دخولهم أو في القرية .

نعم والمشهور بين المفسرين أنه خاف عليهم العين وأإن الحاجة بسلامتهم منها .

،

(١٢٦٠/٢)

قال الشرفي في [المصابيح] : وفي هذه الآية يقول الهادي عليه السلام هذا أمر يعقوب صلى الله عليه لجماعة بنيه حين خرجوا عنه مسافرين فخاف عليهم من النفس وعيون الناظرين فأمرهم عند دخول القرية بأن لا يدخلوا جملة واحدة لما كانوا عليه من كمالهم وكثرتهم وجمالهم وكانوا أحد عشر رجلا لم ير مثلهم جمالا ولا كمالا فخاف عليهم وأشفق صلوات الله عليه من أن يراهم أهل تلك البلدة مجتمعين جماعة واحدة على ما هم عليه من كمالهم وحسنهم وجمالهم فأمرهم أن ي تفرقوا وأن يدخلوا من أبواب متفرقة شفقة عليهم من العين والنفس ، قال الله تعالى ({فلما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يقوب قضاها) } يخبر سبحانه أن الحذر للنفس والعيون لا ينفع إلا بدفاع الله وتوفيقه ولطفه وحفظه .انتهى.

(١٢٦١/٢)

وقوله تعالى ({وإنه لذو علم لما علمناه) } أي وإن يعقوب صلى الله عليه لذو علم لما علمه الله ، ولذلك وكان يعلم أنه لا يغني عنهم من الله شيئا وأن الله هو الذي يحتاج عباده أن يتوكلوا عليه فينفعهم التوكل عليه ، وكان عنده من علم النبوة ما علمه الله ، [واللام] في قوله تعالى ({لما علمناه) } تحتمل لام التعليل وما مصدرية وتحتمل لام التقوية لإيصال {علم} إلى معموله ، والله أعلم.

وقوله تعالى ({ولكن أكثر الناس لا يعلمون) } فأكثرهم جاهل بأن الله غالب على أمره لا ينظر إلا إلى الأسباب الظاهرة ، وهو غافل عن الله ، وكذلك لا يعلم وجوب التوكل على الله ونفعه للمتوكلين عليه.

{ ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون } :
}

(١٢٦٢/٢)

ولما دخلوا} أي إخوة يوسوف {على يوسف آوى إليه أخاه} جعل مأواه ومقره إليه في مسكن يوسوف ، قال لأخيه من أمه وأبيه ويقال اسمه بنيامين {إني أنا أخوك} أي يوسف فخصه من بينهم بإيوائه إليه وبتعريفه أنه أخوه يوسف ليطمئن قلبه على أخيه يوسف وتسره سلامته ونعمة الله عليه ويذهب عنه ابتئاسه أي تأثره وغعمه وضعفه بسبب ما كان إأخوتهما يعملون ، وقوله ({فلا تبتئس) } نهي عن ا بتئاسه في المستقبل ؛ لأنه قد زال السبب وصارا في عز ونعمة وتحررا من إخوتهما ولعلهم قد ظلموهما فأراد {بما كانوا يعملون} إساءتهم إليهما إلى يوسف من قبل وإلى أخيه من بعد فيما مضى .

قال في [الصحاح]: ولا تبتئس أي لا تحزن ولا تشتك ، والمبتئس الكاره والحزين قال حسان ابن ثابت
:

ما يقسم الله أقبل غير مبتئس ... منه واقعد كريما ناعم البال

{ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إأنكم لسارقون }
{جهزهم} أي للعودة إلى أبيبهم {بجهازهم} الذي هو الحب وما يحتاجون في استعدادهم للسفر وفي السفر ، {جعل السقاية} في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: وهي مكيال يكال به ويشرب فيه ، .انتهى. ،

(١٢٦٣/٢)

وهذا واضح من تسميته صواعا وتسميته سقاية ،{ في رحل أخيه} في أداة السفر التي مع القتب فهو الوعاء الذي فيه الحب {ثم أذن} دعا بصوت رفيع {مؤذن أيتها العير} أي يا أهل العير أي الإبل الذاهبة {أنكم إنكم لسارقون} وهذا كلام يوجعهم ويحرك هممهم للتخلص من التهمة.
{ قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون } {قالوا} أي إأخوه يوسف {وأقبلوا عليهم} على المؤذن ومن معه {ماذا تفقدون} ما الذي غاب عنكم ولم تجدوه فزعمتم أنا سرقناه.
{ قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم } {ولمن جاء به حمل بعير} جعالة كالأجر لمجيئهة بالصواع أي حمل بعير من الحب ، والبعير يستعمل للواحد من الإبل ذكرا كان أم أنثى ، وقوله ({وأنا به زعيم) } أي وإنا به كفيل والجمع في {قالوا} والإأفراد في {وأنا به زعيم} لأن المؤذن قال عن نفسه وعمن حوله فشاركوه بالرضى فنسب القول الأول إليهم جملة ، وأفرد في قوله {وأنا به زعيم} لأنه قاله عن نفسه خاصة تأكيدا لالتزامه به وليرضي إأخوة يوسف بوحدة غريمهم الملتزم بحمل بعير.
}

(١٢٦٤/٢)

قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين } {لقد علمتم} أن مجيئنا للميرة لا {لنفسد في الأرض} بأخذ المكيال ولعله كان يحافظ عليه الملك ؛ لأنه معيار للمكاييل في البلد ، فإذا ضاع لم يعرف الناقص من المكاييل وكان ذلك سببا لبخس الناس أشيائؤهم فهو فساد عام ، وقولهم {وما كنا سارقين} تنزيه لأنفسهم مما نسب إليهم.
{ قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين } {فما جزاؤءه} أي جزاء الصواع أي جزاء أخذه ، أو فما جزاء سارقه ؟ {إن كنتم كاذبين} بانكشاف الصدق حين نبحث عنه في متاعكم ونعرف أنه مع أحدكم.
{ قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين } {قالوا} أي إخوة يوسف {جزاؤه} أي الصواع أو آخذه {من وجد في رحله} تأخذونه عبدا لكم عقوبة له {فهو جزاؤه} فقولهم جزاؤه مبتدأ خبره محتمل أنه الموصول أي من وقولهم فهو جزاؤهم أي الجزاء الذي يستحقه ، ويحتمل أن {من} اسم شرط وهي وفعلها وجوابها خبر المبتدأ ، أي جزاء السرقة من وجدت في رحله فهو جزاؤها ، والأول أزهر أظهر ، وقولهم {كذلك نجزي الظالمين} أي نشدد في عقوبة الظالمين أي عادتنا

التشديد عليهم ؛ لأننا ننكر الظلم ونحاربه.
}

(١٢٦٥/٢)

فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاهف في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم } :
{فبدأ} يوسف بأوعية إخوته لأبيه ففتحها يوهمهم أنه يبحث عن السقاية {ثم استخرجها} أي السقاية {من وعاء أخيه} لأبيه وأمه فتمت الحيلة لأخذ أخيه وإبقائه عنده ، والذي أعتقد أن يوسف عليه السلام عرف أن أخاه كان مظلوما بسبب غيرة إخوته وجرأتهم على أذية أبيهم ، وأنهم كانوا يضربون بنيامين مثلا ويتعللون بتأديبه أو نحو ذلك ، وكان يشق على أبيهم ظلمه جدا ولا يدري كيف يصنع ؛ لأنه إن شدد عليهم في النكير ازداد حنقهم على بنيامين وخاف أن يدبروا حيلة لقتله فكان أبوهم يضطر إلى مصانعتهم فكان تخليص بنيامين من إخوته مطابق لغرض أبيهم ، وكانوا يستحقون ما لحقهم من الغم بسبب التدبير من يوسف لأخذه والحيلة التي غمتهم أمدا يسيرا حتى تبين أن السقاية في رحل أخيه ، أما أخوهم فقد عرف يوسف وأحب إيواءه له فالحيلة لا تحزنه بل هي مطابقة لغرضه ، وقوله تعالى ({كذلك كدنا ليوسف) } أي كدنا ليوسف مثل هذا الكيد فهذا كيد ظاهر وحيلة ضد إخوته الذين قالوا سابقا {ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا} فكادوا

(١٢٦٦/٢)

ليوسف وكان كيدهم ذلك كيدا ليوسف لا عليه ؛ لأن تخليصه من ظلمهم وكيدهم أصلح له ، ولو بقي عندهم لكان ظلمهم له مستمرا أو لدبروا لقتله فكان غمه عند ظلم إخوته له وإنزاله في الجب وما تبعه أقل مما يناله لو بقي عندهم ؛ فلذلك كان كيدهم ذلك كيدا له لا عليه وكذلك كيد العزيز وامرأتنه حين بدا لهم ليسجننه كان له لا عليه ؛ لأنه قد اختار السجن ليتخلص من كيد النساء وبقاؤه في السجن لا يهمه مع سلامة دينه وكونه سجنا خاليا عن التعذيب ولم يفوت عليه العمل بطاعة الله والدعوة إلى الله ، وسلم من محنة مراودة امرأة العزيز مع شبابه وكمال قوته فقوله تعالى ({كذلك كدنا ليوسف) } لعله يشير إلى ما دبر له ربه من الخير وإن كان ظاهره الشر وإن صحبه الإبتلاء فهو كان مؤديا لكرامته ؛ لأنه صبر وآل أمره إلى شرف الدنيا والآخرة ، وقوله تعالى ({ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) } تعليل للحيلة التي تمكن بها من أخذ أخيه أي لم يأخذه بغير حيلة ولا بحيلة يعرفها الملك ؛ لأنه ما كان ذلك

ممكنا لأن الدولة تمنع من ذلك فاحتاج إلى الحيلة وقد هانت على إخوته ؛ لأنها انتهت ببراءتهم من السرقة ولا يبالون بنسبتها إلى أخيهم ، وأخوهم لا يبالي لمعرفته المراد بها ،

(١٢٦٧/٢)

هذا في الإحتيال بجعل السقاية في رحل أخيه ، فأما رميهم بالسرقة فهو قول المؤذن ، ولعله بدون أمر يوسف إنما أمر بالسؤال عن السقاية والبحث عنها إن كانت معهم فظن المؤذن أنهم سرقوها ، فلم يصدر الكذب من يوسف والمؤذن مخطئ غير متعمد ، وكذا قوله {نفقد صواع الملك} مع أنه صدق في حق المؤذن ومن معه ، ولعل يوسف لم يكن حخاضرا في تلك الحال إنما خرج إلى إخوته حين رجعوا وبلغه رجوعهم ، وقوله تعالى ({ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله) } فقوله {إلا أن يشاء الله} استثناء لحالة تقتضي الرخصة ليوسف في أخذ أخيه بحق ، وقوله تعالى ({نرفع درجات من نشاء) } فهو إشارة إلى رفع درجة يوسف وأخيه لأبيه وأمه ، وقوله تعالى ({وفوق كل ذي علم عليم) } فقد كان يوسف صلى الله عليه يعلم من الوجه والحجة لأخذ أخيه ما لا يعلم الملك ، ويعلم من الله بالوحي ما لا يعلم الملك ولا إخوته.

{ قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصنعون } :

}

(١٢٦٨/٢)

قالوا} أي إخوة يوسف لأبيه {أن إن يسرق} أي أخوه لأبيه وأمه {فقد سرق أخ له من قبل} لأبيه وأمه أي نحن لا نسرق وليس من شأننا ولا يليق بنا ، وإنما سرق هذا لأنه على أم وحده غير أمنا ، وقد سرق أخ له من أبيه وأمه من قبل أي لأنه كذلك ليس منا وإن شاركنا في الأب ، كأنهم يعللون السرقة بانفرادهما بأم لأن الإأخوة قد يختلفون في الصلاح تبعا لاختلاف أمهاتهم كما يشاهد في بعض الناس ، وقد كان يكفيهم ظهور براءتهم من سرقة السقاية ولم يكونوا محتاجين إلى هذا ؛ لأنها لا تزر وازرة وزر أخرى ولكنهم ما زالوا ظالمين ليوسف وأخيه ، وهذا يؤكد استحقاقهم لما لحقهم من الغم لأجل الحيلة لأخذ أخيهم ، وقوله تعالى ({فأسرها يوسف) } أي أسر كلمتهم هذه {في نفسه ولم يبدها لهم} من بعد لحلمه وكرمه بل سكت عنها ولم يعاتبهم عليها مع أنها كذب على يوسف وبدون ضرورة ، وقوله تعالى ({قال أنتم شر مكانا) } أي قال يوسف ردا لكلام إخوته وإظهارا لعدم تصديقهم فيما نسبوا إليه

وإلى أخيه {أنتم شر مكانا} أي أن حالتكم وما أنتم عليه من الفقر والعناء ومتابعة الأسفار لطلب القوت قد تحمل صاحبها على السرقة ، أما أخوكم هذا فلم يشارككم في السفر إلا هذه المرة وكان في رعاية

أبيه فهو أبعد عن الحاجة إلى السرقة ، وكذا أخوه لم يشارككم في حالتكم المذكورة ولم تظهر منه الحاجة إلى أن يسرق فأانتم شر منهما مكانا ومنزلة وحخالة {والله أعلم بما تصفون} وتدعون لأنفسكم وضد أخويكم أنتم فيه صادقون أم كاذبون.

{ قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين } {إن له أبا شيخا كبيرا} هذا يفيد أن بنيامين كان صغيرا بحيث يكون أبوه شفيقا عليه ويصعب عليه فراقه لصغره فكان قولهم {إن له أبا} كافيا في استعطاف العزيز لأنه يرى أخاهم ولا يحتاج إلى أن يصفوه بالصغر وهذا يدل على أن المدة لم تطل في غياب يوسوف عن أبيه كما قيل إأنها كانت أربعين سنة ولعلها لا تزيد على عشر سنين لأن بنيامين كان موجودا قبل غياب يوسوف فلو كان غياب يوسف أربعين سنة لكان بنيامين قد صار كهلا.

}

قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون } {قال} يوسف فالراجح أنهم أرادوه وهو على خزائن الأرض بقولهم {يا أيها العزيز} ولو أرادوا الملك لقالوا يا أيها الملك {قال معاذ الله} أي نعوذ بالله من {أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده} أي السقاية {إنا إذا} لو أخذنا غيره {لظالمون} لمن أخذناه لأنه بريء ويأتي ما يدل على أنهم يقولون ليوسف يا أيها العزيز لأنهم لما يعرفوه.

{ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين } :

}

استيأسوا} من العزيز الذي هو في الواقع يوسوف أيسوا منه أن يرسل بنيامين معهم لأنهم لم يقبل منهم استعطافا لأبيهم ولا فدية بواحد منهم ولعل فائدة زيادة [السين ، والتاء ، المثناة من فوق] ولم يقل: فلما أيسوا الدلالة على أنهم غلبهم اليأس واستسلموا له بعد مدافعته ، وقوله تعالى ({خلصوا نجيا) } خلصوا من بين الناس وانفردوا {نجيا} متناجين أي متسارين يخفون ما يقولون عن العزيز وغيره {قال كبيرهم} لإخوته {ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله} وهو قوله {حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به} وقال كبيرهم لهم {ومن قبل ما فرطتم في يوسف} أي وتفريطكم في يوسف من قبل فكيف يصدقكم أبوكم ولا يتهمكم بالتفريط في بنيامين كما فرطتم في يوسف ، وقوله ({فلن أبرح الأرض) } أي لن أفارق قرار الأرض أي أني أبقي ولا أعود إلى أبي على هذه الحالة ، وقوله ({فلن أبرح الأرض) } تعبير عن عدم العودة من حيث هو تعبير عن ترك ركوب البعير فكأنه قال: لا أركب إلى أبي حتى يأذن لي بالعودة أو يحكم الله لي بوحي إلى أبي أن أرجع {وهو خير الحاكمين} فهو يعلم براءتي في هذه المرة.

}

(١٢٧٢/٢)

ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا أن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين } : {ارجعوا} أي قال كبيرهم لإأخوته {ارجعوا إلى أبيكم فقولوا له يا أبانا إأن ابنك سرق} صواع الملك فغلبنا عليه {وما شهدنا} أنه سرق {إلا بما علمنا} ولم يكونوا عالمين أنه سرق لاحتمال أن الصواع وضعه في رحل أخيهم غيره ، أو أنهم كالوا الحب به ونسوه بين الحب ، أو جعله الكيتال فيه غلطا أو غير ذلك ، فهم لم يعلموا إلا أنه كان في رحل أخيه وأنهم هم الذين حكموا بأخذ من وجد في رحله ولم يقولوا: من سرقه ، وقولهم {وما كنا للغيب حافظين} أي أن سرقته للصواع خفيت علينا وغابت ولم نعلم بها إلا حين أخذه العزيز من متاع بنيامين فكيف نحفظ ما هو غيب ونحن لا نعلم الغيب ، فلا إثم علينا بسبب العهد ولا بأخذ العزيز لنبنيامين.

{ واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون } أي قولوا لأبيكم {واسأل} أهل {القرية التي كنا فيها} فهم يعلمون أن ابنك سرق ، وأهل العير التي أقبلنا فيها أي أهل الإبل الذين صحبناهم في العودة إليك {وإنا لصادقون} لم نكذب في قولنا إأنه سرق.

}

(١٢٧٣/٢)

قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إأنه هو العليم الحكيم } :
{قال بل سولت} أي قال أبوهم حين رجعوا إليه وقالوا له من القول ما أمرهم أخوهم الذي تخلف قال لهم أبوهم {بل سولت لكم أنفسكم أمرا} أي ليس الواقع ما قلتم فابني لم يسرق بل سولت لكم أنفسكم أمرا سهلته وزينته لكم ، وهذا صحيح فإنهم غلطوا في حكمهم {من وجد في رحله فهو جزاءه} ثم أاتبعوه التسليم بأن بنيامين سرق الصواع استمرارا في الغلط وكان هذا مطابقا لهوى أنفسهم في بنيامين الذي ما زالوا يحسدونه على حب أبيهم ، ولولا هوى نفوسهم لكان ينبغي لهم أن يحيلوا حكم من سرقه إلى العزيز فيقولوا جزاؤه ما حكم به العزيز عليه ولا يحكموا بعبودية أحدهم وأخذ العزيز له وهم يعلمون أن تخلف أحدهم لا يرضي أباهم ولكن سولت لهم أنفسهم التظاهر بكراهة الظلم وبحب العدالة والرغبة في زجر الظالم ادعاء منهم لأنفسهم مالا يحتاجون إليه في الإنصاف في مسألة الصواع فقد صدق أبوهم في قوله {بل سولت لكم أنفسكم أمرا} ، وقوله ({فصبر جميل) } أي فشأني أو فالذي يكون مني في هذه الحالة وعند هذه المصيبة صبر جميل ، وقوله ({عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) } أرجوا الله

(١٢٧٤/٢)

أن يأتيني بالثلاية قريبا {جميعا} مجتمعين غير مفترقين وهم يوسف وبنيامين وكبيرهم {إأنه} أي الله {هو العليم الحكيم} فهو العليم بأحوالنا كلنا وبما أنا فيه من الحزن وهو الحكيم في تركنا مفرقين وابتلائنا بذلك ، والحكيم في جمعنا بعد التفرق وانتهاء البلوى.
{ وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم } {وتولى} أبوهم {عنهم} لانتهاء الكلام بينه وبينهم في هذا الموضوع وقال يا أسفى أسفا [بالألف] بدلا من [الياء] في أسفي .
، وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: والأسف أشد الحزن ، .انتهى.
وقوله {يا} مثل قولك (وا) في قولك (واراساه) ومنه قول الشاعر :

حملت أمرا عظيما فاصطبرت له ... وقمت فيه بأمر الله يا عمرا

وفائدة قوله {يا أسفا على يوسف} حين تولى عنهم وهم يسمعون أن يعلموا مدا جريمتهم وأنه لم ينس يوسف بسبب فراق بنيامين وكبيرهم بل لا زال الأسف عليه باقيا في شدته أشد من بنيامين ، وقوله تعالى ({وابيضت عيناه) } أي ذهب سوادهما وبصرهما من حزنه {فهو كظيم} مملوء بالحزن ، ولا حاجة إلى

أن نقول: ابيضت عيناه من البكاء ؛ لأن الحزن نفسه يضر البصر كما أن السرور يقويه.
}

(١٢٧٥/٢)

قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين } {قالوا} أي أبناؤه الحاضرون عنده يتظاهرون بأنهم يريدون من أبيهم أن يبقي على نفسه ويحافظ على حياوته وقوته ، {تالله} قسم مثل بالله ، وفيه معنى التعجب من أبيهم واستمراره عليهما السلام على ذكر يوسف أي تذكره ، {تفتؤ} أي لا تفتؤ أي لا تزال تذكر يوسف {حتى تكون حرضا} أي حتى تضعف وتبلى وتشفي على الهلاك أو تهلك حقيقة كسائر الهالكين .

، وفي تفسير الإمام زيد عليه السلام : فالحرض هو البالي الفاني ، ويقال الحرض الذي أذابه الحزن والشوق ، والهالكون الميتون ، .انتهى.

{ قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأاعلم من الله ما لا تعلمون } {قال} أبوهم جوابا عنهم {إنما أشكو بثي} قال في [الصحاح]: البث الحال والحزن .، انتهى المراد.

وقال فيه: بث الخبر وأبثه بمعنى أي نشره ، .انتهى.

وقال الراغب: وقوله عز وجل ({إنما أشكو بثي وحزني) } أي غمي الذي كذا يبثه [كذا] عن كتمان .، انتهى.

وقال في [الكشاف]: والبث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس ، .انتهى.

وفي [لسان العرب] : والبث الحزن والغم الذي تفقضى به إلى صاحبك .، انتهى المراد.

(١٢٧٦/٢)

فقد اتفق كلام صاحب [لسان العرب] والراغب ولم يعارض كلام صاحب [الصحاح] لأن الغم حال فهو أقوى في التفسير لهذه الآية ، وكان يعقوب عليه السلام مظنة الغم لشدة شوقه إلى يوسف ؛ لأنه يعلم أنه ما زال حيا ، والشوق يؤدي إلى الغم من الحال الذي فيه المشتاق ، أي من فقد ما هو إليه مشتاق ، فاجتمع الغم والحزن .

وحاصل جواب أبيهم إنما أشكو غمي أو حالي وحزني الذي أبثه بقولي {يا أسفى على يوسف} إلى الله لا إليكم ، وليس كلامي موجها إليكم حتى تجيبوه {وأعلم من الله ما لا تعلمون} فلذلك أشكو إلى الله ليفرج عني ما أنا فيه من الحال ، وأنتم بجهلكم تنكرون علي ، وذلك لأنه بسبب علمه ببقاء يوسف

وقد طالب غيابه اشتد حزنه عليه لشدة حبه له.

{ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون } :

يقول نبي الله يعقوب {يا بني اذهبوا} أي إلى مصر {فتحسسوا} ، في تفسير الإمام زيد عليه السلام: معناه تخبروا ، .انتهى. ،

أي اطلبوا خبرا عنهما .

، وقال الشرفي في [المصابيح]: أو التحسس طلب الشيء بالحاسة وهو شبه التسمع والتبصر والمعنى تعرفوا وابحثوا عنهما ، .انتهى.

(١٢٧٧/٢)

وقوله ({ولا تيأسوا من روح الله) } أي لا تزالوا راجين لروح الله وفرجه ، وقال الراغب أي من فرجه ورحمته ، وهو تصحيح ، وقوله ({إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) } لأنهم أساؤوا الظن بالله ونسوا كرمه وفضله ؛ لأنهم كفروا نعمته التي ستكون وجحدوها بناء على سوء ظنهم بربهم ، وقد مر قوله تعالى ({ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور) } وقال تعالى ({وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور) } ويحتمل أن كفره هو كفر النعمة الماضية ؛ لأنه نسيها وصيرها كأن لم تكن ؛ لأنه لو اعترف بها في نفسه وذكر أنها نعمة من الله لما نفي أن يكون مثلها في المستقبل برحمة الله وكرمه ، ولعل هذا معنى قوله تعالى ({ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة) } ثم قال ({ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور) } فيظهر أن ذلك كفره لما أذاقه ربه من رحمته ، فنبي الله يعقوب ينهى بنيه عن اليأس من روح الله لكونه كفرا ، مع أن اليأس يثبط عن طلب الشيء المأيؤس منه كما أن رجاء تحصيله يقوي إرادة طلبه.

{ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين } :

(١٢٧٨/٢)

أرسلهم أبوهم للبحث عن يوسف وأخيه فذهبوا للميرة وكلاهما مراد لأبيهم أما هم فكأنه قد غلب عليهم اليأس مع قلة رغبتهم في وجدان يوسف أو عدم الرغبة ؛ لأنهم قد أساءوا إليه في الماضي ؛ ولأنهم يغارون منه وفي كلامهم هذا الإعتراف بضعف الحال والتذلل بطلب الصدقة وقولهم ({جئنا

ببضاعة مزجاة) } هي البضاعة التي أرجعها يوسف ، وكأنهم ظنوا أنه أرجعها احتقارا لها ، والمزجاة المدفوعة التي يدفعها الذي تعرض عليه لعدم رغبته فيها أو حقيرة يدفعها البائع إلى المشتري بالثمن القليل ولا يمسكها انتظارا لزيادة ثمن فيها ، وقولهم ({فأوف لنا الكيل) } أي لا تنقص الحب لحقارة البضاعة ، والمراد بالكيل هنا الحب ، أرادوا أن يوفي أحمال الإبل وإن كانت البضاعة لا تساويه ، قالوا {وتصدق علينا} أي بما زاد على ما تساويه البضاعة ، وليس المراد أن لا يغشهم في كيل الحب ، وقولهم ({إن الله يجزي المتصدقين) } ترغيب له في أن يتصدق عليهم ولا يقتصر على ما تساويه البضاعة.

}

(١٢٧٩/٢)

قال هل علمتم ما فعلتم بوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون } {هل علمتم} ذنبكم هذا وعظم {ما فعلتم بيوسف} فالسؤال عن علمهم بما فعلوا من حيث أنه جريمة عظيمة ؛ لأنهم قد علموا ما فعلوا لكنه يسألهم هل علموا حقيقة ما فعلوا ومعناه من حيث هو ظلم ليوسف وأخيه وعقوق لأبيهم ، وليس المعنى هل تذكرون لأن علمتم فعل ماض ولأن من يقدر أنه قد نسي يقال له: هل تذكر ، ومثل هذا قول كبيرهم {ألم تعلموا أن أباكم} يريد تذكيرهم بحكم العهد وقبح النكث وأن أباهم يحملهم عليه لأنهم قد فرطوا في يوسف من قبل ، وليس يريد مجرد تذكيرهم بالعهد ، وأما قول يوسف {إذ أنتم جاهلون} فهو يعني وأنتم يوم فعلتم ذلك في سن الجهالة لم تبلغوا رجاحة العقل وهو بهذا يؤمنهم ليأملوا منه أنه لا يعاقبهم.

{ قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين } :

}

(١٢٨٠/٢)

قد من الله علينا} قد أنعم علينا بخير الدنيا والآخرة أي بخير الدنيا والدين {إنه} أي الشأن {من يتق} الله {ويصبر} على تقواه وعلى ما ابتلاه به {فإن الله لا يضيع أجر المحسنين} أي فإن الله لا يضيع أجره ؛ لأنه محسن ، وكأن هذا تنبيه لهم أنهم لو اتقوا الله وصبروا ما نالهم من سوء الحال والذلة ما نالهم.

{ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين } {لقد آثرك الله} لقد خصك بما لم يجعل لنا من النعمة والشرف والعز ، وقولهم ({وإن كنا لخاطئين) } اعتراف بالجريمة فهو جواب جملي عن قولهم {هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه}.

}

(١٢٨١/٢)

قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين } {قال} يوسف صلى الله عليه لإخوته {لا تثريب عليكم اليوم} قال في تفسير الإمام زيد عليه السلام : أي لا لوم عليكم ، وقوله ({اليوم) } لعله يعني أنه لا حاجة اليوم إلى اللوم لكم فلا ألومكم ؛ لأنه قد كفاهم ما شهدوا في أنفسهم من سوء الحال وما شهدوا في يوسف من العز والشرف مع أنهم في الأصل يحسدونه فلم يستفيدوا من الحسدن إلا سوء الحال والذنوب ، ولم يستطيعوا رد فضل ا لله على يوسف ، فحق لهم أن يلوموا أنفسهم مع أن الحلم عنهم والإحسان إليهم أقرب لهم إلى التوبة والصلاح وهذا غرض نبي الله يوسف ولا غرض له في التشفي منهم لحلمله وكرمه ورغبته في ثواب العفو ، وقوله ({يغفر الله لكم) } دعاء لهم بالمغفرة وتنبيه لهم على حق الله عليهم وأإنه لا يكفيهم عفو يوسف بل هم محتاجون إلى مغفرة الله ، فعليهم أن يتوبوا إن لم يكونوا في تلك الحال قد تابوا ،ولا بأس بالدعاء بالمغفرة للحي الذي يرجى صلاحه وتوبته على معنى الدعاء بالتوفيق والهداية للتوبة لا على معنى طلب المغفرة بدون توبة ، وقوله ({وهو أرحم الراحمين) } ترغيب لهم في رحمة الله العظمى التي هي قبول التوبة وصرف عذاب جهنم وإدخال

(١٢٨٢/٢)

التائب الجنة خالدا فيها أابدا فهي رحمة لا تعادلها رحمة ولا تدانيها.

{ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين } قال يوسف لإخوته {اذهبوا بقميصي هذا} قوله هذا يشير إلى قميص معين ؛ لأن له غيرهة ولعله اختار الذي هو حديث عهد بلبسه وقد لبسه كثيرا ففيه ريح يوسف ، وقوله ({فألقوله) } أي القميصس {على وجه أبي يأت} إلى مصر إلي في حال كونه {بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين} لتسكنوا هنا في مصر حيث تتوفر لكم أسباب المعيشة ، وتتخلصون من الضر الذي شكوتموه ، وقوله ({أجمعين) } لتأكيد العموم ولعله لئلا يتوهموا أنه أراد إخوته وأولادهم لأجل الرحامة دون نسائهم الأجنبيات.

{ ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لو لا أن تفندون } {فصلت العير} خرجت من

القرية وانفصلت عنها وهي في أول سفرها إلى أبيهم {قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف} لأجد رائحة يوسف {لولا أن تفندون} لولا أن تخطؤون.

(١٢٨٣/٢)

قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليه السلام : معنى ولما فصلت العير أي قطعت القرية وانفصلت منها وخرجت الإبل من المدينة وبانت عنها أهب الله الرياح برائحة يوسف إلى أبيه ونقلت أجزى [أجزاء] من قميص ولده إليه فقال حينئذ صلوات الله عليه لمن حضره ومن كان معه من بنيه {إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون} أي لولا أن تخطئون في ذلك وتجهلون ، والفند هو الخطأ والجهل قال الشاعر:

إلا سليمان إذ قال المليك له ... قم في البرية فاحددها عن الفند

.انتهى.

وفي تفسير الإمام زيد عليه السلام : وجدها من مسيرة عشرة أيام ، .انتهى.

{ قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم } قال الموجودون من بنيه {تالله} قسما فيه معنى التعجب من أبيهم واستمراره على تذكر يوسف كما أنكروا عليه في قولهم {تذكر يوسف حتى تكون حرضا ،} ومعنى {في ضلالك} في غوايتك ومخالفتك للصواب ، كقولهم {إن أبانا لفي ضلال مبين} ، وقولهم (القديم) لعلهم يريدون تذكره منذ فارقه حين ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابات الجب.

{ فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله مالا تعلمون } : }

(١٢٨٤/٢)

فلما أن جاء البشير} بيوسف وقرب لقائه {ألقاه} أي ألقى القميص على وجه يعقوب صلى الله عليه {فارتد} بعد العمى بصيرا {قال} يعقوب عليه السلام لنبنيه الحاضرين {ألم أقل لكم} سابقا {أني إني أعلم من الله مالا تعلمون} فقد كنت أعلم أن يوسف ما زال حيا وذلك بإعلام الله لي.

{ قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين } عند انكشاف الحقيقة لهم بوجود يوسف وإيثار الله له ، وقوله ({وأتوني بأهلكم أجمعين) } بأن كذبهم في قولهم: {فأكله الذئب} وبأن أنهم كادوه وعقوا

أباهم فيه لم يبق لهم مجال إلا أن يتوبوا ويتركوا الحسد والكيد فقالوا توصلا إلى التوبة الصادقة النصوح ، وعلى هذا فمعنى استغفار أبيهم لهم طلب هداية قلوبهم حتى تساعدهم على التوبة النصوح بصدق الندم لأجل قبح المعصية وحق الله عليهم وبصدق الإقلاع عن الحسد وتوابعه والعزم على تقوى الله في كل شيء ، أو توصلا إلى قبولها {يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا} أي اأطلب المغفرة لنا إأنا كنا مذنبين فنحن محتاجون إلى مغفرة ذنوبنا.

}

(١٢٨٥/٢)

قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم } {قال} أبوهم: {سوف أستغفر لكم} لعله يعني وقت السحر وبظهر الغيب عناية منه لقبول استغفاره لهم ورحلوا إلى يوسف.

{ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين } تلقاهم يوسف خارج مصر ونزل خيمة أو منزلا أو نحو ذلك لاستقبال أبويه {فلما دخلوا} أي أبواه وإخوته عليه {على يوسف آوى إليه} أي ضم إليه {أبويه} فهما عنده أقرب إليه من غيرهما ، وما يقال إأن أبويه هما أبوه وزوجة أبيه وليست أم يوسف غير مسلم ؛ لأنه خلاف ظاهر القرآن ولا وجه للعدول عن الظاهر بلا دليل ، مع أنها الصغيرة فيما نعتقد ؛ لأن ابنيها هما الصغيران فهي مظنة أنها الباقية إلى ذلك الحين دون أم إخوة يوسف {وقال} يوسف لأبويه وإخوته {ادخلوا مصرا إن شاء الله آمنين} وهذا يشير إلى أنهم كانوا قبل ذلك مكروهين عند دولة مصر بسبب اختلاف الدين سابقا لكنها قد تبدلت الحال بنصر الله ليوسف وحسن سياسته فصاروا غير معادين ليعقوب وبنيه لأجل مكانة يوسف ، وقال {إن شاء الله} لأنه مستقبل ولو شاء الله لجعل سببا لخوفهم.

}

(١٢٨٦/٢)

ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم } :

{ورفع} يوسف {أبويه} أباه وأمه {على العرش} على السرير ولعله رفعهما عنده كقوله تعالى ({آوى إليه أبويه) } {وخروا له سجدا} خروا: هووا إلى الأرض سجدا له إما بمعنى من أجله أي شكرا لله على أن

أوصلهم إليه بعد طول غيابه وهذا هو الذي رجحه الشرفي في تفسيره ، والمشكل هو سجود أبويه ، فأما سجود إخوته لا على معنى العبادة فغير بعيد وقد مر الكلام فيه ، وإما بمعنى تشريف يوسف وإقرار رئاسته جريا على عرف البلد واتقاء لإنكار الناس عليهم لو خالفوا العرف لا بمعنى العبادة ، ووقوعه من أبيه لضرورة الحال مع اختياره للتواضع مع كونه أعلم من غيره بفضل ابنه واستحقاقه للتعظيم ، ومن الجائز أن الله أمره بالسجود ليتواضع وعلى هذا لا ينكر سجوده لابنه {وقال} أي يوسف {يا أبت هذا} أي السجود {تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا} ، وقوله ({قد جعلها ربي حقا) } يقرب إلى أن سجودهم له كان بأمر الله تعالى {وقد أحسن بي} إما

(١٢٨٧/٢)

أحسن إلي وإما مضمن أحسن لطف ، وقد قيل: إأنه يقال أحسن به كما يقال أحسن إليه في اللغة ، وقوله ({إذ أخرجني من السجن) } لعله يعني إنعام الله عليه حين أخرجه من السجن مشرفا مبرأ من العيب لا مجرد إخراجه من السجن ، وقوله ({وجاء بكم من البدو) } جعله من إحسان الله به ، والبدو: سكان البادية أهل الأنعام الذين يتبعون بها مواضع المرعا والماء وهم خلاف أهل القرى والمدن ولعلهل أراد نعمة صلاح مصر لسكناهم فيها وسقوط وجوب الهجرة عنها بمصيرها دار إسلام فلم يبق موجب لبقائهم في البدو ، وقوله ({من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي) } أي جمع الله بيننا هنا {من بعد أن نزغ الشيطان} أي تفرقنا بسبب أن نزغ الشيطان {بيني وبين إخوتي} أي من بعد كيد إخوتي الذي سبب الفراق الطويل وخفاء مكاني على أبي ، وقال: {بيني وبين} إخوتي فرارا من التثريب عليهم ، وقوله ({إن ربي لطيف لما يشاء) } أي بصير به ولو بتسبيب خفي غامض {أنه إنه هو العليم} فلا يخفى عليه تسبيب الأإسباب {الحكيم} فهو يهيء ما تقتضيه حكمته وأفعاله كلها محكمة.
}

(١٢٨٨/٢)

رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين } :
{رب قد آتيتني من الملك} شكرا للنعمة وتقدمة للدعاء ، وقوله ({من الملك) } لأن ملك مصر شركه في الملك بجعله على خزائن الأرض ، وقوله ({وعلمتني من تأويل الأحاديث) } شكر على تعليم نفعه في السجن وسبب لإخراجه من السجن {فاطر السموات والأرض} أي يا فاطر السموات والأرض الذي

خلقها ابتداء {أنت} يا الله {وليي} ولي أموري ومصالحي ورعايتي أو مالكي المدبر لأموري {في الدنيا والآخرة توفني مسلما} بريئا من الشرك مسلما لك وجهي ونفسي {وألحقني بالصالحين} في درجات الآخرة ، ولعله عليه السلام بدأ بذكر نعمة الملك وتأويل الأحاديث لئلا يكون الكلام في صورة التضجر من حالته التي هو فيها والإحتقار لنعمة الله عليه بما آتاه من الملك وعلمه من تأويل الأحاديث ، ولو كان السياق لذكر نعم الله عليه لكان ذكر نعمة الهداية والعصمة أهم من غيره.

{ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إغذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون } :

}

(١٢٨٩/٢)

ذلك} القصص بالحق {نوحيه إليك} فهو دليل على أنك نبي يوحى إليك وإن هذا القرآن من الله {وما كنت لديهم} لدى إخوة يوسف إذ أجمعوا أمرهم سرا بينهم ودبروا مكيدتهم أو عزموا عليها {وهم يمكرون} يكيدون ليوسف وأبيه فما علمت هذا القصص الكامل المفصل المشتمل على خفي الحوادث المكتومة ما علمته وأنت لما تكن تقرأ كتابا ولا تخطه بيمينك ، إنما نشأت بين الأميين ما علمت ذلك القصص إلا بوحي الله إليك .

، وقوله تعالى ({إذ أجمعوا أمرهم) } ، قال الشرفي في تفسيره: أي أاحكموه ، وقال الراغب: وأجمعت كذا أكثر ما يقال فيما يكون جمعا يتوصل إليه بالفكرة نحو {فأجمعوا أمركم وشركاءكم} قال الشاعر:

هل أغزون يوما وأمري مجمع

وقال تعالى {فاجمعوا كيدكم} . انتهى.

وقال في [الصحاح] : ويقال أجمع أمرك ولا تدعه منتشرا ، قال الشاعر:

تهل وتسعى بالمصابيح وسطها ... لها أمر حزم لا يفرق مجمع

وقال آخر :

ياليت شعري والمنى لا تنفع

١@هل أغدون يوما وأمري مجمع

.انتهى المراد.

وفي [الصحاح]: قال الكسائي يقال أجمعت الأمر وعلى الأمر إذا عزمت عليه ، .انتهى.

(١٢٩٠/٢)

وفي الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم / : ((لا صيام لمن لم يجمع الصيام من الليل)) والراوي عربي اللسان ، والمعنيان متقاربان ولعل جعله بمعنى العزم خاص بالفرد من الناس كما في تعبير الكسائي ولفظ الرواية أإما إذا نسب إلى الجمع فالظاهر ما ذكره الشرفي بمعنى ما ذكره الراغب وصاحب [الصحاح] فحاصل المعنى: وما كنت يا محمد لدى إخوة يوسف إذ أبرموا كيدهم عند تشاورهم وأجمعوا رأيهم على إنزال يوسف في غيابات الجب وكان ذفلك سرا فيما بينهم فما علمته يا محمد إلا بوحي الله إليك.

{ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين } أي أن آيات الله قد دلت على رسالتك وأكثر الناس لا يؤمنون ، وإأن تبين أنك رسول الله ولو حرصت على إيمانهم فلا تتعب نفسك بالحرص على إيمانهم.

{ وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين } فهذه زيادة حجة عليهم أنهم لا يخافون من اتباعك مغرما يثقلهم {إن هو} أي ما هو {إلا ذكر} تذكير {للعالمين} لينتبهوا من غفلتهم ويتفكروا فيؤمنوا.

}

(١٢٩١/٢)

وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون } {وكأين من آية} وكم من آية {في السموات} مما يدل على قدرة الله تعالى وسعة علمه وإحاطته بكل شيء كالشمس والقمر وسيرهما في بروجهما على نظام مستمر محدد كتحديد الساعة تقطعها الشمس في سنة وتقطعها القمر في شهر ، وفي انتقال الشمس في منازل تأتي لأهل الأرض الفصول الأربعة صيف وخريف وشتاء وربيع وكم من آية في الأرض كتجهيزها للإنسان بجعلها صالحة للسير على ظهرها والأسفار الطويلة والبناء للمساكن والحرث وجعل الماء فيها للناس وأإنعامهم والحرث لينبت لهم الزرع وغيرهم وغير الحرث ليكون فيه المرعى لأإنعامهم ، وقد نبه القرآن على هذا ، وكشف البحث الحديث عن آيات وكل ذلك نعم للإنسان وتيسير لأسباب معيشته فكم من آية {يمرون عليها} يشاهدونها في حالر غفلتهم وهم معرضون عنها ، ومعنى المرور عليها إأما مجموع مشاهدتها مع ترك التفكر فيها والإنتقال عن مشاهدتها

كمن يسير في طريق فيرى شيئا عن يمينه أو شماله ولا يقف ليتأمله بل يمضي كأنه لم يره حتى يخلفه وراءه قال تعالى ({وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون) } ويحتمل في قوله تعالى ({يمرون عليها) } أنه سير حقيقي يشاهدون فيه

(١٢٩٢/٢)

آيات كثيرة فيخلفونها وراءهم كأنهم لم يروها ، والأول أقرب عندي من أجل آيات السموات فالمرور عليها معنوي ، والله أعلم.

{ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون } {وما يؤمن أكثرهم} أكثر الناس بالله {إلا وهم مشركون} بالله فهم يعلمون أن الله الذي خلقهم ورزقهم وأنه ربهم المالك لهم وأنه قادر على كل شيء وعالم بكل شيء إلى آخر أسمائه الحسنى جملة أو تفصيلا ولكن مع هذا يجعل لله شريكا في إلاهيته أو في حكمه فيعبد غيره .

، وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: هم قوم شبهوا الله بخلقه فأشركوا من حيث لا يعلمون ، .انتهى.

ومعنى هذا أنهم يعبدون صورة يتوهمون أنها هي الله ، وإيمان المؤمنين بالله حجة عليهم ، وقد تكرر في القرآن الكريم الإحتجاج عليهم [انظر الآيات في سورة المؤمنين من آية ٤٧ إلى غاية آية ٨٨ ،] وفي سورة الزخرف {ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم} وإيمانهم قد دلت الآية على أنه قاصر عن الإيمان الذي يبعث صاحبه على العمل بما يدعو إليه فهو مجازي بمعنى التصديق أو الإقرار بالله بقلوبهم وألسنتهم.

}

(١٢٩٣/٢)

أفآمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة وهم لا يشعرون } {أفأمنوا} أي المشركون مع إيمانهم بالله أن تأتيهم غاشية تغشاهم وتعمهم ، وهي عذاب من عذاب الله العاجل في الدنيا {أو تأتيهم الساعة} القيامة بغتة فجأة فلا تقبل منهم توبة {وهم لا يشعرون} بقربها لم يشعروا إلا بمفاجأتها.

{ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين } :

}

(١٢٩٤/٢)

قل} يا رسول الله {هذه سبيلي} التي أسلكها وأمضي عليها لا أنحرف عنها {أدعوا أدعو} عباد الله إلى الله ليؤمنوا به وينزهوه عن الشريك ويعبدوهن وحده لا شريك له ويتقوه {وسبحان الله} عما يصف المشركون {وما أنا من المشركين} بل أنا بريء منهم ، وقوله تعالى ({ومن ابتبعني) } أي اتبعني في ديني الذي أدعو إليه فهم يدعون إلى الله ، وقوله ({على بصيرة) } أي على علم يقين بأني على الحق ؛ لأني على بينة من ربي وكذلك من اتبعني في ديني الذي هو دين الله فهو على بصيرة أي على علم يقين بأني على الحق لأني على بينة من ربي وكذلك من اتبعني في ديني الذي هو دين الله فهو على بصيرة من ربه ؛ لأنه على بينة من ربه وهي هذا القرآن ، فهم في دعوتهم إلى الله على بصيرة ، وهي مستمرة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله / ممن اتبعه وعملوا بقوله تعالى ({ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير).}.

{ وما أرسلنا من قبلكم إلا رجالا يوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون } :

}

(١٢٩٥/٢)

وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا} لم نرسل إلى الأمم ملائكة كما يقترح الكفار {يوحي إليهم} لا يعلمون الغيب بل صحت رسالتهم وأمكنت بالوحي ، {من أهل القرى} ليكونوا معروفين بين أهل القرى ، أما البدو فقد يكونون مجهولين لا يعرفهم إلا القليل من الناس ، وأما نبي الله يعقوب إن كان رسولا فلعله كان من أهل القرية ، ثم هاجر عنها لما لم يؤمنوا به كما هاجر إبراهيم عليهمام السلام وكذلك يوسف عليه السلام أرسل إلى أهل مصر بعد أن صار منهم ، وأما إخوته فلم يثبت أنهم من الرسل وإن صح أنهم صاروا أنبياء بعد توبتهم فلم يصح أنهم رسل ، والله اصدق القائلين قد أخبر بأنه لم يرسل إلا من أهل القرى {أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم} أفلم يسر المكذبون بلك يا رسول الله في الأرض فيروا آثار الذين من قبلهم حيث كانوا ساكنين فينظروا كيف كان عاقبتهم بسبب تكذيبهم لرسلهم ففيهم عبرة لهم لو اعتبروا بهم لأنقذوا أنفسهم من عذاب الله {ولدار الآخرة} وهي الجنة {خير للذين اتقوا} لأنها مأواهم فهي خير من الدنيا وأغراضها وما شغل به المكذبون من متاعها {أفلا تعقلون} حيث لم تطلبوا ما هو خير لكم وتتقوا سبب عذابكم ، بل أنهم يعقلون ولكنهم

(١٢٩٦/٢)

أهملوا عقولهم ، وقوله تعالى ({أفلا تعقلون) } تبكيت لهم واحتجاج عليهم بالعقول.
{ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فننجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين } :
قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح]: حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخى نصرهم حتى إذا استيأس الرسل ، .انتهى المراد.

(١٢٩٧/٢)

قلت : الأولى أنها كقوله تعالى {ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا} فالمعنى: وما أرسلنا قبلك إلا رجالا تحملوا الرسالة وصبروا عليها حتى إذا استيأسوا وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ، وقوله تعالى ({حتى إذا استيأس الرسل) } أي أيسوا ، وكأن زيادة الصيغة بصيغة استفعلوا للدلالة على أنه لم يكن من شأنهم اليأس ، وإنما أوقعه بهم سبب موجب لليأس فاستسلموا له وذلك مثل نزول الوحي على الرسول منهم {أنه إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن} ، وقوله تعالى ({وظنوا أنهم قد كذبوا) } فلعله ظنهم أن قومهم قد صرحوا برميهم بالكذب على الله ؛ لأنهم كانوا من قبل يستحيون من الجزم بكذبهم ويكتفون بمثل قولهم {ما نراك إلا بشرا مثلنا} {ما جئتنا بآية وإن نظنك لمن الكاذبين} ونحو هذا فلما طالت المدة تجرؤوا على الجزم بكذب رسلهم ، ألا ترى إلى قوله تعالى في رسوله نوح عليه السلام ({قال رب انصرني بما كذبون} {فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين} {فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين) } ، وقوله تعالى في رسوله هود عليه السلام ({فكذبوه فأهلكناهم) } وفي رسوله شعيب ({فكذبوه فأخذهم عذاب يوم

(١٢٩٨/٢)

الظللة) } وغير هذه الآيات ، وقوله تعالى ({وظنوا أنهم قد كذبوا) } يؤخذ منه أنه يجيء نصرهم عند ذلك ؛ لأن قومهم قد كذبوهم وإن لم يسمعوه إلا من بعضهم أو وإن لم يسمعوه أصلا وقد سمعه الله ، فإن قيل: فكيف بقوله تعالى حاكيا عن نوح عليه السلام ({قال رب إن قومي كذبون ..} إلى آخر

الآيات) ؟.

قلت : يحمل على أنهم كذبوه قبل أن يسمع منهم التكذيب وجاءته عند ذلك مبادئ النصر وأوائله وأن دعاءه عليهم كان بعد ذلك حين سمع التكذيب ، والله أعلم.

وقال الشرفي في [المصابيح] : ومن رواية القاسم ابن إبراهيم عليه السلام عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل ({حتى إذا استيأس الرسل) } قال فهو استيئاسهم من إيمان قومهم ، وظنهم فهو ظنهم لمن أعطاهم الرضى في العلانية أنه قد كذبهم في السر وذلك لطول البلاء عليهم ولم يستيئإس الرسل من نصر الله ، ولم يظنوا أن الله قد أخلفهم ما وعدهم .، انتهى.

(١٢٩٩/٢)

وقوله تعالى ({جاءهم نصرنا) } أي جاء الرسل نصرنا بتعذيب المكذبين لهم ، وقوله تعالى ({فننجي من نشاء) } أي من نشاء أن ننجيه ، ولعله هنا بمعنى الرسل ومن آمن بهم أنجاهم ؛ لأنه قادر على إنجاءهم في حال إهلاك قومهم فأنجاهم بمشيئته بأي وسيلة شاء ، وقوله تعالى ({ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) } أي ولم ينج المجرمون من العذاب عند نزوله عليهم لا بقولهم {آمنا} حين رأوه ولا بأي وسيلة ؛ لأنه لا يرد بأسنا عن القوم المجرمين.

{ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون } :

}

(١٣٠٠/٢)

لقد كان في} قصص الرسل المذكور في القرآن عبرة لأولي الألباب أي لأهل العقول نافعة لمن استعمل عقله فاعتبرها ، {ما كان} أي ما كان القصص ذلك {حديثا يفترى} بل هو الحق ففيه العبرة ، ولكن ذلك القصص {تصديق الذي بين يديه} من الكتاب الذي هو التوراة أو التوراة والإأنجيل ؛ لأن فيه ما يصدق قصصا فيها فذلك دليل على أنه من الله أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وآله / لأنه لم يكن يتلو من قبل القرآن كتابا ولا يخطه بيمينه ، وهو نشأ أميا في أمة أميين فلا يعقل أن يعلم قصص القرآن إلا بوحي من الله ، والأقرب أن قوله تعالى {ما كان حديثا يفترى} بمعنى ما كان القرآن الذي فيه القصص حديثا يفترى بدليل بقية الآية قوله تعالى ({وتفصيل كل شيء) } أي وتفصيل بيان كل شيء أي جعله مفصلا لتفهم بتفاصيله دلالاته ، وقوله تعالى ({كل شيء) } كقوله تعالى في التوراة ({وكتبنا له في

الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء) } ، وقوله تعالى في ملكة سبأ ({وأوتيت من كل شيء) } وهي عبارة تستعمل للدلالة على الكثرة وكثرة الأنواع ، والمراد تفصيل كل شيء من علوم الدين التي تحتاج الأمة إلى جعلها في القرآن مفصلة ، وقوله تعالى ({وهدى

(١٣٠١/٢)

ورحمة لقوم يؤمنون) } كقوله تعالى ({هدى للمتقين) } ، وقوله تعالى ({هدى ورحمة للمحسنين) } فهم الذين يهتدون ويرحمون بالقرآن ؛ لأنه ينقذهم من النار .

والحمد لله رب العالمين ؛؛

تم تفسير سورة يوسف بعون الله

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله وسلم؛؛

(١٣٠٢/٢)

---

ijk

المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (١) (١)

---

(١) - ... ... بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الرعد

اختلف فيها؛ أهي مكية إلا آيتين أم مدنية كلها أم مدنية سوى قوله تعالى (ولو أن قرآنا ..الآية) والمعاني فيها أشبه بالمعاني المكية ، والله أعلم .

ijk

{ المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (١) } :

المر سبق الكلام في الحروف في أول سورة المص ، وقوله تعالى { تلك آيات الكتاب } إشارة إلى الحروف كلها الذي يتركب منها القول ، فمعناه أن الله أنزل القرآن كلاما مؤلفا من الحروف التي يستعملها العرب في تأليف كلامهم ، فهو تحقيق لإنزال الكتاب بكلماته وحروفه لا مجرد المعنى يلهمه الرسول ولعل فيه إشارة إلى تحدي العرب أن يأتوا بمثله إن كان كفارهم صادقين وقد مر تفصيل هذا ،

وقوله تعالى: { والذي أنزل إليك من ربك الحق } كالدليل على أن الكتاب حق بأنه أنزل إلى رسول الله من ربه وكلما أنزل إليه من ربه فهو الحق ؛ لأن الله حكيم حميد ليس في كلماته باطل ، وتسميته كتابا مع أنه حين نزل به جبريل لم يكن قد كتب في الأرض ولكنه جعله كتابا ؛ لأن الله أنزله ليكون كتابا يحفظ وتتوارثه الأجيال .

قال الشرفي في [المصابيح] : وفي البرهان الكتاب: هو القرآن أي أنها آيات الكتاب الذي وعد الله محمدا أن ينزله عليه ويجعله باقيا على وجه الدهر ، انتهى المراد.

وقوله عليه السلام: ويجعله باقيا كنت فسرت به تسميته كتابا نظرا ، فإذا قد سبقني إليه صاحب البرهان الإمام الناصر أبو الفتح الديلمي والحمد لله .

وقوله تعالى: { ولكن أكثر الناس لا يؤمنون } أي ليست عادتهم الإيمان بالحق بدلائله فأي آية تأتيهم يعرضون عنها ولا يؤمنون بما دلت عليه لاشتغالهم بالدنيا وإهمالهم لعقولهم في شأن الآخرة فتركهم للإيمان بالقرآن ليس سببه إلا أنهم لا يؤمنون.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٠٣/٢)

الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون (٢) (١)

---

(١) . { الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون (٢) } :

{

الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها } هذا من دلائل قدرته تعالى حيث فصل بين الأرض والسموات بمسافات وحفظها من سقوط الأعلى على الأسفل فحفظها من التصادم { بغير عمد } أي بغير أعمدة ، والعمد: جمع عمود وهو في الأصل عود يعتمد عليه سقف الخيمة ، وقوله تعالى { ترونها } أي رفع السموات بغير عمد من جنس الأعمدة المرئية ، وهذا دليل على القدرة الخارقة التي لا تقاس بقدرة المخلوقين وعلمه الذي لا يقاس بعلمهم فهو قادر على إحياء الموتى ، وقوله تعالى: { ثم استوى على العرش } تعبير عن ملكه وابتداء تدبيره لشؤون عباده المخلوقين كخلق الملائكة وأمره لهم بما شاء من أمره ثم خلق الجن وتعبدهم ، ثم خلق البشر وأمر الملائكة بالسجود لآدم ثم تدبير شؤون البشر

بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإهلاك المكذبين لهم القائمين ضدهم المكذبين بآيات ربهم ، فهذه التصرفات وأشباهها في العالم التابعة لملكوت الله جل جلاله هي من دلائله على ملكه [بضم الميم] المعبر عنه بالإستواء على العرش ، فالمعنى إن له تعالى ملك السموات والأرض وما فيهما منذ رفع السموات على الأرض ؛ ولذلك فله الحكم وحده في الدنيا والآخرة وله الملك في الدنيا والآخرة فهو يتصرف في عباده تصرف الملك في الدنيا والآخرة بالأمر والنهي والإبتلاء والإختبار في الدنيا وبالجزاء في الآخرة للمطيع والعاصي لكل بما يستحق ، والإنصاف بين عباده والحكم بينهم في الآخرة .

قال الراغب في تفسيره لمفردات القرآن: وسمي مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ، قال: { ورفع أبويه على العرش } { أيكم يأتيني بعرشها } { أهكذا عرشك } ، وكني به عن العز والسلطان والمملكة ، قيل: فلان ثل عرشه ، انتهى المراد.

وفي الصحاح: العرش سرير الملك ، وعرش البيت سقفه ، وقولهم: ثل عرشه أي وهى أمره وذهب عزه ، قال زهير :

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها ... وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

انتهى.

وفي لسان العرب : والعرش الملك ، وثل عرشه هدم ما هو عليه من قوام أمره ، وقيل: وهى أمره ، قال زهير :

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها ... وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

انتهى المراد.

وقد ذكر غيره من أشعار العرب قول الشاعر :

ولقد بنت لي عمتي في مأرب ... عرشا على كرسي ملك متلد

وقول الشاعر :

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب

وفي لسان العرب في معاني استوى: واستوى أي استولى وظهر ، وقال :

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

انتهى.

وقد ذكر معاني أخر ، ولكن العقل هو الفارق بين ما يصح تفسير القرآن به وما لا يصح ؛ لأنه الفارق بين المحكم والمتشابه وبين المعاني المحتملة لتعيين المراد منها .

فأما تفسير { استوى على العرش } بمعنى مجهول جملة وتفصيلا فلا يصح ؛ لأنه ورد في القرآن على وجه المدح والإحتجاج فلا يصح تفسيره بالمجهول ؛ لأنه يبطل فهم معنى المدح فيه ويبطل فهم الحجة فيه وذلك خلاف ما ورد لأجله فهو يبطل المراد فلا يصح ، والتفسير بالمجهول جملة وتفصيلا يخرجه عن معناه في لغة العرب كما قدمت في نظيره ؛ لأن المعنى في العربية إما الحقيقي إن لم تصرف عنه قرينة ، أو المجازي ، أو الكناية التي يراد منها المعنيان ، والمعنى المجهول جملة وتفصيلا خارج عن ذلك كله .

ومن أمثلة الإحتجاج على المشركين والمدح ما في سورة الأعراف وسورة يونس ويمكن أن كل ما في القرآن من قوله تعالى { استوى على العرش } ونحوه كله للإحتجاج على المشركين والمدح فليتأمله المنصف الذي لم يعم التعصب بصيرته .

وقوله تعالى: { وسخر الشمس والقمر } عطف على { استوى على العرش } ليدل على قدرته تعالى وعلمه ونعمته على عباده ، وتسخيرهما جعلهما يجريان على نظام محكم محدود كتحديد الساعة التي هي الآلة لمعرفة الوقت ، وقوله تعالى { لأجل مسمى } إما بمعنى في أجل مسمى هو وقت سيرهما ، فاللام مثلها في { أقم الصلاة لدلوك الشمس } وعلى هذا فهو يبين الآية في تحديد سيرهما على نظام لا يتخلف ، وإما بمعنى يجري لأجل مسمى أي ليبلغ أجلا مسمى هو أجله عند خراب العالم وقيام القيامة ؛ لأنه في جريه لا يزال يقترب من نهاية مدة سيرته فكأنه يسير لينهي مدته ، والإحتمال الأول أظهر .

وقوله تعالى { يدبر الأمر } الراجح أن معناه يدبر أمر العالم ومن فيه بخلق السموات والأرض واستوائه على العرش وتسخير الشمس والقمر ؛ لأنه يترتب على ذلك خلق المكلفين وأمرهم بعبادته وإرسال الرسل وإنزال الكتب ، ويترتب عليه رزق المكلفين ، ويترتب عليه توابع التكليف من الثواب والعقاب والتمييز بين المحسن والمسيء والبعث والحساب والجنة والنار ، فهذا ونحوه هو الأمر ، والتدبير له هو فعل مقدماته التي يترتب عليها من رفع السماء فوق الأرض بغير عمد ، والإستواء على العرش الذي هو ابتداء تدبير أمر الملكوت وتسخير الشمس والقمر الذي يترتب عليه منافع للناس وللأرض والشجر والحيوان .

وقوله تعالى { يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون } فالراجح أنه خبر ثان لاسم الله ، وتفصيل الآيات جعلها مفصلة متمايزة لتكون بينة للناظرين المفكرين فيها ، والآيات يعم الكونية ويعم القرآن الحكيم ، وقوله { لعلكم بلقاء ربكم توقنون } كالتعليل لتفصيل الآيات ؛ لأنها تدل على الحياة بعد الموت والجزاء للمحسن والمسيء بدلالة نصوص القرآن ، وبدلالة أن الله تعالى ما خلق السموات

والأرض والعباد عبثا ، وقوله تعالى { توقنون } أي تعلمون علما يقينا وقوفكم في الآخرة ليسألكم عما أسلفتم في الدنيا في موقف العرض على الله تعالى كما قال تعالى { وعرضوا على ربك صفا } وكما قال في المنافقين { فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٠٤/٢)

وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٣) (١)

---

(١) . { وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٣) } :
{ مد الأرض } : أي بسطها البسط المشاهد الذي لأجله صلحت للإنسان ، وقوله تعالى { وجعل فيها رواسي } أي جعل في الأرض جبالا ثقالا راسيات في أماكنها ثابتات .

وقوله تعالى { وأنهارا } أي جعل فيها مجاري للماء يجري فيها لينتفع به الإنسان وينفع الحيوان والشجر ، وهذه المجاري بعضها في بطن الأرض يصل ماؤه إلى الآبار والعيون وبعضها على ظهر الأرض في الأودية وغيرها ، وقوله تعالى { ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين } ، وقوله تعالى { جعل فيها زوجين اثنين } أي من كل الثمرات فالحبوب أنواع مختلفة ، والفواكه كذلك تختلف ألوانها وصفاتها في الطعم وغيره { إن في ذلك } الذي هو مد الأرض وما جعل فيها من حاجة الإنسان والحيوان لآيات تدل على قدرته وعلمه وفضله على عباده ، وقوله تعالى { يغشي الليل النهار } إما يجعل النهار غاشيا لليل ؛ لأن ضوءه يباشر سواد الليل فيدفعه ، وإما يجعل الليل غاشيا للنهار لأنه يباشر ضوء النهار في آخره كأنه يدفعه مقبلا على الناس ليناموا فيه ويسكنوا فيه { إن في ذلك } المذكور من مد الأرض وما جعل فيها وإغشاء الليل النهار إن فيه كله { لآيات } تدل على قدرة الله التي لا تقاس بقدرة المخلوقين وعلمه كذلك ونعمته الشاملة لعباده ، وقوله تعالى { لقوم يتفكرون } أي يتفكرون وينظرون في الدلائل والآيات فهم الذين يعرفون دلالة الآيات ويعرفون الله تعالى بآياته المذكورة من قوله { الذي رفع } فهي دليل عليه كما أن دلائله وآياته لا نحصيها عددا.كقوله تعالى { حتى مطلع

حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٠٥/٢)

'خûur الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (٤) (١)

---

(١) . { وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (٤) } :
}
قطع متجاورات } من الأرض نفسها ، متجاورات بعضها مجاور لبعض ، وفيها شجر يثمر أو شيء من البقول ، وقوله تعالى { وجنات } أي شجر ملتف يغطي مجموعة أرضه لنموه وصلاحه ، وقوله تعالى { من أعناب } جمع إشارة إلى أنواع العنب الكثيرة ، وقوله تعالى { وزرع } أي جنات من زرع ، وقوله تعالى { ونخيل } أي وجنات من نخيل جمع نخل وكأنه جمع إشارة إلى تعدد أنواعه في الأرض ، وقوله تعالى { صنوان وغير صنوان } إذا كان أصل النخلة واحد وطلع من ذلك الأصل ساقان فهما صنوان تثنية صنو ، وكل واحد منهما صنو للآخر فإذا كانوا ثلاثة فهم صنوان جمع صنو ، والذي في الآية جمع صنو ، وقوله تعالى { وغير صنوان } أي نخيل أصل كل واحدة واحد وساقها واحد ، وقوله تعالى { تسقى } راجع إلى الكل من قوله تعالى { قطع متجاورات } إلى قوله تعالى { تسقى بماء واحد } مثلا تسقى بماء المطر مثلا أرضان متجاورتان يسقيهما ماء المطر ، أو ماء بئر واحدة أو غيل واحد فيكون أكلهما مختلفا في الجودة إحداهما أكلها أجود من أكل الآخر ، والأكل ما يؤكل من ثمرهما أو بقلهما أو غير ذلك ، وهكذا في جنتين من العنب متجاورتين يكون عنب أحداهما أجود بل قد يكون عنب الكرمة الواحدة من الجنة الواحدة أجود من غيره يعرفه صاحب الأض وهكذا في النخل المتجاور يكون ثمر أحدها أجود من ثمر الأخرى مع أنهما متجاورتان ، أو يكون تمر بستان أجود من تمر البستان المجاور له مع أن ماءهما واحد ، وهذا معنى قوله تعالى { ونفضل بعضها على بعض في الأكل } أي بقدرة الله تعالى ؛ لأنه يفعل ما يشاء ، فتلك الأراضي المتجاورة والجنات والأعناب فضل بعضها على بعض فيما تفيده من المأكول دليل على قدرته وعلمه وسعة فضله وأنه يفعل ما يشاء سواء فضل بعضها على بعض بصنعه ابتداء أو بصنعة لما ركب فيها من الطبائع المختلفة ؛ لأن الطبائع لم تختلف إلا لأنها صنع الله الذي يفعل ما يشاء فيخلق الشيء مخالفا لغيره من خلقه وما شأن الطبائع المختلفة إلا كشأن

الورشات المختلفة لم يكن لها بد من أن يكون وجودها أصله صنع الفاعل المختار وهذا تمثيل للتقريب من الفهم ؛ لأن الطبيعة إنما هي صفة تكون سببا بإذن الله تعالى .
وقوله تعالى { إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون } أي آيات متعددة ودلائل كثيرة لقوم يتفكرون ؛ لأن الذين يتفكرون في الآيات المحسوسة أو المعلومة بالوجدان أو بدلائلها وعلاماتها في أي ذلك المذكور من أول قوله { وفي الأرض قطع } يتفكرون في اختلاف أكله هم الذين يعلمون أنها آيات ويعلمون ما تدل عليه ، فأما المعرضون فلا حجة لهم في الجهل لأنهم معرضون سواء منهم من أنكر البعث بعد الموت أو جعل لله ندا لا يخلق شيئا أو جحد الخالق ونسب الحوادث إلى الطبع.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٠٦/٢)

---

* وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد (١)

---

(١) . { * وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد } :
{ وإن تعجب } عطف على ذكر الآيات في الآيات الماضية من قوله تعالى { الله الذي رفع السموات } كأنه تعالى يقول ومع هذه الآيات البينات الدالة على قدرة الله تعالى الفائقة التي لا تقاربها قدرة المخلوق فضلا عن أن تقاس بها { فعجب قولهم } أي فهو يستحق أن تعجب منه ؛ لأنهم يعترفون بأن الله خلقهم وخلق السموات والأرض وسائر ما عدده من الآيات ومع هذا كله ومع ما قد شاهدوا من دلائل قدرته يقولون { ءأذا كنا ترابا إنا لفي خلق جديد } إنكارا منهم لوعد الله أنه يخلقهم بعد ما تبلى أجسادهم خلقا جديدا ونفيا للحياة بعد الموت.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(١٣٠٧/٢)

أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٥) (١)

---

(١) . { أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٥) } :

{ أولئك } القائلون { ءإذا كنا ترابا } المنكرون للنشأة الآخرة { الذين كفروا بربهم } لأنهم جحدوا قدرته على تجديد خلقهم بعد البلى ونفوا قدرته على إحيائهم بعد أن صاروا في قبورهم ترابا فكفرهم بقدرته كفر به .

وقوله تعالى { وأولئك الأغلال في أعناقهم } الأغلال: جمع غل [بضم الغين المعجمة] وهو قيد يجعل في العنق واليدين يجمعها وهو إما حقيقة وهي الأصل إذا لم تكن مع القول قرينة فالمراد في الآخرة ، كقوله تعالى { وأولئك أصحاب النار } وهذا وإن كان حقيقة بالنظر إلى كلمة الأغلال فهو مجاز من حيث أن معناها مستقبل عبر عنه بعبارة الموجود في الحال ، وإما أن كلمة (الأغلال) مجاز عن منع الألطاف كالختم ، والأول هو الراجح ، وقوله تعالى { وأولئك أصحاب النار } أي أهلها الذين يعذبون فيها وبها ، وقوله تعالى { هم فيها خالدون } أي باقون لا يموتون.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٠٨/٢)

ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب (٦) (١)

---

(١) . { ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب (٦) } :
}
ويستعجلونك } عطف على ما في الآية التي قبل هذه الآية كأنه قيل يقولون { أئذا كنا ترابا .. } الآية { ويستعجلونك بالسيئة } أي يطلبونك تعجيل السيئة ، والسيئة هنا هي العذاب العاجل الذي يسوء كقوله تعالى { وإن تصبهم سيئة } فهم يطلبون تعجيل العذاب تعنتا أي: إن كنت صادقا فعجل علينا العذاب الذي تعدنا على الكفر ، وقوله تعالى { قبل الحسنة } أي قبل رحمة الله ومغفرته وهداه إلى الفوز بالجنة والنجاة من النار التي كان ينبغي لهم أن يطلبوها كما لا يخفى على من استعمل عقله ولو نزل بهم العذاب العاجل لحال بينهم وبين الحسنة وفوتها عليهم ؛ لأنه يحول بينهم وبين الإيمان في المستقبل من أعمارهم فتفوتهم رحمة الله ومغفرته ، ونظير هذا التركيب قول أمير المؤمنين عليه السلام في آخر خطبته الغراء : الآن عباد الله والخناق مهمل والروح مرسل ..إلى قوله عليه السلام قبل الضنك

والمضيق والروع والزهوق وقبل قدوم الغائب المنتظر وأخذة العزيز المقتدر ، انتهى.
فهو عليه السلام يقول: توبوا وأنتم في الدنيا قبل أن يأخذكم العزيز المقتدر وقبل الضنك والمضيق والروع أي الفزع ، وأوضح منه في المعنى الذي نحن بصدده قول الله تعالى { واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون } فقال { من قبل أن يأتيكم العذاب } أي لتنجوا من العذاب ويحول بينكم وبينه اتباع أحسن ما أنزل الله إلى عباده ، وقوله تعالى { وقد خلت من قبلهم المثلات } أي يستعجلونك بالعذاب وقد مضى من قبلهم من عذاب المكذبين للرسل ما هو عبرة لهؤلاء وما كان ينبغي لهم إلا أن يعتبروا بهم فيحذروا أن ينزل بهم العذاب كما نزل على المكذبين الماضين .
قال في الصحاح: والمثلة [بفتح الميم وضم الثاء] العقوبة والجمع المثلات
، انتهى، ومثله في لسان العرب.
وقال الشرفي في [المصابيح] عن الحسين بن القاسم عليه السلام: معناه مضت وقعات المثل بأشكالهم واحد المثلات مثلة وهي الوقعة التي تمثل فيها بالمعذبين والمثل هو التعذيب في الضرب والقتل ، انتهى.
فاستعجالهم بالسيئة سفاهة رأي وجهالة ، وقوله تعالى { وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم } فهذه المغفرة ترك المعاجلة بالعقاب عند وقوع الظلم ، فهو سبحانه حليم لا يعجل وكانت مغفرة بالنسبة للمدة التي لا يعاقبون فيها فقوله تعالى { على ظلمهم } أي مع ظلمهم واستحقاقهم لتعجيل العقاب ، ونظيره قول الله تعالى { وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا } .
قال الشرفي في [المصابيح] : قال الحسين بن القاسم عليه السلام معناه مع ظلمهم يغفر ويتجاوز في هذه الدنيا عنهم بفضله ورحمته لهم ولكن قامت [على] مقام [مع] ، انتهى المراد.
وقوله تعالى { وإن ربك لشديد العقاب } أي حين يريد أن يعاقب في الدنيا والآخرة كما عجل عذاب الأمم الخالية بعد إمهالها فهو يمهل ولا يهمل { بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا } .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه .
وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٠٩/٢)

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد (٧) (١)

---

(١) . { ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد (٧) } :
{ لولا أنزل عليه } أي على محمد { آية } أي علامة تدل على صدقه ، أي هلا أنزل عليه ، وهذا من كفرهم بآيات الله يزعمون أنه لم ينزل عليه شيء من آيات الله فيقولون لولا أنزل عليه آية من ربه ، أي إن كان رسولا { إنما أنت منذر } فيكفي من الآيات { إنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم } فهو دليل على أنك رسول من الله ولم نرسلك لإكراه الناس وإلجائهم إنما أنت نذير لهم { ولكل قوم هاد } لمن يريد الهدى فأنت الهادي لهم إن قبلوا منك الهدى وإن لم يقبلوا فأنت الهادي لمن اهتدى ، وقوله تعالى { ولكل قوم هاد } يفيد أن لكل قوم من يهدي حتى في القرون المستقبلة ، فلا بد من وجود العلماء الهداة ليبلغوا الناس حجج الله عليهم وآياته ولو قلوا كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :
(اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة) .

ولعل هذا معنى الحديث الذي يروى عن رسول الله في هذه الآية: (أنا المنذر والهادي رجل من بني هاشم) انتهى.
قال السيوطي في الدر المنثور: وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ، وابن أبي حاتم ، والطبراني في الأوسط ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، وابن عساكر عن علي رضي الله عنه في قوله { إنما أنت منذر ولكل قوم هاد } قال : رسول الله (المنذر وأنا الهادي) وفي لفظ: (والهادي رجل من بني هاشم) يعني نفسه ، انتهى.
وذكر السيوطي قبل هذا عن قتادة { إنما أنت منذر ولكل قوم هاد } لكل قوم داع يدعوهم إلى الله ، ذكر السيوطي أنه أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ .
قال: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما { ولكل قوم هاد } قال داع .
وفي الدر المنثور أيضا : وأخرج ابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة والديلمي وابن عساكر وابن النجار قال : لما نزلت: { إنما أنت منذر ولكل قوم هاد } وضع رسول الله يده على صدره فقال :(أنا المنذر) ، وأومأ بيده إلى منكب علي رضي الله عنه فقال : (أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي) .
وأخرج ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه سمعت رسول الله يقول:(إنما أنت منذر . ووضع يده على صدر نفسه ، ثم وضعها على صدر علي ، ويقول . : لكل قوم هاد) .
وأخرج ابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال : قال رسول الله :(المنذر ، والهادي علي بن أبي طالب رضي الله عنه) انتهى.
وفي الغارة السريعة زيادة على ما هنا انظر صفحة [١٧٧. ١٧٨] وما بعدها ، وروى الإمام أبو طالب عليه السلام في [الأمالي] وهو في الباب الثامن ص[٩٢] بإسناده عن علي عليه السلام قال: قال

رسول الله : (إن عند كل بدعة تكون بعدي يكاد بها الإيمان ، وليا من أهل بيتي موكلا يذب عنه يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله) .

وروى أبو طالب عليه السلام أيضا في الباب الثامن ص[١٠٠] بإسناده عن نصر بن حماد قال: سمعت شعبة يقول حين ظهر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام: قال رسول الله :(مثل أهل بيتي في أمتي مثل النجوم كلما أفل نجم طلع نجم) انتهى.

وأخرج المرشد بالله عليه السلام في [الأمالي الخميسية] بسنده عن علي عليه السلام قال: (مثل أهل بيتي مثل النجوم كلما مر نجم طلع نجم) انتهى.

وسقط رفعه ، والنسخة المطبوعة كثيرة الغلط فينظر إن شاء الله في نسخة صحيحة وإن كان موقوفا ، فله حكم الرفع لأنه خبر عن غيب لا يعلمه إلا من رسول الله وعلي عليه السلام عندنا حجة في كلامه لما فيه من الروايات المفيدة أنه على الحق ولو لم يكن إلا قوله : (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب) أو كما قال ، وقد بسطت في تحرير الأفكار والغارة السريعة في الرد على المخالفين في صحة هذا الحديث ، ومن أراد الزيادة في تفسير قول الله تعالى { ولكل قوم هاد } بعلي عليه السلام فليطالع ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ ابن عساكر ، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني وغيرهما من كتب فضائل علي عليه السلام وهو لا ينافي أنه لا بد لكل عصر من حملة لعلم الدين كما أنه لا ينافي أن رسول الله الهادي لأمته لمن في عصره السامعين له بالسماع ولغيرهم بالتبليغ لمن لم يسمع ولمن بعده .

وقد روى الإمام زيد بن علي عليه السلام في مجموعه عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام قال : قال رسول الله : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) انتهى.

فحملة العلم في كل عصر هداة لمن يبلغونه العلم والمحمول عنهم هداة من نبي أو وصي أو إمام أو عالم. كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣١٠/٢)

الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار (٨) (١)

---

(١) . { الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار (٨) } : { ما تحمل كل أنثى } يعلمه ذكرا أم أنثى تاما أم ناقصا ، ويعلم صورته وحجمه وغير ذلك من أحواله

المغيبة { وما تغيض الأرحام } أي ما تغيضه الأرحام وهو المني عند العلوق فهو يعلم العلوق مع أن المرأة نفسها قد لا تعلم أنها قد علقت ،قال تعالى { وغيض الماء } أي شربته الأرض ونزل في بطنها ، وقوله تعالى { وما تزداد } أي ويعلم ما تزداده الأرحام ، والإزدياد أن تأخذ الرحم بعد العلوق زيادة على ما قد أخذته مع العلوق إما لحمل توأم تحمله مع الأول ، وإما لسقي الأول فهو لا يخفى على الله تعالى مع خفائه على الناس { وكل شيء عنده بمقدار } يخلقه على ما تقتضيه الحكمة ، فالعبد بمقدار وأعضاؤه كل عضو بمقدار وعمره بمقدار ورزقه بمقدار وغير ذلك من أحواله ، وكذلك جزاؤه بمقدار ، وكذلك الأرض بمقدار والكواكب بمقادير والشمس والقمر والسموات وما بين ذلك من المسافات كل شيء بمقدار محدود عنده في حكمته وعلمه وصنعه.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣١١/٢)

عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال (٩) (١)

---

(١) . { عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال (٩) } :

{ عالم الغيب } المعدوم مثل المستقبلات من الحوادث { والشهادة } الموجود ، ولعل من الغيب مكاييل البحار وموازين الجبال والهواء وسائر المقادير الكثيرة المغيبة والنسب والأحكام التي تخفى على العباد ، أو الغيب: ما غاب عنا وما جهلناه ، والشهادة: ما نشاهده وكل ذلك يفيد إحاطة علمه تعالى وأنه لا يخفى عليه شيء ، وقوله تعالى { الكبير } أي العظيم الجليل بصفاته التي تدل عليها أسماؤه الحسنى فهو كبير بعظمته وجلاله ، وليس معنى كبره ضخامة حسية ؛ لأنه لا يشبه المخلوقين ، وقوله تعالى { المتعال } أي المتعالي عما يقول فيه الظالمون مما لا يليق بعظمته وجلاله كاتخاذ الصاحبة أو الولد أو الشريك في ملكه وعن كل نقص وعيب كظلم العباد وخلف الوعد والوعيد والتسوية بين المطيع والعاصي والمحسن والمسيء وما لا يليق بحكمته وفضله ورحمته وكرمه ونحو ذلك ، قال تعالى { سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا } وقال تعالى { عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون } وقال تعالى { وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا } فمعنى نسبة التعالي إليه تعالى هي التسبيح له والتقديس والتعظيم وهو أعم وأبلغ من عبارة التنزيه عن العيب لأنه يدل على تنزيهه عما لا يليق إلا بالمخلوق وإن لم يكن في المخلوق عيبا كاتخاذ الصاحبة والولد تعالى عنه لأنه الغني الذي لا يحتاج.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (١٠) (١)

---

(١) . { سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (١٠) } :
السياق في ذكر علم الله سبحانه بالغيب والشهادة فالمعنى سواء في علمه من أسر القول ومن جهر به ، وقوله تعالى { منكم } تذكير بأنه يسمع ما نقوله من حق أو باطل ومما نثاب عليه أو نعاقب ، ولعله يشير إلى ما يقوله المشركون ليعلموا أنه لا يخفى على الله .
وقوله تعالى { ومن هو مستخف بالليل } محاول أن يخفي بأن يكمن في مكان لا يرى فيه ولا يسمع وهو مع ذلك بالليل يخفيه سواد الليل ، وقوله تعالى { وسارب بالنهار } في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: سارب بالنهار: سالك في سربه معناه في مذهبه ، انتهى.
وقال في الصحاح: السارب : الذاهب على وجهه في الأرض قال الشاعر :

أنى سربت وكنت غير سروب ... وتقرب الأحلام غير قريب

وسرب الفحل يسرب سروبا إذا توجه للرعي ، قال الأخنس التغلبي :

وكل أناس قاربوا قيد فحلهم ... ونحن خلعنا قيده فهو سارب

وقال الشرفي في [المصابيح] : قال في البرهان والسارب هو المنصرف الذاهب مأخوذ من السروب في المرعى وهو بالعشي ، وهو مثل السروح بالغداة يعني أنه يعلم من استخفى عمله في ظلمة الليل ومن أظهره بضوء النهار ، والثاني يعلم ما أخفى ظلمة الليل كما يرى ما أظهر ضوء النهار بخلاف المخلوقين الذين يخفى عليهم أحوال أهلهم ، انتهى المراد.
وقوله تعالى { وسارب بالنهار } أي ومن هو سارب بالنهار فهما سواء في علمه تعالى وقد اكتفي لهما بموصول واحد ، كقوله تعالى { وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم } أي والذي انزل إليكم ، وقول حسان بن ثابت :
أمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء

أي ومن يمدحه .

والشواهد تشير إلى أن السارب الذاهب حيث يهوى لا يتقيد عنه بخوف أو غيره ولعله مراد صاحب الصحاح [الذاهب على وجهه] ولعل هذا سبب اختيار هذه الكلمة في الآية ، والله أعلم.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣١٣/٢)

له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال (١١) (١)

---

(١) . { له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال (١١) } :
في تفسير الإمام زيد عليه السلام { معقبات من بين يديه ومن خلفه } يريد من الملائكة حفظة الليل وحفظة النهار ، ويقال حرس دون حرس ، انتهى.
فقوله { معقبات } الراجح أن المراد معقبات على العبد على حفظه فمعناه معتقبات أي مثلا ملائكة بالليل يعقبهم ملائكة النهار ، ثم يعقب ملائكة النهار ملائكة الليل فهم يتعاقبون لحفظ الإنسان .

وقوله تعالى { من بين يديه } أي من أمامه ، وقوله تعالى { ومن خلفه } من ورائه يحفظونه أي المعقبات ذكرهم على المعنى ، وقوله تعالى { من أمر الله } أي المعقبات هي من أمر الله ؛ لأنه هو جعلهم وأمرهم أن يحفظوا العبد ، وقوله تعالى { إن الله لا يغير ما بقوم } أي كما جعل للإنسان الحفظة فهو يحفظ للقوم نعمته لا يغيرها حتى يغيروا ما بأنفسهم من الخير مثل النيات الصالحة والسلامة من التحاسد وسوء الظن ، والمهم ما بهم من الخير فإذا غيروا ما بهم فقد عرضوا نعمتهم للزوال ، وفسر هذه الآية قوله تعالى { ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم } وقوله تعالى { وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له } أي أنه تعالى هو الغالب على أمره ، وإرادته تعالى إرادة حكمة وحق وعلم فلا مرد لما أراده ؛ لأنه الغالب على أمره والقاهر فوق عباده ، وقوله تعالى { ومالهم من دونه من وال } أي من والي من دونه بينهم وبين الله يحول عن تنفيذ إرادة الله ويتولى رعايتهم ونصرهم و(من) في قوله تعالى { من وال } لتأكيد النفي.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣١٤/٢)

هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال (١٢) (١)

---

(١) . { هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال (١٢) } :

{ البرق } هو الذي يلمع ويرى شعاعه في السحاب ، فالله هو الذي يأتي به .

وقوله تعالى { خوفا وطمعا } أما خوفا: فالبرق خوف ؛ لأنه قد تأتي معه الصاعقة فتهلك أو تدمر حتى أن بعض من قد أفزعته قد يصير بعدها يفزع إذا رأى أمارات المطر خوفا من الصواعق ، فالبرق خوف لأنه يحدث معه الخوف ؛ ولأنه مصدر سبب الخوف أي الصاعقة ، وأما طمعا: فلأن البرق يطمع عند لمعانه في المطر لأنه يأتي عنده المطر في كثير من المرات ، ونسبته إلى الله لا ينافي نسبته إلى سببه ؛ لأن السبب صنع الله فهو خالق الطبائع وما تولد منها ، وقوله تعالى : { وينشئ السحاب الثقال } أي هو الذي ينشئ السحاب الثقال وهي التي فيها ماء ينزله رزقا لعباده وسميت ثقالا لوجود الماء فيها ، وإن كان أجزاء يحملها الهواء والريح فهو تعبير عن وجوده في السحاب ، ولا شك أن السحاب التي فيها الماء تكون أثقل من السحاب التي لا ماء فيها ، ويمكن وصفها بالثقل لعظم قدرها لما فيها من الماء النافع للناس كما وصف القرآن ، والعترة بالثقل ، وقال تعالى { وينشئ السحاب } لأن فائدتها في إنشائها ومائها هي الأصل ، أما البرق فقال تعالى فيه { ويريكم البرق } لأن فائدته في رؤيته لأنه يدعو إلى الإستعداد لنزول المطر بالدخول في البيوت والأكنان ورفع ما في مجرى السيول من المواشي وغيرها وإرجاع المواشي من مراتعها وكذلك يدعو البدو إلى نقل أنعامهم من محل الجدب إلى جهة البرق إذا سألوا عنها فأخبروا بنزول المطر فيها.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣١٥/٢)

ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال (١٣) (١)

---

(١) . { ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال (١٣) } :

{ ويسبح الرعد بحمده } أي بحمد الله أي تسبيحا مصحوبا بحمده .

قال الشرفي في [المصابيح] قال في البرهان : والرعد الصوت المسموع ، وقد روينا عن رسول الله أنه قال :(الرعد وعيد الله عز وجل إذا سمعتموه فأمسكوا عن الذنوب) ، والناس يسبحون له إذا سمعوه ، فنسب التسبيح إلى الرعد مجاز ، انتهى.

هكذا في المصابيح ، ولعل الأصل وعد الله أي أنه كالوعد بالمطر ولذلك يشبه به الوعد فيقال :

* الوعد كالرعد والإيفاء كالمطر *

وقوله فأمسكوا عن الذنوب أي لئلا تسبب منع المطر ، وقوله: فنسب التسبيح كتبة نسب غير واضحة وهي تحمل فنسبة التسبيح ، ولعله الأصل لرفع مجاز وتسبيح الرعد بحمد الله تذكيره للسامعين بقدرة الله وبنعمة الله سبحانه وتعالى من حيث أن الله أنشأه مبشرا بالمطر ، وفيه فائدة للإستعداد لنزول المطر كالبرق ، وأما التسبيح بالقول فالله أعلم ، والسياق سياق تعديد آيات الله الدالة على قدرته وعلمه الرادة على الكفار كفرهم المار ذكره .

وقوله تعالى { والملائكة من خيفته } أي والملائكة يسبحون بحمده من خيفته أي من خيفتهم لله وخوفهم منه ؛ وذلك لكمال معرفتهم بالله وكمال إيمانهم بالله وذكرهم هنا لبيان الفرق بينهم وبين الكفار الجاهلين بقدرة الله تعالى على خلقهم بعد الموت خلقا جديدا فهو مناسب لذكره في الرد على الكفار .

وقوله تعالى { ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء } فهو من الدلائل العجيبة خلقها نارا شديدة سريعة الإحراق قوية النفوذ سريعة المرور تتوجه إلى جهة معينة من الأرض من جبالها أو سهولها ، فيصيب الله بها من يشاء إصابته إما في نفسه فيموت أو في بيته فتدمره أو في ماله فيخسر ، وإذا لم يشأ الإصابة بها لم تضر ومن علمه الله طريق السلامة منها فلأن الله لم يشأ إصابته ولذلك علمه . وقوله تعالى { وهم يجادلون في الله } أي في قدرته لجدالهم في قدرته على إعادتهم خلقا جديدا بعد أن قد صاروا ترابا ؛ ولعله أيضا من الجدال في علمه لأنهم يريدون أنهم قد ضلوا في الأرض كما حكى الله تعالى في قوله تعالى { وقالوا أئذا ضللنا في الأرض إنا لفي خلق جديد } وعطف ذكر جدالهم في الله على ذكر دلائل قدرته وعلمه ؛ ليبين أنهم ضلوا وأن إنكارهم لقدرته مع الدلائل الواضحة شيء عجيب . وقوله تعالى { وهو شديد المحال } يبين أن ضلالهم وكفرهم ضره على أنفسهم وأنه تعالى يجازيهم جزاء وفاقا ، وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام { وهو شديد المحال } معناه العقوبة والمكر ، انتهى.وفي مفردات الراغب الأصفهاني في قول الله تعالى { وهو شديد المحال } : أي الأخذ بالعقوبة ، انتهى.وفي الكشاف المحال المماحلة وهي: شدة المماكرة والمكايدة ومنه: تمحل لكذا إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ، ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان ، ومنه الحديث: (ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا) انتهى المراد ، ومثله في الصحاح.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال (١٤) (١)

---

(١) . { له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال (١٤) } : { له دعوة الحق } أي له تعالى وحده دعاء الداعي الذي هو الدعاء الحق ؛ لأنه الدعاء النافع ؛ ولأنه من العبد لمالكه المستحق للعبادة بالدعاء وبغيره ، فهو الحق والدعوة الواحدة من العبد لله هي الحق ، ودعوة العبد لغير الله باطل والدعاء هنا بمعنى طلب الحاجة مثلا بواسطة النداء قال تعالى { يدعون فيها بكل فاكهة } ولذلك استعمل في طلب النفس للحاجة قال :

دعاني إليها القلب لإني لأمره ... سميع فما أدري أرشد طلابها

فأما مجرد لفظ النداء بدون طلب فليس من معنى الآية ، بل وإن كان معه صورة الطلب وليس المقصود الطلب كقول الخنساء :

يا عين جودي بالدمو ... ع المستهلات السوافح

وقول الآخر :

أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

فأما دعاء الميت فما كان لطلب حاجة من المدعو لا يقدر عليها إلا الله فهو شرك ومثله دعاء المخلوق الغائب إذا كان الطلب جدا لا هزلا ، وما كان لطلب حاجة من جنس مقدور المخلوق فهو جهل وباطل وليس من الشرك ما لم يصحبه اعتقاد القدرة الخارقة أو اعتقاد علم الغيب العام لكل شيء ، وقوله تعالى { والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء } فالضمير في يدعون للذين كفروا ، والمراد بالذين يدعونهم أصنامهم وأوثانهم { لا يستجيبون لهم } دعاءهم { بشيء } مما يطلبون منهم كنصرهم على أعدائهم وشفاء مرضاهم وغير ذلك مما يطلبون منهم ، وقوله تعالى { إلا كباسط كفيه } استثناء من { لا يستجيبون } منقطع أي لكن كاستجابة الماء لباسط كفيه إليه ليبلغ فاه بمجرد بسطه يديه إليه وما هو ببالغه ، أي وما الماء ببالغ فاه لذلك البسط ، فمثله دعاء الكافرين لشركائهم في أنه طلب لا فائدة فيه { وما دعاء الكافرين إلا في ضلال } ضلال عن الحق والرشاد وغواية عن طريق الخير

والصواب فهو في ضياع وبطلان لا يستفيدون به إلا العذاب ومعنى (من دون الله) أنهم اتخذوهم أقرب إليهم من الله لطلب حاجتهم منهم وسماعهم لدعائهم واستجابتهم لدعائهم جهلا وضلالا وشركا بالله الذي هو ربهم الحق ، ويحتمل أن معنى { وما دعاء الكافرين إلا في ضلال } أي في ضياع ؛ لأنه لا يستجاب وعلى هذا يكون عاما لدعائهم لشركائهم ودعائهم لله في حال شركهم وكفرهم بالله ولا يستثنى من ذلك إلا دعوتهم لله عند الإضطرار ؛ لأنهم عند ذلك مخلصون غير كافرين بقدرة الله وعلمه ، وقد جاء في أهل النار ودعائهم لله { وما دعاء الكافرين إلا في ضلال } وذلك في آية [٥٠ من سورة غافر] وهو يقرب إلى أن دعاءهم في ضلال في الدنيا والآخرة وإن دعوا الله في غير حالة الإضطرار.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣١٧/٢)

ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) (١٥) (١)

---

(١) . { ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) (١٥) } : { ولله يسجد } العطف على { له دعوة الحق } وما بعده ، ولله وحده يسجد يخضع وينقاد لصنعه فيهم من في السموات والأرض طوعا وهو خضوع الملائكة والصالحين من أهل الأرض بعبادتهم له تعالى { وكرها } وهو استسلام المخلوقين لقضائه وتصرفه فيهم ؛ لأنه الغالب على أمره فله لذلك دعوة الحق ؛ لأنه القادر على إجابة الدعاء وإعطاء المطلوب لا من يدعوهم المشركون ، وقوله تعالى { وظلالهم } لعل الضمير لمن في الأرض فهو المتصرف في الظلال { بالغدو } أوائل النهار بعد شروق الشمس { والآصال } أواخر النهار قيل: من بعد العصر إلى الغروب ، فبتصرفه تعالى في الأرض والشمس تكون الظلال أول النهار إلى جهة وآخر النهار إلى جهة ، وأيضا في الصيف إلى جهة وفي الشتاء إلى جهة أخرى فظلالهم منقاد لله يحوله كيف يشاء.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه ..وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣١٨/٢)

قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه

الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار (١٦) (١)

---

(١). { قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار (١٦) } : { قل } للمشركين { من رب السموات والأرض } المالك لهن .؟ {.قل } يا رسول الله: الله هو رب السموات والأرض ، وهذا لا ينكره المشركون من العرب الذين كانوا في وقت رسول الله فإذا كانوا يقرون بذلك فكيف اتخذوا من دونه شركاء لا يقدرون على نفعهم ولا ضرهم؟ بل لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فكيف يملكونه لغيرهم ؟ وقوله { أولياء } يحتمل معنى أربابا مالكين لكم ويحتمل ولاة لشؤونكم ولرعايتكم مع أنهم لا يستطيعون ذلك وذلك ضلال بين حيث عدلوا عن عبادة رب السموات والأرض القادر على كل شيء إلى عبادة من هو عاجز عن خلقهم ورزقهم وتولي رعايتهم { قل } يا رسول الله { هل يستوي الأعمى والبصير } حيث رضيتم لأنفسكم بالعمى عن الهدى والحق ولم تبالوا بذلك مع وجود الرسول الداعي لكم إلى الهدى كأنه لا فرق بين العمى والإبصار { أم هل تستوي الظلمات والنور } حيث اخترتم ظلمات الجهل على نور العلم بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والعلم بسبيل النجاة من عذاب الله والفوز برحمته وفضله ؛ وذلك لأنكم كفرتم بالله وبرسوله وكتابه ورضيتم لأنفسكم بالبقاء في ظلمات الجهل والباطل كأنه لا فرق بين الظلمات والنور ، وقوله { أم هل } إضراب عن السؤال الأول للإنتقال عنه إلى السؤال الثاني كأنه قيل: بل هل تستوي الظلمات والنور ، وقوله تعالى { أم جعلوا لله شركاء } انتقال إلى السؤال الثالث للإحتجاج عليهم فهم مقرون أن الله الذي خلق السموات والأرض وخلقهم وخلق رزقهم وأنه لا خالق غير الله خلق كخلق الله ، وحينئذ قررهم بقوله تعالى { قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار } وذلك يذكرهم أنه ليس من يخلق كمن لا يخلق وأنهم في اتخاذهم أولياء من دونه قد ضلوا ضلالا مبينا ، وقوله { الواحد } تنبيه على أنه لا يقاس به شركاءهم المتعددون ، وقوله { القهار } تنبيه على أن رحمته وعذابه لا يردهما شركاؤهم كما قال تعالى { قل أفرأيتم ما تعبدون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته } تذكير لهم بأن شركاءهم لا يستطيعون أن يردوا عن العابدين لهم عذاب الله كما لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا بل الله هو القاهر فوقهم وفوق شركائهم ، وقوله { القهار } بصيغة المبالغة تذكير لهم بقهره تعالى للأمم الماضين وقصمه لجبارة الأولين ليحذروا قهره لهم.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال (١٧) (١)

---

(١) . { أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال (١٧) } : { أنزل من السماء ماء } وفي هذا تذكير بقدرته تعالى ونعمته على عباده مع كونه ابتداء للمثل الآتي في الآية ، وقوله تعالى { فسالت أودية } والأودية هي مجاري الماء العظيمة يجتمع إليها من الصبابات { بقدرها } أي بقدر الأودية بما قدر لها من الماء باعتبار تقدير المطر في الغزارة والكثرة وفي خلاف ذلك ، وباعتبار سعة الصبابات وضيقها ، وباعتبار قوة مرور الماء لانحدار الوادي كثيرا أو خلاف ذلك ، وباعتبار سعة الوادي وضيقه ، فالأودية تختلف في ذلك كله بما قدر لها من الأسباب { فاحتمل السيل زبدا } لقوة مرور الماء وتلاطم أمواجه يعلوه الزبد الجافي الذي يتخلله الهواء { رابيا } منتفخا بما يتخلله من الهواء ولتراكم بعضه على بعض وعلوه على الماء . { ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله } { ابتغاء حلية } كالذهب والفضة { أو متاع } ما ينتفع به من الآنية والآلات كالحديد والنحاس وغيرهما يوقد عليه لذلك الغرض وما ينتفع به من الماء والإدام فكل ذلك متاع إذا غلا كان منه الزبد مثل زبد الماء في قلة نفعه وكونه غير مطلوب { كذلك يضرب الله الحق والباطل } يجعل الله كذلك ويطبع الحق والباطل فيثبت الحق ويزهق الباطل ، قال تعالى { إن الباطل كان زهوقا } فالمثل مأخوذ من كاف التشبيه لا من الضرب { فأما الزبد فيذهب } ينعزل عن الماء أو يذهب يتلف { جفاء } أي يذهب حال كونه جفاء مرميا به متروكا { وأما ما ينفع الناس } من ماء الوادي { فيمكث في الأرض } فيبقى في الأرض لينتفع به الناس للشرب وسقي الدواب ولصلاح الأشجار والزروع . { كذلك يضرب الله الأمثال } كذلك: التمثيل للحق والباطل بالماء والزبد الذي يذهب جفاء يضرب الله الأمثال في القرآن وغيره من وحيه لما في التمثيل من الفائدة لفهم المراد كما يأتي من تمثيل الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة ، فكذلك يطبع الحق بجعل طبعه الصلاح للثبات والإستمرار لمناسبته لطبع الكون وصلاح العالم ويجعل طبع الباطل الإستعداد للزهوق بتهيئة أسباب زهوقه ونفار الطباع السليمة منه ، فهو بذلك كالمطبوع على الزهوق ؛ ولأن معناه الفساد والإفساد ، هذا وقد فسر الأكثر قوله تعالى { يضرب الله الحق والباطل } أي يمثل الحق والباطل ولعله ينحل معناه كذلك يمثل الله الحق والباطل فيخرج الكلام عن بيان كون الماء والزبد مثلا للحق والباطل إلى بيان أن الله يمثل الحق والباطل بمثل الماء والزبد ، والله أعلم.كقوله تعالى {

حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٢٠/٢)

للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد (١٨) (١)

---

(١) . { للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد (١٨) } : { استجابوا لربهم } لدعوته لعباده إلى عبادته وتقواه { الحسنى } أي لهم الفائدة الحسنى أو الحالة الحسنى ، فلهم في الدنيا حياة طيبة وذكر حسن ووصف جميل ولهم في الآخرة الأمن والثواب العظيم وكأن هذ راجع إلى قوله تعالى { قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور } كالتفسير للفرق بين المؤمن والعاصي ، وقوله تعالى { والذين لم يستجيبوا له } أي لم يستجيبوا لربهم بل أعرضوا عن دعوته لهم وعصوا أمره سيندمون ندامة لا يعادلها ما نالوا في الدنيا وآثروه على الآخرة ، بل { لو أن لهم } يوم القيامة { ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به } أي لطلبوا أن يقبل منهم فدية لهم من سوء مصيرهم { أولئك لهم سوء الحساب } لما فيه من ذكر فضائحهم وتخزيتهم وتبكيتهم وكونه مقدمة للأمر بهم إلى النار { ومأواهم } الذي يأوون إليه ويصيرون { جهنم } التي هي الجزاء لهم بما فيها من العذاب الدائم فكيف لا يتمنون أن يفتدوا من ذلك { وبئس المهاد } أي مهاد ذميم على أهله وكأن تسميتها مهادا لهم مشاكلة تقديرية ؛ لأنها صارت لهم بدلا من المهاد الذي يمهد للإنسان للنوم عليه وللصبي ليحفظ فيه . قال الراغب في مفرداته: والمهاد المكان الممهد الموطأ ، انتهى.وقال في قوله تعالى { الذي جعل لكم الأرض مهدا } ومهادا : وذلك مثل قوله { الأرض فراشا } انتهى.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٢١/٢)

---

* أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب (١٩) (١)

---

(١) . { * أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب (١٩) } :
}

أفمن } تفريع على بيان الفرق بين الذين استجابوا لربهم والذين لم يستجيبوا ، أي فإذا كان الفرق بينهما ما ذكر فهل يستوي من يعلم أن ما أنزل الله على رسوله هو الحق ومن هو جاهل بذلك أعمى البصيرة فهو لا يستجيب لربه ؛ لأنه غير مؤمن بدعوته لعباده فيما أنزل على رسوله من القرآن وسائر الوحي ، وأكد هذا بجعل الكلام في صورة السؤال بهمزة الإنكار في قوله تعالى : { أفمن يعلم } لأن الفرق واضح لأهل العقول معلوم عندهم إذا استعملوا عقولهم فكأنه قيل: كيف يكون من يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى البصيرة جاهل معرض متمرد؟ فهو كالأعمى الذي لا يهتدي لطريق ، وقوله تعالى : { إنما يتذكر أولو الألباب } أي الذين يستعملون ألبابهم ، واللب عبارة عن العقل كأن قلب الجاهل الذي لا يستعمل عقله فارغ لا لب فيه كما قال تعالى: { لهم قلوب لا يعقلون بها } ثم بين تعالى المراد بأولي الألباب فيما يلي من الآيات: كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٢٢/٢)

---

tûi%©!$# يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق (٢٠) (١)

---

(١) . { الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق (٢٠) } :

{ يوفون بعهد الله } أي بما عاهدوا الله عليه أو بعهد الله الذي أقسموا به وجعلوا على أنفهسم الوفاء به بقول قائلهم علي عهد الله أو بأي قسم يقسم به لغيره بالله ليثق به في صلح أو غيره ، قال تعالى : { وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم } فإضافته إلى الله على هذا المعنى لأنه موثق منه جعله لعباده ولأن المعاهد قد جعل الله كفيلا عليه فكان الوفاء حقا لله عليه يوجب عليه رعاية العهد ، قال تعالى : { وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا } وقوله تعالى { ولا ينقضون الميثاق } نقض الميثاق ترك الوفاء به وهو النكث كأن الموثق عقدة بين المعاهد ومن أعطاه العهد فإذا ألغاه ورفضه كان كأنه نقض العقدة ، أو كالحبل المفتول القوي ونكثه كإرجاع الحبل إلى أصله ونقض فتله .

قال الراغب في المفردات: ومن نقض الحبل والعقد استعير نقض العهد ، انتهى. كقوله تعالى { حتى

مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٢٣/٢)

والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب (٢١) (١)

---

(١) . { والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب (٢١) } : وصل العلاقة تجديدها بالإحسان أو بالحضور لصاحبها أو برعايتها بأي طريقة ، والعلاقة تكون بالرحامة ، وتكون بالمودة ، وتكون بالعهد على الإخاء ونحوه وغير ذلك ، وفي معلقة لبيد إحدى المعلقات السبع :

أولم تكن تدري نوار بأنني ... وصال عقد حبائل جذامها

قال في شرح الزوزني عليها: الحبائل جمع الحبالة وهي مستعارة للعهد والمودة هنا ، الجذم: القطع ، ثم قال الشارح: فقال أولم تكن تعلم نوار إني وصال عقد العهود والمودات وقطاعها ، يريد أنه يصل من استحق الصلة ويقطع من يستحق القطيعة ، انتهى.

فظهر أنهم جعلوا العلاقة بمنزلة الحبل ، ورعايتها وصل ، وإهمالها قطع ، ومن العلاقة علاقة العبد بربه ولذلك جاء في الحديث: (وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكره..) الحديث ، ومن العلاقة علاقة الأمة برسولها فاتباعها إياه وطاعته وصل ، ومعصيته قطع ، ومن العلاقة علاقة الأمة بإمامها الذي تجب عليها طاعته ونصرته ، ومن العلاقة علاقة المؤمن بالصادقين الذين وجب عليه الكون معهم ، ومنها علاقته بالمؤمنين الذين تجب عليه موالاتهم ؛ ولذلك جاء في الحديث: (أفشوا السلام بينكم وتواصلوا) .

فأما ما أمر الله بوصله فيرجع فيه إلى الأدلة السمعية كقوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } وقوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم } وقوله تعالى { واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام } وقوله تعالى { وبالوالدين إحسانا وبذي القربى } وقوله تعالى { فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله .. } الآية ، وقول رسول الله : (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) ، وقوله : (إني تارك فيكم ما إن

تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي) الحديث .
قال الشرفي في [المصابيح] : قال في البرهان الذي أمر الله بوصله النبي والأئمة من ولدهم [كذا] لأن قطعهم كفر وضلال ، انتهى.
وقال الشرفي أيضا: قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام في [الشافي] : إن المراد بذلك ولاء آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، وإنما قلنا ذلك لأن السعادة تثبت بثبات ولائهم عليهم السلام وتزول بزواله ..إلخ كلامه.
قلت: الراجح العموم لكل ما أمر الله بوصله .
وقوله تعالى { ويخشون ربهم } قال الراغب في مفرداته: الخشية: خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ، انتهى المراد.
وقوله تعالى { ويخافون سوء الحساب } أي ليتقوا أسباب سوء الحساب أي شدته وما فيه من المناقشة والتوبيخ والسؤال عن كل كبير وصغير وغير ذلك مما يسوء العبد المحاسبة لأجله.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٢٤/٢)

والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار (٢٢) (١)

---

(١) . { والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار (٢٢) } :
{ والذين صبروا } أي على ما تكره النفوس من الطاعة والبلاء { ابتغاء وجه ربهم } أي ابتغاء رضوانه ؛ لأن الراضي يقبل بوجهه كما أن الساخط يعرض ، وقال إخوة يوسف { يخل لكم وجه أبيكم } .

وقوله تعالى { وأقاموا الصلاة } جعلوها صلاة قيمة كاملة بإخلاصها وخشوعها مع تمام شروطها وأركانها وهذا من خواص المؤمن ، وقوله تعالى { وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية } كذلك من شأن المؤمنين طلبا لرضوان الله وتثبيتا من أنفسهم ينفقون من الحلال { سرا } حيث ينبغي إخفاء الصدقة { وعلانية } حيث ينبغي إعلانها للقدوة ، والواجب من الإنفاق قد ينبغي إعلانه تجنبا للتهمة ، ومن الإنفاق ما ذكره الله في سورة البقرة في قوله تعالى { وآتى المال على حبه ذوي القربى .. إلى قوله تعالى .. وآتى الزكاة

} ومنه الإنفاق في سبيل الله لقوله تعالى { وأنفقوا في سبيل الله } والآية التي نحن في تفسيرها لم تعين المصارف والتعيين في غيرها ومانزل بعدها من الزكاة والإنفاق في سبيل الله يصدق عليه إطلاقها وهو من تطبيقها ، وقوله تعالى { ويدرؤون بالحسنة السيئة } أي يدفعون بالحسنة وهي خصلة من خصال الإحسان ومكارم الأخلاق يدفعون بها السيئة أي سيئة من يسيء إليهم لو لم يحسنوا إليه ، وقد تكرر في القرآن الكريم الحث على هذا لأهميته وعظم فائدته وكثرة ثوابه كما قال تعالى { وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم } وقوله تعالى { أولئك لهم عقبى الدار } أولئك أهل اصفات المذكورة من قوله تعالى { إنما يتذكر أولو الألباب } { لهم عقبى الدار } أي الدار الآخرة والدار الآخرة هي الجنة . وعقباها: عاقبتها وهي ما جعل الله لأوليائه فيها من النعيم الدائم والملك الكبير الذي هو عاقبة المتقين أو المراد العقبى التي هي الدار الآخرة كما قال تعالى { تلك عقبى الذين اتقوا } ويحتمل { عقبى الدار } العاقبة التي أدتهم إليها الدار الدنيا .

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : عقبى الدار: أي عقبى دار الدنيا وهي الجنة لأنها هي الدار التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ، انتهى المراد.

ومثله في الكشاف والميزان: ودار الدنيا دار الحياة الدنيا وهي الأرض في حق البشر ، والسماء في حق الملائكة ، والراجح عندي الأول سواء كانت الإضافة على معنى في أو على معنى اللام من إضافة الصفة إلى الموصوف.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٢٥/٢)

جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب (٢٣) (١)

---

(١) . { جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب (٢٣) } :

{ جنات عدن } بيان لعقبى الدار ، ومعنى جنات عدن في تفسير القاسم عليه السلام لسورة (لم يكن) قال : وتأويل { جنات عدن } هو جنات مستقر وأمن ، انتهى .

{ ومن صلح } والصالح : ضد الفاسد ، فالصالح هو المؤمن المتقي لله ؛ لأنه طيب غير خبيث وسليم من عيب المعاصي المهلكة ، وقوله تعالى { ومن صلح من ءاباهم } يعم الأجداد الصالحين مع الآباء الأقربين { وأزواجهم } يدخل فيه الصالحات من الأمهات إذا كان أزواجهن من الصالحين ، وقوله تعالى

: { وذرياتهم } يعم الذرية ما تناسلوا .

وهذا ترغيب باجتماعهم في الجنة ، وفيه دلالة على بقاء اعتبار النسب في حق الصالحين كما تبقى الخلة في حقهم ، فهو مخصص لعموم قول الله تعالى { فلا أنساب بينهم يومئذ } وقوله تعالى { والملائكة يدخلون عليهم من كل باب } أي لتكريمهم بزيارتهم وللسلام عليهم كما بينه قوله تعالى :كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٢٦/٢)

سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (٢٤) (١) والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار (٢٥) (٢)

---

(١) . { سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (٢٤) } :
أي يقول لهم الملائكة سلام عليكم وهي تحية لهم وتكريم ، وقولهم { بما صبرت } أي نسلم عليكم بسبب صبركم في الدنيا على طاعة الله وبلائه { فنعم عقبى الدار } مدح لعاقبة الصبر التي صاروا إليها في الدار الآخرة التي هي عقبى الذين اتقوا ، أو فنعم عاقبة الأرض التي كنتم فيها في الحياة الدنيا.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار (٢٥) } :
}
ينقضون عهد الله } ينكثون أيمانهم ويحنثون فيها { من بعد ميثاقه } من بعد أن وثقوا العهد وأحكموه وقووه ، أو من بعد أن جعلوا العهد ميثاقا لمن عاهدوه يثق بما عاهدوا عليه من أجل العهد ويركن إليه فبعد ذلك ينقضونه غدرا وخيانة { ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل } وهي العلائق التي كانت بسبب من الأسباب التي مر ذكرها والتي أمر الله أن توصل كالأرحام والوالدين والصادقين .
قال الشرفي في [المصابيح] قال الإمام أبو الفتح الديلمي [وهو مؤلف البرهان] عليه السلام: ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل: هم الذين لا يوجبون محبة آل محمد صلوات الله [عليه و] عليهم وينكرون فضلهم ، انتهى المراد.

والقطع يكون بالهجر ويكون بالمباينة والمعاداة ، وقطع علاقة العبد بربه معصيته والإصرار والتمرد ، وقطع علاقته بالرسول الكفر والنفاق ، والإمام رفضه ، وقوله تعالى : { ويفسدون في الأرض } ينشرون الباطل في الأرض بالدعوة إليه والترغيب فيه أو بالقوة والإرهاب ، ومن ذلك مدارس أهل الباطل ومعاهدهم ، ومن الفساد في الأرض نشر الهلاك والدمار كما فعلت التتار ، ومن الفساد في الأرض الجدال في آيات الله ونشر الشبه ، وقوله تعالى { أولئك } أي أهل هذه الصفات { لهم اللعنة } الطرد من رحمة الله { ولهم سوء الدار } عذاب الدار التي هي دار الفاسقين وهي جهنم ، أو سوء الدار سوء المستقر الذين سيكون لهم دارا وهو جهنم ، فالفرق أن الدار في الأول مفهومها جهنم ، وفي الثاني مفهومها مبهم ومصداقه جهنم كما لو قيل سوء المستقر.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٢٧/٢)

الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع (٢٦) (١)

---

(١) . { الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع (٢٦) } :

{

الله يبسط الرزق لمن يشاء } هذا إبطال لدعوى الكفار الذين بسط الله لهم الرزق حيث فرحوا بما أوتوا من الرزق وظنوا أن حظهم وما يسمى اليوم بختهم جيد وأنهم إن رجعوا إلى الله من بعد الموت فسيكون لهم في الآخرة مثل ما نالوا في الدنيا لأن حظهم جيد في ظنهم ، فجعلوا ما نالوا من الرزق كالأمر الطبيعي فبين الله أن الذي أوتوه من الرزق إنما هو من الله يبلوهم به ، ولو شاء لقدر عليهم الرزق لأن الله هو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فقد اغتروا بنعمة الله عليهم ، وبعض الكفار يظن أن الله يعطيه لأنه يحبه فهو يعتقد أنه إن رجع إليه بعد الموت فله عنده الحسنى لأن الله يحبه لغير عمل ، وإنما يستدل على حبه إياه بتوسيع الرزق له ، وبعضهم يعتقد أن سبب كثرة رزقه علمه بطرق الكسب وهذه الآية رد عليهم وبيان أنه هو الذي يبسط الرزق لهم ولو قدر عليهم لأعيتهم الطرق إلى الرزق كما قال الشاعر :

كم عالم عالم أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

وقد يكون الرجل البصير في التجارة أو غيرها غنيا مدة من الزمان ثم يصير فقيرا ، وهو ذلك البصير بعينه فالله هو الذي جعل الأسباب أسبابا وهيأها لمن أراد ، وزواها عمن أراد ، وتقدير الرزق تقليله بقدر تقتضيه الحكمة ، وقوله تعالى { وفرحوا بالحياة الدنيا } أي الكفار سرتهم هذه الحياة واطمأنوا إليها فجعلوها أكبر همهم { وما الحياة الدنيا في الآخرة } أي بالنسبة إلى الحياة الآخرة { إلا متاع } إلا بلغة قصيرة الأمد.

قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليه السلام معنى { إلا متاع } أي ما هي مع الآخرة إلا متاع إذا ذكرت معها فقامت (في) مقام (مع) ومعنى متاع أي بلغة ومتعة إلى حين الموت ولا سلامة لأحد فيها من الفوت ، وكل شيء بلغ المحل قيل متع صاحبه إلى محل كذا وكذا ، انتهى.

وهذا لأن الآخرة دائمة لا نهاية لها أبدا ، والدنيا مؤقتة محدودة فانية ، فالمؤقت المنتهى بالنسبة إلى الدائم قليل جدا ؛ لأنها لو قوبلت كل ساعة من ساعات العمر بمليون سنة من مدة الآخرة لانتهت ساعات العمر ولم يقابل الخلود شيء منها بعد الملايين المذكورة ، فالحياة الدنيا لا تستحق أن يفرح بها الإنسان بل تستحق أن يحذر من الإغترار بها.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٢٨/٢)

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب (٢٧) (١)

---

(١) . { ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب (٢٧) } :

}

لولا أنزل } يريدون إن كان محمد رسولا فلولا أنزل عليه آية أي فهلا أنزل عليه آية من ربه ، وهذا منهم كفر برسالته وكفر بآيات الله يزعمون أنها ليست آيات وهم يسمعون هذا القرآن العظيم الخارق للعادة في حكمته وإحكامه ومع ذلك يقولون { لولا أنزل عليه } وذلك التمرد والعناد والجدال في آيات الله استحقوا به أن يضلهم الله سبحانه بخذلانهم وإرسال الشياطين عليهم ؛ فلذلك قال تعالى { قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب } فتكذيبكم بآيات الله ضلال وسبب للإضلال عقوبة لكم { ويهدي إليه من أناب } فلا تضلونه بكفركم وجدالكم في آيات الله ، ومعنى { من أناب } من رجع إلى الله فالإنابة سبب للهدى كما أن الجدال في آيات الله سبب للضلال.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى :

حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٢٩/٢)

الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب (٢٨) (١)

---

(١) . { الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب (٢٨) } :
{ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم } هذا تفسير لـ { من أناب } وقوله تعالى { وتطمئن } أي تسكن ويذهب عنها الإضطراب والقلق يذهب { بذكر الله } أي ذكره بقلوبهم لأنهم يذكرون أنه الرازق ، وأنه الكافي لمن توكل عليه ، وأنه مجيب دعوة الداعي ، وأنه يثيبهم على ما عملوا من خير ويعوضهم بما أصبهم من ضر ، وأنه لا يصيبهم إلا ما كتب الله لهم ، وأنه الرحيم بعباده فما أصابهم من فقر أو مرض أو غير ذلك من البلاء فهو خير لهم في العقبى ، ونحو ذلك من الإطمئنان الذي سببه معرفة الله وذكره بالقلوب ، وقوله تعالى { ألا بذكر الله } تنبيه لمن غفل عن ذكر الله أنها بذكر الله تطمئن القلوب إرشادا إلى ذكر الله وحثا عليه.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(١٣٣٠/٢)

الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب (٢٩) (١)

---

(١) . { الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب (٢٩) } :
{ طوبى } حياة طوبى كقوله تعالى { من عمل صالحا من ذكر أو أنثى فلنحيينه حياة طيبة } وطوبى مؤنث أطيب ، مثل حسنى تأنيث أحسن .
قال الشرفي في [المصابيح] : قال الحسين بن القاسم عليه السلام: معنى { طوبى لهم } أي سرور لهم ، والطوبى هو السرور وطيب الحياة والحبور ، انتهى المراد.
وكأنه أرجع طوبى إلى طيب النفوس كقوله تعالى { فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا } والراجح أنه وصف للحياة أو العيشة أو نحوهما كما قال { حياة طيبة } وكيف لا تطيب حياة من هو مطمئن القلب بذكر الله متوكل على الله راض بما كتبه الله قانع بما رزقه الله كما هو شأن المؤمن الكامل الإيمان؟ وقوله

تعالى { وحسن مآب } أي حسن مرجع يؤوب إليه يوم القيامة فاجتمع لهم خير الدنيا والآخرة .
قال في الصحاح: وطوبى: فعلى من الطيب قلبوا الياء واوا للضمة قبلها ، وتقول: طوبى لك ، وطوباك بالإضافة ، ثم قال: وطوبى اسم شجرة في الجنة ، انتهى.

قلت: شجرة طوبى داخلة في حسن المآب ، فإن صح عن النبي تفسيرها في الآية بشجرة طوبى تعين ، ولعل الأقرب أنه بيان لبعض مصداق طوبى فيكون مفيدا لطيب حياتهم في الدنيا والآخرة ، والله أعلم.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٣١/٢)

كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب (٣٠) (١)

---

(١) . {كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب (٣٠) } :
}
كذلك } الذي أرسلناك به من هذه السورة وتلوته عليهم وفيه البيان الكافي لآيات الله الدالة على قدرته ، وعلى أن هذا القرآن من الله ، وعلى صدقك في كل ما جئت به { أرسلناك } بما أوحينا إليك كله لتتلو عليهم القرآن وقد خلت من قبلهم أمم فيهم عبرة لهم وتذكير بعقوبة التكذيب بآيات الله { وهم } مع ذلك كله { يكفرون بالرحمن } الذي يدعوهم إلى رحمته والنجاة من عذابه فيزعمون أنه لا يقدر على تجديد خلقهم بعد أن يصيروا في القبور ترابا وعظاما { قل } يا رسول الله { هو ربي لا إله إلا هو } الرحمن ربي المالك لي ؛ لأنه خلقني ورزقني { عليه } وحده { توكلت } لأنه المتولي لأمري وأنا أرضى بما كتب لي وإليه مآبي في الآخرة أي مرجعي ، فأنا أؤمن بتوحيده وصدق وعده بالبعث من القبور والرجوع إليه في الآخرة وحده ، وأنا بريء مما أنتم عليه من الشرك والتكذيب بالآخرة والكفر بالرحمن وتكذيب رسله فقد جئتكم بهذا القرآن حجة عليكم ودليلا على صدقي.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٣٢/٢)

ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد (٣١) (١)

---

(١) . { ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد (٣١) } :

{

ولو أن قرآنا } عطف على قوله تعالى { وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه .. } الآية وهو في كفار مخصوصين قد تمردوا وبعدوا عن الإيمان وخذلوا واستحوذ عليهم الشيطان فقد كان يكفيهم آية هذا القرآن لكنهم ضلوا فقالوا { لولا أنزل عليه آية من ربه } جحدا منهم لكون هذا القرآن آية .

{ ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى } لقوته وعظمته وشدة خرقه للعادة لما آمنوا به كقوله تعالى { وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها .. } إلى قوله تعالى { ..ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا } وذلك أنه لم يبق عندهم صلاحية للإيمان فالسبب في كفرهم ضلالهم ، لا عدم الآية فقد جاءهم القرآن وهو يكفي للإيمان لو كان عندهم إنصاف ، وقوله تعالى { بل لله الأمر جميعا } فهو الذي تركهم في ضلالهم يعمهون لأنه أراد بحكمته أن يتركهم وما اختاروا لأنفسهم ولم يعص مغلوبا ولو شاء لهداهم أجمعين .

{ أفلم ييأس الذين آمنوا } في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: { أفلم ييأس الذين آمنوا } أفلم يعلم ويتبين ، وهي لغة النخع ، انتهى المراد.

وقال الراغب في تفسيره: وقوله تعالى { أفلم ييأس الذين آمنوا } قيل معناه أفلم يعلموا ، ولم يرد أن اليأس موضوع في كلامهم للعلم ، وإنما قصد أن يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضي أن يحصل بعد العلم بانتفاء ذلك ، فإذا ثبوت يأسهم يقتضي ثبوت حصول علمهم ، انتهى.

وفي الصحاح: ويئس أيضا بمعنى علم في لغة النخع ، قال سحيم بن وثيل اليربوعي :

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ... ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

ومنه قوله تعالى { أفلم ييأس الذين آمنوا } انتهى.

ونحوه في لسان العرب إلا أنه في تفسير الآية حكاه عن صاحب الصحاح.

وقال الشرفي في [المصابيح] قال الحسين بن القاسم عليه السلام: { أفلم ييأس الذين آمنوا } يريد تعالى التقرير لهم أي: ألم يوقن الذين آمنوا ، واليأس هاهنا هو اليقين قال الشاعر :

ألم ييأس الأقوام أني أنا ابنه ... وإن كنت عن دار العشيرة نائيا

أي [أ]لم يوقنوا ، وقال آخر :
أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ... ألم تيأسوا أني حريث بن جابر

انتهى.
قال في لسان العرب ويروى: يأسرونني من الأسر ، وذكر للبيت رواية ثالثة :

أقول لأهل الشعب إذ ييسرونني ... ألم تيأسوا أني ابن فارس لازم

انتهى المراد.
وقد اتفقت روايات هذا البيت في إثبات الشاهد منه ، وقال في لسان العرب في سحيم : وذكر بعض العلماء أنه لولده جابر بن سحيم بدليل قوله : أني ابن فارس زهدم وزهدم فرس سحيم ، انتهى.
قلت : فلعل حريث بن جابر ابنه المذكور في رواية الحسين بن القاسم عليه السلام وذكر الطبري في تفسيره البيت :
ألم ييأس الأقوام أني أنا ابنه

١@وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا

فتحصل أن المعنى أفلم يتبين ويعلم الذين آمنوا سواء كان (ييأس) مفهومها يتبين ويعلم ، أم كان كناية عن العلم كما قدمت عن الراغب الأصبهاني أي : أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله أن يهدي الناس جميعا على أي حال لهداهم كقوله تعالى { لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين } ولكنه سبحانه أراد أن لا يلجأهم الجاء بل يتركهم يختارون ما شاءوا من إيمان أو كفر ، وقوله تعالى { ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة } أي لا يزالون في الدنيا تصيبهم بجرائمهم مصيبة عقوبة لهم ، وسميت قارعة تشبيها لها بما يضربهم ضربا لينتبهوا من غفلتهم عن الله والقارعة ما يصيبهم من مصائب الدنيا مثل الأمراض والخوف ونقص الثمرات وتسليط أعدائهم عليهم ، وقوله تعالى : { أو تحل قريبا من دارهم } أي أو تحل قارعة قريبا

من دارهم أي : أو تنزل في مكان قريب من دار الذين كفروا بمن هو مثلهم في الكفر ، فهو عبرة لهم ، وربما لحقهم أثر تلك المصيبة كفوات بعض حاجاتهم التي كانوا من قبل ينالون من ذلك المكان ففاتهم بسبب هلاك أهله أو ذهاب ثمره أو شرد أهل ذلك المكان الخوف إلى هؤلاء الذين لم تلحقهم المصيبة فثقلوا عليهم وضيقوا حالهم بكثرتهم مع فقرهم كما هو معروف من كثرة اللاجئين ، وقوله تعالى { حتى يأتي وعد الله } الموت أو البعث الذي جحدوه ، ويحتمل أن المراد بالذين كفروا هنا هم الذين ذكرهم في قوله تعالى { وإن تعجب فعجب قولهم .. } الآية الذي كذبوا رسول الله وكذبوا بالآيات التي جاء بها و { وعد الله } وعده لرسوله بالنصر عليهم وإظهار دينه وإزالة الشرك والكفر من دارهم بفتح بلادهم للمسلمين التي هي مكة وما حولها ، وقوله تعالى : { إن الله لا يخلف الميعاد } يعم الوعد بإظهار دينه والوعد بالآخرة والجزاء لكل نفس بما كسبب ووعدهم بأنها لا تزال تصبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم ، وهذا المعنى الأخير قريب يؤكده إتباع هذه الآية بقوله تعالى:
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٣٣/٢)

ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب (٣٢) (١)

---

(١) . { ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب (٣٢) } : أي ولقد كذب رسل من قبلك واستهزأ بهم قومهم إفراطا في تكذيبهم ، والإستهزاء أن يقولوا كلاما موافقا وهم غير جادين فيه بل مستخفون بالرسول كلو أوعدوه بالإيمان وهم مصرون على كفرهم ، وكقول المنافقين { آمنا } وهم غير جادين ، وقوله تعالى { فأمليت للذين كفروا } أي أمهلتهم إلى أجل محدود ولم أعاجلهم بالعقاب على كفرهم { ثم أخذتهم } أهلكتهم بالعذاب قال تعالى { وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد } وقوله تعالى { فكيف كان عقاب } أي فكيف كان عقابي لهم حين أخذتهم ، فقد ظهر كيف كان بما بلغ الناس من خبر عقاب الله لقوم نوح وقوم عاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب وفرعون وقومه.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(١٣٣٤/٢)

أفمن هو يOح !$s% على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٣) (١)

---

(١) . { أفمن هو يOح !$s% على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٣) } :

}

قائم على كل نفس بما كسبت } متول عليها معامل لها بما هي أهله من الخير أو الشر بسبب ما كسبت من طاعة أو معصيته يعاملها في الدنيا والآخرة لإحاطة علمه بكل نفس وقدرته على معاملتها بما هي أهله وعلمه بكل صغيرة وكبيرة من عملها ، فهو الذي ينبغي أن يتقيه عباده ويرجوا رحمته وثوابه ويخافوا عذابه ومع ذلك فهم يجعلون له أندادا أحجارا منصوبة وتماثيل مصنوعة لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ، وتقدير الكلام على هذا: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت جعلوا شركاءهم أندادا له مع أنهم لا يصلحون أن يجعلوا أندادا للحيوان فضلا عن أن يجعلوا أندادا للحي القيوم ويحتمل التقدير بعد قوله تعالى { أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت } تجرأوا على الكفر به وجعل الأنداد له والتكذيب لرسله والجحد بآياته والجدال فيها مع أنهم أحوج إلى تقواه ومراقبته في كل أمورهم ؛ لأنه قائم على كل نفس بما كسبت ، وهذا عندي أقرب من الأول لقوله تعالى { وجعلوا لله شركاء } وقوله تعالى { وجعلوا لله شركاء } أي تمردوا وتجرؤا عليه وجعلوا له شركاء وهو الله الذي له الأسماء الحسنى ، وقوله تعالى { قل سموهم } أي: قل لهم يا رسول الله سموهم أي سموا شركاءكم ، فإنهم يسمونهم تسمية الأنثى فقد كان ينبغي لهم أن يستحيوا من جعلهم شركاء وهم إناث عندهم كما قال تعالى { إن يدعون من دونه إلا إناثا } وهم يكرهون البنات لأنفسهم { وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم } وقوله تعالى { أم تنبؤونه بما لا يعلم في الأرض } سؤال تقريع لهم وتوبيخ على قولهم إن أصنامهم شركاء لله وتجهيل لهم وإبطال لها بطريقة أنها لو كانت شركاء حقا لعلمها الله شركاء له لكنه لا يعلم في الأرض شريكا له ، أفتعلمون ما لا يعلم وتخبرونه بما لا يعلم ؟ وهذا إنكار عليهم وتوبيخ ، وقوله تعالى { أم تنبؤونه } بمعنى بل أتنبئونه إضراب عن قوله سموهم إلى ما هو أبلغ في الرد على المشركين للترقي في الجواب ، وقوله تعالى { أم بظاهر من القول } أي أم بسلطان من القول غالب وذلك لا يكون إلا كتاب منزل من الله أو معلوم علم اليقين من وحي الله جعله الله سلطانا لكم غالبا لمن خالفكم ، وهذا إضراب للترقي إلى ما هو واضح للمشركين لا يدعونه ، وإنما قالوا { وجدنا آباءنا لها عابدين } وهذه الآية احتجاج مزعزع يحرك الضمائر ويوقض الغافل لو كان بقي لهم ضمير وشيء من الإنصاف .

وقوله تعالى { بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل } أي قد وضح السبيل القاصد الحق وتبين الصواب فلم يتركوه لخفاء الحجة عليهم بل زين لهم مكرهم ضد الحق واستحسنوه لأنهم كارهون للحق فأعجبهم ما تخيروه من الإحتيال لإبطاله ، مثال ذلك مكرهم حين اجتمعوا للتشاور على ما هو الرأي أن يقولوا في محمد ليقولوا فيه كلاما يتفقون عليه ولا تختلف أقوالهم فتخيروا أن يقولوا ساحر فأعجبهم ذلك وزينه الشيطان لهم ، والأولى أنه عام لكل مكايدتهم ضد الحق كتكذيبهم بالقرآن وقولهم { شاعر } وقولهم { معلم مجنون } وقولهم { إنما يعلمه بشر } واحتيالهم لإبطال أمر الرسول بغير ذلك مثل شكواهم عند أبي طالب ليمنعه من الكلام في شركائهم وفي شركهم لأن قوله تعالى { مكرهم } عام لمكرهم كله ، وقوله تعالى { وصدوا عن السبيل } أما على قراءة [فتح الصاد] فالمعنى أنهم صدوا غيرهم فخذلوا بسبب مكرهم وصدهم لمن صدوه من الناس ؛ لأنهم بمكايدتهم للرسول وما جاء به استحقوا الخذلان فأصروا على شركهم ولم يقبلوا أي حجة ، وأما على قراءة [ضم الصاد] فالمعنى أن الشيطان صدهم عن السبيل بسبب أن الله خذلهم وأرسل عليهم الشياطين تؤزهم أزا ؛ فلذلك لم يقبلوا الحق والهدى ، وأما قوله تعالى { ومن يضلل الله فما له من هاد } فهو يشير إلى أن الله أضلهم بخذلانهم الذي استحقوه بمكرهم حتى زين لهم كيدهم وحتى صدوا عن السبيل فقوله تعالى { بل زين للذين كفروا } تعبير عن إضلالهم بالخذلان الذي ترتب عليه تزيين مكرهم لهم وصدهم عن السبيل على قراءة [فتح الصاد] ؛ لأن إمعانهم في الكفر حتى صدوا غيرهم هو بسبب الخذلان و[على قراءة ضمها] فهو الإضلال الذي هو نتيجة الخذلان زين لهم وصدوا [بضم الصاد] وذلك لاستحقاقهم الخذلان بمحاربتهم لدين الله ، وقوله تعالى { ومن يضلل الله فماله من هاد } أي ماله هاد يهديه غير الله والله لم يهده فلم يكن له من هاد لا الله تعالى ولا غيره.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٣٥/٢)

لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق (٣٤) (١)

---

(١) . { لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق (٣٤) } :
{ لهم عذاب } أي للذين كفروا المذكورين في الآية التي قبل هذه وقوله تعالى { ولعذاب الآخرة أشق } أي عذابهم في الآخرة إن لم يتوبوا في الدنيا أشق من عذاب الدنيا { ومالهم من الله من واق } أي مالهم من يقيهم من الله لأنه الغالب على أمره الفعال لما يريد فلا يستطيع أحد دفع عذاب الله

عنهم.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٣٦/٢)

---

* مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها زOح !#yڤ وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار (٣٥) (١)

---

(١) . { * مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها زOح !#yڤ وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار (٣٥) } :

{ مثل الجنة } أي وصفها { التي وعد المتقون } التي وعدها الله المتقين الذين اتقوا ربهم بطاعته ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، وقوله تعالى { مثل الجنة } مبتدأ خبره إما { تجري من تحتها الأنهار } وما بعده إلى قوله تعالى { وظلها } وإما قوله { أكلها دائم } وما بعده إلى { وظلها } وقوله تعالى { تجري من تحتها الأنهار } جملة حالية ، والأول أرجح .

قال الشرفي في [المصابيح] : قال الحسين بن القاسم عليه السلام يريد تعالى { مثل الجنة } أي صفة الجنة أن فيها الأنهار والأكل الدائم والظل ، وإنما الأصل في الأمثال أنها صفات في المقال ، قال الله عز وجل { ولله المثل الأعلى } وليس لله مثل وإنما أراد وله الصفة العليا ، فافهم أصل ضرب الأمثال أو التوصل إلى الصفات بالمقال ، انتهى.

وقوله تعالى { أكلها دائم } أي ثمرها المأكول دائم { وظلها } أي دائم ؛ لأن أوراقها لا تسقط في الشتاء كبعض أشجار الدنيا ولا يتخلف ثمرها في وقت من الأوقات كما يتخلف ثمر بعض أشجار الدنيا ، وقوله تعالى { تلك } أي الموصوفة بهذا الوصف { عقبى الذين اتقوا } أي عاقبتهم أي عاقبة التقوى لأهلها ، وقوله تعالى { وعقبى الكافرين } أي عاقبتهم النار أي نار جهنم نعوذ بالله منها.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٣٧/٢)

والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب (٣٦) (١)

---

(١) . { والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب (٣٦) } :

يترجح أن هذه السورة مكية ، فقوله تعالى { والذين آتيناهم الكتاب يفرحون } يبين حالهم وموقفهم من القرآن يومئذ ولا ينافي أن بعضهم تغيروا بعد الهجرة إلى المدينة المنورة فلعل سبب ذلك كان بعد الهجرة كنسخ القبلة ، ومثل هذه الآية قوله تعالى { الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون } وقوله تعالى { أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل } وهذا أرجح من تأويل { الذين آتيناهم الكتاب } بالذين فهموه تماما واهتدوا بهداه الذي سبق لي في تفسير سورة المائدة ؛ لأن نسبة الإيمان بالقرآن إليهم خاص بالسور المكية وعلى هذا فهم كانوا يفرحون بما أنزل على محمد حين كان في مكة قبل هجرته إلى المدينة كما كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، وقوله تعالى { ومن الأحزاب من ينكر بعضه } أي ينكر بعض ما أنزل الله على رسوله من المعاني كنفي الشريك لله ، وإسناد الإنكار إلى بعض الأحزاب من حيث هم بعض الأحزاب يشعر بسبب الإنكار وأنه تعصبهم لمبادئهم التي تحزبوا عليها كقوله تعالى في عيسى صلى الله عليه { فاختلف الأحزاب من بينهم } ويحتمل أن قوله تعالى { ومن الأحزاب } أراد به أحزاب الذين أوتوا الكتاب فيكون مخصصا لعموم قوله تعالى { والذين آتيناهم الكتاب يفرحون } وهذا قريب لأن أحزاب أهل مكة ومن حولهم حالهم معروف لهم لا موجب لإخبارهم به ، فالراجح أن المراد بالأحزاب أحزاب أهل الكتاب ذكروا لتخصيص أول الاية وإن شمل بعمومه غيرهم ومثله يتعين فيه المخصص بالترجيح لأنه عمومان بينهما عموم وخصوص من وجهين: عموم الذين أوتوا الكتاب للأحزاب منهم وغير الأحزاب ، وعموم الأحزاب لأحزاب الذين أوتوا الكتاب وغيرهم .

وقوله تعالى { قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به } أي قل للذين ينكرون بعضه إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، فهذا ديني فليس فيه ما يستحق أن تنكروه ؛ لأن عبادة الله الخالق الرازق حق لا ينكره العقل واجتناب الشرك حق ؛ لأن الله لم يأمر بعبادة غيره ولا برهان لكم بالشرك ، فاجتنابه طريق الأمن ولا موجب لإنكاره ، وقوله { إليه أدعو } كذلك لا ينكر العقل الدعوة إلى الله وحده ، وقوله { وإليه مآب } أي وإليه وحده مآبي أي مرجعي في الآخرة ، فهو الذي يسألني عن عملي ويجزيني عليه فليس إنكار اتقائي له وحده إلا جهل منكم.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٣٨/٢)

---

x‹x.ur؛٩دy7 أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق (٣٧) (١)

---

(١) . { وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق (٣٧) } :

{ وكذلك } كما أنزلنا ما في هذه السورة من الهدى والحكم الحق { أنزلناه } أي القرآن كله { حكما } بالحق وأنزلناه { عربيا } أي بلسان عربي مبين يفهمه العرب حين تتلوه عليهم فقوله تعالى { عربيا } حال بعد حال ، وقوله تعالى { ولئن اتبعت أهواءهم } أي شركهم وما هم عليه من الباطل الذي لم يتبعوا فيه حجة إنما اتبعوا أهواءهم ، وقوله تعالى { بعد ما جاءك من العلم } أي من الوحي والبرهان المفيد للعلم بأنك أنت على الحق وأنهم على الباطل ، فقد قامت الحجة بذلك عليك فإن اتبعت باطلهم { مالك } حينئذ { من الله من ولي } يتولى رعايتك وإصلاح أمرك ويرسل لك من الخير ما يمسك الله عنك { ولا واق } يقيك عذابه إن اتبعت أهواءهم وحاشاه فهو أطوع لله ربه من أن يكون كذلك .

قال الشرفي في [المصابيح] : قال الحسين بن القاسم عليه السلام: هذا خطاب للنبي والمراد سواه من الأنام فقس على هذا ما أشبهه من الكلام فيما لا يليق برسول ذي الجلال والإكرام ، انتهى.

قلت: إن الله تعالى تعبده كما تعبد غيره من عباده ولو عصاه لعذبه فالكلام فيه حق وصدق وإن كان الغرض به زجر غيره فليس معنى ذلك أن الرسول المخاطب بهذا الكلام لم ينه ولم يشمله الوعيد الذي خوطب به ؛ لأنه وإن كان لا يحتاج في ترك أهواء الكفار إلى هذا الوعيد فهو يصلح له من حيث هو عبد تعبده الله كما تعبد غيره ولو عصاه لعذبه فلا يصرف خطابه هذا عن ظاهره ، ولكن يقال: قد تعبد الله بهذا وزجر رسوله عن مخالفته وهو أطوع الناس له فغيره أولى أن يكون مثله متوعدا إن خالف ربه ، نظير ذلك قوله تعالى { ولا تقل لهما أف } هو زجر عما هو أشد مع أنه باق على معناه الأصلي في النهي عن قوله أف.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٣٩/٢)

ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب (٣٨) (١)

---

(١) . { ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب (٣٨) } :

كأن الكفار كما أنكروا بعض ما أنزل الله أنكروا أن يكون للرسول أزواج كما قالوا { مال هذا الرسول يأكل الطعام } وكما أنكروا أن يكون الرسول بشرا مثلهم فرد الله عليهم بأنه قد أرسل من قبله رسلا وجعل لهم أزواجا وذرية ؛ لأنهم إنما أرسلهم مبشرين ومنذرين فلا مانع مع ذلك من أن ينكحوا النساء على سنة الله للبشر بحيث يكون لهم ذرية كما كان لنوح وإبراهيم وقد كان لإبراهيم صلى الله عليه من الأزواج اثنتان ، وروي أنه كان لسليمان كثير من النساء ، وقوله تعالى { وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله } رد على قولهم { لولا أنزل عليه آية من ربه } فالآيات عند الله ينزلها على ما تقتضيه الحكمة ، وهو غني عن إيمانهم ولا يريد أن يجعل لهم آية تضطرهم ، وإذا أنزل آية غير ما قد أنزل ولم ينزل ما يضطرهم إلى الإيمان فهم لا يؤمنون لأنهم قد خذلوا بعنادهم وجدالهم في آيات الله فإذا نزلت آية يجحدونها ويقولون سحر مستمر ، وقوله تعالى { لكل أجل كتاب } فلعل المراد به آجال أمم الرسل المكذبين ، لكل أمة أجل ، ولكل أجل منها كتاب يحد الأجل ، فإذا جاء أجلهم نزل بهم العذاب لا يتأخر ولا يتقدم ويدخل في عمومها سائر الآجال فهي تدفع توهم المكذبين أنهم لو كانوا مبطلين لعذبهم الله واغترارهم بالإمهال.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٤٠/٢)

يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (٣٩) (١)

---

(١) . { يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (٣٩) } :
{ يمحو الله ما يشاء } من كتاب الآجال وغير الآجال { ويثبت } ما يشاء يجعله كتابا ثابتا لا يمحى ولا ينسخ ، فله الحكم يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء ، وكتاب الآجال الذي صح محوه هو ما كان مشروطا فإذا تخلف شرطه محي ، وفائدة ذلك للملائكة: بمشاهدة الكتاب ، ولنا: بمعرفة الكتاب

بالخبر النبوي ومعرفة أسباب محوه كذلك بالخبر النبوي ، مثل ما رواه المرشد بالله عليه السلام في [الأمالي الخميسية] في هذه الآية [ج ٢/١٢٤] بسنده عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: أخبرني أبي عن جدي عن علي عليه السلام أنه سأل النبي فقال: (لأبشرنك يا علي تبشر بها أمتي من بعدي وهي الصدقة على وجهها ، وبر الوالدين ، واصطناع المعروف ، وصلة الرحم ، تحول الشقاء سعادة ، وتزيد في العمر ، وتقي مصارع السوء) انتهى.

ومثل ما رواه الإمام المرشد بالله عليه السلام في [الأمالي الخميسية] أيضا [ج٢/١٢٩] بإسناده عن جعفر بن محمد بن علي عليهم السلام في قصة ذكرها حدثني أبي محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن جده الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: (إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيمدها الله عز وجل إلى ثلاث وثلاين سنة ، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيبترها الله عز وجل إلى ثلاث سنين) انتهى.

ومثل ما رواه في [ج٢/١٢٧] من [الأمالي الخميسية] أيضا بإسناده عن محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة عليهم السلام قال: سمعت أبي عن جدي علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت رسول الله يقول في قول الله تعالى { يمحو الله ما يشاء ويثبت } تفسيرها: (الصدقة على وجهها . أي يريد بها ما عند الله . وصلة الرحم ، واصطناع المعروف ، يحول الشقاء سعادة ، ويزيد في العمر ، ويقي مصارع السوء) انتهى.

وبهذا تظهر فائدة الكتاب ومحوه ، وقوله تعالى { وعنده أم الكتاب } أصل الكتاب كله المثبت والممحو والناسخ والمنسوخ وهو كناية عن علمه تعالى المحيط بكل ما كان وما يكون فهو منزه عن البداء. كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٤١/٢)

&ètR ÷rrد‰كNèd #$!©%د" /èt÷ظçR uجچur $¨B y7¨Ztƒخ(b urوn=tڈn=t69$# $uZ"÷à مn=t›ڑپ sù*خùuqtGtR $yJ¯R©ڈy7¨Zu
.<$|،دt:$# احقب (١)

---

(١) . { bخ(ƒtZ¨7y B¨$ ruچجu Rçظ÷tè/ "د%©!$# dèNك‰درr÷ Rtè&
urوn=tڈn=t69$# $uZ"÷à مn=t›ڑپ sù*خùuqtGtR $yJ¯R©ڈy7¨Zu

: { احتب #$:tد، |$<.

أي إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب سواء أريناك في هذه الدنيا بعض ما نعد هؤلاء المكذبين ، أم توفيناك فلم تره .

قال بعض المفسرين: وفي الآية إيضاح لما للنبي من الوظيفة وهو الإشتغال بأمر الإنذار والتبليغ فحسب ، فلا ينبغي له أن يتبع أهواءهم في نزول آية عليه كما اقترحوا حتى أنه لا ينبغي له أن ينتظر نتيجة بلاغه أو حلول ما أوعدهم الله من العذاب بهم ، انتهى ، وهذا جيد ، ومعنى { فإنما عليك البلاغ } أن تبلغ ما أرسلت به إليهم وإلى غيرهم { وعلينا الحساب } أن نحاسبهم على ما عملوه من تكذيب ومن كل أعمالهم.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٤٢/٢)

B د`à)YtR ôؤغF{$# $pk'عAù'tR uخ' &tƒ $¯Rrچrt÷#) &Ns9urr uqèdur ٩دsكJ3دm3¾ Bمe)yèة=| wں †ts٣نNم ur#$!ه &rغôچù#tد$yg کƒجچy™ ة<$| ،دt:$# احتب (١)

---

(١) . { &Ns9urr $¯Rrچrt÷#) &tƒ uخ' $pk'عAù'tR ôؤغF{$# à)YtR ٩دsكJ3دm3¾ Bمe)yèة=| wں †ts٣نNم ur#$!ه &rغôچù#tدB $ygد`ô uqèdur کƒجچy™ ة<$| ،دt:$# احتب } :
}

أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها } الراجح عندي في معناها أنهم قد رأوا وشاهدوا أمر الله الغالب على أمره حين يأتي الأرض بمصائب تنقص الأرض بأخذ بعض ما يكون من ثمارها وبعض زروعها وفروع أشجارها كالبرد إذا أصاب أشجار العنب وغيرها ، وكالبرد من الريح الشديدة البرد الذي يحرق الأشجار وربما شقق بعض أعواد الشجر ، وكإرسال الجراد تأكل الثمر والورق ، فقد شاهدوا هذه المصائب التي يأتي بها الله ومع ذلك لا يستطيعون دفعها ، وهي تأخذ أموالهم وتتلف ثمارهم ، ففيها عبرة لهم تذكرهم بقدرة الله عليهم كما كان في أخذ ثمر جنة أصحاب الجنة المذكورة في سورة نون عبرة لهم حتى قالوا { يا ويلنا إنا كنا طاغين } فأما إسناد المصيبة إلى الأرض فهو صحيح ؛ لأن ما عليها زينة لها وقد أسندت إليها في قول الله تعالى { حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها

أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس } فقد جعل إصابتها فيما أنبتت وما تزينت به من نباتها إصابة لها ، وأفاد بقوله تعالى { نأتي الأرض } أن أخذها كان عقوبة لأهلها أو تأديبا بعزته وحكمته وقهره لأهلها وقدرته ، وقوله { من أطرافها } ظاهر في أخذ أطراف أشجارها وما فيها من ثمارها ، وقوله تعالى { والله يحكم لا معقب لحكمه } إنذار للكافرين بأنه حين يحكم عليهم بالشقاء الدائم في عذاب جهنم لا يكون لهم من يبدل حكمه ويبطله وإن زعموا أن شركاءهم شفعاؤهم عند الله ، وقوله تعالى { وهو سريع الحساب } دليل أنه لا يؤخر حكمه لطلب تحقيق الإستحقاق بطول مدة حساب الجرائم وتذكرها للإحاطة بها كلها ومعرفة جملتها ثم الحكم بما يناسب الجملة.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٤٣/٢)

---

yJ9$# مچ٣ s% Tsù٦=خgخB Oد` #$!©%دs3tB tûïچô%‰s%ur t On=÷èu‹y™urق tRے§> .ن@' ؟s٣،إ=. On=÷ètƒ $tBق Hsdدڈ$Yè مچ"Oےن٩٣$# yJ`ôد٩ سt>(مم ح'#O$!$# احشب (١)

---

(١) . { yJ9$# مچ٣ s% Tsù٦=خgخB Oد` #$!©%دs3tB tûïچô%‰s%ur t On=÷èu‹y™urق tRے§> .ن@' ؟s٣،إ=. On=÷ètƒ $tBق Hsdدڈ$Yè مچ"Oےن٩٣$# yJ`ôد٩ سt>(مم ح'#O$!$# احشب } :

{ الذين من قبلهم } الكفار كاليهود مكروا بعيسى ، وقوم إبراهيم مكروا به فأتى الله بنيانهم من القواعد { فلله المكر جميعا } لأنه الغالب على أمره فمكر هؤلاء الكفار الذين قالوا { لولا أنزل عليه آية من ربه } وقالوا { أئذا كنا ترابا إنا لفي خلق جديد } مكرهم باطل ، ومكر الله بهم هو المكر ؛ لأنه أعد لهم عذابا أليما ومهلهم في هذه الدنيا وأنعم عليهم فله المكر كله مجتمعا .

وقوله تعالى { يعلم ما تكسب كل نفس } يفيد بطلان مكر كل نفس تمكر على دين الله لإبطاله ؛ لأن المكر لا يتم إلا ضد من يجهل احتيال الماكر به وتدبيره عليه ما لا يعلم ، فأما من يعلم ما تكسب كل نفس فلا يتم المكر لإبطال أمره ودفع ما أراد من إظهار دينه ، وقوله تعالى { فلله المكر } تفريع على مكرهم كأنه قيل فمكر بهم المكر الذي هو المكر هذا ، ومكره بهم هم سببه ؛ لأنهم أعرضوا عن النذير وكذبوا الرسل وكذبوا بالآيات فكان إعداده لعذابهم العاجل والآجل مكرا بسبب إعراضهم عن

النذير وإهمالهم لعقولهم وأسماعهم وأبصارهم ، ولم يكن مكرا مثل مكر الكافرين وغيرهم ممن يمكر بتدبير الحيلة وهو يكتم ما يريد .

وقوله تعالى { وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار } أهي لهم أم للذين آمنوا ، وهذه الآية تبين أن عقبى الدار نعيم الجنة التي هي الدار الآخرة فالإضافة هنا مثلها في قوله تعالى { فعند الله ثواب الدنيا والآخرة } وهذا لأن عقبى الدار الأولى أكثرها كانت عذاب الأكثرين من أهلها الذين اغتروا بها كما قال تعالى { وغرتهم الحياة الدنيا } فمن البعيد إطلاق عقبى الدنيا على نعيم الآخرة ، وقوله تعالى { وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار } وعيد للكفار. كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٤٤/٢)

Aqà)tƒurم #$!©%ںïڈ |Mےxچمr#) Wxy‹x. ™s9چم4's @è% "B٢ں
"!$$خ/ #J‰›خgx© سح_›Y‰çny ¼ tBur ô`t/ur Nà6uZ÷ t/دمNùم=دو
ة="tG!٣٩$# احجب (١)

---

(١) . { Aqà)tƒurم #$!©%ںïڈ |Mےxچمr#) Wxy‹x. ™s9چم @è% B
4's"ں٢ "!$$خ/ #J‰›خgx© سح_›Y‰çny ¼ tBur ô`t/ur Nà6uZ÷ t/دم
Nùم=دو ة="tG!٣٩$# احجب } :

{ الذين كفروا } بنعمة الله وكفروا بآياته وكفروا باليوم الآخر وما فيه من الجزاء على الأعمال يقولون لجرأتهم على الباطل وأمنهم من عذاب الآخرة { لست مرسلا } أي لم يرسلك الله ، أي فأنت كاذب في دعواك الرسالة .

{ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم شهيدا } على أني مرسل منه قد بلغتكم آياته وقامت عليكم الحجة بها ، وشهيدا على أنكم كذبتموني بعد بيان الحق ووضوح الدليل على أني صادق وأني رسول الله ، ومرجعي ومرجعكم إليه يحكم بيننا فكفى به شهيدا بيني وبينكم ؛ لأن الشاهد هو الحاكم .

وقوله تعالى { ومن عنده علم الكتاب } فهو أيضا شهيد بيني وبينكم لأنه يعلم أني مرسل من الله لعلمه بالكتاب الدال على أني رسول الله فالكتاب أكبر دليل على أني رسول الله لما فيه من تحديكم بأن تأتوا بسورة من مثله ، فلم تأتوا بشيء ؛ لأنه كلام خارق للعادة في حكمته وإحكامه ، فمن عنده علمه وعلم ما فيه من التحدي المتكرر في سور وعلم ما فيه من الحكمة والإحكام فهو شهيد بيني وبينكم لعلمه

بأني قد بلغتكم وقامت به الحجة عليكم وعلمه بأنكم كذبتموني ، والشهيد الذي عنده علم الكتاب الذي انطبق عليه هذا الوصف هو علي بن أبي طالب عليه السلام ومن شاركه في هذا الوصف بمكة فهو أيضا شهيد إن كان أحد شاركه يومئذ ، فأماعلي عليه السلام فلا إشكال في أن عنده علم الكتاب لتوفر أسباب ذلك في حقه وقد قال بهذا فيما روي ابن عباس ومحمد بن الحنفية ، وفي [التعليق الوافي] تأليف عمي الحسن بن الحسين الحوثي رحمه الله [ص٢٦] قال رحمه الله تعالى : روى الحاكم [أبو القاسم الحسكاني] بإسناده إلى أبي سعيد الخدري في قوله تعالى { ومن عنده علم الكتاب } قال: قال رسول الله : (هو علي بن أبي طالب) ورواه عن ابن عباس وعن محمد ابن الحنفية وعن أبي صالح من طريقين ، وعن أبي جعفر الصادق وقال أبو صالح: قال ابن عباس: (والله هو علي بن أبي طالب) انتهى.

وأفاد عمي [رحمه الله] أنه في [مناقب الإمام علي عليه السلام] تأليف ابن المغازلي عن أبي جعفر عليه السلام ، وقال: ورواه الثعلبي في تفسيره عن محمد ابن الحنفية وهذا في صفحة [١٦٠] من [التعليق الوافي على الشافي] والشافي تأليف الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام ، و[التعليق] ما زال مخطوطا إلا قليل من أوله وهو مخطوط مستقلا عن الشافي ، وبالله التوفيق.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٤٥/٢)

سورة إبراهيم جاهز

ijk

الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد (١)

(١)

---

(١) . بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة إبراهيم عليه السلام يظهر من مواضيعها أنها مكية ولكن الشرفي حكى عن صاحب البرهان أنه قال فيها مكية إلا آيتين قيل: هما قوله تعالى { ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا } والتي بعدها والله أعلم .

ijk }

الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد (١) }
:
}
الر كتاب } أي هو كتاب أي القرآن المؤلف من الأحرف التي ينطق بها العرب هو كتاب { أنزلناه } أي جعلناه كتابا تتوارثه الأجيال محفوظا ، وقوله تعالى { لتخرج الناس من الظلمات إلى النور } أي أنزلناه عليك يا محمد لتخرج الناس من ظلمات الجهل والعقائد الباطلة وسائر الباطل إلى نور الهدى ، فالناس في أشد الحاجة إليه لعموم الجهل وانتشار الشرك بأنواعه المختلفة في الأرض وضلالات الجاهلية وضلالات أكثر أهل الكتاب كما هو مفصل في القرآن ولم يكونوا منفكين عن ذلك إلا برسول ووحي جديد يعلن الحق وينوره ، وقوله تعالى { بإذن ربهم } لأنهم يأبون الخروج من الظلمات إلى النور لتعصبهم لما ألفوه واعتادوه من التمسك بباطلهم إلا من أذن الله له أن يهتدي وهو من لا يدافع الحق وينصر الباطل ويجادل في آيات الله ويحارب الدين بصد الناس عنه ، فلم يستحق الخذلان ، وكل الناس لو سلموا أسباب الخذلان لأخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ، فالهدى معد لهم كلهم ولكن أكثرهم أبوا الإهتداء ، وقوله تعالى { إلى صراط العزيز الحميد } تفسير للنور المذكور بأنه صراط الله ؛ لأنه دينه الذي ارتضاه لعباده ، وقوله تعالى { العزيز الحميد } أما قوله { العزيز } ففيها فائدتان:
الأولى: أن الله لعزته لا يهمل العصاة يفسدون في أرضه ويضلون عباده دون أن يقيم عليهم الحجة ويجزي من تمرد عليه بالعذاب الشديد الذي يستلزم تقديم إرسال الرسول لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .
الفائدة الثانية: الدلالة على أنهم لا يضرونه بكونهم في الظلمات المذكورة أو امتناعهم من الخروج منها بل هو غني عن العالمين عزيز لا ينال .
وأما قوله { الحميد } ففيه فائدتان :
الأولى: أنه بكرمه وفضله ورحمته أنزل الكتاب وأرسل الرسول ليخرج الناس من الظلمات إلى النور إنعاما على عباده ؛ لأنه الحميد المستحق للحمد على إنعامه .
الثانية: الدلالة على أنه الحميد المستحق للحمد سواء أطاعه الناس فخرجوا من الظلمات إلى النور أم أبوا ؛ لأنه أنعم عليهم بإرسال الرسول وإنزال الكتاب ودعوتهم إلى ما فيه هداهم وسعادتهم وتمكينهم من ذلك بالعقول والقدرة ، وإن أبوا وكفروا باختيارهم فالله هو الحميد على كل الحالين إن أجابوا وأطاعوا وإن أبوا وعصوا .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

"!$# الذي له ما في السماوات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد (٢) (١)

---

(١) . { الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد (٢) } :
{ الله } أما على قراءة الجر فهو بيان للعزيز الحميد ، وأما على قراءة الرفع فهو مبتدأ خبره الموصول ، وقوله تعالى { الذي له ما في السموات وما في الأرض } يذكر بأنه أنزل الكتاب وأرسل الرسول إلى الناس ؛ لأنه مالكهم له الأمر بما شاء والحكم بما شاء فعليهم أن يطيعوه ويذكر بأنه مالكهم المستحق لأن يعبدوه وحده لا شريك له فلذلك أنزل الكتاب إلى رسوله محمد ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ؛ لأن عبادته هي الحق والرشد والخير والصلاح للدنيا والدين ، وقوله تعالى { وويل للكافرين } أي الذين كفروا بالكتاب والرسول وجحدوا بآيات الله { وويل للكافرين } في تفسير الهادي عليه السلام يحيى بن الحسين لقول الله تعالى { قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين } والويل فهو الغم والطويل من الهم انتهى .
وقوله تعالى { من عذاب شديد } بيان لسبب الويل ومصدره ، و(من) للإبتداء أو السببية.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٤٧/٢)

!$#©%tûïi يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد (٣) (١)

---

(١) . { الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد (٣) } :
في هذه الآية بيان بعض مفاسد الكفر ، فالأولى بينها قوله { الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة } فإنهم لما كفروا بالآخرة اختاروا الدنيا وآثروها على الآخرة ؛ لأنهم لا يؤمنون بخير غير ما في الدنيا ولا يخافون العذاب بسبب إيثار الدنيا وترك السعي للآخرة وكانت الدنيا أحب إليهم من كل شيء .
الثانية: بينها قوله تعالى { ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا } فإنهم لما كفروا لم يخشوا ربهم في صدهم عن دين الله الذي اصطفاه لعباده بل صدوا عنه بإعراضهم عنه وتركه وصدوا غيرهم بالتضليل

والتغرير اتباعا لهواهم ، ولو أنصفوا لعلموا أن ذلك فساد كبير .

والثالثة: قوله تعالى { ويبغونها عوجا } فهم يتطلبون لسبيل الله العوج الذي هو خلاف الإستقامة ، أي خلاف الصواب ليصدوا الناس عنها بحجة أن فيها عوجا ، وهذا إذا كان المقصود يطلبون لها العوج بما يدعون فيها كما يصنع بعض الكفار من القدح في الإسلام بأنه يوجب قطع يد السارق وهذا تشويه للسارق وضر شديد ، ويعرضون عما في ذلك من الفائدة للمجتمع وللسارق إن انزجر عن معاودة السرقة ، فإن كان المقصود يبغون في سبيل الله العوج يبغون أن يجعلوا العوج الذي هو القانون الفاسد سبيل الله فمعناه أنهم يرغبون في غير سبيل الله بدعوى أنها سبيل الله ، وهذا عندي تفسير ضعيف ؛ لأن العوج صفة للأعوج والمبغي الأعوج الذي هو القانون ، ويمكن أن يراد ويبغون سبيل الله العوج بأن يجعل الله ما ليس بحق من الدين بأن يشرع ما هو باطل مما يهوونه كما طلبوا رسول الله أن يطرد بعض المؤمنين من عنده ، وكما روي أن رهطا من قريش قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة ، فقال: ((معاذ الله أن أشرك بالله غيره)) فقالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك اهـ أو نحو هذا من باطلهم أرادوا أن يجعله من الدين فيكون عيبا في الدين وعوجا .

وقوله تعالى { أولئك في ضلال بعيد } أي أهل هذه الصفات في ضلال أي غواية عن طريق الصواب كمن تاه في غير طريق وخفيت عليه الطريق ، وقوله { بعيد } أي بعيد عن الصواب كمن ضل عن الطريق وصار بينه وبينها مسافة بعيدة لا يؤمل فيه لبعده عنها أن يهتدي لها .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٤٨/٢)

وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم (٤) (١)

---

(١) . { وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم (٤) } :
}
وما أرسلنا } كأنه عطف على قوله تعالى { كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات .. } الآية {

وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه } أي بلغتهم أي بلغة قومه { ليبين لهم } أي ليبين لقومه ما أرسل به إليهم وقومه الذين هو منهم خالطهم وعرفهم وعرفوه وعرف لسانهم معرفة أصيلة لا مجرد ترجمة للغة أخرى ، سواء كانوا قرابته من النسب لأبيه أم قرابته من النسب لأمه ، ويدل على ذلك ما تكرر في سورة الشعراء من قوله تعالى { إذ قال لهم أخوهم } قاله في نوح وهود وصالح ولوط ، فأما قوله تعالى { فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي } فالراجح أن الضمير لإبراهيم ؛ لأن السياق في إبراهيم ، وإنما عرض فيه ذكر لوط ، ويحتمل إن كان الضمير للوط إما أنها هجرته لقومه عند نزول العذاب عليهم ، وإما أنه هاجر إليهم قبل فسادهم وأن فسادهم إنما طرأ بعد كونه فيهم فأرسله الله إليهم حين فسدوا ، وعلى هذا تكون هجرته إليهم من بلد آخر كان فيه ، إما بلد قوم إبراهيم وإما غيره ، وقال تعالى في شعيب في سورة هود : { وإلى مدين أخاهم شعيبا } وكذا في الأعراف ، فأما أصحاب الأيكة فيحتمل أنهم مدين ، ويحتمل أنهم أخوال شعيب خالطهم وعارفهم حتى صار فيهم كأحدهم فأرسل إليهم كما أرسل عيسى إلى بني إسرائيل ، وأما إرسال موسى وهارون إلى فرعون وملائه فقد كان موسى فيهم هو وقومه ، وذلك يدل على أن لغة قوم موسى هي لغة فرعون وملائه ، فإرسال موسى بلسان قومه هي بلسان فرعون وملائه ؛ لأنه نشأ فيهم وتربى حتى هاجر إلى مدين ، وأرسل الله محمدا وعلى سائر الأنبياء والمرسلين بلسان قومه الذين هم قريش أو كنانة كلهم وهو لسان عربي تفهمه العرب ، فبين لهم ما أرسل به وفهمه من سمعه منهم وقد كفى شيوعه في العرب وفهمهم له في تبيينه لسائر الناس الذين هم خارج بلاد العرب لتيسر فهمه بواسطة تعلم العربية ولذلك كان منهم كبار المفسرين الذين تعلموا العربية وهم من بلاد العجم كالزمخشري ، كما أمكن فهمه بواسطة تراجم الذين تعلموا العربية وهم من العجم أو تعلموا غيرها وهم من العرب ، وعلى هذا فالراجح في معنى { قومه } أنهم الذين هو قريب لهم من جهة أبيه أو من جهة أمه على المعنى الذي ذكرت فقد أرسل الله محمدا إلى الناس جميعا بلسان قومه ، ولا يصح تفسير قومه بالذين أرسل إليهم كلهم ؛ لأنه أرسل بلسان عربي مبين كما هو مبين في القرآن الكريم في سورة الشعراء وسورة النحل ، وقوله تعالى { ليبين لهم } أي ليبين لهم ما أرسل به إليهم فيدل على أن رسول الله بين لقومه ولم يخص أحدا ببيان ما أرسل به إليهم وكتمه عن غيره ، بل بينه لهم فهو مفهوم لهم كلهم من سمعه منه ومن بلغه عنه منهم ولم يكتم منه شيئا عن أحد ليخص به غيره ، وأما ما خص به الإمام علي عليه السلام فهو أخبار عما يكون لم يكلف الناس بعلمها أو تكليف خاص لعلي عليه السلام فهو أرسل به إليه وحده .

وأما قوله تعالى { فيضل الله من يشاء } فهو الإضلال الذي سببه التكذيب بآيات الله ومحاولة إبطال دينه ولذلك ترتب على إرسال الرسول وبيانه لقومه ، وقد تكرر بيان معنى هذا الإضلال وأنه عقوبة وهو واضح ؛ لأنه لو كان الله يريد إضلالهم على غير هذا الوجه لما غضب عليهم ولعنهم لحصول ما أوقعه بهم وأراده فيهم كما تزعم المجبرة ، فالتحقيق أن هذا الإضلال هو الخذلان الذي ترتب عليه ضلالهم الزائد على ضلالهم الأول .

وقوله تعالى { ويهدي من يشاء } فهو الهدى للإيمان بسبب النية الصالحة والنظر في دليل صدق الرسول أو هو ومن لا تقتضي الحكمة إضلاله ، وكذلك إضلال الله لمن يشاء فيحتمل أن يعم من ذكرت وغيرهم من الظالمين ، وقوله تعالى { وهو العزيز الحكيم } يشير إلى أنه يجازي من كذب رسله وكذب بآياته كما هو شأنه تعالى في عزته وحكمته ، فإرسال الرسل إنما هو مقدمة لجزاء المحسن بإحسانه وجزاء المسيء بإساءته ، ولم يخيرهم الله بتمكينهم من الإيمان والكفر إلا لأنه يجزي كلا بما يستحق .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٤٩/٢)

ô%os)s9ur أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٥) (١)

---

(١)

( ) . { ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٥) } :

كما أنزلنا إليك الكتاب لتخرج الناس من الظلمات إلى النور أرسلنا قبلك موسى بآياتنا الدالة على صدقه { أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور } فالدعوة واحدة إلى صلاح البشر وصلاح شأنهم وتخليصهم من ظلمات الشرك والكفر والجهل والظلم إلى نور الإيمان بالله والإخلاص له والعلم والعدل ، وقوله تعالى { أن أخرج } تفسير للرسالة التي أرسل بها موسى ، وقوله تعالى { وذكرهم } أي ذكر قومك بني إسرائيل { بأيام الله } ليحذروا من أن يحل بهم العذاب كما حل بالأمم قبلهم ، والأيام هنا أوقات العذاب النازل بالأمم ، والعرب تسمي بأيام الحروب أوقاتها أو الحروب نفسها وإن كان وقت الحرب أياما مثل يوم صفين ، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم في معلقته :

أبا هند فلا تعجل علينا ... وأنظرنا نخبرك اليقينا

بأنا نورد الرايات بيضا ... ونصدرهن حمرا قد روينا

وأيام لنا غر طوال ... عصينا الملك فينا أن ندينا

وفي [شرح الزوزني على المعلقات السبع] يقول: نخبرك بوقائع لنا مشاهير كالغر من الخيل ..إلى قوله

..الأيام الوقائع انتهى المراد .

وقوله تعالى { إن في ذلك لآيات } الإشارة إما إلى الكلام نفسه من قوله تعالى { ولقد أرسلنا موسى } ففيه آية تدل على صدق محمد حيث جاء بهذا الخبر عن رسالة موسى وتفسيرها ولم يقرأ كتابا ولا خطه بيمينه بل نشأ بعيدا عن معرفة ذلك لولا أن الله تعالى أوحاه إليه ، وفيه آية تدل على أن محمدا ليس بدعا من الرسل فهي ترد على من أنكر رسالة البشر ، وفيه آية تدل على تشابه دعوة موسى ومحمد في فائدتها وتشابه الإنذار ، وفيه آية تدل على رحمة الله ولطفه بعباده من حيث إرسال رسله ليخرجوهم من الظلمات إلى النور ، وهذا الإحتمال لمرجع الإشارة أرجح عندي ، وإما إلى { أيام الله } ففيها آيات فهي تدل على قدرة الله تعالى وعلمه بأحوال المكذبين للرسل واستحقاقهم للعذاب ، وتدل على صدق الرسل وعلى أن الله تعالى يجازي المجرمين ولا يهملهم بل يمهل ولا يهمل ، وأما قوله تعالى { لكل صبار شكور } فالصبار كثير الصبر ، والشكور كثير الشكر ، فالصبار الشكور يطلب معرفة الحق من الله المنعم على عباده ليتبعه ولا يصده عن ذلك خوف من أعداء الدين أو من الفقر أو نحو ذلك ؛ لأنه يخاف الوعيد فالآيات أنفع له من غيره فلذلك خص بالذكر مع أن الآيات دلائل لكل من فكر واستعمل عقله .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٥٠/٢)

وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٦) (١)

---

(١) . { وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٦) } :

{

اذكروا نعمة الله عليكم } تذكروها لتشكروها بطاعة الله واجتناب معصيته ، وقوله تعالى { إذ أنجاكم } ظرف للنعمة يفسرها ما أضيف إليه وهي إنجاؤه لهم من آل فرعون الجبارين الذين كانوا يستضعفون بني إسرائيل فيظلمونهم الظلم الشنيع ، وقوله تعالى { يسومونكم } حال من { أنجاكم } أي أنجاكم منهم في حال سومهم لكم سوء العذاب ؛ لأنهم اتبعوكم بجنودهم ليأخذوكم فيرجعوكم إلى تعذيبكم سوء العذاب معاقبة لكم على اتباع موسى وفي حال أنهم مصرون على ذبح أبنائكم واستحياء نسائكم كما قال فرعون { سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم } فهم مستمرون في عادتهم الممقوتة فإنجاء الله لكم

منهم نعمة عظمى يجب عليكم شكرها .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليه السلام : معنى { يسومونكم } يعرضون عليكم أشد العذاب ، قال الشاعر :

فسامه خطتا خسف وقال له ... اختر وما فيهما حظ لمختار

أي عرض عليه خطتين من الذل انتهى .

وفي معلقة عمرو بن كلثوم :

إذا ما الملك سام الناس خسفا ... أبينا أن نقر الذل فينا

قال شارح المعلقات: الخسف والخسف [بفتح الخاء وضمها] الذل ، السوم أن تجشم إنسانا مشقة وشرا يقال: سامه خسفا أي حمله وكلفه ما في ذله انتهى .

فإن قيل: كيف قال هنا { ويذبحون } وفي سورة البقرة { يذبحون } بدون عطف؟

قلت: هنا يذكرهم موسى نعمة النجاة من آل فرعون في حال سومهم لهم ليأخذوهم فيعذبوهم لأجل اتباعهم لموسى ، وهذه حالة يعظم فيها قدر النجاة ويعرف فيها قدر نعمة النجاة ، أما في سورة البقرة فاختصر الكلام وذكر فيها الأمر العظيم العذاب المستمر الذي كانوا فيه الذي هو ذبح الأبناء واستحياء النساء مستمرا عليهم زمنا طويلا ، فإنهم كانوا فيه يوم ولد موسى ولا أدري كم كانوا فيه قبله فهو زمان طويل والإنقاذ منه نعمة كبرى مع أن النجاة لأنفسهم من فرعون وقومه ذكرت في سورة البقرة في آية مستقلة { وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون } وهذه معطوفة على آية الإنجاء من ذبح أبنائهم عقيبها ، فأفادت هذه نعمتين والتي قبلها نعمتين .

وأما قوله تعالى { وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم } فالبلاء يحتمل النعمة هنا كما مر في تفسير سورة الأنفال ، ويحتمل الإختبار لهم أيشكرون نعمة الله عليهم أم يكفرون ، والأول أرجح لقوله { عظيم } .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٥١/٢)

وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد (٧) (١)

---

(١) . { وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد (٧) } :
{ وإذ تأذن } واذكروا إذ تأذن أي آذن وأعلن .
قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليه السلام : معنى { وإذ تأذن ربكم } أي تضمن ربكم وحكم بوعده ووعيده عليكم وأعلمكم بذلك وبينه لكم وآذنكم ولم يخفه عنكم ، وفي { تأذن } زيادة ليست في آذن كما أن توعد أبلغ من أوعد ، كأنه قيل: وإذ تأذن ربكم إيذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبهة فقال { لئن شكرتم } نعمة الإنجاء وغيرها بالإيمان والعمل الخالصين { لأزيدنكم } نعمة إلى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم ، ثم أوعد بالعذاب على الكفر فقال : { ولئن كفرتم } يعني وجحدتموها { إن عذابي لشديد } لمن كفر نعمتي انتهى .

قلت : في هذا كفاية في تفسير الآية إلا قوله : يعني وجحدتموها فإن كفر النعمة ليس مفهومه جحدها بل هو ضد الشكر فهو إما إخفاؤها بترك الشكر بأن يجعلها بترك الشكر كأن لم تكن ، وإما إخفاؤها بالإساءة إلى المنعم فتعمد المعاصي أو ترك الطاعة كفر للنعمة وإن لم يجحدها العبد ؛ لأنه بسلوكه جعل النعمة كأن لم تكن ، وهذا هو المقصود بإخفائها لا جعلها خفية فهو غير ممكن ، ولذلك قال عنترة :
نبئت عمرا غير شاكر نعمتي ... والكفر مخبثة لنفس المنعم

فجعل ترك عمرو للشكر كفرا ، وليس معناه أنه جحد النعمة .
وفي تفسير الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام لسورة البينة : وتأويل كفروا فهو لم يشكروا ؛ لأن من لم يشكر الله تبارك اسمه بترك عصيانه فكافر وإن كان مقرا ومعتقدا لمعرفة الله واتقائه كإبليس الذي ذكر الله سبحانه معرفته به وذكر كفره لما ارتكب من الكبائر بربه ، وكذلك كل من ارتكب كبائر تسخط من أنعم عليه فقد كفره ، ومن أتى ما يرضاه وتولى أولياءه وعادى أعداءه فقد شكره انتهى . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه .
وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٥٢/٢)

وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد (٨) (١)

---

(١) . { وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد (٨) } :

{ إن تكفروا } نعم الله عليكم { أنتم ومن في الأرض } مجتمعين على كفرها { فإن الله لغني } عنكم وعن شكركم وعن كل شيء { حميد } مستحق للحمد فما تضرون بالكفر إلا أنفسكم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٥٣/٢)

ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب (٩) (١)

---

(١) . { ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب (٩) } :
}
ألم يأتكم } يترجح أنه خطاب لقريش ومن حولهم ليعتبروا بمن كفر من قبلهم ؛ لأن قوم موسى كانوا قد صدقوا به أعني بني إسرائيل الذين كانوا معه فقد انتهى كلام موسى في آخر الآية التي قبل هذه ، وقوله تعالى { لا يعلمهم إلا الله } أي علم إحاطة بهم كلهم ، وقوله تعالى { فردوا أيديهم في أفواههم } فيه تفاسير راجعة إلى النظر والترجيح ، والراجح عندي أن ردهم أيديهم في أفواههم إنكار لكلام الرسل ومنع لألسنة الكفار أن تنطق بمثله أو تصدق به وبعد ذلك أعلنوا كفرهم ، وقولهم { وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه } الذي هو عبادة الله وحده والإيمان به وبرسله وباليوم الآخر ، وقولهم { مريب } أي مقلق كما قدمت ، وكذبوا بل قلقهم من التعصب لشركائهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٥٤/٢)

---

* قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين (١٠)
(١)

---

(١) . { * قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين (١٠) } :
{
أفي الله شك } اعلم أن المشركين وإن أقروا باستحقاق الله تعالى للعبادة فإنهم لم يقروا بذلك عن نظر في وجه الإستحقاق ، وإنما أقروا به لأنه الله الخالق ، هذا في الأولين منهم فأما الآخرون فهم مقلدون في عبادة الله وعبادة شركائهم ولذلك فقد أجروا إثبات استحقاق الله للعبادة مجرى الخرافات التي قالوها بلا حجة ولذلك ساغ عندهم إثبات أن عبادة الله حق ودعوى أن عبادة غيره حق ، فلما لم يثبتوا استحقاق الله تعالى للعبادة بناء على معرفته بل سووا بينه وبين شركائهم كان شكهم في انفراد الله باستحقاق الله للعبادة معناه الشك فيه ؛ لأن من عرف الله تعالى وهو إنما يعرف بدلالة خلقه عليه فمن عرفه حقا وتذكر أنه الذي خلقه ورزقه وأنه يستحق العبادة شكرا له على نعمه واعترافا بأن المخلوق المنعم عليه عبد له لا يشك في أنه ينفرد باستحقاق العبادة ؛ لأن آلهتهم لم تخلقهم ولم ترزقهم فلم يعبدوها اعتمادا على حجة تثبت استحقاقها للعبادة ، بل هم يعلمون أنها لم تشارك الله تعالى في خلقهم ورزقهم ولذلك رد الله عليهم بقوله { أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون } تأمل كيف قال { أفمن يخلق } ولم يقل: أفمن لا يخلق كمن يخلق ، وهنا قالت لهم رسلهم { أفي الله شك } ؟ حيث ارتبتم في انفراده باستحقاق العبادة مع أنه الخالق للسموات والأرض لم تخلق شركاؤكم شيئا منها ولا من غيرها وأنتم لا تشكون في أنها لم تخلقكم ولم ترزقكم من السماء والأرض فإن شككتم في الله فقد أهملتم عقولكم وقبح جهلكم ، فقول رسلهم : { أفي الله شك } إنكار للشك في الله تعالى ودلالة على أنه ليس من شأنه أن يشك فيه لوضوح آياته الدالة عليه منها : أنه فاطر السموات والأرض ، أو هذا السؤال من رسلهم معناه نفي الشك في الله ؛ لأن آياته قد دلت عليه والسامعون لا يجحدون أنه فاطر السموات والأرض وهذا أقرب ، وهو احتجاج عليهم في شكهم الذي سببه غفلتهم لا شكهم في الله ، فرسلهم يذكرونهم أن شكهم في أن المستحق للعبادة هو الله تبطله المعرفة لله فاطر السموات والأرض ، فإذا كانوا لا يشكون في الله فعليهم أن لا يشكوا في أنه المتفرد باستحقاق العبادة ، ثم كيف يكون في الله فاطر السموات والأرض شك وهو يدعوكم بإرسال رسله إليكم فيبلغونكم دعوته إليه ليغفر لكم من ذنوبكم فقد تعرضتم لعذابه العاجل بإصراركم على الشرك وعبادة غيره بلا برهان من ربكم ، فإن أجبتم رسله غفر لكم من ذنوبكم بكف العذاب العاجل عنكم وأخركم إلى أجل مسمى حتى يحسن

إسلامكم وتتحقق توبتكم وتموتوا على ذلك فيغفر ذنوبكم كلها ويدخلكم الجنة إن متم على ذلك ، أو تموتوا على غير ذلك فيجزيكم بما أسلفتم .

والحاصل: أن دعوة رسلهم لهم إلى ترك الشرك لم يمكن أن يعدوهم فيها بمغفرة ذنوبهم كلها وذلك إما لأنه يوهم الجاهلين أنهم إن أسلموا غفرت ذنوبهم كلها الماضي والمستقبل وهذا غير صحيح ، بل هم بعد الإسلام إن أحسنوا وماتوا على التقوى غفرت ذنوبهم كلها وإلا فلا ، وإما لأن وعدهم بغفران ذنوبهم كلها يحتاج إلى شرط صدق التوبة وبيان أن الذي يغفر بها هو الماضي وأن المستقبل لا يغفر إلا بالتوبة ، والمقام لا يناسبه مثل هذا التفصيل بل المهم فيه بيان نجاتهم من العذاب العاجل الذي قد تعرضوا له وتأخيرهم إلى أجل مسمى وذلك بمغفرة مؤقتة لما قد استحقوا به العذاب العاجل ، فهذا هو الراجح عندي في فائدة الإتيان بـ(من) التي للتبعيض هنا وفي سورة نوح .

وقوله تعالى { قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا } أي ما أنتم إلا بشر مثلنا ، وهذا كفر منهم برسالة رسلهم ، ودعوى أنه لا يصلح للرسالة إلا الملائكة ، وقولهم { تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا } جعلوا عبادتهم لشركائهم سببها أن آباءهم كانوا يعبدونها فتمسكوا بالتعصب لآبائهم لا بحجة ، ولما لم تكن لهم حجة قالوا { فأتونا بسلطان مبين } أي بحجة قاهرة غالبة لنا بينة ، وهم يقترحون بذلك أن يأتوا بما لا تقتضي الحكمة جعله دليلا على صدق الرسل ؛ لأن الدليل يؤتى به للدلالة على الصدق ليؤمنوا به اختيارا لا ليضطروا إلى التصديق لهم اضطرارا لأن المقصود الإختبار لا الإكراه والإضطرار . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه .

وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٥٥/٢)

قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١١) (١)

---

(١) . { قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١١) } :

}

إن نحن إلا بشر مثلكم } لا ندعي أنا ملائكة { ولكن الله يمن } ينعم { على من يشاء } يختصه بنعمته { من عباده } من البشر أو غيرهم ، فليس لكم أن تشرطوا على الله أن لا يمن على بشر أو تعترضوا عليه في إرساله لبشر { وما كان لنا } وليس من شأننا { أن نأتيكم } بآية { إلا بإذن الله } فما

أذن لنا أن نأتي به أتينا به وما لم يأذن به فليس من شأننا ، فالأمر في هذا لله لا لنا { وعلى الله فليتوكل المؤمنون } وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون ، فعليكم أن تؤمنوا ومن آمن منكم فليتوكل على الله فليكل أمره إلى الله إن شاء حفظه ووقاه شر الكافرين وإن شاء رزقه الشهادة وما عند الله خير للأبرار ، وليس لأحد أن يترك الإيمان خوفا من الكافرين ، وهذا يشعر بأنهم قد عرفوا تمرد قومهم فعرفوا قومهم أنهم متوكلون على الله لئلا يطمعوا في صرفهم عن إبلاغ رسالتهم بالوعيد والتهديد كما عرفوا من يريد الإيمان أن عليه إذا آمن أن يتوكل ليثبت على إيمانه . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٥٦/٢)

وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون (١٢)

(١)

---

(١) . { وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون (١٢) } :

}

ومالنا أن لا نتوكل على الله } وليس لنا أن لا نتوكل على الله { وقد هدانا سبلنا } وقد عرفنا سبلنا التي هي سبل نجاتنا من عذابه وفوزنا بالسعادة الدائمة سبل الله التي ارتضاها لنا لتوصلنا إلى رحمته وكرامته ، فحق علينا ووجب أن نسلكها واكلين أمرنا إليه فهو يختار لنا حينئذ ما هو خير لنا { وعلى الله فليتوكل المتوكلون } فهو الذي ينبغي لمن أراد التوكل أن يتوكل عليه ؛ لأنه بفضله ورحمته وكرمه لا يضيع من آمن وتوكل عليه ولا ينسى من توكل عليه ولا يغفل عمن توكل عليه ولا يهمل من توكل عليه بل يتولاه بحسن رعايته ويوصله إلى ما سعى له من رحمته وكرامته ، أما من توكل على غيره فقد يهمل عجزا أو غفلة وسهوا أو بخلا أو غدرا ولا سيما من توكل على صنم لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئا بل على الله وحده فليتوكل المتوكلون ، فهو القدير على كل شيء وهو العليم بكل شيء وهو الكريم الرحيم ذو الفضل العظيم ، وبعد أجوبة رسلهم المفيدة لجأ قومهم إلى الوعيد والتهديد : كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٥٧/٢)

وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين (١٣) (١)

---

(١) . { وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين (١٣) } :

{

لنخرجنكم من أرضنا } وعيد بطردهم من أوطانهم وفراق الوطن شديد على النفس متى كان باسم فراق الأبد ولو سهل في أوله فإن النفس لا بد تحن إلى الوطن مدة الحياة ، ولذلك أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل لا يخرجون بعضهم من ديارهم ، وقولهم { أو لتعودن في ملتنا } يتضمن كذبا منهم على رسلهم يرمونهم بأنهم كانوا على ملتهم مشركين كافرين وحاشاهم { فأوحى } إلى الرسل { ربهم } الذي أرسلهم وكلفهم تبليغ الرسالة فأطاعوه وتوكلوا عليه أوحى إليهم { لنهلكن الظالمين } المكذبين بآياتي المكذبين لرسلي فإنهم بذلك ظالمون مع ظلمهم بتهديد الرسل وظلمهم السابق بالشرك وسائر الجرائم ،

فالمعاصي كلها يجمعها اسم الظلم ، والمراد لنهلكن قومكم المكذبين لأجل أنهم ظالمون وهذا هو الهلاك العاجل قبل بلوغ كل واحد أجله الذي كان يبلغه لو آمن واتقى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٥٨/٢)

ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد (١٤) (١)

---

(١) . { ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد (١٤) } :

{ ولنسكننكم } نورثكم الأرض فتسكنونها بعد هلاكهم وتعيشون فيها منصورين .

قال الشرفي ونعم ما قال : ونظيره قوله تعالى { وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها } انتهى .

فليس المعنى أنهم يسكنون نفس أرض الكافرين ولكن يرثونها ويسكنون حيث شاءوا من الأرض ، وقوله { ذلك } أي النصر على العدو والإستخلاف في الأرض { لمن خاف مقامي } أي المقام لي يوم يقوم الناس لرب العالمين .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال في [البرهان]: يعني المقام بين يدي فأضاف إليه لاختصاصه به

انتهى .

والمراد لمن خاف فحمله الخوف على التقوى ، ولا يبعد أن قوله تعالى { لمن خاف مقامي وخاف وعيد } كناية عمن اتقى الله ، وقوله تعالى { وعيد } أي وعيدي ، وخوف الوعيد خوف الموعود به في الوعيد بسبب الوعيد لإيمانه بالوعيد وبصدقه .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٥٩/٢)

واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد (١٥) (١) من ¾mدح !#u'ur جهنم ويسقى من ماء صديد (١٦) (٢)

---

(١) . { واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد (١٥) } :

{ واستفتحوا } الراجح أنه عطف على { وقال الذين كفروا لرسلهم } أي توعدوا قومهم واستفتحوا أي طلبوا أن يفتح الله بينهم وبين الرسل وذلك ليوهموا أتباعهم أنهم واثقون بأنهم على الحق ولغفلتهم عن الله وظنهم أنه لا يستجيب لهم { وخاب كل جبار } غلبهم الرسل وخاب أمل الكافرين أنهم سيخرجونهم من ديارهم .

قال في [الصحاح]: والجبار الذي يقتل على الغضب انتهى .

وقوله { عنيد } أي معاند يخالف الحق وهو يعرفه .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { من ¾mدح !#u'ur جهنم ويسقى من ماء صديد (١٦) } :

}

من ورائه } فسروا ومن ورائه من أمامه وقبله ؛ لأن جهنم مستقبلة ، وأعتقد والله أعلم أن العرب إنما استعملته في المستقبل بعد تخييله طالبا ؛ لأن الطالب في العادة يكون وراء الهارب ولهذا لا يكاد يستعمل إلا في المكروه للدلالة على أنه لا بد منه ، فالمراد بقوله تعالى { من ورائه جهنم } الدلالة على أنها مأواه ومصيره يعذب فيها لا مجرد الإخبار أنها من قبله ، وقوله تعالى { ويسقى من ماء صديد } أي ويسقى في جهنم من ماء صديد أي قيح ، وعطف عليه قوله تعالى { من ورائه جهنم } لأن المراد أنه صائر فيها ، فكأنه قيل: يصير في جهنم ويسقى ، أو عطف على فعل أفاده قوله { من ورائه جهنم }

أي يعذب بها { ويسقى من ماء صديد } .
قال في [الكشاف]: فإن قلت ما وجه قوله تعالى { من ماء صديد } قلت: صديد عطف بيان لماء ، قال { ويسقى من ماء } فأبهمه إبهاما ثم بينه بقوله { صديد } وهو ما يسيل من جلود أهل النار انتهى .

وعد بن هشام هذا من الوهم لأن عطف البيان عند البصريين خاص بالمعارف ، ثم قال : وهذا إنما هو معترض على قول البصريين ومن وافقهم فيجب عندهم في ذلك أن يكون بدلا ، وأما الكوفيون فيرون أن عطف البيان في الجوامد كالنعت في المشتقات فيكون في المعارف والنكرات انتهى .
وأظنه قد مضى ذكر كلام للرضي في هذا المعنى يرجح مذهب الكوفيين ، قلت: وإن جعلناه بدلا فهو بدل البيان ، وبهذا يقول الإمام أبو الفتح في [البرهان] والإمام أحمد بن سليمان في [حقائق المعرفة] أعني إثبات بدل البيان وهو البدل الذي أريد به بيان المبدل .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٦٠/٢)

يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ¾دmsح !u'ur# عذاب غليظ (١٧) (١)

---

(١) . { يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ¾دmsح !u'ur# عذاب غليظ (١٧) } :
{ يتجرعه } يشربه جرعة جرعة بشدة لكراهته وحره لا يستمر في شرب الصديد كما يشرب الماء البارد { ولا يكاد يسيغه } إن كان معنى يسيغه يزدرده وينزله من حلقه بسهوله فالمعنى لا يقارب أن يسيغه ، وكيف يكون ذلك مع أنه صديد شديد الحر ، فقوله تعالى { لا يكاد } كقوله تعالى { لم يكد يراها } واستعمال السائغ فيما ينزل بسهولة ظاهر قال الشاعر :
فساغ لي الشراب وكنت قبلا ... أكاد أغص بالماء الفرات

وعلى هذا بنى الحسين بن القاسم عليه السلام فيما رواه الشرفي في [المصابيح] حيث قال : معناه لا يقارب ولا يداني أن يستلذه ولا يجده طيبا ولا يوده انتهى .

وقال الراغب في [المفردات]: ساغ الشراب في الحلق سهل انحداره وأساغه كذا انتهى ، ومثله في [الصحاح] ، وإن كان معنى يسيغه ينزله من حلقه ولو بعد شدة وعناء وهو الراجح ، فقوله تعالى { ولا يكاد يسيغه } كقوله تعالى { فذبحوها وما كادوا يفعلون } أي كادوا أن لا يفعلوا وهذا في معنى الإساغة ، قد حكى في [الصحاح] مثله عن العرب فقال : يقال أسغ لي غصتي أي أمهلني ولا تعجلني قال تعالى { يتجرعه ولا يكاد يسيغه } والسواغ [بكسر السين] ما أسغت به غصتك ، يقال: الماء سواغ الغصص ، ومنه قول قول الكميت :

وكانت سواغا أن جأزت بغصة انتهى

أي أن غصصت ، وهذا عندي أرجح من الأول ؛ لأنه أنسب للسياق وأن بين ساغ وأساغ فرقا ، وقوله تعالى { ويأتيه الموت من كل مكان } أي أن أسباب الموت واقعة عليه من كل مكان إما بمعنى من كل مكان من بدنه لوجود الألم المميت في العادة في كل جزء من جسمه ، وإما بمعنى من كل جهة لتضاعف الشدة التي من شأن كل واحدة منها أن تميته في العادة ، وإتيان الموت له إيقاع شدة الموت عليه من الكرب الشديد وعدم تحمل الألم والنزع من دون أن يموت ولذلك قال تعالى { وما هو بميت } .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال في [البرهان]: يعني من كل مكان من جسده ، ويجوز ويأتيه الموت من كل جهة عن يمينه وشماله ومن فوقه وتحته ومن قدامه وخلفه ، ويحتمل ويأتيه شدائد الموت وامتداد سكراته ليكون ذلك زيادة في عذابه انتهى .

قلت: الراجح أن هذا الأخير هو معنى إتيان الموت سواء كان من كل مكان أي من جسده أم من كل جهة والله أعلم .

وقوله تعالى { ومن ورائه عذاب غليظ } أي من وراء هذا الجبار العنيد عذاب غليظ فهو لا يزال في عذاب غليظ أي شديد ، ولعله سمي غيظا لأنه لا رفق فيه ولا رحمة ولا إبقاء ؛ لأنه عذاب استحقاق ، وبعزة الله عز وجل وحكمته جعله غضبا على أعدائه الجبابرة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٦١/٢)

مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد (١٨) (١)

---

(١) . { مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد (١٨) } :

{ مثل الذين كفروا } وصفهم باعتبار خسرانهم الذين كفروا بربهم لجحدهم قدرته على البعث بعد الموت وجزاء الآخرة أعمالهم التي يرجى في مثلها النفع لعاملها { كرماد اشتدت به الرياح } والرماد ما خلفته النار من حراقة الحطب أدق من التراب وأخف منه { اشتدت به الرياح } وقعت فيه الرياح بشدة وعصف شديد فاحتملته في الهواء وطيرته فتبدد وتفرق في الهواء { في يوم عاصف } فعصفه عام يطير ما طار في الهواء ويضيعه إذ ليست شدة الرياح خاصة بمكان الرماد ولا بساعة اشتداد الرياح به بل عصف شامل لنواحي البلد الذي فيه الرماد مستمر طوال اليوم فكيف يبقى من الرماد شيء يقدر صاحبه على إمساكه ؟ فكذلك عمل الذين كفروا يصير هباء منثورا .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال في [البرهان]: وهذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكافر في أنه لا يحصل على شيء منها بالرماد الذي هو بقية النار الذاهبة إذا اشتدت [به] الريح العاصف وهي الشديدة فأطارته فلم يقدر على جمعه كذلك الكافر في عمله انتهى .

وقوله تعالى { لا يقدرون } أي الذين كفروا { مما كسبوا على شيء } لا يقدرون على أن ينالوه أو يحفظوه لينتفعوا به ؛ لأنه ذهب ضايعا ، وقوله تعالى { ذلك } أي حبوط أعمالهم وخسرانهم لها { هو الضلال البعيد } ضلال العاملين البعيد عن طريق الرشاد والصواب والخير ؛ لأنهم بكفرهم معاقبون على سيئاتهم وخاسرون لحسناتهم ، فبان بذلك غوايتهم البعيدة عن الرشد والصواب وما فيه الخير لهم ، ويحتمل ذلك أي ضياع عملهم بالشكل المذكور في المثل هو الضياع البعيد الذي يبعد على صاحبه وجدانه ويتحقق فقدانه ، والأول أرجح لأن أصل الكلام في الذين كفروا والمقصود بيان خسرانهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٦٢/٢)

ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد (١٩) وما ذلك على الله بعزيز (٢٠) (١)

---

(١) . { ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد (١٩) وما ذلك على الله بعزيز (٢٠) } :

}
ألم تر } ألم تعلم يا رسول الله { أن الله خلق السموات والأرض بالحق } بالحكمة لم يخلق ذلك لعبا ولا عبثا ولا باطلا بل خلقهما حق وصواب ليجزي الله كل نفس بما كسبت كما قال تعالى { وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون } فلا بد من البعث والجزاء { إن يشأ يذهبكم } يعدمكم { ويأت بخلق جديد } لأنه قادر على كل شيء { وما ذلك على الله بعزيز } وما إذهابكم والإتيان بخلق جديد ما ذلك على الله بصعب ؛ لأنه القادر الذي لا يصعب عليه شيء الغني الذي لا يصعب عليه هلاك الناس لو أهلكهم ؛ لأنه غني عنهم وعن أعمالهم فلم يخلقهم لحاجة إليهم ولا لينتفع بعبادتهم ، فلا بد من جزاء المحسن بإحسانه والجزاء للمسيء على إساءته كما قال تعالى { وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار } ففي هذه الآية تذكير بقدرة الله تعالى وحكمته وغناه وعلى معرفة ذلك يترتب الإيمان بالبعث والجزاء وعلى الجهل به يترتب الكفر بالله واليوم الآخر .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٦٣/٢)

وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص (٢١) (١)

---

(١) . { وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص (٢١) } :
}
وبرزوا } ظهروا على وجه الموقف { لله } ليسألهم عما كانوا يعملون ويحاسبهم { جميعا } مجموعين كلهم كبراءهم وضعفاءهم وغيرهم فقال الضعفاء الذين كانوا في الدنيا ضعفاء مأمورين ينقادون لكبرائهم المستكبرين قالوا { للذين استكبروا } في الدنيا : { إنا كنا لكم تبعا } إنا كنا لكم تابعين في الكفر ونحوه فأنتم أضللتمونا وسببتم لعذابنا { فهل أنتم مغنون } كافون لنا أي شيء من عذاب الله تكفونا إياه عوضا عن إضلالكم لنا { قالوا لو هدانا الله لهديناكم } لم تضلوا إلا لأنا ضللنا أي بحكم اتباعكم لنا لا أنا أردنا إضلالكم دون أنفسنا فلو هدانا الله لهديناكم تبعا لهدانا لأنا ما أردنا إلا أن تتبعونا فيما نحن عليه ، ولم يكن ضلالكم من حيث هو ضلال عرضا لنا ، وقولهم { لو هدانا الله } كذب منهم قد رد

الله عليهم في قوله تعالى { أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين.. } إلى قوله تعالى { ..بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين } فالكفار لم يعتبروا ذلك هدى ، ولعلهم يريدون يوم القيامة أن الهدى ردهم عن غوايتهم إلى الصواب بالقسر والإكراه حين لم يقبلوا الآيات البينات ولكنها هي الهدى ولم يكن لهم حق في القسر والإلجاء فكانوا كاذبين في نفي هدى الله لهم الذي يفهم من قولهم { لو هدانا الله لهديناكم } هذا وأما من قال إنه لا يقع كذب في الآخرة من الكفار فكلامه مردود بقول الله تعالى { فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون } ثم قال الذين استكبروا في الجواب على الضعفاء { سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص } سواء علينا أي على الفريقين التابعين والمتبوعين أجزعنا من عذاب الله والجزع ضد الصبر فهو إظهار الضعف على احتمال المصيبة والقلق منها بالصياح والولولة ونحو ذلك كعض اليد من الندم ، والصبر ضد ذلك وكأن الذين استكبروا يقولون للضعفاء: كلامكم لنا إنما هو جزع من العذاب ولا يفيد الجزع اليوم ؛ لأنه لا محيص من العذاب أي لا مفر.

قال في [الصحاح]: يقال ما عنه محيص أي محيد ومهرب انتهى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٦٤/٢)

وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم (٢٢) (١)

---

(١) . { وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم (٢٢) } :

}

وقال الشيطان لما قضي الأمر } أي لما قضي الأمر صارح الشيطان أتباعه ، والراجح أنه في موقف الحساب بعد أن حكم الله بين العباد وقضى على أتباع الشيطان بالعذاب ، وهذا لأجل العطف بقوله تعالى { وقال الشيطان إن الله وعدكم } في الدنيا { وعد الحق } حين أنذركم العذاب وأرسل الرسل

مبشرين ومنذرين وكان وعد الله هو الحق الذي لا خلف له { ووعدتكم } في الدنيا بأنواع من الغرور قال تعالى { يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا } .
قال الشرفي في [المصابيح]: ووعدتكم فأخلفتكم أي كذبتكم ، والخلف هو الكذب قال الشاعر :
لعمرك ما يوافقني خليلي ... إذا ما كان ذا خلف كنودا

انتهى ، يعني أن المراد بهذا الوعد مثل المراد بالوعد في قوله تعالى { الشيطان يعدكم الفقر } فهو وعد الشيطان بالمغفرة من الله وإدراك أغراضهم النفسية بسبب الكفر كالعز والثروة وغلبة المسلمين ، والمراد بقوله { فأخلفتكم } على هذا المعنى: كذبتكم الوعد حين قلته ، وقد قال في [لسان العرب] الخلف في المستقبل كالكذب في الماضي وهو موافق للبيت المذكور ، وعلى هذا يصح اشتقاق الإخلاف من الخلف بهذا المعنى والله أعلم .
{ وما كان لي عليكم من سلطان } يعني لم يكن لي عليكم قوة وقهر أجبركم على طاعتي فتطيعوني بالقهر والغلبة لأن له سلطانا على الذين يتولونه والذين هم به مشركون لكنه ليس سلطان غلبة وقهر لو سلمت نفوسهم وبقيت على فطرتها وإنما سلطانه عليهم سلطان إغراء بالمعصية وتزيين وتخويف من الطاعة كالتخويف من الفقر والتخويف للمجاهد من القتل والتخويف للمسلم من غلبة الكفار ، فإذا ضعفت النفس لأن صاحبها لا يريد أن يصبر على طاعة الله ولا أن يحتمل مشقة وعناء في سبيل الله فضعفت عزيمته وقويت شهوته بالتربية لها كما تقوى سائر الغرايز بالتربية فمن هنا كان للشيطان عليه سلطان التغرير والتزيين والتخويف لا سلطان القسر والإلجاء فقوله { إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي } استثناء منقطع أي دعوتكم إلى معصية الله فاستجبتم لي بالمطاوعة { فلا تلوموني } على التسبيب لدخولكم النار { ولوموا أنفسكم } لأنكم إنما استجبتم لي اتباعا لهوى أنفسكم { ما أنا بمصرخكم } بمنقذكم حين تصرخون من العذاب { وما أنتم بمصرخي } بمنقذين لي حين أصرخ منه .
قال الشرفي في [المصابيح]: ما أنا بمصرخكم أي بمغيثكم والإصراخ الإغاثة وما أنتم بمصرخي أي بمغيثي ، قال بن الأعرابي: الصارخ المستغيث والمصرخ المغيث انتهى المراد .
وفي [الصحاح] مثل ما حكى عن بن الأعرابي لصاحب [الصحاح] وقال: الصراخ الصوت انتهى .
وقوله { إني كفرت بما أشركتموني من قبل } في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : يعني برئت منكم انتهى وهو تفسير بالغرض من الكلام لأنه تبرأ مما أشركوه ليتبرأ منهم وإشراكهم له إما طاعته في الشرك بالله وإما طاعته أعم من الطاعة في الشرك وفي غيره ، وقوله { من قبل } أي في الدنيا ، وقوله { إن الظالمين لهم عذاب أليم } أي لا بد منه كقول المستكبرين { ما لنا من محيص } وهذا عذاب لأعداء الله بالغيظ من كلام إبليس ، والعذاب أنواع منها نفسي ومنها جسدي نعوذ بالله منه.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٦٥/٢)

وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام (٢٣) (١)

---

(١) . { وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام (٢٣) } :

لما تم ذكر الوعيد لأعداء الله ذكر الله بعده الوعد لأوليائه بإدخالهم الجنات ، وقوله تعالى { خالدين فيها } أي باقين فيها لا يموتون ، وقوله { بإذن ربهم } دفع لما يستبعد بالقياس على الحياة الدنيا التي تنتهي ودلالة على أن خلودهم يكون لأن الله أذن به وهيأه لهم بقدرته واقتصر الكلام على ذكر الإذن دلالة على أنه لا يصعب على الله ، فالتعبير بالإذن كالتعبير بقوله {كن } وقوله تعالى { وتحيتهم } أي يحيون بقول القائل :سلام أي سلام عليكم كقوله تعالى { تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما } وقوله تعالى { والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم } فهي بشرى عظيمة وليست مجرد تحيتهم لبعضهم بل يحييهم الله بالسلام والملائكة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٦٦/٢)

ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء (٢٤) تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون (٢٥) (١)

---

(١) . { ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء (٢٤) تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون (٢٥) } :

{ ألم تر } يترجح أن هذه الآية تابعة لما سبق من ذكر أحوال الكفار والمؤمنين ، وأن الله تعالى ضرب { مثلا كلمة طيبة } هي كلمة التوحيد الصادرة عن إيمان ويقين .

وفي تفسير الغريب للإمام زيد بن علي عليهما السلام : هي لا إله إلا الله أصلها ثابت في قلب المؤمن انتهى .

وهي تفيد فضل الكلام الطيب وعظم نفعه وثباته في الأرض بإذن الله وهو ذكر الله كله وشهادة أن محمدا رسول الله ونحو ذلك مما هو أصل في دين الله ، فالكلمة الأصل التي هي شهادة أن لا إله إلا الله مثل له يقاس عليها ويلحق بها ، وقوله تعالى { كشجرة طيبة } طيب الشجرة يكون بنفعها ومن أطيب الشجر الموصوفة هنا النخل ؛ لأن ثمرها الذي هو التمر يقتاته أهل بلده وهو فاكهة لغيرهم وفيه منافع كثيرة في التغذية ونواه يبل ويدق طعاما للغنم ، كما أن سائر أجزاء النخلة ينتفع به يصنع الحصير من ورقها ويستعمل في سقف البيوت وغير ذلك .

وقوله تعالى { أصلها ثابت } أي في الأرض فهي ثابتة بثبات أصلها لا يقلعها عاصف أو نحوه { وفرعها في السماء } أي مرتفع في الهواء وذلك أكمل لها وأطيب لثمرها وأحصن له من تناول الدواب والسراق .

وقوله تعالى { تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها } وهذا يدل على أن ليس المراد شجرة مما نعرف معينة لأن النخلة تؤتي أكلها في الخريف وكذا التين فإن كان هناك شجرة مما نجهل تؤتي أكلها كل حين إما الزيتون وإما غيره ينطبق عليها هذه الصفات صح التفسير بها وإلا فهي شجرة مفروضة كما في المثل في سورة النور { مثل نوره كمشكاة.. } الآية وهذا صحيح لأن المقصود بالتمثيل إيضاح المعنى وتقريره في ذهن السامع بكمال فهمه .

وقوله تعالى { بإذن ربها } قد يشير إلى أنها غير موجودة وأن ذلك خارق لعادة الشجر ولكنه ممكن إذا أذن الله به ؛ لأنه على كل شيء قدير .

وقوله تعالى { ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون } فهو يبين المراد بضرب الأمثال في القرآن وغيره من كلام الله تعالى ، فالمراد بها أن يتذكر الناس الصواب ويتبعوه ، فالكلمة الطيبة ثابتة في الأرض بنصر الله وإعزازه لها وإن كانت للباطل صولات فهي لا تذهب من الأرض الكلمة الطيبة وثبات الكلمة الطيبة بثبات الإيمان في قلوب المؤمنين الذين يقولونها عن إيمان ويقين لأن أصلها الحق اليقين ، وقد قال تعالى { وجعلها كلمة باقية في عقبه } وهي كلمة التوحيد باقية في عقب إبراهيم عليه السلام ، وتشبيهها بشجرة { تؤتي أكلها كل حين } يفيد أن فائدة كلمة التوحيد وثمرتها تبقى وتتكرر لصاحبها كل حين في الدنيا والآخرة ، فالآية الأولى تفيد بقاءها في الأرض ، والآية الثانية تفيد استمرار فائدتها . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٦٧/٢)

ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار (٢٦) (١)

---

(١) . { ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار (٢٦) } :
{ كلمة خبيثة } كلمة الشرك { كشجرة خبيثة } تضر الأرض بامتصاص عروقها لفائدة التربة ، وبذلك تضر ما جاورها من الشجر الطيب مع أنها خبيثة كشجرة الدفلى التي هي سم أو غيرها مما يضر ، ولذلك { اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار } أي بقاء في مكانها ، وقوله تعالى { اجتثت } في تفسير الإمام زيد بن علي عليه السلام : معناه استؤصلت انتهى .
أي أخذت من فوق الأرض بقلع أصلها لئلا تعود ، فالباطل كذلك ، ألا ترى إلى قوله تعالى { فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد } وقوله تعالى { إن الباطل كان زهوقا } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٦٨/٢)

يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء (٢٧) (١)

---

(١) . { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء (٢٧) } :
{
يثبت الله الذين آمنوا } بأن يجعلهم ثابتين على الحق لا تزل أقدامهم بعد ثبوتها وذلك بسبب القول الثابت الذي قالوه عن إيمان ويقين ، والذي أفادت آية التشبيه بالشجرة الطيبة أن له البقاء في الأرض فهو سبحانه وبحمده يثبتهم في الحياة الدنيا مدة تكليفهم ، ولعل هذا يفيد أن الكلمة الطيبة والقول الثابت سبب لثبوتهم وليس معناه نفي المانع من ذلك إن حدث من أحدهم من المعاصي والإصرار ما يوجب الخذلان ، أو أن الله يثبتهم ما داموا على القول الثابت فإذا تحولوا عنه أو عن بعضه لم يثبتهم ، وهذا أظهر على معنى أن من التحول الإصرار على المعاصي ؛ لأنها ضد معنى القول الثابت أو ضد ما يلزم من معنى القول الثابت ، وقوله تعالى { وفي الآخرة } يدل على سلامتهم من الزلل عند السؤال

وعن جسر جهنم على القول به .
وقوله تعالى { ويضل الله الظالمين } أي عقوبة لهم على الظلم وقد مضى تفسيره .
وقوله تعالى { ويفعل الله ما يشاء } دليل على أنه الغالب على أمره القاهر فوق عباده ، وفيه تخويف للكفار من تعذيبهم وخيبتهم .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٦٩/٢)

---

* ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار (٢٨) (١)

---

(١) . { * ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار (٢٨) } :
{ ألم تر } تعجيب للسامع من هؤلاء الذين عدلوا عن مقتضى الفطرة وعما يدعو إليه العقل السليم من مقابلة النعمة بالشكر إلى تبديلها بالكفر وعن النصح لأنفسهم وقومهم إلى إدخالهم النار بما أسسوا لهم من الشرك والكفر ، وقوله تعالى { بدلوا نعمة الله كفرا } فمن نعم الله أن جعل الإنسان حرا لا يحق لغير الله أن يستعبده فجعلوا أنفسهم عبادا لشركائهم ، ومن نعم الله الأنعام التي أحلها للإنسان ليأكل منها وينتفع بها فحرموا من الأنعام ما ذكره الله في سورة الأنعام والمائدة فبدلوا بالتحريم الذي هو كفر من حيث جعل الحكم لغير الله من حيث هو تشريع على عباد الله لم يأذن الله به ومن حيث هو جحد لنعمة الله فيما أحل ؛ لأنهم حرموه فهو كفر نعمة جعلوه بدل النعمة ، وقوله تعالى { وأحلوا قومهم } أي أتباعهم من قومهم { دار البوار } أي دار الهلاك ، وفسرها قوله تعالى :
{
جهنم يصلونها وبئس القرار (٢٩) } وقوله تعالى { وأحلوا قومهم } من الحلول في المحل الذي هو الإستقرار فيه ، قال عنترة :
حلت بأرض الزائرين فأصبحت ... عسرا على طلابها ابنة مخرم

وقوله تعالى { وبئس القرار } أي جهنم كقوله تعالى { إنها ساءت مستقرا ومقاما } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٧٠/٢)

جهنم يصلونها وبئس القرار (٢٩) وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار (٣٠) (١)

---

(١) . { وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار (٣٠) } :
جعلوا أي هؤلاء الذي أحلوا قومهم دار البوار جعلوا { لله أندادا } وأسسوا الشرك ليضلوا اتباعهم عن سبيل الله ، وهكذا أهل الأهواء المحتالون للرئاسة يقررون الباطل في أنفس أتباعهم حتى يعتقدوه ويتعصبوا له فينصرفوا بذلك عن الحق وأهله ، فالإضلال لأتباعهم غرض لهم لأنها تتوقف عليه رئاستهم وكونهم متبوعين { قل } يا رسول الله لهم { تمتعوا } بأغراضكم الدنيوية ورئاستكم الباطلة { فإن مصيركم إلى النار } فقوله { تمتعوا } تهديد لهم وبيان لحقارته من حيث أنه سبب لمصيرهم المحتوم جهنم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٧١/٢)

قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال (٣١) (١)

---

(١) . { قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال (٣١) } :
{ قل لعبادي } أمر بما فيه كرامة عباد الرحمن ورفع درجاتهم وسلامتهم من الخسران .
{ يقيموا الصلاة } قال الشرفي في [المصابيح] ونعم ما قال : يقيموا مقول القول أي ليقيموا ، قيل: وجاز حذف اللام منه لأن الأمر الذي هو { قل } عوض منه انتهى المراد .

قلت : الأقرب أنه مجزوم لأنه في معنى الأمر فهو قسم من المجزوم وإن لم تقدر فيه لام الأمر كما جزم ما دخلت عليه لام الأمر وليس مما جزم في جواب الأمر ، ألا ترى أنه أكد أمرهم بقوله تعالى { من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال } أي ليغتنموا مهلة الأجل لصالح العمل المذكور من قبل أن

يفوت الأوان في ذلك اليوم الذي هو يوم حساب ولا عمل ، ولو كان المعنى إن تقل لهم يقيموا وينفقوا لكان زيادة قوله { من قبل أن يأتي } في غير محلها ، وخص الأمرين بالذكر إقامة الصلاة والإنفاق من الحلال لعظم فائدتهما في إصلاح الضمير والتسبيب لحسن الخاتمة ولعظم ثوابهما وغير ذلك ، وقوله تعالى { سرا وعلانية } لم يخص السر بالذكر وإن كان أفضل لمن يكثر الصدقة أو هو الواجب إذا خاف المتصدق على نفسه الرئاء ، وذلك لأن العلانية يدعو إلى الإقتداء بالمنفق فيكون له أجر صدقته وأجر التسبيب للصدقة من غيره ويكون ذلك أنفع للفقراء أو أنفع في نصرة الإسلام إذا كان الإنفاق في سبيل الله .

وقوله تعالى { لا بيع فيه ولا خلال } أي ليس كالدنيا تستفيد ما تحتاجه بالبيع لك وتستعين على بعض الأمر بالخليل الصالح ، ذلك يوم لا ينفع فيه إلا العمل الصالح وما يحصل من فضل الله إنما هو تابع للعمل الصالح كما قال تعالى { ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٧٢/٢)

الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار (٣٢) (١)

---

(١) . { الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار (٣٢) } :

في الآية الكريمة رد على المشركين الذين جعلوا لله أندادا وعلى من اتبعهم في شركهم فهم غافلون عن الله جاهلون بعظمته وجلاله وكمال قدرته وعلمه ولذلك جعلوا له أندادا قرنوا بين عبادتهم وعبادة الله جل جلاله فسووا بين الحق والباطل بين الصدق والخرافة ، فهذه الآية تذكر بالله تعالى وقدرته على كل شيء ، وأنه الخالق الرازق ، فقوله تعالى { الله الذي خلق السموات والأرض } يذكرهم بعظيم قدرته وعلمه وفضله على عباده من حيث أنهما أساس خلق من فيهما وما فيهما من نعمه ، وقوله تعالى { وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم } يذكر بنعمة الماء وذكر من فوائده إخراج الثمرات التي هي رزق للإنسان يعيش بها ويتمتع في هذه الحياة ، وجمع الثمرات يشير إلى الحبوب والفواكه على كثرة أنواعها واختلافها في الفائدة واللذة ، كما أن ذلك يذكر بقدرته وعلمه وتدبيره لأمور

عباده ومنافعهم مما يدل على سفاهة من جعل له أندادا ، وقوله تعالى { وسخر لكم الفلك } وهي السفائن التي يسافر بها في البحر ، وقوله { لتجري في البحر بأمره } يذكر فائدتها التي هي صلاحيتها للسفر عليها ، فهو سبحانه جعل الخشب الذي منه ألواحها والحديد الذي به تنسق ألواحها حتى تكون على شكل صالح لحمل ما عليها ، وسخر لها الريح لتسوقها ، وعلم الإنسان صنعتها وصنعة ما تدخله الريح لتسوقها فصلحت للسفر للتجارة ونقل حاجات الإنسان من أرض إلى أرض كما فصل ذلك الله تعالى في آيات من القرآن في سورة النحل وسورة الشورى وغيرهما .

وقوله تعالى { بأمره } جعلها مأمورة بالسير لأنه سخر لها الريح تسوقها فكأنها مأمورة مطيعة ، وكذلك الريح كالمأمورة المطيعة لأنه الذي سخرها فانقادت لتسخيره .

وقوله تعالى { وسخر لكم الأنهار } فهو الذي يسوقها في بطون الأرض والجبال من مسالكها الباطنة حتى تخرج من منابعها فتجري في مجاريها الظاهرة وينتفع الناس بالماء منافعه المعروفة ، وربهم هو الذي جعل مسالك الماء الباطنة ومجاريها الظاهرة لينتفعوا به لأنفسهم وأنعامهم وحرثهم وغير ذلك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٧٣/٢)

وسخر لكم الشمس والقمر بûü÷t7ح !#yٹ وسخر لكم الليل والنهار (٣٣) (١)

---

(١) . { وسخر لكم الشمس والقمر بûü÷t7ح !#yٹ وسخر لكم الليل والنهار (٣٣) } :

أما منافع الشمس فتدفئة الناس والمواشي وإصلاح الأشجار والتربة للزرع والضياء وقتل بعض الجراثيم الضارة كما يحكى عن أهل الطب العصري وتوليد فيتامين (د) في أجساد الناس كما يقولون ولا نحصي فوائدها ، وأما فوائد القمر فالنور لمن يحتاج السري ومن لا يجد المصباح وهو يقتل الدبا إذا جاء عليه في نصف الشهر إما غالبا وإما مستمرا ، ومن فوائده الشهور العربية فإنها محدودة بالهلال ، ولولا هو ما كانت الشهور العربية كما قال تعالى { يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج } .

وفي الشمس والقمر آيتان عظيمتان واضحتان تدلان على قدرة الله تعالى وعلمه ؛ لأن سيرهما بمقدار محدود كتحديد الساعة المصنوعة فالشمس تقطع البروج في سنة والقمر تقطعها في شهر { دائبين } على ذلك السير المحدود في عادة مستمرة .

قال في [الصحاح]: دأب فلان في عمله أي جد وتعب انتهى المراد .

وقال شارح [المعلقات السبع] في شرح قول امرئ القيس :

كدأبك من أم الحويرث قبلها

الدأب والدأب [بتسكين الهمزة وفتحها] العادة ، وأصلها متابعة العمل والجد في السعي انتهى .

وقال الراغب : الدأب إدامة السير ، دأب في السير دأبا قال تعالى { وسخر لكم الشمس والقمر دائبين } والدأب العادة المستمرة دائما على حالة ، قال تعالى { كدأب آل فرعون } أي كعادتهم التي يستمرون عليها انتهى .

وقوله تعالى { وسخر لكم الليل والنهار } فيهما نعمتان ، فالنهار للعمل وكسب الرزق ، والليل للسكون وترك عمل الدنيا والراحة منه لتعود القوة ويذهب التعب ، ويخلو أولياء الله في بعضه للعبادة والإستغفار في الأسحار ، وفي الليل والنهار آيتان حيث جعلا لمنافع الناس بتحديد مناسب لحالهم مستمر دقيق كتحديد الساعة وطول أحدهما وقصر الآخر بنظام محدود متقن دقيق ، فهما دليل على الخالق المدبر لمصالح عباده ، ذلك تقدير العزيز العليم الذي سخر هذه الأشياء بقدرته وعلمه .

قال الراغب في [المفردات]: التسخير سياقة إلى الغرض المختص قسرا انتهى المراد .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٧٤/٢)

وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار (٣٤) (١)

---

(١) . { وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار (٣٤) } : { وآتاكم } نعما كثيرة { من كل ما سألتموه } فأنتم تسألون الله حاجاتكم فيعطيكم ، وفي هذا إشارة إلى نعم يحتاجها الإنسان فيسأل ربه فيعطيه ، فالإنسان يعلم في قرارة نفسه أن الخير بيد ربه الذي خلقه ورزقه ، ولذلك يسأله كلما احتاج أو اضطر ، وقوله تعالى { من كل ما سألتموه } أي بعض ما سألتموه وهي نعم كثيرة وإن لم نعط كل ما سألنا ؛ لأن الحكمة في بعض المطلوب أن لا نؤتاه بعينه ، وقد نسأل شيئا وهو شر لنا ولكن لا نعلم ، ومن ذلك بسط الرزق فقد قال تعالى { ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض.. } الآية ، وقوله تعالى { وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها } لعلنا لا نستطيع إحصاء أنواع النعم فضلا عن أفرادها ، وهذا في النعم الظاهرة غير الباطنة ، والنعم الظاهرة التي يخفى على الإنسان كونها نعمة عليه إلا إذا فكر أو درس التشريح والطب .

وقوله تعالى { إن الإنسان لظلوم كفار } قرار بعد تعديد النعم على الإنسان تدل على كثرة النعم وسوء تصرف الإنسان حيث يقابل نعم الله بالإساءة والعصيان ، فالإنسان ظلوم لأن إساءته إلى مالكه المنعم عليه حيف وجور لأن مقتضى العدالة أن يشكر ربه ويطيعه فهو لهذا ظلوم ، والإنسان كفار كثير الكفر لنعم الله تعالى ، فأما كفر المشركين والكفار لنعم الله فظاهر ، وأما غيرهم فأكثرهم أهل الغفلة والجرأة على الظلم وغيره الذين لا يبالون ما فعلوا ، وكثير من الناس إلا النادر لا يخلو أحدهم عن المعصية إلا أن الأخيار يحاسبون أنفسهم ولا يصرون على ما تعمدوه أو انكشف لهم أنه ذنب .

وقد روى الإمام أبو طالب عليه السلام في [أماليه وهو في الباب السابع والأربعين] بإسناده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله : ((يقول الله عزوجل : يا بن آدم ما تنصفني أتحبب إليك بالنعم وتتمقت إلي بالمعاصي ، خيري عليك منزل وشرك إلي صاعد ، ولا يزال ملك كريم يأتيني عنك في كل يوم وليلة بعمل قبيح ، يا بن آدم لو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تدري من الموصوف لسارعت إلى مقته)) انتهى ، وهو في [صحيفة الإمام الرضى] .

فظهر بما بين الله من نعمه ظلم الإنسان وأنه كثير الظلم كثير الكفران لنعم الله تعالى ، هذا وقد كان بعض أهل مكة ومن حولها يعبدون الأصنام وذلك أقبح الكفر وكانوا كلهم أو بعضهم يدعون أنهم على دين إبراهيم عليه السلام فبين تعالى دين إبراهيم عليه السلام وما أوتوا من النعمة بسبب دعائه عليه السلام .

... كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٧٥/٢)

وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام (٣٥) (١)

---

(١) . { وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام (٣٥) } :
{ هذا البلد } أي ما حول الكعبة وهو الحرم المحرم ، والبلد يفسره المفسرون بمكة ، ولعل مكة اليوم قد تجاوزت حد الحرم ، والمقصود بالدعاء هو مكة التي في الحرم ، فهي البلد الآمن بحكم الله عز وجل ، وقد ذكرهم الله بنعمة الأمن في قوله تعالى { أولم نمكن لهم حرما آمنا تجبى إليه ثمرات كل شيء } وبالأمن فيه يتهيأ الحج والعمرة والتجارة في مكة ، فهو نعمة عامة لأهل مكة وغيرهم ، وقوله { واجنبني وبني أن نعبد الأصنام } أي اصرفنا بلطفك عن أن نعبد الأصنام ، والمراد ببنيه أول درجة من ذريته أي بنيه من صلبه ، فهو فيهم أظهر ولأنه حين دعا لذريته قال هو وابنه إسماعيل { ومن ذريتنا أمة

مسلمة لك } فجاء بـ(من) التي للتبعيض ، فظهر أنه هنا دعا لبنيه لصلبه أن يعصمهم الله بلطفه من عبادة الأصنام .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٧٦/٢)

رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم (٣٦) (١)

---

(١) . { رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم (٣٦) } :
قال الشرفي في [المصابيح]: واتفق كل الفرق على أن قوله { أضللن } مجاز لأنها جمادات لا تفعل شيئا البتة انتهى .
قلت: يعني اتفقوا على أن المراد ضلوا بسببها لا أنها فاعلة لإضلالهم ، ونظيره قوله تعالى { فلا تغرنكم الحياة الدنيا } إلا أن هذا نهي وكلام إبراهيم عليه السلام إثبات .
وقوله { فمن تبعني فإنه مني } أي كالبعض مني له ما لي وعليه ما علي وهو في الإختصاص بي كبعضي ، وهذا نهاية العطف عليه والحب له ، وقوله { ومن عصاني فإنك غفور رحيم } فأرجو له من المغفرة والرحمة ما لا ينافي العزة ولا الحكمة وذلك المغفرة بترك المؤاخذة العاجلة والرحمة بذلك من حيث هو نعمة وتعريض على التوبة المؤدية إلى الرحمة في الآخرة والمغفرة المطلقة ، وقد قال تعالى { وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٧٧/٢)

ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون (٣٧) (١)

---

(١) . { ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون (٣٧) } :
}
من ذريتي } بعضهم وهو إسماعيل ، ولعله كان وجد له ولد في عهد إبراهيم عليهم السلام فيكون داخلا في قوله { إني أسكنت } أي جعلتهم ساكنين { في واد } وهو مكة شرفها الله { غير ذي زرع } فالقوت منها معدوم فدعى لهم وقدم وسيلة الدعاء بقوله { عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة } والبيت المحرم هو الكعبة شرفها الله أضافها إلى الله لأنها قبلة عبادته وإليها الحج والعمرة ، فأسكنهم عنده ليقيموا الصلاة في جوار بيت الله حيث لا زرع ولا حرث يشغلهم عن إقامة الصلاة في أوقاتها أو يشغل ضمائرهم بالوسوسة حال الصلاة ، فدعا لهم بالرزق ليتم لهم هذا الغرض الديني كما أسكنهم لهذا الغرض نفسه عند البيت .

وقوله { فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم } الأفئدة القلوب أو باطنها وذلك مركز العقل والحب وغيره نسب الهوي إليها لأن شوقها إلى بيت الله وأوليائه هو يبعث أهلها على هبوط مكة وذلك سبب لنشر العلم والدعوة إلى دين الله ، ولولا ذلك لصاروا معزولين عن الناس لأن مكانهم ليس فيه مرغب دنيوي إلا إذا أهوى إليه الناس من كل بلد فإنه يصير موضع تجارة .

وقوله { وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون } فجعل الدعاء لهم بالرزق ليشكروا فهو لغرض ديني من حيث هو إقامة الصلاة ، ومن حيث هو الشكر أعم من الصلاة ، فإسكانهم لغرض ديني يكمل ويتم بهوي الناس إليهم وبالرزق الذي لا يعيش الإنسان بدونه ، وبذلك صلاح دينهم ودنياهم ، وحياة مكة بعبادة الله وحده لا شريك له ، ولكن المتأخرين غيروا بمكة فجعلوها مركزا لبعض الأصنام وأشركوا بالله فكان من الضروري تجديد دعوة إبراهيم بإرسال الرسول من ذريته ودعوته إلى ما دعا إليه أبوه إبراهيم عليهم السلام وهو محمد .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٧٨/٢)

ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء (٣٨) (١)

---

(١) . { ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء (٣٨) } :

{ ما نخفي } أنا ومن أسكنت من ذريتي فأنت تعلم نياتنا وإخلاصنا لك وعقائدنا في توحيدك وكل ما نخفي { وما نعلن } وما نظهره من صلاتنا ومناسكنا وغير ذلك ومن كل عملنا فاستجب دعاء { وما يخفى على الله من شيء } لا من الأعمال ولا غيرها لا { في الأرض ولا في السماء } لأنه علام الغيوب وبكل شيء عليم ، فلذلك ندعوك ونرجوك ونعبدك ونخشاك .

{ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء (٣٩) } :

}

الحمد لله } شكرا لأنه { الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق } ليرثا ديني ويبلغا رسالتي إلى أهل عصرهما ، وقوله { على الكبر } أي على تقدم سني وبلوغي حد الشيخوخة ، وليس من العادة أن يولد لمثلي في الشيخوخة { إن ربي لسميع الدعاء } فقد سمع دعائي حين قلت : { رب هب لي من الصالحين } فوهب لي إسماعيل ثم إسحاق .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٧٩/٢)

الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء (٣٩) رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء (٤٠) (١)

---

(١) . { رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء (٤٠) } :

}

رب اجعلني } في المستقبل { مقيم الصلاة } بأن تحببها إلي في بقية عمري وتيسر لي إقامتها بأركانها وخشوعها { ومن ذريتي } اجعل مقيمي الصلاة ؛ لأنها عظيمة في العبادة ومصلحة للضمير ولذلك تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وعنايته عليه السلام بإقامة الصلاة ينبغي لذريته أن يجعلوها سببا لإقامتها اقتداء بأبيهم إبراهيم عليه السلام بل ينبغي للناس كافة لأنه عليه السلام إمامهم ، وقوله { ربنا وتقبل دعاء } يحتمل استجب دعائي فاعطني وذريتي ما سألت ، ويحتمل تقبل مني دعائي لتكتب لي ثوابه فاجعله من حيث هو عبادة اجعله مقبولا أي عبادة متقبلة يكتب لي ثوابها ، وهذا أقرب ولذلك يكرر ذكر الربوبية الذي يفيد إقراره بأنه وذريته عباد لله وبأن العبادة لا تحق إلا لله لأنها اعتراف بالعبودية فهو يكرر ذلك الإعتراف والإقرار بتكرير لازمه ، فليكن لنا قدوة في عبادة الله بالدعاء .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٨٠/٢)

ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب (٤١) (١)

---

(١) . { ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب (٤١) } :
{ ربنا اغفر لي } ذنوبي { ولوالدي } ذنوبهما وكأنه عليه السلام استمر على استغفاره لأبيه وفاء بالوعد مع أنه قد تبرأ منه في آخر الأمر ، فلا تنافي ما دام ذلك مأذونا له من الله تعالى ، ولمجرد الوفاء بموعدته كما جاز مصاحبة الوالدين المشركين معروفا في الدنيا ، وقوله { وللمؤمنين } عطف عليهم لقوله { فمن تبعني فإنه مني } وحبا لهم في الله ، وقوله { يوم يقوم الحساب } طلب لهم بالمغفرة يوم يقوم الحساب أي يوم الحساب ، وهي أفضل من المغفرة المؤقتة في الدنيا فمغفرة يوم الحساب لازمها دخول الجنة والنجاة من النار ، بخلاف مغفرة الدنيا التي معناها ترك تعجيل المؤاخذة كما مر في تفسير قوله { ومن عصاني فإنك غفور رحيم } وقوله { يوم يقوم الحساب } قيام الحساب قوته وكثرته وظهوره مثل قيام السوق إذا تحرك البيع والشراء ، وهو يشير إلى ذلك الموقف الرهيب الذي يحتاج فيه إلى المغفرة أشد من الحاجة إلى المغفرة بترك تعجيل المؤاخذة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٨١/٢)

ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار (٤٢) (١)

---

(١) . { ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار (٤٢) } :
{ ولا تحسبن } عطف كما أن قوله تعالى { وإذ قال إبراهيم } عطف ، والراجح أن ذلك راجع إلى ما في سياق قوله تعالى { ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا } من وعيد قومهم ، فذكر الله كلام إبراهيم عليه السلام ردا عليهم ، ثم ذكر ما في هذه الآية وعيدا لهم على ما يعملون ضد الإسلام من المكر

والمعاداة الخفية ، وبين حالهم يوم القيامة وذلتهم بعد تكبرهم في الدنيا وعنادهم عند دعوة الرسول لهم إلى الله تعالى ، وقوله { ولا تحسبن الله } الخطاب إما للرسول وهو تقدمة لذكر وعيدهم ، وليس من شأن الرسول أن يحسب الله غافلا فليس نهيه لذلك بل لئلا يحسبوا هم أو غيرهم لكن وجه الخطاب إليه لأنه العالم بأن كفرهم باطل فهو الذي يصلح خطابه في جزائهم لماذا لا يعجل ، وإما للسامع كائنا من كان .

وقوله { ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون } أي لم يترك اليوم عذابهم على ما يعملون غفلة عما يعملون من أنواع الظلم { إنما يؤخرهم ليوم تشخص } أي ليوم القيامة فعذابهم كاف في العدل والحكمة إن لم يرد لهم العذاب في الدنيا بعد حين ، وقوله { تشخص فيه الأبصار } كما يشخص بصر المحتضر عند الموت .
قال في [الصحاح]: يقال شخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف انتهى ، ومثله في [لسان العرب] وزاد: شخوص البصر ارتفاع الأجفان إلى فوق وتحديد النظر وانزعاجه انتهى .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٨٢/٢)

مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء (٤٣) (١)

---

(١) . { مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء (٤٣) } :
{ مهطعين } مهطعين إلى الداعي أي مسرعين إليه استسلاما وانقيادا وخضوعا وذلة { مقنعي رؤوسهم } فسروا إقناعهم رؤوسهم برفعها ولكن الإشكال فيه أن الخوف والذلة وانحلال القوى من شدة الخوف يستدعي إمالة الرؤوس إلى أسفل ، وقد قال في [الصحاح]: وأقنع البعير إذا مد رأسه إلى الحوض ليشرب ، وأقنعت الإناء إذا أملته لتصب ما فيه واستقبلت به جرية الماء ليمتلي ، قال الراجز يصف ناقته :
تقنع للجدول منها جدولا
شبه فاها وحلقها بالجدول تستقبل به جدولا إذا شربت انتهى .

قال الشرفي في [المصابيح] في قول الله تعالى { مقنعي رؤوسهم } : أو معناه ناكسي رؤوسهم بلغة

قريش ، قال الحسين بن القاسم عليه السلام : يريد خاضعين مرخين لرؤوسهم ، قال : وقد قيل إن المهطع هو الرافع ، وهذا خلاف قول السلف صلوات الله عليهم ، والإقناع مأخوذ من القناع وتقنيع الرأس إنما يراد به ستره لا رفعه ، وإنما يقنع رأسه من يريد التغطي والتذلل ، وكذلك إقناعهم رؤوسهم هو تغطية وجوههم بنكس رؤوسهم إلى الأرض انتهى .

وفي [المصابيح] أيضا في تفسير سورة [اقتربت الساعة] عن الهادي عليه السلام : { خشعا أبصارهم } أي يوم يدع الداع تراهم خشعا معنى خشعا فهي مغضوضة لا يرفعون رؤوسهم ولا يمدون أبصارهم أمامهم من الفزع والخوف والإيقان بالبلاء العظيم انتهى .

وقوله تعالى { لا يرتد إليهم طرفهم } أي أن أعينهم لا يغمضونها بل لا تزال مفتوحة لشخوصها ، والطرف غطاء العين الذي يغطيها عند النوم وعند غمض العين .

قال الراغب : وطرف العين جفنه انتهى من تفسيره لمفردات القرآن .

وقوله تعالى: { إليهم }كأن انفتاح الجفون بسبب أن الرعب والفزع قد غلب عليها وخرجت عن اختيار صاحبها فكأنها مأخوذة عليهم لأنه قد اضطرها الفزع إلى الإنفتاح ، وقوله تعالى { وأفئدتهم هواء } أي خالية من الألباب كقوله تعالى { وترى الناس سكارى } وكقوله تعالى { وأصبح فؤاد أم موسى فارغا } شبه اللب بالجسم مثل لب الحبة فاعتبر ذهاب اللب فراغا للفؤاد فلذلك جعلت هواء مع أنها مملوءة بالرعب والخوف .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٨٣/٢)

وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال (٤٤) (١)

---

(١) . { وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال (٤٤) } :

ذكر في الآية الأولى هول يوم القيامة وفزع الظالمين ولم يذكر فيها العذاب وإن أفادته ، ففي هذه الآية ذكر إتيان العذاب فقيل: المراد به عذاب عاجل عام ينجو منه المؤمنون ، والدليل على ذلك قول الظالمين { ربنا أخرنا إلى أجل قريب } فهذا يناسب أنهم ما زالوا في الدنيا لأن أهل الآخرة إنما يطلبون

الرد لا التأخير ، قال تعالى { ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد } وقال تعالى { يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق.. } إلى قوله { ..أو نرد فنعمل } أما من كان في الحياة الدنيا فإنه يطلب التأخير قال تعالى { من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب } ويشكل على هذا التفسير آخر الآية التي ترد عليهم طلب التأخير { أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال } لأن هذا العذاب لم ينزل في عهد الرسول في وقت نزول الوحي فيقال لهم ذلك الجواب ، وبعد وفاة الرسول قد انقطع الوحي ، وظاهر الآيتين أن الله تعالى يجيب عليهم بما ذكر في الآيتين ، أما في الآخرة فذلك واقع الإحتجاج عليهم كقوله تعالى { وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير } ويشكل عليه أيضا قوله تعالى { أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال } فإنه إما أن يراد به ما لكم من زوال من الدنيا ، أو ما لكم من زوال من بطن الأرض بعد الموت ، والأول لا نعلمهم أقسموا أنهم لا يزولون من الحياة الدنيا ، وكيف يقسمون وهم مقرون بالموت ؟ قال تعالى { ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا } فبقي أنهم أقسموا ما لهم من زوال من بطن الأرض ، وهذا قد حكاه الله عنهم في قوله تعالى { وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت } ولو قال : أقسمتم ما لقوتكم من زوال لساغ تفسيره بأنهم أقسموا لا يزالون في قوة وأنهم لن يغلبوا ، فأما تفسير قوله تعالى { مالكم من زوال } بنفي ذهاب القوة والعزة فخلاف الظاهر ؛ لأن ذلك لا يسمى زوالا للأشخاص وإنما يقال : زالت قوتهم ، فظهر أن قسمهم معناه أنهم لا يبعثون فكأنه قيل لهم ذلك لأنه تكذيب للنذير الذي جاءهم مصحوبا بالبينة ، فهو يذكر جريمتهم العظيمة ، فأما قولهم { ربنا أخرنا إلى أجل قريب } فيمكن أن يطلبوا تأخيرهم في الآخرة ليعملوا ، ومعناه إنظارهم بتأخير العذاب الذي قد أتاهم ، وقد نفاه الله بقوله تعالى { وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون } .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال في [البرهان]: وهذه فيمن ظهر له الحق في الآخرة فأراد أن يستدرك فارط ذنوبه وليست الآخرة دار توبة فتقبل توبتهم كما ليست دار تكليف فيستأنف تكليفهم انتهى المراد .

وعلى هذا يكونون طلبوا الإمهال في الآخرة ليعملوا فيها يجيبوا دعوة ربهم ويتبعوا رسله كلهم بدلا من تكذيبهم كلهم أو بدلا من تكذيب بعضهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٨٤/٢)

وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال (٤٥) (١)

---

(١) . { وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال (٤٥) } :
وهذا خطاب لمن في عهد رسول الله أولهم ولمن بعدهم يذكر لهم ما شاهدوا من آثار الأمم الظالمة التي نزل بها العذاب مثل قوم لوط فمساكنهم تذكر بهم وبما نزل بهم ، وفي ذلك عبرة لهم أي لمن في حياة الرسول ولمن بعدهم تدلهم على أن الله لم يهمل عباده وأنه يعاقب المجرمين كما قال تعالى في سياق إثبات يوم الفصل { ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين } .

وقوله تعالى { وتبين لكم كيف فعلنا بهم } أي كيف عذبناهم ، وقوله تعالى { وضربنا لكم الأمثال } أي في القرآن وعلى لسان الرسول فقد بين لهم ما يوجب إجابة دعوته واتباع الرسل في الدنيا ولم يقبلوا ، وجاءت الأمثال زيادة في إيضاح الحق مثل قوله تعالى { مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا } ومثل قوله تعالى { واضرب لهم مثلا أصحاب القرية .. } إلى قوله { ..إن كانت إلا صيحة واحدة } ومثل قوله تعالى { ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل } وقوله تعالى { ضرب الله مثلا عبدا مملوكا .. } الآية وقوله تعالى { وضرب الله مثلا رجلين.. } الآية .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٨٥/٢)

وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال (٤٦) (١)

---

(١) . { وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال (٤٦) } :
أفادت الآيات الماضية أنهم يعملون ما يوجب عليهم العذاب في قوله تعالى { عما يعمل الظالمون } وعطف في هذه الآية بيان بعض ما يعملون فقال { وقد مكروا } أي احتالوا لإبطال أمر الرسول ودبروا إما قتله وإما غير ذلك من كيدهم { وعند الله مكرهم } لا ينساه ولا يضيع جزاه ولا يهمله بل هو محفوظ في كتاب وفي علمه تعالى { وإن كان مكرهم } لشناعته وقبحه وكونه ضد الحق جملة وضد رسالة الرسول جملة يحق له أن تزول منه الجبال إنكارا له وضعفا عن تحمله ، فقوله تعالى { لتزول منه

الجبال } كأنه قيل: وإن مكرهم كان لتزول منه الجبال أي أنه سبب لزوالها لولا حفظ الله لها ؛ لأن ذلك هو الذي يليق به لشناعته كقوله تعالى { تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٨٦/٢)

ںûtù¨ y‹xsù #$!© ®trB#خ=fèC ƒ¾حn‰oô‰مur ے¼م&s#ك™b¨ 'âخ) ©!$# ضƒ"حtoمs$Q5 ŒèرحدRF$# احذب (١)

---

(١) . { ںûtù¨ y‹xsù #$!© ®trB#خ=fèC ƒ¾حn‰oô‰مur ے¼م&s#ك™ 'âb¨خ) ©!$# ضƒ"حtoمs$Q5 ŒèرحدRF$# احذب } :

{ فلا تحسبن الله } هي مثل { ولا تحسبن الله } وقد مرت { مخلف وعده رسله } فهو يتقدس عن ذلك وكيف يخلف وعده بنصره رسله على أعدائه الماكرين ضد أمره وهو عزيز لا ينال ، وإهمالهم وترك جزائهم ينافي عزته لأنهم سعوا في أرضه فسادا وحاربوه فلم يتركهم يعملون جرائمهم ويمكرون برسوله إلا على شرط أنه ينتقم منهم ويجزيهم بما قدموا جزاء وفاقا ، ولولا ذلك الجزاء ما جاز في عزته وحكمته ، فقوله تعالى { إن الله عزيز } تعليل لقوله { فلا تحسبن الله } أي لا تحسبه مخلف وعده ؛ لأنه عزيز { ذو انتقام } ينتقم من أعدائه أي يعاقبهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٨٧/٢)

---

tPqtƒ ڑcمè7t‰%x6è? ع'u #${$$#Fخ\u اع'F}$# ك$ع‹uq"yJ¡،r#) م$ur#$9م– t/urژ#(q#! ‰Ï$ء%‰n٩$#uq ح'$£#$9)sg احرب (١)

---

(١) . { tPqtƒ مt7è‰A£؟ قعu'# $}F{ژچxî اعF'}$# كN؛uq"yJ،، 9$#ur
#r)م–tچt/ur ! دn‰؛#$9uq ح'$£#$9)gs احرب } :

ظاهر قوله تعالى { تبدل الأرض غير الأرض } تبديل الأرض وجعل مكانها غيرها وحمله على تبديل الأرض بجعل غيرها قرارا لأهلها قريب من ناحية صحة التعبير ومن ناحية الواقع فأولياء الله يبدلون بها أرض الجنة وأعداء الله يبدلون بالأرض جهنم ، فكانت دار القرار بدل هذه الدار .

وقوله تعالى { والسموات } أي تبدل ، ومن الجائز أن تبدل بقرار للملائكة غيرها ؛ وهذا لأن معنى التبديل جعل شيء بدل غيره كقوله تعالى { فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات } فقد كان جزاؤهم السيئات لو لم يتوبوا فلما تابوا صار جزاؤهم الحسنات ، فكانت الحسنات بدل السيئات لأنها صارت مكان السيئات ، ولا ينافي هذا بقاؤهم على الأرض في موقف الحساب ؛ لأنهم يساقون منه إلى الدارين ويحكم في موقف الحساب لكل فريق بدار غير الأرض ، وهذا على فرض أن الحساب يكون على هذه الأرض ، يوضح هذا أن السموات يومئذ تمزق وتكشط ، فليس التبديل في موقف العرض للحساب وتبديل السموات بسماوات أخرى لا بد منه ، ويحتمل أنه المراد وذلك بسماوات الجنة والنار أو الجنة وحدها ، أما مفهومه في الآية فهو محتمل ؛ لأن تبديل السموات في الآية إن أريد به تبديلها من حيث هي مقر للملائكة فتبديلها بخلق مقر للملائكة غيرها ، وإن أريد بها تبديلها من حيث هي سماوات بالنسبة إلى الأرض فتبديلها بسماوات للجنة أو لها وللنار أو لهما وللمحشر بعد تشققها وتنزيل الملائكة منها أو للجنة والمحشر أعني الموقف وحدهما فالله أعلم أي ذلك يكون ، ولا مانع أن السموات تبدل تبديلا جامعا للمعنيين فيكون البدل سماوات مقرا للملائكة دار ثواب لهم يصيرون إليها بعد نزولهم إلى الموقف وقيامهم بأعمالهم التي يؤمرون بها في الموقف .
وحاصل هذا الكلام في تبديل الأرض أنها تبدل بأرض الجنة ودركات جهنم ، والأولى أن تبديلها يكون بذلك وبموقف الحساب .
قال القاسم عليه السلام في تفسير { إذا زلزلت } تأويل إخراج الأرض لأثقالها فهو طرحها لما كان عليها من أحمالها ، ثم قال: وكيف لا تكون مخرجة لهم منها وكلهم فمنتقل إلى دار القرار عنها ، وأرض الحياة الدنيا فأرض بائدة فانية ، وأرض دار القرار خالدة باقية ، ومن أثقال الأرض من في قبورها ومن كان من الموتى على ظهورها فمن كل ذلك طائعة تتخلى من قبل أن تبيد وتبلى انتهى المراد .
وحاصل الكلام : أن الأرض تتخلى من أهلها بإخراجهم عن ظهرها إلى دار القرار ، وفسر عليه السلام بهذا المعنى قول الله تعالى { وألقت ما فيها وتخلت } قال عليه السلام : تأويل ذلك أوحشت الأرض من أهلها وأخلت فنشر موتاها نشرا وحشر الموتى إلى الموقف حشرا انتهى المراد .
فظهر أن تبديل هذه الأرض يكون بأرض الموقف وأرض الجنة ودركات النار ، وقوله تعالى { وبرزوا لله } أي ظهروا في موقف العرض على الله والحساب برزوا لله ليسألهم ويحاسبهم ويحكم فيهم بما شاء ،

فإن كان الضمير للناس كلهم أي لأهل هذه الأرض الفانية فهو بيان لحالهم عند تبديل الأرض باعتبار أولها وخروجهم من هذه الأرض ، وإن كان الضمير خاصا بالظالمين لأن السياق فيهم فهو ابتداء للكلام في إنجاز وعد الله لرسله فيهم .

وقوله تعالى { الواحد القهار } يبين أنه تعالى هو الذي يسألهم ويحكم فيهم وحده ، وأنه واحد غير متعدد ، وهو رد على من جعله ثلاثة وتوهم أن عيسى يومئذ يشفع له وأنه شريك لله تعالى في إلهيته ، فالآية هذه تقطع طمعهم وتنفي دعواهم التثليث ، وقوله { القهار } فيه دلالة على كثرة قهره وهو غلبته وإذلاله لأعدائه ، وقد تكرر منه القهر لهم في الدنيا ويكون في الآخرة أشد وهو القاهر فوق عباده عموما قهرا مستمرا ، فأما المتكرر الذي عبر عنه بمثال المبالغة فالظاهر أنه قهره لأعدائه بتعذيبهم والله أعلم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٨٨/٢)

ûخ' s)oBچ§RدtBqtƒ tûü³ح›J9$# 7كôfجچBدs?ur tûüچt" دڭ$x¤ے‎F¹ô}$# احزب (١)

---

(١) . { ûخ' s)oBچ§RدtBqtƒ tûü³ح›J9$# 7كôfجچBدs?ur tûüچt" دڭ$x¤ے‎F¹ô}$# احزب } :

{ المجرمين } الذين أجرموا في الدنيا أي فعلوا الجرائم وهم الظالمون كلهم ، وقوله تعالى { مقرنين } أي يقرن بعضهم إلى بعض في صفد واحد .

قال في [الصحاح]: وقرنت الشيء بالشيء وصلته به ، وقرنت الأسارى في الحبال شدد للكثرة ، قال الله تعالى { مقرنين في الأصفاد } انتهى .

وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام للأصفاد : السلاسل والأغلال انتهى .

وفي [مفردات الراغب]: الصفد والصفاد الغل وجمعه أصفاد ، والأصفاد الأغلال قال تعالى { مقرنين في الأصفاد } انتهى .

فأما صاحب [الصحاح] فجعل الأصفاد القيود سواء كانت أغلالا أم غير الأغلال ، وكأنه يجعل الغل خاصا بقيد العنق فإنه قال: والصفاد ما يوثق به الأسير من قد وقيد وغل والأصفاد القيود انتهى .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٨٩/٢)

---

r â'$¨Y9$#م_مgydqكNم y´s?urس% 4دچiB 5b#tد` ™yچ t#/خ‹=gèكO
اخقب (١) y"ج"ôfu›د٩ ه!$# ¨@ن. <§ے| ôMt6 B¨$ tR›b¨ .xخ) ©!$#
ك‍ىƒجچy™ ة<$| ،إ!#$9s اختب (٢)

---

(١) . { r م_مgydqكNم y´s?urس% 4دچiB 5b#tد` ™yچ t#/خ‹=gèكO â'$¨Y9$# اخقب } :

{ سرابيلهم } جمع سربال وهو القميص ، والراجح عندي والله أعلم أن هذا القطران عصارة تخرج من أجسادهم عند احتراقها تسود من النار فتكون كالقطران الذي يؤخذ من الشجر بواسطة إحراقها ، وقد قال تعالى قطعت لهم ثياب من نار } وفي معلقة عنترة يذكر إقدامه بفرسه :

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ... ولبانه حتى تسربل بالدم

وقوله تعالى { وتغشى وجوههم النار } إشارة إلى أن أيديهم مقيدة لا يتقون بها عن وجوههم النار مع أنها تغشاهم كلهم ، قال تعالى { لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم.. } الآية .

(٢) . { y"ج"ôfu›د٩ ه!$# ¨@ن. <§ے| ôMt6 B¨$ tR›b¨ .xخ) ©!$#
ك‍ىƒجچy™ ة<$| ،إ!#$9s اختب } :

أي يعذب المجرمين { ليجزي الله كل نفس ما كسبت } ولا يخص بالجزاء بعض الأنفس ؛ لأن الحكمة تقتضي جزاء المسيء بإساءته كما تقتضي جزاء المحسن بإحسانه { إن الله سريع الحساب } فلا يغفل عن سيئة ولا ينساها ولا يقصر جزاؤه لأحد على بعض ذنوبه دون بعض ولا يحتاج في علمه بجملة المعاصي ومقدار المستحق عليها إلى نظر وتفكير بل يعلم الجملة كما يعلم كل واحدة من السيئات وحدها وكذلك الحسنات لأنه علام الغيوب . كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

#) /خms¾ ur٩دٹمj9 (#râ'x‹Zد=Z¨$¨ؤ /n=t"÷ش yd"›x#
ur ٩دٹO‹u.©چur t؛nد%‰س (خs9"uqèd ×m &ur $yJ¯Rr٩د›Jn=÷èuكq
#$}t69F"=ة &ré'٩ن(#q اخشب (١)

---

(١) . { #$}t69F"=ة &ré'٩ن(#q ... #) /خms¾ ur٩دٹمj9 (#râ'x‹Zد=Z¨$¨ؤ /n=t"÷ش yd"›x#
ur ٩دٹO‹u.©چur t؛nد%‰س (خs9"uqèd ×m &ur $yJ¯Rr٩د›Jn=÷èuكq
#$}t69F"=ة &ré'٩ن(#q اخشب } :
}

هذا } القرآن { بلاغ للناس } يبلغهم به الإنذار والتبشير والتحذير من الشرك والضلالات التي هم فيها لتقوم به الحجة عليهم ويخرجوا من الغفلة التي لا يعذب الله أهلها إلا بعد البلاغ ، ودليل على الرسول من الله وكل الهدى { ولينذروا به } العذاب الشديد ؛ لأن الإنذار به قاطع للعلة من حيث أنه معجز يتبين بإعجازه أنه كلام الله { وليعلموا } بهذا القرآن { أنما هو إله واحد } كذلك لأنه معجز يتبين بإعجازه أنه كلام الله أصدق القائلين ، وهو مبطل لزعمهم أن الله يشاء منهم الشرك ويرضاه ، وفيه الإحتجاج الكامل لإبطال شركهم ، وقوله تعالى { وليذكر أولوا الألباب } ليتذكر أهل العقول ما نسوه مما يهم العقلاء من أمر دينهم وغفلوا عنه من معرفة ربهم وعبادته ، فقوله تعالى { وليعلموا } { وليذكر } بيان لمقاصد قصدت بهذا القرآن وأنزله الله لأجلها لشدة حاجة الناس إليها فهو رحمة من الله وفضل على عباده وحجة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة والحمد لله رب العالمين .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

ملاحظة : قول المؤلف : مع الهالكين والغابرين هنا الماضين فلعل قصد المؤلف الإبتداء فيقال : والغابرون هنا الماضون [الأصل ص: ٣٦٧س٥]

ijk

الر (١) تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (١) (٢)

---

(١) . ... بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الحجر

قال الشرفي مكية باتفاق القراء

{ بسم الله الرحمن الرحيم الر } :

ذكر كلام في هذه الأحرف التي في أوائل بعض السور في تفسير سورة المص .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (١) } :

إذا كانت الإشارة إلى الأحرف فمعناه فيما أرى والله أعلم أنها أصل آيات الكتاب أوحاه الله إلى نبيه بحروفه ليس مجرد المعنى أو أوحاه الله بالحروف التي تستعملها العرب في كلامها فليأت الكفار بمثله إن كانوا صادقين والله اعلم ، وكذلك مر تفسير الكتاب .

أما قوله تعالى { وقرآن } فهو عطف صفة على صفة والموصوف واحد كقول الشاعر :

هو الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

فالقرآن باعتبار أنه يقرأ ويتلى والكتاب باعتبار أنه يكتب ويحفظ بالكتابة وقوله تعالى { مبين } أي بين الدلالة واضح لا لبس فيه ، فهو مفهوم للعرب الذي نزل بلسانهم وبه تقوم الحجة عليهم في إعجازه وفي إنذاره وتبشيره بالآخرة والعقاب والثواب .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٩٢/٢)

ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (٢) (١)

---

(١) . { ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (٢) } :

قال الراغب: رب لاستقلال الشيء ولما يكون وقتا بعد وقت ، وقال في [لسان العرب]: رب وضعت للتقليل انتهى { يود } أي يحب ويتمنى في نفسه { الذين كفروا } بالرسول والقرآن المبين الذي علموا أنه معجز يودون في بعض الحالات لو كانوا مسلمين ؛ لأنهم علموا أن الإسلام الحق ورأوا تتابع النصر للرسول وإظهار الله لدينه ولكن هذا خاطر يخطر ببال الواحد منهم ويمنعه حب الدنيا والتعصب للآباء

وهذا التفسير قريب مما حكاه الشرفي في [المصابيح] عن محمد بن القاسم بن إبراهيم عليهم السلام وقد تركت نقله لأن فيه غلطا من الناسخ ، فأما في الآخرة فإنهم يتمنون أن يردوا ويكونوا مؤمنين محسنين ، وودهم لو كانو مؤمنين كثير غير قليل .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٩٣/٢)

ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون (٣) (١)

---

(١) . { ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون (٣) } :
{ ذرهم } مثل دعهم واتركهم { يأكلوا ويتمعوا ويلههم الأمل } ولعل هذا قبل الأمر بقتال المشركين والمراد أن لا يتعب نفسه في مطالبتهم بالإسلام وتكرار الإحتجاج والتفكير في وسيلة تحملهم على الإسلام ، وقوله تعالى { يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل } يبين أنهم ليسوا بأهل للنظر الصحيح وتدبر قول الناصح واستعمال العقول ؛ لأن همهم الشهوات والأغراض الدنيوية ، وليس همهم النظر لأنفسهم إذ قد جاءهم النذير ، فهم في الأكل والشرب والإلتهاء بطول الأمل في الحياة وأغراضها واغترار بذلك حتى يموتوا { فسوف يعلمون } ضلالهم وسوء تدبيرهم لأنفسهم حين يرون العذاب ، أو فسوف يعلمون حين يرون العذاب العاجل .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٩٤/٢)

وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم (٤) (١) ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون (٥) (٢)

---

(١) . { وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم (٤) } :
{ وما أهلكنا من قرية } من القرى التي اهلكهم الله من قوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم { إلا ولها

كتاب } أي كتاب لأجلها { معلوم } حده وقدر مدته أي أن الله لم يهلك قرية قبل أن يجعل لها أجلا فيه تقام الحجة عليهم وينذرون بالعذاب ويوعظون ويمهلون عرضا لهم على النظر في النذير وماجاء به من الآيات فكذلك هؤلاء المكذبون المعاندون لم نؤخر إهلاكهم إلا لأجلهم لا لأنا نهملهم يكذبون بآيات الله ويحاربون دين الله ويعاندون الحق .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون (٥) } :

}

ما تسبق من أمة أجلها } ماتسبق أي أمة صغيرة أم كبيرة ضعيفة أم قوية ما تسبق أجلها المكتوب لها والأجل هنا موعد هلاكها ، فهي لاتسبق إلى الهلاك قبله ونسبة السبق إليها ؛ لأنها هي سببت له بأعمالها ، ويحتمل ما تسبقه ما تفوته كقوله تعالى { أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون } وعلى هذا فالمعنى لا تنجو أمة عند إتيان أجلها { وما يستأخرون } بأن يتأخر هلاكهم عن وقت أجلهم إلى وقت بعده بقوة لهم أو حيلة أو أي وسيلة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٩٥/٢)

وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون (٦) (١) لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين (٧) (٢)

---

(١) . { وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون (٦) } :

{ يا أيها } نداء مؤكد بالتنبيه مناسب لدعواهم أنه مجنون ، وقولهم { الذي نزل عليه الذكر } أي القرآن تهكم بالرسول كقول فرعون { إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون } تشابهت قلوبهم ، وقولهم { إنك لمجنون } دعوى مؤكد بإن واللام وجعلها جملة إسمية وهي عناد واضح وجهل فاضح ؛ لأنهم في كفرهم واستهزائهم متعرضون لأخذة العزيز المقتدر ومزدادون عذابا في النار ، وكلامهم واضح البطلان ؛ لأنهم تكلموا به في أرجح الناس عقلا وأكملهم حلما ، ونطقه بالحق والحكمة يبين كذبهم وعنادهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف

إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين (٧) } :

}

لوما } بمعنى هلا { تأتينا } فهو حث على أن يأتيهم { بالملائكة } إن كان صادقا في دعواه نزول القرءان عليه وكلامهم مجرد اقتراح بلا حجة ؛ لأن صدقه لا يتوقف على أن يأتيهم بالملائكة إنما يتوقف العلم بصدقه على الإتيان بالحجة ، وقد أتى بها ولكنهم جحدوا الحق الواضح .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٩٦/٢)

ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين (٨) (١) إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٩) (٢)

---

(١) . { ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين (٨) } :

{ بالحق } بأمر الله ، قال تعالى حاكيا عنهم : { وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك } وأمر الله لا يكون إلا بما فيه الحكمة ، ولم يكن من الحكمة إنزالهم لمجرد اقتراح الكفار الذين ليس لهم حق في نزولهم ؛ لأنها تكفيهم الآيات الدالة على أنه صادق .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٩) } :

{ إنا نحن } إن الله بعظمته وجلاله وحكمته ورحمته أنزل الذكر على محمد ، فهو دليل على أن محمدا من الصادقين ، وأنه غير مجنون لأن الله الحكيم أعلم حيث يجعل رسالاته

}

وإنا له لحافظون } فهو باق لأنه حجة الله على عباده تولى سبحانه وتعالى حفظه ليكون نذيرا للأولين والآخرين وهدى للناس وبينات من الهدى ؛ ولأن الله حفظه فلا يزيد ولا ينقص ولاتبديل لشيء منه ولا تحريف ، ولم يتمكن أعداء الإسلام من تغيير شيء منه بحيث يخفى على المسلمين ويبقى فيه ؛ ولذلك لما كتب اليهود (ومن يبتغ الإسلام دينا) افتضحوا بسرعة وأزيل ما كتبوه وأظهر للمطلعين عليه كذبهم ، وكيف لا وهو مرجع المسلمين وإمامهم وأساس دينهم وبرهانهم ، ألا ترى أن الكعبة لو نقلت من مكانها إلى مكان آخر أو بدلت ببيت آخر ما خفي ذلك على المسلمين ولسارعوا إلى إبطاله وبيان

الحق فكذلك القرآن ولم يأت أهل الباطل لتغييره بأي وسيلة ، وإنما لجأوا إلى الروايات المكذوبة واتبعها أهل الجهل وتركوا القرآن فضلوا ، ولو اعتصموا بحبل الله وتمسكوا بالكتاب ماضلوا ، وكذلك وضعوا روايات في جمع القرآن في مصحف واحد تولاه قليل من الصحابة كانوا مشغولين عنه ولم يكونوا من حفاظه إلا القليل وإن سماهم الرواة الصحابة فهو غلط منهم ؛ لأنهم ليسوا كل الصحابة ، واستغنوا عن حفاظه أمثال الإمام علي عليه السلام وقد جمعه قبلهم ، وابن مسعود وابن عباس وأبي ذر والمقداد وعمار وأبي أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله الأنصاري والبراء بن عازب الأنصاري وأبي سعيد الخدري وسهل بن حنيف الأنصاري وعبد الله بن بحينة الأزدي وأبي قتادة الأنصاري وغيرهم من أخيار الصحابة ، نعم جمعه الجامعون له فاجتمع لهم بعد اللتيا والتي ولم يفتهم شيء منه ، ولو فاتهم شيء أو غيروا منه شيئا لأعلن الفائت بقية الصحابة ولما سكتوا على التغيير فورثوه بتمامه وتوارثته الأجيال يتلونه في كل قطر من أقطار الإسلام ، واعتنى به العلماء حفظا وتفسيرا مع اختلاف طرائقهم في التفسير .

واختلاف المصاحف في عدد آيات السورة لا يعني الخلاف في زيادة ونقص منه إنما معناه الخلاف في بعض الجمل أهي آية أم بعض آية فمن جعلها آية عدها آية وزادها في عدد آيات السورة ، ومن جعلها بعض ءاية نقص عنده عدد آيات السورة لذلك .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٩٧/٢)

ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين (١٠) (١) وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون (١١) (٢)

---

(١) . { ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين (١٠) } :

أي أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد { في شيع الأولين } الشيع: جمع شيعة .

قال الشرفي: والشيعة الفرقة إذا اتفقوا على مذهب واحد انتهى ، وفي [مفردات الراغب الأصبهاني]: والشيعة من يتقوى بهم الإنسان وينتشرون عنه انتهى .

وقوله { في الأولين } أي من مضى من الأمم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون (١١) } :
{ وما يأتيهم } أي يأتي الشيع { يستهزؤن } كما استهزأ الذين قالوا { يا أيها الذي نزل عليه الذكر } بمحمد وهذا يفيد أن الشيع كذبوا بالآيات النازلة على رسلهم ولم يؤمنوا بهم بل استهزأوا بهم وكذبوهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٩٨/٢)

كذلك نسلكه في قلوب المجرمين (١٢) (١) لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين (١٣) (٢)

---

(١) . { كذلك نسلكه في قلوب المجرمين (١٢) } :
{ نسلكه } ندخله أي ندخل الذكر الذي هو القرآن { في قلوب المجرمين } الذي قابلوه بالإجرام والعناد فكما أرسلنا في شيع الأولين لإقامة الحجة عليهم وكذبوا رسلهم أنزلنا القرآن ونسلكه في قلوب المجرمين لتقوم به الحجة عليهم بمعرفة قلوبهم له .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين (١٣) } :
نسلكه في قلوب المجرمين حال كونهم لا يؤمنون لأن كونهم لا يؤمنون به لا يمنع إقامة الحجة عليهم كما قال تعالى في سورة الزخرف { أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين وكم أرسلنا من نبيء في الأولين وما يأتيهم من نبيء إلا كانوا به يستهزئون فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين } .

قال الشرفي في [المصابيح]: وفي هذه الآية يقول الهادي عليه السلام معنى { نسلكه } فهو ندخله ونثبته في قلوبهم حتى يوقنوا به . وتثبيته له في قلوبهم فهو الحجة النيرة البالغة نزلها مع نبيه حتى يثبت بها الحق عليهم وتشهد عقولهم أنه حق ، فإذا كابروا بعد ثبات الحق نزل بهم العذاب ، وذلك قوله { لا يؤمنون به } وأما قوله { وقد خلت سنة الأولين } فهو منهاجهم وسبيلهم ، والمعنى الذي هلكوا به فهو التكذيب بآيات الله ، انتهى .

وقوله (فهو) لعل الأصل (وهو) التكذيب بآيات الله يعنى أنه سنة الأولين ، والأرجح أن سنة الأولين سنة الله في الأولين ؛ لأنه تعالى قد ذكر استهزاءهم برسلهم ولم يذكر هلاكهم ولو كان المراد بسنتهم طريقتهم في التكذيب لكفى قوله تعالى { وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون } وإذا كان المراد بسنة الأولين سنة الله فيهم كانت فيه فائدة جديدة ، وهذا المعنى حكاه الشرفي عن [البرهان] أحد احتمالين:

الأول: هذا ، والثاني: لا يؤمنون برسلهم انتهى .

وعلى كون سنة الأولين إهلاكهم قرنا بعد قرن وأمة بعد أمة تكون هذه الآيات مثل الآيات من سورة الزخرف ففيها تسلية لرسول الله محمد وتخويف للمكذبين به.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٣٩٩/٢)

---

qs9ur فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون (١٤) (١) لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون (١٥) (٢)

---

(١) . { ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون (١٤) } :

أي أنهم معاندون مستمرون فلو فتح الله بابا من السماء فوقهم يقابل جهتهم ومكانهم ليصعدوا فيه { فضلوا } الظلول في النهار فهم فيه يصعدون في ضياء النهار حين يرون السماء وآياتها التي لم يكونوا يرونها من الأرض ، والعروج الصعود إلى جهة فوق.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون (١٥) } :

أي لجحدوا طلوعهم في باب السماء ونفوا الرؤية له ، وقالوا { إنما سكرت أبصارنا } وخيل لها ما يخيل للسكران.

قال في [الصحاح]: والمسكر المخمور ، انتهى.

هذا المعنى هو المناسب للسياق ، وقد حكى الشرفي في [المصابيح] عن الحسين بن القاسم عليه السلام أنه قال: أراد عزوجل بهذا القول أنهم كابروا عقولهم فهم لا يوقنون حتى لو أطلعهم إلى السماء

لقالوا ماطلعنا ولكن سكرنا حتى عميت من السكر أبصارنا ولكن قد خدعنا وسحرنا حتى أعمينا وسكرنا ، انتهى.
وتفسير السكر بأنه أدى إلى تخيل غير الواقع أولى من تفسيره بأنه أدى إلى عمى البصر ونفى الرؤية بالكلية وهو المناسب لقوله { بل نحن قوم مسحورون } فإن السحر يؤدي إلى تخيل خلاف الواقع ، قال تعالى: { يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى } وكذلك السكر قال الشاعر يصف السكر :

كأن الديك ديك بني نمير ... أمير المؤمنين على السرير

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٠٠/٢)

ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين (١٦) (١)

---

(١) . { ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين (١٦) } :
{ بروجا } منازل الشمس والقمر ، وفيها دلالة على الخالق القادر العالم ؛ لأن الشمس تنزل فيها بتوقيت وتحديد محكم لا يتغير كما تتغير الساعة المصنوعة بل هو باق على إحكامه ونظامه لفصول السنة على طول الزمان ، تنزل الشمس في البروج فتقطع كل برج في شهر ، وتقطع البروج الإثني عشر في سنة ، والقمر يقطعها في شهر .
وقوله تعالى: { وزيناها للناظرين } أي وزينا السماء للناظرين إليها فهم إذا نظروا إلى السماء فوقهم رأوا زينتها التي هي الكواكب ، وفي هذا دليل على قدرة الله وعلمه ؛ لأن صنع الكواكب فيه آيات منها كثرتها وكونها مشرقة وكونها مسخرة في سيرها على نظام محدود ولا تتصادم ولا تتغير أشكالها التي بها تعرف وتسمى بأسمائها حتى تعرف بها الأوقات كما تعرف بالساعة المصنوعة { ذلك تقدير العزيز العليم } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٠١/٢)

وحفظناها من كل شيطان رجيم (١٧) (١) إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين (١٨) (٢)

---

(١) . { وحفظناها من كل شيطان رجيم (١٧) } :
أي وحفظنا السماء { من كل شيطان رجيم } يرجم بالكواكب إذا طلع لاستماع ما تقول الملائكة ليبلغه إلى الكاهن ليدعي علم الغيب ويعتقد فيه ذلك فحفظ الله السماء منهم برجمهم بالشهب.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين (١٨) } :

الإستراق: الأخذ بخفيه لما يخطفه الشيطان وهذا بتمكين الله لهم ولو شاء ما غفل الحرس عنهم لحظة واحدة ، وفي آية { إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب } فهي خطفة يخطفها بسرعة فيطرده الشهاب وهو شعلة من نار ، وقوله { مبين } يراه الناس في الليل حين ينزل بسرعة ، ولعل الكواكب لا تزال مشتعلة كالشمس فتؤخذ الشعلة منها من نارها أو هي تنقدح وتؤخذ منها بالقدح والله أعلم ، وفي نزول الشهاب آية تدل على فاعل الرمي بها من فوق إلى أسفل ولولا ذلك لكان من شأنها أن تصعد كما نرى النار تصعد ، ونسب الإستراق إلى السمع لأن غرض الشيطان سمع كلام الملائكة وحرس السماء تمنع الشيطان من دخولها ومن الحصول بحيث يسمعون الملائكة لكن يسترق الشيطان السمع لهم خفية فينتبهون له ويرمونه بالشهاب بعد أن قد خطف الخطفة .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٠٢/٢)

والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون (١٩) (١)

---

(١) . { والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون (١٩) } { مددناها } أوسعنا ساحتها وأطولنا مسافاتها وكأنه تشبيه بمد البساط وفرشه تعبيرا عن سهولة ذلك في قدرته ، أي جعلها عظيمة واسعة كما قال تعالى { وألقينا فيها رواسي } والرواسي هي الجبال الراسيات كأنه تعالى ألقاها في الأرض إلقاء ؛ لأنها متخللة للأرض راسبة أسافلها في الأرض ، وإلقاء الشيء طرحه بلا

إمساك له حتى يقع ، فقوله تعالى { وألقينا فيها رواسي } تمثيل بطرحها مع ثقلها بحيث ترسخ في الأرض ، وقوله تعالى { وأنبتنا فيها من كل شيء موزون } أي أنبتنا في الأرض من كل زوج كريم بمقدار محدود ، فذكر سبحانه دلائل قدرته وعلمه بخلق السماء وبالبروج وتزيينها بالكواكب وبخلق الأرض ومدها وإلقاء الجبال الرواسي فيها وإنبات نباتها الذي هو نعمة للإنسان وغيره وجعله بمقادير محدودة في علمه وحكمته.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٠٣/٢)

وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين (٢٠) (١) وإن من شيء إلا عندنا Yمçm¼ح !#t"yz وما ننزله إلا بقدر معلوم (٢١) (٢)

---

(١) . { وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين (٢٠) } :
{ معايش } ما به تعيشون وتبقون في الحياة حتى تموتوا أو تقتلوا ، وذلك الطعام والشراب واللباس والفراش والمساكن والهواء الذي يحيى فيه الإنسان بالتنفس والأدوية وغير ذلك ، وقوله تعالى { ومن لستم له برازقين } جعلنا لكم في الأرض من لستم له برازقين والأقرب أنهم الحفظة فهم يحفظوننا ولا نرزقهم ، وقد فسر بالخدم من العبيد والأولاد ، ويشكل عليه قوله تعالى { فارزقوهم منه } فالإنفاق عليهم رزق في اللغة ونفيه مجاز .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وإن من شيء إلا عندنا Yمçm¼ح !#t"yz وما ننزله إلا بقدر معلوم (٢١) } :

لما ذكر سبحانه المعايش في الأرض وهي مقدرة يبتلى فيها الإنسان بالسعي وبالإقلال في بعض الحالات بين تعالى أن عنده خزائنها فلم يقدرها لقلتها في خزائنه إنما قدرها لحكمة في التقدير وقد قال تعالى { ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض } فقال تعالى { وإن من شيء } وهذا عام لكل شيء من مخلوقاته تعالى فهو في خزائنه لا ينفد ، والراجح أنه تمثيل وأن المراد أن في قدرته الزيادة على ما خلق بلا حد بدون أي مشقة حتى كأنه موجود ينزله متى شاء ، وقوله تعالى { وما ننزله إلا بقدر

معلوم } أي بتقدير أو مقدار معلوم على ماتقتضيه الحكمة ، وهذا مثل قوله تعالى { ولكن ينزل بقدر مايشاء إنه بعباده خبير بصير } .
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٠٤/٢)

وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين (٢٢) (١)

---

(١) . { وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين (٢٢) } :
{ لواقح } تثير التراب فيبلغ الجو فيصير سحابا يتولد فيه الماء الذي ينزله الله من السماء أي من الجو الذي هو في جهة فوق ، قال في [شرح المعلقات السبع] في شرح قول زهير يحذر من الحرب .

فتعرككم عرك الرحى بثفالها ... وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم

اللقح واللقاح حمل الولد ، ثم قال [الكشاف]: أن تلقح النعجة في السنة مرتين انتهى .
وفي [مفردات الراغب] يقال لقحت الناقة تلقح لقحا ولقاحا وكذلك الشجرة وألقح الفحل الناقة ، والريح السحاب ، قال: { وأرسلنا الرياح لواقح } أي ذوات لقاح وألقح فلان النخل ولقحها انتهى المراد .

وقال في [الصحاح]: ألقح الفحل الناقة ، والريح السحاب ، ورياح لواقح ، ولا يقال ملاقح وهو من النوادر ، وقد قيل: الأصل فيه ملقحة ولكنها لا تلقح إلا وهي في نفسها لاقح كأن الرياح لقحت بخير فإذا أنشأت السحاب وفيها خير وصل ذلك [الخير] إليه ، انتهى .
قلت: هذا تفسير للواقح جيد لا تكلف فيه ، والريح اللاقح بالخير تقابل الريح العقيم وقوله تعالى { لواقح } مطلق يصلح تفسيره بكل ما فيها من الخير أصل المطر ولقاح الشجر أوهما وغيرهما ، وقوله تعالى { فأسقيناكموه } يبين نعمة المطر المهمة فهو عذب يشرب منه الناس وأنعامهم وأشجارهم ومراعيهم ففيه يعيشون من حيث أن شرب الماء ضروري للإنسان ومن حيث أن الماء ينبت الزرع وغيره مما فيه طعام الإنسان الضروري أيضا للإنسان ، وقوله تعالى { وما أنتم له بخازنين } إما معناه أن الله أنزله من خزائنه وما لكم خزائن تنزلوه منها متى شئتم فالنفي متوجه إلى ما قبل إنزال المطر ، وأما ما

أنتم له بخازنين بعد نزوله لأن الله هو الذي يخزنه لكم في بطن الأرض ويخرجه لكم ينابيع من الآبار وغيره ، وهو الذي هيأ لكم آلات خزنه في الخزانات سواء منها ما بني كالسدود أوحفر في الأرض وجعل له مايحفظ فيه الماء من الإسمنت وغيره فهو الذي خلق المواد لحفظ الماء وهي الأصل في حفظه ، والأقرب عندي الوجه الأول لأن النفي في الثاني مجاز ؛ لأنه في اللغة العربية ينسب إلى صاحب الخزان حقيقة إذا جعل الماء فيه ليدخره وهذه الآيات المذكورة قد أفادت دلائل تدل على قدرة الله تعالى وعلمه وفضله على عباده من قوله تعالى { ولقد جعلنا في السماء بروجا } فهي تدل على أن الله تعالى قادر على البعث والنشأة الآخرة وما فيها .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٠٥/٢)

وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون (٢٣) (١) ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين (٢٤) (٢)

---

(١) . { وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون (٢٣) } :

وهذه من دلائل قدرته تعالى على الحياة الآخرة أيضا ، وقوله تعالى { ونحن الوارثون } أي لما خلقنا من السموات والأرض وغيرهما أي أن الناس سيهلكون ويبقى الله مالك العالم كله ، فهو المالك للعالمين المتصرف فيهم كيف شاء لا شريك له.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين (٢٤) } :

}

منكم } خطاب للأحياء فالمستقدمون منهم السابقون ، والمستأخرون التابعون ، والسين تناسب حمله على التقدم الإختياري والتأخر الإختياري كأن المستقدم طلب التقدم والمستأخر طلب التأخر وهو صالح لكل متقدم في أي أمر اختياري ، وكل متأخر في أي أمر اختياري ولكن يناسب السياق المتقدم في العمل الصالح والمتأخر فيه ليشير إلى أنه تعالى لا يضيع عمل متقدم ولا متأخر ؛ ولذلك فهو يحشرهم ويجزي كلا بقدر عمله .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٠٦/٢)

وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم (٢٥) (١) ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون (٢٦) (٢)

---

(١) . { وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم (٢٥) } :

{ هو يحشرهم } وحده لايشاركه شركاء المشركين { إنه حكيم عليم } فمن حكمته أن يحشرهم { ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى } ولعلمه بالمحسن والمسيء وعلمه كيف يعيدهم وعلمه بالحكمة في جزائهم وعلمه بمقادير مايستحقون من الجزاء وغير ذلك ، والضمير في { يحشرهم } للناس كلهم ، وبهذا تم الإحتجاج على قدرته تعالى على البعث وتقرير أنه سيكون ، وبعد هذا قصة خلق آدم ومعصية إبليس ووعيد من اتبعه بجهنم وهي أيضا من دلائل الآخرة ؛ لأن الله تعالى لا يترك إبليس ليغوي الناس وهو لايجازيه ولايجازي من اتبعه ؛ لأنه حكيم فلا بد من الجزاء كما قرره تعالى في آخر القصة .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون (٢٦) } :

{

خلقنا الإنسان } أي بدأنا خلق الإنسان من طين ، فالإنسان في الجملة خلق من طين ؛ لأنه أصله كله والصلصال قال فيه في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: فالصلصال اليابس الذي لم تصبه نار فإذا نقر صل أي صوت وال(حمأ) الطين الأسود المتغير انتهى .

ويدل على صحة ما فسر به الصلصال قول الله تعالى: { خلق الإنسان من صلصال كالفخار } فأصل الإنسان طين قد يبس ، وهذا الطين من حمإ ، والحمأ يكون في أسفل الماء يتغير لطول مكثه في الماء ، ولعل سنه إجالته من جهة إلى جهة كأنه صب من جهة إلى جهة ليصير لازبا متينا صالحا لبناء جسد آدم منه كما يسن الحديد بإمراره على المسن ، أوصبه بإجالته وهو رقيق من جهة إلى جهة .

قال في [شرح الشيخ محمد عبده] على قول الإمام علي عليه السلام في صفة خلق الإنسان: (تربة سنها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت) قال في شرحه : سن الماء: صبه ، والمراد صب

عليها أو سنها هنا بمعنى ملسها كما قال :

ثم خاصرتها إلى القبة الخضراء ... ... تمشي في مرمر مسنون انتهى .

والراجح أن عليا عليه السلام أراد سنها أي التربة أسالها بالماء من بين الحصى ونحوه وذلك أن الماء امتزج بها فسالت معه خالصة من الحصى ونحوه ثم صفا الماء برسوب التراب من بينه في أسفله وصار حمأ وهذا هو المناسب لترتيب الكلام ، فأما تفسيره بالمتغير المنتن فلعله تفسير قوله تعالى { من حماء مسنون } أي تفسير الحمأ المسنون لا المسنون وحده ، فظن بعض المفسرين أنه تفسير المسنون وحده ، وأنا أستبعده ؛ لأن المسنون اسم مفعول ، والمتغير المنتن اسم فاعل فكان مظنة أن يقال متسنن أو متسنة أي متغير بمر السنين تغير ونتن بمرور السنين عليه ، فالحاصل أن الراجح أنه مسنون بمعنى ممتن بسنه وإجالته من جانب إلى جانب كما قال الإمام علي عليه السلام : (ولاطها بالبلة حتى لزبت) وكقوله تعالى { إنا خلقناهم من طين لازب } في لوط الجدار [أي تليوسه] بالإسمنت والله أعلم .

فأما فائدة قوله تعالى { مسنون } فعلى الوجه الأول ظاهر لأنه يصير متينا بإجالته ، وعلى الثاني تعبير عن ضعفه بكونه سائلا لم يكن يستمسك قبل العمل فيه ، وأما على ماروي عن أمير المؤمنين عليه السلام ففائدته بيان أنه طين خالص لا يشوبه حصى ولاغيره ويحتمل أنه كان يجال الحمأ وهو رقيق حتى يصير متينا ثم يصب في مكان نظيف لا يعلق به شيء منه فيجعل صورة إنسان يحفظ مكانه عن أن يسيل بحيث تتغير الصورة فإذا صلب صب الحمأ عليه مرة أخرى حتى صار ذا حجم كامل مجوف ، ثم ترك حتى صار صلصالا قويا يرن رنينا إذا نقر وأعد لنفخ الروح بالتسوية المناسبة ثم نفخ فيه الروح والله أعلم .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٠٧/٢)

والجان خلقناه من قبل من نار السموم (٢٧) (١)

---

(١) . { والجان خلقناه من قبل من نار السموم (٢٧) } :

الجان: مقابل الإنسان اسم للجن إلا أن الفارق أن الجن اسم جمع والجان مفرد كالإنسان ، ولذلك قال { خلقناه } بالإفراد للضمير وقوله تعالى { من قبل } أي من قبل خلق الإنسان ، وقوله تعالى { من نار السموم } هي نار شديدة الحر يكون منها سموم حر شديد في الهواء المجاور لها يدخل في المسام للطافته ، وذكروا أن السموم هو الريح الحارة وهو يفيد حر الهواء الحار أعم من أن يكون ريحا أولا ؛

لأن السبب شدة حر النار بل حر الهواء الساكن أشد من حر الريح ؛ لأن الساكن أطول مجاورة للنار الشديدة الحر ، والنار المذكورة في الآية هي اللهب كما قال تعالى { من مارج من نار } .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه .
وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } ..

(١٤٠٨/٢)

وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون (٢٨) (١) فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (٢٩) (٢)

---

(١) . { وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون (٢٨) } :
أخبر الله تعالى الملائكة بأنه سخلق إنسانا من الأصل المذكور ، قال الراغب في [مفرداته]: وعبر عن الإنسان بالبشر اعتبارا بظهور جلده من الشعر ..إلخ.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (٢٩) } :
{
سويته } جعلته سويا صالحا لنفخ الروح فيه وبقائه حيا ، ولعل معنى ذلك تصوير القلب والدماغ وسائر ما يعيش به كالعروق والدم والعصب { ونفخت فيه من روحي } جعلت فيه الروح ، والتعبير بالنفخ دلالة على سهولة جعله كأنه مجرد نفخ أو أن نفخه بسطه ونشره في جسد آدم بعد بلوغه القلب كما تنفخ النار لتنتشر في الحطب قال انفخوا فيه ، وإضافة الروح إلى الله لشرفه من حيث يحصل به العقل والحواس ، ويحصل فيه العلم والقدرة والإرادة وقدرة الكلام وآلة الكمال ؛ ولأن الله تعالى هو المالك للروح المعطى له وإذا شاء أخذه ، وقوله تعالى { فقعوا } (الفاء) رابطة جواب (إذا) وقوله (قعوا) أمر من الوقوع في المكان بعد الطيران أو السير ، ويقال: وقع إذا سقط فوقع على الأرض ، وللوقوع معنى الحصول في غير هذا السياق ، وقوله تعالى { ساجدين } خاضعين تكريما لآدم عليه السلام من حيث هو آية الله بكمال خلقه وعلمه ؛ ولذلك أنف إبليس نعوذ بالله منه وقال { هذا الذي كرمت علي } وهو غير سجود العبادة لآدم بل هو سجود تكريم لآدم وطاعة لله تعالى ، ومن حيث هو طاعة لله تعالى هو عبادة لله ، وقد مر كلام في السجود ليوسف عليه السلام.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٠٩/٢)

فسجد الملائكة كلهم أجمعون (٣٠) (١) إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين (٣١) (٢)

---

(١) . { فسجد الملائكة كلهم أجمعون (٣٠) } :
أي سجدوا لآدم لعلمهم أن الله حكيم وأن ذلك حق وصواب لأمر الحكيم به.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين (٣١) } :
{ أبى } امتنع بشدة ، قال الراغب: الإباء شدة الإمتناع ، انتهى.
ولشدة امتناعه من السجود امتنع وأنف من أن يكون مع الساجدين ، وذلك كان أهون عليه مما لو كان مأمورا بالسجود فسجد وحده بل كأنه خطأ الملائكة في سجودهم لآدم ولذلك أبى أن يكون معهم سواء تخطئة عقلية يزعمها أو تخطئة نفسية ، فالآية تبين ما في نفسه من الإباء والأنفة من السجود لآدم والرفض له.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤١٠/٢)

قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين (٣٢) (١) قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون (٣٣) (٢)

---

(١) . { قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين (٣٢) } :
{ قال } أي قال الله تعالى { يا إبليس مالك } ما شأنك وما حالك في أن لا تكون مع الساجدين أي ما منعك من أن تكون معهم ، وقوله تعالى { أن لا تكون مع الساجدين } حال ، أي مالك في حال

كونك لست معهم وهو سؤال يستثير كامنه المانع من السجود.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢). { قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون (٣٣) } :

{ لم أكن لأسجد } ليس ذلك يليق بشأني أي أني أكبر من أن أسجد له وأرفع قدرا ، وعلق ذلك على كون آدم بشرا من صلصال من حمإ مسنون ، فنظر إلى أصل آدم وتناسى أنه قد شرف بخلقه ونفخ الروح فيه ، وما صار له من العلم وأنه بذلك قد صار خلقا آخر فقد صرح باستكباره ومعصيته لربه واعتراضه على حكمه.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤١١/٢)

قال فاخرج منها فإنك رجيم (٣٤) (١) وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين (٣٥) (٢)

---

(١). { قال فاخرج منها فإنك رجيم (٣٤) } :

أخرج منها فهي مسجد الملائكة { فما يكون لك أن تتكبر فيها } والراجح أنه كان في السماء فطرد منها { فإنك رجيم } ترجم بالشهب كلما حاولت البقاء أو الرجوع فيها.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢). { وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين (٣٥) } :

اللعنة هنا: الطرد من الرحمة بسلب التوفيق للتوبة كقوله تعالى { وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا } فهو يبقى في كبره وإصراره إلى يوم الدين يوم الجزاء الذي هو يوم حساب ولا عمل ، فلا تقبل فيه توبة ولا تنال رجعة إلى التكليف بالتوبة ولا إنظار للتوبة والعمل ، والحاصل أنه يوم الدين لا يكون إلا للدين الذي هو الجزاء ، ومعنى ذلك أنه يصير في يوم الدين وهو ما زال في معصيته مستحقا لجزائها الأوفى وقد مر بيان أن إبليس قد كان صار من الملائكة وإن كان أصله من الجن وأنه لا تعارض بين ذلك.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون (٣٦) (١) قال فإنك من المنظرين (٣٧) إلى يوم الوقت المعلوم (٣٨) (٢)

---

(١) . { قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون (٣٦) } :
{ فأنظرني } تفريع على اللعنة إلى يوم الدين فيترجح به قول القاسم بن علي العياني عليه السلام إنه طلب الإنظار بمعنى تأخير العذاب عنه إلى يوم الدين .
قال الشرفي في [المصابيح]: قال الإمام القاسم بن علي العياني عليه السلام : وإنما سأل إبليس بالنظرة بالعذاب الذي علم أنه قد استحقه فأنظره الله جل اسمه إلى يوم البعث ولم يكن استنظار اللعين من موت ؛ لأن الجن معمرون خلقهم جميعا ويميتهم إذا شاء جميعا ، انتهى.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قال فإنك من المنظرين (٣٧) إلى يوم الوقت المعلوم (٣٨) } :
}
قال } الله لإبليس { فإنك } تفريع على سؤال لا إجابة له إلى ما طلب بسبب دعائه ولكن تفريع لإخباره بأنه من المنظرين وفي سورة الأعراف { قال إنك من المنظرين } ، وقوله تعالى { إلى يوم الوقت المعلوم } أي أنه يوم مؤجل يكون في وقت معين في علمه تعالى لا يتأخر عنه وليس مؤجلا بدون حد معين ولذلك فأجله تنقصه الأيام والليالي بمرورها كما قال طرفة:

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة ... وما تنقص الأيام والدهر ينفد

وقد قال بعض المفسرين إن المراد بالوقت المعلوم وقت ظهور الحق في الأرض وامتلائها عدلا كما ملئت جورا ، فهو عنده في ذلك الوقت قد انتهى إنظاره وأطاع الناس كلهم ، وهذا عندي بعيد ؛ لأن الظاهر أن اليهودية والنصرانية باقيتان إلى يوم القيامة ، لقول الله تعالى { وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله } وقوله تعالى { فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى

يوم القيامة } وقوله تعالى { وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب } ولا موجب للتأويل لأن الظاهر من العدل العدل بين العباد كما أن الظاهر من الجور الجور بينهم مع أن الظاهر من الضمير في (يملأها عدلا) غير محقق لاحتمال أن المراد بلاد الإسلام أو بلاد العرب أوا لمسكونة في وقت الرسول ولو سلم أنها الأرض كلها فظهور الحق بغلبة أهله وقهر أعدائه وتسليم أهل الكتاب للجزية وحكم الإمام بينهم بما أنزل الله ، والله أعلم.

وعلى هذا فإنظار إبليس إن كان تأخير عذابه فإلي يوم القيامة ، وإن كان تأخير موته فاليوم المعلوم يوم هلاك العالم أول القيامة أو بعده قبل إحياء الموتى ، والله أعلم.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤١٣/٢)

قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين (٣٩) (١)

---

(١) . { قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين (٣٩) } :

{ قال } إبليس يا { رب } بسبب أن { أغويتني } أقسم { لأزينن } في قوله أغويتني احتمال أنه يعني أن الله أغواه لأنه كلفه السجود وهو يعلم أنه لا يسجد فكأنه يقول حملتني على الغواية حين أمرتني بما لا أستطيع لأن نفسي تأباه ولا تطاوعني عليه فهو قريب من المستحيل وكذب عدو الله فهو لو عرف ربه وأذعن لحكمته وأذعن لربوبيته لسهل عليه الأمر ولكنه استكبر واعترض على حكمة الله فغوي هو ، ولو كان أمره بما لا يستطيع لما استطاع الملائكة السجود لآدم ، فقوله { لأزينن لهم } إلى آخره كالوعيد بالإنتقام من آدم وذريته ؛ لأنهم بزعمه كانوا سبب غوايته أو كالوعيد بصرفهم عن عبادة الله التي خلقهم لها وعن شكرهم لنعمة الله الذي يريده الله منهم كأنه يقول: بما أغويتني لأفسدن عليك عبادك

ولأصرفنهم عن عبادتك وشكرك كأن عدو الله يتخيل أنه بذلك يفوت على ربه حاجة فيهم وذلك غاية المحادة لله والعناد الذي يستطيعه ، وهو بذلك يحقق اللعنة عليه ، واحتمال أنه يعني الإغواء بلعنته إلى يوم الدين أو بمجموع ذلك ؛ لأن غوايته استمرت من حين استكبر عن السجود لآدم وعزم على الإباء منه فهي غواية مستمرة دخل في أولها ويبقى فيها إلى يوم الدين ، وقوله { لأزينن لهم في الأرض } الأولى حمله على ظاهره فإن بني آدم يقتتلون تارة على الأرض الحرث ، وتارة على الأرض التي هي مرتع للأنعام ، وتارة على المحاجر التي فيها حطب أو غيره ، وذلك تابع لحبهم للأراضي وهو تابع لتزيين الشيطان لهم ، وقد حملت على الظاهر قول الله تعالى في سورة الأعراف { ولكنه أخلد إلى

الأرض } بل قد قال الله تعالى { زين للناس حب الشهوات .. } إلى قوله { .. والحرث } فظهر أن تفسيره بالظاهر أرجح ، وقوله { ولأغوينهم أجمعين } أي لأغوين آدم وذريته أجمعين.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤١٤/٢)

إلا عبادك منهم المخلصين (٤٠) (١) قال هذا صراط علي مستقيم (٤١) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين (٤٢) (٢)

---

(١) . { إلا عبادك منهم المخلصين (٤٠) } :
استثناهم لأنه يعرف عجزه عن إغوائهم ، والمخلصون هم الصالحون الثابتون في الإيمان والتوكل بدليل قول الله تعالى { إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون } أخلصهم الله بهدايته فذهبت عنهم أسباب المعاصي التي هي العيوب الباطنة كالحسد الشديد والكبر والبخل وسائر العيوب التي يدخل بها الشيطان على الإنسان ، فإبليس يقسم ليغوينهم إلا المخلصين الذين هم عباد الرحمن الذين عبدوا أنفسهم لله وأذعنوا بالعبودية وعلى زعمه لا يكاد ينجو منه إلا المعصومون.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قال هذا صراط علي مستقيم (٤١) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين (٤٢) } :

ظن أن له سلطانا عليهم كلهم إلا المخلصين فرد الله عليه أولا بأن عجزه عن إغواء المخلصين طريق حكم الله بها وكتبها على نفسه ؛ لأنهم بصبرهم وإيمانهم وإحسانهم استحقوا من ربهم الألطاف والتوفيق وزيادة الهدى فلا سبيل عليهم لإبليس ، وثانيا رد الله عليه توهمه أن له سلطانا على سائرهم فقال تعالى { إن عبادي ليس لك عليهم سلطان } أي كلهم المخلصين وغيرهم { إلا من اتبعك من الغاوين } فالناس ثلاثة أقسام ذكر الله له قسمين: قسم المخلصين أفاده بقوله تعالى { إن عبادي } وقسم المتبعين لإبليس من الغاوين فله سلطان عليهم ، وطوى القسم الثالث الذين ليس لإبليس عليهم سلطان ولاهم من المخلصين وهم الذين لم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، وهذا خلاف قول إبليس لأنه جعلهم قسمين المخلصين وغير المخلصين فأقسم ليغوين غير المخلصين وكأنه توهم أن له سلطانا

على غير المخلصين كلهم وهو إن أغوى بعضهم فتابوا ليس له سلطان إلا على المتبعين له الذين لا يتوبون كما قال تعالى { إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ، وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون } فجعل إخوان الشياطين هذا القسم الأخير. كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤١٥/٢)

وإن جهنم لموعدهم أجمعين (٤٣) (١) لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (٤٤) (٢) إن المتقين في جنات وعيون (٤٥) (٣)

---

(١) . { وإن جهنم لموعدهم أجمعين (٤٣) } :

موعد الغاوين المتبعين لإبليس أي المكان الذي وعدهم الله أن يجعلهم فيه ، وقوله { أجمعين } يشير إلى كثرتهم وتنوعهم في اتباع إبليس.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (٤٤) } :

لجهنم { سبعة أبواب } ويجزئ الله أهلها أجزاء { لكل باب منهم جزء مقسوم } بقسمة الله تعالى ويدخله من باب معين له وذلك يشعر باختلاف شدة العذاب في جهنم وأنه تابع لاختلاف الأبواب.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٣) . { إن المتقين في جنات وعيون (٤٥) } :

{

جنات } في الجنة وهي البساتين التي أشجارها تغطي أرضها وعيون ماء يسقي الجنات فهي خضراء أبدا ، ويجتمع جمال الجنات وجمال الماء الجاري تحتها ، ويحتمل عيون ماء وغيره.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤١٦/٢)

ادخلوها بسلام آمنين (٤٦) (١) ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين (٤٧) (٢)

---

(١). { ادخلوها بسلام آمنين (٤٦) } :
{ ادخلوها } كأنه يقال لهم ادخلوها أي الجنات { بسلام } مصحوبين بسلام أي سالمين من كل شر وكل منغص و { آمنين } لكل شر وكل منغص.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢). { ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين (٤٧) } :
نزعنا: حاصل معناه أخرجنا واذهبنا وعبارة النزع تشعر بتمكنه ما في صدورهم حين كانوا في الدنيا من غل ، في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: معناه من عداوة ، انتهى.
وهي الحقد والبغض الشديد الباعث على ضر المبغوض ، وفي [الصحاح]: والغل بالكسر الغش والحقد أيضا ، وقد غل صدره يغل بالكسر غلا إذا كان ذا غش أوضغن وحقد ، انتهى.

قلت: والراجح هوا لمعنى الثاني ؛ لأن المؤمنين لا يغشون أما الحقد فيمكن أن يقع وهو يؤذي صاحبه فصدور أهل الجنة سليمة منه ليستريحوا منه ، وهو يحتمل الحقد على الظلمة أهل النار { إخوانا } متآلفين لا متنافرين ولا متقاطعين ، ولعلها الأخوة في الله { على سرر متقابلين } على سرر متكئين على سرر متقابلين يواجه بعضهم بعضا ، وهذا مرغوب بين المتحابين ليرى بعضهم بعضا .
قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليه السلام يتقابلون الدهر جميعا وإنما هذا عند زيارتهم لإخوانهم ومجالستهم لأصحابهم ، انتهى.
قلت : الراجح أن لهم سررا معدة للتقابل ، فأما التحول عن السرر فلا مانع منه لغرض آخر ويمكن أن لهم سررا للتقابل وسررا لغيره من أغراضهم ، فالآية لا تمنع من ذلك لأن سررا نكرة لا تعم السرر وكذلك يتحولون إذا مشوا أو ركبوا أو نحو ذلك.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤١٧/٢)

لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين (٤٨) (١) * نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم (٤٩) وأن عذابي هو العذاب الأليم (٥٠) (٢)

---

(١) . { لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين (٤٨) } :

{ لا يمسهم فيها } أي في الجنات { نصب } أي تعب من العناء ، وهذا بخلاف جنات الدنيا فأهلها قد يصيبهم تعب من العمل فيها لإثارة الأرض مثلا ؛ لأنهم إذا لم يعملوا فيها فقد تضعف ويقل ثمرها وفي الأخير لا تثمر ، وقوله { لا يمسهم } أبلغ من: لا يصيبهم فهي تنفي أدنى تعب يلحقهم { وما هم منها بمخرجين } أي باقون فيها أبدا وهذا النفي مؤكد بـ(ما) و(الباء) .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { * نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم (٤٩) وأن عذابي هو العذاب الأليم (٥٠) } :

أمر الله رسوله أن ينبئ عباده بهذا النبإ العظيم .

قال الراغب في [تفسير لمفردات القرآن] النبأ: خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبةظن ..إلخ ، فتحصل أن النبأ هو الخبر المهم ، ومنه قول امرئ القيس :

تطاول ليلك بالإثمد ... وبات الخلي ولم ترقد

إلى قوله :

وذلك من نبأ جاءني ... وخبرته عن بني الأسود

وقوله تعالى { عبادي } يعم الجن والإنس ، والمراد أن يبلغهم أن الله تعالى يرحم أولياءه ويقبل التوبة عن عباده ليتوبوا ولا يقنط من قد أسرف في العصيان وأن يبلغهم أن عذاب الله هو العذاب الأليم ليتقوه وليعلموا أن رحمته لا تنافي عذابه ؛ لأن رحمته لها أهل وعذابه له أهل وهم المجرمون الذين ماتوا مصرين.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤١٨/٢)

ونبئهم عن ضيف إبراهيم (٥١) (١) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون (٥٢) (٢)

---

(١) . { ونبئهم عن ضيف إبراهيم (٥١) } :
{ ضيف إبراهيم } أضيافه الذين هم الملائكة الذين قرب لهم العجل الحنيذ.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون (٥٢) } :
هنا اختصر الكلام وقد مر في سورة هود تفصيل القصة ، وأنه أجاب سلامهم ، وأن سبب إنكارهم إليه أنه رأى أيديهم لا تصل إلى العجل فيؤخذ من هذا أن الشيء قد لا يذكر وهو واقع فلا يدل عدم ذكره على عدمه ، وقوله { وجلون } أي خائفون ؛ لأنه لم يكن قد عرف أنهم ملائكة ، وأنكر تركهم للأكل من ضيافته.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤١٩/٢)

قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم (٥٣) (١) قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون (٥٤) (٢)

---

(١) . { قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم (٥٣) } :
{ لا توجل } لا تخف { إنا نبشرك } أي رسل من الله { نبشرك بغلام } يولد لك { عليم } يبلغ درجة العلم وهو غلام وعليم يفيد كثرة علمه ؛ لأن صيغته من المثال .
قال الشرفي في [المصابيح]: إنا نبشرك بغلام عليم عظيم العلم ، انتهى، هو يفيد أن إبراهيم عليه السلام يعيش حتى يبلغ ابنه أن يكون غلاما ، قال الراغب في المفردات الغلام الطار الشارب ، انتهى ، يعني الذي قد نبت شاربه.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون (٥٤) } :
{
أبشرتموني } سؤال عن تبشيرهم له بغلام فهل هذه البشارة على ما هي عليه من تبشيره مع كبره ، أو

هم يبشرونه بالتحول عن هذه الحال التي جرت عادة الإنسان أن لا يلد وقد صار فيها { فبم تبشرون } مع تبشيري بالغلام ، أتبشروني برجوع القوة أم بماذا تبشرونني حتى أصلح لأن يكون لي غلام ، فحاصل سؤاله عليه السلام عن البشرى أهي على حاله هذه مجردة أم يضاف إليها بشارة أخرى تصيره صالحا لأن يكون منه ولد ، ومعنى هذا استبعاد أن يكون له ولد وهو على حالته هذه فأجابوه بدفع الإستبعاد وهو قرينة أنهم أرادوا أنه يكون له ابن وهو على حالته هذه من الضعف بسبب الكبر.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٢٠/٢)

قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين (٥٥) (١) قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون (٥٦) (٢) قال فما خطبكم أيها المرسلون (٥٧) (٣)

---

(١) . { قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين (٥٥) } :
فهو الحق أنه يلد لك وأنت على هذه الحال رحمة من ربك فلا تقنط من رحمته.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون (٥٦) } :
فلا أقنط لأني قد عرفت الله وعلمت أنه على كل شيء قدير ، وأنه الرحيم ولا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون عن طريق الحق.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٣) . { قال فما خطبكم أيها المرسلون (٥٧) } :
{ قال } إبراهيم عليه السلام { فما خطبكم } وما مهمتكم التي أرسلتم بها .

قال الراغب في [تفسيره للمفردات]: والخطب الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب ، انتهى.
قد عرف إبراهيم عليه السلام أنهم جاءوا لمهمة عظيمة لا لمجرد البشرى فسألهم عن ذلك الأمر العظيم ما هو؟

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٢١/٢)

قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٥٨) (١) إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين (٥٩) (٢) إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين (٦٠) (٣)

---

(١) . { قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٥٨) } :
قال الملائكة عليهم السلام { إنا أرسلنا إلى قوم } يفعلون الجرائم لنعذبهم ، أي إلى قوم لوط.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين (٥٩) } آل لوط لوط وأهله.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٣) . { إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين (٦٠) } :
}
قدرنا } قدر الله أي كتب وحكم عليها بالهلاك مع الهالكين والغابرين هنا الماضين ، والإتيان بضميره تعالى في قدرنا مثل قوله تعالى { وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات } ولعل سببه أن كلام الملائكة عليهم السلام عن الله تعالى فناسب أن يأتي الله بالضمير ؛ لأن الحاكي هنا يحكي حكايتهم عنه .
وأما صاحب [الكشاف] فجعل الضمير في قدرنا للملائكة قال: فإن قلت فلم أسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده إلى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله ، قلت: لما لهم من القرب والإختصاص بالله الذي ليس لأحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا أو أمرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وإنما يظهرون بذلك اختصاصهم وأنهم لا يتميزون عنه ، انتهى.
والراجح عندي هو الأول ، وأن الأصل قدر الله إلا أن الله حكاه فناسب أن يقول دبرنا بضميره تعالى ؛ لأن المثال الذي ذكره يبعد تطبيقه على الملائكة عليهم السلام ؛ لأن شأنهم التعبد لله لا رفع أنفسهم إلى درجة الوزراء له تعالى.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

فلما جاء آل لوط المرسلون (٦١) قال إنكم قوم منكرون (٦٢) (١) قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون (٦٣) (٢)

---

(١) . { فلما جاء آل لوط المرسلون (٦١) قال إنكم قوم منكرون (٦٢) } :
{ المرسلون } الملائكة المرسلون لتعذيب قوم ، قال لوط لهم { إنكم قوم منكرون } وكانوا في صورة بشر ، ومعنى { منكرون } ضد المعروفين والإنكار نفار قريب من الوحشة ، ألا ترى إلى قوله تعالى { فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم } وهو قد يتفرع على عدم المعرفة كقوله تعالى { أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون } فجعل انتفاء المعرفة سببا للإنكار ، أما لوط عليه السلام فلعل سبب إنكاره لهم أنه رأى في وجوههم علامة الغضب بسبب أنهم مرسلون لتعذيب قومه وعازمون عليه ؛ ولعلهم أيضا لم يأكلوا عنده كما لم يأكلوا عند إبراهيم عليه السلام.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون (٦٣) } :

فسبب الإنكار أنا أرسلنا لهلاك قومك الذي { كانوا فيه يمترون } أي يشكون وجئناك به لنبشرك به ونعدك له بإخراجك وأهلك من بينهم.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

وأتيناك بالحق وإنا لصادقون (٦٤) (١) فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون (٦٥) (٢)

---

(١) . { وأتيناك بالحق وإنا لصادقون (٦٤) } :
بالحق إما تعذيبهم أي أنه الحق من الله تعالى ؛ لأنه حكم به عليهم وإتيانه به إتيانه مصحوبين به أو إتيانه بخبره { وإنا لصادقون } فيما نقول لك وفي غيره.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون (٦٥) } :

قال في [الصحاح] والقطع [بالكسر] ظلمة آخر الليل ، ومنه قوله تعالى { فاسر بأهلك بقطع من الليل } قال الأخفش: بسواد من الليل ، قال الشاعر :

افتحي الباب وانظري في النجوم ... كم علينا من قطع ليل بهيم

... انتهى.

قلت : الأول هو الراجح فهو قطعة باقية من الليل كما قال تعالى { إلا آل لوط نجيناهم بسحر } .

}

واتبع أدبارهم } أي قدمهم أمامك في سيركم وسر بعدهم قريبا منهم لا تفارقهم { ولا يلتفت } أحد منكم لعله ليسرعوا في السير إن كانوا مشاة .

وقال الشرفي في [المصابيح] عن القاسم بن إبراهيم عليه السلام قال وتأويل { لا يلتفت منكم أحد } لا يعرج منكم أحدكم تلبيثا وسيروا كلكم سيرا حثيثا ، وليس تأويل { لا يلتفت منكم } ما يظن الغمر الميت من الإلتفات في النظر إلى وراء الظهر أو إلى ما على الميامن والمياسر ولكنه استحثاث واستعجال كمايقول الرجل المستحث المعجال إذا أبدر الرجل أحدا وأرسله فاستحثه واستعجله: لا تلتفت إلى شيء ولا تعرج عليه ، انتهى.

وقوله تعالى { وامضوا حيث تؤمرون } أي انفذوا في سيركم واذهبوا حيث تؤمرون فسوف تؤمرون أين تذهبون وإلى أي جهة تتوجهون ؛ لأن الملائكة تدلكم وتأمركم في سيركم.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٢٤/٢)

وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (٦٦) (١) وجاء أهل المدينة يستبشرون (٦٧) (٢)

---

(١) . { وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (٦٦) } :
{ وقضينا إليه } أبلغناه أي أبلغنا لوطا عليه السلام أن قومك هالكون كلهم في الصباح ، فقوله { دابر هؤلاء } كناية عن عموم العذاب لهم كلهم صغيرهم وكبيرهم فلا يبقى لهم دابر أي خالف يخلفهم بل هو مقطوع بإهلاكه و { مصبحين } داخلين في الصباح أي وقت الشروق كما يأتي إن شاء الله.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وجاء أهل المدينة يستبشرون (٦٧) } :
{ أهل المدينة } قوم لوط { يستبشرون } جاء أهل المدينة لوطا يستبشرون بوجود الأضياف عنده وما تمنيهم أنفسهم من غلبتهم لنبيهم على أضيافه وذلك لسكرتهم في سفاهتهم كأنهم قد بلغوا حد الجنون.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٢٥/٢)

قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون (٦٨) واتقوا الله ولا تخزون (٦٩) (١) قالوا أولم ننهك عن العالمين (٧٠) (٢)

---

(١) . { قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون (٦٨) واتقوا الله ولا تخزون (٦٩) } :
كأن هذا عند وصول الملائكة عنده بصورة آدميين قبل معرفته أنهم ملائكة ؛ وذلك ليعظم أجره على ما ينال من الغم بسببهم { فلا تفضحون } لا تفضحوني في إضعافي وارعوا حرمتي { واتقوا } واتقوا عذاب الله فاتركوا الجرائم وتوبوا وآمنوا { ولا تخزون } لا تهينوني بإهانة أضيافي.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { قالوا أولم ننهك عن العالمين (٧٠) } :
{ قالوا } أي قوم لوط لنبيهم { أولم ننهك } أي قد نهيناك سابقا عن ضيافة أي أحد من العالمين فأنت لم تنته وأضفت هؤلاء.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٢٦/٢)

قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين (٧١) (١) لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢) (٢)

---

(١) . { قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين (٧١) } :
{ هؤلاء بناتي } فداء لأضيافي { إن كنتم فاعلين } النكاح لهن ، قال هذا وقد علم أنهم لا يقبلون بناته ليبين لهم إفراطهم في أذيته وشدة اهتمامه بدفعهم عن أضيافه ليرجعوا عن مطالبته بتسليم أضيافه.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢) } :
{ لعمرك } قسم لتأكيد ما بعده لأنه مستبعد أن لا يؤثر فيهم ما قاله نبيهم ، إما لخوف عقوبة عاجلة ، وإما لمروءة ، وإما لرحمة وعطف { إنهم لفي سكرتهم } إهمالهم لعقولهم وإصرارهم على جرائمهم كأنهم سكارى لا يفهمون ما يقال لهم { يعمهون } يترددون لا يتخلصون من حيرتهم .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٢٧/٢)

فأخذتهم الصيحة مشرقين (٧٣) (١) فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (٧٤) (٢)

---

(١) . { فأخذتهم الصيحة مشرقين (٧٣) } :
{ الصيحة } إما صيحة ملك ، وإما بمعنى العذاب المهلك أو الفزع ، أخذتهم: أهلكتهم ، وفي [الصحاح]: والصيحة العذاب وأصله من الأول ، انتهى ، أي من الصوت ، وفي التعبير بالأخذ تحقير لهم ، وقوله تعالى { مشرقين } أي حين طلعت عليهم الشمس .

قال الشرفي في [المصابيح]: مشرقين أي داخلين في الشروق ، وهو بزوغ الشمس ، وفي [مفردات الراغب]: شرقت الشمس شروقا طلعت ، انتهى.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (٧٤) } :
}
فجعلنا } تفريع على الصيحة فيظهر أنها صيحة حقيقية أي صوت شديد رجفت منه أرضهم وتساقطت رؤوس قريتهم في أسافلها { وأمطرنا عليهم حجارة } أرسلناها عليهم كأنها مطر في غزارتها وسرعتها ، وقوله { عليهم } يفيد أنهم خرجوا من البيوت عند الصيحة فأمطر الله عليهم الحجارة ، وقوله { من سجيل } بيان لنوع الحجارة ، ولعل معناه من مسجل بالخطوط كقوله { مسومة عند ربك } .
وفي [مفردات الراغب]: والسجيل: حجر وطين مختلط ، وأصله فيما قيل فارسي معرب ، والسجل: قيل حجر كان يكتب فيه ثم سمي كل ما يكتب فيه سجلا ، قال تعالى {كطي السجل للكتاب } أي كطيه لما كتب فيه حفظا له ، انتهى.
وقوله: حجر وطين صوابه حجر أصله طين كما قال تعالى { حجارة من طين } .
قال الشرفي رحمه الله : واعلم أن هذه الآية تدل على أنه تعالى عذبهم بثلاثة أنواع من العذاب:
أحدها : الصيحة الهائلة المنكرة ، وثانيها : أنه جعل عاليها سافلها ، وثالثها : أنه أمطر عليهم حجارة من سجيل ، انتهى.
وقد ذكرت فيما مضى أن الراجح عدم صحة الرواية في حمل سبع قرى إلى حول السماء وقلبها ؛ لأنه يفوت به وقوع الحجارة عليهم ، والمذكور في القرآن قرية واحدة لا سبع ، ولو كانت سبعا لذكرت لما فيها من العبرة ولما ذكرت واحدة وأخفيت ست.كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٢٨/٢)

إن في ذلك لآيات للمتوسمين (٧٥) (١) وإنها لبسبيل مقيم (٧٦) (٢)

---

(١) . { إن في ذلك لآيات للمتوسمين (٧٥) } :
قال في [الصحاح]: وقد توسمت فيه الخير أي تفرست ، انتهى.
وقال في الفراسة: والفراسة وهو يتفرس أي يتثبت وينظر ، انتهى.

فالتفرس: التعرف بالعلامات بالنظر فيها والتفكير ؛ ولهذا قال تعالى { لآيات للمتوسمين } فالمتوسم يعرف بالآيات ، وليس معنى التوسم علم الغيب بغير استدلال بما يدل على الأمر المغيب أي في إهلاك قوم لوط بما وقع عليهم آيات للناظرين الذين يعرفون بالنظر في الآيات ما تدل عليه ، فقصة قوم لوط تدل على الخالق القادر العالم ، وتدل على أنه لم يهمل عباده بل يرسل إليهم رسلا ، وأنه لم يهمل العصاة بل ينتقم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وإنها لبسبيل مقيم (٧٦) } :

{ وإنها } أي بقايا قرية قوم لوط للاصقة بسبيل أو في سبيل أي بطريق { مقيم } باق مسلوك لم يهجره الناس .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٢٩/٢)

إن في ذلك لآية للمؤمنين (٧٧) (١) وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين (٧٨) (٢)

---

(١) . { إن في ذلك لآية للمؤمنين (٧٧) } :

{ في ذلك } في جعل آثارهم بسبيل مقيم آية من حيث أنها على ممر المسافرين في الليل وفي الصباح تذكر المؤمنين ، وتدل على أن الله يجعل لعباده العبر ليحذروا مثل ما نزل بمن قبلهم ، وأنه تعالى جعلها بالسبيل ليراها الناس ويعتبروا.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين (٧٨) } :

{ أصحاب الأيكة } أرسل الله إليهم شعيبا ، وكأنهم غير مدين أو بعض منهم ساكنون في غير قريتهم ، قال في [الصحاح]: الأيك الشجر الكثير الملتف الواحدة أيكة ، انتهى.

ولعل محلتهم سميت الأيكة ؛ لأنها كانت شجرا كثيرا ملتفا فصارت بلدا لهم وبقي اسمها ، وقوله تعالى { لظالمين } أي بتكذيب الرسل وغيره ، وقصتهم في سورة الشعراء.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٣٠/٢)

فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين (٧٩) (١)

---

(١) . { فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين (٧٩) } :

{ وإنهما } قوم لوط وأصحاب الأيكة أو آثارهما ، قال الشرفي في [المصابيح] وأما الهادي عليه السلام فقال : هما قريتان هلكتا ودمرتا لما طغتا وعصتا فكانتا على طريق قريش في الرحلتين في رحلة الشتاء ورحلة الصيف ، والإمام فهو الطريق الواضح والأعلام التي يستدل بها على مسالكها ومياهها .. إلخ ، ونحو هذا يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والراجح عندي والله أعلم : أن المعنى { وإنهما } أي قوم لوط وأصحاب الأيكة { لبإمام مبين } أي في كتاب مبين لا ينسى منهم أحد ولا يضيع ليبعثوا يوم القيامة ويعذبوا في الآخرة ، وهو كقوله تعالى { وكل شيء أحصيناه في إمام مبين } وقول موسى صلى الله عليه { علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى } ولو كان الإمام هنا الطريق إحداهما في طريق الشتاء والأخرى في طريق الصيف لقيل لبإمامين ، مع أنه قد كفى في قوم لوط قوله تعالى { وإنها لبسبيل مقيم } فإعادة ذكرها مع قرب العهد بعيد فكان يكفي أن يقول وإنهم لبإمام أو وإنها أي الأيكة لبإمام والله أعلم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٣١/٢)

ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين (٨٠) (١) وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين (٨١) (٢)

---

(١) . { ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين (٨٠) } :

{ الحجر } بناء بني بالحجارة مثل حجر إسماعيل عليه السلام ، ولعل أصحاب الحجر بنوه ليحفظ

لهم ماء أو ماشية أو غير ذلك أو كانوا يمرون عليه إذا كان في الوادي ماء يجري .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال في [البرهان] وهو بين الحجاز و الشام على مرحلة من وادي القرى روي أن آثارهم فيه وبيوتهم ، انتهى المراد ، وذكر الشرفي أن الحجر واد كان يسكنه ثمود ، ويناسب هذا قول الله تعالى : { وثمود الذين جابوا الصخر بالواد } .

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين (٨١) } :

{ آتيناهم } أعطيناهم { آياتنا } نعما لأنها بها يهتدون فهي نعم من الله آتاهم ، ومثله قوله تعالى { وآتينا ثمود الناقة مبصرة فكانوا عن آيات الله معرضين } لا يتفكرون فيها ليهتدوا بها.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٣٢/٢)

وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين (٨٢) (١) فأخذتهم الصيحة مصبحين (٨٣) (٢)

---

(١) . { وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين (٨٢) } :

ينحتون الجبال بحيث يجعلون لهم فيها تجاويف واسعة بيوتا يسكنونها ، وقوله { آمنين } أي آمنين في البيوت لقوتها .

قال الشرفي في [المصابيح]: آمنين من تهدمها أو من نقب اللصوص أو من حوادث الدهر أو من عذاب الله يحسبون أنها تحميهم ، انتهى.

قلت : قوله: أو من عذاب الله هو الأقرب ؛ لأن قوم عاد قبلهم دمرتهم الريح فكان ثمود يرون مساكنهم تحميهم من الريح إن جاءتهم كما جاءت عادا.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { فأخذتهم الصيحة مصبحين (٨٣) } :

الراجح أنها صيحة ملك رجفت منها أماكنهم بشدة فائقة فأهلكتهم { مصبحين } داخلين في الصباح.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٣٣/٢)

فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٤) (١) وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل (٨٥) (٢)

---

(١) . { فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٤) } :
فما دفع عنهم وكفاهم العذاب { ما كانوا يكسبون } من أسباب القوة والسلامة كالبيوت في الجبال.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل (٨٥) } :
{ إلا بالحق } بالحكمة والصواب فلذلك أرسلنا الرسل مبشرين ومنذرين ودعاة إلى الله ومبلغين عنه لأمره ونهيه وهداه كله من تعليمهم لعبادته وغيرها فالمكذبون للرسل معارضون لهذا المبدأ الكريم { وإن الساعة لآتية } وفيها جزاء المكذبين الأوفى { فاصفح الصفح الجميل } اعرض عن قومك المكذبين لك الإعراض الجميل.

قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليه السلام : ومعنى الصفح الجميل العفو عن المجرمين عفوا جميلا حسنا ، والصفح هو العفو قال الشاعر :

صفوح عن الإجرام حتى كأنه ... من العفو لم يعرف من الناس مجرما

انتهى.
قلت: الراجح أن الصفح هو الإعراض تكرما إما لعفو وإما لحلم وإما لغير ذلك ، والدليل على تغاير العفو والصفح ، قول الله تعالى { فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره } وقوله تعالى { فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين } ولعله عليه السلام أراد أن الصفح كناية عن العفو كما قال الراغب: الصفح ترك التثريب وهو أبلغ من العفو ، انتهى.

قال في [الكشاف]: فاصفح أعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعراضا جميلا بحلم وإغضاء ، انتهى.
وقال في [الصحاح]: وصفحت عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه ، وقد ضربت عنه صفحا إذا أعرضت عنه وتركته ، انتهى.
والجميل ما ليس معه شكاية.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٣٤/٢)

إن ربك هو الخلاق العليم (٨٦) (١) ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧) (٢)

---

(١) . { إن ربك هو الخلاق العليم (٨٦) } :
فلا يعجز عن الإتيان بالساعة التي فيها إثابة الرسول على تبليغه وصبره وصفحه وعقاب الكفار على تكذيبه وسائر جرائمهم.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .
(٢) . { ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧) } :
{ ولقد آتيناك } برهانا يدل على صدقك ونعمة عظمى { سبعا من المثاني } إما سبع آيات كما روي أنها فاتحة الكتاب ، وإما سبع سور ، والمثاني الذي يثنى ويكرر لحكمة في ذلك وزيادة في البيان وإيقاظ للغافلين مثل ما في سورة الرحمن وسورة المرسلات وغيرهما { والقرآن العظيم } إما كل القرآن وإما الفاتحة أيضا إن صحت الرواية.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٣٥/٢)

لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨) (١)

---

(١) . { لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين (٨٨) } :

{ لا تمدن عينيك } لا تنظر نظر تأمل وتحقق كما هو شأن المعجب بالشيء المستحسن له ؛ لأن النظرة قد تزرع الشهوة ؛ ولأن زهرة الحياة الدنيا حقيرة فشأن الصالحين الإعراض عنها .

قال الشرفي في [المصابيح]: قال الحسين بن القاسم عليه السلام هذا تأديب للناس والمخاطب رسول الله والمعنى سواه ، وإنما هذا نهي من الله للعباد أن يمدوا أعيانهم طول الدهر وأنفسهم إلى متاع الناس وحطامهم ويكثروا و[يـ]شتغلوا بالتمني عن ذكر الله وسؤاله ، ولعل الله لو رزقهم ذلك أن يكون سبب هلاكهم وسلما إلى ذهابهم ، والله أبصر بعباده وبما ينفعهم ، وهو أولى بالخيرة لهم ، وأما قوله { أزواجا منهم } فمعناه أصنافا من الكفار ، والزوج في اللغة الصنف ، والحاصل قوله { ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به } نهي له عن الإلتفات إليهم وأن يحصل لهم في قلبه قدر ووزن ، ثم قال: ولا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا فيقوى بهم الإسلام وينتعش بهم المؤمنون ، انتهى.

وقوله تعالى { متعنا به } تقليل لما عند الكفار من حاجات الدنيا وأغراضها من حيث التنبيه على أنه متاع لا يبقى ، وأنه مع ذلك شاغل عما يبقى من الثواب ، وقوله { أزواجا } يحتمل اعتبارهم أصنافا بكون بعضهم تاجرا وبعضهم صاحب أنعام وبعضهم صاحب حرفة مفيدة له وبعضهم حارث ، فمتاعهم قليل بالنظر إلى نعمة الدين والهدى بالقرآن وغيره وبالنظر إلى أنه فتنة لأهله ، وقوله تعالى { ولا تحزن عليهم } يحتمل النهي عن الحزن بسبب هلاكهم ومصيرهم إلى عذاب الله ، وقوله تعالى { واخفض جناحك للمؤمنين } أي تواضع لهم ولن لهم. كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٣٦/٢)

è%ur@ (خoTخ† &tRr$ مچƒة›¨#$Z9 عüخ٦ك#$J9 ارزب (١) !$ .yJx
&Rr"$uZ9t مn?t' Jدtûü،إoK(ك#$J9 ازةب tûïدtûi%©!$# (#_ qè=yèy
tb#uانچtûü #$9(àإزدم ازتب (٢)

---

(١) . { è%ur@ (خoTخ† &tRr$ مچƒة›¨#$Z9 عüخ٦ك#$J9 ارزب } :

وأنذر الكفار مع إعراضك عما متعوا به ، وقل للناس { إني أنا النذير } بالعذاب الشديد { المبين } البين في إنذاره لتبليغه وتبيينه وإيضاحه بالحجة الدالة على صدقه.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { !$uZ9t$.&Rr"yJx 'n?t مtûüJد،إoK)ك#$J9 ازةب tûïد%©!$#
:{ ازتب إزدمà)9$# tûüنچqè=yèy_ tb#u#)
}

كما أنزلنا } أي أنذركم مثل ما أنزل الله على { المقتسمين } وفسر المقتسمين بأنهم { الذين جعلوا القرآن عضين } فهم من الكفار نزل بهم العذاب العاجل ، ولعلهم الذين قال الله تعالى فيهم { إنا كفيناك المستهزئين } فأنذر الباقون مثل ما نزل بهم وكلهم من الكفار بالقرآن ، فأما سبب تسمية المقتسمين فالله أعلم ، والذي أفهم أنه إذا كان المعنى: أنذركم كما أنزلنا على المقتسمين كما يرشد إليه كون السورة مكية فالذي أفهم أن هذا الإقتسام كان جريمة هي سبب تعجيل العذاب عليهم ، فإما أنهم اقتسموا القرآن فجعل كل منهم لقسمه تكذيبا بدعوى مثلا جعل أحدهم قسمه سحرا ، والآخر شعرا ، والآخر تعلمه من بشر ونحو ذلك مما حكاه الله في القرآن من أقوال الكفار ، وإما أنهم اقتسموا طرق مكة وجعلوا لكل طريق واحدا منهم يقف عليها ويحذر المارة من تصديق محمد أو غير ذلك مما كان معروفا معهودا عند نزول هذه الآية .

وحكى الشرفي في [المصابيح] عن الهادي عليه السلام أنهم الذين اقتسموا بالأزلام وهو قريب إذا كان المقتسمون جعلوا ذلك تكذيبا للرسول وعنادا وصدا عنه مثل أن يكونوا اقتسموا جزورا بالأزلام وتصدق بها الذي غلب في القمار تصدق بها على الفقراء ليدعي أن دينهم خير من دين محمد .

وقوله تعالى { الذين جعلوا القرآن عضين } ففيه تفاسير أقربها عندي وأوفقها للسياق أنهم جعلوه بهتانا أو سحرا ، وأما قول بعضهم إنهم جعلوه أعضاء أي أجناسا مختلفة فجعلوا بعضه سحرا ، وبعضه شعرا ، وبعضه كهانة ، وبعضه أساطير الأولين فهو جيد إن صح أنهم فعلوا ذلك ، فأما قول الكفار تارة سحر أي القرن جملة ، وتارة شعر ونحو ذلك ، فهو كلام مختلف فيه كله وليس تفريقا للقرآن ، بل كلامهم فيه هو المفترق ، والله أعلم.

ومعنى { جعلوا القرآن } ادعوا وقالوا فيه: هو عضون كقوله تعالى { وجعلوا لله شركاء الجن } .كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٣٧/٢)

---

qçR%x. #) ﮬHx$ ازثب &èuHdrدoYs9 tûü،"g¨Yn=tكn/u'uqsù Oڤپخ

ªt`ا ur&rمôعجچ ؟tB÷sèمچ /خy‰ô¹$$sù $yJي÷ (١) ازجب tbqè=yJ÷ètƒ

.ðtûü.خز³ôك#$J9 ازحب (٢)

---

(١) . { ﮬHx$ ازثب &èuHdrدoYs9 tûü،"g¨Yn=tكn/u'uqsù Oڤپخ

#) tbqè=yJ÷ètƒ qçR%x. ازجب } :

{ لنسألنهم أجمعين } لنسألن الناس أجمعين ، أو لنسألن هؤلاء الكفار الذين فيهم السياق لنسألن الماضين منهم المهلكين والباقين لنجزيهم بما عملوا في الدنيا.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { ÷يJy$ sù$$¹ô‰y/خ مچsè÷Bt؟ عجچôمr&ru ا`tª ðtûü.خز³ôك#$J9 ازحب } :

أصل الصدع الشق وهو هنا بمعنى إبلاغ الكفار ما أرسل به وإن شق عليهم وكرهوه امتثالا لأمر الله الذي أمره أن يبلغه ، وكذلك ما يشق عليهم من توحيد الله وإخلاص العبادة له ، فهو مأمور بإخلاص العبادة والدعوة إلى قول لا إله إلا الله ، ومأمور بتبليغ ما أرسل به { وأعرض عن المشركين } فلا تشتغل بجدالهم ولا تجالسهم ولكن بلغهم ما أمرت بتبليغه ثم ذرهم واحتج عليهم بآيات الله ثم اتركهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٣٨/٢)

$R¯خ) y7"x‹oYےx. ڗïدنج"tkإ#$J9 ازخب (١) ڗïi%©!$# †gsèy=qèbt

y"tBى "!$# $·g"9s)خ t ç#uz#yo |q$t،ùs ڗqcكƒtè=ôn J ازدب (٢)

---

(١) . { $R¯خ) y7"x‹oYےx. ڗïدنج"tkإ#$J9 ازخب } :

قال في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام لغريب القرآن: وهم سبعة نفر من قريش: الوليد بن المغيرة ابن خالد المخزومي ، والعاص بن وائل السهمي ، وأبو زمعة الأسود ابن المطلب ، والأسود بن [عبد يغوث] الزهري ، والحارث بن قيس السهمي وهو الحارث بن عيطلة وهي أمه ، وهبار بن الأسود

الأسدي ، وعبد يغوث بن وهب الزهري ، انتهى.

وقيل: هم خمسة أهلكهم الله جميعا قبل يوم بدر لاستهزائهم كل منهم أصيب بمصيبة أهلكته ، ذكر هذا الشرفي في [المصابيح] وتفصيل القصة في حاشية [الكشاف] تخريج أحاديثه.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { sù،t$q| ںyz#uچt (خs9"g·$ #$!" tBےtbqè=yègs† y #$!©%ïژ

: { ازدب Jn=ôètƒ ڭcqژ

فأهلكهم الله لجمعهم بين الشرك والإستهزاء إما بالرسول وإما بما أرسل به أو بعضه وفي إهلاكهم تقوية لرسول الله على الصدع بما أمر به ، وقوله تعالى { فسوف يعلمون } أي حين يرون العذاب يوم القيامة.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٣٩/٢)

---

qà)tƒ٩ةtbq /خtƒ x8â'ô‰|¹ $yJإزڈ،ك &On=÷ètR y7¯Rrق ô‰s)s9ur

#$٩،،"fš‰دiB tûïد`ur z.ن` 'n/uخy7 ٢؟ôJpt‰د sù،m7|خôx (١) ازذب

(٢) ازرب

---

(١) . { /خtƒ x8â'ô‰|¹ $yJإزڈ،ك &On=÷ètR y7¯Rrق ô‰s)s9ur

: { ازذب qà)tƒ٩ةtbq

لأنهم يكذبون بما أنزل الله وبالرسول وباليوم الآخر وذلك منكر عظيم يضيق به صدره أي يضيق بسببه لشدة الغم منه ومن مبالغتهم في التكذيب باستهزائهم.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(٢) . { #$٩،،"fš‰دiB tûïد`ur z.ن` 'n/uخy7 ٢؟ôJpt‰د sù،m7|خôx ازرب

: {

{ فسبح بحمد ربك } إما نزهه وبعده عن كل نقص تنزيها وتبعيدا مصحوبا بحمده ، وإما سبحه بنفس الحمد فحمده تسبيح له ؛ لأنه يدل عليه باللزوم .

قال الشرفي في [المصابيح]: أي قل سبحان الله وبحمده ، انتهى.
{ وكن من الساجدين } أي الذين يكثرون السجود ويتكرر منهم على الدوام ، والسجود يكون في الصلاة ويكون في غيرها كسجود الشكر.

كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٤٠/٢)

---

y7#$ـô‰ç6ô 4/ur y7u®سu' Lym›د؟ù'tƒ عüç)u‹9$# اززب (١) .

---

(١) . { y7#$ـô‰ç6ô 4/ur y7u®سu' Lym›د؟ù'tƒ عüç)u‹9$# اززب } :
{ واعبد ربك } بالصلاة وبكل ما أمرت به فكله عبادة { حتى يأتيك اليقين } في تفسير الإمام زيد عليه السلام: معناه الموت ، انتهى.
فالمعنى اعبد ربك ما دمت حيا ، وربط الأمر بالتسبيح وما بعده بقوله تعالى { ولقد نعلم أنك يضيق صدرك } لأن ذلك من الصبر على ما يقولون ؛ أو لأنه يعين على تحمل مشقة الرسالة كقوله تعالى { واستعينوا بالصبر والصلاة } أو بمعنى قابل ما يقولون بذكر ربك وعبادتك له اشتغالا به عما يقولون وإعراضا عنهم واشتغالا بمهمتك ، والله أعلم.

وبهذا تم تفسير سورة الحجر والحمد لله رب العالمين.
كقوله تعالى { حتى مطلع حتى : حرف غاية وجر ، مطلع : إسم مجرور متعلق بسلام ، الفجر : مضاف إليه . وكقوله تعالى { إنما نطعمكم لوجه الله } .

(١٤٤١/٢)

مصحح كامل
بسم الله الرحمن الرحيم
تفسير سورة النحل
وأكثر مواضيعها يظهر بها أنها مكية وفيها آيات يظهر أنها مدنية وقيل كلها مكية

{ بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون } :
{أتى} قرب حتى كأان قد أتى مثل قد قامت الصلاة و{(أمر الله}) القيامة فهي الأمر العظيم الذي يأتي به الله {(فلا تستعجلوه}) لأنه أمر عظيم قريب ليس لكم فيه إلا الجزاء الأوفى ، وليس فيه مرغب للمجرمين فيستعجلوه من أجله ماذا يستعجل منه المجرمون وهو ءات آت لا محالة {فلا تستعجلوه} تكذيبا كقولكم ({متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) } ، ({سبحانه وتعالى) } تنزيه وارتفع شأنه ({عما يشركون) } فشركاؤهم عاجزون لا يستطيعون موتا ولا حياة ولا نشورا ، أما الله فسبحانه عن أن يقاس بهم ، وتعالى عن أن يقرن بهم ؛ لأنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم فوعده بالقيامة حق وصدق.
{ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون } :
}

(١٤٤٢/٢)

ينزل الملائكة} تشير هذه الآية إلى إثبات الرسالة وعغلى القيامة وإلى التوحيد فقوله تعالى ({ينزل الملائكة) } تثبت رسالة ا لملائكة ينزلهم الله إلى الرسل من الناس ينزل الله إليهم الملائكة فنزلت بالروح بحياة القلوب وحياة ا لدنيا والدين {من أمره} من وحيه بيان للروح كقوله تعالى ({وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا} {على من يشاء من عباده) } فهو الذي يختار للرسالة من الناس من يشاء وكلهم عباده يختار منهم من يشاء {أن أنذروا} تفسير للروح لأنه يتضمن الإنذار {أنه لا إله إلا أنا فاتقون} أي فاتقوني أي اتقوا عذابي فسبحانه وتعالى عما يشركون ، فالله يهدي للحق ويدعو إلى دار السلام ويرسل الرسل وينذر ويجزي كل نفس بما تسعى وشركاؤهم لا يكون منهم شيء ، وقوله تعالى ({أن أنذروا) } أي أعلموا وأخبروا وبلغوا أيها الرسل ، الناس أنه لا إله إلا أنا فاتقون ، وفيه وجوه : إما أنا الإنذار هنا بمعنى الإخبار ، كما قال صاحب [الكشاف] ، وإما أنه إنذار حقيقي ليحذروا الشرك ويعلموا أن الله يعذبهم عليه ولا ينفعهم شركاؤهم بشفاعة ولا غيرها فقوله {أنه لا إله إلا أنا} يبين للمشركين أنهم على خطر ، وإما أنه إنذار مضمن للأخبار ؛ لأنه خبر بأنه لا إله إلا

(١٤٤٣/٢)

الله ليتقوه أي ليتقوا عذابه كما أمر ، ونظيره قوله تعالى ({إنما هو إله واحد فإياي فارهبون) } واتقاؤه بعبادته التي هي طاعته فيما أمر وفيما نهى عنه وإخلاص العبادة له وترك الشرك وذلك المنجي من عذابه فهو إنذار من حيث إفادته أنه يعذبهم إن لم يتقوه .

{ خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون } بالخلق بالحكمة فليس عبثا ولا لعبا كما قال تعالى ({وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ..}الآية) ، وقوله تعالى ({وما خلقنا السماء والأض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا) } ، وقوله تعالى ({عما يشركون) } فشركاؤهم لم تخلق شيئا وهي أضعف من ذلك ، فالله تعالى عنها بجلاله وقدرته وعلمه فالمشركون بها الذين جعلوها أندادا لله تعالى قد ضلوا ضلالا بعيدا.

}

(١٤٤٤/٢)

خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين } {خلق الإنسان من نطفة} وهي آية عظيمة تدل على قدرته وعلمه وعلى أنه قادر على إحيائه بعد الموت ، والإنسان {خصيم} مخاصم مجادل في قدرة الله تعالى على إحيائه بعد الموت وهو نفسه حجة عليه فناسب ذلك الإتيان بـ(إذا) التي للمفاجأة لأنه لا يحتاج في معرفة قدرة الله على إعادته إلا أن يتذكر أنه خلقه من نطفة كما قال تعالى ({أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإغذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم) } فهو خصيم {مبين} بين الخصومة لخالقه فقد نعمة الله عليه بخلقه وكفر نعمة الله عليه بما جعل له من النعم في السماء والأرض.

{ والأنعام خلقها لكم فيها دفء منافع ومنها تأكلون } والأنعام: آية ونعمة آية تدل على قدرته وعلمه ونعمة للإنسان {لكم فيها دفء} ، في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: فالدفء ما استدفئ به من أوبارها ، .انتهى ، .

وليس الدفء خاصا بأصوافها وأوبارها وأشعارها فإن الحليب يحصل به نفع من البرد وكذلك اللحم والمرق ، وقوله تعالى ({ومنافع) } يأتي في السورة هذه تفصيل لبعض منافعها {ومنها تأكلون} فهذه آيات ونعم.

}

(١٤٤٥/٢)

ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون } جمال في الرواح إذا أرجعوها من مراتعها لتبيت فهي جمال لأهلها من حيث هي مال نافع {منافع كثيرة} ومنفعتها في حال الرواح أظهر لتوفر درها وشبعها وريها وجمال في حال السراح حين تبرز ماشية إلى مراتعها.

{ وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم } :
وهذا في الإبل يركبها الناس وتحمل لهم الأثقال من البضائع للتجارة وغيرها ، وقوله تعالى ({لم تكونوا بالغيه) } أي لولا الأنعام تحمل أثقالكم لما كنتم بالغيه بقوتكم إلا بمشقة الأنفس ولم يكن من شأنكم أن تبلغوها إلا بشق الأنفس ، وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: معناه بمشقتها ، .انتهى.
({إن ربكم) } أيها الناس {لرؤوف رحيم} ولذلك يسر لكم ما يحمل أثقالكم فذلك دليل مع كونه نعمة على أنه رؤوف رحيم ومع كونه دليلا على قدرته تعالى وعلمه ، والجمع بين الوصف بالرأفة والرحمة لعله لاختلاف مواقعهما .
قال في [لسان العرب] : والرأفة أخص من الرحمة وأرق ، .انتهى.
والمراد أنه يفعل للناسء ما يفعله الرؤوف الرحيم ، فهو يدل على نعمته على الإنسان بذلك.
}

(١٤٤٦/٢)

والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون } {والخيل} عطف أي وخلق الخيل ، وهي آية عظيمة ونفعها كبير في الجهاد {والبغال} وهي أقوى من الحمير ، فهذه الثلاثة الأنواع خلقها لتركبوها وهي نعمة عظيمة وتكريم للإنسان ، وقوله تعالى ({وزينة) } أي خلقها زينة وهي زينة لمالكها عند ركوبها وهي في حال قوتها وسلامتها من تشويه خلقها بالجوع والإهمال فإنها في حال قوتها ونشاطها جمال لصاحبها ، وقوله تعالى ({ويخلق ما لا تعلمون) } قد كشف بعض المخلوقات التي لم تكن معلومة آلة حديثة تكبر الأشياء الصغيرة فيرى بها مخلوقات لم تكن معلومة ، واكتشف الطب العصري أدوية وماوادا لم تكن معروفة فقدرته تعالى واسعة لخلق ما نعلم وما لا نعلم وعلمه كذلك فكذلك يعيد الإنسان بعد الموت وإأن لم يكن يعلم .
{ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين } {قصد السبيل} في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : معناه بيان الهدى ، .انتهى.

(١٤٤٧/٢)

فالتقدير وعلى الله بيان قصد السبيل أي الطريق المستقيم الذي يوصل إلى السعادة الدائمة ، والقصد استقامة الطريق بحيث يصل السائر فيه إلى المطلوب ولذلك قابله بقوله تعالى ({ومنها جائر} ويحتمل {على الله قصد السبيل} أن عليه إيجاد قصد السبيل أي أان يجعل للإنسان سبيلا يوصله إذا سار فيه

إلى سعادته والفرق دقيق ، وقوله تعالى ({ومنها جائر) } أي ومن السبيل جائر غير قاصد وهي الطرائق التي أحدثها أهل الباطل فما كل طريق قاصدا ، وعلى العاقل أن يعرف القاصد ليختاره لنفسه وينجو من السير في الجائر ، وقوله تعالى ({ولو شاء لهداكم أجمعين) } أي هو قادر على ذلك لكنها اقتضت حكمته أن يمكن الإنسان ليختار لنفسه السبيل القاصد أو الجائر ، هذا فأما تيسير الطرق في الأرض وجبالها فهو يهدي له البر والفاجر ويسلكاه كلاهما ولعل ذلك غير مراد في هذه الآية ويأتي قوله تعالى ({وسبلا لعلكم تهتدون) } .

{ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون } :

(١٤٤٨/٢)

هو المنعم عليكم بإنزال الماء من السماء ولولا إنزاله ما لحقتموه بعد وجوده في السحاب {لكم منه شراب} لأنه عذب يروي معد للشرب والسقي ، ومنه ينبت شجر من منافعه أنكم {تسيمون} أي ترعون إبلكم فيه وينبت منه المرعى للبقر والغنم.

{ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون } :

{ينبت لكم به} أي بالماء المذكور {الزرع} الذي يكون منه الحب الذي هو طعام الإنسان المهم {والزيتون} الذي يثمر فيؤكل من ثمره ويعتصر منه زيت الزيتون الدهن الجيد والإآدام {والنخيل} بأنواعها {والأعناب} بأنواعها كل ذلك نعم من ربكم عليكم ودلائل على قدرته وعلمه {ومن كل الثمرات} المختلفة منها المأكول فاكهة ومنها فوائد أخر فيه كالجلجلان بعنصر يعتصر منه السليط ، ومنها المأكول كالجلجلان والعدس ، ومنها أدوية {إن في ذلك لآيةص لقوم يتفكرون} في آيات الله الدالة عليه وعلى قدرته وعلمه وسعة فضله لعباده الدالة على أن الله ربهم المستحق لأن يعبدوه ولا يشركوا به.

{ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون } :

،

(١٤٤٩/٢)

قال في [الصحاح] كلفه عملا بلا أجرة ، ثم قال: والتسخير التذليل ، .انتهى باختصار .

وفي [مفردات الراغب الأصبهاني] : التسخير سياقة إلى الغرض المختصر قهرا ، .انتهى.

ولعله جمع الحقيقة والمجاز أي هو الذي يأتي لكم بالليل لتسكنوا فيه والنهار لتبغوا من فضله وذللهما لهذا كل يجري في وقته لا يتخلف ويسخر الشمس لمنافع الناس تأتي بقدر ثم تغيب عنهم وعليها حساب السنين الشمسية والقمر عليه حساب الشهور والسنين القمرية {والنجوم مسخرات بأمره} كأنه يأمرها أن تسير على نظامها المحدد وعلى قراءة [رفع النجوم] ومسخرات قد عدل بها عن سياق ما قبلها ولعله للنص على أنها مسخرة مذللة بأمر الله خلاف ما يزعم عباد النجوم ، أما [على النصب] لهما فزيادة مسخرات الدالة على أنها مذللة منقادة لأمر الله ترد على المنجمين والعطف على الليل والنهار وما بعدهما يفيد تسخير النجوم للإنسان ، فكأنه تعالى يقول وسخر لكم النجوم في حال أنها مسخرات بأمره لا تمتنع من تسخيره لها بأمره ؛ لأنه ربها المسخر لها ، وقوله تعالى ({إن في ذلك) } أي المذكور من تسخير الليل والنهار وما بعدهما للناس {لآيات} أي دلائل على أن الله رب العالمين المستحق للعبادة وعلى قدرته وعلمه

(١٤٥٠/٢)

وغير ذلك من صفاته وعلى فضله على الناس وعظم نعمه عليهم .
{ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون } ففيه آية ونعمة ، أما الآية فلأنه يدل على أنه صنع فاعل مختار جعل له ألوانا مختلفة كما يشاء ، ولو كان أثر علة لكان سواء ؛ لأن تأثير العلة تأثير إيجاب ، وأما النعمة فلما في اختلاف الأنواع والألوان من زيادة النعمة ومطابقة الأغراض المختلفة لأن منافع الثمرات تختلف وكل ثمرة تمتاز بلونها ، والتذكر: الإنتباه لما كان قد نسي فهي آية يعرف بها الخالق عند تذكر الإنسان لاختلافها ، وأن الإختلاف أثر فاعل مختار ، ويعرف بها نعمة الله على الإنسان وأن الله ربه لا ما أشرك به المشركون.
{ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون } :
}

(١٤٥١/٢)

سخر البحر} ذلله ليمكن الإنتفاع منه وبه ولو كان شديد التموج والإضطراب لما تهيأ الإنتفاع به فلتسخيره يسبح السمك فيه فيمكن اصطياده ليؤكل {لحما طريا} لذيذا بطراوته لأن الذي تقادم عهده يتغير ريحه ويكره وخصوصا قبل وجود الثلا جاتف التي تحفظ بعض خصائص الطري ، وبتسخير يمكن

الغواصين استخراج أنواع الحلية البحرية وهي المرجان واللؤلؤ .
قال في [الصحاح] والدذرة اللؤلؤة ، فأفاد أنهما شيء واحد ، والصدف كأنه من أخبية الدر والودع ولا أدري إن كان غير ذلك من حلية البحر ، وقوله تعالى ({وترى الفلك) } أي السفائن مواخر فيه أي في البحر وهي آية ونعمة لأن نفعها بتسخير البحر وإرسال الريح الطيبة تسوقها وتشق بها الموج على البحر ، فإن كان المخر هو كما قال صاحاب [الصحاح] مخرت السفينة تمخر وتمخر مخرا ومخورا إذا جرت تشق الماء مع صوت ، ومنه قوله تعالى ({وترى الفلك مواخر فيه) } يعني جواري ، .انتهى ، .

(١٤٥٢/٢)

أو كان معنى مواخر خالية كما في كتاب [الدليل الكبير للإمام القاسم ص٢٦٧ص/٦ خ] وحكاه الشرفي في [المصابيح] عن الحسين بن القاسم عن الإمام القاسم بن إبراهيم ، ولفظ كتاب الدليل الكبير: وحمل سبحانه على ظهورها [أي البحار] مع خلافهة بينها في أمورها الفلك المشحون السائر وردها بعد التفريغ فيه مواخر ليعلم من عجيب تدبيرها وباختلاف الحال في مسيرها إذ تسير شاحنة مالية كما تسير ماخرة خالية وإذ تسير بحاليهما جميعا في أجاج البحار كما تسير بهما في فرات الأنهار إن لها لمسيرا ألا تختلف في قوته الأشياء ، ومدبرا قويا لا تساويه الأقوياء ..إلخ .
وهو كلام مفيد ويقرب له في تفسير المخر قول صاحب [لسان العرب] ومخر البيت يمخره مخرا أخذ خيار متاعه فذهب به ومخر الغرزة و.كذا . الناقة إذا كانت غزيرة فأكثر حلبها وجهدها ذلك وأهزلها ، .انتهى.
وعلى هذا يكون معنى {مواخر} ممخورات كأنه على النسب أي ذوات بمخر ، والراجح الأول هنا وإن كان صحيحا في اللغة ، وذلك لأمرين :
الأول : أن الآية الظاهرة في جري الفلك ؛ ولذلك قال تعالى ({ومن آياته الجواري في البحر كالأعلام) } .

(١٤٥٣/٢)

الثاني : أن ذكر فراغها لا يفيد أنها تجري لأنها مع فراغها قد تقف لانتظار حمولة أو راكبين ولو قال: وترى الفلك تجري مواخر لصح ذلك ؛ ولأن الله تعالى قال {ولتبتغوا من فضله} والإبتغاء من فضله بيجري الفلك في البحر ، وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: وترى الفلك مواخر فيه وهي السفن التي تشق الماء شقا ذاهبة وجائية ، .انتهى.

وقوله تعالى ({ولتبتغوا من فضله) } ابتغاء الحاجة: التوصل إليها وهذا يفيد نعمة تيسير السفر لتحصيل الحاجات وهو يدل على شرعية السفر لغير الثلاثة المساجد ، وأن الحديث في شد الرحال إنما هو في السفر للصلاة في المسجد الذي يسافر إليه فلا تشد الرحال لهذا الغرض إلا إلى الثلاثة المساجد ، وقوله تعالى ({ولعلكم تشكرون) } أي تشكرون هذه النعم فتعبدوا الله وحده ، أو هذه النعم وسائر نعم الله عليكم.

{ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون } :

(٢/١٤٥٤)

وهو الذي {ألقى في الأرض رواسي} الإلقاء: الطرح بقوة ، وفي هذا تمثيل لقدرة الله تعالى أي بيان لعظمها كأنه ألقى الجبال في الأرض وطرحها ، وهو يناسب جعل الجبال راسخة في خلال الأرض ، وقوله {رواسي} أي جبالا رواسي ثابتات في أماكنها ، وقوله ({أن تميد بكم) } أي لئلا تميد بكم .

قال الراغب في [المفردات] : الميد اضطراب الشيء العظيم كاضطراب الأرض ، .انتهى ، .

ولعل ذلك لكون الأرض على الماء وما كان على الماء يضطرب مع حركة الماء ، والله أعلم.

{وأنهارا} ألقى في الأرض أنهاراص مجاري للماء أو ا لمراد الماء الجاري في الأنهار {وسيبلا} طرقا في الأرض {لعلكم تهتدون} في تنقلكم في الأرض بواسطة السبل فتبلغوا ما قصدتم من النواحي وتسلموا التيه والضياع ، وقوله تعالى {وعلامات} أي وألقى في الأرض علامات للمسافرين يهتدون بها ، والعلامات يعرفها من قد سافر فيتخذها علامات لنفسه ويتعريفها غيره بتعريفه .

،

(٢/١٤٥٥)

وقوله تعالى ({وبالنجم هم يهتدون) } فالنجم يتخذونه علامة في الليل يعرفون به الجهة ، والنجم : إما مطلق يصدق بأي نجم ، وإما خاص بالثريا لكثرة الإهتداء بها في الشتاء ؛ لأنهم كانوا يسافرون في الشتاء إلى الحبشة فيركبون البحر الأحمر وفيه يحتاجون العلامات من النجوم ، والثريا تكون أول الليل في جهة اللمشرق فيعرفون بها الجهات .

{ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون } أفمن يخلق: وهو الله الذي خلق ما مر ذكره في السورة وغيره مما هو آية ونعمة وهذا إنكار على المشركين الجاهلين بالله الذين جعلوه كشركائهم وأالحقوه بخرافاتهم ولذلك نزلوه منزلتها وجعلوها أندادا له سبحانه وتعالى {أفلا تذكرون} من غفلتكم عنا لله

فتتفكرون في آياته وتعبدونه وحجده .
{ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم } أي نعم الله كثيرة جدا لا نستطيع إحصاء بعدده ، وهذا يوجب شكره وإخلاص العبادة له {إن الله لغفور رحيم} لأنه ينعم على عباده حتى في حال كفرهم لأنعمه ولا يعاجلهم بالهلاك أو قطع الرزق.
{ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون } فهو الذي يرجى ويخشى ؛ لأنه يسمع الدعاء ويقضي الحاجات ويعلم بكفر من كفر نعمته فهو الذي ينبغي أن يعبد خوفا وطمعا .
}

(١٤٥٦/٢)

والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون } والذين يدعوهم المشركون أي يعبدونهم بالدعاء {لا يخلقون شيئا} فكيف رجوا منهم النفع أو دفع الضرر وليس لهم دليل على أنهم يقدرون على نفع أو دفع {وهم يخلقون} يصنعون تماثيل أو أنصابا ينحتون منها حتى تصير مستوية ، والخلق هنا بمعنى التقدير كقوله تعالى ({وإذ نخلق من الطين كهيئة الطير) } لأن قوله تعالى ({وهم يخلقون) } الفعل فيه يفيد التجدد والتكرار ولو كان المعنى خلق الله لهم لكان التعبير عنه وهم مخلوقون أو، خلقهم الله والتعبير عنهم بعبارة العقلاء لا يدل على ذلك وإنما هو من لغة العرب وليس معناها أنهم يعلمون ؛ ولعل السبب اعتقادهم أنهم يعلمون فجعلوا لها ضمير من يعلم وليس الضمير هذا معبرا عن العلم ولكنه في الأصل ،والله أعلم .
خاص بمن يعلم ثم صار لمن يعلم ولأصنامهم التي لا تعلم.
{ أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون } أموات لأنها جمادات أحجار أو من المعادن أو نحوها {غير أحياء} فهي لا تسمع دعاءهم ولا تعلم ما يصنعون لها {وما يشعرون أيان} أي متى {يبعثون} أي يبعث العابدون لها لأنها لا تعلم شيئا فضلا عن أن تعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله .

(١٤٥٧/٢)

قال الشرفي في [المصابيح] وفيه تهكم بالمشركين.
{ إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون } إلهكم إله واحد كالنتيجة التي أفادها ما سبق من الإحتجاج من قوله تعالى ({خلق الإنسان من نطفة) } وما بعدها من تعداد النعم وذكر الرزق وآيات قدرته فأفاد أن الله رب الناس الخالق لهم الرازق لهم وأنه المستحق لأن يعبدوه ،

فأفاد أنه ألا إله الإله وأن شركاءهم إنما عباد أمثالهم ليس لها فيهم شرك ولا تستحق عبادة ، فتبين أن إلاههم إلههم وإلهنا إله واحد هو الله ربنا ،وقوله تعالى (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة تفريع على قوله ({إلهكم إله واحد) } أي أن قلوبهم منكرة هذا القول وهم مستكبرون من أن يقال هذا القول ، كما قال تعالى ({إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون} والراجح في معنى الإنكار هنا : أنه إما انقباض من هذا الكلام كقوله تعالى ({فلما رأى أيديهم لا تصل إغله نكرهم) } وقوله تعالى ({أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) } ، وقول الشاعر :

وأنكرتني وما كان الذين نكرت ... من الحواث إلا الشيب والصلعا

(١٤٥٨/٢)

وأما {منكرة} تظنه منكرا فتكرهه ، وفي كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة :(أيها المؤمنون إنه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعا إليه فأنكره بقلبه ..إلخ) ،، وسبب جرأتهم على الباطل أنهم {لا يؤمنون بالآخرة} فأعرضوا عن النذير واستكبروا.

{ لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحبد المستكبرين } لا جرم: في تفسير الإمام زيد عليه السلام أي حقاص انتهى ، {إأن الله يعلم} ما يسره المشركون من كراهة الحق وسوء العقائد والنيات وغير ذلك من المنكرات وغيرها {وما يعلنون} من الكفر والشرك وغيره ، وهذا في معنى الوعيد بعقابهم ولذلك علل بقوله تعالى {إنه لا يحب المستكبرين} والمستكبر: المترفع عن الحق لأجل الكبرة الذي في نفسه.

{ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين } أي إذا سئلوا {ماذا أنزل ربكم قالوا} إنما هذا القرآن {أساطير الأولين} أي لم ينزله الله تعالى ، أساطير: جمع أسطرة وإضافتها إلى الأولين لينسبوها إليهم أي سطرها الأولون أي كتبوها .

}

(١٤٥٩/٢)

ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون } {ليحملوا} اللام لام العاقبة فهم لا بد أن يحملوا {أوزارهم} يوم القيامة ، وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : معناه آثامنهم ، .انتهى.

وأصل معنى الوزر الثقل والذنب يشبه به قال تعالى ({وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) } وقوله

({كاملة) } دليل على أنه لا يحمل عنهم بعضها أوي يسقط عنهم بالعفو مثلاص ، وقوله تعالى ({ومن أوزار الذين يضلونهم} يحملها المضلون ؛ لأنهم سببوا لها فكانت من آثارهم وهذا من غير أن ينقص شيء عن المضلين من آثمهم ، وقوله تعالى ({بغير علم) } أي اتبعوا المضلين بغير علم بل تقليدا كما هو شأن الأإتباع ، وقوله تعالى ({ألا ساء ما يزرون) } ألا ألا: حرف تنبيه لما بعدها ، و{ساء ما يزرون} أي ساء ما يحملون من الأثقال ، وفيه إشارة إلى أن الأصل في الحمل أن يحمل لفائدته للحامل مثل حب أو فاكهة أو بضاعة أو أي متاع كما مر في قوله تعالى ({وتحمل أثقالكم) } ولكن هؤلاء الكفار يحملون ثقلا ضارا لهم غير نافع ، فما أسوأ ما يزرون .

}

(١٤٦٠/٢)

قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون } :

{قد مكر الذين من قبلهم} احتالوا في الكيد ضد نبيهم ولعلهم قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام مكروا حين أالقوة في النار ، وقوله ({من قبلهم) } أي من قبل هؤلاء الكفار ، {فأتى الله بنيانهم من القواعد} أي دمره الله {من القواعد} أي قواعد البنيان ، وهي الأسس أي المواثر ، وقوله {فأتى الله} كقوله تعالى ({فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب) } فأتيانه فعله ، وقوله تعالى ({فخر عليهم السقف من فوقهم} أي فسقط فوقهم سقف بنيانهم {وأتاهم ا لعذاب} العاجل {من حيث لا يشعرون} مفاجئا لهم من يحث لا يعلمون لأنهم لم يكونوا يتوقعون سقوطه عليهم .

(١٤٦١/٢)

قال الشرفي في [المصابيح] : قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام : وكان نمرود هذا معاصرا لإبراهيم عليه السلام وهو الذي حاج إبراهيم في ربه تعالى فلما غير الله ما به وفارقه إبراهيم عليه السلام مهاجرا إلى ربه أتى الله عز وجل بنيانهم هذا العظيم من القواعد في يوم غيم ومطر وفي برد ورياح جمعهم بذلك من كل ناحية تدبير الله تعالى إلى ملجأهم هذا الذي اتخذوه من دونه سبحانه عنادا فخر عليهم السقف من فوقهم ، التأكيد لكونهم تحته إذ قد تسقط . في الأم سقط . بنيان القوم فلا يكونون تحته فيقال أانهدم عليهم بنيانهم ولا يقال من فوقهم حتى يكونوا تحته فتأمل ، .انتهى.

{ ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن ا لخزي

اليوم والسوء على الكافرين } :
}

(١٤٦٢/٢)

ثم يوم القيامة} أي بعد عذابهم العاجل {يخزيهم} يهينهم ويفضحهم ويذلهم {ويقول لهم أين شركائي} بزعمكم مالهم لا يدفعون عنكم {الذين كنتم تشاقون} من الشقاق {فيهم} أي من أجلهم فلم يعرفوا لكم مشاقتي فيهم ولم يكافئووكم عليها وهذا توبيخ للمشركين شديد {قال الذين أوتوا العلم} في الدنيا فعلموا بعلمهم واستعدوا ليوم القيامة {إن الخزي} الذلة والهوان والفضيحة {اليوم والسوء} العذاب {على الكافرين} .
قال الشرفي في [المصابيح] : والمراد أنهم يشمتون بهم ؛ لأنهم كانوا يدعو[ن]هم إلى الإيمان فلا يجيبون ، .انتهى.
{ الذين تتوفاهم ا لملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن ا لله عليم بما كنتم تعملون } :
}

(١٤٦٣/٢)

الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم} أي تقبض الملائكة أرواحهم وهم على كفرهم لم يتوبوا فهم ظالمون لأنفسهم بذلك ؛ لأنهم سببوا لعذابهم في الآخرة ، وفي هذا دلالة على أن كفرهم فعلهم واقع منهم لأنهم لو لم يكونوا هم أوقعوه لماكانوا ظالمين لأنفهسم {فألقوا السلم} أي استسلموا وانقادوا لهم وذلوا قالوا {ما كنا نعمل من سوء} لم يجدوا ملجأ إلا جحد ما عملوا ، وهذا عند التوفي كقول الآخرين لما قالت لهم الملائكة فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض {بلى} رد لكلامهم أي بل عملتم سوءا {إن الله عليم بما كنتم تعملون} فلا يفيدكم جحده .
}

(١٤٦٤/٢)

فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين } قالت لهم الملائكة {فادخلوا أبواب جهنم} طويت مدة مابين موتهم وبعثهم كأنها لم تكن وكأن كلامهم لهم في الآخرة متصل بكلامهم لهم عند الموت وذلك لقصر المدة حيث لم يعلموا بعد موتهم بمرور السنين فلذلك وصل به في السياق ، ولعل ذكر أبواب جهنم لإفادة كثرة أهلها أو اختلاف عذابهم في شدته على قدر اختلاف سببه {فلبئس مثوى} أي مستقر {المستكبرين} الذين ترفعوا في الدنيا عن عبادة ربهم وطاعة رسله ، ولعل التصريح بالخلود لئلا يتوهموا أنهم يموتون حين يلقون في النار كما هو شأن من يلقى فيها في الدنيا عن عبادة ربهم وطاعة رسله ولعل التصريح بالخلود لئلا يتوهموا أنهم يموتون حين يلقون في النار كما هو أن من يلقى فيها في الدنيا .

{ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين } :

}

(١٤٦٥/٢)

اتقوا} آمنوا وأطاعوا ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون سئلوا {ماذا أنزل ربكم قالوا} أنزل {خيرا} وفسروا الخير بقولهم: للذين أحسنوا آمنوا واتقوا لهم في هذه الدنيا حسنة مكا وعد الله تعالى في قوله {فلنحيينه حياة طيبة} فحياتهم طيبة في العاجل {ولدار الآخرة} وهي الجنة {خير للذين اتقوا} لأنها مأواهم {ولنعم دار المتقين} مدح لها ، ثم فسر الدار المذكورة بقوله تعالى :

{ جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين } فالدار المذكورة تشتمل على {جنات} بساتين عدن مستقر وأا من {تجري من تحتها} من تحتها من تحت أشجارها الأنهار فهي كما قال تعالى ({أكلها دائم وظلها}) {لهم فيها ما يشاؤون} ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ولما كان الوعد المذكور للذين آمنوا بروسول الله محمد /

صلى الله عليه وآله وسلم وبالقرآن قال تعالى ({كذلك يجزي الله المتقين) } كلهم في كل عصر من الأولين والآخرين .

}

(١٤٦٦/٢)

الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون } {الذين تتوفاهم الملائكة طيبين} لأنهم ثبتوا على الإيمان والتقوى حتى ختم لهم بذلك يقولون أي الملائكة لهم عند قبض أرواحهم {سلام عليكم} تبشير لهم برضوان الله تعالى ورحمته {ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون} يقولون في الآخرة ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وكأنه كلام واحد لقرب المدة لأن مابين موتهم وبعثهم كلا مدة.

{ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفهسم يظلمون } :

}

(١٤٦٧/٢)

هل ينظرون} هل ينتظر الكفار المذكورون في قوله تعالى ({قالوا أساطير الأولين) } أي لا ينتظرون بإيمانهم إلا أن تأتيهم الملائكة فتخبرهم بصدق الرسول وأن القرآن من الله {أو يأتي أمر ربك} وهو العذاب ليؤمنوا حين يرونه {كذلك فعل الذين من قبلهم} أي الكفار من الأمم الماضين الذين عذبهم الله بكفرهم ولم ينفعهم إيمانهم حين رأوا عذاب الله {وما ظلمهم الله} بتعذيبه لهم {ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} لأنهم هم الذين سببوا لأنفسهم العذاب بكفرهم وجرائمهم فاستحقوا العذاب فلم يكن ظلما ، بل كانوا هم الذين كانوا يظلمون أنفهسم بفعل ما يستحقون به العذاب ، وهذه الآية من أوضح الدلائل على بطلان قول المجبرة كما قدمت في تفسير مثلها من سورة التوبة.

}

(١٤٦٨/٢)

فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون } {فأصابهم} أي الكفار من الماضين {سيئات ما عملوا} الإضافة في قوله تعالى {سيئات ما عملوا} إما بمعنى السيئات أي العقوبات التي ساءتهم التي سبب لها ما عملوا من الكفر وغيره ، وإما على معنى السيئات مما عملوا أي أصابتهم جرائمهم نسب العذاب إغليها وجعلت موقعة له بهم لأنها سببهه ، وقوله تعالى ({وحاق بهم)} أي وقع بهم وأحاط بهم بحيث لم يجدوا سبيلا للفرار منه والمراد غلبهم وقهرهم {ما كانوا به يستهزئون} أي الحق الذي كانوا يسخرون منه في الدنيا عذبوا اقتصاصا وإنصافا من أجله فكأنه هو أصابهم بالعذاب أو حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون حين يكذبون به والإستهزاء بالحق الذي جاءهم في الدنيا

أظهر ولا أذكر أو أعلم أنهم كانوا يستهزئون بالعذاب نفسه فينظر إن شاء الله .

{ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين } :

}

(١٤٦٩/٢)

وقال الذين أشركوا} احتجاجا على أن الله رضي منهم بالشرك قالوا {لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء} لأنه قادر على أن يمنعنا ولو قسرا حتى لا نشرك نحن ولا آباؤنا فلما تركنا على الشرك دل ذلك على أنه لا يكرهه ومثل الشرك تحزيم تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي فقالوا لو شاء الله ما {حرمنا من دونه من شيءئ} لأنه لو شاء ما تركنا نحرم ذلك ولكان يمنعنا ويمنع آباءنا من الشرك والتحريم من دونه ؛ لأنه يعلم ما نفعل .

والجواب : أن هذا الإحتجاج مبني على الكفر ؛ لأنه مبني علىدعوى أن الله لم يمنعكم وقد منعكم بما بلغته الرسل ولكنكم كفرتم بهم وليس على الرسل أن يمنعوكم بالقسر وهم لا يستطيعون ما عليهم إلا أن يبلغوكم عن ا لله آياته ونهيه عن الشرك وتحريم ما أحل الله .

{ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين } :

(١٤٧٠/٢)

فقد نهى الله عن الشرك وعن اتباع الطاغوت فبطل قول المشركين {لو شاء الله ما أشركنا} لأنه قد بين بالرسل وما أرسلهم أنه لا يرضى ذلك {أن اعبدوا الله} أي يقول كل رسول عن الله اعبدوا الله {واجتنبوا الطاغوت} والطاغوت كل داعي ضلالة وطغيان من شياطين الجن والإنس واجتنابه أن لا يقرب ولا يسمع كلامه ولا يتبع .

قال الشرفي في [المصابيح] : روي عن القاسم بن إبراهيم عليه السلام أنه قال الطاغوت: كل ما أطغى وأضل عن الحق ، .انتهى.

فلو أجتنبوا الطاغوت ما أشركوا ولا حرموا من دون الله من شيء فما بقي حجة للمشركين ولا لآبائهم ، وقوله تعالى ({ومنهم من حقت عليه الضلالة) } حق عليه الخذلان لتمرده وجداله في آيات الله فحق

عليه أن يخذل حتى يضل.
}

(١٤٧١/٢)

إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين } {إن تحرص} يا رسول الله على أن يهتدوا وتشتد رغبتك في ذلك {فإن الله لا يهدي من يضل} لأن الله لا يضل إلا من هو مستحق بفسقه فإذا أضله الله بخذلانه تسلطت عليه الشياطين وفي قلبه قابلية للضلال واستعداد فلم يبق عنده استعداد للهدى بالأسباب العادية فلا يستطيع الرسول / صلى الله عليه وآله وسلم أن يهديه ، وبهذا تبين أن من يضلل الله فلا هادي له هذا على قراءة يهدي [بضم الياء وفتح الدال] ، أما على قراءة يهدي [بفتح الياء وكسر الدال] فالمعنى أن الله قد أضلهم فهداهم في حال إضلالهم خلاف الحكمة ؛ لأنه تناقض ، وكذلك هداهم وقد أضلهم الله برفع الضلال وجعل الهدى مكانه لا يصح ؛ لأن الله إنما أضلهم لأن ذلك مقتضى الحكمة فلا يهديهم ما داموا تحق عليهم الضلالة وليس من الحكمة هداهم ، وقوله تعالى ({ومالهم من ناصرين) } يهدونهم بالقوة أو ينقذونهم من عقاب ضلالهم .

قال الشرفي في [المصابيح] : ومالهم من ناصرين دال على أن المراد بالإضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة ، .انتهى.
}

(١٤٧٢/٢)

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون } {أقسموا} حلف الكفار أيمانا {جهد أيمانهم} بالغوا في أيمانهم وتغليظها بقدر طاقتهم ليضلوا من يصدقهم أو ليبطلوا بذلك خبر الله بذلك لجهلهم فقال تعالى ({بلى) } وهذا إبطال لنفيهم أي بلى إأن الله {يبعث من يموت} وعد بذلك {وعدا عليه} أن يفي به وعدا {حقا} صدقا لا يتخلف وصوابا {ولكن أكثر الناس لا يعلمون} وعده الحق أو لا يعلمون أنه يبعث من يموت ولا يبطل الحق جهل الجاهلين به.

{ ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين } {ليبين} أي يبعثهم ليبين لهم في الآخرة {الذي يختلفون فيه} أي الحق بأن يبينه وينصر أهله فيبين بذلك الحق أنه الحق ، ويبين لهم به

خبر الحق وفضله على الباطل {وليعلم الذين كفروا} حين تكشف الحقائق ({أنهم كانوا كاذبين) }
كاذبين في حلفهم لا يبعث الله من يموت ، وكاذبين في تكذيب الرسل ، وكاذبين في نفي إنزال الله
الآيات ، وكاذبين في غير ذلك فيعلموا أنهم كانوا مستمرين على الكذب.
}

(١٤٧٣/٢)

إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون } فبعث من يموت سهل ليس فيه أي صعوبة على الله
سبحانه إنما هو كأمره أن يكون فإذا قال له {كن} فعند ذلك يكون ، والله أعلم .
{ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لوكانوا يعلمون }
{هاجروا في الله} أي من أجل الله لطاعته ونصرة دينه {من بعدما ظلموا} في بلاد الكفر .
قال الشرفي في [المصابيح] : قال في البرهان وهذه الآية نزلت في المهاجرين الذين عذبوا بمكة منهم
عمار بن ياسر رضي الله عنه وصهيب وخباب بن الأرت وبلال وسمية أم عمار ..إلخ .

(١٤٧٤/٢)

قلت : الأولى أن لا تعد سمية لأنه ذكر أنه قتلها أبو جهل فلا تعد في المهاجرين وإن كانت من
المعذبين في الله وقد ذكر أنها أول شهيد استشهد في الإسلام ، وقوله تعالى ({لنبوائهم في الدنيا
حسنة) } لنجعلن لهم في الدنيا مباءة خسفه أو تبوءه حسنة وهي إما مسكنهم الذي يهاجرون إليه
يجعله الله حسنا لهم ، وإما حالتهم بعد الهجرة يجعلها حالة حسنة بعزة الإيمان والنصر على أعداء الله
والرزق {ولأجر} الأجر {الآخرة أكبر} من المباءة الحسنة أو ا لتبوأة الحسنة ؛ لأنه نعيم الجنة وملكها
الدائم ، وقوله تعالى ({لو كانوا يعلمون) } الضمير إما للذين ظلموهم فيكون المعنى لعلموا أنهم سببوا
لهم السعادة الدائمة أو الضمير للذين هاجروا أي لو كانوا يعلمون أجر الآخرة على التفصيل لهان عليهم
ما وقع عليهم من الظلم ومن مشقة الهجرة.
}

(١٤٧٥/٢)

الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون } {صبروا} على التعذيب والظلم بأن ثبتوا على الإسلام ، وصبروا على مشقة الثبات على الإسلام وعلى مشقة الهجرة {وعلى ربهم يتوكلون} فيها جرون لا يمنعهم خوف الجوع ، ويثبتون على الدين لا يمنعهم خوف غلبة الكفار لأنهم على ربهم يتوكلون ، فقد وكلوا أمورهم إليه ورضوا لأنفسهم في طاعة الله بما كتب لهم من فقر أو غنى أو أمن أو خوف أو حياة أو قتل .
{ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون } فإرسال الرجال إلى الناس سنة الله في الذين خلوا فمطالبة هؤلاء الكفار بإرسال الملائكة واستبعادهمة لإرسال رجل منهم إنما هو جهل منهم {فاسألوا أهل} العلم القراء للذكر عن هذا هل كانت الرسل رجالا أو ملائكة فهي من أوضح وأظهر ما ينقل من التاريخ يعرفه الكفار من القراء ومن قد أسلم ، وسؤالهم للكفار في هذا الذين يجيبون فيه بالحق وهو إقرار منهم بالصدق مع كفرهم بمحمد / صلى الله عليه وآله وسلم لا مانع منه ، وليس المراد بسؤالهم في غير هذا ، فأما تفسير أهل {الذكر} بآل محمد / صلى الله عليه وآله وسلم فهو من التطبيق لا أنه المفهوم بل بطريق القياس .

(١٤٧٦/٢)

قال الشرفي في [المصابيح] : قال في البرهان : وهذا خطاب لمشركي قريش أنه ما بعث رسولا إلا من رجال الأمة وأنمه ما بعث إليهم ملكا ، .انتهى.
{ بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون } {بالبينات} أي ما أرسلنا إلا رجالا بالبينات {والزبر} أي الكتب فالبينات الآيات الواضحات في دلالتها على صدقهم وعلى ما جعلها الله بينات له والزبر يحفظ ما أراد الله حفظه بها من العلم والدين والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه {وأنزلنا إليك الذكر} القرآن الدال على أنك رسول من الله {لتبين للناس} لتبلغهم بلاغا بينا {ما نزل إليهم} من القرآن وسائر الوحي {ولعلهم يتفكرون} إذا سمعوا آيات الله فيعلموا أنه الحق من ا لله فيؤمنوا .
}

(١٤٧٧/٢)

أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون }
{أفأمن} سؤال توبيخ للذين مكروا ضد الرسول / صلى الله عليه وآله وسلم وضد الذكر الذي أنزله الله إليه أي ءأنزلناه إليك فأمن {الذين مكروا} المنكرات {السيئات} كإقسامهم بالله جهد أيمانهم لا يبعث

الله من يموت احتجاجا بذلك على كذب الرسول في دعوى الرسالة ، وكقولهم: {هل ندلكم على رجل ينبؤكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد افترى على الله كذبا أم به جنة} وكمكرهم في دار ا لندوة المذكور في قول الله تعالى ({وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك أفأمنوا)} بعد وضوح الحق بهذا القرآن الذي هو معجزة كبرى ({أن يخسف الله بهم الأرض) } عقابا عاجلا ({أويأتيهم} من الله) العذاب ({من حيث لا يشعرون) } من حيث لا يعلمون بإتيانه كما أتاهم يوم بدر وهم كثير وا فروا العدة من الخيل والسلاح والمؤمنون قليل في عددهم مع قلة عدتهم من الخيل والسلاح فنصر الله رسوله وهزمنهم وقتل بعضا وأسر بعضا ورد الله الذين كفروا بغيظهم وقمع كبرهم وخيبة أملهم وأذلهم بعد أن كانوا يظنون أنه لا غالب لهم من لاناس الناس فكان ذلك عذابا من حيث لا يشعرون .

}

(١٤٧٨/٢)

أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو ي أخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم } :

{أو يأخذهم} أو أمنوا أن يأخذهم {في تقلبهم} في البلاد في بعض أسفارهم {فما هم بمعجزين} لله أن يأخذهم في أي حال من أحوالهم شاء فهو على كل شيء قدير لا يعجز سبحانه عن شيء {أو} أن يأخذهم على {تخوف} وحذر من أخذه ؛ لأن الله غالب على أمره لا يدفعه حذرهم إذا أتاهم عذابه {فإن ربكم لرؤوف رحيم} حيث أمهلكم وأنتم تمكرون برسوله وكتابه ولم يعاجلكم بالعذاب فورا حين مكرتم وقد ارتكبتم منكرا عظيما تستحقون به العذاب العاجل والآجل .

}

(١٤٧٩/٢)

أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون } {أو لم يروا} أمكروا السيئات ولم يروا ما يدلهم على قدرة الله وقهره لما خلق بل رأوا ذلك ولكنهم معرضون عن آيات الله وعن التفكر فيها فما أجهلهم لأنهم قد وقعوا في الخطر وهم في سكرتهم يعمهون ، وقد ضمن يروا معنى ينظروا فعدي ب(إغلى) أي ينظروا إلى ذلك في حال أن تلك المخلوقات ساجدة لله داخرة صاغرة ذليلة تحت قهره تعالى وسلطانه وملكوته ، وقوله تعالى ({يتفيؤوا ظلاله} التفيؤ: التردد من فاء إذا رجع لأن الظل يأتي ويذهب ثم يرجع في اليوم الثاني حيث كان في اليوم الأول ، أو حيث

كان وحوله فهو يرجع ويتكرر منه الرجوع ، وقوله تعالى {عن ا ليمين والشمائل} تذكير بالظل الذي يكون أول اليوم والذي يكون في آخر اليوم ، وظلاله: جمع ظل ، والشمائل: جمع شمال ، وإفراد اليمين مناسب لإفراد كلمة ما خلق الله من شيء ، وكذا إفراد الضمير في ظلاله ، وأما جمع الشمائل فعلى المعنى لتعدد الظلال ، ولعل فائدة الإأفراد أن كل فرد آية كاملة ، وفائدة الجمع التذكير بتعدد الآيات ، و{سجدا} أي خاضعات حال من شيء لتخصصه بالوصف بجملة يتفيؤوا ما بعده ، ولعل ذكر الظلال لإفادة

(١٤٨٠/٢)

أنها تضربه الشمس أول اليوم وآخره لإصلاح الأرض والشجر والجبال والحيوان تضربه الشمس عن يمينه وشماله وهذا بالنسبة للأقطار التي يكون فيه الظلال فهو يتصرف فيها وهي خاضعة لتصرفه ، وقوله تعالى ({وهم داخرون) } أي أذلاء صاغرون ، والجمع بالواو مناسب لنسبة السجود إليهم لله .

{ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون } {ولله} وحده خضعت كل دابة وذلك لأنه يتصرف فيها كيف يشاء لا اقتنع تمتنع من تصرفه فيها كتصرفه بالمرض بعد العصحة والهرم بعد الشباب والحياة بعد الموت وهذا السجود غير خاص بالدواب إلا أن الجماد قد أفادته الآية الماضية ، وقوله {(ما في السموات) } لعله عبارة عن النيرات فهي خاضعة لتسخير الله لها وتصرفه فيها ، وقوله ({والملائكة)} أي يسجدون لله وخضوعهم لله بعبادتهم لله ربهم بوباستسلامهم لصنعه فيهم وتصريفه لأحوالهم {وهم لا يستكبرون} عن عبادة الله كما قال تعالى ({لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) } ، وفيه تعريض بالمستكبرين من الناس واحتجاج على الذين يعبدونهم .

}

(١٤٨١/٢)

يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون } {من فوقهم} متعلق بيخافون فمصدر خوفهم أنه من فوقهم بالقهر ونظيره قوله تعالى ({وهم من خشيته مشفقون) } في إثبات الخشية وهي خشية منه أن يعصوه أي خوف من عذابه لأجل خوفهم من أن يعصوه كقول رسول الله / صلى الله عليه وآله وسلم :((إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم)) ولعل خوفهم من الله هو سبب عصمتهم من الذنوب ، فلا يقال: كيف يخافون وهم معصومون؟ وذلك لأن العصمة ليست جخبرا إنما هي تيسير أسباب

التقوى ، والخوف من أعظم أسبابها ، فأما إسناد خوفهم إلى ربهم فلأنهم يذكرونه كما قال تعالى ({الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) } وذكرهم لعزته وحكمته وقهره فوق عباده يسبب خوفهم من عقابه أن يقع عليهم لو عصوه فهو خوف من ربهم ؛ لأنه يعذب فخوفهم من ربهم يبعثهم على اجتناب ما نهي عنه واجتناب دعوى ما ليس لهم بحق كدعوى الإلهية التي يدعيها بعض المشركين {ويفعلون ما يؤمرون} وهذا يعم مثل ما أمر به ملك الموت من قبض الأرواح وما يؤمر به خزنة جهنم من تعذيب أهل النار وغير ذلك ولعله زيد قوله تعالى ({ويفعلون ما يؤمرون) } للتنبيه للمشركين على ذلك أو للتصريح بطاعتهم لله في الأمر كما يطيعونه في النهي لأن ذكر الخوف

(١٤٨٢/٢)

في الدلالة على اجتناب المنهي أوضح والله أعلم.

{ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون } {وقال} عطف ولعله عطف على قوله تعالى {وقال الذين أشركوا} وإن طكال الكلام لأنه طال في الرد عليهم والإفحتجاج على بطلان الشرك ونحو ذلك {إلهين اثنين} تحقيق للنهي عن التثنية ولا يتضمن النهي عن إثبات إله واحد ؛ لأن الحكم على المثنى قد يتضمن تشريك الواحجد في الحكم من حيث أنه بعض المثنى كما إذا قلت : أطعم الزيدين فإنه يتضمن الأمر بإطعام زيد بحيث لو وجد أحدهما دون الآخر لزمه إطعامه بدلالة التضمن ، فقوله {اثنين} يدفع توهم ا لنهي عن إثبات إلهين أو إله واحد ، وعلى أقل تقدير أن يكون التعبير حسنا من حيث وضوح المراد به كما لو قال تعالى :لا تأشركوا ، ولعل ذكر الأثنين لزجر من اتخذ النور والظلمة ، ومن اتخذ يزدان وأهر من ، ومن اتخذ مع الله إلها واحدا ، وبالأولى من اتخذ أكثر من اثنين لأنه قد تضمن الإثنين وزاد {إنما هو إله واحد} إنما الإله إله واحد ، أو الضمير منهم يفسره إله واحد مثل {فسواهن سبع سموات} فإياي التفات يبين أن المراد بالإله الواحد الله تعالى {فإياي فارهبون} أي فارهبوني وحدي ، وفيه دلالة على وجوب عبادته

(١٤٨٣/٢)

من حيث تقدير أنه الإله تعالى ، وذكر الرهبة إما لأن عبادته عبادة رهبة من عذابه أي أن الرهبة تبعث على عبادته طلبا للنجاة من عذابه ، والحصر لأن غيره من شركائهم لا يضر ولا ينفع ولذلك فلا يرهب

.

فالحاصل أن المعنى الأمر بإخلاص العبادة له ، ويحتمل فإياي فارهبون فاتركوا الشرك حذرا من عذابي

تفريع على إبطال الشرك ، ويمكن حمل الجملة على المعنيين ؛ لأنه لا تنافي بينهما والتفريع صحيح لكل منهما والرهبة معناها الخوف أو خوف مخصوص .

قال الراغب : الرهبة والرهب مخافة مع تحرز واضطراب ، .انتهى.

ولعله يعني بالإضطراب القلق وفي الآية دلالة على أنه لا يجوز الخوف ممن يعتقد فيه أنه يضر من دون الله بما لا يقدر عليه إلا الله ، وأن الواجب دفعه بالإيمان .

}

(١٤٨٤/٢)

وله ما في السموات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون } {وله} أي لله ما في السموات فالملائكة عباده والأرض ، فنكل من يعبدهم المشركون من دون الله هم عباد لله وهو ربهم ، فالمشركون عبدوا من دون الله عبادا أمثالهم في العبودية ليس لهم شيء من الربوبية {وله} أي ولله {الدين} العبادة فهو الذي يستحقها قال تعالى ({وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) } وهو ا لذي تنفع العابد عبادته بخلاف شركاء المشركين فلا تنفع عبادتهم بل تضر مع أنها باطل لا حق لهم فيها .

{وله الدين واصبا} .

في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : يعني دائما ، .انتهى.

وفي [مفردات الراغب الأصبهاني] : ومعنى الواصب الدائم أي حق الإنسان أن يطيعه دائما في جميع أحواله كما وصف به الملائكة حيث قال ({لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) } ، .انتهى.

قال الشرفي في [المصابيح] : قال في البرهان: والدين الطاعة والإخلاص ، واصبا أي واجبا خالصا يدوم ولا يزول ، .انتهى.

}

(١٤٨٥/٢)

أفغير الله تتقون} فتشركوا به اتقاء لضره ، وهذا يشير إلىالحجة التي آتاها إبراهيم على قومه حيث قال ({ولا أخاف ما تشركون ..} إلى قوله {..وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون).} .

{ وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون } {وما بكم من نعمة فمن الله} أي

وحده فهو المستحق للعبادة شكرا على نعمه التي لا يحصيها العبد {ثم إذا مسكم الضر} مثل المرض والجوع والخوف من غرق أو زلزلة أو نحو ذلك {فإليه تجأرون} أي فإليه تلجأون بالدعاء أو نحوه بصوت رفيع ، والجؤار: في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : فإليه تجأرون ترفعون أصواتكم ، .انتهى.

وفي [لسان العرب]: جأر يجأر جأرا وجؤارا رفع صوته مع تضرع واستغاثة ، .انتهى المراد.

وقال في [الصحاح] : الجؤار مثل الخوار يقال جأر الثور يجأر أي صاح وقرأ بعضهم عجلا جسدا له جؤار بالجيم حكاه الأخفش ، وجأر الرجل إلى الله عز وجل أي تضرع بالدعاء ، .انتهى.

قلت : ولعله عدي بـ(إلى) لتضمنه معنى التضرع .

وقال في [الكشاف] : والجؤار رفع لاصوت بالدعاء والإستغاثة قال الأعشى يصف ورها راهبا :

(١٤٨٦/٢)

يراوح من صلوات المليـ

١@ك طورا سجودا وطورا جؤارا

وقد شاهدت تجؤار الناس في بلادنا حين وقعت الرجفة الشديدة في يوم السبت خامس عيد الأضحى سنة ١٣٥٩هجرية فارتفعت الأصوات الكثيرة بالتهليل والتكبير وفي تلك الأيام رجع الناس إلى الله وشاع الصلاح وتلاوة القرآن.

{ ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون } {إذا كشف الضر} الذي هو س بب اللجوء إلى الله فاأجاء الشرك من بعض الناس ولم يكن من حقه أن يشرك بعد ما جاءته الآية المسببة للجؤار ولا إشكال في نسبة الشرك إلى فريق إذا كان الخطاب عاما للمكلفين من قول الله تعالى ({وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين)} .

{ ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون } {ليكفروا} أين يشركون ليكفروا بما آتاهم الله من نعمه وآياته ويستمروا على طريقتهم في اتباع هواهم وما ألفوه من الإقبال على الدنيا والإعراض عن الشكر وعن التقيد بطاعة ا لله في أي شيء مما تهواه أنفسهم وما اعتادوه من باطلهم وكفرهم ، ثم خاطب الله هؤلاء الكفار المشركين بقوله ({فتمتعوا) } وهو تهديد كقوله تعالى ({اعملوا ما شئتم) } وكذا قوله تعالى ({فسوف تعلمون) } أي تعلمون عاقبة ما اخترتم من الشرك والكفر والباطل كله.

}

(١٤٨٧/٢)

ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون } لما يعلمون لشركائهم لأنهم يجعلون لآلهتهم نصيبا كما ذكره الله تعالى في سورة الأنعام في قوله تعالى ({وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) } فقالوا هذا لله وهذا لشركائنا فجعلوا لآلهتهم نصيبا بناء منهم على أنهم آلهة وهم لا يعلمون أنهم آلهة وقد علموا أن الله الخالق لذلك الذي جعلوه لشركائهم أنعم الله به فكفروا نعمته بجعله لشركائهم ، وجمعهم بين الشرك ومعصية الله بنفس نعمته ثم توعدهم الله تعالى على ذلك بقوله تعالى ({تالله) } وهو قسم فيه تعجيب من حالهم وغفلتهم عن مصيرهم وجرأتهم على أسباب العذاب {لتسألن} أي يوم القيامة {عما كنتم تفترون} كله كافترائهم الشرك وافترائهم بإثبات نصيب من رزق الله لشركائهم ، وهذا السؤال يترتب عليه الحكم عليهم والجزاء الأوفى .

}

(١٤٨٨/٢)

ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون } {ويجعلون لله البنات} فأبطلوا بإثبات الولد لله وبجعل الملائكة إناثا وبجعل ما يكرهون لله فجمعوا بين ثلاثة أقوال باطلة {سبحانه} تنزيه له تعالى عما جعلوا له لأنه سبحانه الغنى وكل المخلوقين عباده وقوله تعالى ({ولهم ما يشتهون) } أي ولهم البنون نعمة من الله عليهم فقابلوا نعمته بكفرهم المذكور وهذا على فرض أن [الواو للحال] في قوله تعالى {ولهم} وهو أرجح من جعلها للعطف ، وإدخال البنين في جعلهم لأن جعلهم البنين لأنفسهم هو صدق وحق كما قال تعالى {يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور} فمن البعيد أن يغد من جهالاتهم إثبات البنين لأنفسهم ، ويمكن أن يجاب عن هذا بأن حكاية جعلهم لأنفسهم ما يشتهون ليس على معنى تجهيلهم في هذا وإنما هو على معنى الإحتجاج عليهم ، كأنه قيل: يجعلون لله البنات مع أنهم يجعلون لأنفسهم البنين ؛ لأنهم يشتهون البنين ونظيره {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم} ليس إنكارا للأمر بالبر وإنما هو احتجاج عليهم في نسيانهم لأنفسهم .

}

(١٤٨٩/٢)

وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم } {بشر} بالأنثى أخبر بها ، وقيل له: ولدت لك أنثى ولعل سبب جعل إخبار الوالد بالمولود تبشيرا لأنه كان يسر به الوالد ثم صار عبارة عن إخباره بالمولود وإن كان لا يستبشر .

، وقال في [الصحاح] والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير ، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة كقوله تعالى {فبشرهم بعذاب أليم} .انتهى.

وقوله تعالى ({ظل وجهه مسودا) } كناية عن غيظه أو غضبه أو كراهته الشديدة لما بشر به التي اسود وجهه من أجلها ، وقوله تعالى ({وهو كظيم) } أي شديد الغيظ أو الحزن أو نحو ذلك كأن قلبه مملوء بذلك .

قال الشرفي في [المصابيح] : قال في البرهان الكظيم الحزين المغموم الذي يطبق فاه فلا يتكلم من الغم مأخوذ من الكظامة وهو سد فم القتربة ، .انتهى.

وعبارة [الراغب] : وكظم السقاء شده بعد ملئه ما نعا لنفسه ، .انتهى.

{ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون }

يتوارى من القوم يكون حيث لا يرونه ، ولعل ذلك يفعله فرارا من ضحكهم وسخريتهم بسبب البنت المولودة له ، فهو توارى من القوم من سوءها في اعتقاده .

قال الراغب في [المفردات] : السوء كل ما نعم يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجة من فوات مال وجاه وفقد حميم ، .انتهى.

{أيمسكه} أي يفكر في حال تواريه أيمسكه {على هون} على هوان وذلة لعله لخوف الفقر من زيادة النفقة ؛ أو للخوف من كلام السفهاء وسخريتهم منه ؛ أو للخوف من أن تنهب عليه في حرب فتسبى ويكون ذلك عار عليه ؛ أو للخوف من أن يضطر إلي تزويجها من غير كفؤ أو نحو ذلك بما مما يخوفه الشيطان ليدسها في التراب أي يدفنها لتموت في التراب الإساء {ألا ساء ما يحكمون} أإلا: تنبيه للسامع ليصغي للقرار بعدها ، ساء قبح ما يحكمون حيث جعلوا لله ما يكرهون أي جعلوا له البنات وهن عندهم سوء.

}

للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم } للذين أي لهم أي لهؤلاء الذين جعلوا لله البنات لأنهم لا يؤمنون بالآخرة فكان عدم إيمانهم بها سببا لتجحريهم على الجرائم من الشرك وجعل البنات لله سبحانه ووأد البنات وغير ذلك ، فلو كانوا يؤمنون بالآخرة لردعهم الخوف من عذاب الله فلهم مثل السوء فهم المستحقون له ، أو هو عام لكل من لا يؤمن بالآخرة ، والمثل هنا بمعنى قول الواصف الذي يضيف إلى من يقول فيه أمرا ، والسوء: مصدر ساء ضد سر ، كما أفاده في [الصحاح] فمثل السو المثل الذي يسوء ، فالذين لا يؤمنون بالآخرة هم المستحقون أن يقال فيهم القول الذي يسوءهم لاستحقاقهم الذم والإهانة {ولله المثل الأعلى} فهو الذي يستحق التحميد والتكبير والتسبيح والتهليل وكل ما تفيده أسماؤه الحسنى ينسب إليه في السموات والأرض كما قال تعالى ({وله المثل الأعلا في السموات والأرض} {وهو العزيز} الذي لا ينال {الحكيم} فلا يتخذ ولدا لا ذكرا ولا أنثى ؛ لأنه الغني.

{ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون } :

}

(١٤٩٢/٢)

يؤاخذ} فعل مضارع للحال ، وقد يكون هذا الحال مدة طويلة لأنه يعبر عن العادة المتكررة التي هي غير محدودة مثل ((الحسد يأكل الحسنات))، {(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر}) فقوله تعالى ({ولو يؤاخذ الله الناس) } أي لو كانت عادته في هذه الدنيا أن يؤاخذ الناس بظلمهم وظلمهم هو المعاصي كما حققته فيما مر {ما ترك عليها} أي على المسكونة من دابة فكان يهلك الناس أينما كانوا من الأرض ويهلك ما حولهم من الدواب ، وهذا يشعر بعذاب يعم الناس والدواب كلها فهو عذاب شديد كالفرق لقوم نوح أو، غيره ، والدواب لها أعواضها فيىما لحقها نم ذلك العذاب وكذلك الأطفال ولكن يؤخرهم هذا في العادة الغالبة ، وقد يهلكهم في حالات نادرة إذا كذبوا الرسل وحاربوا الدين كما دل عليه في القرآن في سور متعددة فيؤخر في العادة إلى أجل مسمى ، وقوله تعالى ({فإغذا جاء أجلهم) } وهو الموت ({لا يستأخرون ساعة) } في الحياة ({ولا يستقدمون) } الموت قبل أجله لأن الله غالب على أمره ؛ ولذلك يموت الأطباء الكبار والملوك الذين تجتمع الأطباء للتوصل إلى دفع المرض عنهم حرصا على حياتهم .

}

(١٤٩٣/٢)

ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون }

{ما يكرهون} إما البنات وأعيد ذكره ليرتب عليه ما بعده ، وإما كل ما يكرهون مما حرموه على أنفسهم فلم يجعلوها لله إلا لأنهم يكرهونها وهذا من لؤمهم وبعدهم عن شكر نعمة الله {و}مع هذا {تصف ألسنتهم} الوصف {الكذب} أي يقولون في أنفهسم الكذب الذي لا أصل له ، إنما هو اختلاق ألسنتهم له وهو دعواهم أن لهم الحسنى أي أنهم يستحقون الحسنى وأنهم أهل لأن يؤتيهم الله الحسنى كقوله ({ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى) } ، وقوله ({ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منهما منقلبا) } .

{لا جرم أن لهم النار} حقا أن لهم النار فهي التي يستحقونها .

قال الشرفي في [المصابيح] : لا جرم يعني قطعا أن لهم النار وحقا أنهم يعذبون بها ، ثم قال: ؛ وقال الحسين بن القاسم عليه السلام : معناه . كذا . لا جرم أي لا شيء ألزم من أن لهم النار ، .انتهى المراد.

وفي تفسير الإمام زيد عليه السلام: لا جرم أي حقا ، .انتهى.

(١٤٩٤/٢)

ومحله {لا جرم} الماضية في هذه السورة ، والحاصل أن لا جرم تفيد تأكيد ما بعدها {وأنهم مفرطون} [بكسر الراء] مسرفون ، [وبفتح الراء] مقدمون إليها قبل أتباعهم كقوله تعالى ({ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا) } فالمعنى مع [فتح الراء] وأنهم مفرطون إغليها أي إلى النار .

قال الشرفي في [المصابيح] : ومنه قول النبي / صلى الله عليه وآله وسلم :((أنا فرطكم على الحوض)) أي متقدمكم ، .انتهى المراد.

{ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم } :

}

(١٤٩٥/٢)

أعمالهم} مخالفة الرسل ومعصية الله ، وهو أعم من الشرك ومن تكذيب الرسل {فهو} أي الشيطان {وليهم} قد حرموا ولاية الله لهم وخذلوا فتولاهم الشيطان {كتب عليه أنه من تولاه فأإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير} فهو وليهم في حياتهم ، واستمر حكم الولاية بعد موت من قد مات منهم لأنه لم يخرج من طاعة الشيطان ولم يبدل بولاية الله {ذلك لبأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى

لهم) } فلا ولي لهم إلا الشيطان وهو لا يفيدهم شيئا ، وإنما بقي عليهم حكم ولايته هذا فيمن قد مات منهم ، أما من لم يزل حيا من أهل الكتاب وغيرهم فظاهر ، فقوله تعالى ({فهو وليهم اليوم)} معناه أنهم تحت ولاية الشيطان حتى اليوم نعوذ بالله منه .

قال الشرفي في [المصابيح] : وهذا تسلية للرسول / صلى الله عليه وآله وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم ، .انتهى.

قلت : وفيه تحذير من معصية الرسول / صلى الله عليه وآله وسلم ، وقوله تعالى ({ولهم عذاب أليم} بيان لنتيجة ولاية الشيطان وعصيان الرسول فهي عذاب جهنم ، ففنبيهم عبرة لمن أرسل الله إليهم محمدا / صلى الله عليه وآله وسلم.

}

(١٤٩٦/٢)

وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون } هذا رد على المكذبين بالقرآن الذين قالوا أساطير الأولين فما أنزله الله إلا نعمة ورحمة وهدى لمن آمن ، فما كان ينبغي لهم لو استعملوا عقولهم محاولة رده وإبطاله ؛ لأن ذلك جهالة وحماقة إذ عرض عليهم الخير فلم يقبلوه واستبدلوا به طاعة الشيطان وولايته والذي اختلفوا فيه شيء معروف معهود عندهم ؛ ولذلك جعل صلة الموصول قوله {اختلفوا فيه} ولعله البعث ، قالوا: كانت العرب مختلفة فيه منهم من يثبته ومنهم من ينفيه ، وبيانه فيه إنذار وتبشير فهو مطابق لقول الله تعالى {وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا} وقوله تعالى ({وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) } ؛ إما بمعنى من شأنهم أن يؤمنوا لأنهم منصفون طالبون لمعرفة الحق وما تبين لهم من الحق آمنوا به ، وإما بمعنى مؤمنين كقوله تعالى ({قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) } والأول أقرب هنا ، والله أعلم .

}

(١٤٩٧/٢)

والله أنزل من السماء ماء فأحيى به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون } {الله أنزل} المطر ففيه آية تدل على قدرته وعلمه وعلى أنه الرزاق لعباده وعلى أن الحياة بعد الموت حق بقدرة الله تعالى وعلمه فكما أحيى الأرض بعد موتها يحيي الأجساد بعد موتها وهذه الآية احتجاج على الكفار ؛ لأنهم يقولون : أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لمخرجون ، وقوله تعالى ({لقوم يسمعون} يفيد أن الآية هذه

واضحة إذا أصغى لها الكفار أسماعهم كفتهم ولكنهم يعرضون.
}

(١٤٩٨/٢)

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين }
{الأنعام} الإبل والبقر والغنم ({لعبرة)} أية تدل على قدرة الله تعالى على ما يستبعده الإنسان ، وهذه العبرة فسرها قوله تعالى ({نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) }
فاللبن يتكون من غذاء الأنعام سواء كان من الفرث قبل أن يتكون منه الدم أم كان من الفرث بعد أن يتكون منه الدم ، ويتكون اللبن من الدم فكل ذلك عبرة تدل على قدرة الله تعالى على ما يستبعده الإنسان ؛ لأن اللبن خالص ليس فيه شائبة فرث ولا دم مع مرور أصل اللبن من بين الفرث والدم ، فإغذا عرف الإنسان هذا وفكر فيه فليعرف قدرة الله على إحياء الموتى وليعرف أن مجرد الإستبعاد لا ينافي قدرة الله القدير العليم لما شتاهد من صنعه لما استبعده الإنسان.
}

(١٤٩٩/٢)

ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون }
{و}نسقيكم {من ثمرات النخيل والأعناب} كما نسقيكم اللبن الخالص نسقيكم عصير العنب ونبيذه وكذلك رد لب الرطب ونبيذه {تتخذون منه سكرا} مسكرا محرما عليكم {ورزقا حسنا} حلالا طيبا ومنه الخل يجعل في الإآدام وروي فيه الحديث عن النبي / صلى الله عليه وآله وسلم :((نعم الآدام الخل)) .
وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : السكر الحرام والحسن الرزق الحلال ، .انتهى.
وقال الشرفي في [المصابيح] : قال الهادي عليه السلام في تفسيره لهذه الآية ما لفظه : (هذا إخبار من الله تبارك وتعالى بما رزقهم من ثمرات الأشجار التي يتخذون منها الأرزاق ويدخرونها من التثمر والزبيب وغير ذلكم من الحبوب التي هي معيشة لهم وحياة ، ويتخذون أيضا السكر الذي نهاهم عنه الله وحرمه عليهم فوقفهم هاهنا في هذه الآية على كفر من فعل ذلك لنعمه إذ صرفوا رزقه في السكر الذي حرمه ، ثم قال: ؛ {إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون} فأخبر أن فيما فعل وفعلوا من حسن رزقه

وجميل فعله لهم بهم واتخاذهم له سكرا وصرفهم عن ا لطاعة إلى المعصية {لآيات لقوم يعقلون}).انتهى ، .

(١٥٠٠/٢)

آية لأهل العقول الذين يستعملون عقولهم تدلهم على قدرة الله تعالى وعلمه وكرمه وسعة فضله وحلمه.
{ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون } {أوحي} علمها وهداها لاتخاذ بيوت كما هدى سائر الطير لاتخاذ بيوت ولكن هدى النحل لاتخاذ بيوت تناسب انتاجها للعسل فلو اتخذت بيوتها في الأرض كالنمل لاختلط العسل بالتراب عند التماسه ، وكذلك لو صنعت لها أعشاشا من جنس أعشاش الطير لكان يختلط بأعشاشها وسيل حلاها ويمتزج بالخيوط والريش والأعواد ونحوها وهذا مع جعله تعالى لها تدبير اجتماعها واتباعها ليعسوبها حتى تتعاون على إنتاج العسل في بيوتها ، وقوله تعالى ({ومما يعرشون} أي وبيوتا مما يعرون أي يجعلونه على عريش وجعلها سبحانه مأمورة لأنه جعل لها رغبة لوظيفتها فهي تقبل عليها إقبال المأمور وذلك لتيحصل فائدتها للإنسان فتسخيرها لنفعه كالأمر.
{ ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون } :
}

(١٥٠١/٢)

ثم كلي} أيها النحل من كل الثمرات وهذا هو الأصل في طلبها لرزقها وبه يكون العسل جيدا ، أما إذا جعل لها نوع مخصوص كانت جودة العسل ونقص جودته تبعا لذلك {فاسلكي سبل ربك} سبله إلى الثمرات وسبله إلى الخلايا وإلى الماء فهي ملهمة لأرزاقها ومائها ملهمة للعودة إلى بيوتها {ذللا} قد ذللها الله وسخرها لذلك فهي في خدمة الإنسان عاملة مستمرة {يخرج من بطونها} اختلف السياق فلم يجعل هذا مما أمرت به لأنه يخرج من بطونها اضطراريا {شراب} كما جعل من الثمرات شرابا ومن الأنعام شرابا {مختلف ألوانه} بعضه أبيض وبعضه أحمر وبعضه أوسود وذلك بتدبير الخالق البصير ، {(فيه شفاء للناس) } وهذا واضح بالتجربة .

(١٥٠٢/٢)

قال بعض الأطباء : العسل سيد الأدوية ، وقد صنف بعضهم كتاباص في منافع العسل فهو نعمة عظيمة للإنسان ولم يذكر لذته لأنها معروفة ، ونعمة الشفاء به أهم ، ({ إن في ذلك)} كله ({لاية لقوم يتفكرون) } آية تدل على الله الذي خلق النحل وعلمها وظيفتها وسخرها لنفع الإنسان وإنتاج ما فيه شفاء للناس فهي آية كالآيات التي سبق ذكرها يهتدي لها ويعرفها الذين يتفكرون في آيات الله ودلائله ، والإشارة بقوله تعالى ({إن في ذلك) } إلى ما ذكر في الآية من أولها وهو تهيئة أسباب حصول العسصل للإنسان نعمة من الله عليه وآية له.

{ والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير : {

فخلقنا دليل على علم الخالق وقدرته ، وقد نبه تعالى على ذلك بهذه الآية وبقوله تعالى ({وفي أنفسكم أفلا تبصرون) } فقليل من تفكر الإنسان في خلقه يحصل له به العلم بقدرة الخالق وعلمه ، بل تفكره في عضو واحد من أعضائه يكفيه .

(١٥٠٣/٢)

وقوله تعالى ({يتوفاكم) } كذلك دليل على قدرته تعالى وعلمه ؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الموت ولو كان ملكا أو طبيبا ماهرا ؛ ولأن الموت مقدر بين الناس على ما تقتضيه الحكمة حيث يموت القرن من الناسا في أوقات يموت فيها فرد منهم ثم في وقت آخر فرد آخر حتى يذهب القرن وقد خلفه قرن آخر من دون أن يهلك القرن كله في وقت واحد كما قال تعالى ({نحن قدرنا بينكم الموت) } ولأن الموت تختلف آجاله فمن الناس من يموت طفلا ومنهم من يموت في شبابه إلى غير ذلك وذلك بتقدير الله تعالى للحياة والموت ، وقوله تعالى ({ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم)} يرد إلىحالة الضعف الشديد في أرذل عمره وأدناه وأخسه لاجتماع الهرم وشدة ضعف البدن وذهابا العقل وكون أكثرهم مكروها ليس كالطفل يحبه أبواه وتنظفه أمه برغبة ليدل نكس خلقه على أن مراحل وجودة كانت بصنع الخالق الذي حدد نتموه وجعل لنموه مقدارا مختلفا كما أراد خالقه الفعال لما يريد العليم القدير .

{ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون { :

}

(١٥٠٤/٢)

فضل بعضكم على بعض في الرزق} جعل لبعضكم من الرزق أكثر مما رزق البعض الآخر لحكمة ، فالرزق نعمة وآية وعلى المفضل أن يشكر وعلى المفضل عليه أن يشكر على ما رزق ويرضى بقسمة الله تعالى ويصبر على الإقلال إن كان فقيرا ، وهذا فيه رد على من قال بالإشتراكية وعلى من ادعى أن الله تعالى ساوى بين عباده في الرزق وقوله تعالى ({فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء} الراجح أنه كقوله تعالى في سورة الروم ({ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) } فهي رد علىالمشركين تبين أن الله العزيز الحكيم لم يجعل لنفسه شركاء في عباده لأنه نقص من العزة مناف للحكمة فبين تعالى في قوله ({فما الذين فضلوا) } أي في الرزق ({برادي رزقهم) } بجاعلين له لعبيدهم يملكونه كما تملكه سادتهم فهم في ملكه سواء ؛ لأن هذا من سوء التدبير والتصرف الذي لا يرضاه لنفسه عاقل فظهر بهذا أن الله تعالى عدد نعمه في هذه السورة ليشكره عباده ويعبدوه وحده ، ألا ترى إلى الآيات في أوائل هذه السورة التي فيها تعداد كثير من نعم الله كيف عقبها بقوله تعالى ({أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا

(١٥٠٥/٢)

تذكرون) } واحتج كذلك في أثناء السورة هذه فقال تعالى ({وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ..}إلى قوله {.. وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون}) فكذلك سياق الآيات التي نحن في سياق تفسيرها من قوله تعالى ({والله أنزل من السماء ماء ..}إلى قوله فيما يأتي {.. أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا ..}الآية) ، فبأن بذلك صحة تفسير قوله تعالى ({فما الذين فضلوا ..}الآية) بأنه احتجاج على المشركين بأنا لا نرضى أن نجعل مماليكنا شركاء لنا في رزقنا بحيث نحن ومماليكنا سواء في ملكه وولاية التصرف فيه ، فالله تعالى العزيز الحكيم لا يرضى أن يجعل لنفسه شركاء في عباده ، وقوله تعالى ({أفبنعمة الله يجحدون} يبين ، أن عليهم أن يشكروا نعما الله فإذا لم يشكروها فلماذا لا يشكرونها ؟ أفبنعمة يجحدون حين كفروا وعبدوا غيره ؟ فإن كانوا يقرون بنعمة الله عليهم فكيف لا يشكرون فيعبدونه وحده.

{ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون } :

(١٥٠٦/٢)

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال الحسين ابن ا لقاسم عليه السلام : ومعنى من أنفسكم أزواجا يعني من بعضكم ، .انتهى المراد.

أي جعل للناس من جنسهم أزواجا للذكور من الإناث وللإناث من الذكور وبذلك يسكن الزوج إلى زوجه ونعمه بالزواج عظيمة للذكر والأنثى {وجعل لكم من أزواجكم بنين} وهي نعمة ، قال تعالى ({المال والبنون زينة الحياة ا لدنيا}) وإذا كانوا أبرارا فالنعمة بهم أعظم ، وقوله تعالى ({وحفدة)} .

في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : الحفدة الخدام والأعوان ، .انتهى.

وفي [مفردات الراغب] حفدة جمع حافد وهو المتحرك المتبرع بالخدمة أقارب كانوا أو أجانب ، .انتهى.

(١٥٠٧/٢)

وهذه نعمة عظمى ، وقوله تعالى ({ورزقكم من الطيبات} لعل الضمير للآباء والأبناء والحفدة فهو سبحانه الرازق لهم كلهم ، وكون الرزق من الطيبات نعمة عظيمة ؛ لأن الإنسان لا يعيش إلا به فلو لم يكن من الطيبات لكان أكله شاقا ومع ذلك ضروريا فالحمد لله ، وقوله تعالى {(أفبالباطل يؤمنون) } كإيمانهم بمن جعلوهم شركاء لله وبما جعلوا لهم من رزق الله كما مر في سورة .... الأنعام ، وبتحريم البحيرة وغيرها كما مر في سورة المائدة ، وقوله تعالى {وبنعمة الله هم يكفرون} بمعصيته وتكذيب آياته وإيمانهم بالباطل.

{ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا ولا يستطيعون } {مالا يملك} ليس بيده شيء من رزق صادر من السموات والأرض كالمطر من السماء والنبات من الأرض فيرزقهم إياه {ولا يستطيعون} ملك شيء.

قال الشرفي رحمه الله في [المصابيح] : قال الأخفش جعل قوله شيئا بدلا من قوله رزقا ، والمعنى لا يملكون رزقا قليلا ولا كثيرا ، .انتهى المراد.

}

(١٥٠٨/٢)

فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون } {فلا تضربوا} الفاء للتفريع على ما سبق من الإحتجاج على المشركين والخطاب لنهيهم عن ضربهم لله الأمثال ، وضرب المثل تحصيله ولعلهم

احتجوا لبعض باطلهم كما قال تعالى ({وضرب لنا مثلا نسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم) }
فالمثل قوله: من يحيي العظام وهي رميم ، وضربه: صياغته وتحصيله فرد الله عليهم بقوله تعالى ({إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون) } فقوله تعالى هو الحق ومثلهم جهل وتضليل ، ولعل المثل الذي ضربوه لتبرير شركهم قولهم {ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} فهم مبطلون وعليهم أن يؤمنوا بالله وحده ويكفروا بشركائهم ولا يفيدهم قولهم {ما نعبدهم إلا ليقربونا} لأن الله علام الغيوب فقوله الحق ، وهم لا يعلمون فمثلهم الباطل.
{ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون } :

(١٥٠٩/٢)

هذا دليل يبين ضلال المشركين في جعلهم شركاءهم أندادا لله سبحانه فأصنامهم كالعبد المملوك ؛ لأنها لله مملوكة لأنه خالقها وهي مع ذلك كالعبد العاجز الذي لا يقدر على شيء فلا يعمل ولا تحصل منه أي فائدة ، والله تعالى هو ا لمالك لكل شيء القادر على كل شيء وهو ا لذي يرزق عباده الخير كله فكيف جعلوا شركاءهم أندادجا له جل جلاله مع أنهم يعلمون أنه لا يسوي بين العبد العاجز وبين من هو حر رزقه الله رزقا حلالا فهو ينفق منه سرا لرغبته في فعل الخير وحبه للإحسان لا لأجل سمعة في الناس ، وينفق أيضا جهرا كما ينفق سرا لكثرة إنفاقه فالحمد لله الذي منه الخير كله ، والذي هدى عباده إلي توحيده وإلى طريق مستقيم {بل أكثرهم} أكثر المشركين {لا يعلمون} لإعراضهم عن الحق وكراهتهم له فليس عندهم استعداد لعلم بالصواب.
{ وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم } :
في [الصحاح] الأبكم الأخرس ، .انتهى باختصار ، .
ووفي [مفردات الراغب] أبكم وهو الذي يولد أخرس ، فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم .، انتهى.

(١٥١٠/٢)

ومثله في [مصابيح الشرفي] قال : الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم لعدم السمع والنطق ، .انتهى.
فهذا مثل كالمثل الأول في إفادته مثل شركاؤهم برجحل جمع صفات : الأولى: أنه أبكم ، الثانية : أنه

لا يقدر على شيء فهو عاجز عن نفع نفسه فضلا عن نفع غيره ، الثالثة : أنه كل على مولاه .
في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : معناه عيال عليه ، .انتهى.
وفي [الصحاح] : الكل العيال والثقل قال الله تعالى ({وهو كل على مولاه) } .انتهى.
وفي [الصحاح] : وعيال الرجل من يعوله ، .انتهى.
فهو مع عجزه ثقل على مولاه .

(١٥١١/٢)

الرابعة : أفادها قوله تعالى ({أينما يوجهه لا يأت بخير) } أينما يوجهه مولاه لتحصيل نفع لا يأت بخير ؛ إما لعجزه ، وإما لكسله عن تحصيل أي فائدة يتوصل لها بإشارة أو غيرها ، وبذلك يثقل على مولاه وييأس من نفعه لنفسه أو لغيره ، وقوله تعالى ({هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) } هل يستوي ذلك العاجز ومن هو كامل في عقله ونطقه وسلوكه ، فهو لكماله يأمر بالعدل الذي هو ضد الجور والظلم وهو على صراط طريق واضح مستقيم حق لا عوج فيه هذا سؤال لا شك في أن جوابه لا يستويان فكيف جعل المشركون أصنامهم التي لا تفيدهم شيئا بل هم لها جند محضرون لحمايتها؟ يجعلونها أندادا لله العزيز الحكيم هذا منهم ضلال مبين .
{ ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير : {
}

(١٥١٢/٢)

غيب السموات} ما غاب فيها فلا تعلمه الملائكة ولا غيرهم من الخلق {والأرض} ما غاب في الأرض فلا يعلمه أهلها ولا غيرهم من الخلق ، فالله يعلمه وحده ؛ لأنه علام الغيوب فهو الرقيب على أهل السموات وأهل الأرض لأنه بكل شيء عليم {وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب} من لمح البصر في سهولته وسرعته وأمرها إيجادها والأمر هنا ،؛ إما بمعنى الشأن وهو الراجح ، وإما بمعنى قوله: كوني الذي هو تمثيل لإيجادها .
قال الشرفي في [المصابيح] : قال الحسين ابن القاسم عليه السلام يعني بذلك المثل بلمح العين ويريد تعالى أإن سهولة قيام الساعة كسهولة النظر بالعين عند المخلوقين ، .انتهى المراد.
وقال في [الصحاح] : لمحه وألمحه إذا أبصره بنظر خفيف ، والإسم اللمحة ، .انتهى.

وقوله تعالى ({أو هو أقرب) } أي أقرب من لمح البصر و(أو) هنا للترديد لا للشك ؛ لأن الله علام الغيوب لا يجوز عليه الشك ، وفائدتها بيان السرعة والسهولة بالنسبة لأإفهامنا وتصورنا أي أنه في غاية السهولة وغاية السرعة لأنا لا نتصور فرقا بين لمح البصر وبين أقرب منه وإنما نفهم غاية السرعة والسهولة وهو المراد منا .

(١٥١٣/٢)

وقوله تعالى ({إنا لله على كل شيء قدير) } تعليل للسهولة أي عدم المشقة وللقدرة على تحصيل الساعة في مثل لمح البصر أو هو أقرب ؛، لأنه لا يصعب عليه شيء لأن كل شيء مقدور له من غير فرق بين ما هو سهل بالنظر إلى قدرتنا وما هو صعب ، أو لا نستطيعه أصلا ، فلا فرق بين الممكنات في قدرته عليها بلا كلفة ولا عناء ولا مشقة لأنه قادر لذاته وقدرته غير محدودة فهو قادر على الممكنات على سواء لا فرق بينها في قدرته تعالى .

{ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون } :

هذه آيات تدل على قدرته تعالى وعلمه وسعة فضله وعظم نعمه علينا وهذه نعم وهبها لنا تعريضا لنا على شكره ليثيبنا على شكره في دار كرامته ورحمته ، والأفئدة محال العقول سواء كان الفؤاد باطن القلب أم هو القلب فالمراد أنه جعل لنا آلة الفهم والعلم .

قال الراغب في تفسيره [لمفردات القرآن] : الفؤاد كالقلب لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد أي التوقد ..إغلخ ونحوه في [لسان العرب] .

{ ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون } : }

(١٥١٤/٢)

مسخرات} بتسخير الله لها ولعله اعتبر تسخيرا من حيث جعلها الله تطير لتكون آية ودليلا على قدرته حيث يمسكها في الجو دون الدواب والجو الهواء أو ما ارتفع من الهواء وإضافته إلى السماء تدل على ارتفاعه في الهواء ، وقوله تعالى {ما يمسكهن إلا الله} لأنه خالق الطير على صفة تصلح لذلك فجعل له الريشش الخفيف الذي يبسطه في الهواء وجعل راضيه رئتيه مخالفتين لرئات الدواب وكذا كليتاه وجعل الهواء صالحا لحمل الطير سبحانه وتعالى {إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون} ؛ إما يؤمنون بالقوة

أي من شأنهم أن يؤمنوا إذا رأوا آيات الله ، وإما يؤمنون بالفعل لأنهم يتفكرون في آيات الله فيزدادون إيمانا ، ففي هذه الآيات حجة على المشركين في جعلهم أندادا الله ولم يفكروا فيعرفوا أن لا يستوي من يخلقف ومن لا يخلق بل ومن هو عاجز عن كل نفع وحجة عليهم في استبعادهم القدرة على أحياء الموتى .

{ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاص تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين } :

}

(١٥١٥/٢)

سكنا} تسكنون فيها لفوائد المساكن من البرد والشمس وغيرهما ، فهي نعمة عظيمة ولم يمكن الحيوانات من بناء البيوت كما مكن الإنسان ، وقوله تعالى ({وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) } هي الجلود المدبوغة تجعل قبابا وخياما للبدو والمسافرين {تستخفونها} تنتفعون بخفتها حين تعتبرونها خفيفة لنقلها عند الظعن وهو الإنتقال إلى ناحية أخرى كما يفعل البدو حين يطلبون لأنعامهم مواضع المرعى والماء فينقلون له من موضع إلى موضع فيسهل عليهم حمل بيوتهم على دوابهم بخلاف البيوت التي تبني من الطين أو من الأحجار فهذه نعمة خفة البيوت التي من جلود الأنعام لنقلها معهم ولضربها حيث يقيمون بأن يضعوها فتحصل بسرعة بواسطة أعواد تحتها تنصب في الأرض وحبال في أطرافها تمد وتمسك بأوتاد في الأرض فيكتفون بها عن بناء بيوت بطين أو، بأحجار ، وقوله تعالى ({ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) } أي وجعل لكم من أصوافها .

قال الشرفي في [المصابيح] : قال الحسين بن القاسم عليه السلام الصوف هو شعر الضأن ، والوبر هو شعر الإبل والشعر هو شعر المعزا ، وهذه عبارة مني وبيان ، فأما العرب فلا تجيز أن يسمى الوبر والصوف شعرا ..إلخ.

(١٥١٦/٢)

وقوله تعالى ({أثاثا ومتاعا) } أي جعل لكم من هذه الثلاث أثاثا كالفراش واللباس والغرائر والجبال ، وهذه نعم لحجاجة الإنسان إلى ما يقيه البرد من هذه وإلى سائر منافعها ، وفيها تكريم للإنسان حيث له ذلك من الحيوان ، وقوله تعالى ({ومتاعا) } أي نفعا محدودا في هذه الدنيا إلى حين فهو ينتهي بالموت أو غيره كما أن الجلود والأصواف والأوبار والأشعار تبلى حتى يذهب نفعها ويحتاج الإنسان

إلى تبديلها ، فما أعظم نعم الله على الإنسان وأكثرها !! .

{ والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون } :

}

(١٥١٧/٢)

مما خلق ظلالا} يظلكم من الشمس والمطر وذلك كالشجر التي تظل الإنسان والكهوف التي في الجبال وما يظل الإنسان من الجلود والأشعار والثياب {وجعل لكم من الجبال أكنانا} تكن من المطر كالكهوف والبيوت المنحوبة في الجبال {وجعل لكم سرابيل} لباسا من القطن وغيره {تقيكم الحر} لأن جلد الإنسان إذا باشره شعاع الشمس آلمه وقد يضره ؛ لأن الإنسان ليس له شعر كالدواب ولا ريشش كالطيور فجعل له اللباس وفيه نفع من البرد إلا أن السورة مكية ومكة حارة فكان المناسب تذكيرهم بنعمة ما يقي من الحر ، وقوله تعالى {وسرابيل تقيكم بأسكم} هي ملابس من السلوس الحديد تصنع لتنقي من سلاح كانوا يستعملونه في الحرب سيوف ورماح وسهام ترمى بالأقواس ، وقوله تعالى ({كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون} فهو يدل على نعم غير هذه النعم المذكورة مثلها يتم بها علينا نعمته وتفضله وإحسانه {لعلكم تسلمون} تعريضا لكم على أن تلسموا وجوهكم لربكم شكرا على نعمه ، فمن حق العاقل إذا عرف النعمة أن يشكرها ولا يكفرها ، وإسلام الوجوه: إخلاص العبادة لله واجتناب الشرك .

}

(١٥١٨/٢)

فإن تولوا فإنما عليك البلا غ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون } {فإن تولوا} أبوا الإسلام بعد هذا الإحتجاج الكامل والتذكير بنعم الله والإنذار {فإنما عليك البلا غ المبين} ليس عليك أن يهتدوا والمبين البلا غ الواضح المبين لما بلغه بحيث يسمع تماما ويفهم فهما كاملا {يعرفون نعمة الله} آياته التي هي نعمة لإنقاذها لمن آعامن بها من الضلال وما يؤدي إليه من العذاب وإخراجها لمن آمن بها من الظلمات إلى النور ، فقد سمعوا هذا القرآن العظيم وعرفوا أنه معجز خارق لا يأتون بمثله ثم ينكرون هذه النعمة ويقولون ما نزل الله من شيء {وأكثرهم الكافرون} لنعم الله بعبادة غيره ، وتحريم بعض ما أحل الله ، وجعله نعمة لهم من الأنعام وغيرها وغير ذلك ، وقوله تعالى ({ثم ينكرونها) } .

قال فيه الشرفي في [المصابيح] : ومعنى (ثم) هاهنا الدلالة على [أن] إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة ؛ لأن من حق من عرف النعمة أن يعترف بها فلا ينكرها ، .انتهى ، . وآخر الكلام ملتبس خطه إنما صححته أنا .

قلت : ونظير هذا قول الله تعالى ({ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها)} .

}

(١٥١٩/٢)

ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون } {ويوم} واذكر يوم نبعث بعد تعداد النعم والآيات الماضية ا أذكر لهم الموعظة ذكر يوم البعث وحالهم فيه {من كل أمة شهيدا}ص أي نبعث هيدا عليهم منهم ، وهو يكون النبي على من كان في عصره ورآه فعلم بإيمانه أو كفره ، وأما بعد وفاة النبي فمن كل أمة خيرهم كما قال تعالى ({لتكونوا شهداء على الناس)} يشهد على من شاهده وعرف عمله ، وقوله تعالى ({ثم لا يؤذن للذين كفروا) } لا يؤذن لهم فيعتذرون ولا هم يستعتبون .

قال الشرفي في [المصابيح] : أي لا يقال لهم ارضوا ربكم ، .انتهى ، .

فالمعنى لا يستتابون ؛ لأنها لا تقبل منهم توبة .

}

(١٥٢٠/٢)

وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون } {الذين ظلموا} إأما الذين كفروا وأصل الكلام وإذا رأوا لتقدم ذكرهم إلا أنه ذكر الظلم ؛ لأنه سبب العذاب ؛ لأن الكفر ظلم وحيف وجور وكذا سائر المعاصي المتعمدة كلها ظلم ، وإأما الذين ظلموا عام لكل من ظلم سواء بالكفر أم بغيره ، والعذاب: ما يعذبون به في الآخرة وهوا لنار فلا يخفف عنهم بتخفيف حرها مثلاص {ولا هم ينظرون} أي لا يمهلون وإنما يحاسبون ويسألون فإذا انتهى السؤال والحساب وقضي عليهم بالعذاب لم يمهلوا ، وهذا على فرض أنهم يسألون وهم يرون الجحيم كما قال تعالى ({لترون الجحيم ..}إلى قوله تعالى {.. ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) } فأما إذا كانوا لا يرونها إلا بعد فصل القضاءى فظاهر .

{ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول

إنكم لكاذبون } :
}

(١٥٢١/٢)

قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا} كأنهم يدعون الله بهذا ليجعل بعض عذابهم على شركائهم فيخف عنهم ، أو أرادوا أن يعذب شركاءهم بغضا لهم منهم ، وقولهم {الذين كنا ندعو} هو دعاءهم الذي لم يكن ينفعهم وكان عبادة لهم كما قال تعالى ({إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) } وقوله تعالى ({فألقوا) } أي شركاؤهم إليهم إلى المشركين {إنكم لكاذبون} أي ما كنا شركاء لله كما زعمتم أو ما كنا وحدنا شركاءكم لأن الشياطين أمروكم بعبادتنا فأطعتموهم فصاروا شركاء في أثم شرككم وفي عبادتكم لنا بالأمر والرضى كقولهم {ما كانوا إيانا يعبدون} .
{ وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون } {وألقوا إلى الله يومئذ} يوم القيامة وقد روا رأوا أهوالها القوا السلم إلى الله كأنه شيء كانوا يأبون أن يسلموه ، فلما رأوا أهوال القيامة أالقوة لشدة الباعث عليه والله أعلم .
قال الشرفي في [المصابيح] : وألقوا يعني الذين ظلموا إلى الله يومئذ السلم أي الإستسلام والإنقياد لأمره وحكمته بعد الإباء والإستكبار في الدنيا ، .انتهى المراد.

(١٥٢٢/٢)

وقوله تعالى ({وضل عنهم) } أي ضاع عنهم فلم ينفعهم ولم يدفع عنهم ما كانوا يفترونه من شفاعة شركائهم وغير ذلك من الأماني التي كانوا يقولونها كاذبين مختلقين أمانيهم بلا مستند كقول بعضهم {ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى} ونسبة الضلال إلى ما كانوا يفترون والمراد معناه كقوله تعالى {ونرثه ما يقول} .
{ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون } {وصدوا عن سبيل الله} صدوا غيرهم عن دين الله الذي شرعه لعباده ، ومعنى صدهم لهم إغواؤهم لهم بأي أسباب الغواية {زدناهم} أي يوم القيامة {عذابا فوق العذاب} الذي استحقوه بكفرهم ومعاصيهم الأخرى {بما كانوا يفسدون} غيرهم فالإفساد سبب للعذاب مع السبب الأول.
{ ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب

تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين } :
}

(١٥٢٣/٢)

ويوم} واذكر يوم {نبعث} أي يوم الخروج من القبور والسوق للحساب {نبعث في كل أمة} أي مع كل أمة بينهم {شهيدا عليهم من أنفسهم} قد رآهم في الدنيا وشاهد ما كانوا يعملون من خير أو شر في الجملة بحيث ميز المطيعين من العاصين وهي كالأولى إلا أن في هذه زيادة تحقيق أنه يبعث فيهم الشهيد عليهم والتصريح بأنه من أنفسهم فقوله تعالى {وجئنا بك شهيدا على هؤلاء} أي جئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء الموجودين حولك من قريش أو منهم ومن كنانة ولم يقل على أمتك لا هنا ولا في سورة النساء ، وهذا يوافق قول عيسى عليه السلام ({وكنت عليهم ششهيدا ما دمت فيهم ..}الآية) ، وقوله تعالى ({ونزلنا عليك الكتاب) } أي هذا القرآن تبيانا أي نزلناه تبيينا إما منصوب على الحال ، وإما مفعول مطلق أي لنبين كل شيء من الدين وأصوله والإنذار والتبشير وما يتعلق به من القصص والحجج ونحو ذلك كقوله تعالى في التوراة ({وتفصيلا لكل شيء) } فالعموم هنا ما دل عليه السياق والقرائن كما أن العموم في قوله ({وأوتيت من كل شيء) } المراد به توابع الملك ولوازمه من الثروة والآلات والسلاح ونحو ذلك .

(١٥٢٤/٢)

وحكى الشرفي في [المصابيح] عن القاسم عليه السلام أنه قال بعد تفسيره لسورة الفلق: فليعلم من قرأ تفسير هذه السور الثلاث وما بعدها من التفسير أن كلما فسرنا من ذلك كله فقليل من كثير ، وأن كل سبب من كلمات الله فيه فموصول بأسباب عند من خصه الله بعلمها من أولي النهى والألباب لا ينتهي فيه إلى استقصائه ولا يوقف منه على إحصائه ، .انتهى المراد.

(١٥٢٥/٢)

ونحو هذا في مقدمة تفسيره عليه السلام التي هي مديح القرآن الصغير ذكرها الشرفي في [مصابيح] قبيل تفسير فاتحة ا لكتاب وهذا أولى من تفسير تبيانه لكل شيء بإحالته على سائر الأدلة أنه لا يسمى تبيانا لكل شيء على طريق الوصف الوصف للكتاب وإلا لزم قولنا الأدلة أربعة الكتاب والسنة والإجماع

والقياس تبيانا لكل شيء ، ويلزم أنه يصح أن تقول ألفت كتابا بينت فيه كل شيء وأنت إنما كتبت الإحالة على الأدلة ، فإذا كان هذا لا يسمى تبيانا لكل شيء صح أنه لا يصح تفسير الآية الكريمة بذلك وأن الله وصف كتابه بهذا الوصف تبيانا لكل شيء مدحا له ودلالة على عظم فائدته لمن تعلم منه الدين وتفهم ما فيه من الهدى ، فلا مجال من إبقاء النص على ظاهره وحمل خفاء ما خفي علينا بأنه بسبب قصورنا عن بلوغ الغاية في فهمه من حيث أن بعض الأحكام يتوصل إلى فهمه من القرآن بضم آية إلى آية أو إلى أكثر كما حصل لنا أن أقل الحمل ستة أشهر من ضم الإمام علي عليه السلام آية إلى آية وذلك يتوقف على عناية بالقرآن كاملة وعلى كمال الإستعداد لفهمه بكمال معرفة اللغة العربية وكمال الزهد في الدنيا والورع ، وكمال اللجوء إلى تفهم القرآن عن شعور بشدة الحاجة إلى فهمه كما هو

(١٥٢٦/٢)

المناسب لعزته أن لا يهتدي به من يرى أنه مستغن عنه بغيره ، والله تعالى يقول ({وإنه لكتاب عزيز) } فهو لا ينال بجرح أو تنقيص أو تحقير فكذلك لا ينال بتقليل فائدته ؛ لأنه من التحقير المنافي لعزته وقد وصفه الله بالبركة في أربع آيات ، وقال فيه ({إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) } ، وقال تعالى ({وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) } كل ذلك يفيد إحاطته بأحكام الله تعالى ويناسب هذا ما رواه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي [وهي في الباب الثالث عشر وهو الحديث الخامس عشر فيه] حديث عن علي عليه السلام فيه بعض الطول قال فيه: قال رسول الله / صلى الله عليه وآله وسلم :((دار بلاء وانقطاع فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن ..)إلى قوله / صلى الله عليه وآله وسلم .. وهو الدليل الذي يدل على خير سبيلي وكتاب تفصيل وبيان وتحصيل والفصل ليس بالهزل لا تحصى عجائبه ، ولا تبلى غرائبه ، فيه مصابيح الهدى ، ومنارات الحكمة ، والدليل على المعرفة لمن عرف الطريقة فليولج رجل بصره ، وليبلغ الطريقة نظره ينج من عطب ، ويتخلص من أسب ، فإن التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المشير المستنير في الظلمات بالنور بحسن تخلص وقلة تربص)) .

(١٥٢٧/٢)

انتهى.

وفيها في الباب المذكور [وهو الحديث التاسع] أسنده عن عبد الله وهو ابن مسعود قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه السلام : (((إإنه هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبة الله ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله المتين ، وهو النور المستنير ، والشافع ، والدافع ، عصمة من تمسك به ، ونجاة من تبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيثبت ، ولا تنقضى عجائبه ..) الحديث)) وفي هذا الباب المذكور بإسناده عن معاذ بن جبل قال : ذكر رسول الله / (ص) الفتنة فعظمها وشددها فقال علي بن أبي طالب عليه السلام :(فما المخرج منها ؟) قال :((كتاب الله فيه حديث ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وفصل ما بينكم .. إلى قوله .. وهو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم ..

(١٥٢٨/٢)

الحديث)) الحديث ، وهذا الحديث موافق لقول الله تعالى ({فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) } ، ويناسب قوله في الحديث : ((وهو حبل الله المتين)) قوله / صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الثقلين : ((كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به لا تزلوا ولا تضلوا)) وحديث الثقلين دليل واضح على ما نحن فيه لأن قوله :((إني تاريك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي)) يفيد إحاطة القرآن بعلوم الدين فتأمل .

يؤكد ذلك ما رواه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي [في الباب السابع] في فضل الإمام زيد ابن علي عليه السلام بإسناده عن أبي هاشم الرماني [رحمه الله] تعالى يقول :

(١٥٢٩/٢)

طلب زيد بن علي من أخيه عليه السلام كتابا فأغفل عن ذلك أبو جعفر عليه السلام ثم ذكره فأخرج إليه الكتاب فقال له زيد بن علي عليهما السلام : قد وجدت ما أردت منه في القرآن فقال له أبو جعفر عليه السلام : فأسألك ؟ فقال له زيد عليه السلام :(نعم سلني عما أحببت) فقال أبو هاشم ففتح أبو جعفر الكتاب وجعل يسأله ويجيبه زيد بجواب علي عليه السلام كما في الكتاب ، فقال له أبو جعفر عليه السلام: بأبي أنت وأمي يأ أخي أنت والله نسيج وحدك بركة الله على أم ولدتك لقد أنجبت حين أتت بك شبيه آبائك عليهم السلام أجمعين ، .انتهى.

هذا والسنة هي الدليل الثاني ، وقوله أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وإجماع آل رسول الله / صلى الله عليه وآله وسلم وبيان علة الحكم في أحد الأدلة ، وإجماع الأمة كل ذلك من دلائل الدين عندنا ، وبالله التوفيق .

وقوله تعالى ({ونزلنا عليك الكتاب بيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)} يحتمل أن قوله ({للمسلمين) } أي الذين أسلموا وجوههم لله وأخلصوا دينهم لله وتجنبوا الشرك راجع إلى قوله ({تبيانا وهدى ورحمة وبشرى) } كلها وهو الراجح عندي ، ويحتمل تعلقه بالأخير وحده .
}

(١٥٣٠/٢)

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون } إن الله يحتمل أنه تعليل لقوله (ونزلنا عليك الكتاب) وأنه ابتداء كلام وكل ذلك صحيح والعدل ضد الجر والظلم والإحسان ضد الإساءة والأمر به لا ينافي كونه إحسانا غير مستحق كاستحقاق الدين ولعل حده ما تقتضيه المروءة ويكون تركه نقصا في التارك ، وقوله تعالى (وإيتاء ذي القربى أي إعطاء القريب من النسب وحده بقدر حاجة القريب الضرورية وما تقتضيه المروءة وقد مر ترجيح وجوبه وأنه غير خاص بالوارث إلا أن الوارث يجيب عليه قبل سائر القرابة فإن غاب وتعذر منه الإنفاق أو تمرد وتعذر إجباره فعلى غيره من القرابة أن ينفق ومع عدم الإضطرار يصله صلة ، وقوله تعالى (وينهى عن الفحشاء) هي الفعلة الفحشاء الزائدة في قبحها وقد استعمل اسم الفحش في بعض القول وفي قصيدة النابغة :
لم يؤذا هلا ولم تفحش على جار

(١٥٣١/٢)

وفي لسان العرب وفي الحديث :((إن الله يبغض الفاحش المتفحش)) فالفاحش ذو الفحش والخنا ومن قول وفعل والمتفحش الذي يتكلف سب الناس ويتعمده وقد تكرر ذكر الفحش والفاحشة والفاحش في الحديث وهو كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي ، قال ابن الأثير : وكثيرا ما ترد الفاحشة معنى الزنا .انتهى من لسان العرب .
قلت : وحيث ورد بمعنى الزنا فهو على حذب الموصوف كنايةعن الزنا لأن الله تعالى قال في الزنا (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة) فليس مفهوم اسم الفاحشة وإنما اسم الفاحشة وصف له .
وقوله تعالى (والمنكر) وهو ما تنكره العقول .
قال الراغب في تفسيره : والمنكر كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة .انتهى المراد.

وقوله تعالى (والبغي) أن يهى عنه وهوا لتعدي على عباد الله أو محاولة الظلم لهم .
وقال الشرفي في المصابيح : والبغي طلب التطاول بالظلم .انتهى المراد.
وفي [الصحاح] : البغي التعدي وبغي الرجل على الرجل استطال .انتهى المراد.

(١٥٣٢/٢)

وفي أمالي المرشد بالله عليه السلام الخميسية [١٥٣/١] أن عمرو بن شعيب لما أسقط عمر بن عبد العزيز من الخطب على المنابر لعن أمير المؤمنين عليه السلام قام إليه عمرو بن شعيب وقد بلغ إلى الموضع الذي كانت بنو أمية تلعن فيه عليا عليه السلام فقرأ مكانه ({إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر) } فقام إليه عمرو بن شعيب لعنه الله فقال : يا أمير المؤمنين السنة السنة ، . فقال عمر : أسكت قبحك الله تلك البدعة تلك البدعة لا السنة ،. وتمم خطبته ، .انتهى ، .
وقد سقط من المطبوعة تكرار تلك البدعة وهو ثابت في الأمالي مصحح .
وفي أمالي أبي طالب عليه السلام رواية خطبة عن علي عليه السلام في آخرها :{إن الله يأمر بالعدل والإحسان ..} إلى آخر الآية ،.
وهي في [الباب الرابع عشر من] تيسير المطالب .
وقوله تعالى ({يعظكم)} أي بأمره ونهيه المذكورين أو بنهيه {لعلكم تذكرون} تعريضا لكم على التذكر وهو الإنتباه من الغفلة المسبب الإجتناب لاجتناب ما نهي عنه ؛ لأن تذكر نهي الله تعالى يصرف المؤمن عن المعصية .

(١٥٣٣/٢)

قال الشرفي في [المصابيح] : وقوله ({لعلكم تذكرون) } ليس المراد منه الترجي والتمني فإن ذلك محال على الله تعالى فوجب أن يكون معناه أنه تعالى يعظكم لكي تذكروا طاعته ، وذلك يدل على أنه تعالى يريد الإيمان من الكل خلاف ما أفتراه المجبرة ، .انتهى.
{ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إنا لله يعلم ما تيفعلون } :
عهد الله: ما عاهد الله به المعاهد والعهد القول الموثق المؤكد ، ومثاله: أن يقول أعاهد الله على كذا ، هذا مثال عهد الله المذكور هنا ، وكذا لو قال : أقسم بالله لأطيعن الله أو نحوه ، هذا فهو من عهد الله

.

قال الشرفي في [المصابيح] : قال في البرهان وهذه الآية نزلت في بيعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم / الناس على الإسلام وهي عامة في عقد عقده الإنسان في يمين علىنفسه مختارا فإنه يجب الوفاء به مالم تدع ضرورة إلى حخله ، .انتهى.

(١٥٣٤/٢)

فجعل الآية تيعم ما بين العبد وربه وما بين الناس من بعضهم لبعض ، ويمكن تخصيص عهد الله بما عاهد العبد ربه عليه كما في قوله تعالى ({ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله) } ، وقوله تعالى ({ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار) } وغير ذلك ، فأما ما بين الناس فيشمله قول الله تعالى ({ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) } وقوله تعالى في سورة الإسراء {وأوفوا بالعهد..

(١٥٣٥/٢)

}الآية وقوله تعالى {بعد توكيدها} أي تقويتها ليوثق بها وتوكيد بقصدها وتعمدها المخرج لها عن يمين اللغو التي تجري على اللسان بغير قصد الحلف ، وتوكيدها مع القصد بكونها قسما بالله يوجب لها حكم اليمين ، وقوله تعالى ({وقد جعلتم الله عليكم كفيلا)} أي حين حلفتم به ليكون ذلك عهدا جعلتم الله كفيلا عليكم بالوفاء ؛ لأنكم جعلتموه ملزما لكم بالوفاء من أجل الحلف به كما يطلب الكفيل الغريم بالوفاء بل أشد منه ؛ ولأنكم جعلتم اليمين بالله موثقا لمن عاهدتموه كما تجعلون الكفيل موثقا له وذلك من جهة أيمان المعاهد والمعاهد بعزة الله وتعرض الناكث لليمين لعقوبته فصار التوثيق بالعهد راجعا إلى التوثيق بالتعرض لعقوبة الله إن نكث فبهذا يكون قد رضي على نفسه في العهد بعقوبة الله له إن نكث ، ومعنى ذلك أنه قد جعل الله عليه كفيلا بالوفاء ، وقوله تعالى ({إن الله يعلم ما تفعلون) } أي أوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الأيمان إن الله يعلم ما تفعلون فهو يجزي بالوفاء ويعاقب على النكث .

}

(١٥٣٦/٢)

ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون } :
لا تكونوا كالتي نقضت غزلها: إما بالنكث للعهد وإلغائه ، وإما بإحباط أعمالكم بسبب الغدر ، والأول معناه التنفير من النكث بالتشبيه للناكث بالتي نقضت غزلها ، ولا يصح هذا بمجرده ، والأولى حمله على معنى أن العهود يحتاج إليها الناس لتحصيل الثقة بينهم في الصلح حيث يعاهد عليه بعضهم بعضا فيتم الصلح ويستمر الأمن في مدة الصلح ، وفيه نفع لمعايشهم ولمن يضعف عن الحرب ، فإذا نكثوا العهد بطلت الثقة وصار العهد قليل الفائدة وكذا العهد في سائر الأمور ، وبهذا المعنى يستقيم التشبيه على معنى إبطال المنفعة من العهد فيفيد التشبيه للناكث بالتي نقضت غزلها ؛ لأنها أبطلت فائدة الغزل من بعد قوة في الخيوط حصلت بالغزل فحين نقضت غزلها الذي فتلته وحولته إلى أنكاث أي غير مغزول بعد غزله من الصوف أو غيره أبطلت فائدة غزله .
وفي تفسير الإمام زيد عليه السلام: فالقوة الكبة ، والأنكاث المنقوضة منها ، .انتهى.

(١٥٣٧/٢)

وأما تفسير التشبيه بالتي نقضت غزلها أنه لإحباط العمل فظاهر لكن لم أجد أحدا فسرها به مع أنه مناسب للتحذير من نكث العهد ، والله أعلم ، .
ويمكن تفسيره بالمعنيين لعدم التنافي بينهما ، وقوله تعالى ({تتخذون أيمانكم) } فهو تفسير للمنهي عنه في قوله تعالى ({ولا تكونوا كالتي نقضت) } أي باتخاذ أيمانكم دخلا بينكم ، والدخل في تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام : هو الفاسد ، .انتهى ، .
أي يتوصلون بها إلى الغدر ، وفسر صاحب [الصحاح] الدخل بالعيب والريبة ، وقال: وقوله تعالى ({ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) } أي مكرا وخديعة ، .انتهى ، .
وهذه التلاوة في [الصحاح] غلط ، أما في [مفردات الراغب] فقال : والدخل كناية عن الفاساد والعداوة المستبطنة كالدغل ، .انتهى.
وقال الشرفي في [المصابيح] : دخلا بينكم أي دغلا ومفسدة بمعنى غشاء وخديعة ، .انتهى المراد.

(١٥٣٨/٢)

وقوله تعالى {(أن تكون أمة هي أربى من أمة) } الراجح فيه أنه بمعنى لئلا كما في قوله تعالى ({أن تضل إحداهما فتذكر أحداهما الأخرى) } وقوله تعالى ({يبين الله لكم أن تضلوا)} فالمعنى لا تتخذوا

أيمانكم دخلا كراهة أن تكون أمة هي أربا من أمة ، ولئلا تكون التي تغدرون بها أربا من أمة أخرى كثيرة العدد فتنكثوا عهدكم رغبة في بقاء الأمة التي عاهدتموها قليلة العدد بالنسبة إلى الأمة الأخرى ، فهذا لا يبرزز نكث العهد ، ويمكن في مثل هذه الحالة إبلا غ المعاهدين نهاية الصلح بغير غدر بهم كما نزلت براءة لإعلان حرب المشركين بعد أربعة أشهر من البلا غ ، وقوله تعالى ({إنما يبلوكم الله به)} أي يحذر أن تكون أمة هي أربا من أمة وأو خوف ذلك أو بمثله مما يرغب في نكث العهد فهو ابتلاء من الله واختيار يبتميز به من يثبت على عهده ومن ينكث ، وقوله تعالى ({وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون} كقوله تعالى ({ليبين لهم الذي يختلفون فيه}÷ وقد مر وبيانه يوم القيامة بالتمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون ، وقوله ({وليبينن) } أي أقسم ليبينن.
}

(١٥٣٩/٢)

ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون }
{ولو شاء الله لجعلكم} بالجبر أو القسر {أمة واحدة} غير مختلفين ؛ لأنه على كل شيء قدير فلم يعص مغلوبا ولكن لم يشأ ذلك ، ولكن أراد أن يجعل التكليف مع اختيار العبد حتى يتميز الخبيث من الطيب وتبع ذلك أن استحق الإضلال بعضهم بمحادته لله وتمرده {فأضله} أي خذله وتركه للشياطين فأضلته ، واستحق الهدى بعضهم بإجابته دعوة الله وصلاح نيته ، وقوله تعالى ({ولتسألن) } أي يوم الحساب {عما كنتم تعملون} من حق أو باطل ليثيب الله أولياءه ويعاقب أعداءه ليجزي الله كل نفس ما كسبت ، وفائدة التعليق على المشيئة في قوله تعالى من ({من يشاء)} وقوله ({من يشاء) } أو من فزائدته الدلالة على أنه القاهر فوق عباده الغالب على أمره الذي يفعل ما يريد لا ينازعه منازع ولا يعارضه أحد ، وفي هذا ترغيب في اللجوء إليه للهداية وترهيب من إضلاله ليعذر العبد أسبابه .
{ ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم } :
}

(١٥٤٠/٢)

ولا تتخذوا أيمانكم دخلا} لا تتخذوا العهود خداعا لمن تعاهدونه وسيلة إلى الدغل والفساد عليه ، وقوله تعالى {(بينكم}) أي في المعاملة بينكم مثل الصلح إذا عاهدتم على ترك القتال بينكم أو غير

ذلك ، وقوله تعالى ({فتزل قدم بعد ثبوتها)} هذا مثل لخروج فاعل ذلك من طاعة ا لله إلى معصيته ومن استحقاقه التواب إلى استحقاقه العذاب ، وزلول القدم زوالها من مكانها لأجل زلق في المكان مثلا أو غيره مما يسبب سقوط الإنسان الذي زلت قدمه ، وقوله تعالى ({بعد ثبوتها) } أي بعد كونه على الحق والصواب وسبب الهدى والثواب ، وتلك حالة ينبغي للعاقل أن يكون حريصا على أن يبقى عليها ؛ لأنها سبب سعادته الدائمة إذا بقي عليها حتى يموت ، وقوولة تعالى ({وتذوقوا السوء) } أي العقاب تذوقونها تجدون ألمه ، والسوء الشر .

قال الشرفي في [المصابيح] : وتذوقوا السوء أي العذاب في الدنيا ، .انتهى.

(١٥٤١/٢)

وقوله تعالى ({بما صددتم) } إن كان من الصدود أإني بما أعرضتم عن سبيل الله أبي أي عن دينه وشريعته فالمعنى أن اتخاذكم أيمانكم دخلا بينكم هو من الإعراض عن سبيل الله فتذوقوا السوء بسبب الإعراض عن سبيل الله ، وإن كان صددتم هو الذي مصدره الصد فمعناه بصدكم غيركم عن سبيل الله بما سننتم لهم نكث العهد واتخاذه دخلا ، والأول أرجح ، وقوله تعالى ({ولكم عذاب عظيم) } أي في الآخرة ، أو فيها وفي غيرها .

}

(١٥٤٢/٢)

ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إن ما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون } {ولا تشتروا} ولا تستبدلوا {بعهد الله} عوضا من أغراض الدنيا تجعلونه بدلا من حفظ العهد والوفاء سواء كان البدل رشوة تنالونها بنكث العهد أو غلبة لعدوكم تظفرون بها أو غنائم تحرزونها أو غيره ، فأغرضا الدنيا كلها قليل بالنسبة إلى ما عند الله من الخير لمن أوفي بعهد الله ، وهذا الخير يعم فوائد كثيرة ؛ لأنه قد ينال المتمسك بالميثاق نصراص من الله في حين يكون قتال العدو حقا لا نكث فيه فينال غنائم وعزا وإعلاء للحق وأهله وإخمالا للباطل وأهله ، كما أن المتمسك بالميثاق قد يرزقه الله رزقاص حلالا غير الغنائم التي يؤمل أن ينالها بنكث العهد وثواب الله خير من ذلك كله لمن يعلم وشأنه أن يعلم ، فأما من أعمى حب الدنيا بصيرته وغفل عن الله ورجا فضله فالأعمى عن ذلك غافل عن العلم بذلك وبغيره من العلم النافع .

}

(١٥٤٣/٢)

ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون } {ما عندكم} من عرض الدنيا {ينفد} ينتهي وينقضي فلا يبقى منه شيء {وما عند الله} من الثواب {باق} لا ينفد ؛ لأن نعيم الجنة لا ينقطع أبدا ، وقوله تعالى ({وليجزين) } [بالنون أو بالياء المثناه من تحت] أي نثيبن {الذين صبروا} على الوفاء بالعهد وعلى مشيثاق التكاليف كلها من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن ا لمنكر وغير ذلك وصبروا على بلاء الله تعالى {أجرهم} وهو يعم أجر الصبر وأجر كل سبب للأجر ، وهذا مبني على أن قوله تعالى ({بأحسن ما كانوا يعملون)} يعم الواجب وكل قربة ؛ لأن ذلك أحسن أعمالهم لأن بعض أعمالهم ليس واجبا ولا مستحبا ، ويحتمل أن المراد بالأحسن أفضل أعمالهم الصالحة كالجهاد فيكون هذا الوعد نصا في الثواب عليه ويدخل ما دونه ؛ لأنه دون أجره بمفوم الأولى أو بدليل آخر ، والأول أظهر وتأكيد الوعد بالقسم في قوله تعالى ({وليجزين) } أي أقسم ليجزين زيادة في الترغيب في الصبر .

}

(١٥٤٤/٢)

من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون } {من عمل صالحا} من واجب أو مستحب صالحا غير فاسد ولا محبط بمخرج من التقوى ؛ ولذلك قال تعالى ({وهو مؤمن)} لأن الإيمان لا يجتمع مع اقتراف الكبائر وتعمد المعاصي ، وقوله تعالى ({من ذكر أو أنثى)} لا فرق بينهما في ذلك ، وقوله تعالى ({وهو مؤمن) } شرط في قبول العمل ؛ لأن الفاجر يحبط عمله الفجور ، وقد تكرر هذا الشرط فتقدم في سورة النساء في آية [١٤٢] ويأتي في سورة الإسراء في آية [١٩] وفي سورة الأنبياء في آية [٩٤] وذلك يدل على أنه لا ينفع العمل إلا مع الإيمان كما قال تعالى في المجرمين ({وقدمنا إلى ما عملوا من عملم فجعلناه هباء منثورا) } ، وقال تعالى في الذين كفروا ({ذلك بأنهم ابتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)} وقال تعالى حاكيا ({إنما يتقبل الله من المتقين)} فعلى الإنسان أن يكون مؤمنا توابا ليحفظ عمله الصالح ، وقوله تعالى ({فلنحيينه حياة طيبة) } وعد غير مقيد فهو صالح للحياة الدنيا وللآخرة ، وطيب الحياة الدنيا القناعة والرضى بما كتب وكونها مزرعة للآخرة سليمة من رجس المعاصي ، وطيب الآخرة السلامة

من الفزع الأكبر ومن سوء الحساب ومن عذاب النار ومقدماته ومع ذلك رضوان الله والفوز بالجنة فهي تمام طيب الآخرة ، وهذا يجمع طيب الحياة ، ويمكن اعتبار أبعاضه طيبا كالقناعة في الحياة الدنيا والسلامة في الآخرة من كل شر فتفسير الحياة الطيبة بالحياة الدنيا صحيح وتفسيرها بالآخرة صحيح ، ولا بد من التفسير بهما ؛ لأن الآية لم تعين أحدهما ولا ينافيه قوله تعالى({ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) } لأن الأجر أكثر من طيب الحياة الآخرة وبه تطيب الحياة أكثر .

{ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا على ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون } :

}

فإغذا} تفريع بـ(الفاء) على الوعد بالحياة الطيبة والجزاء بأحسن ا لعمل ؛ لأن القرآن يبين العمل الصالح ما هو فيقر المعرفة العمل الصالح ، فكأن الحث على العمل الصالح حثا على تعلمه فكان حثاص على قراءة القرآن ؛ ولأن قراءة القرآن هي من العمل الصالح ، وفي الحديث الصحيح : ((قراءة القرآن في صلاة أفضل من قراءة القرآن في غير صلاة ، وقراءة القرآن في غير صلاة أفضل من الذكر ، والذكر أفضل من الصدقة ، والصدقة أفضل من الصيام ، والصيام جنة من النار ..

الحديث)) الحديث ، وقوله تعالى (فاستعذ بالله}) أمر بطلب الإستعاذة من الشيطان بأسبابها ليس بمجرد قول القائل: أعوذ بالله من الشيطان ، وأسبابها الإيمان والتوكل والدعاء وذلك لأن قوله {فاستعذ بالله} معناه توسل إلى أن يعيذك الله ، كأنه قيل: اجعل الله معيذا لك بفعل سبب ذلك ؛ لأنه قال {فاستعذ بالله} فأتى بـ(البياء) ولو قال: فاستعذ الله لكان معناه أطلبه أن يعيذك ، ونظير الباء هنا في قوله تعالى ({قال موسى لقومه استعينوا بالله)} في سورة الأعراف آية [١٢٨] وعلى هذا فالإستعاذة بالله هي معها في ظرفه بأكله غير مختصة بوقت ابتداء القراءة ، وقوله تعالى ({من الشيطان الرجيم) } أي الذي يرجم بالشهب دفعا عن سماع الملأ الأعلى ؛ لأنه شرير يستمع توصلا إلى أن يفسد في الأرض ؛

لأن الخير قد يستعمل وسيلة للتغرير والإفساد كما قال تعالى ({يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) } فهم يتوسلون ليقبل كذبهم ، وقوله تعالى ({إنه ليس له سلطان)} أي ليس له قوة على الذين آمنوا فليس له قوة على إغوائهم ، وقوله تعالى ({وعلى ربهم يتوكلون) } بيان للوسيلة إلى دفع الشيطان .

(١٥٤٨/٢)

الثانية والإيمان الوسيلة الأولى ، فالإيمان بسبب الإنتفاع بالقرآن واتباع محكمه والإيمان بمتشابهه ويسبب الإيمان عطف الهوى على القرآن لا عطف القرآن على الهوى ؛ لأن التعلق بالمتشابه دون المحكم وعطف المحكم على الهوى هو شأن أهل الزيغ ، فالمؤمن ينتفع بالقرآن لذلك والوسيلة الثانية التوكل على الله فهو يدفع الشيطان عند تخويفه من أوليائه وعند تخويفه من الفقر وعند تخويفه من مشاق التكليف ، فالمؤمن يتوكل على الله عند ذلك كله فيعزم على طاعة الله وامتثال أمره ونهيه والعمل بالقرآن والتمسك به في العسر واليسر ؛ ولذلك فينقل ما في القرآن بنية صالحة ويذهب عنه وسواس الشيطان ، وقوله تعالى ({إنما سلطانه) } أي الشيطان {على الذين يتولونه} يتخذونه وليا بأن يطيعوه ويتركوا الإيمان كما قال تعالى ({يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان ..} إلى قوله تعالى {.. إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون)} ، وقال تعالى ({فريقاص هدى وفريقاص حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله)} وقوله تعالى ({والذين هم به مشركون} أي مشركون بطاعته : إما مطاق أو إما في الشرك والأول ... ... كأن به هنا نقص سطر في الأصل المصور .
}

(١٥٤٩/٢)

وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون } {بدلنا آية} جعلناها في التكليف بدل آية ؛ ولذلك قال {مكان آية} لأنه صار المشروع العمل بالآية الثانية بدلا من العمل بالأولى ، فكانت مكانها في التكليف والتشريع ، ولا يجب أن تكون مكانها في التلاوة ؛ لأن اعتراض الكفار إنما هو على تبديل الحكم لا على تبديل التلاوة كقوله تعالى ({سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) } ، أما نسخ التلاوة مع بقاء حكمها وكونها آية فلا يعترضون فيه ؛ لأن المهم الحكم.

فإن قيل : ينسخ كونها آية من القرآن .

قلنا : لا يصح هذا لأنها سميت لأحكامها وكونها من القرآن أنزلها الله في جملة القرآن وإخراجها عن

هذا لا يصح ؛ لأنها لا تنقلب ناقصة بعد كمالها ، ولا تنقلب غير منزلة في القرآن بعد نزولها فيه فصح أنها لا تخرج عن كونها آية .

فإن قيل : نسخها إخراجها من القرآن .

قلنا : لا دلالة في الآية على ذلك ؛ لأنها سميت آية لما ذكرت ونسخها بإخراجها من القرآن لا دليل عليه صحيحا ولذلك قال تعالى ({والله أعلم بما ينزل)} وهي جملة معترضة تبين أنه لم يختلف حكم الآيتين إلا لحكمة لا لجهل بالحكمة في أيهما ولا لنسيان ما نزل من الحكم أولا ، وقول الكفار {: إنما أنت مفتر} أرادوا تفتري الكذب أي كاذب عمداص لاختلاف كلامك حيث حول دل أولا على شيء ودل آخرا على خلافه فرد الله عليهم بقوله سبحانه وتعالى ({بل أكثرهم لا يعلمون) } فهم أهل جهل ليس من أنهم أن يعلموا ولذلك حملوا اختلاف التشريع على الإفتراء ونسوا أن التشريع من الله لا مانع من اختلافه لاختلاف الحكمة فيه مع اختلاف الوقت ، ومن الواضح أنه يجوز أن يأمر الله بإكرام زيد اليوم لأنه مؤمن ثم يأمر بإهانته غدا لأنه فاجر غير مؤمن فهكذا تختلف الأحكام لاختلاف الأسباب

.

{ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين } {قل} يا رسول الله {نزله}نا أي نزل القرآن الذين زعمتم أنه افتراء على الله افتريته أنا فقد كذبتم إذ كذبتموني ؛ لأنه نزل القرآن على قلبي روح القدس .... وهنا يمكن ناقص سطر من الأصل المصور .

من الله ، وروح القدس: روح الطهارة أو روح البركة وهو جبريل الأمين عليه السلام ، وقوله تعالى ({من ربك)} أي هو الذي قاله فـ(من) للأشداء للإبتداء كقوله تعالى ({وما بكم من نعمة فمن الله)} من الثانية للإبتداء ، وقوله ({من ربك)} إشارة إلى أنه اختارك لإنزاله عليك وخصك بهذه الكرامة العظمى ، وقوله تعالى {بالحق} يحتمل معنى قوله تعالى ({وبالحق أنزلناه)} ومعنى قوله تعالى ({وبالحق نزل) } أو كليهما فإنزاله الحق ومعانيه الحق ، وقوله تعالى ({ليثبت الذين آمنوا} إشارة إلى حكمة اختلاف التشريع فهو التثبيت للذين آمنوا على الهدى فقد تكون الحكمة في التشريع الأول للتخفيف عليهم فيه لقلة تحملهم لما هو أشق ففي ذلك تثبيتهم بالتخفيف حين كان سبباص لتثبيتهم ، وقد تكون الحكمة في نسخ الأشق بالأخف كنسخ استقبال العرب لبيت المقدس باستقبال الكعبة ونسخ الصيام من بعد

صلاة العشاء أو من حين ينام العبد في الليل ولو في أوله نسخ بالصيام من حين يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر فذلك تثبيت للذين آمنوا بالتخفيف عنهم ، وفي القرآن تثبيت للذين آمنوا بغير اختلاف الأحكام لأن المؤمن يتجدد إيمانه كلما نزل قرآن ؛ لأنه يعلم أنه من الله ؛

(١٥٥٢/٢)

لكونه خارقا في حكمته وإحكامه ، وقوله تعالى ({وهدى وبشرى للمسلمين)} هدى لهم يهتدون به إلى الحق ، وبشرى لهم بالثواب وبنصر الله لدينه وغير ذلك ، وقوله ({للمسلمين) } يحتمل للذين أسلموا أنفسهم لله فدخلوا في السلم كافة انظر آية [٢٠٨] وتفسيرها وهو أظهر ليوافق قوله تعالى ({هدى للمتقين) } وغيرها ، ويحتمل للذين خرجوا من الشرك بالشهادتين فهو هدى لهم إأن اهتدوا به وبشرى لهم أن اتبعوه ، والأول أظهر .
}

(١٥٥٣/٢)

ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين }
{إنهم} أي الكفار {يقولون إنما يعلمه} أي محمدا {بشر} وأرادوا بهذا البشر من غير الأميين الذين لا يحسنون الحكمة وتعليم الدين لأنهم نشأوا في جاهلية جهلاء فأرادوا رجلا متعلما ولكنه أعجمي اللسان قيل: هو سلمان الفارسي ، وأجيب عنه بأن الآية مكية وسلمان لم يأت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم / إلا بعد هجرته فآمن به سلمان في المدينة والذي يلزم المفسر أن يبين أن الكفار أرادوا رجلا أعجم اللسان فأما تعيينه فلا يلزم ؛ لأنه لا حاجة إليه في فهم معنى الآية الذي هو ذكر كذبهم والرد عليهم بالحجة الواضحة وهي قوله تعالى ({لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) } .
وفي تفسير الإمام زيد بن علي عليهما السلام: يلحدون إليه معناه يعدلون إليه ، .انتهى. ،
ونحوه في [مفردات الراغب] ، وقوله تعالى {وهذا} أي القرآن {لسان عربي مبين} أي يبين المعاني للعرب أو مبين بين العروبة لا يشتبه بأعجمي وإذا كان عربيا فلا يستطيعه الأعجمي ، فتبين بطلان دعوى الكفار أنه تلقن القرآن من تستر بشر فقد كذبوا .
}

(١٥٥٤/٢)

إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم } {لا يؤمنون} عادتهم أن لا يؤمنوا ومن خلقهم وشأنهم أن لا يؤمنوا عنادا وتمردا فأي آية شاهدوها لم يؤمنوا بها {لا يهديهم الله} لأنهم لا يستحقون إلا الإضلال ولذلك قالوا {إنما يعلمه بشر} وقالوا {إنما أنت مفتر} .

{ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون } {إنما يفتري الكذب} يتعمده ويختلقه {الذين لا يؤمنون بآيات الله} لأنه وازع لهم من الكذب بمنعهم بالتخويف من الله فهم الذين يفترون الكذب لا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم / فهو معصوم ، فقولهم {إنما أنت مفتر} باطل هم أهله وأولئك الذين لا يؤمنون بآيات الله وبسبب عدم إيمانهم بآيات الله {هم الكاذبون} كذبا مستمراص لأنهم يكذبون ويصرون على الكذب فهم الكاذبون باستمرار.

{ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم } :

}

(١٥٥٥/٢)

من كفر بالله} إما بالكفر بدينه أي يرفضه والبراءة منه كقوله تعالى حاكيا عن إبراهيم (والذين معه {كفرنا بكم}) وقوله تعالى ({ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله)} فجعل البراءة من دينه كفرا به تعالى وبراءة منه كما جعل محاربة دينه محاربة له ، وإما بالجحد به كتكفر الطبائعية ، أو ا لجحد بقدرته مثل كفر من جحد البعث استبعادا لقدرة الله علعيه من بعد إيمانه أي ارتد عنه إلى الكفر {إلا من أكره} على النطق بكلمة الكفر {وقلبه مطمئن} غير متردد في الإيمان فهو ثابت عليه فلا ريب فيه ولا قلق فاطمئنان القلب سلامته من الريب ، فذلك سكون القلب المعبر عنه بقوله تعالى ({مطمئن بالإيمان) } وهذا الإستثناء يخرج المكره من عموم {من كفر بالله} لأنه أكره على النطق بالكفر فنطق به لينجو من تعذيب الكفار له أو قتله ، فكان إكراهه مع سلامة قلبه عذرا له ، وقوله تعالى ({ولكن من شرح بالكفر صدرا)} أي رضي بالكفر وطابت به نفسه فهو المراد بالوعيد {فعليهم غضب من الله} أي غاية الغضب وهي لعنة الله لهم وخذلانه لهم وحكمه عليهم بكلمة العذاب وقوله تعالى ({فعليهم غضب من الله)} الراجح أنه جواب الشرط المذكور في أول الآية .

(١٥٥٦/٢)

قال بعض المفسرين : وقوله ولكن من شرح بالكفر صدراص أي بسط صدره للكفر فقبله قبول رضى ووعاه ، والجملة استدراك من الإستثناء فيعود إلى معنى المستثنى منه ، فإن المعنى ما أريد بقولي من كفر بالله من بعد إيمانه من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن أريد به من شرح بالكفر صدرا ، وفي مجموع الإستثناء والإستدراك بيان كامل للشروط وهذه هي النكتة لاعتراض الإستثناء بين الشرط والجزاء وعدم تأخيره إلى أن تتم الشرطية ، .انتهى.
هذا هو الراجح في معنى الآية وإذا كان حذف جواب الشرط ضعيفا فيمكن جعل (من) الثانية موصولة أي ولكن أعني من شرح ، أو ولكن من شرح هو المعني ، والله أعلم ، .
وقوله تعالى ({ولهم عذاب عظيم) } مناسب لعظم الجريمة .
}

(١٥٥٧/٢)

ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وإنا وأن لله لا يهدي القوم الكافرين } {ذلك} إشارة إما إلى غضب الله عليهم ووعدهم بالعذاب العظيم ، وإما إلى سببه الذي هو شرح صدورهم بالكبر بعد إيمانهم وهو أرجح عندي رحمه الله صدورهم بالكفر بعد إيمانهم وهو أرجح عندي فهم إنما ارتدوا لإيثارهم الغرض الدنيوي وهو استبقاء الحياة والسلامة من مشقة الثبات على الإيمان والراحة من عنائه في ذلك الظرف كما قال تعالى ({ومن الناس من يعبد الله على حرف ..} إلى قوله تعالى {.. وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ..} الآية) فهو قد آثر الحياة الدنيا والراحة ورضى قومه عنه وهما من أغراض الحياة الدنيا ، وحبها هو الباعث على ترجيح جانب السلامة من الفتنة والمؤدي إلى ترجيح رضى قومهم الذين خافوهم وكل نفس في الأصل تحب الحياة الدنيا إلا أن المؤمن لا يكون حبها في نفسه أرجح من حب الآخرة وحب تقوى الله بل العكس . ،

(١٥٥٨/٢)

وهؤلاء استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة أي جعلوا الحياة الدنيا أرجح في الحب من الآخرة ، واختاروا ترجيح حب الحياة العاجلة على حب الآخرة ف(السين) تفيد أنهم اختاروا ذلك الحب ورضوه راجحا على حب الآخرة وذلك لأن تصديقهم بالأخوة بالآخرة ضعيف فلم يكونوا مؤمنين عند أن رجحوا الردة {وأإن الله لا يهدي} أي وبأن الله لا يهدي أي وبسبب أإن الله لا يهدي {القوم الكافرين} والكفر هنا

على الوجه الثاني الذي رجحته هو كفر نعمة الدخول في الإسلام والإيمان وذلك بالمعاصي التي كانوا فعلوها قبل الردة فقد كانوا فراقوا فارقوا الإيمان الصحيح فلم يستحقوا من الله الهدى والتثبيت على الإيمان ولو كانوا ثبتوا على الإيمان والصدق فيه ما رجحوا الحياة العاجلة على الآخرة ، فظهر أن قلوبهم قد كانت مريضة من قبل الردة ، وأنهم كانوا كافرين لنعمة الله بترك التمسك بالدين وإيثار تقولى الله .

قال الراغب في تفسيره [لمفردات القرآن] : الكفر في اللغة ستر الشيء ، .انتهى.

قلت : التعبير بالتغطية أنسب ؛ لأن الستر يستعمل لتغطية ما يعاب أو ما يعاب كشفه ، ولعله السبب في ترجيح كلمة كفر على كلمة ستر ، وكافر على كلمة ساتر مع اتفاقهما في الوزن كما في قول لبيد :

(١٥٥٩/٢)

في ليلة كفر النجوم غمامها

أما الكفر فهو ظاهر في تغطية النعمة وإخفائها بالمعاصي .

قال الراغب : وكفر ا لنعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها قال تعالى ({فلا كفران لسعيه)} وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوءة ، والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالا ، .انتهى.

وصواب العبارة: في تغطية النعمة وإخفائها أكثر لأن الواقع من كفار النعمة هو هذا لا النلطق بجحود النعمة ، ثم قال الراغب : والكفر في الدين أكثر أي أكثر من الكفران .

ثم قال الراغب: والكفور فيهما [أي في كفر الجحود للدين وكفر الجحود للنعمة] جميعا أي يستعمل هذا لامصدر المصدر في كفر الجحود وكفر النعمة ، .

ث ثم قال : ويقال ومهما منهما كفر فهو كافر .. إلخ

أي من كفر الجحود ومن كفر النعمة .

(١٥٦٠/٢)

فالحاصل من هذا أن المرتد ارتد واستحق بذلك غضب الله ووعيده بالعذاب العظيم لإيثارة الحياة الدنيا على الآخرة وكفره بنعمة الله فالمعاصي تجر العاصي إلى ما هو أكبر منهما كما قال تعالى في أهل الكتاب ({وضربت عليهم الذلة و المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)} ويمكن في هذا لاوجه ولا يبعد أن إيثار الحياة الدنيا بالحبق كان سبباص من حيث هو معصية أيضا مع كونه سببا مباشرا من حيث أن الباعث الكبير على الردة هو

الخوف من الكفار .

أما إذا كانت الإشارة إلى غضب الله تعالى والعذاب العظيم فالمعنى ذلك الغضب والعذاب بأنهم استحبوا الحياة الدنيا فهو عقوبة عليه ؛ وبأن الله لا يهدي القوم الكافرين فلم يهدهم للتوبة فاستحقوا الغضب والعذاب ، ويمكن على هذا الوجه ذلك الغضب والعذاب بأنهم استحبوا الحياة فوقعوا في سببهما ، وعلى هذا يتحد المعنيان معنى ذلك الإرتداد ومعنى ذلك الغضب والعذاب .

}

(١٥٦١/٢)

أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون } {أولئك} أي من شرح بالكفر صدرا هم {الذين طبع الله على قلوبهم} فلا يدخلها الإيمان ، وقد مر تفسير الطبع في تفسير أول سورة البقرة {وسمعهم} أي ختم عليه {وأبصارهم} أي سد عليها فلا يهتدون لسمع ....

(١٥٦٢/٢)

الحق ولا لطريقه {واولئك هم الغافلون} لأن أسباب الإنتباه مقطوعة عليهم عنهم لإقبالهم على الدنيا ورفض ما يشغل عنها ورين المعاصي على قلوبهم وإظلامها بها وعظم أسباب خذلانهم وإرسال الشياطين عليهم ، فالهدى عندهم والسعادة تحصيلهم أغراض الدنيا ، والشقاوة عندهم فوات بعض أغراض الدنيا بالفقر أو بالمرض أو بالخوف ولا ينظرون إلغير الأغراض الدنيوية فهم مستمرون على غفلتهم المطبقة عليهم {لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون} حقا إأنهم في الآخرة هم الأخسرون ؛ لأنه فاتهم فيها كل خير ومع ذلك صاروا إلى عذاب عظيم دائم وذلك الخسران الذي لا يقاس به ضعف حال المؤمنين في الدنيا حين كانوا مستضعفين خائفين من الكفار مقهورين يؤذون في الله ويفتنون فذلك ليس من الخسران بل هو في الحقيقة خير لهم ؛ لأنه سبب للسعادة الدائمة بالنجاة من النار وللثواب الدائم في جنات النعيم والملك الكبير الدائم .

}

(١٥٦٣/٢)

ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم } {ثم} بعد هذا الوعيد الشديد أن باب التوبة ما زال مفتوحا لمن أكره على الكفر فكفر فرارا من الفتنة لقلة صبره لا لانشراح صدره بالكفر وكذا من فتن واتقى بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فكلاهما رب رسول الله غفور رحيم لهما إذا هاجروا الكفار وجاهدوهم وصبروا على مشاق الهجرة والجهاد حتى ما توا على ذلك {إن ربك} من بعد تكامل الشروط {لغفور رحيم} يغفر لهم ما سلف منهم بسبب الفتنة .

والراجح أن هذه الآية هي فيمن كفر ولم ينتبه للتقيةه بكلمة الكفر بل حمله التعذيب على الكفر مع أنه غير منشرح الصدر له ولكنه كفر تقية وغفل عن المحافظة على الإيمان بقلبه ؛ لأنه ظن أنه قد كفر بمجرد النطق ، والحاصل: أن المفتونين ثلاثة أقسام :

قسم: شرح بالكفر صدرا وفيه الوعيد الشديد ، وقسم: أكره وقلبه مطمئن بالإيمان فهو باق على حكم السبق إلى الإيمان وفيه آية [٤١٤٠،٤٠وآية٤١] من هذه السورة كمن صبر على الفتنة حتى قتل ، وقسم: كفر فرارا من الفتنة ثم تاب وهاجر وجاهد وصبر وفيه هذه الآية ، فهذا هو الراجح .

(١٥٦٤/٢)

أما دخول عمار في هذه الآية فهو لدخوله في عمومها لأنه فتن وإن صبر واتقى ولم يكفر ؛ ولأنه هاجر من بعد ما فتن ثم جاهد وصبر ؛ فلذلك هو داخل في الوعد بالمغفرة والرحمة وذلك خير عظيم ، وقد دخل فيه بعمومها وفرق واضح بين عمار وبين من تغفل فكفر جادا في الكفر إلا ،ه غير منشرح الصدر بالكفر فراجع في عمار آية [٤٠ وآية ٤١٤،٤١٤٠] .

}

(١٥٦٥/٢)

يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون } {يوم تأتي} هو الآخرة الذي يخسر فيه الكافرون كلهم المرتدون منهم وغيرهم ، ولعل (يوم) هنا بيان لقوله تعالى {لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون} {تأتي كل} تأتي موقف السؤال والحسابن وهي تجادل عن نفسها لا تلتلفت إلى النظر في حال غيرها أو إلى الجدال عن غيرها ، وهو يشير إلى من ارتد من أجل أهله الذين أبوا أن يسلموا معه فغلبته العاطفة فارتدوا إلى من لم يسلم ؛ لأنهم لم يسلموا وإلى أشباههم ممن آثر طاعة المخلوق على طاعة الله ؛ فلشدة الهول من عذاب الله المتوقع أن يحكم الله به عليهم {تجادل كل نفس عن نفسها} خاصة لأنه موقف يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه الآيات {وتوفي كل

نفس ما عملت وهم لا يظلمون} فلا يظلم المجرمون بزيادة في العذاب ولا ينقص المتنقون مثقال ذرة من الثواب فهو يوم يستحق أن يجعله العاقل أكبر همه في هذه الحياة الدنيا.

{ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها روغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون } :

(١٥٦٦/٢)

في هذه الآية تحذير من العقوبة العاجلة في الدنيا بعد التحذير من سوء المصير يوم الحساب فيبين أن كفر النعمة بالكفر بالله ورسله أو بيغيره يسبب تغير الحال كما قال تعالى ({ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) } فضرب الله مثلاص ليعتبر بها أهل التقرى {قرية كانت آمنة مطمئنة} لا خائفة ولا قلقة ، والسلامة من الخوف والقلق من أهم مطالب الإنسان في هذه الحياة ، ثم قال تعالى ({يأتيها رزقها رغدا)} واسعا رافها {من كل مكان} ولعل ذلك من أجل التجارة فيها فيجلب إليها رزقها من الأقطار الكثيرة ليباع فيها فهي في نعمة الرزق مع نعمة الأمن {فكفرت بأنعم الله} اتباعا للهوى وانقيادا الأكابر مجرميها فانقلبت حالها عقوبة عاجلة {فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون} أذاقها: جعلها تحس بألم الجوع والخوف كما يحسح من ذاق المأكول طعمه وجعلها بتأثرها من الجوع والخوف قد زال عنها أثر النعمة ، وظهر على إبدالها أثر الجوع والخوف من صفرة الألوان وكدرها وهزال الأجساد فكان الجوع والخوف بظهور أثرهما عليهم كأنهما لباس على أجسامهم لاشتمال أثر الجوع والخوف على ظاهر أجسامهم كما يشتمل اللباس ؛ ولعله قدم الجوع هنا لأنه في

(١٥٦٧/٢)

الواقع وقع عليهم قبل الخوف إما لأن عدوهم طمع فيهم لظهور ضعفهم بما أصابهم من الفقر فأغار عدوهم عليهم أو لغير ذلك ، وقوله تعالى ({بما كانوا يصنعون)} أي جزاء لهم بما كانوا يعملون ؛ ولعله سماه صنعا لأنه كان عملا دبروه لمحاربة الدين وأهله وكادوا به أهل الحق فدبروا ذلك وحاولوا إتقانه كما يتقن الصانع صنعه ليؤدي إلى غرضهم الباطل .

{ ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون } {ولقد جاءهم رسول منهم} أرسله الله إليهم ليطيعوه فتبقى لهم نعمتهم فكذبوا رسولهم {فأخذهم العذاب} العاجل {وهم ظالمون} بتكذيب رسولهم وغير التكذيب من ظلمهم وبطرهم .

}

(١٥٦٨/٢)

فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة ا لله إن كنتم إياه تعبدون } {فكلوا واشكروا} فاحذروا مثل ما حل بالقرية التي كفرت بأنعم الله {فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا} ولا تحرموا منه شيئا افتراء على لاله الله وكفرا لنعمته {واشكروا نعمة الله} عليكم مك بما رزقكم من المأكول الذي كانت الجاهلية تحرمه ومن غيره من المأكول وغيره {إن كنتم إياه تعبدون} إن كنتم تعبدونه وحده لا تشركون بعبادته أحدا فإن من عبادته وإخلاصها جعل الحكم له وحجده لا يحرم غيره حلالا ولا يحل حراما لأن الله هو المالك للناس ولما رزقهم فليس لغير الله حكم فيهم ولا فيما رزقهم ، وجعل الحكم لغير الله شرك في العبادة .

{ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم } {إنما حرم عليكم الميتة} الحصر إضافي أي: لا ما حخرمته الجاهلية من الأنعام التي هي حلال كالوصيلة ، وقد مر تفسير هذه في تفسير سورة البقرة .

}

(١٥٦٩/٢)

ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم } لا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم أي فيما تصفه ألسنتمكم وتتكلمون فيه بغير حجة لا تقول فيه الكذب {هذا حلال وهذا حرام} فالكذب أي لا تقولوا القول الكذب الذي هو قولكم: هذا حلال وهذا حرام ، فقوله {هذا حلال وهذا حرام} بدل من الكذب أو بيان له ، وقوله تعالى ({لتفتروا }} أي أنكم إذا حللتم الحرام وحرمتم الحلال كنتم قد افتريتم على الله الكذب ؛ لأن الحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله ، فمعنى {هذا حلال} أحله الله ، ومعنى {هذا حرام} حرمه الله فهو افتراء للكذب على الله .

واللام .

فقال [الزمخشري] من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض ، .انتهى ، .

(١٥٧٠/٢)

وهي غير لام العاقبة أراد الزمخشري أن ما بعدها معلل بما قبلها ؛ لأنه سبب له لا لأنه غرض فيه ، أإما لا م العاقبة فالمراد فيها إفادة العاقبة ، والفرق بينهما دقيق ، ولعل لام العاقبة داخلة في عموم التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض وقوله تعالى ({متاع قليل)} أي للذين يفترون متاع قليل في الدنيا {ولهم عذاب أليم} والعذاب يعجل بعضه لقوله تعالى ({إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين)} فالمتاع القليل لا ينافي تعجيل الذلة في الحياة الدنيا ، ولتعجيل الذلة لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة .

}

(١٥٧١/٢)

وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون } وعلى اليهود {حرمنا ما قصصنا} تحريمه من قبل في سورة الأنعام في آية [١٤٦] وما أفاده في قوله تعالى ({إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) } ولعله لحوم الإبل ، ولكن التحريم الذي هو عقوبة لهم تحريم ما ذكر في سورة الأنعام فهو المراد هنا بقرينة قوله تعالى ({وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)} وقد يقال تحريم ذلك عليهم ليس ظلما ولو لم يكن عقوبة ؛ لأن الأنعام ملكه واليهود ملكه فله أن يحرم عليهم ما يشاء ؛ لأن تحليل ما أحل لهم إنما هو نعمة وتفضل عليهم .

والجواب: هذا صحيح ولكن وقوع التحريم عقوبة لهم يستدعي استحقاقهم للعقوبة لما فيه من الإهانة لهم ولذلك جحدوا كونه عقوبة فرد الله عليهم بقوله تعالى ({كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل ..} إلى قوله تعالى {.. قل صدق الله) } وبقوله تعالى ({ ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون)} فهم الذين ظلموا أنفسهم ببغيهم الذي كان سببا للتحريم .

}

(١٥٧٢/٢)

ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم } ؤ السوء القبيح ، وقوله تعالى ({عملوا السوء بجهالة) } يبين أن عمل السوء الموجب للعقوبة هو جهالة وسفاهة ؛ لأنه مخالفة لمقتضى عقولهم ، فإذا تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ما قد أفسدوا بعمل السوء كبيان ما قد كتموا {إن ربك من} بعد التوبة والإصلاح {لغفور رحيم} ورجع الضمير إلى لاتوبة ؛ لأن الإصلاح هو جزء من التوبة ، وقوله تعالى ({لغفور رحيم) } وعد بالمغفرة والرحمة مؤكد بالدلالة على

أنه من صفة الله تعالى (لغفور رحيم) وعد بالمغفرة والرحمة مؤكد بالدلالة على أنه من صفة الله تعالى فمن تاب وأصلح من الذين هادوا وغيرهم غفر له ورحمه وأحل لهم ما كان حرمه عليهم .

{ إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين } :

قال الشرفي في [المصابيح] : قال في البرهان : وسمي أمة لقيامه بأمر الأمة كلها ، .انتهى .،

(١٥٧٣/٢)

أي أنه عمل عمل أمة في جهاده للمشركين وإرشاده لمن اتبعه ، وقوله تعالى ({قانتا لله)} أي مطيعا حنيفا خاشعا {ولم يك} ولم يكن {من المشركين} وإن زعم بعض المشركين أنهم على دين إبراهيم {شاكرا} أي كان إبراهيم شاكرا لأنعم الله {اجتباه} اصطنعه لنفسه أو ا ختاره للرسالة {وهداه إلى صراط مستقيم} فثبت على دين الله حتى توفاه الله {وآتيناه} التفات من الجلالة وضميرها إلى إسم القائل الذي يعبر به عن نفسه ، ولعل الحسنة في الدنيا ذكره بالخير في الأولين والآخرين وهو لسان الصدق ، وكذلك أنه تعالى جعل في ذريته النبوة والكتاب والإمامة {وإأنه في الآخرة لمن الصالحين} لا يفوته شيء من ثواب الصالحين بما نال في الدنيا فله الجنة والثواب العظيم ودرجته فيها بقدر سبقه إلى الخيرات وسبقه فيها .

}

(١٥٧٤/٢)

ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين } {ثم} في هذا الزمان المتأخر عن زمان إبراهيم عليه السلام وبعد أن اجتباه الله وهداه إلى صراط مستقيم أوحينا إليك يا محمد {أن اتبع ملة إبراهيم} والملة الشريعة وفي الحديث : ((لا يتوارث أهل ملتين)) فالملة أوصول الدين التي تتمايز فيها وبها الملل ، وهي دين الأنبياء كلهم لا تختلف فيها أديانهم قال تعالى ({ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) } ، وقوله تعالى ({حنيفا) } حال يبين أنه أمر محمدا باتباعه لكونه {حنيفا وما كان من المشركين} لا كما يدعي المشركون .

}

(١٥٧٥/٢)

إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون } {السبت} ما وجب على اليهود في يوم السبت تبعا لذلك اليوم من تعظيمه واجتناب ما نهوا عنه فيه من الأفعال ، فهو لم يجعل أي لم يشرع الأعلى إلا {على الذين اختلفوا فيه} وهم اليهود فليس من ملة إبراهيم عليه السلام ولا من دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم / {وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون} كما ذكر في غير هذه الآية أنهم تفرقوا ، وأنه تعالى سيحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ، ولعل اختلافهم في السبت كان في أحكامه بين تشديد وترخيص ، وفي عقوبة من تعدى فيه ونحو ذلك مما يتعلق بالسبت ، وقيل: اختلافهم فيه ما ذكره الله عن القرية التي كانت حاضرة البحر ، وفيه نظر لأن الذين اصطادوا الحوت اصطادوه جرأة على التعدي فيه لا بناء على أنه لا إثم في التعدي ، والذين اختلفوا في عظتهم اختلفوا في فائدتها أو في وجوبها لا في السبت ، فلم يظهر منهم اختلاف في السبت إلا أن يكون الإختلاف بالصيد فيه وتركه ، ولكن فيه إشكال وهو أن السبت قد جعل عليهم وشرع لهم من قبل ذلك التعدي فالأولى أن الخلاف فيه نوع مما حكاه الله عنهم في غيره هذه كقوله تعالى ({

(١٥٧٦/٢)

فما اختلفوا حتى جاءهم العلم بغيا بينهم)} ويحتمل أنهم اختلفوا في تشريع السبت عند نزول حكمه عليهم فمنهم من قبله ، ومنهم من رده بعد ما جاءهم العلم بشرعه ، وهذا أقرب لأجل الحصر بـ(إنما) فيدخل فيه لايهود اليهود كلهم ولا يختص بأهل الخلاف العارض في أحكام السبت ، والله أعلم.

{ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين } :

}

(١٥٧٧/٢)

ادع} يا رسول الله {إلى سبيل ربك} إلى دينه الذي هوا لهدى ، ادع إليه {بالحكمة} بالعلم النافع الذي تفيده الحجة البينة التي تبينها لمن تدعوه إلى سبيل ربك أو المعنى ادع بالحكمة بموجب الحكمة وما تقتضيه الحكمة من حسن لابيان البيان للحجة وجعل الخطاب بقدر احتمال من تدعوه في الإيجاز والتطويل والإجمال والتدقيق وباستعمال ما يدعو إلى إجابتك وهو أولا ما يلفت المدعو إلى الإستماع ،

ثم ما يدعوه إلى النظر والتفكير في الحجة ، ثم ما يدعو إلى الإجابة من الترغيب وذلك مثل قوله تعالى ({وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم)} ، وقوله تعالى ({والموعظة)} وهي بالتخويف من عذاب الله ، وقوله ({الحسنة) } وذلك بإحسان أسلوب التخويف بحيث لا يثير غضب المدعو كما فعل مؤمن آل ياسين في قوله ({ءأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) } أو كذكر الوعيد والوعد بصورة العموم أو غير ذلك من حسن الحوار ، وقوله تعالى ({وجادلهم بالتي هي أحسن) } فالجدال المغالبة بالحجج وإبطال الشبه ببيان الدليل على بطلانها ، وقوله تعالى ({بالتي هي أحسن} بالطريقة التي هي أحسن مثل أن تستمع لما يقول الخصم حتى ينهي كلامه ثم ترد عليه

(١٥٧٨/٢)

في كلامه بنقض أوله وأاثنائه وآخره إذا كان يستدعي النقض ويحسن وتحسن الحوار بحيث لا تثير غضبه بل تستدعيه إلى تأمل ما تقول ، وقد كفى في الموعظة أن تكون حسنة ولم يكف في الجدال إلا أن يكون بالتي هي أحسن ؛ لأن الموعظة تدعو إلى غعرض واحد هو حسن لانية النية ، أما الجدال فيدعو إلى طلب الإستماع مع حسن النية ثم التفكير فيما تقول مع حسن النية ثم القول منك ودفع ما يمنع القبول من التعصب وغيره . ، وقوله تعالى ({إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله)} الذي لا يقبل ولا يهتدي {وهو أعلم بالمهتدين} الذين يقبلون الدعوة الحسنة فلعلمه سبحانه أمر باتخاذ أسباب قبول الدعوة ليهتدي من يقبل ويهلك من هلك عن بينة .

}

(١٥٧٩/٢)

وإن عاقبتم فعاقبواوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين } {وإن عاقبتم} من اعتدى عليكم أو ظلمكم {فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به} أي ما ظلمتم به ، وعبر بالمعاقبة إأما لوقوع المبادلة بالعدوان والإساءة كالنوبة في الركوب التي يقال لها عقبة ، وإما للمناسبة للغظ للفظ (عاقبتم) والمعنى: اقتصروا على الحق ولا تزيدوا عليه ؛ لأن الزيادة باسم المعاقبة قبيحة {ولئن صبرتم} عن المعاقبة {لهو} أاي الصبر {خير للصابرين} أي خير لهم من المعاقبة وأفضل لما في الصبر من الثواب للصابرين

.

}

(١٥٨٠/٢)

واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون } {واصبر} يا رسول الله على ميثاق الرسالة والجهاد للأعداء وسائر ما كلتفت به وما ابتليت به {وما صبرك إلا بالله} بمعونة الله وتوفيقه ، وهذه جملة معترضة ليستعين بالهل بالله على الصبر لمشتقة الصبر لعظم ما كلف به وما يعرض له من البلاوي ، فالأمر بالصبر هنا مطلق دفع وقع في خواتم السورة لمناسبة ما مضى فيها من التكاليف وما حكي فيها من خلاف الكفار وفتنتهم لمن أسلم وغير ذلك ، وقوله تعالى ({ولا تحزن عليهم) } لا تحزن على الكفار حيث لم يؤمنوا برسالتك إما لاستحقاقهم العذاب العظيم الدائم فليسوا أهلا لأن يحزن عليهم لأنهم أعداء الله ورسوله وهم الذين أوجبوه على نفوسهم ، وإما لفوات كثرة المسلمين في الحال وحرصك على سرعة قوة الإسلام بكثرة أهله فالله معك وسينصرك ويظهر دينه على الدين كله ، قووله وقوله تعالى ({ولاتك في ضيق) } أي ولا تكن في ضيق {مما يمكرون} الضيق ضد السعة أي لا تكن في حال ضيق أي لا تبال بما يمكرون بالإسلام وأهله وما يمكرون بيك أي يكيدون بك وبمن معك ؛ لأن الله معكم فهو ناصركم ومبطل لكيدهم .

}

(١٥٨١/٢)

إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون } فالله معك ومع المؤمنين بك لأنكم اتقيتموه بطاعته ، والله معكم لأنكم محسنون ، وإذا كان الله معكم فلا يضركم مكر الماكرين ؛ لأنكم المنصورون الغالبون ، أو لأن الله يدبر لكم ما هو خير لكم فتوكل عليه ولا تبال بمكر الماكرين .

تم تفسير سورة النحل والحمد لله رب العالمين .

(١٥٨٢/٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الإسراء

وهي سورة بني إسرائيل

قال الشرفي في [المصابيح] : مكية إلا ثلاث آيات من قوله {وإن كادوا ليفتنونك ..} إلى قوله {..

سلطانا نصيرا} قال: قال في [البرهان] وهو قول ابن عباس ، انتهى.

{ بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير } :

{سبحان} تسبيح وتنزيه للذي {أسرى بعبده} وهو الله جل جلاله سبحانه عما يقول الظالمون كما يأتي في السورة ، فالمشركون جعلوا له أندادا لا تقدر على شيء والله منزه عن ذلك ؛ لأنه القادر على كل شيء ؛ ولذلك أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وآله وسلم /

واقعد فإانك أانت الطاعم الكاسي ... دع المكارم لا تنهض لغيبتهالبغيتها

{ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إغياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما } :

}